













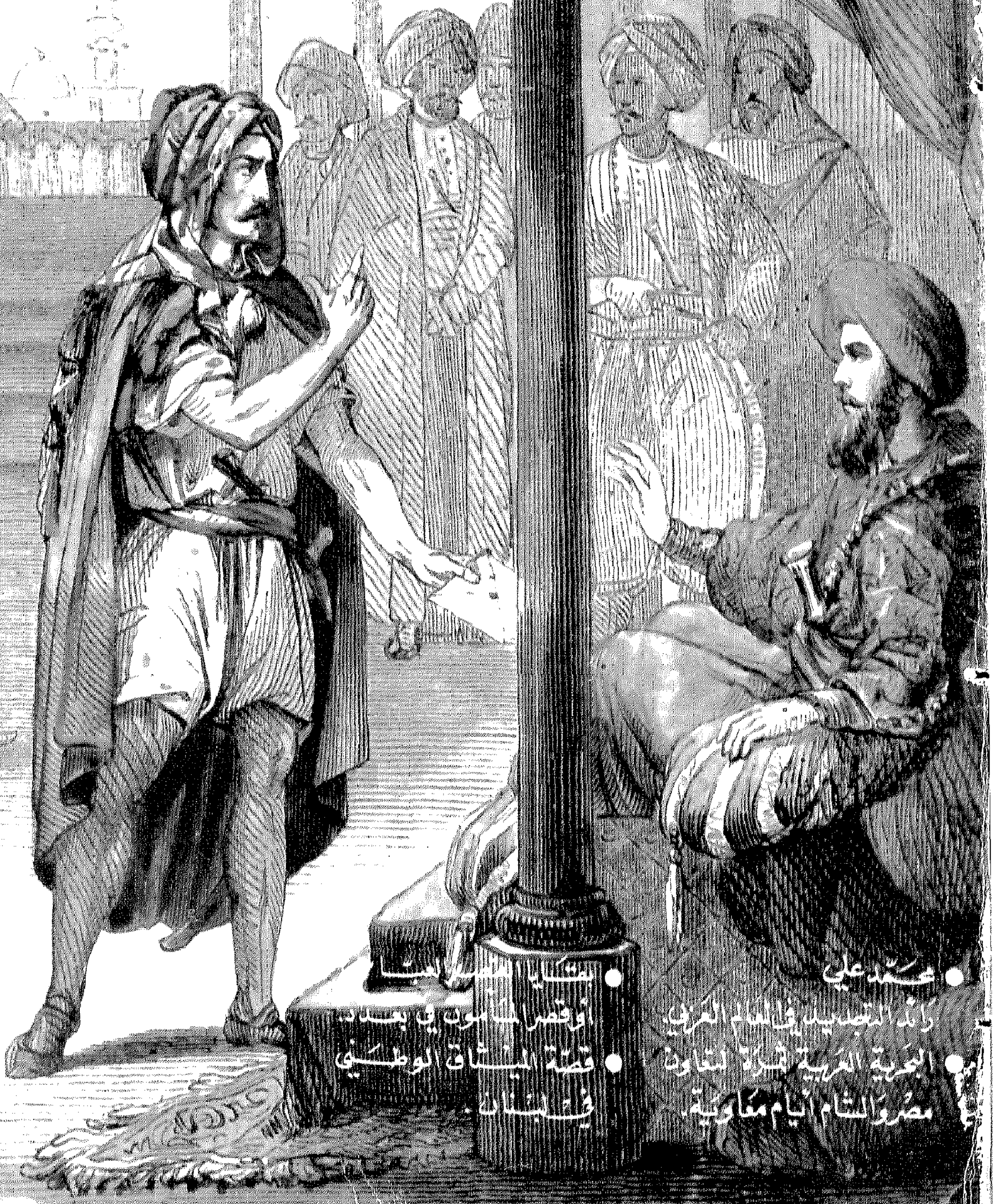




# الشرق والمغرب

عدد خمسين تحت في التاريخ الثامن

السنة الأولى - العدد الأول - تشرين الثاني

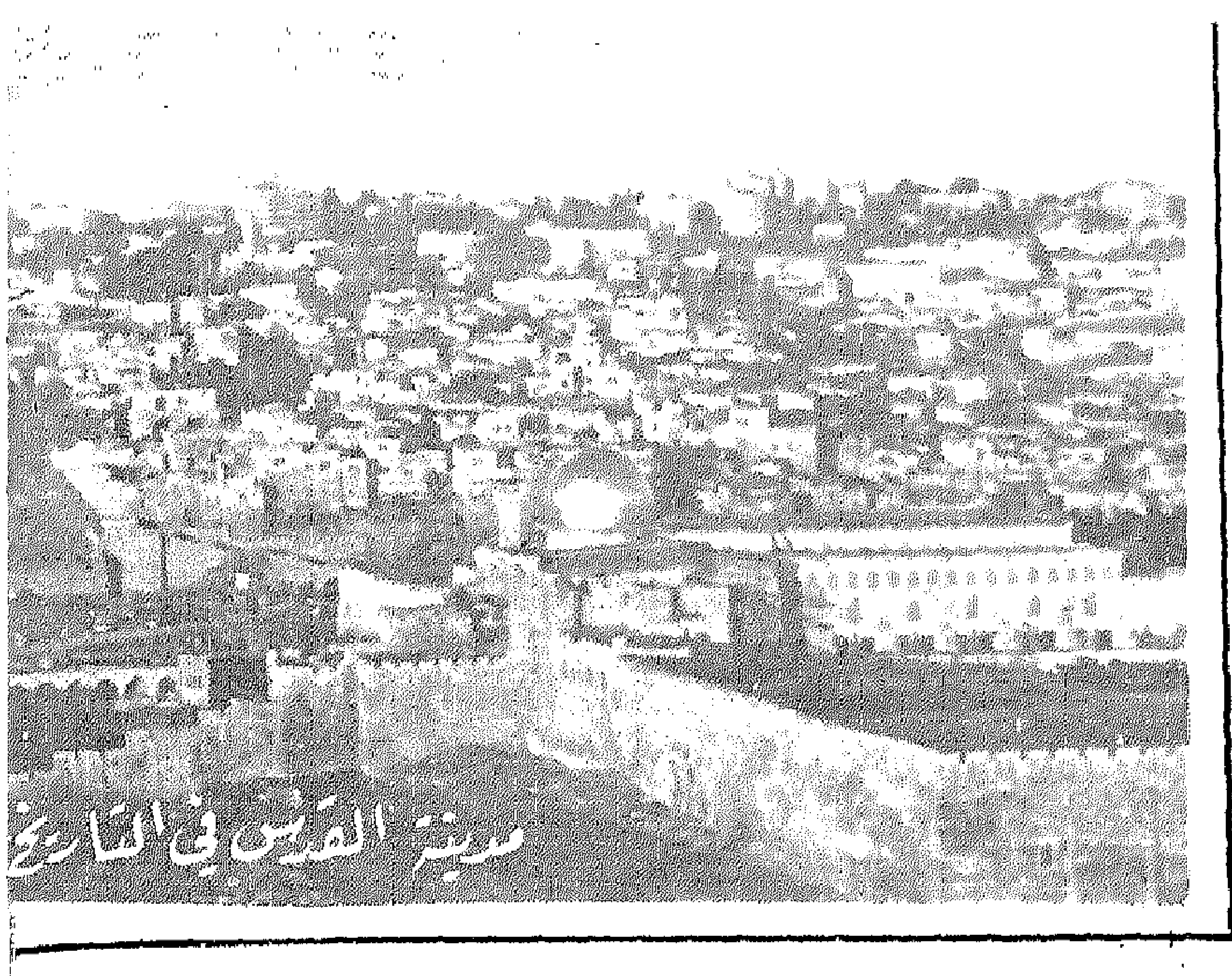


• مشكلة السيل السيل  
• أو قصر المسجون في بلاد  
• قصة المينشاق الوطني  
• في لبنان

• محمد علي  
• رائد التجديد في العالم العربي  
• البحرية العربية لشركة لتعاون  
• مصر والشام أيام معاوية



# الماضي الذي سيليأتي في اعدادنا المقبلة



مدينة القديس في القاهر



حاضرة  
الصورة





السنة الاولى  
العدد الاول  
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨  
ذو الحجة ١٣٩٨ هـ

# تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية تبحث في التاريخ العربي

تصدر عن دار السياسة للمخافة والنش

المدير المسؤول محمد مشموشي

رئيس التحرير فاروق البربر

ص. ب. ٥٩٠٥ - بيروت - لبنان - نهاية البرهيا - رقم ١١ - ج. الم. ا. ا. - تلفون ٣٤٦٢٧٦

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع  
الصحف والمطبوعات  
الاعلانات: يتفق بشأنها مع الادارة

الاشراف الفني: شركة سيفما للتصميم  
والطباعة  
الانتاج: المطابع التعاونية الصحفية

الاشارة كاد

ثمن النسخة

في لبنان: ٥٠ ل. - المؤسسات  
والدوائر الحكومية: ١٠٠ ل. - في  
الدول العربية: ٧٥ ل. - في افريقيا  
واوروبا: ١٠٠ ل. - دول العالم  
الاخرى: ١٥٠ ل. - المؤسسات  
والدوائر الحكومية في العالم  
العربي: ١٥٠ ل.

لبنان: ٤٠ ل. - سوريا: ٦٠ ل. -  
العراق: ٧٠٠ فلس - ليبيا: ٨٠٠  
درهم - السعودية: ٧ ريال - الكويت:  
٥٠٠ فلس - الاردن: ٥٠٠ فلس - ابو  
ظبي: ٨ درهم - دبي: ٨ درهم -  
قطر: ٧ ريال - البحرين: ٧٠٠ فلس -  
مسقط: ٨٠٠ بيعة

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR  
A MONTHLY ILLUSTRATED  
MAGAZINE PUBLISHED FROM  
SADATE ST, ABOU HLEIL  
BLG, P.O.B. 5905  
TEL: 346276,  
BEIRUT, LEBANON

VOL 1.  
No 1. Oct, 1978  
PRICE: 4 LL  
ANNUAL SUBSCRIP-  
TION:  
50 \$ IN NON-ARABIC  
SPEAKING COUN-  
TRIES



# لماذا هذه المجلة...

لماذا نطرح امام القارئ العربي مجلة متخصصة تعنى بالتاريخ ، عربياً أكان ام عالمياً ؟  
طرحنا هذا قد يبدو متخلفاً عن ظروفات الزمن الجاري الذي يرى المتحركون في ساحاته ان المستقبل وحده يستحق  
الجهد وان علم المستقبلية هو الجدير بالاهتمام .  
كم هي خاطئة هذه النظرة الى ما سلف من احداث الماضي .  
اذا كان صحيحاً - كما يعلم بعضهم - ان الانسان كفرد يصنع التاريخ فأن العكس كما يؤكد آخرون - صحيح  
ايضاً . والاصح ان بين الانسان الفرد وبين البيئة التاريخية تفاعلاً يجعل كلا منهما مرتبطاً ارتباطاً عضوياً بمجرى  
التاريخ ، صانعاً ومصنوعاً ، منذ الازل والى الابد .  
لذلك كان جهل التاريخ ضرباً من ضروب التجاهل للانسان وللجماعة ، واسقاطاً لجميع البواعث التي ولدت الحضارات  
في المكان والزمان ثم جعلت منها تياراً حضارياً شاملاً الانسان في جميع مراحل تاريخه حيثما وجد على وجه البسيطة .  
فهذه المجلة معنية اذاً باخص خواص الانسان وهي بذلك تسهم بتوفير الوسائل التي تساعد على فهم اعمق لاحداث  
الماضي العربي ونظرة اشمل واكثر وضوحاً الى احداث المستقبل .

★ ★ ★

التاريخ يكتب بطريقتين: احدهما كناية عن سرد الوقائع ووصف الاحداث سرداً مجرداً عن اي تعليق ، او تقويم ، او  
رأى ، فيكون ذلك مادة اولية ، موضوعية ، يترك النظر في عللها ونتائجها للمفكرين الذين يحاولون ، بعد زمن يطول او  
يقصر ، ان يسبروا غور البيئة التي وقعت فيها الاحداث ، من مختلف النواحي ، ليخرجوا بحكم على تصرفات الافراد  
والشعوب ، ثم الاستفادة من السوابق لاستكناه التطورات المستقبلية . هذه الطريقة السردية هي التي ساد العمل بها في  
العصور الوسطى خاصة .  
اما الطريقة الاخرى التي كان المؤرخ العربي العظيم ، ابن خلدون ، رائدها الاول ، فهي ما يمارسه المؤرخون  
المعاصرون: انهم لا يرون في الوقائع الا المظاهر الخارجية للثوابت الفاعلة ، الجديرة وحدها بالعناية والتدقيق ،  
وعندهم ان الاحداث الجارية لا تستحق التسجيل الا لأنها تجسد العلل والاسباب وتقدم الامثلة الحسية على الخفي من  
البواعث الاجتماعية والاقتصادية التي تحرك تاريخ البشر .

★ ★ ★

وقد يكون تعامل المجتمعات القديمة مع الاحداث قريباً من الطريقة المعاصرة اذ ان الوقائع كانت مرتبطة يومئذ ،  
في ضمير الناس واذهانهم بقوى اسطورية تتحكم بتصرفات الانسان وتسيطر على مصيره ، ولم يكن ميسوراً الافلات من  
الاحداث الجارية الا باسترضاء القوى الخفية . وما هذا التعامل مع التاريخ الا طريقة لتفسير ما يجري في الكون يوازي  
ما يطبقه المؤرخون المعاصرون في الكتابة التاريخية ، من حيث ربط الحدث بعلة هي الاساس وهو الشكل: فاساطير  
الآلهة والخرافات في العالم القديم التي كثيراً ما كانت تتصل بما هو غير مرأى ومحسوس انقلبت في عالمنا الحاضر  
اسباباً حسية مادية يمكن في نظر الفكر المعاصر معالجتها وتطويرها دون القدرة على التحكم بها .

★ ★ ★



هناك نظرية يطرحها الاستعمار من خلال منطق الاستعلاء باللون او الجنس ، تقول ان هناك حضارة عالمية واحدة ، وان العرب حلقة من حلقات هذه الحضارة ظهرت على شواطئ البحر الابيض والتي قوامها اليونان والرومان ثم الغرب في العصر الحديث .

والواقع ان الحضارة العربية بالرغم من انها اخذت الخيوط الاولى لما كان معروفا في العالم القديم من علوم فأنها ابدعت حضارة جديدة ، لها ذاتيتها الخاصة وطابعها المميز وان العرب قدموا للانسانية مفهوماً جديداً "للتحضر" يختلف عن مفهوم "المدنية" ذي الطابع المادي الصرف المرتبط بالعمارة والصناعة والرياضيات والفلك والجغرافيا . هذا التميز الخاص بالحضارة العربية يصوره الاستاذ ليوبولد فابس فيقول: "ان الحضارات المختلفة قامت ونشأت رويداً رويداً من تراث الماضي بما حوى من ضروب الرأي وتيارات الفكر التي استغرقت في تبلورها آمادا طويلة من الزمن . وقد انفردت حضارة العرب وحدها بظهورها الى الحياة دون سابق عهد او انتظار وقد جمعت في فجر نشأتها كل المقومات الاساسية لحضارة مكتملة وشاملة . فقامت في مجتمع واضح المعالم له نظراته الخاصة الى الحياة وله نظامه التشريعي الكامل ، وله فهمه المحدد لعلاقات الافراد بعضهم ببعض داخل هذا المجتمع ، ولم يكن قيامها ثمرة تقاليد زخر بها الماضي ولا وليد تيارات فكرية متوارثة ، ولكن هذه الحضارة العربية كانت وليدة احتياجات المواطن العربي تعكس واقعه واحتياجاته وتطلعه نحو مستقبل افضل ."

هذا هو "التميز" الواضح الذي يقطع بأن حضارة العرب لم تكن حلقة في حضارة سابقة او لاحقة بل جاءت بمفاهيم جديدة تنبثق من الواقع العربي . اما الحضارة الغربية التي هي ايضاً حضارة متميزة بخصائصها فقد انحرفت عن طريق اصالتها حينما دخلت مرحلة الازمة مع نفسها ومع بقية الشعوب . ولعل ابرز عناصر هذه الازمة: اولاً: انها جعلت نفسها في خدمة الاستعمار ومن الشعوب مصدراً لثرواتها وسوقاً لمنتجاتها وقد جرى ذلك بالعدوان والغزو والسيطرة السياسية والعسكرية .

ثانياً: أنها عزلت نفسها عن المفهوم الانساني الكامل الجامع بين الروح والمادة والارض . ثالثاً: انها استعلت عنصرياً "صانع الحضارة الذي لا يقهر" وتجاهلت بذلك الدور الذي قامت به بقية الحضارات وفي طبيعتها الحضارة العربية . ويقول "الدوس هكسلي" في هذا المجال: "ان الحضارة الغربية قد دفعت الناس الى التمرد على حياة الروح والاندفاع وراء المادة وقصرت جهودهم على المتع والرغبات واعرضت بهم عن المثل العليا"



واخيراً... اذا طالعتك كلمة "العرب" بخط كوفي عربي قديم على غلاف هذه المجلة: مجلة "تاريخ العرب والعالم" فلأن الصورة التي تنقلها هذه الكلمة الى مخيلتك لن تقتصر على تاريخ الجزيرة موطن العرب الاول ، او على مرحلة من مراحل المسيرة العربية العظيمة ، بل اكاد اوقن ان الصورة ستضع امامك الشعب العربي ايا كان موطنه من الخليج العربي شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً ، ومن طوروس شمالاً الى الهندي وقلب افريقيا جنوباً . ان هذه المنطقة الشاسعة تضم اكثر من مائة وثلاثين مليوناً . ورغم بعض الخصائص التي تتمتع بها بعض البلدان العربية فإن العرب يشتركون جميعاً في امرين اساسيين:

اولاً: باللسان العربي الواحد وان اختلفت لهجاته اختلافاً قلّ او كثر ، فلا يرضون بديلا عنه مهما حدث . ثانياً: بتراث عربي مجيد يؤلف بين قلوبهم ويحفظ ايمانهم وعروبتهم والذي به ينطلقون بثقة وامل وقوة الى المستقبل. ان في راس اهداف هذه المجلة محاولة الكشف بطريقة موضوعية وعلمية عن تاريخ وتراث العرب نتسلح به في نضالنا من اجل استعادة دورنا المجيد في تاريخ الحضارات العالمية . ان العالم العربي يتعرض في الوقت الحاضر لغزوة فكرية شرسة ، لا تستهدف الجيوش والحدود فقط ، وانما تستهدف التشكيك بتراثنا العربي ، ليكون ذلك التشكيك والهدم ، مقدمة لاضعاف مقاومة الشعوب امام الغزو الفكري الجديد . لذلك ، فإن امتنا مدعوة اليوم لبناء نفسها بناء حديداً في شتى المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ، والطريق الى ذلك هو في تعميق الثقة بالنفس ، وابرار الكيان الفكري الذي يعتمد على تراث عربي مجيد ، ومجلة "تاريخ العرب والعالم" ما هي الا خطوة متواضعة على هذا الطريق الطويل .

"اسرة التحرير"



# في هذا العدد

□ المقالات الواردة توزع حسب  
التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك  
بمكانة الكاتب، مع حفظ المكانة  
الاجتماعية للكاتب وغيرهم، تراعى  
في الألقاب الصفات العلمية فقط.

## الموضوع الصفحة

٢	أسرة التحرير	لماذا هذه المجلة؟
٥	د. قسطنطين زريق	■ نظرة في تاريخ العرب والعالم
١١	د. محمود زايد	■ محمد علي: رائد التجديد في العالم العربي
٢٠	ه.س.ب	■ رجال وافكار: عمر المختار
٢٢	دافيد لويس	■ رومل "ثعلب الصحراء" ... هكذا مات على يد هتلر
٢٣	اعداد: قسم الدراسات	■ بقايا القصر العباسي ... او قصر المأمون في بغداد
		■ سيادة العرب على البحر المتوسط ثمرة لتعاون مصر والشام
٤٠	د. احمد ابراهيم العدوي	■ ايام معاوية
٤٨	د. باسم الجسر	■ الاستقلال اللبناني والميثاق الوطن
٥٦	د. ديمتري براهيمكي	■ العالم العربي في العصر الحجري
٦٤	د. ارنولد توينبي	■ تاريخ الشرق الاوسط:
٧٣		■ من العصر الجليدي الى الدولة السومرية
٨٢	دافيد غانستون	■ التوأمان السياميان
٨٧	محمد مراد سكر	■ تاريخ الشطرنج
٨٩	ميشال اسطفان	■ تاريخ الطوابع
٩٢	سحر بعاصيري	■ للطلاب فقط...
٩٤	وفيق علم الدين	■ تاريخ الرياضة

المقالات والدراسات  
التي تنشر لا تعبر  
بالضرورة عن اراء المجلة.

□ المواد الواردة الى  
المجلة لا ترد اذا لم تنشر.

للمقالات والدراسات  
ترسل باسم رئيس التحرير  
على عنوان المجلة في  
بيروت







## "العالم" في التاريخ

عندما اعلمني رئيس تحرير هذه المجلة الجديدة بعزمه على اصدارها، وشرح لي هدفها ومتهاجها، ذكر في ما ذكر، ان اسمها سيكون: "تاريخ العرب والعالم". وللحال خطر لي ان هذا الاسم بالذات يصلح لان يكون موضوعاً لبضع ملاحظات تتعلق بماضينا وبالماضي الانساني عامة. فهل ثمة تاريخ واحد للعرب وللعالم، أم تاريخان (منفصلان او متصلان)، أم تواريخ متعددة مختلفة؟ ماذا كانت العلاقة بين العرب والعالم في الازمنة السابقة، واطحطراداً: ما هي اليوم، وكيف ستتطور في المستقبل القادم؟

لنبدأ بالعالم. ما هو، وما هي حقيقة تاريخه؟ ان الذين يلقون اليوم نظرة شاملة على ميدان الماضي البشري ينقسمون، من حيث اعتبارهم لوحده، فئتين: فئة ترى فيه تعدداً واختلافاً، وفئة تلقى عناصر وحدة وانسجام وتؤكد عليها. وهاتان النظرتان تبدوان ايضاً عند المؤرخين السابقين. فمن هؤلاء من تناولوا شعوباً او اقطاراً او حضارات معينة، ومنهم من حاولوا كتابة تواريخ بشرية عامة. على اننا نرى ان النظرة التعددية كانت غالبية، وحتى الذين وضعوا تواريخ اعتبروها عامة كانوا في الواقع ذوي نظرة تعددية، او كانت "احديتهم" قائمة على بتر بعض اجزاء التاريخ واخراجها عن نطاقه. وما هذا الا لان "العالم" في الماضي لم يكن في الواقع كياناً موحداً، وبالتالي فان اطلاق هذا اللفظ بصيغة المفرد هو اقرب الى المجاز منه الى الحقيقة.

في عهد الانسان القنصي - في ما يسمى "قبل التاريخ" - كانت ثمة مجتمعات صغيرة عديدة متشابهة، ولكنها مقفلة على ذاتها ومنفصلة جوهرياً بعضاً عن بعض حتى ما كان منها متقارباً متجاوراً. وعندما عمد الناس الى الزراعة وبدأت المجتمعات بالاستقرار، اخذت تظهر القرى ومن بعدها المدن. ومع ان للوعي التاريخي جذوراً تعود الى فجر الانسانية - اذ ان نزعة الانسان التذكيرية هي احد مظاهر بروزه كإنسان واختلافه عن سائر المخلوقات - فان هذا الوعي لم يتبلور تبلوره الاول الا في المدن. ذلك بأن المدينة، مصرية كانت او بابلية او اغريقية او صينية، كانت اول المجتمعات المنتظمة التي انبثقت فيها بوادر الحضارة. كان لكل مدينة نظام حكمها والمها او آلهتها وشخصيتها وولاء سكانها، وتفاعلهما حراً او سلماً مع المدن الاخرى. وكان العالم المتحضر حينذاك في الواقع عدة عوالم مدينية متقاربة او متباعدة. وهذا الواقع كان طاعياً على النظرة التاريخية في ذلك العهد. ثم قام، في شتى انحاء المعمور الواجعة سبل الحضارة، ملوك وحكام تجاوزوا المدن وبسطوا سلطتهم على اقطار معينة، كما فعل فراعنة مصر وملوك بابل واشور وحكام

ميديا وفارس وفيليب المقدوني في اليونان. وصاحب هذا الاتساع في المجتمعات اتساع في النظرة التاريخية، فاذا المؤرخ يتكلم عن المصريين لا عن سكان طيبة فحسب، وعن الاشوريين والفرس واليونان وسواهم. ولكن الواقع ظل ذاته، وهو ان العالم بقي منقسماً وحدات مختلفة، وان تكن هذه الوحدات قد اتسعت واختلفت طبيعتها. واستمر هذا الواقع حتى عندما مضت المجتمعات القديمة في الاتساع، وتكونت الامبراطوريات الرومانية والبيزنطية والساسانية وسواها.

وفي القرون الوسطى سادت الاديان الموحدة في الشرق الاسلامي والغرب المسيحي. والعقيدة الوحدانية تؤدي بطبيعتها الى نظرة تاريخية موحدة. ولكن هذه النظرة كانت بالفعل مزدوجة، لان العالم الذي تشمله كان في الواقع عالمين: عالم المؤمنين المنضوين تحت لواء "الامة الاسلامية" او "الكنيسة المسيحية"، وعالم من كان خارجاً عن هذه او تلك. ولم يهتم المؤرخون بهؤلاء الخارجين الا لظهار بطلان عقائدهم او تبيان كيفية انضمامهم تلقائياً او ضمهم قسراً الى "مدينة الله". ولم يخرج عن هذه القاعدة المؤرخ والواعظ الشهير جاك بوسيه الذي وضع في القرن السابع عشر كتابه: "خطبة في التاريخ العالمي"، فاننا نجده قد قصر نظره "العالمية" على المسيحية، فلم يذكر شيئاً عن الشعوب الاسلامية او غيرها من شعوب الشرق، ولم يتناول اليونان وروما الا من حيث كونهما ممهدين لظهور الدعوة التي كان يعتبرها لحمة التاريخ وسداه.

وعندما تضعفت وحدة الخلافة الاسلامية في الشرق بدأت تظهر تواريخ دول وملوك واقاليم ومدن، كذلك الامر في الغرب عندما برزت مجدداً على مسرحه في عهد التوسع التجاري والنهضة العقلية "المدن الدول" في ايطاليا كفلورنسا وبيزا وجنوى، والمدن التجارية المستقلة او شبه المستقلة في المانيا كهامبورغ وليبك وبرمن، لاتها في فرنسا وغيرها من البلدان الاوروبية، وتلى ذلك قيام الدول القومية ومن بعدها الامبراطوريات الاستعمارية، فامتلاّت صفحات التاريخ الحديث باخبار نشوئها وتوسعها وتنافسها وتفاعلها، فاذا هي المحور الاساسي الذي تدور حوله تأليف المؤرخين، واذا الجوانب السياسية والحربية التي اصطفت بها سير تلك الدول تبرز فيها وتكاد تخفي الجوانب الاخرى.

وقام في القرن الماضي، وفي هذا القرن، من اخذ ينيه الانظار الى ان الدول والامبراطوريات ليست الوحدات التاريخية الحقيقية، وان الاحداث السياسية والحربية التي رافقت ظهورها وامتدادها وتصادمها لا تكون جوهر سيرها. وتحول هؤلاء عن الدول والامبراطوريات الى "الحضارات" معتبرين انها اشمل من الدول واعمق اصالة وان الدول ليست سوى مظاهر لها ونتائج لفعليها. كما اكادوا ان



لهذه التطورات ولتقلبات التاريخ، كما فعل ابن خلدون من قبل، فكان هذه "القوانين" هي التي ترسم هيكلية التاريخ، وكأن هذه الهيكلية هي الرابطة التي توحد.

(٢) ومن المؤرخين - وجلهم تفاعليون يأخذون بمذهب التطور - التقدمي - من يرون في صلب التاريخ خطأ أساسياً يحدد اجزاءه ويسير به من مرحلة الى أخرى. وهم يختلفون في طبيعة هذا الخطأ، فمنهم من يجده، كما غست كونت، في تطور العقلية الانسانية في نظرتها للاشياء وفي تصورهما للوجود. ومنهم، كهيغل، من يؤكد تقدم الانسان في وعيه لذاته وادراكه لكونه جريته، وفي كون كل حضارة من الحضارات تمثل مرحلة من مراحل تطور هذا الوعي واتساعه وارتقائه. ومنهم، كماركس، من يقف اولا عند فعل العوامل الاقتصادية وما تؤدي اليه من تصارع الطبقات الذي سينتهي حتماً بازالة الانقسام الطبقي وبانهاء تحكم الانسان بالانسان. كل خط من هذه الخطوط او غيرها يصلح في نظر اصحابه لان يكون الرابطة التي توحد التاريخ ولان تبرز بالي وحدة العالم البشري على اختلاف مظاهره وتعدد خبراته. ومهما تكن طبيعة هذا الخطأ، فانه يبدو، لدى النظر المعمز، انه يتكون ويتقدم بفعل الابداع الانساني. ولقد يختلف المحللون والمعللون في نوع الابداع الذي يركزون عليه: كالابداع العقلي في التصور والادراك، او الابداع في مجابهة الطبيعة واستثمار مواردها والسيطرة على عوائقها ونوازلها، او الابداع في سلوك سبل التحرر والانتظام وفي تحقيق العدالة والمساواة، او غير هذا وذاك وذلك. ولكن الخط الذي يرسمونه يظل، بحكم تقدميته، موسوماً بهذه السمة الاساسية على اختلاف اشكالها والوانها.

(٣) ومهما يكن من امر، فثمة ظاهرة لا جدال فيها، وقد اشرنا اليها في ما سبق، وهي ازدياد التواصل والتفاعل بين وحدات التاريخ: دولا كانت او شعوباً او حضارات. فلقد بدأت هذه الوحدات، كما قلنا، بأن كانت مقفلة على ذاتها منفصلة بعضها عن بعض، ثم ما لبثت ان اخذت تتواصل وتتفاعل تواصلاً وتفاعلاً متسعين متواثمين عبر الفجوات والانتكاسات التي سببتها الحروب او غيرها من الاسباب المفرقة او المباعدة. ولهذه الظاهرة اهميتها من وجهتين: اولاهما انها تمثل خطاً مستمراً في مسار التاريخ يضيء على الاقل وجهاً هاماً من وجوهه، والثانية انها تدل على القوى والعوامل الفاعلة في وصل العوالم البشرية ببعض ببعض وتوجيهها في سبل التقارب والتشابك، وايفاظ وعيها لضرورة الاندماج والانصهار لتكون اخيراً عالماً موحداً حقاً.

من هذه الاعتبارات التي ذكرنا يمكننا ان نستخرج معيارين لتقييم كل عالم من العوالم التي ظهرت في ساحة التاريخ ولتبيان مكانته واثره. المعيار الاول هو ما ولد من ابداع في الحقول

الجوانب الحضارية من الحياة الماضية هي اشد اهمية وادعى للنظر والتدبر من الجوانب السياسية والحربية. ومع ان جل هؤلاء المؤرخين وغيرهم من رجال الفكر كانوا غربيين، فانهم انتقدوا النظرة الغربية السائدة التي تتركز على الغرب وتتجاهل سواه من الاقاليم والبلدان، وتجعل من تواريخ الشعوب الغربية في مواطنها ومهاجرها تاريخ العالم بأسره، بينما هناك شعوب وحضارات في الشرق الادنى وفي الهند والصين وفي اميركا قبل الفتوح الغربية جديدة بان تنال العناية التي تستحق وبان تدخل نطاق التاريخ فلا تبقى مفصولة عنه او ملقاة على هامشه.

أخرج من هذا العرض الموجز الى نتيجتين حريتين بالنظر والانتباه: الاولى هي ان النظرة التاريخية التي تبدو في كل عصر من العصور الماضية كانت تعكس الاوضاع والعقائد السائدة فيه وتتطور بتطورها، اما الثانية، وهي المتصلة بموضوعنا مباشرة، فهي ان هذه النظرة كانت في اساسها تعددية، تختلف الوحدات التي تركز عليها من عصر الى عصر: من المدن الى الدول القديمة الى الانظمة الدينية الى الدول القومية الحديثة الى الحضارات، او ما سوى ذلك، ولكن مهما تكن الوحدة السائدة في عصر من العصور والغالبية على اهتمام المؤرخين فيه، فانها تبقى ظاهراً او باطناً متعددة. وما ذاك الا لان "العالم" كما قلنا، لم يكن يكون وحدة الا ببسط المعاني (اي بانه يتألف من بشر). اما في الواقع فقد كان مجموعة "عوالم" بدأت منفصلة بعضاً عن بعض ثم اخذت تتواصل، وشرع هذا التواصل يزداد على مر العصور الى ان بلغ في هذا العصر درجة قصية من الاتساع والتشابك، بل من الاندماج. وعلى الرغم من امتداد العوالم البشرية المعاصرة وتناقصها - بفعل القوى الباعثة على التشابك والاندماج - فلا تزال لكل منها شخصيته ووحدته، ولم تؤلف بعد عالماً واحداً موحداً حقاً، وبالتالي لم تتكون بعد نظرة تاريخية احدية جديدة بهذا الوصف.

### نظريات المؤرخين

على ان بعض الباحثين يرون ان العالم الانساني في الماضي والحاضر يتضمن، على تعدد وحداته واختلافها، عناصر متماثلة يصح ان نتخذ اساساً لنظرة تاريخية احدية. ومن هذه العناصر التي يستندون اليها الامور التالية:

(١) ان الجماعات والشعوب، وان اختلفت اجناسها واصقاعها ولغاتها وسييرها، تشترك في ما بينها بوحدة اروميتها الانسانية، وبالصفات والنزعات الاصيلية التي تحركها في مجابهة بيئاتها الطبيعية وفي تنظيم شؤونها وفي تعاملها ببعض وبعض. وهكذا نرى مؤرخاً كـ كارنولد توينبي يجد في دراسته للحضارات البشرية تماثلات جوهرية في اسباب نشوتها ونموها وتضعفها وانحلالها، وفي اشكال الادوار التي تجوزها، ويستخرج "قوانين"



المختلفة، سواء في تطوير القفل العقلاني أو في استكشاف أسرار الطبيعة لتوطيد أمن الإنسان وانهاش ازدهاره، أو في تنظيم الحياة البشرية، أو في بعث قوى التحرر في الأفراد والمجتمعات، أو في نشر الأخوة والعدالة والمساواة، أو في أي وجه آخر من وجوه ترقية الإنسان واسباده. أما المعيار الثاني فهو ما عزز به حركة التواصل والتفاعل بين الشعوب والحضارات. فإذا كان الرقي الإنساني لا يتم فعلاً إلا بقدر ما يحقق الإنسان إنسانيته، ويعني الرابطة الأصلية التي تربطه بأخيه الإنسان، ويقدم هذه الأخوة على أي اعتبار آخر، فإن أي جهد يبذله مجتمع من المجتمعات، أو أي أثر يكون له، في تقارب الشعوب وتعارفها وتفاعلها الإيجابي إنما هو إسهام في بناء الحضارة وفي إثراء الحياة.

### "موقع" تاريخ العرب

لنلتفت الآن إلى العرب. أين يقع تاريخهم من تاريخ العالم؟ إنه يشكل إحدى الوحدات التي يتألف منها هذا التاريخ. وقد كان لهذه الوحدة فعلها وعطاؤها في بعض الأدوار، وركودها وغيابها في أدوار أخرى. وإذا اتخذنا المعيارين اللذين ذكرناهما دليلاً لنا، تجلت لنا الخطوط التالية للصورة التي نتوخاها:

(١) في أقدم الأزمنة، لا بد أنه كان للعرب وللشعوب السامية الشقيقة قبل خروجها من الجزيرة العربية يد في انتقال الحياة في الجزيرة من البدائية الصرف إلى بؤادر الحضارة الأولى. ولولا هذا التطور الأولي الذي يتضمن في طياته بعض القدرات الإبداعية لما استطاع العرب في ما بعد أن يقيموا حضارة سباً وحمير وسواهما من مراكز العمران في الجزيرة، ولما تهيأ للشعوب السامية، بعد خروجها من الجزيرة إلى وادي النيل وإلى الهلال الخصيب، أن تسهم في إنشاء الحضارات المصرية والبابلية والفينيقية والآرامية والعبرية التي جعلت من الشرق الأدنى المركز الحضاري المتميز في العصور الأولى. ومن هذا المركز انطلقت، كما نعلم، طلائع العمران والثقافة وانتشرت غرباً وشرقاً، وكان لها ما كان من أثر فعال في قيام الحضارات التي تلتها في الغرب خاصة، على أن البؤادر الحضارية الأولى في الجزيرة العربية، التي سبقت الانجازات السامية الرائدة وامتدتها، لا تزال مغمورة في غياهب التاريخ القصي، وإن يكن يمكن خمنها وتصورها والاستدلال عليها من نتائجها.

(٢) وإذا خرجنا من هذه الغياهب إلى فجر التاريخ العربي، الذي أخذت تضيئه الدراسات الحديثة، الأثرية وسواها، فإنا نرى في الجزيرة العربية - في جنوبها أولاً ثم في شمالها وغربها - مراكز حضارية نشأت وازدهرت بسبب وقوعها على طرق التجارة الرئيسية في ذلك العهد، وهي الطرق البرية والبحرية الواصلة بين الصين والهند وفارس

من جهة وبلاد البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى. وشارك العرب القدماء مشاركة بارزة في هذه الحركة التجارية الواسعة النطاق عبر بلادهم وبأراء سواحلها. ومن المعروف أن حركة التجارة لا تنقل البضائع والسلع المادية فحسب، بل تحمل معها أيضاً آثاراً حضارية غير مادية تنبأدها الشعوب. ومن هنا، فإن الدور المهم الذي قام به عرب الجزيرة قبل ظهور الإسلام، كان في مجال تعزيز الاتصال بين الشعوب والحضارات في منطقة من أهم مناطق المعمور - أن لم نقل المنطقة المحورية - في ذلك العهد. ومن هنا أيضاً يبدو أن النظرة التقليدية التي تجعل الجزيرة العربية في الجاهلية معزولة عن العوالم الأخرى وغارقة في دياجير الظلام هي نظرة تنافي الحقيقة، إذ أن العرب القدماء اتصلوا ووصلوا وأخذوا وأعطوا، فكان لهم نصيب وافر من الانجاز الإنساني المتنامي في الربط بين الحضارات - ذلك الانجاز الذي تعاقبت على تكوينه وانماؤه شعوب مختلفة على مرّ العصور، والذي امتد دور العرب فيه على ما يقارب الألفين من السنين من قيام أولى دولهم "معين" إلى مجيء الإسلام.

(٣) وجاء الإسلام فكان، من وجوه عدة، مظهراً لإبداعية العرب، سواء في التمهض الروحي الذي مهد له، وفي القيم الفردية والاجتماعية التي حملها، أو في الإيمان الذي بعثه في النفوس والذي أطلق العرب من بلادهم لينتشروا في الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وليأتوا بحضارة تميزت بعطائها خلال العصور الوسيطة، وليبشوا - هم وغيرهم من الشعوب الإسلامية - دينهم الوحداني إلى أبعد مما وصلت إليه فتوحاتهم بحيث غدا يدين به حوالي ١/٧ سكان المعمور.

(٤) وتلى مجيء الإسلام تكوين الحضارة العربية الإسلامية وازدهارها. وتميزت هذه الحضارة بتميزاً باهراً بالمقاييسين اللذين أشرنا إليهما: بانجازاتها الإبداعية في حقول الأدب والعلم والعمران والفن، وبما أحدثت وعززت من تواصل بين الشعوب والتراثات الحضارية التي ضمتها، فقلما عرف التاريخ حضارة تمازجت فيها اجناس وشعوب وتراثات قدر ما حصل في الحضارة العربية الإسلامية. لقد التقت وتفاعلت في نطاقها العناصر البشرية والحضارية السامية والفارسية واليونانية والهندية والصينية وسواها. وكان لانفتاح هذه الحضارة في دور زهوها - هذا الانفتاح الذي كان لمؤسسي الدولة من العرب فضل كبير في إطلاقه - فعله في بث التواصل وانماء التفاعل، كما كان له أثره أيضاً في ما ولدته هذه الحضارة من إبداع.

(٥) وحدثت للحضارة العربية الإسلامية ما حدث لغيرها من الحضارات، فركدت بعد نشاط، وذبلت بعد زهاء. وقل عطائها، بل اندثر، فغابت عن العالم. ذلك بأن الوجود الفعلي للشعوب والحضارات إنما يكون بالإبداع والعطاء، وانتقل





قبة الصخرة في بيت المقدس، من اروع الابداعات العربية

### أي دور سيلعبه العرب؟

ماذا نستنتج من هذه اللوحة الخاطفة لماضي العرب والعالم، وحاضرهما؟ وماذا تلقي هذه اللوحة من أضواء، أو بالاحرى ماذا تثير من تساؤلات، حول المستقبل؟ هناك، على الأقل، تساؤلان أساسيان:

(الاول يتعلق بالعرب، لقد رأينا انه كان لهم اثرهم الفعلي، في قديم العصور ووسطها، في حركة التواصل بين الشعوب وفي الانجاز الحضاري، وقد تميز هذا الفعل بخاصة في الفترة الواقعة بين القرن السابع والقرن الثالث عشر او الرابع عشر للميلاد والتي زهت فيها حضارتهم واغتنى عطاؤهم واغنى، ثم غابوا عن العالم الفاعل، فالتحدي المستقبلي الذي يجابههم الآن هو: هل يظلون غائبين، ام يستعيدون حضورهم؟ قد يقول الكثيرون ان العرب حاضرون، تملأ اخبارهم صحف العالم وتتردد اصداؤها في مختلف الاصقاع، ولكن للحضور اشكالا وانواعا، تتراوح بين السلبية الانفعالية والايجابية الفعلية، فقد يكون العرب حاضرين ومالئين اسماع الدنيا بمشكلاتهم وخلافاتهم ومنازعاتهم، وقد يكونون حاضرين بوفرة اعدادهم وامتدادهم على منطقة من اهم المناطق الاستراتيجية في العالم وقد يكونون حاضرين بامتلاكهم الموارد النفطية الوفيرة وهي اليوم عصب الصناعة الحديثة بل الحياة الحديثة بمجموعها، ولكن اشكال الحضور هذه وما يماثلها، لا تكون حضوراً حقيقياً ينطوي على فعل ايجابي، فهي لا تنقل العرب من "العالم الثالث" او عالم "الجنوب" المتخلف الى عالم القدرة والتطور، بل تبقيهم منفعلين ومسودين، تبقيهم كـ "مشكلة"

هذا الوجود الى عربي اوربا التي غدت، من مطلع العصور الحديثة والى اوائل هذا القرن، المنطقة المحورية في العالم، واما الشعوب العربية، فقد انقلب وجودها وجوداً انفعالياً، اي انها اصبحت هدفاً لاطماع الدول الجديدة المتطورة بفعل حركة الحضارة الحديثة وتوسيعيتها، ودخلت مع غيرها من الشعوب غير الغربية في نطاق العالم المستعمر، وتحول "العالم" في القرن التاسع عشر الى عالمين: عالم الدول الغربية المصنعة المتسابقة الى المناطق المتخلفة المتنافسة على تركيز نفوذها فيها والاستيلاء على مواردها واسواقها والتحكم بها بشكل او بآخر من اشكال الاستعمار، والعالم الاوسع مدى والاقل فاعلية الذي يضم هذه المناطق .

(٢) وبدأ العرب يدخلون العصر الحديث منذ منتصف القرن الماضي، ولم يقتصر هذا التطور عليهم، بل تناول غيرهم من الشعوب المتخلفة المستعمرة، التي اخذت تكوّن اليوم ما يعرف بـ "العالم الثالث"، تمييزاً عن العالم الغربي (ومعه اليابان) والعالم السوفييتي الشيوعي، ولكن ما لبث ان ظهر للعيان ان هذين العالمين - على اختلاف نظمهما السياسية والاجتماعية - يتماثلان في قدرتهما العلمية والصناعية والعسكرية وفي نموهما الاقتصادي، وان الفارق الاساسي هو بين عالمهما المشترك: عالم "الشمال" المتصنع القادر المتقدم في مجالات النمو، وعالم "الجنوب" الذي ما زال متخلفاً عاجزاً،



للقوى العالمية القادرة: تبقئهم كمجذب اطماع ومحط تنافس: تبقئهم اتباعاً لتلك القوى تحركهم الى هنا وهناك وتلاعب بمصائرهم.

ان الحضور الفعلي الايجابي هو الآن - كما كان دوماً على مدى التاريخ - حضور القدرة: القدرة الذاتية التي تؤهل الشعوب لصدا الاخطار واستثمار الموارد الطبيعية وتنظيم الحياة والتحكم بالمصير. والمصدر الاساسي لهذه القدرة هو العقل: العقل المتفتح المتطور: المقدم على كشف اسرار الطبيعة والحياة: والعامل في معالجة المشكلات الانسانية باساليب العلم الصحيح. ولعل من اشد الاوهام خطراً في هذه الايام: الوهم الذي يوحد بين العلم والتكنولوجيا، والذي يقصر التكنولوجيا على مظاهرها، فيدفع بالشعوب المتخلفة - بضغط سافرة وخفية من الدول المتقدمة صناعياً ومن مؤسساتها المتفشية - الى الاقبال على شراء الادوات واستعارة الاساليب الفنية والصناعية البالغة التطور واستقدام الخبراء بدون حذر او تنظيم: توهماً منها ان هذا هو الطريق للعبور من التخلف الى التقدم. والواقع ان هذا الاقبال المنفلت على المظاهر التكنولوجية يؤدي الى عكس المرتجى، اي الى ايمان الشعوب في تخلفها، باهدار مواردها، وتحويل انظارها عن الحاجات الجوهرية الصعبة المنال الى الاعراض الخارجية السهلة والمغرية.

وفي مقدمة الحاجات الجوهرية التجهيز بالعلم. والعلم اسلوب في التفكير ونهج في التصرف، يتمثل في الحياة الفردية والجماعية بمختلف وجوههما. وما التكنولوجيا الا وجه من وجوه ونتيجة من نتائج. وهي لا تحصل الا بقدر ما يحصل هو اولا. هذا هو للعرب، ولغيرهم من الشعوب المتخلفة: سبيل تكوين القدرة التي بها يكون الحضور الفعلي في الساحة العالمية، فهل سيستخدم العرب مواردهم الطبيعية الهائلة التي يتفردون بها عن غالب الشعوب المتخلفة ليكونوا لانفسهم هذه القدرة، ويحققوا هذا النوع من الحضور، ام ستكون هذه الموارد - على العكس - مبعث اخطار جديدة لهم، خارجية وداخلية، وعائقاً من عوائق تقدمهم، يحولهم عن الاختيارات الصحيحة والمطالب الاصلية التي تجعل لهم كياناً "عالمياً" بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة؟ هذا هو السؤال الاساسي والتحدي الكبير الذي يجابه العرب في حاضرهم ومستقبلهم القريب.

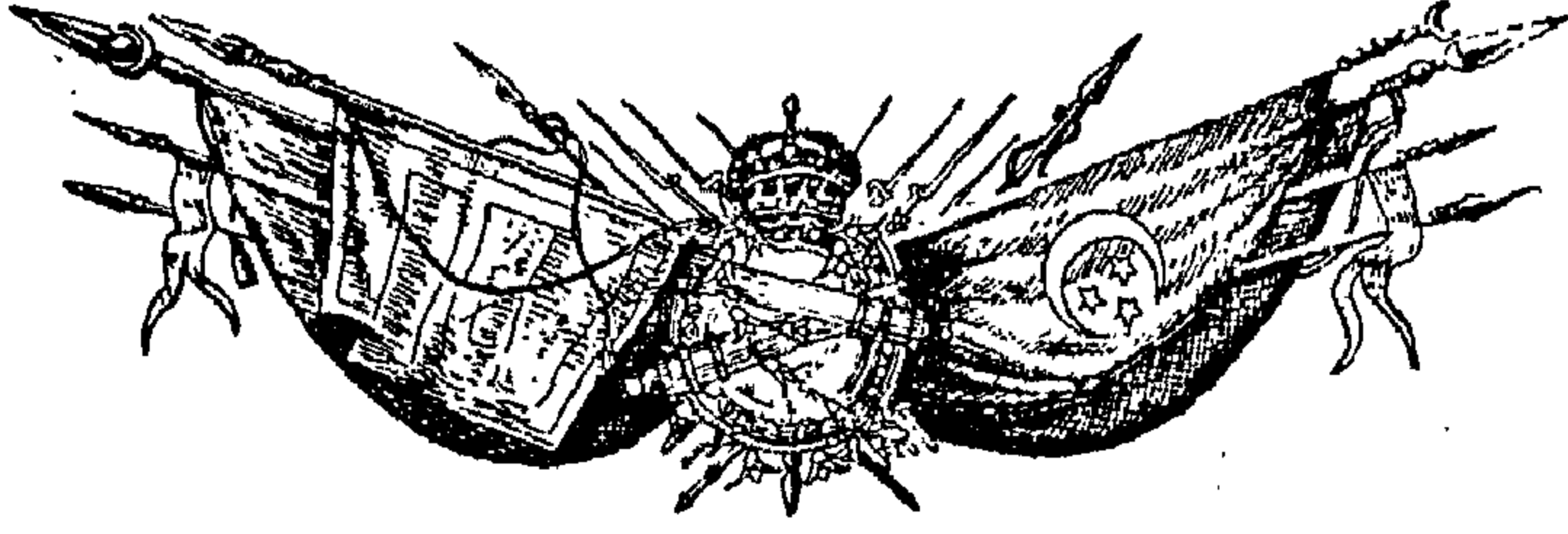
(٢) أما السؤال الاساسي الثاني فيتعلق بالعالم، وبخاصة بالقوى القادرة المتسلطة فيه. لقد رأينا ان العالم كان في مجمل تاريخه وحتى زمننا هذا مجموعة عوالم. غير ان التطور العلمي الذي اخذ يتسارع في الآونة الاخيرة تسارعاً مدهشاً، قد ربط الشعوب بعضها ببعض بروابط محكمة واثق الصلات بينها على مختلف الجبهات. فلم يعد ممكناً لأي شعب او أي مجتمع ان يعيش معزولاً عن سواه او منفصلاً عنه. وغدت كل قضية من القضايا الهامة

قضية عالمية. على مدى التاريخ حتى هذا القرن، كانت الحروب تنشب في منطقة او مناطق من العالم، فلا تؤثر في المناطق الاخرى او اذا اثرت فبقدر محدود. اما في هذا القرن فقد اندلعت حرب ايقن الناس انها تختلف عن سابقتها بانها اول حرب "عالمية"، وتلتها الحرب العالمية الثانية فكانت اعم نطاقاً واكثر هولاً. واذا نشبت، لا سمح الله، الثالثة، فانها ستفوقهما سعة ونفاذاً، وقتلاً وتدميراً. حتى لو لم تندلع الحرب، فان تسليح الدول المتصاعد سنة عن سنة يحدث أثراً اقتصادياً واجتماعياً ونفسية لا يقف عند حدود الدول المفردة، بل يلف نطاق العالم اجمع. ومثل قضايا الحرب والتسلح، قضايا الغذاء والمرضى والجهل والتخلف وتناقص الموارد الطبيعية وفساد البيئة، وقضايا الاستعمار والتحرر، والصراع بين الطبقات والتناحر على المذاهب والمعتقدات، كل قضية من هذه القضايا غدت قضية "عالمية" لا تقتصر على شعب ولا تقف عند حدود بلد، بل تشمل جميع الشعوب والبلدان، لما عقدته الحضارة الحديثة من اسباب التواصل والتشابك والمصير المشترك بين اطراف العالم قاطبة.

للمرة الاولى في التاريخ البشري المديد تتوفر امكانات توحيد العالم، بدلا من توزيعه الى عوالم. لكن الحقيقة المؤلمة هي انه بقدر ما تتوفر هذه الامكانات، تحندم ايضاً عوامل الانقسام والتناحر بين البشر. وفي هذه الحقيقة المؤلمة تكمن الازمة الاساسية للحضارة الانسانية. ان العالم قد توحيد تكنولوجيا وظاهرياً، فايضا تكن تستطيع ان تتصل بمن تشاء في ادنى الارض واقصاها، واحداث اي بلد تتجاوب اصداؤها في البلدان الاخرى. والشعوب سائرة في سبل التماثل في مأكلا ومشاربها ومساكنها ووسائل انتقالها، وغير ذلك من اساليب عيشها، ولكنها لاتزال متباعدة متنافرة في اهدافها وتوازعها وايدئولوجياتها ومطامعها. ومن هنا كانت خطورة تصاعد الامكانات: امكانات التقارب والتوحيد، وامكانات التباعده والتنافر والتناحر. فأيتهما ستتغلب على الاخرى؟ على نوع الاجابة على هذا السؤال - التحدي، يتوقف مستقبل الحضارة الانسانية، بل الوجود البشري ذاته. ذلك بأن القدرة التي كونها الانسان المعاصر لذاته قد بلغت من الحجم والخطورة حداً يختلف جذرياً عما كان عليه الامر في الماضي. وهي قدرة قد تستخدم للبناء والتجديد، او للمهدم والتبديد.

ان اهمية الماضي لا تنحصر فيه فحسب، وانما تتعداه لتلقي اضواء على الحاضر والمستقبل. فأى دور سيلعبه العرب في العالم المقبل، واي شكل سيتخذه هذا العالم؟ ان هذين السؤالين مترابطان ترابطاً عضوياً، وجميع الجهود المنصبة على تاريخ العرب والعالم يجب ان نبقيهما قبلة النظر كي يسهم ادراك هذا التاريخ في تأهيل العرب والانسانية عامة لتجاوز ما كان وما هو كائن الى ما يجب ان يكون.





# محمد علي

## رأس التجديد في العالم العربي

د. محمد زايد

المؤرخون ومحمد علي

ربما كان محمد علي باشا (١٨٢٩ - ١٨٤٩) هو الحاكم الوحيد من حكام المشرق العربي الذي نال اعترافاً واسعاً بعظمته في الشرق والغرب فقد ذهب معاصره الفرنسي مانجان الى القول انه "الرجل الذي رفعت العناية الالهية فوق اقدار الرجال"، وذهب جان لاکوتير الى القول ايضاً ان وصول سفن محمد علي باشا الى ميناء نافارينو وظهور ابنه ابراهيم في طوروس بآسيا الصغرى كان لهما معنى عميق. "فقد اظهرا ان مصر لم تكد تطل برأسها من وكرها حتى أخذت فجأة تلعب دوراً خطيراً في مداولات الدول العظمى... وقبل أن تنقضي

اربعون سنة على بونابرت، اي على وصول الحملة الفرنسية الى مصر حتى صارت مصر تقف على قدم المساواة مع انجلترا وروسيا والباب العالي، ويقول المؤرخ المصري عبد الرحمن الرافعي:

"لا جدال في أن محمد علي قد سما بأعماله إلى مصاف عظماء الرجال الرجال، وتتمثل لك عظمته من كونه نشأ نشأة متواضعة وتدرج

من جندي بسيط إلى أن ارتقى عرش مصر، فأسس ملكاً عريضاً، وغالب دولا كباراً، وأنشأ دولة عظيمة وحكومة ثابتة وطبيعية، وبعث حضارة زاهرة، وانبث ثقافة كان لها الفضل الكبير في نشر لواء العلم والعرفان، فالرجل الذي ينشئ كل ذلك، وكان لم يتلق تعليماً عالياً ولا اولياً، لا بد أن يعد بحق من عظماء الرجال".

ولكن مما يذكر أن محمد علي لم يلق بعد شيئاً من التقدير والتكريم اللذين يلقيهما من هم أقل منه شأنًا بكثير وما تفسير هذا بعسير، فمحمد علي تركي ومنشئ سلالة حاكمة اقترن اسمها بعده بالاستبداد والفساد وسلخ المصريون اكثر من ثلاثة ارباع القرن وهم يحاولون التخلص منها. وكان من الطبيعي أن لا يذكر أحد على أثر قيام الثورة المصرية بأسقاطها سوى معاييها. هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى فإن محمد علي - كباقي العظماء - ليس فوق مستوى النقد في جميع تصرفاته!

■ د. محمود زايد: استاذ التاريخ الاسلامي بالجامعة الاميركية ببيروت، دكتوراه من جامعة ييل، كما علم في جامعة ييل وتكساس.



## رجل أحداث أم صانع تاريخ

من أي نوع من العظماء كان محمد علي؟  
يقسم سيدني هوك عظماء التاريخ وأبطاله إلى  
فئتين: فئة رجال الأحداث وفئة صانعي التاريخ.  
ويرى أن كليهما يوجه الأحداث وجهة ما كانت  
لتأخذها لولا تدخله، لكن في حين أن رجل الأحداث  
قد يكون انساناً عادياً في مواهبه وملكاته وأنه  
يتدخل في أحداث ليست من صنعه، وأن تدخله قد  
لا يعدو أن يكون صدفة وعلى شكل قرار أو مرسوم  
فإن صانع التاريخ يتميز بملكات وطاقات غير  
عادية ويخلق الظروف التي تمكنه من الوصول إلى  
غاياته.

في ضوء هذا ، نجد محمد علي صانعاً للتاريخ  
مثل معاصره نابليون! لقد ظهر كل منهما عند  
منعطف من تاريخ بلاده فاستغل مواهبه في سبيل  
السيطرة على مجرى الأحداث وتوجيهها الوجهة  
التي أرادها.

ولد محمد علي باشا في قوله بمقدونيا عام  
١٧٢٩ وهو العام الذي ولد فيه نابليون ودوق  
ولنجتون، بطل ووترلو، وكان واحداً من سبعة عشر  
ولداً لأبيه لم يعيش منهم غيره. وتوفي أبوه وهو  
صغير فكفله عمه، فلما توفي هذا كفله حاكم قولة.

وانتظم في سلك الجندية ثم عمل بالتجارة قبل أن  
ينضم إلى كتيبة من ثلاثمائة جندي توجهت عام  
١٨٠١ إلى مصر للاشتراك في الحملة العثمانية  
لاخراج الفرنسيين منها. وبفضل مواهبه وشجاعته  
استطاع قبل مضي بضعة أشهر أن يظفر برتبة لواء.  
وقد نجح الاتراك بمساعدة الانجليز في حمل  
الفرنسيين على الجلاء عن مصر. وكانت مصر حتى  
استيلاء الفرنسيين عليها في عام ١٧٩٨ ولاية  
تركية يحكمها وال يعينه السلطان العثماني. لكن  
السلطة الفعلية فيها كانت قبل ذلك بزمان طويل قد  
صارت بيد المماليك. أما وقد جلا الفرنسيون عنها  
فقد تطلع الاتراك إلى بسط سلطانهم عليها مرة  
ثانية وإلى حكمها هذه المرة حكماً مباشراً. أما  
الانجليز الذين نبهتهم الحملة الفرنسية إلى  
أهمية مصر الاستراتيجية فقد ألقوا بثقلهم إلى  
جانب الاتراك وأخرجوا الفرنسيين منها، ومن ثم،  
حرصوا على أن لا تقوم فيها قوة من شأنها أن تهدد  
المصالح البريطانية وبخاصة طريق بريطانيا إلى  
الهند.

### دور يبحث عن بطل

لقد ترك جلاء الفرنسيين عن مصر فراغاً لم يكن  
في مقدور أي من الطامحين إلى الحكم أن يملأه.  
فكل من فريق الصراخ الرئيسيين وهما الاتراك  
والمماليك انقسم على نفسه وكان المصريون



محمد علي باشا مع السفراء الأجانب (للغنان روبرتس)





■ محمد علي باشا ٠٠ والصناعة الحربية (صورة فرنسية)

### لماذا السلطة؟

لو اكتفى محمد علي باشا بانجازاته حتى ذلك التاريخ (١٨١١) وتربع مطمئناً على عرش مصر وأخذ يقطف ثمار انتصاراته لما اختلف كثيراً عن غيره من الولاة الذين لم يكونوا يرون في السلطة إلا سبيلاً للمال والنفوذ. لكنه كان من أصحاب الأحلام العريضة والرؤى الصادقة، فلم ير في السلطة إلا سبيلاً إلى خلق دولة حديثة مستقلة. وفي هذا يقول الأستاذ فؤاد شكري:

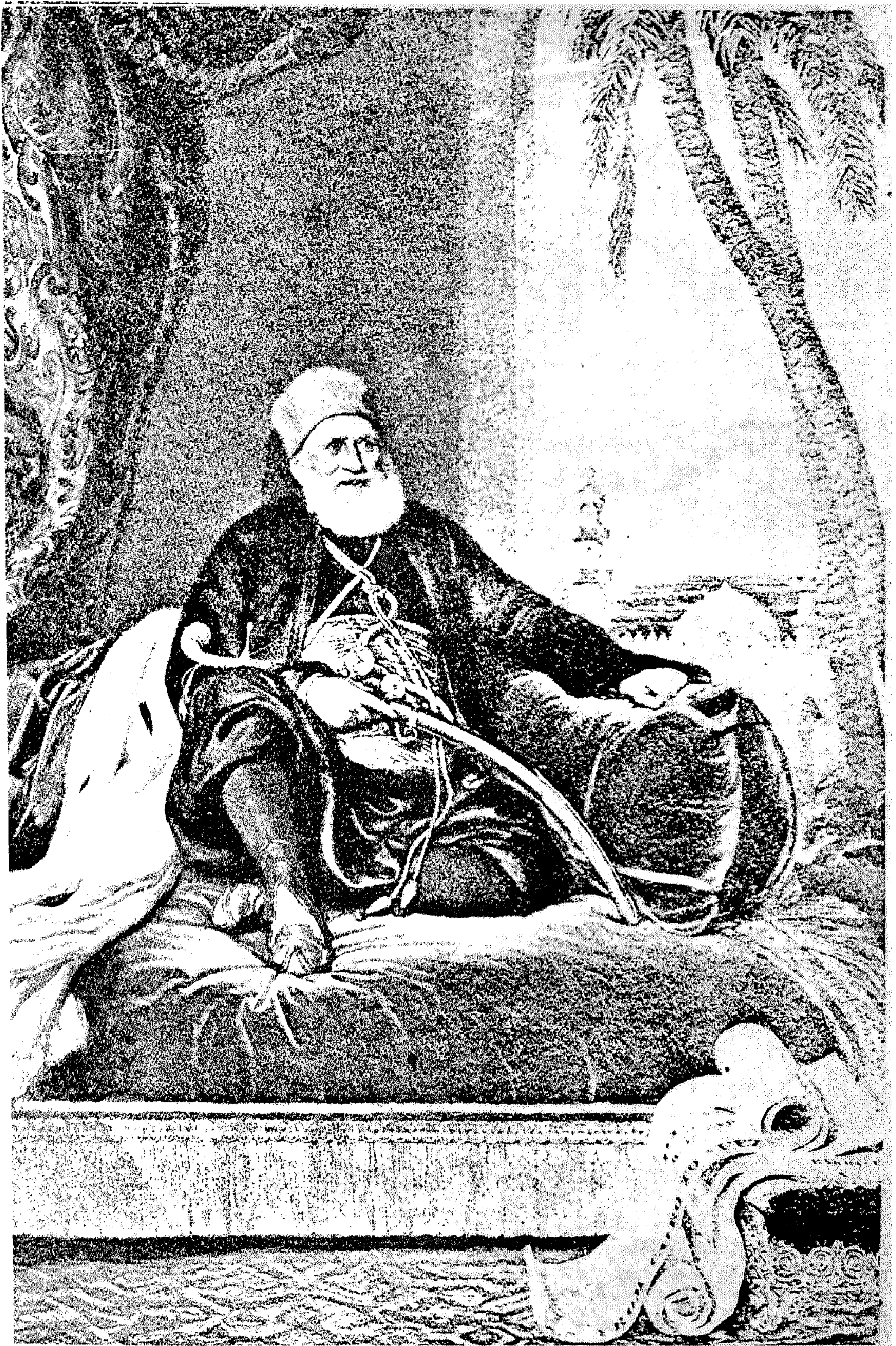
"كان الوالي العظيم من أولئك الذين اصطلح المؤرخون على وصفهم بالحكام المستنيرين الذين يأخذون على عواتقهم الاضطلاع بتأعباء الحكم وتبعاته لا حباً في اشباع غريزة السيطرة... بل رغبة في الاشراف الجدي على كل ما له مساس بحياة الأفراد من قريب أو بعيد حتى يمكن توجيههم إلى ما فيه إعلاء شأن الدولة".

على أن الطريق إلى الدولة الحديثة لم يكن هو أيضاً مفروشاً بالسورود. لقد استطاع أن ينشئ حكومة مركزية تخضع فيها المجالس العليا وأهمها المجلس العالي والديوان الخديوي وإدارات (وزارات) الدولة لسلطته في

يكرهون الفريقين لأن أيّاً من المتنازعين لم يكن يكثر لمصالحهم. وعليه فقد رأى محمد علي بثاقب نظره أن هناك دوراً ينتظر بطلاً، وأنه من الممكن لصاحب المواهب أن يقوم بالدور إذا هو تحالف مع قوة لم يكن جرى الاعتراف بها حتى ذلك الوقت وهي الشعب. وصمم محمد علي أن يكون ذلك البطل. ف ضرب الفرقاء المتنازعين أحدهم بالآخر وتحالف مع القوة الجديدة وهي القوة الشعبية، فاختره زعماءها عام ١٨٠٥ والياً عليهم، ولم يسع السلطان العثماني إلا أن يستجيب لارادتهم!

هكذا تمكن محمد علي أن يصبح والياً على مصر. ولكن طريقه إلى التمكين لنفسه في منصبه لم يكن مفروشاً بالسورود. فقد كانت تتهدده مؤامرات المماليك والأتراك في الداخل ودسائس انجلترا وتقلب تركيا في الخارج. لكنه استطاع بشجاعته ودهائه أن يتغلب عليها جميعاً. فقد استطاع أن يهزم حملة الجنرال فريزر التي جردتها انجلترا على مصر عام ١٨٠٧ لضرب تركيا فيها، لكنه في الوقت نفسه حفظ خط الرجعة مع بريطانيا بمعاملته الطيبة للأسرى البريطانيين وتسليمهم. وحاول إرضاء السلطان بتجريد الحملات على خصومه في بلاد العرب واليونان، وقضى على المماليك عام ١٨١١ بأن دبر لهم مذبحة القلعة! وبذلك تخلص من أعظم الأخطار الداخلية والخارجية.





■ محمد علي باشا





■ ابراهيم باشا

الفنية والاشتغال بهما وتعليمهما في مصر . وبهذا كان محمد علي الامي رائد التعليم الحديث في العالم العربي!

وكان من الطبيعي أن يبدأ محمد علي بناء الدولة الحديثة بإنشاء جيش نظامي يدعم استقلال مصر تحت حكمه . فافتتح مدرسة حربية في أسوان لتدريب ضباط الجيش الجديد الذي عهد بتنظيمه إلى الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنسي) . وقد بدأ محمد علي بتجنيد السودانيين لكنه لم يلبث أن تبين عدم صلاحيتهم فعمد إلى تجنيد المصريين . فكان أول من جندهم منذ الفتح العثماني . وعلق على ذلك كاتبان اوروبيان في كتاب لهما بقولهما:

"إن العرب من سكان وادي النيل لم يكن لهم منذ الفتح العثماني حق الانتظام في الجيش، ولكن محمد علي أعاد اليهم هذا الحق، وهو بتجنيدهم - ولو أن ذلك على كره منهم - قد رفع من شأنهم وانتشلهم من الوحدة التي نزلوا اليها . وقد استردوا سمعتهم بما اظهروه من الشجاعة في ميادين الحروب التي خاضوها ."

وقت قصير . لكن مسألة خلق دولة حديثة من ولاية فقيرة كمصر لم يكن ليتم بمثل ذلك التيسر . لقد كانت مصر في القرن الثامن عشر وأوائل القرن الذي يليه، كما يقول الاستاذ شكري، "أسوأ الممتلكات العثمانية حالاً باستثناء العراق" . فثلث الأراضي الزراعية في الوجه البحري كان قد طغت عليه الرمال فأصبح غير صالح للزراعة، وزاد الحالة سوءاً أرهاق الفلاحين بمختلف أنواع الضرائب الأمر الذي كان يدفعهم دائماً إلى الفرار أو الهجرة من قراهم . وبلغ الوضع في مقاطعة الفيوم التي اشتهرت بخصب أرضها من سوء بحيث أقفرت معه من سكانها .

ومن أعظم الصعوبات التي كانت تعترض طريق النهوض بمصر موقف سكانها التقليدي من الدولة، وهو موقف يشوبه العداء الشديد بسبب ما كان لحق بهم من ظلم في ظل الحكومات التي تعاقبت عليهم . فكان الفلاح:

"يعرف كما يعرف أهل البلاد جميعاً أن الظلم أمر عادي، وأن العدالة رهن بما يقدم في سبيلها من رشوة . وقد نجم عن ذلك كله أن صار المصريون لا يعبأون بنوع الحكومة التي تتولى شؤونهم ولا يضيرهم أن يعزل أحد الولاة أو يصل أحد البكوات إلى مرتبة "المشيخة" ولا يسرهم أن يجيء وال جديد أو أن ينتزع المشيخة بيك آخر" .

ولا عجب إذن أن خداع الدولة وتعطيل أوامرها والمماطلة في دفع الضرائب لها صار من دواعي الفخر عند عامة المصريين .

ومن العقبات الأخرى التي كانت تعترض طريق الإصلاح معارضة العناصر التركية التي كان أفرادها قد اعتبروا استقلال الفلاح وغيره من المصريين أمراً طبيعياً . ويذكر جسكيه الذي زار مصر في تلك الفترة أنهم كانوا يلجأون إلى كل حيلة لتعطيل أوامر محمد علي وتعليماته والوقوف في طريق الإصلاحات التي يريد إدخالها .

### عندما تزول العقبات

لقد أدرك محمد علي خطر تلك الصعوبات . وأيقن أن سبيله إلى الإصلاح يتوقف على أمرين: الأول الحصول على المال والثاني على الخبرة . ولقد حصل على المال بإلغاء الالتزام الذي كان الملتزمون يجمعون بموجبه الضرائب من الفلاحين وصادر الأراضي التي كانوا هم وغيرهم قد اغتصبوها، وأنشأ نظام الاحتكار الذي صارت الدولة بموجبه تشتري المحاصيل من الفلاحين وتصدرها .

وللحصول على الخبرة استعان بطائفة كبيرة من الأجانب وبخاصة من الفرنسيين! وأخذ يرسل البعثات العلمية إلى جامعات أوروبا لاكتساب العلم والخبرة

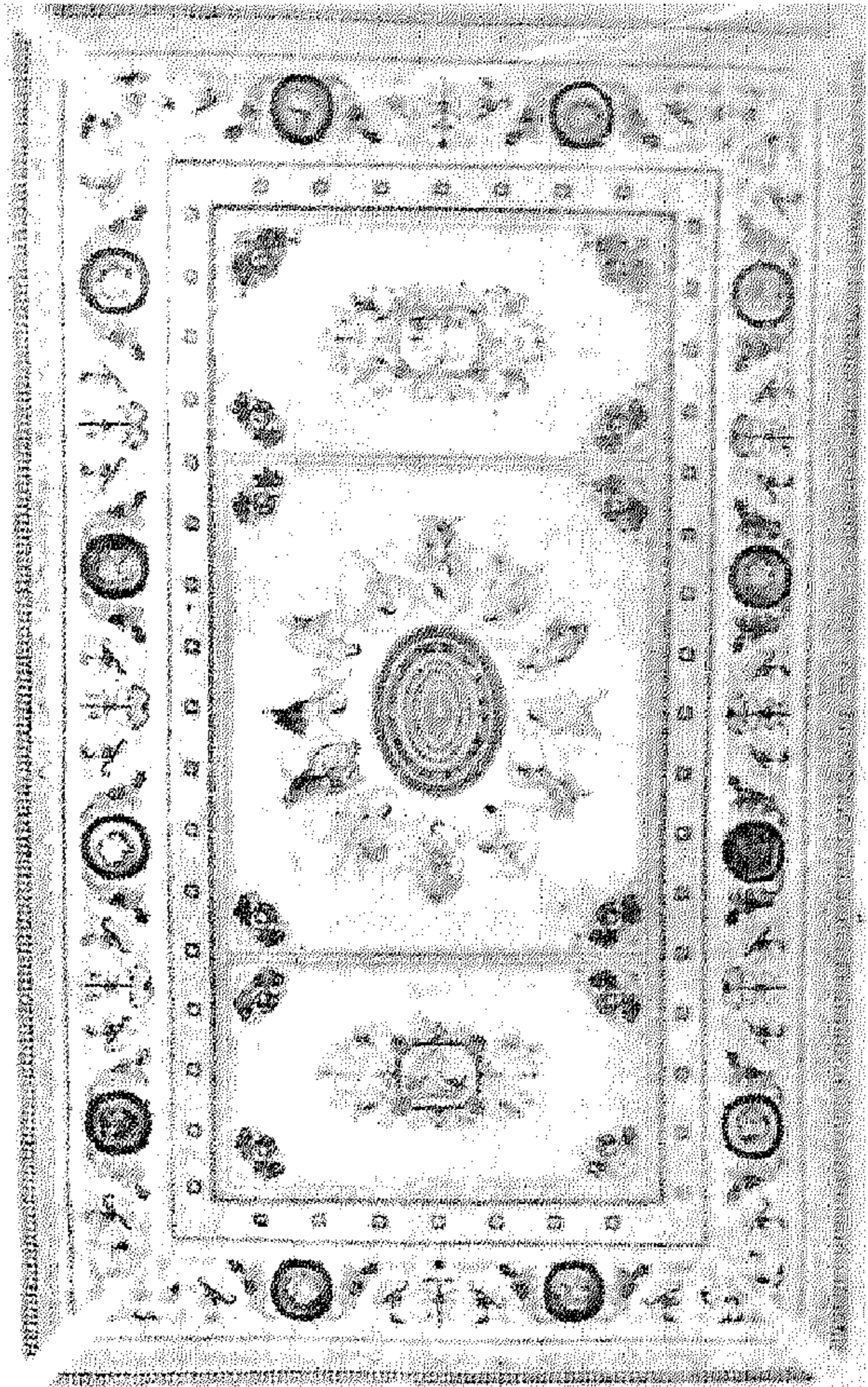


والواقع أن انجلترا كانت قد تأمرت مع حلفائها عام ١٨٢٧ على تدمير الاسطولين العثماني والمصري اللذين كانا يتعاونان خلال الحرب التركية اليونانية. وبالفعل جرى تدميرهما في ميناء نافارينو عام ١٨٢٧. لكن محمد علي لم يلبث أن أعاد بناء اسطوله!

### مصر الحديثه

لقد أدرك محمد علي أن إنشاء الجيش والاسطول يستلزمان النهوض بمختلف القطاعات الأخرى وخاصة التعليم والصناعة. وكانت المدارس المصرية الوحيدة في البلاد حتى بداية عهده هي الكتاتيب والكلية الدينية والجامع الأزهر. فأنشأ محمد علي مدارس حديثة ابتدائية وتجهيزية وخصوصية. وكان الغرض من الابتدائية نشر التعليم الأولى في البلاد واعداد الطلبة لدخول التجهيزية. وكان الغرض من التجهيزية اعداد الطلبة لدخول المدارس الخصوصية التي استهدفت اعداد الموظفين للادارات المختلفة من مدنية وعسكرية. وقد ضمت الخصوصية مدارس للمهندسة والمدفعية والفرسان والمشاة والطب البشري، والبيطري واللغات.

وقد اعتمد محمد علي في البداية على المدرسين الأجانب وبخاصة الايطاليين والفرنسيين. لكنه في الوقت ذاته أخذ يرسل البعثات إلى الخارج ليحل أفرادها متى اتموا تعليمهم محل الأجانب. وقد حرص على أن تخصص كل فئة من المبعوثين في



■ احد سقفوف قصر الحواهر

ومهما يكن من أمر فلم يحل عام ١٨٢٣ حتى كان الجيش المصري البري يضم ١٦٨٠٨٩٩ جندياً. ولم يحل عام ١٨٢٩ حتى بلغ عدده ٢٣٥٠٨٨٠ جندياً. وبذلك أصبح أعظم قوة ضاربة في المشرق العربي. وفي الوقت ذاته شرع محمد علي في بناء اسطول حديث يؤازر الجيش ويحميه وينقله إلى ساحات القتال! ولم يترك سبيلاً إلا سلكه في سبيل بنائه فأنشأ الترسانات وأرسل البعثات البحرية إلى أوروبا وأنشأ المدارس البحرية لتخريج الضباط، واستعان بالموهبة المصرية والأوروبية وكتب شاهد عيان عن ثمار هذه الجهود يقول:

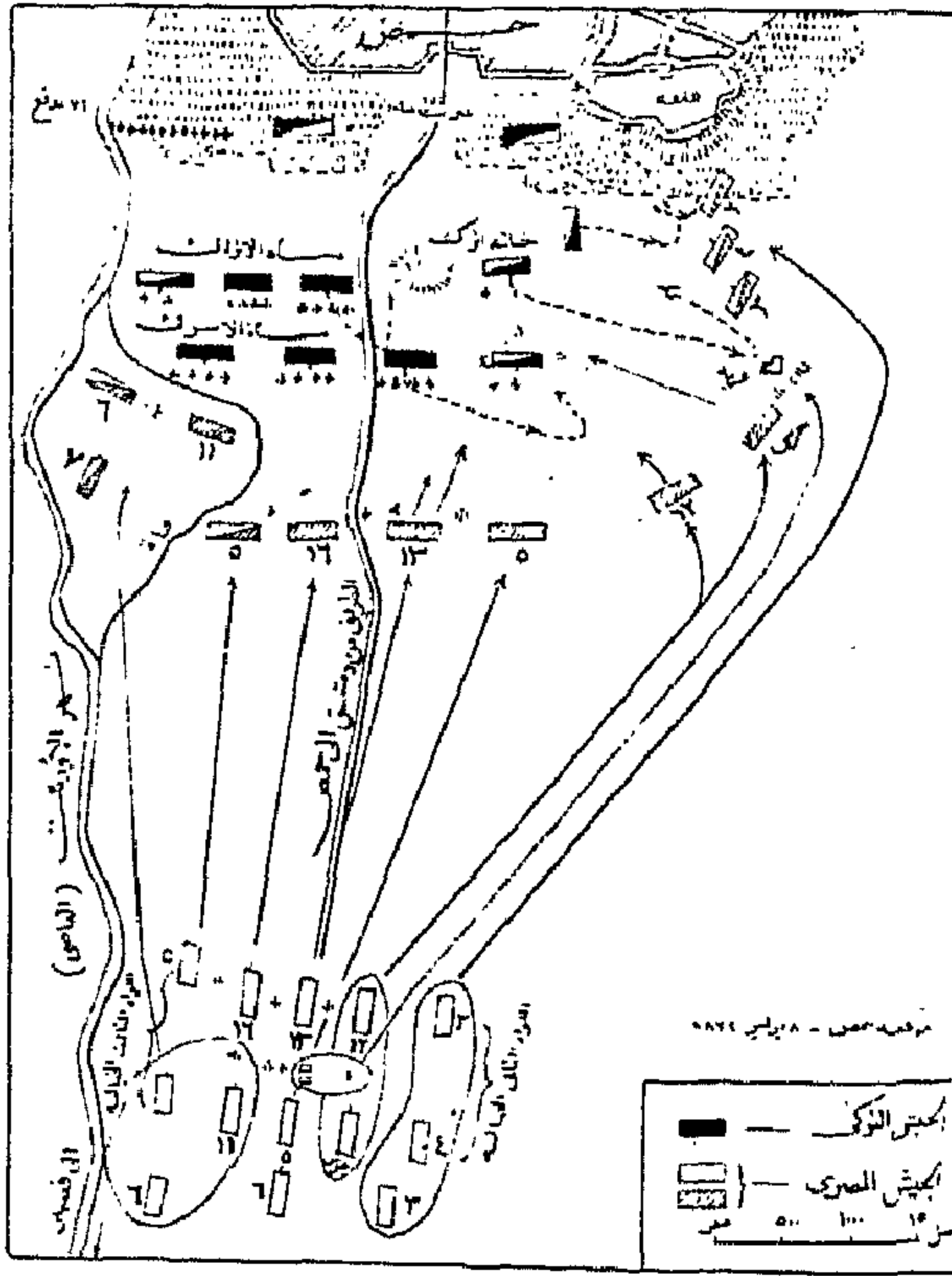
"زرت الترسانة والاسطول ٠٠٠ ففي سنة ١٨٢٨ لم يكن بالاسكندرية الا ساحل مقفر، ولكن هذا الساحل أصبح في سنة معموراً بترسانة كاملة بنيت على مساحة واسعة، وأحواض للسفن، ومخازن ومعامل ومصانع لكل نوع ٠٠٠٠ وهذه الترسانة التي لم يمض على انشائها أكثر من ست سنوات قد صنع فيها عشر بوارج، سلاح كل منها مائة مدفع، وقد تم تسليح سبع منها تمخر العباب الآن، أما الثلاث الأخرى فلا تزال بالحوض على وشك نزولها إلى الماء، هذا عدا السفن التي من نوع الفرقاطة والكورفت والابريق، مما جعل عدد سفن الأسطول يزيد عن ثلاثين سفينة حربية ٠٠٠".



١٨٢٧ Tableau de Minette.

■ محمد علي باشا (للفنان هيملي)





■ موقعة حمص (٨ يوليو ١٨٣٢)

الروسي الكتب التي صدرت عنها فوجدها ثلاثة وسبعين.

ولم يفت محمد علي ما للصحافة من أهمية كبيرة في حياة الدول المتقدمة فقام في البدء بتشجيع الصحيفة الفرنسية الاسبوعية "المونيتير اجيسيان" التي كانت تدافع عنه وترد على الاتهامات التي كانت توجهها له "المونيتير اوتومان" في الآستانة، ثم لم يلبث ان أمر باصدار اول صحيفة مصرية وهي "الجورنال الخديوي" وتلتها "الوقائع المصرية" التي قدر لها ان تستمر الى الآن! وقد صدر العدد الاول منها في ٣ ديسمبر (كانون اول) عام ١٨٢٨، واقتصرت في البدء على نشر الاخبار الداخلية حتى اذا اعيد تنظيمها عام ١٨٤١ وسعت قسم الاخبار بحيث شمل الاخبار الخارجية أيضاً. وقد عهد بالاشراف على الوقائع الى الشيخ رفاعة الطهطاوي الذي واصل العمل فيها الى عهد عباس الاول.

### الصناعة

كان محمد علي رائد فكرة تصنيع مصر وصاحب اول مشروع من المشاريع الكبرى الثلاثة التي طبقت لتحقيقها والمشروعان الآخران هما مشروع اسماعيل باشا ومشروع الثورة المصرية (١٩٥٢). ومن أهم الاسباب التي دفعت محمد علي الى تصنيع مصر هي اولاً إمداد الجيش والبحرية المصرية بما يحتاجانه من أعتدة وثانياً تعديل الميزان التجاري لصالح مصر وثالثاً فكرة الاكتفاء الذاتي التي ترتبط

بموضوع معين فيكون بينهم المعلمون والأطباء ورجال الادارة والضباط البريون والبحريون والعمال الفنيون والمهندسون وذلك للعمل في الطباعة والصباغة وصناعة الزجاج والاسمنت والتقطير وتكرير السكر وبناء السفن والتعدين.

وقد بدأ محمد علي في إرسال البعثات إلى الخارج في عام ١٨٠٩ عندما أوفد بعثة إلى إيطاليا وفي عام ١٨١٣ أرسل بعثة أخرى ومن أبرز البعثات التي أرسلها بعثة عام ١٨٢٦ إلى فرنسا وقد ضمت أربعة وأربعين شاباً كان بينهم أرتين بك الذي عين بعد ذلك وكيلاً لشورى المدارس وشغل منصب ترجمان الباشا وحسن الاسكندراني الذي قاد الأسطول المصري في حرب القرم، والشيخ رفاعة رافع الطهطاوي الذي عين إماماً للبعثة واشتهر بعد ذلك بمؤلفاته والمناصب المدنية العليا التي احتلها، ومظهر باشا مؤسس القناطر الخيرية. وفي عام ١٨٢٩ غادرت الاسكندرية بعثة صناعية تتألف من ثمانية وخمسين عضواً أرسل بعضهم إلى فرنسا وبعضهم إلى إنجلترا والباقيون إلى النمسا. واستمر سيل البعثات بعد ذلك، وقد بلغ عدد أعضاء البعثات بحسب احد التقديرات ٣٥٠ طالباً، وبلغت تكاليفها حوالي ٢٧٣٣٦٠ جنيهاً. ومما يذكر أن بين أعضائها من قضى ثلاث عشرة سنة في الخارج وأن منهم من قضى تسع عشرة سنة. وقضى بعضهم احدى وعشرين سنة.

ومحمد علي صاحب المحاولة الكبرى الثانية في الاسلام لترجمة العلوم الاجنبية الى العربية. وقد هذا حذو السلف في الحصول على الكتب، فكلف عثمان نور الدين، وهو أحد أعضاء البعثة الاولى باحضار كتب فرنسية في العلوم بما فيها الاقتصاد السياسي. وتدفقت الكتب بعد ذلك من كل ناحية. ونظم الباشا امر ترجمتها وتزويد المدارس بها، لتكون مراجع للاساتذة ومواد قراءة للطلبة. وكان من كبار المترجمين الشيخ رفاعة الطهطاوي الذي قام أيضاً بمراجعة طائفة كبيرة من الكتب المترجمة وتعميمها. ومما يذكر أن الذين اشتغلوا في الترجمة عنوا عناية خاصة بترجمة المصطلحات والحقاق قائمة بها بالكتب المترجمة.

وغني عن القول أنه كان لابد لمحمد علي من أن ينشئ مطبعة لطبع الكتب المترجمة، فأوفد نيقولا مسابكي الى إيطاليا للتخصص في فن الطباعة. فلما عاد الى مصر عهد اليه الباشا بإنشاء المطبعة الاميرية في بولاق، فأُنشئت عام ١٨٢٠، وبدأت عملها بعد ذلك بسنتين. وتلا انشاءها إنشاء مطابع أخرى بلغ عددها ثمانية الحقت واحدة منها بمدرسة الطب في ابي زعبل وكان اول كتاب طبعته هو "كتاب القول الصريح في علم التشريح" وذلك في عام ١٨٣٢. ولا بد لنا من أن نشير الى أن محمد علي كان الرائد الاول لنشر كتب التراث العربي الاسلامي. فقد قامت مطبعة بولاق بنشر عدد كبير من المراجع. وفي عام ١٨٣٨ أحصى القنصل





ارتباطاً وثيقاً بالميزان التجاري . وقد شرح محمد علي هذه الفكرة بقوله للبارون دي بوالكميت .

"لقد أدخلت تغييراً على علاقاتي التجارية لأن المصانع التي أنشأتها استطاعت أن تخلصني اليوم من تلك الجزية التي كان على البلاد أن تدفعها للصناعة الأوروبية . وهكذا بقيت في مصر جميع الاموال التي كنت أدفعها ثمناً لأجواخكم وحرائركم" .

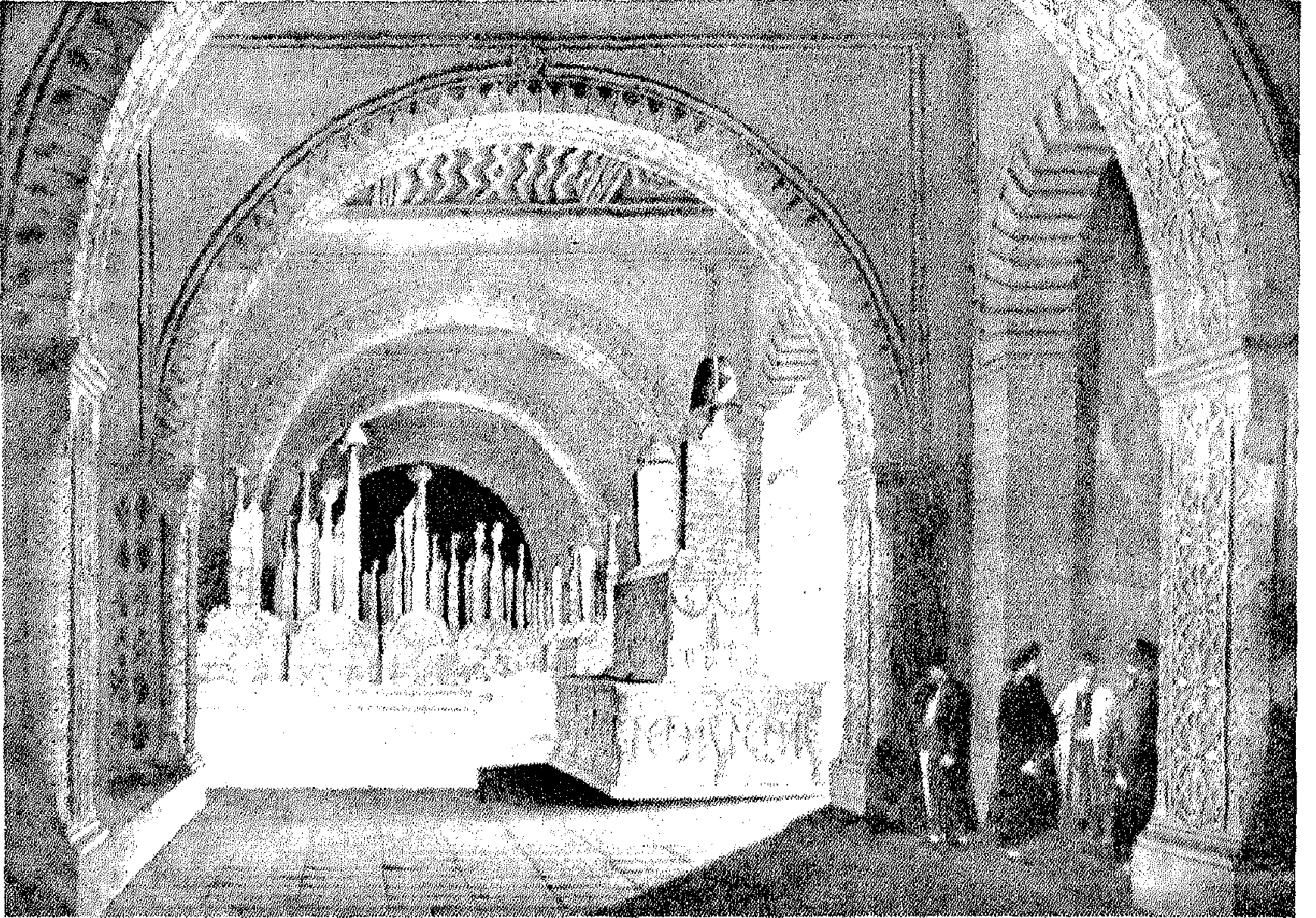
واتبع محمد علي سياسة الاحتكار بالنسبة للصناعة فوضع يده على المصانع واستخدم الصناع فيها بالأجرة ، وأخذ يبيع المنتجات لحساب الدولة . وقد وسع نطاق الصناعات القديمة وفي مقدمتها صناعة النسيج ، فأنشأ مصانع كبرى جديدة زودها بأحدث الآلات الأوروبية ، واستخدم فيها عمالاً أوروبيين وبخاصة من إيطاليا ومالطة إلى جانب المصريين . ومما ساعده على التوسع فيها وجود القطن ذي القيلة الطويلة الذي أدخل زراعته بناء على اقتراح من رجل فرنسي يدعى جوميل . وبلغ إنتاج مصر منه بين ١٠٠,٠٠٠ و ١٥٠,٠٠٠ بالة سنوياً تزن كل منها ما يقرب من قنطارين . وقد استطاعت المصانع المصرية في عهد محمد علي أن تسد حاجة الاستهلاك المحلي وأن تحقق فائضاً للتصدير وبلغ ما أنتجته مصانع نسيج الكتان في عام ١٨٢٢ مليون قطعة .

ومن الصناعات التي أولاها محمد علي المزيد من اهتمامه هي الصناعات الحربية . ففي عام ١٨٢٠ أنشأ ترسانة القلعة لصنع المدافع . وقد بلغ عدد عمالها عام ١٨٢٢ ألفاً وخمسمئة ، وكانوا ينتجون بين ثلاثة وأربعة مدافع في الشهر . وفي عام ١٨٢٩ أنشأ محمد علي الترسانة الكبرى في الاسكندرية لصنع السفن الحربية فأُنزلت أول سفينة إلى البحر عام ١٨٣١ . وفي هذا العام ذاته كان يشتغل فيها ٣٢٦٤ عاملاً . وقد ازداد عددهم فيما بعد فبلغ ٩٠٠٠ عاملاً ومن المصانع الأخرى التي أنشأها مصانع لصنع الاسلحة الخفيفة وبخاصة البنادق . وبالرغم من أن محمد سار شوطاً كبيراً في تصنيع مصر حتى بلغ ما أنفقه على المصانع ما يقرب من اثني عشر مليوناً من الجنيهات فإن تجربته لم تلاق النجاح الذي توقعه وذلك بسبب منافسة الصناعات الأوروبية واقتدار مصر إلى مواد الصناعة وتكاليف الخبراء الباهظة . لكنها دون ريب بقيت حلماً في أذهان خلفائه الذين ساروا في طريقه .



■ محزنة المماليك (للغنان مورايس فرنيد)





■ مقبرة عائلة محمد علي باشا (للفنان باسكال كوسته)

### توحيد العرب تحت لواء مصر

كان محمد علي صاحب أول محاولة بعد وقوع البلاد العربية تحت حكم الأتراك لانتزاع المشرق العربي من الدولة العثمانية. وقد وضع له خلال الحروب التي خاضها بناء على أوامر السلطان ضعف الدولة من ناحية وضرورة الاستيلاء على المشرق العربي

وما من دولة مصرية قوية أيضاً إلا وبسطت نفوذها على اليمن باب البحر الأحمر الجنوبي، أو حاولت ذلك.

وكانت أولى الحروب التي خاضها في البلاد العربية حروبه ضد الوهابيين في الجزيرة. وقد تمكن عام ١٨١٨ وبعد حملات استمرت سبع سنوات من إخضاعهم باسم السلطان. وفي عام ١٨٢٠ استولى على السودان. وبعد بضع سنوات وعده السلطان بولاية سوريا، وذلك في مقابل اشتراكه مع الدولة العثمانية في حرب اليونان التي كلفته أسطوله. لكن السلطان لم يف بوعده فزحف محمد علي عليها في عام ١٨٣١، ولم يكد ينسلخ شهر

تموز من العام التالي حتى كانت بلاد الشام كلها في يده. ووجد الطريق أمامه إلى القسطنطينية مفتوحة فواصل زحفه. ولم يتوقف إلا بعد أن اعترف السلطان بولايته على بلاد الشام.

وقد استطاع محمد علي "أن يقيم نظاماً جديداً (في بلاد الشام) يعتمد على المساواة في الحقوق المدنية والدينية وعلى ضمان الأرواح والممتلكات، وهو أمر لم تعرفه بلاد الشام منذ أيام الحكم العربي في دمشق". وبذلك أشرق عهد جديد حقاً وكان إبراهيم باشا يحاول - حين يذكر ما انجز من أعمال - أن يقدم بذلك الدليل الملموس على أن العرب، بعد زوال الحكم التركي، يستطيعون أن ينظروا في ثقة واطمئنان إلى مستقبل زاهر في ظل حكم محمد علي وأسرته.

وكان في استطاعة محمد علي أن يطيح بالسلطان وأن يجدد شباب السلطنة لولا أن الدول الأوروبية على اختلاف سياساتها اتفقت على شيء واحد وهو الحفاظ على "الرجل المريض" أي تركيا. فالرجل المريض يسهل معه تحقيق المطامع وعدم تهديد المصالح الأجنبية. واضطر محمد علي إلى التخلي عن بلاد الشام وحكم مصر تحت سيادة السلطان وذلك طبقاً لمعاهدة لندن ١٨٤٠.





رجال وافكار

عمر المختار

مقاتلاً وشهيداً

هـ س ب

جميع التهم التي الصقتها بي النيابة العامة العسكرية الا واحدة .

الرئيس: هل أنت قائد العصيان ضد ايطاليا ؟  
- نعم انا هو .

رئيس المحكمة وهو الكولونيل ماريتوني:  
هل حاربت الدولة الايطالية  
- نعم حاربتها .

الرئيس: اني اكرر السؤال عليك فانتبه لنتائجه:  
هل انت حاربت الدولة الايطالية فتناولت السلاح  
في وجه قواتها واشتركت في قتالها اشتراكاً  
فعلياً ؟

- نعم . نعم . نعم .

الرئيس: كم هو عدد المعارك التي اشتركت فيها  
منذ سنة ١٩١١ حتى اليوم ؟

- لا اذكر عددها لانها كثيرة لا تحصى !

الرئيس: هل قتلت ضابطين طيارين وقعا في  
يدك اسيرين ؟

- وانتفض قائد المجاهدين: اما هذا فلا ، ثم لا .  
فقد قبضت عليهما وابقيتهما في سجنهم ، وفاوضت  
المركز الايطالي بشأنهما . الا ان جنودكم هاجمونا  
وجرت بيننا معركة ارغمتني على الانسحاب . ولما  
رجعت عرفت ان الضابطين قتلا . ولم اعرف كيف  
ومن . ولكني اؤكد انهما قتلا بغير امر مني وبغير  
مشيقتي ومعرفتي .

الكولونيل: هل انت امرت بقتل الجنود الذي  
كانوا يحرسون العمال في شق الطرق ؟

- نعم انا الذي امرت بقتلهم

منذ كم تتولى قيادة العصيان ؟

- منذ عشر سنوات .

وهكذا وعلى هذا المنوال سارت "المحاكمة"  
كلها . نعم . نعم . نعم . ولم ينكر تهمه منها  
سوى واحدة كاذبة ، وهي قتل الضابطين اللذين  
اسرهما .

وكانت المحكمة قد كلفت ضابطاً ايطالياً بالدفاع  
عن شيخ المجاهدين ، وماذا عساه ان يقول فيما  
نسب اليه من تهم ، وما هو المتهم ، عمر

كانت الحراسة شديدة جداً ، عندما نقلت سيارة  
من زنزانة في السجن شيخاً غليلاً باليد ، وتحت  
تتقدمها مصفحة مليئة بحملة الرشاشات ، وتحيط  
بها سيارتان فيهما حملة رشاشات ، وتمشي وراءهما  
سيارتان تنقلان ايضاً حملة رشاشات .

ولم يفتح باب السيارة الا بعد ان اصطف جميع  
الجند المسلحين في صفين امام مدخل العمارة ،  
فأنزل السجين ومشى عالي الرأس كأندابن ثلاثين .  
وفي داخل المبنى مشى بين صفوف من الجند  
الى ان بلغ قفص المحكمة . هناك ارتبك جميع من  
في القاعة . لقد بدا السجين كبيراً كبيراً للناظرين .  
لم يكن الشيخ المثلث بالسنين ليبدو سجيناً ،  
وساد صمت رهيب حتى ان القضاة الذين بدأت لغة  
الموت تدور على سنتهم وفي خواطرهم جلسوا  
صامتين .

وبعد ان افتتحت الجلسة بدأ الكاتب يقرأ ما في  
ورقة الاتهام :

عصيان الدولة ، اعلان حرب عليها ، قتل ضباطها  
وجنودها ، جباية الضرائب من الاهلين الخ . . .  
وترجمت ورقة الاتهام من اللغة الايطالية الى  
العربية وسأل الرئيس سجينه عن هويته ،  
بصوت جلي ، واضح ، متماسك الاوتار قال :

- اسمي عمر المختار ، وامي عائشة بنت  
محارب ، من قبيلة المنفة ، عمري ٧٣ سنة ، ولدت  
في موقع دفنه ، اقامتي في الجفيوب شيخاً لزاوية  
القصور .

هل سمعت ما ينسب اليك من تهم خطيرة ؟

- نعم ، وسأجيب عنها كلها ، واحدة واحدة مهما  
كبرت وكبر خطرهما .

وانطلق عمر المختار يفضي مأساة ليبيا منذ  
الاحتلال ، والمفاوضات التي دعاه اليها رجال  
الاحتلال والوعود الكاذبة والنكوث بها .

تكلم عن الظلم والطغيان ، عن الاستبداد  
والاغتصاب وانتهاك الحرمات وتحقير المقدسات .  
وبقي يتكلم برباطة جأش مذهلة قال : وانا اتحمل



المختار نفسه بلحمه ودمه، يعترف امام المحكمة والجمهور بأنها تهم صحيحة وبأنه هو الذي ارتكبها.

وثبت للمحكمة ان حكومة الاحتلال لم تجد في جميع سجلاتها الرسمية والسرية اي مال دفعته لعمر المختار طوال سنتي الاحتلال. وما كان لعمر ان يقبض مالا او غير مال، او يرضى بمنصب من اعدائه.

وبعد ان انتهت المحكمة، دخل رجال القضاء غرفة الاسرار ولم يطل الوقت حتى رجعوا ليعلموا الحكم بالاعدام.

لم تستمر المحاكمة اكثر من ساعة وربع وقد ساعد المتهم الذي اسرع في اجوبته الواضحة: نعم... نعم... نعم... انا هو، نعم انا الذي امرت. وبعد ان سمع المتهم ترجمة الحكم الى العربية، لم تتحرك شعره في جفنيه، بل نظر الى هيئة المحكمة متعالي الرأس وقال: الحمد لله: الحمد لله! ويوم الاربعاء ١٦ ايلول عام ١٩٣١ طوي آخر فصل من حياة المجاهد عمر المختار الذي سلم الى الجلاد دون اي مقاومة...

فقط كلمة واحدة وجهها اليه عمر المختار بهدوء مدهش، ورباطة جأش مطمئناً كأنه في زاوية القصور قال:

"اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله" ومع هذه الشهادة، وبهذا الجلال، انتقل الى بين يدي الله.

وانطوت معه صفحة من تاريخ العرب، في مشرقهم ومغربهم، اذ وحده كان عمر المختار في ايام جهاده الاخيرة حلم الثوريين العرب في جميع امصار العرب.

وقد بدأ الجهاد مع احتلال الاسطول الايطالي لمدينة طرابلس في الخامس من تشرين الاول عام ١٩١١، عندما بدأت جلجلة العذاب العربي في ليبيا.

فقد استولى المستعمر على البلاد، وحكمها حكماً عسكرياً فاشيستياً، فسفك الدماء، وقتل الابرياء، وانتهك الاعراض وسلب الاموال.

كما استولى على مرافق الحياة، فالمسلم لا يستطيع الاشتغال بالزراعة ولا بالتجارة، ولا بأية حرفة.

تلك العذابات والمحن والمظالم والآفات ذاقها عمر المختار ورفاقه ومواطنوه جميعاً، اما مجاهدوه فعضشوا وجاعوا وصرخوا ما يضمدون به جراحاتهم وفقدوا حتى العتاد والسلاح، وسيلة الجهاد ولم يبق لهم سوى ايمانهم بالله.

وادرک عمر المختار مصيره فنذر نفسه شهيداً في سبيل دينه ووطنه، وفي آخر كتاب منه الى احد رؤساء السنوسية قال:

"لن ابرح الجبل الاخضر مدة حياتي، ولن يستريح الطليان فيه، حتى يواروا لحيتي في التراب..."

لقد زاره كثيرون مرة اثر مرة راجين ان يقبل عرضاً للتفاوض مع سلطات الاحتلال وقد جرى عمر

رغبة رجال الاحتلال وذلك عام ١٩٢٩ وكان من بين المفاوضين واحد يمثل الغطرسه الفاشيستي اسمم لوبيلو حاول ان يلقي على المختار تبعة الحرب وقال له:

ان الشريعة الاسلامية لا تسمح لكم بهذه الحرب التي لا طاقة لكم عليها وان نبيكم لا يسمح لكم بمقاومة الدولة التي لا تقدر على مقاومتها والحكومة الايطالية مستعدة الآن لان تتعهد بمعاشات شهرية لكم ولاتباعكم ان انتم سلمتم سلاحكم ودخلتم تحت حكمها.

فانتفض عمر من لهجة لوبيلو وقال له:

- اني اعرف عنك اخباراً سيئة واعمالك كلها تدل على انك لا تريد الخير لبلادنا ولا لحكومتك وها انك تهددنا بجيوشكم في مجلس انتم دعوتونا اليه للتفاهم اي انك تهدد ضيوفك... واستطرد:

- انا حاربناكم ثمانى عشرة سنة ولا نزال بعون الله نحاربكم ولن تنالوا منا بالتهديد.

وانفض الاجتماع بدون اتفاق.

وتكررت الاجتماعات والمفاوضات وكانت جميعها تبوء بالفشل.

وكان قبل عام ونيف من استشهاده ان اخذت الصحف الفاشيستي ومن يدور في فلكها تضلل الرأي العام العالمي ودنيا العرب المسلمين بأن الحالة هدأت في طرابلس وبرقه ولم يبق فيها من معارض للحكم الايطالي وذلك اثر مفاوضات عرض خلالها عمر المختار شروطه لوقف الجهاد.

وقد قبل الوالي مطالب المختار ووعد بتنفيذها وكان من بينها الاتفاق على هدنة تدوم شهرين وقبل انتهاء مدة الشهرين طالب الايطاليون بتمديد الهدنة بدعوى ان الوالي سافر الى روما لعرض الامر على حكومته وطالت الهدنة وتبين ان غرض الحكومة هو كسب الوقت فقط.

وهكذا قرر عمر المختار مواصلة الحرب وعدم العودة الى اي محادثات او وساطات ولو كانت من العائلة السنوسية وقد جاء ذلك في نداء أذاعه على العالم وانهاه بالقول:

ليشهد العالم اجمع ان مقاصدنا ليست الا المطالبة بالحرية، وأن مقاصد ايطاليا واغراضها ترمي الى القضاء على كل حركة قومية تدعو الى نهوض الشعب الطرابلسي وتقدمه...

وتابع:

و"هيهات ان يصل هؤلاء الى غايتهم ما دامت في صدورنا قلوب تخفق وتعرف ان في سبيل الحرية يجب بذل كل مرتخص وقال: ونحن الان ندافع عن كياننا ونبذل دماءنا فداء الوطن وفي سبيل تحقيق امنيتنا المنشودة".

"لهذا نحن غير مسؤولين عن بقاء الحالة الحاضرة على ما هي، ولن نرجع حتى يتوب اولئك الافراد النزاعون الى القضاء علينا الى رشدهم ويسلكوا السبيل القويم، ويستعملوا معنا الصراحة بعد المداينة والخداع.

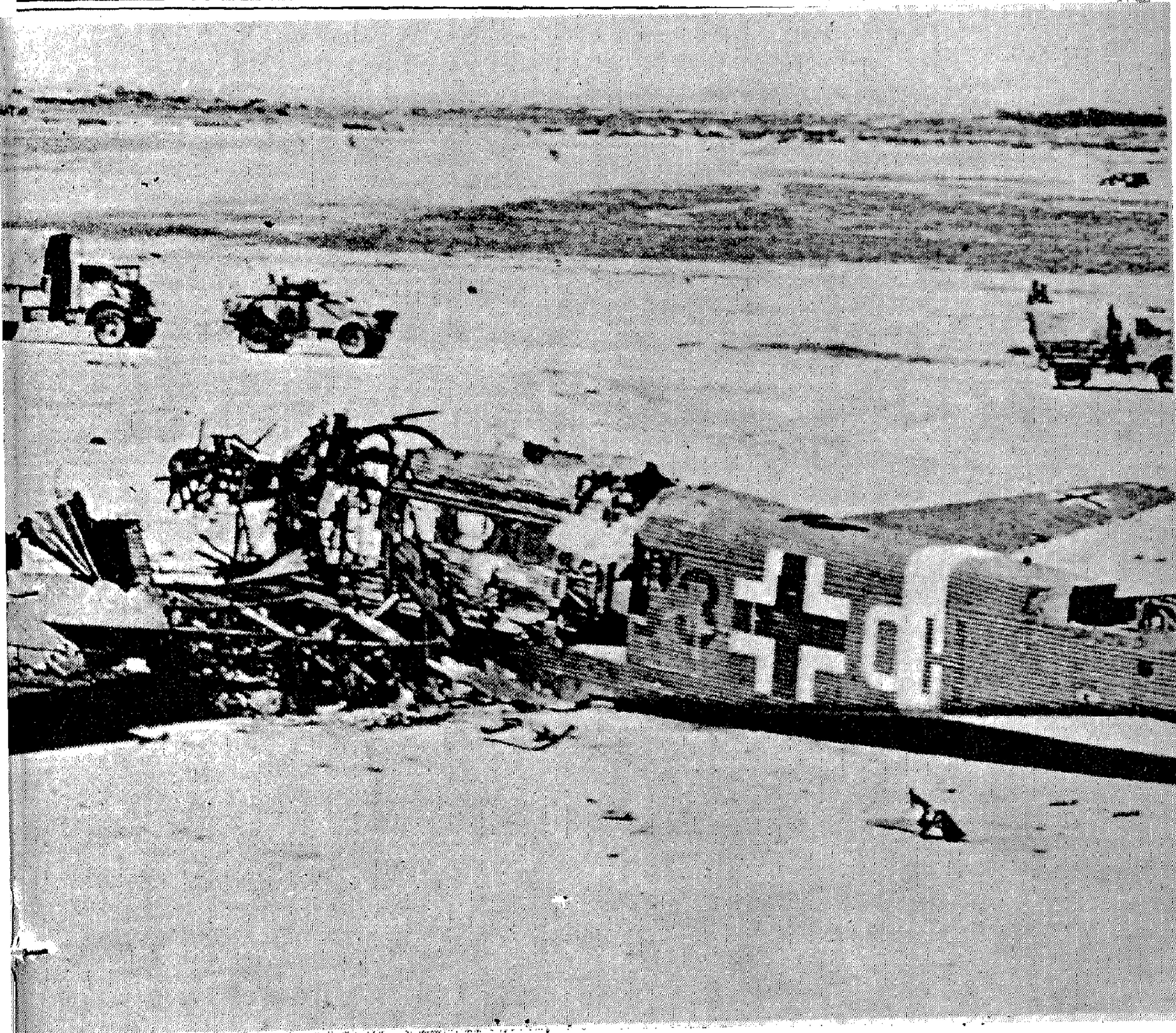
والسلام على من اتبع الهدى!"



# روسل ثعلب الصحراء

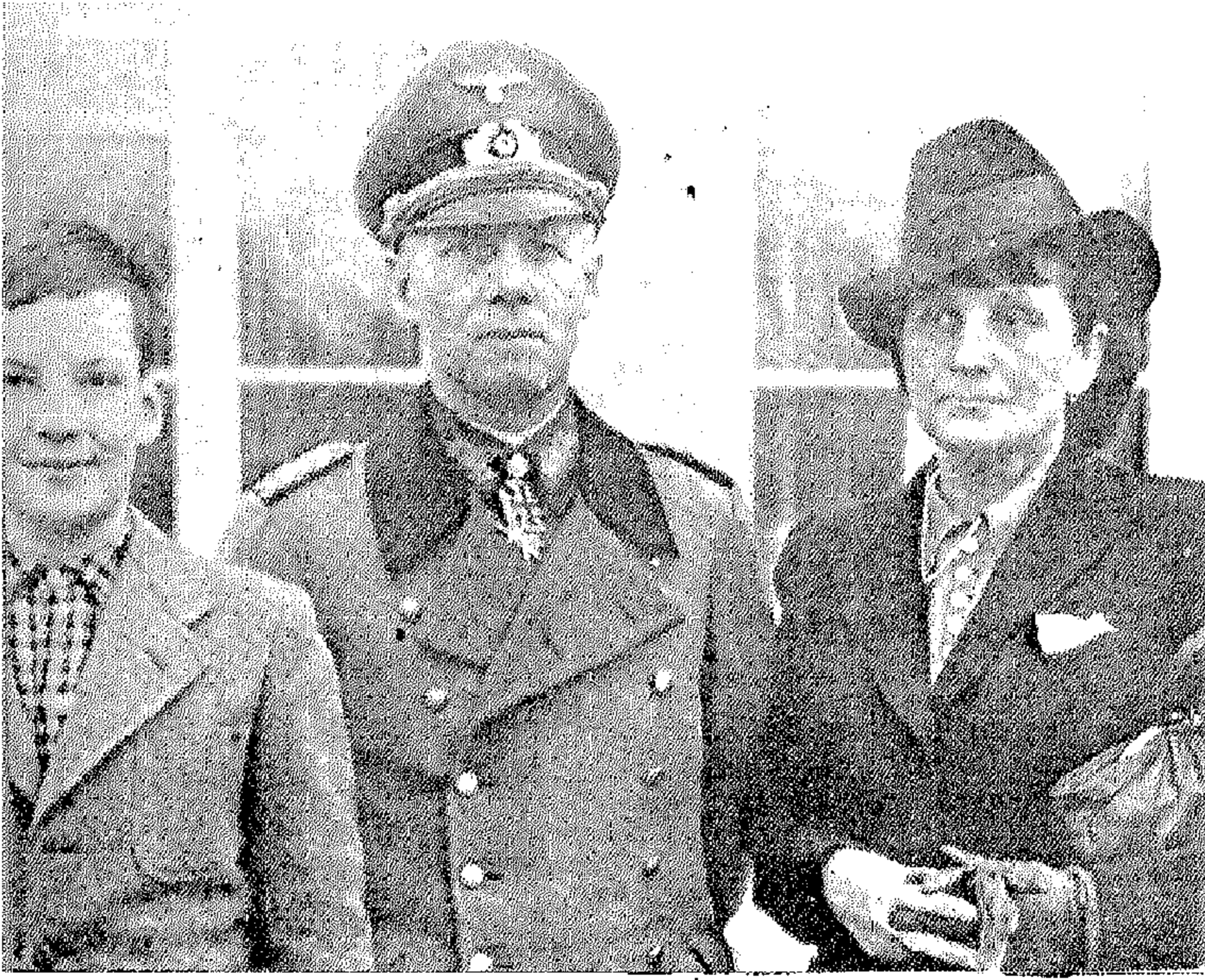
هكذا مات على يده تلة

ونفّل أن يقضي بالسّم بدل أن يقضي بمشقة الفؤور



■ حطام طائرة المانية "يونكرز - ٥٢" في الصحراء الليبية  
بعد معركة العلمين





■ رومل مع زوجته وابنه مانفريد

في السادس من شباط ١٩٤٤ ابلغ "فون بروشيتش" رومل نبأ تعيينه قائداً للحملة الألمانية في ليبيا، وهذا يعني قيادته لفرقة مدرعة وفرقة خفيفة، أما هو فسيبقى بتصرف الماريشال الايطالي "غرازياني".

وعندما مثل رومل بعد ظهيرة ذلك اليوم امام هتلر اكد له هذا الاخير نبأ التعيين وافهمه انه يعتمد عليه كلياً.

ما هي ملاصات هذا التعيين؟

منذ ايلول ١٩٤٠ كان الايطاليون قد هاجموا القوات البريطانية التي كانت تدافع عن مصر بقيادة الجنرال "ويغل"، كان عدد هذه القوات اقل بكثير، ولذلك هزمها الايطاليون واخذ الجيش الايطالي مدينة سيدي براني.

كان الايطاليون يستطيعون التقدم لكنهم فضلوا التريث لتقوية صفوفهم بهدف شن هجوم جديد، لكن الهجوم تم هذه المرة بقيادة "ويغل" القائد البريطاني الذي دفع بالايطاليين الى الانسحاب والتقهقر حتى البردية وطبرق على بعد خمسين كيلو متراً من الحدود المصرية، وانقلب الانسحاب الايطالي، وكان ذلك في كانون الاول، الى كارثة حقيقية.

عندئذ قرر هتلر التدخل واجتمع بموسوليني وحصل على موافقته.

عندما وصل رومل كان ويغل قد انتزع بنغازي. وكان يبدو ان لا احد يمنعه وأمام المعنويات الايطالية المنهارة الى درجة الصفر تخلص "غرازياني" عن مسؤولياته وتولى رئيس اركانها "غاريبالدي" قيادة الجيش الايطالي.

وفوراً بدأ رومل بالهجوم (آذار - نيسان ١٩٤١).

... الجيش الالمانى يقتحم، يدفع بالبريطانيين الى الوراء، يستعيد بنغازي، يقطع الصвраء ويتقدم باتجاه طبرق كانت طبرق شديدة التحصين ورغم كل محاولاته لم يستطع رومل اقتحامها، لم

في الرابع عشر من شهر تشرين الاول عام ١٩٤٤، وفي تمام الساعة الثانية عشرة اتجهت سيارة صغيرة، خضراء اللون الى الشارع الرئيسي من قرية "هرلينكنز" الجميلة والواقعة على مقربة من مدينة "اولم" حيث المنازل البيضاء ذات السقوف المصنوعة من القرميد والمشادة حول كنيسة بيضاء.

وراء المقود، سائق يرتدي البزة السوداء للاستخبارات السرية، والى جانبه جلس الميجور "ايهر ينينكر" وفي المقعد الخلفي جلس ضابطان برتبة لواء "يورغوروف وميزل" كان السائق يقود سيارته بتأن في المسفح حيث تتعرج مياه الساقية، الصغيرة ذات المياه الصافية، وحول ذلك كله شريط من التلال يشكل الافق.

توقفت السيارة أمام منزل يظهر من بين الاشجار في حديقة حافلة غناء ترجل الضابطان من السيارة ودفعا باب الحديقة بينما ملامح وجهيهما تبدو عليها القوة والمهية معاً ثم تقدما نحو المنزل وعلى مدخله استقبلهما رجل عنيف، مخيف، قاسي الوجه في الثالثة والخمسين من العمر.

البارز في هذا الرجل هو العنفوان الذي يظهر من خلال شخصيته، وخاصة صلته المتطاولة بينما يملأ الشعر الكث مؤخرة رأسه. هذه الصلعة شبهها "كورزيو مالابارتي" يوماً باجاصة صفراء كبيرة، كان هذا الرجل هو الماريشال اروين رومل.

حول رومل كانت زوجته، ابنة "مانفريد" وضابطه المساعد الكابتن "الرينكر" وبناء لطلبهما، قاد رومل الضابطين الى غرفة في مدخل المنزل. وهنا بدأ بورغوروف وميزل بالكلام، تحدثا بصراحة ولم يخفيا شيئاً، وكان كلامهما بمثابة قرار اتهم. لقد وجها للماريشال رومل تهمة الاشتراك في محاولة اغتيال هتلر في العشرين من تموز ١٩٤٤ واتهماه بأن عليه ان يدفع الثمن اما بالظهور أمام محكمة الشعب او بتناول السم الذي احضراه معهما.

هذا هو الاختيار الذي عرض في الرابع عشر من تشرين الاول ١٩٤٤ على القائد العسكري الاكثر شعبية في الجيش الالمانى، الرجل الذي عرف كيف يكتسب ليس فقط تقدير واعجاب الالمان بل أيضاً التقدير نفسه والاعجاب نفسه لدى اعدائه.

### النصر في افريقيا

في شباط ١٩٤٤ وبينما كان الجنرال، الضابط المحترف والمقاتل القدير في حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ واحد المنتصرين على راس الفرقة المدرعة السابقة في فرنسا عام ١٩٤٠ يقضي اجازة في منزله "هرلينكنز" مع زوجته وابنه مانفريد، جاءه ضابط من القيادة العامة لهتلر طالباً منه الحضور فوراً بين يدي القائد العام للجيش "فون بروشيتش". وبعد ذلك كان عليه المثل أيضاً امام هتلر.



ينتصر كما في معركة الدبابات في السلوم . وحل فصل الصيف بينما بقي الطرفان كل في موقعه . استبدل "بويغل" "أوشينك" واستعد هذا لمهجوم من نوع جديد . واضطر رومل على اثر ذلك الانسحاب من "السيريناك" . ولكن في كانون الثاني ١٩٤٢ عاود رومل الهجوم ودمر كل شيء في طريقه . انهارت المقاومة البريطانية واستعاد رومل بنغازي وهاجم "سيريناك" من جديد ثم استعاد طبرق في حزيران ١٩٤٢ وتابع هجومه فاخترق الحدود المصرية وتقدم باتجاه الاسكندرية بالقرب من سيدي براني .

### هتلر يلوم نفسه .

معركة بهذا الحجم حملت الانتصار لرومل وجعلته يصل الى امام العلمين . وهنا قرر احدهم - مونتميري - ايقافه . ايقاف الذي قام هتلر بترقيته الى رتبة مارشال لشكره على انتصاراته . أمضى رومل كل هذه الاشهر وسط تعب مضم . لم يعد يعرف للراحة معنى . كان جهده الجسدي والنفسي كبيراً . واذا به فجأة ينهار ويقع فريسة المرض . وقد نصحه اطباء بالذهاب الى اوروبا للمعالجة .

وسافر رومل ، قابل موسوليني ثم هتلر ، توسل اليه ارسال المساعدة الى الفرقة الافريقية التي كانت تقاتل بجهودها الخاصة . وطلب زيادة وسائل التموين والوقود . ثم تولى متابعة علاج مرضه : الكبد والضغط . ولكن في الرابع والعشرين من تشرين الاول اتصل به هتلر هاتفياً وابلغه بأن المعركة تدور في العلمين ، وعاد رومل .

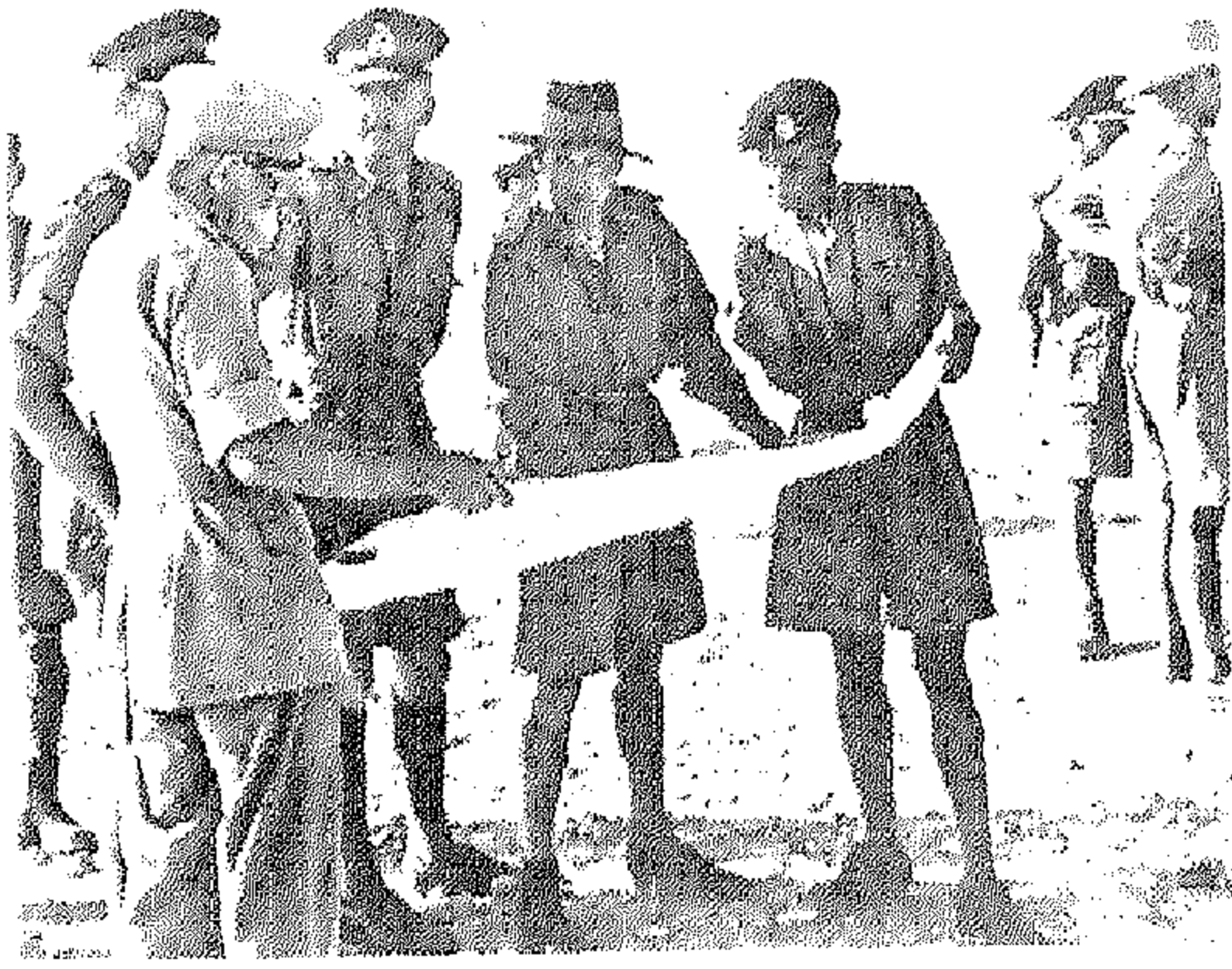
ولم يستطع تحسين الاوضاع . وانتصر البريطانيون مع قوات الكومنولث في معركة العلمين مدعومين بالقوات الفرنسية الحرة . وبدأ رومل بالانسحاب ، وقد حاول الاقتراب من طرابلس ولكن دون نتيجة . وشعر بأنه خسر الجولة ، وأنه من الافضل له الانسحاب من افريقيا وذهب لعرض الامر على هتلر . وطوال الاجتماع حافظ رومل على برودة اعصابه وبينما كان يهم بالخروج لحق به هتلر وقدم له اعتذاره قائلاً : سيسير كل شيء على ما يرام .

وللمرة الاولى غير رومل نظرتة الى هتلر . لم يعد في نظره ذلك العقل الجبار ، ذلك الرجل القادر لكنه ، اصبح قائداً غير انساني يتخذ قرارات مستحيلة التنفيذ . وعاد الى افريقيا ليتابع انسحابه حتى تونس ولينتصر في معركة اخيرة ضد



■ رومل يتقدم قواته في الصحراء





■ مونتغمري في الجهة المقابلة للقوات الألمانية في العلمين

واستمع اليه هتلر من دون ان يغضب ولكنه اعلن انه ليس على استعداد لتغيير طريقته . وهكذا فهم رومل أن جرائم النازية هي جرائم هتلر .

في بداية ايلول ١٩٤٤ كلف رومل بمهمة جديدة: تفتيش قوى الدفاع البحرية في الدانمارك ولغاية اسبانيا . لم يتذمر وبدأ عمله في الحال . أمضى عشرة ايام في الدانمارك قبل وصوله الى فرنسا ، التي تركها عام ١٩٤٠ ، وذهب للاطلاع على جدار الاتلنتيك الشهير .

#### اربعة ملايين لغم

ومثل كل الالمان كان رومل قد قرأ المقالات الكثيرة التي كتبت عن ذلك الجدار وشاهد افلام الدعاية التي تظهر عظمة هذا العمل الدفاعي الجبار ، القادر على اية مقاومة ، وكانت مفاجاته كبيرة وكذلك خيبة امله . لم يعد لجدار الاتلنتيك وجود . وكانت المدفعية في اغلب الاحيان دون اي غطاء . لا حقول للالغام ، ووسائل الدفاع ضد الدبابات وضد المدفعية كانت دون جدوى .

كيف والحال هذه يمكن التصدي لعملية انزال ستحصل يوماً ويبشر بها الجميع ؟ هل نقف عاجزين ؟ ليس هذا اسلوب رومل . لم يعد يؤمن بالنصر ، ولكنه لا يدخر جهداً في سبيل الحصول عليه . كان يبقى أياماً في السيارة ، يصحو مع الفجر ويبقى طيلة النهار يجوب بالسيارة ويقيم مؤتمراً فور عودته .

أمام مركز قيادته في "الروض غوبون" . ومن هنا كان يفتش ، ينتقد ، يغير ويتخيل . ولكن للأسف لم يكن طليق اليدين . لم يكن يستطيع توجيه الاوامر الى الفرق . كان دوره هو اسداد النصيحة الى القائد الاعلى للجبهة الغربية المارشال "فون روند شتيد" . وما تمناه رومل هو قيادة مستقلة . وحصل عليها في نهاية كانون الثاني ١٩٤٤ ، أصبح قائداً للقوات الألمانية في هولندا على نهر "الموار" .

الاميركيين وكانت فعلاً معركة الاخيرة . لقد أصبح رومل مهزوماً وإلى الابد .

وعاد الى المانيا يحطمه المرض ، ويعيش بحنجرة تلفها الضمادات .

في ايار ١٩٤٣ استسلمت قوات الفرقة الافريقية في تونس . واستدعى رومل لمقابلة هتلر في (ملجأ الذئب) . وتوجه رومل لمقابلة هتلر المحطم .

— كان علي الاستماع اليك من قبل . لان افريقيا ضاعت الآن .

وتجراً رومل على السؤال ؟

— هل تعتقد حقاً أننا سنرى الانتصار الكامل الذي كنا ننشده ؟

— كلا

— هل تتصور نتائج الهزيمة ؟

— نعم . اعتقد انه من الضروري اقامة السلام بطريقة او بأخرى ولكن لا احد يريد التفاوض معي .

وما شاهده رومل كان احدي لحظات الضعف ، والتخلي النادرة عند هتلر . لقد لاحظ ان هتلر ضعيف ولكنه في الوقت نفسه يرفض التخلي عن مركزه لشخص آخر كما يقتضي المنطق .

اذ انه بين نفسه والشعب الالمانى . . . اختار هتلر نفسه .

#### ... اطلعه على الجرائم

بعدما أمضى حوالي سبعة اسابيع في مستشفى "سيميرينك" عين رومل قائداً لفرق الجيش في شمال ايطاليا .

ولكن كيف سيعود "رومل" الى الحياة الالمانية ؟ ما هو شعوره ؟ ما هي افكاره ؟

يعرف بان له عدوين: جودل وكيتل ، ويعرف ايضاً بأن الرؤساء في الحزب لا يكتفون له المودة ، وكان يعرف ذلك قبل عودته . وخاصة بعد العلمين ويعرف ايضاً ان الامور لا تسير سيراً حسناً في المانيا النازية وذلك بسبب حاشية هتلر لا بسبب هتلر نفسه . ولكنه غير نظريته وبدأ يحكم بأن تصرفات هتلر غير مسؤولة . وكان ذلك قراراً خطيراً في حياة رومل الذي بدأ يتصور بأن المانيا تسير نحو الهاوية .

بدأ هذا التحول عندما كان يتعالج في المانيا . وكان ذلك نتيجة للزيارات التي كان يقوم بها الضباط الالمان والذين كانوا يتكلمون بكل صراحة امامه . شرحوا له مجازر روسيا وبولونيا وعلم منهم للمرة الاولى بعملية ابادة اليهود وبوجود معسكرات الاعتقال وغرف الغاز ، واصيب بالصدمة والذهول . ولكن الرجل لا يغير افكاره بسهولة . وبقي لدى رومل امل . قد يكون هتلر لا يعلم بما يجري ؟

فور ابلاله من مرضه اجتمع بهتلر وطالبه بالغاء "الغستابو" وتوزيع عناصر المخابرات السرية على فرق الجيش ، وتوسل اليه ايقاف موجة تجنيد الشبان . "ان تحطيم شباب البلاد لجنون" .



## الدوافع الى المؤامرة

قام رومل بواجبه على اكمل وجه . ولكنه كان يتوقع الاسوأ . كان ايمانه يزداد بأن المانيا لا يمكن ان تتفادى اكبر خسارة في تاريخها الا بالتخلص من هتلر . لم يكتف بذلك ولكنه ارتبط بعناصر عدّة كانت تحضر فعلا لازاحة هتلر عن السلطة . ولاشهر كان بضعة رجال يعملون سراً . وكان هدفهم السلام . ولكن الحلفاء اجابوا بوضوح بأنهم لن يوقعوا اي سلام مع هتلر . اذن كان هو العقبة .

كيف تخلص المانيا ؟

أكثر المهتمين كان الدكتور غوردلير ، عمدة مدينة ليبزيغ والجنرال "بيك" ، رئيس الاركان السابق . وبصبر مشهور لهما كانا يتصلان ويحصلان على تأييد اكبر عدد من المناصرين في انحاء المانيا خاصة بين كبار الضباط . كل شيء كان يجري في الظل وكان هناك حلان . اما توقيف هتلر او قتله .

ولكن من سيخلف هتلر؟ سؤال أساسي . كان من الضروري اختيار شخصية محبوبة من الجيش والشعب معاً . الجنرال "بيك"؟ مستحيل لكونه غير معروف من الالمان انفسهم . وبعبكسه كانت انتصارات رومل قد بلغت ذروتها . اذن قرروا الاتصال به .

اختير ستروليني كضابط اتصال ، وهو عمدة مدينة شتو تغارت . كان نازياً ولكنه تخلص عن هتلر بعد عملية تشيكوسلوفاكيا . وبدأ عمله السري عام ١٩٣٩ . انقذ الكثير من اليهود ومن رجال المقاومة الفرنسيين المحكومين بالاعدام .

وبدا العمل بنشاطه المعروف . في كتاب عن رومل بقلم الكاتب البريطاني "ي. دسموند يونغ" كتب يقول: كان من حسن حظ الحلفاء انه لم يملك ستة اشهر اكثر . ولو حصل عليها لكانت عملية الانزال قد اصطدمت بعقبات لا يمكن تصورها .

كان في كل مكان . وخاصة في المكان الذي لا يتوقع حضوره . كان يتوجه الى الضباط والجنود معاً . وعندما يغادرهم لا يكونون كما التقاهم . ويبدو انه كان موهوباً لذلك . فقد رفع معنويات الجيش ووصلت شعبيته الى ذروتها في الغرب كما وصلت في افريقيا . وذلك بالطبع لم يعجب القيادة العليا .

ومنذ ١٩٤١ تلقى قسم الدعاية في الجيش اوامر "بعدم اعطاء رومل اية اهمية" ولكنه الان وقع في حيرة . فمن الضروري والحيوي الاعلان عن حائط الاتلنتيك وبالتالي فانه في المستحيل اخفاء ذلك عن رومل او السكوت عنه .

صورت عنه الافلام وامتلات الصحف بصورة والمناقشات معه . مما ازعج غيره من القادة . ولكن الاميرال "روج" كتب يقول عنه: "بقي متواضعاً في شخصيته ولم يكن مدعياً وكان بعيداً كل البعد عن محاولات القفز الى الامام" .

وبالفعل كان رومل يحاول المستحيل للحصول على المعدات النادرة التي كانت مخصصة لفرق اخرى . كان عليه الاكتفاء بما لديه . ونجح في زرع اربعة ملايين لغم . وكان يريد تحويل كل مواقع الانزال المحتملة الى حقول الغام . والسؤال هو: لو نجح في ذلك هل كان الحلفاء ليتمكنوا من النزول؟

ولكن في السادس من حزيران كان كل ذلك في طور النهاية .





## قد يكون مجنوناً

وفقاً لما نقل عن "سبيدل" رئيس اركان المارشال رومل، فان هذا الاخير كان على معرفة بخطة لاغتيال هتلر، ولكنه لم يوافق عليها، يجب الان على "ستروليني" ان يشرح اسباب زيارته استمع رومل بصمت كلي الى ستروليني الذي كان يشرح له انه الضابط الالمانى الاكثر شعبية والاكثر محبة لدى الالمانيين والاكثر احتراماً لدى الاعداء انفسهم:

- انك الوحيد الذي يستطيع ايقاف حرب اهلية محتملة في المانيا، يجب عليك تبني الحركة، بقي رومل متردداً، وسأله ستروليني ان كان يؤمن بوجود اسلحة سرية، فنفى ذلك، وهتلر؟ سأله ستروليني.

أجاب رومل:

- انه يعيش اوهاماً.

- الا تستطيع مقابلته ولقت نظره الى الحقيقة؟

- حاولت ذلك مراراً دون نجاح.

اتفق عندئذ على أن يقوم رومل بمقابلة هتلر كمحاولة اخيرة لاقتناعه، وفي حال فشله قرر رومل ان يبدأ بالتنفيذ فوراً.

- اعتقد ان من واجبي مساعدة المانيا.

كان ستروليني على معرفة برومل منذ الحرب العالمية الاولى، وكانا صديقين، في آب ١٩٤٣ وقع ستروليني على مستند نظمه مع غوردليير، كان يطالب بوقف عمليات الابادة، وعدم التعدي على الكنائس، اعادة الحقوق المدنية، وتمنى أن تسحب ادارة العدل من الحزب الاشتراكي الوطني، وقدم هذا المستند الى وزير الداخلية، وفوراً، افهم "ستروليني" بأنه قد يتعرض للمحاكمة بتهمة "جرائم ضد الدولة" اذا لم يلتزم الهدوء وكان جوابه:

- لقد تأكدت الان بأن لا شيء ممكن بالطرق القانونية، ولم يتأخر ستروليني عن اعطاء نسخة عن هذا المستند الى زوجة رومل التي سلمته لزوجها، وكان رد فعل المارشال قوياً فالمستند يتطابق وافكاره الشخصية.

في نهاية ١٩٤٤ استقبل رومل ستروليني في منزله بهيرلينكن، واضطر ستروليني الى الاختباء من أجل اضاءة اثار اية مراقبة، ودامت المقابلة حوالي ست ساعات، كانا على اتفاق تام من ناحية الوضع السياسي والعسكري لالمانيا، عندها قال ستروليني:

- اذا كانت افكارنا متطابقة فيجب ان تصل الى نفس النتيجة التي توصلت انا اليها.

وهنا عرض ستروليني خطة من اعداد كبار الضباط من الجبهة الشرقية تنص باعتقال هتلر وبعد ذلك اجباره على اعلان تخليه عن الحكم بواسطة الاذاعة، وتلاقت نظرات الرجلين، وعم الصمت، ووافق رومل على الخطة واجتاز الخط الاحمر.



الاسرى الالمان بالمئات .. بعد انتهاء المعركة ..



## عليه ان يذهب

وفي ٢٩ حزيران التقى رومل وفون رونديستيد مرة أخرى بهتلر في برستيد فادن. وكان هتлер محتدًا، وتوجه إلى رومل قائلًا:

- كل شيء يتحسن لو انك صممت على القتال.  
- وبواسطة سييدل افهم رومل المتأمرين وضع هتلر النفسي وعند ذلك قرر هؤلاء تصفيته جسديًا، واختير الكولونيل فون ستوفنبرغ للتنفيذ. ولأنه كان يستطيع الدخول إلى "مقر الذئب" كان عليه وضع حقيبة متفجرات بين اقدام هتлер، وبعد ذلك تبدأ عملية الانقلاب باعتقال او اغتيال الشخصيات النازية. ثم يتولى المتآمرون السلطة بتشكيل حكومة مؤقتة. وعند هذه المرحلة يستدعى رومل الذي كان سيقبل دون شك ويستتم العملية في العشرين من تموز.

في السابع عشر من تموز، اتم رومل كعادته يوميًا جولته على جبهة النورماندي، وتوجه إلى القيادة العامة في "سيب ديتيدش"، وفي الرابعة بعد الظهر غادر القيادة للانطلاق بقيادته الخاصة لان العدو اخترق احد المواقع.

في السادسة كانت سيارة الماريشال بالقرب من "ليفارو"، وفجأة ظهرت طائرتان تتجهان نحو السيارة، اسرع السائق وحاول الدخول في شارع صغير لكنه لم يستطع. لقد اصيحت الطائرة الاولى التي كانت تحلق على علو منخفض فوق السيارة وفتحت نيرانها فاصابت السيارة من الجهة اليسرى واصيب رومل بجروح في وجهه نتيجة تطاير شظايا الزجاج. لقد اصطدم بالحاجز بقوة واصبح خارج السيارة فأغمي عليه على بعد عشرين متراً.

نقل رومل بعد ٤٥ دقيقة إلى مستشفى حيث قام طبيب فرنسي بتضميد جروحه وأعلن ان امه بالحياة ضئيل. لقد وجدت ثلاثة كسور في دماغه، احدها في القاعدة والاشنان الاخران على الجوانب. ولم تصدق نبوءة الطبيب الفرنسي. فبعد ايام كان رومل في وضع صحي لا بأس به... وسمح بنقله إلى المستشفى العسكري في /فيستبه/ قرب باريس.

ومنذ الثالث والعشرين من تموز اصبح بإمكان رومل الجلوس على السرير وأعلن فسارة الحرب. وفي الثاني من آب اصر على الانتقال إلى منزل في "هرلينكن"، كان لا يريد ان يقع وهو مصاب أسيراً بين يدي العدو، وتابع علاجه في ألمانيا. وما أذهل زوجة رومل هو ان احداً من زعماء الرايخ او من القيادة العليا لم يتصل للاطمئنان عن صحة زوجها. اذن كانت يد هتлер وراء كل ذلك.

أما "ستولبانجيل" فقد اشترك في المؤامرة بنشاط ظاهر. لقد اعطى اوامره باعتقال افراد



■ رومل في قلب المعركة ..

في نيسان ١٩٤٤ أصبح احد اعضاء المنطقة ضد هتлер الجنرال سييدل حلقة الوصل بين رومل وفون ستولبا نجيل حاكم فرنسا العسكري والعنصر الرئيسي في المنظمة ضد هتлер.

في ١٥ ايار عقد اجتماع في فيللا في "ماريل - مارلي" بين "سييدل" و"ستولبا نجيل" حيث وضعوا الخطوط العريضة لطلب الهدنة التي كانا يأملان مناقشتها مع ايزنهاور ومونتغمري فاذا لم يستطيعا قلب نظام هتлер فسيفاوضان بدون علمه. واطلع رومل على كل شيء.

وفي ٢٧ ايار عقد اجتماع جديد في مقر الجنرال سييدل في "فرودنستاد" سبب الاجتماع: رومل. كان الحاضرون: سييدل (ممثلاً رومل) ستروليني وفون نوران وهو وزير خارجية سابق. وضع محضر بالاجتماع ارسلت نسخة منه لرومل. كان هذا الاخير بدأ التكلم بصراحة دون اخفاء مشاعره وخاصة امام ضباطه المساعدين، وكان احد هؤلاء الضباط يتولى تسجيل كل ما يتفوه به الماريشال واثناء اطلعه على هذا المحضر وجد ما يلي:

"ان اوامر هتлер ليست الا هراء وقد يكون الرجل مجنوناً"

وكان رد فعل الماريشال رهيباً:  
- هل تريد ان تقودني إلى المشنقة؟  
وتم اصلاح عبارات المحضر.  
طوال هذه الاسابيع اظهر رومل قوة ارادة في العمل غير منتظرة. فقد جهز الكاتب ارست جنجر مشروع معاهدة سلام مبنية على ان اوروبا موحدة على اسس الديانة المسيحية، وفور اطلعه على المشروع وافق رومل عليه، لكنه يفكر اكثر واكثر في السلام وينفس الوقت يعمل إلى اقصى حد لتقوية الدفاع ضد اي هجوم محتمل، كان يعتقد - وكان على حق - بأنه يجب المفاوضة من مركز قوة. وفي السادس من حزيران وفيما كان رومل في اجازة في هيرلينجن، بدأ الحلفاء بالنزول واستدعى على عجل. وكم كانت مفاجاته كبيرة عندما رأى كل ما توقعه يتحقق. وفي مساء اليوم نفسه كان الحلفاء قد تمركزوا في رأسي جسر استراتيجيتين وكان يدرك انه من غير الممكن رميهم في "البحر" بل يجب محاصرتهم. وحاول دون جدوى. وكان التفوق الجوي للحلفاء كاسحاً. هل سيفهم هتлер في النهاية؟ واخلاًصاً منه لمبادئه قدم رومل تقريره للفقور في ١٢ حزيران. واطهر مخاوفه وأعلن ان العدو يسيطر على انجبهة كلياً. وفي ١٧ حزيران استدعى هتлер كلا من رومل وفون رونديستيد إلى الاجتماع به قرب "سوامسون".

وكان الاثنان متفقين على الانسحاب. ورد هتлер بعنف:

- لا انسحاب.  
وحاول رومل اقناعه بمحاولة سلام مع القوى الغربية: فلم يفتح وقطع الاجتماع فجأة.



لاخفاء ذلك. وتكلم مع ابنه عن مستقبله. لم يكن يتمن له الاستمرار في الحياة العسكرية. كان يريده طبيياً.

وفي الحادية عشرة دخل المنزل. تمام الثانية عشرة. وصل رسولا هتلر. بورغوروف ومايزل. كيف يمكن ان يتجاهل انهما ايضاً رسولا القدر. وبناء لطلبهما البقاء مع رومل دون شهود قادهما المارشال الى غرفة في مدخل المنزل وهنا بقيا وحدهم حوالي الساعة.

### جئت لتوديعكم

عندما انفتح الباب ودخل رومل الى الردهة مترجماً للاجتماع بزوجه. كانت الزوجة منفعلة ووجدت على وجه زوجها ملامح القسوة والتردد وصرخت:

— ما بك؟ ماذا حصل؟ هل انت مريض؟

ونظر اليهما طويلاً وصاح:

— جئت لتوديعكما. بعد ربع ساعة اكون ميتاً. انهم يتهموني بالاشتراك بمحاولة اغتيال هتلر. يبدو ان اسمي كان على لائحة "غورولير" كرئيس ممثل للرايخ. وانا لم اجتمع "بغورولير" طيلة حياتي. القوهرة يترك لي الخيار بين السم والمثول امام محكمة الشعب. لقد احضرا السم معهما ويقولان ان مفعولهم يسري بعد ثلاث ثوان.

وصاحت زوجته بان عليه المثل امام المحكمة. كانت واثقة من قدرته على انقاذ نفسه.

— كلا، انني لا اخشى المثل امام المحكمة لانني استطيع تبرير كل مواقفي. ولكنني متأكد من عدم وصولي الى برلين وانا على قيد الحياة.

وفي هذه اللحظة دخل "مانفريد" الى الغرفة واختصر رومل الموقف واعلن له انه سيموت. وودع ولده المنهار. وعندما خرج، استدعى "اولينغر" ضابطه المساعد من الغرفة المجاورة. وعندما حضر وعلم بما ينتظر قائده احتج قائلاً:

— انني اتوسل اليك بان تهرب. قد تستطيع بواسطة اسلحتنا النفاذ. لقد وجدنا انفسنا في ظروف اصعب من هذه ونجحنا.

وهز رومل رأسه.

— لا جدوى من كل ذلك يا صديقي. كل الطرق مغلقة بواسطة سيارات الاستخبارات السرية. لن نستطيع الانتحاق بقواتنا. الهاتف مقطوع. انني لا استطيع حتى الاتصال بمركز قيادتي.

— تستطيع على الأقل اغتيال بورغوروف ومايزل. — انهما ينفذان الاوامر. ويجب علي التفكير في زوجتي وابني مانفريد.

ويروي بان المارشال شرح له كيف انهم وعدوه بعدم المساس بزوجه وولده ان هو اختار السم. سوف يدفع لهما تعويض شهري. اما هو فسيحتفل بجنائزته كبطل وطني. وشرحا له حتى تفاصيل الشائعات والاحتفالات.



"الجستابو" في باريس وبعد العشرين من تموز، استدعى الى برلين. ونكونه كان يعرف المصير الذي ينتظره. فقد توقف في "فردان" حيث قاتل عام ١٩١٤ - ١٩١٨ واطلق رصاصة في رأسه ولكنها لم تقتله. وعندما استرجع قواه فاقد البصر، تفوه بكلمة "رومل".

وقام الطبيب الجراح بكتابة تقريره الى الجستابو في باريس. وبعدها عذب ستولبانجيل وشنق. وفوق ذلك وجدت لدى بعض المعتقلين اوراق تثبت ان رومل سيصبح قائداً للرايخ فور تصفية هتلر.

### علامات الموت

واشد الخناق على رومل. اعتقل الجنرال سيدل. ووجه رومل رسالة احتجاج الى هتلر شخصياً. ولكن دون جواب وبقي سترويني احد القلائل الذين لم يعتقلوا. وجاء لرؤية رومل. وتكلم الرجلان بصوت منخفض خوفاً من وجود اجهزة تجسس. بعد ايام زاره ماير وهو رئيس قسم الحزب في مقاطعة اولم. وتكلم رومل بصراحة.

في السابع من تشرين الاول اتصل المارشال "كيكل" برومل طالباً منه التوجه الى برلين في العاشر من الشهر من اجل مقابلة هامة. مساء التاسع سيكون قطاره الخاص بانتظاره. واستشار رومل طبيبه البروفسور "البريخت". الذي افاد بأنه من غير الممكن القيام برحلة كهذه. واتصل رومل بكيكل ولكن جاءه الرد من الجنرال بورغوروف وهو مسؤول العلاقات الشخصية في الجيش.

تقول زوجة رومل: كنت في الغرفة عندما طلب زوجي من بورغوروف بان يقول للمارشال كتييل بان الاطباء يمنعون من الانتقال بسبب حالته الصحية. وطلب معرفة الامر الهام واذا امكن ارسال ضابط لدراسة الموضوع. وجاء رد الجنرال بورغوروف بان الفوهرة طلب من المارشال كتييل الاجتماع به لمعرفة ما سيفعله مستقبلاً.

وفي الثالث الثالث عشر من تشرين الاول اتصلت القيادة العامة في شتوتغارت واعلمت رومل بان الجنرال بورغوروف ومع الجنرال مايزل يصلان ظهر الغد.

في اليوم التالي وصل ابنه "مانفريد" بقطار السادسة صباحاً وكان في اجازة. وجد والده واقفاً. وتناولوا الفطور معاً. ثم سارا جنباً الى جنب بين اوراق الشجر المتساقطة. وتكلم رومل عن الزيارة التي ينتظرها.

سأل مانفريد: — هل يأتيان من اجل مركز جديد؟ اجاب رومل: هذا ما قاله لي.

لم يستطع مانفريد اخفاء شعوره بان والده مهموم. ويبدو ان المارشال حاول المستحيل





السماعة . وكان على الطرف الآخر الميجور ايهرنكر  
الذي كشفت نبرات صوته انه كان مشدوهاً:  
- الدينكر: لقد حلت كارثة . اصيب الماريشال  
بنزيف في الدماغ وهو في السيارة . لقد مات .

صمت تام من الدينكر .  
- هل سمعت ما قلت ؟  
- نعم ، سمعت .

- ارجوك اذن ابلاغ السيدة رومل بأنني سأحضر  
فوراً .

رفضت السيدة رومل استقبال ايهرنكر . اما  
الدينكر فقد توجه الى مستشفى او لم حيث شاهد  
الجثة .

بعد الظهر قاد الدينكر السيدة رومل وابنها  
مانفريد الى المستشفى حيث اخبرهم رئيس  
الاطباء بأن جثة الماريشال: احضرت الساعة  
الواحدة وخمس وعشرين دقيقة .

### حادث صحي . . .

لقد تكلمت مع زوجتي واتخذت قراراً . لن اقبل  
ابداً بأن يشنقني هذا المثلث . اني لم اشترك ابداً  
بمحاولة الاغتيال . لقد حاولت فقط خدمة وطني كما  
فعلت طيلة حياتي ، ولكن الان اعرف ماذا عليّ ان  
افعل . بعد نصف ساعة سيتصلون لابلاغكم بأن  
حادث اصطدام مريع حصل لي ادى الى وفاتي .  
نزل رومل الدرج مع مانفريد والدينكر . كان  
الضابطان ينتظران في الحديقة أمام المنزل . تقديماً  
باتجاه السيارة بينما توجه الميجور "الدينكر"  
للقيام ببعض "الترتيبات" . صعد رومل في المقعد  
الخلفي للسيارة ثم تبعه يورغوف ومايزل . . .  
وانطلقت السيارة .

بعد ٢٥ دقيقة رن جرس الهاتف . رفع الدينكر



# المنهج التاريخي

عند

## الفقيه ابن العربي

د. احسان عباس

■ ابو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري (-٥٤٣هـ/١١٤٨م) اندلسي رحل الى المشرق مع ابيه وهو في السابعة عشرة من عمره، ودرس على ابي حامد الغزالي وغيره من علماء المشرق، ولما عاد الى الاندلس عين قاضياً ببلده اشبيلية، فكان شديداً صارماً في أحكامه، ثم صرف عن القضاء، فأقبل على نشر العلم، وله مؤلفات عديدة قيمة.



لم يكن ابن العربي - فيما نصب له نفسه وسخر له علمه وكفائاته المتعددة - يدعي انه مؤرخ، ولكنه من موقف الفقيه الاشعري وجد نفسه يحاكم حقبة من التاريخ، تلتبس فيها الاحداث بالاحكام، وتصطرع من حولها التفسيرات المتعددة ليصبح كل تفسير منها منطلقاً لمجموعة من المعتقدات تتبلور من حولها الفرق المختلفة. وبما أن الاشخاص الذين تدور حولهم أحداث تلك الحقبة ذوو "منزلة خاصة" فإن الاختلاف حول تفسير تصرفاتهم قد ادى - وما يزال يؤدي - الى تباين، لا في الرؤية التاريخية وحسب بل في المواقف العقائدية أيضاً. وتلك الحقبة تمتد من مقتل عثمان الى مقتل الحسين، وقد ارتبطت اسئلة عديدة من مثل: هل نفى عثمان أباًذر الغفاري الى الربرة؟ هل قتل عثمان مظلوماً؟ هل تخطى الصحابة عن نصرته؟ هل كان معاوية "جاداً" في المطالبة بدمه؟ الى عشرات من الاسئلة التي تتناول ما دقّ وما جلّ من احداث تلك الفترة. فماذا يمكن ان يقول فقيه ابتعد عن تلك الاحداث - مكاناً وزماناً - حين يتصدى للإجابة عن تلك الاسئلة، وهو محكوم منذ البداية بمنهج فقهي كلامي صارم في النظر الى التاريخ؟ واسرع الى القول بأن ليس ابن العربي فريداً - في سياق تاريخنا - باتخاذ هذا الموقف، فلعل تاريخ الحقبة المذكورة كتب - وما يزال يكتب - من منظور مسبق، ومن رجحان افراد على سواهم في الميزان الديني والاخلاقي لدى من يكتب ذلك التاريخ، واذن فنحن ازاء حقبة يعسر تناولها من زاوية "الاسباب الفاعلة" و"النتائج" المترتبة على تلك الاسباب، وقد كانت رؤيتها بوضوح عسيرة ايضاً على كثير ممن عاصروها، وما صمت الصامتين عن الحكم على الاشخاص المتصارعين في تلك الحقبة، واعتزال من اعتزل، وجهر جماعات بالارضاء لا تعبير عن تلك الحيرة. ومع كل ما بذله ابن العربي من جهد في بناء منهج صالح - في رأيه - لالقاء الاضواء الكاشفة على تلك الفترة التاريخية فإنه يعود في النهاية ليوجه نداءه الى الجماهير قائلاً: "عرجوا عن سبيل الناكثين الى سنن المهتدين، واياكم ان تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد هلك من كان اصحاب النبي خصمه، ودعوا ما مضى فقد قضى الله ما قضى". (١) واول ما يدل عليه هذا النداء - وهو دعوة الى الصمت - شك ابن العربي نفسه في قدرة منهجه على أن يحيط بكل المشكلات التي تتصل بتلك الفترة، او أن يجد الاجوبة الحاسمة عنها، ويشقي من الحيرة والقلق ازاء رجالها واحداثها، وهو منهج ان حقق شيئاً جزئياً من ذلك فإنه لا يصلح أن يكون اداة في يد كل واحد من الناس.

ينطلق ابن العربي في نظره الى الروايات التاريخية من انعدام إيمانه بفئتين من الاخباريين

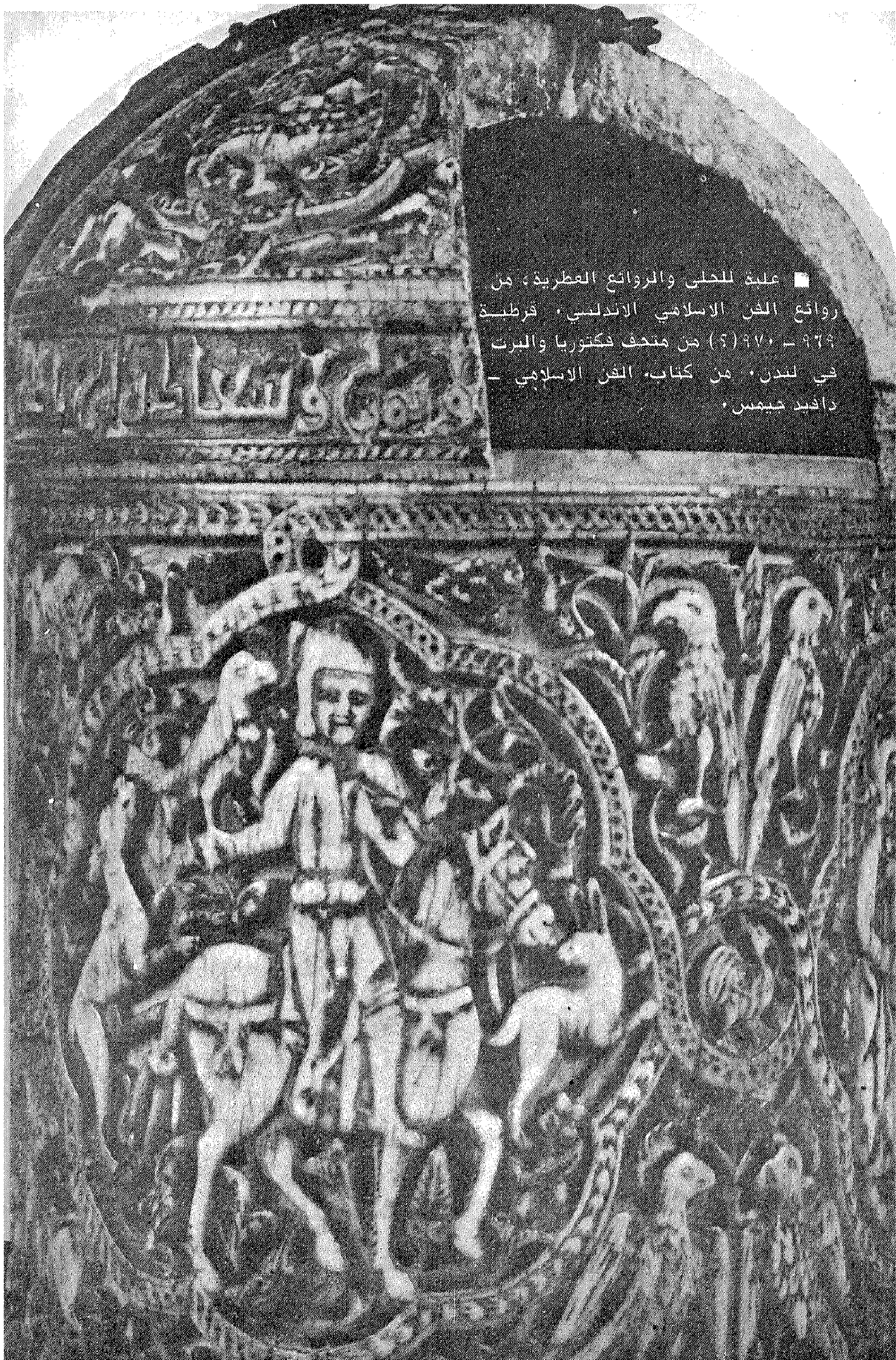
هم المؤرخون والادباء "فانهم ينشئون أحاديث فيها استحقار للصحابة والسلف والاستخفاف بهم" ويخص بهجومه من المؤرخين ابن قتيبة ذلك الجاهل الذي "لم يبق ولم يذر للصحابة رسماً في كتابه. الأمامة والسياسة ان صح عنه جميع ما فيه" والمسعودي المبتدع المحتال فإن ما رواه متاخم للاحاد، ومن الادباء المبرد في كتابه الادبي (يعني الكامل) والجاحظ الذي يدعوه كلما عرض ذكره بالشيخ المفترى. ومن المستغرب ان نجده يقول: "ولا تسمعوا لمؤرخ كلاماً الا للطبري" (٢). ووجه الغرابة هنا لا يتناول الثقة بالطبري نفسه، وانما لان ابن العربي كان يعرف ان الطبري ينقل عن رواية سابقين، وان في الروايات التي نقلها عن بعضهم ما قد يتعارض والآراء التي يعتقدها ابن العربي نفسه، فكيف يدعو الناس ليستمعوا الى روايات تبدو احياناً متعارضة ان لم نقل متناقضة، وبعض اصحابها لا يرتفعون عن الهوى؟! ذلك غريب حقاً، وهو ما يجيز لنا أن نقول ان منهج ابن العربي منذ البداية، لا يبدو قائماً على نقد سليم او شامل للمصادر، وانما اوقع ابن العربي في هذا المأزق انه حين رفض المؤرخين الكاذبين دعا للعودة الى الاخذ عن العدول، ولما كان الطبري عدلاً في ذاته أجاز الاستماع اليه ونسي ان تاريخ الطبري روايات لا يسأل الطبري ازاءها عن مدى صلتها بالواقع التاريخي، وانما قد يسأل عن مدى تحكمه في اختيارها وحسب.

وهذه الدعوة الى الاخذ عن العدول مقنعة من حيث المبدأ، ولكنها مطلب مثالي، اذا كفلت له السلامة النسبية في الحديث، فليس ما يضمن كفالتها في التاريخ. وهي من حيث التطبيق دعوة تحدد مدى انطباق المنهج التاريخي الذي يرسمه ابن العربي، اذ ليست شهادة العدول متوفرة على مر الزمن فيما يتعلق بالاحداث، كما أن في عدالة الشخص الواحد خلافاً يصعب معه التوفيق أحياناً بين طرفيه المتباعدين، وهذا الواقدي - وهو الموثق عند المؤرخين - تتعارض فيه الاقوال حتى تكاد لا تلتقي، فهو عند بعض المحدثين متهم او ضعيف او ليس بشيء، وهو عند آخرين "أمين الناس على الاسلام" (اي على الاخبار في العهد الاسلامية) وهو أيضاً "امير المؤمنين في الحديث" (٣).

لهذا وجد ابن العربي انه ليس لديه - لتحقيق دعوته هذه - الا روايات قليلة اوردها البخاري والدارقطني وخليفة بن خياط، فرجحها على ما عداها. ولو كثرت لديه أمثال هذه الروايات لقدرنا أنه كان سيقم - ولا بد - دراسة منهجية للمعارضة والمناقشة والتعليل والترجيح ولكنه لم يفعل - في الاغلب - لانه لم يكن يملك الادوات اللازمة لذلك عند كل قضية. فاختار احدى طريقتين - كلتاهما محفوفة بالخطر - وذلك أنه اما أن يلجأ الى الرفض



■ غنية للحلى والروائع العظيمة، من  
روائع الفن الاسلامي الاندلسي، قرطبة  
٩٦٩ - ٩١٠ (٢) من متحف فيكتوريا والبرت  
في لندن، من كتاب، الفن الاسلامي -  
دافيد هيمس.





المطلق للرواية دون ابداء الاسباب، واما أن يحتكم الى "منطق الاشياء" او "يستلهم الوجدان" . مثال ذلك موقفه حين يدافع عن عثمان نافياً انه ضرب عماراً وابن مسعود، فيقول: "واما ضربه لعمار وابن مسعود ومنعه عطاءه فزور، وضربه لعمار افك مثله، ولو فتق امعاءه ما عاش ابداً . وقد اعتذر العلماء عن ذلك بوجوه لا ينبغي ان يشتغل بها لانها مبنية على باطل، ولا ينبغي حق على باطل، ولا يذهب الزمان في مماشاة الجهال فان ذلك لا آخر له" . (٤) . وواضح من هذا أن حديثه عن ضرب ابن مسعود رقص للرواية جملة، وان نفيه لضرب عمار مبني على ما سميت "منطق الاشياء"، وقد يكون ما يقوله ابن العربي صحيحاً، ولكنه في نطاق المنهج المرسوم لا بد أن يكون مقنعاً حتى تتأكد صحته .

و"منطق الاشياء" هنا قد يعني مثلاً ان عثمان كان شيخاً طاعناً في السن ليست لديه القوة البدنية التي تمكنه من ان يضرب شخصاً فيفتق امعاءه، وان الحدة التي تنسب اليه في أخريات أيامه لم تظهر لها بوادر في شبابه وكهولته - فالقضية معكوسة - وانه من المستبعد لرجل نشأ في ظل النبوة وتأديب بأدبها ان يعامل اصحابه واصحاب نبيه على هذا النحو الذي تروييه الروايات عن عثمان فتصوره جباراً غليظاً، ثم من المستبعد أن يضرب شيخ كبير أيضاً وتفتق امعاءه ويظل على قيد الحياة - في ظروف ذلك الزمان - الى غير ذلك من تعليقات لا يذكرها ابن العربي جميعاً وانما يوحى بمعظمها اطمئنانه النفسي الحاسم الى أن مثل هذا الفعل لا يمكن ان يصدر عن صحابي جليل كعثمان .

ومعنى ذلك أن "المنزلة الخاصة" - التي اشرت اليها من قبل - هي التي تتحكم في قبول الخبر او رده، وهنا يتسع معنى العدالة فلا يظل قاصراً على ما نقله اشخاص بأعيانهم مثل خليفة والبخاري والدارقطني وانما كل رواية تصبح معدلة، اي مقبولة، ما دامت لا تمس تلك المنزلة الخاصة بسوء . وفي مثل هذه الاحوال لا بأس من قبول روايتين هما - رغم تباينهما في الدلالة - اخف مساساً بتلك المنزلة من رواية ثالثة . وموطن الشاهد هنا ذهاب ابي ذر الى الربرة، فقد رقص ابن العربي الرواية التي تقول ان عثمان نفاه اليها، وذكر ان ابا ذر حين استقدمه عثمان الى المدينة جعل يدعو الى مثل ما كان يدعو اليه في الشام من الحث على عدم كنز الاموال (وما اريت زكاته في رأي ابن العربي لا يعد كنزاً) فقال له عثمان: "لو اعتزلت" اي كأنما قال له: "انك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس، فان للخلطة شروطاً وللعزلة مثلها . ومن كان على طريق ابي ذر فعليه يقتضي أن ينفرد بنفسه، او يخالط ويسلم لكل أحد حاله، مما ليس بحرام في الشريعة" . (٥) هذه هي الرواية الاولى التي قبلها ابن

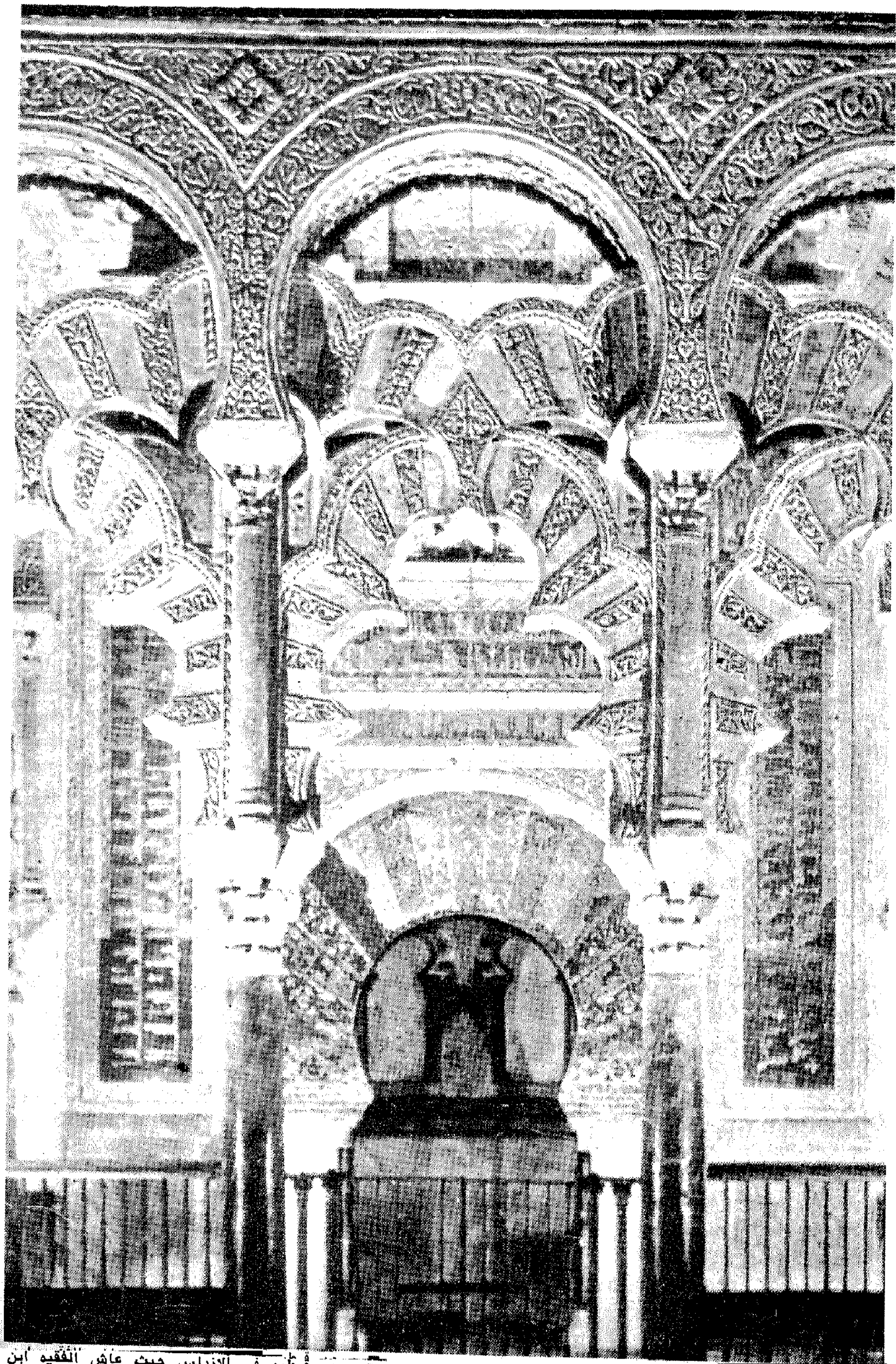
العربي اعني قول عثمان لابي ذر "لو اعتزلت" فامتثل ابو ذر اشارته واعتزل، ثم ما لبث ابن العربي ان قبل رواية أخرى وهي أن ابا ذر عاد الى المدينة فاجتمع عليه الناس فقال لعثمان: اريد الربرة، اي اختار هو نفسه العزلة، وهناك فرق اصيل بين أن يوحى عثمان الى ابي ذر بالعزلة ويحضه عليها وبين ان يختارها ابو ذر من تلقاء نفسه، ولكن ابن العربي لا يعبر هذا الفرق ادنى اهتمام ما دامت الروايتان تقفان في وجه رواية ثالثة تؤكد ان عثمان نفى ابا ذر الى الربرة .

ومن الانصاف لابن العربي ان اقول - استطراداً - انه كان يدرك اهمية ما يدعو اليه ابو ذر حين يقول: "وحال ابي ذر افضل، ولا تمكن جميع الخلق" وانه لم يأت برواية اختيار ابي ذر للعزلة من عند نفسه، وانما هي رواية اوردتها المصادر التاريخية . جاء في انساب الاشراف: "ويقال ان عثمان قال لابي ذر حين قدم من الشام: قربنا يا ابا ذر خير لك من بعدنا، يغدَى عليك باللقاح ويراح، فقال: لا حاجة لي في دنياكم، ولكني آتي الربرة، فأذن له فأثابها" . (٦) . وتحدث بشر بن حوشب بقصة نفي ابي ذر الى الربرة الى سعيد بن المسيب، فأكره سعيد ان يكون عثمان اخرجه وقال: "انما خرج ابو ذر اليها رغباً في سكنها" . (٧) . الا ان ابن العربي يوحى - لعدم مناقشته الروايات او نسبتها الى مصادرها - بأنه يحتكم الى الترجيح بين حالتين دون اعتماد لبحث او تمحيص .

ومن الطبيعي ان يجعل ابن العربي تلك "المنزلة الخاصة" محوراً في منهجه، لانه مهتم في المقام الاول بأقامة "سنة"، وغايته من وراء التحقيق التاريخي - ان صح ان نسمي عمله تحقيقاً - هو جلاء تلك السنة . فالصحابا لم يتخلوا عن عثمان، ذلك ما يحاول ان يثبته بشهادة النقل والعقل، وانما هو الذي طلب اليهم الكف وعزم عليهم الا يشهروا سلاحاً للذود عنه، والقي بيده الى المصيبة واستسلم، "وامر عثمان كله سنة ماضية وسيرة راضية" حتى ان ابن العربي نفسه اختار ذات يوم ان يستسلم اقتداء بعثمان، فقد كان قاضياً شديداً على المنكر، حريصاً على ازالته، مما اغضب بعض الغاصبين والفاسقين، فتألبوا عليه ومشوا الى داره وحاصروه، فأمر كل من حوله ان لا يدافعوا عنه، "وخرجت الى السطوح بنفسني فعاثوا علي، وامسيت سليب الدار، ولولا ما سبق من حسن المقدار لكنت قتيل الدار" . (٨) .

ولأهمية الهدف الذي يسعى اليه ابن العربي لم يحس انه يطرح منهجاً ضيقاً تتحدد فيه قدرته على النقد . ومما زاد في بعده عن مثل هذا الاحساس اعتماده على ذكائه، فميزة منهج ابن العربي الكبرى ليست في ذاته - دائماً - وانما في شخصية صاحبه، وهي شخصية تتمتع بشيئين بارزين - الى جانب فضائل اخرى كثيرة - وهما اتساق الموقف والذكاء النافذ .





■ مسجد قرطبة في الأندلس حيث عاش الفقيه ابن العربي... وهو من آيات الفن الإسلامي في القرن العاشر.



فمن اتساق الموقف - وهو موقف سني اصلا لا ينفرد به ابن العربي - انه حين تنعقد البيعة لامام ما - وان كان مفضولا - فكل "ثائر عليه خارج على البيعة" خاضع لقول الرسول - كما رواه مسلم - : "انها ستكون هنات وهنات، فمن اراد ان يفرق امر هذه الامة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان" (٩) . وقدوته في هذا السبيل ابن عمر، فانه حين ثار أهل المدينة على يزيد قال - فيما رواه البخاري - : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة، وانا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، واني لا اعلم غدرأ اعظم من ان نبايع رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال" (١٠) . وهذا الاتساق في الموقف قد وضع ابن العربي في موقف شديد الحرج - وخاصة في تفسيره لمقتل الحسين - ولكنه لم يبال بذلك لانه كان يؤمن بسلامة الجماعة ايماناً لا يتزعزع .

وأما الذكاء النافذ فانه حاضر في معالجة صغار الامور وكبارها: فالحديث "انت مني بمنزلة هارون من موسى" لا يدل على خلافة، لان العارفين يعلمون ان هارون توفي قبل موسى (١١) . وطلحة لا يمكن ان يقول: "بايعت واللج" على قفي" (أي والسيف على قفائي) لان "قفي" لغة هذيل وطلحة قرشي (١٢) . ومن كبار الامور قضية التحكيم، وقد ادرك ابن العربي ان الرواية الشائعة حول هذه القضية اشبه بفصل مسرحي مضحك، ولذلك سماها "سخافة"، وان ابا موسى الذي كان موضع ثقة الرسول وثقة عمر في الولاية والقضاء لا يمكن ان يكون ابله ضعيف الرأي، وان المغالاة في وصف عمرو بن العاص بالدهاء انما تمثل طرفاً في تلك المعادلة، والحق الذي لا مرية فيه عند ابن العربي ان عمراً عزل معاوية، وذلك ما تؤكد، رواية للدارقطني عن حصين بن المنذر (١٣) .

ان قصة التحكيم تلفتنا الى الحقيقة الاولى في منهج ابن العربي، وهي ان نعيد طرح الاسئلة عن تلك القضايا - دون ملل - حتى ولو عجزنا عن اجابتها، والا ظل النقد التاريخي لدينا منهزماً أمام الاساطير المسلية . ولا يعيب ابن العربي ان يجانبه التوفيق احياناً في الاجابة عن بعض الاسئلة، كما حدث له - واكتفي بمثال واحد - حين القى هذا السؤال: لماذا ذهب طلحة والزبير وعائشة الى البصرة؟ يقول ابن العربي - ومقدماته مقدمات المؤرخ الدقيق - : "اما خروجهم الى البصرة فصحيح لا اشكال فيه، ولكن لأي شيء خرجوا؟ لم يصح فيه نقل، ولا يوثق فيه بأحد لان الثقة لم ينقله، وكلام المتعصب غير مقبول، وقد دخل مع المتعصب من يريد الطعن في الاسلام واستنفاص الصحابة" (١٤) ثم يفترض ثلاثة احتمالات لخروجهم:

١ - اما انهم خرجوا خلعاً لعلي بعد ان اتضح

لهم وجه من الحق لم يكن واضحاً قبل البيعة، وهذا احتمال ضعيف "لان الخلع لا يكون الا بنظر من الجميع وبعد الاثبات والبيان" .

٢ - واما انهم خرجوا ليتمكنوا من قتل عثمان، وهو ايضاً احتمال ضعيف، لأنهم لا يستطيعون طلب قتل عثمان قبل تأليف الكلمة .

٣ - ويبقى الاحتمال الثالث المقبول وهو انهم "خرجوا لينظروا في جمع طوائف المسلمين وضم" نشرهم وردهم الى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا" . ولكن مصلحة أهل الاهواء غلبت، وتبادر الناس الى القتال . ولا نريد ان نسأل ابن العربي اي الطوائف التي كانوا يريدون جمعها؟ بل نقول ان هذا التعليل قاصر عن الوفاء بتفسير اختيار البصرة دون سواها، واذا كان تأليف الكلمة هو الغاية من الخروج فلم الخروج اصلا وقد كانت المدينة احسن ساحة من البصرة للاجتماع والائتلاف، واذا كانت نيتهم الحرب فما هي ميزة البصرة على غيرها اهي صلاحية الموقع للقتال أم وجود الاتباع والمساندين أم وفرة المرافق الاقتصادية؟

ان حدة الذكاء تكسب المنهج حيوية وتهجم به على منافذ ومداخل جديدة، ولكنها لا تستطيع ان تنقذ، مما يعانيه من مكبات اولية، بل لعل الذكاء كثيراً ما يخضع لقيود المنهج وخاصة حين تكون تلك القيود الزامية وافدة من خارج المنظور التاريخي . فابن العربي المحدث قد يقنعنا بقبول الرواية ذات السند القوي ورفض ما هو واهي الاسناد مثل الحديث المنسوب الى الرسول "ايتمكن صاحبة الجمل الاديب التي تنبجها كلاب الحوآب" ولكنه لا يتصور ابداً ان يتردد في قبول ما صح عنه من حديث مع انه كان يعلم ان "الصحيح من حديث النبي كنقطة من بحر" (١٥) ولو كان مؤرخاً يملك نظرة شمولية لوجد أن اغراق هذه الفترة - رجلاً واحداً - بالنبوءات أمر يحتاج الى تأمل طويل، في مقدور المؤرخ أن يتساءل - دون ان يباشر بالقبول او الرفض - : لماذا اجتمعت كل هذه الاحاديث مثل: "لَتَقَاتِلَنَّهُ وَاَنْتَ ظَالِمٌ لِّه" (الزبير)، "تَقَاتِلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ" (لعمار)، "يُخْرَجُ مِنْ مَضْضَى هَذَا قَوْمٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ" (في ذي الندية) الى غير ذلك من احاديث كثيرة؟ ولماذا سلطت على هذه الفترة دون غيرها؟ ثم يستطيع المؤرخ - لا المحدث - أن يتساءل: هل من الممكن ان يكتب التاريخ في ظل الاخبار بالمغيبات؟

وفي مثل هذا المنهج الذي يجعل الرواية المعدلة او المحتملة هي الاولى بالآخذ والتصديق لا بد من تقدير - باديء ذي بدء - لمحتوى الرواية، ثم لا بد من اتخاذ هذا المحتوى شاهداً على العلاقات التاريخية، فقد قبل ابن العربي رواية تقول ان عثمان وقع للثائرين على مطالبهم وهي: "ان



المنفي يقلب (اي يرد) والمحروم يعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الامانة" (١٦) وهذا هو معنى رواية ابي مخنف كما اوردها البلاذري: "ان لكم ان اعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه: يعطى المحروم ويؤمن الخائف ويرد" المنفي ولا تجمر البعوث ويوفر الفيء" (١٧) ويعني هذا الميثاق ان هنالك مطالب محددة للثائرين، وان اقرار عثمان بها اعتراف منه بوجود منفي يحتاج الى رد ومحروم بحاجة الى عطاء، وحاجة الى العدل في القسمة وتوفير الفيء، ولو لم تكن هذه مطالب محددة لوسع عثمان ان يقول لهم: "ان ما تطالبونه دعوى لان كل شيء جار بما يؤكد زور مطالبكم" . واغوى تلك المطالبات - كما لا بد ان نلاحظ - تتصل بأمور اقتصادية تجعل للثورة اسباباً مرتبطة بواقع الحياة . وهنا يعترض الفرض المسبق دون ذكاء ابن العربي قيمته من التنبيه الى ما قد يقع فيه من مغالطة، ذلك انه رغم قبوله لهذه الرواية يجعل اسباب الثورة على عثمان الاحقاد الفردية، "ممن طلب امراً فلم يصل اليه، وحسد حسادة اظهر داءها، وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين واينثار للعاجلة على الآجلة" (١٨) . وقد يحسن ان يقال في هذا الصدد: ان الاحقاد لا تتولد من ذاتها في فضاء، وانها - ان وجدت - لا

تمثل مرحلة اولية - ثم لا تمثل تياراً عاماً - في الخروج على عثمان، الا ان تكون صدى تابعاً لاحقاد قوم آخرين وجهوا "الدعاية" ضده واحكموها، حتى صار الاتباع - الذين يصفهم ابن العربي بدناءة القدر - يرددون ما يقوله سادتهم .

وقد اضاف ابن العربي - من موقف الفقيه - قيماً آخر الى منهجه حين احتكم في رؤية التاريخ الى احكام فقهية لاحقة مثل: "ان البيعة تنمّ بواحد او اثنين" او "ان تهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه ان يخرج عليه" (كما حدث في مطالبة معاوية بدم عثمان وخروجه عليه)، وغير ذلك من احكام، فهذه لا تفسر سياق التاريخ ولا تضيف شيئاً الى حركته، واستغلالها في التسويغ والتقليل يحجب عن عيني الدارس الحال الاجتماعية والنفسية والاقتصادية لدى المشاركين في احتجاج او فتنة او ثورة او منافسة، كما يطمس ارتباط هذه الامور كلها بالمرحلة المدروسة .

هل يمكن ان يقال بعد كل ذلك ان ابن العربي لم يفعل شيئاً سوى انه اضاف الى المواقف الجدلية، موقفاً آخر، وهل يمكن ان يقال ان هذه الفترة بالذات ستظل اعسر من ان يقتصرها المؤرخ، الا ان يكون مسجلاً وحسب للاحداث ؟

## تعليقات

- ١ - العواصم من القواصم (الجزء الثاني من آراء ابي بكر بن العربي الكلامية، تحقيق عمار طالبي، الجزائر ١٩٧٤): ٤٢١
- ٢ - العواصم: ٤٧٣ - ٤٧٤
- ٣ - ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب ٩: ٣٦٣ - ٣٦٨
- ذ - العواصم: ٣٨١
- ٥ - العواصم: ٣٨٤ - ٣٨٥
- ٦ - البلاذري انساب الاشراف (ط، القدس، ١٩٣٢) ٥٣:٥
- ٧ - انساب الاشراف ٥٥:٥
- ٨ - العواصم: ٤٠١
- ٩ - العواصم: ٤٥٥
- ١٠ - العواصم: ٤٤٩
- ١١ - العواصم: ٤٣٠
- ١٢ - العواصم: ٤٠٣
- ١٣ - العواصم: ٤١٨ - ٤٢٠
- ١٤ - العواصم: ٤٠٢
- ١٥ - العواصم: ٤٩٦
- ١٦ - العواصم: ٣٩٥
- ١٧ - انساب الاشراف ٥: ٦٤
- ١٨ - العواصم: ٣٩٣





# بقايا القصر العباسي أو قصر المأمون في بغداد

إعداد قسم الدراسات



## عهد بناء القصر

الى اي عهد يرجع تاريخ بناء هذا القصر المهم؟  
ليس لدينا - مع الاسف - معلومات اكيدة عن  
هذه القضية.

لان كتب التاريخ المعلومة، لم توضح مواقع  
القصور وتقسيماتها بالضبط اللازم. كما انه لا يوجد  
في القصر كتابة واحدة تدل على تاريخ بنائه، او  
على واقعة من الوقائع التي حدثت فيه. ولم يظهر  
بين انقاضه ايضاً شيء مكتوب، سوى قطعة آجر  
مكسورة، كتب عليها - بين زخارف زهرية - (ذلك  
في) ان قسم التاريخ من هذه الكتابة مفقود، كما  
ان شكل الزخرفة التي عليها تدل على انها متأخرة  
عن البناء. فلا سبيل لمعرفة تاريخ البناء، سوى  
الاستدلال من الموقع ومن طراز الزخرفة والبناء.

لقد اصطلح الناس على تسمية القصر، باسم  
"قصر المأمون" غير انه لا مجال للشك في انه  
متأخر عن عهد المأمون كثيراً. لان الاشكال  
الزخرفية المعلومة في عهد المأمون، وفي العهود  
التي تليه، بعيدة جداً عن زخارف هذا القصر. فان  
قصور الخلفاء في سامراء كانت مزينة بزخارف  
جبسية، مع انها كانت مبنية بالآجر. فلا شك في ان  
القصر الموجود في القلعة احدث من قصور سامراء  
بأجمعها.

كما انه لا مجال للشك في ان انواع الزخرفة  
المشهودة هناك مما لا يمكن ان تتكون عن طريقة  
زخرفة الآجر مباشرة. بل انها من الاشكال التزيينية  
التي تولدت من استعمال مواد زخرفية اخرى -  
كالحجار والاشخاب - والتي انتقلت منها الى  
الآجر، بعد تكاملها.

وبهذا الاعتبار، يسوغ لنا ان نجزم بان بناء  
القصر يعود الى اواخر العهد العباسي، لا اوائله.  
وانه لا يتقدم على تاريخ بناء المستنصرية بكثير  
من عقود السنين.

ولا يستبعد ان يكون - والحالة هذه - من  
المباني التي شيدت في عهد الخليفة الناصر لدين  
الله.

داخل قلعة بغداد، في الزاوية الجنوبية الغربية  
منها، ايوان قديم مزخرف، من بقايا قصر عباسي،  
يعرف بين الناس باسم "قصر المأمون".

يتصل هذا الايوان من طرفيه بسلسلة من الغرف  
والمقاعات والمجازات، وتتعامد هذه السلسلة، في  
الجهة اليسرى من الايوان، بسلسلة ثانية، تنتهي  
بمجاز مزخرف وحجرة مزخرفة، تفوق زخرفتها سائر  
الزخارف الموجودة في الايوان.

غير ان هذه الحجرة المزخرفة - مع مجازها  
البديع - كانت محرومة من المنافذ. وكان لا  
يدخلها النور الطبيعي الا من الثلمة الحادثة في  
سقفها المتضعع. ولهذا السبب، كان الوصول  
اليها يستلزم اجتياز دهاليز مظلمة طويلة، مجهزة



منظر مأخوذ بعد رفع المباني المستعمدة (الجهة الشرقية)



بعض الفوانيس والمصابيح . وأما تمييز انواع الزخارف التي تزين سقوفها والقسم الاعلى من جدرانها، فكان من الامور العسيرة جداً . ولذلك، فان البعض من العلماء القليلين الذين دخلوا اليها، وكتبوا عنها، اعتبروها كـ "سرداب" لا يتم الوصول اليه الا باجتياز بعض الانفاق التي تمتد "تحت الارض" .

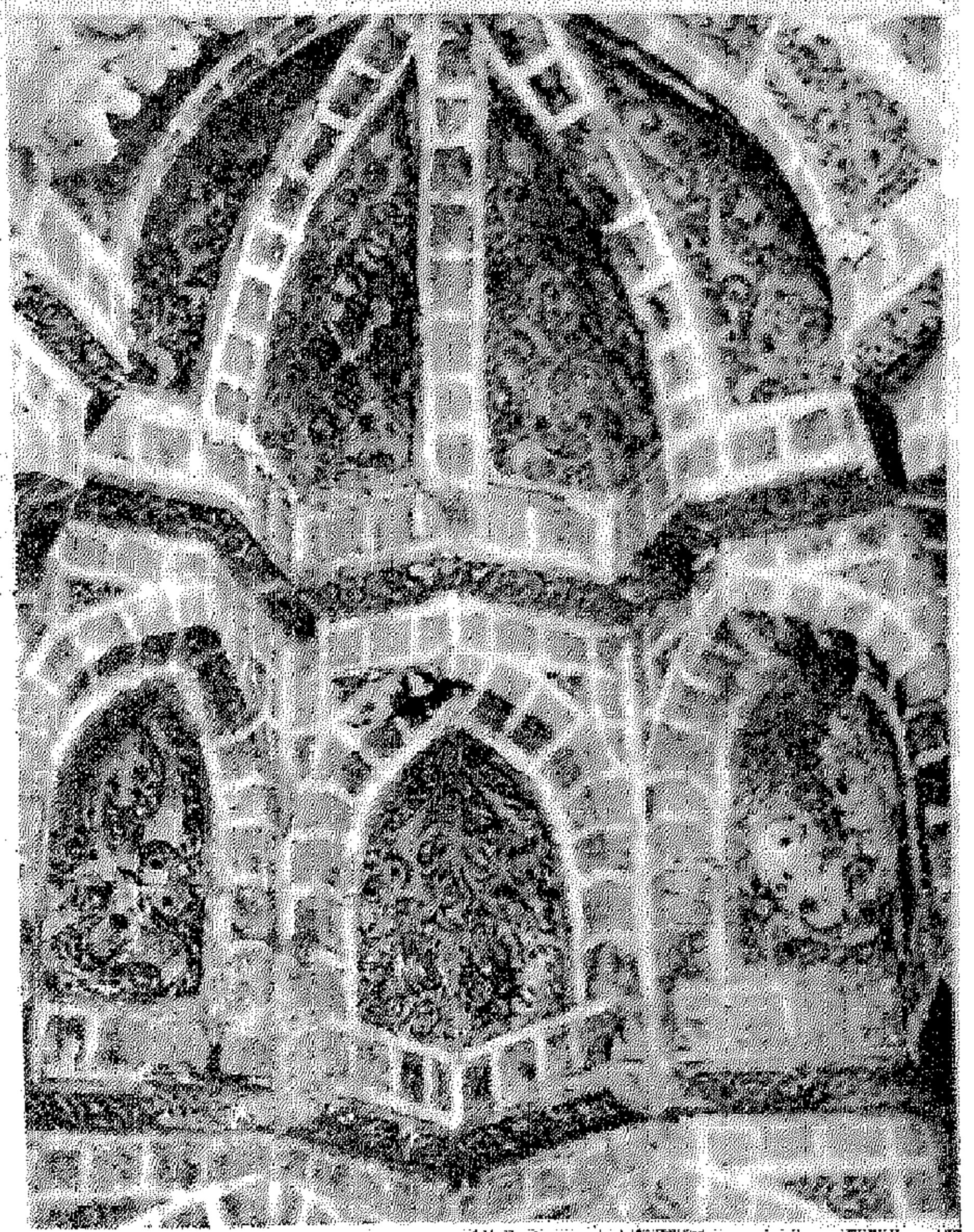
وبما ان دعامات وجدران هذه الحجرة المزخرفة، كانت متضعفة جداً . كما ان قسماً من سقفها كان قد انهدم فعلاً، رأت مديرية الآثار في اواخر سنة ١٩٣٤، ان تقوم بالتعميرات اللازمة لصيانتها، واخذت تهدم بعض الاقسام من الجدران المتصلة بها، بقصد تقويتها . غير انها عندما هدمت احد هذه الجدران . رأت من خلفه بقايا مزخرفة، في منتهى الاتقان والبداعة . وعندما تتبععت آثارها، لاحظت ان سلسلة القباب التي تمتد بين هذه الحجرة والايوان تتصل بجدار مزخرف قديم، كما فهمت ان القبة الكبيرة القائمة في الجهة اليمنى من الايوان ايضاً تستند على حيطان مبنية امام جدران مزخرفة قديمة .

ولذلك، قررت هدم جميع الغرف والجدران المستحدثة، لاطهار الجدران القديمة وتقويتها، وباشرت في تنفيذ هذا القرار من فورها . كما رفعت جميع الانقاض المتراكمة، التي كانت قد كونت طبقة سمكية، لا يقل معدل سمكها عن المتر ونصف المتر في معظم اقسامها . وبعد ذلك حفرت بعض المحلات، فاظهرت بعض الاساسات العائدة الى الاقسام المتهدمة، فتوصلت بهذه الصورة الى معرفة مخطط القصر الاصلي وتقسيماته الداخلية، معرفة اكيدة .

كانت القلعة في العهد العثماني ثكنة للمدفعية، وهذا القسم منها كان مذكراً للعتاد الحربية . ولا شك في ان استعمال البناية لمثل هذه الغاية كان قد استلزم سد بعض الابواب والمنافذ القديمة، تارة بالآجر والجص، وطوراً بالآجر والطين، واستحداث بعض الابواب والمنافذ عن طريق ثقب الجدران القديمة، تارة بصورة منتظمة، وطوراً بصورة غير منتظمة - كما كان استلزم تشييد بعض الجدران والقبب الجديدة - بعضها مستند على اساسات قديمة، وبعضها مشيد على اسس جديدة فتشابه "القديم" و"الحديث" في البناية تشابكاً عجيباً، فتباعد المجموع عن هيأته الاصلية تباعداً كبيراً .

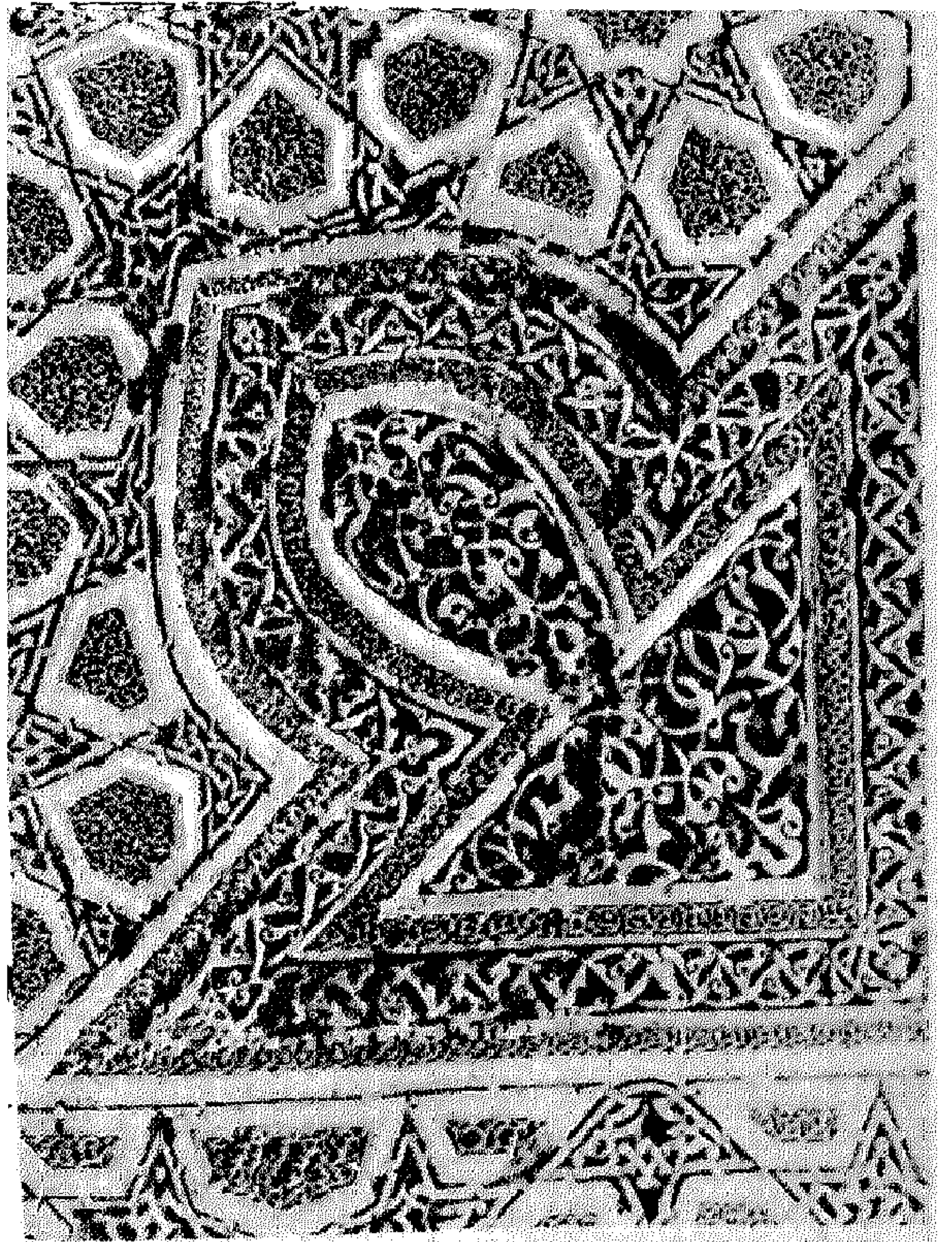
فقد تبين خلال اعمال الصيانة التي قامت بها دائرة الآثار القديمة، ان المباني الموجودة كانت محصول ثلاثة ادوار اساسية، تفصل بين الاول والاخير منها مدة لا تقل عن سبعة قرون:

- (أ) الايوان وغرف وقاعات القصر الاصلية .
- (ب) البرج المستحکم الذي شيد - على ما يظهر - بعد شيوع استعمال المدافع، والالات النارية .

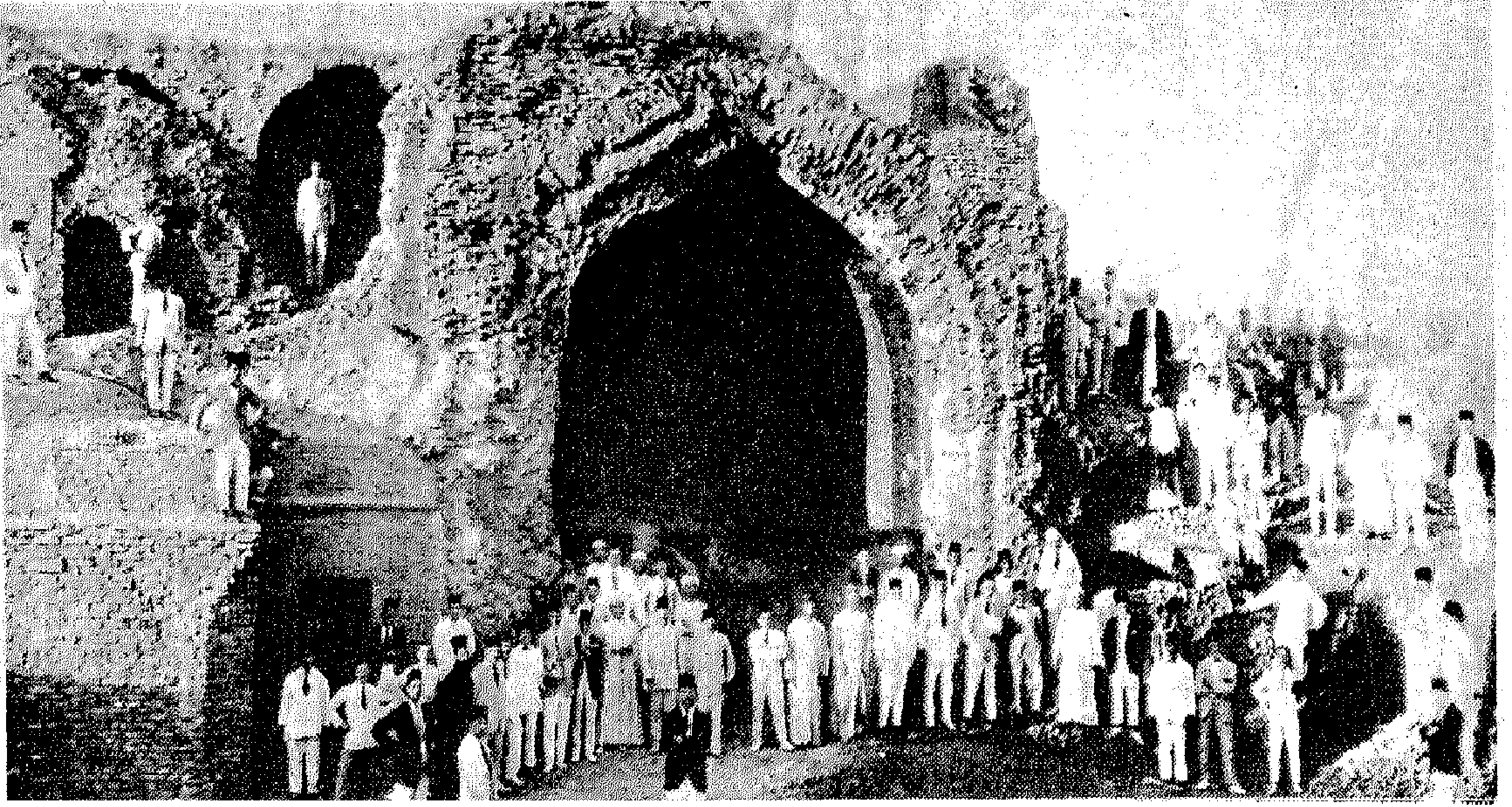


تفاصيل زخارف الرواق

تفاصيل الزخارف







منظر عام لالايوان ( سنة ١٩٢٣ )

الباب المذكور كان مدخل القصر، من جهة الشط. فالداخل الى القصر من هذا الباب، كان يجد نفسه امام "ما بين" مزخرف، فكان يستطيع ان ينتقل من الما بين الى القاعات الخلفية، او الى الرواق المحيط بالصحن، كما كان يستطيع ان يصل الى الايوان نفسه، تحت ظلال هذا الرواق.

### تقسيمات القصر

#### ١ - الايوان

ان ابرز واهم اقسام القصر، هو "الايوان"، وهو بمثابة "قاعة كبيرة" مفتوحة من جهتها الامامية فتحة تامة. يبلغ عرض هذا الايوان نحو خمسة امتار، وطوله ثمانية امتار ونصف، واما سقفه البياضي، فيرتفع عن الارض اكثر من تسعة امتار. والقسم الاعلى من جدران هذا الايوان مستور بزخارف بديعة، حتى اعلى السقف. غير ان القسم المزخرف من الجدران يبرز عن اسفلها على شكل افريز جميل، يبدأ من علو ثلاثة امتار ونصف. كما ان القسم الامامي من جداري الايوان يرجع الى الوراء، نحو اربعين سنتمترا على طول متر واحد، وهذا القسم المتراجع يصعد على طول السقف، فيكون امام الايوان نطاقا منخفضا، مزخرفا بزخارف خاصة، يزيد في جمال المجموع زيادة بارزة.

(ج) المخازن والغرف والقبب التي اضيفت الى بقايا القصر في العهد العثماني، بعد التنظيمات العسكرية.

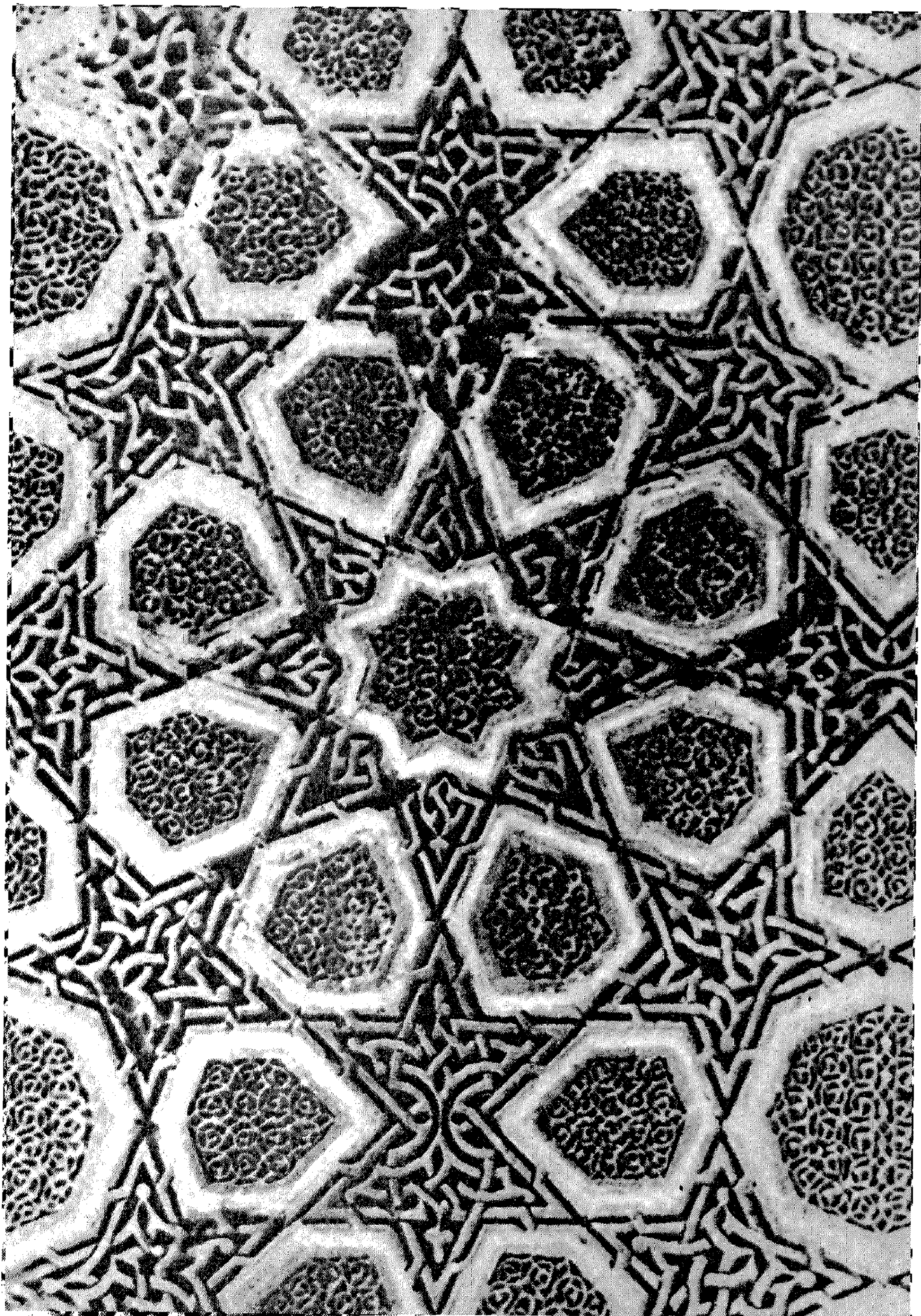
فقد هدمت دائرة الآثار جميع الاقسام المستحدثة في الدور الاخير، غير انها حافظت على البرج المستحكم، لانها تأكدت من ان بنايته قديمة ايضا، ولو كانت احدث من بناء القصر. كما لاحظت انه مشيد بصورة مستقلة عن القصر، دون ان يغير من تقسيماته واجزائه الاصلية شيئا.

ان رفع الجدران المستحدثة، وتتبع اساسات الجدران المتهمة، اظهرا بكل وضوح، ان القسم الامامي من الايوان كان ينتهي ببابين جانبيين، وان هذين البابين كانا يتصلان برواق مزخرف طويل، يدور حول الصحن، وينتهي بالحجرة المزخرفة القائمة الى الآن، والتي كانت تظهر كسرداب مظلم قبلا.

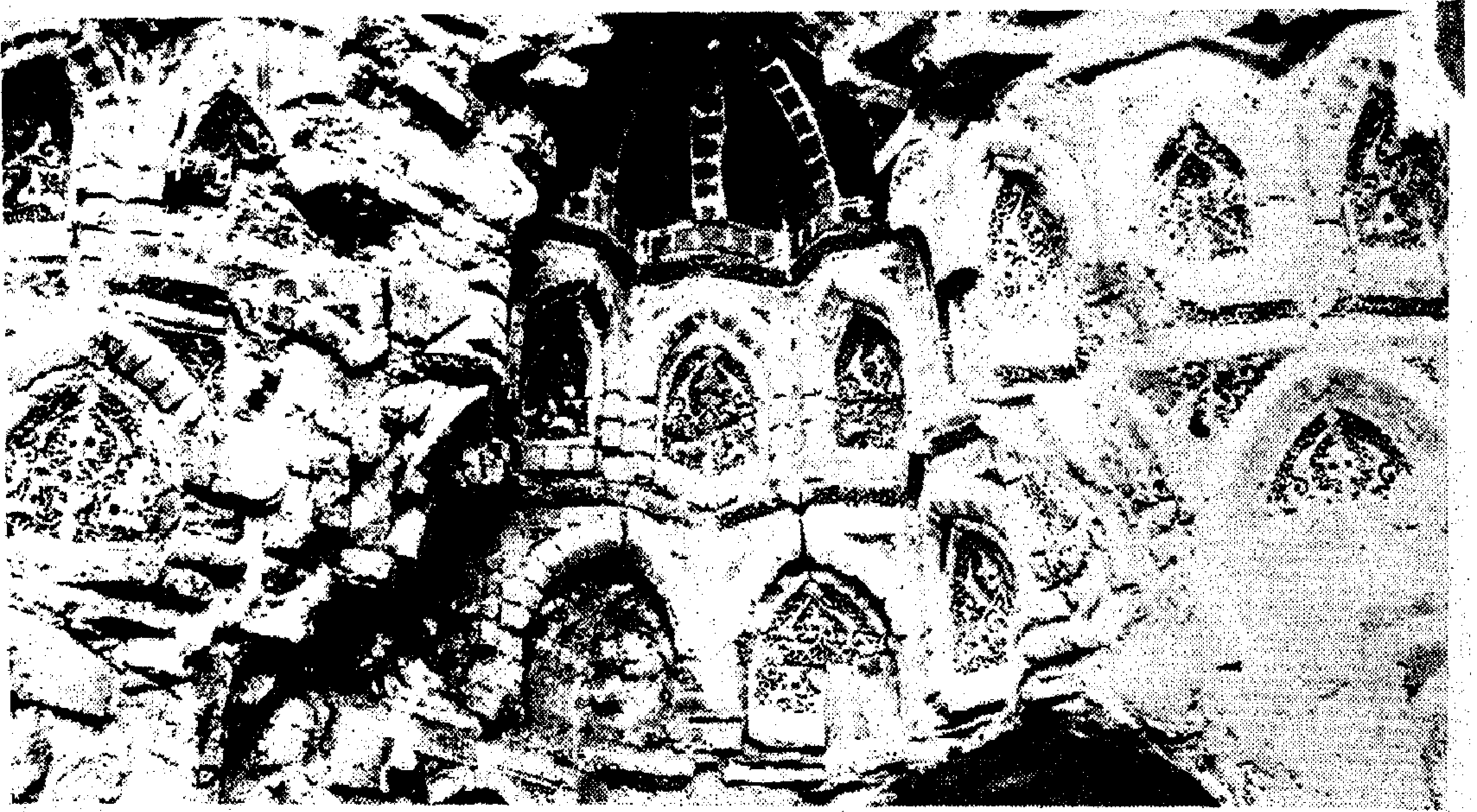
وخلال ترميم جدران هذه الحجرة المزخرفة ورفع الرقع المستحدثة فيها، ظهر في الجهة الشطية منها بقايا فتحة قديمة، لم يعرف في بادئ الامر فيما اذا كانت في الاصل محل باب او شباك، لانها كانت متصلة بجدار حديث متين، يحمل احدى القباب الكبيرة العائدة الى المباني العسكرية المستحدثة التي كانت لا تزال تحت استعمال الجيش فعلا.

فقد استحصلت الدائرة على موافقة وزارة الدفاع على هدم القبة مع الجدران التي تسندها، بالرغم من متانتها، واستفادة الجيش منها. وبعد الهدم، تبين لها بان الفتحة المذكورة كانت بابا، وان









بقايا رخارف على جدران الرواق (في الزاوية الشرقية الجنوبية)

فكان يستند على ثمانية اعمدة، يبلغ ثخن كل واحدة منها (١٠٥) متراً، والفاصلة بين كل اثنين منها متران، والبعد بينها وبين جدار الغرف الامامي في الطابق الارضي (١٠) متراً.  
ان سلسلة هذه الغرف السبع، تنتهي في طرفيها بمجازين جانبيين (عرض كل منهما ١٧٠، طوله وارتفاعه ٨٦ امتار).

وهذان المجازان يتصلان بدھليز طويل ومرتفع، يمتد خلف سلسلة الغرف، متوازيًا ومتناظراً للرواق الذي امامها (عرض الدھليز ٢٨، طوله ٢٦٧، ارتفاعه امتار).

ويقوم خلف هذا الدھليز الطويل اربع قاعات كلها مرتفعات.

وعدا ذلك كله، فان المجاز الجانبي الذي يقع في الجهة الغربية من هذه الغرف، يتصل بدھليز مزخرف، ذي ثلاثة اضلاع، يحيط بحجرة مزخرفة، من جهاتها الثلاث. ولهذا الدھليز خمسة ابواب.

### مواد البناء وطرز البناء

ان جميع اقسام البناء مشيدة بالآجر (الطابوق) حتى ان الطوق والسقوف ايضاً معقودة بها.

وهذه العقادات مشيدة على احد الشكليين التاليين بوجه عام:

(أ) الشكل المعروف بين البنائين باسم "الدور"، والذي يشبه مقطع نصف البيضة.

والزخرفة التي تستر هذا النطاق الامامي، تنزل الى ما تحت مستوى الافريز الذي ذكرناه آنفاً، حتى تتصل بطاقيين صغيرين، يعلوان بابين جانبيين، يكونان بمثابة قاعدتين لهذا النطاق المزخرف.

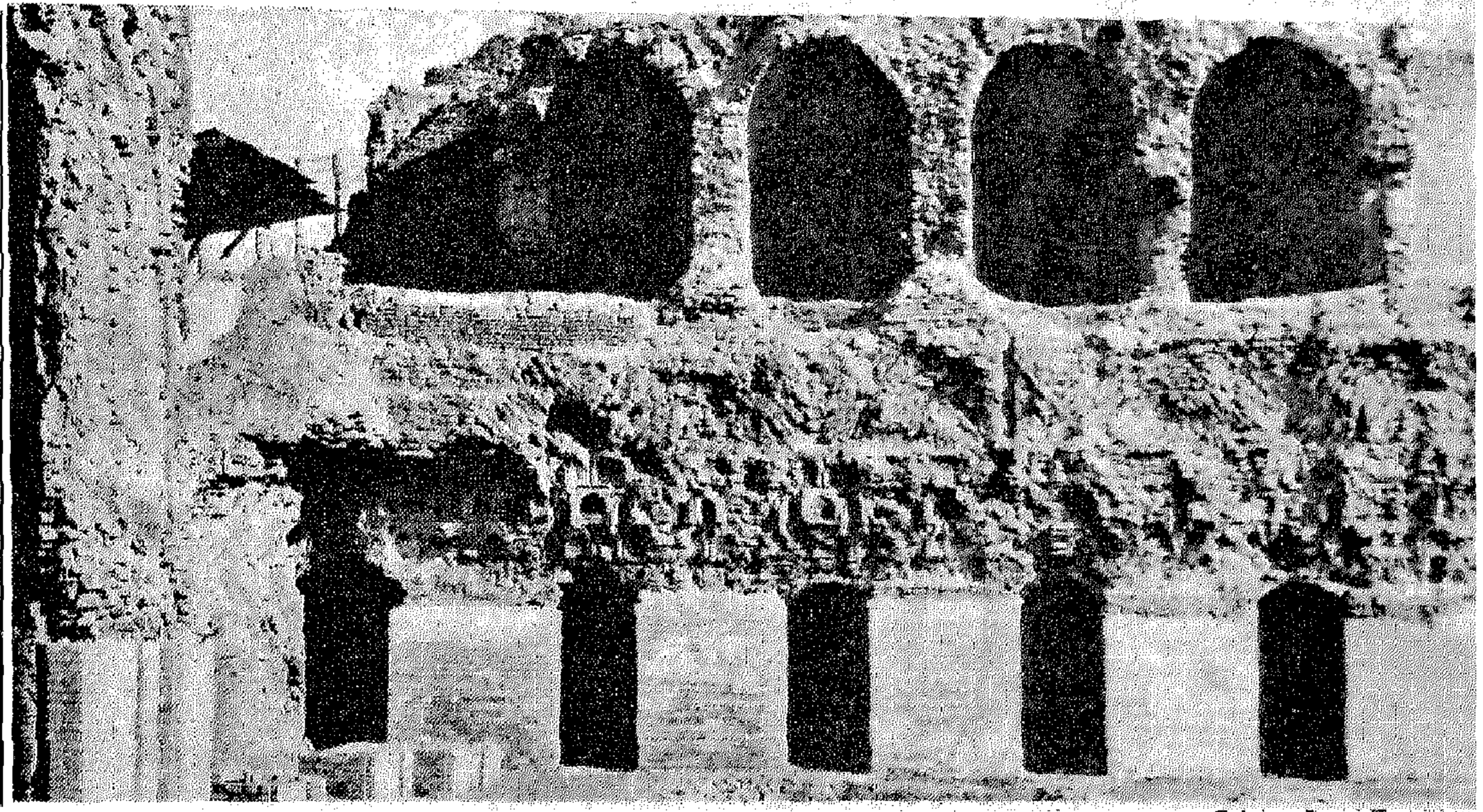
### ٢ - الصحن الرواق

ان فتحة الايوان البديع تتصل بصحن مستطيل قليلاً، (طوله ٢١٥ وعرضه ٢٠ متراً)، كان هذا الصحن محاطاً برواق ذي طابقين، كانت تنفتح وراء طوق هذا الرواق ابواب الغرف، من ارضية وفوقانية، غير انه في بعض الجهات، يتحد الطابقان لتكوين قاعات مرتفعة، مثل الايوان.  
ان اكثر الاقسام القائمة الان تقع في الجهة الجنوبية من القصر وتعود الى الضلع الجنوبي من الصحن، واما البعض منها فتقع في الجهة الشرقية منه.

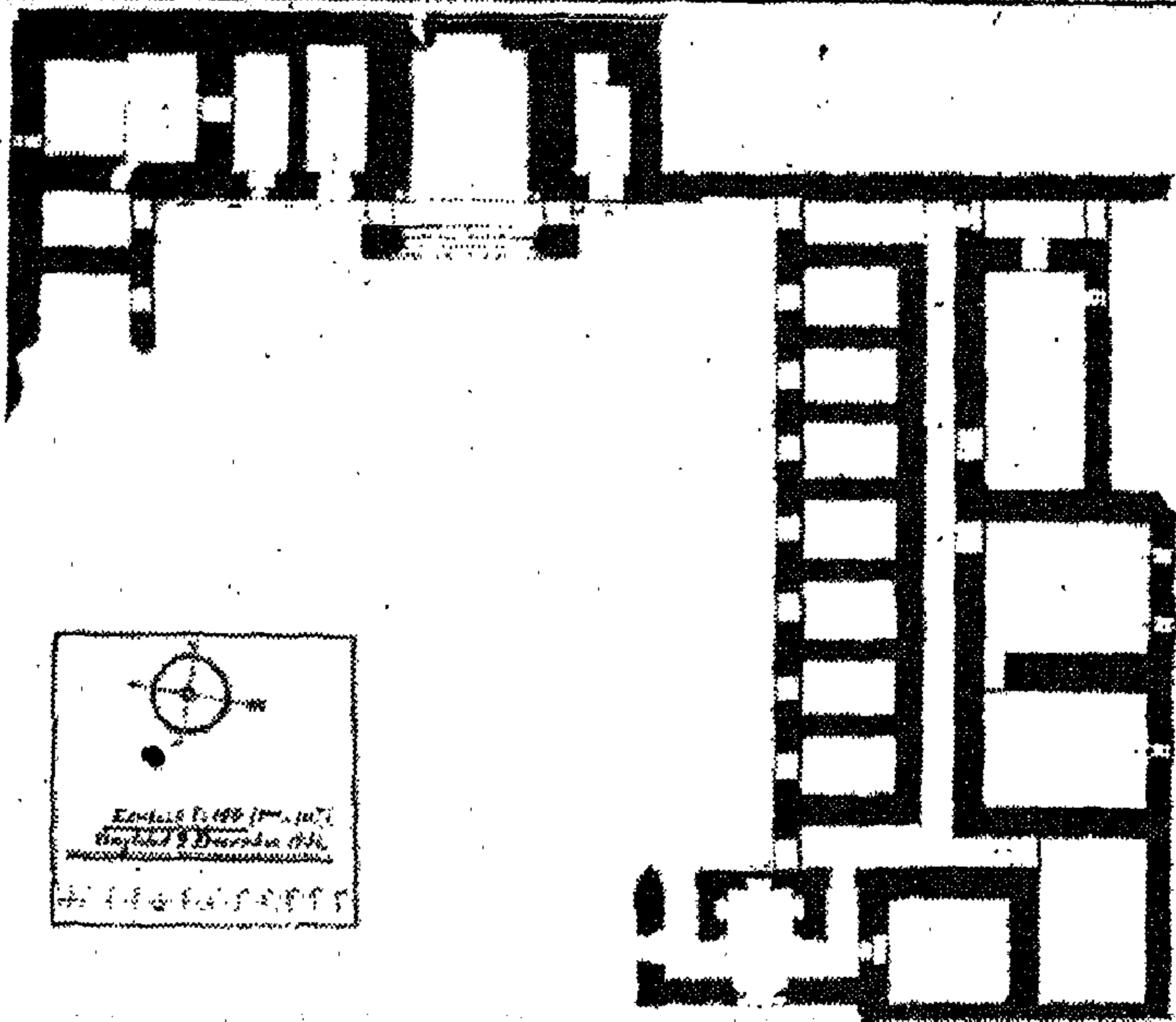
### ٣ - الضلع الجنوبي

يتألف القسم الجنوبي من سبع غرف صغيرة (عرضها ٢٣٢ طولها ٢٨)، وكان يعلو كل واحدة من هذه الغرف غرفة فوقانية، جدران وسقوف الاربعة منها لا تزال قائمة الى الآن.  
واما الرواق الذي كان يتقدم ابواب هذه الغرف،





منظر مأخوذ بعد أعمال الترميم والصيانة ( الجبهة الجنوبية )



مخطط بقايا القصر بعد رفع المبانى المستعدة



(ب) الشكل المعروف بين البنائين باسم "المدني"، والذي يشبه مقطع سلة مسطحة القعر، مقوسة الجانبين.

ان سقف الايوان وسقوف المجازات كلها من النوع الاول، واما سقوف الفرف والقاعات، فجميعها من النوع الثاني.

ان اكبر الطوق المعقودة على الشكل الاول، يشاهد في الايوان، اذ ان هذا الطاق معقود على جدارين، يبعد احدهما عن الاخر نحو خمسة امتار.

واما اكبر السقوف المعقودة على الشكل الثاني، فيشاهد في قاعة اخرى الى جانبها، اذ ان سقف هذه القاعة، يعلو فوق جدارين، يبعد احدهما عن الآخر، نحو (٢١) ٥ امتار. واما عقود الابواب، فانها تجمع الشكلىين بوجه عام، اذ ان كل باب يتألف من طاقين: الخارجي منهما على شكل "الدور" والداخلي منهما على شكل "المدني".

واما عقادات الرواق، فلا شك في انها ايضا كانت تجمع الشكلىين: اذ كان يوجد امام كل باب قبة مقعرة، وكان يمتد بين كل قبتين متواليتين سقف مسطح منخفض. وكانت تتصل هذه القبة والسقوف، بطوق الابواب وجدران الرواق، بواسطة سلسلة من المقرنصات.

### الزخارف

ان الزخارف التي كانت ولا تزال تزين جدران وسقوف بعض اقسام البناء ايضا مصنوعة من الآجر.

والدقة والكثرة التي تمتاز بها هذه الزخارف حملت بعض العلماء على الاعتقاد بانها مصنوعة من الجص والستوك، ومصبوبة بواسطة قوالب

خاصة، غير ان التدقيقات الواقعة لم تترك مجالا للشك في ان هذه الزخارف كلها من الآجر بدون استثناء.

ان جميع تلك السقوف والسطوح والمقرنصات المزخرفة، تتكون من تلاصق قطع من الآجر، مختلفة الاشكال والحجوم، كل واحدة منها محفورة ومنقوشة.

ان معظم قطع هذا الآجر الزخرفي مسطحة، غير انها تلتحم بعضها مع بعض بواسطة قطع رقيقة، تقع زخرفتها على ثخنها لا على سطحها العريض. وكثيرا ما تبرز حافات هذه القطع الرقيقة عن سطوح القطع التي تقع بينها مما يجعل الزخارف كثيرة النتوء، كأنها محفورة في الخشب الى اعماق مختلفة.

وتكون هذه القطع في بعض الجهات منحنية السطوح، تقع نقوشها على سطوحها المقعرة. والدقة المبدولة في هذه الزخارف - علاوة على تنوعها - تكسب هذا القصر، مكانة فنية خاصة، باعتبار زخرفة البناء.

توجد في اقطار العالم المختلفة، قصور كثيرة، عربية وغير عربية، مزدانة بزخارف بديعة، مصنوعة من الحجر او الخشب، مكونة من الجبس او الزلاخ (الكاشاني)، غير انه لا يوجد قصر او معبد بلغت فيه "الزخرفة بواسطة الآجر" الى هذا الحد من "التنوع في الفروع مع البداعة في المجموع".

فيمكننا ان نقول: ان ما تبقى من القصر العباسي في بغداد، يمتاز بهذا الاعتبار عن جميع المباني المملوكية، في العراق وفي خارج العراق، فانه تعد من اهم المباني الاثرية، لانه حس "الدرجة القصوى" التي وصل اليها فن البناء في "زخرفة الآجر".

## آراء في التاريخ

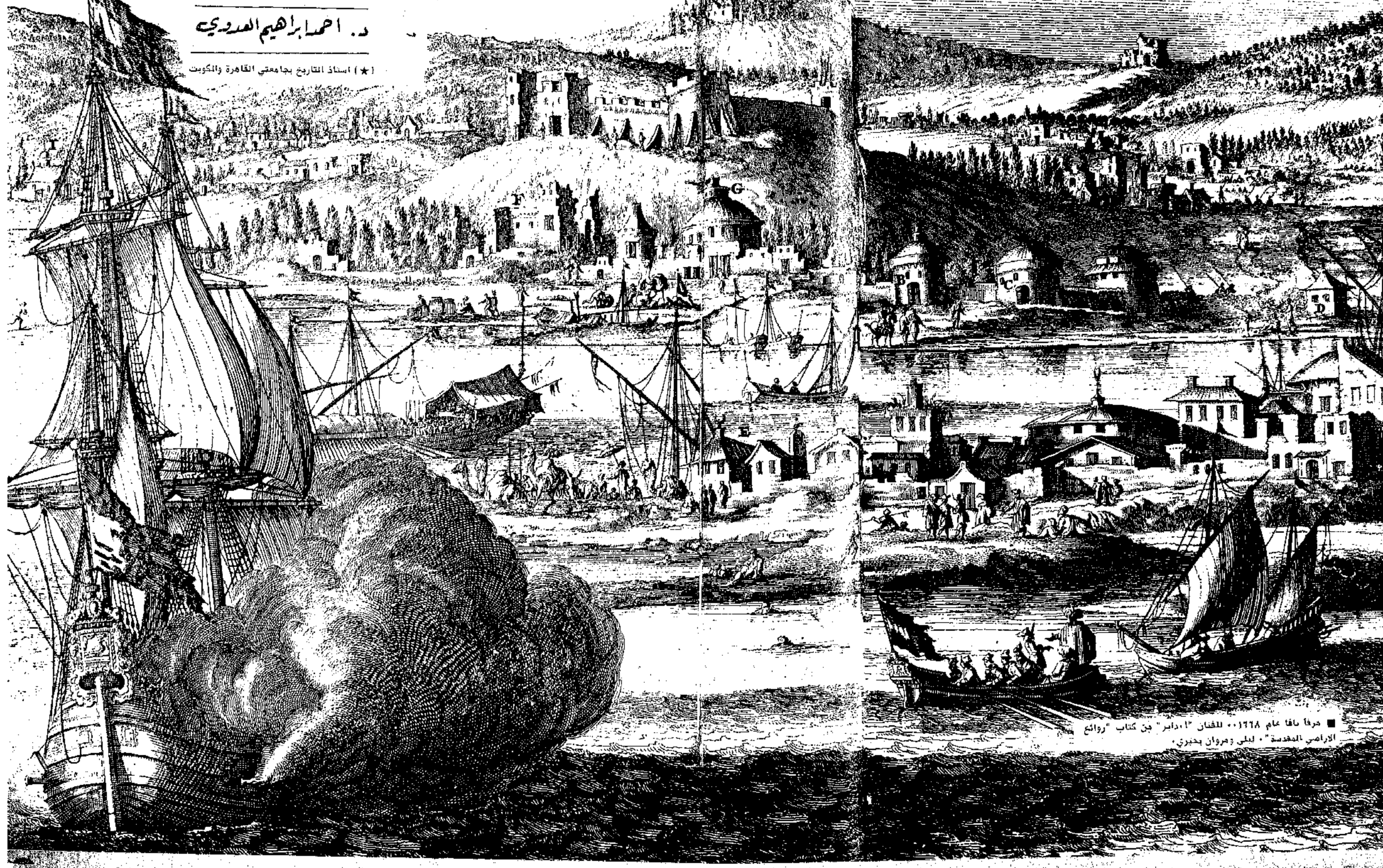
- حكاية معارك وأحداث تتعلق بالشعوب، خاصة، وبالانسانية، عامة، "ليترية"
- هو علم الأشياء المتميزة، "ليبنيتز"
- هو علم الأشياء التي لا تعاد أبداً، "ب. فاليري"
- هو التوفيق بين القوانين والصدفة، "أ. شولجين"
- إن أولى أسس التاريخ كله، هي تلك الحكايات التي تنقل من الآباء الى الأبناء، ومن ثم، من جيل الى جيل آخر، "فولتير"
- التاريخ الحقيقي ليس هو تاريخ وجود الجبهات أو عدمه، بل هو تاريخ الحضارة، "ر. كروسيه"
- كيف نكتب التاريخ
- التاريخ ليس فناً، انه علم صرف، "فوستل دو كولانج"
- التاريخ ليس علماً سهلاً، ان الشيء الذي يدرسه معقد جداً: فالمجتمع البشري جسم، لا يمكننا ان نفهم وحدته والتناسق فيه الا بعد ان ندرس، تدريجياً وعن قرب، كل عضو فيه يعطيه الحياة، "فوستل دو كولانج"
- التاريخ فن، وايضاً علم، "تين"
- التاريخ ليس علماً، انه فن، لا لنجح فيه الا بالتخيل، "أ. فرانس"
- التاريخ الحقيقي هو تاريخ العادات والشرائع والفنون وتقدم الفكر البشري، "فولتير"



# سيرة العرب على البحر المتوسط محطة الحارة مصر والسكك الحديدية

د. احمد ابراهيم العدي

(\*) استاذ التاريخ بجامعة القاهرة والكويت



مرفأ ناغا عام ١٦٦٨... للفتان "ادبر" من كتاب "روائع  
الاراضي المقدسة" - ليلي ومروان بخيري.



## البحر المتوسط خط الدفاع البحري

يعتبر القرن التاسع الميلادي نقطة تحول كبرى في تاريخ العرب السياسي والحضاري، إذ خرجوا في ذلك القرن من موطنهم الأصلي في شبه جزيرة العرب حاملين راية الاسلام الى جيرانهم من الامم . وقد بهر العرب أنظار العالم إذ ذاك بحماستهم الشديدة في نشر الدين الجديد وسرعتهم الخاطفة في الاستيلاء على أهم بقاع العالم القديم الممتدة من نهر الفرات الى وادي النيل .

على أن الدهشة التي أثارتها موجة الفتوحات العربية في القرن السابع الميلادي لم تلبث أن تضاءلت أمام ما أظهره العرب من وعي بحري واضح في تلك الفترة المبكرة من تاريخهم السياسي، وقدرتهم على ركوب سفن البحار بنفس المهارة التي قادوا بها سفن الصحراء عبر الكثبان والرمال ولم ينل العرب تلك المكانة في عالم البحار عن طريق الصدفة أو تقدير المقادير، وإنما وصلوا الى مصاف الامم البحرية الكبرى التي عرفها البحر المتوسط عن طريق التجارب المضنية وتجنب الأخطاء التي وقع فيها من سبقهم من أصحاب السلطان على شواطئ ذلك البحر .

وكانت تتردد في أذان العرب غداة استيلائهم على الشام ومصر في النصف الاول من القرن السابع الميلادي المحنة القاسية التي نزلت بالفرس بسبب إهمالهم لشؤون الاسطول في البحر المتوسط، ذلك أن الفرس كانوا قد استولوا على الشام ومصر سنة ٦١٤م أي قبل الفتح العربي لهذين القطرين بنحو عشرين سنة تقريباً، وتمادت بهم الآمال الى الاستقرار على شواطئ البحر المتوسط (١) .

ولكن غاب عن الفرس أن الروم أصحاب السيادة على البحر المتوسط لن يقضوا الطرف عن أغنى أقاليمهم وهما الشام ومصر، وأنهم لا بد قائمون بحركة استرداد لمكانتهم في شرق البحر المتوسط واستطاع الروم فعلاً استعادة سيادتهم البحرية بفضل تقوية أسطولهم في البحر المتوسط والاستفادة من إهمال الفرس لشؤون شواطئ الشام ومصر، وافتقارهم الى أسطول يحمي تلك الشواطئ كذلك .

وتجلت أهمية الأسطول لكل من يرغب في السيادة على البحر المتوسط وتدعيم أقدامه على شواطئه حين ظهر الامبراطور هرقل على مسرح دولة الروم، وأخذ يعبئ قواتها البحرية لطرد الفرس من الشام ومصر، إذ أعد الامبراطور هرقل حملة أقلتها سفن الروم من المعاصرة "القسطنطينية"، وأبحرت مباشرة الى شواطئ الشام الشمالية، ثم نزلت قوات الروم في المنطقة الممتدة بين شمال الشام ومنطقة قليقية من آسيا الصغرى لتتجنب الاصطدام المباشر بقوات الفرس البرية، التي انتشرت طلائعها في آسيا الصغرى (٢) .

وأتت سياسة هرقل البحرية ثمارها في انقاذ دولة الروم، واسترداد الشام ومصر في سهولة ويسر، إذ ظن الفرس أن نزول قوات الروم في شمال الشام مناورة حربية من هرقل لتطويق جيوشهم في آسيا الصغرى، ثم اندفاع تلك القوات مباشرة الى المدائن عاصمة فارس، والاستيلاء عليها في غيبة القوات الفارسية المبعثرة في بلاد شرق البحر المتوسط، ولذا سحب الفرس قواتهم على عجل من الشام ومصر، وعادوا الى بلادهم للدفاع عن عاصمتهم "المدائن"، وسار هرقل في اثر القوات الفارسية مستعيداً سلطان بلاده على هذا الشطر الهام من البحر المتوسط بفضل حملة بحرية واحدة (٣) .

ولكن قبل أن يسترد هرقل أنفاسه، وينعم بثمار انتصاره انطلق العرب سنة ٦٣٢م من شبه الجزيرة العربية حاملين راية الاسلام، واستولوا في سهولة وسرعة فائقتين على الشام ومصر، وبهذا الفتح العربي استهل البحر المتوسط صفحة جديدة من تاريخه الطويل، ذلك أن سيادة الروم البحرية وجدت في العرب منافساً خطيراً تذن بانتهاك اسمهم الذي لصق طويلاً بالبحر المتوسط، حيث عرف أجيالاً وقروناً عدة باسم "بحر الروم" .

ويرجع الفضل في تجنب العرب للكارثة التي حاقت بالفرس الى سياستهم البحرية الواقعية، التي اتسمت بابتعادها عن الارتجال، ذلك أن العرب ما كادوا يسيطرون على شواطئ البحر المتوسط الممتدة من جبال طوروس شمالاً الى حدود برقة غرباً حتى أحسوا عظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم وضرورة تأمين تلك السواحل، فعمدوا أولاً الى تحصين الثغور البحرية وكذلك الموانئ الهامة وغيرها من المدن الساحلية التي يمكن للعدو التسلل منها الى داخل البلاد .

ويمكن وصف تلك السياسة العربية بأنها سياسة بحرية دفاعية، تستهدف تأمين الفتوحات العربية في الشام ومصر، ذلك أن العرب لم يفكروا في ذلك الوقت المبكر من فتوحاتهم في ركوب البحر المتوسط، والاقدام على المغامرات البحرية التي لا يأمنون مغبتها، ولذا اكتفوا بوضع حاميات قوية في المدن الهامة مثل اللاذقية وطرابلس وصور وصيدا وعرفة وجبيل وبيروت على الشاطئ الشامي، وفي الاسكندرية وتنبيس ودمياط والبرلس ورشيد على الشاطئ المصري، وفي ثغور بنطابلس أو المدائن الخمسة، وهي المعروفة اليوم باقليم برقة .

"وظل العرب أمناً على سياستهم البحرية الدفاعية، فكلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها ما تحتاجه من الجند، فإن حدث في شيء منها حدث من قبل العدو سربوا اليها الامداد" (٤) وتجلت تلك السياسة البحرية وقدرتها على حماية الشام ومصر حين قام الروم بأشد غارة لهم على هذين الاقليمين سنة ٦٤٥/٦٤٥م .

وكان الرأس المدبر لتلك الاغارة هو امبراطور الروم قنسطانز الثاني، الذي أراد أن يعيد بحملته البحرية قصة جده هرقل مع الفرس، إذ انتهر افتقار



مانويل على الاستيلاء على مصر. وبذلك استطاع العرب القضاء على حملة الروم البحرية، ولكن بعد عناء وتضحيات جسيمة، جعلتهم يضعون سياسة جديدة لمواجهة أساطيل الروم (٧).

### طليلة البحرية العربية

بعد انتصار العرب على الروم في الاسكندرية والشام قام نفر من زعماء العرب يدعو الى نبذ السياسة البحرية الدفاعية، لأنها لم تعد كفيلة بالمحافظة على سلامة ممتلكاتهم، وأن مقتضيات الظروف تتطلب بناء أسطول عربي في البحر المتوسط يرد عن الشواطئ العربية غائلة الروم وهي في عرض المياه، قبل مفاجأتها للسواحل. وجاءت تلك الدعوة العربية عنواناً على أن قوة بحرية جديدة حان ميعاد ميلادها، وأن البحر المتوسط يشاهد في أمة العرب مظاهر تختلف تمام الاختلاف عن دولة الفرس.

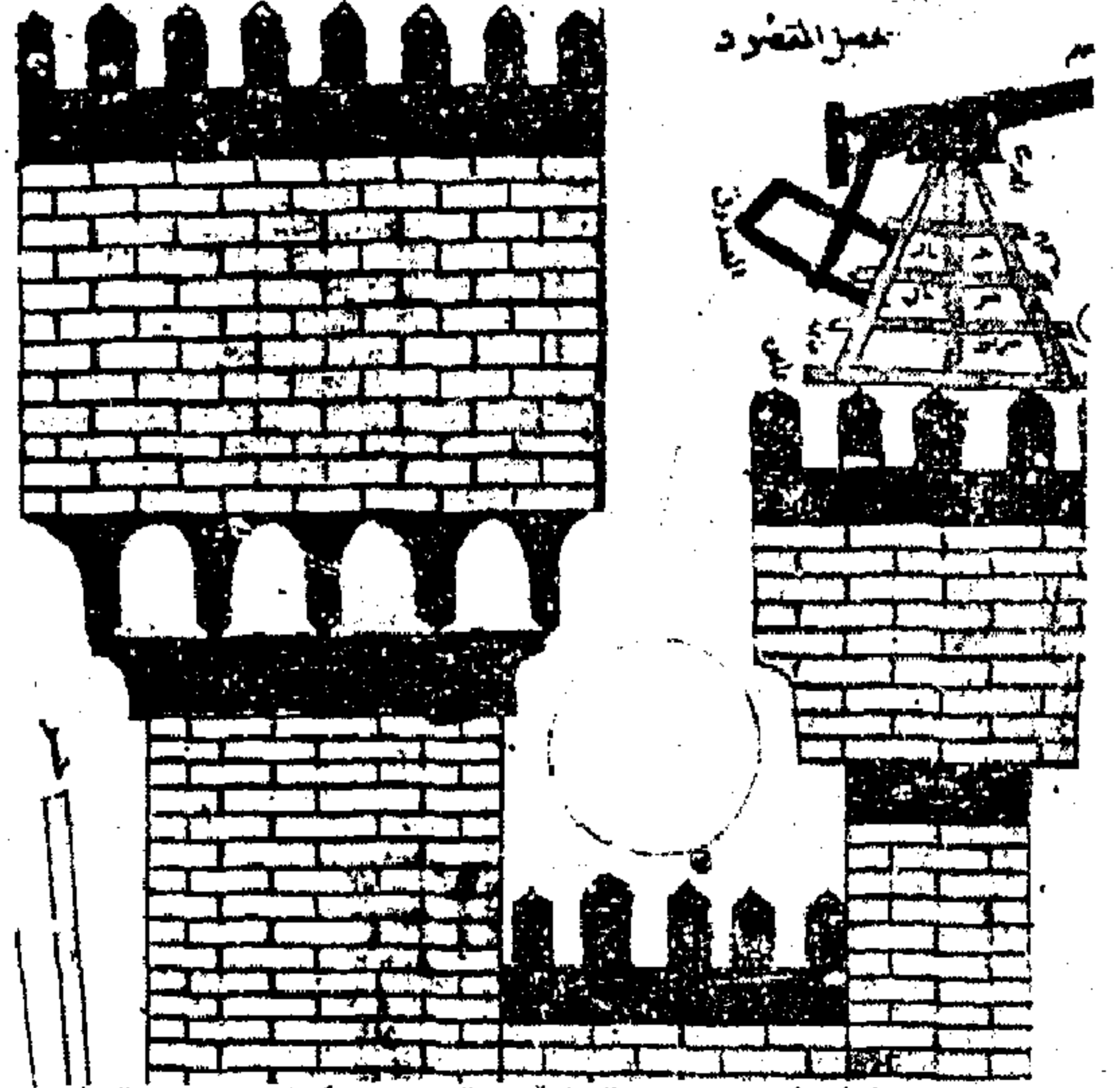
وكان صاحب الدعوة الأولى الى بناء الأسطول العربي في البحر المتوسط هو معاوية بن أبي سفيان والي الشام، زمن الخليفة عمر بن الخطاب، ثم آزره في تلك الدعوة والي مصر عبد الله بن أبي سرح، الذي خلف عمرو بن العاص على ولاية تلك البلاد، في عهد الخليفة عثمان بن عفان. ويرجع السبب في سبق معاوية في الدعوة الى ركوب البحر المتوسط، الى التجارب القاسية التي مر بها أثناء فتح اقليم الشام، مما جعل سياسة العرب البحرية الهجومية تستند الى أسس سليمة وليدة الدرس والتحصيص (٨).

وتلقن معاوية الدرس الأول في أهمية البحر المتوسط وضرورة وجود أسطول عربي في مياهه حين اضطلع بعبء فتح مدن الشام الساحلية ذلك أن اخاه يزيداً، أحد قادة العرب في الشام، قد استعصت عليه المدن الساحلية، لأنها فضلاً عن متانة حصونها ومنعتها كانت متصلة بالبحر مباشرة تتلقى منه الامداد من دولة الروم، وكذلك المؤن التي تضمن لها البقاء والمقاومة. ومن ثم ترك يزيد لآخيه معاوية مهمة اخضاع تلك المدن الساحلية وعاد الى دمشق (٩).

وجد معاوية أن خير طريقة للاستيلاء على مدن الشام الساحلية هو تشديد حلقة الحصار البري عليها، وانتهاز الفرصة المواتية لاقتحام اسوارها، لأن أسطول الروم يقف من خلف تلك المدن ويشد من أزرها. وتجلت سياسة معاوية ازاء المدن الساحلية الشامية حين اتجه الى فتح قيسارية وطرابلس الشام، وكانت المدينة الاولى قد استعصت على عمرو بن العاص نفسه، ذلك القائد الماهر الذي فتح منطقة فلسطين. اذ بعد مغادرة عمرو بن العاص فلسطين متجهاً لفتح مصر، سار معاوية الى هذه المدينة وضرب عليها الحصار.

وظل معاوية مثابراً في حصاره أمام مقاومة المدينة وعنادها، اذ كانت مثل سائر المدن الشامية الاخرى على الساحل تتلقى الامداد وآلات الدفاع من الروم عن طريق البحر، وصدت هجمات الروم

العرب الى أسطول بحري، وعمد الى مفاجأتهم في الاسكندرية والاستيلاء عليها، وجعلها قاعدة لاجراج العرب من مصر. ثم ان قنسطانز توسع في خطته البحرية بارسال حملة أخرى تغير على شواطئ الشام في نفس الوقت الذي يهجم فيه أسطولها على الاسكندرية، حتى يحول الضغط على العرب دون التعاون فيما بينهم.



من المخطوطات العربية القديمة - من كتاب البحرية في مصر الاسلامية - د. سعاد ماهر

واستطاع عمرو بن العاص مطاردة الروم من شمال الدلتا وألجأهم الى الاسكندرية التي تحصنوا بها، واستماتوا في سبيل الاحتفاظ بها. وقد نصب الروم المجانيق على أسوار الاسكندرية، وأخذوا يمتطرون العرب بوابل من القذائف، وعانت القوات العربية الكثير من المقاعب في حصارها للاسكندرية، واستبد الحنق بعمرو بن العاص حتى أقسم لئن استولى على المدينة لهدم أسوارها وجعلها كبيت الزانية يؤتى من كل مكان (٦).

وكان السبب في قوة حركة مقاومة الروم بالاسكندرية هو وجود اسطولهم في مياه الاسكندرية، يزود المقاتلين بالعدة والعتاد، ويقف حارساً حامياً لظهورهم. ومن ثم طال حصار عمرو بن العاص للاسكندرية، وكان حصاراً أشق أضنى من حصاره الأول لتلك المدينة، ولم يتمكن من اقتحام المدينة الا بعد أن أرشده أحد المصريين المواليين للعرب الى أحد الابواب الضعيفة الحراسة، واعمل السيف في قوة الروم المقيمة بالاسكندرية، والتي خر قائدها مانويل نفسه قتيلاً فيها، واستطاع الجند العرب كذلك مفاجأة سفن الروم في ميناء الاسكندرية وتدمير عدد كبير منها.

وفي نفس الوقت الذي هزم فيه عمرو بن العاص الروم بالاسكندرية كانت حاميات الشام العربية تقاوم اغارات سفن الروم على المدن الساحلية واستطاعت تلك الحاميات برغم قلة عددها أن تصد هجمات الروم وتنزل بها خسائر فادحة، وعندما جاءت الانباء بهزيمة الروم في الاسكندرية اقلعت السفن عائدة، بعد أن فشلت بدورها في مساعدة



المتوالية . وظل معاوية على حصاره لقيسارية عدة سنوات حتى تمكن أخيراً من اقتحامها سنة ٦٤٠/٥١٩م بفضل خيانة يهودي بهايدعي- يوسف . إذ أتى ذلك الرجل الى العرب ليلاً ودلهم على طريق يمكن مهاجمة المدينة منده . بعد أن أخذ منهم أماناً لنفسه وأهله . ونجح معاوية بذلك في اقتحام قيسارية التي كان لسقوطها في يد العرب فرحة كبرى عند الخليفة عمر بن الخطاب (١٠) .

وأظهر معاوية مهارة فائقة في فتح مدن الشام الساحلية حين قصد الاستيلاء على طرابلس الشام ، إذ كانت تلك المدينة تعد ميناء دمشق ومفتاح حياتها الاقتصادية ، ثم انها يزت سائر مدن الشام في حصونها ومنعتها ، حيث تمتعت بميناء عظيم اتسع لعدد كبير من السفن ، وامتازت طرابلس كذلك بأن البحر يحيط بها من ثلاث جهات ، وتصل أمواجه الى أسوارها ، على حين يحيط بسورها خندق عظيم . وزاد في منعة هذه المدينة وسهولة حصولها على الامداد وجود أربع جزر صغيرة تقع أحداها وراء الأخرى في مياه البحر القريبة منها (١١) .

وجه معاوية الى طرابلس سفيان بن مجيب الأزدي ، ووضع خطة محكمة للاستيلاء عليها تتفق وافتقار العرب الى أسطول بحري في ذلك الوقت . وكانت تلك الخطة تهدف الى تضيق الحصار على طرابلس براً ومحاولة منع وصول الامداد اليها من سفن الروم . فبنى القائد الأموي حصناً في مرج يقع على أميال من طرابلس وضيق على أهلها الخناق . ولما اشتد الحصار كتب سكان المدينة الى امبراطور الروم يطلبون منه ارسال أمداد ، أو أيفاد سفن يهربون عليها ولما لم يكن هناك مناص من التسليم ، بعث امبراطور الروم بسفن حملت الجند في جنح الليل ، وخلت حصون المدينة من المدافعين عن هذا الميناء الهام (١٢) .

وإذا كان معاوية بن أبي سفيان قد بذل في فتح المنطقة الساحلية من اقليم الشام جهوداً ذات "بلاء حسن وأثر جميل" كما شهد له بذلك قادة العرب في الشام ، فإنه خرج من تلك العمليات الحربية بنتيجة هامة ، كانت السبب الرئيسي في بناء الاسطول العربي في البحر المتوسط . فقد أدرك معاوية أن بقاء العرب واجتفاظهم بممتلكاتهم في الشام ومصر رهن بالاستيلاء على جزر البحر المتوسط التابعة للروم ، والتي كانت قواعد بحرية خرجت منها الامداد الى مدن الشام أثناء حصار العرب لها .

وبدأ معاوية يعمل على تحقيق أهدافه البحرية بعد أن انفرد بولاية الشام على عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، حتى غدت فترة ولايته على الشام الحجر الاساسي في صرح قوات العرب البحرية فيما بعد ، وفاتحة المجد البحري العربي وتجلت الخطوط الرئيسية للبرنامج البحري الذي رسمه معاوية حين أرسل الى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه في غزو جزيرة قبرص ، مبيناً شدة خطورة هذا المعقل التابع للروم على سلامة مدن الشام ، اذ جاء في خطابه : "يا أمير المؤمنين في بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم ، وهم تلقاء

ساحل من سواحل حمص (١٣) " ، ثم ختم خطابه بعد هذا الوصف الدقيق المؤثر بطلب الاذن له بغزو تلك الجزيرة .

وأراد الخليفة عمر بن الخطاب ان يعرف آراء قادة المسلمين في طلب معاوية بغزو قبرص ، ولاسيما أنه يحمل العرب على اقتحام ميدان البحر ، وفيه مخاطرة تستوجب الدرس والروية ، فضلاً عن أن هذا الموضوع الذي أثاره معاوية موضوع جديد لا بد من عرضه على كبار رجالات العرب . ووقع اختيار الخليفة عمر بن الخطاب على عمرو بن العاص ، والي مصر اذ ذاك ، لما لهذه الولاية من شواطئ على البحر المتوسط مثل الشام ، ولأنها كذلك تعرضت للاغارات البحرية التي شنها الروم على السواحل .

وجاء رد عمرو بن العاص وصفاً دقيقاً لطبيعة البحر وركوب مياهه ، وما يلاقيه المرء في ذلك من صعب . فكتب الى الخليفة : "أني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ، إن ركن خرق القلوب ، وإن تحرك أزاع العقول . . . هم فيه كدود على عود من مال غرق ، وإن نجا برق (١٤) " ولذا لم يكن عجباً أن يؤثر الخليفة عمر بن الخطاب التريث في إجابة طلب معاوية بعد أن وقف على رأي عمرو بن العاص في البحر وراكبه .

وبذلك ظهرت عدة آراء إزاء ركوب البحر المتوسط ، أحدها ينادي به معاوية ، وهو ضرورة بناء قوة بحرية تدافع عن أرض العرب في الشام ومصر ، والثاني ينادي به عمرو بن العاص ، وهو تجنب المخاطر البحرية . واعتنق الخليفة عمر بن الخطاب هذا الرأي الاخير لأنه أثر الوقوف على الحيات إزاء تلك المشكلة الخطيرة . وكان رائد الخليفة في اتخاذ هذا الموقف الحيادي هو الحرص على سلامة المسلمين ، حيث قال لمعاوية في الرد على طلبه بغزو قبرص : "تالله لمسلم أحب الى مما حوت الروم (١٥) "

ولكن معاوية لم يكن بأقل من الخليفة حرصاً على سلامة المسلمين ، وإنما كان أشد الولاة إخساساً بالخطر الذي يلوح في الأفق مهدداً ولايته بالشام وكذلك مصر ، بسبب وجود أسطول الروم قريباً من شواطئهما ، وافتقارهما الى وسائل الدفاع . وأثر معاوية أن ينفذ سياسته البحرية تدريجياً ، جرياً على ما اتصف به من دهاء وحيلة ، ولاسيما إزاء موقف كل من المعارضة والحياد الذين ظهرا بصدد رغبته في الهجوم على جزيرة قبرص . فكتب معاوية مرة أخرى الى الخليفة عمر بن الخطاب يعرض عليه سوء حال سواحل الشام وما هي عليه من خراب وافتقارها الى وسائل الدفاع القوية .

ولم يتردد الخليفة عمر في أن يطلق يد معاوية لاصلاح حال السواحل بما يراه كفيلاً بسلامتها من "مرمة حصونها ، وترتيب المقاتلة فيها ، وإقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها (١٦) " ، واستغل معاوية هذا التصريح واتخذ خطوة أساسية يبني عليها مشاريعه البحرية . فأثر أن يحصن المدن الساحلية ويزودها بالقوات المحاربة ، بما يجعلها قواعد في المستقبل تنقل منها الجنود بحراً الى أي مكان يشاء .



Le BERG CARMELI



■ جبل الكرمل ومرفأ حيفا، للفتان "أ. دابر" من كتاب  
"روائع الاراضي المقدسة" . ليلي ومروان بحيري



ووضع معاوية للمدن الساحلية نظاماً عرف بالرباط، وهو يقصد به الأماكن التي تتجمع بها الجند والركبان استعداداً للقيام بحملة على أرض العدو، واعتنى معاوية بهذا النظام حتى أصبح جزءاً مرتبطاً أشد الارتباط بالجهاد أو الحرب المقدسة. ذلك أن الرباط اجتذب إليه كل الأتقياء المتحمسين، العاملين دائماً على إعزاز الاسلام ونصرته، وكان لهذه الظاهرة السالفة أثر كبير في تكوين القوات الأولى للبحرية العربية في عهدها المبكر.

وجاء اعداد الرباط عملاً يتفق مع خطة معاوية البحرية، التي تستهدف تأمين السواحل أولاً، واعداد قواعد بحرية للمستقبل ثانياً، فكان الرباط يضم حصوناً يتجمع فيها الجند للدفاع عن المناطق المعرضة لاغارات أساطيل الروم، ولتكون ملجأً كذلك يحتمي بها الأهالي في المناطق التي يدهمها العدو، وقد خصصت حاميات الرباط لانهيار الأهالي في المناطق الساحلية بأن يأخذوا حذرهم إذا ما لاح خطر سفن الروم في المياه الإقليمية، فكان الحصن في الرباط يضم حجلات للجند ومساكن لهم ومخازن للأسلحة والمؤن، وبرجاً للمراقبة، غير أن الرباط لم تلبث أن اتسعت وازدادت أهميتها، حتى صارت قواعد للهجوم البحري وشن الغارات.

واكتفى معاوية بسياسة تقوية السواحل حتى ولي الخلافة عثمان بن عفان، إذ خطا منذئذ خطوة ثانية في متابعة سياسته البحرية، وتشجيع الناس على الخروج إلى المناطق الساحلية، لينمي عندهم ملكة ركوب البحار، وساعد معاوية على تحقيق خطته أن الخليفة أمر بمنح كل راغب في الإقامة بالمدن الساحلية اقطاعات من الأرض يستغلها ويتمتع بخيراتها، فترتب على ذلك ازدياد العمران بالسواحل، وانثيال الناس عليها للتمتع بامتيازات الإقامة بها، دون أن يابها بمخاوف التعرض لاغتيالات سفن الروم، ومما ساعد على طمأنينة سكان السواحل أن معاوية أعد جيشاً ثانياً في المدن الساحلية للدفاع عنها إلى جانب قوات الرباط، كما دأب على أخذ أرض من يتخلف عن الغزو، واعطائها للجند المقيم على حراسة السواحل أثناء الخروج للاغارة (١٧).

وتعتبر سياسة منح الاقطاعات بالسواحل الخطوة الأخيرة في سلم السياسة البحرية الدفاعية، التي رسمها معاوية قبل أن يستطيع ركوب البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان، إذ أتم بفضل هذه الامتيازات اعداد القواعد البحرية التي أنشأ فيها أساطيله فيما بعد، وكانت آية ازدهار المدن الساحلية نقل جماعات من أهالي بعلبك وحمص وأنطاكية سنة ٢٦٢/٤٤٢م إلى صور وعكا وغيرها من المدن الساحلية (١٨)، وكذلك أصلح معاوية الحصون البحرية، ولاسيما حصون عكا التي خرج منها بأولى حملاته البحرية ضد قبرص.

وفد معاوية اهتمامه إلى سائر المدن الساحلية، فمنح الجند أراضي كذلك في أنطرسوس ومرقية وبلنيس، وأهتم اهتماماً خاصاً برباط عسقلان والجند الموكلين بحمايتها (١٩)، وأخيراً جد

بعض الحصون في المدن التي خربت معاقلمها القديمة، كما فعل في مدينة جبلة، ومن ثم أتت سياسة الاقطاعات ثمارها، فعمرت الثغور البحرية لأن "الناس انتقلوا إلى السواحل من كل ناحية (٢٠)، على حد قول المؤرخين المسلمين.

وجنى معاوية ثمار هذه السياسة التمهيدية حين استطاع أن يظفر من الخليفة عثمان بن عفان بتصريح يبيح له غزو قبرص، إذ سمح له الخليفة بالقيام بالغزو البحري على شرط ألا يكره أحداً على ركوب البحر، وأن يعبى أساطيله من المتطوعة فقط، ولم يلق معاوية عناء في اجتذاب الجند الذي أخذ معه في حملاته البحرية، إذ كانت المدن الساحلية عامرة بالمغامرين وغيرهم ممن ذاقوا ثمار الاقطاعات وامتيازاتها، وتطلعوا إلى خوض غمار الميدان البحري تحت راية معاوية، مخلصين اسمهم في طبيعة الحملات الاسلامية البحرية.

وإذا كان لمعاوية الفضل في بناء السياسة البحرية التي غرست نواة القوات العربية في البحر المتوسط، فإن والي مصر زمن الخليفة عثمان بن عفان، وهو عبد الله بن أبي سرح، يعتبر الساعد الأيمن لمعاوية في مجهوداته لخلق هذه القوة البحرية، ذلك أن عبد الله بن أبي سرح خلف عمرو بن العاص على ولاية مصر، وبذلك اختفت شخصية عمرو الذي عارض في ركوب البحر.

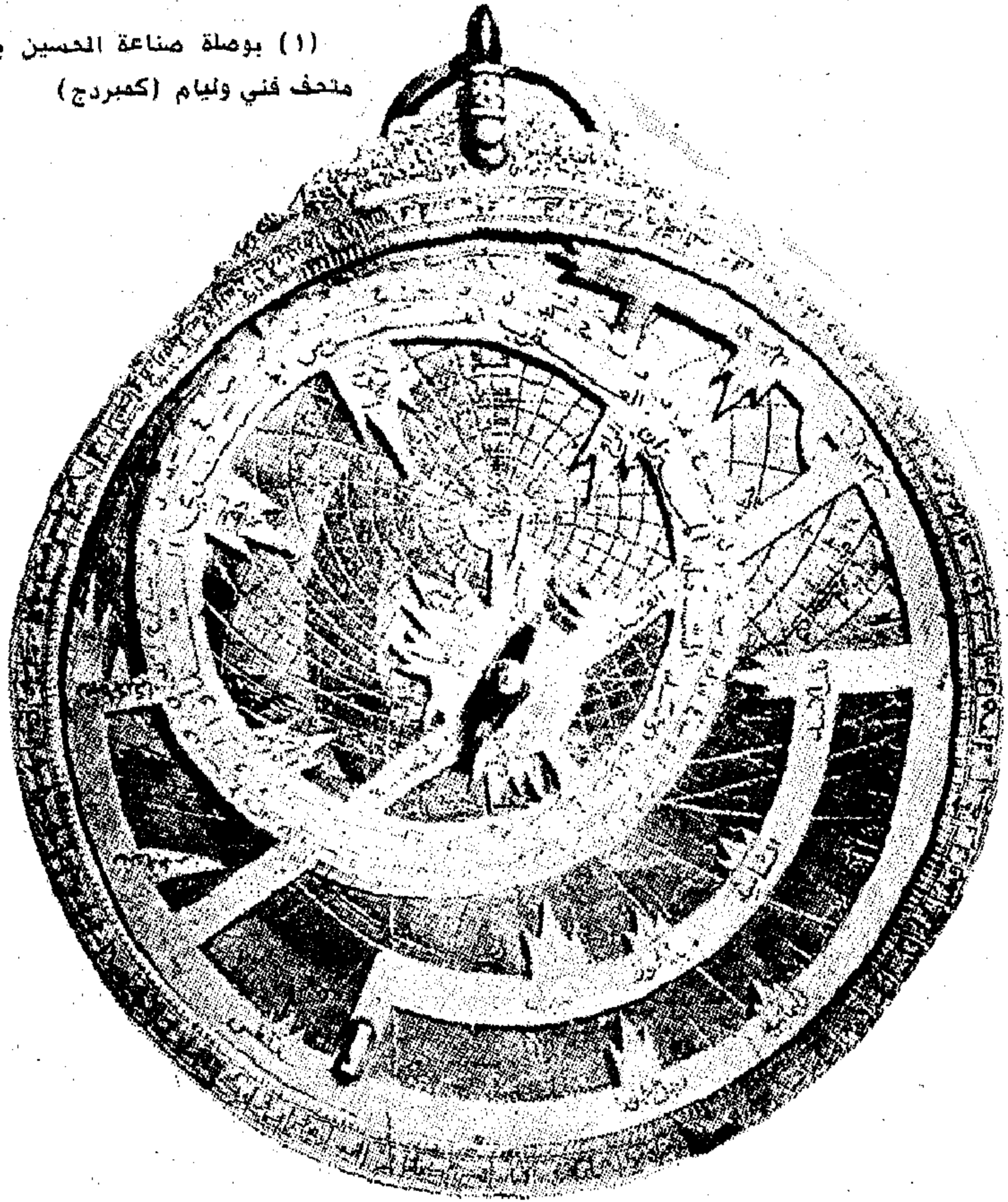
وكان عبد الله بن أبي سرح من المتحمسين لبناء أسطول عربي في البحر الأبيض المتوسط، ومن ثم وضع موارد مصر البحرية ورجالها في خدمة معاوية، والمساهمة معه في سائر الحملات البحرية التي أعدها لصد الروم، وبلغ من إيمان عبد الله بن أبي سرح بضرورة إنشاء أسطول عربي، أنه خرج بنفسه في الحملات البحرية، ليضرب المثل الأعلى لسكان ولايته على تفانيه في نصرة البحرية العربية.

وتعتبر مجهودات عبد الله بن أبي سرح الخطوة الإيجابية في بناء قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط، فإذا كان معاوية قد نفذ الخطوات التمهيدية لبناء السفن وشحنها بالمقاتلة من العرب وغيرهم، فإن عبد الله بن أبي سرح هو الذي بدأ بناء السفن الأولى التي تكونت منها نواة الاسطول العربي، ذلك أن مصر كانت أيام تبعيتها للروم، بل استيلاء العرب عليها، مشهورة بمهارة صناع السفن فيها، وكثرة دور الصناعة التي أخرجت الأعداد الوفيرة من سفن الروم، فتابع عبد الله بن أبي سرح سياسة بناء السفن في مصر، وبعث بها إلى الشام التي كانت خالية إذ ذاك من دور الصناعة.

وقد ساعدت العوامل الطبيعية على تعضيد التعاون البحري بين كل من معاوية والي الشام وعبد الله بن أبي سرح والي مصر، ذلك أن مصر فقيرة في أخشابها التي تصلح لبناء السفن على حين تكثر بالشام الأشجار التي تزود مصر ودور صناعتها بما تحتاجه من أجود الأخشاب، ومن ثم كانت مصر تستورد من الشام الأخشاب وتردها سفناً شامخة تعلي من راية العرب في قواعد الشام البحرية.



(١) بوصلة صناعة الحسين بن علي (٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م) عن  
متحف فني وليام (كمبردج)



والمقاتلة الذين عملوا في الأسطول العربي جاءوا من سكان الشام ومصر، وخاربوا جنباً إلى جنب دون أية تفرقة، وكان اعتماد العرب في تلك الفترة المبكرة من نشاط أسطولهم على أقباط مصر وسكان الشام القدامى، الذين مهروا في ركوب البحار وتدريبوا على فنون القتال فيه، ولم يسهم من العرب في تلك الحملات البحرية الأولى غير اليمينيين، ولاسيما جماعاتهم وقبائلهم التي استقرت في الشام قبل الفتح العربي، إذ أن لعرب الجنوب ماض بحري تليد، وخبرة بركوب البحار.

وبذلك جمعت العوامل الجغرافية بين الشام ومصر منذ فجر الفتح العربي لهما، وقامتا بدور مجيد في خدمة قوات البحرية العربية (٢٣).  
وفضلاً عن ذلك لم تنفك عرى ذلك التعاون البحري بين الشام ومصر الذي وضع أساسه معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن أبي سرح أيام ولايتهما لهذين الاقليمين على عهد الخليفة عثمان بن عفان.

ويعتبر هذا التعاون البحري بين مصر والشام حجر الزاوية في صرح الأسطول العربي في صدر نشاطه، والسبب في انتصاراته الباهرة التي أحرزها هذا الأسطول منذ أيامه الأولى، ثم إن التعاون البحري المصري الشامي صار كذلك النموذج الذي نهج العرب على منواله كلما اتسعت بهم الفتوح، لأنهم لمسوا فوائده وثماره الطيبة في ميدان البحار.

وظلت مصر وحدها مصدر بناء السفن العربية حتى سنة ٧٢٩/٥٤٩ م، إذ شن الروم في تلك السنة غارة شديدة على سواحل الشام. وكانت تلك الاغارة من العنف بحيث جعلت معاوية يفكر في انشاء دور لصناعة السفن بالشام نفسها الى جانب دور الصناعة بمصر، حتى يجد لديه أساطيل على أهبة الاستعداد إذا ما دمر العدو السفن الرابضة في قواعد الشام كذا أمر معاوية في نفس السنة التي حدثت فيها إغارة الروم على الشام بجمع الصناع والنجارين وإرسالهم الى عكا، التي وقع اختياره عليها لينشئ بها أول دار لصناعة السفن بالشام. وكانت عكا تستطيع الحصول على ما يلزمها من أخشاب لبنان، التي اشتهرت بصفة خاصة بصلاحيتهما للمجاديف (٢٣).

وبذلك استطاع دعاة الأسطول العربي أن ينجحوا في تحقيق ما ربهم بفضل مثابرتهم وتعاونهم، وخرجت طلائع الأسطول العربي الى البحر المتوسط تعلو من شأن العرب، وتعلن ميلاد مجدهم البحري.

### القيادة البحرية المشتركة

وعندما قامت في الشام دور الصناعة لبناء سفن الاسطول العربي كذلك، دخل التعاون البحري بين مصر والشام في دور جديد، ذلك ان البحارة



لِللَّهُ تَعَالَى الْبَرْقُ نَائِي

و

الْحَيَّةُ نَائِي الْوَحْدَانِي

ماذا حدث بالضبط عام ١٩٤٣ ؟  
كيف بلغ لبنان استقلاله

د . باسم الجسر



كان مجرى الحرب العالمية الثانية قد بدأ يتغير، في عام ١٩٤٢. فبعد معركة العلمين وستالينغراد كان نجم ألمانيا قد اخذ في الاقوال وكفة النصر العسكري ترجح لصالح الحلفاء. اما خطر الحرب على المشرق الاوسط فكان قد زال تماماً.

ازاء هذا التحول في مجرى الحرب، لم يعد "لفرنسا الحرة" من سبب لتأخير عودة الحياة الدستورية الى سوريا ولبنان. لا سيما وان "حكومة الجزائر" (ديغول) كانت قد وعدت لبنان وسوريا، مرتين، على لسان الجنرال كاترو، بالاستقلال التام.

وهكذا في ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٣، اذاعت "لجنة الجزائر الوطنية"، قراراً يقضي باعادة الحياة الدستورية الى لبنان وكلفت الجنرال كاترو باتخاذ التدابير اللازمة لتنفيذ هذا القرار.

طلب الجنرال كاترو من الحكومة اللبنانية التي كان يرئسها الفرد نقاش بلقب رئيس للجمهورية ويشاركه الحكم فيها سامي الصلح، بلقب رئيس وزراء، ان تقدم استقالتهما. فرفض الرئيسان نقاش والصلح تقديم استقالتهما متذرعين بالوعود التي كانت فرنسا قد اعترفت بموجبها باستقلال لبنان، ووعدا بأنهما سيقدمان هذه الاستقالة لمجلس النواب الذي سوف ينتخب. الا ان الجنرال كاترو لم يأخذ اعتراضهما بعين الاعتبار، بل اصدر قراراً بأقالتهما وبتعيين حكومة برئاسة الدكتور ايوب ثابت، الذي أعطي ايضاً لقب رئيس الدولة.

وصدر قرار آخر باعادة العمل بالدستور الذي كان قد اوقف العمل به منذ عام ١٩٣٩، شرط ان يبدأ العمل به، بعد انتخاب مجلس للنواب ورئيس للجمهورية.

بعد صدور هذين القرارين دخلت البلاد في حمى الاستعداد للانتخابات النيابية، لا سيما وان مصير لبنان الوطني والسياسي وعلاقته بفرنسا كانا مرهوبين بنتائجهما.

ولعل اهم ما حفلت به تلك الفترة الصراع الخفي، السائر بين اركان البعثة البريطانية في بيروت التي كان يرئسها الجنرال ادوار سبيرس ومساعدته فيها الكولونيل فيرلونغ ويقوم بدور بارز فيها المستشار الشرقي، مارون عرب، وبين اركان المندوبية الفرنسية التي كانت تضم اجهزة الانتداب التي كانت لا تزال مهيمنة رسمياً وفعلياً على قطاعات عامة وخاصة هامة.

انقسم السياسيون الى فريقين: فريق استقلالي، عربي المولاء بريطاني الهوية، وفريق استقلالي، ضئيل الانفتاح على العرب وفرنسي الهوية. كان الشيخ بشارة الخوري يتزعم الفريق الاول واميل اده، الفريق الثاني. وبالرغم من ان جميع مرشحي الفريق الاول لم يكونوا اعداء لفرنسا او من دعاة العروبة. ولا جميع مرشحي الفريق الثاني، اعداء لبريطانيا او للعرب، الا ان ظروف المعركة الانتخابية جعلت كل فريق يعتمد على احدي

الدولتين المتنافستين ليحقق غايته في الفوز. وحقيقة الامر أن الاستقلال كان مطلباً سياسياً عاماً اجماعياً في لبنان منذ عام ١٩٤١، لا سيما بعد اندحار فرنسا عسكرياً امام ألمانيا. ولكن دخول الجيوش البريطانية مع قوات فرنسية ديجولية الى لبنان وسوريا عام ١٩٤٢، حول هذه الامنية الى تيار سياسي اشترك فيه سياسيون مسلمون ومسيحيون ممن سبق لهم الاشتراك في الحكم اثنان عهد الانتداب او عارضوا الانتداب والدولة اللبنانية.

يشهد على ذلك الاجتماع الذي عقد في بكركي في يوم الميلاد ١٩٤٦ حين امتت وفود شعبية، على رأسها مسلمون ومسيحيون، مقر البطرك الماروني في بكركي لتهنئة البطرك بعيد الميلاد، فتحول الاجتماع الى مؤتمر صدر عنه، بيان يطالب بالاستقلال التام.

### السياسة البريطانية

كانت السياسة البريطانية في المشرق الاوسط تقضي بأن تستقل الدول العربية بعد انتهاء الحرب وان تنظم في "رابطة" او "جامعة" او كان انطوني ايدن، وزير الخارجية البريطاني آنذاك، قد صرح بهذه الخطة في خطاب له في مجلس العموم. ولذلك التقت الحركات الوطنية العربية يومذاك مع السياسة البريطانية. وكان المتحمسون لهذه السياسة الاستقلالية العروبية التي رسمتها بريطانيا، الكتلة الوطنية في دمشق وعلى رأسها شكري القوتلي وسعد الله الجابري وجميل مردم. كذلك كان النحاسي باشا وحزب الوفد في مصر، بالإضافة الى نوري السعيد والامير عبد الله في الاردن. وكان من الطبيعي أن يتأثر قادة الحركة الوطنية العربية في لبنان بهذه السياسة وفي مقدمتهم رياض الصلح وعبد الحميد كرامي وغيرهما.

غير ان الامر كان مختلفاً بالنسبة للاوساط المسيحية. ذلك ان الحرب واندحار فرنسا كانا قد احداث نوعاً من الخل بالنسبة لموقف المسيحيين من الاستقلال. فمشروع المعاهدة اللبنانية - الفرنسية، عام ١٩٣٧، الذي لم يصدق عليه المجلس النيابي الفرنسي، كان يشكل في نظر المسيحيين، بوجه عام الحل الامثل الذي يوفق بين امنية الاستقلال وامنة الحماية الفرنسية. اما وقد طويت المعاهدة، تحولت فرنسا بعد انكسارها الى دولة ثانوية بالنسبة للولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا، واما وقد برزت الدعوة البريطانية للمناداة باستقلال الدول العربية وتوحيد كلمتها في "جامعة" او "رابطة اقليمية" فإنه بات من الطبيعي ان يبرز في الاوساط المسيحية فريق يرى في هذا التيار الاقليمي الجديد مجالا مصيرياً جديداً يحقق ما لم تحققه المعاهدة اللبنانية -





١ - بشارة الخوري يتسلم علم الجيش من قائده الزعيم فؤاد شهاب

البريطانية، ولقد كان له اجتهاده الخاص في ما يتعلق بخدمة مصالح صاحب الجلالة البريطاني في هذه المنطقة، ولذلك لم يتقيد كثيراً بما نص عليه اتفاق ديفول - لينلتون" الذي تم في القاهرة عام ١٩٤٢ والذي اعترفت فيه الحكومة البريطانية لفرنسا "بمركز خاص" في لبنان وسوريا بعد الحرب.

كان الجنرال سبيرس يرى ان الشعبين السوري واللبناني يريدان الاستقلال والذي اعترفت به الحكومة البريطانية.

كان الجنرال سبيرس يرى أن الشعبين السوري واللبناني يريدان الاستقلال التام الناجز، وانهما يرفضان ان يقيد هذا الاستقلال بأي معاهدة مع فرنسا. والواقع ان هذا التفسير كان صحيحاً مائة بالمائة بالنسبة لسوريا، اما بالنسبة للبنان، فان الموضوعية تقضي بالقول بأن قسماً كبيراً من المسيحيين، ومن الموارد بنوع خاص، كانوا يتمنون استقلالاً مرتبطاً بمعاهدة مع فرنسا.

من هنا نشب الخلاف الحاد بين المندوبية الفرنسية والبعثة البريطانية وراحت كل منهما تشجع وتدعم فريقاً من السياسيين المتناقضين على النيابة والحكم.

لم يكن السياسيون والزعماء، باستثناء عدد ضئيل منهم، ليعلموا موقفهم الصريح من المصير

الفرنسية، وكان الشيخ بشارة الخوري هو الزعيم السياسي الذي وقع الاختيار عليه للقيام بهذا التحول السياسي الوطني بأسم المسيحيين.

كان الشيخ بشارة الخوري مهياً للقيام بهذا الدور، فأبعاده عن الرئاسة مرتين في عهد الانتداب - كان قد جعل منه زعيماً معارضاً تتقبله الجماهير الاسلامية، ثم ان البورجوازية التجارية والمالية المسيحية في بيروت (شيوخ، حلو، خطار، فرعون بسترس)، كانت قد ادركت اهمية الاسواق العربية بالنسبة لمستقبل الاقتصاد اللبناني، وكان عدد كبير من عائلاتها يرتبط بالشيخ بشارة الخوري، بصلات قرى او صداقة او تحالف سياسي. الا أن الدور الكبير في اتصال الشيخ بشارة الخوري بالقوى الوطنية العربية، في دمشق والقاهرة ولتجميع البورجوازية المسيحية حوله، كان للجنرال ادوار سبيرس، المندوب البريطاني في بيروت.

وهنا لا بد من الاشارة الى سبب آخر من اسباب حماس الجنرال سبيرس الشخصي للاستقلال اللبناني ولمعاداته للسياسة الفرنسية.

لم يكن الجنرال سبيرس موظفاً دبلوماسياً عادياً بل كان نائباً بريطانياً وعضواً نافذاً في الحكومة

اللبناني، في برامجهم الانتخابية، فكل كانوا يطلبون الاستقلال، ولكن من الواضح أن فرنسا كانت تؤيد وتدعم البعض وبريطانيا البعض الآخر. ولقد استطاع عدد من السياسيين أن يلعب على الحبلين، فيخوض المعركة، في لائحة "فرنسية الرعاية" فيما هو مقتنع بالاتجاه الآخر، والعكس بالعكس. إلا أنه من الثابت أن الحلقة الضيقة من السياسيين والمرشحين، في جبل لبنان بنوع خاص الملتفة حول الشيخ بشارة الخوري كانت واضحة الميول والاتجاهات. أما لوائح الجنوب والشمال والبقاع فقد اختلط الحابل فيها بالنابل، عند تأليفها. ولكن اتجاهها ما لبث أن اتضح قبل الانتخابات، وخصوصاً بعد ظهور النتائج.

وابان احتدام هذا الصراع البريطاني - الفرنسي من جهة واللبناني - اللبناني من جهة أخرى نشبت

رئيس المجلس النيابي سابقاً. لقد جاء هذا القرار اثر تدخل الجنرال سبيرس الشخصي ووساطة النقاس باشا، رئيس وزراء مصر، اللذين توصلا الى اقناع الزعماء المسيحيين والمسلمين بصيغة وسط تقضي بأن تكون نسبة تمثيل المسيحيين في المجلس زائدة على نسبة تمثيل المسلمين بالسدس (أي نسبة ٦ على ٥) ولا ريب في أن هذه التسوية ساعدت كثيراً على كسر جدار الحذر بين المسلمين والمسيحيين ومهدت لتبلور فكرة الميثاق الوطني والوصول الى الاستقلال التام.

جرت الانتخابات النيابية في ٢٢ آب ١٩٤٣ ففازت فيها اللوائح التي كانت تساندها السياسة البريطانية ويتفق أعضاؤها مع الشيخ بشارة الخوري والنهج الاستقلالي المنفتح على العرب والملتقي مع السياسة البريطانية: (باستثناء جبل



الخوري مع ممثل الاتحاد السوفياتي سولود

لبنان حيث فازت لائحة اميل اده بـ (١١ نائباً لقاء ٦ نواب في لائحة الشيخ بشارة الخوري). وهكذا تكرر النهج الوطني والسياسي الذي يقضي ببلوغ الاستقلال محرراً من أي ارتباط مع فرنسا.

### بشارة الخوري رئيساً

واكتمل الفوز بانتخاب الشيخ بشارة الخوري رئيساً للجمهورية، رغم كل المناورات التي قامت بها المندوبية الفرنسية للحؤول دون هذا الانتخاب (٢).

وكلف الشيخ بشارة الخوري، رياض الصلح، بتأليف الحكومة. وكان لهذا التكليف معان وأبعاد لم تخف على أحد. فرياض الصلح أمضى القسم الأكبر من حياته مناضلاً قومياً عربياً. ولم يكن قد

أزمة كان من شأنها التأثير على مصير الاستقلال لو لم يبادر اصحاب الشأن الى تلافيها.

ذلك أن حكومة الدكتور ايوب ثابت وضعت قانوناً للانتخابات ادخلت في حساب عدد النواب فيه وتوزعهم بين الطوائف، المغتربين الذين هم من اصل لبناني مما زاد في نسبة عدد النواب المسيحيين، والموارنة بنوع خاص.

اثر هذا المشروع ردة فعل قوية في الاوساط الاسلامية فتداعى الزعماء السياسيون المسلمون الى مؤتمر انعقد في ٢١ حزيران ١٩٤٣ طالبوا فيه بتعديل قانون الانتخابات واجراء الاحصاء العام للسكان والا قاطعوا الانتخابات (١).

اضطر الجنرال كاترو، تلافياً للارزمة، الى اقالة حكومة الدكتور ايوب ثابت، وتعيين حكومة جديدة برئاسة فخام ارثودوكسي معتدل، هو بترو طراد.



انتقل الى ميدان النضال الوطني اللبناني الا في السنوات الاخيرة، متبنياً الفكرة التي كان ابن عمه كاظم الصلح قد بلورها مع عدد من المثقفين الشباب، والتي سوف تبرز في صيغة "الميثاق الوطني". وخلاصتها انه لا بد من التقاء الصف الوطني العربي في لبنان مع الوطنيين المسيحيين لبلوغ الاستقلال والبقاء على وجه لبنان العربي. وكان رياض الصلح معروفاً بخصومته للانتداب الذي نفاه اكثر من مرة وحال دون دخول المجلس عام ١٩٣٧.

الف رياض الصلح حكومته من ستة وزراء اختارهم مع الشيخ بشارة الخوري، من الطوائف الست الكبرى (ماروني، سني، شيعي، ارثوذكسي، درزي، كاثوليكي)، وفي الفترة الواقعة بين ٥ ايلول ١٩٤٣، وهو يوم اعلان نتائج الانتخابات و٧ تشرين الاول ١٩٤٣، وهو يوم الغاء البيان الوزاري امام مجلس النواب، عرفت البلاد شهراً مليئاً بالاحداث والمناورات السياسية والاتفاقات الوطنية، التي سوف تطبع الحياة الوطنية والسياسية اللبنانية لمدة ربع قرن واكثر. فخلال هذا الشهر تمت اجتماعات عدة بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح جرى خلالها التفاهم والاتفاق على البرنامج الوطني والسياسي لبلوغ الاستقلال كما جرت خلال هذا الشهر الاتصالات بين العهد الجديد في لبنان والحكومات الوطنية في دمشق والقاهرة. وكان الجنرال سبيرس يلعب في هذه الاتصالات دور المرشد او العراب.

وفي السابع من تشرين الاول ١٩٤٣، القى رياض الصلح بيانه الوزاري الاول امام المجلس النيابي وسط جو من الحماس الشعبي والعنفوان الوطني، لم تعرفه البلاد من قبل. وجاء البيان، الذي يعتبره البعض احدي صيغ الميثاق الوطني والذي ايده المجلس النيابي بالاجماع (لم يتغيب سوى بضعة نواب ممن تضامنوا مع اميل اده)، مكرساً للمبادئ التي اتفق عليها المسلمون والمسيحيون، و"اللبنانيون" و"العروبيون" لبلوغ الاستقلال والسيادة الوطنية.

ما تضمنه البيان الوزاري من وعود كان لا بد له من ان يقود عملياً الى تعديل الدستور والغاء كل المواد المتعلقة بالانتداب الفرنسي منه وبالتالي استلام كل السلطات او المراكز التي كان الانتداب يمارس السلطة الفعلية بواسطتها.

وهكذا ابلغت الحكومة اللبنانية المندوب الفرنسي، المسيو "هيللو"، رغبته "في تسلم المصالح الوطنية وتحويل المندوبية الفرنسية الى تمثيل ديبلوماسي".

رفضت الحكومة الفرنسية المؤقتة، المقيمة في الجزائر آنذاك، تسليم لبنان وسوريا، المصالح والسلطات التي تمارسها فرنسا قبل توقيع اتفاق معها تحدد بموجبه بصورة عامة ونهائية العلاقات الفرنسية - اللبنانية والفرنسية - السورية. (٣).

كانت الحكومة الفرنسية بهذا الرد الذي يدل على رغبته في توقيع معاهدة مع لبنان وسوريا تحفظ بموجبه مصالحها ومركزاً لها متميزاً، وتراجع عن تسليمها بمبدأ الاستقلال التام الذي كانت قد وعدت به مراراً والذي كان لبنان قد بدأ يمارسه بالفعل. وان دل ذلك على شيء فأنا يدل على قصر نظر وخطأ في تقييم الواقع الدولي وتطور الاوضاع السياسية في هذه المنطقة من العالم.

### تعديل الدستور

وفي ٥ تشرين الثاني، نشرت الحكومة الفرنسية المؤقتة، بواسطة المندوبية الفرنسية في بيروت، بلاغاً انكرت فيه على الحكومة اللبنانية حق تعديل الدستور، من طرف واحد وبدون موافقة فرنسا.

جاء رد الحكومة اللبنانية على هذا البلاغ، عفويّاً وسريعاً. ففي اليوم ذاته الذي اذيع فيه البلاغ، عقد مجلس الوزراء اللبناني جلسة استثنائية، بدعوة من رئيس الجمهورية، وقرر احالة مشروع تعديل الدستور الى المجلس النيابي.

وفي الثامن من تشرين الثاني ١٩٤٣ وبالرغم من كل المحاولات والمناورات الفرنسية لتأجيل انعقاد الجلسة، عقد المجلس النيابي اللبناني جلسته التاريخية، كانت شرفات المجلس مليئة بالحضور وآلاف المواطنين محتشدون في ساحة البرلمان، فوافق النواب على تعديل الدستور بالاجماع، والغيت كل المواد التي فيها ذكر للانتداب الفرنسي.

● لم تمض ايام ثلاثة حتى جاءت ردة الفعل الفرنسية على هذا التحدي، عنيفة وغير منتظرة.

ففي الساعات الاولى من فجر الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩٤٣، داهمت قوات مسلحة فرنسية منازل رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة وبعض الوزراء فالت القبض عليهم، وقادتهم نحو معتقل اعد لهم في قلعة "راشيا" بالإضافة الى الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح والوزراء كميل شمعون وسليم تقلا وعادل عسيران اعتقل النائب عبد الحميد كرامي. اما المير مجيد ارسلان وحبيب ابي شهلا فقد نجيا من الاعتقال.

وفي الوقت الذي كانت فيه القوات الفرنسية تقوم بهذه العملية المجنونة، اصدر المندوب السامي الفرنسي قراراً بابطال مفعول قانون تعديل الدستور، وبحل مجلس النواب وتعليق الدستور وتعيين اميل اده رئيساً للدولة والحكومة، كما اذاع المسيو هيللو بياناً حاول فيه تبرير عمله بقوله ان التدابير التي اتخذها انما كانت رداً على تصرفات المسؤولين اللبنانيين الذين حاولوا القضاء على الوجود الفرنسي في المشرق، لمصلحة دولة كبرى اخرى!

فوجيء اللبنانيون بهذا العمل الطائش، وما لبث الانفعال أن اعقب الدهشة. واندفع مئات بل

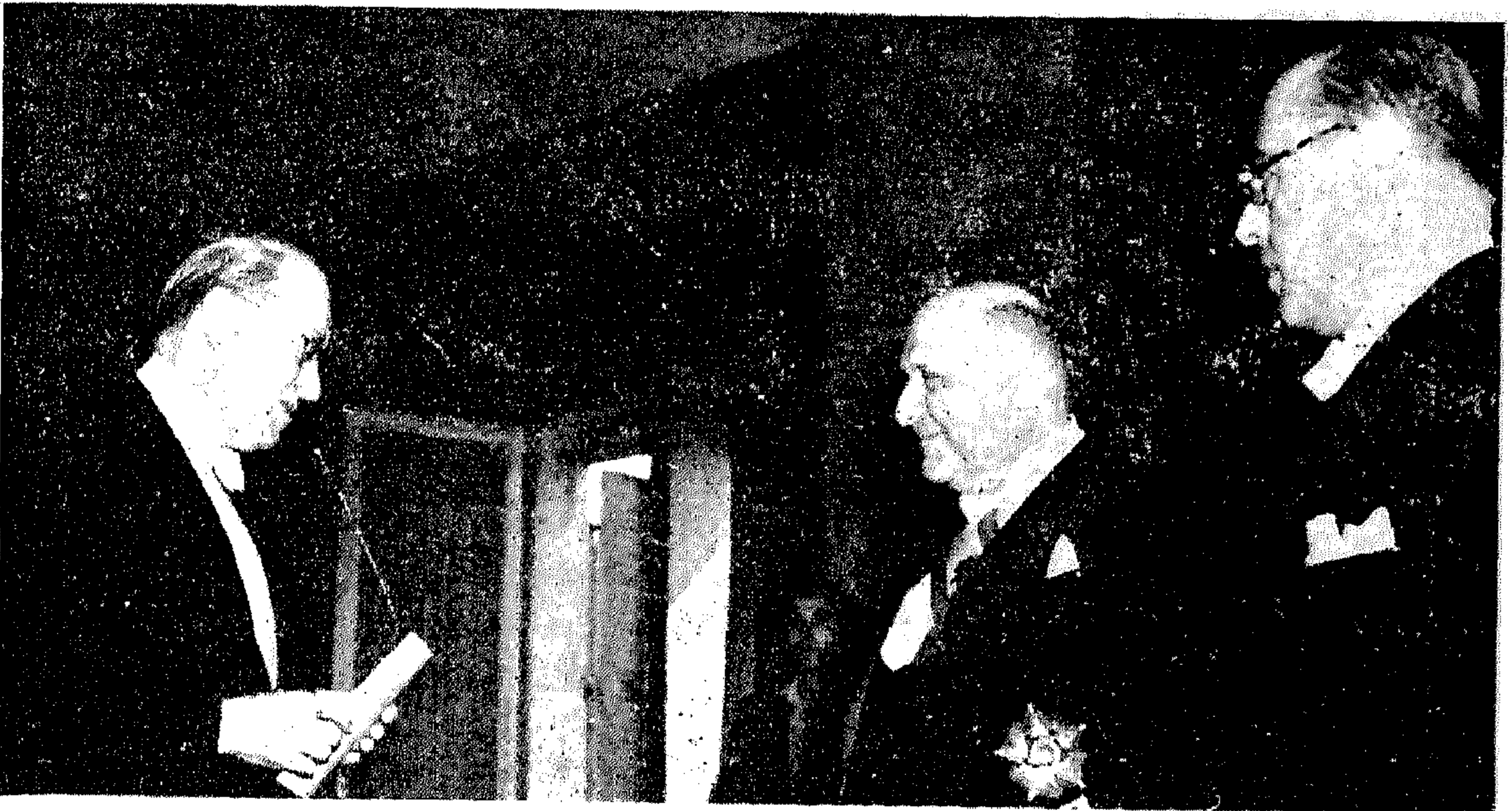
واخذت الجماهير تهاجم وتعندي على كل مظاهرة. حر الوحد الفرنسي، واشتركت كل الطبقات والفئات في الاعراب عن ثورتها بما في ذلك عدد من رجال الدين المسيحيين، وعقد النواب اكثر من جلسة، رغم حل المجلس مستنكرين العمل الفرنسي معلنين تأييدهم للحكومة الشرعية. وتحركت العواصم العربية محتجة على ما حدث.

حاول الرئيس المعين تأليف حكومة تساعده قلم يفلح، واعلن المجلس النيابي عن تأليف حكومة مؤقتة مقرها قرية "بشامون"، تضم حبيب ابي شهلا، ومجيد ارسلان وصبري حماده، وعقد مؤتمر وطني ضم عدداً كبيراً من السياسيين والوجهاء والمثقفين، من مختلف الطوائف، اعلن تأييده للحكومة الشرعية، وتوحدت منظمتا "الكثائب" و"النجادة" في حركة واحدة واعلنتا النضال ضد السلطات الفرنسية، (٤).

وصعدت الحكومة البريطانية ضغطها بحيث ارسلت الى الجنرال كاترو مذكرة تحذر فيها من استمرار اعتقال الزعماء اللبنانيين، على اعتبار ان الازمة "تهدد المواصلات العسكرية البريطانية ومجهود الحلفاء الحربي في الشرق الاوسط".

وفي ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٣ استجابت الحكومة الفرنسية لتوصيات الجنرال كاترو، فاستدعت المندوب هلو الى الجزائر، وفي ٢٢ تشرين الثاني افرج عن رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، والوزراء المعتقلين الذين غادروا قلعة راشيا.

وفي موكب شعبي، لم يعرف لبنان مثيلاً له، عاد الزعماء الى بيروت، وكانت الجماهير تخرج الى الطرقات مواكبة اياهم هازجة ومهلهلة لهم وللاستقلال، وفي ساحة الشهداء كان هناك مئات الالوف من اللبنانيين بانتظارهم ليهتفوا لهم وللاستقلال.



ومع ممثل الولايات المتحدة وورسورت

وكان يوماً حافلاً بالحماس وموحداً الشعور الوطني، كما لم كما لم يعرف لبنان من قبل.

### اللقاءات والاتفاقات

تلك هي، باختصار اهم الاحداث التي رافقت ولادة الاستقلال اللبناني والتي كان عام ١٩٤٣، مسرحة لها، ويجدر التساؤل: كيف ان هذا العام شهد توتراً اسلامياً - مسيحياً حول نسبة التمثيل الطائفي، يدل على الريبة واللاثقة في النوايا، ثم شهد صراعاً انتخابياً سياسياً وحزبياً بل وعقائدياً...، انتهى بهذا الاجماع الشعبي والوطني العارم الذي كان من نتائجه بلوغ لبنان الاستقلال التام بل ولادة شعور وطني موحد؟ صحيح ان العمل الاحمق الذي اقترفته السلطات

وبالاضافة الى تظاهرات الاحتجاج واعمال الشغب والعصيان المدني والاصطدام بالسلطات الفرنسية، كانت المساعي الدبلوماسية ناشطة لحل الازمة. فالجنرال سبيرس، بذل نشاطاً كبيراً ضد العمل الفرنسي ومؤيداً للحكومة الشرعية، بحيث انه يجوز القول بأن المقدونية البريطانية تحولت الى مركز قيادة للمقاومة.

وهبت العواصم العربية تؤيد الشعب اللبناني في انتفاضه وتطالب بعودة الحكومة الشرعية، وما لبثت حكومتا واشنطن ولندن ان مارستا الضغط على الحكومة الفرنسية المقيمة في الجزائر، للافراج عن الزعماء المعتقلين والاستجابة لاماني اللبنانيين، مما حمل الجنرال ديفول على ارسال الجنرال كاترو مجدداً، الى لبنان مكلفاً بمهمة حل الازمة.



الفرنسية : في محاولتها تأخير الاستقلال، كان له  
اثره في توحيد كلمة اللبنانيين وردة فعلهم ..  
وصحيح ان السياسة البريطانية هي التي ساعدت  
السياسيين الذين وافقوا على مخططاتها، في  
الوصول الى المجلس والحكم ومن ثم على الصمود  
في وجه المحاولات الفرنسية للمحافظة على مركز  
ممتاز لها .

ولكن هذا كله لم يكن ليكفي لو لم يتوصل  
اللبنانيون عبر زعمائهم واحزابهم : الى نوع من  
الاتفاق الاساسي حول صيغة تشمل نظام الحكم  
وواقع لبنان الوطني وعلاقاته مع جيرانه والعالم .  
مما لا ريب فيه ان الانتفاضة الشعبية التي تلت  
اعتقال الحكومة الشرعية، كانت عفوية وصادقة  
وان اكثرية الشعب كانت تريد الاستقلال والسيادة .  
ولكن هل كان الشعب، باجمعه يؤيد هذه الصيغة  
الوطنية التي تم الاتفاق عليها بين الزعماء  
السياسيين اي "بالميثاق الوطني" .

المجلس النيابي والمؤتمر الوطني والتظاهرات  
الشعبية الصاخبة، والاضراب العام في البلاد ثم  
الاستقبال الشعبي المنقطع النظير للزعماء  
العائدين من المعتقل، كلها تدل على ان الاستقلال  
كان شعبياً اجماعياً، لكن هل كانت هذه التظاهرات  
تؤيد ابقاء النظام السياسي الذي يرسمه دستور  
١٩٢٦؟ هل كانت مطلعة على اتفاق بشارة الخوري  
ورياض الصلح على "الميثاق"؟

في الواقع، لم يكن الشعب مطلعاً على  
"الميثاق الوطني"، بل كان مؤيداً للاستقلال واثراً  
لكرامته التي تعرضت للعدوان . الا انه من المؤكد  
ان عدداً كبيراً من السياسيين والعاملين في الحقل  
العام، كانوا مطلعين، او على الاقل مؤيدين،  
للخطوط السياسية الكبرى والمبادئ الوطنية التي

توصل اليها بشارة الخوري ورياض الصلح الى  
الاتفاق عليها في صيغة ١٩٤٣ . فما هي هذه  
الخطوط الكبرى والمبادئ وكيف ومتى واين تم  
ابرازها والاتفاق عليها .

ومن اغرب المفارقات ان الشيخ بشارة الخوري  
ورياض الصلح اللذين قيض لهما ان يلعبا الدور  
الرئيسي في هذه المرحلة التاريخية الحاسمة، لم  
يكونا قد اتفقا، والبعض يقول لم يكونا قد اتفقا  
قبل صيف ١٩٤٣! فرياض الصلح كان اقرب مودة  
لاميل اده منه للشيخ بشارة الخوري، ويؤكد  
الكثيرون من المطلعين ان ادخال رياض الصلح في  
لائحة احمد الاسعد الانتخابية، جاء بناء على  
وساطة اميل اده .

الحقيقة هي ان "مبادئ" الميثاق الوطني،  
التي اقترنت بأسمي بشارة الخوري ورياض الصلح،  
لم تكن من ابتكارهما، بل انها تبلورت وتولدت  
رويداً رويداً في عقول ونفوس اللبنانيين ابتداء  
من الثلاثينات وانها كانت "ناضجة" في عام  
١٩٤٣، عندما اتاحت الظروف الدولية والعربية  
لبشارة الخوري ورياض الصلح أن يكونا صاحبي  
الفضل في اخراجها وتكريسها وتطبيقها .

تلك هي الحقيقة التي لا تقلل من اهمية الدور  
التاريخي الذي لعبه الزعيمان السياسيان . ولكنها  
تعطي، ايضاً غيرهما، لاسيما المفكرين والسياسيين  
الذين لم تمنحهم الحياة او الظروف فرحة البروز  
الى مقدمة التاريخ، حقهم ايضاً .

اما الحقيقة الثانية فهي أن بشارة الخوري  
ورياض الصلح رغم تبنّيهما لصيغة كانت قد  
تبلورت قبل وصولهما الى الحكم، كانا مؤهلين،  
شخصياً وسياسياً ووطنياً اكثر من غيرهما للقيام  
بهذا الدور التاريخي وللاتفاق .

### (في العدد المقبل: من وضع الميثاق الوطني؟)

٢ - من ابرز المناورات الدعوة الى انسحاب كل من بشارة  
الخوري واميل اده، والاتفاق على مرشح ثالث . وكان ابرز  
الاسماء كميل شمعون، مجيد ارسلان، هبيب ابي شهلاء، عادل  
عسيران، سليم تقيلا .

٤ - حول الاحداث التي وقعت بين ١١ و ٢٢ تشرين الثاني  
١٩٤٣، يراجع كتاب "ولادة استقلال" للشيخ منير تقي الدين، -  
دار العلم للملايين .

١ - نشرت جريدة "الانوار"، محضر هذا المؤتمر المفصل، في  
عددتها الصادر في ١٢ / شباط / ١٩٧٥ . وكان من ابرز الحاضرين  
فيه: مفتي الجمهورية الحمورية، رياض الصلح، عبدالله  
اليافي، عبد الحميد كرامي، جميل بيهم، بهيج تقي الدين،  
سليمان الضاهر .

٣ - راجع كتاب الجنرال كاترو "في معركة المتوسط"، باريس  
١٩٤٩ .

الإنسان موجد في الشرق الأوسط من نصف مليون سنة

# العالم العربي في العصر الحجري

د. ديمتري براكسي

الدكتور ديمتري براكسي؛ مولود ١٩٠٩ في الاردن،  
حامل شهادة بكالوريوس آداب من جامعة لندن ١٩٣٤ ودكتوراه  
بالآثار من جامعة لندن ١٩٥٣، وكانت أطروحته بعنوان "ثقافة  
وهندسة العهد الأموي"، أمين متحف الآثار بالوكالة في فلسطين،  
١٩٤٦ - ١٩٤٩ وأمين متاحف الجامعة الأميركية في بيروت منذ  
١٩٥١. مثل الجامعة الأميركية في سبعة مؤتمرات للاثريين في  
البلاد العربية وفي العالم، رقي الى درجة استاذ آثار في نمور  
١٩٥٨

الرسم (٧) حفريات اريحا





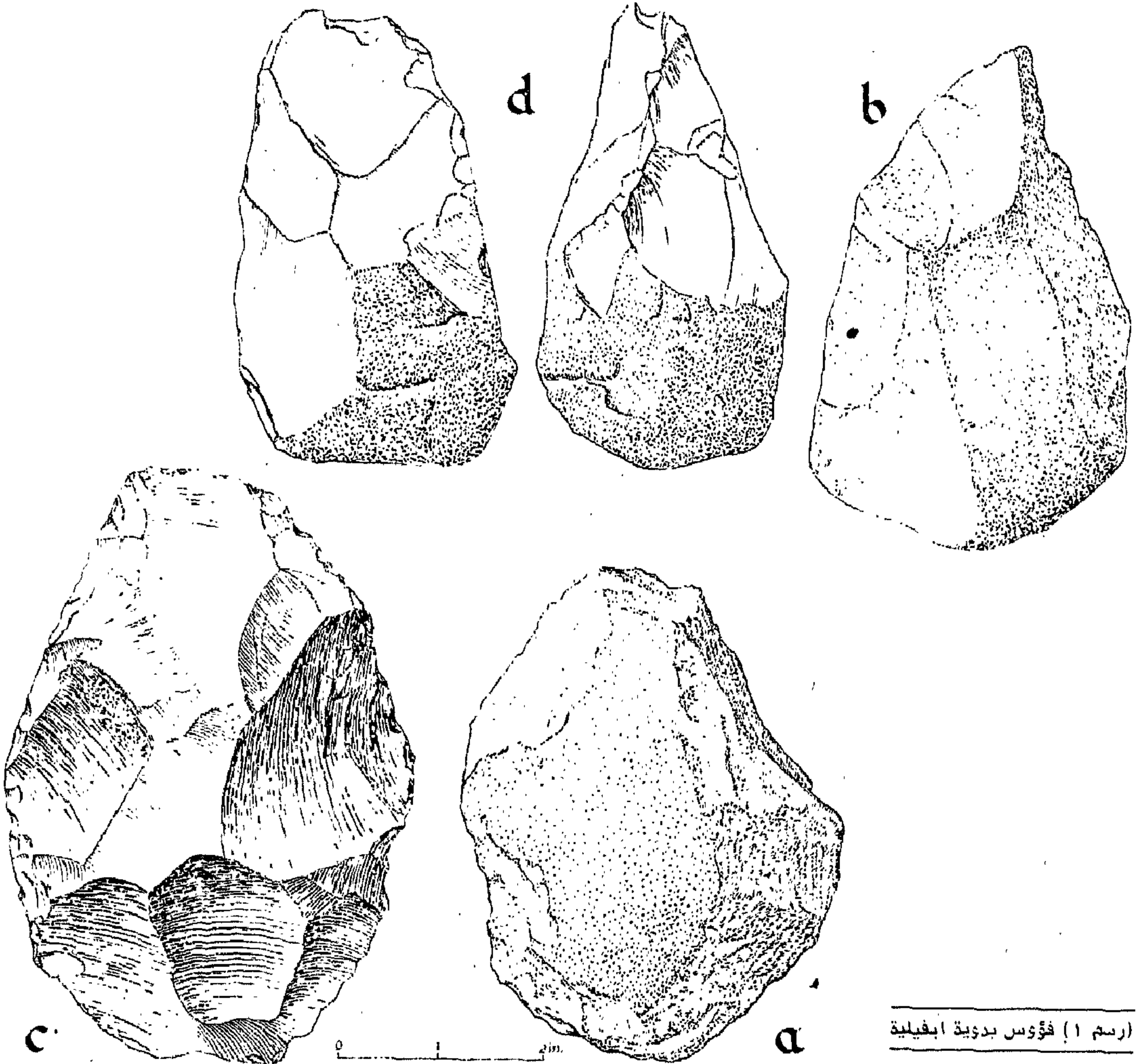
دلت الابحاث الأخيرة على أن عنصر الانسان ظهر أول ما ظهر على وجه البسيطة في جنوب افريقيا ثم أخذ ينتقل تدريجياً وببطء شديد نحو الشمال ولم يصل إلى الشرق الأوسط الا منذ نصف مليون سنة. فالعناصر البشرية التي ظهرت في جنوب أفريقيا وبعدها في وادي أولدفاي ( OLDUVAI ) لم يظهر لها أثر في الشرق الأوسط. أما أول إنسان ظهر في الشرق الأوسط فهو HOMO. ERECTUS الرجل المنتصب. فكانت سعة دماغه تبلغ ٩٠٠ سنتيمتر مكعب وظهرت جماجم هذا الانسان في جاوا وفي مغارة تركوئيني في الصين كما خلف وراءه أدوات صوانية في كلا المكانين.

أما في الشرق الأوسط وإن كنا لم نعثر حتى الآن على جماجم هذا الانسان فقد وجدنا أدوات عديدة كان يستعملها هذا العنصر من البشر، إما لمكافحة الحيوانات الضارية التي كانت تحيط به أو لقنص الحيوانات التي كان يقتات بها.

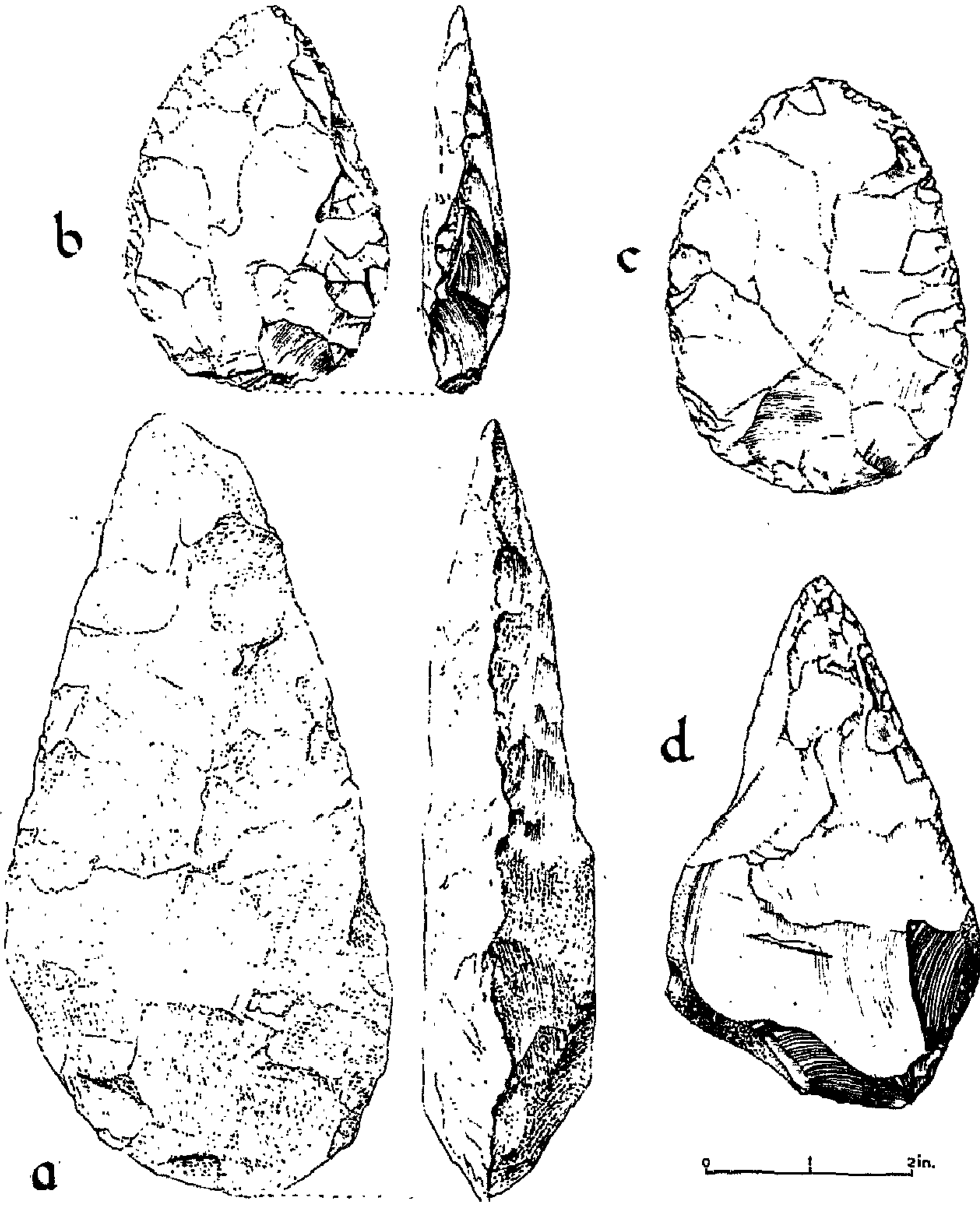
بقي هذا الانسان ردهاً طويلاً من الزمن ينتقل

من مكان الى آخر طلباً للقوت إذ كان يترصدهم الفرائس على جوانب السهول حيث تأوى الغزلان والفيلة المنقرضة والمعروفة (MAMMOTH) وصلنا من ادواته الادوات الظّرانية فقط. أما إن كان يستعمل أدوات أخرى مصنوعة من الخشب فهذه تلاشت مع الزمن. أما الأدوات الظّرانية فكانت قطعة كبيرة من الصوان ليس لها شكل معين ورأسها ثلم (رسم ١). وجدت هذه الأدوات بعدد وافر في ضبية وجزين في لبنان وقرب جبل فريديس وكولونية اليونان في القدس في فلسطين وفي أماكن أخرى من فلسطين وسوريا ولبنان ولكن لا أثر لها في العراق.

تدعى هذه الثقافة (الثقافة الابفيلية) (ABBEVILLIEN) نسبة إلى "ABBEVILLE" في فرنسا حيث عثر عليها لأول مرة. وكانت هذه الثقافة تدعى الثقافة الشّلية (CHELLEEN) سابقاً.



(رسم ١) فؤوس بدوية ابفيلية



(رسم ٢) فؤوس يدوية آشولية

إمتد هذا العصر من العصر الجاف الأول (JUNZ-MINDEL) والعصر المطري الثاني MINDEL والعصر الجاف الثاني (MINDEL-RISS) والعصر المطري الثالث (RISS)

تلي هذا العهد العصر الاشولي (ACHEULIEN) نسبة الى (ACHEULE) في فرنسا اي المكان الذي عثر فيه على هذه الأدوات لأول مرة - وتتمتاز الأدوات الاشولية بكونها في بادئ الامر مثلثة الشكل، ومهذبة من جانبيين لذلك تدعى (BIFACE) ولها طرف حاد مروس بعكس الأدوات السابقة وتطور هذا النوع منها حيث أخذ في ما بعد شكلا يشبه القلب ولذلك دعيت هذه الأدوات CORDIFORME وفي أواخر العصر أصبحت مستديرة الشكل واصبحت تدعى (CIRCULAIRE) طبعاً حصل في هذا العصر بعض التطور في شكل الانسان خصوصاً في حجم دماغه ولكن لأن لم نعثر على أي من جماجمه، رغم عثورنا على عدد كبير

من أدواته لنحدد حجم دماغه بالضبط. وفي العصر الاشولي كان الانسان ما زال يتعاطى القنص ويفترس الحيوانات البرية مثل الغزلان والماعز البري وخصوصاً الفيلة الصغيرة المعروفة بـ MAMMOTH وجدت أدوات هذا القنص في جزين وفرن الشباك وصيدا في لبنان وفي اماكن عديدة في فلسطين وفي لطمنة في سوريا حيث وجدت أيضاً حجارة مقطوعة بجوار الأدوات الاشولية. تدعى هذه الحجارة MANUPOINTS ولكن لا ندري الغاية منها.

والثقافتان الأفييلية والاشولية تنتميان الى العصر الحجري القديم الأدنى (LOWER

#### PALAEOLITHIC AGE

ومنذ ثمانين ألف سنة ظهر عنصر بشري جديد على وجه البسيطة، يدعى HOMONEANDER THALENSIS أما الآن فتغير اسمه إلى HOMO SAPIENS نظراً لقربه الى الانسان الحالي الذي أصبح يدعى HOMO SAPIENS SAPIENS



وكان يعيش في المغاور والملاجيء الصخرية ويوقد النار أمام مغارته ليصدّ الحيوانات الضارية عنه ولقد نبغ الإنسان في صنع الأدوات التي تدعى

#### LEVALLOIS-MOUSTERIEN

نسبة إلى الأماكن التي وجدت فيها لأول مرة في فرنسا، وطريقة صنعها.

فكان الإنسان يأخذ قطعة كبيرة من الطران ويهذبها على جوانبها الستة ثم يطرق طرف هذه القطعة ويكسر منها القشرات الصغيرة (رسم ٤) ونقطة الضرب كانت تدعى

#### POINT DE PERCUSSION

ولكن الضربة تكون قوية عادة عند هذه النقطة فانها تشكل نتوءاً على القشرة يدعى **BULBE DE PERCUSSION** وبعد ذلك تهذب أطراف القشرة لتصبح حادة. لا نعرف امتداد هذا العصر بالضبط انما كان محدود ٨٠ ألفاً إلى ٤٠ ألف سنة قبل الميلاد.

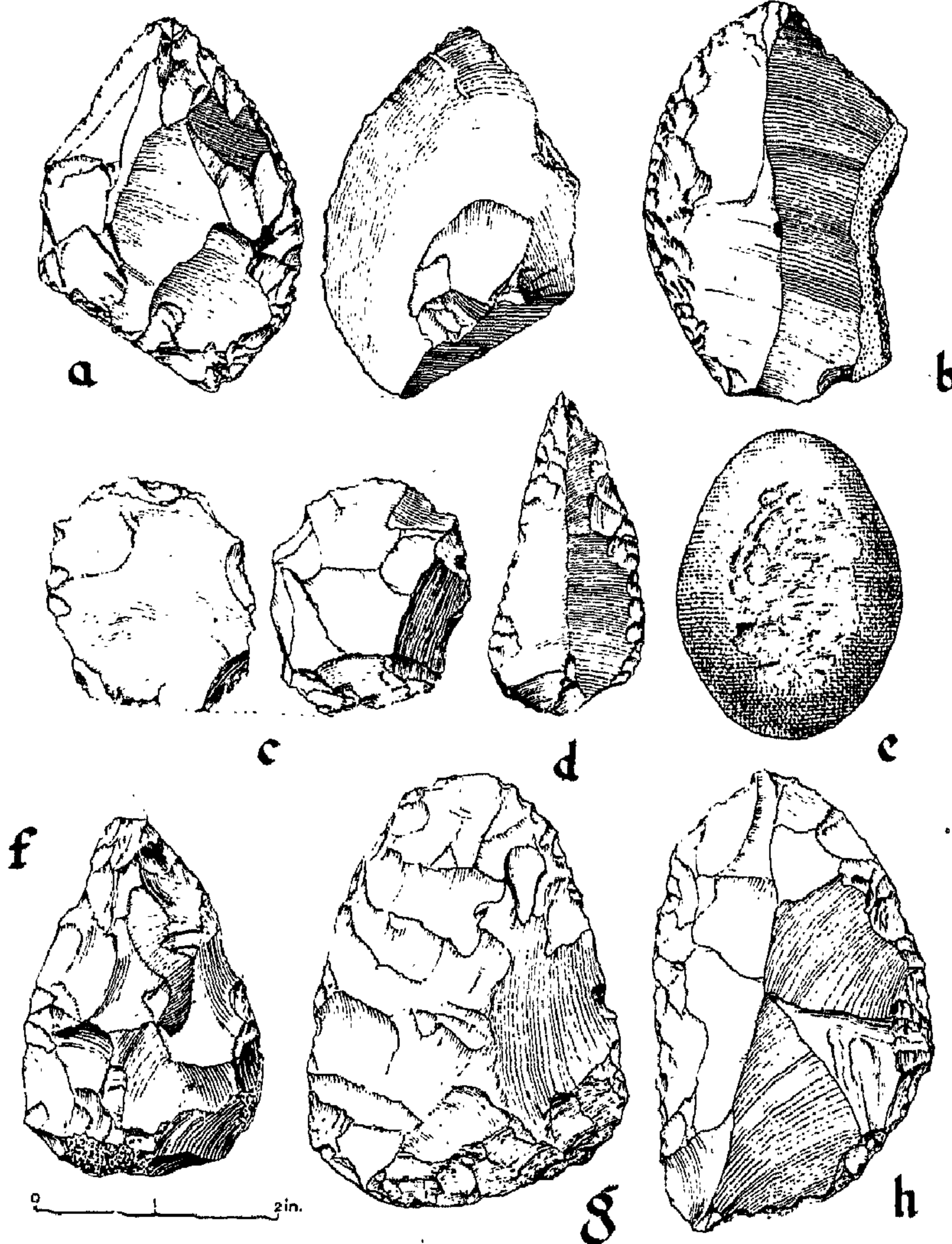
وجدت بقايا عديدة لهذا العنصر البشري. ففي مغارة الزطية على ضفاف بحيرة طبرية في

يبلغ حجم دماغ هذا الإنسان ١٥٠٠ سنتيمتر مكعب، مثل الإنسان العاقل تماماً انما يختلف عنه بميزتين: الأولى ان عظام الجمجمة خلف الحواجب بارزة بروزاً ظاهراً والثانية أن الذقن غير بارزة.

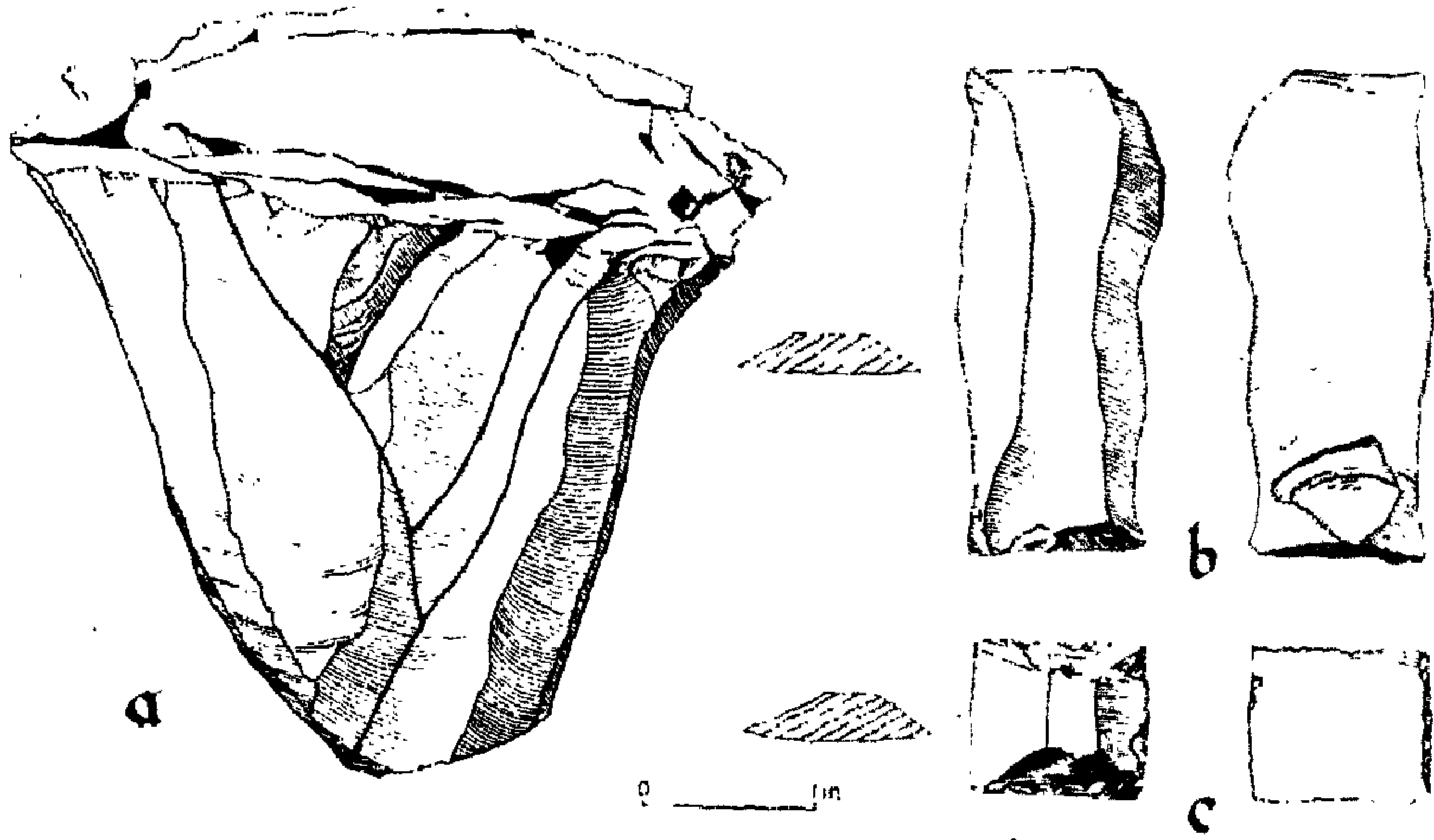
لا ندري تماماً متى اهتدى الإنسان إلى إشعال النار وربما كان ذلك في العصر الحجري القديم الأدنى أي العصر السابق. إنما في هذا العصر أخذ الإنسان يتحكم فيها، فيوقدها حين يشاء ويطفئها حين يشاء.

وفي هذا العصر أخذ الإنسان يصنع أدوات ظرائف تختلف كل الاختلاف عن العصر السابق. فبدلاً من أن يأخذ قطعة كبيرة من الصوان ويهذبها لتصبح فأساً يدوية أخذ يشطب قشرات من أمية صوانية ثم يهذبها لاستعمالها كرؤوس نبل أو سكاكين (رسم ٣).

وبينما الإنسان المنتصب كان يقتات بلحوم الحيوانات التي يقنصها إلى حد بعيد فالإنسان أصبح يقتات من الثمار والأعشاب البرية أكثر فأكثر



(رسم ٣) قشرات مستديرة



(رسم ٤) طريقة شطب القشرات اللفلوازية

التغييرات التي حصلت عليها بعد شطبها، وهذه التغييرات اكسبت الأدوات أشكالاً متعددة فهناك مقاشط طرفية (ENDSCRAPERS) ومقاشط جانبية (SIDESCRAPERS) ومقاشط عالية (STEEP SCRAPERS)، وشفرات منحفة، عدا ذلك هنالك شفرات مروسة وحفارات وهلم جرّاً وزيادة على ذلك وصلتنا من هذا العصر الادوات المصنوعة من العظام كالابر والدبابيس.

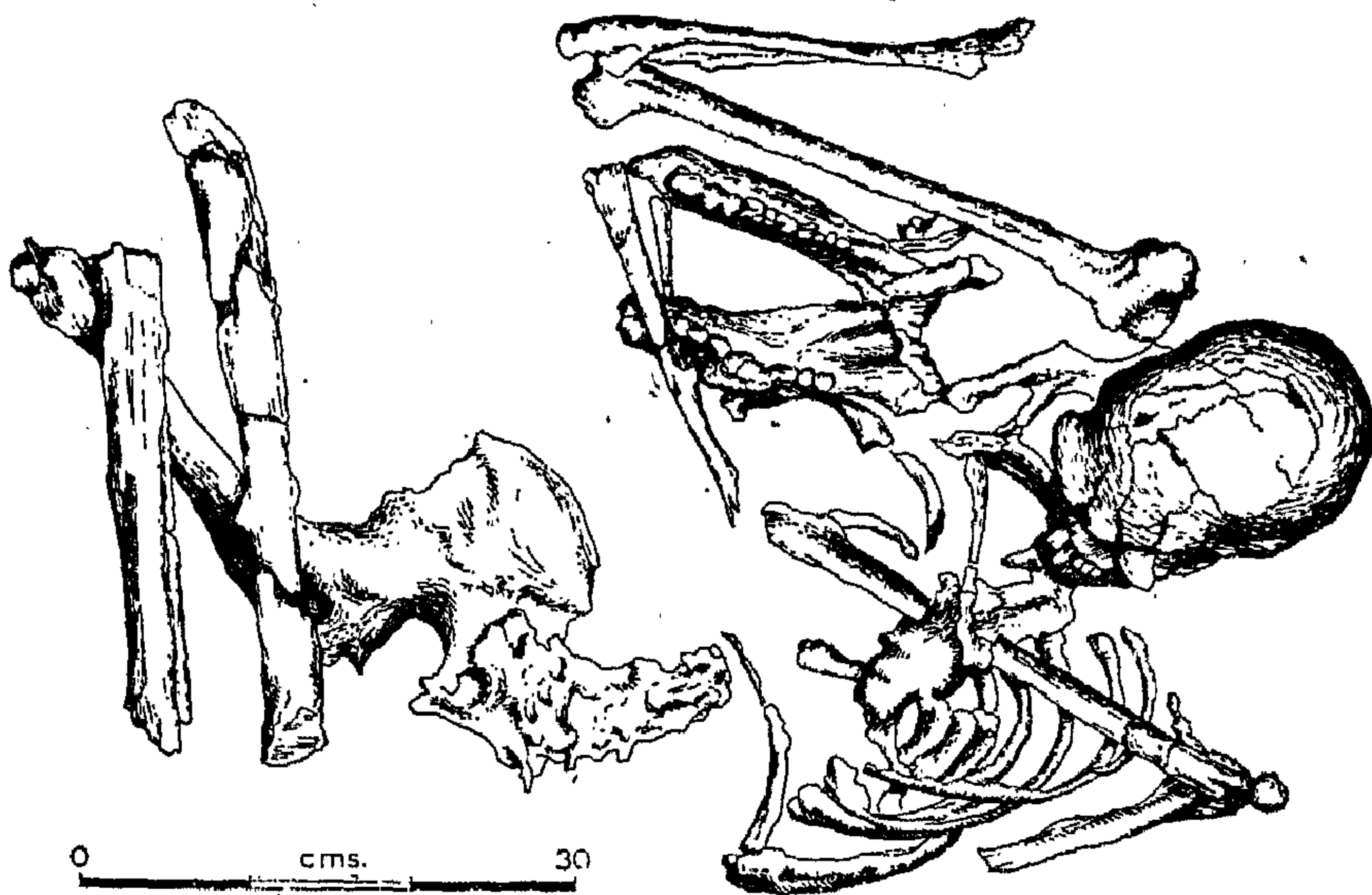
وفي بعض الأحيان كانت بعض الشفرات تثلم عمداً على ظهرها لتوضع بايد خشبية وتدعى هذه (BACKED BLADIES). وبعض الأحيان الاخرى كانت الشفرات مزودة برؤوس ملتوية ومروسة.

وتوجد عادة في المغائر التي سكنها الانسان في العصر الحجري القديم الاعلى عظام الحيوانات التي كان يقتات بها الانسان مثل ذي القرن الوحيد المنقرض وكان له صوف كثيف كالتموت والغزال.

فلسطين عثر على جمجمة شخص وكميات كبيرة من القشرات اللفلوازية - المستيرية، كما عثر في مغارة الطابون في جبل الكرمل على عظام متحجرة لهذا الانسان (رسم ٥). عدا ذلك وجدت عدة جماجم في نفس المغارة تدل على تطور الانسان من الانسان العاقل الى الانسان العاقل عاقل.

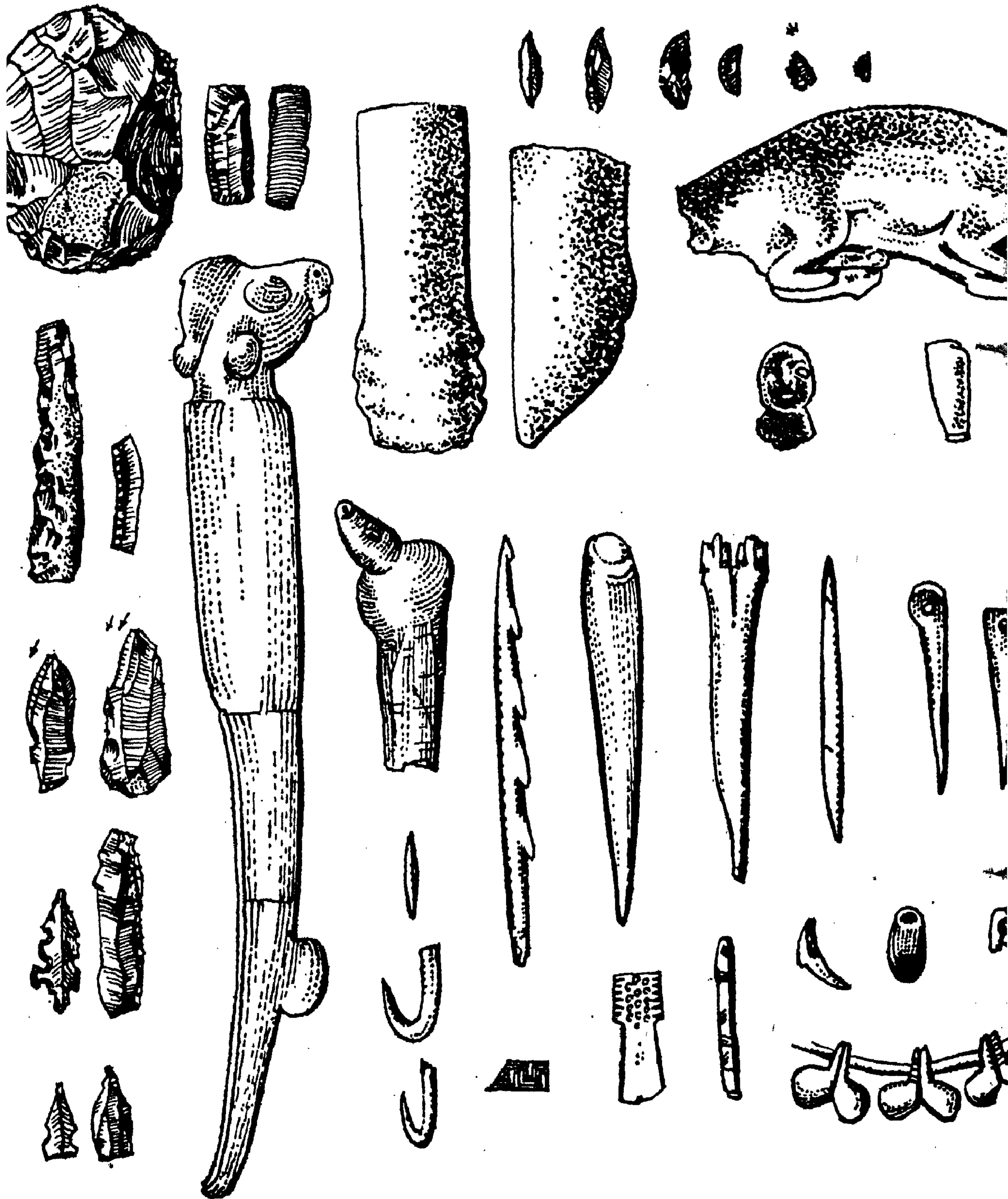
أما العصر الذي ينتمي اليه هذا الانسان فهو العصر الحجري القديم الاوسط، يلي هذا العصر الحجري القديم الاعلى عندما ظهر الانسان الحالي أي الانسان العاقل عاقل، ما فتىء هذا الانسان يعيش في المغار والملاجيء الصخرية نظراً لدنو العصر الجليدي الرابع (WURM).

تختلف أدوات هذا العصر عن العصر السابق بشكلها وليس في طريقة صنعها فبينما القشرات اللفلوازومستيرية مثلثة الشكل فشفرات هذا العصر كانت متوازية الاطراف في بادىء الامر رغم

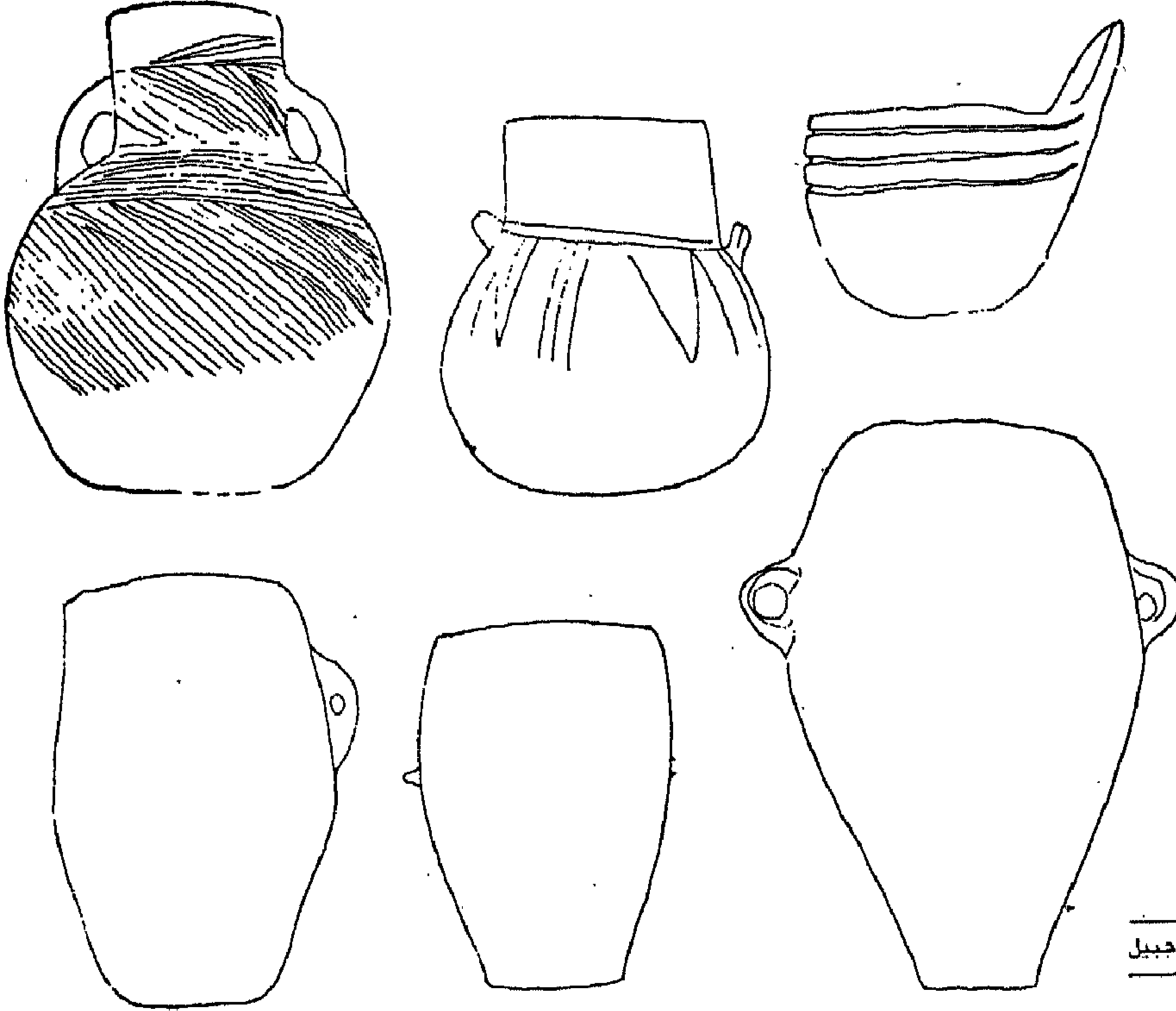
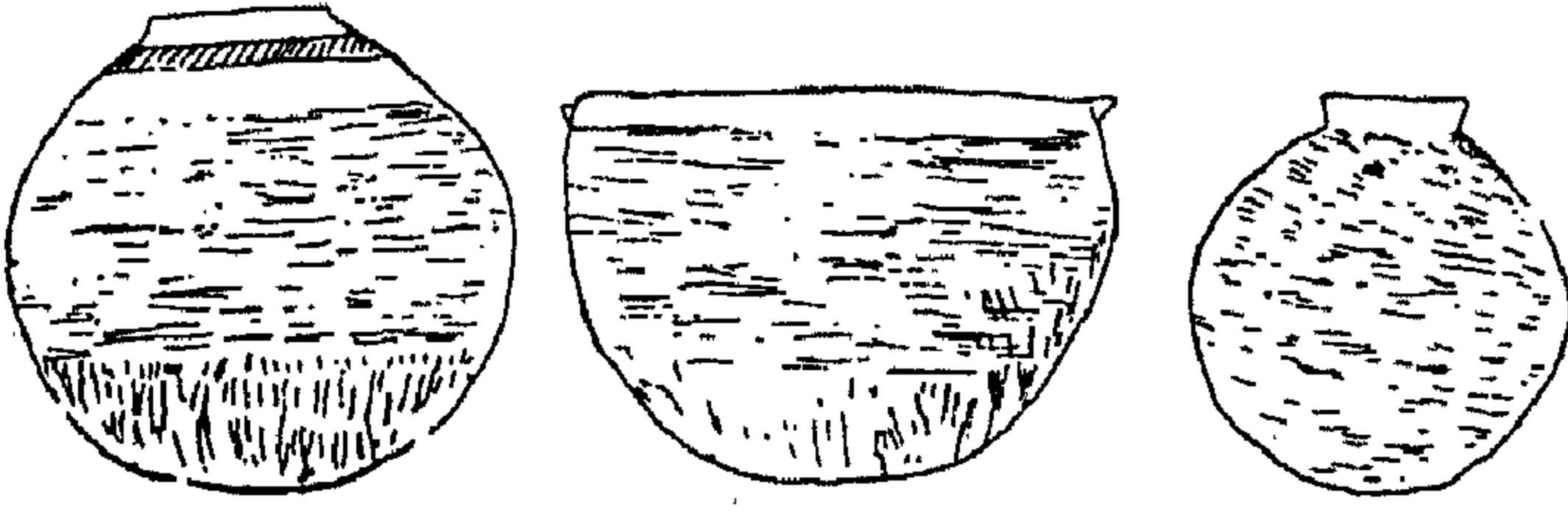


(رسم ٥) هيكل عظمي لانسان الكرمل





(رسم ٦) أدوات ناطوقية من العصر المسوليتي



(رسم ٨) خزف نيوليتي من جبيل

حيث اقام القرى الصغيرة مثل اريحا وعين ملاحه في فلسطين وحسونة في العراق وجبيل في لبنان ، ومن ميزات العصر المسوليثي صغر حجم الادوات الطرّانية التي كانت لا تفوق السنتيمترين او الثلاثة على الاكثر وغلب عليها الشكل الهلالي (رسم ٦) فكانت توضع بايد من العظم او الخشب ، الواحدة بجانب الاخرى لكي تصنع منجلا او سكيناً او اي أداة اخرى .

اصبح الانسان منتجاً ولم يعد عالة على الطبيعة كما كان الامر في الماضي ونضج حسه الفني في هذا العصر الى حد بعيد . فأخذ يزيّن رأسه بالخرز المصنوع اما من الفيروز او من العظام او من صدفة الدناليه .

وكان ينسج ويخيط ، فلقد عثر في اريحا وفي وادي الناطوف في فلسطين على ابر ودبابيس مصنوعة من العظم . كما انه كان يجرش القمح والشعير اذ عثر في اماكن عديدة على جواريش وهواوين من حجر البزلط .

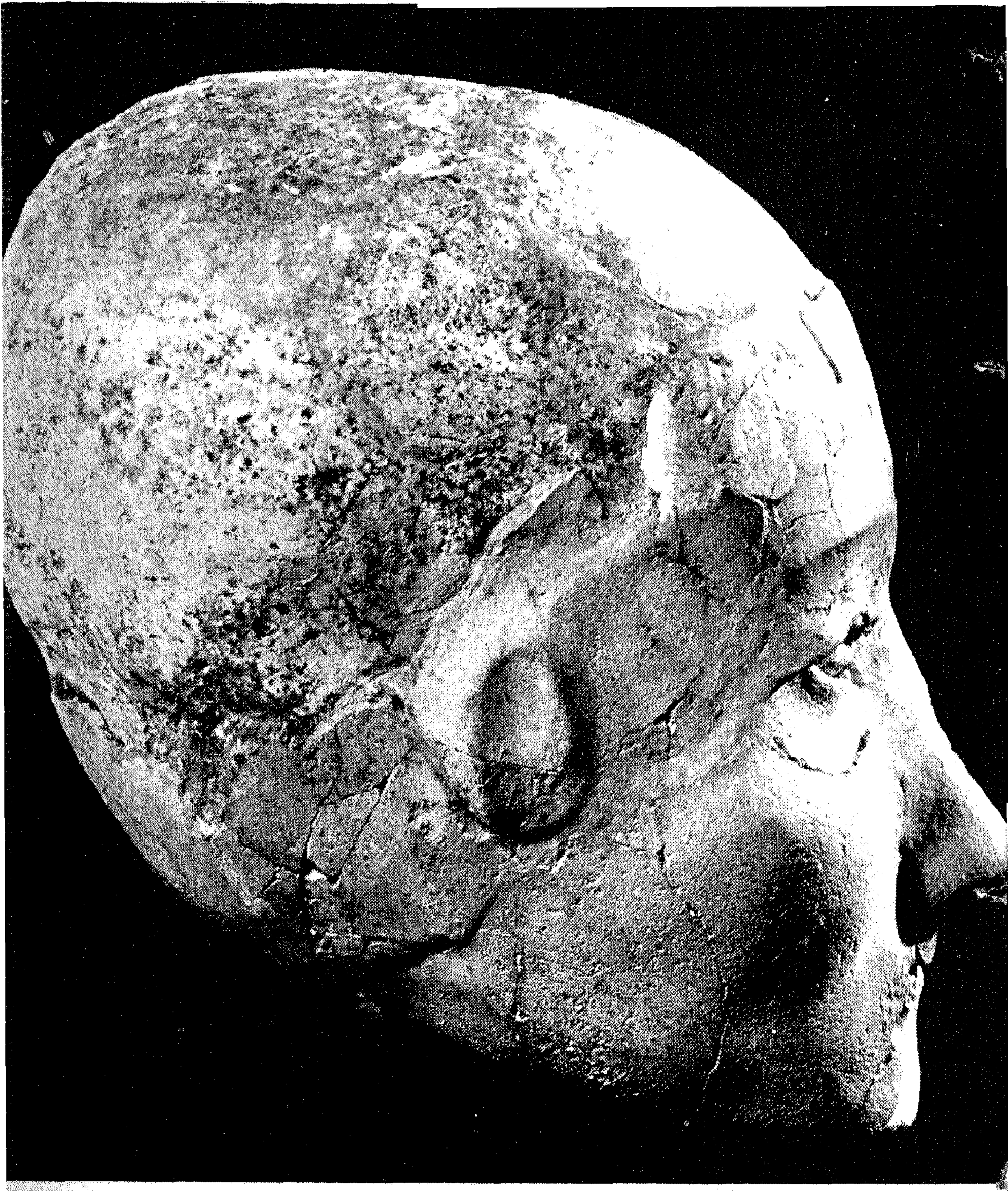
وقبل حوالي ١٠ الاف سنة حصلت معجزة كبرى في حياة الانسان ، اذ اهتدى الى الزراعة ووضع بذلك أسس المدنية . ويقال ، ولكن هذا غير أكيد ، ان المرأة هي التي اكتشفت الزراعة ، اذ اخذت تفرس بعض الحبوب البرية وترويضها اثناء غياب زوجها في القنصر . وهذا الاكتشاف أدى الى استيطان الامكنة التي اخذ الانسان يزرع حبوبه فيها . اذ اصبح عليه ان يبقى قرب مزروعاته حتى موسم الحصاد ، وهذا أدى الى مضاعفات في شكل حياته .

وهذا العصر الذي يمتد من حوالي ٨٠٠٠ سنة الى ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد يدعى بالعصر الحجري المتوسط او MESOLITHIC AGE

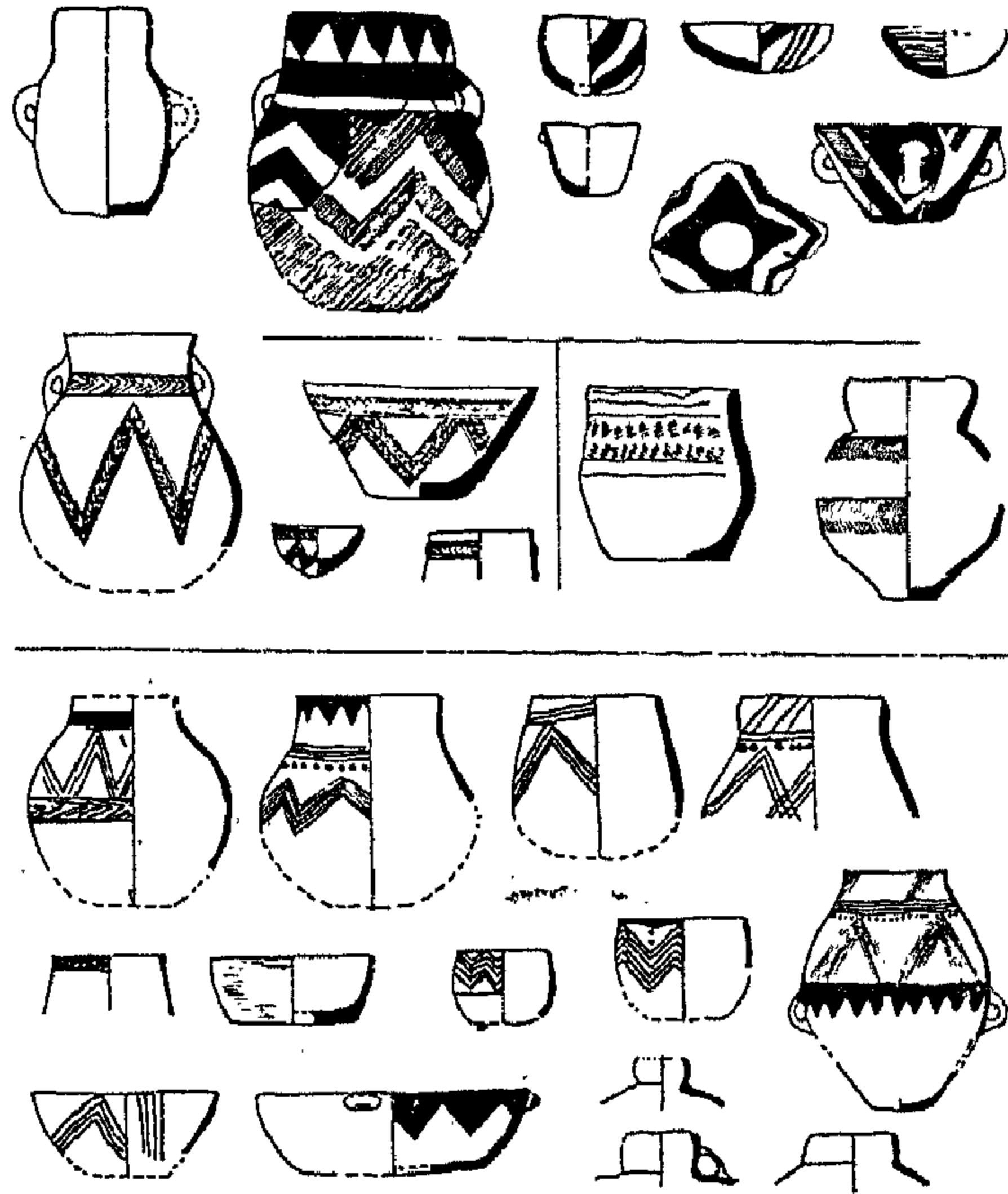
### العصر المسوليثي

ما فتىء الانسان فيه يسكن المغاور باديء ذي بدء ثم انتقل بعد اكتشافه الزراعة الى السهول





(رسم ١٠) جمجمة مطليّة بالحبس من العصر النيوليتي



(رسم ٩) حرف نيتوليتي من اريحا

### العصر الحجري الحديث

وقد أدت الخطوة التي خطاها الإنسان في العصر المسوليثي الى تغير شامل في حياته في العصر التالي ، فالبذور التي زرعها الإنسان المسوليثي نمت وترعرعت في العصر النيوليثي اي العصر الحجري الحديث ، وهذه التغيرات حدثت بعلماء الآثار لتسمية هذه التغيرات بالثورة النيوليثية ،

من هذه التغيرات بزوغ القرى العديدة التي ظهرت في الشرق الاوسط في العراق ومصر وفلسطين وسورية ولبنان ، فعندما هجر الإنسان الكهوف والمغاور التي كان يسكنها وهبط الى السهول اضطر الى بناء ملاجئ وهكذا بزغت الهندسة المعمارية (رسم ٧) .

في بادئ الامر كان الإنسان يسكن الاكواخ المصنوعة من القصب كما هي الحالة في فزان في ليبيا ، إن الأعمار اضطرته ان يبني اكواخاً أقوى، مصنوعة من اللبن، لاتقاء الأعاصير والأمطار .

وتعاطي الزراعة ادى بصورة مباشرة الى تدجين الحيوانات ، أول حيوان دجن كان الكلب الذي أخذ يقات في العهد السابق من النفايات حول مساكن الناس ، وفي هذا العهد أخذت الماعز تجذب نحو بقايا الحميد فأخذ الإنسان يقتنصها ويدجنها شيئاً فشيئاً ، وتدجين الحيوانات ادى بدوره الى ظهور النسيج والحياكة ، ويجدر بالذكر ان صناعيتين اخريين ظهرت في العصر النيوليثي هما صناعة الصفصاف وصناعة الخزف (رسم ٨، ٩)

وتختلف صناعة الادوات الطرانية في هذا العصر عن العصور السابقة اولاً بسبب كبر حجمها وثانياً بسبب صقلها وعدا هذا أخذ الإنسان النيوليثي يصنع الادوات والطلاسم من حجارة أخرى صلبة كالديوريت والسربنتين .

وطبعاً فإن الوعي الاقتصادي أدى الى التفنن في صنع الادوات فكانت الفؤوس والمعاول ورؤوس النبل ورؤوس الرماح والسكاكين والمخارز والمناشر والقناديم وما الى ذلك .

كذلك فإن إنتشار الزراعة على نطاق واسع غير في معتقدات الإنسان وبما ان محصولاته الزراعية ترتعن لتقلبات الجو وتعود الى كثرة الامطار وانحباسها، فقد أخذ الإنسان يعبد إله المطر والبرق والرعد وإلهة الخصب وأخذ يصنع تماثيل لتلك الالهة ويقدم لها القرابين .

وزيادة على ذلك كان الإنسان النيوليثي في العالم العربي، في الشرق الأدنى يعبد الاسلاف ، وقد وجدت في اريحا عدة جماجم مطلية بالجبس لتعيد ملامح وسحنة صاحب الجمجمة (رسم ١٠) .

كما وان وجود عدد كبير من الناس يعيشون بالقرب من بعضهم البعض ادى الى نشوء احوال اجتماعية وسياسية ، ونتج عن ذلك قيام نوع من الحكم الديموقراطي مؤلف من حاكم ومجلس شوري ومجلس عامة يضم كافة الرجال الراشدين .

وهكذا وضعت اسس حياة اجتماعية وسياسية أدت في ما بعد الى قيام المدن المستقلة POLIS .



تاريخ الشرق الأوسط

من

العصر الحجلي

إلى العصر الحديدي



خلال العصر الجليدي كان أصلح جزء من العالم بالنسبة للشعوب التي تعيش على الصيد هو الجزء الواقع في أوروبا وروسيا الجنوبية، والمنطقة التي تغطيها الصحاري الآن أي الصحراء الكبرى وصحراء العرب وصحراء وسط آسيا كانت أرضاً خضراء ولكنها كانت إلى حد ما أقل صلاحية للصيد من الأراضي الواقعة في الشمال، ولكن بانكماش غطاء الجليد أصبحت الأطراف الجنوبية منه تغطيها الغابات، وقد أصبحت هذه المنطقة المغطاة بالغابات اليوم منطقة متقدمة إلى حد كبير جداً.

وقد كان أبناء العصر الحجري بأدواتهم الحجرية عاجزين أمام الغابات فلم يستطيعوا إزالة الأشجار، وأصبحت هذه المنطقة غير مجدية بالنسبة لأبناء العصر الحجري، كذلك أصبحت المنطقة التي تغطيها الصحاري الكبرى الآن صحاري جرداء لأن الرياح المحملة بالأمطار غيرت اتجاهها عندما انكمش غطاء الجليد فتمولت الأرض التي كانت خضراء إلى صحراء.

أما الذين كانوا يعيشون في المناطق التي توجد فيها اليوم الصحراء الكبرى وصحراء العرب وصحراء وسط آسيا فقد استطاعوا أن يستفيدوا من جزء من أراضيهم، وهم لم يكونوا يستطيعون الاستفادة من هذا الجزء الذي تمثل في الواحات المتبقية من عهد الاخضرار إلا بأحداث ثورة اقتصادية ضخمة أي بالانتقال من مرحلة الصيد وجمع الطعام إلى الزراعة واستئناس الحيوان.

وتلك كانت الثورة الاقتصادية المزدوجة التي يبدو أنها حدثت بعد انتهاء آخر مراحل العصر الجليدي في عدد من الواحات التي كانت تمتد في شبه دوائر حول الهلال الخصيب، مبتدئة من جانبي وادي النيل ومتجاوزة منطقة النيل نفسها التي كانت منطقة غابات ومستنقعات وممتدة خلال فلسطين وسورية وشمال العراق وغرب إيران حتى الخليج العربي مباشرة، وفي هذه الواحات أمكن ممارسة الزراعة على نطاق ضيق اعتماداً على المطر والري كعامل مساعد، وكانت هذه المرحلة ضرورية ليمر الإنسان بتجربته الحاسمة في الزراعة قبل أن يغامر فينتقل بها إلى أودية الأنهار الكبرى.

وكانت هذه الثورة الاقتصادية هي بداية ما يسمى بالعصر الحجري الحديث، ولكنني اعتقد أن اكتشاف الزراعة وتربية الحيوان في ذلك العصر كانا أكثر أهمية في الواقع من ابتكار أدوات حجرية أفضل.

ولقد سمينا العصر الحجري الجديد باسم أدواته لأن الأدوات التي خلفها الإنسان هي أطول آثاره بقاء، ولكن الواقع أن تلك الأدوات خادعة براقعة.

وقد كانت هذه التغيرات الاقتصادية في حياة الإنسان كما نعتقد هي التي صنعت العالم المتحضر خلال الخمسة آلاف سنة الماضية، والمعتقد أن هذا العصر الحجري الجديد استمر كما تدل على ذلك آثاره في الشرق الأوسط - من حوالي سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد إلى ٥٠٠٠ أو سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد.

وفي ذلك الوقت كانت الأدوات المعدنية والنحاسية تظهر تدريجياً إلى جانب الأدوات الحجرية.

والناس الذين زاروا الأردن ومدينة أريحا التي اعتقد أنها أقدم مدينة في العالم ونظروا من قمة ذلك الجبل إلى منشآت مدينة أريحا وطبقاتها التي ترجع تربتها البكر إلى سنة ٨٠٠٠ ق م لا بد وأوا في أسفل هذا الجبل النبع الذي كان يروي حقول أريحا منذ بدء الزراعة هناك وبمرور الوقت ارتفعت طبقات المساكن البشرية طبقة فوق طبقة حتى بلغ ارتفاع الجبل الآن سبعمائة قدم، ولكن عندما ينظر المرء إلى الطبقة الأصلية فسوف يراها من مستوى النبع.

وهكذا فإن نبعا واحداً وأحياناً واحدة واحدة يتوفر فيها الماء للزراعة يمكن أن تعمل سكاناً مستوطنين لآلاف وآلاف من السنين ويبقى النبع كما هو.

أما الطبقات من المنشآت والمساكن فهي تتغير بمرور القرون، والآن فإن ابتكار الزراعة وتربية الحيوان في واحات الشرق الأوسط إلى جانب الاختراعات المتتالية للأدوات الحجرية المتطورة ثم اختراع الأدوات المعدنية بعد ذلك: من البرونز أولاً ثم من النحاس، كل هذا قد أتاح لمبتكري الاقتصاد الزراعي الجديد الأداة التي يمكن أن يوجهوها للتطور في استغلال الموارد الزراعية الأكثر إمكانات والأكثر غنى، وأعني بها موارد أحواض الأنهار الكبرى، ولم تكن الأدوات الجديدة هي التي يحتاج إليها الإنسان للسيطرة على أحواض الأنهار فقد كان الإنسان يملك فعلاً الاقتصاد الزراعي.

### التنظيم السياسي

أما ما كان يحتاج إليه فهو شيء اجتماعي وسياسي، فلكي يسيطر الإنسان على أحواض الأنهار كان في حاجة إلى تنظيم سياسي جديد.

فقد كانت وديان الأنهار على قدر تصورنا لها وهي في حالتها الطبيعية الأولى مغطاة بالغابات والمستنقعات، ولذلك فهي لم تكن صالحة إلى أقصى حد للحياة البشرية كما أنه كان من العسير جداً على بني البشر أن يسيطروا عليها، ولم يكن يمكن السيطرة عليها إلا عن طريق تعاون الجهود البشرية على نطاق واسع.



الهندي بالإضافة الى اعتماده على الري ولكنه أيضاً لا يمكن أن يستغني عن قنوات الري لتمده بالمياه بالإضافة الى مياه الامطار الموسمية . والآن بعد شق القنوات وتدعيم ضفاف النهر كان لا بد من المحافظة عليها وصيانتها الامر الذي كان يتطلب حكومة دائمة على نطاق أوسع بكثير وتتمتع بسلطات أكبر مما يتطلبه توفير الحياة في الواحات التي كانت تحيط بأودية الأنهار في الهلال الخصيب .

ففي الواحات كان التنظيم من وجهة النظر الاجتماعية غاية في التفكك، والحكومة قليلة الشأن . أما استغلال أودية الأنهار فلم يكن ممكناً بالمرّة دون أن تكون هناك حكومة قوية للغاية . ولذلك فإن تطويع أودية الأنهار والسيطرة عليها كان في حاجة بدوره الى ثورة جديدة تلي الثورة الزراعية ، ولم تكن هذه الثورة ثورة اقتصادية ولكنها كانت ثورة سياسية ، إنها لم تكن ثورة اقتصادية ولا ثورة تكنولوجية ، ذلك ان الاقتصاد القديم والتكنولوجيا القديمة للعصر الحجري الجديد قد اسفرا بعد تنظيمهما بواسطة حكومات قوية عن احتلال أودية الأنهار وزراعتها .

وكانت الثورة السياسية هي التي حققت هذه الزيادة العظمى في مجال العمل البشري وجعلها ممكنة ، واذا استطرد المرء قليلاً في الحديث عن النتائج السياسية للسيطرة على أحواض الأنهار فإنه واجد هناك تفاوتاً شديداً في المعلومات عن المناطق المختلفة . فنحن مثلاً ما زلنا نجهل الوضع السياسي لحضارة حوض نهر السند كلية بينما نعرف الكثير عن حضارة العراق القديمة ومصر القديمة وربما ظهرت حضارة حوض نهر السند من حوالي سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد الى سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد .

ولكن رغم ما لدينا من مخطوطات عن وادي السند، فإننا لم ننجح بعد في حل رموزها ولذلك فإننا لا نعرف شيئاً عن التنظيم السياسي أو عن الحياة اليومية للسكان الأول في وادي السند .

وبمقارنة هذه الحضارة مع غيرها من الحضارات في كلٍّ من العالم السومري والعالم المصري القديم فإننا نكون قد فسرنا المخطوطات المتعلقة بهما وأصبحنا نعلم الكثير عن تاريخنا القديم .

ونحن نعرف في كل من مصر والعراق القديم بداية الحضارة وبداية الزمن الذي احتل فيه الانسان حوض النهر بصورة فعالة . وفي الحالتين نجد نظاماً سياسياً قوياً ضخماً نسبياً بمقارنته بأي شكل من أشكال الحكم التي كانت قائمة في الواحات المحيطة في العصر الحجري الجديد السابق ، وفي الوقت نفسه فإن الاوضاع السياسية القديمة في العالم السومري في العراق وفي العالم المصري القديم عند بدء الحضارة يختلف بعضها عن البعض

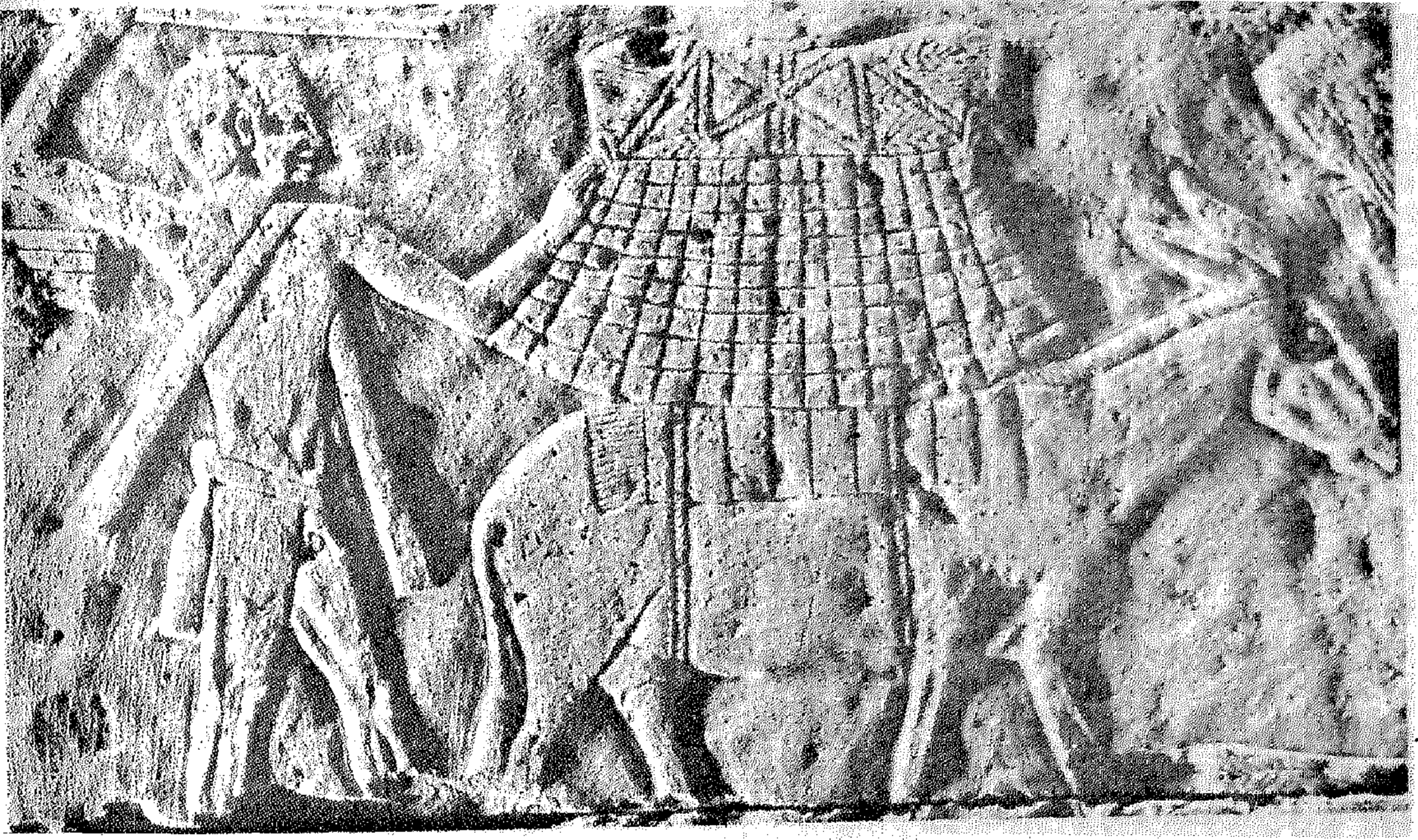


ارنولد توينبي

وهي جهود كان لا بد من بذلها لا لتؤتي فوائدها في المدى القريب بل في المدى البعيد . وكان لا بد من إقناع مجموعات كبيرة من الناس أو إغرائهم أو إجبارهم على العمل معا من أجل فوائد تأتي في المدى البعيد . أي أن الأمر كان يحتاج الى زعامة قوية قادرة على تصور المستقبل البعيد .

ونحن نستطيع أن نقول على ما أعتقد، إن سيطرة الانسان الاقتصادية على أحواض الأنهار الكبرى كنهر النيل والدجلة والفرات والسند، لا بد وأن تكون قد تمت على يد مجتمعات غزيرة بالسكان ولديها الطاقة البشرية التي تتيح لها القيام بالأعمال الهائلة للسيطرة على المياه . ولا بد أنها كانت في مجتمعات منظمة بحيث تستطيع أن تعمل معا تحت زعامة واحدة لتحقيق غايات بعيدة . ولم يكن من الممكن تحقيق ذلك دون أن تكون هناك خطة محكمة للغاية وتوجيه سديد وقيادة حكيمة .

ولم تكن الحاجة تتطلب إنشاء ضفاف الأنهار وحفر القنوات ثم ينتهي الأمر إذ كان لا بد من إصلاحها وصيانتها باستمرار عندما تتعرض للتلف أو التصدع نتيجة للفيضانات . وإن مصر بأكملها إذا كنت على صواب والعراق أو جنوب العراق تعتمد كلية على الري لحد أراضيها الزراعية بالمياه . بينما يعتمد وادي السند لحسن حظه على الأمطار الموسمية نتيجة لهبوب الرياح القادمة من المحيط



□ سائق الحمار المصري من السلالة الخامسة .

السياسي . فنرى أن الدويلات المحلية ذات السيادة - التي كانت في العراق وبابل في فجر التاريخ - تعبر عن النظام السياسي الذي يكون فيه للحرية المكان الأول ، فالحرية فيه لها الأولوية على النظام وعلى السلم .

أما الدولة العالمية - التي كانت في مصر عند بداية عصر الأسر فيها فتعبر عن نظام سياسي مختلف ، فهو نظام الدولة التي يكون فيها للنظام والسلم المكان الأول .

ولذلك كان لهما المقام الأول قبل الحرية إذا قضت الضرورة بالاختيار بينها .

### فشلان كبيران

ولقد أثبتت المآسي الكثيرة التي حدثت في تاريخ الحضارة أن كلا من الدولة المصرية العالمية والمجموعة الكبيرة من الدويلات السومرية قد فشلت .

وأعتقد أن هذا حدث قبل نهاية الألف سنة الثالثة قبل الميلاد ، لأنه في خلال الألف سنة الثالثة قبل الميلاد ، انهار كل من هذين النظامين السياسيين المختلفين وذلك لأن تقسيم العالم إلى كثير من الدويلات المحلية قد أدى إلى ازدياد الحروب والفوضى ، تلك الفوضى ، التي نتجت عن توحيد العالم السومري بالوسائل العنيفة ، في دولة عالمية قائمة بذاتها ، وهي ما كانت تسمى بامبراطورية عكا العسكرية الصرفة .

ومن ناحية أخرى نجد أن توحيد مصر في دولة عالمية تحت النظام الملكي القديم قد أدى إلى

الآخر اختلافا شديداً بناء على ما استطعنا أن نحققه في ردهما إلى أصولهما .

وحينما يرتفع الستار عن السومريين في العراق نجد أن العراق قد تألفت من دويلات مستقلة صغيرة تتكون كل منها من مدينة واحدة ومن المناطق المحيطة بها .

وحينما ترفع الستار عن التاريخ المصري نجد أن أول عمل كان هو توحيد مصر السفلى مع مصر العليا في مملكة متحدة تتكون منهما معاً ، وهي التي استمرت في الواقع كوحدة سياسية وقومية واحدة حتى يومنا هذا .

وبينما نجد أن التاريخ السومري في العراق قد بدأ بالدويلات المحلية المتعددة المستقلة عن بعضها البعض ، نجد أن التاريخ المصري قد بدأ بالدولة العالمية ، لأن مصر - من وجهة نظر المصريين - كانت كل العالم .

ففي الوقت الذي كانت فيه العلاقات بين مصر وسومريا نادرة وصعبة ، كانت كل من الدولتين - من وجهة ها - تمثل العالم المتحضر كله .

ولذلك نجد أن المملكة ذات التاجين في مصر كانت دولة مصرية عالمية .

وهكذا - فمنذ فجر الحضارة - نرى أن النمطين الرئيسيين للتنظيم السياسي قد وجدا ، وهما اللذان ظلا في تنافس مستمر حتى وقتنا هذا وفي عالمنا المتحضر .

وفي خلال الخمسة آلاف عام الأخيرة انتشرت الحضارة من الشرق الأوسط في كل اتجاه حتى أصبحت الحضارة اليوم تغطي وجه هذا الكوكب كله . وها هنا لدينا النمطان الرئيسيان من التنظيم



قيام حكومة مركزية أصبحت فيها السلطة مركزة في القمة تركيزاً كبيراً . وأعتقد أيضاً أنها كانت ظالمة لرعاياها حتى أن هذه المملكة القديمة أي الدولة المصرية العالمية، قد تفتت كما نعرف جميعاً بعض الوقت إلى مجموعة من الدويلات المحلية على النحو الذي بدأ به العالم السومري . . . وهكذا نجد أن هناك فشلين سياسيين أوليين قد حدثا في تاريخ الحضارة . وقد جابه المجتمع الانساني الفشل كثيراً منذ ذلك الوقت، وحتى هذه الايام .

وقد أدى خلل من هذين الفشلين اللذين حدثا قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة إلى خيبة أمل نجد آثارها في المقتطفات الباقية من الادب المصري، والسومري . . . ولكن خيبة الأمل هذه لم تؤد إلى ابتكار اشكال جديدة للتنظيم السياسي، وإنما أدت إلى تحول عقول الشعب من السياسة إلى الدين . . . وفي الحقل السياسي، أدى فشل كل من المدن السومرية، التي كانت كل منها بمثابة دولة، وفشل الدولة المصرية العالمية إلى تعاقب رتيب في هذين العالمين لفترات من الوحدة وفترات من الانقسام السياسي . وأننا لنجد نفس هذه الوتيرة في الهند في عصر الدولة الاولى . وما لدينا من معلومات عن تاريخ الهند السياسي هي في الواقع معلومات ترجع إلى فترة بعد ذلك بكثير فنحن لم نبدأ في العثور على سجلات لتاريخ الهند يمكن مقارنتها في الدقة بالسجلات الخاصة بمصر والعراق إلا منذ عهد بوذا في حوالي القرن السادس أو القرن الخامس قبل الميلاد .

وبديهي أن العصور السياسية في تاريخ مصر أمر معروف جداً . فقد كانت هناك المملكة القديمة، والفترة المتوسطة الاولى، ثم المملكة الوسطى، والفترة المتوسطة الثانية، ثم المملكة الجديدة، وفترات من الغزو والحكم الأجنبيين .

وهناك فترات مقابلة مماثلة لذلك في تاريخ العراق القديم . . . فقد أعاد مؤسس الاسرة الثامنة عشرة توحيد مصر في القرن السادس عشر قبل الميلاد، كما أعاد حامورابي توحيد الحوض الاسفل لنهري دجلة والفرات في القرن الثامن عشر أو السابع عشر قبل الميلاد .

ولقد كان التوحيد في هاتين الحالتين توحيداً دائماً . غير أن التحول والتغير والتقلب بين الفرقة والوحدة استمر مع ذلك في هذين العالمين ثم تليها الوحدة مرة أخرى . . . ولكن منذ ذلك الحين، كان التغير والتقلب السياسي يحدث بين فترات استطاعت فيها كل من مصر المتحدة ومملكة بابل المتحدة - أحيانا - تهيئة الأساس الاقتصادي وتوفير الحبوب اللازمة لقيام امبراطورية أكبر من مصر أو مملكة بابل نفسها .

والواقع أنه خلال الفترات الأولى للوحدة والفرقة امتدت كل من مصر وسومريا أو ما يسمى بعالم

بابل، إلى ما وراء حدودها الاصلية . . . فقد امتد عالم سومريا إلى داخل ايران من جانب وإلى داخل سوريا حيث تداخل مع عالم بابل، كما امتد أيضاً في أعالي وادي النيل إلى داخل السودان . ولقد مرت أوقات استطاعت فيها كل من مصر وبابل وشمال الهند توفير الأساس الاقتصادية، وتموين امبراطورية قائمة بذاتها .

## امبراطوريات

وإذا نظرنا إلى خريطة العالم القديم حوالي سنة ١٠٠٠ ميلادية لرأينا أنها تمتد من المحيط الاطلنطي إلى المحيط الباسيفيكي . وفي ذلك الحين كانت تمتد هناك أربع امبراطوريات لكل منها مخازن الحبوب الخاصة بها .

فقد كانت الامبراطورية الرومانية تحيط بالبحر الابيض المتوسط وكانت مصر تمتد الامبراطورية الرومانية بمخازن الحبوب . . . وإلى جوار الامبراطورية الرومانية كانت الامبراطورية الفارسية التي كانت إيران هي السلطة المركزية فيها غير أن مخازن الحبوب اللازمة لها كانت في العراق . وبدون العراق لم يكن في الامكان ان يكون لتلك الامبراطورية أساس اقتصادي .

وفي الهند كانت هناك امبراطورية كوشان التي امتدت عبر جبال الهند وكرش التي تمتد الآن من آسيا السوفييتية الوسطى إلى ما يعتبر الآن شمال غربي الهند، وكانت هذه الامبراطورية تعتمد على الحبوب التي تأتيها من حوض نهر السند . ثم كانت هناك امبراطورية الصين التي تمتد، من وسط آسيا إلى الباسيفيك . وكان مورد حبوبها في ذلك الحين حوض النهر الاصفر وحوض نهر اليانغتسي .

بيد أنه في عصور أخرى حدث أن اتحد بلدان أو حتى ثلاثة بلدان من البلدان العريقة في الحضارة في الشرق الاوسط تحت حكم امبراطورية واحدة كالامبراطورية العثمانية مثلاً التي أخضعت كلا من مصر والعراق لحكمها . . . وكانت هناك عصور اتحدت فيها مصر والعراق وحوض نهر السند تحت حكم واحد .

وأعتقد أن اتحاد أحواض هذه الأنهار الثلاثة هو الذي خلق أول امبراطورية عالمية حقيقية هي الامبراطورية الفارسية التي أسسها سيروس في القرن السادس قبل الميلاد والتي ضمت مصر في الغرب وحوض نهر السند في الشرق وشملت كل ما يقع بينهما .

وإذا استعرضنا صفحات التاريخ، فإننا سنرى أن الخلافة العربية احتلت أساساً نفس المنطقة . . . فهذه المساحات الشاسعة التي احتلتها الامبراطورية الفارسية القديمة إحتلتها بدورها الخلافة العربية التي اشتملت أيضاً على مصر والعراق ووادي السند .



□ المنافسة تتحول الى حرب • من الحرب اليونانية -

اليونانية العام ٤٣١ ق.م.

المدن، والدولة المصرية العالمية للمملكة القديمة في الألف سنة الثالثة قبل الميلاد، نجد ان هذه الأحداث السياسية كان لها تأثير خطير على تجربة الانسان الدينية، وعلى تاريخه الديني.

وأعتقد أن أول ما عبده الانسان قديما كان يمثل قوى ذات طبيعة غير بشرية، مثل الرياح، والمياه، والجبال، والسحب والنباتات والحيوانات المتوحشة، فقد بدت جميع هذه القوى غير البشرية مقدسة في نظر الانسان الذي كان تحت رحمتها، فلما لم يستطع الانسان السيطرة على هذه القوى الطبيعية غير البشرية، فقد بدت له غامضة وقوية، فاعتمد على جوانبها الطيبة من أجل بقائه، ومن ثم اتجه إلى عبادتها كاله أو كمجموعة لآلهة مختلفين، ذلك لأن معيشته وحياته اعتمدتا على قوى الطبيعة هذه التي لم يكن يستطيع أن يسيطر عليها.

ولكن هذه الأشياء التي عبدها الانسان والتي كانت ذات طبيعة غير بشرية لم تستطع أن تصمد في مجال التغير المطرد للعلاقات بين الانسان والطبيعة.

ففي نهاية العصر الحجري القديم استطاع الانسان أن يسيطر على جميع الحيوانات الأخرى باستثناء البكتيريا، وفي العصر الحجري الحديث زاد الانسان من سيطرته على جميع الحيوانات الأخرى باستثناء بعضها ومن سيطرته على بعض النباتات بزراعتها.

وعندما استطاع الانسان السيطرة على أحواض الأنهار الكبرى وعلى الأحرش والمستنقعات ومياه الفيضانات وجعل نفسه سيدا للطبيعة غير البشرية،

ولقد شهدت بنفسي في غرب باكستان بعض عمليات التنقيب في مكان ليس ببعيد عن وادي السند حيث كانوا يزيلون التراب عن واحدة من أقدم المدن التي أسسها الفاتحون العرب في حوض السند في القرن الثامن من التاريخ الميلادي (المسيحي) وفي القرن الثاني من التاريخ الهجري (الاسلامي)، ولقد سيطرت بلادتي (بريطانيا) على نحوها ولفترة قصيرة على كل هذه الأحواض الثلاثة للأنهار، وقد حدث ذلك لفترة قصيرة للغاية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

ولكن هذه السيطرة البريطانية كانت قصيرة نوعا، لأنه في الوقت الذي كانت بريطانيا تقيم حكمها الذي لم يدم غير قليل في العراق كانت الحركة الوطنية من أجل الاستقلال في مصر وفي الهند قد بدأت.

ولذلك فإننا إذا قارنا بين الوقت الذي اتحدت فيه هذه الأحواض الثلاثة للأنهار تحت حكم الخلافة العربية أو تحت حكم الامبراطورية الفارسية بالوقت الذي اتحدت فيه تحت الحكم البريطاني، فإننا سنجد أن فترة السيطرة البريطانية كانت قصيرة جداً.

### التاريخ الديني

وإذا انتقلت بعد ذلك إلى موضوع ربما يثير اهتماماً أكثر من موضوع التاريخ للشرق الاوسط هو النتائج الدينية للتصدع السياسي في كل من الدول السومرية التي انحصرت في نطاق



ثم عندما استطاع تطويع أحواض الأنهار فالسيطرة على مياهها وتحويلها من براري غير منتجة إلى أكثر المناطق إنتاجاً على سطح الأرض لصالح الإنسان، كان هذا النصر الاجتماعي نصراً عظيماً لقوة بشرية جماعية ومنظمة حتى لقد غير الإنسان معبوداته فبدلاً من أن يتخذ آلهته الرئيسية من الطبيعة غير البشرية اتخذ له آلهة من قوته وقدرته هو.

ويمكن أن نرى ذلك بوضوح في تاريخ مصر القديمة وذلك لأن فرعون مصر كان ينظر إليه علانية وبوعي كامل على أنه إله تتجسد فيه كل القوى الخيرة في الدولة أي القوى التي وحدت مصر وأخضعت لسيطرة الإنسان الواحد جميع أعمال الري في وادي النيل وفي الدلتا.

وفي العراق - أي في سومريا القديمة، وبابل - فإن الإنسان كان يعبد الدولة فعلاً منذ سخر بعض آلهة الطبيعة القديمة لتكون رمزا للدويلات المحلية.

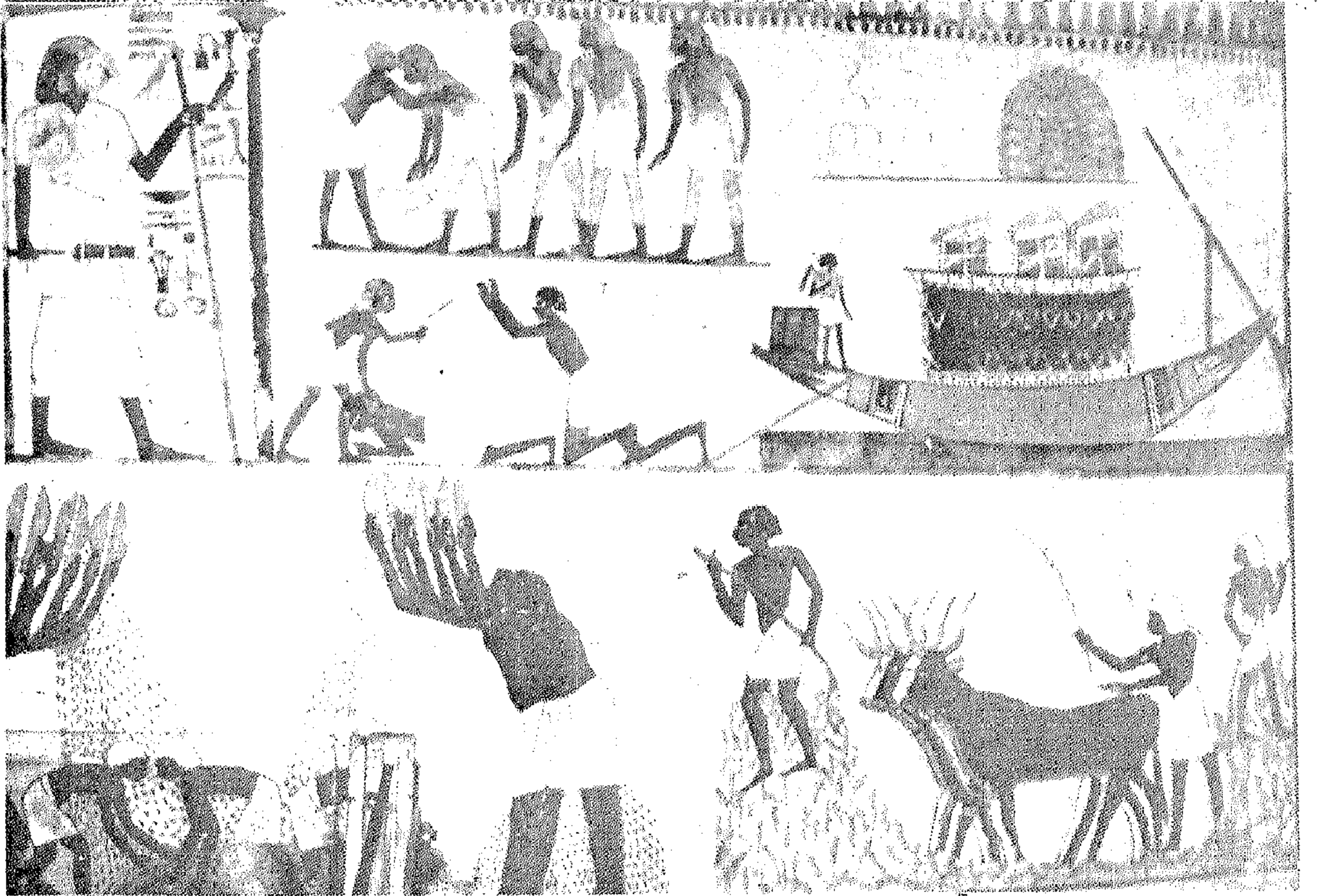
وقد فعل اليونانيون القدماء ذلك في ما بعد، فمثلاً كان للاغريق إلهة لشجرة الزيتون وهي "أثينا" وأختار أهالي مدينة أثينا الإلهة أثينا لتصبح الهتهم المحلية التي يتمثل فيها قوة ومجد أثينا.

وكان أيضاً عند الاغريق إله البحر "بسيدون"، وقد اختار أهالي مدينة كورينث، وكانت لها قوة

بحرية عظيمة، هذا الإله لكي يكون إله مدينتهم. وهكذا نجد أن الانتقال من عبادة الطبيعة إلى عبادة القوى البشرية - في كل من بابل وبلاد الاغريق - مقنعاً، بينهما كان ذلك ظاهراً تماماً في مصر، لأن فرعون الإله الحي، الذي تتمثل فيه الدولة كان مميزاً تماماً عن آلهة الطبيعة القدماء.

وكان هذا التحول من عبادة قوى الطبيعة غير البشرية، إلى عبادة القوى الانسانية الجماعية، كان ثورة دينية، ولكن أحداً لم يدرك أنها ثورة.

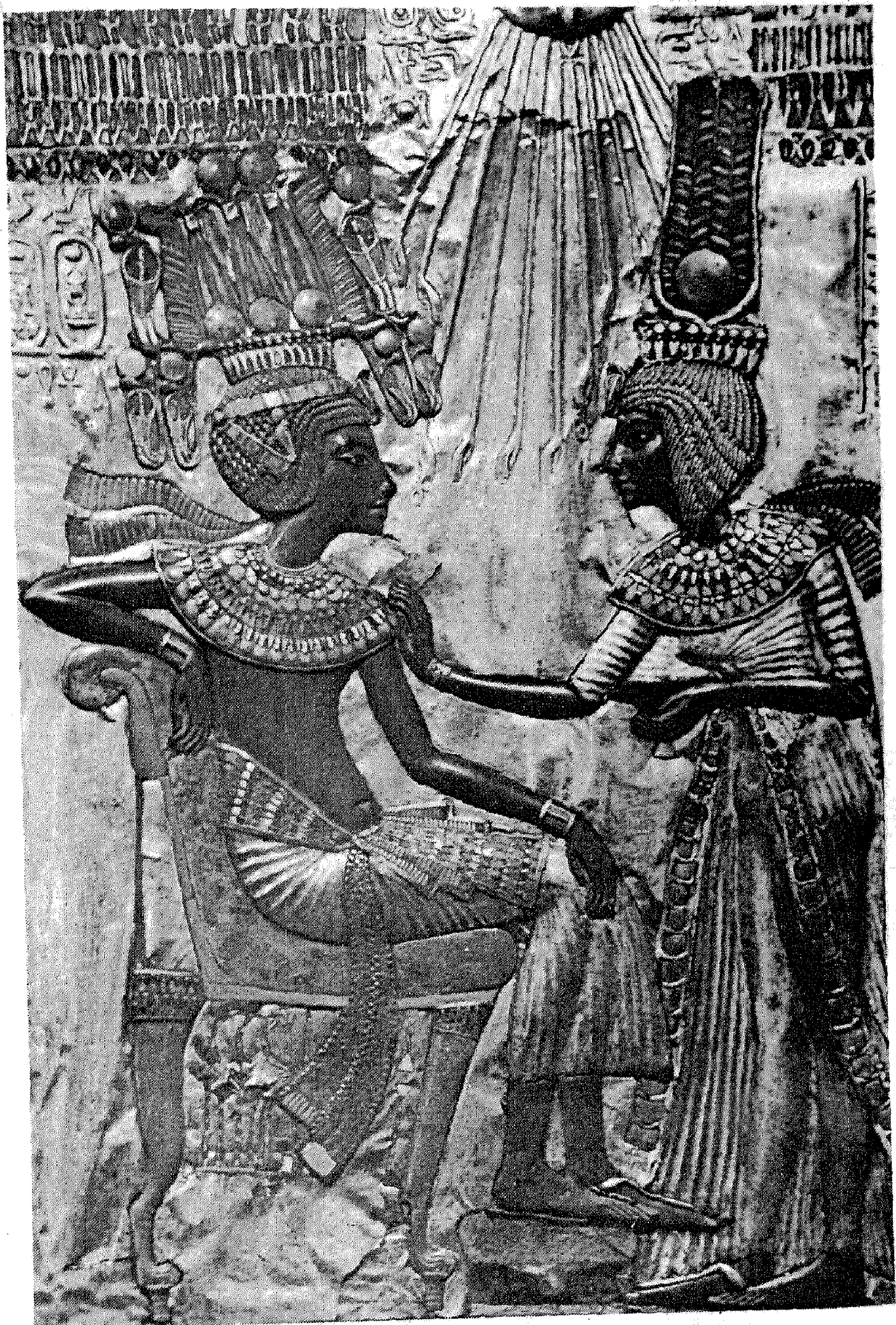
لقد كان هناك اعتقاد بأن القوى غير البشرية المقدسة هي جزءان أو مظهران لنظام كوني موحد. واعتقد أنه كان من الممكن في نظر الإنسان، كما كان من المرغوب فيه المحافظة على قوى الطبيعة وقوى المجتمع البشري في حالة انسجام مع بعضهما البعض، فلم يكن فرعون مصر أو امبراطور الصين مجرد ممثلين أو مالكيين للمجتمع البشري الذي كانا يرأسانه ولكن كان كل منهما أيضاً المحافظ على القوى الطبيعية التي تعتمد عليها حياة ووجود ذلك المجتمع البشري. وإذا كنت على صواب فإن أحد الاحتفالات السنوية الهامة التي كان يقيمها فرعون - والتي كان يقيمها، بعد انتهاء التاريخ المصري القديم، حكام مصر اللاحقون حتى الحكام الأجانب منهم فترة طويلة بعد ذلك - هو الاحتفال بالفيضان أو وفاء النيل، وهو على أن سيد المجتمع الانساني مسؤول أيضاً عن التحكم في قوى الطبيعة.



□ الأقطاعي مينا يرقب أعمال فلاحية. من السلالة الثامنة

عشرة.







وفي مرحلة التحول الدينية هذه كانت هناك قوة دينية سياسية وحيدة تحافظ على الانسجام بين عبادة الطبيعة وعبادة الانسان .  
وقد تزعزع تصور الانسان لطبيعة الكون وما ينبغي أن تكون عليه أهداف الدين من جراء الفشل السياسي الذي بدأت به الحضارة مستقبلها في احواض الأنهار . فقد أصبحت الدول - نتيجة لذلك - موضوع العبادة الأول .

### خيمة الأمل

ولذلك لم يكن الفشل السياسي مجرد فشل سياسي . لقد كان أكثر من ذلك . كان فشلا دينيا . وكان الإنسان يشعر بأنه فشل ديني .  
وهكذا نجد أن فشل الدويلات السومرية . وفشل الدولة المصرية العالمية أدى الى خيمة أمل دينية ، كما أدى الى خيمة أمل سياسية . ان لم نقل خيمة أمل سياسية بالاسترداد المؤقت للنظام السياسي السابق .  
وقد كان من السهل نسبيا بعد فترة قصيرة نوعا ما من الاستعداد إعادة بناء الكيان السياسي القديم ولكن لم يكن من السهل إعادة ثقة بني البشر بكفاية هذه الأنظمة السياسية في مجال الدين أو في مجال السياسة فلم يعد بنو البشر يشعرون بالرضى الكامل لعبادة القوة الجماعية وكذلك

لعبادة القوى ذات الطبيعة غير الإنسانية ، وعندما بلغت متاعب الإنسان الخاصة وهي المتاعب التي يلقيها كل منا في حياته القصيرة فوق هذه الأرض حد الأزمة ، أقول عندما بلغت هذه المتاعب هذا الحد وزادت من جرائها المتاعب العامة الموقته شعر الإنسان بحاجته إلى المعونة الإلهية أكثر من ذي قبل .

ومن هنا ، لم تكن خيمة أمل البشر بشأن موضوع عبادتهم السابقة هي خيمة أمل بالنسبة للدين نفسه ، وأنني أعتقد أن نتيجة ذلك كانت دفع البشر للبحث عن الله ليس خلال القوة البشرية الجماعية كما كان الحال قديما ولا في محاولة التوفيق بين المجتمع البشري والقوى الطبيعية غير البشرية ولكن عن طريق تصور لله ليس خلال القوة البشرية الجماعية كما كان الحال قديما ولا في محاولة التوفيق بين المجتمع البشري والقوى الطبيعية غير البشرية ولكن عن طريق تصور لله نفسه . والآن ظهر الزعماء الروحيون والأنبياء ، ونفذت بصيرتهم من خلال هذا القناع ووصلت إلى رؤية مباشرة لله نفسه ، الله الذي لا يراه الإنسان من خلال الاقتصاديات أو من خلال السياسة بل بطريقة مباشرة ، وفتح هؤلاء الزعماء الجدد أفقا للأرواح البشرية لكي تستطيع الاتصال بالله بطريقة مباشرة ، والاتصال به على أفراد كأفراد بسطاء من عامة الناس وليس بطريقة مباشرة من خلال المجتمع الإنساني الذي ينتقمون إليه .

### أرنولد توينبي: ولد البروفسور أرنولد جوزيف

توينبي في اليوم الرابع عشر من ابريل عام ١٨٨٩ ، وتعلم في ونشستر ، ثم التحق بكلية باليول بجامعة أكسفورد حتى عام ١٩١٥ ، ثم عمل بالوظائف الحكومية في أعمال خاصة بالحرب من ١٩١٥ - ١٩١٩ وشارك في مؤتمر السلام الذي انعقد في باريس عام ١٩١٩ . ثم عمل في القسم البريطاني الخاص بالشرق الأوسط ومدرسا للغة البيزنطية والأغريقية الحديثة في جامعة لندن ( ١٩١٩ - ١٩٣٤ ) ثم مديرا لقسم البحث الأجنبي والصحافة .

ثم مديرا للمعهد الملكي للشؤون الخارجية ( ١٩٣٩ - ١٩٤٣ ) فمديرا للمكتب الأجنبي من ( ٤٣ - ٤٦ ) ثم عضوا في بعثة المفاوضات في مؤتمر السلام بباريس عام ١٩٤٦ ، وعمل أستاذا للبحث في التاريخ العالمي في جامعة لندن واستقال في ١٩٥٥ .



السلامة السياسية

مكتبة

فيلسوف

و...

و...

د. محمد غانم

تأليف



يطلق، طبيباً وشعبياً، على كل توأمين اسم "التوأمين السياميان" والاطباء، بشكل عام ينجحون بعملية الفصل عندما يكون التوأمين طفلين، ولكن ماذا نعرف عن السياميين الأصليين الذين أعطيا اسمهما لهذه الظاهرة؟ لقد أوجدا تعبيراً لغوياً جديداً، ولكن قصتهما نادراً ما عرفت، لم يكن "التوأمين السياميان"، كما قد يظن، أول مخلوقين انسانيين يولدان ويعيشان ملتصقين. لقد عرفت حالات كثيرة كهذه في القرون الماضية، فكانت أشهرها حالة اليز وماري شولكهريست الخادمتين اللتين ولدتا عام ١١٠٠ في قرية "بيندن" في مقاطعة "كنت" وكانتا ملتصقتين من الاكتاف وعاشتا حتى الرابعة والثلاثين من العمر وهما تقومان بأعمال جيدة وحصلتا على عطف المؤسسات الخيرية. لكن التوأمين السياميين كانا أول "توأم ملتصق" يشتهر كثيراً خارج وطنه...

لم يكونا "سياميين" أصليين فعلاً... لقد ولدا في قرية "كدينك" الصغيرة على ضفة نهر "سيام" قرب "بانكوك" وأمضيا فترة طفولتهما في "سيام" كان والدهما صينياً يمتهن صيد السمك ووالدتهما قروية سيامية فقيرة أنجبت أطفالاً آخرين طبيعيين، قد أطلقت على "توأمها الملتصق" اسم "شانغ" و"انغ".

عند ولادتهما، وجدا ملتصقين من جانب الصدر والخصر على امتداد حوالي أربع بوصات، وفيما غير ذلك كانا انسانيين طبيعيين كلياً...

في البداية كان مكان الالتصاق يجعلهما متواجهين ولكن مع نموهما بدأ الطفلان يتمددان جانبياً إلى أن أصبحا يتمكنان من التحرك جانبياً والجلوس بصورة شبه عادية، كان الظن في البداية أن الجزء الملتصق الذي جعلهما مختلفين عن باقي البشر في العالم هو جزء مطاطي يسمح لهما بحرية محدودة أحياناً ويحدد هذه الحرية في أغلب الاوقات. ولكن اكتشف انه اذا قام أحد الاشخاص بلمس هذا الجزء كان الولدان يتشعران بذلك معاً. واذا فقد أحدهما توازنه أو تأرجح كان الاخير يحميه من السقوط لكونه يمسك به جيداً...

وكالاطفال السياميين الفقراء واجه التوأمين صعوبة الحياة ملتصقين، وبعد عدة محاولات استطاعا المشي والركض شيئاً فشيئاً...

لقد تعلموا أيضاً السباحة منذ صغرهما وكان ذلك سبباً في تغيير مجرى حياتهما كلياً. وكانا ضيفي الشرف في القصر الملكي في "بانكوك"، وعاشا حياة طبيعية حتى عام ١٨٣٠ عندما بلغا التاسعة عشرة.

وفي تلك السنة شاهدتهما وهما يسبحان القبطان الاميركي "الكابتن كوفين" الذي أطلع تاجراً يدعي "روبرت سنتر" على ما رآته عيناه. وقرر الاثنان محاولة شراء التوأمين لعرضه في أوروبا وهما يظنان بأن ذلك سيجلب لهما الثروة.

ولم يكن ذلك ممكناً لولا حادث معين وقع يومها.

فقد توفي والد التوأمين وفضلت والدتهما النقود على صحبتهما. وقد تم الاتفاق وقام "كوفين وسنتر" بنقل "شانغ" و"انغ" إلى انكلترا، حيث عرضا على الناس لسنوات، وكانا يثيران بينهم العجب والانبهار وعدم التصديق. وجمع الشاريان من وراء ذلك ثروة في مدة قصيرة، إلى أن قام احد المواطنين بتوجيه رسائل إلى الصحف يدعي فيها أن ذلك قد يجعل الاطفال ينحرفون فكرياً. وقد رفضت فرنسا دخولهما بعد أن قررت سلطاتها أن أي امرأة حامل قد تضع شهما لهما بعد رؤيتهما.

طبيباً يعتبر التوأمين السياميان نتاج عدم الانفصال الكامل للبويضات. وهما دائماً توأمين طبيعيين بالتالي من جنس واحد.

مات الكثير من هذه الحالات في المهد ولكن في حالة "شانغ" و"انغ" فإن نقطة الاتصال في الجسم كانت وحيدة وهي تفسر السبب لحياتهما الطويلة وفي كل حال فقد لعب القدر دوراً كبيراً فيهما، فرغم اتصالهما الجسدي كانا منفصلين في كل شيء آخر، كان "شانغ" التوأم "الشمال" شرس الاطباع متعجرفاً ويميل كثيراً إلى الخمر والنساء، وكان اقصر من شقيقه التوأم "اليمين" الهادئ والمفكر والذي يميل إلى الثقافة ولم يكن يحب شيئاً أكثر من سهرة هادئة يقضيها في لعب الشطرنج.

وكما كتبت "المجلة الطبية" الصادرة في فيلادلفيا عام ١٨٧٤:

كان "انغ" يكره ما يحب "شانغ" تناوله من الطعام، وكان شرساً وعزقاً. كان مرض أحدهما لا يؤثر على الآخر فعندما ترتفع حرارة واحد منهما قد يكون الآخر بحالة عادية. كان "شانغ" يشرب بكثرة وأحياناً يسكر ولم يكن ذلك ليؤثر بتاتاً على "انغ" وكثيراً ما كانا متفاهمين وفي بعض الاحيان يكون خصامهما وحشياً وفي احدى المرات وصل الامر بهما إلى المحاكمة.

لقد كره أحدهما الآخر طيلة الحياة وكان الانفصام في الشخصية يتملكهما رغم اتحادهما. وعندما يكونان وحدهما كانا يندبان حظهما بصمت. أحياناً كانا يقبلان أن يفعلوا أولاً ما يطلبه أحدهما ثم يعمدان معاً إلى تنفيذ طلبات الآخر! لكن الخلافات تستمر، والعمل المشترك الوحيد الذي أحياهما في مراهقتهم كان قطع الأخشاب والصيد البري والبحري، ورغم كل ذلك كانا رجلين ذكيين.

بعد احدى المنازعات العنيفة قررا وجوب انفصالهما، والا فانهما سيصابان بالجنون، كانا قد استشارا عدة أطباء مهرة وفي ذهنهما أن الانفصال ضرورة ملحة. لكن الجواب كان واحداً دائماً، لا يمكن ضمان حياتهما بعد عملية جراحية تفصلهما. هذه المرة ذهبا إلى طبيبهما الخاص، الدكتور "هولينغ ورت" وطلبا أن يفصلهما. إدعى "انغ" أن "شانغ" سيء إلى درجة لم يعد معها يستطيع العيش معه. أما "شانغ" فقد طلب أن يحصل على

تفس حظ اخيه وأن يجري الفصل في الوسط تهماً .  
ولكنهما في النهاية اقتنعا بأنه يجب عليهما  
التروي وأخذ الامور ببساطة خاصة وأن كل  
المراجعات الطبية في أوروبا وأميركا اثبتت أن هذا  
الانفصال غير ممكن .

وقرر "كوفين" و "صنتر" أن يعيدا في أميركا  
عملية العرض التي نجحت في أوروبا فعرضا  
التوأمين في "بوسطن" أولاً حيث اشتهرا بأنهما  
"عجيبة" ثم في نيويورك ومدن أخرى حيث ظهرت  
الاعلانات عنهما قائلة "الولدان السياميان  
المزدوجان"

وفي أميركا سرت شائعة بأنهما توأمان لكنهما  
غير ملتصقين . وقد أثار ذلك اهتمام "فيناس" ت .  
بارنوم " فقابل التوأمين كليهما على انفراد  
واستجوبهما واتخذ ترتيباته لفحصهما طبياً . وعندما  
تأكد من أنهما فعلاً ملتصقان ، قرر ان يتولى هو  
زمام أمورهما بدلا من مكتشفهما . وتعاهد معهما  
محتفظاً لنفسه بحق الادارة الوحيدة وقام بعرضهما  
في متحفه الكبير "المتحف الاميركي للأنواع  
النادرة" مع كل من "ابهام الجنرال توم" وغيره .  
ورغم نجاحهما قبل أن يسمع "بارنوم" بهما فإن  
الفضل في شهرتهما العالمية يعود اليه .

وفي هذه المرحلة وصلا الى الاتفاق الوحيد في  
حياتهما: لقد احتقر كل من "شانغ" و "انغ" صاحب  
العرض لأنه كان يشكل مذلة كبيرة لهما ، وحاولا  
تجنبه كلما استطاعا الى ذلك سبيلا . رغم ذلك  
فقد جمعا عن طريقه ثروة مهمة . وأخيراً قررا  
الانسحاب من هذه الحياة الهامشية التي تجعلهما  
يواجهان يومياً وجوهاً ترتسم عليها الدهشة . أنذرا  
"بارنوم" بذلك وخططا للانسحاب من كل عمل  
دعائي . الا انهما منذ وصولهما الى أميركا التي  
سمحت لهما بالحصول على الثروة وهما ما زالا في  
الثلاثينات قررا ان يصبحا "مواطنين اميركيين"  
وقد حصلا على اسم لعائلتهما من احد الذين قدموا  
طلبات يومها الى مكتب التجنيس . وهكذا اصبحا  
شانغ وانغ بانكر ، المواطنين الاميركيين .

وقام التوأمان ببناء منزل فخم لهما بالقرب من  
"مونت ايري" في كارولينا الشمالية واستقرا بين  
مجموعة من المهاجرين الاوائل . كان العبيد يقومون  
بالاعمال ، وكان ذلك مكاناً جيداً لحياة غريبة لا  
يتمناها أحد . الا انه كان ينقصها شيء واحد . . .  
فالتوأمان كانا ما زالا عازبين .

في الثانية والثلاثين تعرفا ووفقا في حب  
شقيقتين كان والدهما مهاجرا ايرلندياً فقيراً يسكن  
بالقرب منهما . وفي أحد الايام ركب التوأمان عربة  
الى الشارع الرئيسي "لمونت ايري" وترجلا وكل  
منهما يحيط بذراعه إحدى الفتيات ، سارة وادلايد  
ياتس . وكانت تلك أول مرة يعلم فيها الجيران  
بهذه القصة الغرامية . وانطلقت الألسن في  
الحديث .

كان الكثيرون يعتقدون حتى ذلك الوقت بأن  
شانغ وانغ لا يمكن تسميتهما بأنهما بشريان .  
ولكن بمجرد سكنهما بالقرب منهم غير هؤلاء



قرية ميكلونغ في سيام حيث ولدا



وبدون رادع، كما هو حاله دائماً، قام "بارتوم" بارسالهما الى انكلترا حيث لقيتا نجاحاً منقطع النظير لمدة سنة. وكان "بارنوم" قد اعلن ان الهدف الرئيسي لزيارتهما هو جمع المال للانفصال. وطريقته الخاصة في الاعلان وجدت صدى حسناً لدى الجمهور، أما في الواقع فلم يكن هناك شيء من الصدق في اعلانه اذ لم تعد عملية الانفصال واردة وانتهى البحث فيها بعد أن أصبح التوأمان متزوجين ومسؤولين عن عائلتيهما.

# SIAMSE TWIN.



For Day only.

## CHANG-ENG

Very respectfully acquaint the Ladies and Gentlemen of

That they will be in that place, on

And will receive Visitors at the

The HOURS OF ADMISSION, will be from

أحد الاعلانات عن تقديمهما للجمهور في أميركا

عندما تجاوز التوأمان الستين من العمر كانا ثريين بما فيه الكفاية لتأمين تقاعد الى الأبد وانتهى عقدهما مع "بارتوم" بصورة نهائية وعادا مرة ثانية الى الهدوء والسلام في "مونت ايري" ليعيشا مع ابنائهما في منزليهما المتشابهين "واري" و"جون".

بقي "شانغ" مريضاً لفترة من الزمن وكان ذلك بسبب افراطه في تناول الكحول. وكان أمامهما مستقبل يبشرهما بسعادة أكثر مما نالا في الماضي. ولكن كانت سعادة قصيرة الاجل.

وقد حلت النهاية بصورة مفاجئة وغريبة معاً، في أحد الايام القارحة البارد من كانون الثاني ١٨٧٤. والسجل السنوي لذلك الوقت يفصل ما حدث كما يأتي:

فكرتهم، أما ان يتزوجا بفتاتين طبيعيتين فكان ذلك أكثر مما يهضمه الناس الذين حطموا نوافذ مزرعة "ياتس" وهددوا والد الفتاتين بالحرق ان هو سمح باتمام الزواج. وهكذا فشل غرام الزوجين وسجن كل منهما نفسه في مزرعته.

لكن الحب الحقيقي لا يعرف الفشل، فبعد الضجة بقليل كان الأربعة يلتقون سراً في إحدى التلال خلف المدينة بعد اجتيازهم جسراً صغيراً، واستمرت هذه العلاقة الغرامية السرية عدة اشهر قرروا بعدها الزواج رغم معارضة الجميع. أصبح انغ حبيب "سالي" وشانغ حبيب "أدي".

وقبل ان يفترقوا اتفق الجميع على انه يجب ان ينفصل الشقيقان لكي يستطيعا ان يعيشا حياة طبيعية. ذهب "شانغ" و"انغ" الى المعهد الجراحي في فيلادلفيا حيث علما ان هناك أطباء مهرة على استعداد لاجراء العملية لوجه التقدم العلمي. اذا وافق الشقيقان على تحمل الخطر، ووافق التوأمان مع علمهما التام بأن يوم العملية قد يكون آخر أيامهما.

وفي اليوم الموعد جاء الى المعهد وفيما كانت تجري الترتيبات لاجراء العملية وصلت الفتاتان، وجرى نزاع كبير اختلطت فيه الدموع بالمناقشات والمعارضة. وانتهى بان يبقى التوأمان "شانغ" و"انغ" كما هما وخرجا مع طبيبتيهما السعيدتين.

بعد شهرين، في ربيع ١٨٤٣ شهدت كنيسة "مونت ايري" اغرب زواج مزدوج عرف في التاريخ. ورغم معارضة العائلة واستهجان الناس، كان الأربعة آخر من اهتم بالتعقيدات الجسدية والنفسية التي أثارها الضجيج حول زواجهم. ورغم ذلك استمر التناقض والخلاف بين الشقيقين عاماً كما استمرت أيضاً المصالحات.

لقد أنشأ التوأمان منزلاً آخر مشابهاً تماماً للمنزل الاول وعلى بعد ميل واحد منه، لقد استعجلا خطتهما ببناء عشرين للزوجية. كان "انغ" مع "سالي" وبوجود "شانغ" يقضيان ثلاثة أيام بلياليهما في منزل "انغ" ثم يقوم "شانغ" و"أدي" لقضاء ثلاثة أيام بلياليهما في منزل "شانغ".

وبحضور "انغ" طبعاً، ويبدو أن هذا الترتيب الفريد في نوعه نجح نجاحاً تاماً. وكان الزوجان تاجحين، وانجبت الزوجتان عائلتين كبيرتين، "سالي" و"انغ" أنجبا أحد عشر طفلاً و"شانغ" و"أدي" عشرة. كان جميع الاطفال طبيعيين وبحالة جيدة ما عدا اثنين كانا أخرسين وأصممين، وعلى مدى ثلاثين عاماً عاشت عائلتا التوأمين باتفاق تام.

عندما اندلعت الحرب الاهلية خسر التوأمان عبيدهما وبالتالي تزعزعت ثروتهما وحياتهما الهائلة. واجبرا أخيراً على العودة الى حياة العرض لكي يتمكنوا من العيش.

ورغم خلافهما السابق مع "بارنوم" وشكهما به في هذا المجال فقد طلبا منه العودة الى ادارتهما. وكانت عودتهما الى نيويورك فاشلة، لأن مصائب الحرب اجهضت كل شعور تجاه العجائب.

كانا في منزل "شانغ" وكانت تلك الامسية الوقت المحدد للانتقال الى منزل "انغ" كان النهار بارداً و"شانغ" يشتكي منذ أشهر من أنه مريض جداً، مساء الجمعة دخلا الى غرفة صغيرة فاستراحا ثم ذهبا الى السرير فلم يستطع "شانغ" أن ينام. وفي وقت ما بين منتصف الليل وبزوغ الفجر كانا يقومان ويجلسان أمام المدفأة، وكان "انغ" يعترض قائلاً انه يريد الاستلقاء لأن النعاس يغلبه يرفض "شانغ" ويجيبه بأن الاستلقاء يؤلم صدره.

بعد قليل عادا الى السرير ونام "انغ" نوماً عميقاً.

حوالي الرابعة صباحاً دخل أحد الاولاد الى الغرفة، وفيما كان متوجهاً الى أحد اطراف السرير وجد عمه ميتاً، واستيقظ "انغ" على الضجة فالتفت مذعوراً الى الميت على شماله، وعندها اصيب بنوبة عصبية مميتة.

لم يكن هنالك أي طبيب، وكان يجب قطع ثلاثة أميال للوصول الى مدينة "مونت ايري" كان يموت المرء أحياناً قبل قطعها، ذهب أحدهم الى القرية لاجتماع الدكتور "هولينفورت" الذي ارسل شقيقه، وهو الآخر طبيب، ولكن اللحظة الحاسمة حلت قبل وصوله ومات "التوأمان السياميان".

أحد التقارير يروي ما حصل كما يأتي:  
بعد تأكده من موت أخيه انفجر "انغ" باكياً وأصيب بالاغماء مع نوبات عصبية أودت بحياته.

لقد شعر "انغ" قبل وفاته بان شقيقه الشرير القاسي الذي تخاصم معه طيلة ثلاثة وستين عاماً كان جزءاً من نفسه. وهذا الاكتشاف الرهيب والاعتراف القاسي بالواقع سبب له خوفاً رهيباً أودى بحياته.

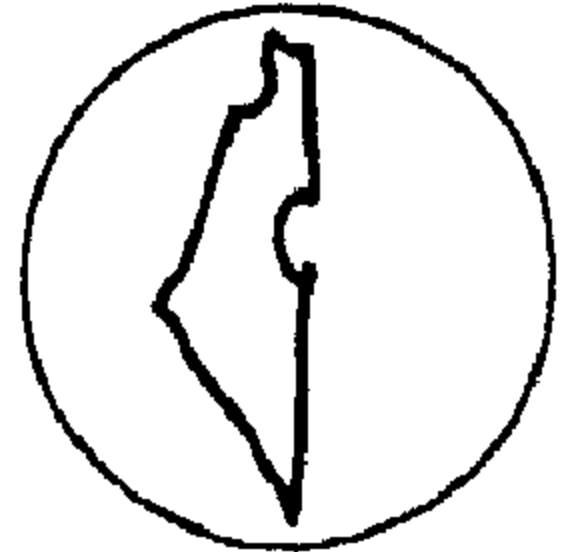
"سالي" و"ادى" رفضتا عروضاً كثيرة من المبالغ المالية الطائلة لشراء جسدي زوجيهما ومقابل ذلك قاما بتقديم الجثتين الى "المعهد الجراحي في فيلادلفيا".

وأخيراً استطاع الاطباء الاطلاع والتعمق في السبب الذي اثارهم لسنين طويلة، اثبت التشريح ان "شانغ" و"انغ" كانا يملكان جهازاً عصبياً منفصلاً، لكنهما كانا يشتركان في الكبد والدورة الدموية، وان أية عملية كانت ستجري لهما كانت ستسبب وفاتهما. وسبب عدم تأثر "انغ" ابداً بكميات الكحول التي كان يتناولها شقيقه هو أن جهازه العصبي كان اكثر حساسية من جهاز أخيه لذلك لم يكن ليجتاج الى الكحول. كانا شخصيتين في جسد واحد.

كان "شانغ" و"انغ" محكومين اما بالعيش سوياً أو بالموت، واذا نظرنا بامعان الى حياتهما نجد الكثير من الاعمال التي قاما بها لينجحا في حياتهما.

ولم يسع العالم الا تقديرهما والاعجاب بهما لكونهما عاشا في ظروف لم تحصل لكائن بشري آخر أهمها... أن لا يكون وحده أبداً.

## هل تعلم؟



### د. فايز صايغ

الاراضي الى الهيئات الصهيونية ولم يبعها ملاكها العرب؟

– وأنه، لذلك، لم يكن في حوزة الصهيونيين أكثر من ٢٪ من مجموع مساحة اراضي فلسطين عندما نقلت بريطانيا قضية فلسطين الى الامم المتحدة عام ١٩٤٧؟

٢ – وأنه، على الرغم من هذه الحقائق، فقد أوصت الجمعية العامة للامم المتحدة بانشاء "دولة يهودية" في فلسطين؟ وأن توصية الجمعية العامة منحت هذه "الدولة" المقترحة حوالي ٥٤٪ من مجموع أراضي البلاد؟

٧ – وان اسرائيل استولت أثر ذلك (ولا تزال تستولي) على ٤٨٪ من مجموع مساحة أراضي فلسطين؟

٨ – وإن معظم هذا التوسع حدث قبل ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ أي قبل انتهاء الانتداب البريطاني رسمياً وانسحاب القوات البريطانية من فلسطين، وقبل دخول الجيوش العربية الى فلسطين وقيام الحرب بين الدول العربية واسرائيل؟

١ – أنه – عندما خلقت بريطانيا مشكلة فلسطين عام ١٩١٧، كان أكثر من ٩٠٪ من سكان فلسطين عرباً؟ وأنه لم يكن في فلسطين، في ذلك الوقت، أكثر من ٥٦٠٠٠ يهودي؟

٢ – وان أكثر من نصف أولئك اليهود الذين كانوا يعيشون في فلسطين في ذلك الوقت، كانوا من المهاجرين الجدد، الذين قدموا اليها في السنوات الخمس والثلاثين السابقة هرباً من الاضطهاد في أوروبا؟ وان أقل من ٥٪ من سكان فلسطين عام ١٩١٧ كانوا من اليهود الفلسطينيين المواطنين؟

٣ – وإن عرب فلسطين كانوا يمتلكون في ذلك الوقت ٩٧ ١/٢٪ من الأراضي، بينما لم يكن في حوزة اليهود (المواطنون الفلسطيني منهم والمهاجر الجديد) الا ٢ ١/٢٪ من الأراضي؟

٤ – وإنه، خلال ثلاثين عاماً من الاحتلال والحكم البريطاني، لم يستطع الصهيونيون ان يملكوا سوى ١/٢ ٣١٪ من أرض فلسطين – وذلك على الرغم من تشجيع الحكومة البريطانية؟ وان الحكومة البريطانية هي التي نقلت ملكية معظم هذه



# تاريخ الشطرنج بالقصص



## تاريخ

اعداد: محمد مراد سكر

رئيس اتحاد الشطرنج السناني

كثيرا في التفاصيل التي نجدها في كتب كثيرة سننهج في مقالاتنا الشهرية منهاجاً جديداً فنذكر ما يقع تحت ايدينا من قصص شطرنجية في مختلف الكتب القديمة ونترك للقارئ الكريم ان يكون لنفسه فكرة عامة عن تاريخه ونوادره، أهلين ان نكون بهذه الطريقة قد قدمنا مسلسلاً قصصياً لا يملء القارئ يختلف عن البحث الجاف التي تقدمه عادة كتب التاريخ. ولن يكون لهذه القصص تسلسل تاريخي اي الاقدم فالاحدث انما سنحاول وفقاً للترتيب الابجدي لدول العالم او وفقاً لما يقع تحت ايدينا ان نذكر في كل مرة قصصاً رويت في تلك الدول عبر التاريخ، بادئين بحرف الالف أهلين من القراء الكرام ان يوافقونا برأيهم وبما عندهم من القصص

من وضع الشطرنج؟ من اخترعه؟ هل في الامكان تحديد تاريخ اختراعه؟ اسئلة كثيرة حيرى، واساطير كثيرة حوله. ويظهر ان اصله تائه في ليالي الزمن وان تكن اغلب الكتب ارجعته الى الهند ومن هناك امتد الى بلاد فارس وإلى مصر وإلى الجزيرة العربية. ومن الهند انتقل أيضاً الى الصين فاليابان، ومن احد هذه البلدان امتد الى اليونان وإلى روسيا وسوى ذلك من انحاء العالم. ويكاد يكون من المؤكد كما يذكر كثير من المؤرخين العرب ان الشطرنج امتد اليها من الهند وفارس وانتقل اليها بعد الفتوحات الاسلامية لبلاد الفرس ومن ثم نشره العرب في فتوحاتهم الاخرى. وتقول بعض المصادر ان الشطرنج كان معروفاً قبل الاسلام. وحتى لا نخوض

### من المانيا

يقول هايد: ان التجار الذين كانوا يشتركون في معارض المانيا في التاريخ القديم، كانوا يقضون اوقات فراغهم اثناء المعارض في لعب الشطرنج، فاذا دهمهم الوقت ولم يبق لهم ما يسمح لهم بانهاء الجولة، كانوا يؤجلونها الى المعرض القادم، وعند ذاك يستدعون كاتب العدل الذي يأخذ علماً بوضع الجولة وبمركز كل قطعة على الرقعة ليكملوها في عامهم المقبل.

اعطى دوق برونسويك احدى مدنه التي يملكها اسم "شاخ ستاد" اي مدينة الشطرنج واعطى اهلهاميزات خاصة شرط ان تكون لدى كل عائلة رقعة من الشطرنج لتحدي اي غريب قد يزور هذه المدينة. ويذكر "ماليه" في كتابه لعبة الداما في الصفحة ٢٧٢ الى ٢٧٤ القصة التالية التي جرت في مدينة دعاها فولفيرغان.

في اوائل القرن الحادي عشر أرسل الكونت دي كونجيان سجيناً بأمر من الملك هنري الثاني (الالمانى) الى اسقف مدينة ستروبيك مع امر بالتشدد في حراسته. فوضع الكونت في قلعة قديمة محكمة الابواب، وكان الكونت شغوفاً بالشطرنج، فقام ليخفف من عناء سجنه ووحدته، بصنع رقعة من الشطرنج مع كافة القطع الضرورية، في البدء اخذ يلعب لوحده ثم رأى ان يبدأ بتعليم الشطرنج الى القرويين الذين كانوا يتناوبون على حراسته، فاحب القرويون اللعبة ونقلوها الى منازلهم يعلمونها الى اهلهم واولادهم، وزاد تعلق القرويين باللعبة حتى اصبحت شيئاً مهماً في ستراوبورغ، وامست بعد نيف من الزمن قسماً من عاداتهم ناخذوا يعلمونها في المدارس ثم تناقلوها جيلاً بعد جيل، واخذوا ينظمون في كل عام مباراة في الشطرنج يشترك فيها كل مرة ٤٨ طالباً من



عليه كثيرا، ويظهر ان ذلك صعب على الامير فقام بضرب الغلام حتى مات .  
وفي كتاب آخر نشر سنة ١٢٧٤، يقول مؤلفه غوتفريد ان الامبراطور فالنتينيان كان يلعب الشطرنج دائما مع القنصل مكسيم في روما سنة ٤٥٥ م وكانت زوجة القنصل تروق في عيني الامبراطور فاخذ يحاول عبثا الاجتماع بها . وفي احد الايام بعد عدة جولات شطرنجية كانت الغلبة فيها للامبراطور واستطاع فيها ان يربح ما كان يحمله القنصل من المال مضافا اليه خاتمه الخاص، أرسل الامبراطور الخاتم مع رسول خاص الى زوجة القنصل يطلب منها الحضور الى القصر لتلحق بزوجها الموجود هناك والخاتم دليل علم الزوج بذلك . ولم تكد تصل حتى استقبلها الامبراطور بالترحاب وابقاها حتى قضى وطره منها مما اغضب القنصل الذي استطاع القيام بحملة قضى فيها على الامبراطور .

احسن لاعبي القرية، يعطى الرابح فيها رقعة شطرنج يشترك فيها احسن صناع القرية . وفي مهرجان خاص يحملون الرابح وسط الاهازيج الى منزله حيث يعلقها في صدر المنزل وتصبح بالتالي موضع فخر واعتزاز للعائلة .

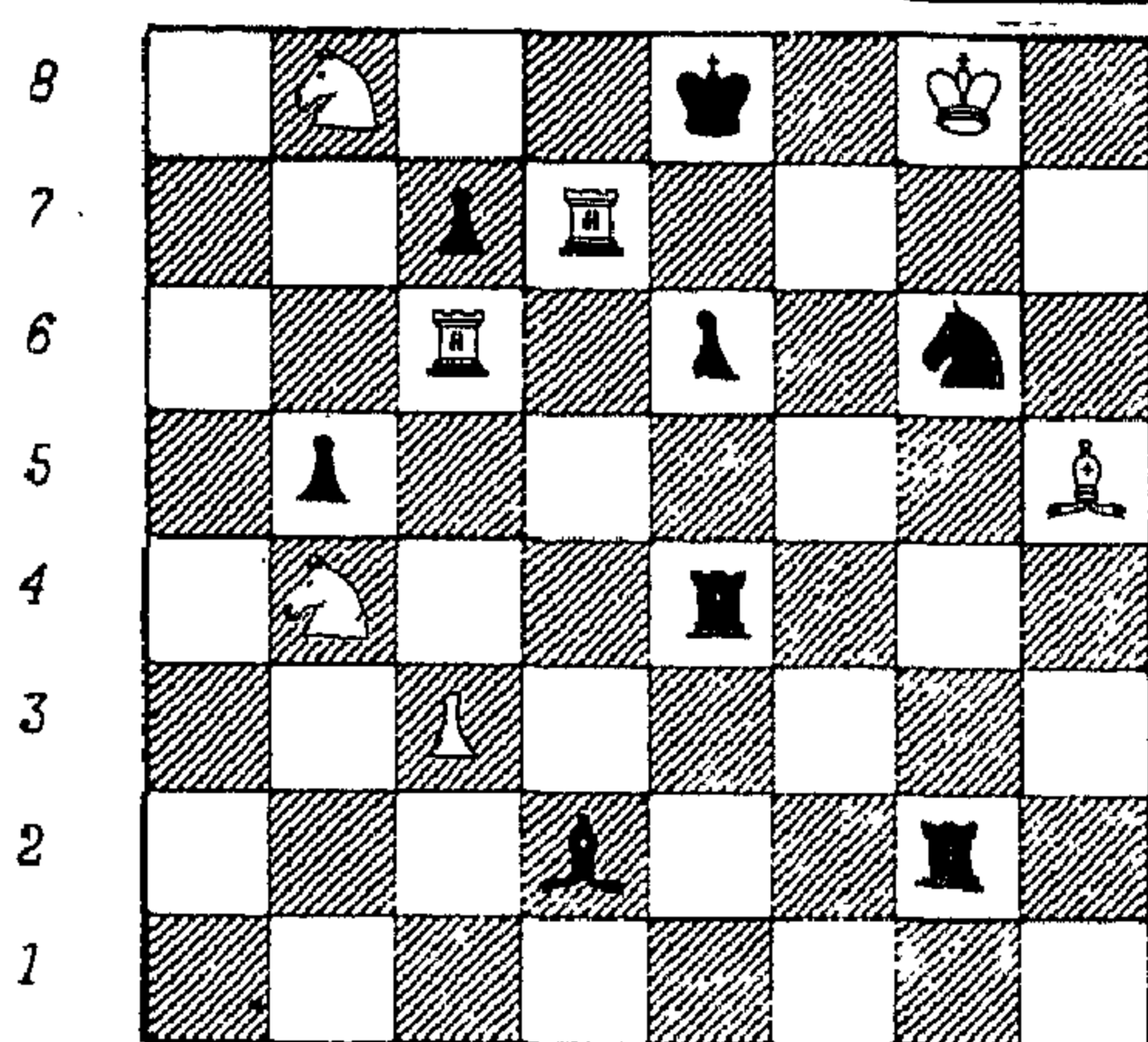
واذا زفت احدي بنات هذه القرية الى غريب، كان على العروس قبل مغادرة القرية ان تلاعب القاضي الاول للطائفة جولة واحدة لتبرهن للملا انها لا تزال تحافظ على تقاليد القرية، ويجري هذا الاحتفال عادة في احدي صالات نزل معروف باسم "الى الشطرنج" .

تقع سترابورغ هذه، على بعد الف ميل من مدينة هالبرستاد في مقاطعة ماغد بيبورغ . (نشرت هذه القصة في البلاميد سنة ١٨٢٦) .

وفي كتاب نشر سنة ١٢٤٧ م هذه الاسطورة: كان لاوكاريوس ولد في قصر بيبان يلاعب الامير الصغير الشطرنج وكان الولد امهر من الامير وكان يتغلب



### مسابقة الشطرنج



a b c d e f g h

#### فاز بثلاث نقلات

وسنشر في كل عدد مع الحل الصحيح للمسائل المنشورة اسماء الذين توصلوا الى الحل الصحيح في المدة المحددة والذين سيكون لهم الحق بالاشتراك في الجائزة السنوية .

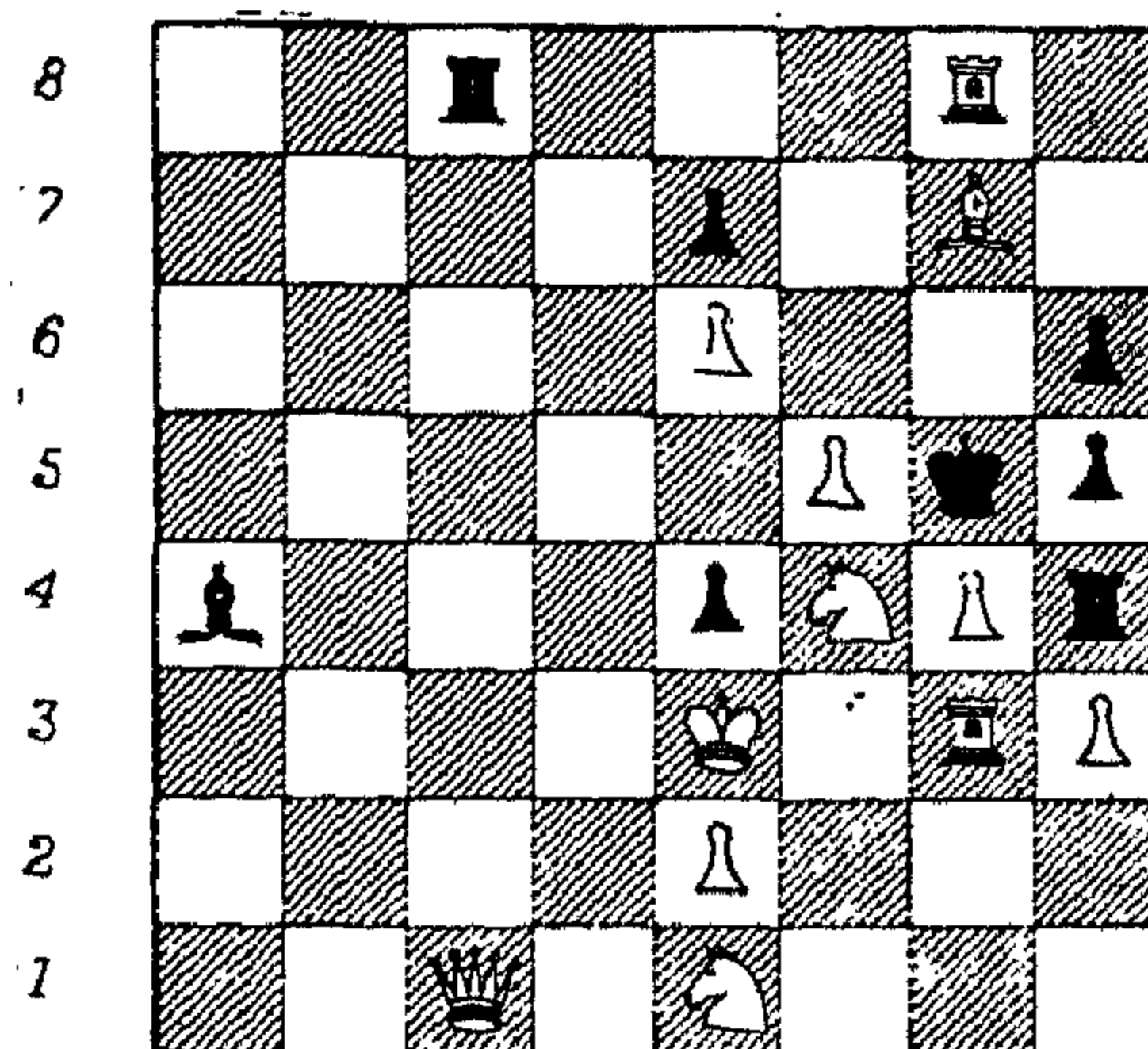
ترسل الحلول الى ادارة المجلة ص.ب. ٥٩٠٥ ويكتب على الظرف مسابقة الشطرنج . يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال .

٢ = اشتراك لمدة سنة في "تاريخ

العرب والعالم" للفائز الثاني

٣ = اشتراك لمدة نصف سنة للفائز

الثالث



a b c d e f g h

#### فاز بنقلتين

سننشر في كل شهر مسألتين في الشطرنج وستفحص جوائز شهرية للفائزين الثلاثة الاول في حل المسألتين معا . اننا سنحتفظ باسماء كل الذين استطاعوا حل هذه المسائل على ان تجري القرعة في ما بينهم آخر العام لاختيار فائز واحد يكون صاحب الحظ ببطاقة سفر من بيروت الى اي بلد عربي يختاره .

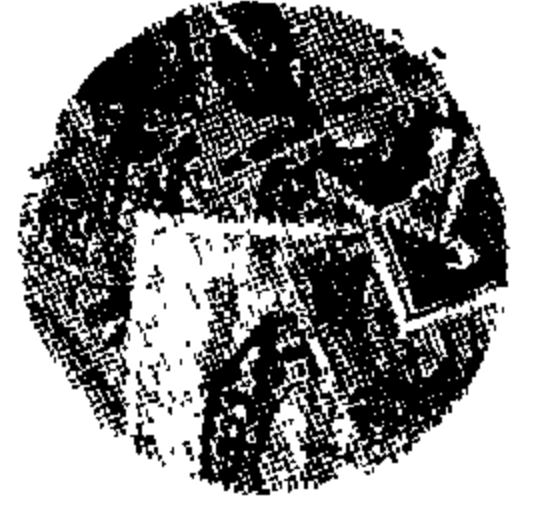
الجوائز هي:

١ = مائة ليرة لبنانية او ما يعادلها

للفائز الأول



# ماذا تعرف عن الطوابع ؟



## تاريخ

اعداد: ميشال اسطفان

الاخصائي في الطوابع

ومع دخول جيوش الحلفاء الى لبنان ، دخل معها الطابع الفرنسي الذي جرى توشيعه في مطبعة جدعون في بيروت T.E.O أي (اراضي الاعداء المحتلة) ووضع في الاستعمال البريدي في لبنان ابتداء من ٢١ تشرين الثاني ١٩١٩ .

أما المجموعة الاولى المؤلفة من عشرة طوابع فهي التالية: (٢ و ٣ و ٤ و ٥ مليم - (١ و ٢ و ٥ و ١٠ قروش موشحة بالترتيب على طوابع فرنسية فئة ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ١٠ و ٢٥ و ٤٠ و ٥٠ سنتيم و فرنك (الصورة ٨ - ٩)



وهناك خمس مجموعات لاحقة تؤلف ٧١ طابعاً صدرت على التوالي ما بين ١٩١٩ - ١٩٢٣ ، اولها تحمل توشيح : T.E.O وثلاث تحمل توشيح O.M.F أي (احتلال فرنسي عسكري) والآخرى تحمل توشيح Syrie - Grand Liban وكانت تستعمل في سوريا ولبنان على السواء ، وقد صنفت كلها مع مجموعة الطوابع السورية .

ويلاحظ أن العملة المستعملة على المجموعات الثلاث الاولى هي المليم والقرش المصريان لان نظام العملة المحلي كان مرتبطاً بالاستقرايين على اساس الذهب ، ومن ثم - أي عام ١٩٢٠ - استعمل السنتيم والقرش السوريان .

هذه المجموعات وضعت هدفاً للطوابع الاجنبية التي كانت تستعمل الى جانب الطوابع العثمانية ، بواسطة مكاتب لها في لبنان ، وكان ذلك بسبب تدخل النفوذ الاجنبي الذي والت الدولة العثمانية الاعتراض عليه حتى احرزت الموافقة على الغاء هذه المكاتب البريدية في جميع الاراضي التابعة للإمبراطورية العثمانية بموجب معاهدة "لوزان" فاقفلت تباعاً حتى عام ١٩٢٣ .

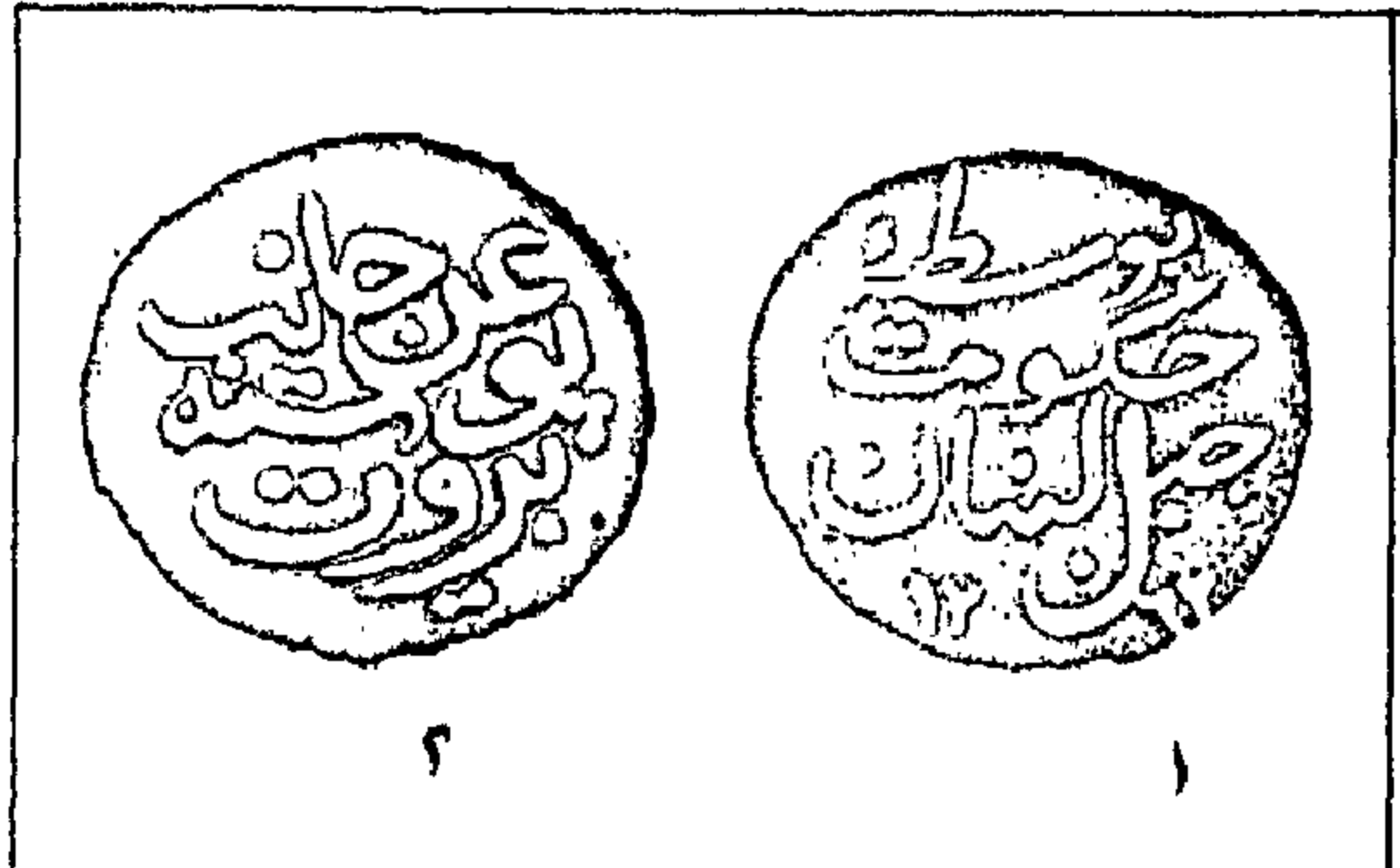
لئن كانت الطوابع البريدية قد وجدت أساساً للتخليص البريدي ، فإنها ما لبثت ان لفتت انتباه الناس ، فاقبلوا على جمعها ، واذا هي متعة وتسلية ، وحقل خصب لاختبار الذوق والفن ، واقتباس المعرفة التاريخية والجغرافية ...

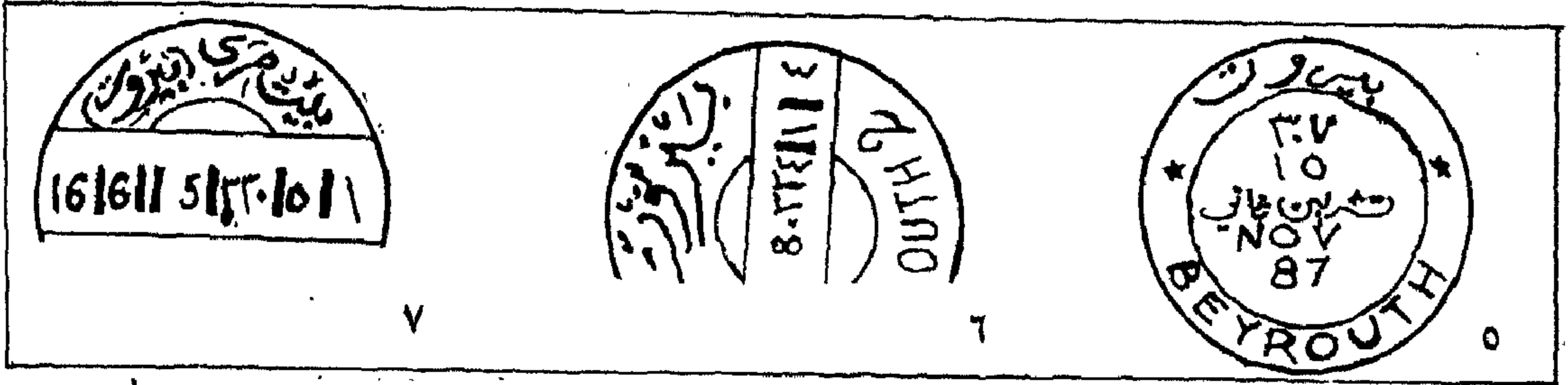
وهذه الطوابع الزهيدة القيمة في الاصل ترتفع اثمانها باضطراد ، واذا جمعت بحسب الاصول ، ولو بمبالغ زهيدة فإنها تؤمن لصاحبها استثماراً ناجحاً ومستمراً .  
وما نحن في خدمتك ايها القارئ لتكوّن من هواة جمع الطوابع الناجحين .

## لبنان

بدأ تخليص البريد في لبنان في عهد السلطنة العثمانية ، باختام نحاسية صغيرة تمسك بالاصبعين : (الصورة ٣٤٢٠١) وذلك حتى عام ١٨٦٣ عندما صدرت الطوابع البريدية التركية بفرمان مؤرخ في اول كانون الثاني من العام نفسه . وكانت تُعطّل هذه الطوابع باختام مختلفة بدأت بختم مربع : (الصورة ٤) يحمل اسم مدينة بيروت فقط ، ثم بعدة أختام مستديرة مختلفة : (الصورة ٧٤٦٠٥) تحمل اسم المصدر والتاريخ .

وانتشرت هذه الطوابع التركية في لبنان وجميع الاراضي المشمولة بحماية الدولة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ١٩١٨ .





الجمهورية السودانية - ٨ / تموز ١٩٧٨ - مؤتمر القمة الافريقي الخامس عشر في الخرطوم .  
ثلاثة طوابع: ٣ و ٤ و ١ / ١٠ قروش العدد ٢٠٠٠٠٠٠ مجموعة .

دولة الكويت - ٧ أيار ١٩٧٨ - اليوم العالمي العاشر للمواصلات السلوكية والملاسلكية .  
طابعان: ٨٠ و ٣٠ فلس العدد ٥٠٠٠٠٠٠ مجموعة .  
الجمهورية الليبية - ١٩٧٨ - الترسية: طابعان: ٣٠ و ١١٥ ملليم .

مصر - ٧ نيسان ١٩٧٨ - السنة العالمية لاستئصال الجدري: طابعان ٢٠ و ٤٠ ملليم .  
المملكة المغربية - ٤ نيسان ١٩٧٨ - المؤتمر العاشر لجمعية الهلال الاحمر والصليب الاحمر العربيتين . طابع واحد: ١ درهم .  
الجمهورية العراقية - ١٩٧٨ - ١٧ تموز - اعياد تموز طابعان: ٢٥ و ٣٥ فلس وبطاقة ١٠٠ فلس .



هل تعلم؟

انه بالرغم من الاحوال الاقتصادية المتردية هذه الايام فقد جرت في الشهر الماضي في بيروت صفقة بيع خمسة طوابع فرنسية بمبلغ احد عشر الف ليرة لبنانية الى احد كبار الهواة بغية الاستثمار! وان الطابع اللبناني الاخير "للازياء" من فئة ٥ قروش الذي وشح في السنة الماضية قد فقد من الاسواق واصبح سعره اليوم يزيد على الليرة اللبنانية الواحدة .

وان البيع والشراء بالمقايضة، كما كان في الايام الغابرة، ما زال قائماً حتى الان بالطوابع البريدية! اذ تمت عمليات مقايضة، سجاد عجمي ثمين وقطع اثاث للبيت بطوابع بريدية، وآخر مقايضة جرت كانت في الشهر الماضي لقاء سيارة مورييس مستعملة!

وكانت المكاتب البريدية الاجنبية في لبنان هي التالية:

البريد الفرنسي - ١٨٤٠ الى ١٩١٤ .  
البريد الروسي - ١٨٥٧ الى ١٩١٤ .  
البريد النمساوي - ١٨٢٧ الى ١٩١٤ .  
البريد البريطاني - ١٨٧٣ الى ١٩١٤ .  
البريد الالماني - ١٩٠٠ الى ١٩١٤ .

قد لا يجد المبتدئ من الهواة لذة في جمع هذه الطوابع لعدم جاذبيتها بالنسبة للاصدارات الحديثة؟ الا أننا ننصح المتقدمين منهم بأن يبادروا الى جمعها لانها جزء أساسي من التراث الطابعي في البلاد . وأثمانها في الاسواق العالمية تسير باضطراب نحو الارتفاع .  
اما طريقة الجمع التي ننصح بها فهي اعتماد المختوم منها الذي يظهر فيها اسم المصدر اللبناني، ذلك لان هذه المكاتب الاجنبية كانت لها مكاتب بريد ممثلة في معظم بلدان الامبراطورية العثمانية وحتى في اسطنبول واوروبا .



حركة الاصدارات الأخيرة

المملكة الاردنية الهاشمية - حزيران ١٩٧٨ - الحريف - اربعة طوابع بقيمة ٣٦٥ فلساً .  
البحرين - ١٧ أيار ١٩٧٨ - اليوم العالمي العاشر للمواصلات السلوكية والملاسلكية، طابعان: ٨٠ و ٤٠ فلساً العدد ١٢٥٠٠٠ مجموعة .  
الجمهورية التونسية - ٨ أيار ١٩٧٨ - الهلال الاحمر، طابع واحد: ٥٠ + ١٠ ملليم .  
الجمهورية الجزائرية - ٢٩ نيسان ١٩٧٨ - سلامة الطرق، طابع واحد: ٢٠ درهم .  
المملكة العربية السعودية - ١٩٧٨ - استثمار البترول في البحر، طابع واحد: ٥٠ هله .





## مسابقة الشهر

عمودياً

- ١ - امير لبناني تراه على طابع لبناني .
- ٢ - حيوان يشبه الجمل في الشرق الاوسط . بلد
- شارك لبنان في الطوابع الاولى (معكوس) .
- ٣ - سرق - اسم جنرال فرنسي يطلق على اول مجموعة استعملت في سوريا ولبنان بعد الاحتلال الفرنسي (معكوس) .
- ٤ - ضد اصيل . الاسم الاول لرئيس جمهورية لبناني تراه على طابع لبناني .
- ٥ - سقي - نصمم مجزومة (معكوس) . نعم بالاجنبية .
- ٦ - نميمة (مبعثرة) .
- ٧ - عالم وفيلسوف عربي تراه على طابع لبناني .
- ٨ - سحب . عوج في الرجل .
- ٩ - مدينة لبنانية تراها على طابع لبناني (معكوس) . الهي .

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١

أفقياً

- ١ - اسم رسام لطوابع قلعة جبيل وطرابلس وغيرها (معكوس) .
- ٢ - زوجة امير لبنان تجدها على طابع لبناني .
- ٣ - عبودية . الاسم الاول لرئيس جمهورية لبناني .
- ٤ - الاسم الاخير لمؤسس الكشفية تراه على طابع لبناني (معكوس) .
- ٥ - حاكم (معكوس) . اسم قرية لبنانية (معكوس) .
- ٦ - رسام كاريكاتور لبناني . اقترح .
- ٧ - اسم كتلوج فرنسي للطوابع العالمية (معكوس) . اسم كتلوج فرنسي للطوابع العالمية .
- ٨ - اول طيار بين مرسيليا وبيروت تراه على طابع لبناني .
- ٩ - نهر في لبنان تراه على طابع لبناني .

### "مسابقة الطوابع"

ترسل الحلول الى ادارة المجلة، ويكتب على الظرف

"مسابقة الطوابع" . يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال .

الجوائز هي:

الجائزة الاولى: خمسون ليرة لبنانية او ما يعادلها .

الجائزة الثانية: مجموعة طوابع بريدية قيمتها لا تقل ثمنها عن خمسون ليرة لبنانية او ما يعادلها .

الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في المجلة .

### قسم الطوابع

نرحب بجميع الاسئلة من لدى القراء وهواة جمع الطوابع وسننشر في هذا المكان ما يكون منها مهماً ومفيداً .

ارسل ملاحظاتك واقتراحاتك الى مجلة "تاريخ العرب والعالم" "قسم الطوابع" ص.ب (٥٩٠٥) بيروت - لبنان -

### حركة البيع والشراء

هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع والمراغبين في المبادلة او البيع او الشراء . وقد درسنا احسن الاسس العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا مجاناً في خدمة القراء .

# للطلاب فقط...



اعداد: سحر بعاصيري

الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي، خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد.

والمطلوب الاجابة على الاسئلة جميعها ورافقها بالقسيمة المنشورة الى جانب الزاوية، ولا يشترك في القرعة لاختيار الفائزين بالجوائز من اخطأ في أحد الحلول.

اذا رغبت، صديقي القاريء، بالاشتراك في المسابقة فما عليك الا ان ترسل الحلول مع القسيمة الى عنوان المجلة، مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة أو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. -وتغفل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لان المسابقة مخصصة للطلاب... وللطلاب فقط.

## ما هي ؟

■ مدينة فرنسية، تشتهر بكثرة قصورها وحدائقها. تقع شرق فرنسا وجنوب غرب باريس. وقعت فيها بعض المعاهدات الهامة. فيها قصر شهير بدأ بتشيعده لويس الرابع عشر سنة ١٦٦١، ونقل اليه بلاطه سنة ١٦٨٢، لكن الثورة الفرنسية ارغمته على الانتقال الى قصر التويلري بباريس سنة ١٧٩٠.

حول لويس فيليب القصر الى متحف وطني. من المعاهدات التي تمت فيها معاهدة عرفت باسمها بعد الحرب الاهلية الاميركية ضد بريطانيا سنة ١٧٨٣، واتفاقية اخرى وقعت في نهاية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٩.

■ مجموعة جزر (مساحتها الكلية ٣٠٥ كيلومترا مربعا ومجموع سكانها ٣٥٠,٠٠٠). خضعت للفينيقيين واليونان والقرطاجيين والرومان والعرب، وفي ١٥٣٠ اعطيت للفرسان الاسبتارية الذين حكموا حتى هزيمتهم امام نابليون في ١٧٩٨. ضمت لبريطانيا ١٨١٤، واصبحت عاصمتها القاعدة البحرية والعسكرية الرئيسية لبريطانيا في البحر المتوسط. وبمقتضى دستور ١٩٤٧ منحت حكما ذاتيا محدودا. تعتبر احواض السفن التابعة للبحرية البريطانية اهم مصدر للعمل بالنسبة للسكان. وجدت فيها آثار هامة من العصر الحجري القديم، والعصر الحجري الحديث، والعصر البرونزي. نالت استقلالها في ٢١ ايلول ١٩٦٤.



## اين .. ومتى؟

■ خلافاً لدبلوماسي . وقع بين بريطانيا وفرنسا ، سببه دعوى فرنسا بحقها في السيطرة على اعالي النيل مما اوصل الطرفين الى حافة الحرب المباشرة . نشب الخلاف ، عندما دخلت حملة فرنسية مشكلة من الجنود السنغاليين بقيادة ج . ب . مرشان الى مدينة ( ٠٠٠ ) واستيلائها عليها

■ خلافاً لدبلوماسي . وقع بين بريطانيا وفرنسا ، سببه دعوى فرنسا بحقها في السيطرة على اعالي النيل مما اوصل الطرفين الى حافة الحرب المباشرة . نشب الخلاف ، عندما دخلت حملة فرنسية مشكلة من الجنود السنغاليين بقيادة ج . ب . مرشان الى مدينة ( ٠٠٠ ) واستيلائها عليها

## من هي ؟

■ فيزيائية وكيميائية بولونية ( ١٨٦٧ - ١٩٣٤ ) تعلمت في باريس على يدي بواتكاريه ولبمان . اشتهرت هي وزوجها لاكتشافها عنصر الراديوم . وتمكنت من عنصر "البولونيوم" . وتسمى باسمها كمية الرادون الموجودة في توازن اشعاعي في غرام من الراديوم ( يستعمل الان بمعنى كمية من

■ فيزيائية وكيميائية بولونية ( ١٨٦٧ - ١٩٣٤ ) تعلمت في باريس على يدي بواتكاريه ولبمان . اشتهرت هي وزوجها لاكتشافها عنصر الراديوم . وتمكنت من عنصر "البولونيوم" . وتسمى باسمها كمية الرادون الموجودة في توازن اشعاعي في غرام من الراديوم ( يستعمل الان بمعنى كمية من

## من هو ؟

■ كان ناقلاً بارعاً ومصنفاً قديراً . له كتب متنوعة ، منها ما هو مترجم عن اليونانية كاختصار كتاب " ما بعد الطبيعة " لارسطو ، و " جوامع كتاب الادوية المفردة " لجالينوس ، ومنها ما ألفه هو ككتاب " حساب الالهة " ورسالة في الحصر المتولد في المتانة ، وكتاب في تشريح بعض اعضاء الطيور . يعتبر من أشهر ممثلي الثقافة الكلاسيكية في القرون الوسطى

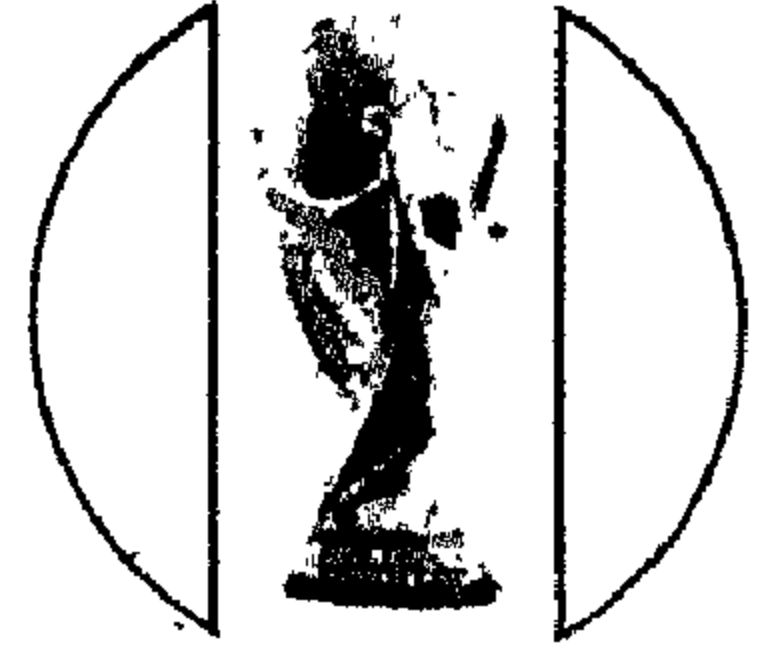
■ ولد في حران على دين الصابئة . اشتهر بعلم الفلك . وقد استخرج حركة الشمس وحسب طول السنة النجمية . فكان ٣٦٥ يوماً وست ساعات وتسع دقائق وعشر ثوان ، اي لم يزد عن طول السنة الحقيقي الا بما هو اقل من نصف ثانية . وقد مهد الطريق لاجاد حساب التكامل والتفاضل ، ويعد من اعظم من كتب بالعربية في علم الهندسة .

الجائزة الاولى : خمسون ليرة لبنانية  
الجائزة الثانية : اشتراك سنة في المجلة  
الجائزة الثالثة : اشتراك نصف سنة في المجلة

والجوائز هي :

# في اولمبياد برلين ١٩٣٦ الزنج حطموا نظرية هتلر وتفوقوا على الجنس الاوروبي الابيض!

اعداد: وفيق علم الدين  
رئيس الدائرة الرياضية في "الانترناشونال كولدج"



## تاريخ

كانت الالعاب الاولمبية التي اقيمت في برلين في ٥ آب من عام ١٩٣٦، أضخم مهرجان رياضي عرفه العالم، وكانت أيضاً اكبر عمل دعائي عالمي، لقد حضرها حوالي مئة الف متفرج جاؤوا من جميع انحاء العالم، كانت الترتيبات فخمة وجرى توسيع ستاد برلين الذي استضاف الالعاب الاولمبية لعام ١٩٣٦.

حفلة الافتتاح يوم السبت في الاول من آب كانت مهرجاناً حقيقياً، وأطل ادولف هتلر من فوق ١٥٠ درجة ابتداء من ساحة الملعب ذات الاحجار الضخمة، واتخذ مكانه في المنصة ليشاهد العرض الذي اشترك فيه اربعة الاف رياضي.

في البداية، وافقت اغلبيه الفرق على طلب المانيا الرسمي اداء التحية الفاشية... الا انه بعد كل انتصار رياضي، كان هتلر يتلقى صفقة لكون هذه الانتصارات، كانت غالباً لصالح الرياضيين الزنوج واغلبهم من اميركا، بينما كان هتلر يؤمن بتفوق الجنس الاوروبي الابيض.



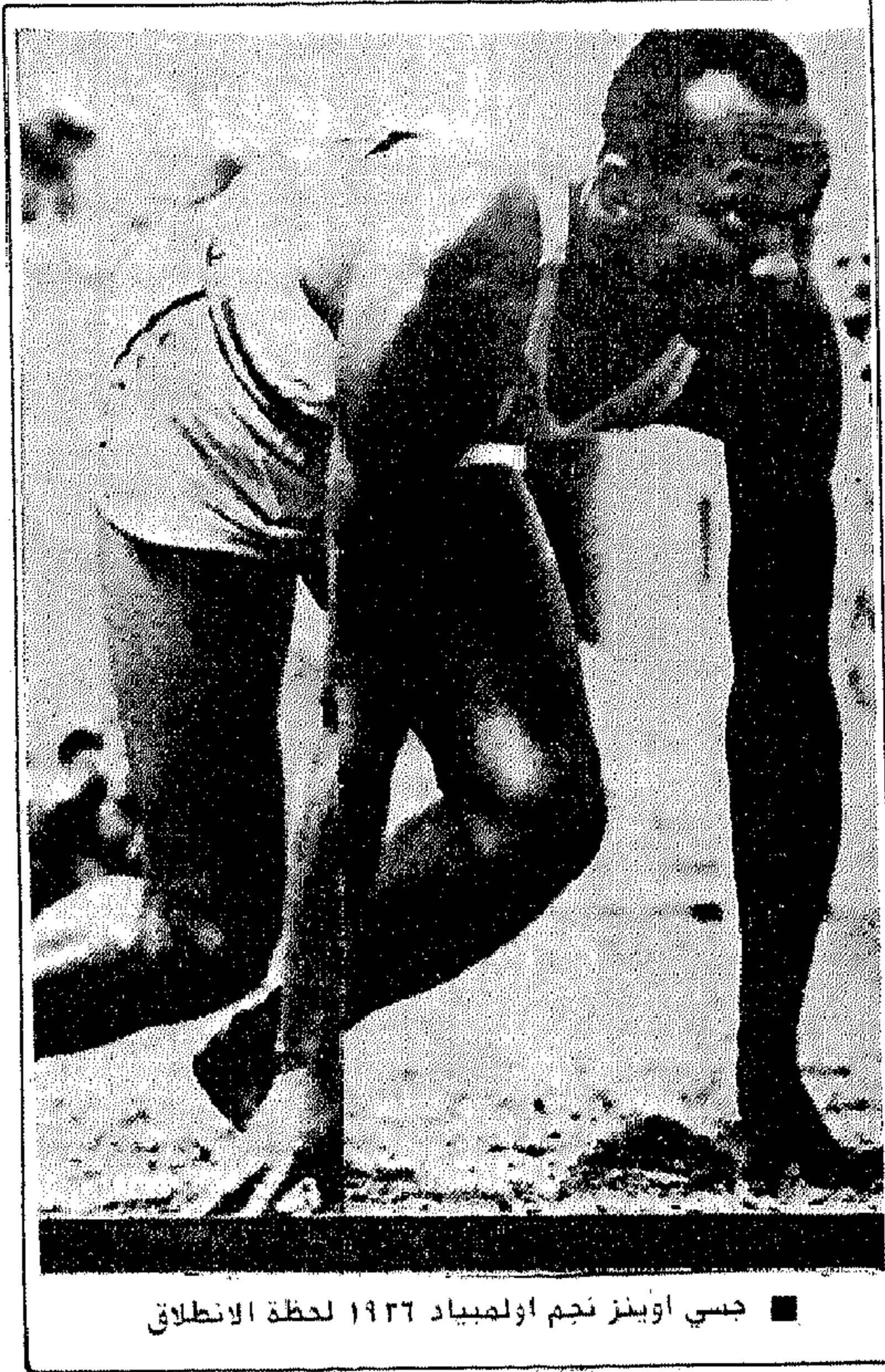
■ ادولف هتلر داخلا ستاد برلين يوم الافتتاح

اغلب هذه الانتصارات حققها احد اعظم "النجوم" الذين عرفتهم تلك الايام وهو جسي اوينز، ولقد اشتهر جسي اوينز في بداية الثلاثينات وخصوصاً في ايار ١٩٣٥ عندما حطم خمسة ارقام عالمية، ومعادلته رقماً آخر بعد سبعين دقيقة من تحقيقه، ومن انجازات جسي اوينز الرياضية معادلته الرقم العالمي في المائة يارد ٩،٤ ثانية



■ التحية الالمانية النازية في حفلة الافتتاح





احرز الزوج ميداليات ذهبية في سباق الاربعمائة والثمانمائة متر، وميداليات فضية في سباق المئة متر والمئتي متر، وميداليات ذهبية وفضية في القفز العالي، وكان ذلك، بالطبع كثيراً على قدرة هتلر على الاحتمال، وفي اليوم الاول غادر الملعب عندما نال "كورناليوس جونسون" الميدالية الذهبية في القفز العالي ورفض رفضاً باتاً "الاعتراف" بانتصارات اوينز ولم يضافه لا هو ولا الزوج الآخرين كما فعل مع باقي المنتصرين!

الا ان الالمان نالوا بعض الترقية عندما حصلوا، في المجموع العام، على اكبر عدد من الميداليات الذهبية.

وذاعت انباء انتصارات الرياضيين الالمان والتنظيم الرسمي للالعاب بفضل ماكينة الدعاية الالمانية الجبارة، حتى ان الفيلم الرسمي كان باشراف المخرجة الشهيرة "ليني ريفنشال".

كانت اولمبياد عام ١٩٣٦ محاولة مدروسة ومنظمة من النظام الالمانى لاكتساب احترام العالم، وكان على طوكيو استضافة الدورة الاولمبية التالية، لكن سياسة هتلر اشعلت الحرب وتوقفت الالعاب الاولمبية اثنتي عشرة سنة حيث اقيمت مرة اخرى من جديد بعد انتهاء الحرب في لندن عام ١٩٤٨.

كما حقق ارقاماً جديدة عالمية في القفز العريض (٢٦ قدماً وثماني بوصات) والذي حطمه "رالف بوسطن" بعد ٢٥ سنة. كما حطم رقم الـ ٢٢٠ يارد (٢٠٣ ثانية) ورقم ٢٢٠ يارد حواجز (٢٢،٦ ثانية). والرقمان الاخيران اعتبرا رقمين عالميين. وفي الالعاب الاولمبية نال جيسي اوينز شعبية كبيرة بين اهالي برلين. لم يحقق اي رقم جديد، ولكنه اظهر ارادة كبيرة ففي سبعة ايام اشترك في اثنتي عشرة مباراة واحرز اربع ميداليات ذهبية واثبت انه رياضي من الطراز النادر. فلقد عادل مرتين الرقم الاولمبي في المئة متر (١٠،٣) ثانية ثم بذل جهداً كبيراً لتحطيمه فيما بعد (١٠،٤) ثانية وحقق رقماً اولمبيا جديداً في القفز العريض (٢٦ قدماً وخمس بوصات وربع البوصة). كما حقق رقماً اولمبيا جديداً في المائتي متر في طقس ممطر (٢٠،٧) ثانية. وفي سباق البدل للاربعمائة متر أمن اوينز لفريقه النصر في المائة متر الاولى وكانت النتيجة النهائية (٣٩،٨) ثانية.

في القفز العريض كانت آمال الالمان معقودة على "لوز لونغ" وكانت جميع الانظار متجهة لهذه المباراة ولكن جيسي اوينز استطاع التغلب على منافسة الالمانى بفارق بضعة سنتيمترات... فالالمانى قفز ٢٥،٩ قدماً ولكن اوينز قفز ٢٦ قدماً بعد منافسة حامية الهبت عواطف الجماهير...



## المسابقة

٣ لاعبين

□ ثلاثة لاعبين مثلوا بلادهم في مباريات كأس العالم في الأرجنتين. هل تستطيع ذكر اسمائهم؟  
٣٠ نقطة



١٠ أسئلة

٦ - ما هي الفرق العربية التي وصلت الى الادوار النهائية لكأس العالم في كرة القدم وفي اية اعوام؟

٧ - مصارع لبناني نال ميدالية فضية (المركز الثاني) في اولمبياد لندن عام ١٩٥٢.  
٨ - من هو اللاعب الذي سجل ٣ اهداف في مباراة نهائية لكأس العالم وفي اي سنة واية مباراة؟

٩ - عام ١٩٢٤ فاز فريق عربي لكرة القدم على الفريق المجري في العاب ياريس الاولمبية. من هو هذا المنتخب وما هي النتيجة؟

١٠ - أربع اشقاء احرز فريقهم بطولة كأس العالم عام ١٩٥٤ و١٩٦٦. من هم وما هي فرقهم؟  
١٠ نقاط على كل سؤال

١ - في اي سنة تأسس الاتحاد الدولي لكرة القدم؟ ومن هو الرئيس الحالي؟ ومن كان الرئيس السابق لهذا الاتحاد؟

٢ - حارس مرمى عالمي طوله ٨٤، ٨٥، ٨٦، اعتبر اعظم وامهر حارس مرمى في العالم. مثل بلاده في بطولات كأس العالم: اعوام ١٩٥٨ و١٩٦٢ و١٩٦٦.

٣ - من هو الفريق الذي احرز كأس الابطال الاوروبية لعام ١٩٥٦ وعلى من فاز في المباراة النهائية؟ وماذا كانت النتيجة؟

٤ - من نظم بطولة كأس العالم عام ١٩٥٠ ومن فاز في هذه البطولة ومن حل ثانياً؟

٥ - من سجل اسرع هدف في تاريخ مباريات كأس العالم وفي اية مباراة واي عام؟



□ في اية مباراة

التقطت هذه الصورة

اثناء بطولة كأس

العالم

في الأرجنتين.

من هما الفريقان؟

في اي ملعب؟

وماذا كانت النتيجة؟

٢٠ نقطة

## الجوائز

- الفائز الاول: مائة ليرة لبنانية او ما يعادلها
- الفائز الثاني: هدية من محلات "اطلس سبور" بقيمة خمسين ل.ل
- الفائز الثالث: اشتراك سنة في المجلة
- الفائز الرابع: اشتراك نصف سنة في المجلة

... ترسل الاجوبة الى ادارة مجلة "تاريخ العرب والعالم" ص.ب (٥٩٠٥)، شارع السادات، بناية ابو هليل - رقم ١١ - بيروت - لبنان ويكتب على الظرف "مسابقة الرياضة". يجب ان تصل الردود قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.



تاريخ الرياضة في الثلاثينات





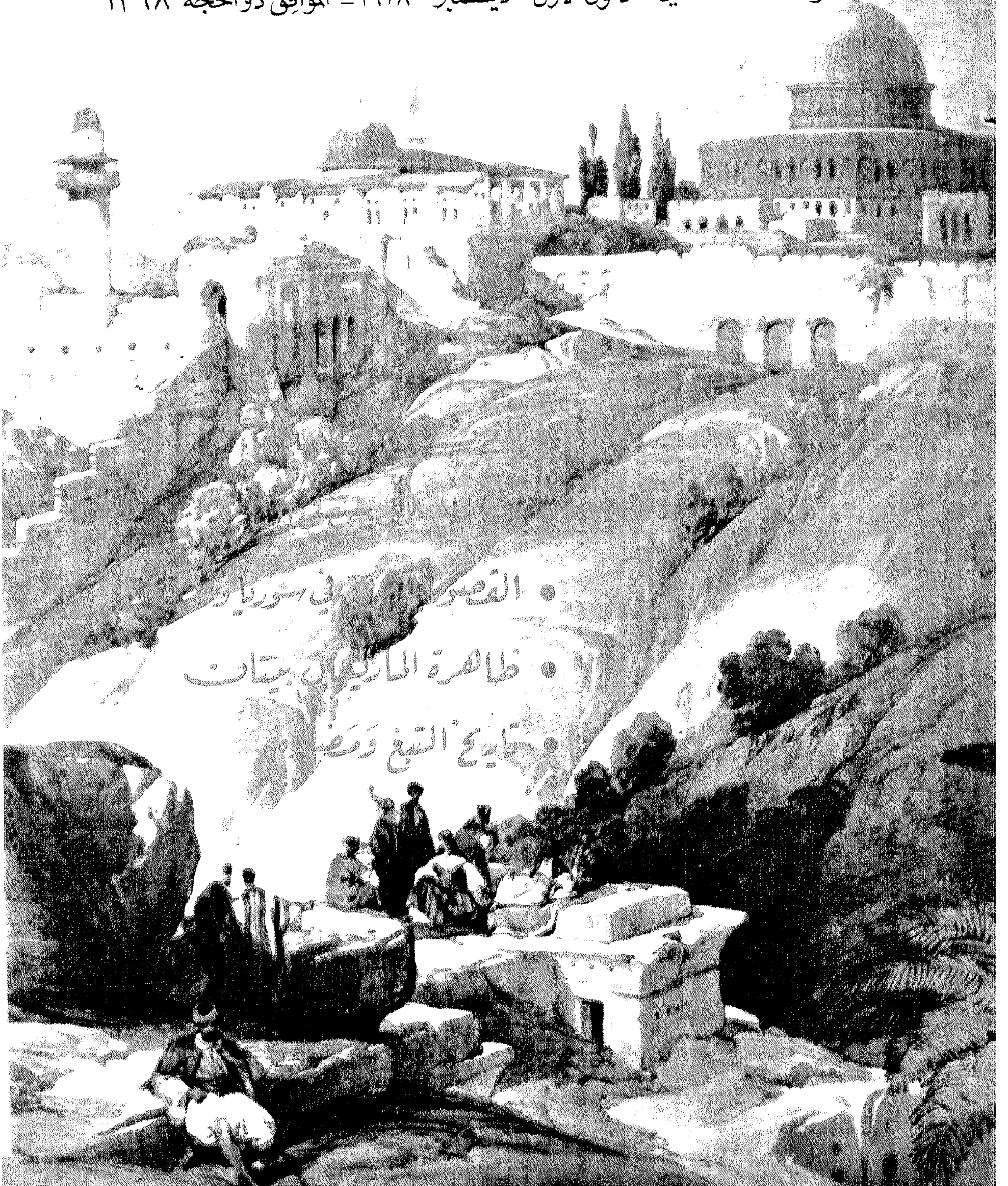




# تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى - العدد الثاني - كانون الأول "ديسمبر" ١٩٧٨ - الموافق ذوالحجّة ١٣٩٨



• القصص التاريخية في سوريا

• ظاهرة الماريجان في لبنان

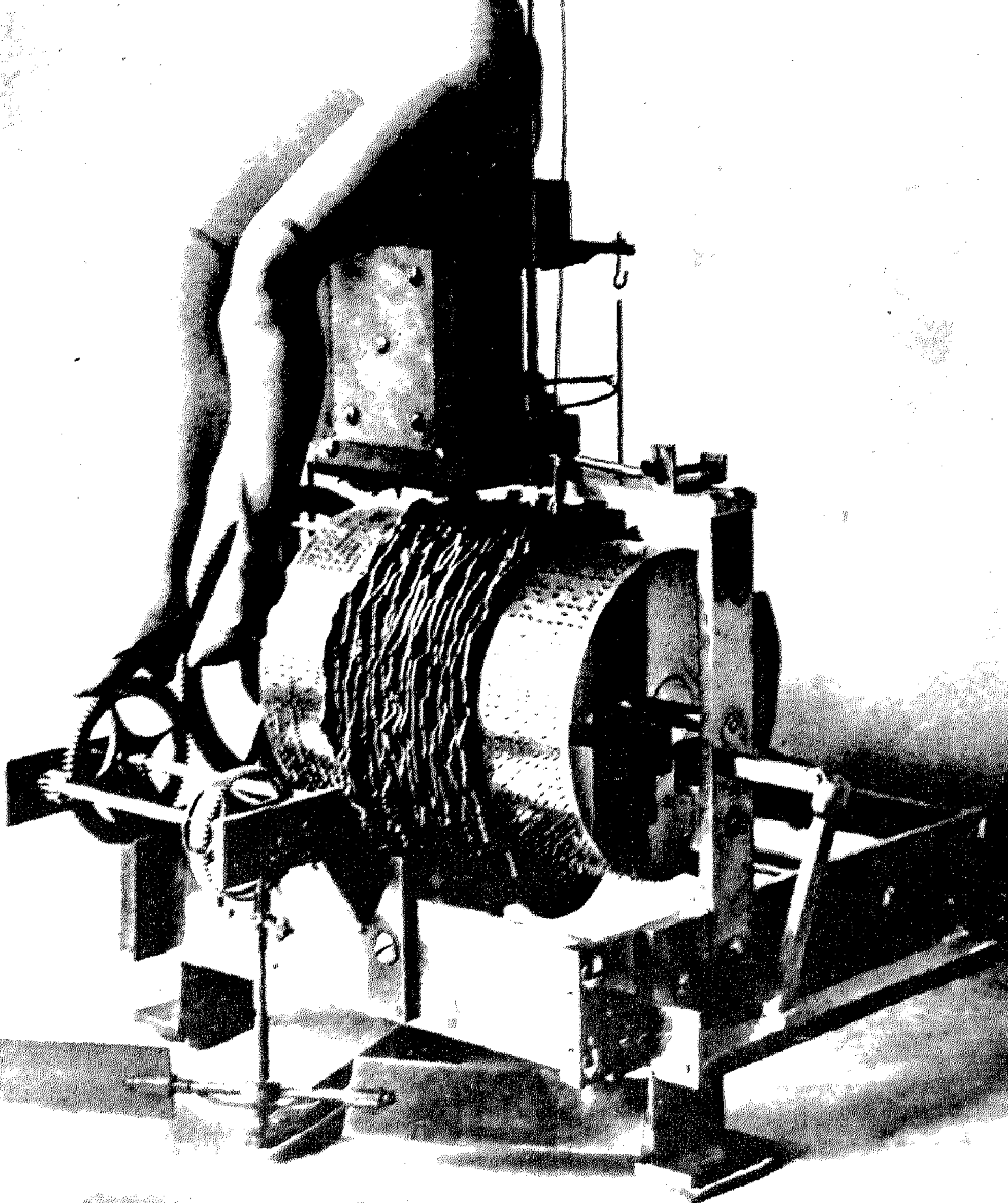
• تاريخ التبغ ومضار



■ الموسيقى الأوتوماتيكية

... من عصر العلب

الى عصر الكهرباء..





# تاريخ العرب والعالم

السنة الأولى  
المجلد الثاني  
كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٨  
محرم ١٣٩٨ هـ

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

## الإشتراكات

٥٠ ل.ل.	في لبنان
١٥٠ ل.ل.	المؤسسات والدوائر الحكومية
٧٥ ل.ل.	في الدول العربية
١٠٠ ل.ل.	في أفريقيا وأوروبا
١٥٠ ل.ل.	دول العالم الأخرى
٢٠٠ ل.ل.	المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي

## شحن النسخة

لبنان: ٤ ل.ل.	سوريا: ٦ ل.ل.
العراق: ٧٠٠ فلس	ليبيا: ٨٠٠ درهم
السعودية: ٧ ريال	الكويت: ٥٠٠ فلس
الأردن: ٥٠٠ فلس	أبوظبي: ٨ درهم
دبي: ٨ درهم	قطر: ٧ ريال
البحرين: ٧٠٠ فلس	مسقط: ٨٠٠ بيضة

رئيس التحرير: فاروق الباربر  
المدير المسؤول: محمد مشموشي

ص.ب.: ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان  
بناية أبو هليل - شقة ١١  
شارع السكادات - تلفون: ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني: شركة سيفما للتصميم والطباعة  
الإنشاج: المطابع التعاونية الصحفية  
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمجلات  
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة

## HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR  
A MONTHLY ILLUSTRATED  
MAGAZINE PUBLISHED FROM  
SADATE ST, ABOU HLEIL  
BLG, P.O.B. 5905  
TEL: 346276,  
BEIRUT, LEBANON

VOL I.  
N°2 Nov, 1978  
PRICE: 4 LL.  
ANNUAL SUBSCRIPTION:  
50 \$ IN NON-ARABIC  
SPEAKING COUNTRIES

## في هذا العدد

■ المقالات الواردة توزع حسب التبويب الفني للمجلة، ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب، مع حفظ المكانة الاجتماعية للكاتب وفيرهم، تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط.

الصفحة	الموضوع
٣	كلمة العدد: شكراً... ومعاً على الطريق ..... اسرة التحرير
٤	العرب في صقلية... صفحة غامضة من التاريخ العربي ..... هشام نشابه
١٠	حروب القدس في التاريخ العربي ..... العقيد الدكتور ياسين سويد
١٦	مدينة القدس من خلال ادب الرحلات والفنون الجميلة ..... مروان بحيري
٢٦	الكندي... موسيقياً ..... اسامة عاتوتي
٣١	رجال وافكار: ابن خلدون (١٣٢٢ - ١٤٠٦) ..... هدى سكاكيني بربير
٣٣	القصور الاموية في سوريا وفلسطين ..... ديمتري برامكي
٤١	تاريخ ورقة التبغ ومضارها ..... عزيز قليلات
٤٨	الاستقلال اللبناني والميثاق الوطني (القسم الثاني) ..... باسم الجسر
٥٦	عودة الى التراث: كتاب البيان والتبيين للجاحظ ..... سيد نوفل
٦٠	حضارة الصورة... في اللوحة والطبيعة والواقع ..... رينيه هويغ
٦٦	من ارتفاع ١٨ الف قدم... بدون مظلة! ..... نقولا ستيفن الكاد
٧١	ظاهرة الماريشال بيتان... وتعاونه مع العدو (١) ..... "قسم الدراسات"
٧٦	الجنرال ديغول: رمز المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال (٢) ..... مي كحالة
٧٨	صفحة من مذكرات عميل سري لفرنسا الحرة (٣) ..... "قسم الدراسات"
٨٢	تاريخ الشطرنج ..... محمد مراد سكر
٨٤	تاريخ الطوابع ..... ميشال اسطفان
٨٧	للطلاب فقط ..... سحر بعاصيري
٨٩	الرياضة في الثلاثينات... وكيف افسدتها التجارة ..... وفيق علم الدين

■ المقالات والدراسات ترسل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة في بيروت

■ المواد الواردة الى المجلة لا ترد اذا لم تنشر.

■ المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبر بالضرورة عن اراء المجلة.



## شكراً .. ومعا على الطريق ..

شكراً .. ومعا على الطريق ،

لا تستطيع "تاريخ العرب والعالم" أن تقول أكثر من هذه الكلمات ، في مطلع عددها الثاني ، للقارئ الذي استقبلها بتجاوب وحب وتشجيع منذ العدد الاول .

شكراً .. ومعا على الطريق ،

لا تستطيع "تاريخ العرب والعالم" أن تقول أكثر منها أيضاً ، للمفكرين والباحثين العرب والاجانب الذين ساهموا في عددها الاول واعطوا - اضافة الى مساهمتهم - من افكارهم واقتراحاتهم في عددها الثاني .. واعربوا عن ثنائهم وتشجيعهم وتمنياتهم بالنسبة للمستقبل .

شكراً .. ومعا على الطريق ،

لا تستطيع "تاريخ العرب والعالم" ان تقول أكثر منها ، لمراكز الابحاث والجامعات والمؤسسات التي غمرتها بالعطف وطلبت الاشتراك فيها منذ العدد الاول .

لكن تبقى كلمة لا بد منها .

فالاعداد الاولى لاي عمل صحافي تبقى اعداد تجربة ، فيها من الجهد بقدر ما فيها ايضاً من اخطاء وعيوب .. ابتداء من الاخراج الى التصحيح الى المشاكل مع الصورة والمطبوعة واللون ونوع الورق .

و"تاريخ العرب والعالم" تريد أن تعترف بأن عددها الاول لم يكن الا جزءاً صغيراً من طموحها الكبير .. وتريد ان تتمنى ان يكون عددها الثاني هذا أقل عيوباً وأكثر اكتمالاً على الطريق اياه .. الى الطموح الكبير .

فغايتنا اعادة كتابة التاريخ العربي ووضعه أمام جماهير هذه الامة العربية ، المتراامية بين المحيط والخليج .

وهي مهمة صعبة ، بل وصعبة جداً .. تعترف .

خصوصاً اذا كان المقصود ايضاً هو أن تكون مطبوعة على ورق مصقول ، واخراج جيد ، واللوان جميلة .. ومع الصورة التاريخية القيمة التي لا توجد غالباً الا في المتاحف العالمية الكبرى وفي الغرف المقفلة في المكاتب ..

المهمة صعبة جداً ، ولكن "تاريخ العرب والعالم" نذرت نفسها لها .. وكل أملها ان تنجح .

ولعل تجربة العدد الاول والتجاوب معه ، دليلان على الطريق .

"اسرة التحرير"

# العرب في حقلية

صفحة غامضة من التاريخ العربي

د. هشام نشابة



■ تاريخ سمرقند في القرون - مؤسس - القرن السابع - من كتاب روائع الاسلام - ويلفريد بلس - ص ٢٦

■ د. هشام نشابة: عميد التربية والتعليم في جمعية المقاصد الاسلامية في بيروت، استاذ الفكر الاسلامي في الجامعة الياسوعية والجامعة الاميركية، خريج جامعتي مانويل وهارفرد



عندما اخترت الكتابة عن هذه الصفحة الغامضة من تاريخ العرب شعرت انني اقدم على مجازفة فكرية قد لا اخرج منها بسلام، فتاريخ الفتوحات البحرية لم يلق من الدارسين للتاريخ العربي والاسلامي اهتماما يذكر، ثم اعترف انني لا افقه من فنون الملاحة وعلومها شيئا وبالتالي لا استطيع ان ابدي رايًا في مهارة الملاحين العرب وذرايتهم في فنهم الجليل الذي حملهم الى فتوحات مهمة في البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي.

ثم ان فتح الجزر ليس من الاهمية في نظر العديد من المؤرخين بحيث يستهوهم او يشغز همهم لبذل جهود خاصة للتعرف اليه. مع ان لكل جهد يبذل في هذا السبيل مبررات جليلة، اولها التعرف الى الماضي... الى دقائق الماضي العربي... وليس هذا الهدف الاسمي للمؤرخين العرب؟ ثم ان جزر البحر الابيض المتوسط هي ابعد الحدود التي وصلت اليها فتوحات العرب في هذه المنطقة، وبالتالي فهي نقاط الالتقاء والتفاعل بين الحضارة العربية الناشئة والحضارة الاوروبية، ففي المناطق الحدودية هذه تعرف الاوروبيون عن كثر الى العرب، وتعرف العرب الى الاوروبيين، وتبادلوا السلع والمعارف على اختلافها وتزاوجوا وتشاركوا في اعمار الارض، واكاد اجزم ان هذه النواحي الحضارية والايجابية غلبت على النواحي السلبية واوجه الصراع الحربي الذي غالبا ما يستأثر باهتمام المؤرخين.

لهذه الاسباب، واحياء لصفحة مجيدة من ايام العرب، اسوق هذا الحديث.

اما بالنسبة لصقلية بوجه خاص فقد كان اول اتصال للعرب بها في عهد معاوية بن ابي سفيان اول خلفاء بني امية. غير ان هذا الاتصال لم يرق الى درجة الفتح بل كان مجرد غزوات قصيرة المدة وقليلة الفائدة.

يقول البلاذري في فتوح البلدان: "غزا معاوية ابن حديج ايام معاوية بن ابي سفيان صقلية (ورد اسمها بالصاد والسين) وكان اول من غزاها، ولم تنزل تغزى بعد ذلك... ويذكر الواقدي ان عبد الله بن مخلد الذرقي "سبى صقلية فأصاب اصنام ذهب وفضة مشكلة بالجواهر فبعث بها الى معاوية ابن ابي سفيان، فوجه بها معاوية الى البصرة لتحمل الى الهند فتباع هناك ليثمن بها".

اما فتح صقلية فكان لا بد له ان ينتظر حتى ايام حكم الاغالبة في تونس (١٨٤ - ٢٩٦هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩م) وكانت عاصمتهم القيروان وقد امتاز عهدهم بالانشاءات المهمة فهم الذين اعادوا بناء جامع عقبة بن نافع المشهور والذي ما يزال الى يومنا هذا من اهم معالم الحضارة الاسلامية في شمال افريقيا. ويقال ان محراب هذا الجامع هو المحراب نفسه الذي بناه عقبة بن نافع فاتح الشمال الافريقي ايام الفتوحات الاسلامية الكبرى. كما بنى الاغالبة الاقنية وبرك المياه الضخمة مما يشهد لعصرهم بالازدهار والتقدم.

ومؤسس سلالة الاغالبة هو ابراهيم الاول (١٨٤ - ١٩٦هـ / ٨٠٠ - ٨١٣م) وكان شخصية من الطراز الممتاز علما وحكمة وشجاعة، وكان يدين بالولاء للخلافة العباسية في بغداد.

ويذكر ياقوت في معجم البلدان ان القاضي اسد ابن الفرات هو الذي قاد الحملة الاولى على صقلية

يبدو ان العرب منذ مطلع العهد الاموي كانوا يتوقون الى السيطرة على البحر الابيض المتوسط. فقد ادركوا منذ تأسيس ملكهم ان هذا البحر ذا الاهمية التاريخية البالغة كان السبيل الذي يسلكه الفاتحون لاحتلال شواطئه. وبالتالي فان الجزر المنتشرة في هذا البحر هي القواعد المتقدمة للغزاة الاوروبيين والعرب على حد سواء.

لذلك، نرى معاوية بن ابي سفيان يبادر الى بعث الجيوش والاساطيل لاحتلال جزر البحر الابيض المتوسط ابتداء بجزيرة قبرص حتى رودس وكريت (اقريطش) ثم صقلية وجزر غربي المتوسط.

ويذكر لنا المؤرخون العرب عددا من امراء البحر العرب منهم جنادة بن ابي امية الازدي الذي فتح جزيرة رودس ويقول عنه الواقدي في فتوح الشام، "وجنادة احد من رؤى عنه الحديث، ولقي ابا بكر وعمر ومعاذ بن جبل ومات سنة ٨٠ للهجرة، فتح رودس عنوة... وأمره معاوية فأنزلهما قوما من المسلمين وكان ذلك في سنة ٥٢/ هجرية ٦٧٣ ميلادية" ويقول البلاذري في فتوح البلدان: "وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي وغيره، قالوا، اقام المسلمون برودس سبع سنين في حصن اتخذ لهم، فلما مات معاوية كتب يزيد الى جنادة يأمره بهدم الحصن، والقفل - اي الرجوع الى بلاد الشام - وكان مجاهد بن جبر مقيما بها يقرئ الناس القرآن".

وجنادة هذا هو الذي فتح جزيرة كريت ولا ندري ان كان وصل الى ابعد منها.

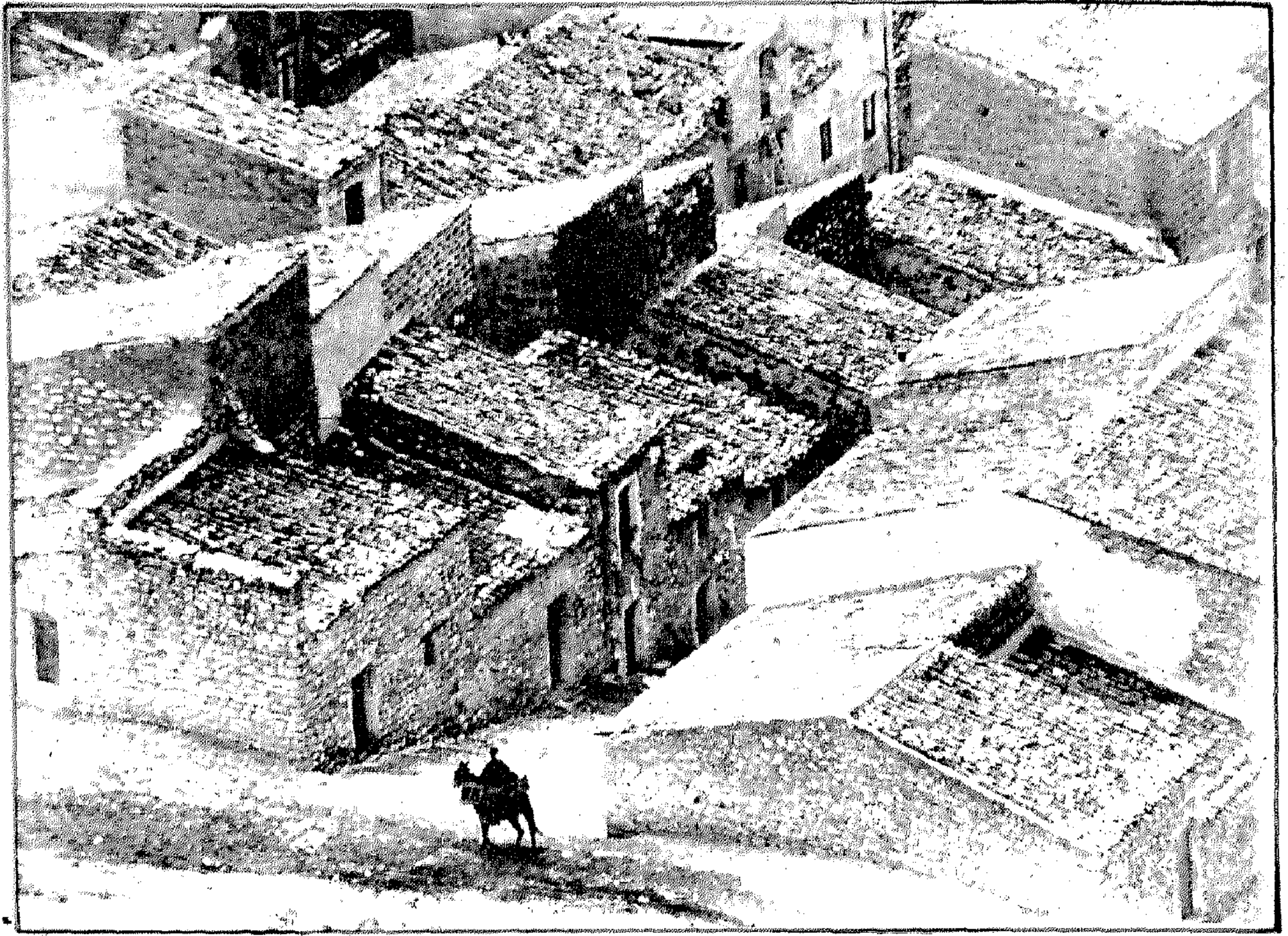
ويبدو ان هذه الجزر كانت تستعمل كمنفى لغير المرغوب فيهم من رعايا الدولة. فقد ذكر البلاذري ان معاوية "كان يعاقب بين الناس فيها".





■ قریب المدهم - تونس، من کتاب "المستوحش" لمریام مروری.





■ ص. ب. س. س. - من كتاب "الموسم" لقرابات سوزن

وكان يؤمّن فاضي الفيروان .

يقول البلاذري ان في عهد الاغلب بن سالم تم فتح ما يزيد عن عشرين مدينة في صقلية ثم تابع الفتح من بعده ابو محمد زيادة الله (٢٠١ - ٢٢٣هـ/٨١٧ - ٨٣٨م) ثم تابع الفتح ابو ابراهيم احمد بن محمد بن الاغلب (٢٤٢ - ٢٤٩هـ/٨٥٦ - ٨٦٣م) غير ان هذا الاخير حرص بالدرجة الاولى على تثبيت الحكم الاغلبى والقيام بالاعمال الانشائية وينسب اليه البلاذري "فتح قصر يانه وحصن غليانه وعلل الاخير تعريب *Castrogiovanni* غير ان فتح هذين الموقعين وغيرهما قد تم على الأرجح في عهد ابو اسحق ابراهيم الثاني بن احمد (٢٦١ - ٢٨٩هـ/٨٧٥ - ٩٠٢م) فالمعروف ان في عهد هذا الامير اتسعت فتوحات الاغلبة في جزيرة صقلية فاستولوا على مدينة "سيركيوز" سنة ٢٦٤/٨٧٨م وفي سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م عين ابراهيم الثاني ابنه عبد الله حاكما على الجزيرة فتمكن من السيطرة على مدينة بالرمو وقصر يانه المذكور آنفا .

يقول بعض المؤرخين ان الغاية من فتح صقلية كانت صرف جهود العرب عن الصراعات الداخلية في افريقيا الى فتح خارجي (راجع دائرة المعارف الاسلامية النسخة الانكليزية الطبعة الجديدة المجلد الاول ص ٢٤٨) غير ان الأرجح ان دولة الاغلبة التي كانت حريصة على تثبيت دعائم الاسلام في

المجتمع الافريقي والاخذ بالجهاد، وهو ركن من اركان الدين، فوجهت قواها الى جزيرة صقلية حيث كان يكمن خطر الاغارة على السواحل العربية الافريقية من قبل البيزنطيين .

وادراكا لهذا الخطر انصرف الاغلبة الى بناء الرباطات والحصون على طول الساحل الافريقي وما تزال اثارهم في هذا المجال باقية في سوسة ومناستير وخاصة في سفاقس . ويقول ابن خلدون ان الامير ابو ابراهيم احمد بنى /١٠٠٠/ حصن من الحجر في البلاد التي كانت تحت حكمه .

وقد استفادت صقلية اثناء حكم الاغلبة من نشاطهم الاعماري الواسع، فانشئت فيها الجوامع والمدارس وخصصت لها الاوقاف وعرفت نشاطا ثقافيا وتجاريا واسعا، لم يكن معروفا في بلاد اوروبا انذاك . فقد كانت صقلية "قليلة العمارة خاملة قبل الاسلام" كما يقول ياقوت الحموي، ويذكر ياقوت العديد من المواقع في صقلية التي تحمل اسماء عربية .

ويضيف بأن "في بَلَرَم والخالصة والحارات المحيطة بها ومن ورائها من المساجد نيف وثلاثماية مسجد . . . وقد رأيت في بعض الشوارع في بلرم على مقدار رمية سهم عشرة مساجد . . ." (راجع ياقوت، معجم البلدان، الجزء الثالث طبعة بيروت ١٩٥٧ ص ٤١٩) ويذكر من رجال القضاء فيها عثمان بن الخزاز وابي ابراهيم اسحق بن المالحى .

كما انتشرت في مدينة بلرم بيوت العلم حتى  
قال يافوت "والغالب على اهل المدينة المعلمون،  
فكان في بلرم ثلاثمائة معلم"

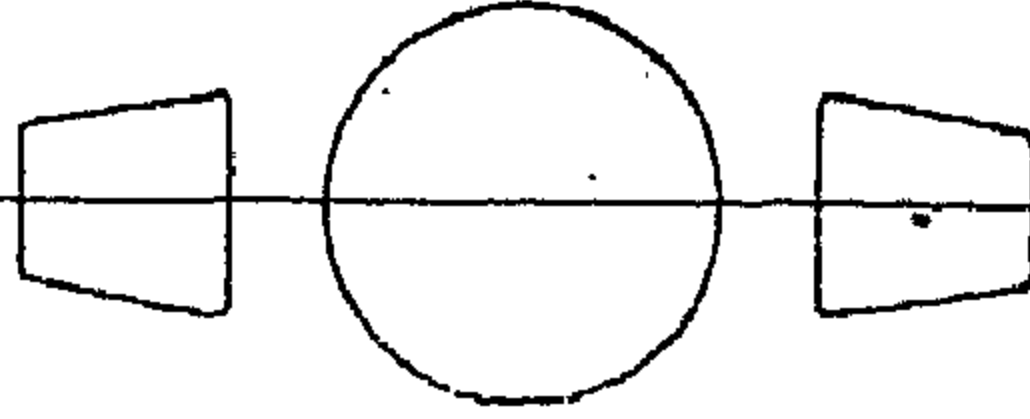
وقدر لصقلية ان تشارك الساحل الافريقي  
مصيره، ففي مطلع القرن العاشر الميلادي عندما  
تمكن الفاطميون من السيطرة على شمالي افريقيا  
وان يقضوا على حكم الاغالبة في تونس صار جزء  
من الجزيرة تحت الحكم الفاطمي بينما بقي الجزء  
الاخر يؤيد الامير الاغربي فيها، ثم ما لبثت ان  
اصبحت الجزيرة كلها تحت الحكم الفاطمي،  
ويصعب تحديد تاريخ انتقال الحكم في الجزيرة من  
الاغالبة الى الفاطميين نظرا لاضطراب الاحداث في  
هذه الفترة.

غير ان الثابت تاريخيا ان الحكم الفاطمي في  
صقلية كان حكما عسيرا تخللته الثورات الداخلية  
التي كان يعمدها البيزنطيون بالمال والعتاد، ففي  
سنة ٩٤٧م قامت ثورة عارمة ضد الحكم الفاطمي  
غير ان الحاكم الفاطمي استطاع ان يسيطر على  
الوضع منزلا بالثوار من اهل البلاد هزيمة منكرة.

وتأييدا للسيطرة الاسلامية في الجزيرة بنى  
الفاطميون جامعا عظيما في Regio di Colabra  
وهددوا بهدم كنائس الجزيرة كلها ان هدم حجر  
واحد من هذا الجامع - هكذا ورد في تاريخ ابن  
الاثير - ولا يستغرب هذا التهديد والوعيد فقد كان  
الفاطميون قد بلغوا آنذاك اوج مجدهم في شمالي  
افريقيا.

وبقيت السيطرة الفاطمية في صقلية حتى مطلع  
القرن الحادي عشر عندما تمكن بعض ملوك  
النورمان من السيطرة على جنوبي ايطاليا وقسم  
من صقلية، وهكذا بدأ تقلص سلطة الفاطميين في  
الجزيرة تدريجيا حتى زال حكمهم عنها تماما.  
وعادت صقلية تلعب دور القاعدة البحرية  
المتقدمة التي تستعملها ممالك اوروبا في عهد  
الصليبيين وبعد ذلك للاغارة على السواحل  
الافريقية.

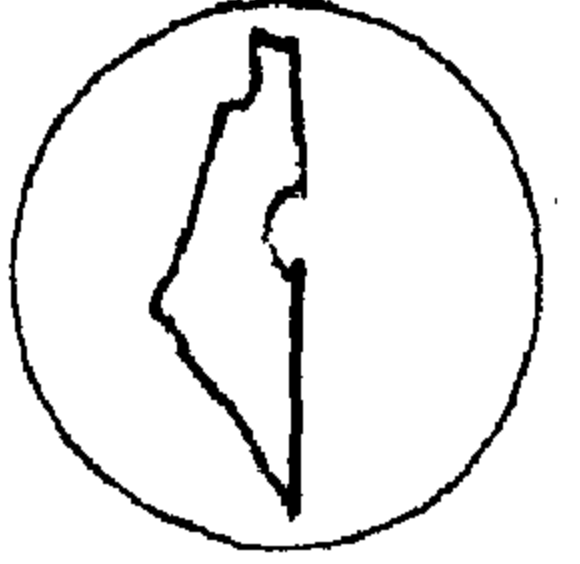
هذه صفحة غامضة من تاريخ الفتوحات العربية  
تذكر على هامش هذه الفتوحات، كما كانت صقلية  
على هامش الامبراطورية العربية في عهدها  
الذهبي.



## كلمات عاتت

- ليس في حياة الافراد، ولا في حياة الشعوب خطأ لا يمكن اصلاحه، فالرجوع الى الصواب يمحو جميع الاخطاء "غاندي"
- خير الامم، أمة يتأثر فيها جميع الافراد للاهانة التي تقع على واحد منهم "صولون"
- كل شيء في الملكات الانسانية يقوى بالتمرن والاعتقاد "صفي السيد"
- ليس اشرف للرجل من ان يموت وسلاحه في يده "ديموستين"
- اففى شيء على الانسان نفسه، وليس من السهل عليه ان يعرف دخائلها "الشيخ محمد عبده"
- يا جاهل العنم تعلم العلم، فان قلبا ليس فيه شوق للعلم كالبيت الخراب الذي لا عامر له "ابو ذر الغفاري"
- من كان لا يبصر غير محاسنه ومساوئ الغير فالضرير خير منه "مخائيل نعيمة"
- لو لم يكن صواب، لم يكن خطأ، ولو لم يكن برهان، لم يكن شغب مخالف للبرهان "ابن حزم"





## هل تعلم؟

د. فايز صايغ

■ ان توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادرة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ بخلق "دولة يهودية" كانت خارج نطاق صلاحيات الجمعية العامة وسلطاتها المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة؟

■ وان الجمعية العامة رفضت، أو تجاهلت، جميع محاولات الدول العربية والبلدان الآسيوية الأخرى لعرض مسألة دستورية تلك التوصية على محكمة العدل الدولية لبدء "رأي استشاري" بشأنها؟

■ وان الجمعية العامة، عندما بدأت "إعادة النظر" في المسألة في دورتها الخاصة الثانية عام ١٩٤٨، لم تؤكد مرة أخرى توصية عام ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين - فكان في ذلك القضاء النهائي على أي "شرعية" مزعومة كان يمكن للتوصية بإنشاء "دولة يهودية" أن توصف بها؟

■ وان الدول التي وافقت، في جولة التصويت الأولى، على توصية عام ١٩٤٧ الأصلية بإنشاء "دولة يهودية" في فلسطين، كانت الدول الأوروبية والأميركية ودول القارة الاسترالية وحدها، بينما صوتت ضد هذه التوصية جميع الدول الآسيوية والأفريقية (باستثناء اتحاد جنوب أفريقيا).

■ وانه، عندما أخذت الأصوات في الجلسة العامة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٧، لم تنجح الضغوط الأميركية الملحة (التي وضعها عضو في وزارة ترومان بأنها "كادت أن تكون فضيحة") إلا مع بلد آسيوي واحد (الفلبين) وبلد أفريقي واحد (ليبيريا) كانا يخضعان - بصورة خاصة - للضغط الأميركي من أجل التخلي عن معارضة لهما التي سبق لهما أن أعلنها؟

■ وبمعنى آخر، ان "الدولة اليهودية" قد غرست في نقطة التقاء آسيا وأفريقيا دون الحصول على تأييد حر من أي بلد في الشرق الأوسط أو آسيا أو أفريقيا، ما عدا اتحاد جنوب أفريقيا الذي تحكمه أقلية غربية؟

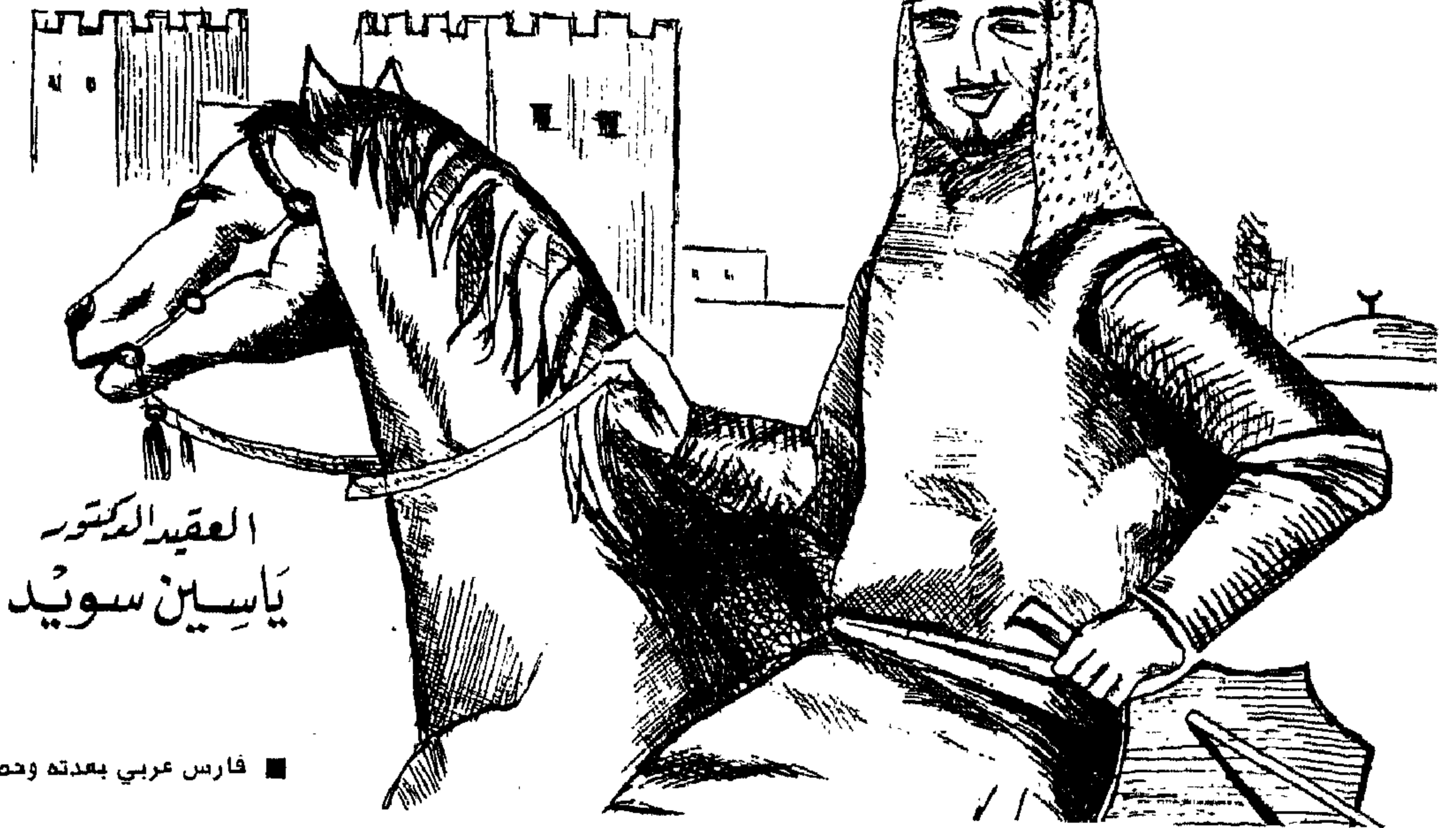
■ وان إسرائيل بقيت، منذ بداية نشوئها، غريبة بالمرّة في العالم الآسيوي الأفريقي الجديد؟ وان إسرائيل لم تقبل في أي مؤتمر دولي لحكومات الدول الآسيوية الأفريقية أو أي مؤتمر لحكومات الدول غير المنحازة؟

■ انه، منذ تم توقيع اتفاقيات الهدنة، عام ١٩٤٩، واصلت إسرائيل ممارسة سياسة عدوانية: بشن هجمات عسكرية عبر خطوط الهدنة، وبغزو أراضي الدول العربية المجاورة، بصورة متكررة؟

■ وان مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة قد وجها إلى إسرائيل، بسبب هذه الهجمات العسكرية، لوماً أو إدانة في إحدى عشرة مناسبة: خمس مرات من قبل مجلس الأمن، وست مرات من قبل الجمعية العامة؟

# حروب القدس

## في التاريخ العربي



■ فارس عربي بعدته وحصانه.

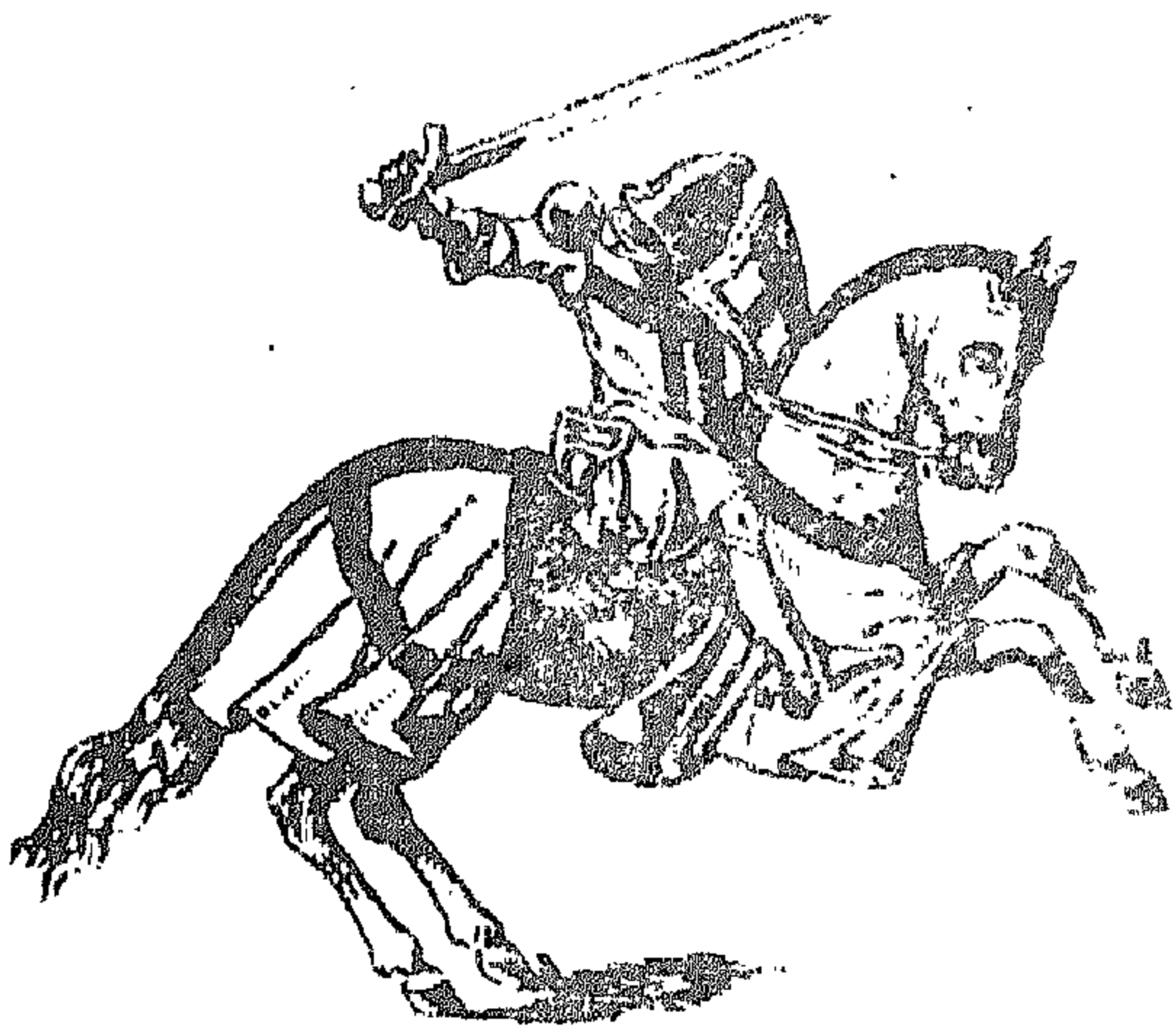
حكمها الفراعنة المصريون (في القرن الرابع عشر قبل الميلاد) فالعبرانيون (في القرن الحادي عشر ق م)، فالبابليون (٥٩٩ ق م)، فالفرس (٥٣٨ ق م)، فالليونان (٣٣٢ ق م)، فالرومان، وقد سموها ايلياء (٦٣ ق م)، ثم العرب المسلمون (٦٣٦ م).

وبالاضافة الى موقعها التاريخي والديني المهم في نظر العالم أجمع، تعتبر القدس ذات موقع جغرافي استراتيجي ممتاز، اذ انها قامت بين عدد من الجبال أهمها جبل الزيتون أو الطور الذي ورد ذكره في الآية الكريمة (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين) وجبل المشهد وسكوبس، وجبل النبي داود، وجبل المكبر (حيث كبر الفاروق عمر بن الخطاب ثلاثا حين رأى المدينة يوم جاء ليشهد فتحها) فكانت ثغر الشام للقادم اليها

القدس، أو بيت المقدس، أو البيت المقدس، تلك هي بعض اسماء المدينة العريقة في تاريخها الممتد حتى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، والتي هي في نظر المسلمين أولى القبلتين وبها ثالث الحرمين، وفي نظر العالم أجمع موئل كل الديانات السماوية، يهودية ومسيحية واسلامية بنتها القبائل العربية المسماة "قبائل اليوسيين" لخمسة آلاف عام خلت، وشهدت، بعد ذلك، لاجلها، وفوق حصونها واسوارها، صراعا طاحنا ومريرا بين مختلف الحضارات التي استقرت فوق ارض الشام، وتوالى عليها الحروب والفتوح، فحكمها الكنعانيون (في القرن السادس عشر قبل الميلاد) وسموها اورو - سالم أو مدينة السلام ومن هذا الاسم اشتق اسم... اورشليم... الذي يدعي اليهود، زورا، أنهم اول من اطلقوه عليها. ثم

■ العقيد ياسين سويد: - ضابط في الجيش اللبناني يرأس حاليا احدى هيئات المحكمة العسكرية اللبنانية - مجاز في الحقوق من الجامعة اللبنانية، دكتور في التاريخ من جامعة ليون، مؤلف كتاب "معارك خالد بن الوليد" اسهم في وضع "الموسوعة العسكرية العربية"، ولديه حاليا قيد الاعداد للطبع: - التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الامارتين (المعنية والشهابية): جزءان - من تاريخنا: معارك





■ فارس صليبي بالدرع... ويمسك بيده اليمنى رمحا طويلا

باجنادين حيث خاض فيها (عام ١٥هـ - ٢٣٦م) معركة عنيفة ضد قائد الروم المدعو ارطوبون (القريب لكلمة Tribunus الرومانية وهي تعني القائد الاكبر الذي يلي الامبراطور)، فهزمه وارعد ارطوبون وجنده ليحتموا باسوار المدينة المقدسة. وتقدم عمرو لحصار القدس فحاصرها نحو اربعة اشهر الا أنه لم يتمكن من فتحها فأرسل الى الخليفة يستشيريه ويستأمره (وكان الخليفة في ذلك الحين عمر بن الخطاب)، فقال عمر كلمته الشهيرة عندما وصله كتاب عمرو "قد رمينا ارطوبون الروم بارطوبون العرب، فانظروا عم تنفرج"، وكان يقصد بذلك ان كلا القائدين من ادهي الرجال في قومهما. وبينما كان عمرو بن العاص يحاصر القدس، كان زملاؤه من قادة المسلمين في الشام يجوبون أرجاء البلاد، غانمين منتصرين، فيحتل ابو عبيدة، ومعه خالد بن الوليد، حمص وحماه وقنسرين وحلب، ثم يسلك طريق الساحل جنوبا فيستولي على طرابلس حتى يصل الى حدود بيروت، ويحتل يزيد بن ابي سفيان الساحل الشامي من بيروت الى صيدا، ويتصل بالقوات الاسلامية التي كانت قد احتلت صور وعكا، ويحتل معاوية بن ابي سفيان قيسارية في أقصى الجنوب من الساحل الشامي. وتختلف روايات المؤرخين هنا، فمن قائل انه صعب على عمرو فتح بيت المقدس فكتب الى الخليفة عمر يستمده قائلا "اني اعالج حربا كؤودا صدوما، وبلادا أدّخرت لك، فأريك" فكان هو المدد (الطبري). ومن قائل ان اهل ايلياء طلبوا من المسلمين الامان والصلح على أن يتولى العقد الخليفة عمر نفسه (الطبري) في رواية اخرى والبلاذري). ومن قائل أن الذي فاوض الروم بشأن الصلح هو ابو عبيدة وليس عمرو بن العاص، يقول البلاذري في ذلك "فكتب ابو عبيدة الى عمر بذلك - أي بان يتولى الخليفة بنفسه عقد الصلح - فقدم عمر فنزل الجابية من دمشق، ثم صار الى ايلياء، فأنفذ صلح أهلها". ويقول الطبري "وقيل: (في رواية

من مصر، وبوابة مصر للقادم اليها من الشام، ومفتاح فلسطين كلها.

الا ان ما يهمنا، في هذا البحث، هو حروب القدس في التاريخ العربي، وأهم هذه الحروب ثلاث هي:

- ١ - تحرير القدس من الروم البيزنطيين على يد عمرو بن العاص في القرن المجري الاول (١٥هـ)، أو الميلادي السابع (٢٣٦م).
- ٢ - تحريرها من الصليبيين على يد صلاح الدين الايوبي في القرن المجري السادس (٥٨٣هـ)، أو الميلادي الثاني عشر (١١٨٧م).
- ٣ - الاحتلال الصهيوني للقدس في القرن المجري الرابع عشر (١٣٦٨ و١٣٨٧هـ)، أو الميلادي العشرين (١٩٤٨ و١٩٦٧).

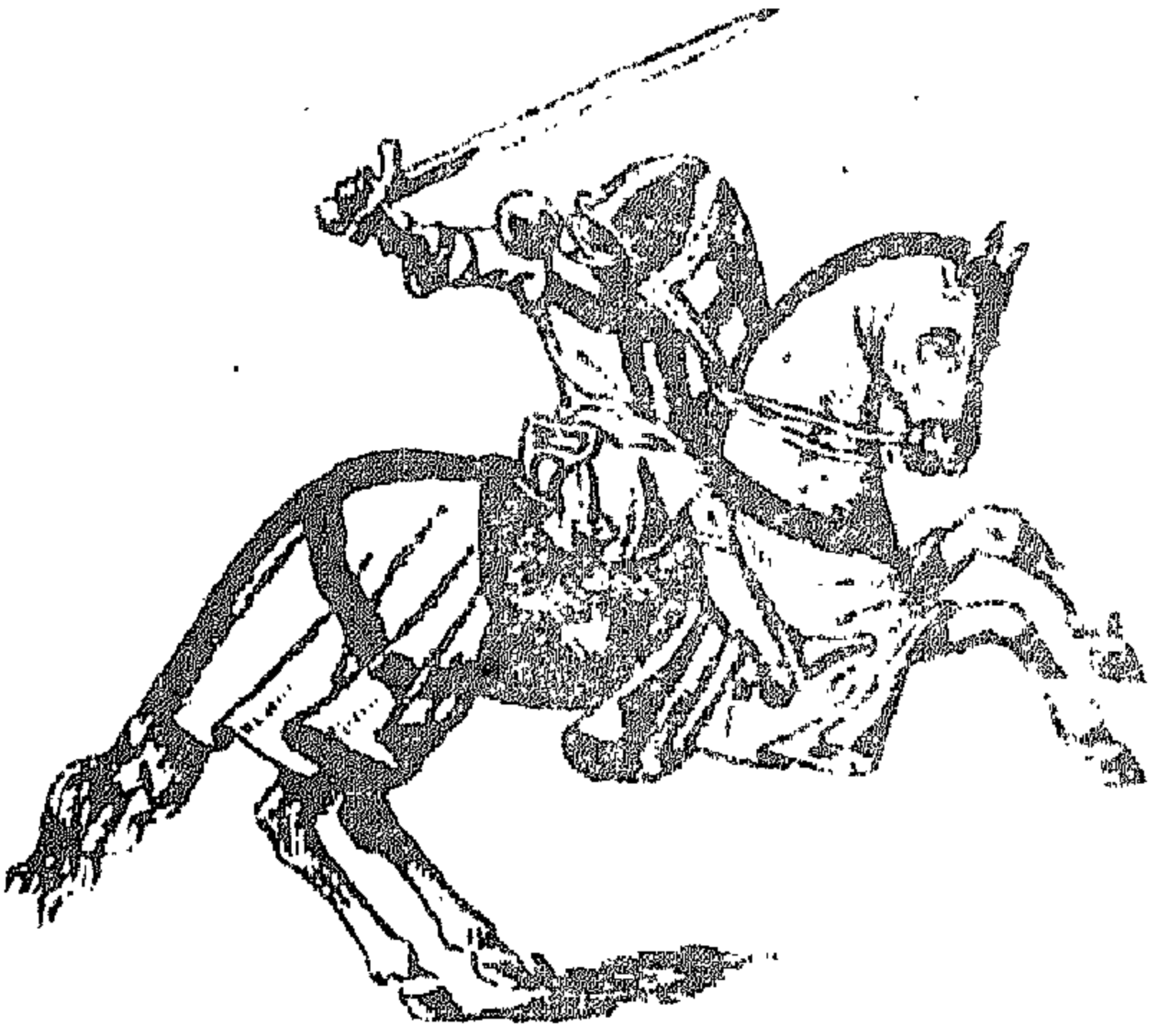
### تحرير القدس من الروم البيزنطيين (١٥هـ - ٢٣٦م)

بعد أن استتب الامر للمسلمين في الجزيرة العربية وقضى ابو بكر على فتنة الردة قضاء مبرما، قرر ان يتجه بجيوشه لفتح العراق والشام، فأرسل خالد بن الوليد والعياض بن غنم والمثنى ابن حارثة الشيباني لفتح العراق، وأرسل لفتح الشام يزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة وابا عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص.

وكانت مهمة هذا الاخير فتح فلسطين على رأس جيش قوامه نحو سبعة آلاف مقاتل، وقد أوصاه بما يلي: "إذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد وشرحبيل، بل اسلك طريق ايلياء (القدس) حتى تنتهي الى أرض فلسطين، وابعت عيونك يأتونك بأخبار ابي عبيدة، فان كان ظافرا بعدوه فكن انت لقتال من في فلسطين، وان كان يريد عسكرا فانفذ اليه جيشا في اثر جيش...".

وكان انطلاق عمرو الى فلسطين في أواخر عام ١٢هـ (٢٣٣م) فسلك الطريق الساحلية بمحاذاة البحر الاحمر حتى العقبة فالبحر الميت، ولاقى في اثناء تقدمه بعض المقاومة من قوات الروم فكان يهزمها في كل مرة حتى تمكن من الاستيلاء على قسم من فلسطين الشرقية والجنوبية واتجه بجيشه نحو القدس، ولكنه علم أن الروم قد اعدوا للقاءه جيشا لن يقوى على الظفر به ان هو قاتله، فأنحاز الى غور الاردن متجنباً الاشتباك مع العدو، ثم كتب الى الخليفة ابي بكر يستأمره فأمره بالاتصال بزملائه في بصرى، حيث خاض الى جانبهم معركة المسلمين الحاسمة ضد الروم، في بلاد الشام، أعني اليرموك (١٣هـ - ٢٣٤م)، بقيادة خالد بن الوليد، وشارك في فتح دمشق وفحل (١٤هـ - ٢٣٥م)، بقيادة ابي عبيدة بن الجراح.

ثم عاد بعدها ليتابع مهمته في فلسطين، فابتدأ



■ فارس صليبي بعدته وحصانه.

يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله  
وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا  
اعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد  
ابن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف  
ومعاوية بن ابي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس  
عشرة" - انتهى -

تحرير القدس من الصليبيين  
(٥٥٨٣ - ١١٨٧ م)

احتل الصليبيون القدس في حملتهم الاولى على  
بلاد الشام (١٠٩٧ - ١٠٩٩)، وكان دخولهم اليها  
عام ١٠٩٩ بعد حصار دام شهرا وبعد ان قضوا على  
الحامية المصرية القليلة العدد التي كانت مرابطة  
بها، وقد كان عددها نحو الف مقاتل، بينما كان  
عدد الصليبيين نحو اربعين الفا منهم نحو عشرين  
الف مقاتل، وقد انشا الصليبيون فور استيلائهم  
على بيت المقدس مملكة لاتينية جعلوا القدس  
عاصمتها ونصبوا عليها ملكا منهم هو "غودفروادي  
بويون"، الذي اطلق على نفسه لقب (بارون القبر  
المقدس وحاميه).

واستمر الصليبيون في حكم بيت المقدس طيلة  
ثمانية وثمانين عاما الى ان ظهر السلطان صلاح  
الدين الايوبي (١١٣٦ - ١١٩٣ م) الذي انتصر على  
الصليبيين في معركة حطين الشهيرة (٥٨٣ هـ -  
١١٨٧ م) انتصارا حاسما، حيث اسر في هذه الواقعة  
معظم قادتهم، ومن اسراه فيها الملك غي دي  
لوسينيان Guy de Lusignan ملك بيت المقدس.  
ومن حطين انطلق صلاح الدين ليحرر فلسطين  
كلها، فاذا به في اواخر ايلول من العام نفسه  
(١١٨٧ م) يدق ابواب المدينة المقدسة، منذرا  
حاميتها بالاستسلام او الابدان.

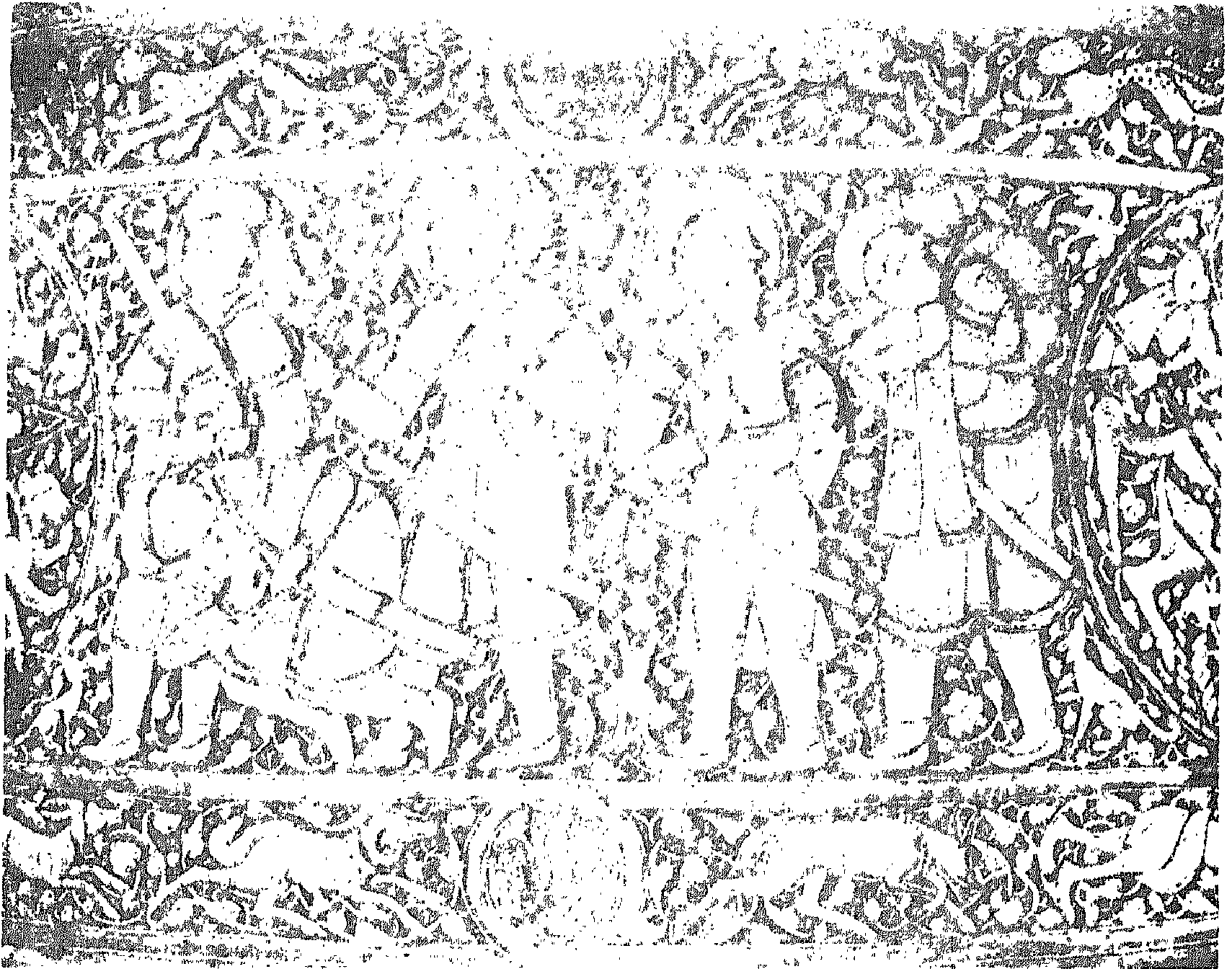
اخرى له): ان سبب قدوم عمر الى الشام كان ان  
ابا عبيدة حضر بيت المقدس فطلب اهلها منه ان  
يصالحهم على صلح اهل مدن الشام وأن يكون  
المتولي للعقد عمر بن الخطاب، فكتب اليه بذلك  
فسارعن المدينة...

ومع اننا نرجح الرواية الاولى التي اوردها  
الطبري وهي ان فتح بيت المقدس تم على يد  
عمرو بن العاص - وليس على يد ابي عبيدة لان  
هذا الاخير كان في ذلك الحين منهمكا بفتح الساحل  
الشامي، خاصة وان ابا عبيدة لم يكن شاهدا على  
نص المعاهدة كما يتبين عند الطبري - وأن  
الصلح تم بحضور الخليفة عمر نفسه الذي جاء مع  
المدد الى فلسطين بناء لطلب من عمرو، الا أننا  
نتفق مع المؤرخين جميعا على ان عمر بن الخطاب،  
لما وصل الى الجابية، استقبل وفدا من اهل ايلياء  
جاؤوا يعرضون عليه الصلح وتسليمه المدينة، وقد  
تم ذلك بحضوره وحضور كبار القادة المسلمين في  
الشام (عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعبد  
الرحمن بن عوف، ومعاوية بن ابي سفيان - كما  
يستدل من نص المعاهدة - وابو عبيدة بن الجراح  
ويزيد بن ابي سفيان)، وكان الخليفة قد استدعاهم  
الى الجابية للتشاور، وكان على القدس آنذاك  
الارطوبون والاسقف صفرونيوس فاستقبلا الخليفة  
وادخلاه الى المدينة، وكان ذلك في العام ١٥ هـ  
الموافق عام ٦٣٦ م.

#### نص المعاهدة

وفي ما يلي نص المعاهدة كما اوردها الطبري:  
"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اعطى عبد الله  
عمر أمير المؤمنين اهل ايلياء من الامان، اعطاهم  
امانا لانفسهم واموالهم، لكنائسهم وصلبانهم  
وسقمها وبريئها وسائر ملتها، انه لا تسكن  
كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من  
حيزها، ولا من صلبهم، ولا من شيء من اموالهم،  
ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار احد منهم، ولا  
يسكن بايلياء معهم احد من اليهود، وعلى اهل  
ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن،  
وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص  
(اللصوص) فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه  
وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن اقام منهم فهو  
آمن، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية،  
ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع  
الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على  
انفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا  
مأمنهم، ومن كان بها من اهل الارض قبل مقتل  
فلان، فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على اهل  
ايلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن  
شاء رجع الى اهل فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى

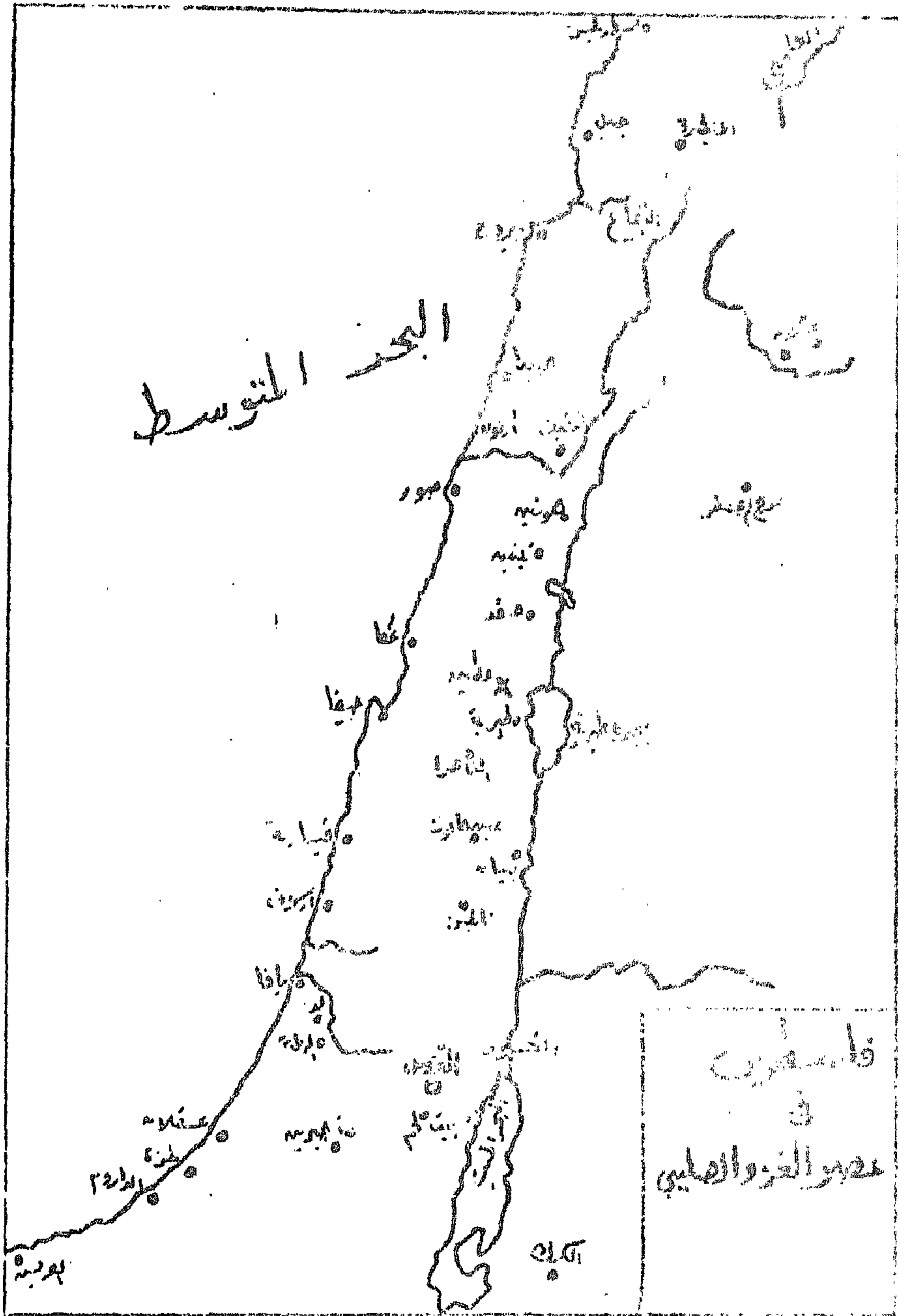




■ امراء المماليك حوالي القرن الثالث عشر من كتاب "تاريخ الصليبيين" ، ستيفن رانسيمان ، الجزء الثالث



■ صورة لمصب نهر الكلب (لبنان) ايام الغزو الصليبي



وعسقلان والرملة وغزة وغيرها، وكانوا قد التجأوا جميعا إلى بيت المقدس، فاجتمع في المدينة منهم نحو ستين ألفا، بينما بلغ جيش صلاح الدين نحو خمسة وعشرين ألفا (١٣ ألفا من المشاة و١٢ ألفا من الفرسان) .

وضرب صلاح الدين حول القدس حصارا شديدا فنصب حولها المجانيق وبدأ بقصفها بينما كان النصابون ينقبون السور لفتح الثغرات فيه، وكذلك نصب الصليبيون المجانيق داخل سور المدينة

واجتمع بالمدينة من الصليبيين بطريركها المعظم (وكان اعظم شانا من الملك) وباليان بن بيرزان صاحب الرحلة (وكان صلاح الدين قد أسره في حطين ثم أطلق سراحه بناء على وعد قطعه بأن يبيت ليلة واحدة في القدس ثم يخرج منها بعائلته، إلا أنه أخلف وعده) وكانت مرتبته تقارب مرتبة الملك، كما اجتمع بها من نجا من مقاتليهم بعد حطين، ومن خلص من باقي المدن التي فتحها صلاح الدين بعدها، كعكا وحيفا وقيسارية ويافا



وبدأوا يقصفون قوات صلاح الدين، كما كان فرسانهم يخرجون من المدينة يومياً لقتال المسلمين ثم يعودون إليها.

مكث صلاح الدين حول سور المدينة بضعة أيام محاصراً لها، وكان في الوقت نفسه يدرس أحوال السور ومواضع الوهن فيه بغية أعداد الهجوم على المدينة، وما إن أتم استطلاع السور حتى بدأ بوضع خطة الهجوم محدداً بالضبط نقاط الاقتحام ومطلعاً قادة جيشه على تلك النقاط.

وفي الوقت المحدد للهجوم انطلقت قواته مقتحمة المدينة من الجهة الشمالية حيث تمكن جنده من فتح ثغرة في السور من ناحية كنيسة صهيون ومن نواح أخرى فدخلت المدينة وأزاحت الصليبيين عن مواقعهم ولكن الحامية الصليبية بقيت صامدة داخل المدينة وفي شوارعها، واستمرت مقاومة الصليبيين عنيدة وصلبة، واستمر الهجوم والحصار قاسيين وشديدين، إلى أن يئست الحامية من إمكان التغلب على المهاجمين فأسقط

في أيدي قادتها، وكان الجوع والمرض والارهاق قد بدأ يفتك بجندهم وبأهالي المدينة، فطلبوا من صلاح الدين التفاوض بغية الاستسلام.

ولكن صلاح الدين رفض التفاوض وأصر على استسلام المدينة بلا شروط، وعندها هدد المحاصرون بحرق أنفسهم وعيالهم وحرق المدينة كلها بمن فيها وما فيها كما هددوا بقتل أسرى المسلمين، وكانوا نحو خمسة آلاف أسير، إن لم يرض صلاح الدين بالصلح، فرفض القائد المسلم عندها شرط أن يرحل المحاربون من الأعداء عن المدينة ويبقى فيها الشيوخ والنساء والأطفال لقاء فدية، ودخل المسلمون القدس بعد حصار دام أكثر من أسبوع وكان سقوط القدس عاصمة المملكة اللاتينية في يد صلاح الدين في الثاني من تشرين الأول عام ١١٨٧م. ويسقوطها انهارت أمام القائد المسلم معظم المدن والمواقع التي كانت لا تزال تحت سيطرة الصليبيين في معظم أنحاء بلاد الشام.

### (في العدد المقبل: الاحتلال الصهيوني للقدس)

## المراجع

- حروب الاسلام والامبراطورية الرومية لامين سعيد
- فلسطين عبر ستين عاما لاميل الغوري الجزءان الاول والثاني
- صلاح الدين الايوبي لقدرى قلعجي
- الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت
- معارك العرب ضد الغزاة لمحمد عماره
- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب لمحمد العروسي المطوي
- مجلة الهلال، جند الله قادة الانتصارات العربية، ايلول ١٩٧٣
- مجلة الهلال، عدد خاص عن العواصم العربية، ايلول ١٩٧٤

- فتوح البلدان للبلاذري
- تاريخ الرسل والملوك للطبري، الجزء الثالث
- كارثة فلسطين للكولونيل عبد الله التل، الجزء الاول
- معارك العرب الحاسمة لصبحي عبد الحميد
- تاريخ العرب للدكتور فيليب حتي، الجزء الثاني
- حرب حزيران للعميد الركن حسن مصطفى، الجزء الثاني
- تاريخ العرب العسكري لمحمود الدرة
- معارك خالد بن الوليد للمقدم ياسين سويد
- قادة فتح الشام ومصر للواء الركن محمود شيت خطاب
- جندي بين العرب للجنرال جون فلوب تعريب دار العلم للملايين

## التاريخ والمؤرخ

"ب، فاليري"

"فولتير"

"فوستل دو كولانج"

(١) التاريخ، للأسف، لا ينفصل عن المؤرخ.

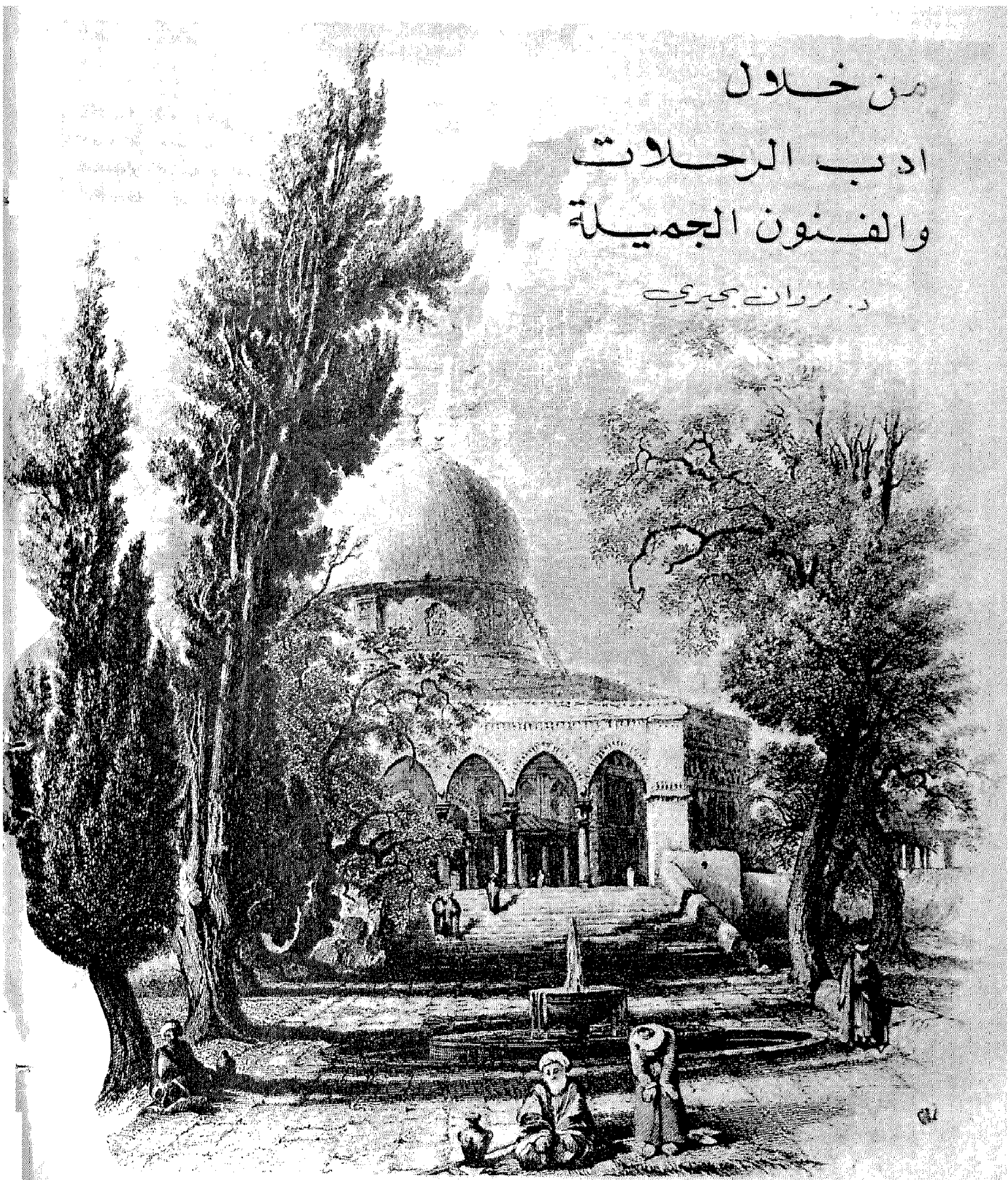
(٢) حتى تكتب جيداً في التاريخ، يجب أن تكون في بلد حر.

(٣) "لتركيب" يوم واحد، نحتاج لسنوات من "التحليل".

# مدينة القدس

من خلال  
ادب الرحلات  
والفنون الجميلة

د. مروان بحيري





## القدس في الادب العربي

أما في ما يختص بالادب العربي وبالكاتب التي تصف فضائل القدس ومكانتها المقدسة بوجه خاص وارض فلسطين بوجه عام، فقدولينا اهتمامنا شطر ثلاثة علماء ورحالة من العرب ووّاحد من الفرس. فقد اتحفنا شمس الدين المقدسي حوالي ٣٧٥هـ / ٩٧٥م وهو قدسي المنشأ كما تدل نسبته بكتاب عميق الفائدة يجمع بين ثناياه صورة متكاملة عن سوريا وفلسطين في القرن العاشر الميلادي وعمما فهما من تجارة وزراعة وصناعة ومواقع جغرافية. كما يرد فيه وصف شيق لبناء اسوار مدينة عكا البحرية اسنده المقدسي الى جده. والمقدسي في رأي الكثيرين كان ابرز جغرافي في ذلك العصر وقد اخترنا في ما يلي جملة من اقواله التي يبجل فيها المقدسي مدينة القدس ويقدمها على سائر المدن.

ويلي المقدسي ناصر خسرو البلخي (ولد سنة ١٠٠٣ ميلادية) الذي زار الشرق الادنى في طريقه لاداء فريضة الحج. وكان ناصر خسرو عالماً ثاقب النظر صائب القول كما كان رحالة شيق الاسلوب وقد دون ما رآه في كتاب شهير بعنوان "سفر نامه".

أما محمد بن بطوطه الطنجي (ولد عام ١٣٠٠ للميلاد) فهو غني عن التعريف. فهو في رحلاته المتراامية التي لا يكاد المرء ان يصدق اتساعها وفي وصفه الدقيق لكل ما شاهده، يوازي في مقامه واهميته معاصره الاوروبي الذائع الصيت ماركو بولو. وقد زار ابن بطوطه تباعاً نواحي افريقيا الشمالية ثم انتقل الى مصر فسوريا ففلسطين والجزيرة العربية والعراق وبلاد فارس وتركيا وروسيا. والهند والصين واندونيسيا. وفي طريق عودته، قام بزيارة لها اهمية خاصة الى مناطق افريقيا التي تقع جنوبي الصحراء الكبرى ثم مملكة مالي العظيمة وملكها سليمان.

أما من الناحية التاريخية فان احدث النصوص التي اخترناها هو بقلم عبد الغني النابلسي الذي ولد في دمشق في سنة ١٦٣١ والذي يرجع نسبه الى مدينة نابلس. وقد كان النابلسي شاعراً وعالماً شهيراً له تصانيف عديدة اذ بلغت تصانيفه في رأي البعض ما بين ١٥٠ الى ٢٥٠ مؤلفاً. وقد زار النابلسي مدينة القدس في العام ١١٠١ للهجرة (١٦٨٩ ميلادية) ولقى كتابه "الحضرة الانسية في الرحلة القدسية" اهتماماً كبيراً في العالم الاسلامي بسبب وصفه للمزارات في فلسطين.

نادراً ما نالت بقعة من بقاع الارض من الاهتمام ما نالته القدس على ايدي العلماء والادباء والفنانين ولا غرابة في ذلك إذ ان بهاء فلسطين وروعتهما في المجالات الدينية والتاريخية والمعمارية بالاضافة الى موقعهما الاستراتيجي البارز كلها امور يصعب على المرء ان يصفها كما تستحق. وقد اشار العديد من الادباء والفنانين الى صعوبة هذا الوصف والى العواطف الجياشة التي تكتنف الموضوع والعمل معاً.

وفي هذه الدراسة المصورة، حاولنا ان نجمع اعمال بعض الفنانين الغربيين من القرنين الثامن والتاسع عشر مع اضافة بعض الاستشهادات المنتقاة مما يزخر به ادب الرحالة من العرب والفرس، الذين زاروا فلسطين بين القرنين العاشر والسابع عشر. والهدف من ذلك هو ابراز صورة عامة عن مدينة لم يتبدل بهاؤها وعن ارض لا تزال قبلة انظار مئة وخمسين مليون عربي ولربما انظار العالم بأسره كذلك.

أما الفنانون فمن بينهم بارزون كالفرنسي ل. ف. كساس، مثلاً، وهو ينتمي الى المدرسة الكلاسيكية الجديدة والذي رسم العديد من المشاهد في فلسطين وسوريا في العقود الاخيرة من القرن الثامن عشر، والاسكتلندي دافيد روبرتس الذي زار الشرق العربي في الاربعينات من القرن التاسع عشر والذي تعتبر اعماله ذات قيمة خاصة، خصوصاً تصويره الباهر لطراز البناء القديم ومن بينهم ايضاً الاميركيان فن و وودورد اللذان رسما رسوماً تخطيطية في السبعينات من القرن الماضي وكذلك بعض الفنانين المغمورين نسبياً مثل دبدن ورد هارديت وهارلي.

وفي ما يتعلق بالكتابات الوصفية التي تمجد الامتياز والقداسة الخاصين للقدس بنوع خاص، ولفلسطين بوجه عام، فأنها شاملة تماماً وذات قيمة ادبية وروحية عالية. واحد الامثلة البارزة هو برهان الدين الفزاري. احد مشايخ المسجد الاموي في القرن الرابع عشر الذي وضع دراسة بعنوان "كتاب باعث النفوس الى زيارة القدس المحروس".

■ د. مروان بحيري: استاذ التاريخ المعاصر في الجامعة الاميركية في بيروت، خريج جامعة برنستون.

## شمس الدين المقدسي

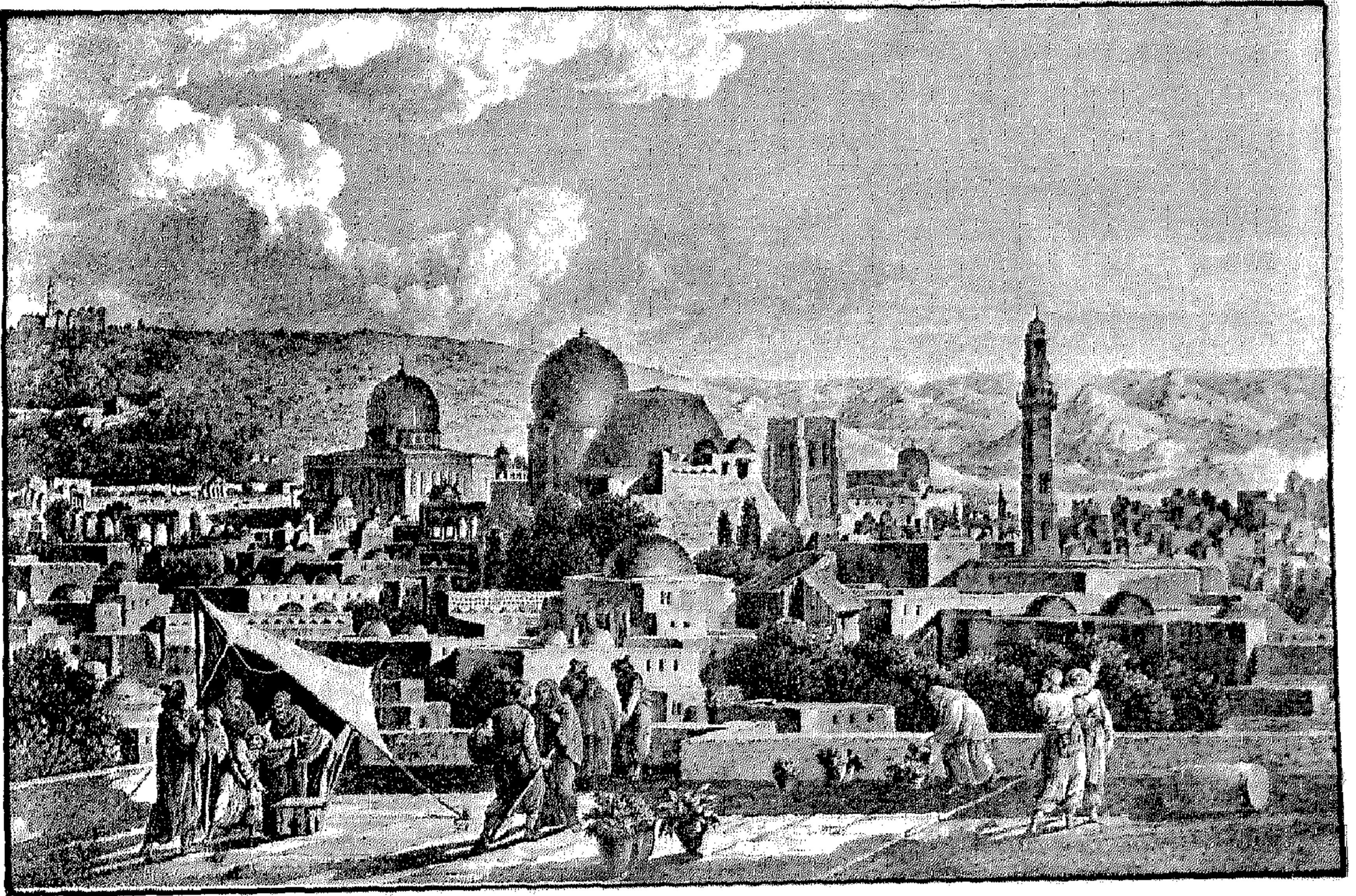
وفي وصف لمدينة القدس للاديب والعالم شمس الدين المقدسي في كتابه "احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم" يقول:

"بَيَّتُ الْمُقَدَّسَ لَيْسَ فِي مَدَائِنِ الْكَوْنِ اكْبَرَ مِنْهَا وَقِصَبَاتُ كَثِيرَةٍ اصْغَرَ مِنْهَا ... لَا شَدِيدَةُ الْبَرْدِ وَلَيْسَ بِهَا حَرٌّ وَقُلُّ مَا يَقَعُ بِهَا ثَلْجٌ وَسَالَنِي الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ قَاضِي الْحَرَمِينَ عَنِ الْهَوَاءِ بِهَا فَقُلْتُ: "سَجِسْ لَا حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ شَدِيدٌ" قَالَ: هَذَا صِفَةُ الْجَنَّةِ، بَنِيَانُهُمْ حَجَرٌ لَا تَرَى أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا اتَقَنَ مِنْ بَنَائِهَا، وَلَا اعْفَ مِنْ أَهْلِهَا وَلَا أَطِيبَ مِنَ الْعَيْشِ بِهَا وَلَا أَنْظَفَ مِنْ أَسْوَاقِهَا وَلَا اكْبَرَ مِنْ مَسْجِدِهَا وَلَا أَكْثَرَ مِنْ مَشَاهِدِهَا، عَنِهَا خَطِيرٌ، وَلَيْسَ لِمَعْنَقَتِهَا نَظِيرٌ، وَفِيهَا كُلُّ حَازِقٍ وَطَبِيبٍ وَالِيهَا قَلْبُ كُلِّ لَبِيبٍ، وَلَا تَخْلُو كُلَّ يَوْمٍ مِنْ غَرِيبٍ وَكُنْتُ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ الْقَاضِي الْمُخْتَارِ أَبِي يَحْيَى ابْنِ بَهْرَامٍ بِالْبَصْرَةِ فَجَرَى ذِكْرُ مِصْرَ إِلَى أَنْ سَأَلْتُ أَيَّ بِلَدٍ أَجَلُّ؟ ... قُلْتُ: بِلَدُنَا قِيلَ فَأَيُّهَا أَطِيبَ قُلْتُ: بِلَدُنَا قِيلَ فَأَيُّهَا أَفْضَلُ قُلْتُ: بِلَدُنَا قِيلَ فَأَيُّهَا أَحْسَنُ قُلْتُ: بِلَدُنَا قِيلَ فَأَيُّهَا أَكْثَرُ خَيْرَاتٍ قُلْتُ: بِلَدُنَا- قِيلَ فَأَيُّهَا اكْبَرُ قُلْتُ: بِلَدُنَا فَتَعَجِبَ أَهْلُ

المجلس من ذلك وقيل انت رجل محصل وقد ادّعت ما لا يقبل منك وما مثلك الا كصاحب الناقة مع الحجاج قلت اما قولي اجل فلانها بلدة جمعت الدنيا والآخرة فمن كان من ابناء الدنيا واراد الآخرة وجد سوقها ومن كان من ابناء الآخرة فدعته نفسه الى نعمة الدنيا وجدها واما طيب الهواء فانه لا سم لبردها ولا اذى لحرها واما للحسن فلا ترى احسن من بنيانها ولا انظف منها ولا انزه من مسجدها واما كثرة الخيرات فقد جمع الله تعالى فيها فواكه الاغوار والسهل والجبال والاشياء المتضادة كالاترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز واما الفضل فلانها عرصة القيامة ومنها المحشر واليها المنشر وانما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبي صلعم ويوم القيامة يزفان اليها فتحوي الفضل كله واما الكبر فالخلايق كلهم يحشرون اليها فاي ارض اوسع منها فاستحسنوا ذلك واقروا به

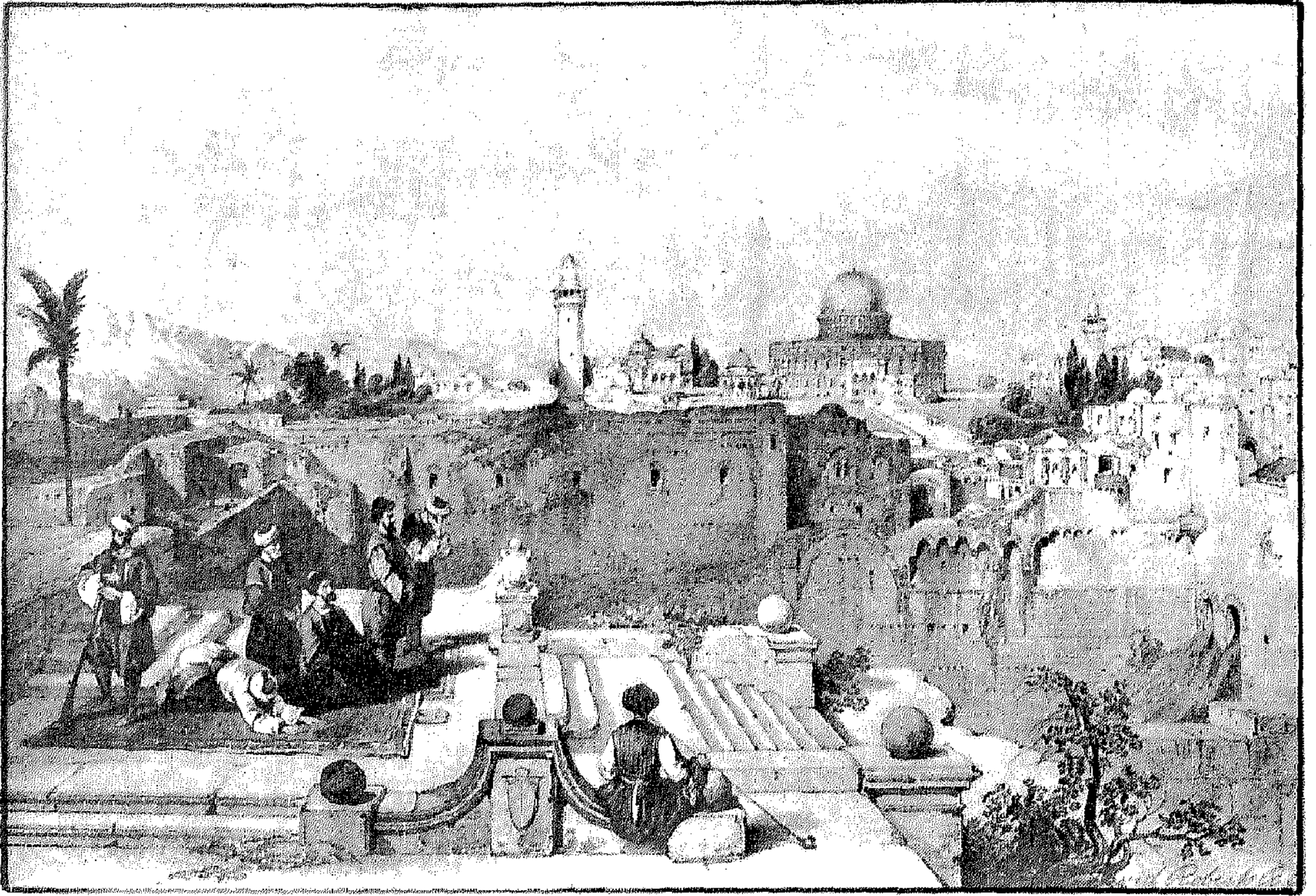
### ابن بطوطه

اما ابن بطوطه في كتابه "تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار" فيقول:



■ الإمام المقدسي للكتاب ١٧٨٥





■ الحرم الشريف للضامن بافريد روبريس عام ١٨٤٠

وعن قبة الصخرة يقول:

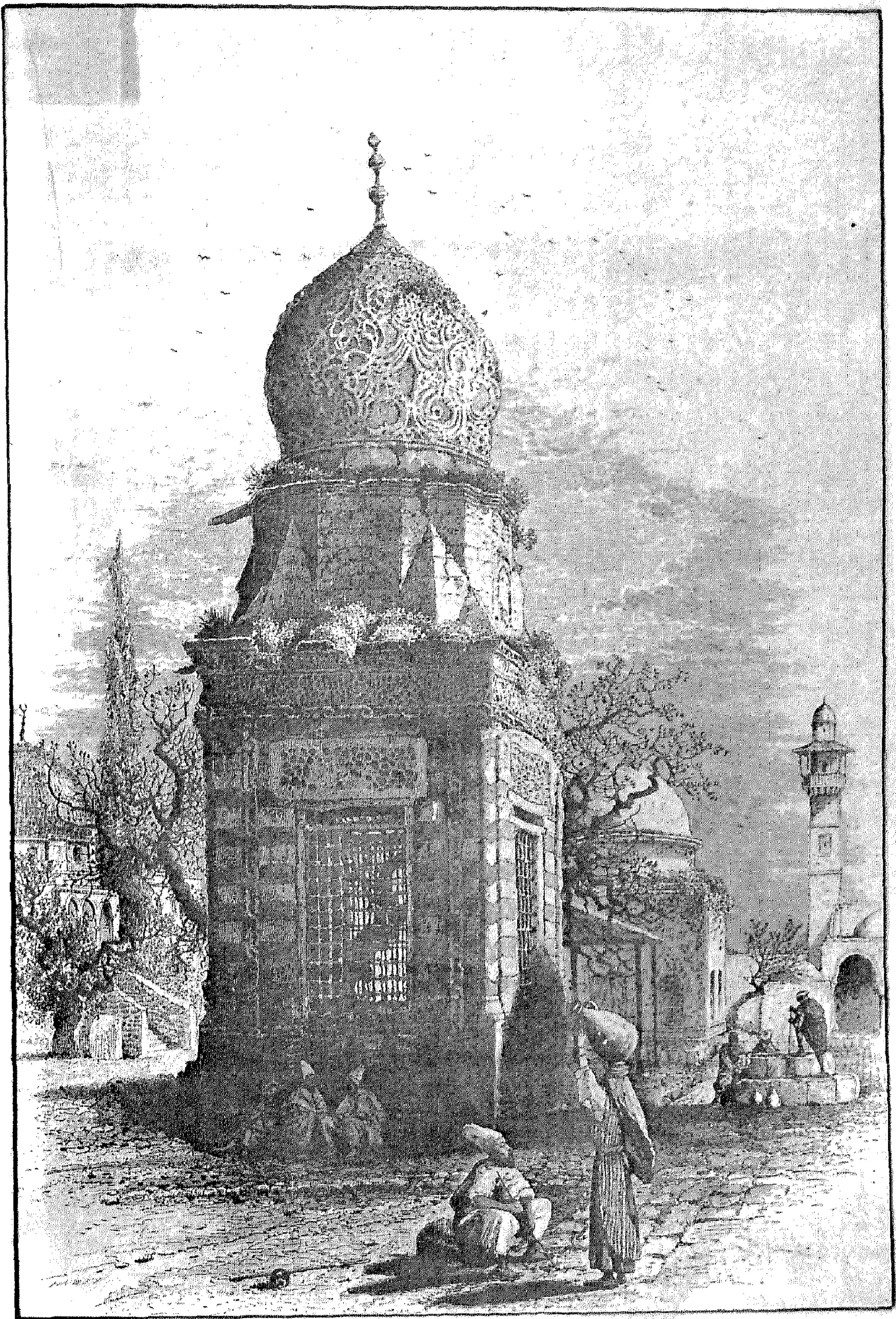
"هي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً  
قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة  
بطرف وهي قائمة على نشز في وسط المسجد يصعد  
اليها في درج رخام ولها أربعة ابواب والدائر بها  
مفروش بالرخام أيضاً محكم الصنعة وكذلك  
داخلها وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة  
ورائق الصنعة ما يعجز الواصف وأكثر ذلك مغطى  
بالذهب فهي تتلألأ نوراً وتلمع لمعان البرق يحار  
بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن  
تمثيلها وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء  
ذكرها في الآثار فان النبي صلى الله عليه وسلم  
عرج منها الى السماء وهي صخرة صماء ارتفاعها  
نحو قامة وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير  
ارتفاعها نحو قامة أيضاً ينزل اليها على درج  
وهناك شكل محراب وعلى الصخرة شباك انشان  
محكما العمل يغلقان عليها احدهما وهو الذي يلي  
الصخرة من حديد بديع الصنعة والثاني من خشب  
وفي القبة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك  
والناس يزعمون انها درقة حمزة بن عبد المطلب  
رضي الله عنه" ويذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف  
فيقول:

"ثم وصلنا الى بيت المقدس شرفه الله" ثالث  
المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ومصعد رسول  
الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ومعرجه الى  
السماء والبلدة كبيرة منيفة مبنية بالصخر المنحوت  
وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن ايوب جزاه  
الله عن الاسلام خيراً لما فتح هذه المدينة هدم  
بعض سورها ثم استنقض الملك الظاهر هدمه خوفاً  
ان يقصدها الروم فيمتنعوا بها ولم يكن بهذه  
المدينة نهر فيما تقدم وجلب لها الماء في هذا  
العهد الامير سيف الدين تنكيز امير دمشق .

وعن المسجد الاقصى يقول:

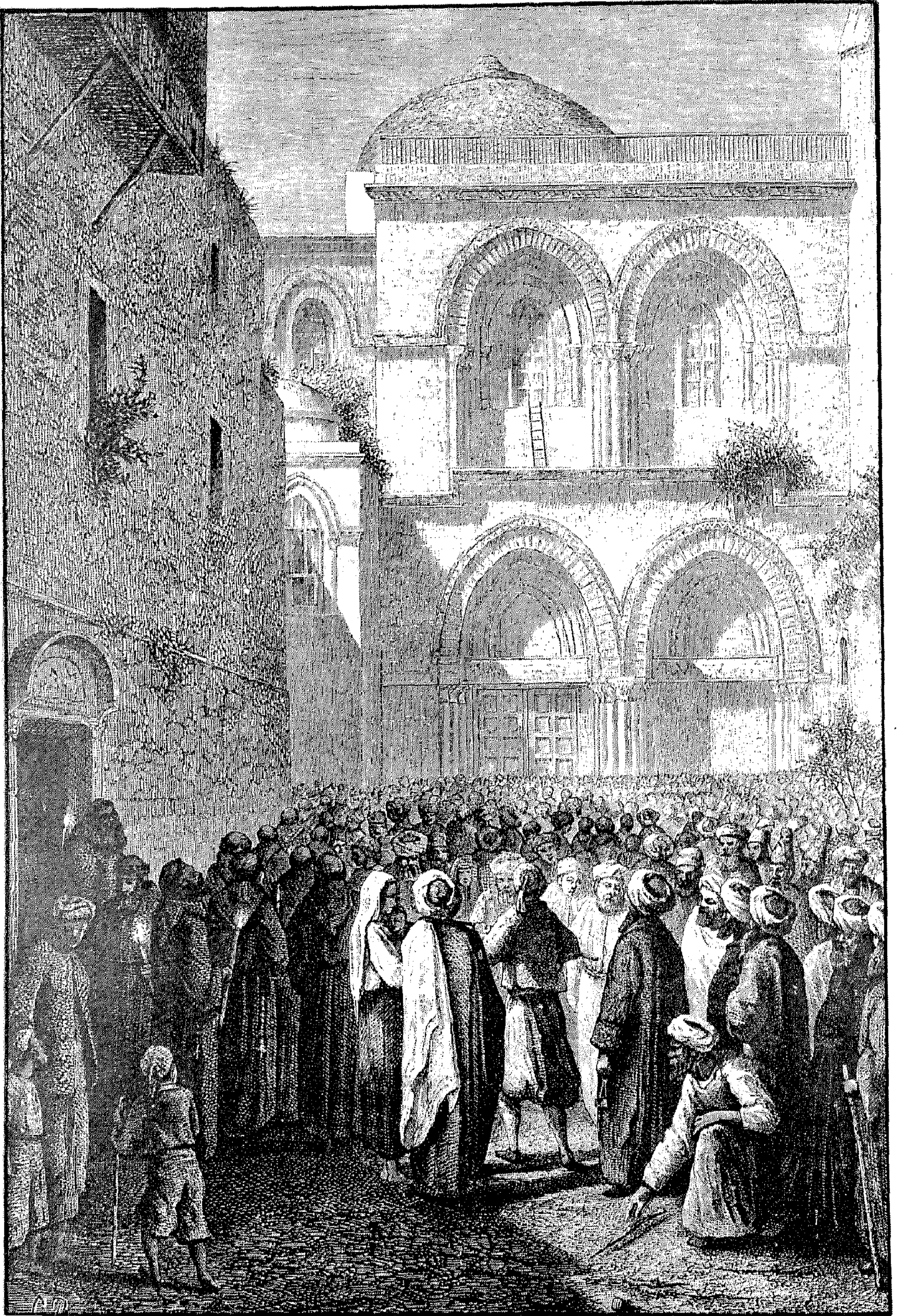
"وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة  
الحسن يقال انه ليس على وجه الارض مسجد اكبر  
منه وان طوله من شرق الى غرب سبعمائة وثمانان  
وخمسون ذراعاً بالذراع المالكية وعرضه من القبلة  
الى الجوف اربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً وله  
ابواب كثيرة في جهاته الثلاث وأما الجهة القبلية  
منه فلا أعلم بها الا باباً واحداً وهو الذي يدخل منه  
الامام والمسجد كله فضاء غير مسقف الا المسجد  
الاقصى فهو مسقف في النهاية من احكام العمل  
واتقان الصنعة مموه بالذهب والاصبغة الرائقة وفي  
المسجد مواضع سواء مسقفة . .





■ سبیل قائد بیه للعنان هارلی عام ۱۸۷۵





■ كنيسة القيامة في عيد الفصح للقساوسة رومانية عام ١٨٧٠



ارادته، اللهم يا باريء النسم احفظ عبيدك واغفر  
لهم خطاياهم آمين يا رب العالمين اهـ"

### عبد الغني النابلسي

ويقول عبد الغني النابلسي في كتابه "الحضرة  
الانسية في الرحلة القدسية":

"ولم نزل سايرين وباجنحة الدواب طائرين .  
حتى صعدنا العقبة واشرفنا على القدس الشريف .  
فنسينا عند رؤيتنا ذلك ما قطعنا من العقبات  
والممالك . ولله در الحافظ بن حجر العسقلاني  
حيث قال:

الى بيت المقدس قد اتينا

جنان الخلد نزلا من كريم

قطعنا في مسافته عقاباً

وما بعد العقاب سوى النعيم

فوصلنا الى مزار الشيخ جراح وهذا في  
(المدرسة الجراحية) . قال الحنبلي وهي بظاهر  
القدس من جهة الشمال ولها وقف ووظائف مرتبة .  
نسبها لواقفها الامير حسام الدين بن شرف الدين  
عيسى الجراحي . أحد امراء الملك صلاح الدين  
يوسف بن ايوب توفي في صفر سنة ٥٩٨ ودفن  
بزواية بالمدرسة المذكورة . وقد خرج للقائنا في  
ذلك المكان جماعة من المشايخ الاعيان . وقد  
نشروا الاعلام على جهة الافهام بكمال الود  
والافهام . يتلون البراعة الشريفة والصلوات الى ان  
اقبلنا على باب المدينة مع هاتيك الجماعات . ثم  
استقبلنا فقراء الزاوية الادهمية في ذلك الطريق  
وحصلت لنا البركة في لقائهم فنعم ذلك الفريق  
حتى دخلنا من باب المدينة الذي يسمى باب  
العمود . فاذا هو باب كبير عظيم واسع عال كأنه  
قطعة من جلود وسور بيت المقدس سور جديد  
متين مشيد قوي الاركان عظيم البنيان يحيط بالبلد  
كلها وعمرها وسهلها . مبني بالشيد والحجر  
المنحوت وفي داخله جميع الاماكن والبيوت . وقد  
اخبرنا انه من بناء السلطان الملك المظفر سليمان  
خان من ملوك آل عثمان ايدهم الله ونصرهم على  
ممر الازمان . ولمدينة القدس عشرة ابواب . منها  
هذا الباب الذي هو باب العمود وهو من جهة  
الشمال . ومن هذه الجهة باب آخر يسمى باب

"فما بعدوة الوادي المعروف بوادي جهنم في  
شرقي البلد على تل مرتفع هنالك بنية يقال انها  
مصعد عيسى عليه السلام الى السماء ومنها أيضاً  
قبر رابعة البدوية منسوبة الى البادية وهي خلاف  
رابعة العدوية الشهيرة وفي بطن الوادي المذكور  
كنيسة يعظمها النصارى"

### ناصر خسرو

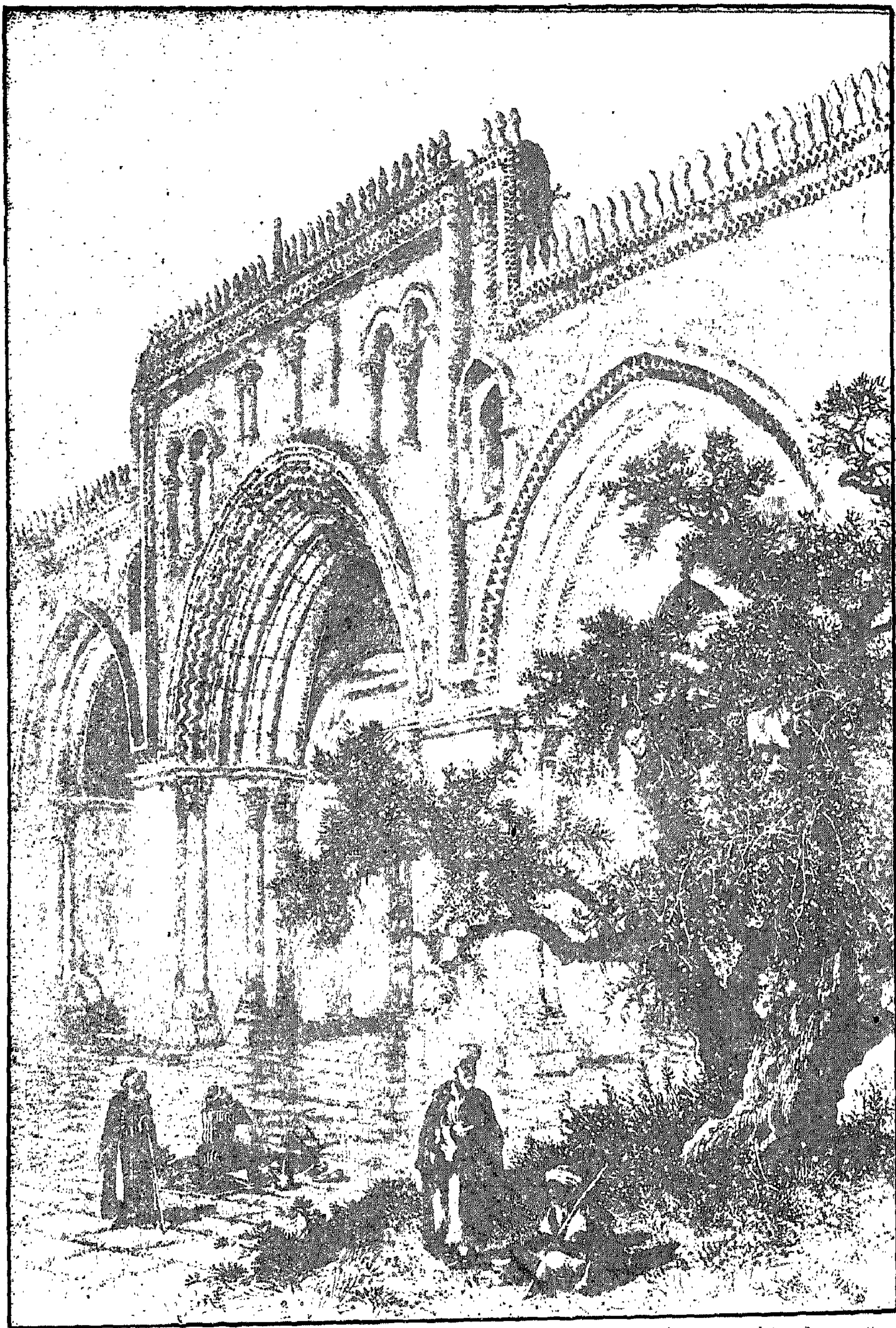
ويقول ناصر خسرو حوالي سنة ٤٣٧هـ (١٠٣٥م)  
في كتابه (سفر نامه) .

"وتحيط ببيت المقدس جبال تنبت فيها  
الحبوب . وفيها اشجار الزيتون والتين وغيرها وجميع  
الاراضي خالية من المياه ومع ذلك فأن المأكولات  
كثيرة ورخيصة . ومن رؤساء البيوت من لا تقل  
وارداتهم من زيت الزيتون عن خمسة آلاف من  
ويجعل هذا الزيت في آبار واحواض وينقل الى  
اطراف المعمور . ويقال ان المجاعة لم تشتد قط في  
بلاد الشام . وذكر لي الثقة ان احد الاولياء راي  
النبي عليه الصلاة والسلام في المنام فقال له: يا  
رسول الله اعني على العيش فاجابه الرسول (انا  
اضمن رزقك من خبز الشام وزيتها) .

وهاءنذا اصف لك مدينة القدس فهي قائمة على  
مرتفع وليس فيها غير ماء المطر ولكن كان في  
بعض القرى المجاورة عيون فليس لها أثر داخل  
المدينة ويحيط بها سور وثيق البنيان عمل من  
الحجر والملاط وابوابه من الحديد . واذا كانت  
المدينة مبنية على الصخر فليس في جوارها مباشرة  
شجر . وبيت المقدس بلدة عظيمة وكان فيها عندما  
زرتها عشرون الف رجل واسواقها جميلة وبيوتها  
عالية وتربتها ممزوجة بالحجارة وقد نحقت الطرق  
وعبدت بحيث ان الامطار تنظفها وتغسلها وارباب  
الصنائع فيها كثار ولكل اهل صيغة في السوق مكان  
خاص بهم .

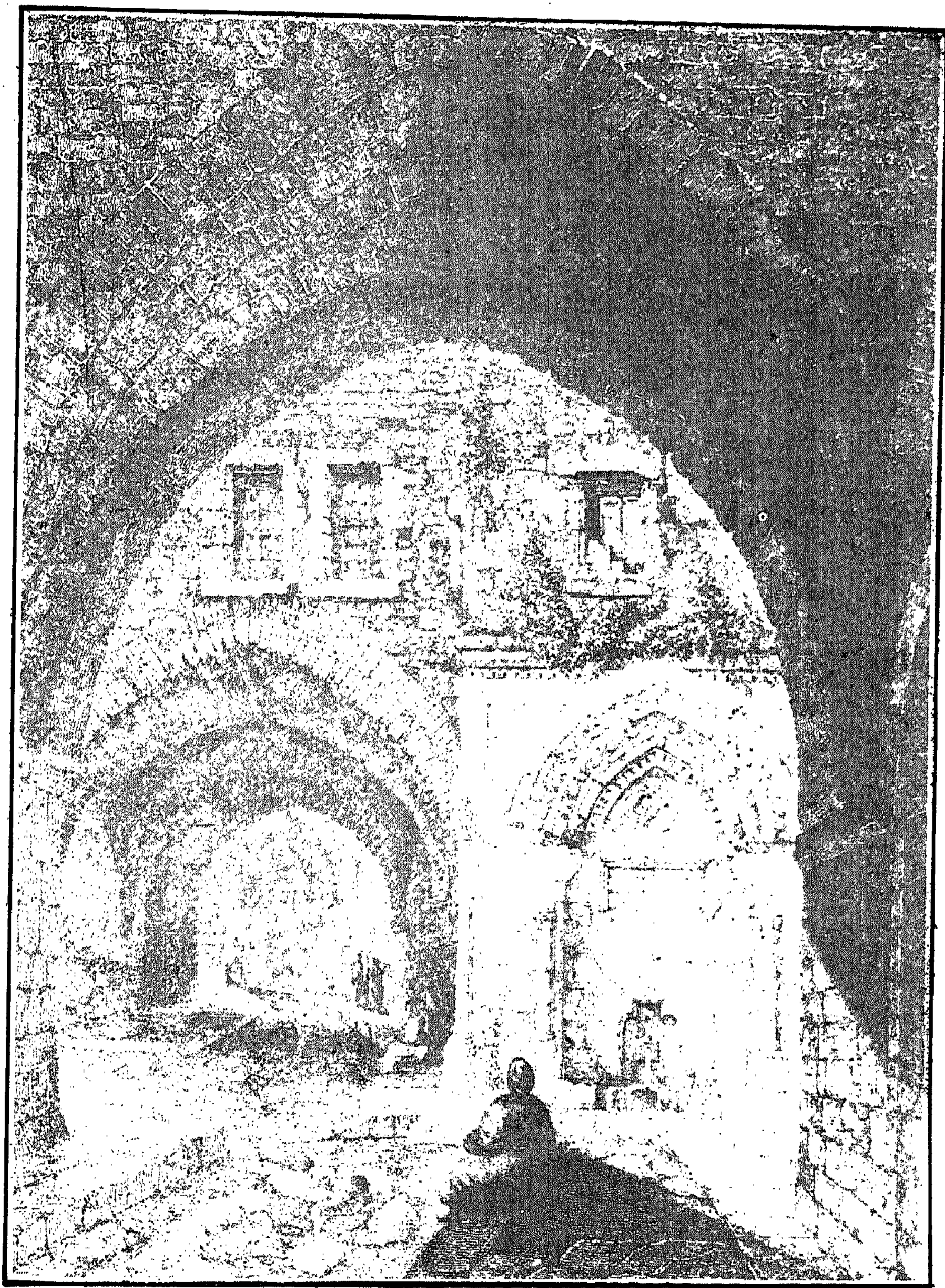
والمسجد الاعظم حيث تقام صلاة الجمعة هو الى  
الشرق . من جهة السوق واسوار المدينة عبارة عن  
حيطانه ومتى خرج المرء من المسجد يرى امامه  
سهلاً عظيماً منبسطاً اسمه ساهرة وفي هذا السهل  
على ما يزعمون تقوم القيامة وتحسر الاجساد  
وينصب الميزان وبفضل هذا المعتقد يأتي من جميع  
اقطار العالم الى القدس جمهور كبير من البشر  
ينزلونها ليموتوا فيها وليكونوا على مقربة من  
المكان الذي عينه المولى تعالى وتحقق فيه





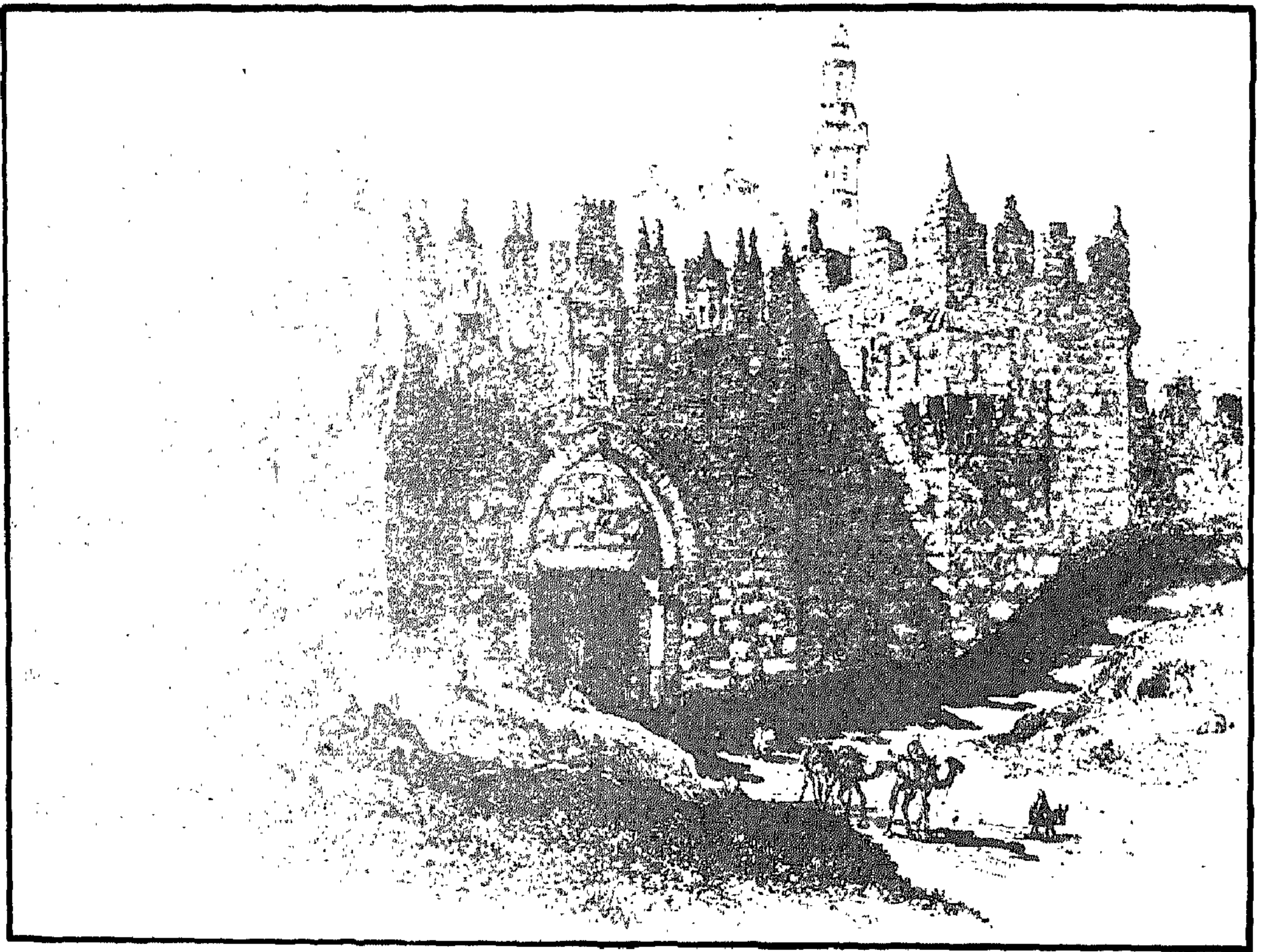
■ المسجد الأقصى للفنان وودورد عام ١٨٧٥





■ باب السلسلة للفنان . ت . س . د . د . ب . ن . ١٨٢٠





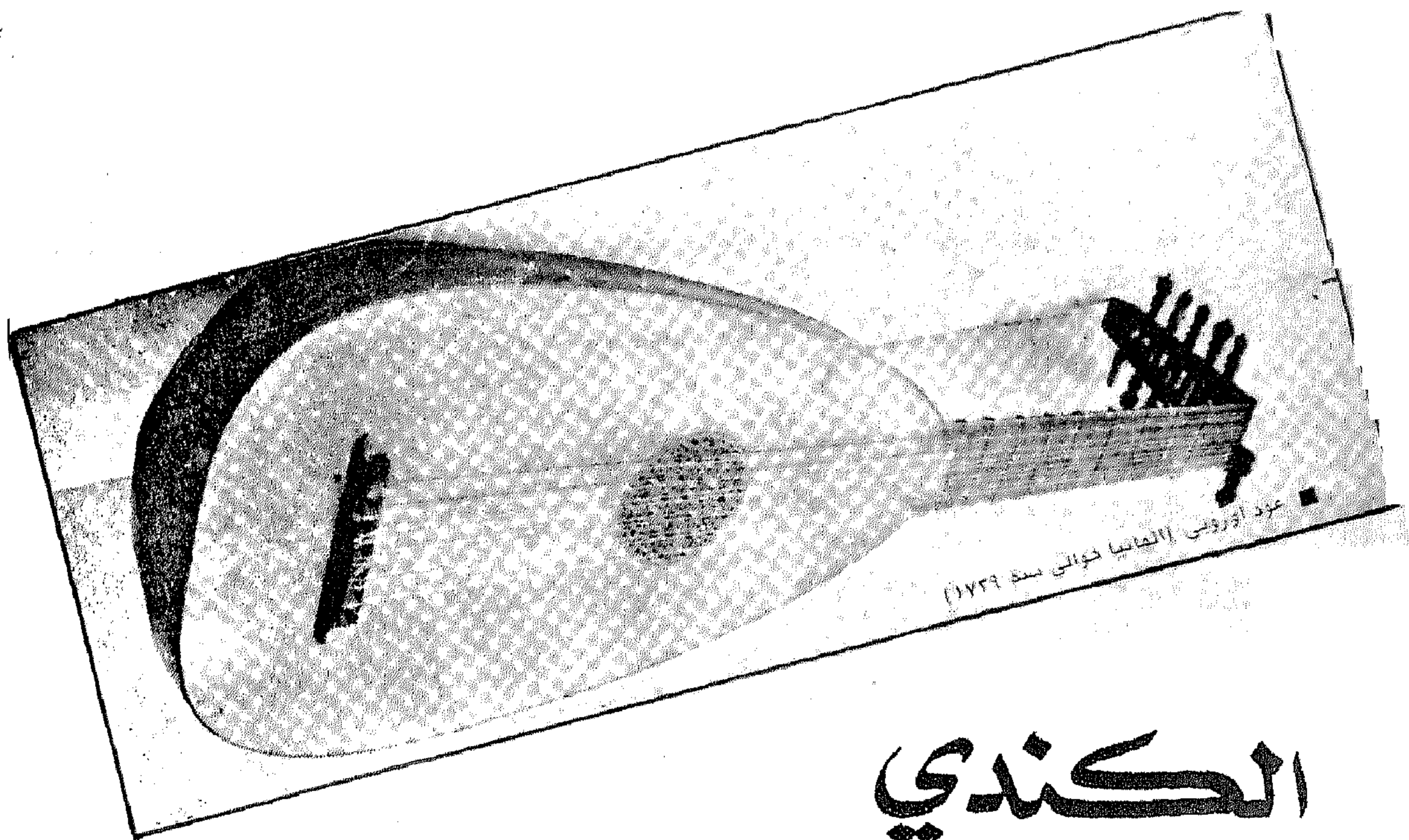
■ باب العامود للفنان هـ. فن عام ١٨٧٥

السلسلة، وباب السكينة، وباب المغاربة ويسمى باب النبي، ومن جهة الشمال باب الاسباط، وباب حطه، وباب شرف الانبياء.

ورأينا ذلك الخرم الشريف والمسجد الذي هو غني عن التعريف، وذرعه كما ذكره الحنبلي في التاريخ طولا من حائط السور القبلي عند المحراب المعروف بمحراب داود الى صدر الرواق الشمالي عند باب الاسباط ستمائة وستون ذراعاً بذراع العمل غير عرض السورين، وعرضاً من السور الشرقي الى صدر الرواق الغربي اربعماية وستة اذرع غير عرض السورين على التقريب واتفق لنا ان الذين كانوا يقرأون البراءة الشريفة قدامنا في حال دخولنا الى قوله فيها "،

الداعية المتوصل منه الى حارة بني زيد، وباب يسمى باب دير السرب، وباب المساهرة، ومن جهة القبلة باب المغاربة، وباب داود، ومن جهة الغرب باب صغير بلصق دير الارمن وباب المحراب المعروف الآن بباب الخليل، وباب يعرف بباب الرحبة الواسعة والحضرة النورانية الشاسعة، وللمسجد الشريف أربعة عشر باباً، منها ثلاثة مسدودة باب التوبة وباب الرحمة وهما بابان متحدان في السور الشرقي من داخل الحائط مما يلي المسجد والباب الاخر بالسور الشرقي بالقرب من البابين المذكورين من جهة القبلة، والاحد عشر من جهة الغرب، باب القطنين الذي دخلنا منه، وباب الفواغة، وباب الناظر، وباب الحديد، وباب المتوضاء، وباب

■ جميع هذه اللوحات مأخوذة من كتاب "روائع الأراضي المقدسة" للسلي وبيروان ص ١٢٠



عود أورويسى الثانية خوالي سنة ١٧٢٩

# الكندي موسيقياً

## وَرَأْدُ نَظَرِيَّةِ تَأْثِيرِ الْمَوْسِيقَى عَلَى الصَّحَّةِ

د. إمامة عانوتي

ولا تعدو هذه العجالة أن تكون تعريفاً مقتضباً - أرجو أن يكون شاملاً - لهذه الناحية من نواحي عبقريته، ومن آياتها أكثر من ثلاثمئة تصنيف في مواضيع متفرقة وضعها أو ترجمها، وكذلك لا تفوتني الإشارة إلى أنه ليس من شأن هذه المقالة - وليس من حقي - أن تعرض إلى جوانب علمية، تقنية في هذا المجال.

يعرف أبو يوسف، يعقوب بن إسحق الكندي (١) بأنه "فيلسوف العرب"، بل لقد طغت شهرته بالفلسفة على معارفه في الطب، والهندسة، والحساب وعلم الهيئة (الفلك)، وقبل هذا كله، الموسيقى، التي أولاهها من همه وعنايته وعلمه ما أحلها محلاً منيعاً من مشاركاته الكثيرة.

■ د. إمامة عانوتي: ب.ع وم.ع في العلوم السياسية من الجامعة الأميركية في بيروت دكتوراه دولة في الأدب العربي من جامعة القديس يوسف، استاذ مساعد للأدب العربي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية من مؤلفاته: ١ - الحركة الأدبية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر ٢ - ألوان من الفكر العربي ٣ - هل اكتشف العرب رقاص الساعة؟ ٤ - روائع من التراث العربي



## لمع من سيرته

العرب! أيضاً إن شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله، ألا ترى إلى قول العكوك في أبي دلف حيث قال:

رجل أبر على شجاعة عامر

بأساً وغبر في محيا حاتم

فأطرق أبو تمام ثم أنشد:

لا تنكروا ضربي له من دونه

مثلاً شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره

مثلاً من المشكاة والنبراس

ولم يكن هذا في القصيدة، فتعجب منه (ومن بديهته) ثم طلب أن تكون الجائزة ولاية عمل، فاستصغر عن ذلك، فقال الكندي: ولوه، فإنه قصير العمر، لأن ذهنه ينحت من قلبه، فكان كما قال، ففعل الكندي رأى من سجية أبي تمام في ذلك الوقت ما يدل على قرب أجله.

## معارفه

شمل علم الكندي الفلسفة، والطب، وعلم الحساب، والمنطق، والهندسة وعلم النجوم والهيئة (الفلك)، ثم الموسيقى، التي لا في هذا المقام. وله في كل فرع من فروع المعرفة هذه تصانيف ذرّفت على ثلاثمئة كما أسلفنا، أورد عناوينها ابن النديم في "فهرسته"، وابن أبي أصيبعة في "طبقاته".

قال عنه المستشرق CARDAN (وهو من فلاسفة عصر النهضة) أنه واحد من اثني عشر وهبوا أثقب العقول وأكبرها، وهو أحد ثمانية يعدون أساطين العلوم الفلكية في العصور الوسطى. (٦)

## معرفة الموسيقى

لم يتفق أصحاب كتب السير الذين ذكروا الكندي على عدد تأليفه الموسيقية، وربما اختلفوا اختلافاً يسيراً في تسمية بعضها: فأقدمهم، وهو ابن النديم (١٠٤٧/٩٤٣٨م) يورد له في "الفهرست" سبعة، يليه القفطي (١٠٤٨/١٢٤٦م) يذكر في "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" أنها ستة. أما عند ابن أبي أصيبعة (١٠٦٨/١٢٦٩م - ١٠٧٠م)، فهي ثمانية، ولعل من الخير إثبات عناوينها هنا:

- ١ - رسالته الكبرى في التأليف.
- ٢ - رسالة في ترتيب النغم الدالة على طبائع الأشخاص العالية وتشابه التأليف.
- ٣ - رسالة في المدخل إلى صناعة الموسيقى.
- ٤ - رسالة في الإيقاع.
- ٥ - رسالة في خبر صناعة الشعراء.
- ٦ - رسالة في الأخبار عن صناعة الموسيقى.
- ٧ - مختصر الموسيقى في تأليف النغم وصناعة العود.

اسمه كاملاً: يعقوب بن إسحق الصباح بن عمران... بن يعرب بن قحطان. يمت بالنسب الوشيح إلى ملوك كندة. ومن هنا جاء وصفه في الأصول التي حكّت سيرته بأنه "فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها": فجده الأشعث بن قيس كان من أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ملكاً على كندة كلها. وقبله كان أبو الأشعث هذا، قيس بن معد يكرب ملكاً على كندة جميعاً، عظيم الشأن، مدحه الأعشى الكبير بقصائد أربع طوال، مثلما كان جدوده الأعلون الآخرون ملوكاً على حضرموت، والمشرق، واليمامة والبحرين. أما أبوه، إسحق، فولي على الكوفة للخليفين: المهدي (١٠٥٨هـ/٧٧٤م - ١٠٦٩هـ/٧٨٥م)، والرشيد (١٠٧٠هـ/٧٨٦م - ١٠٩٣هـ/٨٠٩م).

وهو - كما ترى - عربي صليبة (أي خالص النسب)، يرقى نسبه إلى يعرب بن قحطان. وفي بعض المصادر أنه "فيلسوف الاسلام" (٥)، "لم يكن في الاسلام فيلسوف غيره هذا في تواليه حذو أرسطاطليس" (٣).

## نشأته

لم تغض كتب السير والتراجم في أنباء نشأته، وقصاري ما يتجمع لمطالعها: أنه نشأ في البصرة. أما ولادته، عند نفر، ففي الكوفة (واسط عند ابن أبي أصيبعة)، ثم قصد بغداد حيث تعلم فتألق نجمه، وقربه إليه الخلفاء: المأمون (١٠٩٨هـ/٨١٣م - ١٠٩٨هـ/٨٢٣م)، الذي أوكل إليه تأديب ابنه أحمد، إلى جانب الترجمة من السريانية واليونانية التي ندبه لها، فالمعتصم (١٠٩٨هـ/٨٢٣م - ١٠٩٨هـ/٨٢٣م)، فالمتوكل (١٠٩٨هـ/٨٢٣م - ١٠٩٨هـ/٨٢٣م)، الذي ما لبث أن انتقض عليه إثر وشاية، فضرب، وصودرت كتبه، ثم ردت إليه. وتاريخاً مولده ووفاته لم يحدّد بالدقة المبتغاة. وهناك من المستشرقين والعلماء العرب من حدد السنة ١٨٥هـ/٨٠١م زمناً لمولده، والسنة ٢٥٨هـ/٨٧٣م زمناً لوفاته. ولم يفروا سمعته من إتهامه في دينه (٤)، مثلما عزوا إليه البخل الشديد. وقد روي عنه ما هو أخلق بأن يثبت ويذكر. (٥) من ذلك "أنه كان حاضراً عند أحمد بن المعتصم، وقد دخل أبو تمام، فأنشده قصيدته السينية، فلما بلغ إلى قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم

في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال الكندي: ما صنعت شيئاً! قال: كيف؟ قال: ما

زدت على أن شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك



■ صورة من مقابلات المصنفين بنهد على اصالة الموسيقى

عند العرب

عليها . وهذا كله لا ينهد إليه إلا متخصص ولنا إياه . وقصارى همنا في هذا المجال أن نبين شيئاً من معرفة الكندي الموسيقية، ونظهر ما كان لها عند المسلمين والعرب من قدر، أو ما حظيت به عندهم من رعاية . فقد كان لها مكان مخصوص ملحوظ في التعليم عندهم . وحسبنا أن نشير في هذا المقام، إلى أن العالم الرياضي، علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن مسافر، المعروف بتعاسيف الأسفوني (٥٦٤٩هـ/١٢٥١م) درس الموسيقى على الفقيه الشافعي، الرياضي، الموسوعي: كمال الدين موسى بن يونس الموصلي المعروف بابن منعة (٥٦٣٩هـ/١٢٤٢م) وقد سأل كمال الدين هذا تلميذه: بأي العلوم يريد أن يشرع . فلم يقدم علم الدين على الموسيقى علماً، قد نجد في قول الكندي جماع رأيه في الموسيقى: "الموسيقار الباهر الفيلسوف يعرف ما يشاكل من كل من يلتمس إطرابه من صنوف الأيقاع والنغم والشعر، مثل حاجة الطبيب الفيلسوف إلى أن يعرف من أهوال من يلتمس علاجه أو حفظ صحته" .

٨ - رسالة في أجزاء خبرية الموسيقى .  
وقد عثر الأستاذ زكريا يوسف على رسالة تاسعة لم يرد ذكرها في مصدرها: "كتاب المصونات الوترية من ذات الوتر الواحد إلى ذات العشرة الأوتار"، فنشرها وأربع رسائل أخرى للكندي في كتابه: "مؤلفات الكندي الموسيقية" (سنة ١٩٦٢) وهي:

١ - في خبر صناعة التأليف (كان قد نشرها سنة ١٩٣١ الدكتور محمود الحفني وروبرت لخم الذي ترجمها إلى الألمانية . ولكنهما أعتمدا عنواناً آخر: "رسالة في خبر تأليف الألحان" .

٢ - في أجرا خبرية في الموسيقى .  
٣ - مختصر الموسيقى في تأليف النغم وصناعة العود .

٤ - الرسالة الكبرى في التأليف .  
ومما يضيفي على رسائل الكندي هذه أهمية أنها أقدم ما بلغنا من تأليف موسيقية بالعربية، ولا نقول أقدم ما ألف في هذا الموضوع . وقد اضطلع بتحقيقها تحقيقاً تقنياً ( Technical ) وأفاض في تبیان القواعد والأسس العلمية التي أنطوت



## الموسيقى والمعرفة

فالموسيقى في نظر الكندي معرفة لا بد من إكتسابها بالدرس والتحصيل، وكما يتحتم على الطبيب أن يأخذ بنظر الاعتبار أموراً كثيرة قبل أن يهییء العلاج، كذلك يتحتم على الموسيقار أن يفعل قبل أن يضع الألحان. لهذا يتناول الكندي موضوع الموسيقى من مختلف النواحي: النغمات ما يتفق منها وما يتنافر عند التأليف، الايقاعات وعدد نقراتها وما يوافق كل منها من الألحان، أثر الموسيقى في النفس وما تبعثه ألحانها فيها من سرور وحزن وشجاعة، أثر الألحان المختلفة في الصحة والأمزجة، المناسبة بين الأوتار والنغمات والأجرام السماوية وغير ذلك فيضع لكل هذه الأمور، الدساتير التي ينبغي أن يسير بموجبها الموسيقار الباهر، مؤيداً أقواله بالبراهين الرياضية، والأدلة المنطقية.

وهكذا يعتبر الكندي أول من أدخل الموسيقى إلى الثقافة العربية، فأصبحت من ضمن مناهج الدراسة العلمية، وجزءاً من الفلسفة الرياضية. وكان هذا بطبيعة الحال نتيجة التأثر بالمدرسة الأغريقية، بما نقله العرب من العلوم اليونانية إلى العربية في مختلف نواحي المعرفة ومنها الموسيقى.

وكذلك يرى الكندي إلى أن لكل أمة مذهبها الموسيقي" (٧). وكأنه بذلك يبتغي إقامة البيئة على أن موسيقى العرب ليست - كما يزعم بعض الزاعمين - صورة عن موسيقى اليونان أو الروم أو الفرس. يقول: "لكل أمة في هذه الآلة (العود) مذهب ليس هو لغيرهم. وإختلافهم في هذا شبيه باختلافهم في سائر الأشياء. ألا ترى أن بين العرب والروم والفرس والخزر والحيش، وجميع الناس، الاختلاف في خلقهم وعقولهم وآرائهم وشهواتهم وجميع مذاهبهم؟ ذلك لاختلاف بلدانهم وأهوائهم وميائهم وثمارهم... (٨)"

ويقول أيضاً: "والتعليم فنون كثيرة، أعني: عربي، وفارسي، ورومي، وغير ذلك... (٩). ومن طريف ما يروى عن الكندي ما أثبتته القفطي من أنه كان في جواره "رجل من كبار التجار، موسع عليه في تجارته. وكان له ابن قد كفاه أمر بيعه وشرائه، وضبط دخله وخرجه. وكان ذلك التاجر كثير الأذراء على الكندي، والطعن عليه، مدمناً لتعكيره والأغراء به، فعرض لابنه سكتة فجأة، فورد عليه من ذلك ما أذهله، وبقي لا يدري ما الذي في أيدي الناس، وما لهم عليه مع ما دخله من الجزع على ابنه. فلم يدع بمدينة السلام طبيباً إلا ركب إليه وأستركبه لينظر ابنه، ويشير عليه من أمره بعلاج. فلم يجبه كثير من الأطباء، لكبر العلة

وخطرها، إلى الحضور معه. ومن أجابه منهم فلم يجد عنده كبير غناء، فقليل له: "انت في جوار فيلسوف زمانه، وأعلم الناس بعلاج هذه العلة، فلو قصدته لوجدت عنده ما تحسب". فدعته الضرورة إلى أن تحمل على الكندي بأحد أخوانه، فثقل عليه في الحضور، فأجاب، وصار إلى منزل التاجر، فلما رأى ابنه، وأخذ مجسه (أي قاس نبضه) أمر أن يحضر إليه من تلاميذه في علم الموسيقى من قد أنعم الحذق بضرب العود، وعرف الطرائق المحزنة، والمزعجة، والمقوية للقلوب والنفوس. فحضر إليه أربعة نفر، فأمرهم أن يديموا الضرب عند رأسه، وأن يأخذوا في طريقة أوقفهم عليها، وأراهم مواقع النغم بها من أصابعهم على الدساتين ونقلها. فلم يزالوا يضربون في تلك الطريقة، والكندي أخذ مجس الغلام، وهو في خلال ذلك يمتد نفسه، ويقوى نبضه، ويراجع إليه نفسه شيئاً بعد شيء، إلى أن تحرك، ثم جلس وتكلم، وأولئك يضربون في تلك الطريقة دائماً لا يفترون. فقال الكندي لأبيه: سل ابنك عن علم ما تحتاج إلى علمه. مما لك عليك وأثبتته. فجعل الرجل يسأله وهو يخبره، ويكتب شيئاً بعد شيء. فلما أتى على جميع ما يحتاج إليه غفل الضاربون عن تلك الطريقة التي كانوا يضربونها، وفتروا، فعاد المصبي إلى الحال الأولى، وغشيه السكات... (١٠)"

## الموسيقى والطب

ومهما يكن من شأن الصنعة في هذه القصة، فالكندي قد أفاض القول، في أثر الموسيقى من الوجهة الطبية، وبيّن "أن الألحان تؤثر في الجسم فتساعد على الهضم، وتبعث في الكيموسات التنظيف والتنظيف".

على أن هذه القصة، الواقعة أو الموضوع، تلفت إلى الرابطة التي جعلها الكندي بين الموسيقى والصحة. فقد قسم الألحان أقساماً في "كتاب المصونات الوترية من ذات الوتر الواحد إلى ذات العشرة الأوتار" ("المقالة الثانية": في تأليف اللحن) (١١). وقال: "إن منها ما يكون للطرب، أو إثارة الحماسة، أو يكون للبكاء والحزن والنوح والرقاد ويسمى الشجوي".

ويتناول النغمات والأوتار والايقاعات، فيورد تأثيرها على أعضاء الجسم:

فمركات الزبر، مثلاً، تورث "أفعال النفس: الفرحية، والعزّية، والغلبية، وقساوة القلب والجراة والاقدام والزهو والنخوة والتجبر والتكبر، وهو مناسب لطبع الماخوري. ويحصل من فعل هذا الوتر (وهذا) الايقاع أن يكونا مقويين للمرة الصفراء، محركين لها، مع اجتماع الزمان الشتوي والنومي، وسن الموسيقاري وطباعه، وإذا قوي هذا

الطبع والمزاج أذاب البلغم وقطعه ورققه وأسخره .  
ومما يلزم المثني من تلك الأفعال: للسرورية  
والطربية والجودية والكرمية، والتعطف  
والرافة والدقة . . . ويحصل من قوة هذا الوتر  
وهذين الايقاعين أن يكونا مقويين للدم وطباعه  
وحركاته ولطافته وسجيته، (١٢) ويكسران عادية  
السوداء ويقمعانها ويمنعان أفعالها . ومما يلزم  
المثلث من تلك الأفعال: الجينية والمراثي والحزن  
وما يشجي، وذكر الغابر، وأشباه التصرع . . .  
ويحصل من هذا الوتر وهذا الايقاع: أن يكونا  
محركين للبلغم مطلقين له زائدين في اعتداله - إن  
كان معتدلاً - أو معدلين له مسكنين للصفراء  
مانعين لتسليطها، مطفيين لحدتها . ومما يلزم  
البم من تلك الأفعال: الفرحية تارة، والسرورية تارة  
والتحبيب والزهو . . . ويحصل من هذا الوتر وهذه  
الايقاعات: أن تكون مقوية للسوداء زائدة في  
حركاتها مطفية للدم، ولها من الأغاني: النوح  
والشكوى وذكر حنين الالف والطير والابل، وبكاء  
الرسوم والآثار والدمن . . . ومن طبع البم الحلم  
والزكاة والرصانة، ومن طباعه أيضاً السرور تارة،  
والحلم تارة، مع الأفكار المديئة والكمد وانقطاع  
الطبع وانخزال النفس .

ثم يقول: "وقد يلزم حركات النفس وانتقالها  
من حال إلى حال بخواص حركات الأوتار على حسب  
ما قدمناه من طبعها أو مناسباتها ما يكون ظاهراً  
للحس، متطبعاً في النفس . فمما يظهر بحركات  
الزير في أفعال النفس: الأفعال الفرحية والعزية  
والغلبية، وقساوة القلب والجرأة وما أشبهها، وهو  
مناسب لطبع الماخوري وما شاكله . ويحصل من قوة  
هذا الوتر وهذا الايقاع: أن يكونا مقويين للمرار  
الأصفر محركين له، مسكنين للبلغم مطفيين له .  
ومما يلزم المثني من ذلك: الأفعال السرورية  
والطربية والجودية والكرمية والتعطف والرقة وما  
أشبه ذلك . . . ويحصل من قوة هذا الوتر وهذين  
الايقاعين: أن تكون: مقوية للدم، محركة له،  
مسكنة للسوداء مطفية لها . ومما يلزم المثلث من  
ذلك: الأفعال الحينية والمراثي والحزن وأنواع  
البكاء وأشكال التصرع وما أشبه ذلك، وهو مناسب  
للثقل الممتد . ويحصل من هذا الوتر وهذا الايقاع  
أن يكونا: مقويين للبلغم محركين له، مسكنين  
للصفراء ومطفيين لها . ومما يلزم البم من ذلك:  
الأفعال السرورية، تارة والفرحية تارة، والحنين  
والمحبة وما أشبه ذلك . وهو مناسب للأهزاج  
والأرمال والخفيف وما أشبه ذلك . ويحصل من هذا  
الوتر وهذه الايقاعات أن تكون: مقوية للسوداء  
محركة لها، مسكنة للدم مطفية له .

### الكندي الأبرز

وليس الكندي، الطبيب المسلم الوحيد الذي  
جمع بين الطب والموسيقى، وإن كان أبرز هؤلاء

وأعظمهم . فالفارابي العظيم (٣٣٩هـ/٩٥٠م) الذي  
طغت شهرته بالفلسفة على علمه بالطب، أو  
بسفره الضخم، الجليل: "كتاب الموسيقى الكبير"،  
الذي يقول فارمر عن مقدمته: إنها "تضاهي في  
الواقع، أن لم تبز"، كل ما ورد في المصادر  
اليونانية" .

ومن هؤلاء الأطباء - الذين يعنوننا في هذا  
المقام - مهذب الدين أبو الحسن علي بن أبي عبد  
الله عيسى بن هبة الله النقاش (٥٧٤هـ/١١٧٨م)،  
أحد أطباء البيمارستان النوري بدمشق: كان من  
أكابر أطباء زمانه، ومن طلابه: الطبيب المشهور  
رضي الدين الرحبي (٦٣١هـ/١٢٣٣م) . فقد  
تلقى عنه الطبيب الأندلسي أبو زكريا يحيى بن  
أسماعيل البياسي (كان حياً ٥٨٩هـ/١١٩٣م) . علم  
الموسيقى، والبياسي هذا، بعد، كان بارع العزف  
على العود، صنع أرغناً أيضاً .  
وبعد، فهذا الذي أهتدى إليه علم المسلمين  
والعرب قبل أكثر من ألف سنة، هو آخر ما انجاب  
عنه علم الطب في أواخر القرن العشرين! وانها  
لحلية من الحلي التي زانت بها الحضارة الاسلامية  
العربية جيد الانسانية .

### الهوامش

- (١) التمس سيرته في "العهرست" لابن النديم، و"عيون  
الأنباء" لابن أبي أصيبعة، و"أخبار العلماء بأخبار الحكماء"  
لللقطي، و"تاريخ حكماء الاسلام" للبيهقي، و"طبقات الأمم"  
لصاعد، و"سرح العيون" لابن نباتة، و"دائرة المعارف  
الاسلامية" إلخ . . . وانظر:
- (٢) ابن نباتة: "سرح العيون" (تحقيق محمد أبو الفضل  
إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٤): ٢٣١ .
- (٣) ابن جليل: "طبقات الأطباء والحكماء" (تحقيق: فؤاد  
سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة،  
١٩٥٥): ٧٣ .
- (٤) قد يكون مناسباً هنا أن نورد أن ما قيل عن نصرانيته قد  
كفى مؤونة الرد عليه الأب أنستاس الكرمل في مجلة "لغة  
العرب" (ج ٥ من السنة ٥ ص ٢٠٣ - ٢٠٥)، فثبت أصالة  
إسلامه، وأنه لم يكن مسيحياً قاسماً .
- (٥) ابن نباتة: "سرح العيون": ٢٣١ - ٢٣٢ .
- (٦) أنظر: -  
T.J. De Boer: «AL KINDI». The encyclopaedia  
of Islam 1927. Sartom (George). Intro-  
duction of the history of Science I/559.
- (٧) يوسف (زكريا): "موسيقى الكندي": ٣ - ٤ .
- (٨) الكندي: "الرسالة الكبرى في التأليف": ١٣٦ - ١٣٧  
(ضمن "مؤلفات الكندي الموسيقية" تحقيق: زكريا يوسف)
- (٩) المصدر نفسه: ١٤٢ .
- (١٠) "أخبار الحكماء بأخبار العلماء": ٢٤٦ - ٢٤٧ (ط -  
السعادة بمصر، ١٣٢٦هـ) .
- (١١) حققها زكريا يوسف ونشرها ضمن كتابه: "مؤلفات  
الكندي الموسيقية": ٢٩ - ٩٢ .
- (١٢) كذا في النص والأفعال التالية المعطوفة، وصوابها  
طبعاً: ويكسر الخ . . .





بريشة جبران خليل جبران

## عبد الرحمن ابن خلدون

هدى سكاكيني بريير

يصف المؤرخ ارنولد توينبي في كتابه "دراسة في التاريخ" ابن خلدون بأنه من العباقرة ويرى في مقدمته "دلائل ساطعة على سعة النظر وعمق البحث وقوة التفكير"، وذلك لان ابن خلدون في المقدمة التي كتبها لتاريخه العام "قد ادرك وتصور وأنشأ فلسفة التاريخ وهي بلا شك أعظم عمل من نوعه، خلقه أي عقل في أي زمان ومكان".

ويقول ماكدونالد "أن مقدمة ابن خلدون اساس التاريخ وحجر الزاوية فيه، وهي مقدمة تاريخية فلسفية لم ينسج احد على منوالها حتى علماء اليونان والرومان وغيرهم".

اما روبرت فلنت فيقول: "من وجهة نظر علم التاريخ وفلسفته يتحلى الادب العربي باسم من المع الاسماء، فلا العالم الكلاسيكي في القرون القديمة ولا العالم المسيحي في القرون الوسطى يستطيعان ان يقدم اسماً يضاهي في لمعانه اسم ابن خلدون".

وقد اتخذ ابن خلدون من المجتمع كله وما يعرف فيه من الظواهر مادة لدرسه، وحاول ان يفهم هذه الظواهر وان يعللها على ضوء التاريخ، وان يرتب من سيرها وتفاعلها قوانين اجتماعية عامة، وهذا ما جعل الباحثين يقولون بتفوق ابن خلدون على "ميكافلي" تفوقاً عظيماً في التفكير ونوع النتائج وفي نظريات العصبية، واعداد الدول وخواصها ومعالجتها من النواحي الاجتماعية.

ولد عبد الرحمن بن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦) في تونس وقد تحدر من أسرة اسبانية عربية يرجع نسبها الى قبيلة كندة المشهورة، وكان جد هذه الاسرة الاكبر قد هجر اليمن في القرن التاسع ونزل اسبانيا وقد ازدهرت ذريته في اشبيلية وظلت معروفة حتى القرن الثالث عشر. اما عبد الرحمن نفسه فقد تقلد عدداً من المناصب الرفيعة في فاس ثم غضب عليه ولي الامر فهجرها الى غرناطة حيث انخرط في خدمة السلطان محمد الخامس سنة ١٣٦١. وأوكل اليه السلطان مهمة القوسط في

الصلح بينه وبين بلاط الكاستيل. وبعد سنتين غاد ابن خلدون الى المغرب وشغل فيها وظائف مختلفة الى ان اعتزل اخيراً العمل وسكن قلعة ابن سلامة (تسمى اليوم توغزوت وهي شرقي تلمسان بشمالي الجزائر) حيث اخذ يضع مؤلفه في التاريخ. وقد ظل هناك حتى سنة ١٣٧٨. وقصد الحج سنة ١٣٨٢ وبعد سنتين عين لرئاسة القضاء في الازهر في القاهرة بأمر من السلطان المملوكي الظاهر برقوق. وفي سنة ١٤٠١ رافق ابن خلدون الملك الناصر خلف السلطان برقوق الى دمشق في حملته على تيمورلنك. وقد وفد ابن خلدون على تيمورلنك فاحرم وفادته، وهكذا تسنى لهذا المؤرخ ان يلعب دوراً مهماً في الامور السياسية بشمالي افريقية واسبانيا وساعده ذلك على كتابة مؤلفه العظيم.

كتاب "تاريخ العرب" لمؤلفه، حتي، جبور وجرجي يعتبر ان شهرة ابن خلدون تركز على مقدمته اذ وردت فيها لأول مرة نظرية النشوء التاريخي المبنية على الأخذ بعامل المناخ والجغرافية وتأثير العوامل الخلقية والروحية في مجرى حوادث التاريخ.

وقد قال ابن خلدون عن نفسه في مقدمته أنه مخترع طريقة مبتدعة في علم التاريخ والعمران وذلك من حيث سعيه للبحث عن قوانين التقدم والانحلال القومي.

ولقد درس المؤرخ ساطع الحصري المقدمة دراسة وافية وقارنها بمؤلفات "فيكو" و"مونتسكيو" وغيرها فجاء كتابه "دراسات في مقدمة ابن خلدون" من اروع الكتب الحديثة التي

هدى سكاكيني بريير: (م ع) في العلوم السياسية والتاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

أخبر من تميزت بعفته وكبرياه وتفر من صباه  
وأشماه وتشره عن مشايبة خلفه بفردته ونفايه لاهله  
بكل شيء علما فلا يعز عنه سؤال ذره في أرضه وسمايه  
ودسعت قدرته الممكنات فلا تشرح عن إنزاعه وإنشائه  
وادل حُرُوفها وتخصيصها بوقت كما يجاء على آراءه  
ونفايه وأصل على آله النهر من الفرنسية المختصر  
بتشريفه واعتنايه خضر ما على سيرته محترم المعظم  
خاتم انبيائه وعلى آله وأصحابه وعترته زارليابه ملاه  
هامة اعرفها ليم لغايه **ويعرف بان المدن**  
كثيرة والمعارف جمّة غيره وأشهرها العلم كالمس

مترجم من كتابات ابن خلدون بخطه

كتاب يعتبر التاريخ بوقائعه تمهيدا لمملكة الله  
على الارض.

"أما ابن خلدون، والكلام لـ"دي بور"، فكان أول  
من حاول أن يربط بين تطور المجتمع الانساني من  
جهة، وبين علته القريبة مع حسن الإدراك لمسائل  
البحث وتقريرها مؤيدة بالأدلة المقنعة.  
ويرى ابن خلدون التاريخ "في ظاهره لا يزيد على  
اخبار عن الايام والدول... تنمو فيه الاقوال،  
وتضرب فيه الامثال"، ولكنه "في باطنه نظر  
وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم  
بكيفيات الوقائع واساسها عميق، فهو لذلك اصيل  
في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها  
خليق".

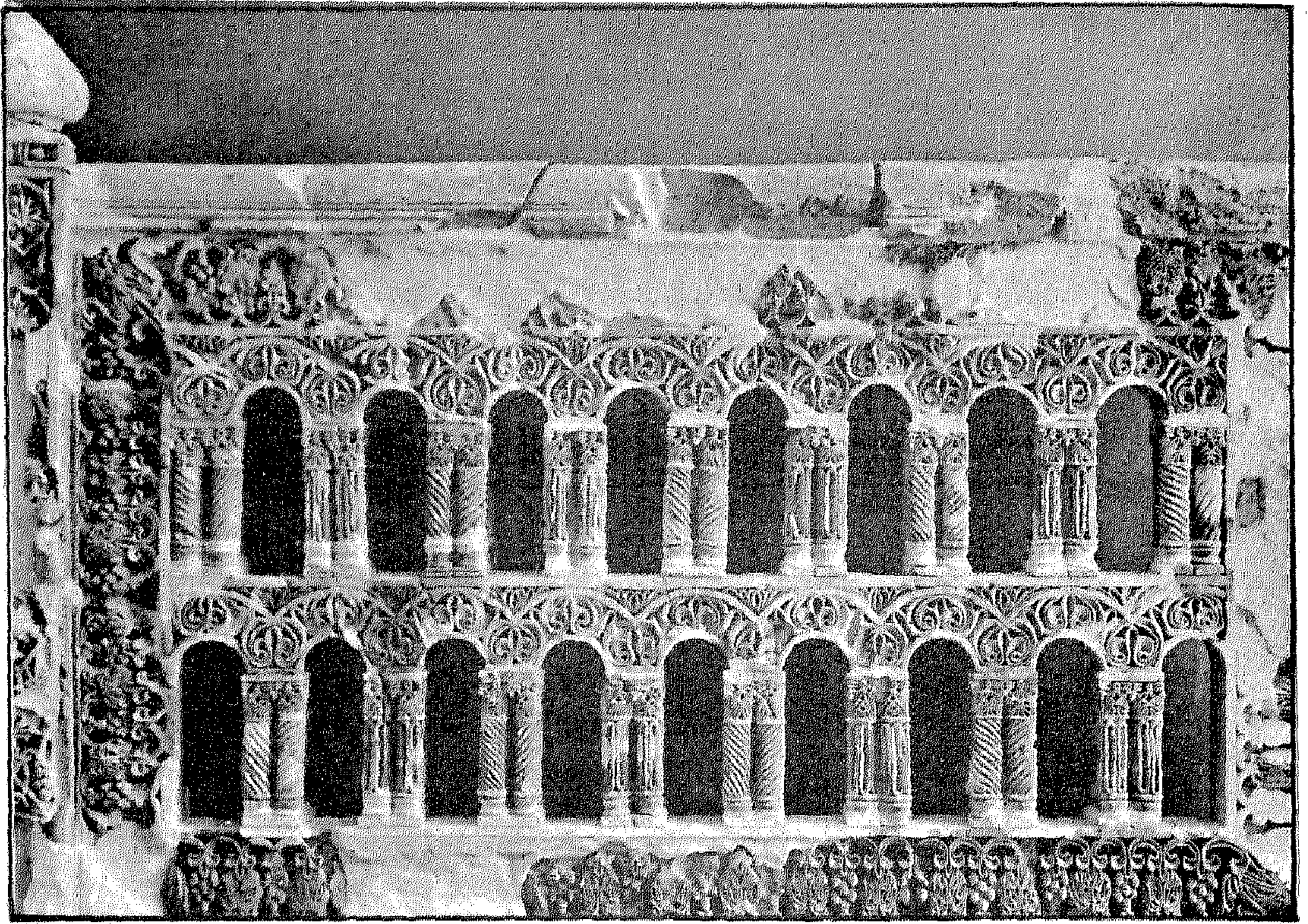
وينتقد ابن خلدون اكثر المؤرخين لانهم يقلدون  
من سبقهم او يقصرون كتبهم على سرد اسماء  
الملوك واعمالهم ويرددون اخباراً دخيلة لا يصدقها  
العقل بل يقوم على فسادها البرهان وقد وضع  
كتابه "كتاب العبر..." ووصفه بقوله: "فأنشأت  
في التاريخ كتاباً... أبدت فيه لاولية الدول  
والعمران عللاً وأسباباً وسلكت في ترتيبه وتبويبه  
مسلكاً غريباً، واخترعته من بين المناحي مذهباً  
عجيباً وطريقة واسلوباً، وشرحت فيه احوال  
العمران والتقدم وما يعرض في الاجتماع الانساني  
من العوارض الدرامية ما يمتنع بعقل الكوائن  
واسبابها... فهو (أي التاريخ) محتاج الى مأخذ  
متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر".

كشفت بقاطا كانت عامد عن ابن خلدون وأثاره  
وقيمته العلمية والتاريخية، ويرى الحصري أن نزع  
ابن خلدون الفكرية كانت اقرب من نزع "فيكو"  
الى مناهي البحوث العلمية بوجود عام والى  
اصول علمي التاريخ والاجتماع بوجه خاص.  
كما يرى الحصري في القول "أن شرف ادخال  
عنصر الاقتصاد في علم التاريخ يعود الى مونتسكيو  
ما هو الا افتتات على الواقع والحقيقة وان هذا  
الشرف هو في حقيقة الامر يعود الى ابن خلدون  
الذي سبق مونتسكيو في هذا الشأن بمدة تزيد على  
٢٥٠ سنة".

وقد وضع ابن خلدون "الاسلوب  
التاريخي" Historical Method وهو يرى أن  
الاعلاط التي وقع فيها الذين سبقوه ترجع الى  
اسباب أهمها تشيع المؤلفين وتصديقهم لكل ما يرد  
دون الفحص، وجعلهم بطباع العمران واحوال  
الناس، وهو لا يقف عند هذا الحد بل نراه يضع  
القوانين لدراسة التاريخ كربط الحوادث بعضها  
ببعض ارتباط العلة بالمعلول وقياس الماضي  
بمقياس الحاضر ثم مراعاة البيئة واختلاف تأثيرها  
باختلاف الاقاليم كما سبق وذكرنا.

ويرى "دي بور" أن المؤرخين القدماء لم يورثونا  
التاريخ علماً من العلوم يقوم على أساس فلسفي  
على الرغم من جمال اسلوب بعضهم وأن القدماء  
كانوا يعلنون عدم بنوع الانسانية منذ زمان بعيد  
درجة أعنى لنا بنعتهم في المدنية بالاستناد الى  
حوادث اولية كالزلازل والطوفان والى أن المسيحية





# القصور الأموية في سوريا وفلسطين

د. ديمتري برامكي



بالوكالة في فلسطين ١٩٤٦ - ١٩٤٩ وأمين متاحف الجامعة  
الأمريكية في بيروت منذ ١٩٥١ مثل الجامعة الأميركية في  
سبعة مؤتمرات للآثار في البلاد العربية وفي العالم، رقي  
إلى درجة استاذ آثار في تموز ١٩٥٨.

■ الدكتور ديمتري برامكي: مولود ١٩٠٩  
في الأردن. حامل شهادة كالوريوس آداب من جامعة لندن  
١٩٣٤ ودكتوراه بالآثار من جامعة لندن ١٩٥٣. وكانت أطروحة  
بعنوان "ثقافة وهندسة العهد الأموي". أمين متحف الآثار

عندما استولى معاوية على الخلافة اكتفى بالحياة البسيطة التي نشأ عليها بالحجاز ولم يأبه بحياة الرفاهية التي درج البيزنطيون عليها، والشاهد على ذلك ليس فقط عدم العثور على أبنية رائعة من عهد معاوية ويزيد فحسب وإنما هناك القول المأثور لميسوند زوجة معاوية:

لبيت تخفق الأرواح فيه

احب الي من قصر منيف

ولبس عباءة وتقر عيني

احب الي من لبس الشفوف

الا أنه عندما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة واستقر ملك العرب من الاندلس غرباً حتى نهر الانديس شرقاً لم يكتف الامويون ببساطة العيش بل اخذوا يؤثرون رفاهية العيش كما افوها عند الشعوب التي اصبحت من رعاياهم وشعروا بما للأبنية الفخمة الرائعة من تأثير عند المسيحيين منهم.

وأراد عبد الملك ان يبرهن لرعاياه ان بمقدور الامويين بناء الابنية الرائعة مثل الروم بل وأفضل. فبنى عبد الملك قبة الصخرة المشرفة في القدس مستعيناً بمهندسين من الروم والفرس، فكانت هذه القبة من روائع الهندسة القديمة، كما وانه اقام قصراً يدعى الآن قصر "خرّانا" في شرقي الاردن على بعد ٦٨ كيلومتراً شرقي عمان، ومشى في خطاه ابنه الوليد فانام المسجد الاموي في دمشق والمسجد الأقصى في القدس بجوار قبة الصخرة. كما شيد ايضاً قصراً صغيراً يدعى الآن قصر "عمرا" في شرقي الاردن على بعد ٨٠ كيلومتراً جنوب شرقي عمان.

اما امهر الخلفاء في البناء فكان هشام بن عبد الملك الذي شيد عدة قصور مثل قصر الحير الغربي في بادية الشام على بعد ستين كيلومتراً جنوب تدمر ووضع تخطيطاً لقصر آخر يدعى الآن قصر الحير الشرقي انما لم يتم بناءه، واقام هشام قصرين في فلسطين احدهما يدعى قصر "المنيه" ويقع بجوار بحيرة طبريه والآخر قصر "المفجر" قرب اريحا. عدا ذلك شيد هشام عدة قصور في شرقي الاردن مثل قصر "المشتى" قرب "مأدبا" وقصر "طوبى" في البادية حوالي ٧٠ كيلومتراً جنوب شرقي عمان عدا الحمامات العديدة التي اقيمت في بادية الاردن.

### القصور الاموية

والقصور الاموية مبنية كلها على نمط واحد وفي كثير من اقسامها منقولة عن القلاع البيزنطية التي اقيمت على الحدود بين مملكة الساسانيين والامبراطورية البيزنطية مثل قصر "وردان" بجوار

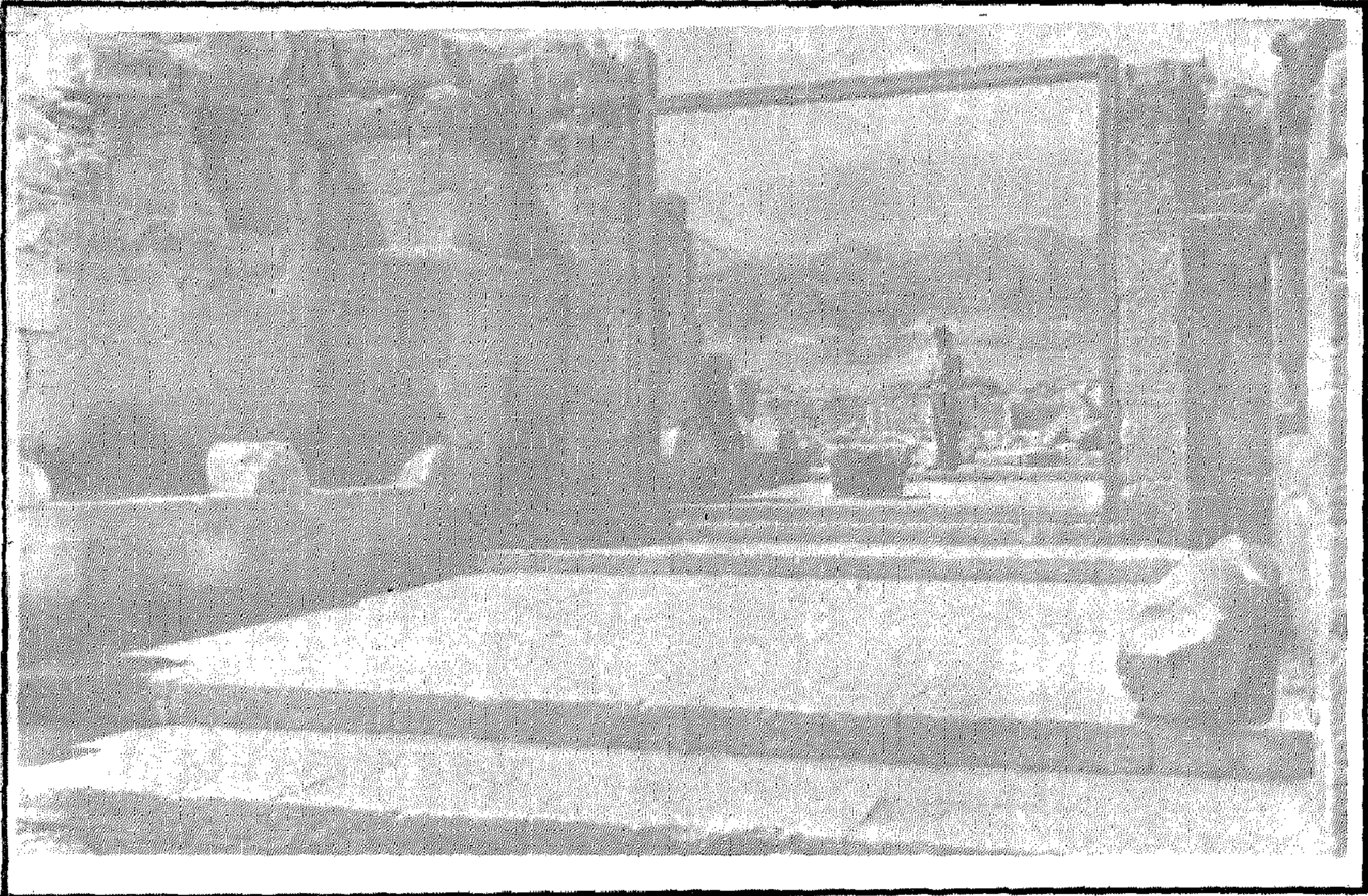
"السلاميه" في سوريا. ولكن تصميمها يختلف عن القلاع اذ ان القلاع بنيت محصنة تحصينا عسكريا بينما القصور الاموية اقيمت للترفيه عن النفس، فكل قصر من القصور اقيم حول صحن واسع شاسع ومفتوح الى الفضاء. وكان الصحن الداخلي هذا محاطاً بالاروقة القائمة على اعمدة من الحجر الصلب او المرمر تعلوها الاقواس والعقود المظلمة. والاروقة هذه تؤدي بدورها الى غرف وأواوين على طابقين. والقصر محاط بسور عريض تدعمه الابراج المستديرة في زواياه الاربع وابراج نصف مستديرة في وسط كل حائط. اما مدخل القصر فهو في وسط احد الاسوار ومدعم ببرجين اما بشكل نصف دائرة او بشكل ربع دائرة. ومما يسترعى الانتباه الافراط في زخرفة القصر عند المدخل فاما ان يكون مزخرفاً بالجبس المنقوش او بحجارة منقوشة بذوق سليم يثلج صدر من يشاهده. ويؤدي المدخل الى قاعة طويلة توجد على جانبيها عادة مقاعد ومكاتب حجرية.

اما قصر "الحير الغربي" فأقيم بجوار حمام بيزنطي قديم دمج بالقصر الجديد. في وسطه صحن كبير واسع محاط بالاروقة على طابقين. وتؤدي هذه الاروقة الى غرف وأواوين عديدة. واهمية هذا القصر تعود الى الافراط في زخرفته عند المدخل. فحجارتها مغطاة بالجبس المنقوش من اسفله الى اعلاه بالاشكال الهندسية والنباتية التي تتخللها أشخاص وحيوانات. وهذه النقوش آية في دقة الحفر والرونق (شكل ١). وقد نقلت هذه النقوش برمتها واعيد تركيبها في جناح من اجنحة متحف دمشق. عدا ذلك، فحدران الغرف داخل القصر مزدانة بزخارف متعددة الالوان تطفو عليها الاشكال الهندسية ولكن تتخللها الاشكال النباتية وصور اشخاص وحيوانات (شكل ٢).

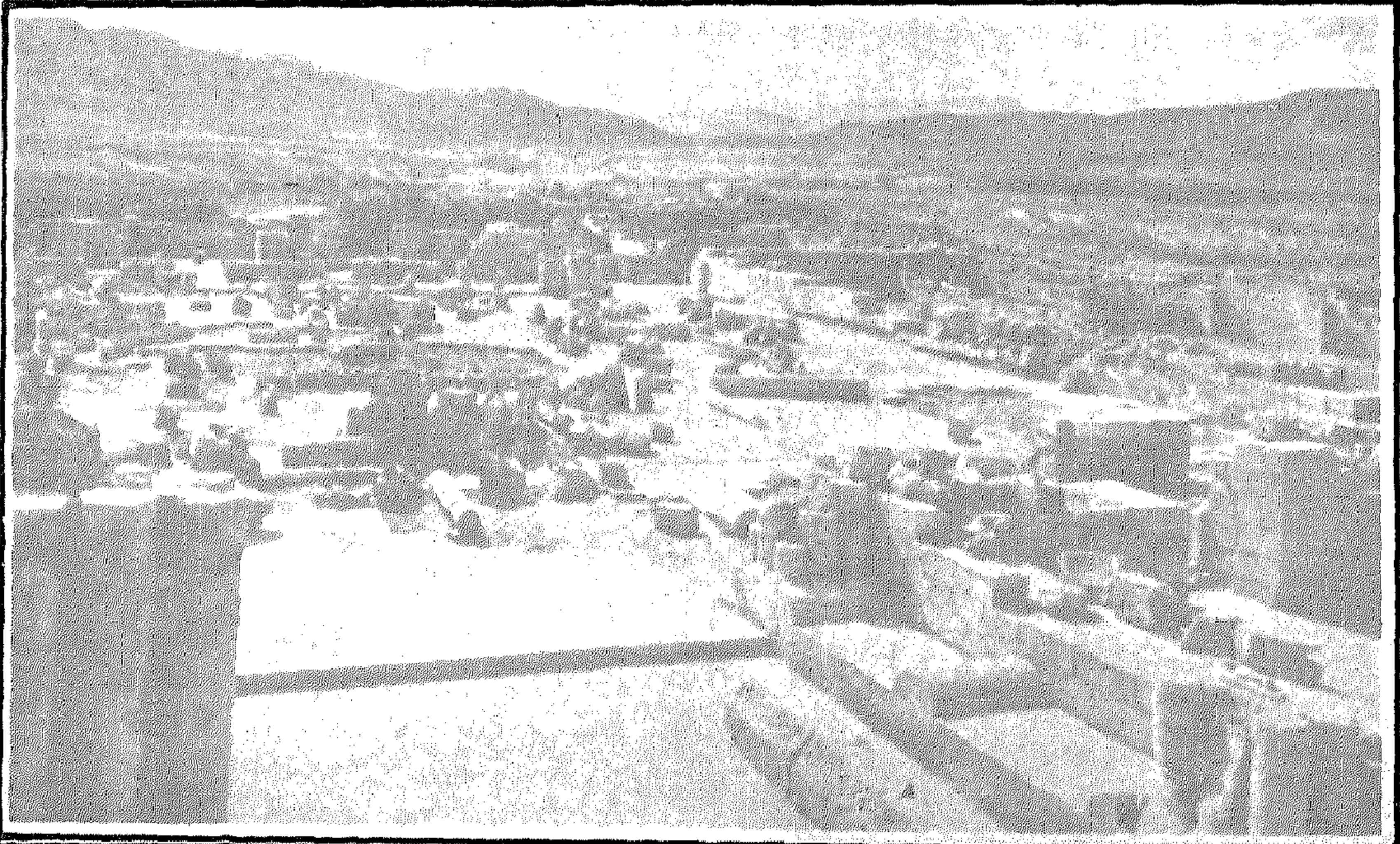
### قصر "خربة المفجر"

اما اهم قصر اقامه الخليفة هشام فهو القصر في "خربة المفجر" قرب اريحا. اذ أنه كقصر "الحير الغربي" مبني حول صحن داخلي مربع تقريباً تحيط به الاروقة المطانة بالعقود والمرتكزة على اعمدة والاقواس على طابقين. أما زيادة على سائر القصور، فقد زود هذا القصر بصحن امامي طويل يبلغ طوله ١٠٠ متر وعرضه ٤٠ متراً، ويصل بالقصر بالصحن الامامي باب مبني ضمن برج مستطيل هائل. وعلى جانبي البرج اروقة على الطابق الاسفل ترتكز على اعمدة طابقين. والاقواس ضخمة كل منها مؤلف من اربعة اعمدة متلاصقة وفي الطابق الاعلى ترتكز الاقواس على اعمدة من الرخام يصل العمود بالآخر دربين من الجبس المنقوش (شكل ٣).

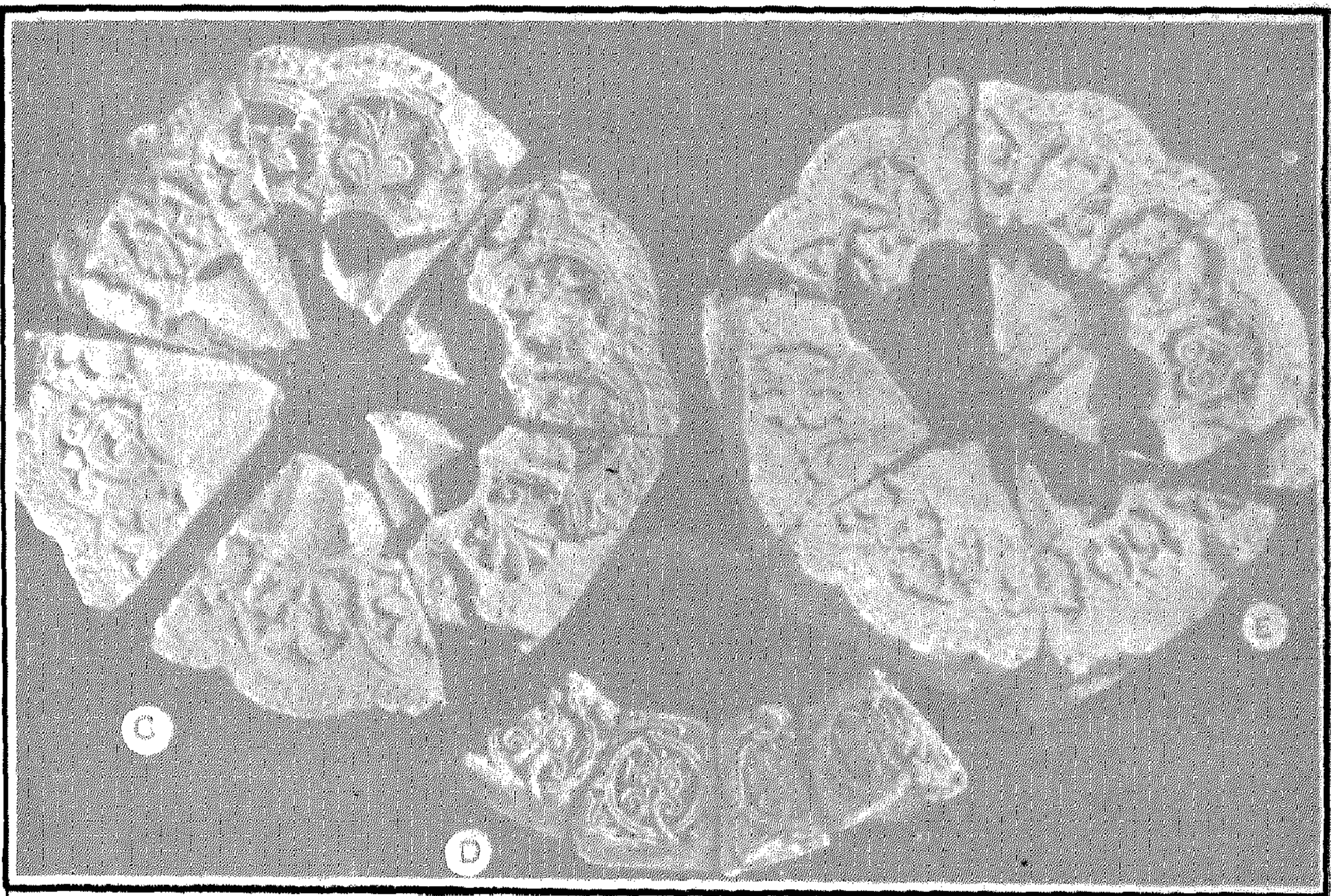




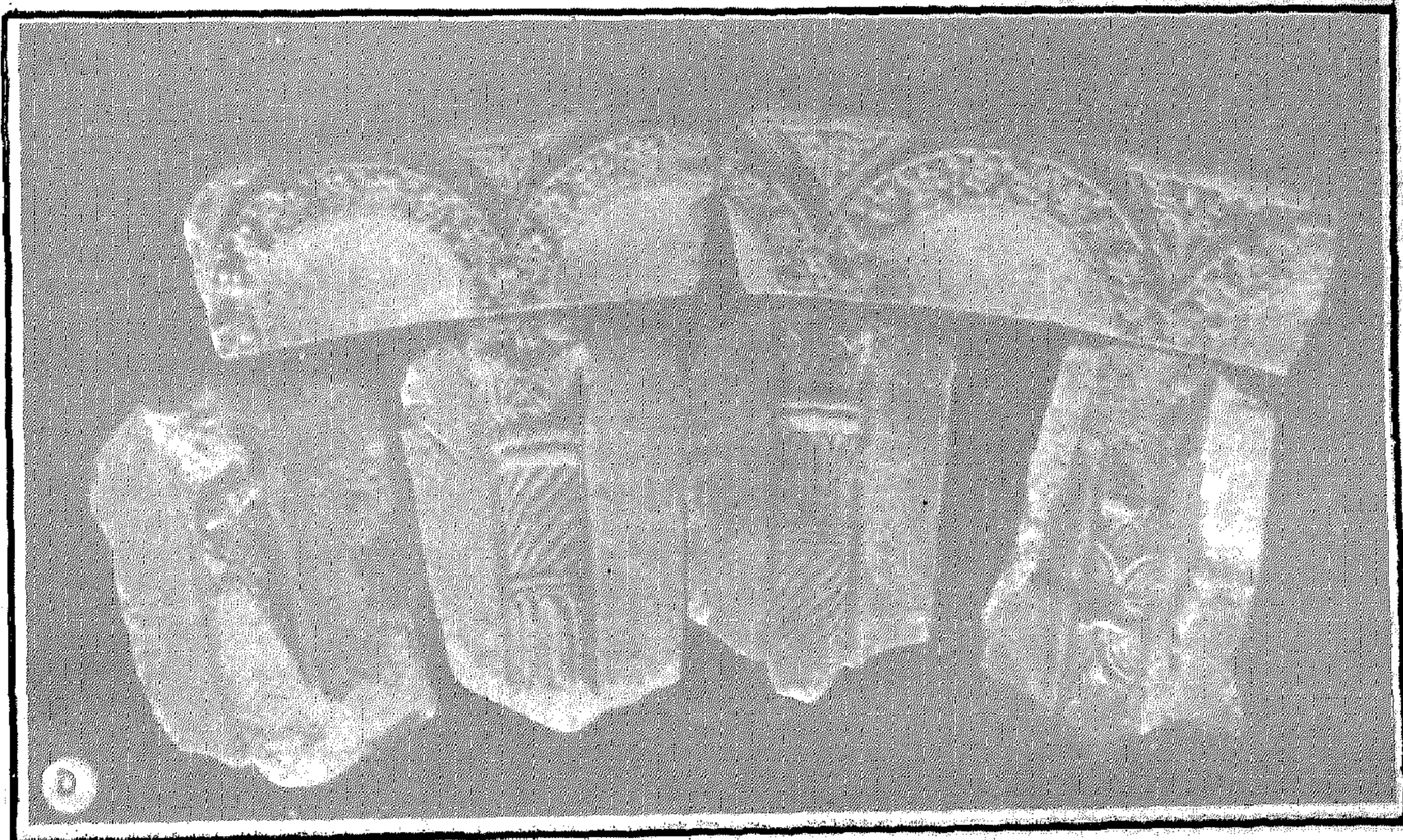
بوابة القصر والمدخل مع الصحن الداخلي



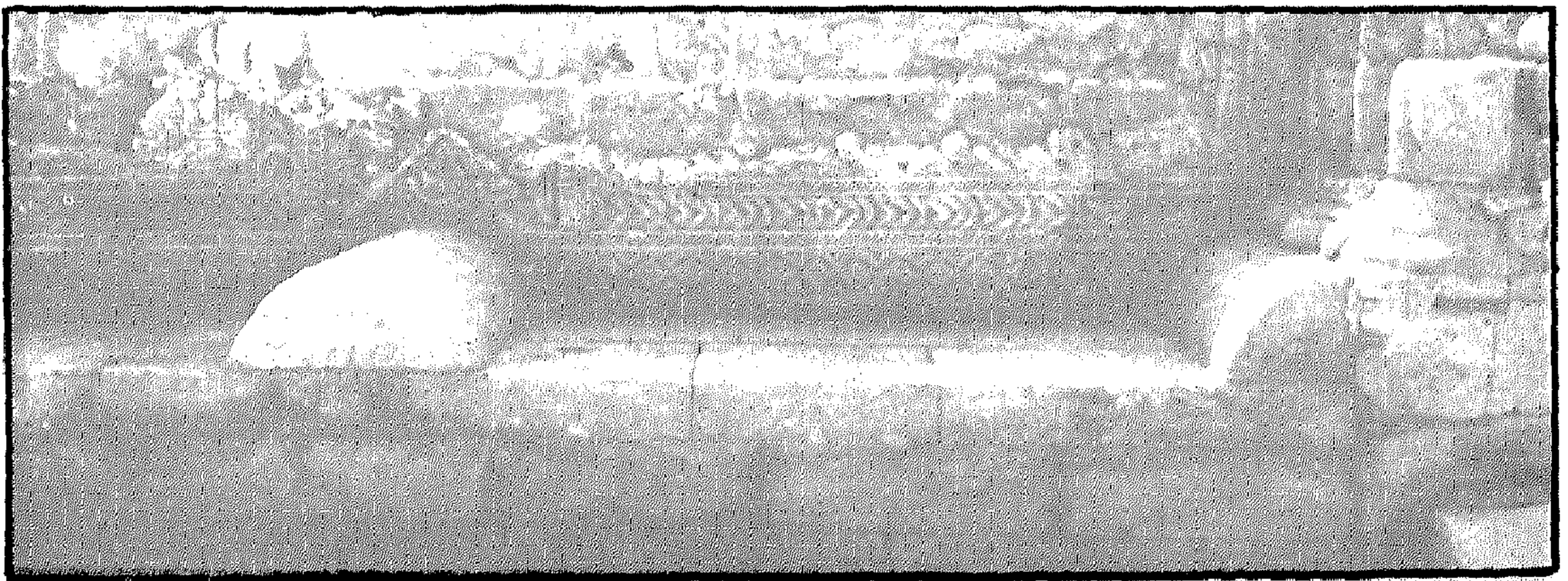
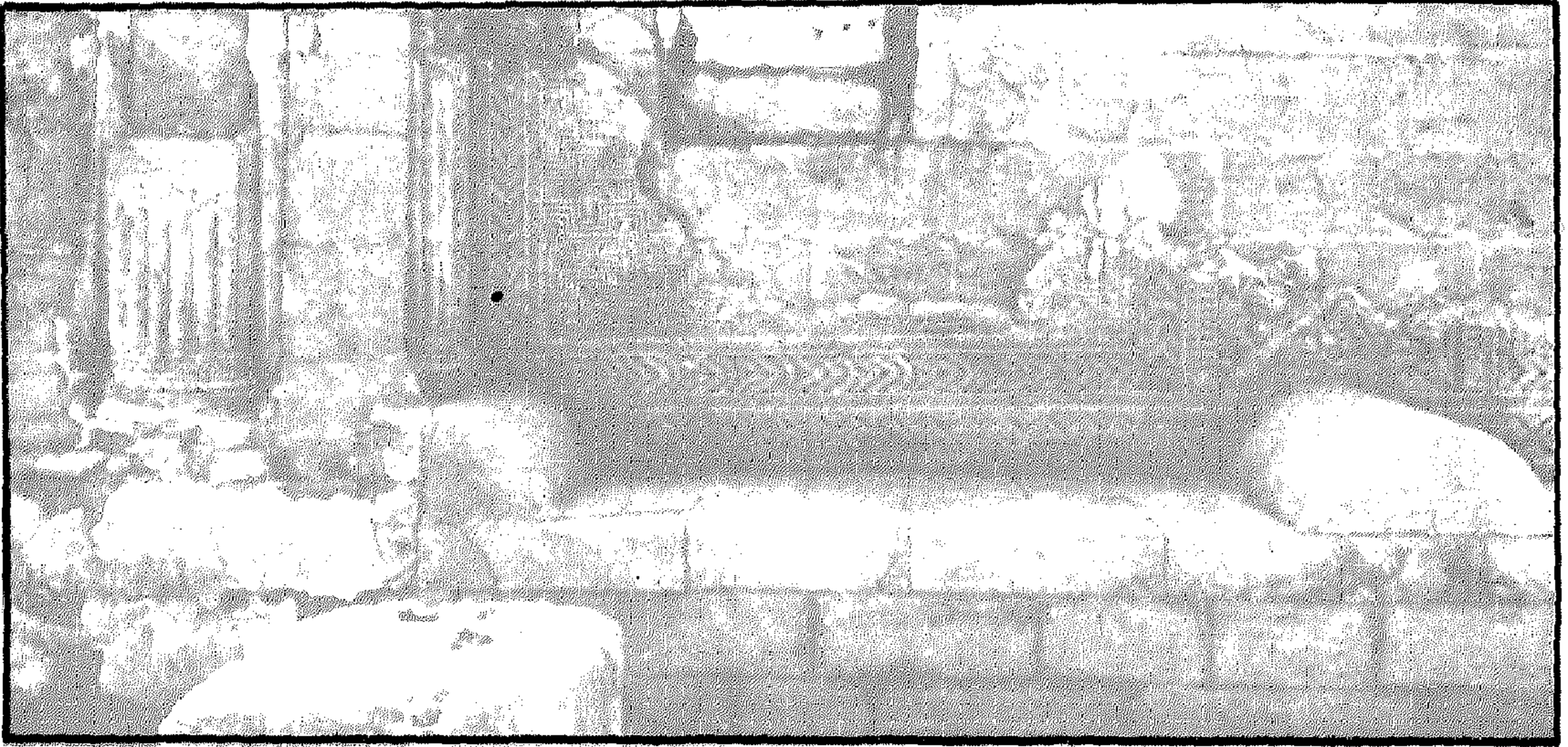
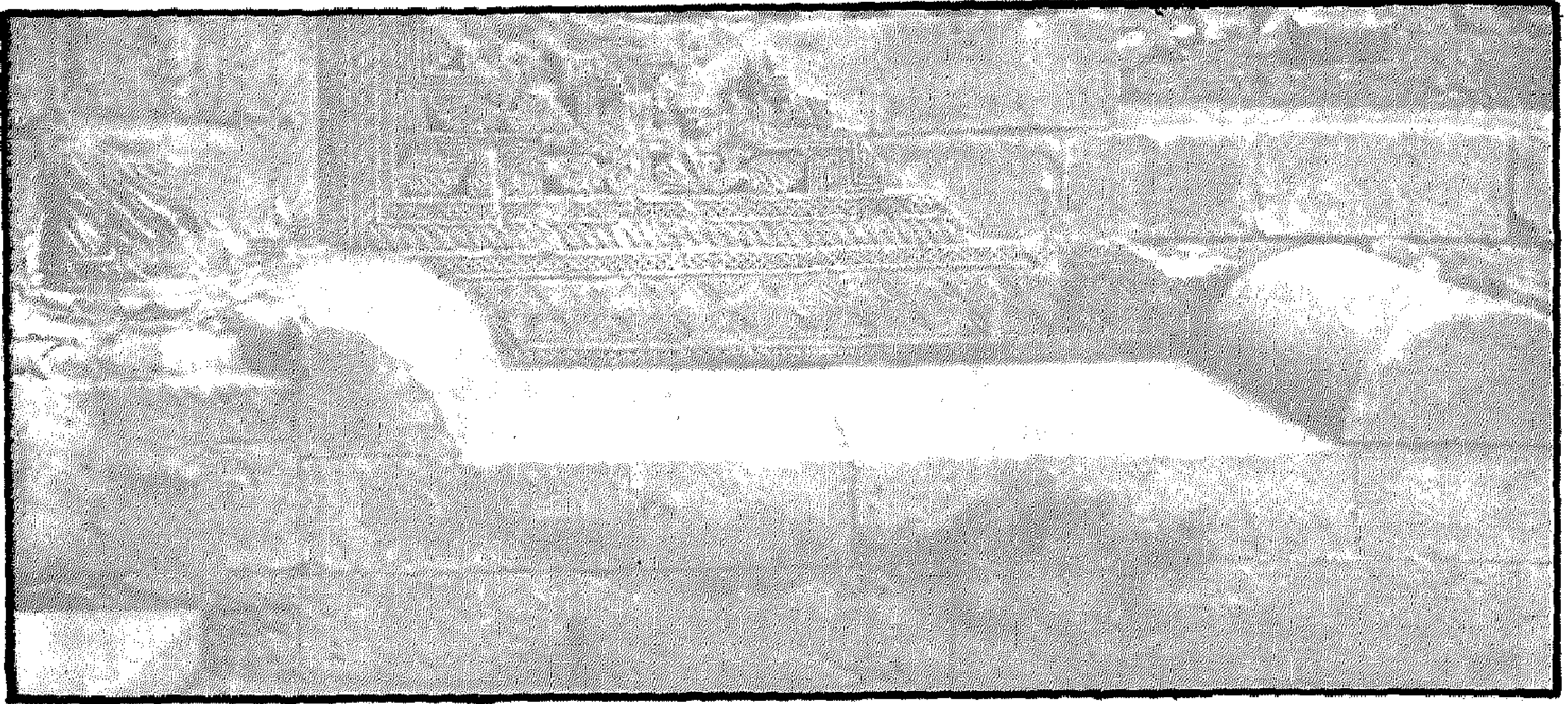




■ زخارف فوق مدخل القصر





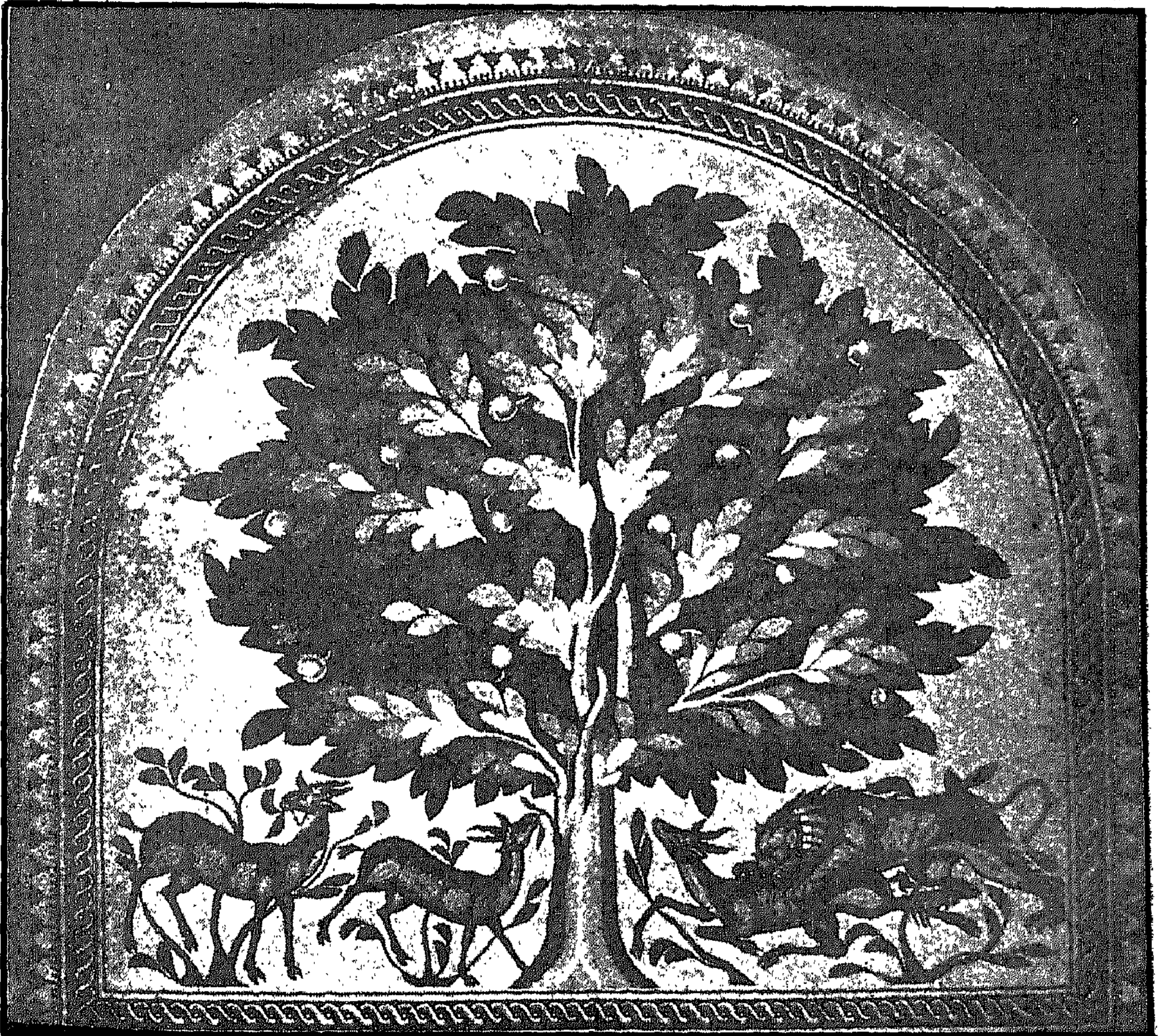




على الباب رسوم مقاعد جانبية ، وفوق المقاعد كنار مزخرف بالاشكال النباتية تتركز عليه محاريب صغيرة مكحلة برؤوس مزخرفة بالاشكال الهندسية والنباتية (شكل ٤) ، وعلى جانبي كل محراب عمودان صغيران مزخرفان بالنقوش النباتية ، ويعلو المدخل قوس مزخرف بالمحاريب الصغيرة شكله مثل شكل الاقواس الاندلسية أي انه مقسم الى عدة اقواس صغيرة في داخله ، (شكل ٥) وعصادتا الباب مع القبة الفوقية مزخرفة ايضا بالاشكال النباتية والهندسية (شكل ٤) ، وداخل الباب ايوان مستطيل على جانبيه مقاعد ، وجدرانه مكسوة بالجبس المنقوش باشكال هندسية ونباتية (شكل ٦) ورؤوس رجال وراقصات ، والصحن الداخلي مع الاروقة المحيطة به كلها مرصوفة بالبلاط الاسود ، اما الابنية خلف الاروقة فيوجد بينها البناء الغربي حيث ديوان الخليفة تعلوه في الطابق الاعلى غرف سكن الخليفة واسرته ، وهو مكون من ايوان في وسطه وايوانان

■ فسيفساء في غرفة الاستراحة في الحمام

على طرفيه ، بينها عدة غرف صغيرة كلها مرصوفة بالمدية الحمراء ، اما الاواوين والغرف في الطابق الاعلى فكانت مرصوفة بالفسيفساء (المزاييك) ، وتحت هذا البناء يوجد حمام الخليفة الخاص يمكن الوصول اليه بدرجات تهبط تحت الارض ، والحمام مؤلف من غرفة مستطيلة في آخره حاجز للاستحمام ومجهز باقنية لجلب المياه النظيفة واخرى لصرف المياه بعد الاستعمال ، والقسم الامامي من الحمام مرصوف بالفسيفساء المتعددة الالوان من ابيض واحمر وبرتقالي وزهري واخضر واسود ، والبناء الشمالي مؤلف من ايوان واحد طوله ٣٠ مترا وعرضه ١١ مترا ، يظهر انه كان ايوان الولايم فسقفه يتركز على عدة اقواس ، وهذه الطريقة التي كانت متبعة لسقوف الدواوين الكبيرة لدى الامويين اقتبسوها من الرومان ، والبناء الشرقي مكون من ١٦ غرفة تؤدي ثمان منها الى داخل القصر والثماني الاخرى الى خارجه





لصرفها ، وخلف المسجد مئذنة مربعة •  
وكانت جدران القصر الخارجية محصنة بأبراج  
مستديرة عند الزوايا ونصف مستديرة في الحائطين  
الغربي والشمالي •

### المسجد الكبير

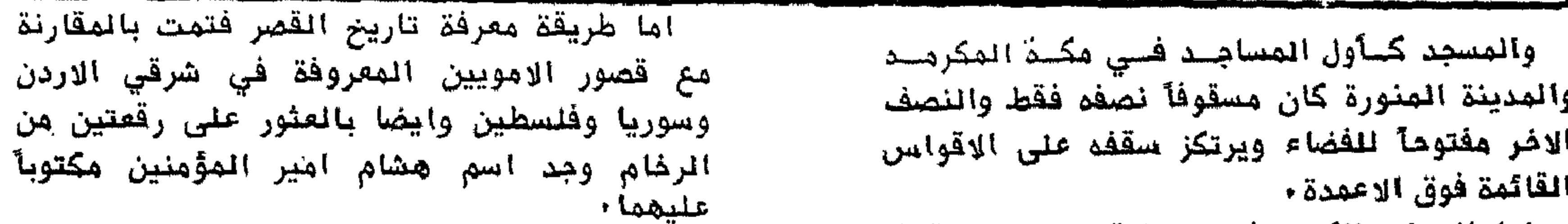
ويقع المسجد الكبير الى شمال القصر وله عدة  
ابواب ثلاثة منها في حائطه الشمالي وباب رابع  
خلف المسجد قرب المحراب لاستعمال الخليفة •

فقط اذ ليس هناك اتصال بين الغرف الخارجية  
والغرف الداخلية • ويظهر ان الغرف الخارجية كانت  
معدة للخدم •

والطابق الاعلى في هذا البناء يشرف على البحر  
الميت والجبال خلفه عن طريق الاروقة امامه والتي  
تكلمنا عنها سابقا • وكانت جدران هذا الرواق  
والغرف خلفه مزدانة بالصور الملونة التي تمثل  
ابنية ومناظر قنص وحروباً الخ •

وفي وسط البناء الجنوبي مسجد صغير اعد  
للخليفة واسرته المقربة فقط وحواليه غرف للخدم  
والوضوء مجهزة بالاقنية لجلب المياه ومصارف





قصر المنية

\_\_\_\_\_

عدا هذه القصور ففي شرقي الاردن عدة قصور  
اموية اخرى سنتحدث عنها في فرصة اخرى \*

ويجدر اختتام هذه الكلمة بترديد أبيات للشاعر

بهذه القصور من دماره

وقصور زاهرات زاهية

حر فی محیل متداع

أما الحمام الكبير فيصله بالقصر ممر مسقوف قرب الزاوية الشمالية الغربية من القصر ، والحمام عبارة عن بناء مربع طوله ٣٠ متراً مجهز بأحد عشر محراباً كبيراً ثلاثاً منها في كل جهة من الجانب الجنوبي وثلاثة في الجانب الغربي وثلاثة في الجانب الشمالي واثنان في الجانب الشرقي يتوسطهما المدخل الرئيسي الى الحمام .

ومدخل الحمام الرئيسي كان من الشرق وهو عبارة عن برج صغير مسقوف بقبة وجدرانه مزدانة بالمجاريب الصغيرة داخل كل واحدة منها تمثال لجارية شبه عارية او رجل يلبس وزرة في وسطه .



قصة ورقة التبغ .. وتاريخ التدخين في العالم



د. عزيز قليلا

**prenons la vie  
à pleins poumons**

■ احدى الحملات الجديدة ضد التدخين في مصر

**Comité d'Education pour la Santé • Comité contre le Tabagisme**

Cette affiche a été réalisée avec le soutien du Ministère de la Santé et des Organismes de Sécurité Sociale

د. عزيز قليلا: حريج جامعة شارل الرابع - براغ

التبغ (كلمة إسبانية "تاباغو" مأخوذة أساساً من لغة مجهولة في أميركا الوسطى) هو اسم لنبتة حشيشية من فصيلة ( Solanacées ) وهذا الاسم يدل على مجموعة المستحضرات الناتجة عن تجفيف أوراق هذه النبتة. أحضر إلى أوروبا في بداية القرن السادس عشر وأصبح أحد مصادر تخدير الرجل (التدخين).

أحد التقارير الصادرة عن المنظمة العالمية للصحة عام ١٩٧٤ أكد خطر التدخين على الوجه التالي:

"التدخين هو عامل خطر بأهمية كبيرة. فنسبة الوفيات بين المدخنين تتجاوز نسبتها بين غير المدخنين بـ ٢٢٪. وهو يتحمل جزءاً كبيراً من مرض سرطان الرئة، النزلة الصدرية وضيق التنفس.

"وتعود للتدخين نسبة كبيرة من الوفيات الـ Foetale ويمكن أن يتسبب في الـ Teratogene ... وبمقدار ما يزداد إنتاج واستهلاك هذه المادة، يجب الاهتمام بوسائل الحد من الانتشار".

وكان التبغ ذا أهمية في تقوية معنويات الصبي الذي يريده أهله محارباً. وكانت الطقوس تجري بوضع الغليون المقدس في الوسط وبعدما تجري عملية تطهير الفتى من الأرواح كان عليه إشعال الغليون وتدخينه.

★ ★ ★

لقي التبغ نجاحاً كبيراً في أوروبا عندما أحضر إليها بواسطة البحارة البرتغاليين والإسبانيين والهولنديين. وعرف انتشاراً واسعاً مصحوباً بنجاح ملموس لكونه حلّ محل أدوية أكثر تخديراً وجسّد فكرة أن الطبيعة هي التي تساهم في شفاء المرض.

وإذا كان التبغ قد وصل إلى المرافئ البريطانية بواسطة "جاك كاريتيه" في سان مالو عام ١٥٣٦ فإن ظهوره الرسمي في فرنسا يعود إلى تيفيه وإلى "جان نيكو".

كان تيفيه راهباً. وبعد عودته من رحلة على الشواطئ البرازيلية غرس في حديقته عدة شتلات كان قد أحضرها معه كنوع من الحشرية الزراعية. وبين هذه الشتلات كانت توجد شتلات تبغ. لم يكن يرى في هذه النبتة إلا نوعاً من التجميل ومرّ "اكتشافه" دون معرفة.

أما نبتة "جان نيكو" فقد لقيت اهتماماً أكثر. فقد قرر هذا السفير الفرنسي لدى البرتغال والذي كانت وظيفته تدفعه إلى الاهتمام بالتجارة الجديدة القادمة من "العالم الجديد"، وبعد أن شفي أحد المقربين إليه بواسطة التبغ قرر زراعة هذه النبتة وأصبح بستانه مقصداً لكل طالب للشفاء.

أرسل "نيكو" نموذجاً من أوراق التبغ إلى شقيقه كاردينال اللورين. ودون شك كان هو الذي أدخل النبتة إلى القصر الملكي وعالج "كاترين دي مديسيس" وشفاه من أوجاعها وانتشر "النموذج الملكي" واتبع من كل أنحاء المملكة - استعمل أولاً للعلاج وبعد ذلك للذة التدخين. آنذاك صدرت عدة مؤلفات عن التبغ - العلاج.

وفي القرن السابع عشر كان الغليون معروفاً في

يبدأ تاريخ التبغ مع اكتشاف كريستوف كولومبس لأميركا عام ١٤٩٢. وبالفعل فإن هنود أميركا كانوا يتوارثون زراعته واستعماله جيلاً بعد جيل في كل قطاعات "الأرض الجديدة" وذلك إstimاداً إلى تاريخ الغليون المصنوع من التراب المجفف (الطين).

وتاريخ التبغ هذا وتاريخ استعماله أثارا مناقشات كثيرة. فالمخالفون لهذه النظرة قدموا اثباتين. وجود كتابات يونانية - رومانية واكتشاف أشياء كالفليون أثناء الأبحاث عن الآثار (في فرنسا وسويسرا وأيرلندا وإيطاليا). وبالفعل فقد ثبت الآن أن هذه الأشياء كانت تستعمل لتدخين النباتات ذات الرائحة وأحياناً بهدف علاجي. وهذا النوع من الاستنشاق يفصح به الأطباء اليونانيون. قبل وصول الأوروبيين إلى الأرض الجديدة، كانت أميركا مأهولة بالهنود الموزعين على شكل قبائل، أكثريتهم قرب الأطلنتيك، والبقية في الوسط وإلى الغرب. أهم هذه القبائل كانت: الايروكوا - الهرون - الابوا - الشيين - الاوتار - الوهاوكس والسيو.

ولأن التبغ ينبت طبيعياً في السهول، اعتقد الهنود أن هذه النبتة هي هبة للاتصال بالأرواح. وأغلب الطقوس الدينية التي وضعها الهنود أنفسهم اعطت التبغ صفة الرمز الديني. ومن الشكل البري انتقل التبغ إلى نبتة جديرة بالعناية وذات قيمة مهمة.

ففي قبائل السيو أصبح الرجل الطبيب (أو الساحر) هو "حارس الغليون". وهو مقدس أعطى من روح الزلزال نفسه. وعادة الغليون المقدس انتقلت عند السيو بواسطة الفم من ساحر إلى آخر وعلى مدى قرون عدة.

ولعب التبغ دوراً مقدساً ومهماً وجرى استغلاله للاستعمال قبل حالات الولادة. كانت المرأة الحامل تزور الساحر: فإذا أرادت صبياً كان هذا يضع لها سهماً مزيناً بالتبغ، وإذا أرادت فتاة كان يقيم على الأرض حلقة من أوراق التبغ مع شعراً امرأة معقود.





■ ارفصه التبغ التي اُخذت من بلاد مصر من قبل المصريين - خدم برصع حركات من السبع.

وفي ١٨١٠ عدّل نابليون مرسوم صنع وبيع التبغ واستحدث "الريجي" التي ما زالت قائمة حتى اليوم.

في هذه الفترة بدأت الأبحاث العلمية، وفي عام ١٨٠٩ اكتشف "نيقولا فوغلان" مواد آزوتية في خلاصة إحدى أوراق التبغ، وبعد عشرين عاماً وضحت معالم هذه المواد وعرفت "بالنيكوتين" بواسطة "بوسلت وريمان".

بعد سنوات، أعلن أحد أطباء مونبلييه ويدعى بواسون أن بين المصابين بالسرطان عدداً كبيراً من مدخني الغليون.

وهكذا يربط العلماء بين التبغ والسرطان، وأبحاث كثيرة تجري منذ عدة سنوات في هذا الاتجاه.

### الدراسة الزراعية

لا ينتمي التبغ إلى فصيلة النيكوتيانيا (والمعروف منها ستون نوعاً مختلفاً) من عائلة Solanacées والتي تضم البطاطا والبندورة والتوابل..... وأغلب أنواع التبغ أميركية وتوجد أيضاً أنواع أسترالية. وخلاف عدة أنواع تستعمل للزينة فالتبغ المعتنى به نوعان فقط:

الأوساط الأرستقراطية والبرجوازية في المدينة وبيع التبغ في البداية في الصيدليات تحت إسم (كليستير بوم نازي) ثم انتقل إلى المؤسسات الرسمية ورغم إنشاء مزرعة التبغ عام ١٧٦٤ فقد بدأ تهريبه ومزجه بأنواع أخرى وبالماء من أجل زيادة وزنه عند البيع.

ولكن رغم كل هذا النجاح عرف التبغ بعض المقاومة. ففي هذه الفترة احتج بعض الأطباء بأنه يسبب أمراضاً ومنعته الكنيسة وبعض الحكومات (وفي تركيا كانوا يقطعون أنف وشفاة المدخنين).

### التبغ والسرطان

في القرن الثامن عشر أصبح الغليون أكثر شعبية وأوحى بصناعة مكثفة لعلب التبغ من العادية إلى الأكثر إناقة. كان الغليون في البداية يصنع من الطين في دنكرك وسان هومير وروان، وبعد ذلك بدى بصنعه من الخشب في باريس وسان كلود، وعند إنشاء مزرعة التبغ احتفظ "كولبير" للدولة بحق بيعه (١٧٧٤) وبعد ذلك بصنعه (١٧٨١). وانتاجه كان حراً ولكن بقوانين صارمة.

ورغم قسوة العقوبات - الجلد وأحياناً الاعدام في عام ١٧٨١ - لم تتوقف عمليات الغش والتهريب إلا عند اندلاع الثورة.

(النيكوتيانا تاباكوم) ويسمى بالتبغ الكبير  
(والنيكوتيانا روستيكا) ويسمى بالتبغ الصغير  
التبغ الكبير والذي يسمى أحياناً (بالتبغ الذكر)  
هو نبتة كبيرة سنوية يبلغ طولها مترين أحياناً وهي  
تحمل أوراقاً كبيرة متفرقة بشكل بيضاوي وتدعى  
(المتشعبة) ويصل حجمها أحياناً إلى ٧٠ سم طولاً  
و ٤٥ سم عرضاً وأزهارها ذات لون زهري أو أحمر  
وأحياناً أصفر، وتحمل الثمرة عدداً كبيراً من البذور  
الصغيرة الحجم (من عشرة إلى ثلاثة عشر ألف حبة  
في الغرام الواحد) وتخرج من النبتة رائحة قوية  
جداً.

التبغ الصغير أو (التبغ الانثى) لا يبلغ طوله  
أكثر من متر واحد، أوراقه بيضاوية وطرية، زهرته  
صفراء اللون وتحتوي على بذور أقل من صنف التبغ  
الكبير ولكن بحجم أكبر.

### أنتاج التبغ

قفز الانتاج العالمي للتبغ من ٢٠٨٢١٠٨٠٠ طن  
عام ١٩٤٨ إلى أكثر من خمسة ملايين في عام  
١٩٧٤ ويتوقع أن يزيد عن الستة ملايين طن عام  
١٩٨٠، وتأتي آسيا في الطليعة بنسبة ٤٥٪ من  
الانتاج وهي تتقدم أميركا الشمالية تنتج ٢٣٪  
ولكن الولايات المتحدة تعطي الانتاج الأكبر في  
الهكتار الواحد (٢٣٢٤ كلغ).

ومنتجو التبغ الرئيسيون عام ١٩٧٢ في العالم  
كما يأتي:

١ - الصين	٨٠٣٠٠٠ طن
٢ - الولايات المتحدة	٧٩٣٢٢٣ طن
٣ - الهند	٤٠٩٢٠٠ طن
٤ - البرازيل تقديراً	٢٥٥٠٠٠ طن
٥ - الاتحاد السوفياتي	٢٤٠٠٠٠ طن
٦ - تركيا	١٤٢٠٠٠ طن
٧ - اليابان	١٤٢٠٠٠ طن
٨ - بلغاريا	١٤٢٠٠٠ طن
٩ - كوريا الجنوبية	٩٣٩٠٠ طن
١٠ - باكستان	٨٦٩٣٠ طن

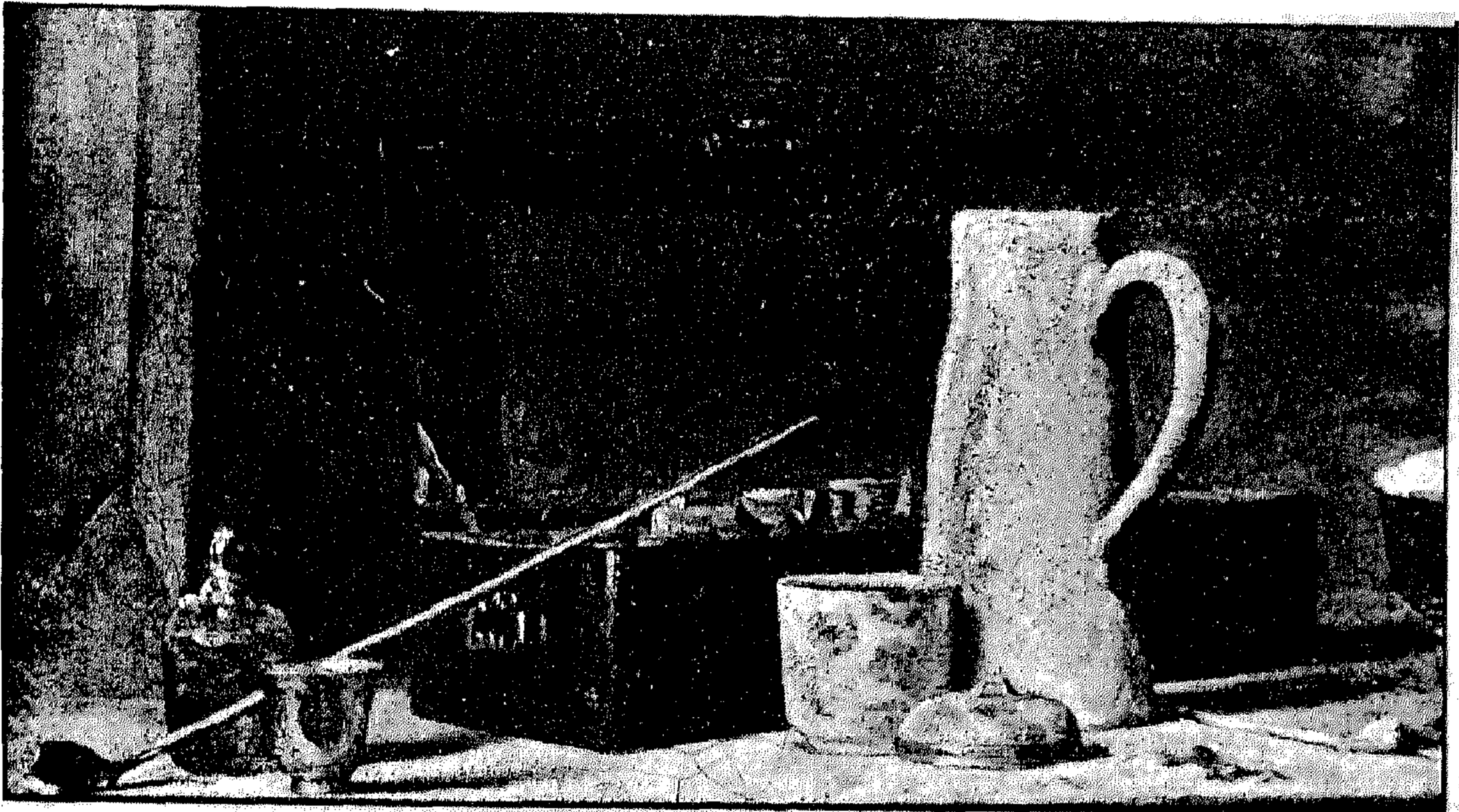
تأتي بعد ذلك اليونان وتنتج ٨٥٠٠٠ طن ثم  
إيطاليا وبولونيا واندونيسيا والمكسيك وكندا، ولا  
يتجاوز انتاج فرنسا الخمسين ألف طن.

وبالنسبة للمساحات المزروعة فقد تحولت ثلاثة  
ملايين هكتار عام ١٩٤٨ إلى أكثر من أربعة ملايين  
عام ١٩٧٢.

### استهلاك التبغ في العالم

يجب التمييز بين استهلاك التبغ بأشكاله  
المختلفة وعلى شكل لفائف والاستهلاك السنوي  
للمواطن الذي تجاوز الخامسة عشرة هو كما يأتي:

ويأتي في هذه الاحصائية استهلاك هو أن نسبة  
الاستهلاك المذكورة أدناه اعتمدت على كمية  
المبيعات السنوية وعلى عدد السكان الذين  
تجاوزوا الخامسة عشرة، ولذلك فإن الاحصاءات  
المتعلقة ببعض البلدان مغلوبة بعض الشيء نسبة  
إلى الكمية المباعة للاجانب المارين بهذه البلدان،  
(المصدر: لجنة أبحاث التبغ انسكلوبيديا  
التبغ).



■ في القرن الثامن عشر اتفن المدخون التدخين إلى درجة أنه تحول من وسيلة لعلاج الاوجاع إلى وسيلة لهو، في الصورة  
المعدات الضرورية لكل مدخن في ذلك العصر.

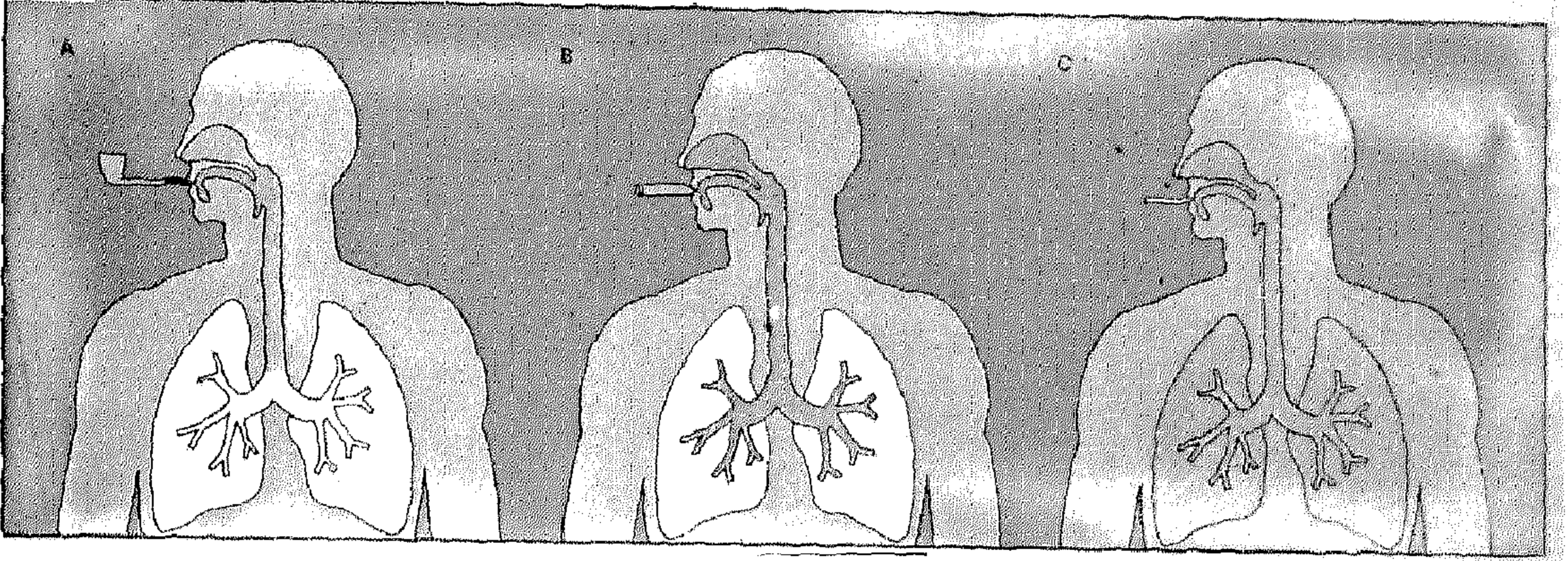


البلد	١٩٣٥	١٩٧٠			
أفريقيا الجنوبية	١٤٥	٢٤٣	البرازيل	٢٠٠	١٣٥٠
ألمانيا	٢٤٢	٢٤٣	كندا	٧٠٠	٢٣٤٠
ألمانيا الديمقراطية	٢٤٢	٣٤٠	الدانمارك	٤٧٠	١٦٩٠
الأرجنتين	٢٤٠	٢٤١	إسبانيا	٣٩٠	٢١٠٠
أستراليا	١٤٨	٣٤٣	الولايات المتحدة	١٤٥٠	٣٦٧٠
النمسا	١٤٧	٢٤٥	فنلندا	١٣٥٠	١٨٥٠
بلجيكا	٣٤١	٣٤٤	فرنسا	٥٣٠	١٨٣٠
البرازيل	١٤٦	١٤٧	اليونان	٩٦٠	٢٢٦٠
كندا	٢٤٢	٤٤٤	الهند	٨٠	١٩٠
إسبانيا	١٤٦	٢٤٤	أيرلندا	١٢١٠	٣٠٤٠
الولايات المتحدة	٣٤٥	٤٤٣	إيسلندا	٤٩٠	١٩٥٠
فنلندا	١٤٢	٢٤٢	الهند	٠٤٩	٠٤٨
فرنسا	١٤٧	٢٤٦	المغرب	٠٤٤	٠٤٨
اليونان	١٤١	٢٤٦	المكسيك	١٤٥	١٤٦
إيسلندا	١٤١	٣٤٩	النرويج	١٤٥	٢٤٣
إيطاليا	٠٤٩	١٤٨	زيلندا الجديدة	٢٤٠	٣٤٥
اليابان	١٤٤	٢٤٨	هولندا	٣٤٨	٤٤٠
والاستهلاك السنوي للمواطن الذي تجاوز الخامسة عشرة من الفائف المصنوعة			البرتغال	٠٤٦	١٤٣
			المملكة المتحدة	٢٤٢	٢٤٧
			السويد	١٤٦	٢٤٠
			سويسرا	٢٤١	٤٤٧

#### ٥ بلدان

إن كندا والولايات المتحدة وهولندا وإيسلندا والدانمارك هي البلدان الخمسة التي يستهلك المواطن فيها أكبر نسبة من التبغ ولكن في إيسلندا والدانمارك يتم التدخين بواسطة الغليون أو السيجار. وذلك بعكس البريطانيين والاييرلنديين الذين يعتبرون من أكثر مدخني السجائر.

البلد	١٩٣٥	١٩٧٠
أفريقيا الجنوبية	٥٢٠	١٣٦٠
ألمانيا	٧٢٠	١٣٦٠
ألمانيا الديمقراطية	٧٢٠	٢٥٠٠
الأرجنتين	١٠٦٠	١٨٠٠



■ رسم يوضح مدى مخاطر تدمير الغليون (A) والسيكار (B) والسيجارة (C).

## الفلتر

وفكرة زيادة رأس فلتر الى السيجارة تعود الى حوالي قرن ، ففي البداية كانت بشكل اسفنجية أو من القطن لمحاولة امتصاص النيكوتين والنفايات .

والسجائر ذات الفلتر ظهرت للمرة الاولى مع الحرب العالمية الثانية وذلك في سويسرا ثم انكلترا . ولم يتخذ الفلتر الموافقة العلمية إلا عام ١٩٥٠ ومنذ ذلك الوقت تجري الابحاث لمحاولة تحسينه وتطويره .

ففي فرنسا تزداد نسبة إستهلاك السجائر ذات الفلتر بسرعة كبيرة: ١٠,٥٪ عام ١٩٦٠ ، ٢٥٪ عام ١٩٦٥ ، ٣٧٪ عام ١٩٧٠ ، ٥٤٪ عام ١٩٧٤ .

وطريقة عمل الفلتر مثلثة وتختلف حسب نوع الفلتر المستعمل: فالمرحلة الاولى تحاول (حصر) بعض الاوساخ التي تذهب مع الدخان ، في المرحلة الثانية يقوم الفلتر بايقاف المادة الغازية وهكذا يمتص نفايات اخرى .

وأخيراً فان بعض المواد التي تستطيع ان تتجزأ جزئياً مثل النيكوتين والفينول والتي تتجمع كحبيبات مائية صغيرة جداً يمكن امتصاصها بالفلتر .

## التدخين ونتائجه

يقصد بالتدخين كل عملية تسمم او اختناق سببها التبغ إن كانت بشكل صوري او عملي ، وهي عملية تسمم قاتلة للجسد بنسبة ما يكون هذا قد احتوى على كمية من الأوساخ ، على مدى السنين ، من دخان التبغ ، وبالأخص دخان السيجارة ، أما الغليون والسيجار فان دخانهما لا يبلغ إلا بنسبة ٤٪ . أما السيجارة فدخانها كله تقريباً يبتلع .

وبالنسبة لطريقة استهلاك التبغ تأتي السيجارة في الطليعة وتتقدم على الغليون والسيجار . وتوجد طرق اخرى لاستهلاك التبغ بواسطة المضغ والاستنشاق ، وإن عادة التدخين بواسطة السجائر الأكثر اتباعاً والأكثر خطراً في الوقت نفسه ونوع السجائر يختلف بالنسبة للبلد وبالنسبة للجنس ، وللمهنة ولنفسية المستهلك :

– إن الفرنسيين يفضلون السجائر السوداء ولكنهم يميلون الى الشقراء أكثر فأكثر . (١٣٪ عام ١٩٧٤) .

– الألمان الذين كانوا من أكبر مدخني السجائر ، يميلون أكثر فأكثر الى السجائر ذات النكهة الاميركية .

– البريطانيون يفضلون تبغ "فرجينيا" والاميركيون يفضلون مزيج التبغ الأشقر .

ان نسبة السجائر ذات الفلتر تزداد باضطراد وهي الأكثر استهلاكاً في بلاد الانكلو – ساكسون .

## نسبة السجائر ذات الفلتر في بعض البلدان عام ١٩٧٣

نسبة السجائر ذات الفلتر في بعض البلدان عام ١٩٧٣	٪
سويسرا	٩٦
اليابان	٩٦
المانيا الديمقراطية	٨٥
الولايات المتحدة	٨٥
ايطاليا	٧٤
بلجيكا	٦٨
فرنسا	٥٠
هولندا	٥٠
بولونيا	٢٣
روسيا	٢٠
المملكة المتحدة	٨٣



وهكذا نرى أن نسبة خطر التدخين هي متساوية مع نسبة تدخين السجارة .

فمن حوالي عدة ملايين عام ١٩٠٠ أصبح بيع السجائر اليوم في فرنسا إلى أكثر من سبعين ملياراً: ٦٤٪ من الرجال و ٤٣٪ من النساء يدخنون . ولناحية المرض فإن التدخين يتسبب بحوالي ٦٠٪ من النزلات الصدرية وبأغلبية حالات ضيق التنفس ونصف الذبحات القلبية الخطرة .

### عوامل التدخين في أسباب الوفاة

إن التجارب المتعددة التي أجريت في أنحاء العالم تثبت بدون شك ارتفاع نسبة الوفيات لدى المدخنين . وكل سجارة تجعل مدخنها يخسر ١٥ دقيقة من عمره وهذا ما يعادل حسب الدراسات ثماني إلى تسع سنوات لدى أحد كبار المدخنين . واستناداً لذلك فإن أمل الحياة لشاب في الخامسة والعشرين يكون كالتالي:

– لغير المدخنين أمل ٤٨ سنة في الحياة (أي حتى سنة ٧٣) .

– لصغار المدخنين أمل ٤٢ سنة في الحياة (أي حتى سنة ٦٧) .

– لكبار المدخنين (أكثر من علبتين يومياً) أمل ٤٠ سنة في الحياة (أي حتى سنة ٦٥) .

إن ارتفاع نسبة الوفاة للمدخنين تزداد مع عمق الابتلاع وأيضاً حسب عمق استنشاق الدخان . وهكذا نجد أن نسبة ازدياد الوفاة تبقى معدومة لدى مدخني الغليون والسجائر الذين لا يستنشقون أبداً الدخان تقريباً .

وعلى سبيل المثال فإن سرطان الرئة وهو إحدى نتائج التدخين، يتسبب بوفاة أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ إنسان سنوياً، وأكثر الدراسات تؤكد أن هذه الوفاة تأتي من السجارة بنسبة ٩٠٪ وأن عملية استنشاق الدخان هي مهمة مثل عدد السجائر أو كمية التبغ الكلية .

### مصدر الدراسة:

إن دراسات "هاموند" تثبت الوفاة بسرطان الرئة نتيجة لعدد السجائر المدخنة ولطريقة التدخين، وتظهر النتائج في نسبة الوفيات (عدد الوفيات لدى المدخنين نسبة لغير المدخنين) والنسبة تساوي واحد لدى غير المدخنين .

### النبغ والحمل

لقد تأكد أن التدخين يزيد من خطر الاجهاض لدى المرأة الحامل . ويوجد أيضاً خطر النقص في وزن المولود الجديد . وقد نسب إلى التبغ إنه يتسبب في بعض حالات الوفاة عند الولادة . أن تسمم Foetus بدخان السجارة عند الام الحامل له عدة عوامل بينها:

- انخفاض في حجم البويضات المنوية للنمو .
- على النمو بانخفاض الوزن والطول للمولود الجديد بالنسبة للمتوسط للسنين القادمة .
- وفوق ذلك كله هناك عاهات لدى المدخنات أكثر من غير المدخنات بنسبة الضعفين .

### لماذا ندخن؟

إن التبغ ليس بالعلاج، هل هو لذة؟ يبدو أن عاملين أساسيين يدفعان إلى التدخين:

- عوامل نفسية خاصة بالمدخن نفسه، أولاً التقليد ثم التحرر لدى الشبان ثم العصبية أو الضيق .

■ عوامل البيئة التي تؤثر بشدة على العوامل السابقة (الاعلانات المشوقة التي تضع التبغ إلى جانب الجمال، القوة، السفر والنجاح، وأسلوب العيش خاصة في المدن الكبيرة الصعبة أحياناً والتي تخلق حاجة إلى الهروب وإلى لذة الفرار من الضيق، فتكون السجارة أحد الاعذار لكل هذه الأسباب .

الاستقلال اللبناني

والميثاق الوطني

من وضع الميثاق الوطني؟  
وماذا كان يحتوي؟

في القسم الاول من "الاستقلال اللبناني  
والميثاق الوطني" عالج الدكتور باسم الجسر تاريخ  
النضال من أجل الاستقلال ومحاولات فرنسا لعرقلته  
ثم لاستبداله بمعاهدة مع سوريا ولبنان . وفي هذا  
القسم يعالج موضوع الميثاق الوطني والتعاضد  
بين المسلمين والمسيحيين ثم المحاولات المختلفة  
لتفسيره وإعادة عجلة البلد الى الوراء... ليخلص  
الى احدى صور هذه المحاولات وهي الحرب المستمرة  
في لبنان منذ عام ١٩٧٥ .

د . باسم الجسر



■ ان فكرة ايجاد ميثاق وطني بين اللبنانيين يساعدهم على تجاوز التناقض الوطني والطائفي الذي قام بعد اعلان دولة لبنان الكبير (١٩٢٠)، بدأت تظهر منذ السنوات الاولى التي تلت قيام الميثاق الجديد، ولكنها لم تبدأ تبلورها إلا في الثلاثينات، ولم تبين معالمها إلا بعد ١٩٣٦.

ذلك أن انقسام اللبنانيين الى فريقين وطنيين - سياسيين - طائفيين، أحدهما "كياني - لبناني" - مسيحي - مؤيد للانتداب والثاني "كياني - عربي" - مسلم - رافض للانتداب، لم يكن أمراً طبيعياً أو منطقياً بالنسبة لشعب واحد يعيش في ظل دولة موحدة ويشترك ممثلوه في مجلس نيابي واحد وحكومة وإدارة واحدة.

من هنا كان عدد الوطنيين من سياسيين ومثقفين من الذين يرفضون هذا التناقض، يزداد يوماً بعد يوم، وتبرز محاولات دائمة، حزبية أو انتخابية أو نقابية أو فكرية، هدفها تجاوز الانقسام الطائفي والتضاد الوطني.

من أبرز تلك المحاولات التي جرت بين عام ١٩٢٠ وعام ١٩٢٦ نشوء أحزاب عقائدية: (الحزب القومي، الشيوعي) حزب الاستقلال الديمقراطي ومنها محاولة انتخاب مسلم - هو الشيخ محمد الجسر - رئيساً للجمهورية اللبنانية (١٩٣٢) ومنها ثورة البطريك عريضة على الانتداب الفرنسي وترعّمه لحركة مقاومة الاحتكارات الأجنبية ومنها بروز صحافة وطنية مستقلة عن الطائفية (الاحرار، المعرض).

إلا أن الأسباب الحقيقية التي ساعدت على تعجيل بروز الصيغة الوطنية المؤلفة من التناقضات، كانت تتعلق بمصير الكيان اللبناني بعد أن اقتنعت فرنسا باستبدال الانتداب بمعاهدة صداقة تعقد بينها وبين كل من سوريا ولبنان.

فالمسلمون في لبنان أدركوا أن اتفاق الحركة الوطنية في سوريا مع فرنسا على بلوغ الاستقلال سوف يتركهم وجهاً لوجه مع المسيحيين والفرنسيين في لبنان، ولذلك فإن بلوغ الاستقلال كان يتطلب الاتفاق مع المسيحيين.

كذلك المسيحيون، بدورهم، أدركوا أن انتهاء الانتداب في سوريا ولبنان سوف يتركهم وجهاً لوجه مع المسلمين، ولذلك فإن تدعيم الكيان اللبناني لا بد له من اعتراف المسلمين اللبنانيين والحركة الوطنية السورية به.

ثم أن الأخطاء التي ارتكبتها السلطات الفرنسية المنقذبة كتعليقها للدستور اللبناني وكتسلط موظفيها وكممنحها للامتيازات الاقتصادية الاحتكارية، كل ذلك أدى الى نمو الحركات الوطنية المناهضة للانتداب وبالتالي الى قيام عدة محاولات سياسية وفكرية وعقائدية للتقريب بين المسلمين والمسيحيين من جهة وبين "اللبنانيين" و"العروبيين" من جهة ثانية.

الدكتور باسم الجسر:

دكتور في الحقوق من جامعة باريس (السوربون)، - محام في الاستئناف في بيروت - استاذ القانون الدستوري وقانون الاعلام في كليتي الاعلام وإدارة الاعمال في الجامعة اللبنانية (١٩٧٠ - ١٩٧٤).

وكانت أبرز المحاولات الفكرية تلك التي قام بها كاظم الصلح، إثر انعقاد مؤتمر الساحل في دار آل سلام في بيروت عام ١٩٣٦، ولخصها اصداؤه في كتيب بعنوان "بين الانفصال والاتصال". فحاول مرة ارتفع صوت من صف المسلمين العروبيين في لبنان يقول بأن الاستقلال يجب أن يتقدم على الوحدة وأن الاعتراف بكيان لبناني مستقل، شرط ارتباطه بالعروبة، هو خير من رفض الكيان وابعاد المسيحيين عن العروبة.

ثمّة محاولة فكرية ثانية قام بها يوسف السودا وشاركه فيها عدد من الشباب المثقف من بينهم تقي الدين الصلح ونصري المعلوف والدكتور أديس إذ اصدروا بعد اجتماعات استغرقت عدة اشهر بياناً سمي "بالميثاق الوطني" يتضمن الخطوط الكبرى لصيغة وطنية جديدة تدور حول مبادئ أساسيين هما: استقلال لبنان والاعتراف بكيانه من جهة وتعاون مع محيطه العربي من جهة ثانية.

واكبر دليل على أن هذه الصيغة الوطنية كانت "في الاجواء" منذ عام ١٩٣٨، أن المؤتمر الوطني الذي اعد في بركي يوم عيد الميلاد ١٩٤٢ واشترك فيه عدد كبير من السياسيين والزعماء من مختلف الطوائف، قد انتهى باصدار بيان يؤكد فيه على تلك المبادئ التي سبق لميثاق يوسف السودا ورفاقه ولبيان كاظم الصلح أن اشاراً إليها.

#### الصيغة ونرجستها

لا شك أن بشارة الخوري ورياض الصلح كانا مطلعين ومتقبلين لاسس هذه الصيغة عند وصولهما الى الحكم، ولكن كيف تم لقاؤهما وكان اتفاقهما على ترجمة هذه الصيغة إلى مواقف وافعال وسياسة وحكم.

لم يكن رياض الصلح شديد الحماس لانتخاب بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية، ولعل السبب يعود الى الصداقة الشخصية التي كانت تربطه بأميل اده، ولكن زعماء الكتلة الوطنية في سوريا والدبلوماسية البريطانية وفوز اللوائح الانتخابية المدعومة منهما، ما لبثت أن اقنعت بتأييده.

يقول الجنرال كاترو في كتابه "في معركة المتوسط" أن انتخاب الشيخ بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية، كان ثمرة اتفاقه مع الوطنيين السوريين والعرب، لا نتيجة "لاتفاقه مع الزعماء المسلمين في لبنان".

ويقول كاظم الصلح في حديث أجرته معه جريدة "النهار" في "العدد الخاص الصادر في نهاية عام ١٩٧٤"، أن الاجتماع الأول بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح عقد في مكاتب جريدة "النداء" التي كان يديرها وذلك عشية انتخاب



الشيخ بشارة الخوري يحطب من على شرفة قصر الرئاسة في القساري

"هذا موقف الذي لم يتغير وأنا سعيد بأن اسمع زعيماً مسيحياً، واعياً لمسؤولياته ومحترماً، كالشيخ بشارة الخوري يوافق على قلبي بأن لبنان هو وطن عربي له وضعه الخاص، فهذه يدي امدتها واعطني يدك لتتفق".

وهنا طرح الشيخ بشارة الخوري السؤال التالي: "هل تعتقد يا رياض، ان اتفاقنا يمكن ان يحظى بتأييد المسلمين في لبنان فيعتبروا لبنان وطناً نهائياً لهم لا مرحلة انتقالية؟ هل تعتقد بأنهم لن يتطلعوا من جديد نحو دمشق ليروا فيها محط آمالهم وآمالهم؟"

وقاطعه رياض الصلح قائلاً:

"- اذا كان اتفاقنا واضحاً وصريحاً وشريفاً وبدون غبن لاحق بأحد، وضامناً لكرامة المسلمين والمسيحيين معاً ومحترماً لمشاعر الفريقين وموزعاً الحقوق بين الجميع بالمساواة، أي إذا كان النظام الذي نسعى إليه يضمن العدل للمسلمين فأنني لا أتعهد بتأييد المسلمين في لبنان له فحسب، بل باقناع كل الحكام العرب ولاسيما السوريين، بالاعتراف باستقلال لبنان وبحدوده الراهنة، اعترافاً أبدياً، وهكذا نطوي صفحة الماضي المريع، ونضع حداً لمعزوفة "الام الحنون" والانضمام الى سوريا ونُدشن عهداً جديداً من الوطنية".

ويقول يوسف يزبك: ان مضمون هذا الحوار لم يبق سراً، بل اطلع عليه كل رفاق الرجلين، ولاسيما رجال الحركة الوطنية في سوريا (شكري القوتلي، سعد الله الجابري، وجميل مردم) كذلك زعماء المسلمين في لبنان (عمر بيهم، عبد الحميد كرامي وأبو علي سلام).

ثمّة اجتماع آخر عقد بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح - بعد انتخاب الاول لرئاسة الجمهورية وتأليف الثاني للحكومة - يروي يوسف يزبك تفاصيله فيقول: "خلال هذا الاجتماع الثاني تم الاتفاق على المبادئ الاساسية لما سمي بالميثاق الوطني وأهمها:

"1- ان لبنان جمهورية مستقلة - سيادة، لا ترتبط

الشيخ بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية. وفي هذا الاجتماع تم الاتفاق على الخطوط الكبرى لما سمي، في ما بعد، بالميثاق الوطني.

أما المؤرخ يوسف إبراهيم يزبك، فإنه روى قصة لقاء الرجلين في مقال نشرته مجلة "الاسبوع العربي" عام ١٩٥٩ ووافق عليه الشيخ بشارة الخوري قبل نشره، ولا ريب في ان ما جاء في مقال المؤرخ يزبك يعبر اكثر من أي مرجع آخر عن الروح التي سادت الجو الذي سبق ولادة الإستقلال، يقول يوسف يزبك: عقد اجتماع اول بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح في عاليه، خلال صيف ١٩٤٣. بدأه الشيخ بشارة الخوري بقوله:

"أنت يا رياض، تجاهد منذ ثلاثين سنة في سبيل القضية العربية، ولكنك لم تتنكر لوطنك الصغير لبنان، فلقد آمنت بوجوده وكنت فخوراً بالانتماء إليه، وبالدور الذي قام به في خدمة القضية العربية ايام العثمانيين، ولقد صرحت مراراً بأن لبنان قادر أن يصبح وطناً عربياً مستقلاً، له طابعه الخاص، يتمتع المسيحيون فيه بالحرية والاطمئنان والكرامة، واعرف انك قادر، مع رفاق جهادك ان تكتبوا صفحة جديدة من حياتنا الوطنية تمحو الصفحة التي أراد الاجنبي ان يفرضها علينا. فما رأيك في اتفاق بيننا على مبادئ أساسية واضحة ترضي الجميع وتطبق على كل اللبنانيين، وتتفق مع النهضة العربية التي نصبو اليها جميعاً" فأجاب رياض الصلح قائلاً:

"- ان نصالي من اجل القضية العربية كان نضالاً من اجل لبنان ايضاً، وانت تعرف ان بعض رفاق جهادي قد انتقدوني من اجل بعض المواقف واتهموني بان سياستي هي لبنانية واقليمية، ولقد اجبتهم آنذاك بأن من يعمل لحرية لبنان يعمل لحرية العرب كما ان من يناضل من اجل القضية العربية يناضل من اجل لبنان. كنت أنت اول من صفق للخطاب الذي القيته وجاء فيه قلبي: "افضل ان اكون مواطناً مستقلاً من كفرديان على أن اكون مواطناً في امبراطورية عربية يحكمها الاستعمار".



العربي) أو إلى القرن السادس (ظهور المارونية وتدرجها إلى جبل لبنان) .

ولدى استعراض هذه الأحداث والتطورات ومجرى تنابذها يتوصل الإنسان إلى خلاصة أولى وهي أنها أحداث وتطورات، كان من شأنها تبرير ولادة الميثاق الوطني وتبرير نقضه في آن واحد . فالذين "قدسوا" الميثاق واعتبروه نهائياً يجدون في تاريخ لبنان أكثر من مبرر لموقفهم . كذلك الذين انتقدوا الميثاق أو أنكروه . أن تقييم الميثاق الوطني وما حدث عام ١٩٤٣ ، يمكن أن ينظر إليه من زوايا مختلفة .

## ١ - النظرة التاريخية

يقول اصحاب هذه النظرة ان الميثاق الوطني هو "تجسيد لآمال ومعاناة اللبنانيين خلال قرون . فلقد ناضل اللبنانيون ضد العثمانيين في عهد الامارة المعنية والامارة الشهابية ، ثم ناضل موارنة الجبل منذ مطلع القرن التاسع عشر وطوال عهد المتصرفية للحصول على مزيد من الحكم الذاتي والاستقلال كما ناضلوا لايجاد كيان وطني وسياسي . فكانت ولادة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ . ولم يكف السياسيون اللبنانيون اثناء عهد الانتداب عن المطالبة بالاستقلال التام . ولذلك فان بلوغ الاستقلال عام ١٩٤٣ جاء تتويجاً لهذا النضال الطويل من اجل انشاء وطن واستقلاله . والجدير بالذكر ان "القوميين العرب" ايضاً يشاطرون "القوميين اللبنانيين" هذه النظرة التاريخية لاحداث ١٩٤٣ ولكن من منطلق مختلف . إذ يعتبرون الميثاق الوطني تتويجاً لنضالهم طوال ربع قرن ضد الانتداب الفرنسي . ولعل كمال جنبلاط اصاب في قوله: ان "الميثاق الوطني هو محور التأليف بين الفكرة العربية والفكرة اللبنانية" .

## ٢ - النظرة الاقتصادية - الاجتماعية

اصحاب هذه النظرة من العقائديين ، يقولون بان الميثاق هو النتيجة الطبيعية لتطور البنيات الاجتماعية ولارادة العيش المشترك ، فالطائفية السياسية لم تكن موجودة في لبنان قبل القرن التاسع عشر . ولو كانت موجودة لما استطاع الموارنة الانتشار من شمالي لبنان إلى جنوبيه . ولما تقبل سكان المناطق الدرزية والشيعية الهجرة المسيحية . أما إرادة الاستقلال عن الاجنبي والتحرر السياسي فقد عبرت عنها عامية انطلياس (١٨٤٠) وثورة طانيوس شاهين في كسروان (١٨٥٨) . وما اعدام الشهداء اللبنانيين في ٦ أيار ١٩١٧ وانتفاضة الشعب في تشرين ١٩٤٣ ، إلا دلائل على

بأي معاهدة أو اتفاق مع أي دولة اجنبية .

٢ - لبنان ذو وجه عربي لغته هي اللغة العربية ، وهو جزء لا يتجزأ من العالم العربي . ولكن له وضعه الخاص . كما ان عرويته لا تلزمه بقطع علاقاته الثقافية والحضارية مع الغرب .

٣ - يجب توزيع الوظائف العامة بالعدل والتساوي بين الطوائف .

ويعلق يوسف يزبك على ذلك بقوله: ان هذه المبادئ تفترض ، ضمناً ، ان يتخلى المسيحيون عن مطلب الحماية من الغرب وبنوع خاص من فرنسا وعلى ان يتخلى المسلمون عن مطلب الانضمام إلى كيان سياسي عربي .

ويختتم يزبك مقاله بقوله: لقد عرضت هذه الوقائع قبل نشرها على الشيخ بشاره الخوري ، فقرأها ووافق عليها و اضاف عليها ما يلي:

" - أريد ان اضيف عليها أن الغاية من هذا الاتفاق كانت:

- بلوغ الاستقلال التام والناجز للبنان ، عن الشرق والغرب .

- لا حماية ولا وصاية ولا امتيازاً ولا مركزاً ممتازاً لمصلحة أي دولة .

" - التعاون إلى اقصى حدود التعاون مع الدول العربية .

- الصداقة مع كل الدول التي تعترف باستقلالنا وتحترمه " .

واضاف الشيخ بشاره:

" - ان الميثاق الوطني لم يكن مجرد مصالحة بين طائفتين فحسب ، بل انه صهر عقيدتين في واحدة . عقيدة أولى كانت تدعو إلى دمج لبنان في كيان وطني اكبر ، وثانية كانت تؤمن بضرورة ابقاء هذا الكيان محمياً من الغرب . جاء الميثاق ليلغي هذين الاتجاهين بالتفهم والتفاهم ، وليحل محلهما عقيدة واحدة ، وطنية لبنانية " .

وختم الشيخ بشاره الخوري حديثه قائلاً:

" - حتى اذا افترضنا ان الميثاق الوطني كان تسوية بين طائفتين أو بين بيئتين ، أو بين الطوائف اللبنانية ، فكيف يمكن تجاوزه قبل ان نجد صيغة جديدة للتعايش والوثام تحل محله؟ "

## تقييم احداث عام ١٩٣٧

إن من يستعرض الاحداث التي تعاقبت على "جبل لبنان" ثم على لبنان الكبير أو يقبصر في التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي تتابعت منذ منتصف القرن التاسع عشر مستكشفاً القوى النابذة التي باعدت أو قربت بين ابناء هذه البقعة من الأرض قبل ان تصبح وطناً موحداً ودولة مستقلة يجد نفسه مضطراً إلى التوغل بعيداً في التاريخ ، ليصل إلى القرن السابع (ظهور الاسلام والفتح



■ في اليسار الشيخ بشارد الخوري ورياض الصلح ومحمد ارسلان وحولهم بعض الصباط سبهم اللواء فؤاد شهاب واميل بستاني.

رئاسة الوزراء لتغيرت سيرورة الاستقلال فتأخر سنتين او ثلاثاً. ويؤكد هؤلاء ان الاتفاق بحد ذاته، كان أقرب الى التسوية منه الى ايجاد قواعد واضحة. فالميثاق في نظر اصحاب النظر السياسية كان مجموعة حلول وسطية بين العروبة واللبنانيين، بين الوحدة والحماية، بين الشرق والغرب، بين امانى المسلمين وامانى المسيحيين. إن من يستعرض الاحداث التي عاشها لبنان عام ١٩٤٣ لا يستطيع الا الاعتراف بأن السياسيين كانوا مضطرين الى الاتفاق على تسوية وطنية وسياسية لبلوغ الاستقلال الذي كانت الظروف الاقليمية والدولية مؤاتية له. كما كان من الطبيعي ان تكون التسوية مستوحاة من محاولات تأليفية وطنية جرت قبل ذلك واشترك في صياغتها مسلمون ومسيحيون. عربيون ولبنانيون.

### ٤ - النظرية الطائفية

اصحاب هذه النظرية سواء كانوا ينتمون الى اليسار الماركسي أو الى اليمين المسيحي، يقولون أن الميثاق كان "اتفاقاً طائفيّاً" أو "اتفاقاً يكرس الطائفية". فالشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح اتفقا على ابقاء دستور ١٩٢٦ ولاسيما المادة ٩٥ منه التي تكرس النظام الطائفي. كما انهما الفا أول حكومة استقلالية على أساس توزيع المقاعد الوزارية بين الطوائف الست الكبرى. وإن كل العهود التي تعاقبت بعد الاستقلال سارت على هذا المنوال.

بعض المعلقين على هذه النظرية الطائفية

وجود الارادة الشعبية الداعية لحقها في الاستقلال. القائلون بهذه النظرية يرون ان انتشار الوعي بين الفلاحين اللبنانيين في القرن التاسع عشر وتجارة الحرير مع فرنسا هما ما اديا الى خلق طبقة وسطى كان من مصلحتها ازالة حكم الاقطاع. كما ان نضال الطبقات البورجوازية دفاعاً عن مصالحها الاقتصادية ضد الفرنسيين هو ما ولد الضمير الوطني ووجد المسلمين والمسيحيين في جبهة نضال واحدة. كذلك وعي رجال الاعمال واصحاب المهن الحرة لما يوفره المجال الحزبي العربي من امكانيات هو ما حملهم على الاتفاق مع الحركة الوطنية العربية ضد الانتداب الفرنسي.

### ٣ - النظرية السياسية:

اصحاب هذه النظرية يقولون ان الميثاق الوطني وما حدث عام ١٩٤٣، لم يكن الا "تسوية" أو "صيغة سياسية" للتوصل الى الاستقلال، وهو لا يخرج عن كونه "صيغة التعاون" بين سياسيين ينتمون الى ايدولوجيتين مختلفتين.

يدعم اصحاب هذا التفسير السياسي مقولتهم هذه بحجج عديدة منها ان الشيخ بشاره الخوري ورياض الصلح لم يجتمعا ويتفقا الا في صيف ١٩٤٣، وان التباين العقائدي بين المسيحيين والمسلمين وبين "القوميين العرب" و"القوميين اللبنانيين" كان لا يزال قائماً بل ومعتدماً الى حد ما حتى اواسط عام ١٩٤٣.

يقول هؤلاء انه لو لم ينتخب الشيخ بشاره الخوري لرئاسة الجمهورية ويأت رياض الصلح الى



LE GENERAL D'ARMÉE GEORGES CATROUX.

BEYROUTH, le 20 Novembre 1943

Monsieur le Président,

Mon dessein était de vous rendre  
à la liberté ainsi que vos compagnons d'inter-  
nement Dimanche 21 courant.

Une complication subite et  
indépendante de ma volonté m'empêche, à mon vif  
regret, de donner suite à ce projet. Je pense  
cependant que votre libération ne subira qu'un  
léger retard.

Agréez, je vous prie, Monsieur  
le Président, l'expression de ma haute  
considération ./.



S.E. le Président Béchara EL KHOURY

-:-

■ رسالة الجنرال كاترو الى الرئيس بشارة الخوري

يقولون ان الغاية الاساسية للميثاق كانت تقضي بتجاوز الطائفية يوماً (يستشهدون ببيان رياض الصلح الوزاري الذي ادان فيه الطائفية وتمنى الغاءها) ولكن رجال السياسة والاقطاع والبورجوازية الذين حكموا باسم الميثاق، قد طيّفوه باضافة التوازن الطائفي إلى محتواه، وذلك من اجل المحافظة على امتيازاتهم السياسية ومصالحهم الاقتصادية.

## ٥ - النظرة الشخصية

هنالك اخيراً اصحاب النظرة الشخصية، اي هؤلاء الذين يقولون بأن ميثاق ١٩٤٣ ليس الا اتفاقاً شفويّاً شخصياً، تم بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح أو "كلمة شرف" اتفقا عليها بعد وصولهما الى الحكم، واتفاقهما على بلوغ الاستقلال التام.

يستند اصحاب هذه النظرة الى ظروف لقاء الرجلين والاحاديث التي تبودلت بينهما، وإلى فشل الصيغة بعد تركهما الحكم، واستناداً الى تلك اللقاءات والاحاديث يمكن القول بأن سوريا كانت الطرف الثالث في ميثاق ١٩٤٣، باعتبار ان الشيخ بشارة الخوري اتفق مع الزعماء الاستقلاليين السوريين على الصيغة الوطنية للاستقلال اللبناني، وان رياض الصلح والزعماء المسلمين ما كانوا لينضموا الى هذه الصيغة لولا قبول الحركة الوطنية السورية بها.

استناداً الى هذه النظرة الشخصية للامور يمكن القول أيضاً بأن بشارة الخوري ورياض الصلح لم يبتكرا ميثاق ١٩٤٣ بل تبنيها صيغة كان قد اشترك في بلورتها واخراجها سياسيون ومفكرون آخرون قبلهم أبرزهم: ميشال زكور، يوسف السودا، عزيز الهاشم، كاظم الصلح.

## خلاصة

حتى اواخر عام ١٩٤٣، لم تكن عبارة "الميثاق الوطني" قد لفظت، ولم ترد في الادب الرسمي أو السياسي إلا في عام ١٩٤٥ عندما اخذ الشيخ بشارة الخوري يرددها في خطبه اثناء الجولة التي قام بها في المناطق اللبنانية.

إلا ان ما اتفق عليه الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح في صيف ١٩٤٣ لبلوغ الاستقلال التام الناجز والتعاون مع الدول العربية وضع موضع التنفيذ ابتداء من عام ١٩٤٣ عندما عدل الدستور ودخل لبنان في جامعة الدول العربية ورفض عقد معاهدة مع فرنسا.

وفي عهد الشيخ بشارة الخوري، طبق هذا الاتفاق بدقة، فرفضت الدولة اللبنانية دخول الاحلاف العسكرية الغربية وحارب لبنان مع الدول العربية في فلسطين ورفض مشاريع الهلال الخصيب وسوريا الكبرى.

والحقيقة ان ما حصل عام ١٩٤٣ لم يكن عملاً بطولياً قام به رجلان ولا لعبة انكليزية، غايتها اخراج فرنسا من الشرق كما لم يكن تنويجاً لنضال اللبنانيين التاريخي من اجل الاستقلال والتحرر، ولا كان نتيجة طبيعية لتطور البنيات الاجتماعية والاقتصادية بل كان خلاصة كل هذه العوامل مشتركة أو على الاصح لعبت كل هذه العوامل والعناصر في تكوينه أو صيرورته.

فبشارة الخوري ورياض الصلح كانا مؤهلين اكثر من غيرهما شخصياً ونفسانياً وسياسياً للقيام بهذا الدور، والسياسة البريطانية لم تكن تعكس آراء الجنرال سبيرس الخاصة بمقدار ما كانت تتلاءم مع مصالح الحلفاء قبيل انتهاء الحرب، ومنها أن تبلغ الدول العربية استقلالها وان توحد كلمتها في جبهة موالية للعرب.

كذلك لا يمكن اهمال التطور الاجتماعي والاقتصادي في لبنان خلال السنوات العشرين التي سبقت الاستقلال، والذي افرز اجيالاً جديدة، ليس للاعتبارات الطائفية التأثير الاول على تفكيرها، ولا ريب ايضاً في ان الاستقلال كان امنية اقوى من ان تقاوم أو ترفض.

غير ان شكلية ما حدث عام ١٩٤٣، بدأت بعد الاستقلال، فما ان نعم اللبنانيون بهذا الاستقلال حتى وقع اخطر حدث عرفته هذه المنطقة منذ ٣ آلاف سنة الا وهو قيام دولة اسرائيلية - عنصرية، توسعية، يساندها الغرب على حدود لبنان، وتلى ذلك ظهور النفط العربي، كأهم مصدر للطاقة في العالم للنصف الثاني للقرن العشرين، الامر الذي حول الشرق الاوسط الى ميدان للحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية.

إن اسرائيل والنفط والصراع الاميركي - السوفياتي، جعلت الاستقلال اللبناني والميثاق الوطني اشبه بريشتين في مهب المصالح الدولية.

وكان ان تحول الاستقلال والميثاق من قاعدتين لبناء مستقبل الشعب اللبناني، الى وسيلتين لتفكيك وحدة لبنان شعباً وكياناً.

ولسوء الحظ، ساعد السياسيون اللبنانيون تلك القوى الخارجية في بلوغ غاياتها وما الحرب اللبنانية الحالية الا شاهد ودليل على ذلك.





# عودة إلى التراث

## كتاب الجاحظ البيان والتبيين

د. سيد نوفل

في تاريخ العرب تراث أدبي، خصوصاً في ما يتعلق بالكلام، ضخّم وزاخر بكل ما يلقي الضوء على تطور اللغة العربية وآدابها على امتداد العصور.

بين هذه الكتب، كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ "أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ" موجه الفكر والأدب العربيين لعدة قرون منذ نهاية القرن الثاني الهجري، وبينها أيضاً كتب في النحو والصرف والعروض لأئمة في هذه العلوم.

و"تاريخ العرب والعالم" ستحاول أن تقدم عرضاً لبعض كتب هذا التراث في اعدادها المقبلة.

وأول مقال في هذا المجال للدكتور سيد نوفل عن كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ.

وكتاب "المحاسن والاضداد" ابرز كتب الجاحظ دلالة على جدله، يعرض محاسن الشيء ومساوئه... بل ان الجدل، والقصد الى تعليمه للناس، ظاهر في رسائله الادبية، ففي رسالة "التربيع والتدوير" التي يهجو فيها الوزير احمد بن عبد الوهاب يداعبه برفعه وخفضه، وان كان الخفض والرفع معا للسخرية.

ومن فتنة الجاحظ، واقتناعه بطريقة المتكلمين وفكرهم، تمنى اجتماع العلم والكلام عنصريين متكاملين في فكر المتكلم والعالم معا... وقال: "وما اهوينا واحوج جميع المرضى الى أن يكون الاطباء متكلمين، والى ان يكون المتكلمون علماء، فان الطب لو كان من نتائج حذاق المتكلمين ومن تلقيحهم له، لم نجد في الاصول التي يبنون عليها من الخل ما نجد"، ومن هنا صح وصف ابن العميد لكتب الجاحظ بأنها "تعلم العقل اولا والادب ثانيا".

الجدل وعلم الكلام أوضح ما يكونان في جميع كتب الجاحظ، مع روعتها الفكرية والعلمية والادبية... فهو يفتتح "البيان والتبيين" بجدل طويل بارع مفيد حول البلاغة والخطابة، والاحتجاج لرأي صاحبهما على رأي صاحب الصمت والسكوت، وايراد واف أمين لما يمكن ان يقال ترجيحاً لكلا الرأيين...

وكتاب "الحيوان" يتألف من مناظرات شتى بين صاحب الكلب او صاحبه وصاحب القط، او بين صاحب الديك وصاحب الكلب، او بين صاحب الحمام وصاحب الديكة، او بين صاحب الديكة وصاحب الغربان، او بين غيرهما من كل محتج لحيوان، مفضل له على ما عداه. وكذلك النملة تجد لها صاحباً متحمساً، يؤثرها على غيرها، ويطنب في ذكر مزاياها وفضائلها، ويستشهد بأي الذكر الحكيم من سورة النمل في القرآن الكريم...

## اغراض الكتاب واثره

ومن اواخر مؤلفات الجاحظ الكثيرة كتابه: "البيان والتبيين"، وقد قصد به التعريف بالبيان والبلاغة والخطابة، وذكر محاسنها ومساوئها وشرح فنونها والوانها، وان يعين الوزراء والكتاب وسائر المثقفين لذلك العصر في ما ينشدون من تفوق في فن الادب...

وفي هذا الكتاب عناية بالناحية التطبيقية من عيوب النطق، وارتفاع الصوت وانخفاضه، ومظهر الخطيب والشاعر، ومن الایجاز والتكرار والاطناب، ومن الاشارة والتلميح... كما عني بتعريف البيان والبلاغة وفنونهما، واللفظ والمعنى، والنظم والاعجاز. ووجه عنايته الاولى الى ايراد الشواهد والامثال من الادب المعاصر له والسابق لعهد...

ومعاصرو الجاحظ من تلاميذه، وممن اتوا بعده من الكتاب والادباء والمؤلفين، قد تأثروا به وبكتابه: "البيان والتبيين" اعظم تأثير...

ويكفي ان نشير الى كتاب "الكامل" للمبرد، و"ادب الكاتب" لابن قتيبة و"ادب الكاتب" للصولي، و"كتاب الكتاب" لابن دروستويه، ويكفي ان نذكر "الصناعتين" لابي هلال العسكري، و"العمدة" لابن رشيقي و"سر الفصاحة" لابن سنان...

وليس أبو هلال الا شارحا للجاحظ، جامعا للمتفرق عنده. وقد تحدث عن كتاب "البيان والتبيين" بعد ان أورد طرفا من تخطيط بعض المتحدثين في علم البلاغة فقال: "ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل، ومكانه من الشرف والنبيل، ووجدت الحاجة اليه ماسة، والكتب المصنفة فيه قليلة، وكان اكبرها واشهرها كتاب "البيان والتبيين" لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وهو لعمرى كثير الفوائد، جم المنافع".

## البيان ومسائله عند الجاحظ

وعرف الجاحظ البيان تعريفا عاما فقال: "انه اسم جامع لكل شيء كشف قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع الى حقيقته ويلم بما فيه".

وشرح هذا بأن "غاية القائل والسامع، انما هي الفهم والافهام، فبأي شيء بلغت الافهام وأوضححت عن المعنى، فذلك هو البيان".

وعرفه في هذا الموضوع نفسه تعريفا اخر، فقال: "انه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي، وان البيان بهذا المعنى هو الذي دعا اليه الله، ونطق به القرآن. وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت وأصناف العجم..."

ومهد لهذا التعريف بذكره "ان المعاني مستورة



كتاب "الحبوان" للجاحظ. زوجة تعيسة تشكو لصديقها حمل زوجها. بأذن من مكتبة الامبروزيانا بميلانو.



وكذلك تحدث الجاحظ في اسهاب عن التشبيه،  
والمجاز، والاستعارة، والمثل بمعنى المجاز أو  
مقابل الحقيقة والكناية بمعنى عام.

### الايجاز عند الجاحظ

ورأى الجاحظ في الايجاز يمثل حقاً فكره المتطور  
وعقله الرائد، فقد عني العرب في الجاهلية  
بالايجاز واعتبروه البلاغة الحققة. وأتى الاسلام  
فامتدحه الكتاب وتفننوا فيه، حتى ود بعضهم لو  
أن الكلام كله توقيعات. واغلب الظن ان الامية في  
الجاهلية والاعتماد على الذاكرة كان من دواعيه،  
كما اقتضاه تدوين الرسائل في الاسلام، اذ يتطلب  
قراطيس كان الحصول عليها شاقاً. يروى ان عمر  
ابن عبد العزيز كان اذا طلب منه كتابه قراطيس،  
امرهم بالايجاز والاكتفاء بما عندهم منها، ففي  
الايجاز بلاغة وقصد. ويضاف الى هذا انقطاع طائفة  
من الادباء للكتابة، وما يؤدي اليه الانقطاع  
والتخصص من التفنن في الايجاز المطلوب بل  
والاسراف فيه احياناً.

اما الجاحظ فقد ورد الايجاز عنده بمعنى حذف  
الفاصول. واحترز مما قد تدل هذه العبارة عليه من  
ان الايجاز يعني قلة اللفظ على الاطلاق، فنص  
على "أنه لا يعني الاختصار ولا قلة عدد الحروف  
واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه  
في ما يسع بطن طومار فقد أوجز. فالحذف لما لا  
يكون سبباً في اغلاق المعنى وما يحدث التكرار  
بذكره، والخلل في ايراد ما لا حاجة اليه  
لوضوحه".

وشرح هذا في صدر الجزء السادس من كتاب  
الحيوان، فقال بعد ان عدد ما ذكره من انواع  
الحيوان والطيور والحشرات: "وقد بقيت ابواب  
توجب الاطالة وتخرج الى الاطناب، وليست باطالة  
ما لم تجاوز مقدار الحاجة... وانما الالفاظ على  
اقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها،  
وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني  
المفردة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الالفاظ  
الى اقل مما تحتاج اليه المعاني المشتركة  
والجهات الملتبسة. ولو جهد جميع اهل البلاغة ان  
يخبروا من دونهم عن هذه المعاني بكلام وجيز،  
يغني عن التفسير باللسان والاشارة باليد والرأس،  
لما قدروا عليه. وقد قال الاول: اذا لم يكن ما تريد

فأرد ما يكون. وليس ينبغي ان يسوم اللغات ما  
ليس في طاقتها ويسوم النفس ما ليس في  
جبلتها. ولذلك صار يحتاج صاحب كتاب المنطق  
الى أن يفسره ممن طلب من قبله علم المنطق،  
وان كان المتعلم رقيق اللسان حسن البيان. الا أني  
لا اشك على حال أن النفوس اذا كانت الى  
الطرائف أحسن وبالنسوار اشغف، والى قصار

مكنونة وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف  
الانسان ما في ضمير اخيه الانسان منها. وحياتها  
في ذكر الناس لها واخبارهم عنها واستعمالهم  
اياها، وبهذا تقرب من الفهم وتظهر وتؤلف.  
واقدار المعاني وظهورها متصلة باقدار الدلالات  
ووضوحها، والاشارات وصوابها، والايراد  
وحسنه...".

وبعد ان يورد هذا وذاك، يذكر اصناف الدلالات  
من "لفظ واشارة وعقد وخط وحال، اذ جميعها تدل  
وجميعها تبين".

وفي هذا، نرى نزعة الجاحظ الى تمام الافهام  
وحسن التجلية للمعاني كما ان حديث الجاحظ لا  
ريب عن المعاني وموتها وحياتها، وحظ الالفاظ  
بخاصة والدلالات بعامه في البيان عنها - فيه  
تفكير وعمق.

وذكر الجاحظ مسائل بعيدة عن علم البيان  
المتأخر. فعرض لتناثر الالفاظ والحروف والغرابة  
وما اليها مما يذكر في باب البلاغة. ومعروف ان  
هذه المسائل وضعت أخيراً في باب الفصاحة، وجعل  
البيان علماً خاصاً ببحوث التشبيه والمجاز والكناية  
ويلاحظ كذلك أن الجاحظ جعل عنوان كتابه  
"البيان والتبيين"، وأورد فيه أموراً متنوعة متصلة  
بالبلاغة والخطابة، وضمنه نثراً ونظماً... وهذا كله  
من البيان عنده. وعقد باباً خاصاً للبيان تحدث فيه  
عن البلاغة....

ومن هنا يتأكد ان الفرق بين البلاغة والبيان لم  
يكن ظاهراً حينئذ بل ان الترادف بينهما ظل موجوداً  
الى العصور المتأخرة. فيسمون العلوم الثلاثة علوم  
البلاغة أو البيان ويسمون البلاغة براعة وبياناً  
وفصاحة أيضاً.

على أن بعض بحوث البيان بالمعنى الاصطلاحي  
كانت معروفة عندهم، وكان يطلق عليهم اسم  
"البديع".

فالجاحظ يقول: وكان العتابي يحتذى حذو بشار  
في البديع، ولم يكن في المولدين اصوب بديعاً من  
بشار وابن هرمة. والبديع هنا اسم شامل للعجاز  
وما اليه من الصور البيانية. ويتبين هذا من ايراد  
الجاحظ لآيات منها:

هو ساعد الدهر الذي يتقى به

وما خير كف لا تنوء بساعد

وتعليقه عليه بقوله: "قوله هم ساعد الدهر انما  
هو مثل، وهو الذي يسميه الرواة "البديع"، وقد  
قال الراعي:

هو كاهل الدهر الذي يتقى به

ومنكبه ان كان للدهر منكب  
وقد جاء في الحديث "موسى الله احد، وساعد  
الله أشد" والبديع مقصور على العرب، ومن أجله  
فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان...  
والراعي كثير البديع في شعره، وبشار حسن  
البديع، والعتابي يذهب شعره في البديع.



■ العبد يطلق الطير من القفص • بأذن من مكتبة الامبروزيانا بميلانو •

لقد جمع ما ينطق بفنونها من كلام سابقه ومعاصريه، واضفى عليه من شروحه و اضافاته وقدمه في بيانه الفذ البارع . . .

وقد زالت بعض الموضوعات التي اثارها في هذا الميدان، وعدل بعض ما أورده تعديلا كلياً أو جزئياً . لكنه فتح باباً لم يسبق اليه، وظهرت اثاره واضحة في مناهج المؤرخين لهذا العلم من بعده، وظلت المسائل التي تحدث عنها، والامثلة التي اوردها مناط البحث ومدار الشرح والتأويل . . .

ولو قدر لنهج الجاحظ الادبي أن يسود دون منازع، ما انتكس علم البلاغة العربية على يد السكاكي واضرابه من الاعاجم، الذين اثقلوا كاهله بالفلسفة والايغال في الابواب والاقسام، وجردوه من روحه الوضاعة الملهمة . . .

ولهذا لم يجد المحدثون بدا، حين اتجهوا الى تطوير علوم اللغة، من الرجوع الى الجاحظ، يطلبون منه العون لاهياء علم البلاغة، وقد وجدوا عنده نعم العون، ونعم المصدر الفياض الخصيب .

الاحاديث اميل وبها أصيب، انها خليفة لاستثقال الكثير وان استحققت تلك المعاني الكثيرة، وان كان ذلك الطويل أنفع، وذلك الكثير أود .

ثم فسر الايجاز تفسيراً واسعاً بمعنى أداء حاجة المعنى، سواء أكان ذلك الاداء في الفاظ كثيرة أم قليلة . ثم قرر ان هناك معاني مشتركة مبهمه تحتاج الى ايضاح واسهاب في التعبير عنها، كما ان هناك معاني مفردة يكفيها قليل اللفظ، وهو يعتذر عن البسط والاسهاب، ويقول اتهما أمر لا مناص منه "ولا سبيل الى ما سوى الرضا عنه"، ثم يتحدث عن اللغة وطبيعتها، والنفس وجيلتها، حديثاً يناسب ما عهد فيه من الربط بين الادب وحال النفس .

والاسهاب عنده انما "يكون خطلاً وهذراً حين يفضل عن مقدار الاحتمال ويدعو الى الملل، اذ للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية" .

وبعد، فان الجاحظ بكتابه "البيان والتبيين" يعتبر مؤسس علم البلاغة العربية وما يتصل بها مما سمي بعد: البيان والمعاني والبيديع . . .

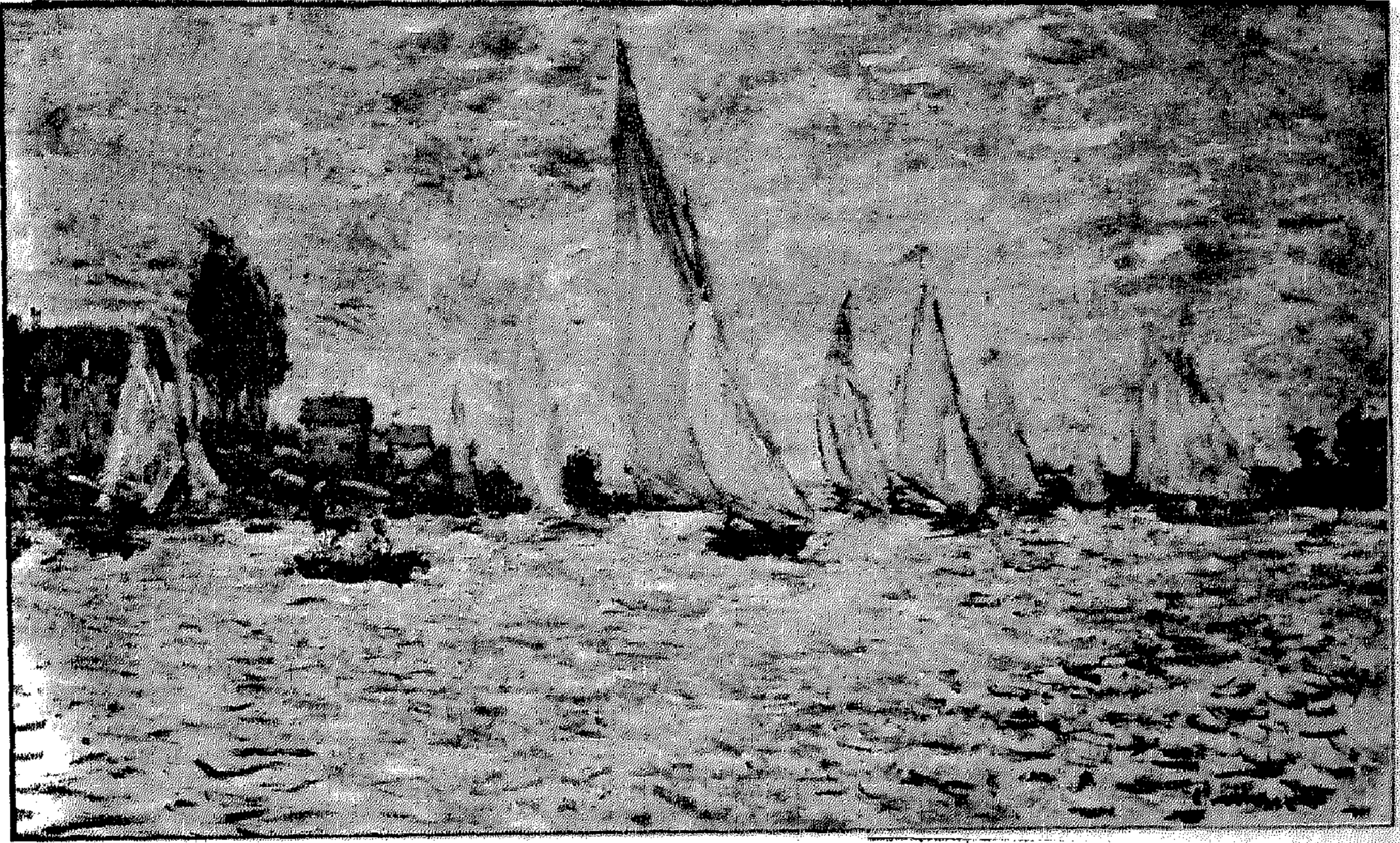


# قوة الصورة

... في اللوحة والطبيعة والواقع ؛

رينيه هويغ

عضو الاكاديمية الفرنسية



■ "القارب - المعمل" للرسم كلود مونه ١٨٦٦

"قوة الصورة" هو عنوان كتاب للكاتب الفرنسي رينه هويغ عضو الاكاديمية الفرنسية وهو من كبار الفنانين المعاصرين وله كتب كثيرة مترجمة الى معظم اللغات الحية اهمها: "حوار مع المرئي"، "الفن والروح"، "الفن والانسان".

في كتابه هذا يعرض خلاصة تجربة حياة عاشها سنوات طويلة، كمدير متحف وكأستاذ يدرس الفن. فيحاول ان يقدم تحليلاً نفسياً للفن، جديداً واسعاً، فيتوغل في عالم الانسان الداخلي، بدءاً من المرئي الظاهر، وفي هذا يحقق ثلاثة اهداف: الاول تحديد عصرنا ومشكلاته، والثاني تحديد مركز الفن كصلة ضرورية بين الذات المعزولة والكون، والهدف الثالث ايضاح كيفية النظر الى اللوحة الفنية، والنفاذ الى اسرارها، ومعرفة رسالتها.

وفي ما يأتي فصل من الكتاب بعنوان "حضارة الصورة":  
اثار الفن اهتمام الانسان في مختلف العصور، لكن هذا الاهتمام صار ولعاً وهياماً في عصرنا الحاضر.

هذا عائد الى اننا لم نعد اليوم اشخاصاً يعيشون في التأمل والعزلة، منقطعين الى عالمهم الداخلي، بين الكتب والموسيقى. ان صدمات العالم الخارجي، المحسوس، الصارخ تهزنا وتسيطر علينا. وتهاجمنا الحياة الحديثة بالعين والاذن وشهوة الجسد.

من هنا سيادة الصورة. تحاصر الانسان، تثير انتباهه وتستولي عليه، تغنيه عن القراءة أو تصرفه عنها.

سمى بعض الباحثين حضارة العصور التي تلت عصر النهضة "حضارة الكتاب"، وقد تخطى الزمن هذه التسمية، وصار من الضروري في هذا القرن أن تستبدل بتسمية جديدة هي "حضارة الصورة".

هذا الولع بالصورة الى درجة الانبهار والعبودية أحياناً هيأ للوحة الفنية مجدها الحالي. فهي كالصورة الفوتوغرافية تخاطب العيون التي تزداد يوماً بعد يوم، نهماً وشراهة الى غداء بصري دائم. لكن اذا كان نجاح اللوحة الفنية يعكس ظاهرة انتشار الصورة، وبات اليوم سبباً ونتيجة، فانه في الوقت نفسه عنصر تعويض وتلطيف.

### سرطان اجتماعي

وقد وصف احد الباحثين سيطرة الصورة بأنها "سرطان اجتماعي"، ذلك انها تقود الانسان الحديث الى السلبية والاستسلام، حيث يستعيز عن التأمل الواعي، بألية الفعل المنعكس.

وعبر عن هذه الحالة، في استفتاء خاص، احد الشبان المأخوذون بالتلفزيون، فقال: "أنا مدمن على الصور، بحاجة دائمة الى جرعة شافية منها. لم اعد اشتري أي كتاب، فقد اغتاني التلفزيون عن الكتب. ومنحني، فوق ذلك، الراحة، والكأس، والكرسي... انه وسيلتي للقضاء على الضجر، لقتل الوقت... لا يهمني شيء في الحياة. لا هدف لي. والتلفزيون يخلص الانسان من الانشغال بالهدف".

غير ان الفن الذي يستخدم الوسيلة ذاتها، أي الصورة، يقدم لنا الترياق ضد ذلك السم التلفزيوني. ذلك ان الصورة في الفن هي، في آن واحد، علامة وخميرة. هي الحرية.

فهي العلامة، لأنها تعكس قدرة الفنان على خلق رؤيا جديدة تغني العالم بتنوعه، بدل ان تفقره بنسخة.

وهي الخميرة لأنها تؤثر في المشاهد وتحركه، على نقيض ما يفعل الاعلان والتلفزيون والسينما،

فهذه، جميعاً، تخدر طاقة المراقبة وتوقظ الانفعال ووداعة الانتباه، واستسلامه.

الصورة في الفن توقظ الوعي، وتستلزم الانتباه الحاد، لكي يمكن النفاذ الى اسرارها، ونقدها، وتقييمها. وهذا يتطلب من المشاهد أن يرتفع بحساسيته الى مستوى حماسه.

والاثر الفني يخضع لايقاع الملاحظة الذي يقرره المشاهد، بحيث يطيل النظر والتأمل كما يشاء. هكذا يبقى المشاهد، مهما تأثر وانفعل، سيد نفسه.

والواقع ان الفن يقوي سيطرة الانسان على نفسه وعلى الطبيعة معاً.

فمنذ ما قبل التاريخ، في الحياة البدائية، كان الفن ممارسة للشعور بالسيطرة على العالم الخارجي، وتوكيداً لهذا الشعور. من هنا، كان الفن، منذ نشأته، مرتبطاً بالسحر. ولقد طور السحر علاقة الانسان بالطبيعة. فلم تعد، معه، الصورة اثرأ تتركه يد الانسان على الواقع الطبيعي، بل اخذ الفن يهدف الى نسخ صورة هذا الواقع، ليؤلف منها "واقعاً ثانياً" أي ليجعل المفرد مثنى، يمتلك واحداً منهما. في حين ظل المثنى، الاصل والصورة، واحداً. لهذا كان لهما، بالضرورة، مصير واحد. كان التمثال الذي يقيمه النحات امام الله، في المدنيات الاولى، يقوم مقام الشخص الذي يمثله، فيحقق بذلك تأدية الصلاة المستمرة، تأدية العبادة التي لا يسمح الموت باستمرارها، وقد لا تسمح الحياة.

وها نحن، في العصور الحديثة، نسير خطوة ثانية: الرسام القادر على أن ينسخ بريشته المظاهر الانسانية أو الطبيعية، يشعر انه "سيد الطبيعة ومالكها".

### الواقعية والاكتشافات

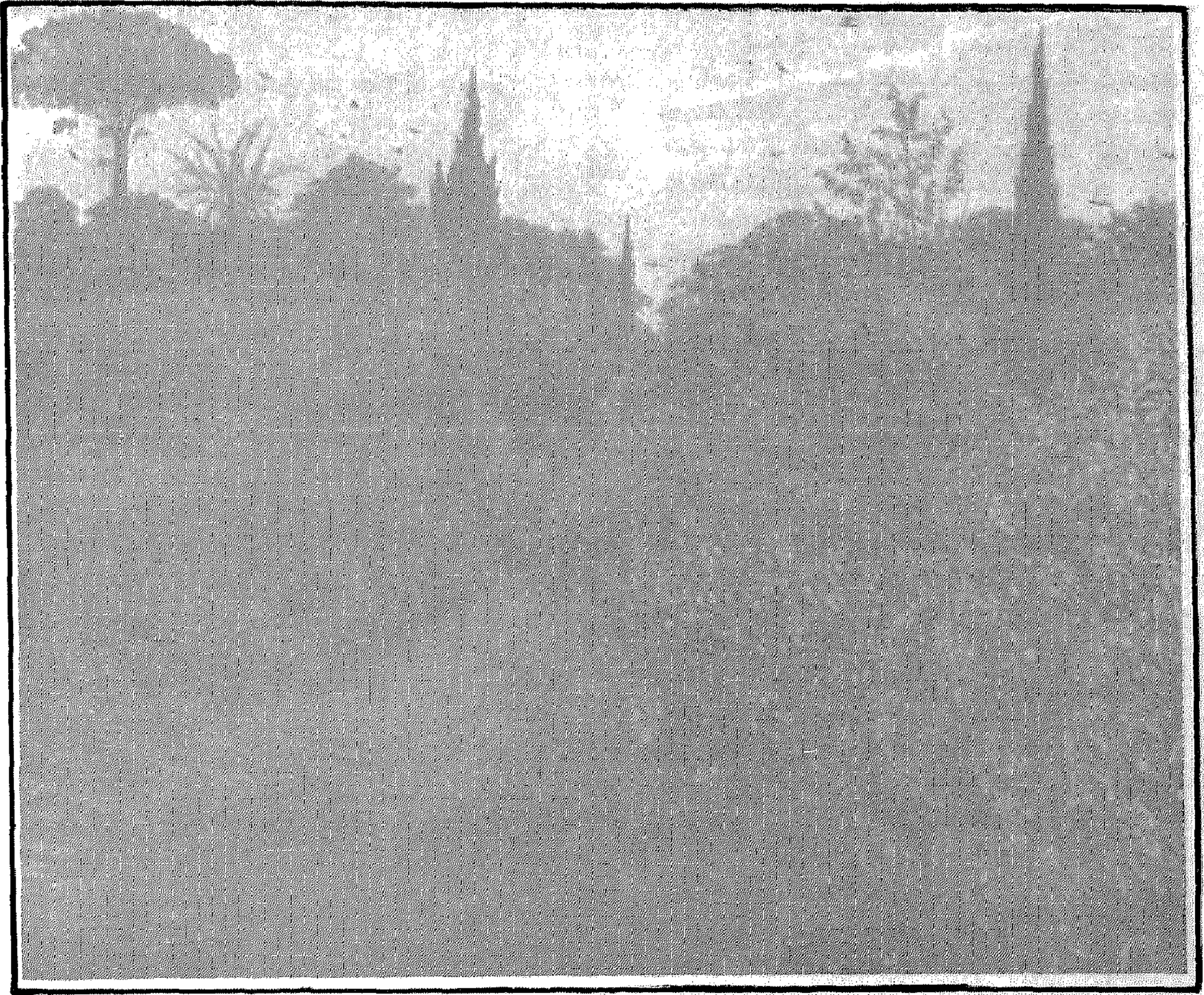
هكذا لعبت الواقعية التصويرية الدور نفسه الذي لعبته الاكتشافات التي حققها رواد العالم، أو حققها العلماء.

ان صورة العالم المرئي التي يلتقطها الفنان والتي اوصلتها الانطباعية الى حدها الاقصى، تولد في نفسه الشعور بأنه سيد العالم الذي تمرّد عليه. فهي لا تؤكد له ازدواجية المظاهر وحسب، وانما تحقق له، كذلك، الانتصار على اعظم قوة يجابه ضغطها وهجومها، والتي تغلبه اخيراً وترميده في هاوية الغياب. هذه القوة هي قوة الزمن.

بالفن يشعر الانسان انه غالب، وان قدرته لا تنحصر في تثبيت ما يراه حوله، وانما تثبت عوالمه الداخلية. والفن يتيح له، ولمن يأتي بعده، أن يستملك الجزء الذي تناوله من العالم، ويربطه الى الابد بالافكار والمشاعر والمواطف التي ايقظها هذا التناول في نفسه.

لقد سجن الفن الحديث في هذا القفص الذي





■ "الطبيعة" للرسم فان أيك

فبقدر ما يحركه الاثر الفني ويرى فيه نفسه، يخرج من عزلته، ظافراً، يقاسم الآخر عواطفه ويرى فيها، كما يخيل اليه، سر الفنان وسره في أن واحد.

هذا التوازن الذي يوفره الفن، يتجاوز الى هذا كله، مجال الذات والشخصية الفردية. انه يحل مشكلة اكثر اتساعاً وشبه ميتافيزيقية تضرب في اعماق كل منا: فنحن، منذ ولادتنا نواجه ثنائية نعيشها بالضرورة. هناك، من جهة، ما نعرفه عن انفسنا، عن طريقة شعورنا، عن كيفية سلوكنا، بفضل الوعي والتأمل. لكن، هناك من جهة ثانية، واقع آخر يخاصرنا. وليس جسمنا وشعورنا واحساسنا الا وسائط له. الاول يسميه الفلاسفة الأنا، والثاني يسمونه اللاأنا، أي الذات من جهة، والعالم من جهة ثانية.

والاثر الفني يقدم لنا واقعاً جديداً يختلف عنهما، في ما يعكسهما، ويمثلهما، ويعبر عنهما. انه واقع ثالث مزيج مركب مما نراه في الخارج وفي نفوسنا. وبفضل هذا الواقع الثالث يبطل التناقض بين العالمين، الداخلي والخارجي.

تنسج خيوط الديمومة اكثر الاشياء افلاتاً: نسجن حتى الاحلام الغامضة، والتلذذات الاولى على عتبة الشعور، والحركة العصبية التي تفجر خطوط الريشة على القماش.

★ ★ ★

يواجه الفن بديمومته وخلوده، هرب الزمان الهائم، فيما يبدو ان التلفزيون والسينما يزيدان دوامة هذا الهرب تحت أعيننا، وهذا الدوار الهائم فينا. هتاء، كذلك، يؤكد الفن قوة الانسان ازاء العالم: يعارض قانون الكون بقانون الانسان، يعيد الى الانسان الثقة التي تهددها الايام الجارية، الى درجة الرعب. واذا كان الفن يمنح انسان اليوم سلاحاً ضد ما يهدده، فانه يمنحه، الى ذلك، التوازن. فهو اذ يسمح للحساسية أن تعبر عن نفسها عفوية، كما هي، يحول التمزق الداخلي من مأساة الى منظر.

وقد ادرك ارسطو قوة الفن هذه، حين رأى فيه قوته المطهرة، القوة التي تطرح الى الخارج ما يعذب الروح في الداخل. هذا التأثير المطهر يتلقاه المشاهد كذلك.



## الاثـر الفني

يعرف الانسان، بالتجربة المريـرة، أن التوازن الذي ينشده ولا يستغني عنه، يتطلب السير الدائم، لأنه يعرف أن التوقف هنا سقوط. فان شئنا ألا نسقط ونقشـل، علينا أن نسير متقدمين، مندفعين حيث يقودنا خيط الوجود.

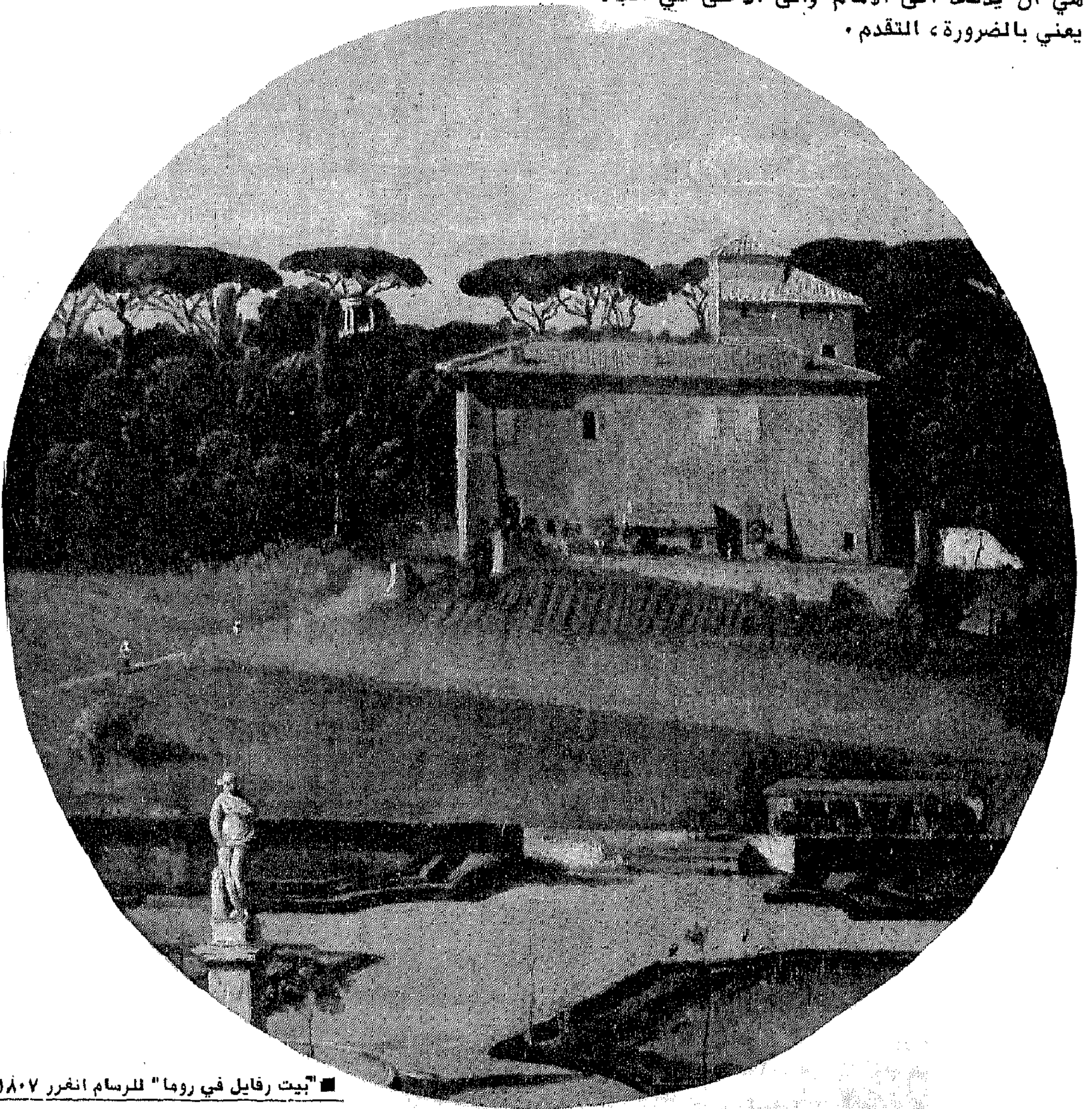
هذا هو المفهوم الذي يقدمه علم النفس عن الفن ودوره الموقت والأبدي. وهو، في هذا، لا يتعارض مع تاريخ الفن أو علم الجمال، بل انه يكملهما، في ما يستند اليهما. ينطلق من الاول الذي يقدم له المعلومات الضرورية عن الاثر الفني ومبدعه، ويتجه نحو الثاني الذي يقدم له بدوره تجربة حية.

فاذا كان الاثر الفني شهادة الفنان عن واقعه الداخلي والخارجي، فان الناحية النفسية من هذه الشهادة باللغة الاهمية، فهي اذ تتجاوز حدود الفكر الواضح، تكشف عن الطبيعة الانسانية بجميع ابعادها: تكشف عن هذا اللاشعور الذي يشغل القرن

والاثر الفني، بعد هذا كله، يقدم لنا ما هو ابعد واغنى، فالاثر الفني الذي هو توازن دائم من نوع ما، حتى عندما يستلهم القلق والحيرة ويغوص فيهما، هو في الوقت نفسه، علامة الاندفاع الى الامام، الاندفاع الذي يعطي معنى للحياة.

ففيه، وعبره، يحاول الفنان (والمشاهد على مستوى آخر) أن يحول ما يراه وما يحسه في داخله... يخلص الأشياء من وظائفها الطبيعية، لكي يجعلها غاية بحد ذاتها، وهذه الغاية هي الجمال.

حتى حين يقبض الفن على الحسرة والقيح والرعب، يدل على أن لهذه أيضاً جمالها الخاص. فما يتناوله الفن، يتناوله من اجل غاية اساسية هي أن يدفعه الى الامام وإلى الاعلى في اتجاه يعني بالضرورة، التقدم.



■ "بيت رفايل في روما" للرسم انغرر ١٨٠٧





■ "أعطار على الحشيش" للرسم كلود مونيه ١٨٦٥

### ٣ عناصر

هناك ثلاثة عناصر يقوم عليها الفن: الطبيعة، والتشكيل، والفنان.

تقدم الطبيعة المادة الأولية. وهناك من يقلدها تقليداً أعمى بحيث لا يكون فن، بل عمل تقني.

لكن هناك آخرون مثل فان ايك Van Eyck أوصلوا نقل الطبيعة الى كماله، مدفوعين بحاجة كيانية الى القبض على العالم وجعله فريسة بين أيديهم.

العالم يحاول أن يأسر قوانين الطبيعة لتكون طيعة، كذلك الفنان الواقعي يحاول أن يصطادها، كالطريدة، بشباك رؤيته.

وهناك التشكيل، وهو مجموعة الوسائل السلبية والايجابية، بين يدي الفنان. السلبية: القماش، الجدار، اللوح وغيرها. والايجابية: الخطوط والالوان.

بالتشكيل تخطى الفنان الواقعية. في لوحات انغر Ingres، تلاقى النسخ العالي وغريزة التشكيل، فانتقل التصوير معه من التمثيل الى التشكيل. واخذ البحث البلاستيكي، خطوطاً والواناً، يسيطر على البحث الواقعي.

أما العنصر الثالث الرئيسي الاول فهو الفنان. الفنان يخضع لمشيئته الواقع ووسائل الابداع معاً. هو الذي يقرو مقلع الطبيعة وراء الحجر الذي سيصير تمثالا.

العشرين، وعن هذه الدعوة التي توجه الانسان، لكي يتكامل ويجابه مصيره، ويتخطى نفسه، حتى ان المغامرة الانسانية قد تتجلى بأوضح مظاهرها، في الصور الكاشفة الموحية التي يقدمها لنا الفن. هكذا يتيح لنا الفن أن نفهم مصير الانسان وبداياته المستمرة في محاولاته الدائمة، فالفن اكتناه لطاقة التنوع غير المحدودة في الانسان والعالم.

في هذا كله، في فهم دور الفن ووظيفته، تبدو السيكلوجية الفنية الخيط الاوثق الذي يقود من تاريخ الفن، اساسها الوحيد الراسخ، الى نتيجهما: علم الجمال.

★ ★ ★

لم تكن هناك مشكلة أمام الجمهور في الماضي. كانت اللوحة، بالنسبة اليه، تمثل شيئاً ما. وكان هذا كافياً. أما جمهور اليوم فقد تعلم أن من حقه وواجبه أن يطلب من اللوحة شيئاً آخر. وأدى هذا الى اعتقاد البعض أن هناك تعارضاً بين الفن والواقع، يجب أن يبقى.

هذا الاتجاه، شأن الاتجاه في الماضي، تبسّطي الى درجة الافراط. الفن يستحق وجهة نظر أكثر تنزهاً عن الاهواء الحاضرة والبدع التي تنتج عنها. وهو يستلزم نسيان الجدل بين التجريديين واللاتجريديين، فهذا الجدل سيصبح، بعد حين، جدلاً باطلاً، كالجدل في الماضي بين الرومنطيقين والكلاسيكيين.

وهو الذي يوجه، البقع والاشكال، الخط واللون وفق حساسيته وارادته، وذلك من اجل التعبير عن نفسه، ونقل هذا التعبير الى الآخرين.

### لغة الفن

فالفن لغة: كما تلياً الكتابة الى مفردات اللغة، لجأ الفن الى اشكال الحياة. وكما يستخدم الشاعر للغة بطريقة تغاير استخدامها العادي، يستخدم لرسام ألوانه وخطوطه بطريقة تغاير الطبيعة، لتخلق الجمال وتجعل منه احياناً غاية كافية ذاتها. وهذه هي طاقة التشكيل.

هذه العناصر الثلاثة تتآلف أو يتراجع بعضها أمام الآخر بحسب الزمان والمكان والافراد. وتظهر قوة الابداع في عنصر أو آخر بحسب النتائج. غير ان هذه العناصر كانت متألفة في الآثار الفنية العظيمة التي تركها لنا الماضي.

فالفن يشبه كياناً إلهياً بثلاثة وجوه ينعكس فيها الواقع الخارجي، والابداع التشكيلي، والواقع الداخلي.

وقد سادت الواقعية الخارجية عصوراً طويلة.

بدأت بالمحاولات الأولى التي قام بها الانسان في ما قبل التاريخ، حين رسم على جدران المغاور والكهوف أشكالاً جانبية لبعض الحيوانات. بهذه الجانبية كان يرسم المظاهر التي تهمة، وبقي الفن أجيالاً يكتفي برسم هذه الخطوط الجانبية، وكان يتجاوزها احياناً الى الايحاء بكتلة الاحجام التي يرسمها.

وتطورت الخطوط في رسوم الجدران، بتطور النظر الى السطوح. فأخذ الفنان يكتشف ان القسم الاقرب الى عينه من حجم ما، هو الاكثر وضوحاً، وان الاقسام الأكثر بعداً يغمرها ظل يتكاتف بحسب بعدها. واصبح الظل مرادفاً للعمق. ومن هنا صار بإمكان الرسم أن يفيد من النحت.

ثم لاحظ الفنانون ان انعكاس الضوء على المعدن والجلد ليس واحداً وان كل معدن، حديداً، أو فضة، أو ذهباً، يعكس الضوء بطريقة خاصة، واستخدم الزيت الذي اتاح للفنان كشوفاً جديدة في استخدام الضوء الذي يوقظ اللوحة ويحركها، ويثير النظر ويحركه.

لكن قبول الاضاءة أدى الى استبدال قانون المادة بقانون الضوء. وكان هذا القبول بداية لتشويه الشكل، أي بداية التمرد على الواقع.

وفي الانطباعية انتصر الضوء على الواقع المحسوس، واقع الكتل المتينة الصلبة.

وفي بداية القرن العشرين ماتت نهائياً مع مونييه Monet الواقعية القديمة. وصار كل شيء خاضعاً للضوء، شكلاً وتعبيراً، وتخلص الرسام من الخط والنموذج. ولم يعد يعرف غير انطباعاته البصرية

واهتزازات شبكة عينيه. وصارت المادة الجامدة سائلة بين يديه.

لكن هذا السائل سرعان ما صار ضباباً يرقص في خضوع لآلية التيارات التي تحرك الهواء، ضباباً يغطي الاشياء كلها، يمحوها، ولا تخترقه الا الشمس حيث تجعله شفافاً هنا، رقيقاً هناك، متموجاً هنالك.

هكذا كانت الانطباعية ذروة الواقعية وكمالها الاقصى. لكنها في عنادها للقبض على اكثر الاشياء هرباً وافلاتاً، هيأت للقضاء على المادة الصلبة التي هي، وحدها، نقطة الارتكاز الثابتة. بهذا جردت الواقعية من الفكر الواضح النير الذي تقوم عليه، وهو مدلول الاشياء والاجسام، واستبدلته بواقع صوفي، يتبدل كالحلم، وتتحدر فيه الرؤية بالتوهم.

### الجمال والحقيقة

واذ صار واقع الرؤية متغيراً، يتبدل ويتحول، لم يعد امام الفن الحديث الا ان يتجه نحو اساس أخرى. فبعد أن استنفد التصوير امكانيات الواقعية، اتجه الى اكتشاف الامكانيات الشكلية واللونية، اتجه الى البحث البلاستيكي.

هكذا، حل البحث عن الجمال محل البحث عن الحقيقة. أو، بتعبير آخر، حل الجمال الذي تقدمه وسائل الابداع، محل الجمال الذي تقدمه وسائل الطبيعة.

غير ان البحث البلاستيكي يتشعب في طرق كثيرة لولا انه يجد محوره في التكوين. والتكوين يكشف عن طاقة التعبير، فيما هو يؤلف بين عناصر اللوحة.

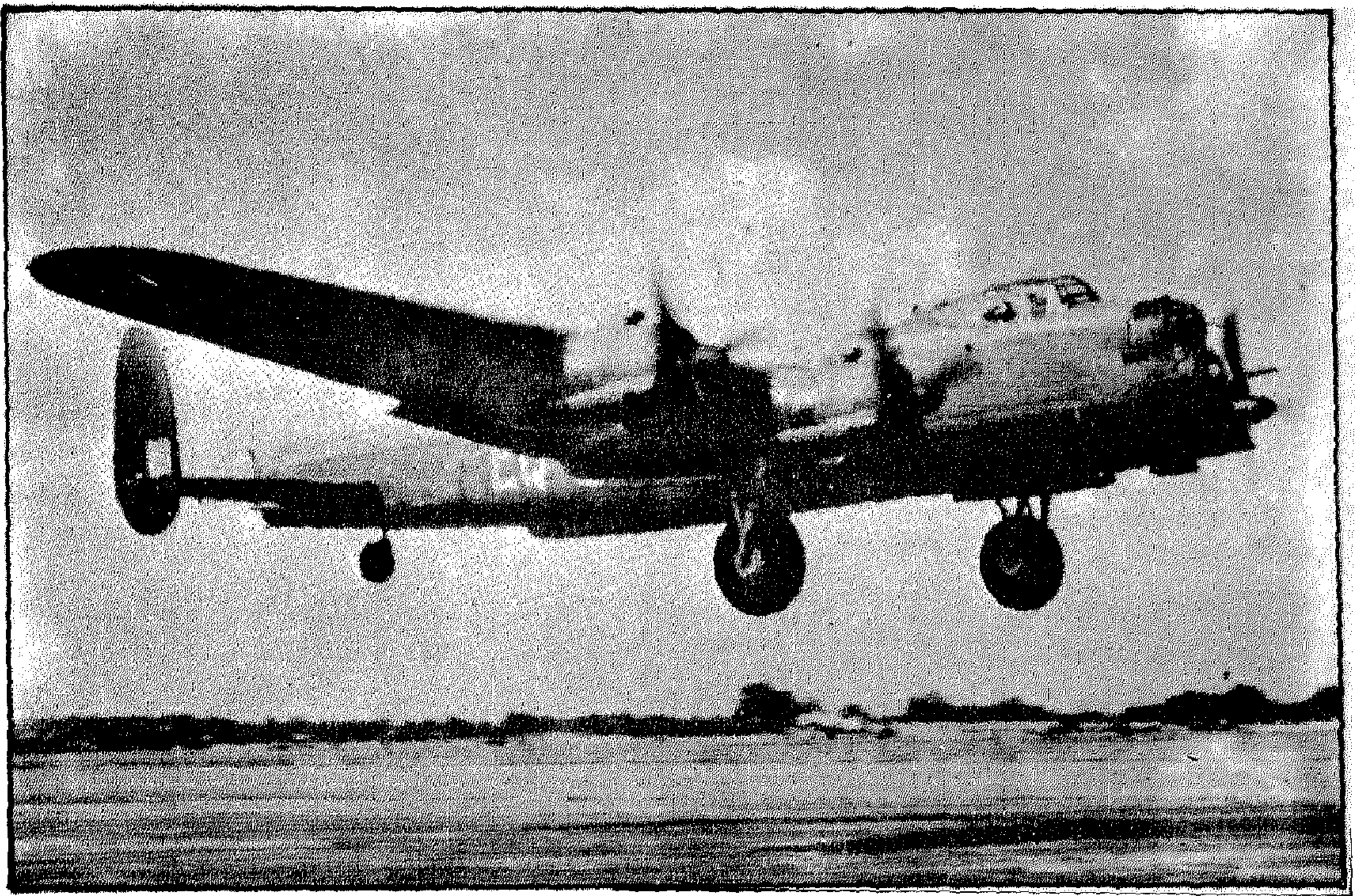
وسواء كان الاثر الفني واقعياً أو تعبيرياً، فلا يوجد الا حين يستقل عن مصدره، كالثمرة لا تنضج الا حين تترك الغصن الذي غزاها. والتكوين هو الذي يحقق هذا الاستقلال، فبغيره لا تنضج اللوحة. لا تكون.

والتكوين يقود الى الوحدة أبسط المبادئ واقدمها. غير انه لا يؤكد الوحدة وحسب، بل التنوع كذلك.

وقد وجد الفنان الغربي مبادئ التكوينية الأولى في النزعة الهندسية التي تسيطر على الحضارة المتوسطية. وهذه الروح الهندسية المأخوذة بالنظام والدقة والثبات والتناسق والتي نشأت في ما بين النهرين ومصر، استمرت في الفن الايطالي الكلاسيكي وقد وصلت اليه بواسطة الفسيفساء البيزنطية.

ولا يجمع التكوين بين الشكل واللون وحسب، وانما يؤكد، الى ذلك، تأليفها التركيبي في وحدة الاثر الفني. لهذا يجيء تكوين اللوحة مركباً معقداً، بقدر ما يكون الفنان كبيراً.





■ طائر "لنكستر" الاسكتلندي

# من ارتفاع ١٨ ألف قدم... إلى الأرض بدون مظلة!

نيكولاس ستيف الكيماد

بسبب سقوطه في منطقة حافلة بأشجار  
الشربين... التي شكلت إوراقها  
المتساقطة على الأرض بكثافة مع ندف  
الثلج نوعاً من العازل بينه وبين الارتطام  
بعنف بالأرض الصلبة.

... وهكذا عاش نيكولاس، بينما مات  
زملاؤه الآخرون من طاقم الطائرة احتراقاً  
لأنهم لم يستطيعوا القفز مثله من مثل هذا  
العلو الشاهق.

من قصص الحروب الغريبة (والحروب  
هي في الغالب قصص غريبة) هذه القصة  
التي كتبها نيكولاس ستيفن الكيماد وهو  
ضابط صف سابق في القوات الجوية  
الملكية البريطانية عن نفسه.

فقد القي الكيماد نفسه من طائرة  
"لنكستر" حربية، بعد أن أصيبت الطائرة  
واحتقرت مظلته، من ارتفاع ١٨ ألف قدم.  
وسقط إلى الأرض من دون أن يصاب بأذى

وفي ما يأتي القصة:

برجي الخلفي، حطمت شظاياهما الزجاج واصابت  
شظية ساقي اليمنى.

انزلت مدفعي بسرعة ونظرت الى الخارج لارى عن  
كثب ظلال مقاتلة (يونكرز ٨٨) تطلق النار بسرعة  
على طائرتنا المصابة، سددت الى الهدف وضغطت  
على زناد مدفعي الاربعة، فانطلقت النيران في  
واقت واحد لتصيب منفذ محرك المقاتلة، لم اكرت  
لمشاهدة مصيرها لانني كنت مهتماً بمصيري  
الشخصي.

وامامي كانت النار المتقدمة تندفع من خزان  
الموقود في طائرتنا بسرعة البرق، اتصلت بقائد  
الطائرة بواسطة "الانتركوم" - وهو نظام  
لتبادل الاتصال الداخلي - وابلغته ان ذيل الطائرة  
يحترق، ولكنه اختصر الجواب بقوله: "عليك ان  
تقفز".

ضربت ابواب البرج بقوة لفتحها، ففتحت، ثم  
فتحت باب جسم الطائرة وكانت النار تشتعل فيه  
والدخان يعمي عيني. عدت بسرعة الى برجي،  
ولكن على ان آتي بمظلتي! عاودت الكرة، ففتحت  
الابواب واندفعت الى الامام نحو حمائل المظلة.

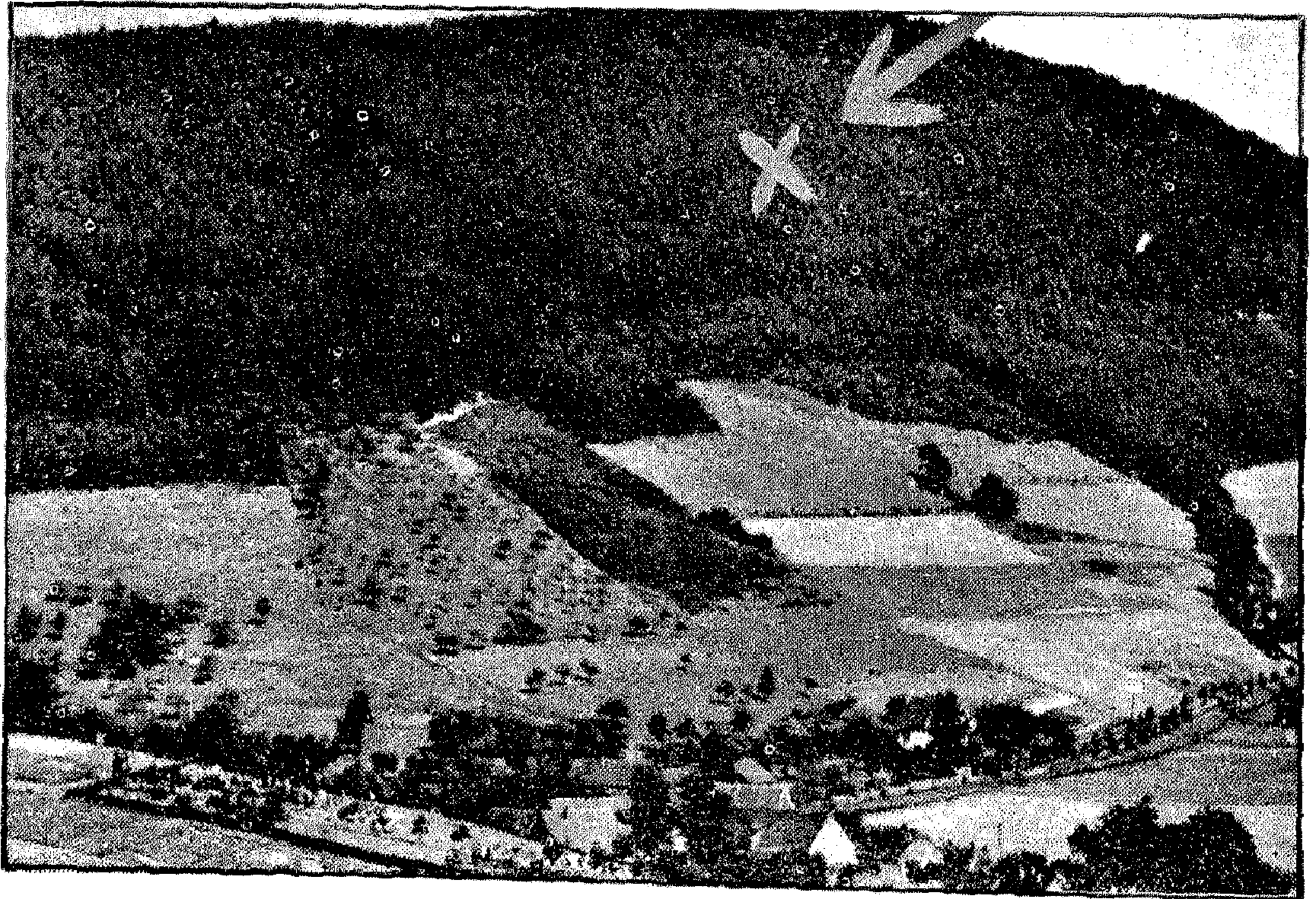
لقدت فات الاوان! الحمائل تحترق وتتحول الى  
سحابة من دخان، عدت ثانية الى برجي وبدأت اقوم  
وضعي فها انذا في الحادية والعشرين من عمري،  
وهذه هي آخر الطريق... في هذه اللحظة اخذ  
الموقود في برجي الخلفي يشتعل واللهيب يصفع  
وحمى وبدي، وقد تنفجر الطائرة الآن.

البرج الخلفي لقاذفة القنابل "لنكستر" بارد  
ومعزول، اذ تفصله عن بقية اعضاء الطاقم  
مجموعتان من الابواب و١٢ يارداً من جسم الطائرة،  
انه مكان ضيق لا يكاد يتسع لكثر من جسم  
المدفعي بثيابه الضخمة، وليست له حتى فسحة  
ليلبس مظلة فيها، فحمائل المظلة موضوعة في  
جسم الطائرة داخل الباب الثاني.

وعلى المدفعي، في اية حالة طارئة، ان يغادر  
البرج الخلفي ليأتي بحمائل المظلة ويرمي بنفسه  
أملا بان لا يقطع الهوائي الخلفي للراديو جسده  
الى قسمين، وهذا العمل ينطوي بلا شك على  
مخاطرة.

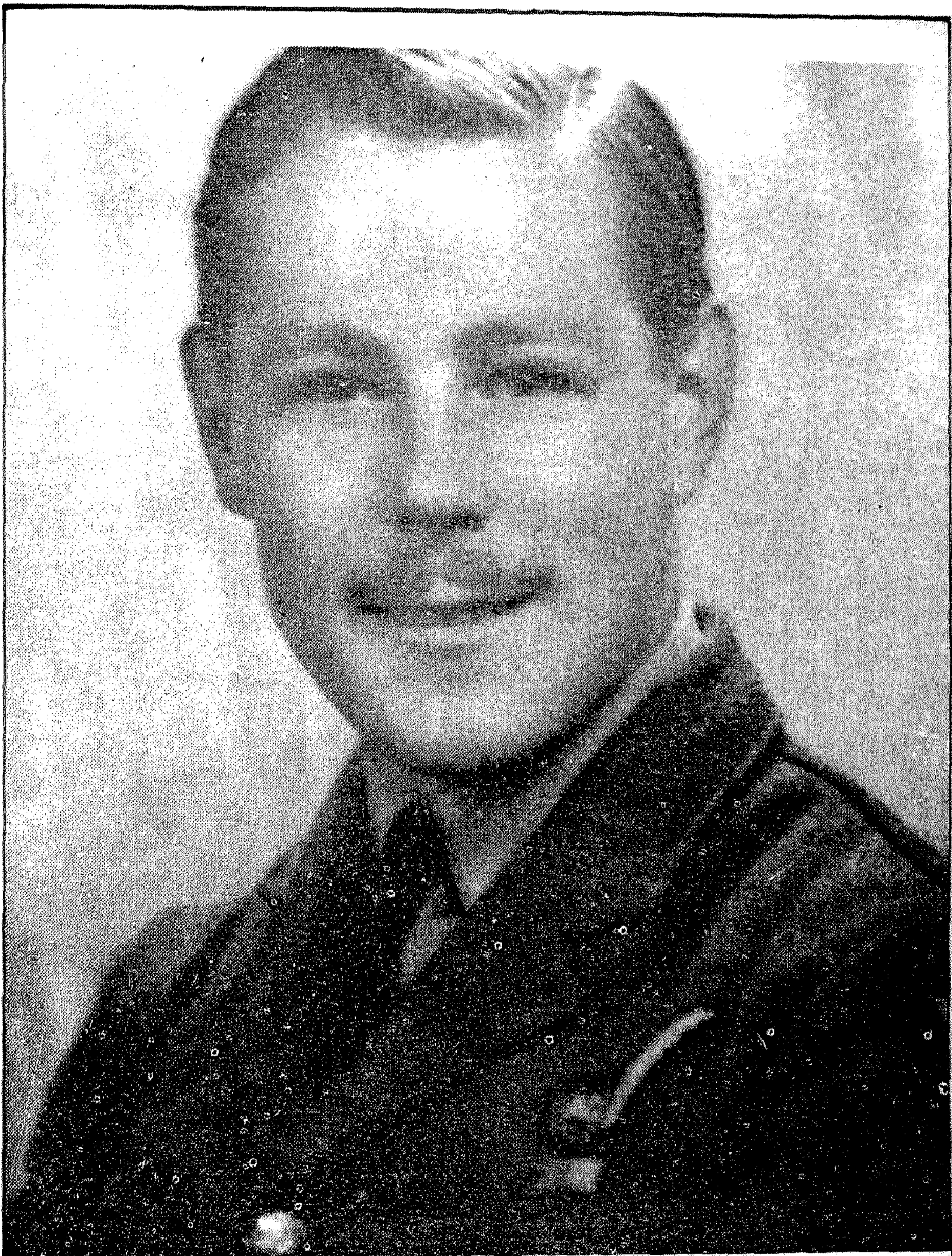
باقتراب طائرتنا فوق برلين في ليلة ٢٤ - ٢٥  
آذار ١٩٤٤ رأينا اشعة الانوار الكشافات تلمس  
السماء. أخذ المستطلعون أمامنا يحددون لنا  
الاهداف بعلامات حمراء وخضراء لتقوم قاذفة بعد  
اخرى من سربنا بقصف ادى الى اشعال الحرائق  
فيها. عندئذ بدأت المدافع المضادة للطائرات  
توجه نيرانها الى قاذفاتنا، فحولنا اتجاهها نحو  
قواعدنا ونحن نراقب بيقظة مقاتلات العدو الليلية  
التي كانت تعمل عن بعد. في هذه الاثناء رأيت  
وميضاً ينطلق فجأة على شكل كرات نارية تصيب  
بعض طائرتنا.

عندما اصبحت قاذفتنا فوق منطقة الرور ارتجت  
من مقدمتها حتى ذيلها نتيجة لانفجار قنبلتين فوق



■ ... المكان الذي سقط فيه... غابم من السرب (شعر  
شبيه بالصنوبر موجود في أوروبا).





■ نيكولاس ستيف الكسماد

على النهوض وضعوا قماشاً مشمعاً تحتي وجروني على أرض جليدية الى كوخ صغير حيث قدمت لي سيدة عجوز شراباً لذيذاً من البيض المخفوق مع السكر والقشدة والخمر.

وفي هذه الاثناء سمعت هدير سيارة يقترب ثم يتوقف في الخارج، واذا بشرطيين من التحري يدخلان الى الكوخ ويسوقانني الى داخل السيارة. سارت السيارة بنا في طريق وعرة نحو المستشفى حيث ادخلت الى غرفة العمليات. وعلمت بعد ساعات ان معظم ما لحق بي من حروق في ساقي والتواء في ركبتي اليمنى وجرح في فخذي وارتجاج خفيف في المخ وحروق في وجهي ويدي لم يكن نتيجة للقفزة التي قمت بها.

واخيراً، وضعت على قراش نظيف ولكن لا لانام، لاني فوجئت بقدوم شخص طويل القامة في لباس "فيرماخت". بدأ يستجوبني بواسطة مترجم عسكري: ما هي الاهداف التي هاجمتها؟ اين هي قاعدتك؟ كم عدد الطائرات في قاعدتك؟ ذكرت له اسمي ورتبتي، وبالنسبة للاستئلة الاخرى قلت له: "لا يجوز ان اجيب".

ثم سألني عن مطلتي، لان الجواسيس عادة ما يخبئون مظلاتهم عندما ينزلون في اراضي العدو. قلت له: "لم استعمل المظلة".

وقد تواصل التحقيق معي لمدة ثلاثة ايام متتالية. وفي النهاية ابقيت بمفردي.

وعندما التأمت جروحي بعد مرور ثلاثة اسابيع على وجودي في المستشفى تم نقلي الى معسكر "دولاك لوفت" بالقرب من فرانكفورت حيث اودعت الحبس الانفرادي. وقد اخذت وقتي فيه للتفكير في كيفية اقناع المستنطقين بحقيقة قصتي التي لا تصدق.

بعد اسبوع، قادني ملازم شاب الى مكتب آمر المعسكر وهو برتبة كوموندون. قال لي بطريقة جافة وبلغة انكليزية "اهنك". واضاف: "هل لك ان تخبرني عن قصة نجاتك غير العادية، من فضلك. لدي تقرير غير واف من الملازم، واعتقد بانك تدعي بقيامك بقفزة من طائرة ملتهبة من علو ٦٠٠٠ متر بلا مظلة. انها قصة طويلة، حضرة المريب، اليس كذلك؟"

قلت له ان باستطاعته اثبات الرواية اذا ما ابدى رغبة في ذلك، الم تقع طائرة من نوع "لنكستر" محطمة في منطقة الرور في ليلة ٢٤ - ٢٥ آذار؟ ان كان هذا قد حصل حقاً، فتكون تلك هي الطائرة التي قفزت منها. ان بقايا حمائل مطلتي موجودة امام باب مؤخرة جسم الطائرة.

استمع الكوموندون الى حديثي بكل هدوء. وقال: "حقاً، انها رواية رائعة واسمع الكثير من الروايات!".

قدم لي سيجارة وتحادثنا لمدة خمس عشرة دقيقة. ثم اتى الملازم ملوحاً بحمائل المظلة المحروقة وطرعها جانباً على الطاولة أخذ

كان لابد من ان اتخذ قراراً سريعاً. فاما ان اتحمل هذا الجحيم واما ان اقفز من الطائرة. وان كنت ساموت فمن الافضل ان القى حتفي سريعاً وبلا الم وذلك بقفزة نحو الارض.

فتحت الباب، وفي حالة من اليأس الشديد القيت بنفسي في الفضاء المظلم. فاستمتعت ببرودته بعد ان كادت حرارة النار في برج الطائرة ان تقضي علي. ولم يكن لدي اي احساس بالسقوط، اذ كنت اشعر ان رحلتي من السماء الى الارض هي بمثابة راحة لي. وقبل ثوان من وصولي الى الارض فكرت: "هل اسقط على رأسي اولاً؟ واذا كانت القفزة هي الموت بحد ذاته فيجب الا اخشى شيئاً". ولكنني أسفت لعدم توديع اصحابي ورؤية حبيبتي "بيرل" مرة أخرى في "لوفبورو". وكان من المقرر ان تبدأ اجازتي يوم الاحد القادم.

ومن ثم لا شيء - فلا بد من ان اكون قد فقدت الوعي.

وخلال مراحل بطيئة استعدت احساساتي وشعرت بادىء ذي بدء بان هناك ضوءاً فوقني يتحول تدريجياً الى قطعة من سماء مضاءة بالنجوم. كان الضوء محاطاً باطار تبين لي في النهاية بانه ثقب في اغصان متشابكة من اشجار الشربين. ووجدت نفسي ملقى داخل هضبة عميقة من غابة مغطاة بالثلج.

بدأ قلبي ينبض ورأسي يرتج من شدة البرد. وبعد ان لمست جسمي وجدت بامكاني ان احرك ساقي. حمدت الله على بقائي حياً في قفزة من علو ثلاثة اميال وخمسي الميل (١٨ الف قدم) بلا مظلة.

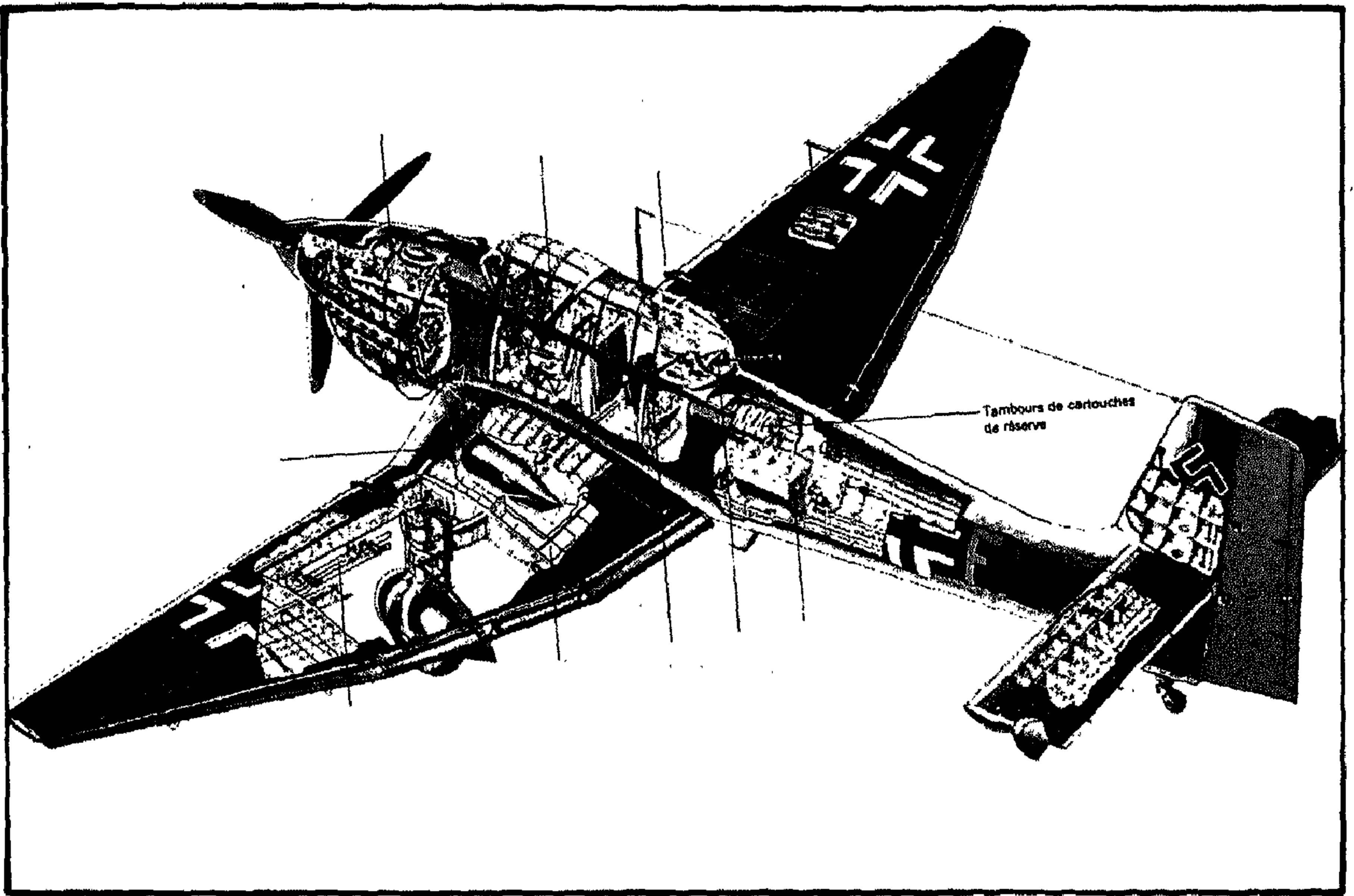
حاولت الوقوف فحال بيني وبينه الألم الشديد. مددت عنقي فرأيت ثيابي ممزقة وقدمي عاريتين. خفت ان اتجمد من البرد حتى الموت. مددت يدي الى جيب سترتي القصيرة فوجدت فيها علبة مسطحة وملتوية وكنت قد وضعت فيها سبائري وقداحتي التي لم يلحقها اي اذى. وساعة يدي لم تنزل تعمل بانتظام وعقاربها المضيئة كانت تشير الى ٣:٢٠ صباحاً. اذن، عند منتصف الليل اصيبت طائرتي.

ووجدت كذلك ان حول ياقة السترة لم تنزل صفارتي التي استعملها في حال هبوط الطائرة اضطرارياً فوق سطح الماء من اجل الاتصال باعضاء طاقمها.

قلت لنفسني: "اكون سعيداً ان اصبحت اسير حرب". اخذت اصفر من وقت لآخر لعل احداً يعلم بوجودي هنا. وبعد ساعات قليلة سمعت صوتاً ينادي من بعيد "هولو".

صفرت بشدة وسمعت الاصوات تقترب. تمكنت من رؤية مشاعل كهربائية تقترب نحوي. وبعد قليل رأيت رجالاً واولاداً يقفون فوقي ويقولون لي "راوز" - انهض. وعندما تأكدوا بأنني غير قادر





■ طائرة "يونكرز" الألمانية.

نزل من علو ١٨٠٠٠ قدم بلا مظلة وبدون ان يصاب بأذى . ولما كانت مظلته تشتعل في الطائرة فانه هبط على ثلج عميق بين اشجار الشربين .  
"شهود الاثبات:

الملازم الاول هـ . ج . مور - الضابط البريطاني الاعلى

الرفيق الاول ر . ر . لامب - ضابط المصف الاعلى  
الرفيق الاول ت . ١٠ . جونز - ضابط المصف الاعلى .

"التاريخ ٤٤/٤/٢٥"

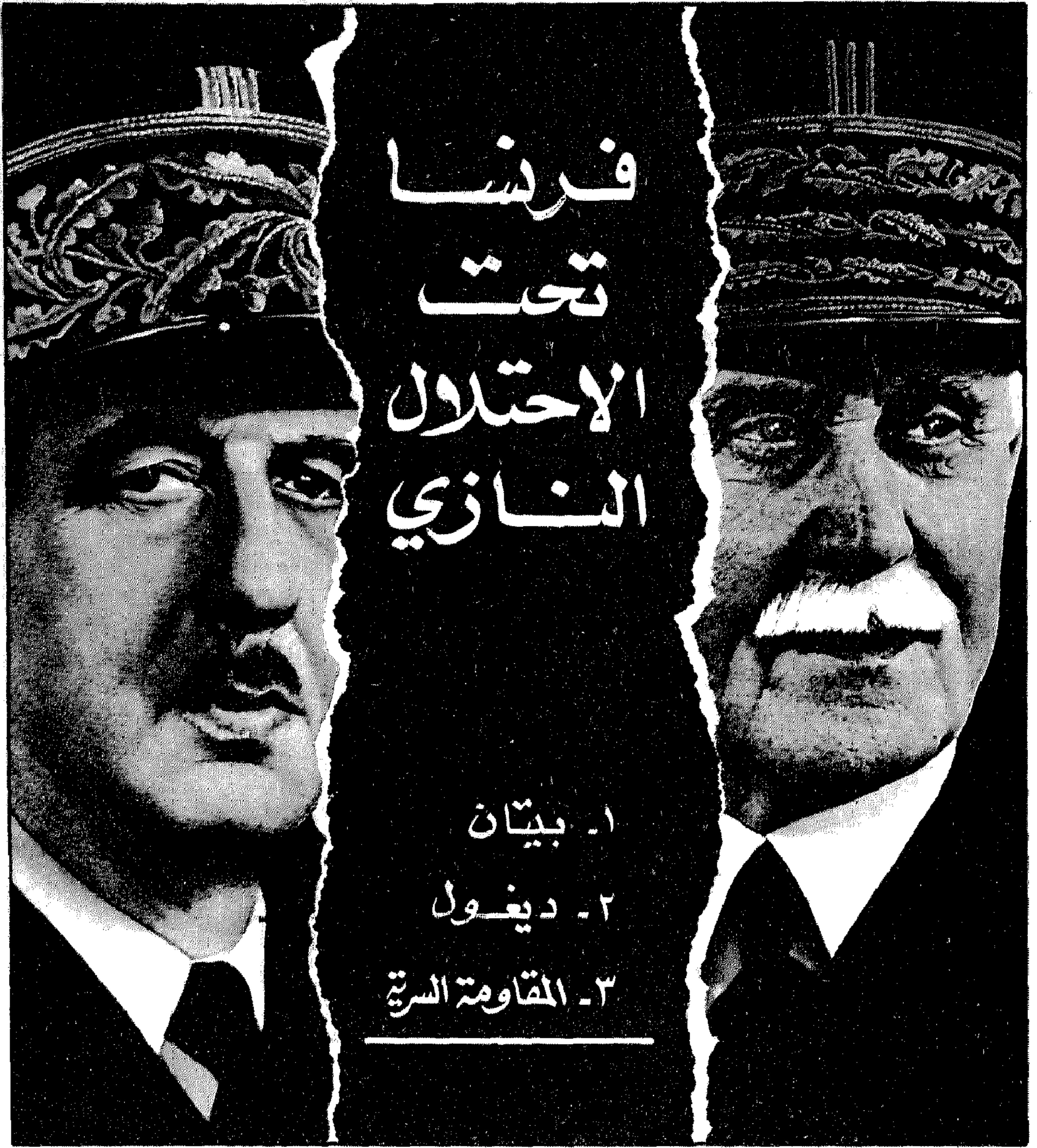
في شهر ايار ١٩٤٥ ، قامت المخابرات التابعة للقوات الجوية الملكية بالتدقيق في سجلات دولك لوفت ، فوجدت ان التقارير عن مفارتي الغريبة واقعية ، فدونتها في السجلات الرسمية للقوات الجوية الملكية .

واليوم ، اعيش انا وبيرل بسعادة في لوفبورو . لقد اتخذت الخطوات الاولى نحو اتباع نصيحة الكوموندون الا وهي ان اسرد قصتي لاحفادي . وها انا انتظر حتى ينجب لي اولادي هؤلاء الاحفاد . وفي نفس الوقت ، اتساءل لماذا حصلت هذه الحادثة العجيبة لرجل عادي مثلي .

الكوموندون بهذه الحقائق وقال بالانكليزية " انها اعجوبة! ويا لها من قصة ترويحيا لاحفادك!" .  
هنأني ، ثم اذن لي بالانصراف . وقال: "غداً سيعلم رفاقك كيف اصبحت اسير حرب" .  
وفي اليوم التالي علمت بان المكان الذي تحطمت فيه طائرتنا يقع على بعد حوالي عشرين كيلومتراً من المكان الذي هبطت فيه ، وان اربعة من طاقم الطائرة قد احترقوا حتى الموت ودفنوا في المقبرة العسكرية بالقرب من ميشيدي .

قادني ضابط طيار الماني ومعه ضابطا صف الى رقعة من الارض واسعة مسيجة ، تجمع فيها نحو مئتي اسير من الطيارين الحلفاء . اخذت مكاني على كرسي خشبي وبدأ الضابط يسرد قصتي للطيارين المشككين فيها . وبعد ان انهى حديثه ، قدمت لي ورقة موقعة من الضابط البريطاني الذي دون التصديق الالمانى ، ومن ضابطين بريطانيين شاهدين . انها قصاصة بأهتة ولكنها ستكون دوماً موضع اعجابي وفخري:  
"دولك لوفت .

بعد التحقق والاثبات تعلن السلطات الالمانية ان الادلاء الذي قدمه الرفيق الكيماد - ١٤٣١٥٣٧ - في القوات الجوية الملكية هو صحيح ، اي انه



#### اعداد قسم الدراسات

عاشت فرنسا، طيلة فترة الاحتلال النازي، بوجهين متناقضين ولكن متكاملين في وقت واحد •  
أحد هذين الوجهين، كان وجه التعاون مع المحتل والذي جسده الماريشال بيتان •  
والثاني وجه المقاومة الشعبية للاحتلال، وقد جسده رمز هذه المقاومة وبطلها الجنرال شارل ديفول ••  
ولا يقل أهمية عن هذا الوجه الثاني، العمل السري الذي مارسه عدد من العملاء داخل صفوف العدو والذي كان له فضل مهم في عرقلة خطط العدو وأرباك خطوطه الدفاعية •  
وهذا الملف يحتوي على ٣ مقالات عن الوجوه الثلاثة: بيتان وديفول والعميل السري جيلبر رينو •



# ظاهرة الماريشال بيتان

ومعارضة مع العدو منذ مؤتمر "كاسب سوتوار"...

(٢) ان هتلر هو مجرد محتل كلاسيكي لاراضي الغير. وككل محتل في التاريخ لا بد ان ينسحب من هذه الاراضي عاجلا ام آجلا. (يومها لم تكن ممارسات النازية العنصرية الرهيبة هائلة لدى الرأي العام بكل حقائقها. ولم تتكشف خطط هتلر الخطيرة على نطاق واسع الا بعد انحسار النازية العسكري وهزيمتها).

(٣) كان "الخطر الشيوعي" ماثلا بقوة في هذه الفترة: من تصفيات معارضي ستالين في الاتحاد السوفياتي الى حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا والتي شارك فيها الشيوعيون في شكل رئيسي.

(٤) ان مسألة وحدة فرنسا وسلامتها هي القضية الاولى في ظل الاحتلال النازي. لذلك اعتبر بيتان ان العمليات الفدائية للمقاومة الشعبية "تخرب مسيرة السلام والبناء" وتؤدي الى تفاقم خطر الحرب الاهلية. فهي بالتالي غير شرعية ومن واجب الدولة ان تقمعها.

وعلى هذا الاساس النفسي للموضع في فرنسا كما تخيله الماريشال المتعاون، وجه بيتان نداءه الاستسلامي الى الفرنسيين في ١٧ حزيران ١٩٤٠: "بقلب جريح اقول لكم اليوم: اوقفوا القتال...". ولكن حقيقة الموضع كانت مغايرة تماما. اذ لم تمض ٢٤ ساعة على نداء بيتان حتى وجه الجنرال ديغول صرخته الشهيرة من اذاعة لندن (١٨ حزيران):

"... ان القادة الذين كانوا منذ سنوات طويلة على رأس القوات المسلحة الفرنسية (١) هم الذين شكلوا حكومة تحت الاحتلال (٢). وبررت هذه الحكومة تعاونها مع العدو بحجة الهزيمة التي لحقت بقواتنا المسلحة. ولكن هل انتهى كل شيء؟ هل فقدنا الامل؟ وهل ان الهزيمة هي نهاية كل شيء؟ كلا. ففرنسا ليست وحدها، ليست وحدها، ليست وحدها. وليست هذه الحرب محصورة في الاراضي المقهورة من بلادنا. كما انها لم تحسم من خلال معركة فرنسا. هذه الحرب هي حرب عالمية...".

انا الجنرال ديغول الموجود حاليا في لندن ادعو المضباط والجنود الفرنسيين الموجودين فوق

"التعاون مع العدو" (١) قضية مطروحة في كل وقت على بساط البحث وفي الواقع. ومن الامثلة التاريخية الساطعة في هذا المجال تعاون الماريشال فيليب بيتان الرئيس الفرنسي خلال فترة الاحتلال الالمانى النازي لفرنسا (حزيران ١٩٤٠ - آب ١٩٤٤). واول ما يتبادر الى الذهن السؤال الجوهرى التالي: كيف استطاع بيتان تبرير موقفه المستسلم والى اي مدى كان هذا التعاون متبادلا بين الطرفين؟؟؟

نظريا يمكن للمتعاون مع العدو المحتل لارضه ووطنه ان يبرر تصرفه هذا بحجج شتى ابرزها ثلاث: (١) التعاون التكتيكي: وهي الحجة التي ظل يتذرع بها بيتان طوال فترة الاحتلال النازي لفرنسا للدفاع عن سياسته "السلمية".

(٢) التعاون عن اقتناع: وهو مثالا موقف "الحزب الشعبى الفرنسى" الذي اسسه جاك دوريو على نمط الحزب النازي الهتلري. وهذا التيار استمد شرعيته خصوصا من سياسة بيتان نفسها المتخاذلة والمصبوغة بـ "التكتيكية".

(٣) التعاون على اساس المصلحة المادية: وهو موقف الطفيليين الذين يحاولون الاصطياد في المياه العكرة تأمينا لمصالحهم الانانية.

## نزهة

وقد ساعد بيتان في الاستمرار في هذه السياسة الجو السائد يومها بين صفوف عامة الفرنسيين الذين فوجئوا بوقوع الكارثة الوطنية فتمسكوا بأي شيء للخلاص من "المصير المجهول". ويمكن تلخيص هذا الجو من خلال ذكر القنوات الاربع التالية التي كانت في الواقع مجرد اوهام اكثر منها حقائق:

(١) في استطاعة الالمان النازيين ان ينفذوا ما يشاؤون ومتى يشاؤون. وهم يملكون الوسائل لذلك. اذن من الافضل عدم معارضة ومقاومة ما هو "تحصيل حاصل".

الاراضي البريطانية، كما ادعو المهندسين والعمال المهرة في المصانع الحربية الى الاتصال شخصيا بي . مهما حصل فان شعلة المقاومة الفرنسية يجب ان لا تنطفئ، وهي تنطفئ، وهي تنطفئ...".

#### سياسة متعارضان

وهكذا فمنذ اليوم الاول للاحتلال النازي لفرنسا برزت سياستان متعارضتان: الاولى للماريشال بيتان وجماعته من المتعاونين "الواقعيين" والعملاء المنتفعين، والثانية للجنرال ديغول ورفاقه في المنفى الداعمين للمقاومة المسلحة التي تفجرت في وجه الاحتلال منذ اليوم الاول من الهزيمة العسكرية.

ومع أن التاريخ اثبت في ما بعد ان سياسة المقاومة المسلحة المنظمة كانت هي السياسة المصائبية في ذلك الجو السياسي المظلم الذي خيم على اوروبا طوال اربع سنوات، الا انه ما زال هناك في عالمنا اليوم من يصصر على تجاهل المصير الاسود الذي ادت اليه سياسة بيتان الانهازمية . فكيف ابتدأت سياسة التعاون بين بيتان وهتلر؟ وكيف انتهت؟

يوم الخميس في ٢٤/١٠/١٩٤٠ لبي بيتان دعوة هتلر للاجتماع به في "كعب مونقوار" . وصدر في ٢٦ تشرين الاول البيان الرسمي التالي عن حكومة فيشي:

"ان الاجتماع الذي جرى في ٢٤ تشرين الاول بين المستشار هتلر والماريشال بيتان بحضور السيدين فون ريبنتروب وبيار لافال، سادته جو من اللياقة الفائقة . وتم استقبال الماريشال بمراسم الشرف التي تناسب مكانته . وتناول الاجتماع بين رئيسي الدولتين الوضع العام في المنطقة وخصوصا مسألة اعادة بناء السلام في اوروبا . واتفق الجانبان على مبدأ التعاون ، وسيتم بحث اجراءات التعاون في ما بعد".

وفي ٣٠ تشرين الاول اوضح بيتان بنفسه في حديثه الى الفرنسيين خلفيات اللقاء . فاقه كالآتي:

"... يشكل هذا اللقاء الاول بين المنتصر والمهزوم بداية نهوض بلدنا . لقد لبيت دعوة الفوهرر بملء ارادتي ولم يضغط عليّ احد ولم يفرض عليّ اي شيء . فقط طرحوا عليّ مسألة التعاون بين بلدينا، فوافقت على المبدأ . وسوف نناقش اجراءات التعاون لاحقا... انني اسلك اليوم طريق التعاون على اساس التمسك بشرف فرنسا ومن اجل الحفاظ على الوحدة الفرنسية، هذه



■ عربة القطار التي وقع فيها استسلام فرنسا وقد احضرها هتلر خصيصاً لتوقيع الاتفاق لان الحلفاء جعلوا المانيا توقع فيها وثيقة الاستسلام عام ١٩١٨





■ الجيش الألماني في ساحة النصر بباريس!





■ المارشال مودو مع هتلر في مؤتمر هامب "مونتوار" في ٢٤ تشرين الأول ١٩٤٠

اشهر قليلة فقط الى الهجوم النازي الالمانى .  
وفي الواقع فان "التعاون" الذي اقترحه هتلر  
على بيتان في "مونتوار" كان مجرد صفقة شكلية .  
واظهرت كل الدلائل في ما بعد ان هذا التعاون كان  
سرابا: فلم يستطع هتلر جر الشعب الفرنسي الى  
تبني سياسة بيتان الاستسلامية، كما لم تستطع  
حكومة فيشي تبرير خيانتها الوطنية من خلال  
تصويرها مثل هذا التعاون وكأنه يخفف من آلام  
الفرنسيين، ذلك لان القمع النازي العنصري كان  
خارج اطار المساومات التكتيكية .

### تنازلات كبيرة

وهكذا كان لقاء "مونتوار" الاطار القانوني  
للتنازلات الكبيرة التي قام بها بيتان، وأهمها:  
+ دعمه المعنوي للقوات الفرنسية العاملة بأمره  
الجيش الهتلري على الجبهة السوفياتية .  
+ تشجيعه للميليشيا الفرنسية التي شكلها  
المجتل لتكون جهازا قمعيا رديفا للغيستابو .  
+ تجاهله لعمليات الابعاد المتزايدة ضد  
الفرنسيين .  
+ تجاهله لمصير مقاطعة "الانزاس لورين"  
الفرنسية التي عمل هتلر على ضمها لامبراطوريته .  
وكل متعاون كان مصير بيتان مرهونا بقدرة  
النازيين على استغلال مكانته واصله الريقي  
الفلاحي المتواضع لخدمة اغراضهم . وعندما  
استنفدت قوات الاحتلال كل اوراق بيتان خلعتة  
بالقوة من منصبه كرئيس لفرنسا في ٢٠/٨/١٩٤٤  
واستبدلته بمتعاون آخر "اكثر حيوية" . وبعد اربع  
سنوات من بدء "تعاون" بيتان مع العدو سقط  
المارشال المتعاون قبل سقوط هتلر، وكان هذا  
يعني في الواقع هزيمة ساحقة لسياسة الامر الواقع  
القصيرة النظر .

الوحدة التي تعود الى عشرة قرون، وذلك في اطار  
التوجه البناء لتشديد النظام الاوروبي الجديد . اننا  
سنعمل خلال فترة قصيرة على تخفيف معاناة بلدنا  
وتحسين مصير بنائنا وتخفيف اعباء الاحتلال . كما  
سنعمل على تخفيف القيود على الحدود من اجل  
تسهيل عمل الادارة الرسمية الفرنسية ومن تسهيل  
حركة التموين لبلادنا . يجب ان يكون هذا التعاون  
مخلصا . وعلينا ان نزيل من اذهاننا كل فكرة  
عدوانية . وبالتالي من الضروري ان نعمل ما في  
وسعنا لتنفيذ متطلبات هذا التعاون بكل صبر وثقة .  
"وعلى كل حال فان اتفاقية الهدنة ليست هي

السلام . . . .

" . . . هذه هي سياستي . من الآن فصاعدا  
سيكون الوزراء مسؤولين امامي فقط . ان التاريخ  
سيصدر حكمه عليّ انا وحدي . كنت في السابق  
اخاطبكم كأب، اما اليوم فانني اخاطبكم كقائد  
فاتبعوني وضعوا ثقتكم في فرنسا الى الابد . . . ."

### محاولة "تطمين" بريطانيا

وكان لهذا اللقاء بين بيتان وهتلر صدى واسع  
في الاوساط العالمية الرسمية والشعبية مما دفع  
بالمارشال بيتان الى القيام بسلسلة اتصالات سرية  
للتخفيف من وقعه . وكان ابرز هذه الاتصالات  
اجتماعه بسفير البرتغال في فرنسا في ٣٠ تشرين  
الاول الذي كلف بابلاغ ونستون تشرشل انه بعد  
"كعب مونتوار" لن تتأثر العلاقات الفرنسية -  
البريطانية وطلب ان ينقل اليه المواقف المبدئية  
التالية لحكومة فيشي:

١ - لن يكون هناك ابدا تعاون عسكري بين  
فرنسا والمانيا .  
٢ - لن نسمح ابدا بأي عمل عدواني ضد  
بريطانيا .

٣ - ولكن اذا تعرضت فرنسا الى هجوم فانها  
ستدافع عن نفسها لوحدها . . . .

وكان هذا الموقف "المبدئي" الثالث مدار  
سخرية في الاوساط البريطانية شبه الرسمية بسبب  
ما يحمل من تخبط واضح للمارشال المتعاون الذي  
ثم ترتفع نفوذه القتالية عندما تعرضت فرنسا منذ



# شارل ديغول

## بطاقة هوية

اعداد : محمد كالة

الاولاد ثياب شخصيات مسرحية شهيرة .  
كان في الرابعة عشرة من عمره عندما الف كوميديا "اللقاء المزعج" ، وبعد نظر والده - الذي تخرج على يديه اكثر من جيل - جعله يكتب يوماً "شارل سيذهب بعيداً... بعيداً، يا الهي، اجعل كل شيء يتم على ما يرام" .  
كان اعجابه بكل اولاده يمنعه من تمييز ذكاء شارل وصفاته الفذة: قوي ومشاعب، مستبد ومتعصب، لم يكف يوماً عن اظهار عطف فائق تجاه اهله، "انه الولد الاكثر محبة" يردد ، ولصغر سنه لم يتمكن من التقدم الى الامتحان الرسمي للبيكالوريا فالتحق بصف الفلسفة حتى لا يضيع وقته ، ولكنه في النهاية نجح بتفوق في البكالوريا القسم الاول .

لكن "الازمنة الجميلة" لم تمر دون مشاكل سياسية ، وفي الاجواء العائلية تتخذ القضايا السياسية الوطنية والعالمية اصداً بعيدة المدى ، ورغم القوانين المدرسية للجمهورية الفرنسية تبقى فرنسا ابنة الكنيسة ، وتأتي مسألة "دريغوس" وذيولها لتلقي الاضطراب في حلقة العائلة التي ترى في الجيش اداة الانتقام المستقبلية . وعلى الحدود، كانت حرب التراسفال تثير سخط هنري ديغول .

في العام ١٩٠٧ غادر شارل ديغول باريس ، اذ انه بعد طرد اليسوعيين من فرنسا ارسله والده الى معهد القلبين الاقدسيين في بلجيكا لدراسة الرياضيات .

واظهر التلميذ براعة في الرياضيات وحثه اساتذته على التحضير لدخول مدرسة البوليتكنيك .  
انما لا ، كان اختياره يتوجه منذ زمان نحو "سان سير" وعلى الاخص سلاح المشاة ، وهو يقول "ان ميدان العمل فيه اوسع" .

ومن ٢٠ الى ٢٥ ايار ١٩٠٨ اعتكف التلامذة لتحضير دروس نهاية السنة ، كان من العادة ان ينال التلميذ اللامع شرف تقديم الشكر الى مدير المعهد الاب ارأس . هذا التلميذ كان شارل ديغول ، الذي وقف وقال: "يؤخذ على تلامذة اليسوعيين ان

هنري ديغول لم يكن شخصاً عادياً ، عدا كونه والد الجنرال شارل ديغول ، فقد عرف في بداية القرن العشرين بسعة ثقافته: كان يحمل لقب دكتوراه في الاداب وفي العلوم وفي الحقوق .  
شارل ديغول ولد في ١٨٩٠ وفتح عينيه على بداية عصر مشحون والتقى فرنسا الجمهورية الثالثة ، الاجواء العائلية التي عاشها اثرت كثيراً في قدرته وحياته السياسية . والده المثقف اتخذ مواقف ثابتة وصريحة من القضايا السياسية والاجتماعية المطروحة في عصره ، لكن وطنيته وحبه لفرنسا ترسخت في اعماقه فنقلهما الى اولاده بحرارة وايمان . هاجس الكرامة الفرنسية لم يفارقه ابداً .

طفولة شارل ديغول تعتبر اهم مراحل حياته قبل تكوين شخصيته الفذة . لم يكن سهل المراس ولا صاحب شخصية بسيطة ، كان تكداً ومشاعباً ، وغالباً ما كان طبعه لا يحتمل ، كان متصلباً ومتسلطاً يريد فرض إرادته على اخوته ، وفي المدرسة نصب نفسه محامياً للضعيف ، لكن شارل الطيب او المتصلب يبقى شارل البارد ، ويمزج اخوانه ووالداه فيقولون: "ربما سقط شارل من جبل ثلج" .

حتى بين العاب الاولاد كان ديغول يختار مجموعة رائعة من الجنود ، كانوا يتقاسمون الجيوش: كزافييه ملك انكلترا وباك امبراطور روسيا ، ودائماً شارل ملكاً لفرنسا ، وكانت الصعوبة الكبرى ايجاد من يحمل تاج بروسيا .

عاش الاولاد دائماً بفضل والدهم الاجواء التاريخية وكانوا لا يمرون في شارع او منطقة دون ان يثير الوالد ذكريات وطنية حدثت فيها او اعطت للشارع اسمه ، خلال تناول وجبات الطعام تدور الاحاديث عن قيصر وبومبي ، عن كورناي وراسين ، عن الشرف والحب ، والكاتب المفضل هو كورناي: لان ابطاله ينتصرون دائماً ، وكل خميس وأحد يروي هنري ديغول لاولاده المتحلقين حوله الاساطير الشهيرة او يقرأ لامرتين او يخبرهم عن سيرانو دو برجرانك .

وكل سنة تحتفل العائلة بعيد القديسة حنة لان السيدة ديغول تحمل اسمها ، وللمناسبة يلبس



لا شخصية لديهم سنعرف كيف نبرهن على العكس". ويتوقف قليلاً ليضيف: "أما المستقبل فكبير لأنه سيكون من صنعنا". والغريب أنه في السنة ذاتها أعلن انكليزي يدعى ونستون تشرشل أن "باستطاعتي أحياناً أن أحمل العالم على كتفي".

قبل الحرب الكبرى بأربع سنوات عاد ديغول إلى باريس ودخل معهد ستانيسلاس لتحضير دروس "سان سير"، وفي الصف، كان أساتذة وطلاب يناقشون في أوقات فراغهم أعمال شارل مورا ويحللون بحماس بدايات "الأعمال الفرنسية" ومبادئ الوطنية البحتة.

وبعدما عبر ديغول حدود عصرين ماذا يكون: ملكياً كوالده أو جمهورياً؟ لقد رأى الملكية ظلاً ينكفئ وكان الواقع يدل على أن فرنسا وحدها الباقية. وهو تمسك بالديموقراطية وبالجمهورية التي اتخذت طابعاً وطنياً أصيلاً. أن الانظمة تمضي ويبقى الوطن، وفي نظره دخلت الجمهورية الثالثة - العابرة كغيرها - في صلب الأشياء.

الدفعة الرابعة والتسعون في "سان سير" استقبلت تلميذاً جديداً يدعى شارل ديغول ما بين ١٩٠٩ و١٩١٢، كان على الطلاب المرور بسنة من الخدمة العسكرية الإلزامية، فاختار شارل سلاح المشاة الثالث والثلاثين في "اراس".

في ١٩١٠ يخضع ديغول بشعره الحليق لنظام المدرسة القاسي، وفي ١٩١٢ يخرج منها بلباسه العسكري وسيفه برتبة ملازم فيختار مجدداً سلاح المشاة الثالث والثلاثين في ارتوا.

لقد "تعلم ليغلب" لكنه يهتم كثيراً بالحياة السياسية. وبكلمة يعبر عن إعجابه بزعيم برلماني مثيراً الدهشة في الوسط العائلي: أنه جورج كليمنصو، هذا الرجل الذي لم يكن بعد صانع النصر، والذي قبل ١٩١٤ لم ير فيه اليمينيون سوى العدو الرئيسي للرهبان والملوك. أنه رئيس المجلس الذي تجادل مع النائب الملكي "راجل" في جلسة عاصفة دارت حول العقاب الواجب انزاله بخمسة ضباط شاركوا في قدامس اقيم ضمن ندوة للشبيبة الكاثوليكية.

أما في نظر ديغول كان كليمنصو يجمع الصفات

التي ستوصله إلى أعلى المستويات. وقد وافقه عندما عارض التوسع الخارجي لفرنسا معتبراً أن المعارك الخارجية في "ما بعد البحار" خيانة كبرى لمبادئ فرنسا.

في أحد الأيام عين قائد جديد للكتيبة الثالثة والثلاثين. أنه بيتان، هذا الفلاح الذي اختار مهنة السلاح بعد هزيمة فرنسا في ١٨٧٠ - ١٨٧١. ومثل ديغول لم تفارقه فكرة محددة هي: اشأر. وبعد هذا التعيين بدأت العلاقات تتوثق بين بيتان وديغول، فأكثر من صفة مشتركة جمعت بينهما. بدأ الإعجاب من طرف واحد، تحمس ديغول لقائده الفذ. ٣٤ عاماً تفصل بين الرجلين. وعندما ولد ديغول كان بيتان يتابع دروس ان مدرسه انعليا للحرب. وفي ١٩٠٠ عين مدرساً في المدرسة الوطنية للرماية، وقد اثار فرنسا بأرائه الحديثة عن الحرب وقال عنه ديغول "انه رجل كبير".

وعشية الحرب الكبرى وضع بيتان خطة عسكرية لم يحد عنها: لا يهاجم قبل استنزاف العدو. أنه رجل الدفاع لا الهجوم. لقد كان ينقصه شيء هام: لم يكن يملك فن قيادة الجيوش.

أن شخصية بيتان الذي ضحى بمستقبله من أجل أفكاره جذبت ديغول بنفس النسبة لتعاليمه. والاعجاب صار متبادلاً. إذ القائد الهرم يعرف قيمة الانسان. وكانت علاماته لديغول كالاتي:

١٩١٣: الفصل الاول، تخرج من "سان سير" في المرتبة ١٣ من اصل ٢١١، برهن منذ البداية على أنه ضابط قدير يبشر بمستقبل اكيد.

١٩١٣: الفصل الثاني: ذكاء حاد، يحب عمله إلى حد العشق... يستحق كل تقدير.

ورغم كل المظاهر، فإن بيتان وديغول خجولان للغاية. انهما متكبران ولكن مختلفين: الاول بكبرياء الفلاح والثاني بكبرياء الارستقراطي. كانا يعرفان جيداً حقيقة قيمتهما واحتقرا الرجال المبتدئين. كانت البلاهة والدونية تثيران قرفهما.

ولم يخف ديغول تعاليه، في "سان سير" كان رفاقه يدعونه "الديك" أو "الطاووس" لكن بين بيتان وديغول كانت هناك فوارق بارزة. كان الاول ملحداً منذ الصغر، اعزب، قاسياً، ذا علاقات كثيرة لا تعد، وكان يصرخ بقوله: "أكثر ما احب، المشاة والحب". وكان يلهمو مع أي امرأة دون النظر إلى المستوى أو الثقافة. طلب اليه يوماً أن يعطي أسماء الضباط الذين يحضرون القداس فصرح بأنه يجلس في الصف الاول وبالتالي لا يمكنه مراقبة الحضور!

كان أسلوبه يعتمد على الكلمة المعبرة التي تلخص الفكرة: "أن الهجوم هو النار المتقدمة والدفاع هو النار التي توقف الهجوم. المدفع يغزو، والمشاة يحتلون".

في ١٩١٤ لعب القدر. لا شيء يوقف الاخطار. الملازم ديغول مستعد للتجربة الكبرى.



# المقاومة الفرنسية السرية أثناء الاحتلال النازي

| اعداد قسم الدراسات

الفترة بمعتقلات "داشو" الرهيبة وباساليب  
الغيتابو العنصرية. وأؤكد انني تركت كل شيء  
بسبب اولادي وزوجتي...".

ومن لندن كان الجنرال ديغول يبث نداءاته عبر  
الاذاعة لمقاومة الاحتلال النازي. ومنذ اللحظة  
الاولى لسماعه برنامج ديغول شعر بواجبه الوطني؛  
وفي اليوم التالي ذهب ريمي الى مقر الجنرال في  
سانت ستيفنس هاوس قرب ويستمنستر. ولكنه لم  
يحظ بمقابلة الجنرال في البدء فاحيل الى ضابط  
في المخابرات... وهكذا دخل ريمي في خدمة  
مخابرات فرنسا الحرة برتبة كولونيل.

★ ★ ★

## أخطر عملية تجسس

كانت اخطر عملية تجسس نجح ريمي في تأديتها  
تحديده للمواقع الاساسية للقواعد العسكرية  
البحرية الالمانية المنتشرة في مرافئ بحار  
الشمال والمانش والاطلسي. واهمية هذه العملية  
انها اتت في وقت كان يستعد فيه النازيون  
لمهاجمة بريطانيا بحرا بواسطة اسطول ضخم من  
احدث الطرادات الحربية التي كانت تجهز في اكثر  
من مكان على طول شواطئ البحار الثلاثة.

قال ريمي: "... كلفوني بالقيام باحصاء  
للقواعد الالمانية وبتحديد مكانها وتجميع اكبر عدد  
ممكّن من المعلومات حولها... وبدأت العمل...  
كان ذلك في اواخر صيف ١٩٤٠. سافرت اكثر من  
مرة الى فرنسا بهويتي الحقيقية. وكان ذلك سهلا  
بسبب ان الغيتابو لم تكن رتبته جهازها بعد في  
الاراضي المحتلة.

بدأت اولا بتنظيم الاتصالات وتأمين ارسال  
البريد بانتظام. وفوجئت بكثرة المتطوعين  
الراغبين في العمل معي. وفي تلك المرحلة الاولى  
من عملنا كنا حذرين من المخبرين فقط على رغم  
انهم لم يتجرأوا بعد على الظهور علنا...  
حصلنا على اول خبر مهم بواسطة بائع نبيذ أكد  
لنا ان الالمان يجهزون قاعدة عسكرية في "سانت  
نازير"... وبدأت فورا في البحث عن خبير

اسمه الحقيقي: جيلبير رينو

من اشهر القاب الحركية السرية: ريمي  
أول مؤلفاته التي صدرت عادة تحرير فرنسا من  
الاحتلال النازي: "مذكرات عميل سري لفرنسا  
الحرّة".

ولد رينو سنة ١٩٢٠ وهو ما زال على قيد الحياة  
حتى اليوم.

أضافة الى المعلومات المثيرة التي تضمنها  
الكتاب، كشف ريمي للمرة الاولى في مقابلة مهمة  
(١) جوانب جديدة من حياته السرية والعلنية  
تستحق التوقف عندهما.

★ ★ ★

وريمي ليس بجاسوس محترف كباقي الجواسيس  
التقليديين، انه مناضل من اجل الحرية  
والديمقراطية. دخل ميدان العمل السري صدفة ومن  
غير تدريب مسبق. كان دافعه الرئيسي: مقاومة  
النازية التي تحتل بلاده.

قبل الاحتلال النازي لفرنسا (حزيران ١٩٤٠)  
عمل ريمي في قطاع المصارف ثم في قطاع  
التأمينات. ومن خلال عمله هذا اتصل بعدد كبير من  
الشخصيات والفعاليات وسافر الى بلاد عدة منها  
اسبانيا حيث كان يأمل بالعمل في شركة تأمين  
كانت تمول فيلما سينمائيا عن كريستوف  
كولومبوس. ولكنه ما لبث ان عاد الى فرنسا اثر  
نشوب الحرب الاهلية الاسبانية في سنة ١٩٣٩.

فور سماعه بدخول طلائع الجيش الالمانى النازي  
الى فرنسا، هاجر ريمي الى بريطانيا هربا من  
العنصرية المهترية التي لم يعرف الاخبار والروايات  
عنها في بادئ الامر الا نغمات من المحظوظين  
مثل ريمي الذي استقى المعلومات الحية عن  
الممارسات النازية من صديقه الالزاسي "اوتو  
هونتزباخر"، مراسل وكالة "هافاس" للانباء في  
براغ. اوضح ريمي هذه النقطة بقوله: "... كنت  
من بين الفرنسيين القلائل الذين سمعوا في تلك

(١) نص المقابلة في كتاب خاص اصدرته مجلة "ايستوراما"  
الفرنسية المتخصصة في التاريخ، وعنوانه "الجواسيس الكبار  
خلال الحرب العالمية الثانية"، الجزء الاول، ١٩٧٤، صفحة ١٠٢

- ٢٥١ -



■ صورة لرئيسي في تشرين الأول ١٩٤٢



بالاتصالات اللاسلكية لتشغيل جهاز راديو وزنه ٣٠ كلف كان الانكليز زودوني به قبل مدة . وكما تلاحظ لم تكن لدى الانكليز الامكانيات الكافية لتزويدي بجهاز راديو اخف وزنا وبالتالي اقل مجازفة . . . . .  
كان علينا العمل بسرعة لان معركة الاطلسي كانت قد بدأت بالفعل . . . . .

وتكاثرت المعلومات لدينا: فعلمنا بوجود قاعدة عسكرية بحرية في "لوريان" واخرى في "لاباليس" . . . . . وهكذا عرف الحلفاء بين آذار ١٩٤١ وحزيران ١٩٤٢ كل ما يجري في مرفأ "بورديو" من تجهيزات واستعدادات عسكرية . وشكلت هذه المعلومات التي نقلناها الى لندن المنطلق لتدمير (١٠) طرادا المانيا اضافة الى اكثر من ٢٠ باخرة شحن مختلفة . . . . . ثم انصب جهدنا على الطرادين الالمانيين الخطيرين "غنيزانو" و"شارنهورست" اللذين عرفنا انهما موجودان في "بريست" في احواض "نينون" . وحصلنا على هذه المعلومات المهمة والاستراتيجية من الملازم "فيليبون" الذي كان يعمل كخبير تقني في "نينون" لصالح البحرية الالمانية النازية . وكان "فيليبون" يخدم النازيين بسبب كرهه "الوراثي" للانكليز . وعرفنا في ما بعد انه اقسم يمين الولاء للماريشال بيتان يوم تسلمه السلطة تحت الاحتلال . وتطلب اقناعه بصحة المبادئ التي تناضل من اجلها وقتاً غير قصير اضافة الى اتصالات سرية مع رئيسه في العمل الكابتن "الديغولي" كورسون . . . . .

### معلومات عن الطراديين

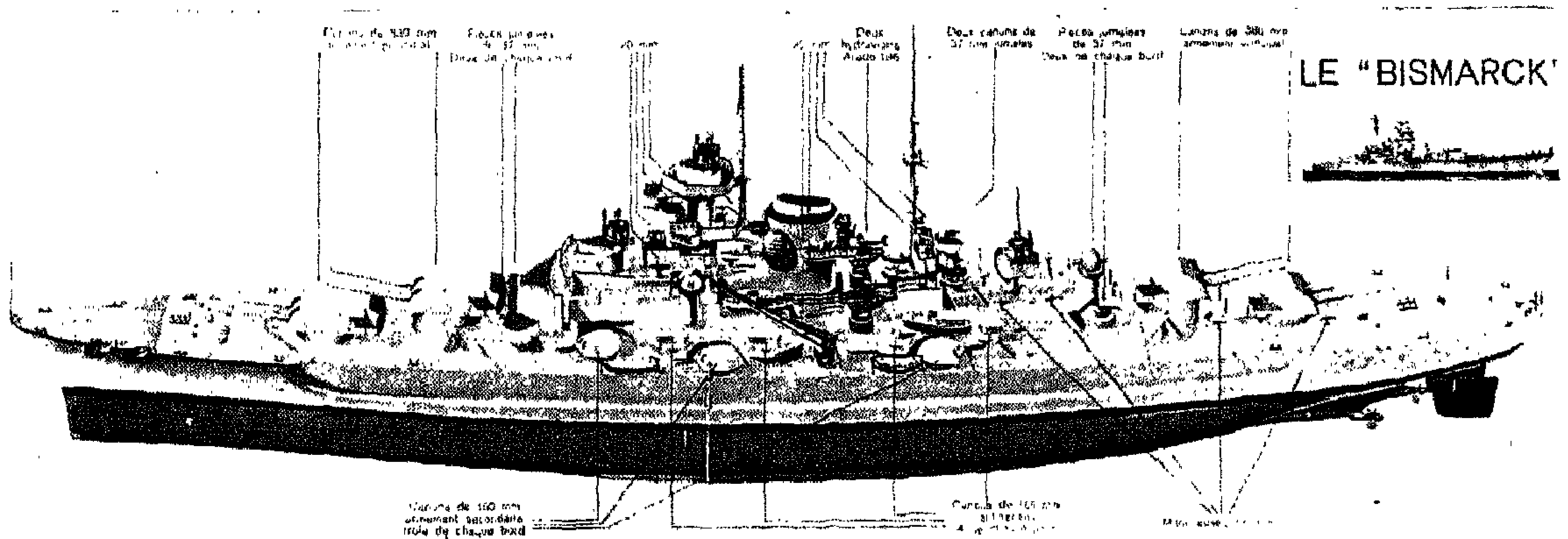
كان هاجس ريمي في كل لحظة تأمين اكبر قدر ممكن من المعلومات حول هذين الطرادين تسهيلا لشن غارة عليهما من قبل سلاح الجو البريطاني . وظهرت نوعية اتصالاته وعلاقاته ان الخلايا السرية التي نظمها يومها كانت متينة للغاية ودقيقة في عملها .

واستنادا الى هذه المعلومات استطاع سلاح الجو البريطاني في ١٩٤١/٤/٢ اعطاب الطراد "غنيزانو" لمدة ٦ اشهر على الاقل ، ولكن المقاومات الارضية الالمانية حول الموقع ، والتي قدرت باكثر من ٣٠٠ مدفع مضاد للطائرات ، اسقطت كل الطائرات البريطانية المهاجمة يومها . وفي ١٩٤١/٧/١٨ اصيب "غنيزانو" مرة ثانية مما اعطبه لاشهر اضافية اخرى . اما بالنسبة الى الطراد الآخر "شارنهورست" ، فمطارده كانت اصعب :

" . . . . . ففي ٢٣ تموز ابرقت الى لندن ، بناء على معلومات عملائنا ، بما يأتي: "غادر "شارنهورست" بريست" صباح هذا اليوم قبل الفجر بقليل . اعتقد انه يتجه جنوبا" . وكان رد سلاح الجو البريطاني سريعا ولكن مأساويا: تمشيط كامل المنطقة بالصواريخ والقنابل مما الحق خسائر جسيمة في صفوف المدنيين . والمهم ، مع ذلك ، ان "شارنهورست" اصيب صدفة بخمس قنابل على الاقل اعطبته لمدة ٤ اشهر .

وفي اوائل تشرين الثاني ١٩٤١ ارسل "فيليبون" الى ريمي برقية مستعجلة ابلغه فيها بأن الالمان اعادوا اصلاح "غنيزانو" و"شارنهورست" وانهما سيخران قريبا الى جهة مجهولة . وبعدما تأكد ريمي من الموعد المحتمل لايحار الطراديين ارسل برقية الى القيادة في لندن بتاريخ ١٩٤١/١٢/٢ جاء فيها ان الطرادين المذكورين ، اضافة الى طراد ثالث هو الطراد "لوتزو" ، ستبحر من "بريست" الاول والخامس عشر من كانون الثاني ١٩٤٢ . ولكن مر الوقت المحدد ولم يظهر للطرادات اثر . ويبدو ان الالمان هم الذين سربوا هذا الموعد الخاطيء لتضليل الحلفاء مما اوقع جهاز ريمي باكملة في بلبلة لم يكن يتوقعها خصوصا وان الغيستابو كانت حديثة العهد في فرنسا ، وهذا يدل على الفعالية الكبيرة للمخابرات النازية في الاشهر الاولى من احتلالها لفرنسا .

ولم يستسلم ريمي لليأس . حاول الاتصال بلندن اكثر من مرة لتحديد موعد . محتمل جديد لانطلاق



■ صورة للطراد "بيسمارك" مجلة "ايستوريا"





# تاريخ الشطرنج بالقصص



يكتبها محمد مراد بكر

رئيس الاتحاد اللبناني للشطرنج  
الامين العام للاتحاد العربي للشطرنج

## بريطانيا

المولى، لقد خسر الرب معي ٥٠٠ جنيه وعليك التسديد فانت وكيله في الارض". واضطر الاسقف امام تهديد المسدس لان يدفع له المبلغ كاملاً.

ولم يكن الشطرنج في انكلترا كما هو في فرنسا لملء الفراغ وقتل الوقت، ولكنه كان علماً يعطى (بضم الياء) كل الهمية، ولا شيء كان يزعج اللاعب الانكليزي مثل سماعه زميله الفرنسي يقول: انه من المستحسن ان نلعب اربع جولات وسط من ان نلعب جولة واحدة مدروسة، اذ لم يكن الانكليزي يلعب الشطرنج لقتل الفراغ بل كان يطبق المثل الانكليزي الذي يقول "اعط عمك كل الاهتمام ولو كان تافهاً" فالاثقان اهم من كل شيء. وهكذا كان الانكليزي يعطي الشطرنج كل تفكيره وتركيزه الذي يعطيه لبقية اعماله.

لذا كانت بريطانيا العظمى (في ذلك الوقت) البلد الاوروبي الذي بلغ عدد لاعبيه في الشطرنج رقماً قياسياً من الذكور والاناث، اذ لم يكن من النادر ان تلتقي باحدى سيدات المجتمع تلعب الشطرنج بمهارة في الصالونات التي كانت منتشرة في ذلك الحين.

وتفنن كثير من الشعراء في وصف الشطرنج وخصص له الكثيرون قصائد منفصلة، فقد نشر روك قصيدة عنوانها "شاه مات في خمس نقلات" وكان ذلك سنة ١٨٥٦ في مجلة "لاعب الشطرنج"، ونشر ابلاي سنة ١٨١٩ قصيدة تصف جولة في الشطرنج ربحها دونيل كما نشر كيرات غيرها ولعل الطفها قصيدة نشرت سنة ١٧٦٤ يصف فيها هاوكنز معركة او جولة كما تخيلها بين فارس وبين الامازون. واطولها ما نظمه توملنسون في مجلة "ذي تشيس بلايبرز" سنة ١٨٥٨ وهي مؤلفة من اربعة اقسام:

القسم الاول - روح الشطرنج

القسم الثاني - ممارسة الشطرنج

القسم الثالث - ضحية الشطرنج

القسم الرابع - توظيف اوقات الفراغ

وقد كانت في لندن وحدها سنة ١٨٥٠ ست مجلات تهتم بالشطرنج وثلاثون اخرى في كافة المملكة البريطانية. هذا بالإضافة الى الصحف العديدة التي كانت تهتم بالشطرنج واخباره. كما

يقول باستيرو في كتاب صدر له سنة ١٨٦٣، ان الشطرنج دخل انكلترا حوالي سنة ٩٢٥ - ٩٤٠. اما تقاليد الفروسية فعرفت بها بريطانيا في القرن الحادي عشر مع النورماند، وكان الشطرنج في ذلك الوقت يحتل مع ألعاب الزهر مكان الصدارة بل تكاد تكون الألعاب الوحيدة التي كانت تملأ اوقات فراغ كبار القوم، حتى ان احوال الحرب المدنية لم تستطع ان تخفف من هذه الهوايات (وهذا ما يؤكد ج. اندروز في كتابه "العادات في بلاد الانكلوساكسون")، وكان الانكليز يتناقلون الشطرنج ايا عن جد ولم تكن بعض العائلات تجد اجمل من لعبة الشطرنج تملأ بها فراغها.

وتروي "مركور دي فرانس" في عددها الصادر في تشرين الثاني ١٧٦٨ حكاية قاطع الطرق الانكليزي الذي احتال على اسقف كانتربيري لتسليمه امواله.

وتفصيل القصة، ان قاطع الطرق هذا، وقف يوماً على جانب الطريق الذي يمر منه رجل الدين هذا كل يوم وما ان رأى عربة الاسقف حتى بدأ يقوم ببعض الحركات وكأنما يكلم ربه، فوقف الاسقف ليعرف السبب، وما ان رآه قاطع الطرق حتى قال بصوت منكسر حزين: "اني اقود نفسي للخراب"، "كيف ذلك" سأله الاسقف فقال: "كما ترى يا سيدي انا لعب الشطرنج"، "لوحذك؟" سأله رجل الدين، "كلا" اجاب الرجل. اني اللاعب ربي وقد خسرت خمسين جنيهًا، فذهبا ان سمحت يا سيدي، فانت وكيله على الارض، ووزعها على الفقراء، فهذا هو الاتفاق بيني وبين الرب"، والح في ذلك. فظنه رجل الدين معنوياً خصوصاً بعد التشدد عليه للموافقة، فاخذ منه المال مكرهاً لاهماد ثورته ثم تابع طريقه.

وفي المساء اثناء عودته وجد الاسقف الرجل في مكانه يتابع نفس الحركات ولما نزل من العربة واقترب منه ليعرف الخبر، صرخ فيه الرجل والمسدس في يده: "هذه سادس مرة اربح بها

يجتمعون في البدء في متهى (كافي هاوس دي بارسلو) وقد لعب هذا النادي سنة ١٨٢١ مباراة بالمراسلة مؤلفة من خمس جولات مع باريس دامت خمس سنوات ، وضم نادي تشس كلوب المؤسس سنة ١٨٤٩ احسن لاعبي العصر مثل ستاوتن ، سلون ، ستاينيتز وغيرهم كثيرين .  
وسنذكر في حلقة اخرى بعض التفاصيل الاخرى .

اشتهرت بريطانيا بكثرة نوادي الشطرنج ولعل اولها ما انشئ سنة ١٧٧٠ في مقهى شارينغ كروس وآخر انشئ سنة ١٧٧٤ في ذات هاوس في شارع سانت جايمس واشتهر بعدد اعضائه المائة (لم يكن يقبل اكثر) ، وثالث في مقهى اولد سلوتر في سانت مارتن لاين ، وانشأ فيليدور اللاعب الكبير ناديا في لندن سنة ١٨٠٧ وكان اللاعبين

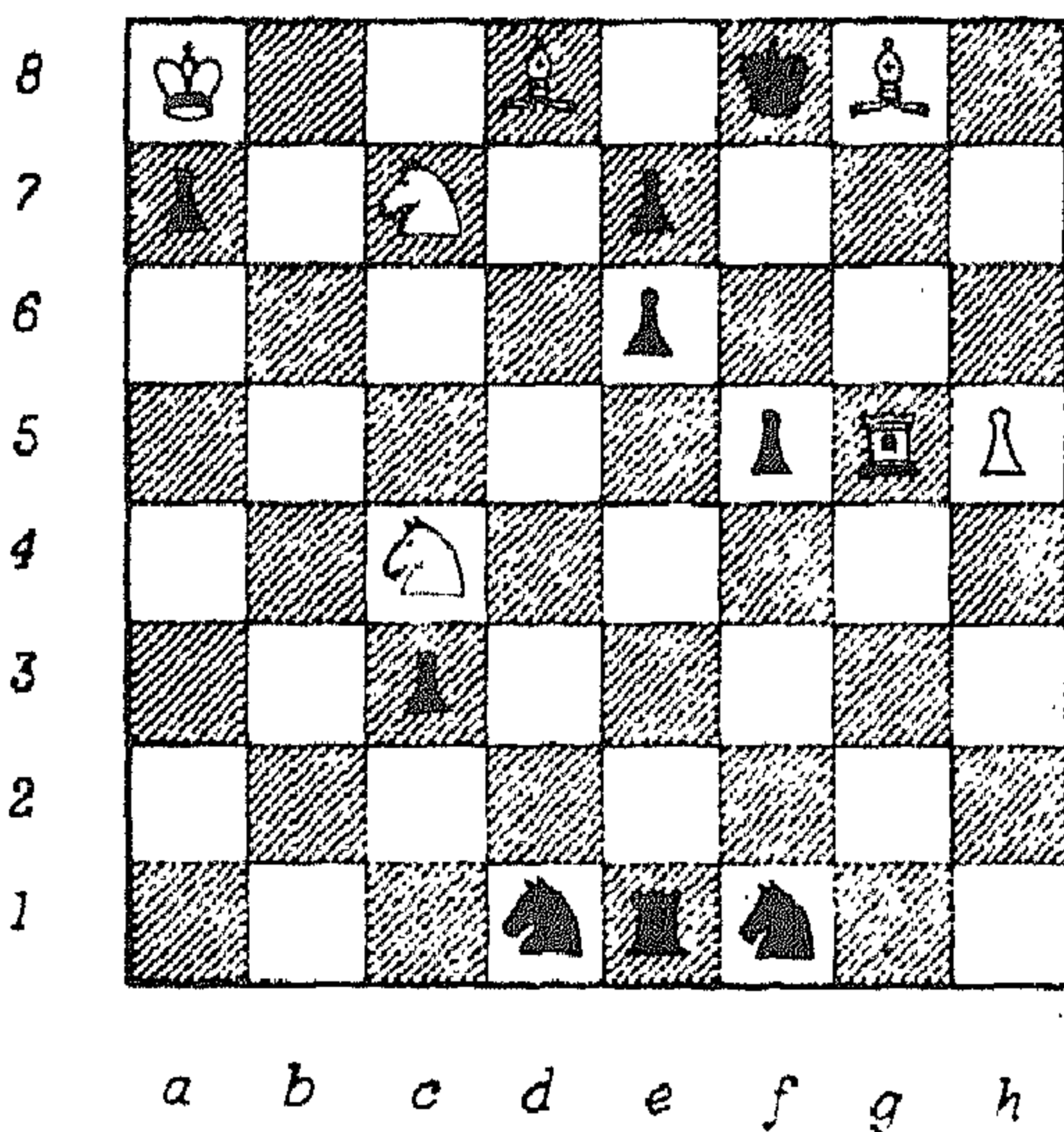
## مسابقة الشطرنج

ترسل الحلول الى ادارة المجلة ص.ب. ٥٩٠٥ ويكتب على الظرف مسابقة الشطرنج . يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال .

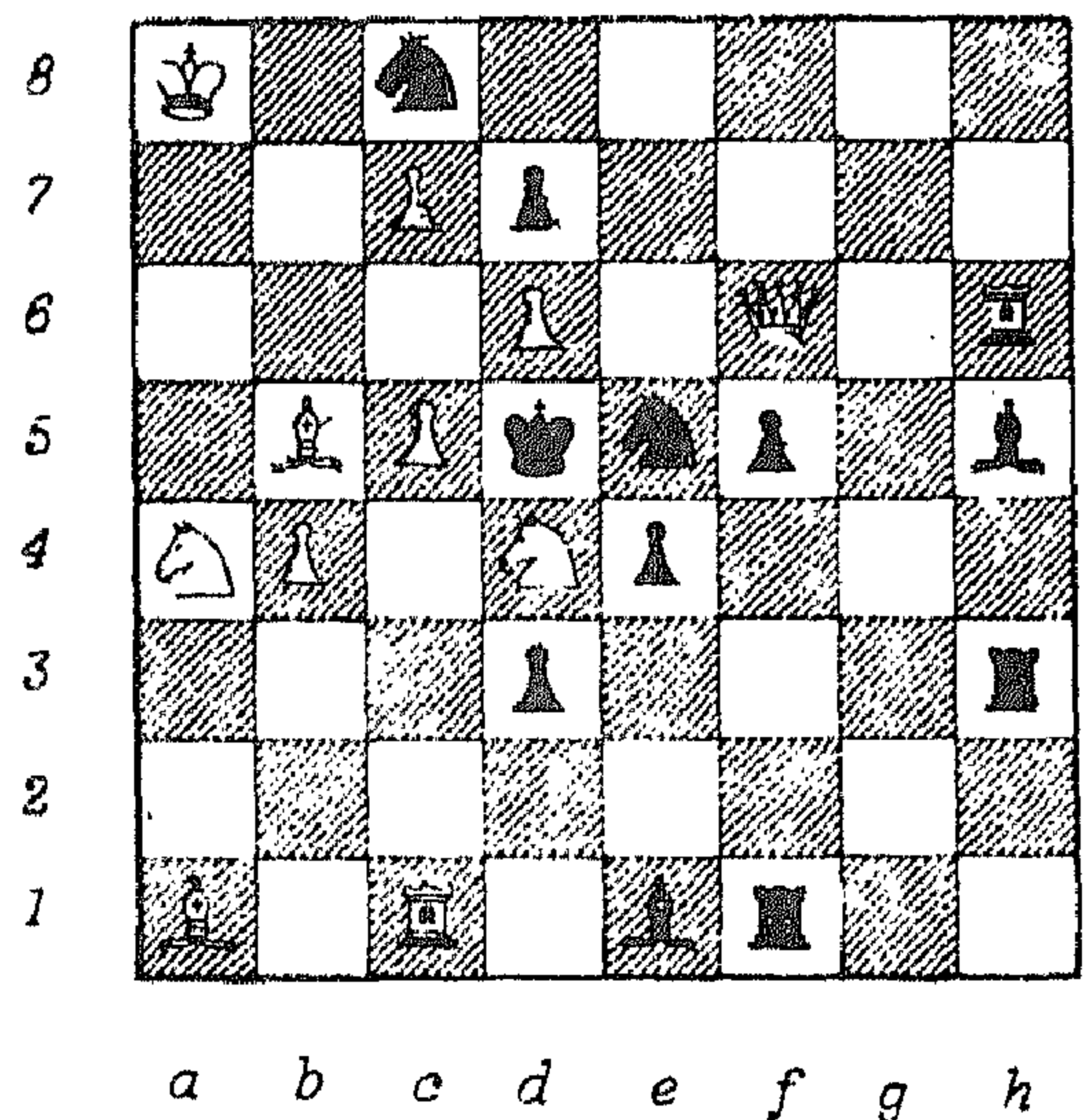
وسنشر في كل عدد مع الحل الصحيح للمسائل المنشورة اسماء الذين توصلوا الى الحل الصحيح في المدة المحددة والذين سيكون لهم الحق بالاشتراك في الجائزة السنوية .

### المسابقة رقم ٢

المسألة رقم ٤  
مات بثلاث نقلات



المسألة رقم ٣  
مات بنقلتين



الجوائز هي:

"تاريخ العرب والعالم" للفائز الثاني.  
الجائزة الثالثة: اشتراك لمدة نصف سنة  
للفائز الثالث.

الجائزة الاولى: مائة ليرة لبنانية  
للفائز الاول.  
الجائزة الثانية: اشتراك لمدة سنة في

### حل المسائل المنشورة في

#### العدد رقم ١

المسألة رقم ١ - المفتاح: Ré 4 - 1

المسألة رقم ٢ - المفتاح: Tb 6 - 1

وسنشر في العدد المقبل اسماء الذين ارسلوا  
الحل الصحيح في الوقت المناسب .



# ماذا تعرف عن الطابع ؟



اعداد: ميكال ابرطفانت

الانصافي في الطابع

مصر

المكتب الفرنسي: باشر المكتب الفرنسي اعماله في عام ١٨٤٠ اي قبل تسعة اعوام من صدور اول طابع فرنسي عام ١٨٤٩ ومن البديهي الا تكون لدى هذا المكتب طوابع يومئذ بل كان يستعمل الاختام الخاصة بكل بلد يعمل فيه، واستمر ذلك حتى اواخر ١٨٤٩ حين صدرت الطوابع الفرنسية العادية فاستعملت في شتى المكاتب الفرنسية وكانت تعطل باختام تحمل ارقاماً خاصة تختلف باختلاف البلدان وهي بهذا الشكل: صورة ٨-٩

فالارقام التي استعملت في الشرق العربي هي: الارقام الصغيرة - ٣٧٠٤ (اسكندرية) ٣٧٠٦ (بيروت) ٣٧٦٦ (اسكندرون) ٣٧٦٨ (يافا) ٣٧٦٩ (اللاذقية) ٣٧٧٣ (طرابلس سوريا).

والارقام الكبيرة - ٥٠٧٩ (اسكندرون) ٥٠٨٠ (اسكندرية) ٥٠٨٢ (بيروت) ٥٠٨٩ (يافا) ٥٠٩١ (اللاذقية) ٥١٠١ (طرابلس سوريا) ٥١٠٥ (المسويس) ٥١٠٧ (تونس) ٥١١٩ (القاهرة) ٥١٢٩ (بورسعيد).

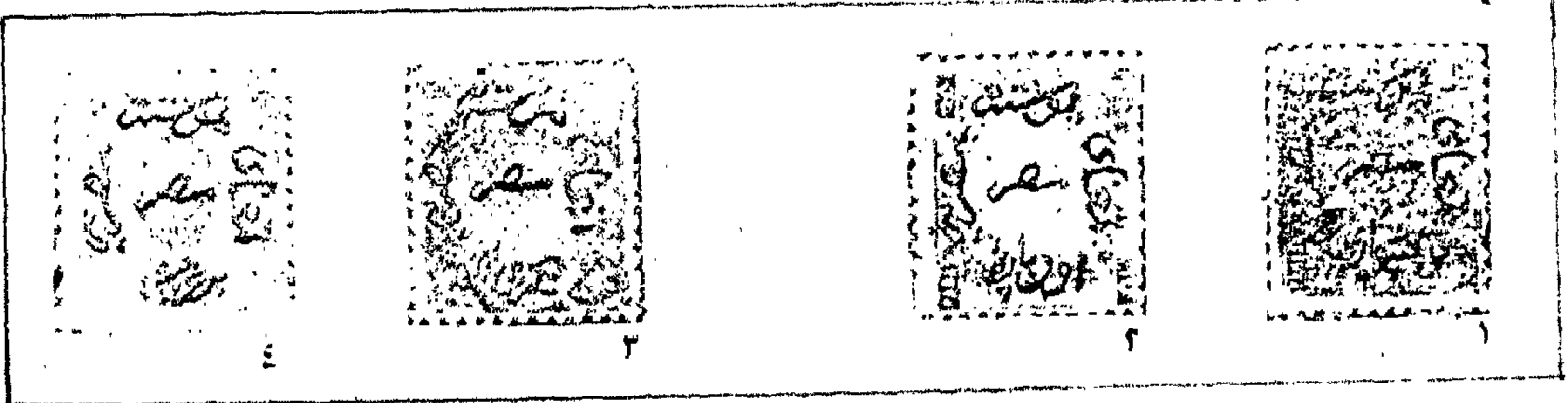
وفي عام ١٨٨٥ استعمل المكتب طوابع فرنسا الصادرة عام ١٨٧٦ و١٨٧٧/٩٨ بعد توشيحها بالعملة المصرية اي بالقرش ثم اصدر عام ١٩٠٢ مجموعة خاصة مؤلفة من ١٥ طابعاً تشبه الاصدارات الفرنسية مع اضافة كلمة Levant في اسفل الصورة.

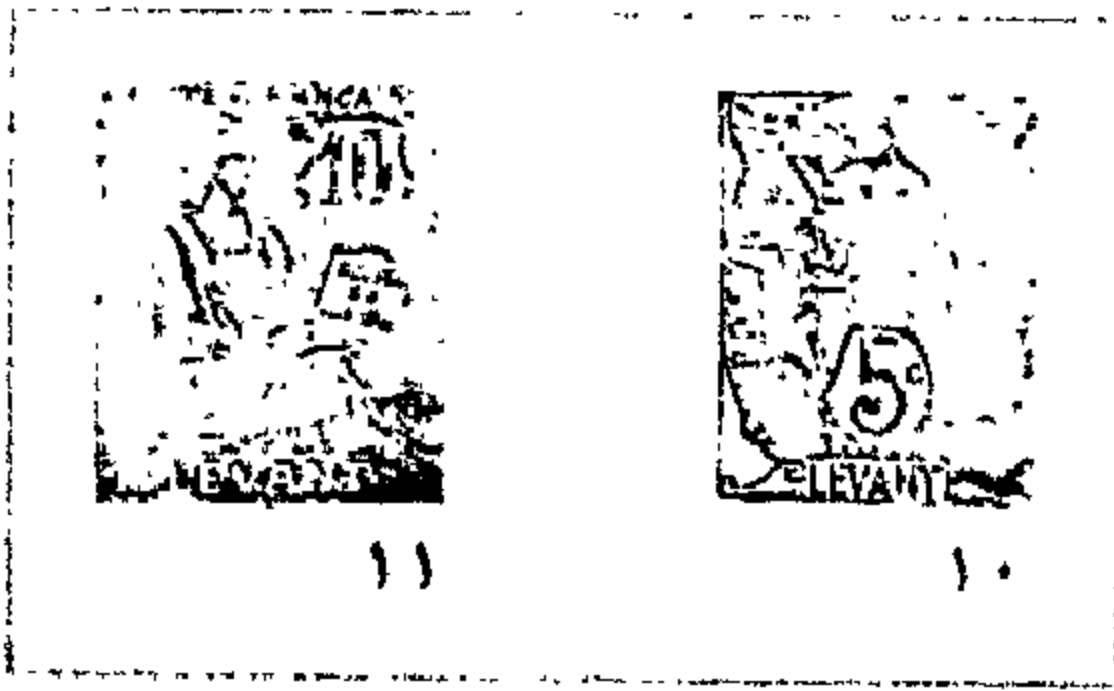
وهناك ايضاً اصدارات اخرى تبعتها عام ١٩٠٥ و١٩٠٦ و١٩٢١ و١٩٢٣ تجمع ١٧ طابعاً مختلفاً. ومن بين هذه الاصدارات طابع يحمل كلمة بيروت قرش واحد:

بدأ التخليص في مصر بواسطة المكاتب الاجنبية التي كانت قائمة في الاسكندرية وبورسعيد والسويس والقاهرة، فكان كل مكتب يستعمل في البدء طوابع البلاد التي يمثلها مع ختم خاص بمصر ثم صدرت بعدئذ طوابع خاصة بهذه المكاتب.

الى جانب ذلك كانت الطوابع التركية التي بدأت عام ١٨٥٩ تستعمل في جميع البلدان الواقعة تحت السلطة العثمانية، الا ان مصر لم تلبث ان اصدرت مجموعتها الاولى في عهد الخديوي اسماعيل بتاريخ اول كانون الثاني سنة ١٨٦٦، مؤلفة من سبعة طوابع، طبعت لدى مؤسسة بيلاس اخوان في جنوا بايطاليا حسب النماذج المصورة ادناه، ووشحت بالباره والقرش المصري الساريين وقتئذ، وباللغة التركية كالآتي: التوشيح على اليمين "تمغاي" اي طابع - فوق "بوسته" اي بريد - الشمال "مصرية" - الوسط "مصر" - اسفل "بش باره" اي ٥ باره - "اون باره" اي ١٠ باره - "يكرمي باره" اي ٢٠ باره - "بر غروش" اي قرش واحد - "ايكي غروش" اي قرشان - "بش غروش" اي ٥ قروش - "اون غروش" اي ١٠ قروش.

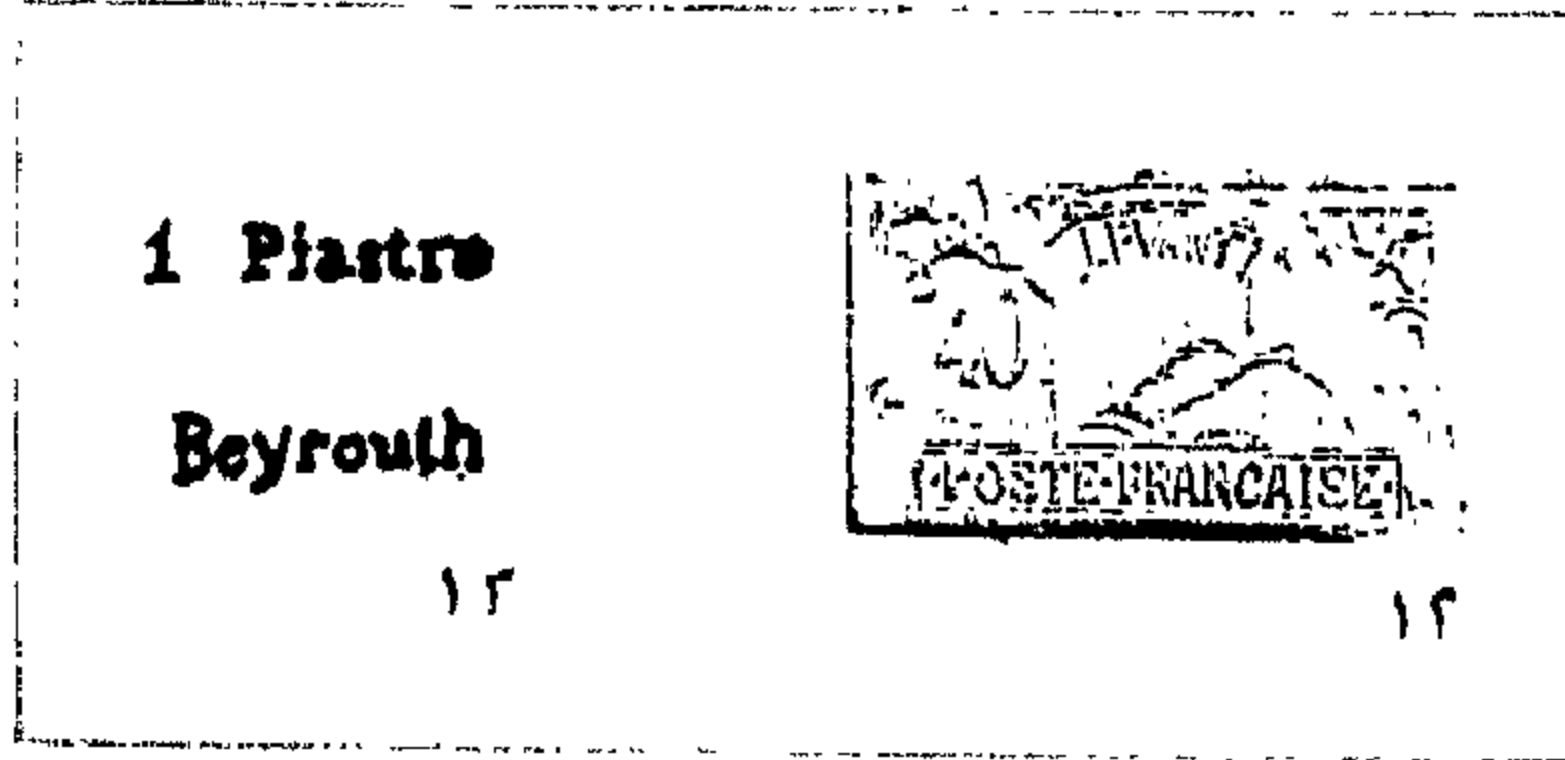
وبالنظر الى ارتباط تاريخ الطوابع في البلاد العربية وبلدان حوض المتوسط بالمكاتب الاجنبية التي كانت قائمة فيها، وبسبب ما كان لها من فضل في نشر الطابع عندها، رأينا ان نعطي في كل حلقة من بحوثنا بعض المعلومات الايضاحية الاساسية عن هذه المكاتب الاجنبية، وخصوصاً انه جاءت في بعض اصداراتها طوابع اصبحت اليوم ذات قيمة مرتفعة، وينوع خاص ما كان منها على غلافات تحمل اختاماً واضحة.





## هل تعلم ؟

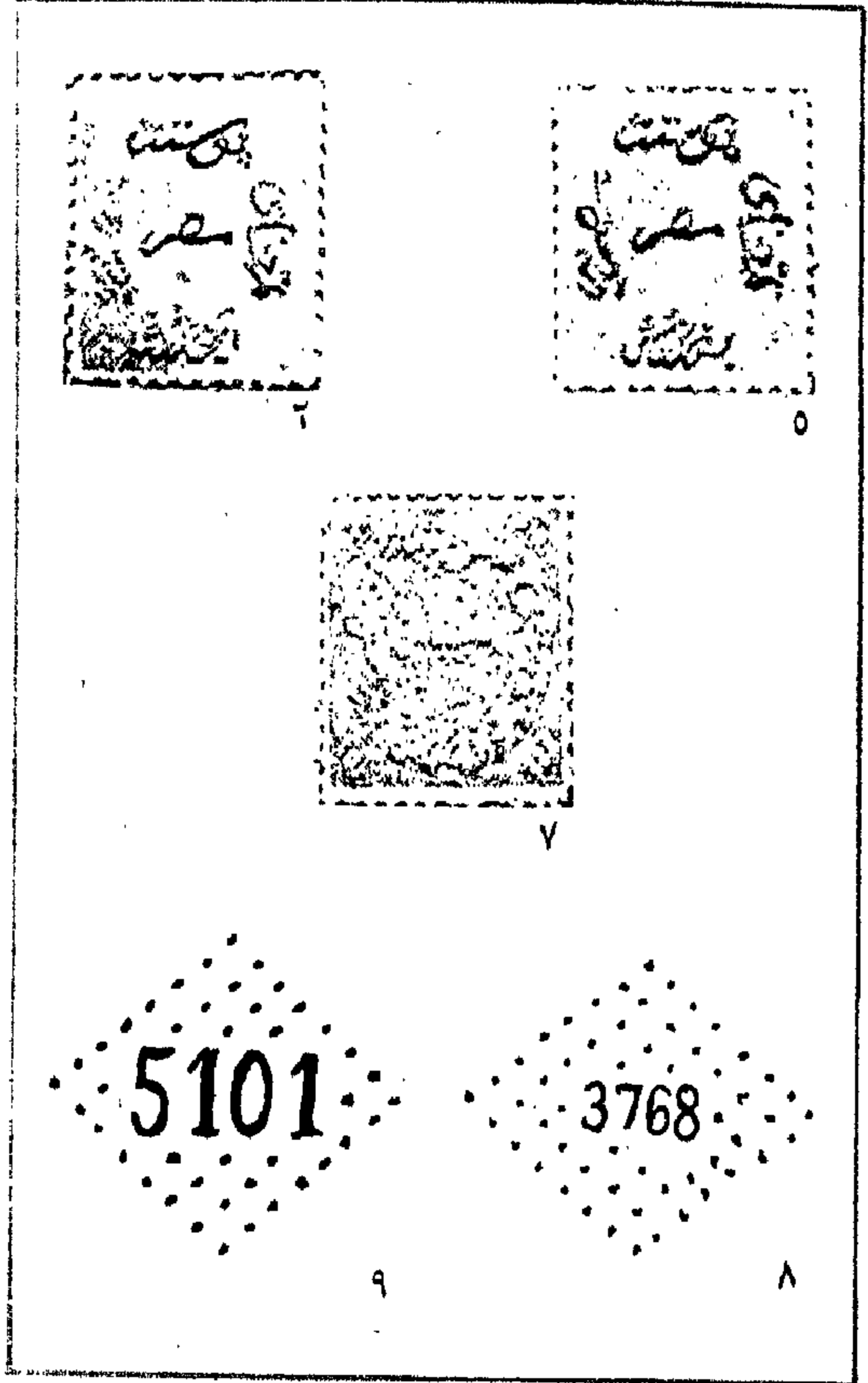
ان الطابع الذي يمثل فلك نوح والذي اصدرته  
حاضرة الفاتيكان في اواخر ايار ١٩٧٤ فئة ٢٥ لير  
ايطالي قد رسمته الانسة كارول مناديلي (١٣ سنة)  
وقتئذ، اللبنانية الجنسية والطالبة في مدرسة  
الكرمل سان جوزيف في مباراة فابريانو  
للسنة العالمية للكتاب وقد اختير رسم الانسة  
مناديلي من بين ٢٦٥ صورة.



هل تعلم ان اول طابع ظهر في العالم كان عام  
١٨٤٠ يحمل صورة امرأة هي الملكة فكتوريا ملكة  
انكلترا، وكان سبب ابتكار الطوابع ان فتاة  
اسكتلندية اتفقت مع من يرسلها على علامات  
تكتب على الغلاف حتى اذا تسلمته اطلعت عليها  
وعرفت المقصود من الكتاب ثم ترفض تسلم  
الغلاف فتتجو بذلك من دفع اجرة التخليص، وعرف  
بذلك احد المدرسين ويدعى "رولاند هيل" فتصور  
الضرر الذي يصيب مصلحة البريد اذا كثر عدد امثال  
هذه الفتاة، كما شعر بالصعوبة التي يلاقيها  
الفقراء في دفع اجور التخليص المرتفعة، قابلكر  
فكرة الطوابع ولاقى كثيراً من الصعوبة لاقتناء  
الدولة بفائدة ابتكاره.

وهل تعلم ان "الفالينشال تايمز" نشرت في عدد  
حزيران ١٩٧٨ ان الطوابع البريدية الثمينة اصبحت  
عنصراً استثمارياً في العالم، فمنذ سنتين ولمدة  
ثلاث سنوات لاحقة على الاقل سيكون الطلب  
متزايداً لشراء الطوابع العالمية الثمينة، لجعلها  
من جملة احتياطي المؤسسات التجارية المختلفة.

اصدره المكتب احتياطياً، وقد وقع خطأ في  
النطبع اصاب ضابعا واحداً في كل طلمحة فوردت  
كلمة " Piastre " بدلا من Piastre وقيمة  
هذا الصانع التجاري اليوم هي: اسدني جديد ٢٥٠٠  
المخزون ٢٥٠٠ غرنكا فرنسياً، واسمعهود جديد ٩٠٠٠  
أيمختوم ١٥٠٠ حريت فرسي.



## قسم الطوابع

■ نرحب بجميع الاستئلة من لدن القراء وهواة  
جمع الطوابع وسننشر في هذا المكان ما يكون منها  
مهما ومفيداً. ارسل ملاحظاتك واقتراحاتك الى  
مجلة "تاريخ العرب والعالم" - قسم الطوابع -  
ص.ب (٥٩٠٥) - بيروت - لبنان

## حركة البيع والشراء

■ هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع  
وللراغبين في المبادلة او البيع او الشراء. وقد  
درسنا احسن الاسس العالمية الحديثة لهذه الغاية  
وسنضع خبرتنا مجاناً في خدمة القراء.



## مسابقة الشهر

عمودياً:

- (١) بلد عربي ، بلد عربي
- (٢) كانت سيدة البحار
- (٣) ملكة سابقة تراها على احد الطوايح
- (٤) عمفور مرقط معروف
- (٥) قادم (معكوسة) ، شتم
- (٦) يزيغ
- (٧) ثلثا موت ، يستخرج من زهر الورد
- (٨) مدينة تاريخية ، اسم مذكر اجنبي (معكوس)
- (٩) ربط اصبعه بخيط كي لا ينسى شيئاً ما ، مدينة في ولاية تكساس (معكوسة)

افقياً:

- (١) بلد عربي - بلد عربي
- (٢) خالق (معكوس) ، بلد عربي
- (٣) عاصمة بلد عربي ، نجيع
- (٤) يصير طبيباً ، فقد البصر
- (٥) اصبع
- (٦) حرف نداء متكرر ، ٤ مرات
- (٧) عملة قديمة تساوي سدس الدرهم ، قائد الماني يلقب بثعلب الصحراء
- (٨) بلد عربي
- (٩) بلد عربي ، عاصمة بلد عربي

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
									١
									٢
									٣
									٤
									٥
									٦
									٧
									٨
									٩



## حل مسابقة العدد الماضي

عمودياً:

- (١) فخر الدين (١) ياق - سوريا (٢) لص - غورو
- (٢) وكيل - اميل (٤) ري - ننو (٦) وشاية (٧) ابن سينا (٨) جرّ - حنف (٩) بعلبك - ربي

افقياً:

- (١) كوروليف (٢) خاصكية جب (٣) رق - شارل (٤) باول (٥) وال - بحنين (٦) ديران - سن (٧) موري - ايفر (٨) نوغيس (٩) ليطاني





# للطلاب فقط...

اعداد : سحر بصيري

الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي، خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم .  
ومن أجل هذه الغاية خصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد .  
والمطلوب الاجابة على الاسئلة جميعها وارفاقها بالقسيمة المنشورة الى جانب الزاوية . ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من اخطأ في أحد الحلول .  
اذا رغبت ، صديقي الطالب ، بالاشتراك في المسابقة فمعليك الا أن ترسل الحلول مع القسيمة الى عنوان المجلة ، مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة او الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه . وتفعل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لان المسابقة مخصصة للطالب . . . . . للطالب فقط .

## اية معركة ؟

■ المعركة التي نشبت بين المقاومة المغربية وعلى رأسها الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي والقوات الاسبانية عام ١٩٢١ . ففي شهر تموز (يوليو) وبينما كان الامير محمد عبد الكريم الخطابي يحاصر اجريين ، وصل القائد العام للقوات الاسبانية سلفستر لنجدة الحامية المحاصرة فلما وجد انها سقطت قرر الانسحاب فتنبعته القوات المراكشية ، وفي ١٨ تموز (يوليو) التحمت معه في معركة (٠٠٠٠٠) التي تعد من الوقائع الحاسمة في تاريخ مراكش حيث اباد الامير الخطابي الحملة الاسبانية بأسرها بما فيها القائد سلفستر نفسه . على اثر هذه المعركة هبت قبائل الريف وظهرت المراكز الاسبانية المبعثرة في انحاء المنطقة ويعزو الاسبان وقوع هذه المزيمة الى امرين : طبيعة البلاد الصعبة والفساد الذي كان منتشرأ في صفوف جيشهم وإدارته لكنهم يتجاهلون عاملاً ثالثاً مهماً وهو ان زعيم المقاومة اتجه الى تأسيس ادارة منظمة والاستفادة من احدث وسائل الحرب في مقاتلة العدو .

## اي اتفاق ؟

■ تفاهم سرى بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لاقتسام الامبراطورية العثمانية ولقد امكن التوصل الى اتفاق نهائي بشأن ذلك خلال تبادل ١١ رسالة خلال فصلي الصيف والخريف من عام ١٩١٦ . وكانت الاتفاقية تقضي بأن تسيطر فرنسا على المناطق الساحلية من سوريا ولبنان وان تضع بريطانيا يدها على كل من العراق وفلسطين . اما روسيا فكان المفروض ان يكون نصيبها منطقة الاناضول التركية على ان تقام دولة عربية اتحادية مستقلة في المناطق التي لا تستولي عليها اي من الدول الثلاث السابقة الذكر . وكانت هذه الاتفاقية مناقضة كل التناقض للاتفاقيات التي عقدتها بريطانيا مع العرب والوعود التي قطعتها للشريف حسين شريف مكة . كشف لينين اسرار هذه الاتفاقية بعد ثورة اكتوبر .



## اي طبيب ؟

■ فيلسوف وطبيب اسلامي (٩٨٠ - ١٠٣٧) .

ولد في افشنه من قرى بخاري .

يعتبر من عباقرة المسلمين ، برع في الطب والفلسفة والطبيعيات ، يعتبر منظم الفلسفة والعلم في الاسلام ، كتبه كثيرة ومتنوعة الموضوعات ، وتمتاز بالوضوح والايجاز .  
كتاب "الشفاء" اكبر كتبه الفلسفية ، ويشمل المنطق والطبيعيات والرياضيات وقد اخذ بمذهب ارسطو خاصة ويعتبر من اعظم شارحي كتبه . كتابه "القانون في الطب" ، موسوعة طبية تحتوي على ما ذكره الاطباء اليونان الاقدمون ، بالإضافة الى ما ساهم به العرب في هذا المجال ، ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية في القرن الثاني عشر ، واعيد طبع الترجمة ست عشرة مرة في اواخر القرن الخامس عشر وعشرين مرة في القرن السادس عشر ، ويعتقد انه كان من اكثر الكتب الطبية استعمالا في تلك العصور .

## من هو ؟

■ محام وسياسي فرنسي ، ولد في باريس ١٩٠٧ ، نائب في الجمعية الوطنية (١٩٣٢ - ١٩٤٠ و ١٩٤٦ و ١٩٥٨) .

نائب وزير الخزانة ١٩٣٨ ، تطوع في الطيران الفرنسي اثناء الحرب العالمية الثانية ، قومسир الشؤون المالية في اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني ١٩٤٣ ، ثم وزير اقتصاد ١٩٤٥ - ١٩٤٦ ، رئيس وزراء ١٩٥٤ - ١٩٥٥ ، عقد اتفاقية مع الرئيس الحبيب بورقيبة باستقلال تونس ، مشهور بتأييده لسياسة اسرائيل

## ما هو ؟

■ اتحاد ضعيف الروابط يجمع بين دول مستقلة تحتفظ فيه كل دولة باستقلالها وسيادتها التامين مع الاتفاق على بعض القطاعات المشتركة بين الدولتين او الدول المشتركة فيه ، ويشترط في مثل هذا النوع من الاتحاد عادة ان تكون قراراته بالاجماع بل انها تكون عادة مجرد توصيات ترفع الى السلطات المختصة في كل بند عنى حدة لاقرارها نهائيا .  
ومعنى ذلك ان هذا النوع من الاتحاد هو اقرب الى التنسيق منه الى الاتحاد .

## اي عالم ؟

■ عالم نفسي نمساوي (١٨٥٦ - ١٩٣٩)

تلقى تعليمه في "فيينا" و "باريس" وعمل استاذاً لعلم امراض الاعصاب في "فيينا" وقد اضطر للهجرة الى انكلترا اثناء الاضطهاد النازي فعاش بقية حياته في لندن . وقد اشتهر بشكل خاص لاعتماده تفسير الاحلام كأسلوب لتشخيص انواع الخلل العقلي كالهستيريا (الهرع) .

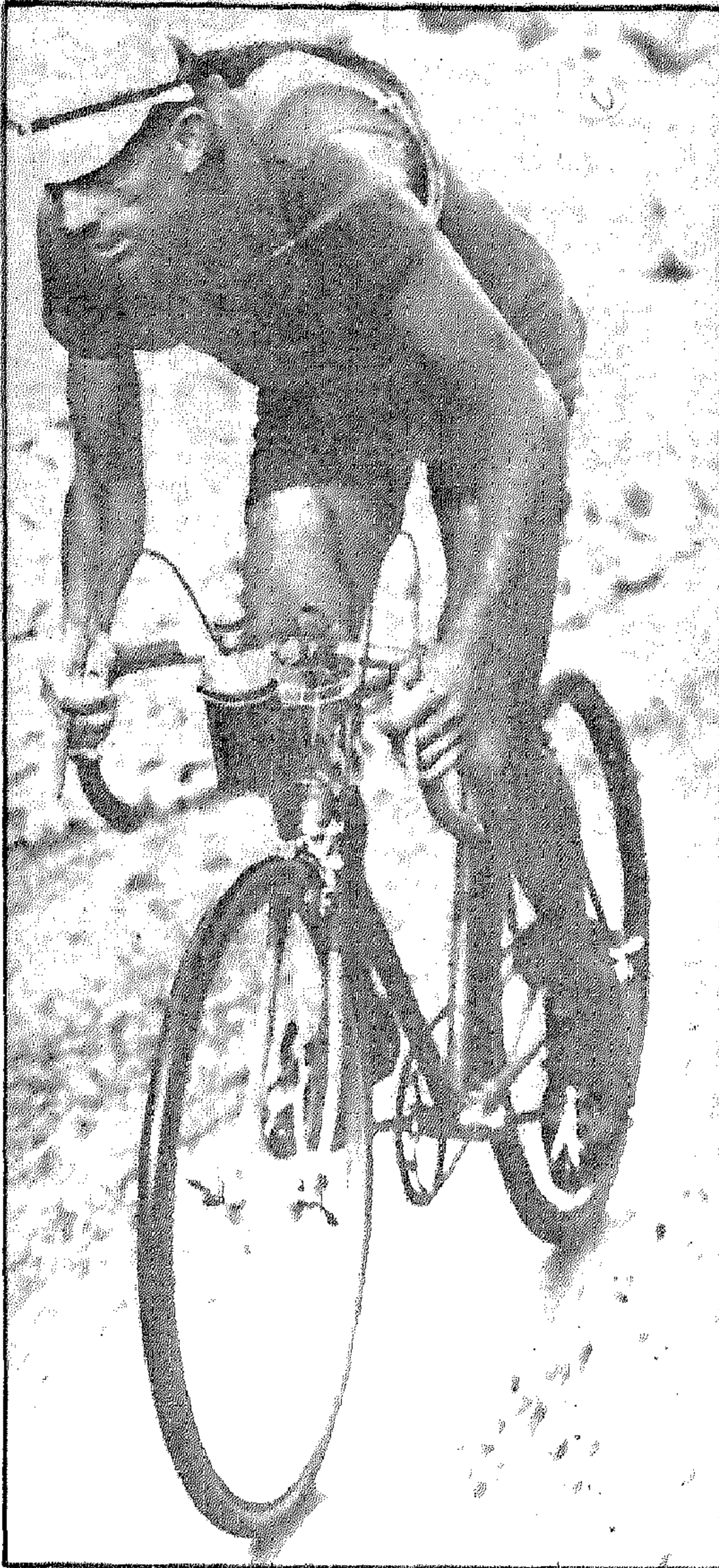
تعتمد مدرسته في التحليل النفسي على فهم الدوافع البيولوجية الاساسية كالطاقة المرتبطة بالدافع الجنسي في تفسير السلوك . الا ان "يونغ" و "ادلار" نبذا هذه النظرة واصرا على اهمية الدوافع البيولوجية كأساس لارادة الحياة و ارادة القوة على التوالي ، واستبدلا الترابط الحر للأفكار كميزة تشخيصية (في الدراسة النفسية) ، مارس التنويم المغناطيسي (الايحاء) لمعالجة الحالات العصبية ثم تركه لعدم كفايته وعاد الى الترابط الحر للأفكار ، وقد طور نظريته في ما بعد ، من اهم مؤلفاته: "علم الامراض النفسية للحياة اليومية" ، و "تفسير الاحلام" .

### الجوائز هي :

■ الجائزة الاولى : خمسون ليرة لبنانية

■ الجائزة الثانية : اشتراك سنة في المجلة .

■ الجائزة الثالثة : اشتراك نصف سنة في المجلة



■ انطون ماسي - دوره فرنسا للدراجات عام ١٩٣١

■ سامي ماسموس لاعب كرة القدم الشهير - عام ١٩٣٧

# الرياضة في الثلاثينات

## وكيف افسدتها التجارة ؟

اغداد : وفيه علم الدين

رئيس دائرة الرياضة في "الانترناشونال كوليج"



النورد "هوك" رئيس "نادي وركشاير كونتي للكريكت" بالصلاة من أجل ألا يصل أي قائد فريق إلى منصب قيادة انكلترا أبداً.

## اولمبياد ١٩٣٦

في هذه الأجواء، يمكن النظر إلى المباريات الأولمبية عام ١٩٣٦. ومنذ الحرب، كان "البارون دو كوبرنين" يزداد إعجاباً بالمبادئ الرياضية لكن النازيين استغلوا أولمبياد برلين كمهرجان دعائي كبير. كانوا كثيرون العدد كمعرض جسماني. ظهرت البزة النازية في كل مكان، من الحراس الذين يشهرون الحراب على طرفي الملعب إلى الجسر المشاد فوق الطرق الرئيسية وذلك لجعل المتفرجين يندهشون بعظمتهم. حتى أن اللجنة الأولمبية الدولية التي تنظر إلى السياسة نظرة حساسة، تجاهلت كل النداءات وأحتجت على إجراء الألعاب في ألمانيا وغادرت المكان.

وقد يكون التحدي الألماني وراء قيام الألمان ببناء ملاعب كرتونية سيئة المظهر كتب عليها "القرية الأولمبية - ١٩٣٦" وعرضها في المتاجر خارج مبناهم الأولمبي وذلك لإظهار تفوقهم على الدورة التي جرت في لوس أنجلوس في ذلك العام.

لقد قام الفريق الانكليزي بالهزم من النازيين عندما أدى التحية "بنظرة إلى اليمين" أثناء مروره أمام هتلر بدلاً من التحية النازية. ولكن بعد سنتين وفي نفس الملعب قام الفريق الانكليزي لكرة القدم باداء التحية النازية لهتلر... ولكنه قام في نفس الوقت بالحق الهزيمة بالألمان بستة اهداف مقابل ثلاثة.

وكانت سيطرة الاميركيين على هذه الالعاب التي نظروا اليها نظرة جدية، أهم أحداث الثلاثينات، ففي الملاكمة والعباب القوى (لم تتجاوز المسافات الطويلة) والسباحة والغولف وبالطبع التنس وصل هؤلاء إلى القمة بسهولة. وفي كل هذه الالعاب أظهروا إرادة كبيرة للنصر مماثلة للإرادة الاشتراكية المتصاعدة وإرادة بعض الانكليز مثل "كوتون" و"بري" اللذين ربها مباريات "ويمبلدون"، بجدارة في ١٩٣٤، ١٩٣٥، ١٩٣٦.

## الملاكمة

أما في الملاكمة وبصورة اكبر مما في الالعاب البدنية، فقد سيطر الاميركيون السود، والملاكم الذي سيطر على الحلبة في ما قبل حرب ١٩١٤ كان "جاك جونسون"، وبعده "جاك ديمبس" ذو الوجه

كانت الثلاثينات احدى الحقب التي شهدت أعظم الأيام الرياضية، ورغم أن المصالح التجارية سيطرت فيها على الرياضة، فإن النتائج البعيدة كانت مخبأة في المستقبل واعطت الأسماء الكبيرة (أونيز، برادمان، بيري، ولويس) في سني ما قبل

الحرب شعوراً بالحنين للانتصارات الكبرى. وفي الثلاثينات كان الازدياد في الاحتراف الرياضي، والمشاعر الوطنية للرياضيين والمشاهدين والروح الرياضية العالية احدى الميزات التي سيطرت على الحياة الرياضية في أعلى مستوياتها.

لقد حققت الأسماء الكبيرة انتصاراتها بجدارة عالية، وبرز أبطال مثل: جوي لويس، فريد بري، الكس جيمس، هنري كونوف، جيسي أونيز، دون برادمان، ولين هوتون، وبالرغم من الاصطدامات الجسدية، في مباريات التجارب في استراليا بإشراف "دوغلاس غاردن" والتمديد الثالث والدفاعي لكرة القدم، وغرابة الأولمبياد النازي عام ١٩٣٦ وتفوق الاميركيين في الملاكمة، يمكن القول ان تلك الحقبة حافظت على براءتها الرياضية.

ففي الألعاب البدنية لم يتم أحد بتدريبات قاسية، إلا في فترة ما قبل الحرب. وفي العام ١٩٣٦ كانت الالعاب الأولمبية الألمانية سبباً في ازدياد التدريب وتحسينه. في الكريكت ظهر

"وولي هاوند" كأحسن لاعب إذا استثنى "برادمان" الذي يعتبر اكبر آلة، لتحقيق الاهداف على مدى العصور، أما "اتنس" فلم يكن يطغى عليه الـ *Scruce and Volley* كما هو اليوم ولكن كان هناك مكان للاعبين ذوي فن عال مثل "باتي أوستن" من بريطانيا. أما كرة القدم فرغم تحولها إلى لعبة دفاعية وازدياد عمليات الدفاع لكسر الهجوم، فقد بقيت *Laughably Carefree*

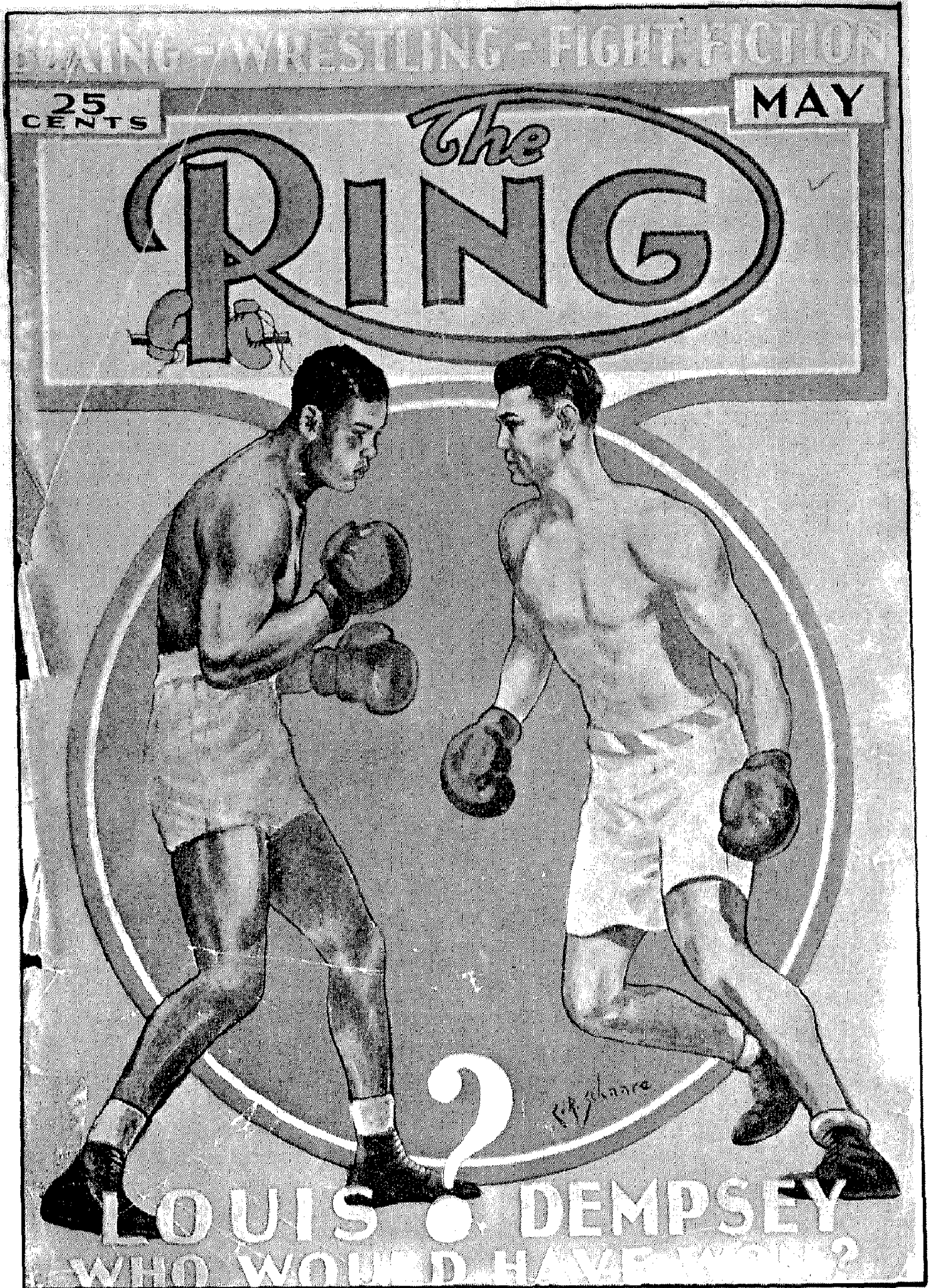
ومفتوحة بالنسبة لضربات الجزاء الكثيرة والتعدييات الميكانيكية في المستينات.

بدأت الرياضة الحديثة في انكلترا في العصر الفيكتوري. لكن لعبة الكريكت كانت بالطبع اقدم من ذلك. أما كرة القدم والألعاب البدنية في شكلها الحديث وسباق الدراجات، ونظام "كونيزبري" للملاكمة، والتنس والركبي فقد انتشرت كلها في هذا الظرف الخصب.

ومع هذه الألعاب واعتمادها وتطويرها في المدارس العامة والجامعات ولد شيء آخر: المتفرج الرياضي، كانت المباريات من أجل النصر مفهومة، لكن "الهدف" كان الشيء المتوقع إلى أن قام "البارون دو كوبرنين" بأحياء الألعاب الأولمبية وأحياء فكرة كون خسارة الهدف شيئاً من المشاركة في النصر، كان ذلك مبدأ انكليزياً صرفاً.

وهذا المبدأ يفسر واقع ان الرياضة لم تكن متؤخذ بجدية من قبل اللاعبين والسلطات الانكليزية خلال الثلاثينات كياقي البلدان. وهذا ما أوحى إلى





■ علاف محله "الحلبه" الاميركيه عام ١٩٢٨ بظهر "لويس"  
الذي نال لقب بطل العالم للوزن الثقيل عام ١٩٢٧  
و"جاك ديمبسي" الذي نال لقب بطل العالم عام ١٩١٩.



القاسي في مرحلة العشرينات، أما الثلاثينات فكانت من حظ "غولديس".

وقد ولد "غولديس" في لكسنيكتون في الاباما باسم جوزيف لويس بارو، ولقت انتباه الجماهير عندما لاكم للمرة الاولى في "ديترويت" كهاو، حيث قام الثري الاسود "جون روكسبورو" بالاهتمام بامرته. أما "عرايه" الثاني فكان المدرب "شابي بلاكبورن" وهو رجل قصير القامة لم يكن هناك شك في صداقته للملاكم. ولم يشبه لويس بجونسون، فلم يتغير مجرى حياته الى حياة ناعمة بعد ان انتصر على "جيم برادوك" بالضربة القاضية ونال لقبه كبطل للعالم للوزن الثقيل عام ١٩٣٧، بل بقي بسيطاً صادقاً وأميناً وربما ساذجاً بعض الشيء. وانتشر صدى "فضيحة الضرائب" الخاصة به واضطر الى العودة الى الحلبة في الخمسينات، احتفظ بلقبه احد عشر عاماً وخسر مرة واحدة فقط في المباريات الست والسبعين التي لعبها كمحترف، وكانت خسارته تلك أمام الالمانى، "ماكس شملينغ".

وفي ذلك الوقت برز ايضاً "يرميو كارنيرا" العملاق بطول ٦'٥ ٣/٢ أقدام وهو ايطالي من "سيكولز" والذي قام "رجال العصابات" بالاهتمام به وكان يلعب ست مباريات شهرياً وقد كشف أمره عندما أطاح بالضربة القاضية بخصمه "جاك شارلي" لكي ينال اللقب العالمى. ويبدو ان "شارلي" كان متواطئاً اذ أنه بعد احدى اللكمات "جاهد" للوقوع على وجهه.

يعتقد البعض ان "لويس" هو أعظم ملاكم عرفته الحلبة. والبعض الآخر يعتقد انه بالرغم من "لكمته اليسرى الجبارة" كان شديد الاستقامة وينبئ بانتصاره. وقد هزمه "شملينغ" بلكمة مباشرة من يمينه وأوقعه "أرنوروغوري" بطريقة الكروشينغ.

في بريطانيا ظهرت عدة مواهب، وعلى الاخص "بيني لينش" الهادى. كما انتصر "لين هارفي" في بطولة العالم للوزن الخفيف - الثقيل وكان ملاكماً في زمن "مصارعين".

وأخيراً جاء "تومي فار" الذي لاكم "لويس" بجدارة في نيويورك عام ١٩٣٧ واعتقد الكثيرون انه سينتصر عليه لكن النصر كان من حظ "لويس".

## الغولف

كان عام ١٩٣٠ هو العام الذي انتصر فيه "بوبي جونز"، هاوي الغولف الاميركي، في المباريات الاربع المفتوحة التي جرت في ذلك العام، لكن جونز، الذي كان يلعب بطريقة مركزة كان أحد وجوه العشرينات. وكان في الثامنة والعشرين عندما انتصر. ويبدو ان ذلك كان دافعاً له للانتصار في عام ١٩٣٠ ولذلك لم يعد بعد ذلك من مجال

لانتصارها وعلى محترف.

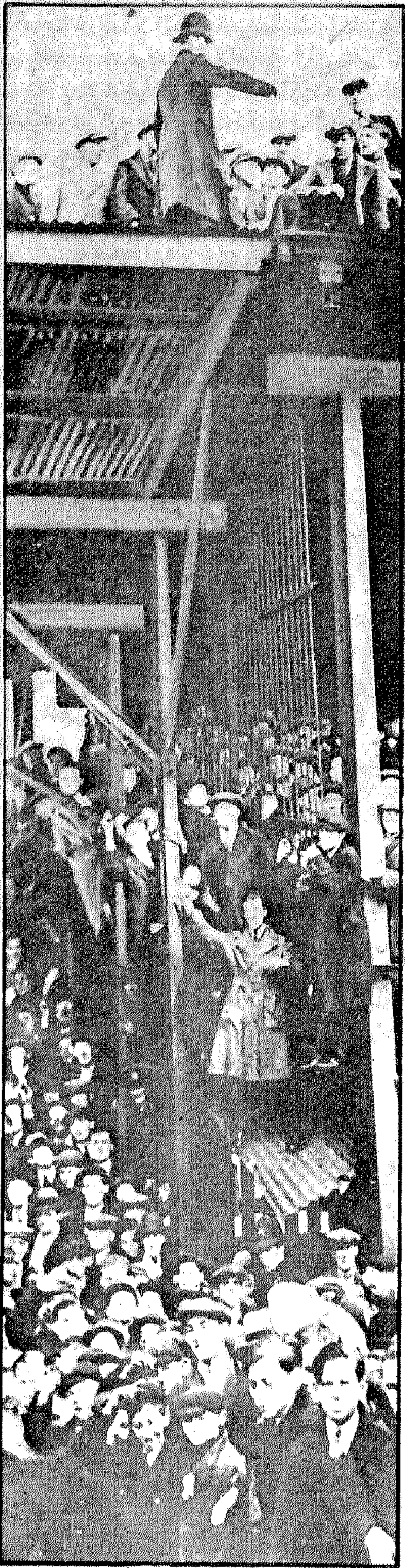
فالغولف، في الثلاثينات أصبح رياضة كاملة يحتاجها المجتمع الصناعي جسدياً وتجارياً وكان يمكن التجارة بالغولف وبمبارياته لكن نوادي الغولف في كل من بريطانيا وأميركا بقيت خاصة بطبقة اجتماعية محدودة وبعض المحظوظين.

وقد حافظ لاعبو الغولف البريطانيون على انتصاراتهم في الثلاثينات، وباستثناء "كوتون" كان هناك "ديك بورتون" الذي أصبح في ١٩٣٩ أول لاعب بريطاني يربح مباريات سان اندروس المفتوحة منذ ان ربحها "جيمس بيرد" عام ١٩١٠. ومرة أخرى تحولت الرياضة عن هدفها وأصبحت تجارة.

ففي أميركا خصصت رواتب للمحترفين ولم يكونوا، كالبريطانيين مضطرين لاعطاء الدروس أو للعمل في متجر النادي.



■ هري كوتون، المحترف الاسكتلندي في لعبه "الغولف"



■ جماهير "أوبس بارك" في ملعب ويست هام عام ١٩٣٣

## "كأس العالم"

لكن كرة القدم نالت أكبر مساندة شعبية في كل من أوروبا وأميركا الجنوبية. وفي الثلاثينات أقيمت ثلاث مباريات لنيل ما دعي "كأس العالم" كانت أولها في الاوروغواي عام ١٩٣٠. لم يشترك فيها أي من الدول البريطانية التي انسحبت من "المنظمة الدولية لكرة القدم" عام ١٩٢٥ بسبب خلاف حول جعل المتفرجين يدفعون ثمن الدخول الى المباريات ذات "الوقت الممدد".

أما الاوروغواي التي ربحت بجدارة مباراتين في العشرينات بفريقين محترفين فقد فازت بأول "كأس عالمي" لعدم وجود منافسين أقوياء كون المسافة عن أوروبا بعيدة (لم يكن الطيران كما هو اليوم) وفازت على منافستها المحلية الأرجنتين.

في عام ١٩٣٤ فازت إيطاليا بالكأس وجعلت منه شيئاً كثير الأهمية كما قال المراقب البلجيكي "جون لانجينوس" وكان السبب الذي دفعها الى الانتصار هو الدعاية للنازية. وكما قال أحد السياسيين: "أن الرياضة الفاشية هي جزء من مبادئها".

وبالتأكيد كان هنالك القليل من المبادئ الفاشية في الطريقة التي اتبعتها الفريق الإيطالي بقيادة مدربه "فيتورو بوزو" ورغم عدم كونه فاشياً - إذ كان يسير على خطى الأنكليز - فقد استغل بخجل حرارة المبادئ في تلك الأيام لاهدافه الشخصية.

وفي ذلك كان أثناء التدريب يقول "أن اللاعبين سيلعبون من أجل المبادئ الشرعية" وكان باستطاعته أن يسير على رأس فريق منهم يتقدمهم العلم وينشد معهم نشيد "لن يمرؤا". كانوا يلعبون بخشونة وبطريقة غير مألوفة كما فعلوا عندما لعبوا ضد تشيكوسلوفاكيا في "الوقت الممدد" بعد تعادلهم بهدف سجله "أورسي" أحد لاعبي الأرجنتين الثلاثة في الفريق.

أما النمسا التي خسرت في المباريات نصف النهائية فقد تجاوزت الحدود بفريقها الجبار الذي أسسه "هوغومايزل" في بداية الثلاثينات وكان جديراً بأن يشاهده الانسان.

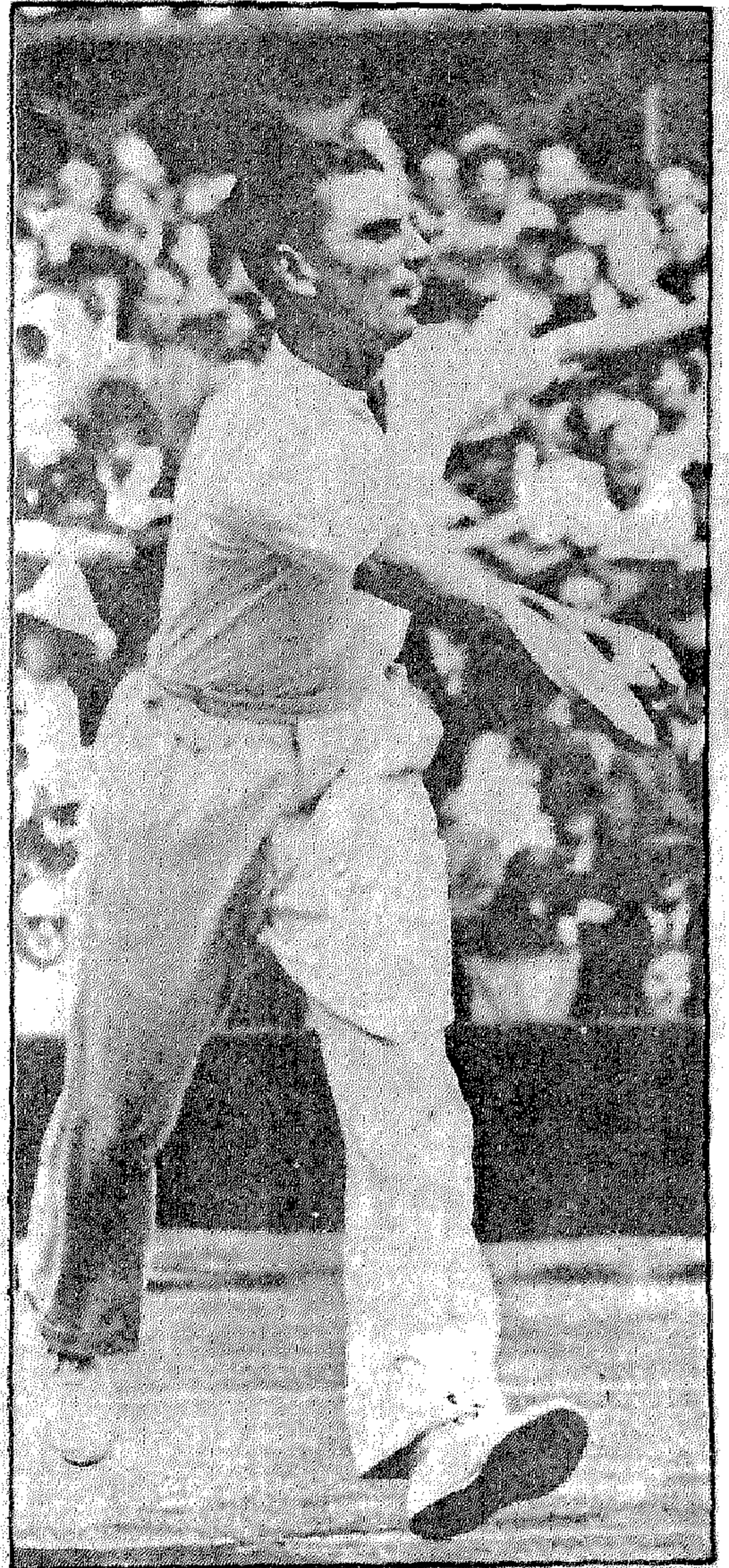
أما كرة القدم البريطانية والتي لم يهزم أحد فرقها الأنكليزية والسكوتلندية في بلادها فقد تطورت بقوة مع فريق "أرسنال". وكانت فترة الإصابة من الوسط بعد تجاوز المدافع بلعب غير جميل لكنه قوي بقيادة "هربرت شابمان". وكانت الجماهير التي شاهدت مباريات "الكأس النهائية" في ويمبلي قليلة العدد بالنسبة لمباريات "القصر الكريستالي" حيث شاهدها أكبر عدد من المشاهدين عرفته المباريات.



ومعظم الأرقام الجماهيرية عرفت في الثلاثينات: ٨٢٠٠٠ لمشاهدة فريق "أرسنال" في شلساي، ٧٥٠٠٠ في الأرسنال لمشاهدتهم يلعبون ضد "الستدرلند" ونفس العدد لمشاهدتهم يلعبون في "وايت هارت" ضد "سيارز".

### الاصطدامات الجسدية

للتعبير عن الروح الرياضية كان يقال "ليست كريكيت" لكن ذلك سقط نتيجة المباريات التجريبية لهذه اللعبة التي جرت في استراليا عامي ١٩٣٢، ١٩٣٣ ولم يعد من الممكن تمييز هذه اللعبة من غيرها.



■ فرمدي لايك التنس الشهير، فاز ثلاث مرات متتالية بدوره ويمبلدون ١٩٣٤ - ١٩٣٦

كانت استراليا قد ربحت المباريات السابقة في انكلترا نتيجة للهجمات الوحشية، وقد قرر "دوغلاس جاردن" قائد الفريق الانكليزي الجديد وهو رجل قوة وتصميم، مجابهة الشيء بمثله، وكان ذلك الشيء أكثر حدة، لذلك أخذ معه إلى استراليا أقوى لاعبي جناح: "هارولد لاروود" للجناح الايمن و"بيل فوس" لليسر.

كانت طريقة لعبهما سهلة ولكنها مميتة، كانا يهاجمان بعنف ويوجهان الكرة إلى رأس اللاعب أو أسفل جسده أحياناً، وكانت الضربات هذه تجعل اللاعب المقابل يشترك معهما لأن همه الأساسي هو الدفاع عن نفسه، واحتج الاستراليون حتى على المستوى الحكومي وسرت شائعات بأن استراليا قد تنسحب من الكومنولث، وأصبح "لاروود" مكروهاً في استراليا بقدر ما كان محبوباً في انكلترا، ولم تعرف لعبة الكريكيت الانكليزية مثيلاً له أبداً.

ويعود "فريد بري" الفضل الأكبر في عدم سيطرة الأميركيين على مباريات التنس وذلك بفوزه بثلاث مباريات متتالية في "ويمبلدون" ونيله "كأس دايفيس" لتفوقه في اللعب.

والفرنسيون أيضاً كانوا مجسدين في أوائل الثلاثينات بفضل "فرسانهم الثلاثة: لاکوست، بوروترا، وكوستيه"، فقد فازوا بجميع مباريات "كأس دايفيس" بين ١٩٣٧ و ١٩٣٦ وبعد ذلك وحتى ١٩٣٦ سيطر عليه البريطانيون.

أما الأميركيون فقد حصلوا عليه في ١٩٣٧ و ١٩٣٨ وبدأ دورهم في الفوز مع الاستراليين، ويبدو واضحاً الآن أن بلداً كفرنسا وبريطانيا ذات الطقس غير المشجع والعدد القليل من محترفي هذه اللعبة وبالمقارنة مع مستوى التدريب الأميركي، لم يكن يمكنها مجاراتهم في الفوز.

### الاحتراف

وفي نهاية الثلاثينات بدأ الاحتراف، وازدادت شيئاً فشيئاً العروض المالية السخية، وقد اعترف اللاعب الأميركي "بوبي ريفس" الذي فاز بمباريات "ويمبلدون" عام ١٩٣٩ بأنه عاش حياته من مدخوله الرياضي، كان ريفس من كاليفورنيا وطريقة العيش هناك والشمس والهواء أنبتت عدداً من الأبطال في التنس، كان أكثرهم شهرة "الميس هاريل" التي فازت بسهولة في المباريات النسائية في ويمبلدون عام ١٩٣٩ على الانكليزية "كاي سنامروز" في نهاية اللعب.

كان للنساء دور متصاعد في الرياضة، وقد انجبت أميركا أيضاً لاعبة بيبي ديدريكسون - "زاهارياس" في ما بعد، وهي إحدى البطلات الخارقات في أولمبياد ١٩٣٦ التي كانت تستطيع

اليوغاني، والمازاراتي، وفي أواخر الثلاثينات بسيارة الفراري. أما سائقو السيارات الانكليزية فقد فعلوا أحسن من ذلك بتصديهم للرقم العالمي في السرعة: كان هناك جورج ايستون الذي قطع بسيارته العريضة مقاطعة "أوتا" و"جون كوب" والذي فاز بالرقم العالمي بسيارته "ريلتون".

ونالت "دورة فرنسا" شهرتها في الثلاثينات كأكبر سباق للدراجات وأكثرها شعبية وحماسة ودعاية في كل أنحاء العالم. كان المتسابقون الفرنسيون والايطاليون في المقدمة يزاحمهم البلجيكيون والهولنديون والاسبانيون وأحياناً الالمان. ولم يكن في السباق بريطاني واحد، رغم ان السباق على الطرقات هو من أصل بريطاني ولكنه لم ينجح. واشتهرت "دورة فرنسا في سباق الدراجات" بأنها سباق عنيف حيث من المحتمل ان يتعرض المتسابقون لحوادث خطيرة، بينما استغل المعلنون ذلك للقول انه يعود لوعورة الطريق.

وفي كل حال، فقد كان لذلك شهرة كافية جعلت السباق يعود ثانية وبقوة بعد انتهاء الحرب.

### الركبي

بقي "الركبي" كالكريكت لعبة الامبراطورية البريطانية. ولكن مرة ثانية أصبح البلد الام لهذه اللعبة في الظل بتفوق انيوزيلنديين وكلهم من السود والجنوب أفريقيين المختلطين.

لم تكن هاتان الدولتان تملكان الحس الاقتصادي للاحتراف ولكن تعلق مواطنيهما "الديني" باللعب جعلهم يلعبون بنشاط للحصول على الاهداف الذي كان المحترفون البريطانيون يكسبونها باحترافهم. ومرة أخيرة كان ذلك شيئاً أكثر أو أقل من ربح جولة.

وفي هذه الفترة كان من الصعب معرفة مكان الحكام ومراقبتهم الالعاب، باستثناء الرياضة البدنية والسباحة. كانت العادة في الثلاثينات هي الاحتجاج على ما يحصل في كرة القدم وفي الكريكت وكان ذلك بسبب صعوبة المراقبة. وكان فن اللعب وطريقته يخضعان كثيراً للمناقشة، أما الملاكمة فهي الرياضة التي تسمح باطلاع على مستوى اللاعبين.

هل كان "لويس" بمستوى "ديمسي" أو "توني" أو "جونسون"؟ أغلب ناقدتي تلك الأيام كانوا يساوونه بهؤلاء الثلاثة.

وقد جعل شيوع تناول المقويات الالعاب البدنية تزداد وتتسع، لكن الدقائق الاربع في الميل الواحد كانت ما تزال حلاً والتمرين على رفع الاثقال وتجاوز "الحاجز" الخطر كانت كلها أملاً معلقة على المستقبل.

ويبقى انه لو لم تكن الثلاثينات الرياضية حقبة البراعة لما استطاعت التجارة والصناعة استغلالها وافسادها كما حدث فعلاً.



■ جو لويس وروجه عام ١٩٣٥

الجري والقفز بجدارتها في رمي الرمح. وفي سني ما قبل الحرب أصبحت لاعبة غولف ماهرة.

بعد الحرب بدأت الالعاب المخصصة للرجال على ما يبدو كلعبة الـ Shot Putt والاربعمائة متر والثمانمائة متر. كان النساء يقمن بقطع المضائق سباحة كالاميركية "غرترود أديرل" بينما لعبة التنس "لكأس وايتمان" والتي جرت بين بريطانيا وأميركا فقد ربحتها بريطانيا مرة واحدة فقط عام ١٩٣٠ في دورات ١٩٣٠ - ١٩٣٩.

### الرياضة الآلية

تقدمت الرياضة الآلية نتيجة للتقدم في عالم الالات. وكانت سباقات "المحرك" تشهد اقبالا منقطع النظير في بريطانيا، وسيطرت المانيا وايطاليا على سباقات السيارات. الاولى بالمرسيدس بونز والثانية بسيارات الالفاروميو،



## المسابقة الرياضية

- ٦ - بطل لبناني حاز على المرتبة الرابعة في بطولة العالم في كمال الاجسام عام ١٩٥٧
- ٧ - من فاز ببطولة لبنان لكرة القدم عام ١٩٣٣ - ١٩٣٤؟
- ٨ - بطلة مصرية في السباحة اشتركت في الدورة العربية المدرسية في لبنان عام ١٩٧٣ ومثلت مصر في سباقات دولية؟
- ٩ - من فاز ببطولة العالم في الرياضة على حمام العلب عام ١٩٥٦؟
- ١٠ - للعبة كرة الطاولة اتحاد عربي، اين يوجد مقره ومن هو رئيسه الحالي؟
- ١٠ نقاط لكل سؤال

- ١ - في اي عام ابصرت لعبة كرة السلة النور، وفي اية مدينة؟
- ٢ - محمد علي فاز على خصمه كين نورثون في مباراة الثأر في اية سنة واين اقيمت المباراة؟
- ٣ - من هو بطل دورة ويمبلدون لكرة المضرب عام ١٩٣٩؟
- ٤ - متى فاز النادي الرياضي بطل لبنان في كرة السلة في اول بطولة رسمية؟
- ٥ - من ترأس الاتحاد اللبناني للسلاح عام ١٩٦٩؟

### هل تعرفهم؟

■ ثلاثة من عمالقة السباحة في العالم العربي؟

٣٠ نقطة



### اختبر معلوماتك

■ اين التقطت هذه الصورة وفي اية مناسبة رياضية؟ من هو اللاعب الذي يحمل الكأس، في أي ملعب؟ وأية سنة؟

٢٥ نقطة



### الجوائز

● ترسل الاجوبة الى ادارة مجلة "تاريخ العرب والعالم" ص.ب (٥٩٠٥) شارع السادات، بناية ابو هليل - رقم ١١ - بيروت - لبنان. ويكتب على الظرف "المسابقة الرياضية". يجب ان تصل الردود قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم بريد البلد الذي ارسلت منه بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.

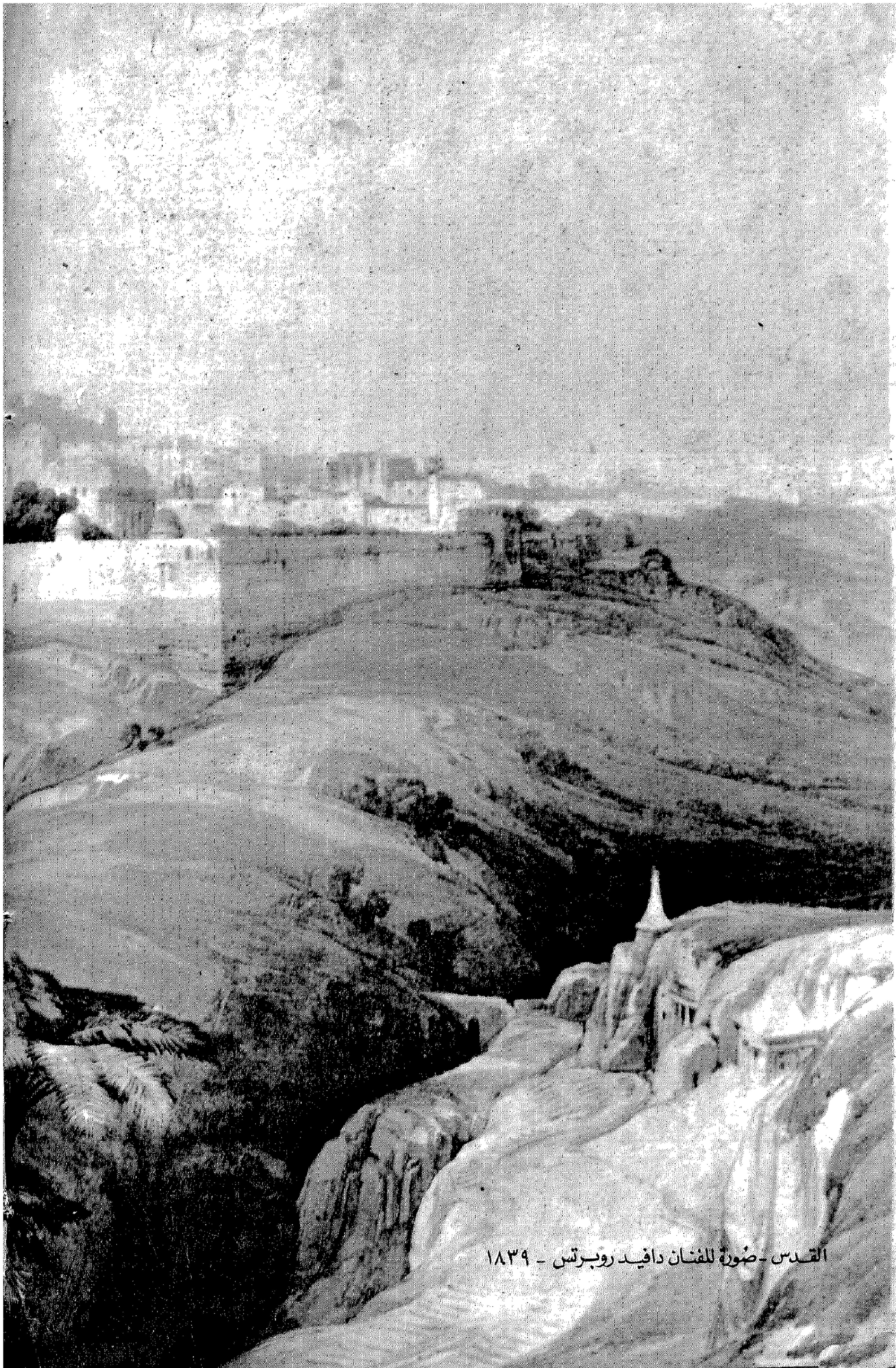
- الفائز الاول: مائة ليرة لبنانية
- الفائز الثاني: هدية بقيمة خمسين ليرة من محلات "اطلس سيور"
- الفائز الثالث: اشتراك سنة في المجلة
- الفائز الرابع: اشتراك نصف سنة في المجلة



# الماضي الذي سيأتي في اعدادنا المقبلة







القدس - صورة للفنان دافيد روبرتس - ١٨٣٩



# تاريخ العرب والعالم

فصل ثمانية مضمون تحت في التاريخ العربي

السنة الأولى - العدد الثالث - كانون الثاني "يناير" ١٩٧٩ - الموافق صفر ١٣٩٩

- المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام
- العرب والمردة في تاريخ قسطنطين
- الدعوة العبيدية الاسماعيلية الساجدة
- الهروب المسلح من معسكر سالاغ لاف ٣٠
- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني
- الموسيقى لاورنوتاكيته من عصر العلب في عصر الكرم



في العدد المقبل



الأسطورة الحقيقية لروكفلر  
أغنى أغنياء العالم

السنة الأولى  
العدد الثالث  
كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩  
صفر ١٣٩٩ هـ

# تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

## الإشتراكات

٥٠ ل.ل.	في لبنان
١٥٠ ل.ل.	المؤسسات والدوائر الحكومية
٧٥ ل.ل.	في الدول العربية
١٠٠ ل.ل.	في أفريقيا وأوروبا
١٥٠ ل.ل.	دول العالم الأخرى
٢٠٠ ل.ل.	المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي

## شحن النسخة

٦ ل.س.	سوريا	٤ ل.ل.	لبنان
٨٠٠ درهم	ليبيا	٧٠٠ فلس	العراق
٥٠٠ فلس	الكويت	٧ ريال	السعودية
٨ درهم	أبوظبي	٥٠٠ فلس	الأردن
٧ ريال	قطر	٨ درهم	دبي
٨٠٠ بيضة	مسقط	٧٠٠ فلس	البحرين

رئيس التحرير : فاروق البربير  
المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان  
بناية أبو هليل - شقة ١١  
شارع السكادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني :  
شركة سيفما للتصميم والطباعة  
الإنشاج :  
المطابع التعاونية الصحفية  
التوزيع :  
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

## HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR  
A MONTHLY ILLUSTRATED  
MAGAZINE PUBLISHED FROM  
SADATE ST, ABOU HLEIL  
BLG, P.O.B. 5905  
TEL: 346276,  
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1  
N°3 Jan, 1979  
PRICE: 4L.L.  
ANNUAL SUBSCRIPTION:  
50\$ IN NON-ARABIC  
SPEAKING COUNTRIES



## في هذا العدد

■ المقالات الواردة توزع حسب التوزيع الفني للمجلة . ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب ، مع حفظ المكانة الاجتماعية للكاتب وغيرهم ، تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط .

الصفحة

الموضوع

العرب والمردة في تاريخ قسطنطين	■
المولود في الأرجوان ..... د. احسان عباس	٣
الدعوة العبيدية الاسماعيلية في افريقية والمغرب	■
نموذج للحركة الثورية المسلحة ..... د. وداد القاضي	١٠
"الشرق الاوسط" هكذا سموه في اوربا الغربية	■
و"مركز العالم" هو اسمه الحقيقي ..... د. ارنولد توينبي	١٨
الآثار الليبية من العصر الحجري الى العصر الروماني ..... د. ديمتري برامكي	٢٣
الحرب الفرنسية - البروسية ١٨٧٠ - ١٨٧١	■
ونشوء الامبراطورية الالمانية والجمهورية الفرنسية الثالثة ..... هلا طباره	٣٠
حروب القدس في التاريخ العربي	■
الاحتلال الصهيوني للقدس (١٩٤٨ و ١٩٦٧) ..... د. ياسين سويد	٣٨
المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ	■
بلاد الشام (١٥١٦ - ١٩٣٩) ..... د. نقولا زيادة	٤٦
الهروب من معسكر ستالاغ لاف ٣ - ترجمة "مركز الدراسات"	■
تراثيات: كتاب "الاغاني" لابي فرج الاصفهاني ..... د. محمد ابو الانوار	٥٤
نساء شهيرات: غزالة القاهرة الحجاج ..... محمد كامل حسن	٦٢
الموسيقى الاتوماتيكية من عصر العلب الى عصر الكهرباء ..... اليان مانجو	٦٩
تاريخ حركة الطوابع البريدية في الاردن ..... ميشال اسطفان	٧٩
هل تعلم؟ .. حقائق اساسية عن القضية الفلسطينية ..... ف. ص	٨٢
تاريخ الشطرنج: سقطت النورماندي بأيدي الفرنسيين	■
لان الامير كان يلعب جولة خاسرة! ..... محمد مراد سكر	٨٣
للطلاب فقط ..... سحر بعاصيري	٨٦
الصحافة العربية و"تاريخ العرب والعالم"	■
.....	٨٨
بريد القراء	■
.....	٩٠
تاريخ الرياضة: كيف نشأت لعبة الدراجات ؟ ..... فؤاد احبيب	٩٢

■ المقالات والدراسات ترسل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة في بيروت

■ المواد الواردة الى المجلة لا ترد اذا لم تنشر .

■ المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبر بالضرورة عن اراء المجلة .

# العرب والمردة

## في تاريخ قسطنطين المولود في الأرجوان

د. احسان عباس

### ١ - تعريف بالمؤلف والكتاب:

■ عندما توفي الامبراطور ليون (لاون) (١) السادس ابن بسيل سنة ٩١٢م، لم يكن عمر ابنه قسطنطين يزيد على سبع سنوات، وقد لقي هذا الطفل مصاعب جمّة من عمه الاسكندر (الكسندرس) ثم من أمه ثم من أمير البحر (بطريق البحر) رومانس (ارمانس) وهذا الاخير اغتصب السلطة، وسمى نفسه ملكاً ولبس التاج والثياب الأرجوان (الفرفير) التي لا يلبسها الا الملوك، وحجر على قسطنطين ثم زوّجه من بنته هلانة (إلنا)، وهكذا ظل قسطنطين غير ذي سيطرة حقيقية على الملك حتى سنة ٩٤٥م حين استطاع التخلص من ابن رومانس، فانفرد بالملك وبقي فيه اربع عشرة سنة، فكانه من بداية حكمه الاسمي حتى وفاته عاصر جانباً من ايام المقتدر وأيام القاهر والراضي والمتقي والمستكفي والمطيع وجانباً من عهد الطائع (٣٠٠ - ٣٤٣هـ).

وكان قسطنطين السابع المولود في الأرجوان من الاباطرة المتحمسين للنواحي العلمية وتشجيع التعليم في بلاده كما كان هو نفسه مثقفاً واسع الاطلاع جماعة للكتب، حريصاً على إنشاء المكتبات، وقد وجه اهتماماً خاصاً الى التاريخ، لما كان يعتقده له من قيمة عملية في سياسة الناس وتدبير شئون الحكم. ولهذا رأى أن خير ما يمكن أن يقدمه لابنه رومانس الذي كان يتوقع له أن يتولى الامور بعده كتاب يعلمه كيف يكون حاكماً عاقلاً: بالاطلاع على سير الغابرين، وتجارب الحكام، ف جاء هذا الكتاب أشبه شيء بما يسمى "مرايا الأمراء" إذ احتوى على ما يهم الحاكم أن يعرفه

■ د. احسان عباس: استاذ الادب العربي في الجامعة الاميركية في بيروت

في شئون السياسة الخارجية وفن الدبلوماسية، ودراسة موسعة حول الأمور التاريخية والجغرافية المتعلقة بالامم التي تحيط بالدولة البيزنطية. ويفتح قسطنطين كتابه بقوله: "الابن العاقل مصدر سعادة لأبيه والأب العطوف يغتبط كثيراً بالابن الحبيب". لذا أصغ اليّ يا بني، حتى اذا حذقت ما أقوله لك أصبحت عاقلاً بين ذوي القنطة، وعددت فطناً بين العقلاء، فمجددك الناس وسمّتك الشعوب الكثيرة مباركاً. تعلم ما يجدر بك ان تعلمه قبل أي انسان آخر، واقبض على دفة الحكم بمهارة. ادرس ما هو جار اليوم وتعلم ما يفيدك حول الأمور التي ستجد، حتى تحتقب التجربة مجتمعة الى رصانة الرأي، وتصبح أكفأ اقرانك في شئونك. وها أنا اضع بين يديك مجموعة من التعاليم، حتى إذا أصبحت بها نافذاً في ميداني التجربة والمعرفة لم تجد عقبة في اختيار الخطة المثلى ومراعاة الصالح العام".

وخطة قسطنطين في كتابه ان يبين لابنه ما يتمتع به كل شعب من الشعوب - ما عدا الروم - من مظاهر القوة، وكيف تتم مواجعتهم بالسلاح والتغلب عليهم، ثم يمدّته عن طباع الشعوب وجشعها ورغبتها في التحف والألطفاء، وعن الفروق فيما بينها: في أصولها وعاداتها وطريقة عيشها ومناخ بلادها، وجغرافية تلك البلاد ومساحاتها وعما جرى من أحداث بين تلك الشعوب وبين الروم.

### ٢ - العرب عند قسطنطين:

ومن الطبيعي أن يأخذ العرب في كتاب قسطنطين حيزاً واسعاً، لطول العلاقات بين العرب

(١) ما يوضع بين قوسين في هذه الفقرة هو ما يستعمله المسعودي من مصطلح.



والروم ابتداء من الفتوحات الإسلامية حتى انقراض  
الربيع الهجري . ورغم تقارب الحدود، وتبادل  
الوفود، وتساجل الحروب، وقيام الأفدية، وعقد  
المعاهدات والمهادنات، فإن معلومات قسطنطين  
عن العرب بعد أربعة قرون من ظهور الإسلام، لا  
تزال في تفاوت واضح، ولئن وصف ذلك  
الامبراطور بأنه كان من أعمق الناس اطلاعاً، وتلك  
هي حال معارفه عن العرب، فكيف تكون معارف  
غيره ممن لم يتح لهم نصيب من التعمق والاطلاع؟!  
ترى على أي شيء يدل الرضا بذلك المقدر من  
الجهل والقعود عن طلب الحقيقة؟ هل يمكن أن  
يُعزى إلى الخوف من تصحيح الخطأ الشائع أو إلى  
العجز عنه؟ أو للاستنامة المريحة إلى المعروف  
المتداول؟ أو لانعدام المصادر التي تنقل الحقائق؟  
حين نبحت الأمر فيما يتعلق بمعارف قسطنطين عن  
العرب أو عن المسلمين عامة نجد ندرة في المصادر  
إذ ليس لديه في هذه الناحية إلا تاريخ ثيوفانس  
وبعض ما التقطه مما شاع "خارج بلاد العرب"،  
وهذا في ذاته ربما دلّ على استخفاف مبعثه الوضع  
السياسي حينئذ، إذ لم تعد الدولة العباسية قوية  
مرهوبة الجانب، وأصبحت الحال كما يقول  
ثيوفانس، رغم مجانبته الدقة في بعض ما يقول:  
"واليوم بسبب عجز أمير المؤمنين في بغداد قد  
استقل أمير فارس أو خراسان واتخذ لنفسه لقب  
أمير المؤمنين وجعل القرآن على ألواح يلبسها  
كالعقد حول عنقه، وهو يقول إنه من آل علي"،  
كذلك فإن أمير اليمن الذي كان دائماً تابعاً لأمير  
مصر أصبح اليوم مستقلاً واتخذ لنفسه لقب أمير  
المؤمنين وهو يقول إنه من نسل علي أيضاً". فما  
دام كتاب قسطنطين تعليمياً فلا بأس من إدراج  
معلومات عامة عن دولة لم تعد خطراً كبيراً على  
الامبراطورية البيزنطية . على أن مقارنة سريعة بين  
معلومات قسطنطين عن العرب وأخبار المسعودي  
عن الدولة البيزنطية تدل - رغم وجود أخطاء في  
الناحياتين - على أن المؤرخ المتفرغ لكتابة التاريخ  
بالاطلاع والرحلة والتمحيص، لا يبلغ شأوه واحد من  
"الهواة" لا يملك الوقت الكافي للقيام بذلك كله .

ويطلق قسطنطين على العرب أحد لفظين - إذا  
لم يكن ينقل عن ثيوفانس - فهم إما هاجريون (أي  
أبناء هاجر) إما سراقينوس (Saracens)،  
ورغم الاختلاف في ردّ هذه اللفظة إلى أصلها فاني  
أرى المسعودي لا يعدو الصواب حين يقول: "تفسير  
ذلك عبید سارة، طعنًا منهم على هاجر وأبنائها  
اسماعيل وأنها كانت أمة لسارة" (التنبيه  
والإشراف: قيون سارة) . ورغم أن الامبراطور نقفور  
من بين أباطرة بيزنطية أنكر صواب هذه التسمية  
فإننا نراها ما تزال مستعملة لدى قسطنطين .

ويعرف قسطنطين أن العرب ينقسمون إلى  
نزاريين وحميريين وأن نزاراً أعقب ولدين هما ربيعة

ومضر (مندارس) . وأن مضر ولد قريشاً (كوساروس)  
وقيساً وتميماً وأسداً (أسندس) وآخرين كثيرين لم  
تعرف اسمائهم . ولكن معلوماته عن النبي محمد ما  
تزال تردداً لذلك الخلط الذي ظلت تتناقله  
المصادر الغربية إلى عهد قريب، ممزوجاً ببعض  
الشنائم . فالنبي محمد نشأ يتيماً فقيراً ثم عمل عند  
أمرأة غنية تسمى خديجة، راعياً لابلها ومناجراً  
بأموالها في مصر وفلسطين، ثم سما به نظره إلى  
الزواج من تلك المرأة، ولما كان مصاباً بالصرع -  
وتلك تهمة ظل بعض المستشرقين الحاقدين يلوكلها  
إلى عهد غير بعيد - فقد زعم أنه يرى جبريل،  
وشهد له بذلك راهب مزيف اسمه "أريان" (وليس  
بحيراً)، ثم توفيت المرأة فورثها زوجها وأصبح  
غنياً مشهوراً، وجازت دعوته على أهل مقاطعة  
يثرب، إلى هلم جرّاً من هذا الهراء الذي يصريح  
قسطنطين أنه مبني على مقولة ذائعة .

والشيء المضحك حقاً هو مدى اطلاع قسطنطين  
على الدين الإسلامي، إذ يذكر أن المسلمين  
يتوجهون بصلاتهم إلى كوكب الزهرة ويسمونهم  
"كُبر" ولذلك تجدهم يصرخون في الصلاة قائلين:  
"الله وكُبر" (الله أكبر) مشيرين بذلك إلى الله  
والزهرة معاً . ومن الغريب أن يغيب معنى  
"التوحيد" الدقيق عن أذن حاكم مجاور، كما غاب  
عن ناظم أنشودة رولان الذي زعم أن المسلمين  
يعبدون أصناماً ثلاثة يجعلونها أمام الجيش كلما  
ذهبوا في معركة ويهيئون بها لنصرهم وهي: ما  
هوند (محمد؟) وطرمدان وأبوليون . وناظم  
الأنشودة متسق مع نفسه في الجهل فإنه يطلق  
على المسلمين اسم الوثنيين، أما قسطنطين فإنه  
بعد أن يفصح جهله من هذه الناحية، يستعمل تعبير  
ثيوفانس في تسميته الخليفة باسم أمير المؤمنين .  
ولدى قسطنطين معلومات لا تقل غرابة، حول  
الفاطميين، فهم أبناء فاطمة بنت الرسول،  
ويسكنون منطقة تقع إلى الشمال من مكة وراء قبر  
محمد، مجربون في المعارك والحروب، وبهم  
استعان النبي في حروبه واستولى على عدة مدن  
وأخضع بلاداً كثيرة، ذلك أنهم معروفون بالبسالة،  
بحيث لو وجد منهم ألف في أحد الجيوش فذلك  
الجيش لا تحلّ به هزيمة . وهم يركبون الجمال لا  
الخيول، ولا يلبسون الدروع في الحرب، وإنما  
يلبسون عباءات قرنفلية اللون، ويحملون رماحاً  
طويلة وتروساً بطول قامة الرجل وسهاماً خشبية  
كثيرة لا يستطيع حنّيها - بمشقة فائقة - إلا  
قليلون، وهو على وعي بأن هؤلاء الفاطميين هم  
غير الفاطميين الذين ظهروا في ليبيا (يعني  
أفريقية) إذ ينقل بعد قليل عن ثيوفانس أن هناك  
ثلاثة يدعون أمراء المؤمنين في كل سوريا - يعني  
في كل امبراطورية العرب - أولهم في بغداد وهو  
من أسرة محمد، والثاني في أفريقية وهو من أسرة  
علي وفاطمة، والثالث في أسبانيا وهو من نسل  
معاوية . ووصف قسطنطين لمن يسميهم فاطميين





■ رسم بالاسلوب البيزنطي لكتاب عن الطب العربي (متحف توبكابو - استانبول من العام ١٢٢٩م)



الجزيرة العربية ينطبق - في مجمله - على العرب جملة، وليس من الواضح كيف انساق الى هذه التسمية وذلك التصور، ولو قلنا إنه خلط بين الفاطميين والهاشميين لما كان ذلك مما يسوغ إفراد الهاشميين - دون سائر العرب - بالأوصاف التي أطلقها.

ويعد تاريخ ثيوفانس أهم مصدر لدى قسطنطين في أخبار الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين فإذا تحدث عن الأمم الأخرى اعتمد على معلوماته الخاصة ولم يصرح بذكر أي مصدر آخر، وذلك قد يعني أحد شيئين: جهله بحال العرب بالنسبة لحال الأمم الأخرى، أو محاولته إلقاء المسؤولية فيما يورده من معلومات على عاتق شخص آخر. ولكن ثيوفانس يجمع جمعاً غريباً أيضاً بين الأخبار الدقيقة والكاذبة، ورغم أن تاريخه ليس موضوع هذا المقال، فلا بد من إيراد بعض الأمثلة على أخطائه التي أصبحت بالتالي أخطاء لقسطنطين حين نقلها مصداقاً بها: من ذلك زعمه أن اليهود خدعوا بمحمد ووطنوا لأول وهلة أنه المسيح الذي ينتظرونه فأسلموا على يديه وفارقوا شريعة موسى الكريم، ولكنهم لما رأوا محمداً يأكل لحم الجمل تيقنوا أنهم كانوا على خطأ، إلا أنهم علموه كيف يرتكب الجرائم البشعة ضد المسيحيين وبقوا منضوين تحت لوائه.

ومن أمثلة هذا الخلط أيضاً عند ثيوفانس - حسب نقل قسطنطين - أن عمر بن الخطاب غزا فلسطين وحاصر القدس مدة سنتين وأخذها خدعة. وان صفرونيوس أسقف القدس - وهو رجل متميز في حسن التقدير مندفع بحماسة سماوية - تلقى منه وعداً أكيداً فيما يتصل بالكنائس في فلسطين بحيث لا تخرب ولا تنهب... إلا أن عمر طلب هيكल اليهود الذي بناه سليمان ليجعله مكاناً لعبادته، وما يزال كذلك الى اليوم. ويكفي هذا المثالان، ففيهما نموذج لمن شاء دراسة تاريخ ثيوفانس على نحو من التقييم الدقيق.

### ٣ - المردة في تاريخ قسطنطين:

#### (١) المردة أيام معاوية:

يعتمد قسطنطين في أخبار المردة أثناء العهد الاسلامي الأول على ثيوفانس أيضاً، ولدى ثيوفانس - أو في النقل عنه - اضطراب، إذ يذكر أن أول اجتياح قام به المردة للمناطق الشامية، تم في آخر أيام معاوية، ثم يعود فيذكر أن ذلك كان أثناء الحرب بينه وبين علي، والثاني هو الصواب. ورغم أن نص ثيوفانس قد استغله الدارسون (انظر مثلاً تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لحتي ٥٢: ٥٤ - ٥٤ ولا منس: تسريح الأبصار ٢: ٤١ - ٤٨) فلا بأس من إيراده هنا كاملاً ليكون في سياق مع ما يأتي بعده:

يقول ثيوفانس: "وعند أواخر حياة معاوية

(الصواب: إمرة معاوية) سيد العرب، دخل المردة لبنان واستولوا عليه من الجبل الأسود حتى المدينة المقدسة وجعلوا أنفسهم سادة على قمم لبنان، وهرع اليهم كثير من العبيد والمواطنين لائذين بهم بأعداد ما لبثت إلا يسيراً حتى بلغت عدة آلاف. ولما علم معاوية بذلك خاف هو ومستشاروه خوفاً شديداً فأرسل الى الامبراطور قسطنطين رسلاً يطلبون السلام، لهذا بعث الامير قسطنطين ابن قوغوناتس شخصاً اسمه يوحنا ويعرف بالفتز قودي فلما وصل الى سورية تلقاه معاوية بترحيب عظيم، واتفق الجانبان على عقد صلح مكتوب مؤكد بالآيمان على أن يدفع "ابناء هاجر" فريضة سنوية الى امبراطور الروم مقدارها ثلاثة آلاف قطعة ذهبية (دينار) وثمانمائة من الأسرى وخمسون فرساً عتيقاً. في ذلك الوقت كانت دولة العرب منقسمة في قسمين، فعلي يحكم في يثرب ومعاوية يسيطر على مصر وفلسطين ودمشق... الخ، وليس في معاهدة الصلح كما وردت هنا أية اشارة الى المردة، ولكن من حقنا ان نستنتج ان تلك الضريبة الباهظة لم تكن لتدفع لو لم تكن المعاهدة تضمن عدم لجوء المردة الى ازعاج معاوية في الشام.

#### (٢) المردة أيام عبد الملك:

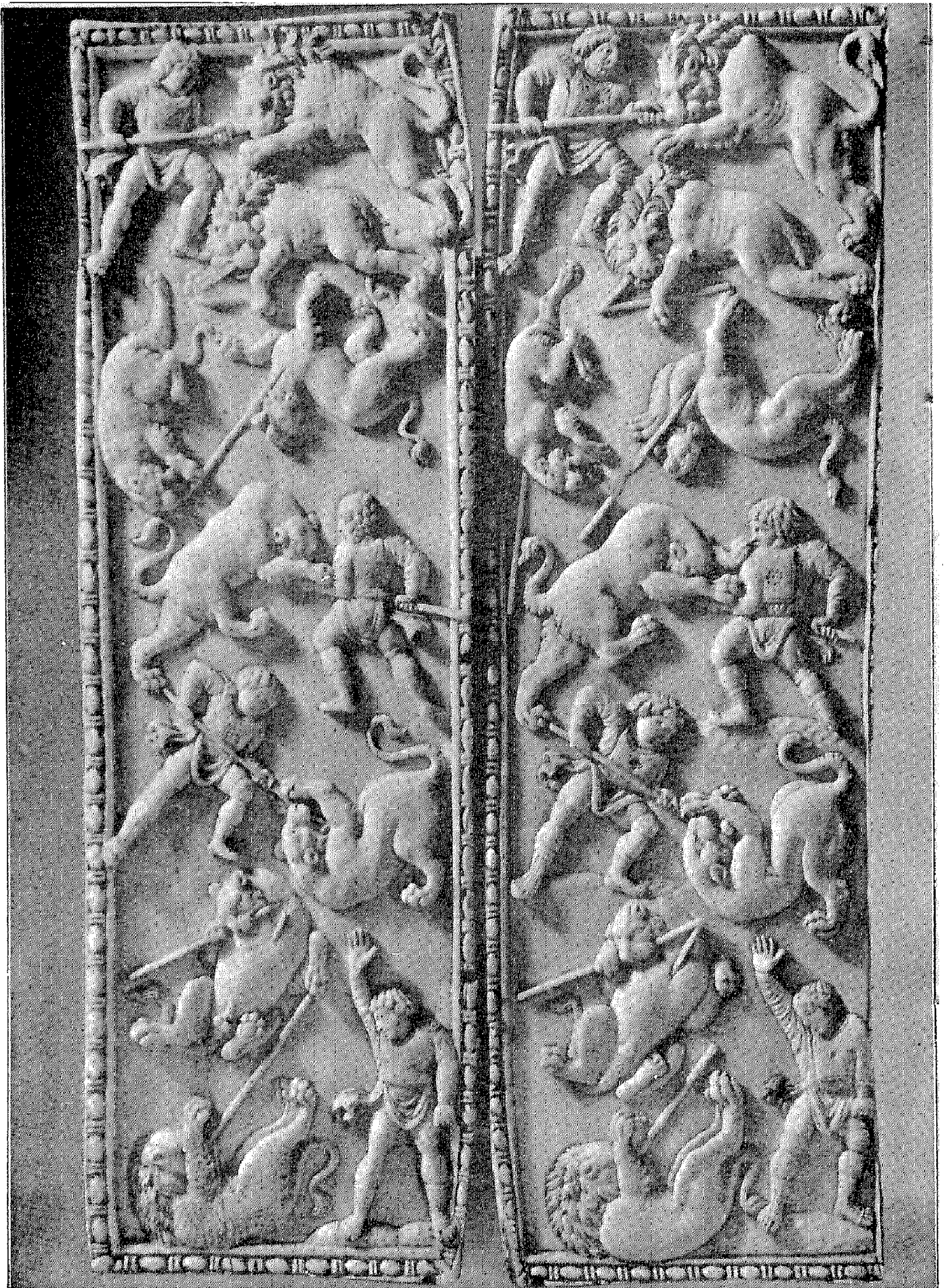
إن الدوافع الى تحرك المردة أيام عبد الملك تشبه إلى حد كبير تحركهم أيام معاوية، ففي كلتا الحالتين كان الأمير العربي مشغولاً بحروب داخلية، وكان ذلك يتيح للامبراطور البيزنطي استغلال الأوضاع غير المستقرة، بما يتفق ومصلحته، ونعود مرة أخرى الى رواية ثيوفانس اذ يقول: "وفي هذه السنة (حوالي ٦٧/٩٦٨) أرسل عبد الملك (يسميه المؤرخ أبي ملك) الى يوستينيان (الثاني) يطلب اليه أن يقر السلم على الشروط الآتية: أن يسحب الامبراطور جيش المردة من لبنان ويكبح جماح تعدياتهم على أن يدفع عبد الملك الى الروم يومياً ألف دينار وفرساً عتيقاً أسود وأن يقتسم الفريقان جباية قبرص وأرمينية وايبيرية (٢) بالتساوي فيما بينهما، وأرسل الامبراطور بولس الموفد الامبراطوري الى عبد الملك لتوثيق الشروط المتفق عليها، وكتب بذلك عقد موثق بالآيمان. وقدمت للموفد الامبراطوري هدايا، وأرسل الامبراطور الى المردة فاستردتهم وكانوا اثني عشر ألفاً، وبذلك شل قوة الروم، ذلك أن مدن الثغور التي يسكنها العرب اليوم امتداداً من ميسوسوتيا حتى أرمينية كانت غير محمية ولا سكان فيها بسبب غارات المردة، وباستردادهم أصاب بلاد الروم وما زال يصيبها أضرار بالغة على يد العرب. وفي السنة نفسها ذهب الامبراطور الى أرمينية وأسكن فيها مردة لبنان وبذلك حطّم سوره النحاسي."

#### (٣) مقارنة رواية ثيوفانس بالروايات العربية:

لدينا روايتان هامتان عن حركة المردة أيام عبد الملك إحداهما أوردها البلاذري (أنساب الأشراف

(٢) لا أدري الى أي شيء تشير ايبيرية هنا، لأن الاندلس لم تكن قد فتحت بعد.





■ لوح مزدوج من العاج يمثل مشاهد من السيرك البيروني (٠.٥×٣.٣ م) منحوت "أرميناك" بجومسكو

ومنهم من يجعلها عند توجهه لمحاربة مصعب بن الزبير (حوالي سنة ٧٠)، ويرجح البلاذري الرواية الأولى. وفي الروايتين العربيتين تفاصيل هامة عن طبيعة تلك الحركة وتطوراتها: فيذهب البلاذري

٥: ٢٩٩ - ٣٠٠) والثانية ذكرها ابن عساكر في تاريخ دمشق (تهذيب ٦: ٦٥ - ٦٦) وبين الرواة اختلاف حول تاريخ تلك الأحداث، فمنهم من يجعلها إثر تولي عبد الملك الخلافة (حوالي ٦٦هـ)





■ تلميذا طب عربيان واللوحه مرسومة بالاسلوب البيزنطي وتعود للعام ١٢٢٩م (متحف توبكايو - استانبول)



الى أن يوستنيان أقبل يريد مهاجمة الشام، وان  
 كائدا من قواد الضواحي خرج في جبل اللكام فاتبعه  
 خلق من الجراجمة والأنباط (السكان الاصليين)  
 ومن التف حولهم من عبيد المسلمين وغيرهم،  
 وصار هذا الحشد كله الى جبل لبنان. أما رواية  
 ابن عساكر فتقول ان امبراطور الروم عندما رأى  
 أخذ المسلمين لمدن الساحل كاتّب أنباط جبل  
 لبنان واللكام، فخرجوا فمكروا بالجبل، ثم وجه  
 الامبراطور قلقيط (لعله فليط: Palytes) البطريق  
 في جماعة من الروم في البحر، فسار بهم حتى نزل  
 بوجه الحجر، وخرج بمن معه حتى علا بهم جبل  
 لبنان ووثب بقواته حتى بلغ أنطاكية وغيرها من  
 الجبل الاسود، واستفحل امر الروم حتى غلبوا على  
 الجبال كلها من لبنان وسنير وجبل الثلج وجبال  
 الجولان، أي أن القوة التي قامت بتلك الحركة  
 كانت من الروم والمردة ومن انضم اليهم من  
 العبيد. عندئذ عاد عبد الملك عن وجهته التي كان  
 يقصدها الى دمشق ووجه حميد بن حريث بن بحدل  
 الكلبي بهذايا وألطف الى ملك الروم وأرسل معه  
 كتاباً يسأله فيه المودعة على إتاوة معينة - ولم  
 تذكر الروايات العربية مقدارها - فقبل الامبراطور  
 الهدايا وما بذل له عبد الملك من الإتاوة، وفي  
 مقابل ذلك أعطاه رهناً من أبناء الروم صيّرهم  
 بعبك. أما الثائرون بلبنان فجعل لهم عبد الملك  
 ألف دينار في كل جمعة (لا في كل يوم كما يقول  
 ثيوفانس)، فهدأت ثائرتهم.

تلك هي المرحلة الاولى من الاجراءات، ولكن  
 هذه شفعت بمرحلة ثانية، أولاً لأن عبد الملك لم  
 يكن ليقر دفع تلك الضريبة الباهظة إلى الأبد، كما  
 أن المعاهدة بينه وبين الامبراطور لم تتضمن النص  
 على انسحاب القوات الرومية التي دخلت بلاد  
 الشام - ولهذا نراه يوعز الى سحيم بن المهاجر  
 واليه على طرابلس - بل يتوعده - إذا هو لم يقم  
 بعمل حاسم للقضاء على العناصر التي ما تزال  
 تكبده تلك الضريبة الباهظة. ومن أجل ذلك عمّم  
 نداء بأن كل عبد يرجع عن مهالة الروم والجراجمة  
 فهو حرّ يكتب اسمه في الديوان وينال عطاء،  
 فعاد عدد كبير منهم جعلوا في ربع على حدة  
 وسُمّوا "الفتيان". ويجب أن نفهم من نصّ ابن  
 عساكر الشديد التصحيف أن سحيماً تنكّر في هيئة  
 بطريق من بطارقة الروم في لباسه وهيئته وشعره  
 وسلاحه، وأنه ركب متن المغامرة في التقرب إلى  
 قلقيط (أو فليط)، وأنه استطاع بالحيلة واستعمال  
 الكمين ومساعدة العبيد المحررين أن يقضي على  
 عدد من الروم والجراجمة، ففرّ من تبقى من الروم  
 إلى سفنهم فركبوها ولحقوا ببلادهم، ثم نادى  
 بالأمان في من تبقى من جراجمة وغيرهم ففرقوا  
 في قراهم.

(٤) المردة بعد عهد الدولة الاموية:

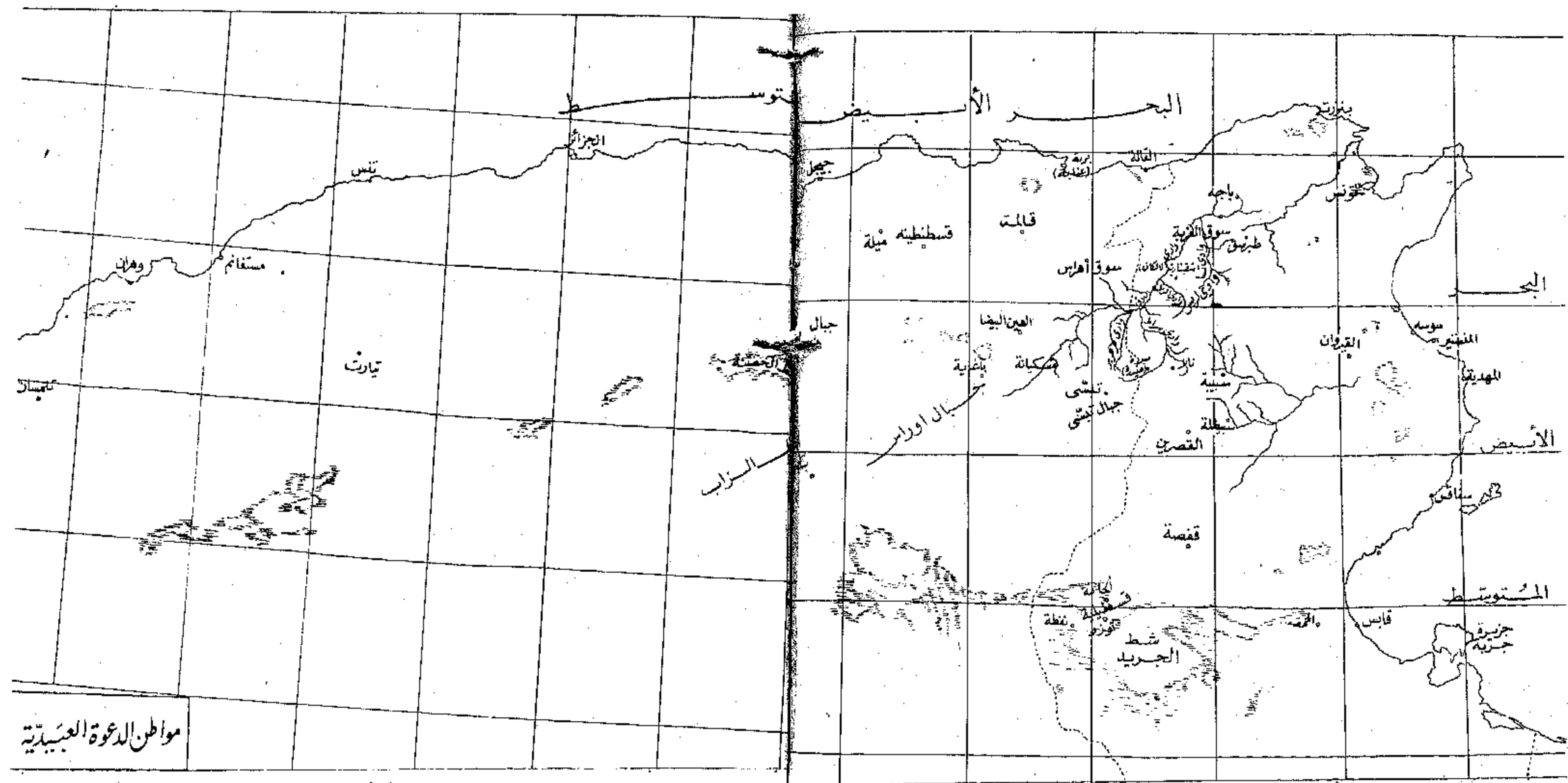
يبدو أن نقل يوستنيان الثاني للمردة الى  
 أرمينية كان خطوة حاسمة في تقرير دورهم رغم أن

ثيوفانس يوصي الى أن ذلك كان سياسة قصيرة  
 النظر بالنسبة لمصالح الروم. ولكن غاب عن  
 ثيوفانس أن الانحسارات المترتبة على الفتن  
 الداخلية في الدولة الاموية قد تحولت الى مدّ  
 عات بعضه يبلغ القسطنطينية، وبعضه ينتزع من  
 الدولة البيزنطية المغرب كله. وحين تحولت  
 الدولة الى بغداد فقد ذلك "السور النحاسي"  
 قيمته، حين تغيرت منافذ الحدود الى بلاد الروم،  
 وكانت الدولة العباسية في ذروة قوتها تستطيع أن  
 تحرك مواقع مدن الثغور بحيث تصبح في قلب بلاد  
 الاناضول.

ولعله لهذا السبب نفسه أصبحنا نسمع عن وجود  
 مردة في منطقة اضاالية (Attalia) ويحدثنا  
 الامبراطور المؤرخ قسطنطين السابع عن المردة في  
 تلك المنطقة، وأنه جرت العادة - منذ عهد بعيد -  
 ان يتولى الامبراطور البيزنطي تعيين القائد العام  
 للمردة في تلك الولاية. وفي أيام جده ليون  
 (لاون) - الطيب الذكر - كان القائد العام هو  
 اسطوراخيوس فتصرف في الأمور تصرفاً حسناً في  
 أول الأمر ثم ساء تدبيره في الختام. وبسبب  
 المنافسات الحادة بين هذا القائد العام وبعض  
 خصومه عزل اسطوراخيوس من منصبه وولي بدله  
 خصمه يوسطاطيوس، ثم لما أصبح الاسكندر  
 (الكسندروس) عم قسطنطين امبراطوراً بعد ليون  
 نحى ذلك القائد وولى شخصاً آخر يسعى من رجل  
 اسمه قيس (Chase) وهو امرؤ "عربي في أصله،  
 وبقي عربياً خالصاً في فكره وعاداته ودينه" وقد  
 أثر في الامبراطور (الكسندرس) بمعونة من أخيه  
 نيكيتاس الذي قال للامبراطور: "بما اني صديقك  
 القديم فمن اللائق أن تسدي الي يداً، ولديّ مطلب  
 أرفعه الى جلالتك ومن المري بك أن تحققه"  
 وفوجيء الامبراطور بذلك وسأله: ما هو مطلبك؟  
 فقال: "أرجو من جلالتك أن تجعل ابني قائداً عاماً  
 للمردة" فاستجاب الملك لطلبه. ذلك أن تعيين  
 القائد العام للمردة كان - كما تقدم القول - أمراً  
 منوطاً بالامبراطور (تاريخ قسطنطين، الفقرة:  
 ٥٠).

ترى من هو "قيس" هذا الذي يذكره الامبراطور  
 المؤرخ؟ انه يذكّرنا بقيس آخر ذكره المسعودي،  
 اعني (قيس) الماروني المؤرخ الذي كتب كتاباً  
 حسناً في التاريخ يبدأ من بداية الخليقة حتى عهد  
 المكتفي (التنبية: ١٥٤) أترى الأمر مجرد تشابه  
 عارض بين اسمين؟ أم هما شخص واحد؟ علينا ألا  
 نفاجأ بقول المؤرخ: إن قيساً كان عربياً في دينه،  
 فان المارونية في تلك الايام كانت عقيدة مختلفة  
 في طبيعتها عن المذهب الملكاني - مذهب الدولة  
 البيزنطية - وليس ثمة ما يمنع ان يكون فعل الزمن  
 قد صهر ما بين المارونيين والمردة، و"عرب"  
 الأولين - بل عرب جميع من كانوا وراء الحدود  
 الرومية، و"دجن" المردة حتى أصبحوا جزءاً أصيلاً  
 في بناء الدولة العربية. ■





مواطن الدعوة العبيدية

# الدعوة العبيدية للدعاة الجدد في إفريقيا والجزيرة غزوهم للحركة السودانية المسلحة

د. رواد القاضي

يتغير المكان والزمان والأمة، ومن ثم فإن من الطبيعي أن يكون التاريخ يعيد نفسه - بأشكال متشابهة - على مرّ العصور.

تلك نظرة يختلف المؤرخون وفلاسفة التاريخ حول سلامتها وصحتها، ولكنهم دون شك يجدونها نظرة جديدة بالتفحص الدقيق. فترى هل يختلف المؤرخون على أن التاريخ يحتوي دروساً وعبراً، كما يعتقد ابن خلدون؟ وهل يجدون أنفسهم ينزعون - في كثير من الأحيان - إلى رصد المشابه بين حادثة وقعت في الماضي وأخرى تقع في الحاضر؟

د. رواد القاضي استاذة الادب العربي في الجامعة الاميركية في بيروت

من النظرات التاريخية التي تستوقف دارس التاريخ كثيراً، نظرة المؤرخ اليوناني القديم ثوكيديدس - كاتب كتاب "الحرب البلقونية" - إلى التاريخ البشري، فهو في نظره - في إطاره العام الكبير - لا يخرج عن كونه حلقات متسلسلة من الأحداث، يتكرر حدوثها بشكل دوري. على اختلاف الأزمنة والأمكنة والأمم، ولا يتغير هذا الحدوث إلا بمقادير ضئيلة تابعة لبعض الاختلاف البسيط في الظروف الخاصة المحيطة بكل حدث على حدة، والسبب في ذلك - كما يقول ثوكيديدس - أن صانعي التاريخ هم البشر، والطبيعة البشرية ذات سمات ثابتة لا تتغير، مهما

■ من هذه الزاوية بالذات أود هنا ان اتناول بالعرض والتحليل الدعوة العبيدية الاسماعيلية، تلك الحركة الثورية المنظمة المسلحة، في افريقية والمغرب في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، لعلّ إلقاء الضوء عليها يثير فينا التأمل في مدى صحة نظرية ثوكيذيذس، وخاصة لاننا نعيش في عصر تكثر فيه الحركات الثورية المسلحة في شتى انحاء العالم، وعدد منها - دون شك - لا يرغب في الاعتراض - او الثورة - على النظام السياسي القائم وحسب، وانما يهدف الى الاطاحة بهذا النظام والحلول محله، تماماً كما كان شأن الدعوة العبيدية الاسماعيلية في افريقية والمغرب.

وليست الدعوة العبيدية الاسماعيلية الحركة الثورية الوحيدة التي عرفها تاريخنا في العصور الاسلامية، فان هذا التاريخ حافل بالعديد من الثورات ذات الحوافز الاجتماعية او الاقتصادية او الدينية او المذهبية او السياسية، غير ان ما يميز الدعوة العبيدية كونها - مثل الدعوة العباسية - قد قامت على اسس مدروسة دقيقة ونجحت في الاطاحة بالنظام القائم وفي بناء دولة قوية قادرة. ولكن في حين جاءت الاخبار عن الدعوة العباسية متفرقة متوزعة بعيدة في الزمن عن زمان حدوث الدعوة. في مصادرنا التاريخية الأصلية، جاءت أخبار الدعوة العبيدية الاسماعيلية مضمومة بعضها الى بعض في كتاب كامل مستقل كتب بعد نجاح الدعوة بنصف قرن فقط، كتبه رجل عايش أولى فترات النجاح هذه، وذلك هو كتاب "افتتاح الدعوة" (دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠)، الشركة التونسية للتوزيع والنشر، تونس، ١٩٧٦) للقاظمي النعمان بن محمد بن حيّون المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ هجرية. فان هذا الكتاب، بتبكيه النسبي، وبتخصصه في موضوع الدعوة، يعطينا صورة واضحة كثيفة التفاصيل شديدة الايحاء عن تنظيم الدعوة وخط سيرها حتى استيلاء اصحابها على الحكم، ومن ثمّ يعتبر هذا الكتاب المصدر الاساسي لدراسة هذه الحركة، يتقدم غيره من المصادر التاريخية التي تعرضت لها مثل "الكامل في التاريخ" لابن الأثير و"البيان المغرب" لابن عذاري و"تاريخ ابن خلدون" وكتابي "اتعاظ الحنفا" و"الخطط"، وكلاهما للمقريزي.

#### التطور التاريخي

وقبل أن اتناول الدعوة العبيدية الاسماعيلية بالتحليل، أرى أن استعرض تطورها التاريخي، حتى تكون مقدمات التحليل موجودة بين يدي القارئ، غير خافية عليه. في سنة ٢٨٠ هجرية دخل افريقية ثم المغرب

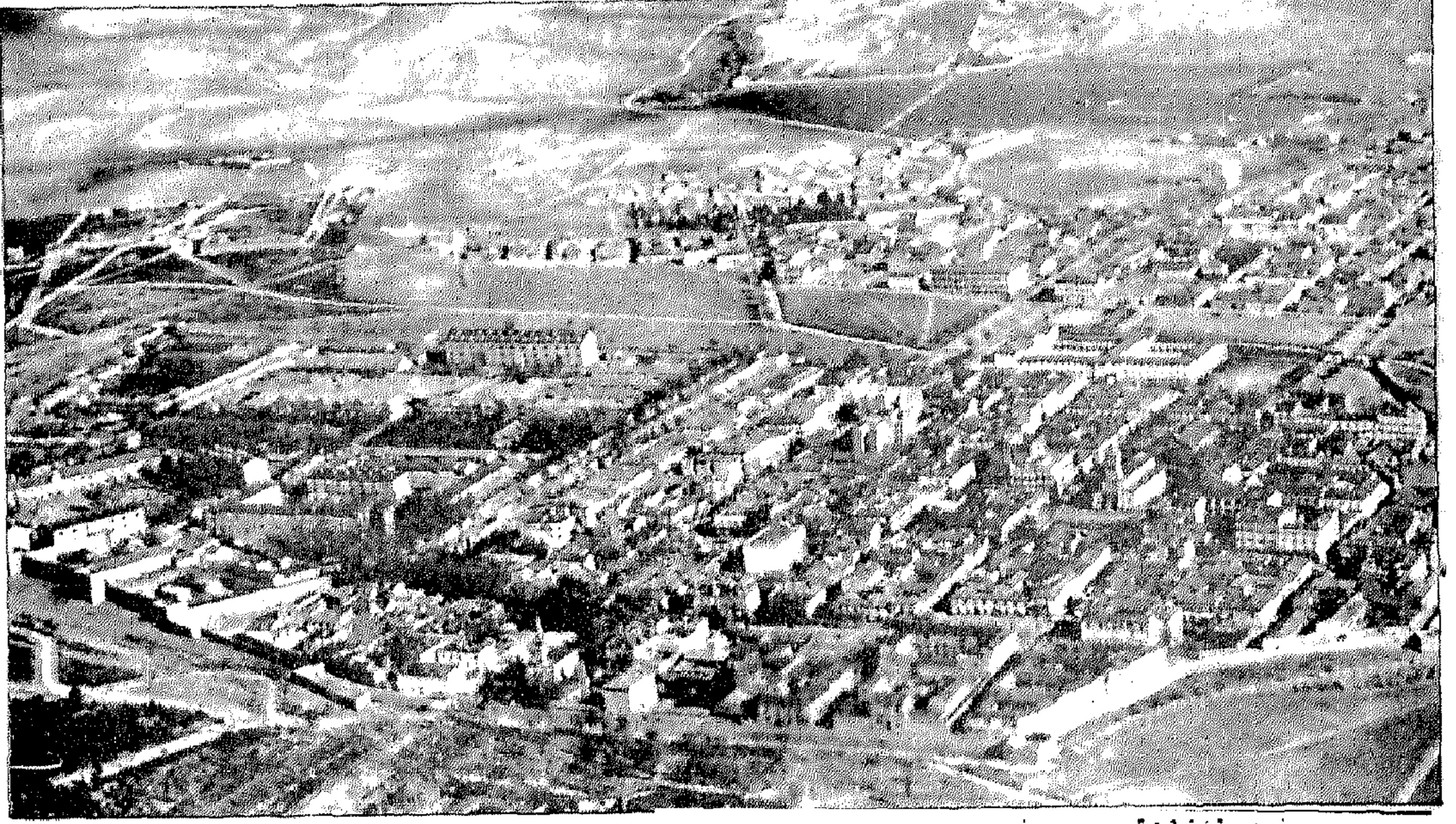
الأوسط رجل باسم أبي عبد الله الحسين بن أحمد آتياً من المشرق في صحبة جماعة من قبيلة كتامة البربرية. وكان هذا الرجل شيعياً اثني عشرياً في الاصل، من سكان الكوفة على الأرجح، قد تمكن من الاتصال به أحد دعاة الاسماعيلية، واكتشف مدى إخلاصه في تشيّع، فلقنه مبادئ التشيّع على الطريقة الاسماعيلية، وما إن ثقف هذه المبادئ حتى أرسله هذا الداعي - او الامام نفسه - الى اليمن، اذ كانت اجزاء كبيرة من اليمن قد اصبحت منذ سنة ٢٦٨ معقلا من معاقل الاسماعيلية على يد أحد كبار دعائهم هناك هو الداعي أبو القاسم بن حوشب المعروف بمنصور اليمن. وقضى أبو عبد الله هذا مدة تقرب من السنة في اليمن، درس فيها على أبي القاسم الداعي أحسن السبل لاقامة دعوة ناجحة، واحسن السبل لتحويل الدعوة الى دولة تستطيع ان تفرض السلطان السياسي على الارض بعد ان تكون قد فرضت المذهب الديني على الناس.

وبعد انقضاء السنة غادر أبو عبد الله الشيعي اليمن مزوداً بتعليمات واضحة من الامام في ان يذهب الى المغرب فينشر الدعوة هناك. وكان الموسم موسم حج، فمضى أبو عبد الله الى مكة، وهناك اتصل بجماعة من الحجاج المغاربة من قبيلة كتامة، وسمع من يتحدث بفصائل علي بن أبي طالب، فانضم اليهم وأخذ يحدّثهم حديثاً ضافياً جذاباً في فضائل اهل البيت، وما تركهم إلا وقد سحرهم او كاد، فمشوا وراءه للاستدلال على مكان إقامته وخدمته إن شاء. وفي اليوم التالي مضى أبو عبد الله فحدّث الكتاميين بأزيد مما كان حدّثهم به بالأمس، فازدادوا تعلقاً به، وسألوه عن وجهته بعد الحج، فظهر لهم أنه يريد مصر، فقالوا: اذن نمشي معاً حتى مصر.

وطول الطريق من مكة الى مصر عامل الكتاميون أبا عبد الله معاملة الضيف العزيز الكريم، يذبحون له الشياه ويحملون عنه الأثقال، وهو في هذه الأثناء يتلطف اليهم، ويعطيهم ما يريدون سماعه من حديث الفضائل الدينية، وفي الوقت نفسه يأخذ بلطف كل ما يحتاج اليه من معلومات عن بلادهم المغربية: مدنها، حواضرها الاخرى، قبائلها، اتساعها، مناخها، سكانها، حكامها، علاقة الحكام بالسكان في المدن، علاقتهم بالقبائل، العلاقات فيما بين القبائل نفسها، مدى انتشار العلم في القبائل... وغير ذلك مما كان أبو عبد الله يرى معرفته ضرورية لأنه كان يؤمل ان يقيم الدعوة بالمغرب.

وعندما وصل الركب الى مصر، اظهر ابو عبد الله الرغبة في الانفصال عن الكتاميين والاقامة بمصر. فزاد هذا من تمسك الكتاميين به وسألوه: ماذا تريد من بقائك بمصر؟ فقال: التعليم، فسرّهم ذلك وقالوا له: ان مهنة التعليم نافقة في بلادنا





■ مسجد سفيان ١١٤٤

دعوته اسم "المؤمنين" وعاد فسماهم فيما بعد "الاولياء".

وبعد انتهاء فترة "الضيافة" الأولى، انتقل أبو عبد الله من جماعة "المؤمنين" إلى حصن حصين ومقل منيع في جبل يسمى جبل ايكجان بمنطقة سطيف، ومن هنا بدأت الدعوة تتخذ ملامح أكثر تحديداً.

ووصل خبر الدعوة وتحركات أبي عبد الله إلى والي مدينة ميلة من قبل الأغالية، أمراء افريقية وشرق المغرب التابعين للخلافة العباسية. فخاف صاحب ميلة أن تتهدد الدعوة الجديدة سلطانه، فحاول حيناً بالحيلة وحيناً بالوعيد أن ينزع حماية بعض كتامة عن أبي عبد الله، إلا أنه أخفق في ذلك، إذ لم يرض هؤلاء بتسليم أبي عبد الله وهو - في أدنى الاعتبارات - ضيفهم، والعرف يقضي بحماية الضيف حماية تامة.

وما لبث خبر الدعوة أن بلغ الأمير الأغلبي ابراهيم بن أحمد، فأرسل إلى أبي عبد الله رسولا قرأ عليه رسالة من ابراهيم تعدد بالأمان والدنيا العريضة أن هو تنصل من دعوته، وتهدده بالويل والثبور أن هو اصر عليها. وقد رد أبو عبد الله على رسالة ابراهيم برسالة اشد منها، أعلن فيها رفضه لعرض ابراهيم، وتمسكه بدعوته، وإيمانه بختمية النصر له ولأصحابه "المؤمنين الصابرين"، بل أنه زاد فدعا ابراهيم نفسه إلى الدخول في الدعوة "إلى الله عز وجل وإلى كتابه وإلى الامام المهدي من ذرية رسوله". وملأ رسالته هذه بالآيات القرآنية، وصرف رسول ابراهيم مكرماً، فكان موقف أبي عبد الله هذا معزراً لمكانه بين أنصاره ومقويّاً لايمانهم بصحة الدعوة.

نفاقاً لا مثيل له، والمعلمون معظمون عندنا، وأنت بعلمك تصلح أن تكون معلماً لشيوخنا فضلاً عن صبياننا، ونحن نبذل لك من المال ما يفي بحقك ويزيد، وإذا قبلت دفعنا لك مكافأتك عن سنة وستين مقدماً. فاعتذر أبو عبد الله عن قبول عرضهم اعتذاراً رقيقاً، فاشتد تمسكهم به، والحواء عليه بالقبول، وهو يظهر التمنع والحياء، وكلما تمنع زادت رغبتهم فيه. وفي نهاية المطاف وافق أبو عبد الله على المضي معهم إلى بلادهم، مظهراً أن ذلك من باب الارضاء لهم والنزول عند رغبتهم.

### في كتامة بالمغرب

وهكذا دخل أبو عبد الله بلاد افريقية وبلد كتامة من المغرب الاوسط في سنة ٢٨٠، وعاش أول الأمر ضيفاً على عدد من مشايخ كتامة، يجلس للشيوخ وللشباب، ويحضرهم على الصلاة والصيام وأفعال الخير وأعمال البر وتجنب المعاصي، ويلقنهم في الوقت نفسه علوم الدعوة درجة درجة، فإذا أتم أحدهم العلوم كلها أخذ عليه أبو عبد الله عهداً بالسرية والكتمان، فإذا سأل أحد الناس عن علمه، وضع اصبعه على فمه وقال: "ابلق توقن"، وكانت تلك كلمة علّمهم إياها أبو عبد الله فكانت على لسان كل واحد منهم. كذلك أشاع أبو عبد الله نمطاً معيناً من الخطاب بين المنضمين إلى الدعوة - نمطاً قائماً على المساواة الاجتماعية، بحيث يقول الرجل للرجل "يا اخانا" - بمن فيهم أبو عبد الله نفسه - مهما اختلف الوضع الاجتماعي للواحد منهم عن الآخر. واطلق أبو عبد الله على من قبلوا

ولما سمع ولاة المدن والأمصار بجواب أبي عبد الله لابراهيم بن أحمد، ورأوا أن ابراهيم لم يحرك ساكناً ضده، خافوا على زوال رياستهم من أيديهم، فاجتمعوا معاً، وهم ولاة سطيف وميلة وبلزمة، وانضم اليهم رؤساء بعض بطون كتامة، ممن رأوا في دعوة أبي عبد الله نهديداً لسلطانهم هم أيضاً، وقرروا مجتمعين أن يقضوا على أبي عبد الله. وفعلاً تمكن هؤلاء "الحلفاء" غير مرة من فتح ثغرة في صفوف اصحاب أبي عبد الله، إلا أن تسرعهم دوماً لنيل بغيتهم قلب الامور ضدهم، وورطهم في الدخول في معارك عسكرية مع اصحاب أبي عبد الله، فحمل اصحاب أبي عبد الله السلاح، ونظم أبو عبد الله صفوفهم، ولاقوا تحالف ولاة المدن ورؤساء الكتامين بشجاعة فائقة، وأبو عبد الله يحارب معهم ويرفض أن يتركهم، إلى أن اسفرت سلسلة المعارك التي خاضوها عن نصر عظيم لهم، وهزيمة منكرة للتحالف المدني - الكتامي، وغنم "المؤمنون" من الغنائم والاموال والخيول والسروج والسلاح والخلع وغير ذلك ما لا يحصى عدده كثرة، فأبقى أبو عبد الله هذه الغنائم لأصحابه.

### من المعلم إلى المنظم

ومنذ ذلك الوقت بدأت صفحة جديدة في تاريخ دعوة أبي عبد الله، إذ تحول من دور "المعلم" إلى دور "المنظم"، فاستقر ببلدة تازروت واتخذها "دار هجرة" على غرار المدينة زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وابتنى فيها قصراً، وأقطع كبار رجال دعوته قطائع فيها، وفيها استقبل الأعداد العظيمة من أبناء القبائل الذين اتوا إليه من كتامة وغيرها طالبين الدخول في الدعوة رغبة أو رهبة، وقد بدا ظاهراً للعيان أن مقادير الأمور تسير في اتجاهات جديدة في المغرب.

وانصرف أبو عبد الله لتنظيم المجتمع الكبير الجديد، فقسم أنصاره "الأولياء" في سبعة أقسام، على رأس كل قسم رئيس يلقب بالشيخ، هو مسؤول عن جميع قضايا مجموعته، وخاصة من الناحيتين التعليمية والعسكرية، وان ظل أبو عبد الله المرجع الأخير في هاتين الناحيتين وفي غيرهما أيضاً، فظل يعقد مجالس الوعظ والتعليم، ويحضر "الأولياء" على الصلاة والصيام وإتيان الفضائل واجتناب الرذائل، فإذا قصر أحدهم في واجباته، أو ارتكب معصية، عاقبه عقاباً شديداً قد يصل إلى حد "النبد والعزل والاقصاء عن المجتمع، بل قد يبلغ حد القتل. وكان أبو عبد الله يعتمد أن يقوم الاخ أو الاب بقتل أخيه أو ابنه إذا أجرما، فيكون ذلك أشدّ لهما، وأقوى عبرة لمن شهدهما من هنا عمّ الأمن بلد تازروت وانتشرت روح التعاون بين "الأولياء". وكان أبو عبد الله نفسه

في تصرفه قدوة لكل "الأولياء"، إذ ظل على تواضعه وبساطة ملبسه ومشربه ومركبه، ورفض أن يأخذ شيئاً من الغنائم والسبي، ولم يتزوج سوى امرأة واحدة، ولم يعرف عنه أي مخالفة للقواعد التي سنّها لأصحابه.

وبعد أن استقر أبو عبد الله وأصحابه بتازروت، أخذوا يشنون الغارات على كل من لم يوالهم من القبائل والمدن، وذلك ابتداء من سنة ٢٨٩ هـ. ففي تلك السنة فتحوا مدينة ميلة، وبعد ذلك هزموا جيشين أرسلهما الأمير الأغلبي، ثم فتحوا مدينة سطيف، وهزموا جيشاً ثالثاً أرسله الأغلبي، وبعد ذلك توالى الانتصارات فسقطت طبنة ثم بلزمة ثم تيجس ثم باغاية ثم قسطيلية ثم قفصة بأيديهم. وإزاء هذا وجد آخر الأغالبة، واسمه زيادة الله بن الأغلب، نفسه مجبراً على الانطلاق لمحاربة هذه الجماعة، فنزل بالأربس، وفيها بعد وقعات عديدة كانت الهزيمة النهائية للأغالبة والنصر النهائي لجماعة أبي عبد الله. أما زيادة الله فانه هرب من افريقية إلى المشرق، وأما أبو عبد الله فانه دخل رقادة ثم القيروان في شهر رجب من عام ٢٩٦ هـ، وبعدها سافر إلى سملجاسة حيث كان الامام الاسماعيلي عبيد الله المهدي مسجوناً، فأخرجه من سجنه، وأتى به إلى القيروان في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٧ هـ، وأعلنه الامام المهدي الحق من اهل البيت، وبهذا التاريخ بدأ تاريخ دولة جديدة في افريقية والمغرب (ثم مصر) هي الدولة العبيدية أو الدولة الفاطمية.

### نموذج تاريخي

تلك كانت الخطوات التي سارت بها الحركة الثورية الاسماعيلية منذ بدء انطلاقها حتى نجاحها في تأسيس الدولة البديل للنظام القائم في افريقية والمغرب. ولا يهمنا في هذا المقام كون "الامام" قد تخلص من "الداعي" أبي عبد الله بأن قتله بعد عام واحد من جلوسه في سدة "الخلافة"، وإنما يهمنا ان الدارس يمكنه ان يرى في مسار الدعوة "نموذجاً" تاريخياً لعله قابل للتكرار - بحسب نظرية ثوكيذيدس - نموذجاً يطرح عدداً من "القواعد" للحركة الثورية المسلحة بشكل عام.

فمن القواعد الاساسية التي تطرحها الدعوة العبيدية الاسماعيلية ان الركن الاساسي الذي يضمن لتحرك الثوري نجاحه وجود القائد الملائم على رأسه. هذا القائد يجب ان تتوفر فيه صفات عديدة، أهمها الايمان التام بما يدعو اليه عقلاً وروحاً، وقولا وعملا، والتفرغ الكامل للدعوة بحيث لا يشغله عنها اي شغل، بما في ذلك مصلحته الشخصية. ويوحى إلى تاريخ الدعوة العبيدية الاسماعيلية ان قيادة الدعوة تعتمد إلى حد بعيد على كون القائد مؤهلاً بالطبيعة لتسلّم





■ موعظ في شارع بالعيروان

على ان الداعي المتوقع - شأنه شأن أبي عبد الله - عليه أن يتخذ من فترة التدريب العملي "منظاراً" للعمل الدعاوي المنظم، يفيد في تحديد "الاطار" الذي يمكنه ان يمارس عمله داخله دون ان "يقيد" بصيغ ضيقة جامدة للعمل في المستقبل، اذ عليه - أيضاً شأنه شأن أبي عبد الله - ان يظل محتفظاً بحرية الحركة والقدرة الفائقة على التكيف مع ظروف المجتمع الذي سيقوم دعوته فيه، تلك الظروف التي قد تكون مخالفة لظروف المجتمع الذي نال تدريبه فيه .

مهام القيادة، يتوفر فيه الذكاء الحاد والقدرة على اجتذاب الناس وسحرهم وشدّهم اليه، إلا انه لا بد ان ينضاف الى هذه "الموهبة الطبيعية" "تربية" على القيادة و"تدريب" عليها، وذاتك أمران يؤتيان خير ثمارهما عندما يتعلم القائد المنتظر أساليب قيادة الدعوة بشكل عملي - لا نظري - لدى احد من سبقه من الناجحين في "المهنة" نفسها، كما فعل أبو عبد الله الشيعي في الفترة التي قضاها باليمن لدى الداعي المنصور أبي القاسم بن حوشب .

ويدل تاريخ الحركة الاسماعيلية العبيدية بالمغرب أنه لا بد من توفر ركن أساسي ثان يضمن للحركة النجاح، وذلك هو وحدة العقيدة التي تدعو اليها، فان هذه الوحدة هي التي تشكل "الرابط" الرئيسي بين الأفراد المنضمين للدعوة - بعد رابط القائد - وتشدهم بعضهم الى بعض، وتميزهم عن غيرهم ممن يعايشونهم في مجتمعهم، وقد كان أبو عبد الله على وعي بأهمية هذا الركن، وحيث أنه بنى دعوته على عقيدة دينية معينة، فانه صرف الجزء الأكبر من وقته خلال الدعوة، وخاصة في السنوات الأولى منها، يعلم الناس أسس هذه العقيدة الدينية، ويبين لهم حدودها، ويحضهم على التعامل فيما بينهم بمبادئها، ويتصرف هو نفسه أيضاً على ضوء ما تمليه هذه المبادئ نفسها. وبهذه الطريقة استطاع أبو عبد الله ان ينشئ نوعاً عميقاً من "التجانس" بين افراد الدعوة، وتلك حال زادها رسوخاً قيام أبي عبد الله بمنحها "رموزاً" لفظية ذات وظيفة معنوية هامة، مثل قيامه بتسمية المنضمين للدعوة بألفاظ مميزة كـ "المؤمنين" و "الأولياء"، وفرضه ان يخاطب الواحد منهم الآخر بتعبير "يا أخانا" بغض النظر عن المكانة الاجتماعية التي يحتلها الواحد منهم دون الآخر، وكأن الانضمام للدعوة يشكل "نسباً" جديداً، "هوية" جديدة تربط أفرادها بعضهم ببعض بقدر ما تفصلهم عن سائر الافراد في مجتمعهم.

### سرية الحركة

وعلى الحركة التي تبغي النجاح في خاتم المطاف ان تعتمد الكتمان او السرية في تحركاتها الأولى وذلك خدمة لهدف أساسي هو عدم انكشاف أمرها من قبل النظام القائم. ومن ثم القضاء عليها وهي بعد في المهد، ويمكن الوصول الى الحرص على هذه السرية لدى الافراد المنضمين للحركة عن طريقين، الأول: إثارة غريزة الفضول والتشوق الى المعرفة في الناس، والثاني: تغذية احساس الناس بالنفرد. ولا شك ان هذه الامور كلها كانت مما وضعه أبو عبد الله في حسابه، فانه بدأ بنشر دعوته ضمن حدود ضيقة للغاية لا تتجاوز عدداً معيناً من رجال العائلات الكتامية، وعندما باشر تعليم هؤلاء الرجال، اخذ بعين الاعتبار اختلافهم الطبيعي في الاستعداد لتلقي العلم وكتمائه معاً، فأقام لديهم ما يشبه "السلم التدريجي" في العلم، يكشف لبعضهم جانباً من علوم الدعوة، ويكشف لغيرهم قدراً أكبر من هذه العلوم، وهكذا. فاذا وصل أحدهم الى أقصى ما يمكن الوصول اليه في العلوم، اخذ عليه عهداً بالكتمان، ورمز له بوضع الاصبع على الفم، فاذا سأل بعضهم عما تلقاه من العلوم أجابه: "ابلق توقن"، وذلك ليس تدريباً على السرية وحسب وإنما فيه أيضاً حث للآخرين على الوصول الى

نفس الدرجة العلمية، اذ إن مثل هذا التعبير يثير غريزة الفضول لدى الناس ويشوقهم الى المعرفة أكثر. كذلك كان أبو عبد الله يرسل افراد دعوته في مهمات خارج بلده، وفي تلك الحال يلح على ضرورة محافظتهم على سرية مهمتهم، فلا يعرف عنها أي شيء لا أهلهم ولا أصحابهم ولا أولادهم، فكان أصحابه يطيعونه في ذلك طاعة عجيبة، وما ذلك الا لاحساسهم بتفردهم بين إخوانهم في الدعوة، وكأن في إيكال مهمة خارجية معينة لهم تقديراً خاصاً لهم من جانب الداعي. وبهذه الطريقة استطاع أبو عبد الله أن يعمل في الخفاء مدة سنوات، فلم يهتد اليه احد من أعوان النظام القائم إلا بعد أن اشتدت شوكته وقويت دعوته.

على أن عاملاً آخر ساعد أبا عبد الله على العمل بمنأى عن أعوان الدولة القائمة وذلك هو اختياره الريف لا المدينة منطلقاً لدعوته. ولا شك ان هذا الاختيار لم يحدث بشكل عشوائي وإنما كان أمراً خطط له أبو عبد الله وهو بعد يسير مع قافلة الحجاج الكتاميين من مكة الى مصر، ثم من مصر الى افريقية. وعلى هذا الضوء يجب ان يفهم الدارس اسئلته عن بلاد كتامة للكتاميين، وقد فهم أبو عبد الله من أجوبة هؤلاء الكتاميين ان سلطان الدولة المركزية (دولة الاغالبة) أشد في المدن منه خارج المدن، فكان أن قرر ان ينشر دعوته في الريف وأن لا يتقدم الى المدن إلا بعد ان تكون دعوته قد اشتدت، وقد برهنت الأحداث على أن أبا عبد الله كان مصيباً في تصوّره، ولقد أتاح الخطر الكبير الأول من أقرب المدن الى ريف دعوته، من مدينة ميله.

على أن الريف كان يحتوي على طاقة جيدة اخرى مناسبة لدعوة أبي عبد الله وتلك هي الطاقة البشرية. فساكن الريف يختلفون عن ساكن المدن في أنهم غير مرتبطين ارتباطاً مباشراً - من حيث المصلحة ووسائل الحياة - بالدولة القائمة، ومن ثم فإن سيطرة الدولة عليهم تكون سيطرة ضعيفة - نسبياً - ونشر الدعوة بينهم قد يطول أمره قبل ان تكتشف الدولة مدى خطره عليها. كذلك يحتوي الريف على عدد من السكان أكبر من عدد السكان في المدن مجموعة معاً، رغم كون الكثافة السكانية في المدن أعلى منها في الريف، وذلك لان الريف يشكل القسم الأكبر من البلاد بينما عدد المدن فيها قليل نسبياً، فاذا أضفنا الى ذلك كون اهل الريف القبليين أكثر شجاعة وإقداماً وقدرة على القتال من اهل المدن، نظراً لاعتيادهم الدفاع عن أنفسهم بأنفسهم مقابل اعتياد أهل المدينة الاعتماد على الشرطة للدفاع عن أنفسهم - إذا أضفنا ذلك الى صورة الريف وضح لنا لماذا اختار أبو عبد الله الريف الكتامي من دون المدينة للانطلاق بدعوته، منذ ان تسمّع الى وصف الكتاميين له وهم معه في الطريق اليه.



## الريف والعلم

ولعل هناك سبباً آخر دعا أبا عبد الله إلى الاتجاه للريف بدلاً من المدينة، وذلك هو كون أهل الريف - على وجه الأجمال - أقل رسوخاً في العلم من أهل المدينة، فالمدن كانت على مرّ الزمان - ولم تزال - المراكز الأساسية للعلم، يعمل كثير من أهلها في مختلف فروعهم، وبعضهم يبلغ فيه درجات عالية، ومنهم تأخذ الدولة موظفيها، وكانت الدعوة العبيدية الاسماعيلية تقوم على لون من ألوان العلوم الدينية، تلك العلوم التي كان لها شأن كبير في مدائن أفريقية والمغرب وعلى رأسها القيروان وميلة، فكان على صاحب الدعوة - أبي عبد الله - أن يأخذ بعين الاعتبار مدى رسوخ من يدعوهم إلى الدعوة في العلوم الدينية، ومن هذه الناحية يشكل سكان الإرياف عنصراً أصح للدعوة من سكان المدن، إذ يمكن للداعي - القائد - أن يزرع في نفوسهم أي شيء من العلم شاء، لخلو تلك النفوس تقريباً مما يمكن أن يواجه به الداعي من رفض، على العكس من سكان المدن، ومن هذه الناحية بالذات كان الريف أنسب لأبي عبد الله في دعوته من المدينة، وهذا أمر يؤكد قول إبراهيم ابن أحمد الأغلب لأبي عبد الله مع رسوله أنه لجأ إلى "برابرة جهال طغام"، وقول رؤساء كتامة من المعادين لأبي عبد الله أنهم لا يستطيعون أن يغلبوه في المناظرة لأن أصحابهم من الكتاميين الريفيين لا يرقون إلى معرفته بالجدل والمناظرة. كذلك يؤكد هذا الأمر كون أبي عبد الله قد قرر نهائياً القبول بالذهاب إلى المغرب مع حجاج كتامة بعد أن أخبروه أنه - بعمله - يستطيع أن يعلم شيوخ كتامة فضلاً عن صبيانهم، فإذا تذكرنا قول القاضي النعمان - وهو اسماعيلي حريص على سمعة الدعوة - أن أبا عبد الله كان يأخذ من علم الظاهر بقليل - يعني الفقه - وتذكرنا بساطة الحياة الريفية لدى كتامة - من فلاحه وزرع ورعي وإغارة - وعدم حاجتها إلى التشريع المعقد حاجة المدن إلى ذلك - إذا تذكرنا هذا كله قدّرنا أن أبا عبد الله كان على وعي تام بمدى النقص في "العلم" لدى من توجه إليهم بدعوته من سكان الريف، فاستغل هذا النقص، وقرّر أن الريف أخصب تربة لدعوته، وكان محققاً فيما قدّره دون ريب.

كذلك يلحظ من يتتبع تطوّر الدعوة على يد أبي عبد الله أنه بدأ بها ومعه فريق صغير من رؤساء كتامة صادف وجوده في الحج اثناء وجود أبي عبد الله فيه، أما فيما بعد، فإن أبا عبد الله ركز جهوده على استمالة عامة كتامة على وجه الخصوص، وهذا يدل على وعي أبي عبد الله بالأبعاد الاجتماعية الاقتصادية لدعوته، بمعنى أنه

كان على وعي بأن دعوته تشكل عنصراً "خطراً" على "سيادة" مشايخ القبائل الريفية، وهنا أيضاً كان أبو عبد الله محققاً في تصوّره، إذ أدرك أن المصالح الاقتصادية والاجتماعية لهؤلاء الرؤساء لا تلبث أن تجد في مصالح موظفي الدولة من الأمراء والولاة، الاقتصادية والاجتماعية ما يوحدّها، فتنبو عن تأييد الدعوة، وعلى هذا الأساس يجب أن نفسر اجتماع ولاية ميلة وسطيف وغيرها مع رؤساء كتامة ضد دعوة أبي عبد الله، أن الحركة الثورية يجب أن تصل إلى بسطاء الناس ممن هم ذوو مصالح مختلفة عن مصالح أصحاب الدولة لكي تنجح في تفويض دعائم الدولة القائمة.

بقي أن نذكر أن تاريخ الدعوة العبيدية الاسماعيلية يدلنا على أن "التوقيت" أمر هام في الحركة الثورية، توقيت خروجها من السرية إلى العلن، ومن التحرك الخفي إلى التحرك الظاهر، ومن التحرك السلمي إلى التحرك العسكري، ولذلك فإن كل حركة ثورية تود أن تنصر يجب أن يتميز قادتها بالصبر وحسن التقدير فلا يقدمون على التحرك المسلح قبل الأوان، وإنما ينتظرون حلول الظروف المناسبة، لدى أعدائهم ولدى المنضمين إليهم، قبل أن يباشروا الصدام المسلح، ولم يقم أبو عبد الله بتحويل الدعوة إلى حركة عسكرية إلا بعد أن ضمن كثرة المحاربين لديه، وضمن حسن تسليحهم، وحسن تنظيمهم، وتأكد لديه تبشّرهم بالدعوة ومبادئها، واستقتالهم بالدفاع عنها حتى الموت، أن هذا الأمر قد يحتاج إلى صبر طويل، ولكن الصبر هو أضعف الإيمان بالنسبة لأي قائد لأي حركة ثورية، ولنذكر أن أول فتوحات أبي عبد الله - فتح ميلة - تم بعد تسع سنوات كاملة من العمل المضني الجاد الصبور (من ٢٨٠ إلى ٢٨٩).

إن قيادة الحركة الثورية التي تريد تغيير نظام الحكم القائم بنظام بديل موال لها ليس بالامر البسيط السهل، والكثير يعتمد على حسن تصوّر قائدها للموقع الذي يحتله، ويستنتج من تاريخ الدعوة العبيدية الاسماعيلية في افريقية والمغرب أن قائد الحركة الثورية يجب أن يكون مؤمناً بمبادئ دعوته، متفرغاً لها، موهوباً مدرباً معاً لقيادتها، كما سبقت الإشارة، إلا أنه يجب أن يتميز أيضاً بذكاء شديد، وفراصة خارقة، يقدر بهما الظروف، ويفهم النفسيات، ويعرف متى يتحرك بصمت ومتى يتحرك بجلبة، وإلى أين يتوجه بدعوته، وكيف يستجلب الناس إليها، وكيف يصبر الصبر الطويل قبل أن تؤاتيه الفرصة للهجوم، إن هذا عمل شاق للغاية، ولا يكاد يقدر عليه غير الأفذاذ من الرجال، وكان أبو عبد الله أحد هؤلاء الأفذاذ، وفي تاريخه عبرة لمن يريد أن يعتبر، ولمن يريد أيضاً أن يرى صورة من التاريخ الحديث في لباس التاريخ القديم. ■







إلى أن تكون قصيرة، ويختلف العلماء اختلافاً شديداً في تقديراتهم لعمر الجنس البشري، فأقل التقديرات يصل إلى حوالي مائتي ألف عام بينما يصل أكبر التقديرات إلى حوالي مليون عام. فهل لنا أن نأخذ بتقدير وسط بين الاثنين فنقول إن الجنس البشري وجد منذ نصف مليون عام على الأقل؟

وبالمقارنة فإن نسبة عشرة آلاف سنة إلى خمسمائة ألف سنة هي ٢٪ فقط من طول المدة التي وجد فيها الجنس البشري فوق هذا الكوكب حتى الآن. ويقول لنا العلماء أيضاً أننا إذا لم نقض على الجنس البشري في عصرنا الحاضر - ونحن نعلم أننا نواجه خطر وضع نهاية للتاريخ عن طريق تدمير أنفسنا - إذا نحن لم نفعل ذلك فإن العلماء يقولون لنا إن مستقبل بقاء الجنس البشري على هذا الكوكب أطول بكثير جداً من الفترة التي عاشها فوقه حتى الآن. وأظن أن من رأى العلماء أن هذا الكوكب يمكن أن يستمر مأهولاً بالجنس البشري مدة ألفي مليون سنة أخرى إذا نحن لم ندمر أنفسنا.

وأخشى إذا أردت أن أحول هذا إلى نسب عشرية مفهومة أن تخذلني قدرتي على الحساب. ولكنني أعتقد أن العشرة آلاف سنة التي مضت منذ ابتكار الشرق الأوسط للزراعة تساوي فقط نحو ١٠٠٠٠٥ من الدقيقة بالنسبة لمستقبل الجنس البشري ومع ذلك فإن العشرة آلاف سنة وخاصة الخمسة آلاف سنة الماضية لها أهميتها البارزة بالقياس إلى الأهمية العظمى لما حققته الإنسانية حتى يؤمننا الحاضر وإن الخمسة آلاف سنة الماضية خاضت تعقير الفترة الطبيعية التي لعب فيها الشرق الأوسط دوراً له أهميته الأولى العظمى في تاريخ الجنس البشري. وربما لم يكن الشرق الأوسط هو المنطقة الأولى بالنسبة لمجالات النشاط والاكتشافات الإنسانية في الفترة السابقة علينا مباشرة أي في آخر فترة من

■ منذ ابتكار الزراعة كان المكان الطبيعي للشرق الأوسط في العالم مكاناً مركزياً.

فجميع الزراعات ابتكرت في الشرق الأوسط. ومنه انتشرت إلى جميع أطراف العالم القديم. ويجب، دون شك ألا نجاور الحدود في ما يتعلق بأهمية الشرق الأوسط أو العالم القديم على السواء.

فمن المحتمل أنهم في العالم الجديد وفي حضارته السابقة على كولمبس قد ابتكروا الزراعة ابتكاراً مستقلاً تماماً عنا في العالم القديم.

وحتى في العالم القديم كانت هناك بعض المحاصيل مثل الأرز وبعض الفاكهة التي ربما لم تنشأ في الشرق الأوسط، غير أن جميع محاصيل العالم القديم من الحبوب، في ما عدا الأرز، قد زرعت أول ما زرعت في الشرق الأوسط.

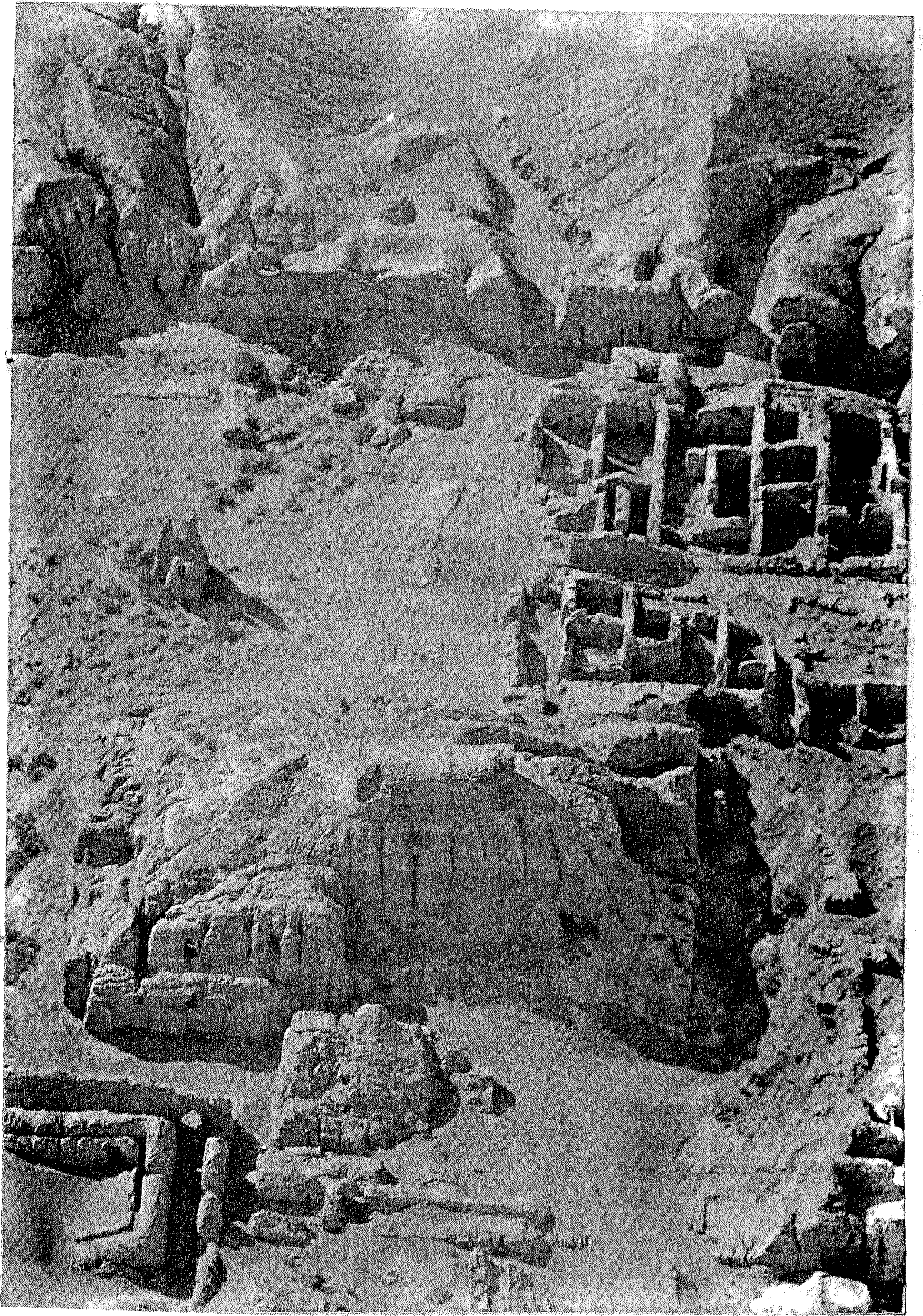
وعلى هذه المحاصيل عاش الملايين ومئات الملايين من بني البشر ونشأ ما أسفرت عنه زراعتها من ظروف اقتصادية واجتماعية بالغة الأهمية عظيمة الخطر. ولقد أتاح هذا للشرق الأوسط أن يتقدم على بقية العالم القديم ويسبقه بزمن طويل.

وهذه البداية التي حققها الشرق الأوسط بابتكاره الزراعة قبل أي جزء آخر من أجزاء العالم القديم عجل بها حدث هائل مفاجيء في التاريخ الجيولوجي، فكوكبنا، وهو انتهاء العصر الجليدي. وإني أقول انتهاء العصر الجليدي وربما كان يجب أن أكون أكثر حذراً فأقول: آخر فترة من العصر الجليدي. ذلك أن العصر الجليدي ظاهرة متكررة، وربما كنا نعيش الآن في فترة قصيرة دافئة بين مرحلتين من العصر الجليدي. ولو أن العصر الجليدي عاد ثانية إلى الصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية ووسط آسيا فسوف تصبح هذه الأراضي خضراء مرة أخرى وبدلاً من أن تكون مصر مجرد شريط أخضر منعزل تحيط به الصحراء من كل جانب فسوف تصبح محاطة بالأشجار والعشب مرة أخرى.

## دور مهم

وهذه البداية الاجتماعية والاقتصادية التي حصل عليها الشرق الأوسط عن طريق ابتكاره للزراعة أعطته دوراً بالغ الأهمية في تاريخ العالم القديم منذ انتهاء آخر فترة من فترات العصر الجليدي التي يرجع تاريخها على ما اعتقد إلى حوالي تسعة آلاف أو عشرة آلاف سنة مضت. وإذا كان المرء يفكر على أساس عمر الفرد من بني البشر فإن أي حقبة تاريخية من أي قرن تقريباً تكون طويلة لأن فترة نضوج عمر الفرد قصيرة للأسف. ولكننا إذا فكرنا على أساس عمر الجنس البشري ككل فإن تسعة أو عشرة آلاف سنة حتى الآن تعتبر فترة أقرب





□ حفريات مدينة "ينبور" القديمة في بلاد ما بين النهرين في الألف الثاني والثالث قبل الميلاد .



العصر الجليدي . وربما كانت أفضل منطقة للحياة  
الانسانية في الوقت الذي كانت منطقة شبه جزيرة  
اسكندناوه وشمال روسيا ترح فية تحت عطاء  
الجليد . . . ربما كانت أفضل منطقة للحياة  
الانسانية إذ ذاك هي شمال أوروبا ووسط روسيا .  
ذلك أن تلك المنطقة هي التي كانت توجد بها  
معظم الحيوانات الصالحة لصيد الانسان .

وربما يكون الانسان الذي عاش على الصيد في أوروبا وروسيا في العصر الحجري البالي قد تقدم على الانسان الذي عاش على الصيد في شمال افريقيا وجنوب غرب آسيا ،

ولكن مهما يكن من أمر ففي نقدينا أن العصر الحجري والعصر الحجري المتأخر بما حلفه لنا من نقوش رائعة في كهوف أوروبا وكهوف شمال أفريقيا وجنوبها، يعتبر فصلاً أقل أهمية في التاريخ البشري من وجهة نظرنا بالنسبة للعصر الحجري الجديد وما بعد العصر الحجري الجديد وهو العصر الذي نعيش نحن أنفسنا فيه الآن، وربما تعطى النظرة الشخصية من وجهة النظر العسية لا العصر الحجري المتأخر نقديراً أعظم من التقدير الذي تعطيه للعصور اللاحقة، ونحن قد عشنا بالمقارنة إلى العصر الحجري عصراً يتميز بتفوق التكنولوجيا



١- رسم لاول انسان مداني عريه . الماروج . هجعت همدعس برود فقه نظم مس . اء و بقت دء لمبتي .

السيادة على المحيط لم تعد هي مفتاح السيادة على العالم لأنه من الضروري أن تزود القطارات والسيارات والطائرات بالوقود على فترات من محصات في البر.

### عودة من جديد

ومعنى ذلك مرة أخرى، أن التفوق في العالم كما أعتقد يرتد الآن من غرب أوروبا إلى الشرق الأوسط. ونتيجة لذلك فإن اسم (الشرق الأوسط) يقل استخدامه أكثر فأكثر. ثم إن عادة تحديد أماكن أقاليم العالم بالنسبة إلى غرب أوروبا تندثر الآن بشدة بعد أن رحل الأمريكيون شرقاً واستخدموا اسم (الشرق الأدنى) ليعبروا به عن غرب أوروبا، وإن كانوا في الواقع حين يستخدمون اسم الشرق الأدنى إنما تنصرف الأذهان إلى الشام شرق البحر الأبيض المتوسط. ويتندر الاستراليون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فيقولون: إننا حين نقول الشرق الأقصى إنما نقصد الشمال القريب بالنسبة لنا. ذلك أنه من خلال الحرب العالمية الثانية وصلت الجيوش اليابانية حتى مسافة قريبة من شاطئ استراليا.

وجعل هذا الاستراليين يدركون إلى أي حد هم قريبون من آسيا. غير أنهم لما كانوا قد قدموا من انكلترا فإنهم لا يزالون يتحدثون بلغة غرب أوروبا. وهم حين يتحدثون عن الشمال الأدنى بالنسبة لهم يقولون الشرق الأقصى قاصدين الصين واليابان، ولكنهم يرون أن هذا أمر أقرب إلى السفخ.

### بين القاهرة وبيروت!

وقبل أن يبتكر البرتغاليون السفن الشراعية عابرة المحيط في القرن الخامس عشر الميلادي، كانت لدى شعوب العالم القديم فكرة صحيحة، كما اعتقد عن مركز العالم القديم أي المركز الحقيقي للعالم في الواقع.

وفي العصور الوسطى كان الناس يفكرون على أساس ديني. فالمسلمون كانوا ولا يزالون يشعرون أن مركز العالم يقع عند مكة في الحجاز. بينما يعتقد المسيحيون رغم كل شيء أن مركز العالم يقع في مدينة أخرى معروفة للمسلمين مثلما هي معروفة للمسيحيين وهي بيت المقدس. وهذه هي خريطة العالم ومركزها الحجاز أو فلسطين.

وعلى الرغم من أن هذا المركز قد تحدد على أساس ديني فالذي حدث هو أن تحديده كان علمياً. وإن هذه الخريطة خريطة صحيحة وصادقة تماماً. وهي أكثر صحة وصدقاً بدرجة كبيرة بالنسبة لطبيعة الأمور في العالم من الخريطة التي تجعل غرب أوروبا مركز العالم. ولا يزال مركز العالم اليوم في المستوى نفسه. ويجدر بي أن أقدر أن المركز الحقيقي للعالم يتأرجح بين القاهرة وبيروت. ■

أوروبا على المحيط الأطلنطي بمركز ذي أهمية بارزة مؤقته. وقد نتجت هذه الأهمية من ابتكار توصل اليد البرتغاليون هو فن الملاحة في المحيط. توصل إلبد بناء السفن البرتغاليون والأسبانيون في القرن الخامس عشر الميلادي.

وقد منح هذا الغزو للمحيط الذي شاركت فيه بقية الشعوب الأوروبية غرب أوروبا تفوقاً على العالم ككل لأنه إذا ما استطاع الإنسان أن يغزو المحيط فإن ذلك يفتح أمامه السبل للكشف عن وجد هذا الكوكب جميعه. وحتى مدة متأخرة بدا أن تحول القوة هذا مما يسمى بالشرق الأوسط إلى غرب أوروبا هو تحول دائم مثل التحول الثوري للقوة في الفترة الأخيرة من العصر الجليدي من أوروبا وروسيا إلى الشرق الأوسط. ومع ذلك فإن التقدم التكنولوجي يمضي بحطى سريعة. ونتيجة لهذا التقدم التكنولوجي فقد ثبت أن صعود غرب أوروبا وتفوقها في العالم لم يستغرق فترة أطول مما استغرقه عصر السفينة الشراعية وقد انتهى من الوجود في أوائل القرن التاسع عشر عهد السفينة ذات الأشرعة الثلاثة التي اخترعها البرتغاليون في القرن الخامس عشر والتي أبحر بها سكان غرب أوروبا إلى الأمريكتين وحول جنوب أفريقيا في رحلة متصلة إلى الهند. وحدث انتهاء عهد السفينة الشراعية بسبب منافسة وسائل النقل الميكانيكية الجديدة لها.

ومنذ انتهاء عصر السفينة الشراعية بدأ تفوق أوروبا يكتسب وزنه. وقد حلت محل السفينة الشراعية خلال القرن الأخير مخترعات ميكانيكية جديدة عديدة مثل السكك الحديدية والسيارة وأخيراً الطائرة ومن الواضح أن وسائل النقل الحديثة هذه أسرع وأقوى من السفينة الشراعية ولكن هذه الوسائل للنقل كلها تعتبر أقل شأنًا من السفينة الشراعية نظراً لنقطة على أقصى درجة من الأهمية وبمعنى تكنولوجي غاية في الأهمية أيضاً. فالسبب الذي من أجله استطاع سكان غرب أوروبا أن يكونوا سادة على المحيط هو أن السفينة الشراعية كانت تستطيع أن تمر عباب البحار شهوراً عديدة دون أن تحتاج للعودة إلى الميناء.

ومقابل هذه الصفة للسفينة الشراعية فإن جميع وسائل المواصلات والنقل التي تسير بقوة الدفع الميكانيكي في البحر أو البر لا بد لها من التزود بالوقود على فترات قصيرة.

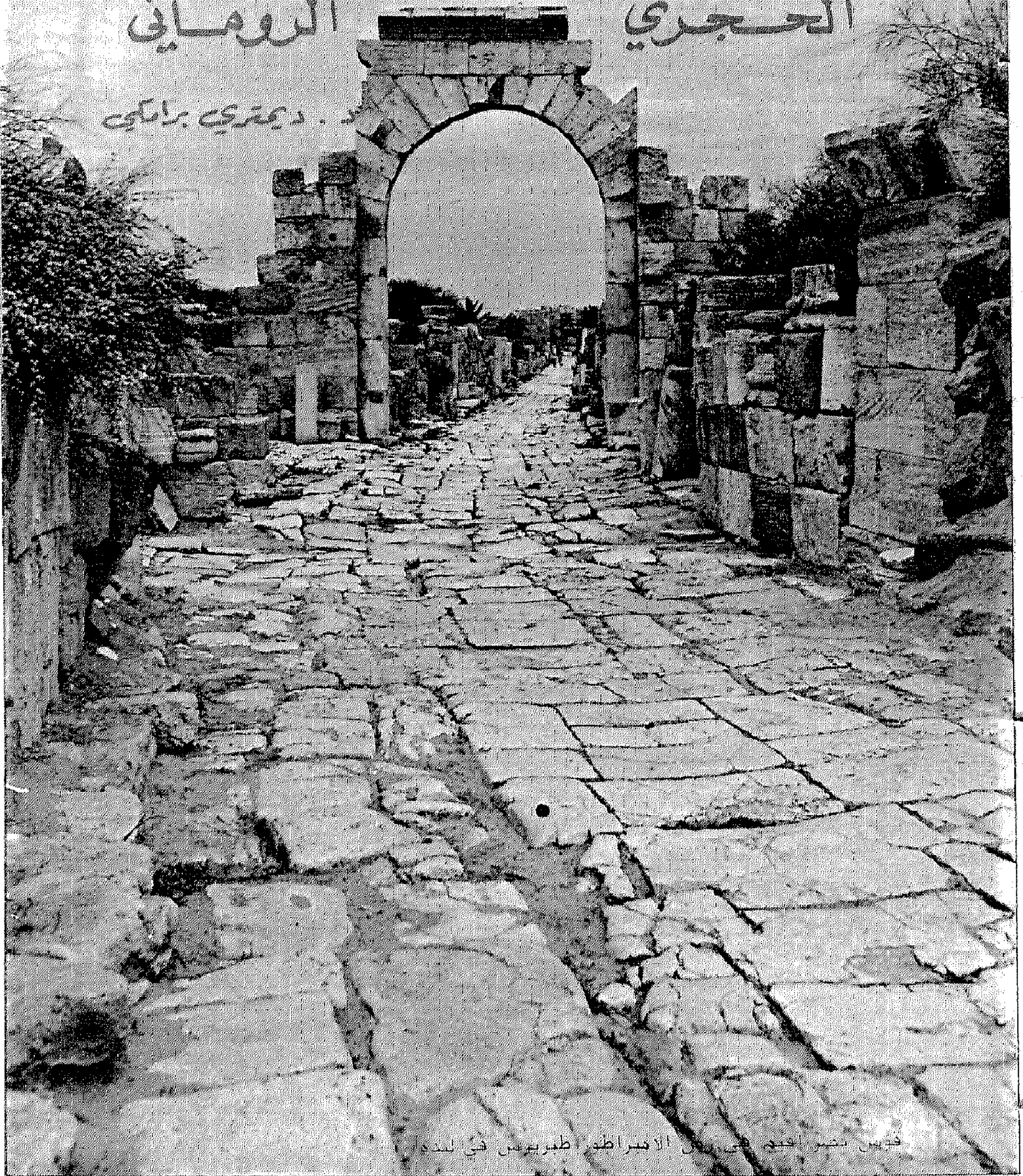
وأعتقد أن آخر وسائل المواصلات هذه وهي الطائرة بخلاف القطار والسفينة لا تستطيع أن تعتمد على نفسها ولا بد لها من قدر عظيم من التوازن حين لا تكون على الأرض ومعنى ذلك أن وسائل المواصلات الميكانيكية هذه قد دعت الميرة التي كانت تتمتع بها السفينة الشراعية وهي ميزة الاستقلال نسبياً في اعتمادها على الأرض. وعلى هذا الأساس فإن ذلك يعني أيضاً أن



# الأشياء الليبية

من  
العصر  
الحجري  
الى  
العصر  
الروماني

د. ديمتري برامكي



فلسطين - نابلس - في القرن الخامس الميلادي

بالوكالة في فلسطين ١٩٤٦ - ١٩٤٩ وأمين مناحف الجامعة  
الأميركية في بيروت منذ ١٩٥١. مثل الجامعة الأميركية في  
سبعة مؤتمرات للآشوريين في البلاد العربية وفي العالم. رقي  
إلى درجة استاذ آثار في تموز ١٩٥٨.

■ الدكتور ديمتري برامكي: مولود ١٩٠٩  
في الأردن، حامل شهادة بكالوريوس آداب من جامعة لندن  
١٩٣٤ ودكتوراه بالآثار من جامعة لندن ١٩٥٣، وكانت أطروحته  
بعنوان "ثقافة وهندسة العهد الأموي"، أمين متحف الآثار



■ قال سترابو المؤرخ الشهير وواضع اول كتاب عن جغرافية الدنيا ان افريقيا (وهو يعني هنا افريقيا الشمالية التي كانت معروفة لديه) تشبه جلد الفهد المرقط اذ توجد فيها بقاع سوداء مسكونة على ارضية صحراوية بيضاء تماما مثل جلد الفهد. وينطبق هذا التعبير على ليبيا تماما فهناك بقع مأهولة تتخللها مساحات واسعة شاسعة من الصحراء الرملية البيضاء.

في عصور ما قبل التاريخ كانت الفزان مأهولة الى حد ما من قبل جماعات من البشر كما تشهد بذلك الادوات الطرانية او الصوانية التي وجدت بجوار مدينة سبها والتي ترقى الى العصر البليوليثي الادنى. وهذه الادوات من الصناعة المعروفة بالصناعة الاشولية. كما أنه وجدت بعض الادوات التي ترقى الى العصر البليوليثي الاوسط في منطقة سيدي زين ومنطقة بئر قان ووجدت جنبا الى جنب مع الادوات المعروفة بالادوات العاترية نسبة الى بئر عاتر في تونس حيث عثر عليها لأول مرة. وعدا الادوات الطرانية فلقد عثر على بقايا اخرى ترقى الى ما قبل التاريخ وهي العصور المدهونة او المنحوتة على جدران المغاور والصخور في وادي بروجوج على بعد ١٥٠ كيلومترا غربي مدينة مرزق وفي جبل بوغنيمة.

على بعد مئتي كيلو متر شرقي مرزق وفي اراكني على بعد خمسين كيلومترا جنوبي شرقي غات. وفي بوزوما وزنكرا قرب مدينة جرمة وفي زقزا ووادي مسعودة المتفرع من وادي الشاطي على بعد ١٢٠ كيلومترا شمالي سبها. ويمكن تقسيم هذه الصور الى خمس مراحل تاريخية. ففي المرحلة الاولى وترقى الى ما قبل عشرة الاف سنة تحتوي على صور حيوانات منقرضة مثل الثور القديم بوبالوس انتيكووس والفيلة وذوي القرن الوحيد وحصان البحر (هوبوتوم المعروف بسيد قشطة عند العامة) وتماسيح وقردة وغزلان وحيوانات برية اخرى ضارية. والمرحلة الثانية وترقى الى ما قبل سبعة الاف سنة هي مرحلة الحيوانات الداجنة مثل الماعز والبقر والخرفان. والمرحلة الثالثة هي مرحلة صور العربات الحربية. وتظهر هذه العربات تجرها الخيول المطاردة. يقول هيرودوت المؤرخ الشهير ان الحرمنتيين كانوا يطاردون العبيد السود على هذه العربات للاستيلاء عليهم وبيعهم في اسواق الرقيق بين القرن الثامن والقرن الثالث قبل الميلاد. والاقوام المعروفة بالتبوحاليا منحدرين من اولئك العبيد. ولا يزالون يعيشون حياة بدائية رغم كل المحاولات التي اجريت حديثا لتحضيرهم او حتى لتعليمهم



السوق هي لبدد





الخربة في ليد

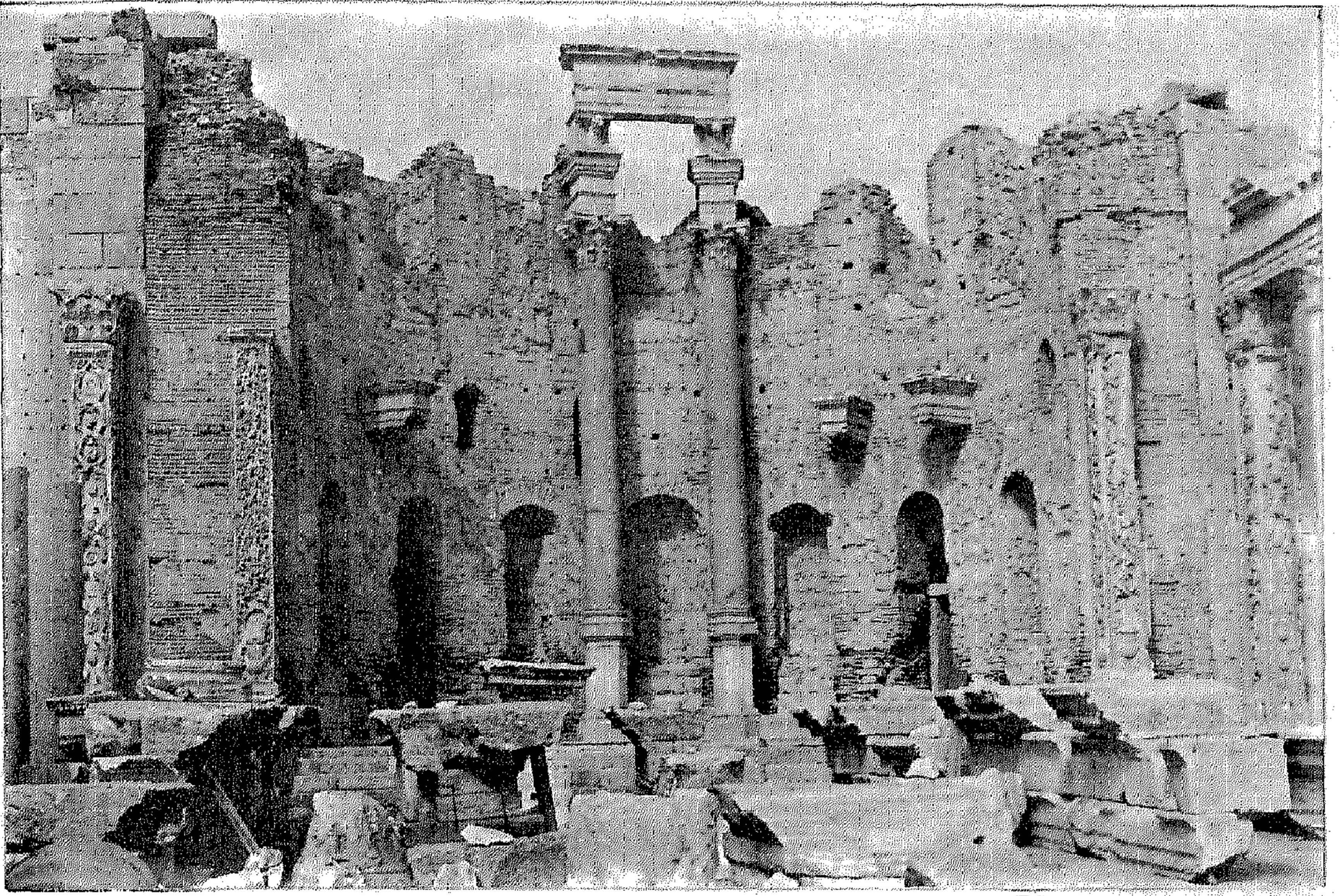
تجارية في توكره حيث عثر على كمية كبيرة من الخزف الذي انتشر من القرن العاشر حتى القرن الرابع قبل الميلاد في بلاد اليونان. وفي العهد الهلنستي اقام البطالسة وحلفاؤهم المدن في تولميكا (نبولميس قديما) وابن غازي (برنيقة قديما). عثر في تولميكا على قصر هلنستي مزود بالاعمدة كما عثر على ابنية اخرى متأخرة ترقى الى العصر الروماني والعصر البيزنطي ولكن اهم موقع في برقة هو مدينة شحات (سيرينا او كيرينا قديما). جرت في شحات حفريات اثرية منذ اكثر من اربعين سنة اسفرت عن اكتشاف سور مدينة سيرينا ومعبد ابولون في داخلها وكلاهما يرقى الى القرن الخامس قبل الميلاد كما عثر على فورم روماني وعلى عدة مبان مبنية حواليه اغلبها مرصوف بالفسيفساء المتعددة الالوان. كما عثر كذلك على عدد كبير من التماثيل المنحوتة من يونانية ورومانية بما فيها تماثيل الثلاث نعم واغلبها آية في دقة الصنع والجمال. وعثر في جوار مدينة شحات على معبد الاله زيوس الذي أحرقه اليهود عندهما ثاروا على الرومان في سنة 117 ميلادية.

الزراعة. والمرحلة الرابعة هي مرحلة صور الرجال بشكل مثلثات وزيادة الارجل والايدي. وترقى هذه الصور الى العصر الروماني القديم اي الى ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الاول بعد الميلاد. والمرحلة الخامسة والاخيرة هي مرحلة صور الجمال وترقى هذه الى عهد الامبراطور سبتيميوس سيفيروس الذي ادخل الجمال الى شمال افريقيا في اواخر القرن الثاني واول القرن الثالث الميلادي.

#### العصر النيولوثي

والعصر النيولوثي في ليبيا دام مدة طويلة من الزمن ولم تتبعه العصور المعروفة في الشرق بالعصر البرونزي او العصر الحديدي. بقي الانسان الليبي في الفزان يعيش في العصر النيولوثي الى القرن الاول قبل الميلاد عندما توغل الرومان في اواسط افريقيا ونشروا حضارتهم فيها الى حد ما. اما في برقة فالحالة تختلف تماما. وتشير الدلائل الاثرية الى ان اليونانيين اسسوا مدنا





الحمام - سبت في سبت - سبت في سبت

للمرة الثالثة بينها وبين روما حليفة مسنسا وكان النصر من نصيب روما. وفي هذه المرة دمرت قرطاجة واحتلت المدن الثلاث التي بقيت تحت حكمها حتى الفتح الاسلامي عدا فترة قصيرة عندما احتلها الوندل.

تأسست هذه المدن بين القرن السادس والقرن الخامس قبل الميلاد من قبل جماعة من التجار الفينيقيين ولكن رغم هذا لم توجد في اي منهم اثار فينيقية تذكر لانه في العهد الروماني عندما اعيد بناء هذه المدن الثلاث انطمست اثار ومعالم المدن الفينيقية كلياً.

### مدينة لبدة

ان اهم مدينة في هذا المثلث كانت مدينة لبدة وتدعى باللاتينية Lepcis Magna أو Leptis Magna وهي تبعد عن طرابلس نحو ١٢٠ كيلومتراً الى الشرق. وقد اعيد تأسيسها في القرن الاول الميلادي ولكنها كبرت وازدهرت في القرنين الثاني والثالث وخصوصاً في زمن الامبراطور سبتيميوس سيفيروس الذي ولد فيها.

اقيم في زمن الامبراطور سبتيميوس سيفيروس قوس نصر عند مدخل المدينة في الشارع الرئيسي المعروف بالكاردو. يرتكز هذا القوس على اربع

تقع شحات في الجبل الاخضر على هضبة مرتفعة وتبعد عن البحر حوالي ١٩ كيلومتراً وكانت لها ميناء على شاطئ البحر دعيت ابولونيا قديماً وسوسة حديثاً. وجدت في هذا المرفأ عنابر لتخزين البضائع هبطت مع الزمن واصبح نصفها تحت مياه البحر. كما وجد مسرح لتمثيل الروايات اليونانية وكلاهما يرقى الى العصر اليوناني. ولكن عثر ايضا على بقايا قصر وبقايا كنيسة يرقيان الى العصر البيزنطي.

اما في منطقة طرابلس فالتراث الروماني اغنى بكثير. اشتهرت في العصر الروماني ثلاثة مدن تجارية هي لبدة (لبقى قديماً) وصبراتا وطرابلس (اويا او ايعات قديماً) واطلق اسم طريبوليس على المدن الثلاث باسرها ولكن في ما بعد عندما انقرضت مدينتا لبدة وصبراتا اكتسبت مدينة ايعات اسم طرابلس وحدها وتلاشى اسمها الحقيقي القديم ايعات او اويا.

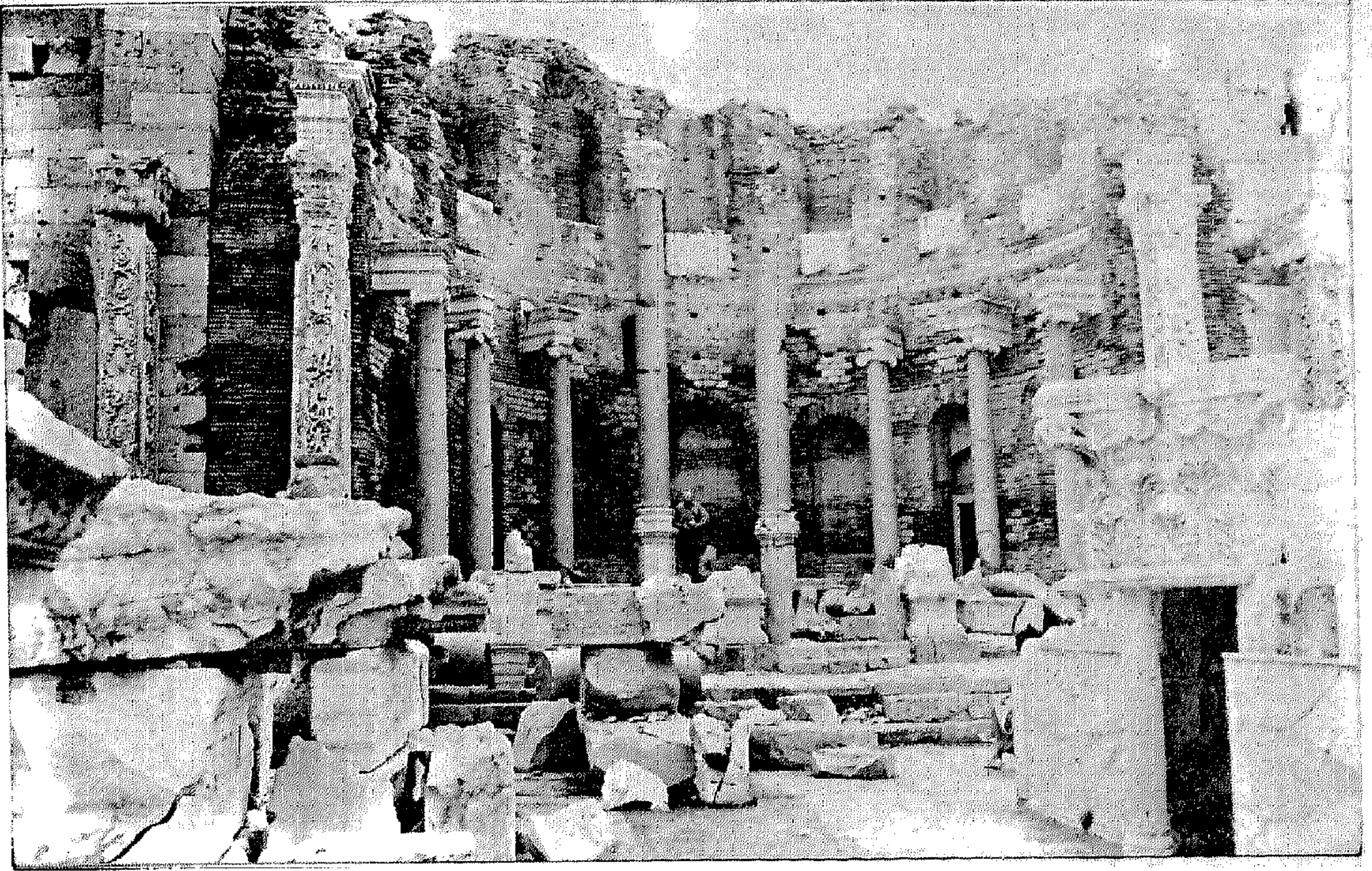
في بادىء الامر كانت هذه المدن الثلاث تابعة لقرطاجة ولكن بعد معركة زاماريجيا وانتصار الرومان على المدينة الفينيقية تشجع حليف روما القائد الليبي مسنساً على نزع هذه المدن الثلاث من قرطاجة وضمها الى مملكة كبيرة اسمها هو تضم اغلب افريقيا الشمالية عدا مدينة قرطاجة. وما زال مسنسا يشد الخناق حول عنق مدينة قرطاجة حتى اضطرت للدفاع عن نفسها وبهذا العمل جلبت الدمار لنفسها اذ استعرت الحرب





المحكمة في لبة وهى منحوتة هي الاعمدة الرخامية





المنتدى في روما - صورة من القرن التاسع عشر

الشمالي من الفورم اقيمت كنيسة بيزنطية . يحيط بالفورم سور بيزنطي اقيم في زمن الامبراطور يوستنيانوس عندما صغر حجم المدينة . يقع هذا شمالي الكنيسة البيزنطية مباشرة .

وفي الجهة الشرقية من المدينة على الشارع الثانوي المعروف بالدكومانوس بقايا اخرى من مدينة لبدة منها ملعب للالعاب الرياضية ويدعى بالسترا وبركة كبيرة للسباحة وتدعى نقاتيو وخلفها حمام كبير .

اقيمت جميع هذه الابنية في زمن الامبراطور هدرينانوس ١١٨ - ١٣٩ م . يحتوي الحمام على برك للاستحمام بالماء البارد (فريجداريوم) مزدان بتمائيل لاله ابولون وللالهة فينوس ومفطس للاستحمام بالماء الساخن (تبداريوم) وغرف للاستحمام بالهواء الحامي (كالداريوم) والهواء الحار (لاكونيكوم) . أعيد تزيين هذا الحمام في زمن الامبراطور سبتيميوس سيفيروس في اواخر القرن الثاني الميلادي عندما كسيت جميع حيطانه بالمرمر الاخضر المعروف بالسبولين . واقيم في الوقت نفسه معبد لارواح الماء (نمفيوم) شرق الحمام فتح شارع جديد يؤدي من بالسترا رأساً الى المرفأ . اقيمت على كل من طرفي هذا الشارع اعمدة من المرمر الاخضر تزيينه . والمرفأ يقع شرقي الفورم القديم مباشرة واقيم على كل من طرفيه برج لارشاد السفن الى داخل الميناء كما اقيم معبد في الطرف الغربي من المرفأ .

وعلى الجانب الشمالي الغربي من الشارع ذاته اقيمت في زمن الامبراطور سبتيميوس سيفيروس

دعائم ضخمة ر . اعلاه افريز منحوت لموكب يظهر فيه الامبراطور وولداه كركلا وجيتا . يزين هذا الشارع قوسان آخران الاول بني في زمن الامبراطور تريانوس في اوائل القرن الثاني والاخر في زمن الامبراطور طبريوس (شكل ١) . يقع على الجانب الشمالي من القوس الاول معبد يدعى كلكدكوم وخلفه تقع سوق فيها دكاكين عديدة وخلف هذه يقع مسرح المدينة المكون من منصة الممثلين وقاعة الاوركسترا ومقاعد المشاهدين .

وامام منصة الممثلين اقيم تمثالان للتوأمين كاستور وبولكسي . كما اقيم تمثال اخر للالهة سيرس-الهة الحنطة في اعلى المقاعد . واقيمت الى شمال قوس طبريوس سوق المدينة (شكل ٤) وهي عبارة عن ساحة كبيرة محاطة باروقة ودكاكين على جوانبها الاربعة وفي وسطها سرادقان احدهما للباعة والاخر لحاكم السوق .

وفي نهاية الشارع الرئيسي اقيم الفورم الروماني القديم حيث كان يجتمع اهل المدينة للمداولة والمساومة والحوار . في داخل هذا الفورم معبد مهدوم كرس لعبادة الالهة روما والاله اوغسطس ومعبد آخر كرس لعبادة الاله المفضل عند الافريقيين ديونيسوس . وفي طرف الفورم الشرقي اقيمت المحكمة او الباسيلكا وهي كناية عن ايوان مستطيل مزدان في داخله بصفين من الاعمدة وفي الجانب الشمالي منه ثلاث غرف صغيرة للقضاة . والى الشمال الشرقي منها بناء مجلس الشورى وهو بناء مزدان داخلها بالاعمدة ومزود بمقاعد لاجتماع المجلس . وفي الطرف



الذي أعيد تركيبه في المتحف بجوار الآثار، ويقع جنوب الباسيلكا معبد آخر كبير الحجم داخله مزدان بالاعمدة والحنايا.

واقامت حمامات رومانية في الزاوية الشمالية الشرقية من الفورم خلف معبد ديونيسوس، وكانت هذه مزودة ببركة للسباحة ومغاطس للماء الساخن وغرف للاستحمام بالهواء الحامي وهي مزودة أيضا بهراحيض أحدهما خاص بالرجال والآخر بالنساء.

وفي القسم الشرقي من المدينة خارج السور البيزنطي الذي أقيم في زمن الامبراطور يوستينيانوس بعدما صغر حجم المدينة معبد مكرس لعبادة الاله هرقل، وهو عبارة عن ايوان مزود باعمدة من المرمر الأخضر وقائم على بناء مرتفع يدعى بؤديوم، وإلى الشمال الشرقي من هذا كنيسة تان بيزنطيتان أقيمتا في القرن الرابع الميلادي، يلي هاتين الكنيسيتين حمام آخر مبني على الطراز الروماني، سمي علماء الآثار هذا الحمام بحمام اوقيانوس إذ أن أحد مغاطسه مزخرف بالفسيفساء بصورة الاله اوقيانوس.

من أهم المباني في صبراتا معبد الالهة اريس الذي يقع في الطرف الشرقي من المدينة الرومانية، يرقى هذا المعبد إلى القرن الأول الميلادي حينما انتشرت عبادة الالهة اريس في جميع أرجاء الامبراطورية الرومانية. والمعبد عبارة عن بناء مستطيل قريب جدا إلى المربع، مدخل المعبد من الشرق حيث توجد سبع درجات عريضة يعرض الهيكل تماما يصعد بها إلى رواق مزدان بالاعمدة المتراصة ويحف بالرواق برجان برج من كل جانب، هنالك ثلاثة ابواب تؤدي من الرواق إلى الباحة التي أقيم هيكل المعبد في وسطها. في الطرف الغربي من الباحة ثماني غرف صغيرة أعدت لخدم المعبد من كهنة وكاهنات، وفي وسط الباحة صحن كبير محاط بالاعمدة من كل جانب وداخله أربع درجات يصعد بها إلى الصحن الذي يحيط بالهيكل. يصعد إلى الهيكل بتسع درجات أخرى في طرفه الشرقي وهو مقسم إلى غرفتين مستطيلتين ودهليزين في طرفيهما تبعا للطقوس الدينية المتبعة بعبادة الالهة اريس.

وفي الجانب الجنوبي من المدينة الرومانية كان هناك المسرح، وهو كسائر المسارح الرومانية يحتوي على منصة الممثلين وقاعة الاوركسترا ومقاعد المشاهدين بشكل نصف دوائر مشتركة المركز. أعيد بناء هذا المسرح حديثا وطالما اقيمت فيه حفلات موسيقية.

وكان أهالي مدينة صبراتا في العهد الروماني مثل أهالي مدينة لبة يتلهون بمشاهدة مصارعة الحيوانات الضارية مع المجرمين إذ وجد امفتياترو بقرب المدينة ولكن بحالة سيئة، وإن لم يعثر حتى الآن على امفتياترو في طرابلس فمن المحتمل جدا أن يكون فيها امفتياترو كما هي الحالة في لبة وصبراتا. ■

محكمة (باسيلكا) وفورم كبير في وسطه معبد للاله جوبتر، والفورم عبارة عن باحة كبيرة محاطة باروقة مظلة بالعقود القائمة على الاقواس (شكل ٢). أما الباسيلكا فعبارة عن ايوان مستطيل في كل من طرفيه حنية مستديرة مزينة بالاعمدة. وهناك عمودان مغشيان بالمرمر الابيض ومحفوران بمشاهد من اعمال ديونيسوس وهرقل (شكل ٤ و ٥). وإلى جانب الباسيلكا رواق مزدان بالاعمدة الخضراء المصنوعة من السبولين (شكل ٧). وقد تحول قسم من الباسيلكا إلى كنيسة في القرن الرابع الميلادي.

وكان أهالي مدينة لبة في العهد الروماني يتلهون بمشاهدة مصارعة الحيوانات الضارية مع المجرمين في الامفتياترو الموجود شرقي الميناء كما وانهم كانوا يتلهون أيضا بالمشاركة في سباق الخيل والرهان على الخيول الفائزة بالسبق، إذ وجد بالقرب من الامفتياترو هبودروم أو ميدان لسباق الخيل يبلغ طوله ٤٥٠ مترا وعرضه ١٠٠ مترا.

### طرابلس صبراتا

والمدينة الثانية في المثلث اويا أو ايعات (طرابلس حاليا) لم يبق منها أثر من العهد الروماني سوى قوس نصر أقيم في زمن الامبراطور ماركوس اوريليوس وبعض القبور الرومانية التي تقع غرب طرابلس في الحي المعروف بقرقارش. أما صبراتا فما زالت تعج بالآثار الرومانية القيمة. وهي تقع على بعد زهاء ٦٨ كيلو مترا غربي طرابلس، ففي وسط المدينة في الفورم عدد من المعابد والابنية القيمة. أقيم في الجهة الشرقية من الفورم معبدان أحدهما مكرس لعبادة الاله ديونيسوس والثاني للباطرة الانطونيين وقد أقيم في زمن الامبراطور ماركوس اوريليوس، وفي الطرف الجنوبي من الفورم أقيمت الباسيلكا أو المحكمة وهي عبارة عن ايوان طويل في كل من طرفيه الشرقي والغربي حنية حيث كان يجلس القاضي. والايوان مقسم إلى ثلاثة اقسام بصفين من الاعمدة التي تقطع من الشرق إلى الغرب. وفي زمن الامبراطور يوستينيانوس تحول القسم الشرقي من الباسيلكا إلى كنيسة بيزنطية. وعلى الجهة الغربية من الفورم معبدان آخران أحدهما مكرس لعبادة الالهة جوبتر وجونو ومينرفا والآخر للاله سربيس. وإلى شمال الفورم تقع بناية مجلس الشورى وتدعى كوريا باللاتيني وهي عبارة عن بناء مستطيل مزين داخله بالاعمدة على جوانبه الأربعة. وعلى الجانب الشمالي حنية صغيرة حيث كان يجلس رئيس المجلس. وشمالا هذه أقيمت كنيسة في زمن الامبراطور يوستينيانوس في القرن السادس الميلادي وكانت مرصوفة بالفسيفساء

# الحرب الفرنسية البروسية

(١٨٧٠-١٨٧١)

... وفشل الامبراطورية الالمانية والجمهورية الفرنسية الثالثة

اعداد هلا طبار



■ بسشارك يواسى نابوليون الثالث بعد هزيمة

■ هلا طبار: استاذة اللغة العربية في كلية بيروت الجامعية (١٩٥٦-١٩٦٠) وامينة المكتبة فيها لعدة سنوات، اجازة في التربية وعلم النفس وعضوة نشيطة في اتحاد الجامعات اللبنانية، اشتركت في اعداد الموسوعة العسكرية الصادرة عام ١٩٧٧ عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.



اهمية الحرب الفرنسية - البروسية (١٨٧٠ - ١٨٧١) أنها أدت الى تغييرات أساسية في القارة الأوروبية بينها ظهور الامبراطورية الألمانية (الرايخ الثاني) وعلان الجمهورية الفرنسية الثالثة فضلاً عن بدء عهد جديد من الحرب والآلة الحربية نفسها انبثق عنه اول جيش الماني بكل معنى الكلمة في التاريخ .

وهي، من هنا، تستحق الدراسة والبحث... خاصة حول اسبابها وتطورها والنتائج التي أدت اليها .

وكما يحدث كثيراً وغالباً في التاريخ ، فان ذرائع اعلان الحرب تكون واهية . ولم تشذ حرب ١٨٧٠ عن هذه القاعدة ايضاً .

#### اهدافها واسبابها:

■ لقد اعلنت الامبراطورية الفرنسية الثانية في ١٩ تموز (يوليو) عام ١٨٧٠ والتي كان يحكمها الامبراطور نابوليون الثالث، الحرب على الامبراطورية البروسية التي كان يحكمها الامبراطور غليوم لاسباب عديدة اهمها:

اولاً: لان الامير "ليوبولد هوهن زولارن" ترشح لعرش اسبانيا وهو من الاسرة التي حملت التاج الامبراطوري في ألمانيا بين العام ١٧٠١ و ١٩١٨ بعد ثورة اسبانيا عام ١٨٢٨ .

وفي فترة عام ١٨٧٠ كانت السياسة الفرنسية ترى ضرورة ابقاء ألمانيا مجزأة حتى تتمكن من فرض سيطرتها على أوروبا . ولم تكن فرنسا وحدها تقف موقف العداء من الوحدة الألمانية بزعماء بروسيا، بل كانت النمسا ايضاً ترى ضرورة ذلك، غير ان بروسيا استطاعت ان تحل نزاعها مع النمسا بانتصارها في ٣ تموز (يوليو) ١٨٦٦ في معركة "سادوفا" .

وعلى الضفة الاخرى من الراين اعتبر "اوتوفون بسمارك" (رئيس وزراء بروسيا ووزير خارجيتها) ان الحرب ضرورة تاريخية لتشديد الامبراطورية الألمانية . فكانت حرب محدودة، حرب اسر مالكة تريد اقامة الاستبداد على احدى ضفتي نهر الراين . وكان "البرقية امز الشهيرة" التي اعددها بسمارك للنشر ان دفعت نابوليون الثالث، امبراطور فرنسا الى اعلان الحرب على بروسيا التي انضمت اليها فوراً الولايات الجنوبية الألمانية "بافاريا" و"ورتمبورغ" و"بادن" لمساعدة بسمارك حربياً .

ثانياً: المنافسة في أوروبا اثر وصول الثورة الصناعية الى ذروتها في كل من انكلترا، وفرنسا، خاصة في مجال المخترعات المتعلقة باستخدام الطاقة والبخار واتسعت فتعاظم السباق للحصول على المواد الخام وبدأت المنافسة في مجال التجارة والاستيراد والتصدير .

ولما كانت مناجم الحديد والفحم متوفرة في انحاء ألمانيا فان الجو كان صالحاً لقيام الصناعة فاقامت المصانع، وتحولت برلين الى مركز صناعي صاحب لبناء الآلات . وهكذا اندفعت في طريق التطور الرأسمالي . كما كان للانقلاب الصناعي

الذي طرأ على كل من ايطاليا والنمسا عام ١٨٧٠، وتطور الرأسمالية في الولايات المتحدة الاميركية بعد الحرب الاهلية (١٨٦١ - ١٨٦٥) ان بدأت المنافسة في أوروبا بسبب هذه التطورات مع ما رافقها من تطورات اجتماعية وظهور نزعات قومية اوجدت الدوافع الايديولوجية لهذا الصراع .

#### "برقية امز الشهيرة"

في ٩ تموز (يوليو) عام ١٨٧٠ طلب السفير الفرنسي "فنست بنديتي"، وكان قد لحق بالملك وليام الاول، ملك بروسيا في "امز" حيث كان الملك يعالج، اصدار الامر لليوبولد بالانسحاب، فرفض الملك ولكنه ارسل رسولا سرياً ينصح ليوبولد بأن يفعل ذلك . وفي ١٢ تموز (يوليو) سحب والد ليوبولد الترشيح بالنيابة عن ابنه . وفي ١٣ تموز (يوليو) تقابل بسمارك والبرخت تيودور اميل "رون" وزير الحربية وهلموت كارل برنهارد "مولتكه" في برلين . وعندما تسلم بسمارك البرقية من الملك حول ما حدث في "امز" اعددها للنشر بطريقة اوحى بأن المفاوضات في "امز" ادت الى قطع العلاقات . واتضح ان البلاط الفرنسي كان مصمماً على اذلال بروسيا حتى ولو كان الثمن الحرب .

#### المعارك العسكرية ونتائجها

في ١٦ تموز (يوليو) عام ١٨٧٠ بدأت تعبئة القوات البروسية في مرحلة التوتر التي سبقت اعلان الحرب حيث تمكنت القيادة البروسية في خلال ١٨ يوماً من جمع وحشد قوات الهجوم الضخمة المؤلفة من ثلاثة جيوش قوامها (٣٨٠،٠٠٠ جندي) وتوجيهها الى الحدود الفرنسية - البروسية . وقد تم ذلك بفضل كفاءة السكك الحديدية . وكانت خطة هجوم الجيش البروسي الاساسية تهدف الى تدمير التجمع الفرنسي الرئيسي بالقوى المتفوقة ودحر ما تبقى منه الى الشمال نحو الحدود البلجيكية ثم التقدم نحو



■ أسد نابي الثالث

(٢٠٠٤٠٠٠) لحصار مدينة "ميتر"، كما عمدت الى تشكيل جيش آخر دعت به بالجيش الثالث وقوامه ٢٢٤ ألف مقاتل (٢٢٤٤٠٠٠) كلف بالهجوم على القوات الفرنسية المتمركزة في منطقة "شالون" والبالغ عددها مئة وأربعين ألفاً (١٤٠٤٠٠٠). وارسلت فرنسا جيشها المتمركز في "شالون" الى "ميتر" لمساندة جيش الماريشال "بازين". وفي ٢١ آب (أغسطس) اتخذت القوات الفرنسية الآتية من "شالون" مراكزها حول مدينة "سيدان". وفي الاول من ايلول (سبتمبر) هاجم الجيش البروسي الثالث مدينة "سيدان" من الشمال والغرب معاً وطوقها بعد معركة حاسمة دامت يوماً واحداً استسلمت في نهايتها القوات الفرنسية في "شالون" في ٢ ايلول (سبتمبر) وقدرت خسائرها العامة بنصف مليون جندي. كما بلغ عدد الاسرى مئة وأربعة آلاف اسير (١٠٤٤٠٠٠) وفي مقدمتهم الامبراطور نابوليون الثالث وماكماهون. وفي ٣٠ ايلول (سبتمبر) أعلن نابوليون وهو أسير قائلاً: "لقد هزم الجيش وأنا نفسي اخذت اسيراً". وكان ذلك نهاية الامبراطورية الثانية في فرنسا.

### اسباب هزيمة "سيدان"

تعود هزيمة سيدان الساحقة الى فشل سياسة الامبراطورية الفرنسية الثانية لاسباب عديدة منها:

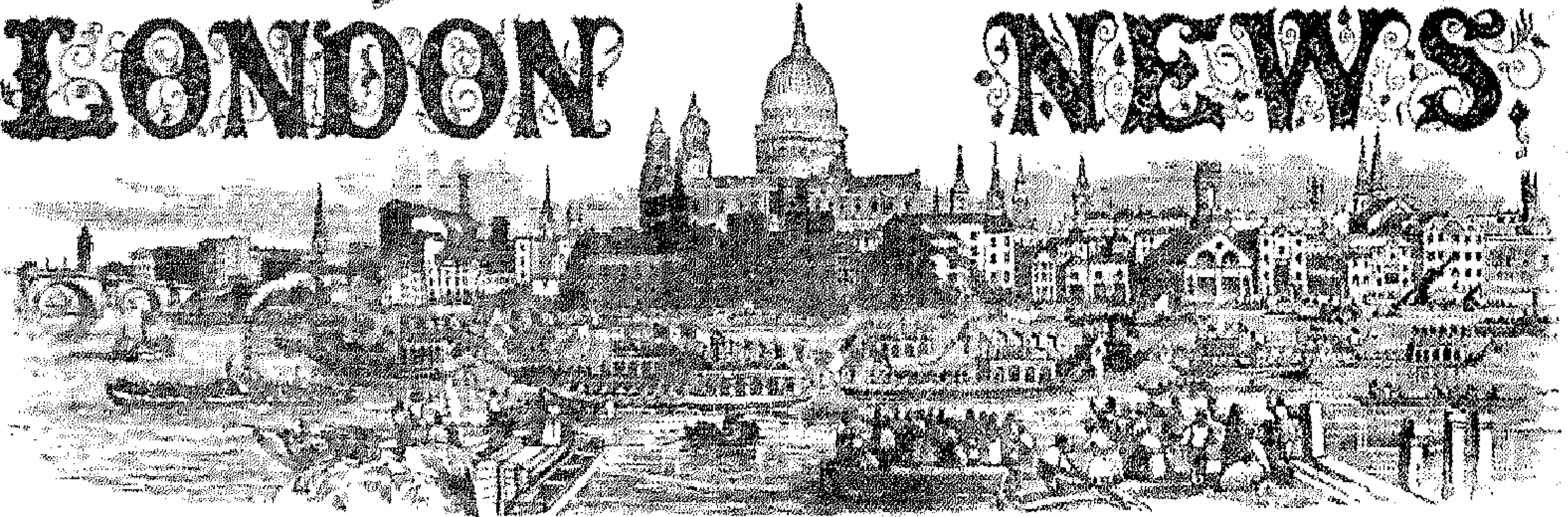
باريس. وهكذا اجتاحت فرنسا ثلاثة جيوش المانية على النحو التالي: دخل الجيشان الاول والثاني مقاطعة "اللورين" والجيش الثالث مقاطعة "الالزاس" ومن ثم تابعت الجيوش الثلاثة تقدمها نحو باريس.

بدأت المعارك الاولى بين القوات البروسية والقوات الفرنسية في ٦ آب (أغسطس) عام ١٨٧٠ بالقرب من مدينة "ميتر" الواقعة على ضفاف نهر "موزيل" حيث دارت معارك ثلاث: الاولى على الشاطئ الشرقي لنهر "موزيل" في ١٤ آب (أغسطس) والثانية على الشاطئ الغربي لنهر "موزيل" في ١٦ آب (أغسطس) والثالثة في منطقة "سان بريفا" في ١٨ آب (أغسطس). وكانت المعركة الاخيرة من المعارك الحاسمة اذ هاجمت القوات البروسية المواقع الفرنسية فور وصولها ودون اي توقف. وكانت المدفعية البروسية قد اجتلت مراكز مكنتها من سبق العدو في فتح النار، فسقطت "سان بريفا". وقدرت خسائر القوات البروسية بعشرين ألف مقاتل (٢٠٤٠٠٠) في حين كانت خسائر القوات الفرنسية تقدر بثلاثة عشر ألفاً (١٣٤٠٠٠).

وبعد سقوط "سان - بريفا"، قرر القائد الفرنسي الماريشال "أشيل بازين" الانسحاب الى مدينة "ميتر" المحصنة. وعندما شعرت القيادة البروسية العليا بعجزها عن تنفيذ مخططاتها الاساسية الرامية الى تدمير الجيش الفرنسي او دحره نحو الشمال عمدت الى تشكيل جيش خاص من الجيشين الاول والثاني قوامه مائتا ألف مقاتل



# THE ILLUSTRATED LONDON NEWS



REGISTERED AT THE GENERAL POST-OFFICE FOR TRANSMISSION ABROAD

No. 1635.—VOL. LVIII.

SATURDAY, FEBRUARY 4, 1871.

PRICE FIVEPENCE



■ ملك بروسيا، ويليام الاول، في "صالة المرايا" في قصر "فرساي" بعد نتويجه قيصر لالمانيا في ١٨ كانون الثاني (١٨٧١).



## الجمهورية الفرنسية الثالثة

نتج عن هذه الهزيمة - هزيمة "سيدان" واستسلام نابوليون الثالث - ان اندلعت الثورة في باريس في ٤ ايلول (سبتمبر) عام ١٨٧٠ وهاجم الثوار قصر "البوربون" واجبروا اعضاء الجمعية التشريعية على اعلان سقوط الامبراطورية . وطبقاً للتقاليد الثورية اعلنت الجمهورية الفرنسية الثالثة في مبنى البلدية، وشكلت حكومة بوزجوازية مؤقتة<sup>٤</sup> للدفاع الوطني مؤلفة من "اورليانيين" ومن جمهوريين بوزجوازيين، ساندتها فرنسا بما يشبه الاجماع برئاسة الجنرال "لويس جول تروشو" وكان العضو البارز فيها "ليون جمبنا" . وكان الاجراء الاول الذي اتخذه الحكومة الفرنسية المؤقتة ارسال "ادولف تيير" رئيس اللجنة التنفيذية في جولة يطوف بها على بلاطات اوربا طالباً وساطتها مع العدو . غير ان المساعي باءت بالفشل، فتقدمت الحكومة المؤقتة بشروط الصلح لبسما رك فرفضها وفرض شروطاً قاسية رفضتها الحكومة الفرنسية وأثرت مواصلة القتال مما حمل القيادة البروسية على ضرب حصار على باريس .

### سقوط باريس

وفي ١٩ ايلول (سبتمبر) عام ١٨٧٠ اكتسح جيشان بروسيان باريس وحاصراها (حتى سقطت في ٢٨ كانون الثاني عام ١٨٧١) وقد حشدت الحكومة كل قواها في محاولة يائسة للدفاع عن البلاد، فأوفدت مندوبين الى "تور" لتنظيم المقاومة في الاقاليم، وقد انضم اليها "جمبنا"



■ ادمي بروسي حارب فرنسا

اولاً: ان فرنسا لم تكن جاهزة للحرب عندما اعلنتها على بروسيا وذلك خلافاً لما اعلنه وزير حربيها حين قال: "كل شيء جاهز حتى آخر لفافة" . في حين سبقتها بروسيا وقامت بالتعبئة السريعة في مرحلة التوتر التي سبقت اعلان الحرب . وهذا ما كبد الجيش الفرنسي اولى هزائمه واكثرها عمقاً .

ثانياً: السياسة التعسفية التي كان يتبعها نابوليون الثالث ومحاولته صرف نظر الشعب عن المشاكل الداخلية وذلك بانغماسه في الحروب الخارجية التي فتحت عهداً جديداً من الحروب في الفترة التي امتدت ما بين عامي ١٨٥٠ - ١٨٧٠ .

لقد شاركت الامبراطورية الفرنسية الثانية في حرب القرم (١٨٥٤ - ١٨٥٥) واصلت الحرب على النمسا في العام ١٨٥٩ وارسلت جيشاً الى سوريا في العام ١٨٦٠، وشاركت في غزو الهند الصينية (كمبوديا وفيتنام) عام ١٨٦٠، وغزو المكسيك عام ١٨٦٢ . اما آخر حروبها فكانت تلك التي شنتها على بروسيا في العام ١٨٧٠ ولاقت فيها نهايتها .

ثالثاً: تخلف الجيش الفرنسي عن الجيش البروسي لاسباب عدة منها: تدخل السلطة السياسية في قيادة العمليات، الغياب الكامل للخطة، الفوضى والانظام اللذان سبقا التجديد، وتغيير رئيس الاركان ثلاث مرات في خلال شهر .

رابعاً: المغامرة التي اقدمت عليها فرنسا بتكليفها القيادة العسكرية الفرنسية القيام بمهام استراتيجية كبرى لم يكن بإمكانها تنفيذها وهي ارسال جيش "شالون" الصغير لمساندة جيش الراين بقيادة المارشال بازين المحاصر في "ميتر" . وكانت تلك من افدح واكبر اخطائها .

خامساً: خوف فرنسا من اندلاع الثورة .



■ خبير ادمي هينريخ فون بومست



ولقد كانت ثورة "الكومونة" التي لم يكتب لها البقاء، أول ثورة اشتراكية من نوعها في أوروبا حملت في طياتها مظاهر الثورة الديمقراطية والثورة الاقتصادية، غير أن سوء العناصر التي تسلمت إلى قيادتها العسكرية ولجوءها إلى الدفاع السلبي بدل الهجوم كانا من أكبر أخطائها لذلك فقد خسرت المعركة.

في ١٠ أيار (مايو) عام ١٨٧١ تم التوقيع على معاهدة السلام غير المشروطة في مدينة "فرانكفورت" بين فرنسا وبروسيا، وتضمنت كافة الشروط التي تمت الموافقة عليها في أول آذار (مارس) عام ١٨٧١. وفي ١٨ أيار (مايو) صادقت جمعية فرساي عليها.

وفي ٢١ آب (أغسطس) عام ١٨٧١ أصبح "تيير" رئيساً للجمهورية الفرنسية الثالثة وكان من الاورليانيين المخلصين. فعمد إلى جمع صفوف الجمهوريين المحافظين.

وفي ١٦ أيلول (سبتمبر) عام ١٨٧٢ غادر آخر جندي بروسي الحدود الفرنسية.

### اسباب الانتصار البروسي

الاسباب وراء انتصار الجيوش البروسية كثيرة وهذه بعضها:

اولاً: تفوق الجيش العسكري البروسي (قوة وقيادة وتكتيكاً) وتنظيمه هيئة اركان حرب عامة فعلية نظمت لأول مرة في التاريخ وضمت ثلاثة اقسام: قسم الاستراتيجية والتكتيك، قسم



Louis XVIII, Emperor of the French, who lost his crown at the battle of Sedan.



الجنرال الفرنسي بيزياكي دافيس

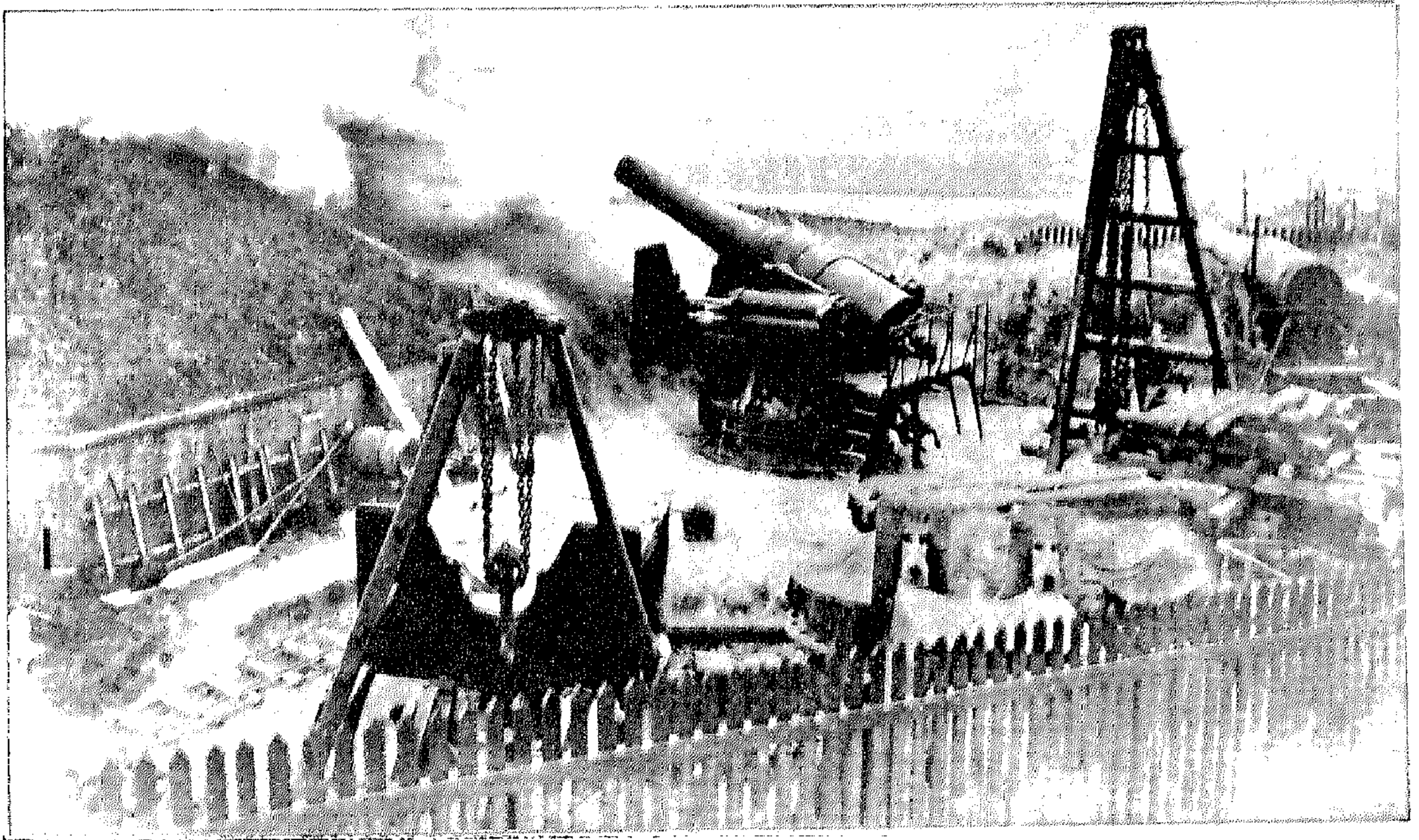
الذي فر في "بالون" من باريس المحاصرة وتولى حكم فرنسا.

وفي ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) سلم الماريشال "بازين" مدينة "ميتر" للقوات البروسية، واستسلم معه ١٧٣ ألف جندي (١٧٣،٠٠٠) بعد حصار دام ٧٢ يوماً. وكانت هذه الهزائم بالاضافة إلى اقامة الجيوش البروسية في "فرساي" وما يحيط بها، ووقوفها موقف المتفرج واستسلام باريس بعد أن انهكتها المجاعة، صدمة عنيفة للجمهورية الفرنسية، الامر الذي دفعها إلى طلب عقد صلح في ٢٨ كانون الثاني (يناير) عام ١٨٧١ مع بروسياء شريطة "عدم التفريط بشبر واحد من الارض ولا بحجر واحد من الحصون" (تصريحات "تروشو" و"فافر" وزير الخارجية).

وفي ٢٦ شباط (فبراير) عام ١٨٧١ تم التوقيع على وثيقة الاستسلام بين "تيير" و"فافر" و"بسمارك" تنازلت بمقتضاها فرنسا عن "الالزاس" و"اللورين" اللتين كانتا جزءاً من فرنسا لمدة ٢٠٠ عام. وقبلت بشروط "بسمارك" القاسية بدفع تعويض قدره خمسة مليارات فرنك (٥،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) على أن يبقى جيش الاحتلال حتى يتم دفع التعويض، وقد قبلت هذه الشروط بالرفض التام من ممثلي "الالزاس واللورين" ومن "جمبنا" و"كليمنصو" ولكنها قبلت بأغلبية ٥٤٦ صوتاً ضد ١٠٧ في أول آذار (مارس) عام ١٨٧١. وكان من نتائج هذه المعاهدة أن قامت البروليتاريا المسلحة (التي كانت تخشاها الحكومة الفرنسية البورجوازية) بثورتها في ١٨ آذار (مارس) وشكلت كومونة باريس.



■ دهمرد شمس بن خنوب خرمسید و احمدید فی درس دایور فی ۱۶ پ ۱۸۷۰





العمليات، قسم الاستخبارات، كما ضمت التشكيلات العسكرية الأخرى بدورها هيئات للاركان مشابهة بتنظيمها لهيئة الاركان العامة لكن على نطاق محدود.

ثانياً: التفوق السياسي وذلك بفضل مخطط "بسمارك" الحديدي وحنكته السياسية وتحديده بكل دقة لهدف الحرب الذي ضمن في نهايته لبروسيا وضعاً مسيطراً في أوروبا كلها.

ولقد لعب "بسمارك" سياسة المانيا وأوروبا مدة طويلة من الزمن اتسمت بالتخطيط المركز والحنكة، ومما قاله بعد تعيينه رئيساً لوزراء بروسيا بأسبوع: "ان المشاكل الكبرى اليوم لا يمكن حلها بالخطابات وقرارات الاغلبية وانما بالحديد والدم".

وكانت سياسة "الحديد والدم" هي السياسة التي كرس "بسمارك" لها كل طاقاته وجهده وحنكته فجعل من ألمانيا دولة أخرى تعتمد على الدم والحديد والمهارة الحربية. وكان هدفه ان يجعل المانيا تحتل مكان الصدارة في القارة الأوروبية وقد سعى الى تحقيق هدفه بثبات وعزم فكان له ما سعى اليه. ولقي نجاحاً باهراً. كما كان للدور الذي لعبه في الايقاع بين الدول الواحدة تلو الأخرى ان اثبت أسلوباً رائعاً في السياسة والديبلوماسية الدولية. وكان "بسمارك" قد وضع هدفين اساسيين أمامه:

الاول: وضع حد نهائي للتنافس القائم بين بروسيا والنمسا على زعامة المانيا واعطاء الزعامة لبروسيا ومن ثم القضاء على منافسة فرنسا في أوروبا. وهذا ما حمله للانصراف الى تقوية بلاده عسكرياً في الوقت الذي قام نابوليون الثالث بمهاجمة النمسا وانزال الهزيمة بها. وقد كانت هذه الهزيمة لصالح بسمارك اذ اتجه هذا الأخير لمصادقة القيصر روسيا ضد بولندا فضمن من جراء ذلك تفاضي القيصر وسكوته عن اعماله في أوروبا. ثم اتجه الى الدانمارك فاقضعها بتحالفه مع النمسا ومن ثم اتجه الى النمسا فحالف فرنسا وايطاليا

ضدها وهزمها في العام ١٨٦٦ وهكذا تمكن من ازالة عقبة النمسا، كما تمكن بالتالي من اقامة اتحاد ألماني شمالي بزعامة بروسيا. وهكذا تم لـ "بسمارك" تحقيق هدفه الاول الاساسي.

اما هدفه الثاني فكان تحقيق الوحدة الألمانية واعلاء شأن المانيا في أوروبا وذلك باخضاع فرنسا التي كانت تعد الدولة الأوروبية الاولى والمنافسة الوحيدة لالمانيا.

تعتبر الحرب الفرنسية - البروسية (١٨٧٠ - ١٨٧١) من الحروب التي اثرت في مجرى التاريخ الى حد كبير. وكان من اهم نتائجها السياسية:

اولاً: قيام الامبراطورية والالمانية: وذلك بتتويج وليم الاول، ملك بروسيا امبراطوراً لالمانيا الموحدة، وهو ما اعلن في "فرساي" في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٧١ في بهو المرايا في قاعة لويس الرابع عشر الفخمة. وبذلك اصبحت اسرة "هوهن زولارن" الملكية البروسية اسرة امبراطورية لالمانيا الموحدة.

ثانياً: ظهور الرايخ الثاني الذي ضم ٢٥ ولاية، وظهرت ملكيات (بروسيا، بافاريا، ساكسونيا، وتمبرغ) و٥ دوقيات عظمى، و١٣ دوقية وبلدية، وثلاث مدن حرة (هامبورغ، بريمن، لوبيك) واعتبرت الالزاس واللورين اللتان ضمنا نتيجة للحرب ارضاً ضمن الرايخ وعين لهما محافظ امبراطوري. وبذلك اصبحت ملكاً مشتركاً لجميع الولايات الألمانية.

ثالثاً: تأسيس اول جيش حمل اسم "الجيش الألماني" في العام ١٨٧١.

يبقى، ايضاً، ان من اهم ميزات هذه الحرب انها حملت في مضمونها نواة حرب الانصار (وكانت النجاحات الاولى لحرب الانصار هذه استخدام القطارات لنقل الجيوش البروسية). كما انها استطاعت استنفار امكانيات الامة كلها وتمكنت من الربط بين الطاقات البشرية والطاقات الاقتصادية والقوى الانتاجية. ■

## ماذا ينفع التاريخ؟

١ - للمؤرخ مهمة خاصة، وهي أن يشرح لنا ما يبدو معجزة.

"ميشليه"

٢ - التاريخ يثبت لنا كل ما نريد، يعطينا الأمثلة على كل شيء، ويبرهن عليه.

"ب. فاليري"

٣ - ان الهدف والفائدة من التاريخ يجب ألا يفتش عنهما أبداً خارج التاريخ.

"ج. مونو"

٤ - ان التاريخ ليس ابداً منصفاً، ولكنه دائماً مبرر.

"ب. كروس"

# حروب القدس في التاريخ العربي

العقيد ياسين سويد

العقيد الدكتور ياسين سويد

تحدثنا في العدد السابق عن حربين من حروب القدس في التاريخ العربي  
هما:

(١) تحرير القدس من البيزنطيين في القرن الميلادي السابع (الهجري  
الاول).

(٢) تحريرها من الصليبيين في القرن الميلادي الثاني عشر (الهجري  
السادس).

اما الحرب الثالثة التي شهدتها هذه المدينة المقدسة في التاريخ العربي  
فهي اهمها واقساها لانها كانت السبب في خروج القدس وبالتالي فلسطين  
كلها، من ايدي العرب، وهذه الحرب هي: (٣) الاحتلال الصهيوني للقدس  
(١٩٤٨ = ١٣٦٨هـ و ١٩٦٧ = ١٣٨٧هـ).



■ العقيد ياسين سويد: ضابط في الجيش اللبناني يرأس حالياً إحدى هيئات المحكمة العسكرية اللبنانية  
- مجاز في الحقوق من الجامعة اللبنانية، دكتور في التاريخ من جامعة ليون، مؤلف كتاب "معارك خالد بن الوليد"  
اسهم في وضع "الموسوعة العسكرية العربية"، ولديه حالياً قيد الاعداد للطبع: - التاريخ العسكري للمقاطعات  
اللبنانية في عهد الامارتين (المعنية والشهابية): حزان - من تاريخنا: معارك وقادة.



## الاحتلال على مرحلتين

وقد تم الاحتلال الصهيوني للقدس على مرحلتين:

المرحلة الاولى: احتلال القدس الجديدة (عام ١٩٤٨ م - ١٣٢٨ هـ)

المرحلة الثانية: احتلال القدس بكاملها (القدس القديمة عام ١٩٦٧ م - ١٣٨٧ هـ).

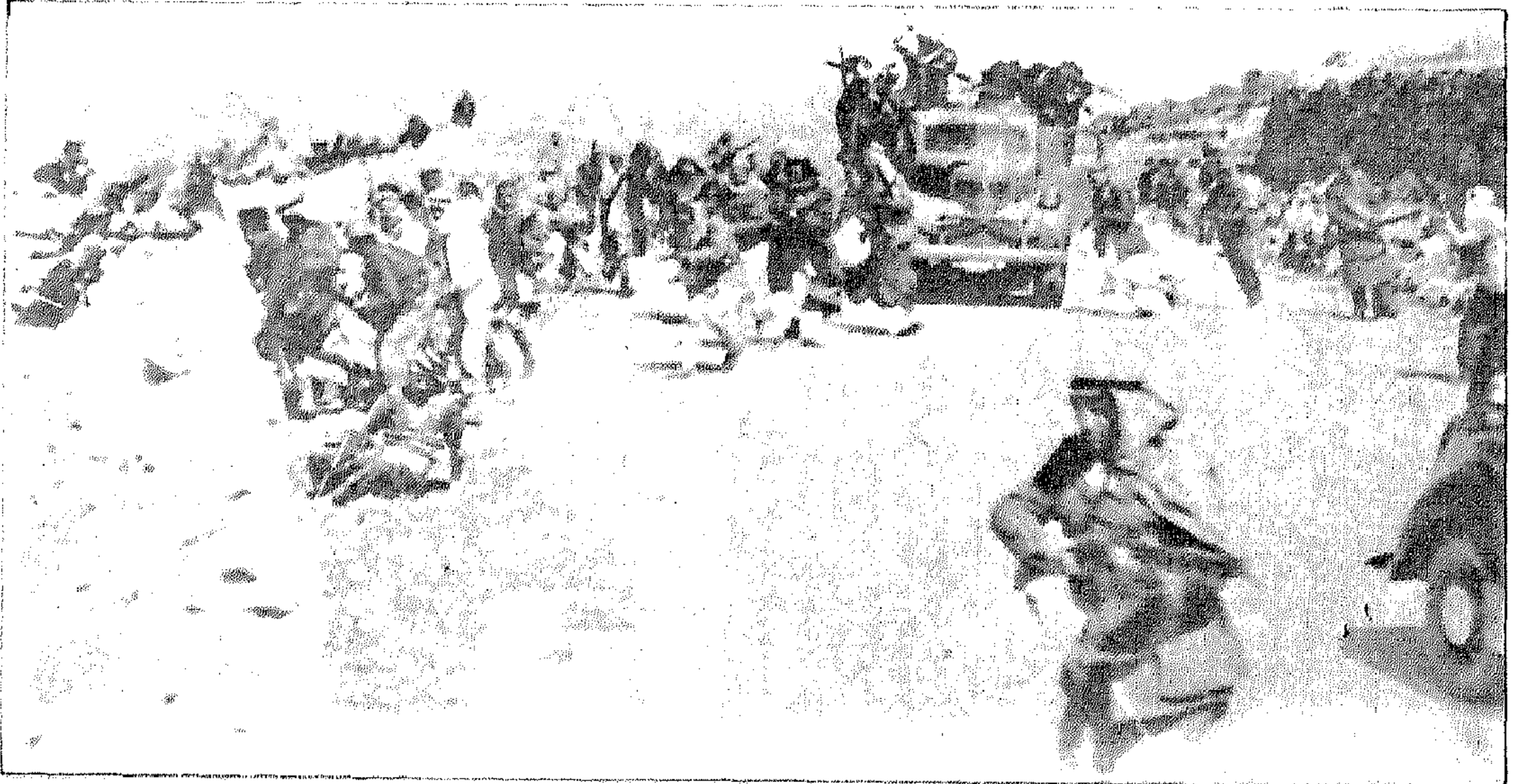
١ - المرحلة الاولى (١٩٤٨): رضخت المنظمة الدولية المنشأة حديثاً (الامم المتحدة) للضغوط الصهيونية والاميركية المتعاونة مع الدولة البريطانية المنتدبة على فلسطين يومذاك فأقرت في التاسع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ مشروعاً انزعت بموجبه جزءاً من فلسطين العربية لتقيم عليه دولة يهودية بينما ابقيت الجزء الآخر للفلسطينيين يتدبرون فيه امر دولة لهم، ووضعت القدس تحت اشراف دولي، فوافق اليهود على قرار التقسيم هذا ولكنهم رفضوا تدويل القدس، اما العرب، فرفضوا القرار الدولي كله جملة وتفصيلاً، وهكذا بدأ الفريقان العربي واليهودي يستعدان لحرب شرسة وطويلة الاعد لا تزال تستعر تارة وتخفوا اخرى.

والقدس، بما يجاورها من مواقع، ذات موقع استراتيجي وحربي ممتاز، ذلك انها محاطة بالتلال، فاذا امكن الاحتفاظ بهذه التلال فان القدس لا تسقط، واذا سقطت فان الضفة الغربية معرضة كلها للسقوط بسهولة، فهي في الواقع "رقبة الضفة الغربية، وبقية المنطقة غربي النهر، هي الجسر، فاذا استطاع الاسرائيليون ان يطوقوا

تقسم القدس جغرافياً الى منطقتين مميزتين هما: القدس القديمة: يحيط بها سور قديم كبير رافق المدينة منذ انشائها وكان يهدم في الحروب المتتالية ثم يعاد بناؤه، وقد اعيد بناؤه للمرة الاخيرة في عهد السلطان سليمان القانوني في اواخر العقد الرابع من القرن السادس عشر، وتقع ضمن هذا السور الاماكن المقدسة للديانات الاسلامية والمسيحية واليهودية، معظم سكانها من العرب الفلسطينيين وقد بلغ عددهم، بعد نشوب الحرب العربية - الصهيونية عام ١٩٤٨ ونزوح عدد كبير من السكان العرب من القدس الجديدة الى القدس القديمة، نحو ستين الفا، وكان في القدس القديمة حي لليهود تبلغ مساحته ربع مساحة القدس القديمة الا ان عدد سكانه لا يزيد عن الف وثمانماية فقط منهم نحو ثلاثماية من مقاتلي البالماخ والهاغانا الذين دخلوا ذلك الحي سواء قبل جلاء البريطانيين عن فلسطين او بعده.

وللقدس القديمة احد عشر باباً اهمها: باب العمود (او باب دمشق)، وباب الخليل، وباب النبي داود، والباب الجديد، وباب الاسباط، وبوابة مندلبوم الشهيرة.

القدس الجديدة: تقع خارج سور القدس القديمة، وقد بنيت في عهود حديثة، وكان يقطنها عدد لا يستهان به من العرب الفلسطينيين الا ان معظم هؤلاء نزحوا عنها الى القدس القديمة منذ بدء القتال بينهم وبين الصهاينة عام ١٩٤٨، وكان عدد سكان القدس القديمة من اليهود في ذلك الحين نحو مائة الف نسمة منهم عشرة الاف مقاتل.



الاحتجاج داخل القدس القديمة من باب



صورة من مبنى من مباني حيفا القديمة. حيفا القديمة. حيفا القديمة.

واغتنم اليهود هذه الفرصة، فتسللوا الى القدس القديمة واحتشدوا في الحي اليهودي بعد ان كانت قواتهم قد استولت نهائياً على القدس الجديدة وهرب سكانها العرب الى داخل القدس القديمة، وما ان مضت ساعات على مغادرة المفوض السامي البريطاني للقدس في صباح الرابع عشر من ايار مع آخر جندي بريطاني حتى نشب القتال بين الطرفين، وبدأت صرخات الاستغاثة تتوالى من العرب المقيمين في القدس القديمة، وكان الهاتف يرن دوماً في عمان ينقل هذه الصرخات (اليهود يتقدمون في كل مكان... جميع العرب معرضون للذبح، تعالوا اكراماً لله وانقذونا، تعالوا، تعالوا، اسرعوا ) .

وكان ضباط الهاغانا يطوقون شوارع القدس بمكبرات الصوت يخاطبون اهلها بالعربية قائلين "طريق اريحا لا تزال مفتوحة، طيروا من القدس قبل ان تقتلوا" (جندي بين العرب للجنرال غلوب رئيس اركان الجيش الاردني سابقاً) .

وفي السابع عشر من ايار، كانت كتيبة من كتائب الجيش الاردني تقدر بستمائة مقاتل "الكتيبة السادسة بقيادة الكولونيل عبدالمه التل" تتقدم نحو القدس القديمة لانقاذ اهلها وحماية المقدسات الاسلامية والمسيحية فيها، وفي هذا

باصابعهم هذه الرقبة فان بقية الجسر تنهار بعد وقت قليل" (الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧) .

كانت المناوشات بين العرب واليهود في فلسطين قد بدأت منذ زمن بعيد، اي منذ ان بدأت اطماع الصهيونية تظهر في فلسطين، ثم اخذت هذه المناوشات تتطور وتتسع حتى تصبح قتالا فعلياً كلما اقترب موعد جلاء الانتداب البريطاني عن هذا القطر العربي وكان قد حدد هذا الموعد ليل ١٤ - ١٥ ايار ١٩٤٨، ولكن البريطانيين، متذرعين بقرار التقسيم، اصرروا على ان لا يبقى اي جندي اردني في فلسطين العربية منها او اليهودية، فانسحب الجيش الاردني بكامله الى الضفة الشرقية من نهر الاردن قبل الرابع عشر من ايار.

وهكذا ما ان حل منتصف ليل الخامس عشر من ايار، موعد جلاء الجيش البريطاني، حتى كانت القدس خالية من المقاتلين العرب سوى قلة من قوات (الجهاد المقدس) الذين كانوا يفتقرون الى كل شيء: الى السلاح والذخيرة والى الخبرة القتالية، ومع ذلك صمدوا خلال قتال عنيف في الشوارع استمر من ٢٦ كانون الثاني الى ٢٨ ايار سنة ١٩٤٨ .



الوقت كانت قوات "الجهاد المقدس" تقاتل ببسالة في المدينة القديمة، وما ان أصبح يوم الثامن عشر من ايار حتى كانت هذه الكتيبة تحتل مشارف القدس القديمة وتحاصرها مانعة يهود القدس الجديدة من اقتحام ابوابها وكان هؤلاء قد احتلوا الاحياء المحيطة بأسوار القدس القديمة كالشيخ جراح ومدرسة الشرطة وسواهما، بينما كانت قوات الجهاد المقدس تحاصر الحي اليهودي في القدس القديمة وقد عززت هذه القوات بعناصر من الجيش الاردني.

وبدا ضغط الحصار يشتد على يهود الحي القديم، وقطع اي اتصال بينهم وبين اليهود الذين هم خارج الاسوار (سوى الاتصال اللاسلكي). ثم ادخل قائد القوة الاردنية المحاصرة دباباته الى الحي اليهودي مع فرقة من الهندسة تابعة لقوات الجهاد اخذت تنسف كل اوكار المقاومة، وفي الوقت الذي كانت الكتيبة السادسة الاردنية تهاجم الحي اليهودي في المدينة القديمة، كانت قوات اردنية اخرى تهاجم الاحياء القائمة خارج اسوارها والتي سبق للعدو ان احتلها، وهي، على الميمنة، الشيخ جراح وباب الساهرة ووادي الجوز وباب العمود وعلى الميسرة: النبي داود والثوري وبيت

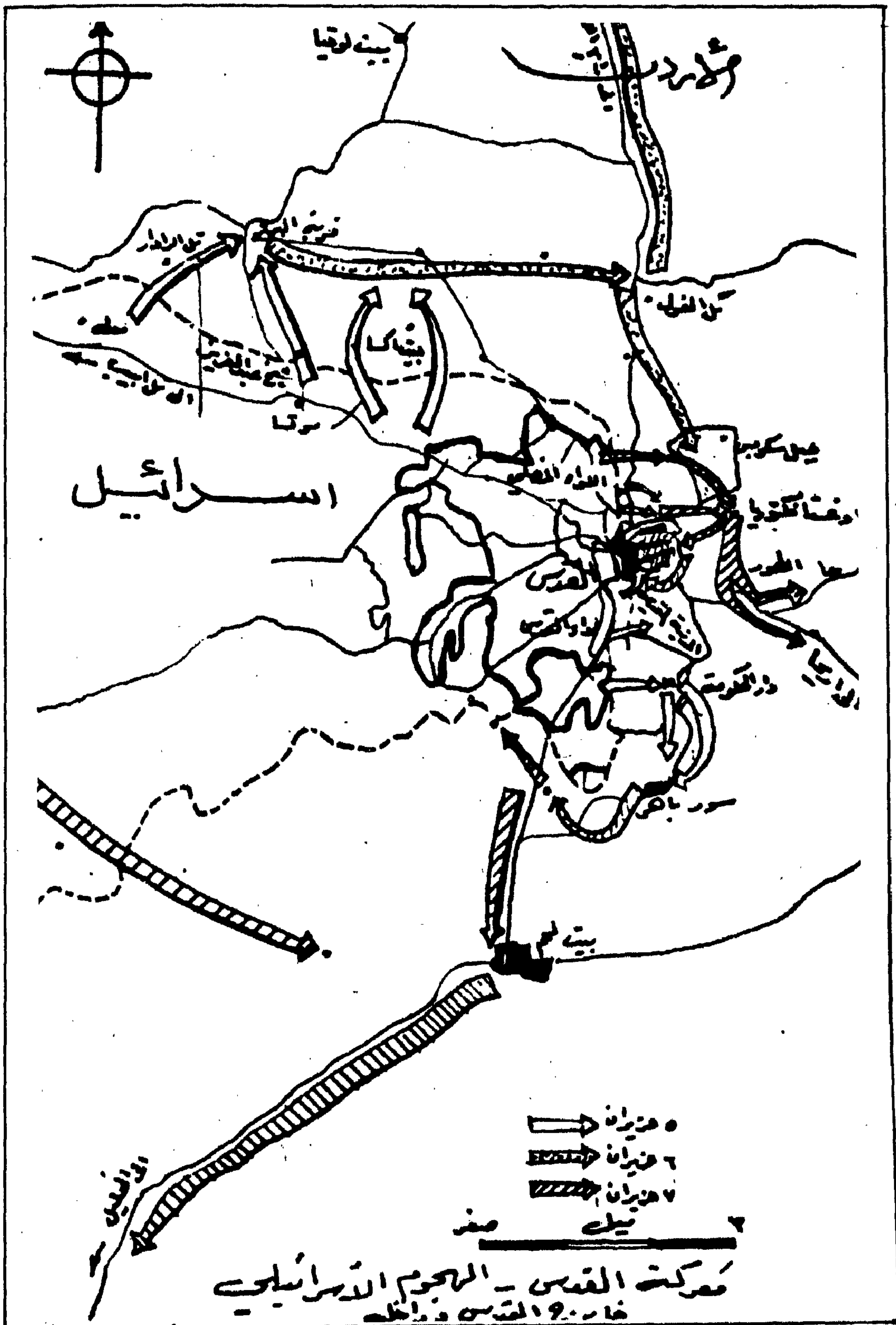
لحم وبيت صفا وبعد عشرة ايام من الحصار المضني، اي في صباح الثامن والعشرين من الشهر نفسه اقبل حاخامان من الحي اليهودي نحو القيادة العربية وهما يحملان علماً ابيض وعرضا استسلام الحي للكتيبة الاردنية، وتمت الموافقة على ذلك بالشروط التي وضعها قائد هذه الكتيبة وهي ان يؤخذ المقاتلون اسرى حرب، وان يرحل النساء والشيوخ والاطفال والجرحى خارج اسوار المدينة المقدسة، وان يتم تسليم السلاح والعتاد الحربي والذخيرة، ووقعت وثيقة التسليم من قبل الكولونيل عبدالله التل قائد الكتيبة عن الجانب العربي، وموشه روزنك قائد الهاغانا عن الجانب اليهودي وذلك في ٢٨ ايار ١٩٤٨.

وقد حشد اليهود في ساحة من ساحات الحي حيث افرز المقاتلون منهم واخذوا اسرى الى عمان، اما باقي الاهالي فقد نقلوا الى الاحياء اليهودية في القدس الجديدة.

وقد بلغت خسائر العدو في هذه المعركة ثلاثماية قتيل وثمانين جريحاً واربعين اسيراً، اما خسائر العرب فكانت اربعة وعشرين شهيداً (اربعة عشر جندياً نظامياً وعشرة من قوات الجهاد المقدس) وخمسة وعشرين جريحاً.



□ فريق من اسرى اليهود في القدس القديمة





اما اهم نتائج هذه المعركة فهي تطهير القدس القديمة من اليهود بحيث لم يبق فيها يهودي واحد، وذلك لأول مرة منذ اكثر من الف عام . (الكولونيل عبدالله القل - كارثة فلسطين) ولكن القسم الثاني من القدس (القدس الجديدة) ظل تحت سيطرة الدولة اليهودية التي ضربت عرض الحائط بقرارات الامم المتحدة كافة وبقرار تدويل القدس خاصة .

### المرحلة الثانية (١٩٦٧)

في الخامس عشر من ايار عام ١٩٤٨، اعلن قيام الدولة العبرية على ارض فلسطين المحتلة، واصبح الشعب الفلسطيني هو (شعب الشتات) ولم تكتف الدولة الصهيونية بما منحتها اياه - دون وجه حق - هيئة الامم، بل اخذت بالاضافة الى نصيبتها من قرار التقسيم، معظم ما خصصته هذه المنظمة الدولية للعرب في ارض فلسطين من نصيب، دون ان تتمكن هذه المنظمة، او اية ارادة اخرى في العالم، من صد اطماعها في المزيد من الارض العربية .

وبعد حوالي عشرين عاماً من الاحتلال الصهيوني الاول لفلسطين وبالتحديد في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧، اندلعت الحرب من جديد بين الدول العربية (مصر وسوريا والاردن) من جهة، واسرائيل من جهة اخرى، لتكون نتيجتها ان تلتهم اسرائيل ما تبقى من القدس، او بالاحرى، المدينة المقدسة بالذات، فتضمها اليها، وتجعل من اورشليم القدس عاصمة لها .

هاجمت اسرائيل، في البدء، مصر، فضربت سلاحها الجوي ضربة قاصمة شلته شللاً تاماً، وبعد ان اطمأنت الى انتصارها على الجبهة المصرية قررت اجتياح الضفة الغربية من المملكة الاردنية الهاشمية، وكانت اسرائيل قد حشدت لاحتلال القدس، في المنطقة الوسطى من جبهتها الجنوبية تجاه الاردن ثلاثة ألوية: "لواء المشاة"، كانت مهمته احتلال مقر الامم المتحدة على جبل المكبر، "ولواء مدرع" كانت مهمته مهاجمة المواقع الاردنية شمالي غربي مدينة القدس، "ولواء مظلي"، كانت مهمته اقتحام المنطقة المحصنة في محلة الشيخ جراح والاتصال بجبل سكوبس ثم مهاجمة المدينة القديمة واحتلالها .

ويتبين من المهمات الثلاث ان الهم الاول لدى اسرائيل كان احتلال الضواحي المحيطة بالقدس القديمة ثم احتلال القدس القديمة بعدها .

### لواء المشاة:

كانت القوات الاردنية قد احتلت في صباح ٥ حزيران دار الحكومة القديمة على جبل المكبر في

المنطقة المحرمة جنوبي القدس، ولكن القوة الاردنية التي قامت بهذه المهمة كانت عبارة عن مفرزة من المشاة فقط، وبعد ظهر اليوم نفسه قام لواء المشاة الاسرائيلي بهجوم على هذه الدار فاحتلها، وفي مساء اليوم الاول من القتال كان هذا اللواء قد احتل جميع الاهداف التي حددت له، وطوق القدس العربية (القديمة) من الجنوب كما قطع اتصالها ببيت لحم والخليل .

### اللواء المدرع:

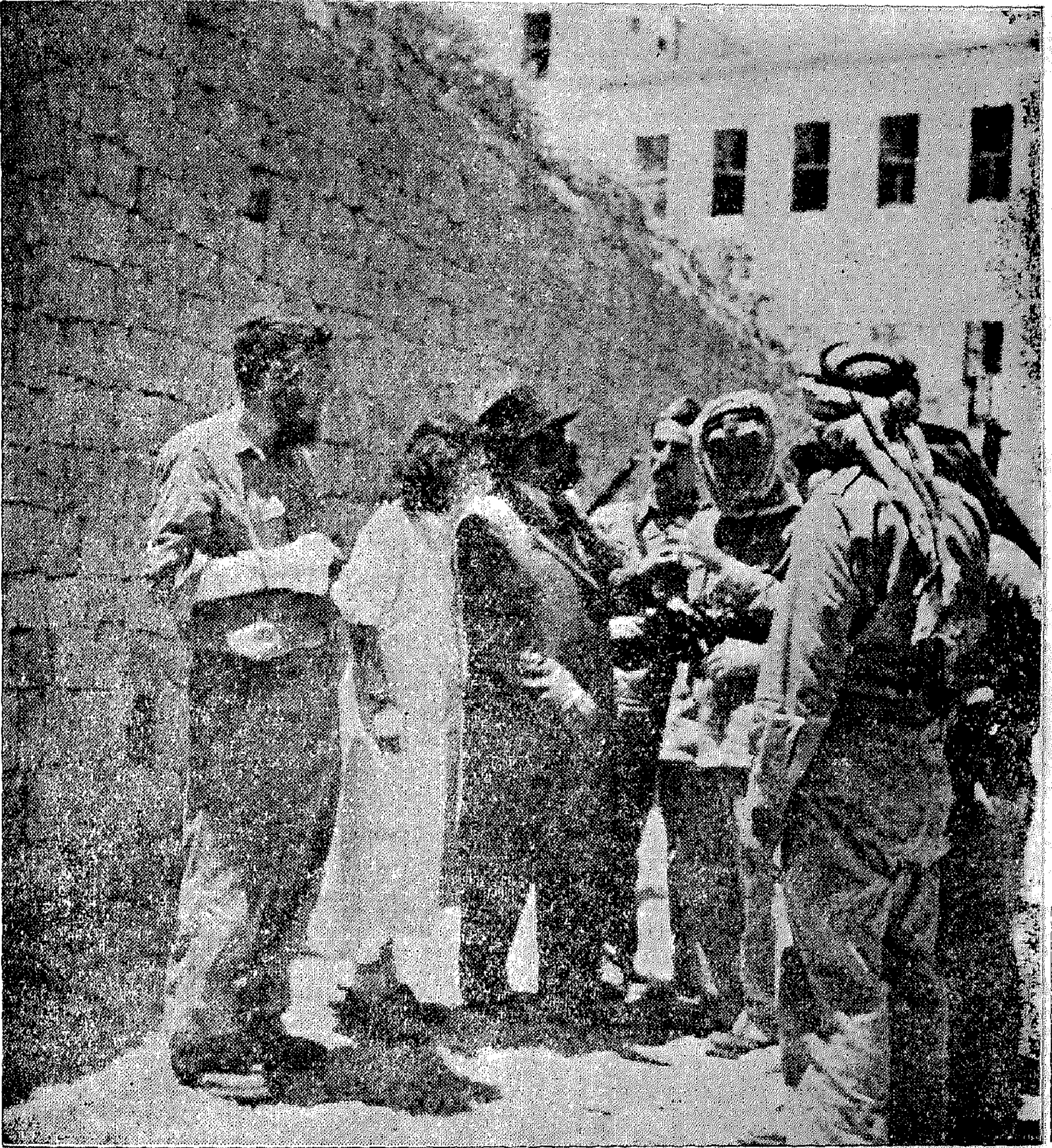
قام هذا اللواء في اليوم الاول من القتال بالهجوم على المواقع الاردنية المحصنة في تل الشيخ عبد العزيز وتل الرادار وقرية البدو وقرية بيت اكسا، وكانت تحتل هذه المواقع جميعها كتيبة مشاة اردنية، وقد بدأ العدو هجومه عليها عند حلول الظلام من مساء ٥ حزيران حيث بدأت القوات المدرعة الاسرائيلية بازالة المراكز الدفاعية التي كانت تعترضها للوصول الى اهدافها ممهدة لذلك بقصف جوي دقيق على تلك المراكز، وفي مساء ٥ حزيران سقط تل الشيخ عبد العزيز بيد العدو ودار قتال عنيف على تل الرادار انتهى بسقوطه كذلك، ثم استولى العدو على قريتي البدو وبيت اكسا في منتصف الليل .

وما ان اصبح نهار ٦ حزيران حتى كانت المدرعات الاسرائيلية قد أنهت مهمتها في ذلك القطاع وانطلقت قوة منها لتحتل بيت لقسا في الساعة الرابعة من صباح اليوم المذكور كما انطلقت قوة اخرى لتحتل تل الغول على طريق القدس - رام الله، وهكذا تمكن العدو من ان يقطع



■ الكونت "فولك برنادوت" ١٢ تموز ١٩٤٨ .





البحار اليهودي حامل العلم الأبيض

وخدمات ادارية مع كتيبة دبابات (٥٤ دبابة) فكان فيه اذن زهاء ٣٧٠٠ ضابط وجندي بالاضافة الى المساندة المؤمنة له بالمدفعية والطيران.

اما القوة الاردنية المقابلة له فكانت كتيبة واحدة اي نحو ٧٠٠ ضابط وجندي مع ١٢ مدفعاً و٦ رشاشات (الكتيبة الثانية) هذا بالاضافة الى ان الكتيبة المذكورة كانت محرومة من المساندة الجوية لافتقار الجيش الاردني كله لذلك.

بدأ هذا اللواء هجومه على المواقع الاردنية (التل المدور والشيخ جراح) صباح ٦ حزيران فتقدمت وحداته الى اهدافها بمساندة المدفعية

الطريق الذي يربط القدس بوادي الاردن مانعاً عن الجيش الاردني وصول الامدادات عن تلك الطريق، فاصبحت القدس بذلك محاصرة من الشمال والجنوب.

اللواء المظلي: هو اللواء المظلي الوحيد الذي كان لدى اسرائيل في ذلك الحين، ويتألف من النخبة من ضباط الجيش الاسرائيلي وجنوده وقد انيطت به مهمة احتلال الشيخ جراح والقدس القديمة، وكان مركزه بالقرب من مطار اللد.

وكان هذا اللواء يتألف من ٣ كتائب مظليين وكتيبة مدفعية وسرية استطلاع وسرية لاسلكي



والدبابات ولكن المقاومة كانت عنيفة وضارية حتى ان قائد اللواء المظلي للعدو اعترف بان خسائره كانت جسمية في هذا الهجوم اذ وصل احد امري سراياه الى هدفه مع اربعة جنود فقط، ووصل امر سرية اخرى مع سبعة جنود فقط، كذلك كانت خسائر القوات الاردنية المدافعة جسيمة اذ خسرت السرية المدافعة عن مدرسة الشرطة ١٢٣ قتيلًا من اصل ١٤٠ مقاتلاً، وخسرت السرية المدافعة عن التل المدور (١٧ قتيلًا) والسرية المدافعة عن الشيخ جراح (٢٤) قتيلًا، ورغم كل ذلك فقد توصل العدو الى احتلال هذه المواقع كما احتل مناطق المندليوم والمصراره وباب العمود ومدرسة المطران وغيرها ووصل الى باب السامرة كما احتل المرتفعات الواقعة شرقي المدينة .

وما ان انتصف ليل ٦ - ٧ حزيران حتى كان العدو يدق اسوار المدينة المقدسة بجنده ومدركاته، وكان على اللواء المظلي ان يحتل تل (اوغست فيكتوريا) و (جبل الزيتون) تمهيداً لمهاجمة المدينة القديمة .

وفي الساعة ٨،٣٠ من صباح ٧ حزيران تقدم هذا اللواء، مسنوداً بفوجي مدرعات، الى اهدافه، فوجدها خالية من اية مقاومة اذ انسحبت القوات الاردنية منها قبل الهجوم، وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم نفسه اصدر قائد اللواء المظلي امره الى اللواء بالهجوم على المدينة المقدسة، قائلاً:

"ايها المظليون، نحن اليوم على ابواب المدينة القديمة، ان حلمنا ستحقق ويحق لكم ان تفتخروا بما ستفعلونه" (حرب حزيران للعميد الركن حسن مصطفى)، ثم تقدم العدو ليدخل المدينة المقدسة بدباباته وجنده من ابوابها التاريخية القديمة (باب الاسباط وباب السامرة) دون مقاومة تذكر، وبعد ذلك بدقائق وصل الحاخام الاكبر لجيش العدو وتقدم من حائط المبكى فقبله ثم نفخ في بوق من قرن الثور معلناً لليهود السقوط التاريخي للمدينة المقدسة .

وبعد، هل تعتقد الصهيونية انها مالكة فلسطين والقدس الى الابد؟ وان حرب العرب معها على ارض فلسطين هي آخر حروب بيت المقدس؟ اشك في ذلك، فليس الصهاينة اغبياء ولا مضللين، بل هم يفقهون جيداً منطق التاريخ، ويعرفون جيداً ان صراعهم مع الامة العربية هو صراع وجود لا صراع حدود، وان العرب، مهما طال الزمن، وقسا عليهم وجار، لا بد، الى القدس، وفلسطين، عائدون . ان ذلك ليس ادعاء ولا تبجحاً، انه منطق التاريخ، فالصهيونية، في المشرق العربي، صليبية جديدة، بل انها خلية غريبة في جسمنا القومي المترامي الاطراف، ولا بد لهذا الجسم من ان يلفظ تلك الخلية عاجلاً ام اجلاً .

## المراجع

- فلسطين عبر ستين عاماً لأميل الغوري الجزء ان الاول والثاني
- صلاح الدين الايوبي لقديري قلعي
- الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت
- معارك العرب ضد الفزاة لمحمد عماره
- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب لمحمد العروسي المطوي
- مجلة الهلال، جند الله قادة الانتصارات العربية: ايلول ١٩٧٣
- مجلة الهلال، عدد خاص عن العواصم العربية: ايلول ١٩٧٤

- فتوح البلدان للبلاذري
- تاريخ الرسل والملوك للطبري: الجزء الثالث
- كارثة فلسطين للكولونيل عبد الله التل: الجزء الاول
- معارك العرب الحاسمة لصبحي عبد الحميد
- تاريخ العرب للدكتور فيليب حتي: الجزء الثاني
- حرب حزيران للعميد الركن حسن مصطفى: الجزء الثاني
- تاريخ العرب العسكري لمحمود الدره
- معارك خالد بن الوليد للمقدم ياسين سويد
- قادة فتح الشام ومصر للواء الركن محمود شيت خطاب
- جندي بين العرب للجنرال جون فلوب تعريب دار العلم للملايين
- حروب الاسلام والامبراطورية الرومية لامين سعيد

# المؤتمر الدولي الثاني



لتاريخ بلاد الشام ١٥١٦ - ١٩٣٩

د. نهرلا زيادة

## ١ - مقدمة

■ نشأنا في شبابنا والكتاب العربي الذي يكاد يكون وحيداً عن تاريخ العرب هو "محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية" للمرحوم محمد الخصري (بك). وهذه المحاضرات كان قد القاها المؤلف على طلبة الجامعة المصرية (الاهلية) التي انشئت في القاهرة في مطلع هذا القرن. صحيح انه كان ثمة كتب تناولت بعض الشخصيات الكبرى في التاريخ العربي الاسلامي مثل الجزء الاول من "اشهر مشاهير الاسلام" لرفيق العظم، ولكن الذي نقصده هو الكتاب الذي يتناول التاريخ العربي بكامله، او باطول فترة منه على الاقل.

وبعد فترة طويلة طلع علينا كتاب المرحوم حسن ابراهيم حسن وهو المعروف بتاريخ الاسلام السياسي، والذي طبع طبعت مختلفة ووسع وزيد فيه. واطن ان الاربعينات (ان لم تكن الخمسينات) من هذا القرن شهدت آخر طبعاته.

والطابع الرئيسي لهذين الكتابين ولعدد من الكتب التي ظهرت بينهما او حتى بعد الثاني هو الاهتمام بالناحية السياسية والحربية للتاريخ.

ولكن منذ الحرب العالمية الثانية، دون تحديد السنة، اخذ الباحثون انفسهم بالاهتمام بنواح اخرى من التاريخ العربي الاسلامي. وكان التركيز الاول على الناحية الاقتصادية. وان لم تكن دراسة الدكتور عبد العزيز الدوري عن تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري الدراسة الرائدة في هذه الناحية، فهي من الدراسات الرائدة.

ثم عني الدارسون بالنواحي الاجتماعية والثقافية والفكرية، وظهرت دراسات خاصة ومختصة. ومع ان الامر لا يزال في دوره الاول، فان الطلائع تبشر بالخير.

على ان الامر الذي يلفت النظر هو هذا الاهتمام الذي تبديه مؤسسات مختلفة في اعادة كتابة التاريخ العربي الاسلامي. وقد عقدت اجتماعات مختلفة وكونت لجان كثيرة للبحث في هذه القضية. ولنا نريد ان نتحدث عن هذه الناحية لسببين: الاول ان المجال هنا لا يتسع لذلك، والثاني هو اننا لا نريد ان نصرب مثلاً او اثنين حتى لا نسيء الى المؤسسات الاخرى. ولعل الموضوع يحتاج الى بحث واف، وقد يعالج في المستقبل.

هذا الى الاهتمام بالتأريخ لمناطق خاصة من البلاد العربية، والمؤتمرات لذلك كثيرة:

## ٢ - المؤتمر الدولي الاول لتاريخ بلاد الشام

وقد جاء دور بلاد الشام لتكون موضوعاً لمؤتمر او اكثر. وكان من ذلك ان عقد هذا المؤتمر (الاول) في الجامعة الاردنية بعمان في المدة بين ٢٥ و٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٧٤، وتناول القرون العشرة الاولى منذ ظهور الاسلام.

والفكرة بحد ذاتها وليدة تفاهم بين قسمي التاريخ في جامعة دمشق والجامعة الاردنية على اساس تعاون مشترك. وكان المؤتمر ناجحاً الامر الذي حدا بالمسؤولين الى الاستمرار في عقده.



وكان الاتفاق ان يعقد المؤتمر مرة كل سنتين، ولكن بدءا عندما وضع الامر موضع البحث الجدي ان المدة غير كافية، فضلا عن امور اخرى اشرت انعقاد المؤتمر الثاني.

ولما بدىء بالتفكير في عقد المؤتمر الثاني، وكان ذلك في عام ١٩٧٦، كانت ثمة اقتراحات متعددة، منها ان يكون المؤتمر في عمان ودمشق - ثلاثة ايام لكل منهما - واخيرا رؤي ان التنظيم والترتيب والتنفيذ تقتضي ان يكون المؤتمر في مكان واحد، وكان ذلك من حق دمشق وجامعتها. وكما كانت الجامعة الاردنية المؤسسة المضيفة للمؤتمر الاول، كانت جامعة دمشق المؤسسة المضيفة للمؤتمر الثاني.

### ٣ - الترتيب لعقد المؤتمر الثاني

مما يسر كل عربي ان يأتي عقد المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام تعبيرا عن الاتفاق بين القطرين الشقيقين (سورية والاردن) على توثيق التعاون بينهما، بحيث ان المؤتمر جاء ترجمة عملية عن اتفاق توأمة بين جامعة دمشق والجامعة الاردنية.

وقد اتخذ الاعداد لعقد المؤتمر خطوات يجدر بنا ان نشير اليها هنا.

١ - الاتفاق نهائيا على ان يعقد المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام في جامعة دمشق - كلية الآداب - في المدة بين ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) و٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٨ (٢٧ ذي الحجة ١٣٩٨ - ٣ المحرم ١٣٩٩).

٢ - حددت الاطر العامة لموضوعات المؤتمر كما يلي :

١ - الفترة التي يتناولها المؤتمر هي ١٥١٦ - ١٩٣٩.

ب - تدرس في المؤتمر مصادر تاريخ بلاد الشام الحديث والمعاصر وبخاصة غير المنشورة من مخطوطات ووثائق ومذكرات.

ج - توجه العناية الى دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لبلاد الشام.

د - يعنى بالعلاقات الدولية لبلاد الشام.

٣ - سمي اعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام بموجب قرار السيد وزير التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية ذي الرقم (١٦/د) تاريخ ١٦/١/١٩٧٨ وهي مؤلفة من السادة

السيد الدكتور مصطفى حداد

رئيس جامعة دمشق - رئيسا

السيد الدكتور اسعد لطفي

وكيل جامعة دمشق - نائبا للرئيس



مظفر حام لجلسة الافتتاح



د. سائر النجار

على بساط البحث التاريخي من قضايا ومشكلات تهدف في النهاية الى جلاء صفحات مجهولة من تاريخ بلاد الشام<sup>١٠</sup>، والواقع ان حتى الذين لم يقدموا بحوثا قد اسهموا في المناقشات<sup>١١</sup> ولا يقل عن ذلك اهمية في رأينا القضايا التي كانت تثار على موائد الطعام او في صالات الفنادق<sup>١٢</sup>، فما اكثر ما جلت هذه اللقاءات غامضا، واوضحت فكرة، واثارت جدلا<sup>١٣</sup>.

اما البحوث التي قدمها اصحابها ونوقشت فعلا فقد زاد عددها عن الخمسين<sup>١٤</sup>، واذا نحن استثنينا بحثا واحدا فجميع البحوث والدراسات التي قدمت كانت ضمن الاطر التي رسمتها اللجنة التحضيرية<sup>١٥</sup> (الموضوع المستثنى كان عن علاقة الاندلس بسورية في القرن الثاني الهجري، وسدو ان تسمية المؤتمر بالثاني ادى الى هذا اللبس).

وقد امكنا ان نقسم الموضوعات على النحو التالي، وان كنا واثقين من انه من الصعب ان يصل المرء الى تقسيم دقيق لمثل هذا العدد من الموضوعات والدراسات<sup>١٦</sup>.

- ١ - الموضوعات الاقتصادية
- ٢ - البحوث الاجتماعية
- ٣ - الدراسات الثقافية
- ٤ - الدراسات السياسية
- ٥ - متفرقات

المجموع ٥١  
والمتفرقات كان فيها شيء طريف، منها فيلم "ضمت فيه صور قديمة لبلاد الشام تعود في تصويرها الى النصف الثاني من القرن الماضي".

السيد الدكتور احسان النص  
عميد كلية الآداب - عضوا  
السيد الدكتور احمد طربين  
رئيس قسم التاريخ - عضوا  
السيد الدكتور محمد خير فارس  
الاستاذ في قسم التاريخ - عضوا  
السيدة الدكتورة ليلي الصباغ  
الاستاذة في قسم التاريخ - عضوا  
السيد الدكتور نبيل المرابط  
الاستاذ في قسم التاريخ - عضوا  
السيدة الاستاذة دعد طائع  
مديرة الدراسات في وزارة التعليم العالي -  
عضوا

السيدة الاستاذة عفاف سكر  
مديرة الشؤون الثقافية بجامعة دمشق - عضوا  
السيد الاستاذ عدنان الرفاعي  
امين المجلس الاعلى للعلوم - عضوا  
وقد مثل الجامعة الاردنية في اللجنة التحضيرية  
الدكتور علي محافظة

وجدير بالذكر ان الدكتور احمد طربين كان في الواقع الامين العام للمؤتمر، ولوليه الفعال<sup>١٧</sup>.

٤ - وجهت الدعوات لحضور المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام على اساس الاختصاص والاهتمام ببلاد الشام<sup>١٨</sup>، وكانت الدعوات شفهية<sup>١٩</sup> فالذين حضروا المؤتمر لم يكونوا يمثلون بلادهم ولا المؤسسات التي يعملون فيها<sup>٢٠</sup>.

٥ - عمل الذين قاموا بترتيب واعداد البرامج وتنفيذها جهدهم لانجاح المؤتمر<sup>٢١</sup>، ويتمثل هذا في الامور التالية (على سبيل المثال)

١ - ترجمة الدراسات والبحوث التي قدمت باللغتين الانكليزية والفرنسية الى اللغة العربية<sup>٢٢</sup>.

ب - بذل الجهد في توزيع البحوث قبل يوم من تقديم اصحابها لها<sup>٢٣</sup>.

ج - نقلت بعض البحوث التي وضعت بالعربية ونحسب ان الباقي قد نقل او سينقل الى اللغة الانكليزية، تيسيرا للعلماء الاجانب، الذين لا يعرفون العربية، لمتابعة المناقشة<sup>٢٤</sup>.

٤ - المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام

(١٩٣٩ - ١٥١٦)

لبي دعوة اللجنة التحضيرية للمؤتمر نيف وسبعون عالما وعالمة من مختلف اقطار العرب والعالم<sup>٢٥</sup>، ان بعض هؤلاء لم يقدموا دراسات، (والبعض لم يتمكن من المجيء في آخر لحظة) ولكن اللجنة "استوحت في جميع الدعوات التي وجهتها لتحقيق لقاء فكري وعلمي مع الدارسين المتخصصين العرب وغير العرب بصددها يطرح



- ٥ - متحف التقاليد الشعبية
  - ٦ - ضريح صلاح الدين
  - ٧ - متحف الخط العربي
  - ٨ - المدرسة العادلية الكبرى
  - ٩ - مدينة القنيطرة
  - ١٠ - دير صيد ناي ومنطقة معلولا
  - ١١ - كنيسة حنانيا ونافذة القديس بولس
  - ١٢ - مقام السيدة زينب
  - ١٣ - زيارة لعمان بدعوة من الجامعة الاردنية
- وكان ثمة دعوة كريمة للعشاء يوم الافتتاح وهي دعوة السيد رئيس الجمهورية . كما دعا وزير التعليم العالي الى حفلة عشاء ختامية (٢ كانون الاول - ديسمبر - ١٩٧٨) وزعت فيها شهادات تقدير وهدايا دمشقية على الاعضاء .
- وقد استمتع الاعضاء بحضور حفلة فنية اقامتها فرقة امية . وكانت الدعوة من السيدة وزيرة الثقافة والارشاد القومي .

## ٢ - المقررات والتوصيات

وفي ما يأتي نص المقررات والتوصيات التي اصدرها المؤتمر:

انعقد المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام بمدينة (دمشق) من ٢٧ ذي الحجة ١٣٩٨ هـ - الثالث من محرم ١٣٩٩ هـ الموافق لـ ٢٧ من تشرين الثاني حتى ٣ كانون الأول ١٩٧٨ . وقد شارك في المؤتمر خمسة وسبعون مؤرخا وباحثا، من بلاد الشام، ومن المؤسسات العلمية العربية والعالمية .

وقد عقد المؤتمر اثنتي عشرة جلسة، استمع خلالها للبحوث التي قدمت له، والتي تربو على خمسة وخمسين بحثا . وقد عالجت تاريخ بلاد الشام في الحقبة الممتدة بين دخول العثمانيين الى بلاد الشام (٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م)، وبدء الحرب العالمية الثانية (١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م) وقد بحثت بصفة خاصة، الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، وعلاقات بلاد الشام مع الأقطار العربية، ومع بلدان العالم، ولاسيما الأوروبية منها، وتعرضت لبعض القضايا السياسية وربطها مع جذورها الاجتماعية والاقتصادية، المحلية والعالمية، كما خصت بعض مصادر البحث بالدراسة مع بيان قيمتها في ايضاح صورة الماضي . وقد ناقش المؤتمر تلك البحوث بروح علمية وموضوعية، كما تداولوا في شؤون المؤتمر بعامة، وفي نتائج تلك البحوث، وتوصل المؤتمر بعد المناقشة والمداولة الى المقررات الآتية:

- ١ - كانت البحوث المقدمة للمؤتمر، والمناقشات التي رافقتها، خصبة ومفيدة: فقد كشفت عن جوانب غامضة من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والدولي لبلاد الشام، وأثارت قضايا هامة تتطلب بحثا واستقصاء أعمق للوصول الى حقيقة وقائعها .



ل. د. مصطفى حداد

وقد عرض الفلم مع وصف ناطق للاستاذ كارني غافن من جامعة هارفارد بالولايات المتحدة . والصور تمثل البتراء وجرش وبعض مناظر مدينة دمشق . والصور مختارة من نمو ٣٠٠٠٠ موجودة تحت تصرف الاستاذ غافن .

## ٥ - برنامج المؤتمر

كانت حفلة الافتتاح في صباح يوم الاثنين ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨، التي القيت فيها كلمات للسيد رئيس الجمهورية العربية السورية، حافظ الاسد، وكلمة للسيد وزير التعليم العالي (الدكتور شاكرا الفحام) وكلمة لممثل رئيس المؤتمر الاول (وقد كان رئيس المؤتمر الاول في عمان سمو الامير حسن، ولي عهد الاردن) والقى الكلمة الدكتور ناصر الدين الاسد رئيس الجامعة الاردنية، وكلمة رئيس اللجنة التحضيرية الدكتور مصطفى حداد .

وعقدت بعد ذلك احدى عشرة جلسة علمية، وكانت البحوث تقدم في قاعة واحدة، مما ادى الى ضرورة تقديم عدد كبير من البحوث في وقت قصير . وكان ثمة جلسة ختامية .

وكان لكل جلسة رئيس ومقرر . وقد رتبت زيارات ذات قيمة ثقافية ووطنية شملت الاماكن التالية (نذكرها حسب ورودها في البرنامج)

- ١ - المتحف الوطني (حيث عقدت جلسة الافتتاح)
- ٢ - المتحف الحربي وسوق المهن اليدوية
- ٣ - كلية السلطان سليم
- ٤ - الجامع الاموي



## شهادة تقدير

بنار على مدار اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي الثاني  
لتاريخ بلاد الشام بمنح السيد  
هذه البراءة تقديراً لجهوده في البحث الذي قدمه للمؤتمر  
دمشق في ٢ / ١٢ / ١٩٧٨

رئيس المؤتمر  
وزير التعليم العالي

د. محمد  
الدكتور شكر النعام



٢ - أثبتت تلك البحوث التاريخية بمنهجية علمية دقيقة، ان بلاد الشام حتى عام ١٩٢٠ وقبل تمزيقها الى وحدات سياسية منفصلة وتسلسل العنصر الصهيوني الدخيل الى جنوبها (فلسطين) انها وحدة تاريخية مثلما كانت وحدة طبيعية عبر جميع العصور العربية الاسلامية.

٣ - اكدت ان علاقات بلاد الشام مع بقية البلاد العربية، هي علاقات وحدة حضارة عربية واحدة واصيلة، لم تنقسم عبر العصور، وانها علاقات امة عربية واحدة، بل وحدة سياسية موحدة.

٤ - ابرزت ان الشعب العربي في بلاد الشام، على الرغم من بعض الصراعات الاجتماعية بين فئاته في بعض فترات تلك المرحلة، وشأنها كشأن أية صراعات داخلية في اي مجتمع من المجتمعات، هو وحدة ملتزمة واحدة، تسود صلات افراده وفئاته، روح اخاء وحب وسلام، طالما ان العناصر الاجنبية لا تتدخل في شؤونهم.

٥ - اوضحت ان صلات بلاد الشام مع مختلف اجزاء العالم الاوربي كانت صلات تجارة وسلام واخذ حضاري وعطاء، طالما ان ذلك العالم الاوربي، بدوله المختلفة، كان يريد السلام والحضارة، وعدم التسلط والاستغلال.

٦ - اكدت ان الصهيونية عنصر دخيل على بلاد الشام، اتخذ لنفسه مكانا غير شرعي فيها، ويعلن المؤتمر عن تضامنه مع الشعب العربي الفلسطيني وعن تمسكه بتنفيذ قرارات الامم المتحدة في الجلاء عن الأراضي العربية المحتلة، والاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني الوطنية بما في ذلك حقه في اقامة دولته المستقلة.

٧ - يتوجه المؤتمر بنداء حار الى اليونيسكو والهيئات التاريخية العالمية، ويناشدها حماية التراث العربي والحفاظ على الطابع العربي في المعالم التاريخية والدينية في فلسطين والقدس.

### التوصيات

١ - يقدم اعضاء المؤتمر خالص شكرهم وتقديرهم باسم جامعاتهم ومؤسساتهم العلمية وبلدانهم الى سيادة الرئيس حافظ الاسد، على رعايته لهذا المؤتمر، ويعربون عن شكرهم للحكومة العربية السورية وكافة مؤسساتها على ما قدمته من عون ومساعدة ويشكرون جامعة دمشق لكل ما بذلته من جهد لانجاح هذا المؤتمر.

٢ - يقترح المؤتمر ان يكون التركيز في المؤتمرات القادمة لتاريخ بلاد الشام على بحث فترة زمنية محددة لا تتجاوز القرن او القرنين، حتى يكون البحث أدنى الى الوفاء بمتطلبات البحث العلمي المجدي، أو على بلد من بلاد الشام يدرس تاريخه في نواحيه المختلفة السياسية والحضارية على امتداد عصور التاريخ.

٣ - ان توجه البحوث التاريخية توجيهها اكبر نحو دراسة النواحي الاقتصادية والاجتماعية وبالطرق العلمية الدقيقة، المعتمدة على الأصول الاولى، والمدعمة بالاحصاءات والخطوط البيانية، والخرائط، وان يفرد للمرأة دراسات خاصة.

٤ - ان تسلط أضواء أقوى على بحث علاقات بلاد الشام مع بلدان العالم المختلفة، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا.

٥ - ان تكون المظاهر الثقافية، وتطور العلوم والمعارف المختلفة، في بلاد الشام، محورا من محاور البحوث التاريخية وكذلك تطور عمران المدن فيها.

٦ - ان ينمى الاعتماد في مختلف البحوث التاريخية على الاصول الوثائقية في دور المحفوظات العربية والعثمانية والأوروبية، وعلى المخطوطات العربية المعاصرة للحقبة المدروسة، التاريخية منها وغير التاريخية.

٧ - ان يتعاون المؤرخون والباحثون العرب العاملون في تاريخ بلاد الشام في العصور الحديثة، على تكوين مركز توثيق لهذا التاريخ، ويرجو المؤتمر أن يحظى هذا المشروع بدعم مالي كاف من الحكومات المعنية.

### مهام المركز

ويكون من مهام هذا المركز الامور التالية:

أ - جمع نسخ مصورة من مختلف الوثائق المخطوطة المتعلقة بتاريخ بلاد الشام خلال العصور الحديثة والمبعثرة في مختلف دور المحفوظات، والمكتبات العربية والأجنبية، وكذلك جمع نسخ من المنشور منها.

ب - تأسيس مركز خاص للتوثيق في عاصمة من عواصم بلاد الشام، لتسهيل سبل البحث في تاريخ هذه البلاد.

ج - اصدار "ببليوغرافيا" (فهرس عام) لجميع مصادر تاريخ بلاد الشام في العصور الحديثة: من وثائق في دور المحفوظات المختلفة، ومخطوطات عربية موزعة في مكتبات العالم، ومطبوعات عربية واجنبية قديمة وحديثة، وصور متنوعة، وأشرطة تسجيل، وأفلام وغيرها. وان تصنف تلك الببليوغرافيا العامة التصنيفات المتنوعة التي تساعد على تسهيل البحث في جميع نواحي تاريخ بلاد الشام.

د - السعي لنشر أكبر قدر من تلك المصادر المحفوظة مرفقة بالشروح.

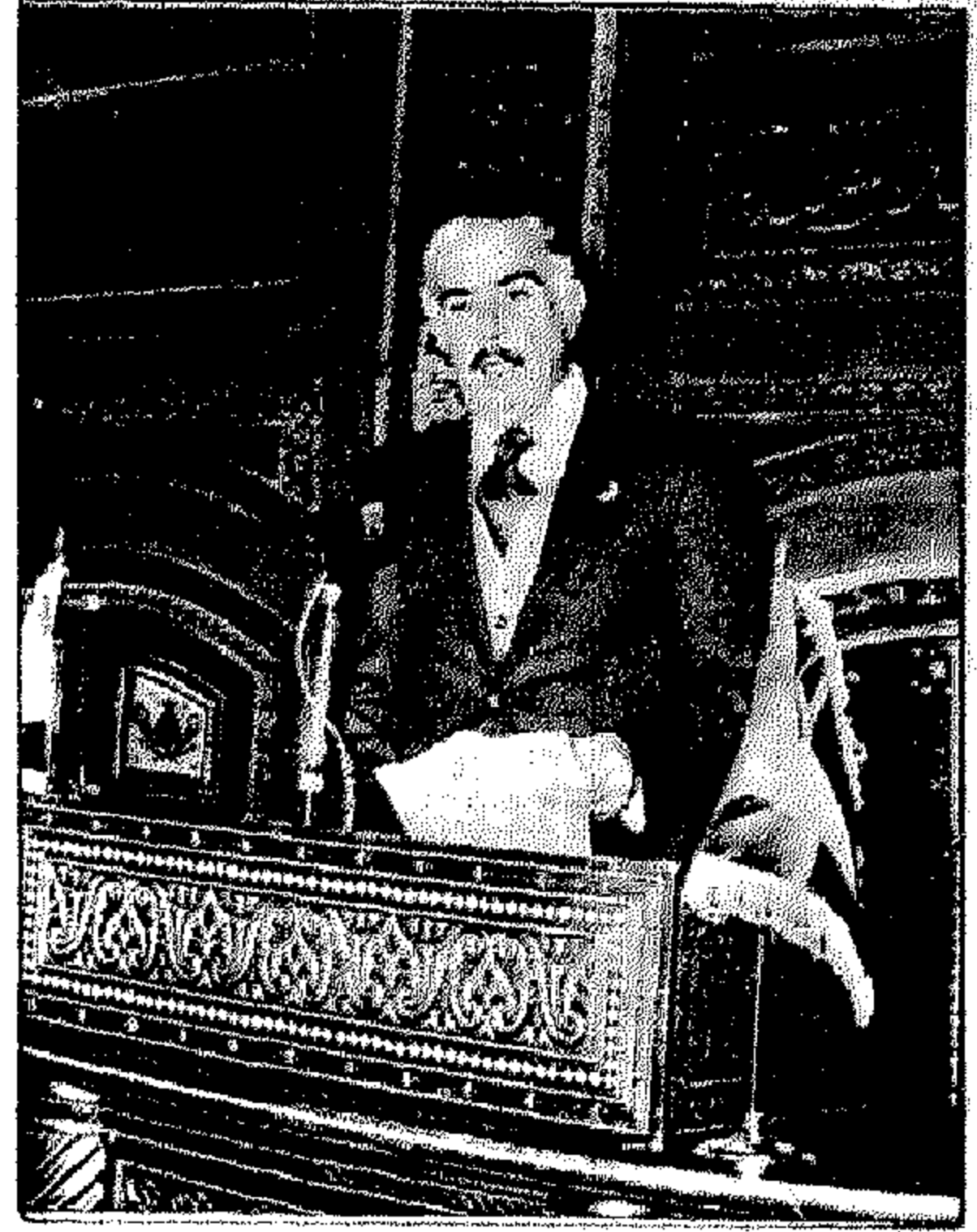
هـ - وضع أطلس تاريخي جغرافي مفصل لبلاد الشام.

و - تشجيع ترجمة الوثائق الأجنبية الهامة الى العربية ونشرها.

## ٧ - البحوث التي قدمت ونوقشت

- ١ - د. خليل ساحلي (جامعة استانبول)  
تغير طرق التجارة والتنافس بين ميناءي طرابلس  
والاسكندرونة في القرن السابع عشر
- ٢ - د. ظافر القاسمي (الجامعة اللبنانية)  
المظاهر الاجتماعية في كتاب قاموس الصناعات  
الشامية.
- ٣ - د. مصطفى محمد رمضان (جامعة الأزهر -  
القاهرة)  
رواق الشام بالأزهر أبان العصر العثماني.
- ٤ - د. سعيد عبد الفتاح عاشور (جامعة  
الكويت)  
المجتمع الشامي في العصر العثماني بين العصور  
الوسطى والحديثة.
- ٥ - د. نشأة حمارنة (جامعة دمشق)  
الاطباء العرب في القرن السادس عشر
- ٦ - أ - د. ليلى الصباغ (جامعة دمشق)  
وثيقة عربية شامية من القرن التاسع الهجري حول  
الصناعة النسيجية والنساج.
- ب - أ - د. ليلى الصباغ  
المحبي المؤرخ وكتابه خلاصة الاثر
- ٧ - د. عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم  
(جامعة قطر)  
علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني  
(١٥١٧ - ١٧٩٨)
- ٨ - د. ناصر الدين سعيدوني (جامعة الجزائر)  
نظرة في اراضي الميري ببلاد الشام اثناء العهد  
العثماني
- ٩ - د. عبد الله حنا (دمشق)  
تحركات العامة في دمشق وحلب في القرنين الثامن  
عشر والتاسع عشر.
- ١٠ - د. أحمد عوني ماضي (الجامعة الأردنية)  
الملامح الاساسية لفلسفة شبلي شميل المادية.
- ١١ - د. تاج السر أحمد حران (جامعة  
الخرطوم)  
دور السوريين في الحركة العربية ١٩٠٨ - ١٩١٤
- ١٢ - د. علي محافظم (الجامعة الأردنية)  
التيارات السياسية في فلسطين في القرن التاسع  
عشر وحتى عام ١٩٢٥
- ١٣ - د. عصام الصفدي (الجامعة الاردنية)  
رسائل الى الغرب. الرحالة الانكليز في بلاد الشام
- ١٤ - د. أحمد طربين (الجامعة السورية)  
الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام ابان القرن  
التاسع عشر من خلال "حلية البشر"

١٥ - السيد سليمان موسى (الاردن)  
محبة الدين الخطيب



د. شاهر حران

ز - التعاون مع مختلف هيئات التوثيق في  
العالم، والسعي لديها لتسهيل سبل الحصول على  
وثائقها بشروط مشجعة للباحث في تاريخ بلاد  
الشام.

ح - السعي لدى اليونيسكو كي يتم الحصول  
على صور من الوثائق المحلية في فلسطين، أكانت  
وثائق المحاكم الشرعية فيها أو أرشيفات الدولة ما  
بين الحربين العالميتين وحتى ١٩٤٨.

ط - القيام باتصالات مع جميع الهيئات  
التاريخية العالمية، والمؤرخين العاملين في حقل  
تاريخ بلاد الشام لتزويد مكتبة مركز التوثيق  
المقترح بجميع منشوراتهم، حتى تبقى الصلة  
قائمة بين العاملين في هذا الحقل الواحد،  
ومعرفتهم بالجديد فيه.

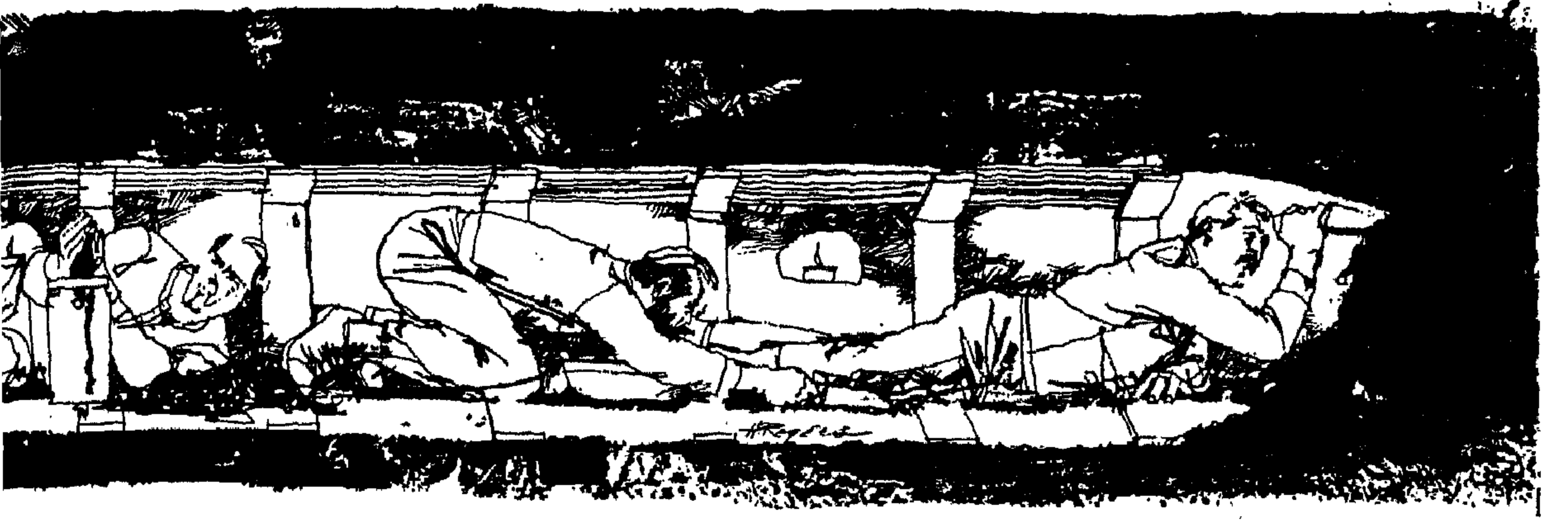
ي - تنمية الوعي التوثيقي التاريخي لدى  
الطلاب في جميع مراحل التعليم، ولدى مجموع  
الشعب، بشتى الوسائل الاعلامية.

٨ - أن تتم طباعة بحوث هذا المؤتمر ونشرها.  
ومن شاء من الباحثين أن ينقح بحثه، يتوجب عليه  
أن يرسله الى أمانة سر المؤتمر بتاريخ أقصاه  
١٥/٢/١٩٧٩ والا اعتبر البحث المقدّم للمؤتمر  
صالحاً للطباعة والنشر.



- ١٦ - د. عيد الجليل التميمي (الجامعة التونسية)
- الامير عبد القادر في السنوات الاربع الاولى من اقامته في دمشق (١٨٥٦ - ١٨٦٠)
- ١٧ - د. مصطفى كريم (الجامعة التونسية)
- المنافسة الامبريالية الفرنسية الانكليزية والاحتلال الفرنسي لسورية ولبنان
- ١٨ - د. نقولا زيادة (استاذ شرف، قسم التاريخ، الجامعة الاميركية، بيروت)
- لبنانيون درسوا بالأزهر في القرن التاسع عشر
- ١٩ - د. ذوقان قرقوط (جامعة دمشق)
- الوثائق الفرنسية عن سوريا (١٨٩٠ - ١٩٢٩)
- ٢٠ - خيرية قاسمية (جامعة دمشق ومعهد البحوث والدراسات في القاهرة)
- قضية الحدود بين فلسطين ومصر (١٨٤٠ - ١٩١٤)
- وأثرها في جذور الصراع العربي الصهيوني
- ٢١ - د. وجيه كوثراني (الجامعة اللبنانية)
- مشاريع السيطرة والتجزئة في بلاد الشام من خلال أرشيف الخارجية الفرنسية
- ٢٢ - د. محمد الشعفي (الرياض)
- علاقة الدولة السعودية الاولى بالشام (لم يحضر)
- ٢٣ - د. سامي حمارنه (معهد سمستونيان - واشنطن - الولايات المتحدة)
- الزراعة من خلال مخطوطة الغزى
- ٢٤ - د. كمال عبد الفتاح (جامعة بيرزيت)
- التنظيم المالي والانتاجية الاقتصادية لألوية بلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر
- ٢٥ - د. مسعود ضاهر (الجامعة اللبنانية)
- التطور التاريخي للمسألة الطائفية في لبنان
- ٢٦ - د. جهاد مجيد محي الدين
- المقاومة العربية في بلاد الشام وجمال باشا
- ٢٧ - د. اندريه ريمون
- تطور مدينة حلب في القرن السادس عشر
- ٢٨ - د. بدرو شالميتا
- السوريون والاندلس
- ٢٩ - د. ضحى شطي
- توسع البدو في بلاد الشام وانحسارهم
- ٣٠ - د. مانولا مارين - المعهد الاسباني العربي للثقافة في مدريد
- العلاقات بين اسبانيا والمشرق خلال القرن الثامن عشر
- ٣١ - د. ارجمند كوران (جامعة حاجي تايه انقره)
- ساطع الحصري كمتقف عثماني
- ٣٢ - د. كارني غافان (جامعة هارفارد)
- مشاهد من الصور في الماضي القريب لبلاد الشام (١٨٠٠ - ١٩٤٠)
- ٣٤ - د. الكسندر شولش (جامعة اسن، المانية الاتحادية)

- التطور الاقتصادي لفلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر
- ٣٥ - د. ستيفن وايلد (جامعة بون)
- دمشق في القرن الثامن عشر من خلال مذكرات البديري
- ٣٦ - د. بيتر غران - (جامعة اوستن، تكساس)
- الاسس الاجتماعية للثقافة في دمشق
- ٣٧ - د. ماريو غرينياشي (السمنار العربي - البندقية)
- الاقطاع التركماني - في دول - قنادرية
- ٣٨ - د. جورج خوري (جامعة ميندوتا - الولايات المتحدة)
- المصادر العربية لتاريخ دمشق في اوائل القرن التاسع عشر
- ٣٩ - د. نجا غوينك (جامعة استانبول)
- بعض الوثائق عن بلاد الشام في الارشيفات العثمانية
- ٤٠ - د. روبرت مانتران (جامعة بروفانس، فرنسة)
- حول النقوش العثمانية لدمشق
- ٤١ - د. فريتز شتبيات (جامعة برلين الحرة)
- تغلغل المفاهيم السياسية والاجتماعية الدنيوية (العلمانية) في بلاد الشام في القرن التاسع عشر
- ٤٢ - د. ليندا شيلشر (معهد التاريخ الاوروبي، مايني)
- جوانب الوضع العام في أواخر القرنين الثامن عشر والتاسع عشر
- ٤٣ - د. شيري فاتر (مرشحة دكتوراه - جامعة كليفورنيا)
- فائدة وثائق البيع في كتابة تاريخ دمشق في القرن التاسع عشر
- ٤٤ - د. دور
- تواخ من التفسيرات الحديثة لتاريخ الشرق الاوسط
- ٤٥ - السيد ميشال سورات (المعهد الفرنسي في دمشق)
- دور مدينة ليون في اقرار الانتداب الفرنسي في سوريا
- ٤٦ - د. قيصر فرج (جامعة ميندوتا)
- أثر التحالف الرباعي على الاصلاحات الادارية المقترحة في سوريا
- ٤٧ - د. وولف هاتروت (جامعة ارلانغن - المانية الاتحادية)
- التنظيم المالي للمناطق المتاخمة للصحراء في القرن السادس عشر
- ٤٨ - د. أحمد عبد الرحيم مصطفى (جامعة الكويت)
- لجنة - كينغ ترين
- ٤٩ - د. رياح ابو حيدر (الجامعة اللبنانية)
- اهمية الاوراق الخاصة في البحث التاريخي ■



## شهادة من الحرب العالمية الثانية

# الهروب من معسكر (ستالاغ لاف ٣)

ترجمة وإعداد "قسم الدراسات"

واسع في العالم مما شجعه على تأليف أكثر من قصة حول الموضوع نفسه نذكر منها: "الانطلاق نحو السماء" و "أهرب أو مت" ...

وأعادت المجلة نشر مذكرات بريكهيل هذه ضمن كتاب ضخّم احتوى على مختارات من أهم مقالات المجلة وتحقيقاتها خلال سنوات الحرب. صدر الكتاب في العام ١٩٦٣ بعنوان: "أسرار وقصص من الحرب".

★ ★ ★

يقع معسكر "ستالاغ لاف ٣" في منطقة ساغان، في الطريق الوسط بين برلين وبريسلو. واحتجز فيه في الفترة بين ربيع ١٩٤٣ و ربيع ١٩٤٥ عشرة آلاف طيار حربي من عدة جنسيات أوروبية وأميركية، لكن معظمهم كان يومها من سلاح الجو البريطاني.

في نيسان ١٩٤٣ جرى توسيع المعسكر بإضافة ثكنة جديدة نقل إليها ٧٠٠ من أفرادنا. وكان المعتقلون الذين عملوا في ورشة الثكنة الجديدة درسوا في عناية موقعها الطبوغرافي وحددوا المساحات في كل الاتجاهات.

من أهم مميزات الموقع الجديد انه محاط من

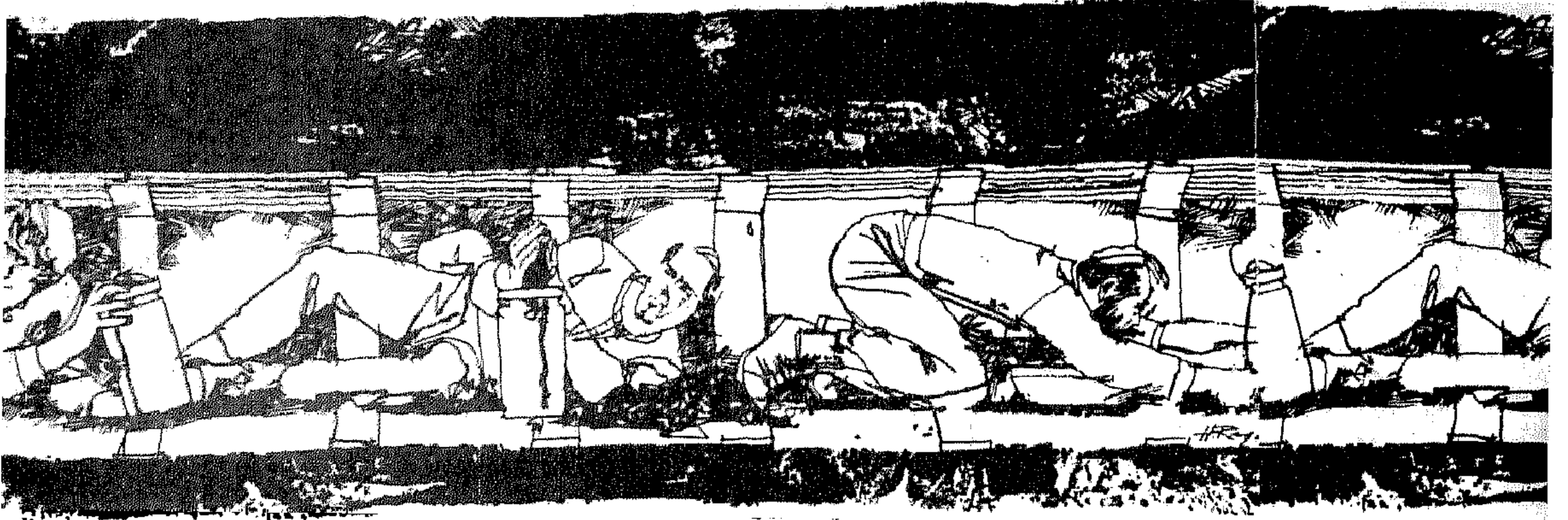
■ شكلت عملية الهروب الكبير من معسكر الاعتقال النازي "ستالاغ لاف ٣" خلال الحرب العالمية الثانية ملحمة رائعة من ملاحم العمل السري المناهض للهيترية.

وقد دخلت هذه العملية التاريخ من بابه الواسع. فمجدتها أدبيات الكتاب في أنحاء عديدة من العالم وصورت عنها أفلام كان أشهرها فيلم "الهروب الكبير" «The Great Escape» الذي كان الصورة الأقرب الى الحقيقة عما جرى في مكان ما من ألمانيا الهيترية خلال الفترة بين ربيع ١٩٤٣ و ربيع ١٩٤٥.

لكن لم يتسن لجيئنا العربي الحالي الاطلاع الكامل على هذه الملحمة البطولية التي نشرت تفاصيلها بالصور والرسوم والوثائق بعد سنة واحدة فقط من انتهاء الحرب. لذلك كان لابد من العودة الى الملفات القديمة لنقل وقائع هذه العملية في اطارها التاريخي واسلوبها العفوي الحي.

الضابط بول بريكهيل من سلاح الجو الاسترالي كان احد هؤلاء الأبطال. روي تفاصيل ما حصل الى مخدوب مجلة "ريدرز دايجست" في العام ١٩٤٦. ومن يومها أصبح بريكهيل اديباً معروفاً على نطاق





هدف الدعوة ووافق فوراً ٥٠٠ معتقل على النداء .  
قررنا حفر ٣ انفاق "توم" و"ديك" و"هاري"  
تخسباً لاكتشاف احدها . كما تجنبنا استخدام تعبير  
"نفق" في احاديثنا اليومية خوفاً من لفت انتباه  
السجانيين وخصوصاً الذين ينتصتون خلسة من خلف  
الابواب .

كان نفق "ديك" يشكل احتياطاً لنا في حال  
اكتشاف "توم" ، او في احسن الاحوال يؤمن رديفاً  
لهذا الاخير في حال نجاحنا من خلاله .

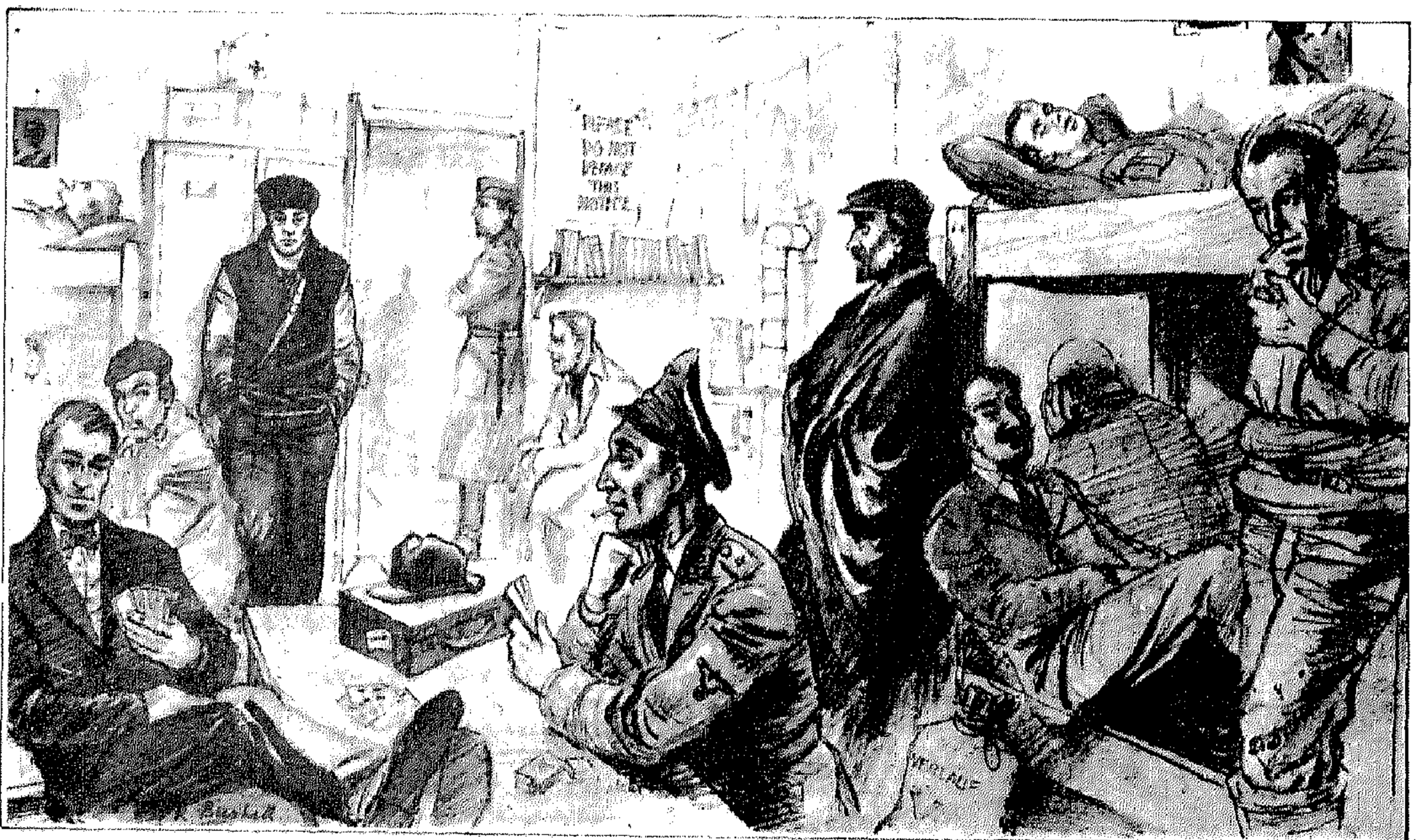
نقطة بدء الحفر كانت انطلاقاً من داخل  
تخشيبتنا التي كانت الواحدة منها بطول ١٠٠ قدم  
وتحتوي على زوايا ضيقة للنوم وحمام ومطبخ  
صغير . وكان النازيون قد بنوها مرتفعة حوالي قدم  
عن الارض بهدف تأمين مراقبة مستمرة علينا من  
تحت ، اضافة الى المراقبة العادية ، وذلك لمنعنا  
حتى من التفكير بحفر الانفاق التي كانت عملية  
رائجة في كل معسكر الماني للاعتقال .

الجهات الاربع بالغابات الكثيفة من شجر الصنوبر  
مما يسهل عملياً الفرار عبر الانفاق الذي كان يومها  
مجرد مشروع قيد التحضير في اذهاننا .

منذ الايام الاولى لانتقالنا الى المعسكر الجديد  
أنشأنا تنظيماً سرياً عرف بـ X هدفه تأمين الفرار  
لاكبر عدد ممكن منا . ترأس التنظيم الطيار روجر  
بوشيل الذي عمل محامياً في لندن قبل التحاقه  
بسلاح الجو البريطاني . وكان بوشيل خبيراً في  
مجال الانفاق ، فهو نظم عمليتي فرار رائعتين في  
السابق استطاع خلال احدهما ان يصل الى حدود  
سويسرا حيث اعتقل من جديد .

### فرقة رياضية ، وانباق

في بادئ الامر بدأنا بتوزيع نشرات تدعو  
لانشاء فرقة رياضية ، وكانت النشرات التي كتبت  
بالييد ماهرة بشعار " X الكبير " ، ففهم الجميع



ويبدو ان العدو عندما بنى المعسكر لم يتصور أن بمقدور ارادة بشرية صنع المعجزات من خلال ثغرة صغيرة لا تتجاوز مساحتها قدمين مربعين . كانت الخطوة الاولى في مسيرة الالف ميل انشاء مداخل سرية للانفاق يسهل فتحها واغلاقها وتكون مموهة في شكل لا يرقى اليه الشك، منعاً لاكتشافها في فترات غارات التفتيش المفاجئة والمتواصلة ليلاً نهاراً .

ادق مهمة واجهتنا كانت مسألة تحديد الاتجاهات والمسافات والزوايا وقياسها في صورة أقرب ما تكون الى الواقع لئلا يوصلنا النفق في نهاية المطاف الى منفذ مكشوف للعدو . وبما ان جهازنا الامني كشف عن امتلاك العدو لمعدات تنصت تستطيع ذبذباتها ان تلتقط عن عمق ٢٥ قدماً، لذلك كان لابد من حفر حفرة عمقها ٣٠ قدماً على الاقل قبل التوجه افقياً في اتجاه غابات الصنوبر . وبيدء اول ضربة رفش - صنعناه من مشواة الموقد نفسها - في اوائل ايار ١٩٤٣ بدأت الصعوبات تتراكم دفعة واحدة: فبقدر ما كان تراب المعسكر خفيفاً وسهل الحفر بقدر ما كان النفق بحاجة الى مساند قوية منعاً للانهييارات، ثم ان مسألة تصريف هذه الكمية الهائلة من التراب التي تخرج يومياً من النفق كانت من اعقد الامور في بادىء الامر، خصوصاً وان تراب النفق كان ذا لون اصفر فاتح بينما لون سطح ارض المعسكر كان غامقاً .

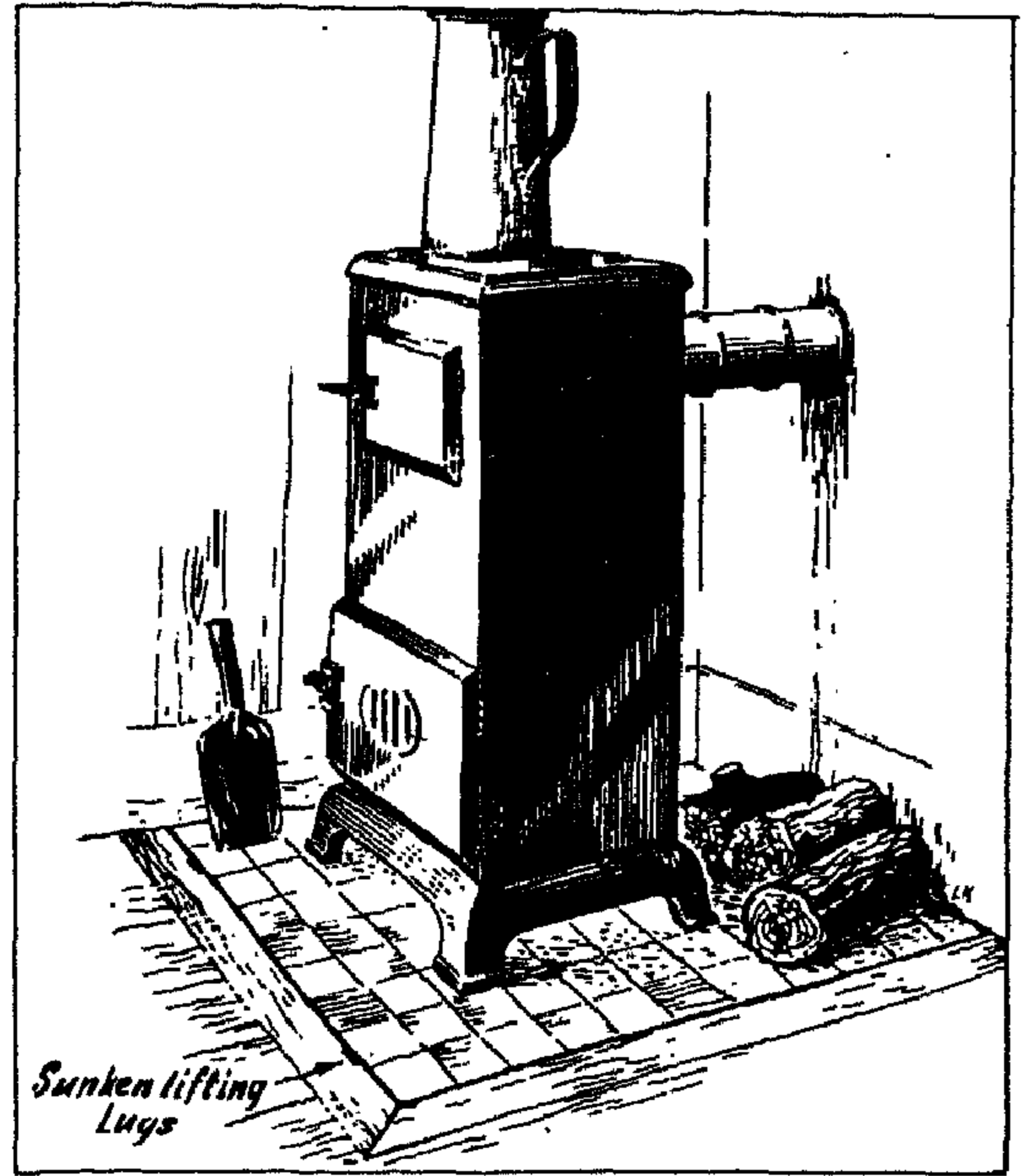
### ٣ حلول

بعد التداول في اقتراحات حل هذه المشكلة اعتمدنا ثلاثة حلول:

● اولاً - الاعتناء بعدد من الحقائق الصغيرة حول تخشياتنا مما يساعدنا على اضافة أية كمية وأي نوع من التراب فوقها من غير ان تثير شكوك الحراس الذين يبدو انهم فسروا سر اهتمامنا المفاجيء بالزراعة شتى التفسيرات ما عدا التفسير الوحيد الصحيح .

● ثانياً - الاكثار من الالعاب الرياضية الجماعية التي تتطلب حركة دائمة كالمصارعة الحرة وكرة السلة الخ... وفي اوقات اللعب كان عدد من زملائنا الذين يرتدون لباساً خاصاً من انتاجنا المحلي (راجع الرسم) يجوبون الملاعب مفرغين كميات إثر كميات من التراب بين أرجل اللاعبين الذين كانوا يلعبون بحماس قل نظيره تماماً كما لو انهم امام آلاف المشاهدين .

● ثالثاً - عندما كانت كميات التراب تزداد اكثر من المعتاد لسبب او لآخر كنا نقتل المشاجرات بين المعتقلين في وسط الملاعب مما يسهل علينا تصريف اطنان اضافية في سرعة، لكن مع ترحيب العدو الضمني بهذه المشاكسات



■ المدخل السري لسوق "هاري": تحت الموقد ص ٢٩٣ - فوق

شكلنا ٣ فرق، كل واحدة منها بقيادة احد الضباط المتخصصين في حفر انفاق الحرية . وشارك في الاعمال المساندة والمكملة لها الخياطون لحياكة ثياب الحفر وملابس الفرار على انواعها، والفنيون والخطاطون لتزوير المستندات واوراق الهوية اضافة الى الخرائط المختلفة . كما وظفنا كل من يتكلم الالمانية بمهمة استمالة الحراس السذج لصرفهم عن تشديد مراقبتنا اثناء الحفر او استخدامهم، عند الحاجة، لجلب ما كان ينقصنا من معدات واغراض لا يمكننا توفيرها بوسائلنا الخاصة . وكان اسلوبنا في استقطاب بعض الحراس الذين كانوا في الواقع يساعدوننا رغماً عنهم، يتلخص في تقديم بعض الهدايا التي تأتينا بواسطة الصليب الاحمر الدولي لهم . وكلما حصل الحارس على هدية جديدة، مخالفاً بالطبع قوانين المعسكر الصارمة في هذا المجال، كلما كانت طلباتنا تزداد . وهو لا يستطيع ان يرفض تلبية اي منها لئلا نفصح مخالفته تلك .

اما المعتقلون الآخرون فكانوا يقومون اما بتصريف التراب المتجمع من عمليات الحفر او بمراقبة تحركات الحراس مراقبة دقيقة الى درجة كنا نحسب انفسنا نحن السجناء وهم المسجونون . وهكذا، وعندما تأكدنا من سلامة جهازنا الامني والخدمات، كان لابد من السير حثيثاً في الحفر . ولكن من اين ننطلق؟ ثغرة صغيرة أهملها العدو كانت مفتاح العملية بأكملها: ففي كل تخشية كانت التجهيزات الخاصة بالموقد على احتكاك مباشر بالارض مما يسمح لنا بالحفر من غير ان نلفت انتباه من يراقبنا من تحت .



فجمعناها مع بعضها البعض وأوصلناها الى داخل النفق من خلال فتحة الموقد نفسها. وبعدما نجحت العملية في صورة افضل مما كنا نتصور عممنا الابتكار على النفقين الآخرين. وكانت لهذا الاختراع فائدة اخرى تتلخص في تأمين استمرار العمل داخل الانفاق من غير حاجة لابقاء المداخل السرية مفتوحة. منذ ذلك الحين بدأ العمل يسير بوتيرة متسارعة، خصوصاً بعدما أضأنا الانفاق اما بخطوط كهربائية مسروقة ومتصلة خلسة بالتيار العمومي للمعسكر، او، في حال انقطاع الكهرباء، بواسطة اناء من التلك مليء بكمية من السمن يطفو عليها فتيل من القماش المتوفر لدينا.

### في الشهر الثاني

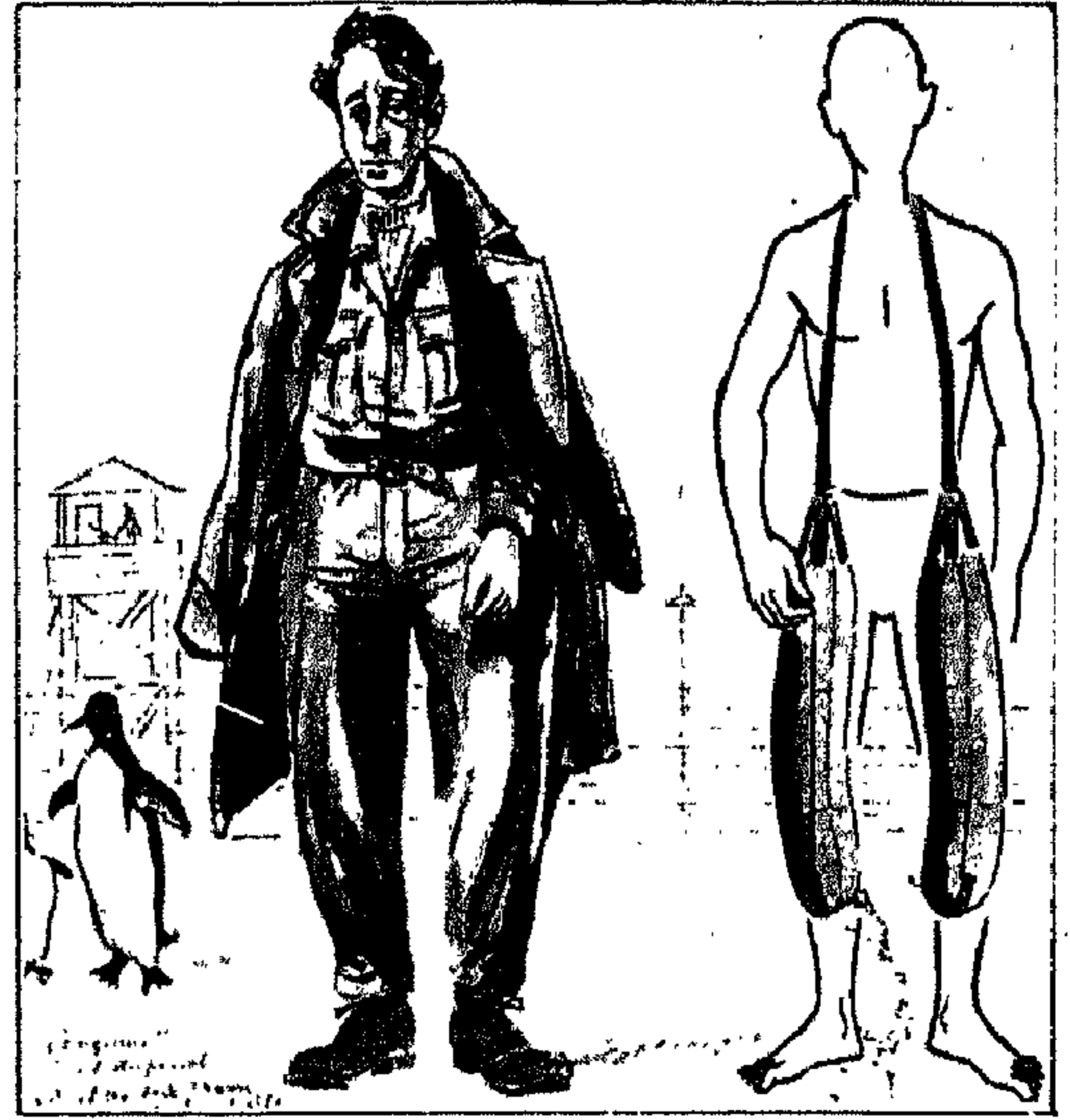
في نهاية ايار دخل العمل شهره الثاني، وقد انجزنا خلاله حوالي ٧٠ قدماً في كل من الانفاق الثلاثة. وفي هذه المناسبة عقدنا اجتماعاً خاصاً تم البحث فيه في المراحل التي قطعنا والخطوات المقبلة. فقررنا التركيز على نفق "توم" لانه اصبح الاقرب الى الغابات. اثر تعميم القرار دب الحماس بين المعتقلين الى حد ان الحفارين كانوا يعملون ساعات اضافية من غير ان يشكوا التعب او التذمر. لكن هذا الحماس لزيادة وتيرة الحفر اعاد طرح مشكلة تصريف التراب الاضافي المستخرج من النفق. ومما عقد الامور اكثر بدء الالمان في بناء ثكنة جديدة، قيل انها ستخصص للمعتقلين الاميركيين وحدهم، وذلك في الموقع نفسه الذي كان من المفروض ان يتنفس منه "توم" عندما تدق ساعة الحرية. وهكذا تشاء الصدق ان يشهد هذا المكان بالذات في آن واحد عمليات قطع اشجار الصنوبر من جهة وعمليات حفر نفق من جهة اخرى.

اذن كنا في سباق مع الزمن... ولكن اين نضع التراب الاضافي؟

في هذه الساعات القليلة كان لا بد لنا من المخاطرة مهما تكن النتائج: لذلك اوقفنا تماماً عملية حفر "ديك" وقررنا تحويل النفق الى مستودع مؤقت للتراب المستخرج من "توم".

وعلى رغم ذلك الاجراء كان التراب يتدفق بلا انقطاع. عندها تمادينا في المجازفة: فأخذنا نخزن التراب في العلب الفارغة المعائدة للصليب الاحمر الدولي والتي كانت متناثرة تحت أسرتنا.

اصبح "توم" على وشك التنفس. لم تبق الا اقدام معدودات، لكن قررنا التمهّل في انجاز المراحل النهائية من الحفر للتأكد من وضع اللمسات الاخيرة على كافة الترتيبات الاخرى المتعلقة بمراحل الفرار واجتياز الحدود... وفي هذه الساعات التي اقتربنا فيها من



■ اللباس الخاص لتسهيل تفريغ التراب المحمول في شكل خفي

الداخلية ظناً منه انها تفسخ الوحدة بيننا، الا ان الهدف الرئيسي لقائد المعسكر كان في تأمين الاستقرار في الداخل، لذلك كان لا يسمح باستمرار المنازعات دوماً.

كانت هذه الاساليب المبتكرة الثلاثة تجعلنا نجيش اكثر من ١٥٠ زميلاً يفرغون اطناناً من التراب في آن واحد في وضوح النهار وامام انظار الحراس النائمة في غير موضعها.

حوالي منتصف ايار ١٩٤٣، وبينما كان العمل جارياً على احسن ما يرام، حصل تشقق في نفق "ديك" سرعان ما تطور في ثوان الى انهيار كبير. هذه الثواني المعدودات كانت كافية لانقاذ الحفارين الثلاثة الذين كانوا يواجهون خطر الاختناق.

وفي الواقع لم نكتشف دقة التنظيم الذي انشأناه وفعاليتته الا بعدما نجحنا في انقاذ زملائنا وبعدما استطعنا اعادة ترتيب اوضاعنا كما كانت قبل حادثة الانهيار من غير ان يلحظ الحراس من فوق او من تحت اي شيء. وهذا ما شجعنا على اعادة حفر "ديك" من جديد ومن غير كلل.

وكلما كان العمل يتقدم تحت الارض كنا نحس بأهمية ابتكار اسلوب تنقية هواء الانفاق بفعالية اكبر من السابق. ولحسن حظنا استطعنا الحصول على مجلة متخصصة في الميكانيك والكهرباء بواسطة احد الحراس السذج. وكم كانت فرحتنا عظيمة عندما قرأنا مقالا يوضح الاساليب الحديثة يومها لابتكار انابيب تنقية هواء المنازل بالوسائل المتوفرة. هذا لو عرف صاحب هذا المقال الخدمة الجلى التي اسداها لمئات المسجونين في احد معسكرات النازيين.

كانت وسائلنا نحن معلبات الحليب المجفف التي كان يرسلها الصليب الاحمر الدولي.

قطف ثمار جهدنا اكتشف الحراس في إحدى غاراتهم، وبالصدفة، سر العلب الفارغة.  
جن جنون قادة المعسكر: أعلنت حال الطوارئ، وبدأت عملية البحث عن "توم".

شاحنات ضخمة محملة بمعدات ثقيلة حضرت خصيصاً للمعسكر أخذت تجوب كل أرجائه بهدف أحداث انهيار في النفق الذي لم يكتشفوه بعد، لكن دون جدوى، وكل ما نجحت هذه الشاحنات في عمله كان تخريب حداثتنا التي كانت تتغذى من "توم".

وكالعادة لم يياس العدو، وبعد يومين من البحث عن النفق في كل زاوية من زوايا تخشباتنا اصطدم أحد الحراس صدفة بالمدخل السري للنفق، كان ذلك نهاية "توم".

ومن غرائب الأمور أن فرحة قادة المعسكر الكبرى في اكتشاف النفق، هذه الفرحة التي لم تكن تعادلها إلا فرحة تجنب استجابات الغيستابو، منعته بل وأنستهم اتخاذ أي عقاب ضدنا.

أما عزائونا نحن فكان "ديك" و"هاري"، لهذا قررنا تكثيف نشاطنا في اتجاههما، لكن تريثنا في المباشرة بالحفر حتى الخريف لتخفيف المراقبة على تحركاتنا والتقليل من غارات التفتيش.

### فترة انتظار

في أثناء انتظار الخريف كان هاجسنا استعادة معنويات المعتقلين التي تأثرت كثيراً بهذه الصدمة الأولى، فاستنفدنا من انتقال الأميركيين إلى معسكرهم الجديد (كان ذلك في أواخر آب ١٩٤٣) لاقامة حفلة وداع عارمة كان سيدها "شبه النبيذ" الذي صنعناه بالوسائل المتوفرة داخل المعسكر.

وعادت حياة السجن الرتيبة تؤرقنا، بقي شهر وأكثر على قدوم الخريف، هل تصمد معنويات الشباب حتى ذلك الوقت؟ كان لابد من القيام بعمل ما لابقاء جذوة الامل فيهم رغم كل الظروف.

وبعد البحث والتداول في الوضع قررنا تنظيم محاولة فرار فوق الارض هذه المرة، وبسبب صعوبة هذه المحاولة كان من الضروري التحضير الدقيق لها.

وكان الشكل المناسب للعملية يستند الى هذه الفرصة الوحيدة التي كانت تتوفر لنا: فبين الحين والآخر كان الحراس يواكبون مجموعة صغيرة من المعتقلين خارج اسوار المعسكر للقيام ببعض اعمال التنظيف.

وبدأنا التخطيط للتنفيذ.

خلال فترة قصيرة استطعنا تقليد بعض البنادق التي تستعمل في المعسكر وصنعناها من خشب مع تمويه الاجزاء التي من المفترض ان تكون من حديد

بـ"دهن اللوز" المخصص لاحتيتنا. حقا لم يكن يميزها شيء عن البنادق الحقيقية. وفي هذا الوقت كان الخياطون ينجزون ٣ بدلات عسكرية لضباط المان على قياس ٣ من زملائنا الذين كان من المقرر ان يقودوا عملية اخراج مجموعة من المعتقلين خارج المعسكر.

في اليوم المحدد تمت المرحلة الاولى من العملية بنجاح: خرج الضباط الثلاثة مع ٢٤ معتقلاً من الباب الرئيسي للمعسكر من غير ان يشك الحراس في امرهم مطلقاً. بعد دقائق من القيام بالاعمال التي يجريها عادة الطابور الحقيقي، نجح ٣ من زملائنا في التسلل داخل الغابة من غير ان يلفتوا انتباه حراس الابراج، واستمرت اعمال التنظيفات الاعتيادية. مرت فترة قصيرة اخرى قبل ان يحاول ٦ معتقلين آخرين الفرار، الا ان محاولتهم اكتشفت.

مرة اخرى أعلنت حال الطوارئ داخل المعسكر وابلغت كافة مراكز الحدود بفرار المعتقلين الثلاثة. ولم تمض ايام قليلة حتى اعيدوا الى المعسكر.

وعلمنا منهم ان احدهم كاد ان يصل الى الحدود السويسرية، بل انه دخل الحدود ثم ضل طريقه وعاد في طريق فرعي ووقع بين ايدي النازيين. اما الاثنان الآخران فاستطاعا الوصول الى مطار صغير للتدريب وصعدا على متن إحدى الطائرات وادارا المحرك لكن مجيء قبطان الطائرة في هذه اللحظة بالذات افسد العملية كلها.

والان... بقي كل املنا في "ديك" و"هاري".

### عمل يومي متواصل

بدأ الحفر من جديد في اوائل ١٩٤٤. وبما ان "ديك" كان مليئاً بالتراب المستخرج سابقاً من "توم"، وبما ان اتجاهه أصبح غير مناسب بعد بناء المعسكر الجديد، لذلك تركز جهدنا على النفق الوحيد الذي ما زال صالحاً: "هاري".

للمرة الاولى منذ تصميمنا على حفر الانفاق خصصنا ٣ فرق للحفر تضم كل واحدة منها ١٠ من افضل الحفارين يعملون ٢٤ ساعة في اليوم، وعلى هذا الاساس كان "هاري" يكبر كل يوم ١٢ قدماً.

في اواخر كانون الثاني وصلنا الى ثلث الطريق اي حوالي ١٠٠ قدم.

كان الحفر يجري بسرعة على رغم الصعوبات الجمة التي كنا نواجهها في ايام الخريف الطويلة هذه: فالانهيارات الجزئية كانت تحصل تقريباً كل يوم او يومين وحالة الحفارين الصحية كانت تزداد سوءاً بسبب الرطوبة الزائدة، انابيب تنقية الهواء لم تكن تلبي على اكمل وجه متطلبات هذا النفق الطويل، خصوصاً بعدما اضعفنا الى شبكة الانارة



# **To all Prisoners of War!**

**The escape from prison camps is no longer a sport!**

Germany has always kept to the Hague Convention and only punished recaptured prisoners of war with minor disciplinary punishment.

Germany will still maintain these principles of international law.

But England has besides fighting at the front in an honest manner instituted an illegal warfare in non combat zones in the form of gangster commandos, terror bandits and sabotage troops even up to the frontiers of Germany.

They say in a captured secret and confidential English military pamphlet,

## **THE HANDBOOK OF MODERN IRREGULAR WARFARE:**

"... the days when we could practise the rules of sportsmanship are over. For the time being, every soldier must be a potential gangster and must be prepared to adopt their methods whenever necessary."

"The sphere of operations should always include the enemy's own country, any occupied territory, and in certain circumstances, such neutral countries as he is using as a source of supply."

*England has with these instructions opened up a non military form of gangster war!*

Germany is determined to safeguard her homeland, and especially her war industry and provisional centres for the fighting fronts. Therefore it has become necessary to create strictly forbidden zones, called death zones, in which all unauthorised trespassers will be immediately shot on sight.

Escaping prisoners of war, entering such death zones, will certainly lose their lives. They are therefore in constant danger of being mistaken for enemy agents or sabotage groups.

**Urgent warning is given against making future escapes!**

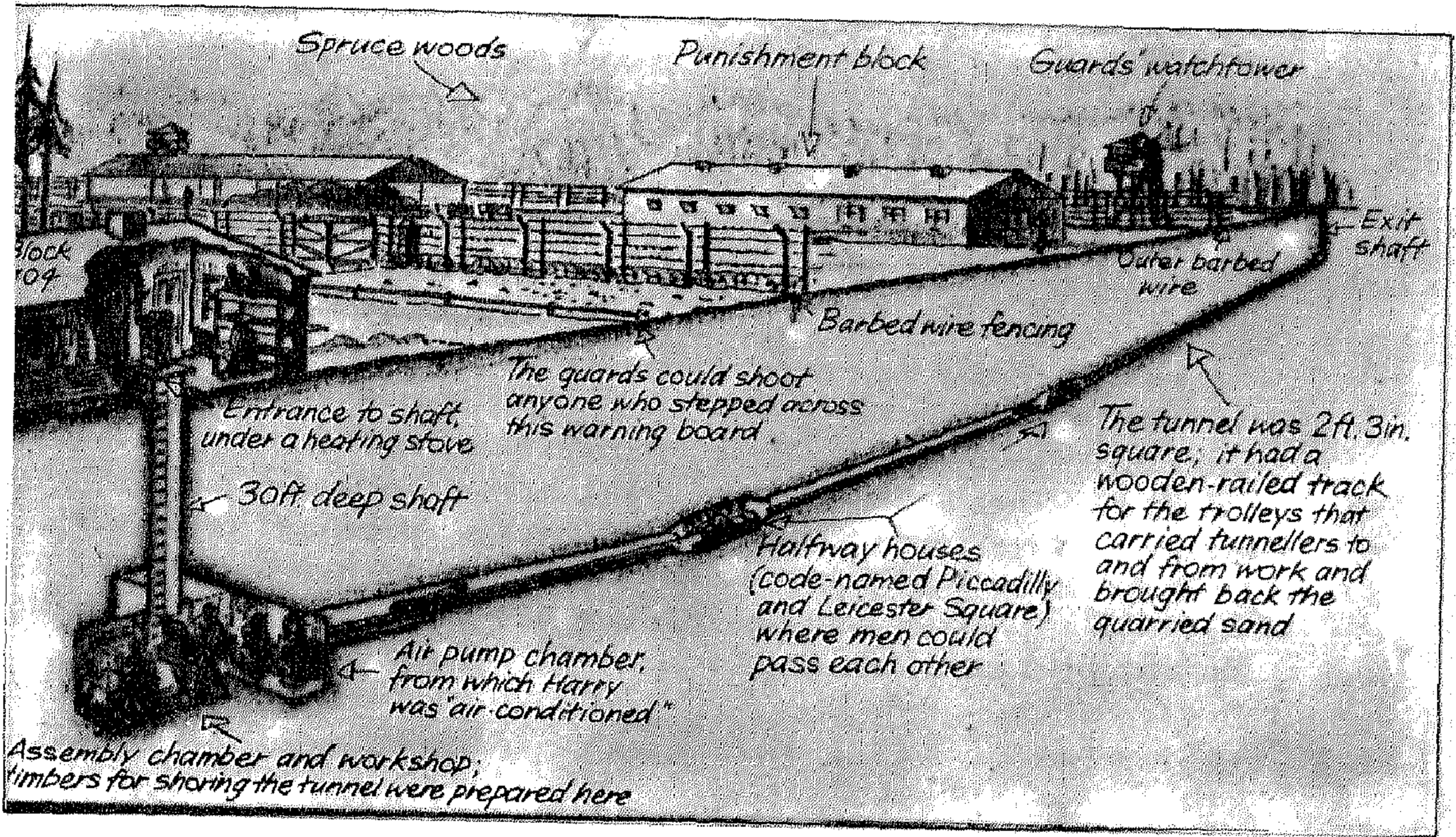
**In plain English: Stay in the camp where you will be safe! Breaking out of it is now a damned dangerous act.**

**The chances of preserving your life are almost nil!**

**All police and military guards have been given the most strict orders to shoot on sight all suspected persons.**

***Escaping from prison camps has ceased to be a sport!***

■ نص البيان الذي وزعه العدو اثر فشل عملية "هاري" وذلك في اطار الحرب النفسية التي كان يشهونها ضد من تبقى على قيد الحياة في المعسكر. ونقرأ في البيان: "الهرب من معسكرات الاعتقال



■ نفق "هاري" عند الاسماء من حفرة. وتنازل بشهادة الجميع في ما بعد اطول نفق للحريد تم حفره خلال الحربين العالميتين الاولى والثانية.

من بين الخمسمائة معتقل الذين شاركوا مباشرة في عمليات الانفاق.

وبدا المحظوظون استعداداتهم ليوم الحرية: منهم من سيكون عاملاً اجنبياً او مدنياً وآخرون سيكونون ضباطاً المان او جنوداً...

حدد خبرنا في الرصد الجوي ليل ٢٤ آذار موعداً للانطلاق وذلك بسبب غياب القمر ووجود رياح قوية في هذا اليوم مما سيسهل عملية الخروج من النفق من جهة، ومن جهة ثانية سيغطي على عملية التنقل داخل "هاري"، هذه العملية التي ربما احدثت بعض الضجيج.

في اليوم المحدد وزعنا المؤن على الفارين تجنباً لاي نقص في التغذية قد يواجهونه في مسيرتهم الطويلة نحو حدود الحرية. وكانت هذه المؤن عبارة عن معلبات من صنعنا تحتوي على خليط مطبوخ من الشوكولا والطحين والبسكويت المدقوق وحبوب الفيتامين المطحونة والشعير والحليب المجفف اضافة الى بعض انواع الفواكه المجففة، طبعاً لم تكن للنكهة اية اهمية لان الاساس كان في توفير قيمة غذائية عالية.

### بدء عملية الهروب

دقت الساعة الثامنة والنصف مساءً. فبدأت دقات قلوب المحظوظين تتسارع.

الكهربائية، بسبب النقص في الاسلاك، معدات الاضاءة البدائية التي كانت تزيد من تصميم جو النفق برائحة السمن المشتعل.

في منتصف شباط انهينا ١٠٠ قدم اخرى، ولحسن حظنا استطعنا يومها الحصول على حوالي ٦٠٠ قدم من الاسلاك الكهربائية من ورشة البناء الجديدة بفضل همة زملائنا العمال.

كنا نقرب شيئاً فشيئاً من النهاية، فازداد حماسنا ونشطت هممتنا واخذ صبرنا ينفذ في بعض الفترات الى درجة ان الحراس بدأوا يشعرون بحصول شيء غير عادي في المعسكر. لذا لم يتوان قائد المعسكر عن القيام باجراء احترازي: فأمر بنقل عدد من زملائنا الى تخايب بعيدة عنا، كان ذلك ضربة قاسية بالنسبة اليها لان الاجراء تناول بالصدفة العديد من رؤساء فرق العمل والامن والتنظيم وبعضاً من انشط الحفارين واقواهم، مما اوجد فراغاً لم نكن نتوقعه.

المهم ان العدو ضرب ضربة عشواء ولم يكتشف حتى الان "هاري" العزيز.

في الثامن من آذار ١٩٤٤ انهينا حفر المئة والعشرين قدماً الاخيرة. وفي ١٤ آذار كان "هاري" جاهزاً لاستقبال ضيوفه.

واستناداً الى حساباتنا المتعلقة بعدد الاشخاص الذين يمكنهم قطع مسافة النفق والخروج منه خلال فترات الليل اخترنا بالقرعة ٢٢٠ سجيناً



نزل اولهم الى النفق وتبعه الثاني  
والثالث والرابع... وكرت المسبحة. بعد دقائق  
توقف الطابور، ماذا جرى؟

كان القلق يزداد داخل النفق وخارجه كلما تأخر  
الجواب. الصمت كان كأن سيد الموقف. فصدر  
الامر من قائد التنظيم بالابلاغ فوراً عن سبب توقف  
الطابور. وجاء الجواب، بعدما تناقلته الالسن  
وكان صاعقة ضربت الجميع: ثغرة "هاري"  
في موقع مكشوف على بعد ١٠ اقدام من الغاية.  
ما العمل؟

الدقائق تحولت الى ساعات مثقلة بهموم لا  
توصف. الرياح تعصف فوق الارض والهواء يزداد  
تلوثاً داخل جوفها وسط عشرات من الرجال بلا حراك  
بين طبقتين سميكتين من التراب. كان  
الجميع مدهوشاً مدعوراً مضطرباً. كيف يمكن تأجيل  
العملية وكل شيء وصل الى نقطة اللارجوع؟ كيف  
يمكن اعادة صنع المستندات واوراق الهوية التي  
ختمت بالتاريخ المناسب ليوم الهروب الكبير؟

اسئلة كثيرة ولا جواب. عندها كان لابد من  
المجازفة مرة اخرى. وصدر الامر بالتقدم بعد تأمين  
المراقبة خارج الثغرة واتخاذ جانب الحذر الشديد  
والتنقل بالسرعة اللازمة.

مرت ساعة كاملة ولم يخرج من جوف "هاري"  
سوى عشرون شخصاً فقط. ولم تكن تنقصنا خلال  
تلك الدقائق الرهيبة الا انهيارات جزئية كانت  
تحصل هنا وهناك مما كان يسبب لنا تأخيراً اضافياً  
في كل مرة.

في منتصف الليل تماماً دقت صفارات الانذار  
داخل المعسكر واطفئت الانوار. كان ذلك انذاراً  
بحصول غارات جوية من قبل الحلفاء على  
المدن الالمانية. كنا نسمع من بعيد هدير القنابل  
المتساقطة فوق برلين. للمرة الاولى لم يفرحنا  
ذلك كثيراً لانه كان يعيق عملية استراتيجية ربما  
كانت بالاهمية نفسها لعمليات الاغارة تلك. على  
رغم ذلك استمر "هاري" في ابتلاع ضيوفه ولفظهم  
الى الخارج.

في الخامسة بدأ الفجر يلوح في الافق. حينئذ  
قررنا قطع عملية الفرار لافساح المجال  
امام المحظوظين الذين يقطعون الآن الاميال بعيداً  
عن المعسكر وللاقترب اكثر فأكثر من حدود الحرية  
قبل ان يكتشف امرهم عند التعداد الصباحي  
الروتيني.

لم يبق داخل النفق الا ٣ فارين ينتظرون دورهم  
قبل ان نحيل "هاري" على التقاعد. خرج واحد  
منهم، لكن الثاني لم ينجح في تجنب انظار  
الحراس. وبقي الثالث داخل النفق وكأنه استقر  
فيه الى الابد لا يستطيع حراكاً.

... وهكذا اكتشف امرنا وامر "هاري" في  
اللحظة الاخيرة التي كان سيسجل فيها التاريخ  
اروع عملية فرار من معسكر اعتقال حربي نازي

وادقها تنظيماً وتنفيذاً... في هذه الدقائق الحرجة  
لم تكن نأسف الا على شيء واحد: عدم تمكننا من  
اعطاء زملائنا في الخارج وقتاً اكبر للابتعاد ما امكن  
عن المعسكر. وكان اسقنا في محله اذ انه لم يمض  
يومان الا وكان معظم الفارين قد اعيدوا الى  
المعسكر بعد اكبر حملة مطاردة جرت في المانيا  
النازية خلال ايام الحرب العالمية الثانية.

### مصير الفارين

في كل يوم يمر - وكم كانت الساعات طويلة  
ومثقلة حينها، خصوصاً في اوقات العقوبات  
القاسية بحقنا باشراف خبراء الغيستابو - كانت  
تردنا اخبار اعتقال المزيد من زملائنا الفارين  
واعدام البعض منهم، وذلك كان يشكل خرقاً فاضحاً  
لاتفاقيات جنيف حول معاملة اسرى الحرب.

وحين كنا نجلس نتذكر ايام "توم" و"ديك"  
و"هاري" التاريخية كانت اخبار اعدام المزيد من  
الزملاء تنغص علينا حتى جو الذكريات المستعادة  
بصعوبة هرباً من ضغط الحاضر المرير. وكان البريد  
الذي يصلنا بواسطة الصليب الاحمر الدولي لا يحمل  
الا اخبار الفواجع التي حلت برفاقنا مصحوبة في  
الوقت نفسه بالانباء السارة عن تراجع الجيش  
المتلري من هذه الجبهة او تلك.

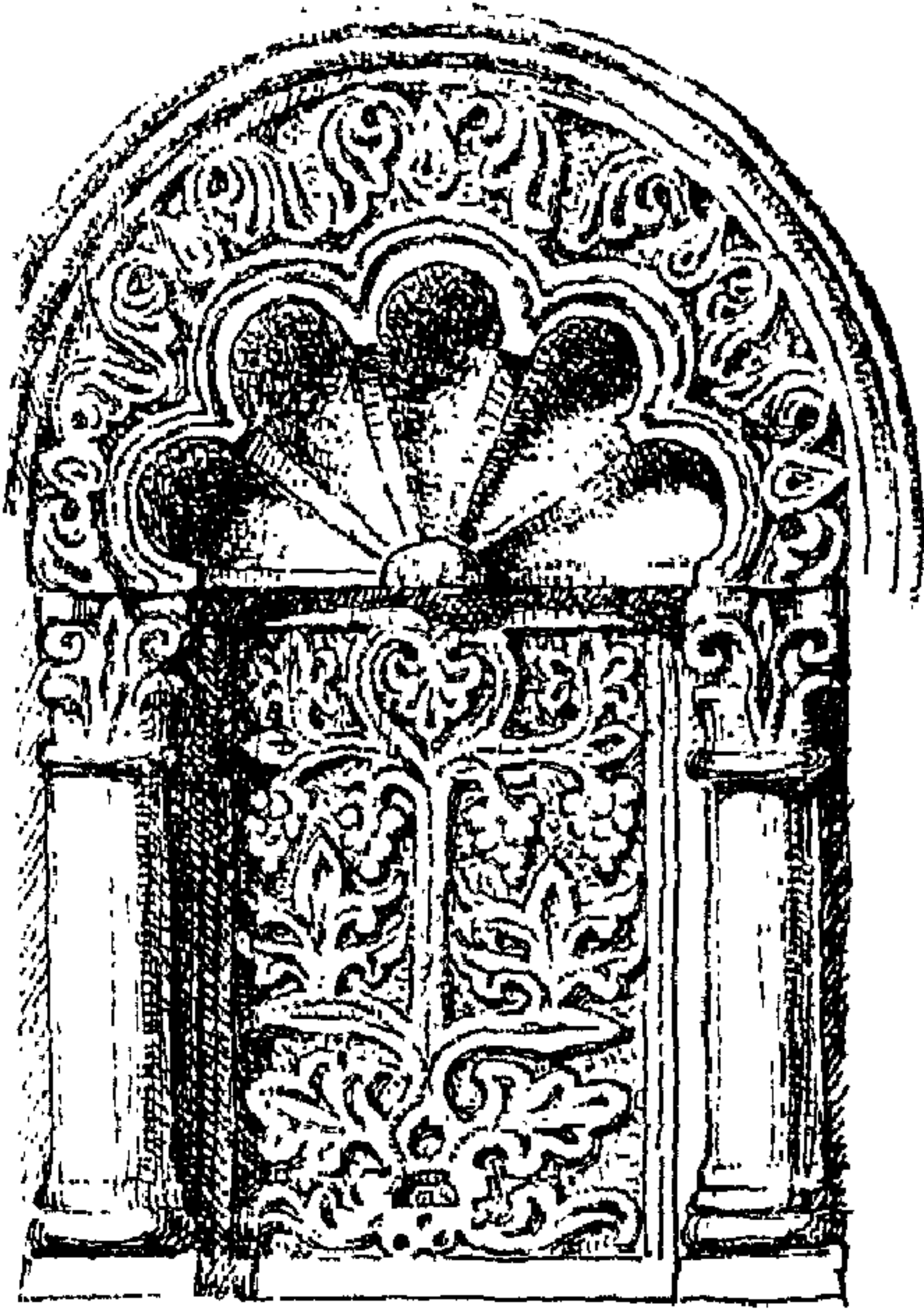
وفي احد ايام حزيران ١٩٤٤ وصلتنا  
رسالة مكتوبة باللغة الاسبانية بتوقيع لم نعرفه في  
باديء الامر. لكن سرعان ما علت الابتسامة التي  
كدنا ان ننساها. فجمعنا الزملاء جماعات جماعات  
واخبرناهم بالنبا السعيد: ان احد الفارين وهو طيار  
هولندي استطاع الوصول سالماً الى بريطانيا.

بعد ايام وصلتنا رسالة اخرى من السويد كتبها  
اثنان من الضباط النرويجيين الذين شاركوا في  
عملية "هاري".

هذا كل ما علمناه ونحن داخل المعسكر: فقط ٣  
محظوظين كانوا حقاً محظوظين.

... وعاد النشاط يدب فينا من جديد.  
اعدنا تنظيم «X» وبدأنا فوراً العمل بنفق  
"جورج". التكتيك نفسه والحيل نفسها والروتين  
نفسه.

ولم تمض اسابيع قليلة الا وكنا قد خرجنا كلنا من  
المعسكر سالمين، هذه المرة من الباب الرئيسي  
الكبير وفي وضوح النهار: فالجيش الاحمر لم يكن  
يبعد عن المعسكر اكثر من ٣٠ ميلاً. لذلك تم نقلنا  
مشياً على الاقدام وبحراسة مشددة داخل المانيا  
حتى وصلنا منهكين بعد اسابيع عديدة الى معسكر  
في لوبيك، وهو مرفأ قرب بحر البلطيق. وفي  
الثاني من ايار ١٩٤٥ دخلت دبابات الجيش  
البريطاني الثاني مدينة لوبيك، فاطلق سراخنا ■



مَدْرَسَةُ الْفُرْقَانِ

بِإِثْنِ عَشَرَ مِائَةً وَخَمْسِينَ

وَسِتِّ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ

د. محمد أبو الفوارس



## من هو أبو الفرج؟! (١)

الكلام عن المؤلف هنا هو المدخل الهام للتعرف على الكتاب في مادته وطريقته. وهذا الرجل هو: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي.

ومن هذه السلسلة نرى أن نسبه ينتهي إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. وقد ولد أبو الفرج سنة ٢٨٤، وتوفي على أرجح الآراء سنة نيف وستين وثلاثمائة. ويذهب كثرة من الباحثين والدراسين إلى أنه ولد بأصبهان ونشأ وتربى ببغداد ولكن مولده بأصبهان ليس موضع اتفاق... وتعجيني في هذا السياق المناقشة التاريخية الدقيقة العالمة التي قدمها الدكتور محمد أحمد خلف الله في كتابه "صاحب الأغاني" وهي تكشف بوضوح أن أسرتي أبي الفرج من جهة أبيه وأمه كانتا تقيمان بمدينة "سر من رأى" وهناك أخبار تعارض القول بأن الأسرتين كانتا معا في أصبهان. أما لقب الأصبهاني في أسم الرجل فمرجه أن أبا الفرج قد ورث هذا اللقب عن الأسرة، خاصة وأن هذا اللقب كان يعرف به عمه وأبن عمه وجده وكذلك والده. ومرجع علاقة الأسرة بأصبهان يتبينه الباحث عندما يعرف أن أصبهان كانت من المواطن التي استقر فيها بعض الأمويين من نسل الخلفاء عند اضطهاد الدولة وبعد انحلالها، وأنها أيضا كانت من المواطن التي لاهلها تعلق بالأمويين ومحبة لهم.

أما مدينة "سر من رأى" فكانت أسرة أبيه من أوائل الأسر التي عمرتها، وكان يحيى بن محمد بن ثوابه جد أبي الفرج لأمه واحداً من الكتاب بهاء وهكذا كانت أسرتنا الأب والام معا في "سر من رأى" وقد جاءت أسرة الأب من أصبهان، ولكن أسرة الأم جاءت من قرية النيل التي ذكرها البحتري في هجائه لآل ثوابه. وفي "سر من رأى" كانت المصاهرة وكان ميلاد أبي الفرج...

ولا عجب في أن المولود الجديد "سر من رأى" يكون مؤرخ الغناء في كتابه "الأغاني" فقد كانت هذه المدينة تزخر بحركة غنائية شديدة حتى كان الناس بها أحزاباً في هوى الغناء وأهلهم فمنهم من يتعصب "لعريب" ومنهم من يفضل "شاريه" ولكن الغناء في عصر أبي الفرج كان قد تحول مع الخلفاء والوزراء والكتاب إلى بغداد.

أما موطن النشأة والتربية الأولى فكان الكوفة، وفيها كان محمد بن الحسين الكندي خطيب مسجد القادسية كما يصفه أبو الفرج في كتابه "الأغاني" مؤدياً ومعلماً له، ومما تبغي العناية بالإشارة إليه هنا أن كتاب أبي الفرج

■ يعجب مؤرخ الحياة الفكرية والثقافية في تاريخ العربية كيف أنها تميزت بهذا الصبر المعجب وتلك الأحاظ الواسعة عندما عرضت لتراثها تجمعه وتقدمه لقرائها.

ولا ينفد عجبه من كثرة ما يرى من صبر على الجمع والتقصي تارة، وعلى التحقيق والتدقيق أخرى...

والكتاب موضوع هذا المقال يعد أضخم موسوعة "خبرية" روى فيها مؤلفها من الأخبار ما لا يدخل تحت حصر في ما قصد إليه من موضوع كتابه، وشغل هذا الرجل بموسوعته تاريخ أداب العربية ربما على نحو لا يشاركه فيه إنسان آخر.

وحسبنا قبل البحث والدرس أن نقدم شذرات مما حفظه التاريخ لنا عن هذا الكتاب القيم:

يقال أن أبا الفرج أهدى نسخة كتابه "الأغاني" إلى سيف الدولة بن حمدان فكافأه سيف الدولة عنها بألف دينار، وبلغ ذلك الصاحب بن عباد فقال: "لقد قصر سيف الدولة، وأنه ليستحق أضاعفها إذ كان مشحوناً بالمحاسن المنتجة والفقر الغريبة، فهو للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة وللكتاب والمتأدب بضاعة وتجارة... ولقد اشتملت خزانتي على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميري غيره، ولقد عنيت بامتحانه في أخبار العرب وغيرهم... ففاز بالسبق في جمعه وحسن وضعه وتأليفه".

وابن خلكان يحكى أن الصاحب بن عباد كان يستصحب في أسفاره حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب فلما وصل إليه كتاب "الأغاني" لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه به عما سواه.

ويقول أبو القاسم عبد العزيز يوسف كاتب عضد الدولة: "لم يكن كتاب "الأغاني" يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره".

ويقول ياقوت الحموي: "ولعمري أن هذا الكتاب جم الفوائد عظيم العلم جامع بين الجد والبحث والمهزل والنحت ومن أدراك قيمة هذا الكتاب، رغب بل تسابق القادرين من أهل العلم والحكام في اقتنائه ونسخه".

يقول ياقوت الحموي: "قرأت على ظهر جزء من نسخة لكتاب "الأغاني" لأبي الفرج حمدان ابن عروس الموصلية وكان المترسل بين عز الدولة وبين أبي تغلب بن ناصر الدولة وكان يخلف أبا تغلب بالحضرة قال: كتب أبو تغلب يأمر بابتياح كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني، فابتعته بعشرة آلاف درهم، فلما حملته إليه وقف عليه ورأى عظمة وجلالة ما حوى قال: لقد ظلم وراقه المسكين وأنه ليساوي عندي عشرة آلاف دينار، ولو فقد لما قدرت عليه الملوك إلا بالبرغائب... وأمر أن تكتب له نسخة أخرى يخلد عليها اسمه".





■ كتاب "الأغاني" لابي الفرج الاصفهاني امير في جلسة طرب . مكتبة فيض الله باستنبول . كتاب تاريخ فن التصوير الاسلامي الديني والعربي للدكتور ثروت عكاشة ص ٣١٠ .



من هذه الصلة الوثيقة لابي الفرج بفن الغناء وما يتصل به من لهو ومتعة كانت ثقافته الموسيقية الواسعة وكانت عنايته بالتأليف عن الغناء والمغنين وكان من اعظم ثماره في هذا السبيل كتابه "الاغاني".

## الكتاب ونظرات حوله

### (1) موضوع الكتاب

يؤرخ هذا الكتاب عن طريق الرواية وحشد الاخبار للشعر العربي الذي غناه المغنون قديما وحديثا مع العناية بنسبة كل شعر الى صاحبه وصانع لحنه وبيان طريقته من الايقاع والاصبع الذي نسب اليه ولون الطريقة ونوع الصوت، وما يتصل بذلك كله من اشتراك المغنين.

وأساس الغناء المختار هو المائة صوت التي اختارها ابراهيم الموصلي للخليفة هارون الرشيد، وزاد أبو الفرج من باب الاستطراد في العرض غيرها مما ليس منها منبها الى ذلك بذكر الاصوات وما عرض لها، وشرح أبعادها شرحا يعتمد فيه على الاصطلاح الفني المعروف في عصره بما يدل دلالة واضحة على أن أبا الفرج متبحر في دراسة أصوات الموسيقى عالم بطرائقها القديمة والحديثة.

ثم حشد تبعا لذكر الاصوات كل ما يتصل بأخبار المغنين والشعراء والملوك والسوقة دون الوقوف عند أبعاد الموسيقى والغناء، ولذا جاء كتابه حافلا بأخبار الشعراء والادباء والكتاب والوزراء والعلماء والسوقة، موضحا من خلال الاخبار المتنوعة أبعاد الحيات الاجتماعية والسياسية والثقافية على كل مستوى ارتفع أو هبط.

ولذا كان كتاب الاغاني موسوعة في اخبار الادب العربي، والحياة العربية، وان كان الباحث دائما يتحرى الصواب في ما يأخذ ويدع، ولكن أبا الفرج أمده بالاخبار كلها حتى ما كان يراه هو نفسه مكذوبا.

وأساس التقسيم عند أبي الفرج يقوم على الاصوات وليس على الاشخاص ولكنه بعد الكلام عن الاصوات يتبع ذلك اخبار الشاعر الذي قال الشعر والمغني الذي غنى الصوت أو الملحن المختار دون قاعدة فنية أو تاريخية في عرض وتصنيف الغناء أو الاصوات.

وأبو الفرج يدرك منذ البداية منزعه في ترتيب الكتاب وأنه على غير قاعدة فنية أو تاريخية، ويشرح هذا المسلك ويدافع عنه حيث يقول: "ولعل من يتصفح ذلك ينكر تركنا تصنيفه ابوابا على طرائق الغناء أو على طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبهم أو على ما غنى به من شعر شاعر والباعث على ما نحوناه عل".

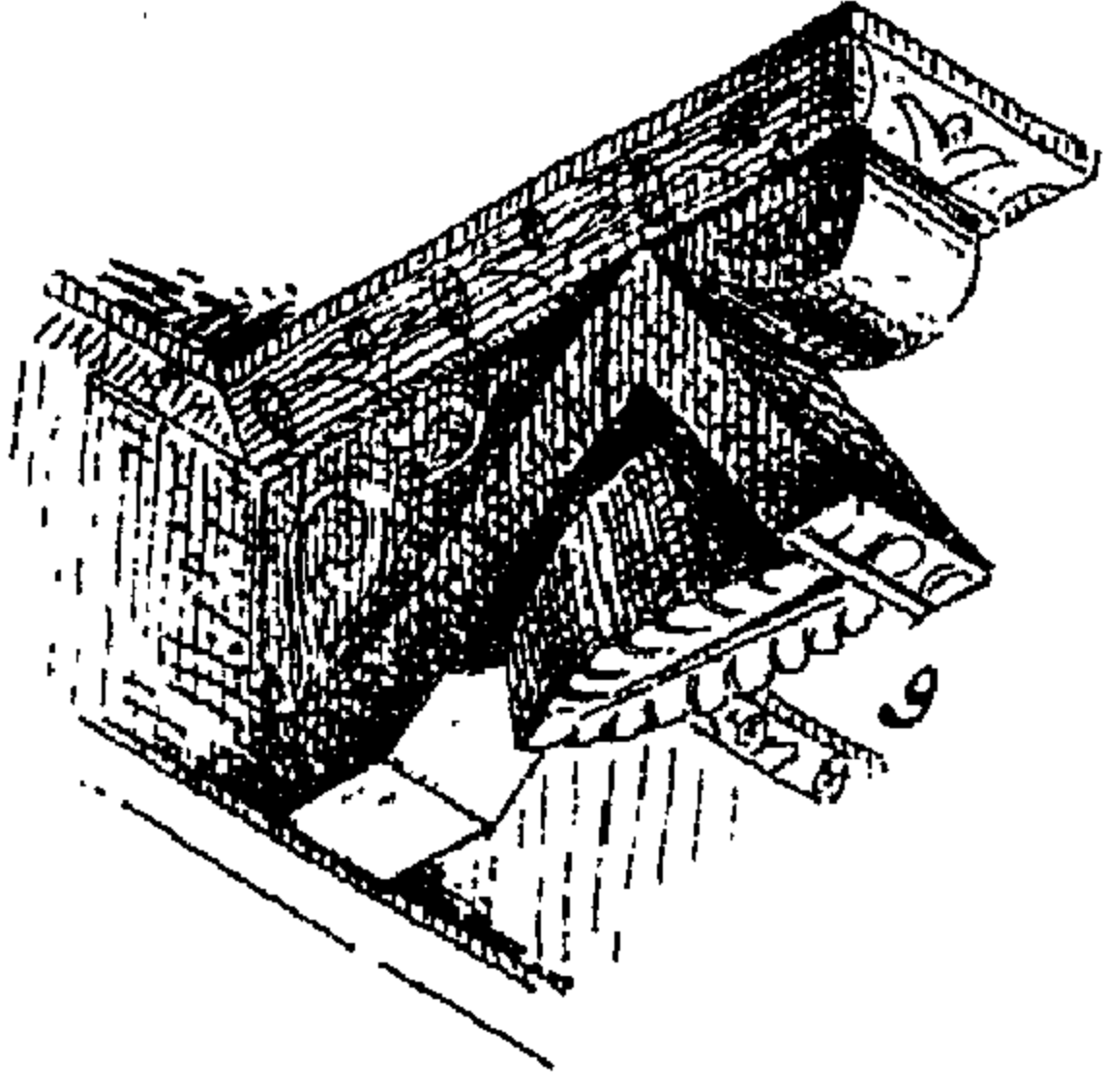
"مقاتل الطالبين" انما يعتمد على ثقافته الكوفية، وأبو الفرج يأخذ فيه عن شيوخ الكوفيين من أمثال احمد بن محمد بن سعيد الهمداني، ومحمد بن الحسين الكندي وعلي بن العباس المقافعي، والبلخي وغيرهم.

واذا عرفنا ان أبا الفرج قد اخرج كتابه "مقاتل الطالبين" سنة ٣١٣ هـ كما ينص هو في مقدمته، عرفنا ان تحوله عن الكوفة الى بغداد ربما كان بعد ذلك وربما كان بين سنة ٣٠٠ وسنة ٣١٣ كما يستفاد من سياق آخر، ولا عجب ان نجد هذا الاموي يؤلف عن الطالبين كتابه ويتعاطف معهم، لان الحب نشأ بين الامويين والطالبين بفعل التحن السياسية التي جمعت بينهما بما فيها كراهية العباسيين ومظالمهم للاسترتين. مع ملاحظة ان أبا الفرج كان قد ورث تشييعه عن أسرته لأمه تلك الاسرة التي ذللها الاضطهاد، وعلى أية حال فان تشييعه تشيع العقائدي المناضل لبل تشيع الميل الموروث في أسرة أبيه والهوى الغالب في أسرة أمه.

وينبغي الا يغيب عن الذهن هنا ان الكوفة كانت آنذاك بيئة المجان والخلعاء من المغنين والشعراء وأن الغناء قد استقر بها قبل أن يستقر ببغداد، والكوفة قامت في موقع تلم به الاديرة من كل جانب ومن ثم كان الخمارون والخمارات وما الى ذلك من لهو وعبث وزندقة وقد عنى اسحق الموصلي في كتابه عن الموسيقى بأحاديث قيان الحجاز والكوفة، وكان عمر بن أبي ربيعة يلح بها ليسمع غناء جارييتين ممتازتين في الغناء، والقصد من توضيح هذه الناحية عن بيئة الكوفة القول بأن أبا الفرج قد تأثر بهذه البيئة تأثراً كبيراً في ما يتصل بالمجانة والعناية بفن الغناء.

أما حياته ببغداد فكانت كما يشير هو في "الاغاني" أنها كانت بعد سنة ثلاثمائة حيث يقول في ترجمته لابي شراعه: "وأبو فياض بن أبي شراعه أحد الشعراء والرواة قدم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلاثمائة فكتب عنه أصحابنا... وفاتني فلم القه...". وكما سبق القول لعل الرحلة اليها بعد سنة ٣١٣ أو قبلها.

والى جانب الحياة العلمية المتنوعة ببغداد التي أمدت أبا الفرج بثقافة واسعة تأخذ من كل فن بطرف حيث نراه يتردد على شيوخ المحدثين واللغويين والكتاب والشعراء والاخباريين والوراقين يهمننا بصفة خاصة النص على أنه تأثر كثيرا بما يجري في مدارس المغنين والندماء والجلساء، و أي مدارس تلك التي تأثر بها، انها ساحات الدور والقصور لدى الخلفاء، والوزراء والاثرياء، وكذلك بيوت من اتخذ تربية المغنين والمغنيات والقيان صناعة وتجارة أو فناً وهواية وصاحب "الاغاني" يروي لنا طرفا من ذلك في مواطن شتى.



ويبدو هنا إمران: أولهما ان الوزير المهلبى هو ذلك الرئيس الذي طلب الى أبي الفرج تأليف ذلك الكتاب فاذا أضيف الى ذلك عناية أبي الفرج بذكر أخبار المجانة والاسراف فيها فان ذلك بغير شك مما يرضى ذوق المهلبى ومزاجه، وكذلك أذواق أصحاب أبي الفرج من بطانة المهلبى كالقاضي الايدجى والقاضي التنوخي، وهو في الوقت نفسه يرضى أذواق الطبقة المترفة التي دانت بحياة اللهو والمتعة وهكذا تكشف لنا مادة الكتاب صلته بمزاج مؤلفه ومزاج من يجزونه عنه ويثيبنه عليه، وتلك ظاهرة لا يخلو منها عصر من العصور.

وثاني الامرين: ان نوع المادة وطريقة عرضها يوضحان طبيعة المزاج الثقافي والعلمي الذي غلب على شخصية ابي الفرج وهي شخصية الراوي وليست المؤرخ، الراوي الذي يجمع لك ما يتصل بالموقف أو الشخص أو المناسبة، وهو يقص عليك كل ما قيل حتى لو كان يرى أو يعتقد كذب ما يروييه وقد ينبهك اليه أو يقيم الدليل على فساده، ولكنه في النهاية يذكر لك كل شيء لتعرف وتمحص وتختر وتكون على علم بكل مكذوب على الموقف أو المناسبة أو الشخص، وهذه الظاهرة ظاهرة الرواية والتجميع تدلنا على المزاج العلمي واللون الثقافي الغالب على شخصية أبي الفرج.

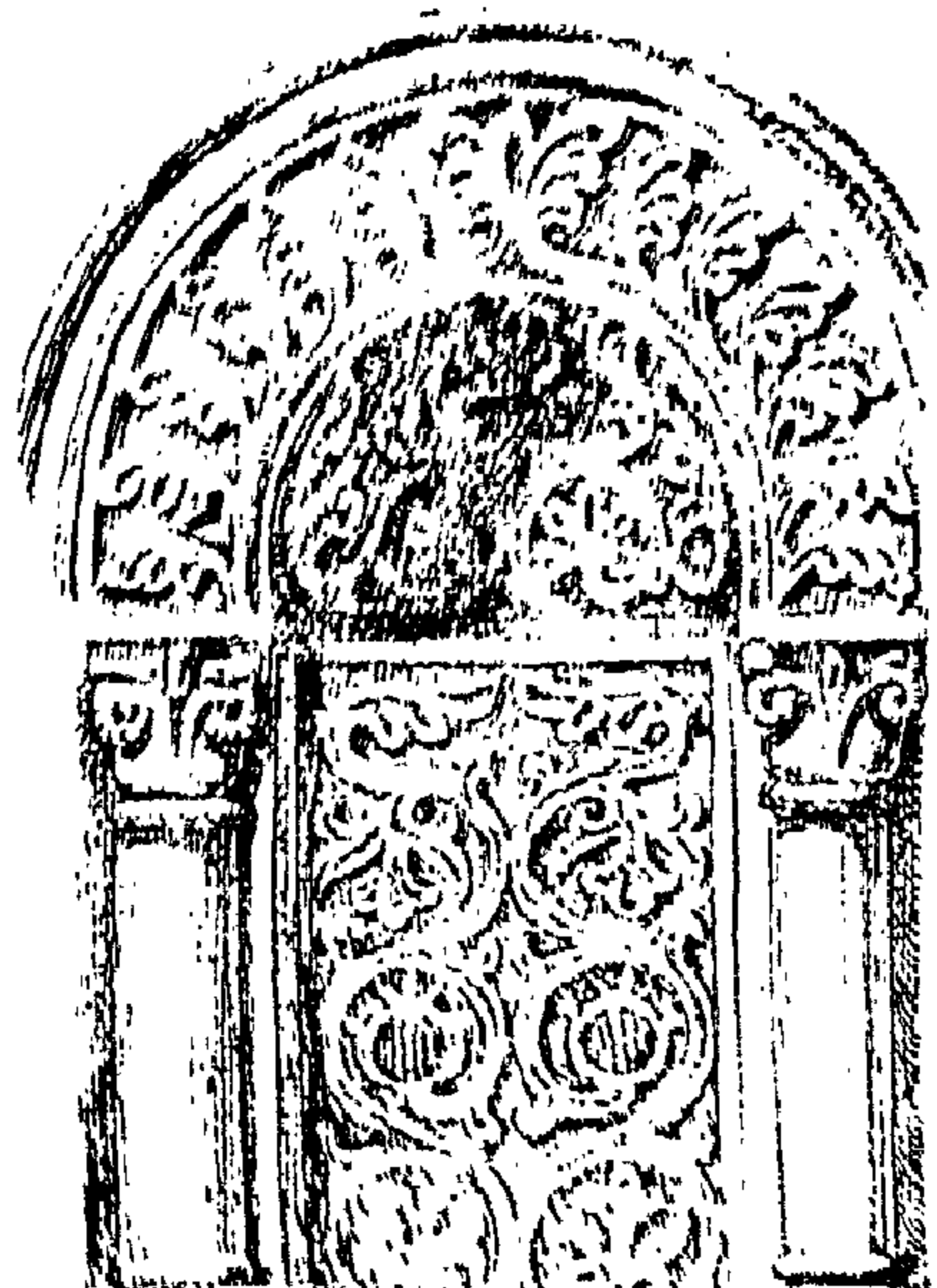
### (٣) ابرز الملاحظات حول الكتاب

(١) لقد نص أبو الفرج عندما حدثنا عن الاسباب التي جعلته يعرض الكتاب على اساس الاصوات دون اساس فني في التقديم والتأخير، ودون اساس تاريخي بالنسبة للشعراء والمغنين، على ان ذلك انساب وايسر واشهى للقارىء حتى لا يسأم الاطالة وكثرة الحشو في الكلام عن الشخص الواحد أو الصوت الواحد.

وأخذ في تعداد بعضها، وأهمها: أن الاصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين وحينئذ فلا مفهوم للعرض التاريخي الذي يحفظ للسابق سبقه، ومنها ان "الاغاني" قلما يأتي منها شيء ليس فيه اشتراك بين المغنين في طرائق مختلفة لا يمكن معها ترتيبها على الطرائق أو الاسس الفنية، وهو يرى في الوقت نفسه لو انه التزم أخبار الصوت الواحد وما غنى فيه وما يتعلق به من أخبار لطال الموقف وسئم منه القارىء، وكذلك لو وقف عند جميع ما غنى به من شعر الشاعر الواحد السياق الواحد، أو كما تقول عبارته: "فلو أتينا بما غنى به من شعر شاعر منهم ولم نتجاوزه حتى نفرغ منه لجرى هذا المجرى، وكانت للنفس عنه نبوة، وللقلب منه ملة وفي طبع البشر محبة الانتقال من شيء الى شيء... وإذا كان هذا فما رتبناه أحلى وأحسن ليكون القارىء له بانتقاله من خبر الى غيره ومن قصة الى سواها ومن أخبار قديمة الى محدثه ومليك الى سوقه وجد الى هزل وأنشط لقراءته وأشهى لتصفح فنونه لا سيما والذي ضمناه اياه أحسن جنسه وصفو ما ألف في بابه ولباب ما جمع في معناه".

### علاقة الكتاب بمكان مؤلفه في مجتمعه

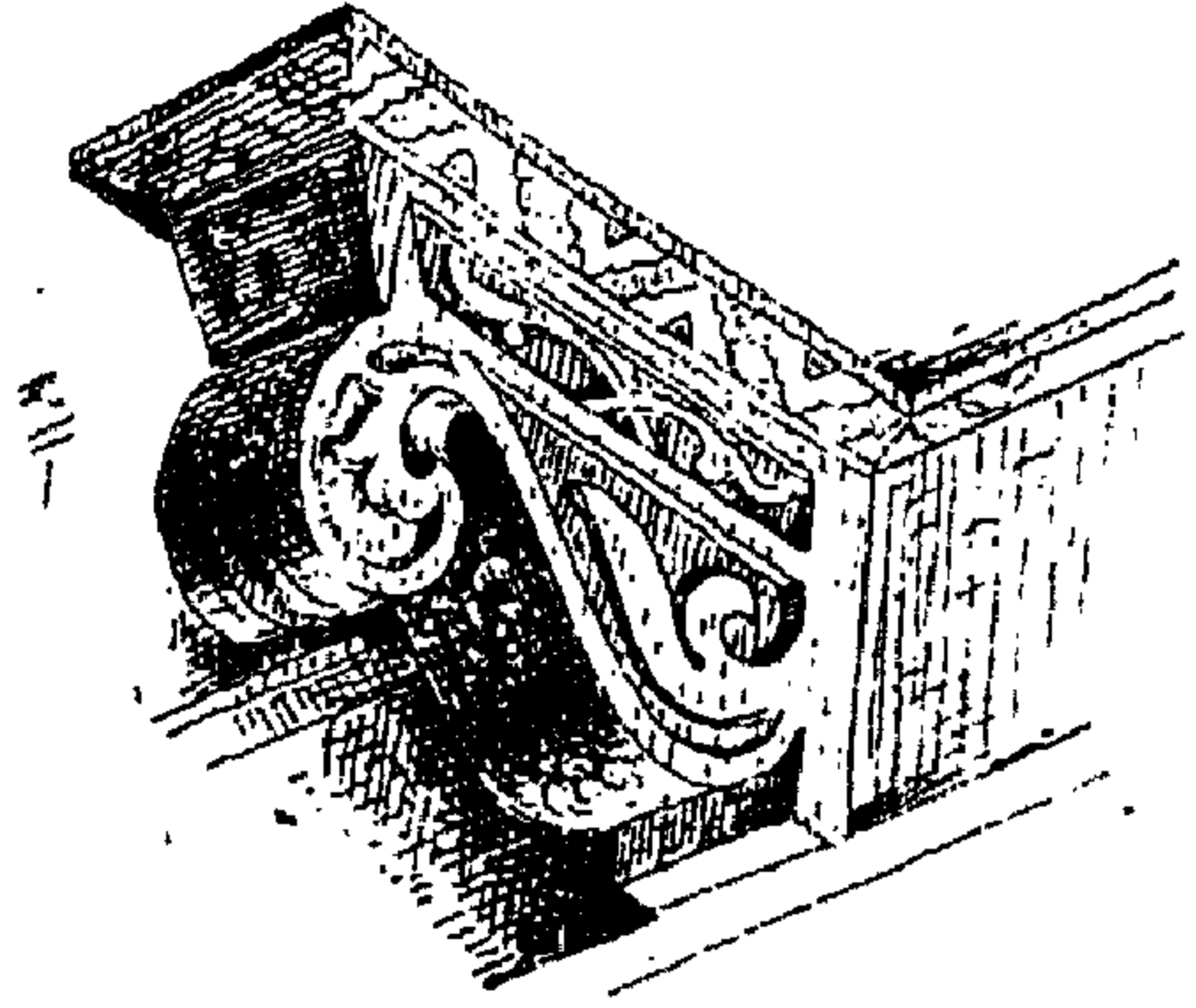
يحدد أبو الفرج الباعث له على تأليف هذا الكتاب فيقول: "والذي بعثني على تأليفه ان رئيساً من رؤسائنا كلّفني جمعه، وعرفني أن الكتاب المنسوب الى أسحاق مدفوع أن يكون من تأليفه وهو مع ذلك قليل الفائدة... ويروي أبو الفرج في ذلك اسانيد وروايات تؤكد أن للكتاب المنسوب الى أسحاق الموصلي ليس له".







■ الصورة نفسها ولكن وجه الامير يبدو بارزاً.



لان المادة التي يقدمها تصور كل شيء حقا كان أو باطلا حول الخبر أو الموقف أو الشخص فتكشف عن حظه مما كان ومما قيل .

ثانيا: بلغ من ولع أبي الفرج بالحرص على تسجيل كل ما يتعلق بالخبر من روايات وأخبار وتعليقات أنه طلب الى النساخ اكمال او اثبات ما وصل اليهم ان لم يكن قد وصل اليه، وهو في ذلك حريص على دعم مادة الكتاب طبقا لمنهجه وخطته، ولكن خطر هذه الفكرة انه ربما زور النساخ او أخطأوا عند الاضافة ولم يفعلوا ما يطابق مراده، وقد يضيفون بغير اشارة منهم الى ان هذا من صنعهم، ويبدو ان الذي تعرض له الكتاب من هذا القبيل قليل غير مؤثر .

ثالثا: طبيعة التوثيق عند أبي الفرج وكذلك التعليقات التي يدلي بها حول الخبر او النص تجعل أبا الفرج صاحب منهج في التوثيق والنقد والبصر العلمي بما يقوله ويرويه .

وهنا نلاحظ جملة أمور تلفت نظر القارئ للكتاب:

كان أبو الفرج يروي النصوص الشعرية بالفاظها اذا لم تكن غناء فاذا كانت غناء رواها كما غنيت حيث كان المغني يغير بعض الكلمات او تغير له .

كان أبو الفرج اذا نقل من كتاب يحرص على الالفاظ والمعاني، وفي روايته عن الشيوخ أو في روايته خبرا مفردا كان يلتزم نفس القاعدة، وقد راجع عليه الدكتور محمد احمد خلف الله - في بحثه القيم "صاحب الاغاني" - كثيرا من النصوص المنقولة او المنسوبة الى الشيوخ فوجده يلتزم اللفظ والمعنى، وهو في احايين اخرى كان يذكر الاخبار مختصرة وبألفاظ من عنده وينص على كمال المعنى وينبه القارئ الى ذلك كله .

ويتصل بما نحن فيه تعليقات أبي الفرج على خطأ الفكرة او الخبر او الرواية بالدليل التاريخي فضلا عن جانب الثقة بالرواة او الشك فيهم، وكثيرا ما يعتمد على وسائل البحث والنظر العقلي، ومقتضيات العصر والبيئة، وكل ذلك يدل على انه صاحب بصر بالنقد التاريخي، وذلك أمر ليس بالكثير على رجل اتسعت حياته لهذه الموسوعة الضخمة في تراث العربية فضلا عن غيرها من المؤلفات الاخرى .

وكثيرا ما يعتمد في النقد التاريخي على الدراسة الفنية وهذا موقف لا يستغرب من اديب ذواقه اذ الاعتماد عليه في اثبات الخبر او النص او رده تقدم يحسب له في ميزان البصر الفني والتحليل التاريخي ايضا ولكن كل هذه السمات لا تنقل الرجل من مصاف الرواة الى مصاف المؤرخين بل هي حقه يضاف اليه ويعرف به مكانه بين الرواة . ■

ويلزم من هذا بالضرورة ان أبا الفرج يعرض حياة الاشخاص في مناسبات مبعثرة فهو يجزىء ما يروي عن الشخص الواحد لان الشاعر الواحد قد يؤخذ من شعره اكثر من قطعة للغناء واكثر من صوت، وما دامت الاصوات هي الاساس في العرض فأن أبا الفرج بالضرورة سيذكر مع كل صوت ما يلائمه من الاخبار ولذا نراه ترجم لبعض الشعراء في اكثر من مناسبة واكثر من موضع .

ويلزم من هذا العيب التكرار بالضرورة لان الصوت الواحد تتصل اخباره بكثير من المغنين والشعراء والامراء وغيرهم، وبالتالي فأن أبا الفرج يعود الى الكلام عن الشخص او الموقف كلما جاءت مناسبة مع كل صوت .

(ب) هناك ملاحظة تتصل بطبيعة المادة التي قدمها أبو الفرج وهذا امر يكثر الحديث حوله والتعليق عليه بل التمسك به عند ارادة اهدار قيمة الرواية أو الخبر الذي يقدمه أبو الفرج، وهذه مسألة تحتاج الى تفصيل وتركيز:

أولا: يبدو أبو الفرج أمام القارئ - لا سيما المحقق للاخبار والناقد لها والمؤرخ على نحو خاص - وهو يجمع بين الفث والسمين والصادق والكاذب، والحق ان المسألة كما سبقت الاشارة اليها راجعة عنده الى انه حريص على ان يذكر كل ما قيل ولو كان باطلا وجميع ما ذكر ولو كان كذبا، وهو كثيرا ما يورد الخبر ولا يصدقه ويرويه ويرده، وكثيرا ما يدل على ما ينقصه أو ينقصه، ولكنه من وجهة نظر تاريخية يجمع القارئ كل ما قيل حقا كان أو باطلا، وكأنما يرى ان هذا مفيد لمن يدرس تواريخ الامم في عاداتها وافكارها ولمن يدرس الحياة الفكرية والاخلاقية والاجتماعية، لان الكذب والتزوير في ما يحكي ويقال يحمل امارات وسمات ودلالات لا تفلت من يد المؤرخ الذي يعني برصد الفلسفات والدلالات المتشعبة حول الموقف او الحادثة، فهذه الظاهرة عنده مع انها غير محمودة من جانب الا انها ذات دلالة وفائدة من جانب آخر

(1) راجع في الكلام عنه: "معجم الادباء" لياقوت، "وفيات الاعيان" لابن خلكان، "عيون التواريخ" لابن شاكر، "الفهرست" لابن النديم، "الكامل" لابن الاثير، "نفح الطيب" للمقري، "مقدمة ابن خلدون"، "الجمهرة" لابن حزم، "المنتظم في تاريخ الامم" لابن الجوزي، "يتيمة الدهر" للثعالبي، "صاحب الاغاني" للدكتور محمد احمد خلف الله، "منهج أبي الفرج الاصفهاني" في كتاب الاغاني" داود سلوم . . .



## غزالة قاهرة الحجاج

★ هي غزالة زوجة شبيب بن يزيد وأن كان بعض الرواة يقولون انها أمه ولكن الراجح انها زوجته .

★ يجمع المؤرخون على أنها من ربات الفروسية ومن أشجع النساء وكانت براعتها في المضرب بالسيف لا تجارى وكان يخشاها أقوى الرجال .

★ ثارت هي وزوجها على جبروت الحجاج بن يوسف في العراق وذلك في عصر عبد الملك بن مروان فأرسل اليها الحجاج خمسة من أقوى قواده وكانوا مسلحين بالسيف فطلبت منهم غزالة أن ينازلوها واحداً واحداً ولكنهم رفضوا ذلك وهجم عليها الخمسة بسيوفهم فاستلت سيفها وبارزتهم جميعاً وقتلتهم الواحد تلو الآخر دون أن تصاب بخدش واحد . . . .

★ كانت غزالة قد نذرت أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين لله تقرأ فيهما سورة البقرة بأكملها وعلم الحجاج ذلك فأرسل اليها هذه المرة سبعين رجلاً مسلحاً وأحست بهم غزالة فأنهت صلاتها بالتسليم وأخذت سيفها وبرزت لهم فهرب نصفهم وحاول النصف الآخر التصدي لها ولكنها قتلت رجلين بضربة سيف واحدة فأطلقوا سيقانهم للريح ولا سيما عندما لاحظوا تحمس الشعب للفارسة العربية .

★ صمم الحجاج بن يوسف على مجابعتها بنفسه فسار على رأس قوة من مائة فارس والتقى بها هي وزوجها وبعض رجالها فحملت غزالة عليه حملة قوية وقتلت حارسه بأن أطاحت برأسه بضربة سيف فأطلق الحجاج ساقيه للريح وامتنطى جواده وهرب . وانتشر الخبر فعيده الناس بذلك وقيلت فيه قصيدة طويلة نختار منها هذين البيتين:

أسد علي وفي الحروب نعامة      فتخاء تنفر من صغير الصافر

ملا برزت الى غزالة في الوغى      بل كان قلبك في جناحي طائر

★ قتلتها أحد قواد الحجاج غيلة بأن طعنها في ظهرها وهو (سفيان بن الابر د) وبمقتلها انفض من حولها من الرجال .

★ تحدث عنها وعن شجاعتها النادرة الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) كما افرد لها ابن عماد فصلاً في مصنفه (شذرات الذهب) وعبد القادر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) وابن خلكان في (تاريخ ابن خلكان)

عن كتاب "سطور مع العظيمات" محمد كامل حسن

# الموسيقى الأوروبية

## من عصر العلب الى عصر الكهرباء

اعداد: اليان مانجر

ورغم معارضة التقويم التاريخي فاننا نرى أن الاب "انجراميل" هو الاجدر بأن نتحدث عن اختراعه كونه ذا أهمية خاصة .

"ماري دومينيك جوزيف انجراميل" هو أحد الاتقياء الذين يقضون نصف اعمارهم في الصلاة ولا يفكرون باغضاب الله إن هم امضوا النصف الآخر من العمر في ابحاث زمنية .

ولد في "نيدوشيل" عام ١٧٣١ (توفي عام ١٧٨٠) وكان على المذهب الطبيعي مثل جان - جاك وميكانيكياً كعادة رجال ذلك القرن . وكأحد اتباع المذهب الطبيعي الف كتاباً عن الفراشات لم يجلب له الشهرة . وكيميائي اختراع تقنية جديدة جعلته من المشهورين . وقد اشتمل كتاب صدر عام ١٧٧٥ موجزاً لهذه التقنية كما يأتي:

إن "التونوتيكية" هي فن الضرب على الاسطوانات أو كل ما هو صالح لالتقاط "الاصوات في المجال الميكانيكي" .

ويكفي القول ان الاب "انجراميل" وهو الموسيقي الحساس الذي صُدم من عدم دقة النتائج التي توصل إليها، اختراع "طريقة الساعة" التي ما زالت مستعملة كمبدأ عام حتى يومنا هذا و ذلك بعد ادخال بعض التعديلات عليها . ولم يكن في نية الاب "انجراميل" استخدام الموسيقى إنما خدمتها . ويظهر ذلك جلياً في بعض مقاطع كتابه ذي الاسلوب الشيق: " . . . ولكن، كم هي الاماكن في فرنسا، التي تقام فيها الشعائر لغوياً فقط وذلك لعدم وجود موسيقى واحياناً لخلل في اسطوانات الآلة المبتاعة بثمن زهيد، والتي كان من الممكن ان تعطي انغماً أفضل لو جرى ضبطها،

■ قبل اختراع الفونوغراف، كانت الموسيقى الآلية وقفاً على بعض المحظوظين . والذين لم يسعدهم الحظ في تعلم العزف على آلة كانوا يفتشون عن الفرص النادرة للاستماع إليها .

وقد بقيت الاجراس وعمليات القرع اليدوية، لمدة طويلة، الوسيلة الوحيدة للحصول على انغام . وكان من الطبيعي ان يبحث العلماء، عن إمكانية اختراع آلات موسيقية بدون عازفين . وكان ذلك ضرورياً في القرن الثامن عشر الذي اشتهر بعملية توسيع واستغلال الفكر الانساني . واشتهرت تلك الحقبة من الزمن بهذه الآلات العاملة ذاتياً، وكانت التجربة الاولى لمحاولة "سجن" الموسيقى والتي امتدت حتى ايامنا على "الالكتروفون" .

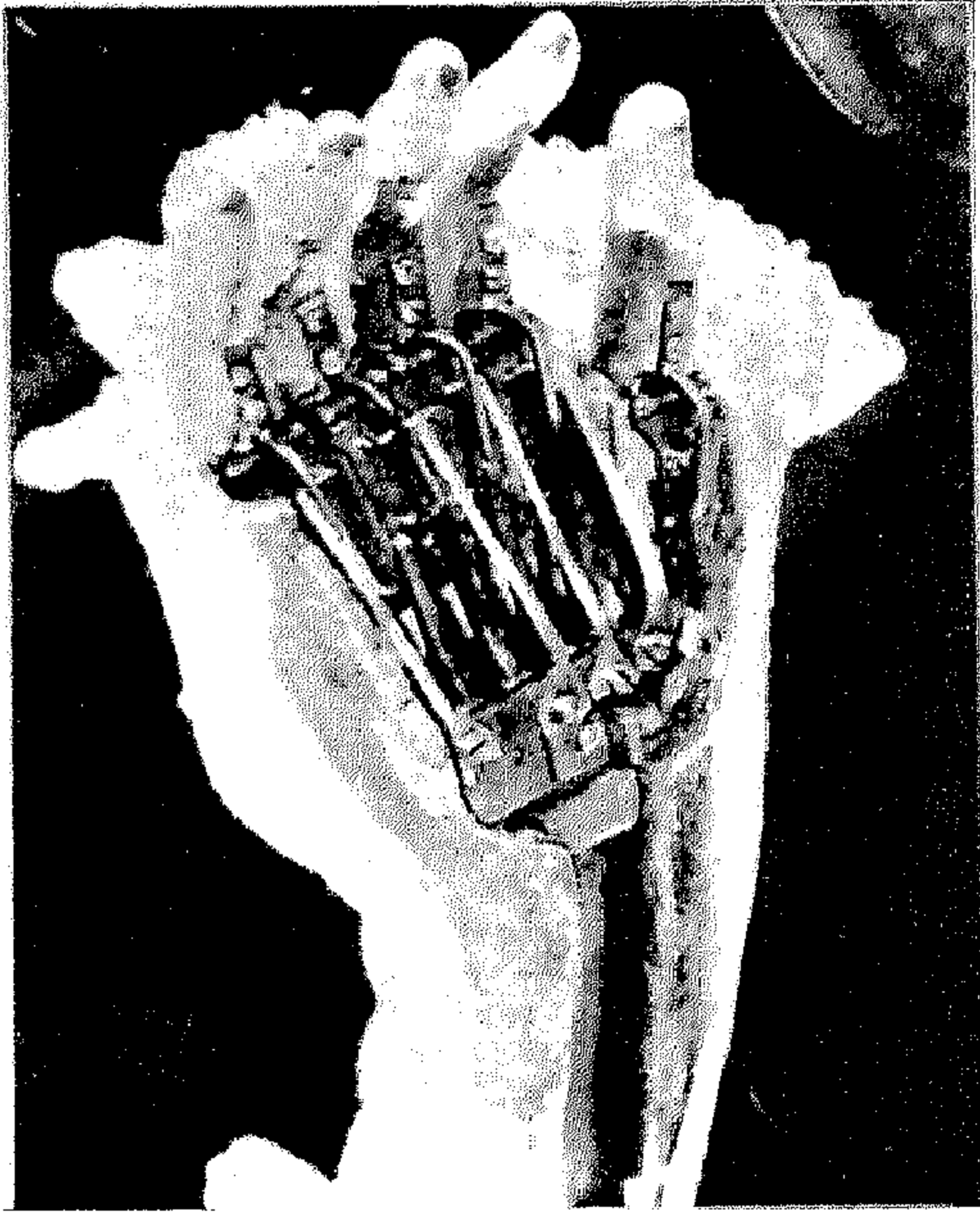
انها قصة تمثل احدى مراحل النجاح في تاريخ التمدن البشري .

والقرن الثامن عشر يعتبر نقطة الانطلاق الرائعة بالنسبة للموسيقى الآلية، وكذلك بالنسبة لعدة اكتشافات اخرى قام بها العقل البشري .

يومها سطعت في أوروبا أضواء "قرن النور" الذي امتلأ بالعلماء والمكتشفين، وأيضاً بالدجالين والمنافقين الذين كانوا يحيطون بهم وهم يحملون علب التبغ في احدى ايديهم ويضعون ساعتين في جيبى صداريهم .

ومنذ أن اختراع بعض اللاجئيين الالمان الذين هاجروا من بلادهم إثر حرب الثلاثين عاماً وويلاتها اجهزة الموسيقى الآلية لم يظهر شيء جديد لمدة طويلة . وقبلة أصاب النجاح كلا من "فوكانسون" والاب "انجراميل" و"جاكسي - دروز" و"بيار كينتزنك"





— اليد الحرة —

ما يميز هذه الآلة، هو أن النغمات تكون عالية أو منخفضة وتستطيع تغيير الناي بأخر... وبعد أن يشاهد "لاعب الناي" يضيف: "أن النغم يخرج فعلاً من الفم، والاصابع هي التي تلعب، الاصابع من خشب مع قطعة من الجلد في الثقوب، كما أن الوجه من الخشب، أما الأيدي فهي من الورق المقوى".

### اختفاء الدميتين

وإذا كان الشكل الخارجي رائعاً، فإن هذه الآلة تبقى مدعاة للتأمل، ففي الثلاثين من نيسان ١٧٣٨ لم يتردد "فوكانسون" في تقديم مذكرة إلى "أكاديمية العلوم الملكية" التي قام سكرتيرها الدائم "فونتنيل" بالاحتفاظ بها، قال فيها: "إن الأكاديمية قد أقرت بأن هذه الآلة هي خلاصة تفكير عبقرى، وبأن المخترع عرف كيف يستعمل أدوات سهلة وجديدة لمساعدة أصابع هذه الدمية على الحركات الضرورية والتحكم بسرعة الهواء الداخل إلى الآلة، وذلك حسب النغمات المنتظرة وكذلك وضع الشفاه، وقام بوضع صفامة متحركة مكان اللسان وباختصار تقليد كل ما يضطر الإنسان الطبيعي للقيام به...".

في العام نفسه أنجز "فوكانسون" آله الجديدة (Canard) وهي آلة تصدر أصواتاً، وكان هذا الموسيقي الجديد بشكل إنسان طبيعي يرتدي لباس راع ويقوم بإخراج عشرين نغماً مختلفاً على "ناي قروي" من إحدى يديه وبالضرب على الطبلة

وأحياناً بسبب بعض الموسيقيين غير الأكفاء الذين كانوا يضللون الكورس بدلاً من مساعدته، وكتاب "انجراميل" من بعض نواحيه ملخص لكل الحياة الموسيقية الميكانيكية في عصره: ففيه يذكر موسيقيي: الارغن والسنتير (Tympanon) وقارع الاجراس ولاعب الناي، وبالنسبة للاعب الناي فلا شك أنه كان يعني "فوكانسون".

### فوكانسون ودماه المتحركة

اشتهر "فوكانسون" بدماه المتحركة وبعبريته الميكانيكية أكثر من شهرته بثقافته الطبية وبعلمه في التشريح، ولد في "غرونوبل" عام "١٧٠٩" بذاكرة ضعيفة خصص لها "سان سيمون" مقطعاً في كتابه "مذكرات"، كان "فوكانسون" في الخامسة والعشرين عندما قرر صنع "دماه المتحركة" وكان أثناء ذلك يعيش حياة رغيدة في مجتمع سعيد لدى المزارع العام المشهور "روبرتس دولا بوبالينيار"، وأصبح مريضاً ومديناً لمحاولته إيجاد "اجساد متحركة تحت التشريح" تقوم بالوظائف الرئيسية للأعضاء الجسدية، وكان ذلك حلاً فقرر التوقف عن أبحاثه وتصحيح وضعه الحالي.

وبهذه الأخلاق العاقلة والمتواضعة بدأ بصنع "لاعب الناي" كنموذج له اتخذ لوحة "سوبيغوكس" وهي تمثل نصف إنسان ونصف سمكة يلعب الناي، وأعطى لدميته نفس الطول ونفس المسلك، مستغلاً علمه في التشريح الانساني، ثم قدم إلى جمهوره دمية تقوم بنفس حركات الموسيقي الحقيقي الذي يلعب على آلة ناي حقيقية ذات تغييرات داخلية، وقد تقبل الجمهور ذلك برضى تام.

### لاعب الناي

وكان ذلك حدثاً جديداً، فالفكرة وتنفيذها جديداً، وكان النجاح فوراً وكبيراً ومدهشاً. وبعد عرضه لمدة قصيرة في معرض "سان جيرمان" وضع "عازف الناي" في منزل "فوكانسون" الجديد في "لونكفيل" في كانون الثاني ١٧٣٨، حيث تقاطرت الشخصيات أمام "هذا العمل الرائع للفكر الانساني"، بين الزائرين كان "فولتير"، دوق دي لوين، دوق بيكينني بالإضافة إلى ذواقي الفن وأعضاء أكاديمية الفن بكامل عددهم، وأظهر الجميع دهشتهم وأعجابهم "بهذا الرجل ذي الحجم الطبيعي الذي يرتدي ملابس ويلعب أحد عشر نغماً على ناي عرضي بنفس حركات الشفاه والاصابع وبنفس النفثات من الفم لإنسان حقيقي".

وجاء في مذكرات دوق دي لوين:

"١٤ كانون الثاني ١٧٣٨:

بالأخرى وذلك بنفس دقة وجودة لاعب ماهر.

ولكن "فوكانسون" سرعان ما تخلص من اختراعاته التي لم تمثل له سوى أشلاء حلم ضائع ووسيلة لتركيز واستعادة وضعه الحالي المنهار. وفي عام ١٧٤٣ قام ببيعهما إلى مجهول يدعى "دومولان" الذي جاب بهما أوروبا بنجاح كبير وفجأة اختفيا من الوجود... وبدأ البحث عنهما في كل مكان.

### تحليل فني

من الوجهة الفنية يمكن اعتبار "لاعب الناي" ثورة في عالم الموسيقى الميكانيكية، لقد كانت بالفعل المرة الأولى التي أظهرت فيها قطعة ميكانيكية مهارتها بطريقة آلية بأخراج مقاطع موسيقية.

وبينما لم تعد دمي "فوكانسون" سوى ذكرى مجيدة، فقد بقيت دميان موسيقيتان بين أجمل وأدق ما اخترع أبداً. ولم تزل، فوق ذلك، في حالة جيدة وتقومان بأخراج الموسيقى ذاتها التي استمع إليها أجدادنا ومن دون شك استمع إليها أيضاً الذين ألفوها.

ونعني هذه المرة "السيدتين"

الأولى وهي الأقدم، تعود إلى عام ١٧٧٤. وهي تحفة "جاكي - دروز" الميكانيكيين السويسريين المشهورين، وبعد عدة رحلات قاما بهما أحدهما كان كاتباً والثاني رساماً، لزمته هذه "السيدة" منزلهما في قرية "نيوشاتل" في سويسرا. وفي عام ١٧٨٣ ظهر منشور دعائي وضعها كالتالي:

"هذه الدمية التي يقوم رأسها وجسدها وعيناها ويدها وأصابعها بمختلف الحركات الطبيعية، تقوم من تلقاء نفسها ومن على مقعدها بتقديم عدة قطع موسيقية بكثير من الدقة: رأسها وعيناها تتحرك في كل الاتجاهات وهي تنقل بصرها على النوتة الموسيقية وعلى أصابعها، وبنهاية كل مقطع تقوم بتحريك الجمهور بانحناءة من جسدها وبحركة من رأسها وتتحرك حنجرتها صعوداً وهبوطاً بطريقة منظمة مما يجعلنا نعتقد بأنها تتنفس".

يجدر بالذكر أن القطع الخمس التي تلعبها هذه "الموسيقية" لم تكن بالطبع من تأليف موسيقي مشهور إنما من هاو موهوب، هو "والدها" هنري - لويس وجاكي دروز.

والسيدة الثانية هي تلك السيدة الشابة، التي تحل ضيفة على متحف "الكونسرفتوار الوطني للفنون" منذ قرن، وهي تستطيع أن تقدم ثمانين قطعاً موسيقية من "الأرميديا" على الـ Tympanon الذي لم يعد له وجود في أيامنا هذه والذي أطلق عليه العبرانيون اسم "توف". وهي آلة غريبة نوعاً ما حيث يجري لمس حبالها بواسطة خشبتين صغيرتين، وكما في الدمي السابقة، فإن هذه "الموسيقية" تؤدي دورها

بواسطة حركة آلية معقدة.

وقصة هذه السيدة غريبة نوعاً ما. لقد ظهرت عام ١٧٨٠ نتيجة الموهبة المشتركة "لبيار كينتزنك" و"دايفيد رونتجن" ذوي الأصل الألماني واشترتها الملكة ماري - انطوانيت عام ١٧٨٥ وشغفت بها جداً. ومن خزانة الملك فصل لها ثوب مطرز بالدانتيل. ويقال أن شعرها الناعم من شعر الملكة نفسها. أما "كلوك" الموسيقي الذي ألف الانغام التي كانت تلعبها فقد جعلت منه ماري - انطوانيت ملحنها المفضل. ويقول "روبير هودين" الذي قام في عام ١٨٦٦ بترميم وجهها الرائع أن تقاسيم هذا الوجه تشبه وجه الملكة. ومهما كانت الأسباب فإن الملكة تخلت بسرعة عن نزوتها الجديدة وقامت بعد أشهر قليلة بإعطاء هذه الدمية إلى "أكاديمية الفنون" التي حفظتها من ويلات الثورة. وبسبب إهمالها تأثرت بعامل الزمن ثم أعطيت للكونسرفتوار الوطني للفنون بعد ترميمها واستمرت، رغم تقدمها في السن بتقديم نفس النغمات المصادرة عنها منذ ١٨٠ عاماً.

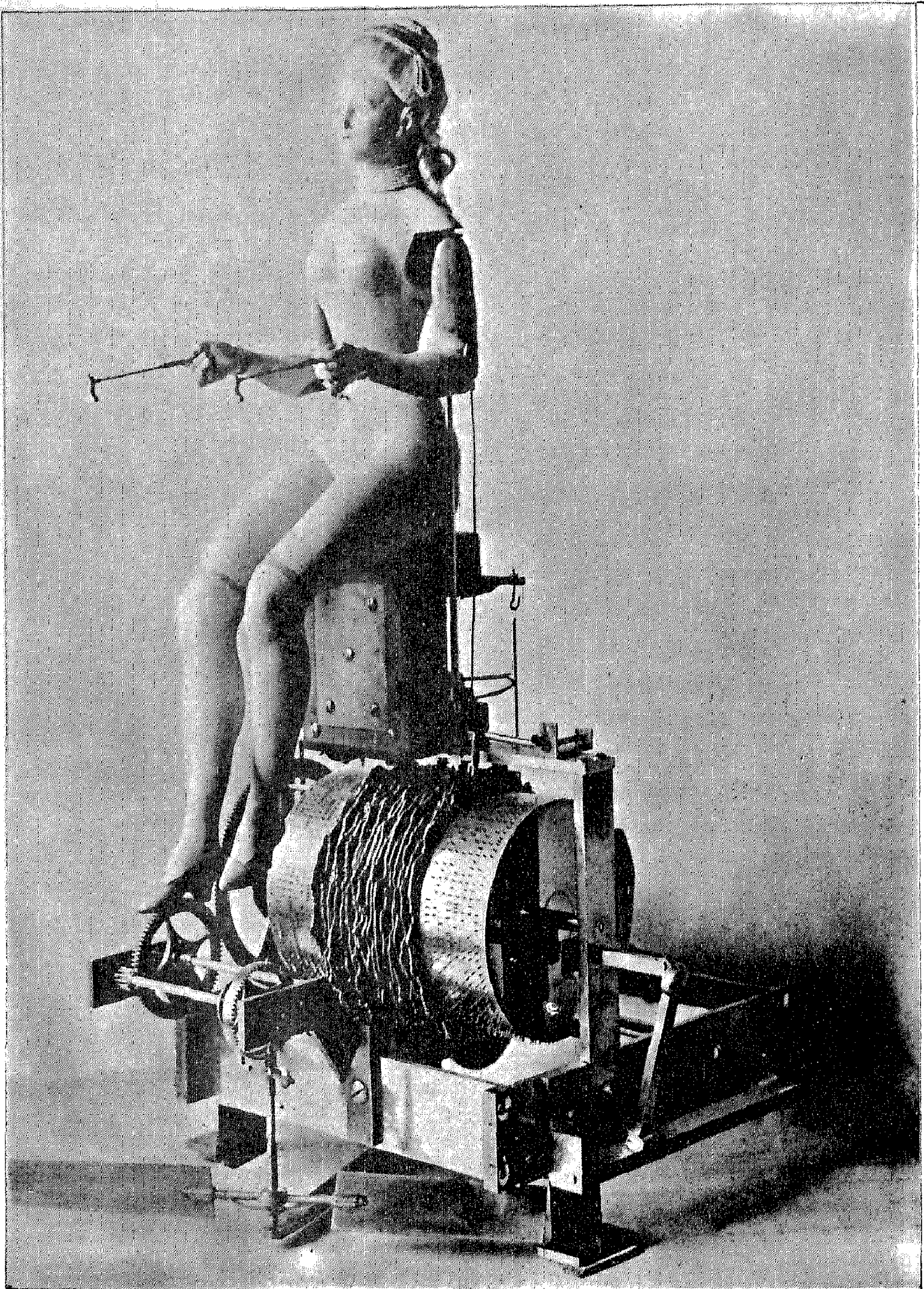
### علبة الموسيقى

وجاءت الثورة واستعرت وانتهت... ثم انقضى القرن الثامن عشر وهدأت العاصفة، وانتشرت حفلات الباليه، ولم يعد للنساء هم سوى ارتداء الربطة الحمراء حول العنق "كذكرى للشهداء". وبدأ نجم نابليون بونابرت بالصعود، ولكن على الحدود القريبة لم تكن الأمور حسنة، فجنيف وهي أقدم جمهورية أوروبية تعيش اللحظات الأخيرة من حريتها. وهذه المدينة التي تضم ثلاث فئات مختلفة ومتعادية (الأرستقراطية، والبرجوازية التجارية والصناعيين) كانت مشغولة بصناعة الساعات. هذه المدينة ذات الخمسة والعشرين ألف نسمة كانت تضم حوالي ٦٠٠٠ نسمة يعملون في هذه الصناعة ذات التأثير الكلي على الجمهورية كلها. ولكن في عام ١٧٩٦، ونتيجة للثورة الفرنسية، انتشرت البطالة في جنيف وكان تسعة أعشار العمال بدون عمل فضلاً عن الكثير من الصناعيين الذين تركوا هذه المهنة.

رغم كل ذلك فإن البعض حاول تجاوز المحنة ولم ييأس. واحد منهم كان "انطوان فافر" الذي غامر باختراع جهاز جديد. ففي الخامس عشر من شباط ١٧٩٦ أصدرت جمعية الفنون تقريراً جاء فيه:

"يقول السيد فافر أنه وجد الوسيلة لأقامة رقاص Carillon داخل علبة صغيرة. وكون هذا الاختراع ذا فائدة لصناعة الساعات فإننا ندعو كل المراقبين إلى فحص هذا الاختراع الجديد وأبداء الملاحظات. ويبدو أن هذا الاختراع جاء في ظروف سيئة جداً وأطلق عليه لقب "موسيقى المشط" وما زال هذا الاسم سارياً حتى الآن.





آلات لاعبة Tympanon  
قطعة ذات أوراق مع تغيير آلي للاسطوانات.  
والاسطوانة العليا تبث نشيد "المارسييلاز" وهو  
النشيد الشعبي الفرنسي باللغة الانكليزية والالمانية



## جنيف مقاطعة سويسرية •

وعندما اسقطت الامبراطورية تنفست أوروبا الصعداء • وكان ذلك بداية فك الحصار عن جنيف التي استعادت حريتها واصبحت "كانتون" سويسرياً •

وبفضل شهرتها وجمال طبيعتها وموقعها الحساس أصبحت جنيف عاصمة سياحية • فمنذ ١٨١٥ بدأ المسافرون وخاصة الانكليز يمضون إجازاتهم هناك • وكانوا يقصدونها أيضاً لقراءة "جان جاك روسو" • وللذهاب إلى جبال الألب أو إلى إيطاليا كان يجب التوقف في جنيف •

هذه الحركة السياحية شجعت التجارة • وكما هو الحال اليوم كانت المتاجر تعرض كل أنواع السلع كذكرى للرحلة • وكانت علبة الموسيقى هي الهدية المشتراة بكل طيبة خاطر •

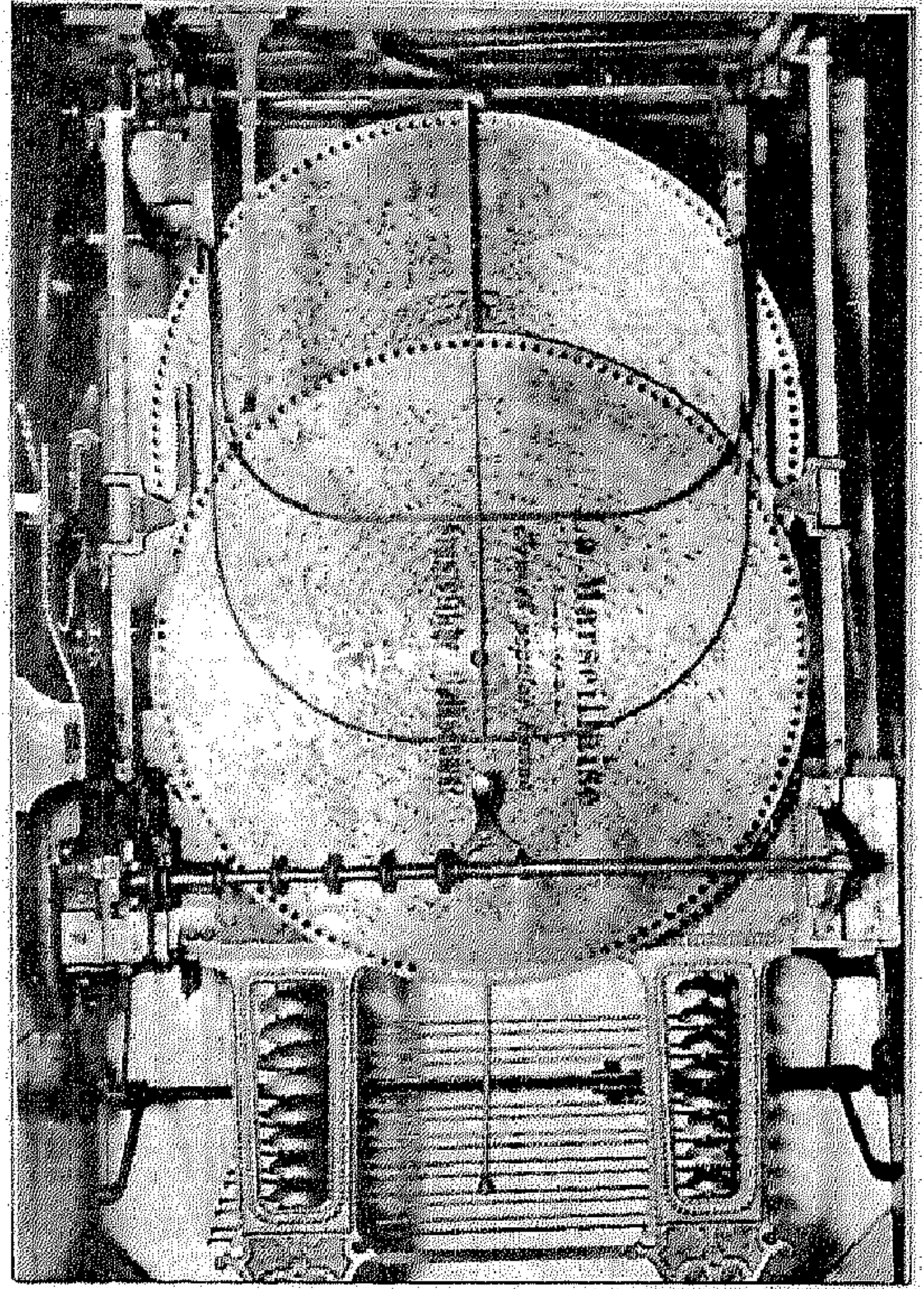
وكان مراهقو ذلك الزمن يضعون علبةً موسيقية على عصيهم المذهبة وساعاتهم وعلب التبغ التي يحملونها وكان كبار القوم يتباهون بهذه التحفة • فحوالي عام ١٨٢٠ أوصت ماري - تيريز ملكة سردينيا على علبة مطرزة مصنوعة من العاج والذهب وذلك لاهدائها إلى حفيدتها الأميرة "ماري كلوتيلد" وكانت العلبة تحتوي على عصفور يصدر انغاماً وثلاثة عصفير صغار تساعد في النغم • وكانت الموسيقى تخرج من اسطوانتين تصدر كل واحدة منهما انغاماً مختلفة • ولم تعد جنيف وحدها كافية لتلبية الطلبات وامتدت هذه الصناعة إلى مناطق أخرى وفتحت لها فروع كثيرة في الخارج •

ولكن شيئاً فشيئاً بدأت هذه الصناعة بالابتعاد عن هدفها الرئيسي واتجهت نحو إنتاج "العلب الموسيقية" بانغام مختلفة • وكانت بعض هذه الانغام من تأليف روسستي وفاغنر وأوفنباخ • وبعض هذه العلب كانت تضم عدة أنغام مما يسمح إما بترديدها أو بالانتقال من نغم لآخر • وأدى كبريات هذه العلب صنعت لنابليون الثالث • وكانت مقامة على أرجل وبحجم خزانة وتحسري على عشر اسطوانات كل واحدة تصدر ثمانية انغام أي حوالي ساعتين من الموسيقى •

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر انتشرت هذه الحركة انتشاراً واسعاً • وكان بعض المسافرين يحرصون على امتلاك علب موسيقية في تنقلاتهم • وكتب "لويس بوقيه" :

"وفي الايام الممطرة كانت العلب الموسيقية تسلينا وكنا نديرها حتى الثمالة"

وفي العام ١٨٢٧ بلغ إنتاج علب التبغ الموسيقية حوالي ٦٠٠٠ في جنيف وحدها وبأسعار تتراوح بين الأربعين والخمسمائة فرنك ولم يخل معرض في أوروبا من هذه العلب •



قطعة موسيقية مع ناقوس تتغير فيها الاسطوانات بصورة آلية

في عام ١٧٩٨ خسرت جنيف استقلالها • فبعد عدة اضطرابات دخلها الجيش الفرنسي وضماها إلى فرنسا • وكان المحتل يهدق الوعود دون تنفيذها وساءت حالة المصنع يوماً بعد يوم • وبالقوة اجبرت جنيف على اتباع النظام الثوري واصبحت أقدم مدينة أوروبية تدعى "مقاطعة ليماو الفرنسية" •

في ١٥ ايار ١٧٩٩ صدرت مذكرة ثانية وأخيرة لاعطاء بعض التفاصيل عن اختراع انطوان فافر الذي كان يجاهد في ظروف صعبة • ورفضت الجمعية بعد مناقشات عقيمة مساعدته مالياً • وكان قد طلب ٣٢ قطعة ذهبية لمدة شهرين • وعند وفاته في كاريتين عام ١٨٢٠ لم يذكر أحد أنه مخترع "علبة الموسيقى" التي كانت رائجة آنذاك •

في ١٨٠٢ أصبح نابليون بونابرت القنصل الأول • ووقعت فرنسا مع انكلترا صلح "اميان" وفي جنيف حاول شاب يدعى ايزان بيجو تطبيق نظرية انطوان فافر على الخواتم والساعات وعلب السجائر • ودهش الجمهور بهذا الاختراع • وبفضله استعادت جنيف مجدها الاقتصادي • وبدأ صنع علب موسيقية تناسب كل الاذواق وكل الأسعار • وقام نابليون باهداء علب مذهب إلى كبار ضباطه وازدهرت هذه الصناعة بين السجناء النمساويين المعتقلين في باريس •





■ "السيدة الموسيقية" لعبة "كينتزيك"  
التي اعجبت بها واشترتها ماري انطوانيت عام ١٧٨٥





■ علبة موسيقى مبتكرة - صنع جنيف



وإلى جانب هذه العلب تطورت الصناعة الموسيقية بأشكال مختلفة ، وأحد أغرب اختراع كان "وينكل" الذي ما زال في الكونسرفتوار الملكي في بروكسل ، انه يستطيع ليس فقط القيام مقام فرقة موسيقية بل أيضاً تقديم ثمانين نغماً مختلفاً ، وفي القرن التاسع عشر ايضاً انتشر الأرغن الذي ألف له بيتهوفن قطعة موسيقية خاصة ، أما "ارغن بارباري" فمأخوذ من مخترعه نفسه ، وجاء في أحد القواميس :

"أن ارغن بارباري المتوحش هو فعلاً متوحش كونه يصدر انغماً شاذة في أغلب الأوقات" .

## الفونوغراف والفونوتوغراف

وللحقيقة لم يستطع الفونوغراف اثبات وجوده الثوري ، الا بعد جهد جهيد مثله في ذلك مثل اختراع ليليانتهال وأدر والأخوين رايت أبطال صناعة الطيران ، والسبب ان الجمهور لم يستوعب ما مكن ان يقدمه هذا الاختراع مستقبلاً .

ويجب العودة الى عام ١٨٥٧ للحصول على أول براءة اختراع فرنسية للفونوغراف ، انه يحمل الرقم ٣١٤٧٠ ومخترعه هو عامل "التوبوغراف" "ليون سكوت" وهو من مدينة "مارتينغيل" وقد اطلق عليه في البداية اسم "الفونوتوغراف" .

بعد عشرين عاماً حصل "شارل كروس" على مغلف مختوم من "اكاديمية العلوم" وكان ذلك في ٣٠ نيسان ١٨٧٧ ، كان المغلف يحتوي على اختراع نقل وتسجيل الانغام المنتجة بواسطة الفونوتوغراف على الفونوغراف ، وفي ١٩ كانون الاول من العام نفسه قام الاميركي "توماس أديسون" بتقديم براءة اختراع لمختلف أنواع نقل وتسجيل الانغام على اسطوانات .

وانتشرت الفكرة بسرعة الرياح

وفي الاول من آب ١٨٧٨ قدم "شارل كروس" براءة اختراع تحمل الرقم ١٢٤٢١٣ والتي كانت خطوة إلى الامام في مجال التسجيل ، ولفقره لم يستطع كروس تحقيق اختراعه ومات بعد عشر سنوات في التاسع من آب ١٨٨٨ .

وفي عشر سنوات سجل فونوغراف "أديسون" تقدماً ملحوظاً ، واستناداً الى ذلك قام "تينتر" و"بيل" في العام ١٨٨٥ باختراع جديد اطلقا عليه اسم "الغرافوفون" وفي ١٨٨٧ قام "برلينير" وهو الماني هاجر إلى أميركا باختراع الاسطوانة واسماها "الغراموفون" .

وبدأت حرب الاختراعات في هذا المجال تشتهر في أميركا ، وانشئت الشركات لذلك في ولاية "كولومبيا" .

ولم يدرك "أديسون" ان اختراعه موجه للعامة ، بينما في فرنسا كان "شارل واميل باتيه" يقومان باستدعاء الناس إلى المقاهي ويديران

الفونوغراف "حيث نالا نجاحاً دفعهما إلى تأسيس مصنع لانتاجه في "بيلفيل" وتسجيل اسطوانات مصنوعة في معملهما في "شاتو" ، وكانت مكاتبهما في باريس نفسها وفي شارع "ريشيليو" رقم ٩٨ حيث كانا يقومان بعملية التسجيل ، ولم يكن في الامكان تسجيل أكثر من ٢٥ اسطوانة ، ويذكران الفنان ، "شارلوس" كان يردد النغم الواحد أربعين مرة في الصباح وأربعين مرة في فترة بعد الظهر ، وكان ثمن الاسطوانة يتراوح بين الفرنك والفرنكين ، وتطور الامر إلى أن أصبح الديك شعاراً للعمل .

أما بالنسبة "للكلب الجالس" الذي يستمع إلى صوت سيده والذي لم يقل شهرة عن الديك فكان من انتاج الرسام الانكليزي بارولت الذي رسمه عام ١٨٨٩ وباعه الى "شركة الغراموفون" .

في فرنسا اخرجت "باتيه" أولى اسطواناتها في عام ١٩٠٨ ، وكان ذلك مفاجأة ضخمة حلت محل الاسطوانة المتداولة ، وكانت اهمية الاختراع تزداد يوماً بعد يوم ، وبدون توقف ازدادت الشركات في كل انحاء العالم ولكن خف الانتاج بسبب الحرب العالمية عام ١٩١٤ ، ونستطيع القول أن المرحلة العظيمة للاسطوانة توقفت عام ١٩٢٤ ، لان الناس كانت تملك عدة انواع من الانغام لا يمكن لأية علبة موسيقية تقديمها .

وكانت الشركات تقدم لجمهورها وبكل اخلاص كل ما يقدمه المغنون والموسيقيون .

حتى العام ١٩٤٧ لم يطرأ أي جديد في المجال الفونوغرافي ، ولم تتغير الاسطوانات الكبيرة والثقيلة ذات ٧٨ دورة في الدقيقة والتي كان وقت ادارتها محدوداً ، وكان يجب ادارتها باليد كلما توقفت .

وفي عام ١٩٤٧ ادخل (ادي باركلي) إلى فرنسا اختراعاً جديداً احضره من الولايات المتحدة وكان الميكروسيلون ثورة جديدة في عالم الموسيقى ، وخف وزن الاسطوانة وحجمها إذ كانت ذات ٤٥ دورة ووصلت مدة الدورة إلى نصف ساعة إذا كانت ذات ٣٣ دورة ، وبطلت عادة الادارة باليد وبدى باستعمال الكهرباء .

وما بعد هذا التاريخ هو قصة أخرى طويلة ، وطويلة جداً ، وان تكن حدثت في فترة زمنية قصيرة . ■





## اصلاح زراعي

اقتصادي

■ المقصود بالاصلاح الزراعي هو اجراء تعديلات وتغييرات في النظام الزراعي للبلد المعين بقصد زيادة الانتاج الزراعي، وتوفير موارد داخلية للتنمية القومية، وتحقيق نوع من العدالة الاجتماعية للفلاحين، ورفع مستوى الريف الى مستوى المدينة.

وهذه التعديلات والتغييرات قد تكون شاملة لكافة نواحي العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والادارية والفنية والعلمية في الزراعة، فيكون الاصلاح الزراعي في هذه الحالة اصلاحاً زراعياً جذرياً، وقد تقتصر التعديلات والتغييرات على بعض نواحي الجانب الاقتصادي في الزراعة وعلى بعض جوانب نظام حيازة الارض والتصرف فيها. ومن الممكن ان يؤدي الاصلاح الزراعي المحدود الى الاصلاح الزراعي الشامل في ظروف الانتقال الدؤوب الى الاشتراكية.

وفي الاشتراكية يعتبر تحقيق اصلاح زراعي جذري هدفاً رئيسياً، وان كانت وسيلة تنفيذه قد تختلف من بلد الى بلد وفقاً لظروفه. وغاية الاصلاح الزراعي الاشتراكي ليست هي تعديل نظام الانتفاع بالارض من نظام فردي اقطاعي الى نظام فردي رأسمالي، وانما هدفه هو تحويل نظام الانتفاع بالاراضي الزراعية الى شكل من أشكال الانتفاع الاجتماعي بها، وأشكال الانتفاع الاجتماعي تحدد في شكل "مزرعة الدولة"، أو "المزرعة الجماعية"، أو "المزرعة التعاونية". ومن اهم المسائل المتعلقة بمدى ثورية الاصلاح الزراعي، مسألة الموقف من مدى دور الفرد في التصرف في الارض الزراعية وفي منتجاتها، ومدى استغلاله للارض بوصفها غرض انتفاع وبالمحاصيل بوصفها سلعة. وتطرح هذه المسألة قضية مصير الملكية الفردية في الارض سواء من ناحية استمرار وجودها بشكل مطلق، أو من ناحية شروط مثل هذا الوجود ومداه. كما تطرح قضية المستفيد الاول من عائد العمل الزراعي

وتعتبر سلسلة القوانين التي صدرت منذ ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٢ في مصر المتعلقة بالارض والفلاح اول تجربة من نوعها في العالم العربي. وهي القوانين التي حددت الملكية والايجار وحلت الاوقاف الاهلية واعادت تنظيم الاوقاف الخيرية، وصايرت اراضي افراد الاسرة المالكة، وحددت اجر العامل الزراعي وكفلت للعمال الزراعيين حق تكوين النقابات.

وقد نص ميثاق العمل الوطني على احترام الملكية الفردية في الارض الزراعية، وان كان قد تضمن في الوقت ذاته شروطاً هامة من أبرزها الا تكون هذه الملكية اقطاعية او تفتح الباب للاقطاع، وألا تكون هذه الملكية مستغلة أو تفتح الباب للاستغلال، وان تكون ملكية منتظمة في نظام تعاوني يمتد على طول العملية الزراعية من الحرث والبذر الى التسويق، وان تخضع هذه الملكية الفردية لتخطيط منظم يكفل ان تؤدي هذه الملكية من الخدمة للمجتمع قدر ما تؤديه من خدمة لاصحابها.

ومنذ صدور قوانين الاصلاح الزراعي في مصر، تمت اصلاحات زراعية في عدد من البلاد العربية: كان منها الاصلاح الزراعي الذي تم في سوريا عقب الوحدة في اوائل عام ١٩٥٨، والذي تم في العراق عقب ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨، ثم الاصلاح الزراعي في الجزائر الذي بدأ تنفيذه عام ١٩٦٧.

ومن الواضح ان قضية الاصلاح الزراعي لا تزال مطروحة في سوريا والعراق حتى الآن. أما في الجزائر، فان تجربة الاصلاح الزراعي تسير قدماً على أسس واضحة. ■

١٠٤ ع "عن موسوعة الهلال عام ١٩٧٠



# تاريخ حركة الطوابع الاردنية



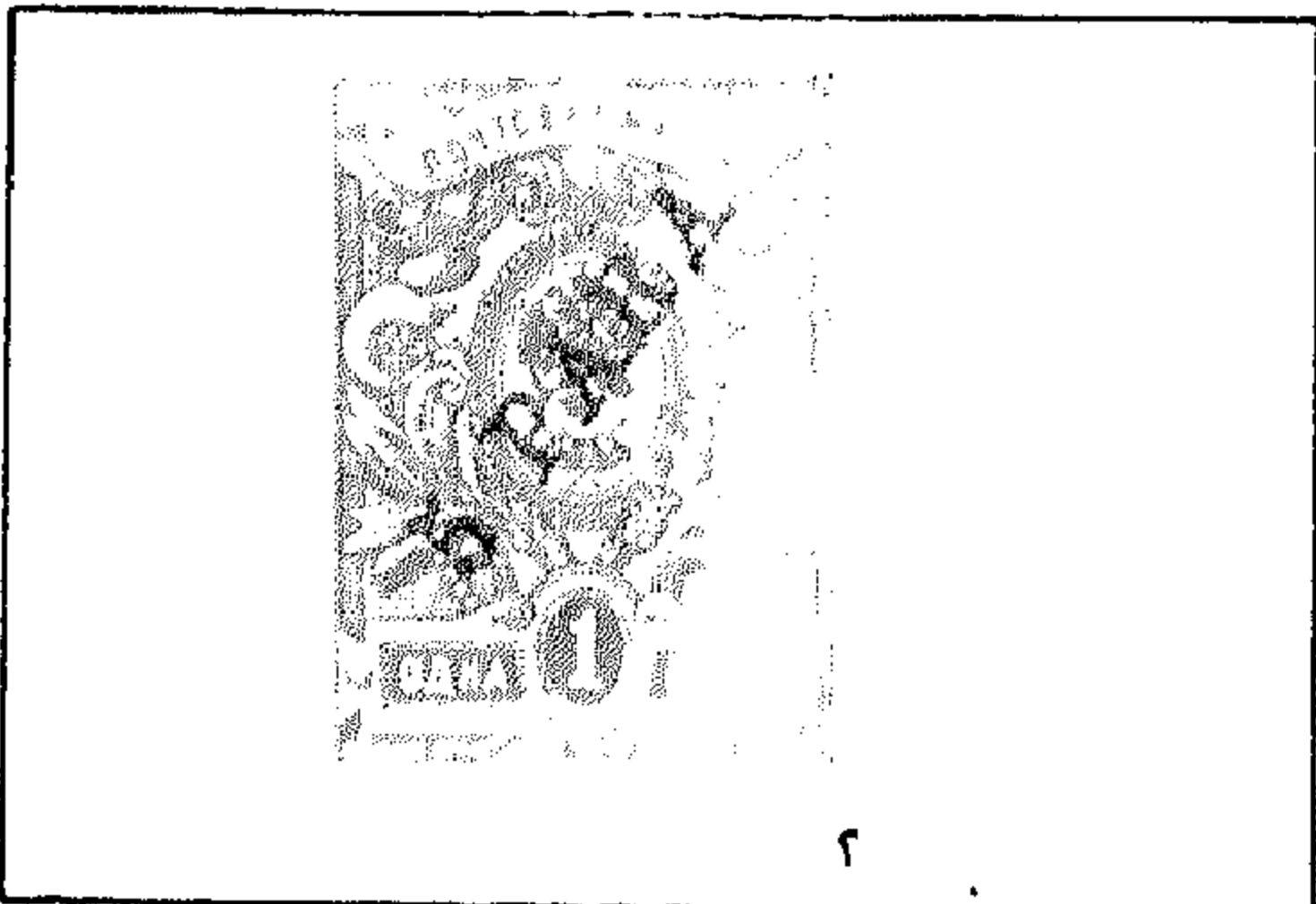
اعداد: ميسال اطفانت الانصائي في الطوابع

وبالرغم من مرور اكثر من شهر على النظام الجديد في الاردن بقيت طوابع الملك فيصل هي المستعملة، الى ان نفذت الكمية فحلت محلها في تشرين الثاني ١٩٢٠ مجموعة طوابع فلسطينية (خالص الاجرة) موشحة "شرقي الاردن (صورة ٢) .

المستشار البريطاني

يتصرف على هواه!

ونذكر بالمناسبة ان المستشار السياسي البريطاني السير الك كيركبرايد Sir Alec Kirkbride المعين لمدينة الكرك عاصمة اراضي مؤاب لم يتمكن من الحصول على الطوابع الموشحة المذكورة اعلاه لاعتقاد السلطة المركزية في القدس بأنه لا حاجة الى الطوابع في تلك المنطقة النائية مما اضطره لصنع طابع بقرش واحد للاستعمال البريدي والمالي، فأخذ دفترًا من الورق الابيض وسطره مربعات بقلم الرصاص وبقياس ٣٥ مليمترًا تقريبًا ثم ختم بخاتم المجلس البيضاوي قياس ٢١/٤ x ٢٣/٤ مليمترًا داخل كل مربع بالخبر الاخضر ومهر اسمه بالاسفل على الشمال AK بالخبر البنفسجي الذي كان يستعمله للكتابة، اما الكمية التي صنعها فتراوح بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ طابع استعملت من اواخر سنة ١٩٢٠ الى آخر آذار ١٩٢١. وهذا العمل الجريء غير رأي السلطة في القدس فارسلت له حاجته من الطوابع المتداولة، ثم ما لبثت الاردن ان اعلنت اماره



نشرنا في العديدين السابقين تاريخ بدء استعمال الطوابع في لبنان ومصر، ولمحة عن المكتب الفرنسي في الشرق، وها نحن نقدم في هذا العدد تاريخ حركة الطوابع البريدية في الاردن، ولمحة عن المكتب الروسي في الشرق .

المملكة الاردنية الهاشمية المعروفة سابقاً بشرق الاردن، كانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية، وكانت تستعمل الطوابع العثمانية، ولكن باختام مختلفة تحمل اسماء المدن الاردنية، ولدى دخول الحلفاء في ٢٨ ايلول ١٩١٨ استعملت الطوابع الفلسطينية (خالص الاجرة) (صورة ١) .

ولما انشئت الدولة العربية برئاسة الملك فيصل سنة ١٩٢٠ جعلت من الاردن جزءاً من الحكومة السورية العربية، وانتشر استعمال طوابعها الى جانب ما تبقى من الطوابع الفلسطينية الآتفة الذكر .

وفي ٢٤ تموز ١٩٢٠ انسحب الامير فيصل من دمشق عاصمة سوريا التي استولى عليها الفرنسيون .

وفي شهر آب ١٩٢٠ توجه المندوب السامي في فلسطين الى السلط التي كانت اكبر مدينة مهمة في الاردن، واعلن باسم حكومة صاحب الجلالة البريطاني تأسيس نظام حكم مركزي في الكرك وعمان والسلط واربد، اما مقاطعة معان فقد بقيت تحت ادارة الملك حسين ملك الحجاز .



## هل تعلم ؟

● هل تعلم ان اثنى طابع في العالم هو طابع غينيا البريطانية لعام ١٨٦٠ فئة سنت واحد الذي بيع بالمزاد العلني في الولايات المتحدة مؤخراً بمبلغ ٤٨٠ الف دولار، وان الكتالوغ الانكليزي جيبونز قد سعره بـ ٢٥٠ الف جنيه استرليني ؟

## اسئلة القراء

- السيد فارس زلزل - برمانا .
- ١ - ضامة المبلغ الاسمي على الطابع الالمانى يرجع الى سقوط قيمة المارك الالمانى في اعقاب الحرب العظمى الاولى، اما قيمته التجارية الحالية فعشرون قرشاً لبنانياً .
- ٢ - الطوابع غير المختومة هي في الغالب اعلى سعراً ولكن ثمة طوابع مختومة تخالف هذه القاعدة كما هي حالة الطابع المسؤول عنه اعلاه .
- ٣ - تتوقف قيمة الطابع العثماني على نوعية الختم الذي يحمله والبلد الذي استعمل فيه .

■ نرحب بجميع الاسئلة من القراء وهواة جمع الطوابع البريدية وسننشر في هذا المكان ما هو مهم ومفيد منها . ارسل اقتراحاتك وملاحظاتك الى مجلة تاريخ "العرب والعالم" قسم الطوابع - ص ٥ ب (٥٩٠٥) بيروت - لبنان

## حركة البيع والشراء

■ هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع وللراغبين في المبادلة او البيع او الشراء . وقد درسنا احسن الاسس العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا في خدمة القراء .



مستقلة برئاسة الامير عبدالله بن الحسين، وذلك في اول نيسان ١٩٢١ واخذت تصدر مجموعاتها المتتالية، بتوشحات مختلفة "حكومة الشرق العربية" فوق طوابع المجموعة الاولى الموشحة اصلاً "شرقي الاردن" . ومن ثم على مجموعة الطوابع الحجازية لعام ١٩٢٢، وايضاً على مجموعة طوابع الملك علي بن الحسين لعام ١٩٢٥ .

## المكاتب الاجنبية

باشر المكتب الروسي اعماله في عام ١٨٥٧ بإدارة شركة روسية للملاحة والتجارة اسمها "دوبيت" ؟ وبدأ استعمال الطوابع الروسية العادية عام ١٨٦٢ بختم يحمل رقم 783 للدلالة على انها للمكاتب البريدية التي تعمل خارج البلاد . اما طوابع "دوبيت" التي صدرت باسم الشركة فكانت محدودة جداً واستعملت من عام ١٨٦٥ الى ١٨٦٨ . ومن ١٨٦٨ حتى ١٩١٤ استعملت الاصدارات الخاصة والاصدارات الموشحة لدى جميع المكاتب الروسية في الامبراطورية العثمانية والخارج (صورة ٤٠٣) مع تواشيع اخرى كثيرة لمدن مختلفة منها:

Salonique  
Rizeh  
Mont Athos  
Metelin  
Trebizonde  
Smyrne

Constantinople  
Beyrouth  
Kerassunde  
Jaffa  
Jerusalem  
Dardanelles

الى ان اقفلت جميع هذه المكاتب سنة ١٩٢٣ مع باقي المكاتب الاجنبية بناء على احتجاج الدولة العثمانية وبموجب فرمان سلطاني صدر سناً لمعاهدة لوزان .



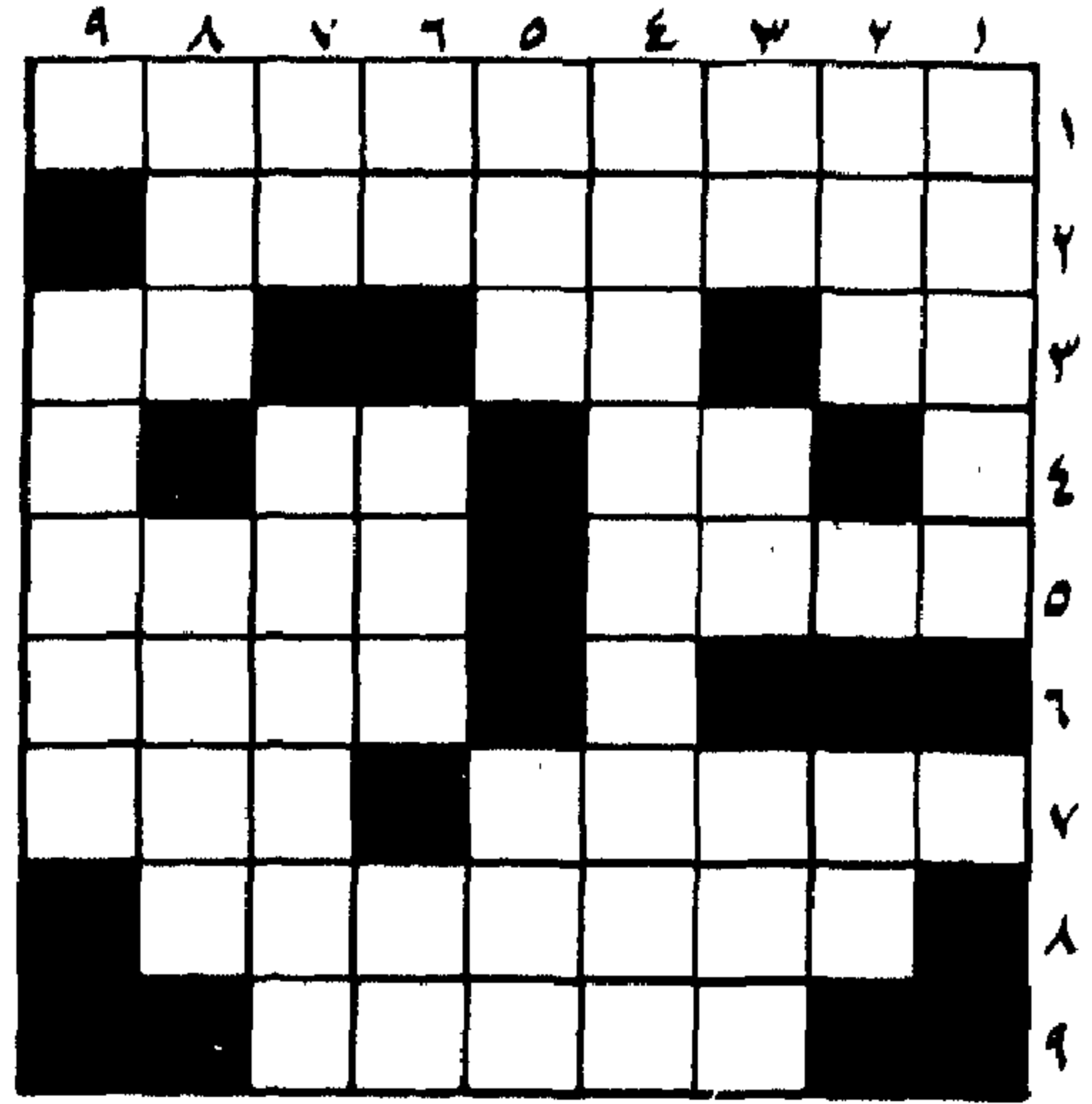


## مسابقة الشهر

افقياً: ١ - رئيس لبناني راحل - رئيس لبناني راحل (معكوسة) ٢ - من اقرب الاهل للتأوه - حرف نصب ٤ - عبر - حرف جر ٥ - طلب - الاسم الثاني لرئيس لبناني راحل (معكوسة) ٦ - الاسم الاول لرئيس لبناني ٧ - الاسم الاول لنائب راحل - يتحتم ٨ - رئيس لبناني ٩ - الاسم الثاني لرئيس لبناني (معكوسة).

عمودياً:

١ - سراج الليل ٢ - موسيقى عالمي - وكر ٣ - ضمير منفصل (معكوسة) - معظم البحر (معكوسة) - هامة ٤ - رئيس لبناني راحل ٥ - الاسم الثاني لرئيس لبناني راحل - سفينة ٦ - للنهي - مادة عطرية - اذهب (معكوسة) ٧ - توجد في السوق - الاسم الاول لرئيس لبناني (معكوسة) ٨ - صفح - خفان القلب (معكوسة) ٩ - اصقاع (معكوسة).



الجوائز هي:

الجائزة الاولى: خمسون ليرة لبنانية او ما يعادلها  
الجائزة الثانية: مجموعة طوابع بريدية بقيمة خمسين ليرة لبنانية  
الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في مجلة "تاريخ العرب والعالم".

ترسل الحلول الى ادارة المجلة، ويكتب على الظرف "مسابقة الطوابع" يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.

### حل مسابقة العدد الماضي

ن . ت . آة . سب .  
ك . ع . يروغ .  
مو . ما اورد .  
صيدا . ايمني .  
رتم . دالاس .

عمودياً:  
ليبيا . دبي .  
بريطانيا . م .  
تاريمان . ن .  
ابو بليق .

انملة . ا . س .  
يايايايا .  
دانق . رومل .  
ب . سوريا .  
يمن . بغداد .

افقياً:  
لبنان . مصر .  
باري . كويت .  
بيروت . دم .  
يطيب . عما .

ملاحظة: الكلمة المشطوب تحتها (معكوسة في المربع).

الاسم :	قسمة الطوابع رسم ٣
المهنة :	
العنوان :	

# هل تعلم؟

■ انه، منذ تم توقيع اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩، واصلت اسرائيل ممارسة سياسة عدوانية: بشن هجمات عسكرية عبر خطوط الهدنة، وبغزو اراضي الدول العربية المجاورة، بصورة متكررة؟

وان مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة قد وجها الى اسرائيل، بسبب هذه الهجمات العسكرية، لوما او ادانة في احدى عشرة مناسبة: خمس مرات من قبل مجلس الامن، وست مرات من قبل الجمعية العامة؟

■ وانه ليس هناك من بلد آخر في العالم (سواء أكان عضواً في المنظمة الدولية او لم يكن) قد ادين بهذا التكرار من قبل الامم المتحدة؟

■ وانه ليس هناك من بلد عربي واحد قد ادين من قبل هيئة من هيئات الامم المتحدة بسبب قيامه بهجمات عسكرية على اسرائيل (او على اي دولة اخرى)؟

■ وانه، الى جانب طرد معظم سكان فلسطين العرب، والى جانب مهاجمة الدول العربية المجاورة باستمرار، فان اسرائيل واصلت مضايقة مراقبي الامم المتحدة وموظفيها الاخرين على امتداد خطوط الهدنة، واغتالت الوسيط الدولي الاول ومساعدته العسكري، واحتجزت بعض مراقبي الهدنة، واحتلت عسكرياً، وفشتت بصورة غير شرعية، المقر العام لموظفي الامم المتحدة، وقاطعت اجتماعات لجان الهدنة المشتركة بقصد شلها عن العمل والتخلص من رقابة الامم المتحدة؟

■ وان اسرائيل، اضافة الى ذلك كله، قد فرضت نظام تمييز عنصري ضد العرب الذين بقوا في وطنهم؟ وان اكثر من ٩٠٪ من هؤلاء العرب يعيشون في "مناطق محظورة"؟ وانهم وحدهم يعيشون في ظل حكم عسكري يقيد حرية تنقلهم من قرية الى قرية او من مدينة الى مدينة؟ وان اطفالهم محرومون من فرص التعليم المتكافئة؟ وانهم محرومون من الامكانيات المناسبة للعمل، ومن حق "الاجر المتكافئ مع العمل"؟

■ وانه، على الرغم من جميع الحقائق المذكورة، آنفاً، فان اسرائيل كانت دوماً وما زالت توصف في الصحف الغربية بانها "حصن الديمقراطية" و "بطلة السلام" في الشرق الاوسط؟

■ وان الدول الغربية تلح باستمرار على اعلان تصميمها على ضمان ما يدعى "بتوازن التسلح" في المنطقة - اي بين اسرائيل من جانب، والمئة مليون مواطن في الثلاث عشرة دولة عربية من جانب آخر؟

وان هذا المبدأ الغربي، القائم من جانب واحد حول ما يدعى "بتوازن التسلح"، ليس معقولا - الا بقدر ما هو معقول الاقتراح المتعلق بالنزاع الكوبي الامريكي بايجاد "توازن التسلح" بين كوبا والولايات المتحدة، او الاقتراح بالا يسمح للقارة الافريقية كلها بامتلاك سلاح اكثر من الذي تمتلكه جنوب افريقيا، او الاقتراح بعدم السماح للصين الشعبية بامتلاك اسلحة اكثر من التي تمتلكها تايوان (الصين الوطنية)، وانه بهذا فقط تمكن صيانة السلم في نصف الكرة الغربي، او في افريقيا، او في آسيا؟



# سقطت النورماندي بأيدي الفرنسيين لأن الاميركان يلعب جولة



## تاريخ

### خاسرة

يكتبها محمد مراد بكر

## بريطانيا

(القسم الثاني)

■ عرفت انكلترا نوادي عديدة بين اواخر القرن الثاني عشر واول القرن التاسع عشر نذكر منها: بريستول - كان يفتح ابوابه يوميا في العاشرة مساء وكان يرئسه كابتن كندي يساعده بصفة نائب رئيس تومبسون وكان جورج فيلبس امينا للسرا. كوفنتري - قاعة الاجتماعات في هذا النادي كانت تستقبل لاعبي الشطرنج ايام الثلاثاء والجمعة مساء. وهو برئاسة ج. الكري.

كارديف - وكان مركزه في المعهد الادبي في شارع سانت ماري ويستقبل اللاعبين مساء الاثنين والخميس من كل اسبوع برئاسة ر. ف. لانكلي. دوبلن - في دولير ستريت - يفتح ابوابه مساء الاربعاء والسبت من الثامنة حتى الحادية عشرة برئاسة ج. سلمون.

وفي دوبلن ايضا نادي فكتوريا للشطرنج الذي كان يستقبل اللاعبين ايام الاثنين والجمعة ابتداء من الساعة مساء.

ولن نستعرض في تعداد النوادي فهي كثيرة جدا ولكن لعل اهمها في ذلك العصر نادي سان جورج للشطرنج الذي كان يستقبل اللاعبين ابتداء من الساعة الحادية عشرة صباحا وكان برئاسة اللورد كريغورن، فقد جاء في دعوة قام بها النادي سنة ١٨٥١ تحضيرا لعقد جمعية عامة ما يلي: اعضاء اللجنة الادارية الانكليز هم: الدوق دي هارلبورو، الفيكونت دي كريغورن، اللورد والدن، السادة نابوت، مارمادوك، ج. ميلفس، السير مارشال، ليدل، لويس فونبلانك، كاتلي، ستاوتن، بنگ سميث، ه. بوكل، جيرار ميلز، الكابتن كندي.

اللجنة الفرنسية مؤلفة من السادة: دوق دي كارامان، دوفينك، الجنرال البارون دي فاريني، الكونت دي بونتاليا، الفيكونت دي فوفرنلد، شاموييه، سزاباس، كراميل، سيفان، جورنود، ديسكيز، بورلي، ديلانو، كيزيرتزكي.

هدف الاجتماع: تأسيس امبراطورية دولية للشطرنج (هكذا سميت في الدعوة)، تأسيس برلمان شطرنجي، انتخاب امبراطور للشطرنج، توحيد الاصطلاحات والقرقيم في الشطرنج، خلق قوانين ومحكمة عليا لامبراطورية الشطرنج هذه.

ولعل ذلك كان التفكير الاول الذي ادى في ما بعد سنة ١٩٢٤ لخلق الاتحاد الدولي للشطرنج الذي ينظم الشطرنج في العالم اليوم.

وقد بلغ عدد النوادي في ذلك الحين اى حوالي سنة ١٨٤٢ في انكلترا وحدها ما يزيد قليلا عن ٢٥ ناديا وجدنا اسماءها في المستندات التي وقعت تحت ايدينا. اما المؤلفون والناشرون واللاعبون البارزون في انكلترا في ذلك الوقت فقد كانوا عديدين ايضا مما يدل على ازدهار الشطرنج في انكلترا نذكر منهم على سبيل العد لا الحصر السادة:

برنار وقد نشر عدة رسائل شطرنجية. بودن، لاعب قوى له مؤلفات عديدة وقد كتبت عنه مجلة لا ريجانيس سنة ١٨٥١.

بلاك، وكان قد نال من ملك انكلترا بناء على توصية من دوك ميريو سفير فرنسا في لندن منحة سنوية قدرها ٢٠٠ جنيه استرليني (وهذا يدل على مدى اهتمام الملك في الشطرنج).

بوهن. ناشر مشهور، نشر كتاب "ذي تشس بلايرز كومبانيون"، لستاوتن اشهر لاعب في ذلك العصر والذي يعزى اليه شكل كل احجار الشطرنج المعروفة اليوم، كما نشر كتاب "هاند بوك اوف غايم" سنة ١٨٥٠.

بوزويل. (السيد الكسندر) وهو ناشر ايضا لكتاب "ذي بوك اوف ذي تشس" من القرن السادس عشر والذي اعيد طبعه على اربعين نسخة فقط من قبل سلون سنة ١٨١٨.

بوكل. (هنري توماس) لاعب من الدرجة الاولى توفي في دمشق سنة ١٨٦٢ وهو مؤلف كتاب نال شهرة كبيرة اسمه تاريخ المدينة في انكلترا.

وليم كاكستون، الذي طبع كتاب "ذي غايم اوف تشيس" وهو منقول عن اللاتينية لصاحبه جاك دي سيسول وهو اول كتاب طبع في انكلترا.

فاني استطيع ان اربح في يوم واحد ما يغنمونه خلال عام، ولما ابلغ عن سقوط قلعة غيار هرب الى لندن، فذهب اليه نواب "روان" يطلبون منه نجدة خلال شهر على الاكثر والا اضطروا لتسليم المدينة الى الفرنسيين، ويظهر انهم اتوا في وقت غير مناسب اذ كان جان يلعب الشطرنج وكان مركزه حرجا في الجولة يتطلب انتباها كليا، فاجابهم بلهجة حزينة: "ما كان لكم ان تقاطعوني وانا في هذا الموقف، اذهبوا فلن ارسل لكم اية نجدة، افعلوا ما تجدونه مناسباً". وهكذا خسر هذا الامير مقاطعة النورماندي التي بقيت تحت حكم الفرنسيين ٢٩٤ عاما.

والمؤلفات الشطرنجية التي ظهرت في انكلترا في اوائل القرن التاسع عشر كثيرة جدا يضيق المجال في هذه الصفحات عن حصرها وقد يكون اهمها ما نشره ستاوتن ويعتبر اقوى لاعب في ذلك العصر كما اسلفنا فقد بلغت مؤلفاته ومنشوراته في الشطرنج ما يزيد عن خمسة عشر كتابا، هذا الى جانب الكتب المؤلفة عن فيليدور وعن الاوتومات (اللاعب الآلي) الذي سنفرده له مقالا خاصا، وعن الشطرنج في القرنين الثاني والثالث عشر.

لورد شاتان، الذي القى خطابا شهيرا في مجلس اللوردات في ١٧٧٥/١/٢٠ شبه به لعبة الشطرنج بحكومة تأسيسية، حيث ان الملك وان كان اهم قطعة في الشطرنج يبقى لا حول له ولا طول دون تواجد بقية القطع.

وغيرهم كثيرون مثل جون شكران، كراميل، فولك، والملكة اليزابيت نفسها التي كانت من هواة الشطرنج، ويروي عن غيوم دي كران الذي كان يقود جيوش ادوارد الثالث ملك انكلترا ما يلي: عندما اراد السيطرة على قلعة (افرو) وكانت منيعة جدا، دعا حاكمها الذي كان شغوفا في الشطرنج للاطلاع على لعبة جميلة، فلبى الدعوة شاكرا وما ان حضر حتى احتجزه سجيناً واستولى على القلعة التي اعتبرت من الغنائم.

جاك الاول، في خطاب القاه في مجلس العموم سنة ١٦٠٩ قال ان للملوك القدرة على رفع وخفض رعاياهم مثل لاعب الشطرنج الذي يجعل من البيدق فيلا او حصانا.

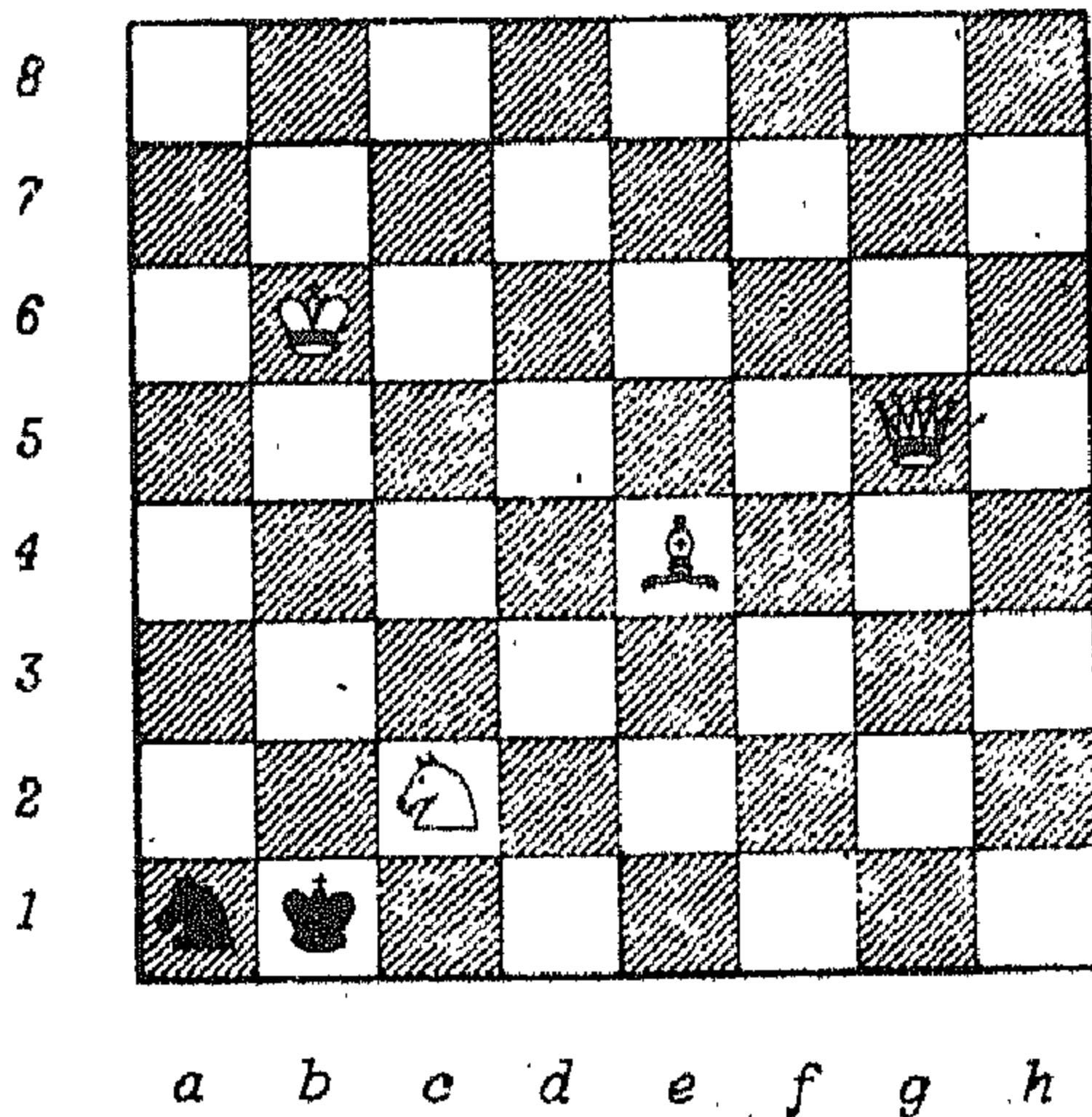
ويروي عن الامير جان سان تير سنة ١٢٠٤ انه بينما كان الفرنسيون يحوزون على تقدم يومي في مقاطعة النورماندي، كان جان منغمسا في ملذاته فاذا راجعه احد قال له لننزع الفرنسيين يتقدمون

## مسابقة الشطرنج

### المسابقة الثالثة

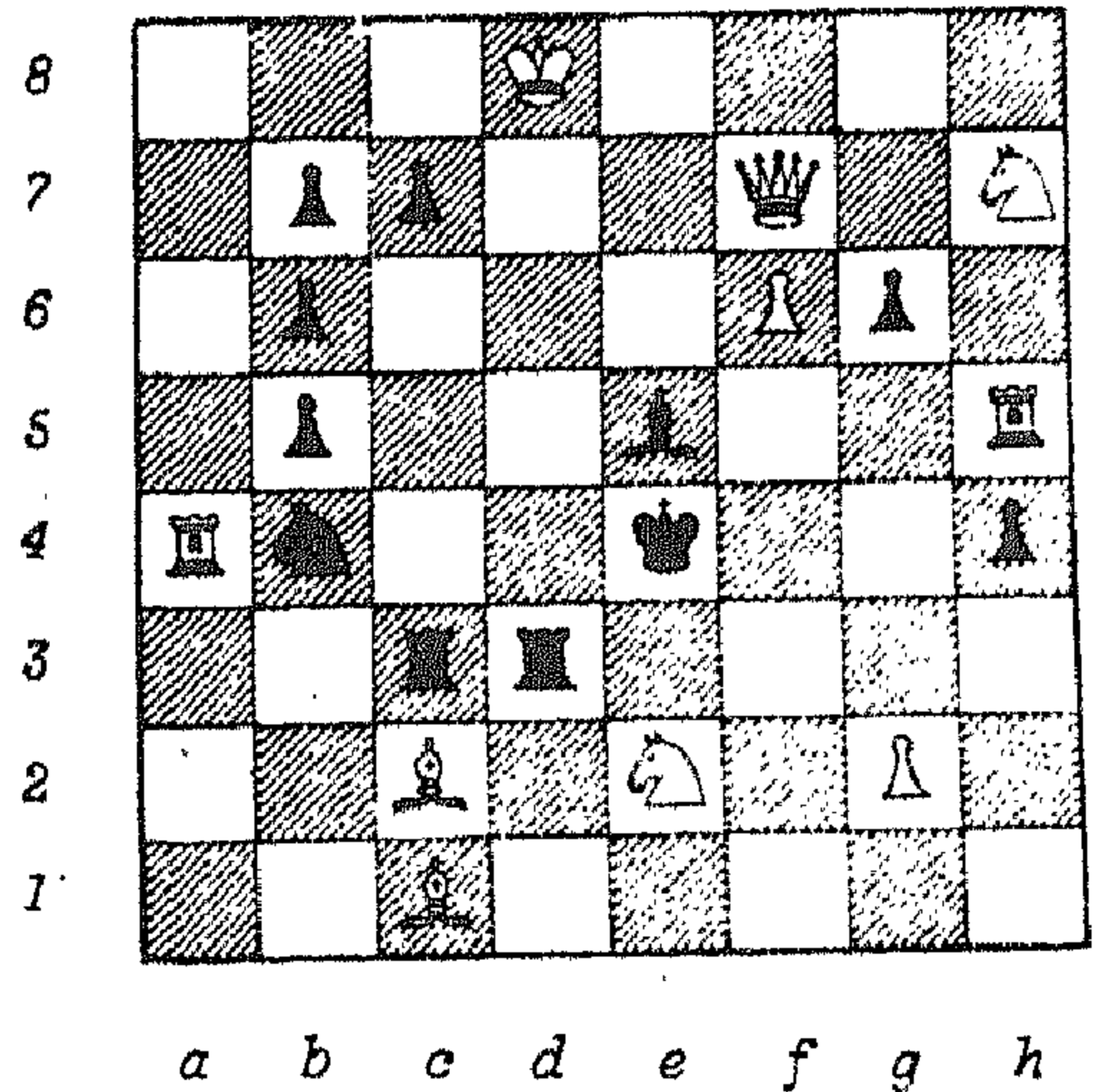
#### المسألة رقم ٦

مات بثلاث نقلات



#### المسألة رقم ٥

مات بنقلتين





الجوائز هي:

2  
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA  
الجائزة الأولى: مائة ليرة لبنانية للفائز الأول.  
الجائزة الثانية: اشتراك لمدة سنة في "تاريخ العرب والعالم" للفائز الثاني.  
الجائزة الثالثة: اشتراك لمدة نصف سنة للفائز الثالث.

الرموز: R تعني الشاه اي Roi باللغة الفرنسية يقابلها بالانكليزية K اي King  
T تعني الرخ اي Tour بالفرنسية يقابلها بالانكليزية R اي Rook  
C تعني الحصان اي Cavalier بالفرنسية يقابلها بالانكليزية N اي Knight  
F تعني الفيل اي Fou بالفرنسية يقابلها بالانكليزية B اي Bishop  
D تعني الوزير اي Dame بالفرنسية يقابلها بالانكليزية Q اي Queen

وان اللجنة التنفيذية للاتحاد العربي للشطرنج اقرت استعمال هذه الطريقة في جلساتها المنعقدة في تموز (يوليو) ١٩٧٧  
الحلول الواردة كما اسلفنا عديدة ولكن احدا باستثناء السيد اندره طويل من بيت مري لبنان لم يعط الحلول الكاملة صحيحة لذا فقد استحق الجائزة الشهرية.  
ملاحظة: اخذنا بالحلول التي وردت ضمن المهلة المحددة  
الفائز بالجائزة الاولى: اندره طويل - بيت مري "الحي الشرقي" ١٠٠ ل.ل.

■ وسننشر في كل عدد مع الحل الصحيح للمسائل المنشورة اسماء الذين توصلوا الى الحل الصحيح في المدة المحددة والذين سيكون لهم الحق بالاشتراك في الجائزة السنوية.  
ترسل الحلول الى ادارة المجلة ص.ب. ٥٩٠٥ ويكتب على الظرف مسابقة الشطرنج. يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.

حل المسابقة الاولى

المسألة الاولى: المفتاح R4 - 1 والنقلة الثانية واضحة  
المسألة الثانية: المفتاح Tb6 - 1

الحل:

1 - Tb6  
2 - Cb - C6... Fg5  
3 - Fxg6

الحلول الواردة

وصلتنا حلول عديدة للمسابقة الاولى من كافة المناطق اللبنانية ومن بعض الدول العربية وكل مشترك كتب الحل على طريقته الخاصة، لذا فاننا نلفت النظر الى ان الاتحاد الدولي للشطرنج اقر في السنة الماضية الترقية الجبري باللغة اللاتينية (انكليزي او فرنسي)، وهي الطريقة الوحيدة التي يجب على لاعبي الشطرنج في العالم الكتابة بها اعتبارا من سنة ١٩٨١ - لذا فاننا نرجو الجميع التقيد بهذه الطريقة في الحلول المرسلة خصوصا

الاسم :	فتية الشطرنج رقم ٣
المهنة :	
العنوان :	

# للطلاب فقط...



اعداد : سحر بعاصيري

الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي، خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم .  
ومن اجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد .  
والمطلوب الاجابة على الاسئلة جميعها ورافاقها بالقسيمة المنشورة الى جانب الزاوية، ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من اخطأ في احد الحلول .  
اذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فما عليك الا ان ترسل الاجوبة مع القسيمة الى عنوان المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة او الكلية او المعهد الذي تواصل تعليمك فيه . وتهمل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة مخصصة للطلاب . . . وللطلاب فقط

## من هي ؟

■ دولة اسلامية قامت بالمغرب والاندلس ما بين ( ١٠٥٣ - ١١٤٧ ) نشأت في ضنهاجة بالمغرب، وارتكز مذهبها الديني على صرامة الاخذ بتعاليم السلف . اسسها ابو بكر بن عمر اللمتوني الذي توفي ١٠٨٧ . وبرز فيها يوسف بن تاشفين ، مؤسس مدينة مراكش التي جعل منها قاعدته استعان به ملوك الطوائف في الاندلس ، بعد استيلاء الفونسو السادس ملك قشتالة على طليطلة ، فهب على راس جيشه لنجدتهم . وانتصر على الافرنج في معركة الزلاقة ( ١٠٨٦ ) ، ولما وقف على ضعف ملوك الطوائف ، الحق بلادهم بمملكته ، وعاد الى فاس ، واتخذها عاصمة ملكه . وبموته عام ١١٠٦ خلف دولة امتدت من السنغال الى نهر الايبر ، ومن الاطلس الى الجزائر . ومن ملوك هذه الدولة على بن يوسف ، الذي اسس في فاس ، ومراكش ، وتلمسان ، عمائر رائعة من بدائع الفن الاسلامي . وملك من بعده : تاشفين ابن علي ، وابراهيم بن تاشفين ، واسحق بن علي ، وكان آخر الولاة في الاندلس : يحيى بن غانية ( ١١٤٨ ) . ويعزى الى هذه الدولة نشر الاسلام في مملكة غانا القديمة بغربي افريقيا ، بفضل المصلح البربري عبدالله بن ياسين ، وتنظيمه المحكم للدعوة الاسلامية ، باقامته الرباطات للعبادة في الاماكن البعيدة عن المدن .

## من هو ؟

■ كان من ابرز المناضلين السياسيين في معسكر اللاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة في الفترة من ١٩٤٨ - ١٩٦٠ .

كان في طليعة قيادة المظاهرات الجماهيرية التي هبت لاحباط مشروع التوطين في شمال سيناء عام ١٩٥٥ التي حاولت (وكالة تحوت وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين) فرضه لتوطين اللاجئين في شبه جزيرة سيناء . ورفعت الجماهير آنذاك شعار لقد وقعوا مشروع التوطين بالحبر وسنمحوه بالدم " مشيرين بذلك الى التوقيع بالاحرف الاولى على المشروع . في ٥ آذار (مارس) ١٩٥٥ القى القبض عليه مع عدد من المناضلين الفلسطينيين في قطاع غزة ونقلوا الى احد السجون العربية . من الرواد الاوائل الذين ساهموا في صنع الانطلاقة الاولى للحركة . واكب مسيرة الثورة الفلسطينية باذلا من اجلها كل جهد وكان ان انتخب عضواً باللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) وعضواً باللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيساً للدائرة السياسية فيها ورئيساً للجنة السياسة استشهد في العاشر من نيسان ١٩٧٣ في منزله في شارع فردان على اثر الهجوم الاسرائيلي على بيروت .



## ما هي ؟

■ جمهورية صغيرة تقع شمال شرق إيطاليا وتبلغ مساحتها ميلاً مربعاً وعدد سكانها حوالي ٢٠,٠٠٠ نسمة يتكلمون الإيطالية ، أما العاصمة فهي مدينة سان مارينو ، وتقوم وحدة جمركية بين إيطاليا وهذه الجمهورية الصغيرة التي يحكمها وصيان يعينان مرة كل ستة أشهر بواسطة المجلس العام ، تعرف هذه الجمهورية بأنها أقدم وأصغر جمهورية في العالم وتحدها إيطاليا من كل الجهات البرية وقد انشئت هذه الجمهورية عام ٢٥٠م ، تعتمد على السياحة في اقتصادها بالإضافة الى عائداتها من بيع الطوابع ومنتجاتها من الخمر .

## من هو ؟

■ فيلسوف ورياضي اسلامي (٩٧٣ - ١٠٥٠) وهو المعروف "بالاستاذ" . اصله من فارس ومولده في عاصمة خوارزم . كان من بين الاسرى العديدين الذين حملهم معه السلطان محمود الفزنوي ، تعلم السنسكريتية وعدداً من لغات الهند كما درس الديانات والفلسفة الهندية بلغات اهلها . كذلك درس الفلسفة اليونانية وشيئاً من اللغة العبرية والسريانية . يعد من اعظم علماء الدولة الاسلامية ، كان فيلسوفاً ورياضياً ، وفلكياً وجغرافياً ورحالة وجماعة . اهم ما خدم به العلم انه اوضح استعمال الارقام الهندية ، مع استعمال الاصفار لمقام الخانات ، كما حل مسائل معروفة باسمه ، ولا تحل بالمسطرة والفرجار ، منها : قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية ، وحساب قطر الارض . ذكر ان سرعة النور اعظم من سرعة الارض كثيراً . وكان له بحث في الوزن النوعي واستخراج الاوزان النوعية لثمانى عشر مادة من المعادن والحجارة الثمينة بدقة بالغة . اشهر كتاب له هو "تاريخ الامم الشرقية" .

### الجوائز هي :

■ الجائزة الثانية: اشترك سنة في المجلة  
■ الجائزة الثالثة: اشترك نصف سنة في المجلة

■ الجائزة الاولى: خمسون ليرة لبنانية

### اجوبة مسابقة العدد الاول

- حادث فاشودا (عام ١٨٩٨)
- جزيرة مالطه - دولة مستقلة في البحر الابيض المتوسط تتكون من عدة جزر
- مدام ماري كوري
- مدينة فرساي في فرنسا
- ثابت بن قرة ، ابو الحسن الحراني

### الفائزون

- الفائز الاول: مازن حمود - جامعة القديس يوسف - كلية الهندسة - صيدا خمسون ليرة لبنانية .
- الفائز الثاني: سلطان اسعد - المدرسة البطريركية - بيروت . اشترك سنة في "تاريخ العرب والعالم"
- الفائز الثالث: عبد الغني محمود - معهد المعلمين - وكالة الغوث ص ب ، ٤٨٤ - عمان - الاردن ، اشترك نصف سنة في "تاريخ العرب والعالم" .

الاسم : -----	<b>قيمة للطالب فقط</b> رقم ٣
المهنة : -----	
العنوان : -----	

الاهتمام الذي استقبلت به " تاريخ العرب والعالم " من الصحافة في لبنان والوطن العربي، هو وسام تتمنى ان تكون أهلاً له .  
هذا الاهتمام وضع على كاهل أسرة تحرير المجلة مسؤوليات ومهاماً جساماً في اطار الدور الذي نذرت نفسها له، الا وهو اعادة كتابة التاريخ العربي واعادة اكتشاف ما عفا منه الزمن عليه، والوسام، اذن، في منظار "تاريخ العرب والعالم" لا يعني غير المزيد من الجهد والعرق والبحث املاً في الوفاء بالمهمة، او بالجزء الكبير منها، وباطلاع القارئ العربي على ما خفي عليه، أو أخفي عليه، من التراث الانساني الضخم على مدى التاريخ .

ولكن مجلة "تاريخ العرب والعالم" التي ظهرت في الاسواق في بداية هذا الشهر وضعتنا مرة أخرى في الماضي الحي . مجلة "تاريخ العرب والعالم" صدرت عن "دار السياسة للصحافة والنشر" ويرأس تحريرها فاروق البربير .

من خلال مراجعتنا للمعدد الاول الذي يبدو رصيناً في مقالاته علمياً في معالجته للاحداث التاريخية المختلفة يتأكد لنا ان هذه المجلة جاءت لتبقى .

### الشرق الاوسط

#### "تاريخ العرب والعالم"

##### اول مجلة تاريخية

##### عربية للقارئ العام

● في لندن كتب الدكتور محمود زايد

في الزميلة "الشرق الاوسط"

على الرغم من ان الصحافة العربية شهدت خلال السنوات العشر الاخيرة ظهور عشرات المجلات الاسبوعية والشهرية والفصلية . فانه من الملاحظ انها كانت تفتقر الى مجلة تاريخية تستهدف القارئ العادي مثل مجلة "هستوريا" الفرنسية، ومجلة "انترناشيونال هستوري" التي تصدر في سويسرا باللغة الانكليزية . ومجلة "هستوري تودي" التي تصدر في انكلترا .

ومجلة "تاريخ العرب والعالم" الشهرية التي ظهر العدد الأول منها في بيروت قبل ايام تسد بعض الحاجة الى هذا النوع من المجلات . فمادتها غنية بالمقالات المتنوعة التي لا بد وان تستهوي مختلف القراء . ففيها مقالات عن الفكر والمنهج التاريخيين احدهما بقلم الدكتور زريق والآخر بقلم الدكتور احسان عباس . كما أن فيها بضع دراسات لجوانب معينة من تاريخ العرب وترجمة لعمر المختار ووصفاً مثيراً لموت رومل ثعلب الصحراء ومقالات في تاريخ الشطرنج والرياضة والطوابع .

### الكفاح العربي

وكتبت الزميلة "الكفاح العربي"

● "تاريخ العرب والعالم" مع ما في هذا الاسم من تشويق وتوق، يجيء اسماً لمجلة تصدر في بيروت، من عددها الاول، يشعر القارئ انه ازاء مجلة من نوع جديد . والامل كبير في أن تستطيع هذه المجلة سد فراغ طالما عانينا منه .  
يرأس تحرير المجلة الجديدة ناشرها فاروق البربير .

### النهار الدولي والعربي

● في باريس كتبت الزميلة "النهار العربي والدولي" تقول:

مجلة جديدة تاريخية تصدر في بيروت بعنوان "تاريخ العرب والعالم" . في افتتاحية العدد الأول تعرف المجلة بنفسها بقولها: "اذا طالعك كلمة "العرب" بخط كوفي على غلاف هذه المجلة، فلا يعني هذا اننا سنقتصر على تاريخ الجزيرة العربية، او على تاريخ الجزيرة العربية، او على مرحلة . بل ان الصورة ستضع امامك الشعب العربي أياً كان موطنه من الخليج الى المحيط" .

من كتاب العدد الأول: قسطنطين زريق، ارنولد توينبي، محمود زايد، دافيد لويس، باسم الجسر، ديمقري برامكي .

### الاوريان - لوجور

مجلة على غرار "هستوريا" . . .

وكتبت الزميلة ايرين موصلي في "الاوريان لوجور" .

لبنان يعيش اليوم اياماً حزينة انسته ماضيهِ . . .



## النهار

### مجلة "تاريخ العرب والعالم"

ان قرأت العدد الاول

اخذتك مواضيع وتمنيت

معالجة اختبارية

كتب الزميل نزيه خاطر في "النهار" يقول في سياق مقال طويل:

ليست صدفة مجانية ان تنزل "مجلة شهرية تبحث في التاريخ العربي" الى السوق الثقافية. فنحن نمر بأيام حادة جداً، وجديدة جداً، وحاسمة الى اخر الحسم في ما يتعلق بحاضرنا، وقد تقيد بعض الاختيارات المتداولة حالياً مستقبل مجتمعاتنا لحقبة غير قصيرة من تاريخنا، كما ينتظر وقوع تعديلات في بعض "جغرافيا المنطقة" على حسب تعليقات الذين يصنفون بين العارفين، وهي جميعها من الاحداث والتنبؤات التي تلفت مباشرة الى الاهتمام بها من زاوية ارتباطها القريب او البعيد بتاريخنا القديم والحديث.

مجلة من "تاريخ العرب والعالم" تسد فراغاً، طبعاً، خاصة اذا هي ارتبطت بالتيار العلمي ذي التطلعات الحديثة في ثقافتنا العربية، فليس مهماً صدور منشورة، بل ما يساعد القارئ العربي على توضيح علاقته الموضوعية بهذا الشيء المقفل اعلامياً الذي يختصر دائماً بعبارة "التاريخ" والذي يبقى امراً غير متداول بين الناس، لكنه يزرع تحت كمية من غبار الزمن وجهد انسان كل يوم بمضمونه. اذ ان التاريخ العربي اما حكايات شعبية واما مجلدات ضخمة من فعل متخصصين واما مختصرات مدرسية سطحية وشبه مضجرة، وفي جميع الحالات انه موضوع كلام واستشهاد وذكريات وحجج تعين في الساعات الحرجة.

## النداء

### مجلة جديدة تختص:

"بتاريخ العرب والعالم"

كتبت الزميلة "النداء":

"تاريخ العرب والعالم"، مجلة جديدة، صدر منها العدد الاول، في بيروت، طموحاً الى اختصاص تتبعه مجلة شهرية، وهو التاريخ، من غلاف المجلة، يتراءى لك الطابع التاريخي الكلاسيكي، المادة الكتابية التي تحتويها المجلة، مرفقه بالصور وبعض الدوريات، من نشاطات التسلية، كلمات متقاطعة وغيرها، ربما في محاولة للافادة من التسلية، ببعض المعلومات التاريخية.

## المستقبل

وكتبت الزميلة "المستقبل"

■ صدر العدد الاول من مجلة "تاريخ العرب والعالم"، وهي مجلة شهرية تعنى بالتاريخ العربي، وتتضمن دراسات ومقالات متعددة حول تاريخ العرب والعالم، وقضايا فكرية وانسانية، وقد تصدر العدد الاول عدد من الاسماء اللمعة في الفكر والسياسة، من بينها الدكتور قسطنطين زريق، والدكتور الزميل باسم الجسر والمؤرخ ارنولد توينبي، والدكتور محمود زايد وغيرهم.

## الاخبار الاردنية

### اول مجلة عربية

في التاريخ

● في عمان كتبت الزميلة "الاخبار":

اصبح للتاريخ مجلته الشهرية في بيروت، فبعد سنوات طويلة من احتجاب - اوراق لبنانية - ليوسف ابراهيم يزبك، ومسلسلات عمر ابو النصر المشوقة، ها هو فاروق البربير يحاول على طريقته اخراج مادة التاريخ من حرم الجامعات ووضعها بين ايدي الناس، دون ان تفقد رصانتها ومصداقيتها. اسم المجلة الجديدة - تاريخ العرب والعالم - تصدر شهرياً عن دار السياسة للصحافة والنشر عدد صفحاتها مائة من المقياس المتوسط ومقالاتها مصحوبة بالصور والرسوم الايضاحية.

## السفير

### مجلة لبنانية جديدة

تضع التاريخ في متناول الجميع:

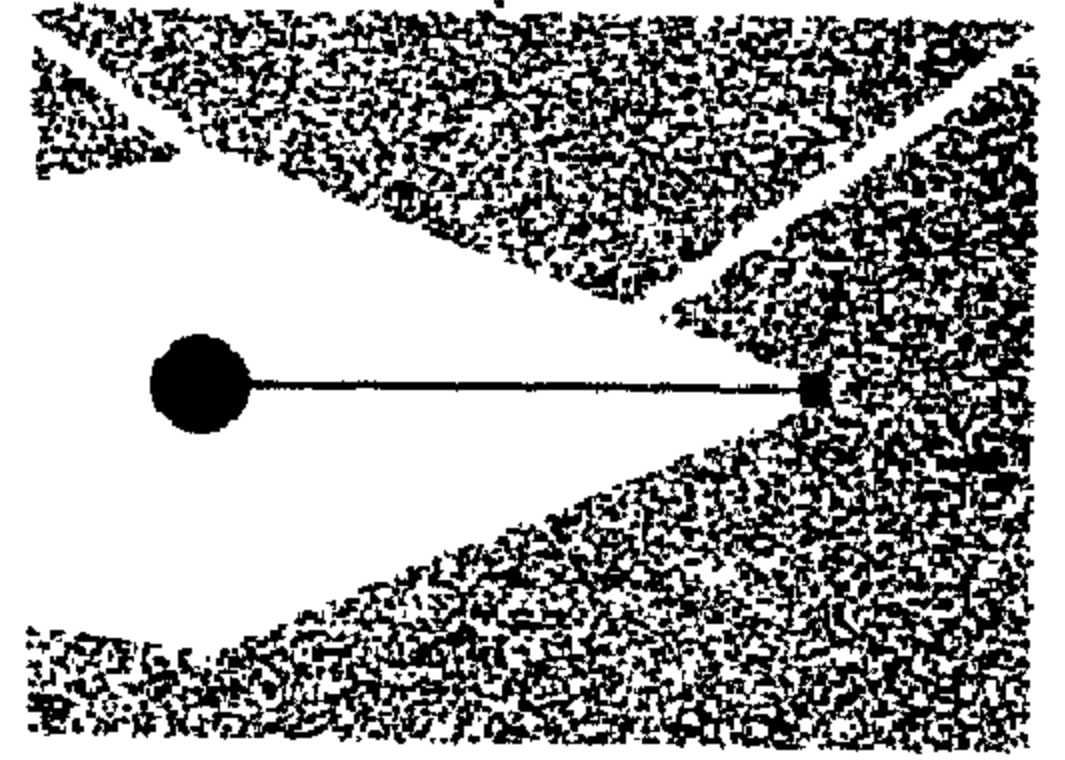
قسطنطين زريق: أي حضور

للعرب في العالم؟

كتبت الزميلة "السفير":

اصبح للتاريخ مجلته الشهرية في بيروت، فبعد سنوات طويلة من احتجاب "اوراق لبنانية" ليوسف ابراهيم يزبك، ومسلسلات عمر ابو النصر المشوقة، ها هو فاروق البربير يحاول على طريقته اخراج مادة التاريخ من حرم الجامعات ووضعها بين ايدي الناس، دون ان تفقد رصانتها ومصداقيتها. اسم المجلة الجديدة "تاريخ العرب والعالم" تصدر شهرياً عن دار السياسة للصحافة والنشر عدد صفحاتها مائة من المقياس المتوسط ومقالاتها مصحوبة بالصور والرسوم الايضاحية.

# بريد القراء



وصلت ادارة مجلة "تاريخ العرب والعالم" رسائل عديدة تبدي اعجابها وتشجع اسرة التحرير على المضي قدما .  
ونظرا لكثرة الرسائل الواردة نقتطف في مايلي بعضا مما كتبه اصدقاء المجلة واعدن جميع الذين لم ننشر رسائلهم في هذا العدد بذكر اسمائهم في اعداد لاحقة .  
وتشكر المجلة جميع من ارسل اليها مشجعا وترغب في ان تكرر انها ترحب بأية رسائل وتعد اصحابها بأن تأخذ بعين الاعتبار جميع الاقتراحات التي ترد .

## اقتراح قيد الدرس

● داخلني فرح وامتنان، اولا عندما سمعت عن صدور هذه المجلة الرائدة، وثانيا عندما تصفحتها واطلعت على محتواها . وامتناني لكم بالذات، كونكم ساهمتم في نشر الشطرنج - لعبتي وهوايتي الصعبة المنال - على صفحات مجلتكم، وهو ما عرضته من قبل على المسؤولين عن ابواب التسلية في مجلات هذا البلد وقد اعتذروا عنه، كونه "غير شعبي" ولا يجد محبذا بين اغلبية القراء - كأن هدف المجلة المبيع فقط، لا التوعية والتثقيف .

اما وقد لاحظتم هذا النقص وسارعتم الى سده فاني اتوجه الى اسرة التحرير بالشكر، لمبادرتهم المباركة ولكونهم لم ينسوا ان للطلاب حقا وواجبا، في الرعاية والتشجيع والمناصرة، في محيط لم ينتبه بعد لأثر العلم والمعرفة - معرفة الذات ماضيا وحاضرا ومعرفة الآخرين - في توجيه سير الاوطان والحضارات .

واود لو تسمحون لي بابداء اقتراح ونحن في اول الطريق معكم، يتعلق بدراسة تاريخ العلوم عند العرب خاصة، والشعوب المشرقية القديمة اذا كان ذلك ممكنا .

مخايل الهاشم - سرّ جبال - الشوف

● اقتراحك قيد الدرس . /لبنان/

● لقد وجدت ان العدد الاول من "تاريخ العرب والعالم" يسعى بجدية لنشر الوعي الثقافي بين ابناء الامة العربية انها مجلة حاوية وشاملة اظن انها تثرى الصحافة العربية الان وفي المستقبل .

عندما تصفحت هذه المجلة بدا لي ان القارئ العربي عموما وفي هذه الفترة بالذات يحتاج الى مثل هذه المجلة لانها تقدم ثقافة اصيلة وباسلوب

يرتفع عن الاسفاف الذي تمتلئ به صفحات كثير من الصحف والمجلات العربية . واقول لكم ان ظهور مجلتكم "تاريخ العرب والعالم" هو نبأ سعيد لكل باحث عن الثقافة الصافية الغنية في الوطن العربي . وهي مفيدة لتنمية عقل شبابنا العربي وللقضاء على اسباب التخلف الذي نعانيه .

ارجو اخيرا ان تحافظوا على هذا المستوى الممتاز الذي طالعناه في العدد الاول كما انني اشكر اسرة التحرير ومنهم الطالبة سحر بعاصيري التي اعدت مسابقة "للطلاب فقط" لما تحتويه من معلومات مهمة يجب ان يعرفها كل طالب .

بشر ابراهيم رمضان - الجامعة العربية

سنة ثمانية

## فراغ ثقافي

● تحية طيبة الى جميع العاملين في مجلة "تاريخ العرب والعالم" التي سدت فراغا ثقافيا في لبنان عند صدورنا نأمل ان تستمر في الظهور بصورة دائمة معرفة الشباب العربي على تاريخهم وتاريخ العالم .

سلطان اسعد - المدرسة البطريركية

بيروت

## الشطرنج والطوابع

● لقد سرني ان اقرأ مجلة مثل مجلتكم . وقد سرتني مواضيعها المثيرة العربية منها والدولية وقد سررت لاهتمامكم بالثروات الفنية ومنها الشطرنج والطوابع .

جان أبي فرح - شملان - لبنان



● تهنئة حارة من كل الذين قرأوا معي مواد العدد الاول من المجلة . ان الميزة التي اتفقنا على ملاحظتها في مجلتكم الرائدة هي توجيهكم منذ البدء الى ربط التاريخ القديم بالواقع المعاصر في منطقتنا العربية خصوصا ما جاء تلميحاً في المقال المهم للدكتور احمد ابراهيم العدوي حول "سيادة العرب على البحر المتوسط ثمرة لتعاون مصر والشام في ايام معاوية" . فالى الالام .

الطالب مؤيد عزيز واصدقاؤه/بغداد العراق

● تحية مودة وتقدير وعربونا لمودتكم يسعدني ان انتهز هذه الفرصة لابعث لكم بتقديري ومودتي لجهودكم الكبيرة في العمل على اصدار مجلة رائدة تبحث في الثقافة التاريخية لأول مرة في العالم العربي .

ملاحظة: وصلتنا من الصديق ايضا بطاقة بريدية يتمنى فيها لاسرة التحرير التوفيق والنجاح .

عبد الغني محمود - عمان /معهد المعلمين

### المشروع الصعب

● منذ العدد الاول لمجلتكم الغراء وجدت نفسي مدفوعاً للكتابة اليكم معبراً عن تقديري لهذا الجهد الكبير في اصدار مجلة مخصصة للابحاث وللثقافة التاريخية وهو موضوع تجاهلته دور النشر العربية في وطننا الكبير . ان الاسلوب العلمي الصارم والمنهج المتبع يشكلان ولا شك الانطلاقة السليمة لمتل هذا المشروع الصعب الذي نرجو ان يستمر . ولكم التوفيق .

د . منير كزما - بيروت - لبنان

### البحث التاريخي

● فوجئت بالعدد الاول من مجلة "تاريخ العرب والعالم" بين عشرات المجلات والصحف تأخذ مكانها برصانة ومن غير اي ضجيج اعلامي سبقها . وعندما تُصفحت العدد كان تفاؤلي اكبر مما تتصورون ، فاضافة الى المساهمة القيمة لكثير من المتخصصين المعروفين في البحث التاريخي لفت نظري تنوع مواضيع المجلة مما يجعلها بحق رائدة في هذا المجال في لغتنا العربية . وفقكم الله .

احمد محمد رضوان - حلب /سوريا

العدد الاول .

### الصور التاريخية

● لقد وصلتنا مجلتكم الغراء "تاريخ العرب والعالم" ، وقرأنا ما فيها من مواضيع مثيرة وشيقة ، كما سعدت جداً لأنني وجدت اخيراً مجلة تهتم بتاريخ العرب الذين اضاءوا العالم بعلمهم الذي لا يستطيع احد نكرانه ، كما أعجبنى ايضا الخط الذي هو اسم المجلة وكذلك الصور التاريخية القيمة التي زادت المجلة بهاء وقيمة في نفوس القراء . لذا اتمنى للمجلة كل تقدم وازدهار ، وان تكون على رأس المجلات العربية والاجنبية مقاما .

عبد الرحمن محمد السنيدي - قطر  
ص ٢٣٦٠ ب

● انه العدد الاول وسيكون وراءه عشرات الاعداد ، لا بل المئات حافلة بكل جديد ومشوق وجميل . اننا نقدر لكم هذا المجهود الكبير .

جان بطرس الخوري - جونية

### الثلث والالوان

١ - ان ثمن المجلة مرتفع قياساً لثمن مجلات علمية مشابهة . "فالعربي" مثلاً ليست بحاجة لتعريف ، ثم مجلة "الفصل" هي الاخرى غنية عن البيان .

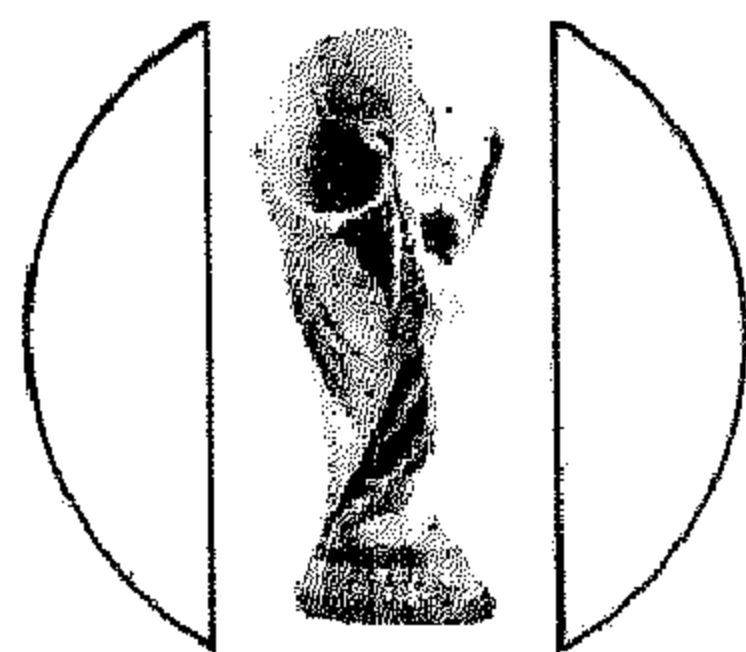
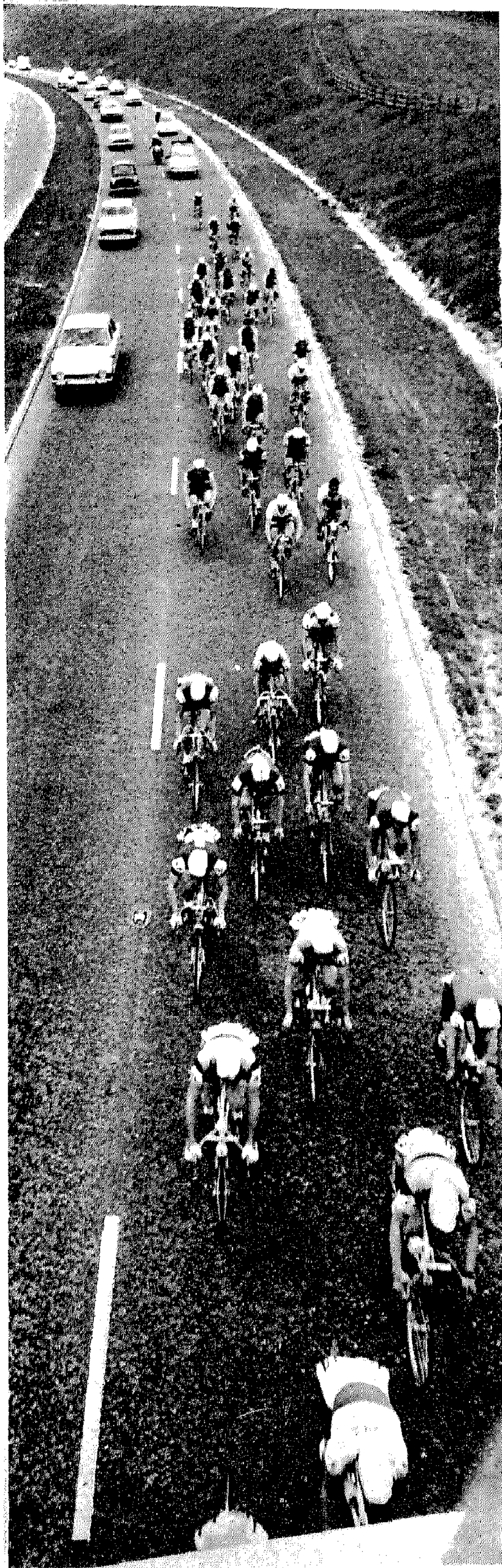
٢ - من ناحية الطباعة والالوان . المجلة ككل ، خطوة رائدة لكن حبذا لو امكن تلوين الصور . وتكبير الحرف .

اعتقد انكم ستقولون ان الكويت والسعودية هما وراء المجلتين المذكورتين . حسناً لكن القارىء واحد وصدقوني لو لم اكن احمل اليسانس في التاريخ من جامعة بيروت العربية وتهمني مجلة كهذه ما كنت لاشتريها فاذا كنتم تحرصون على نفاذ كل الاعداد ولتصل الى ايدي الطلاب . . . فرجاؤنا مراعاة ذلك .

٣ - كل شيء صعب في بدايته والكمال لله وحده لكن الحقيقة ان الفكرة ممتازة وشكراً .

حسن ابو نعسه - بيروت

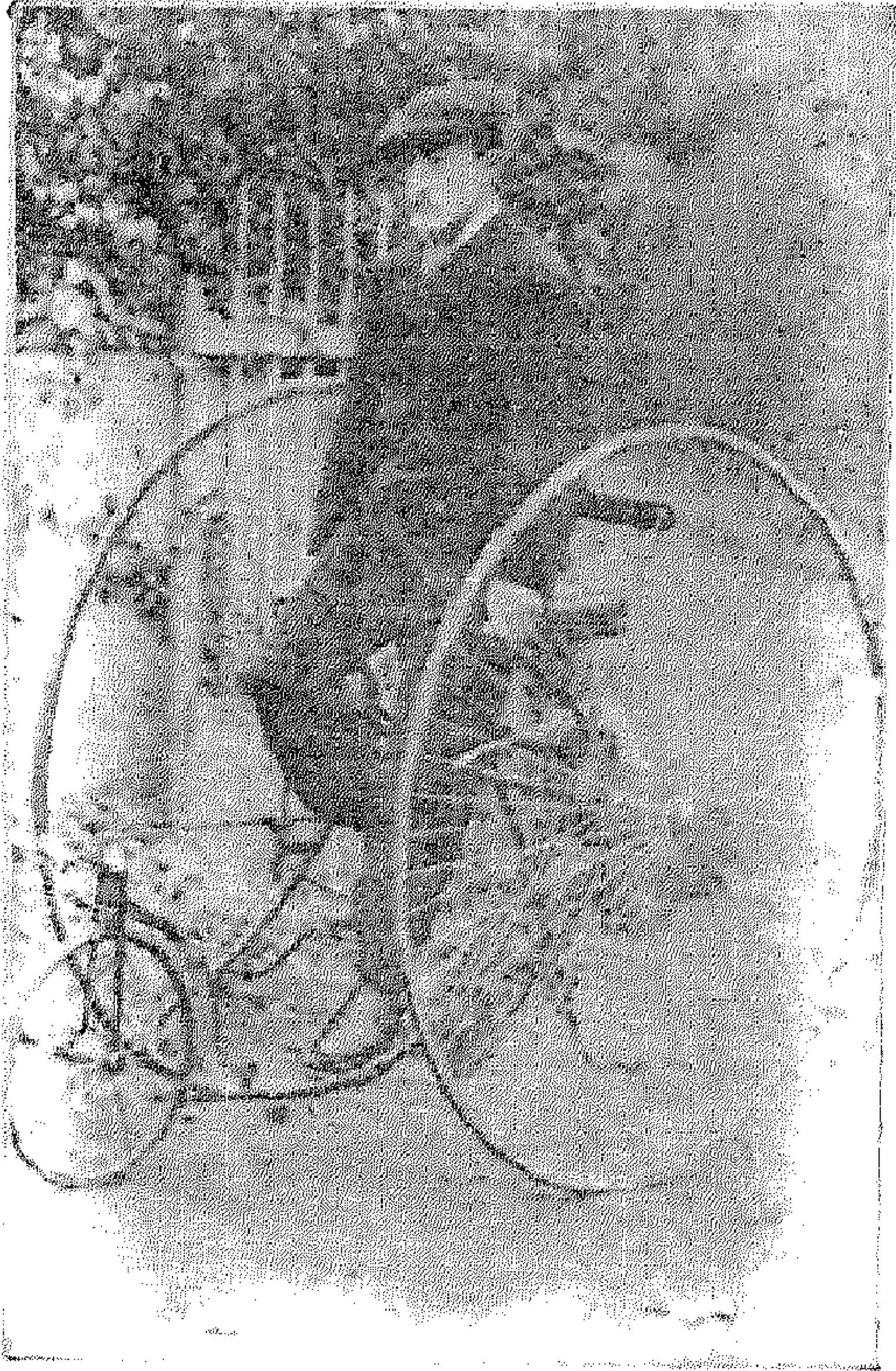
● شكراً للملاحظات وسنعمل على تنفيذ ما يمكن منها .



# تاريخ نشوء لعبة الدراجات

فؤاد مبيب





□ دراجد بسلامد دواليب

ابصرت رياضة "الدراجات" النور في ٣١ ايار ١٨٦٨ عندما نظم الاخوان "اوليفي" مديرا مصانع "ميشو" الفرنسية، سباقا في بارك سان كلود - فرنسا - فاز به الدراج الانكليزي جيمس مور، الذي فاز ايضا باول سباق نظم من مدينة الى اخرى بين باريس وروان عام ١٨٦٩ وكان معدل سرعته في تلك السنة ١٢ كيلو متراً و ٤٨٠ في الساعة .

بعد ذلك تطورت "الدراجة" وغزت رياضة سباق الدراجات اوروبا بكاملها وانطلقت الى اليابان كما غزت اوسترااليا وبرزت في فرنسا وايطاليا وبلجيكا واسبانيا حيث لمعت في سماء هذه الدول نخبة من نجوم هذه الرياضة .

ومرت "الدراجة" باشكال مختلفة قبل ان تصبح في شكلها اليوم .

وفي عام ١٨٨٨ افتتح "جون بويد دنلوب" عالم الدراجات باختراعه الدولاب الذي وصل ثمنه الى حوالي ١٥ الف فرنك فرنسي قديم . لا توجد لرياضة الدراجات قوانين بالمعنى الصحيح للعبة، بل قواعد تقام على اساسها سباقات محلية واقليمية ودولية . ويمكن تعديل هذه القواعد طبقا للسباقات .

وباستثناء البطولات الرسمية والدولية فان المسابقات تنظم وتمول من قبل مؤسسات خاصة أو صحف تغطي النفقات المترتبة على اقامة المسابقات .



□ مسابغة للسيدات جرت في فرنسا عام ١٨٥٩





الاصطافى في طريق فرنسا الاولى - الدراج رودولف مولر الذي فاز بالسباق - استنشى الطريق قبل عشرين يوما من السباق واستطاع الفوز .



الدراج صهرت بعد الحادد الملتية في فرنسا

وفي فرنسا حيث برزت رياضة الدراجات انشئت لجان قاصة تعني بهذه اللعبة بالاضافة الى الاتحاد الفرنسي للدراجات .

وفي عام ١٩٠٠ تأسس "الاتحاد الدولي للدراجات" ولم يزل حتى الان انقسم عام ١٩٦٥ لتييح للاعبين الاشتراك في الالعاب الاولمبية وهم بطبيعة الحال هواة ، وآخرين الاشتراك في سباقات دولية وعالمية وهم محترفون . وعليه اصبح للعبة اتحاد دولي للمحترفين واتحاد دولي للهواة .

### دورة فرنسا

في هذه المناسبة لا بد من التحدث عن اشهر دورة دولية في الدراجات تقام في العالم منذ عام ١٩٠٣ وهي "دورة فرنسا" التي اصبحت تاريخية نظراً لاستمراريتها منذ ذلك التاريخ ولم تتوقف الا ابان الحرب العالمية من ١٩٤٠ الى ١٩٤٦ .

وقد انجبت "المملكة الصغيرة" كما تسمى رياضة الدراجات ابطالا عالميين امثال الايطالي فوستو كوبي الذي فاز عدة مرات ببطولة العالم وبدورة فرنسا وبسباقات دولية اخرى . وباك انكتيل بطل فرنسا الدولي الذي حطم الارقام القياسية

العالمية والبطل البلجيكي ادي ميركس الفائز ايضا بعدة مرات ببطولة العالم وبدورات محلية ودولية . وغيرهم من الابطال الذين اشتركوا بسباقات عالمية ونالوا الشهرة .

ولا بد هنا من ان نذكر ان لبنان ايضا انجب ابطالا دوليين في هذه الرياضة امثال جاك نلتشيان وغارو موراديان وطارق وطلال ابو الذهب وكمال غلاييني وغيرهم من الابطال والبطلات . . .





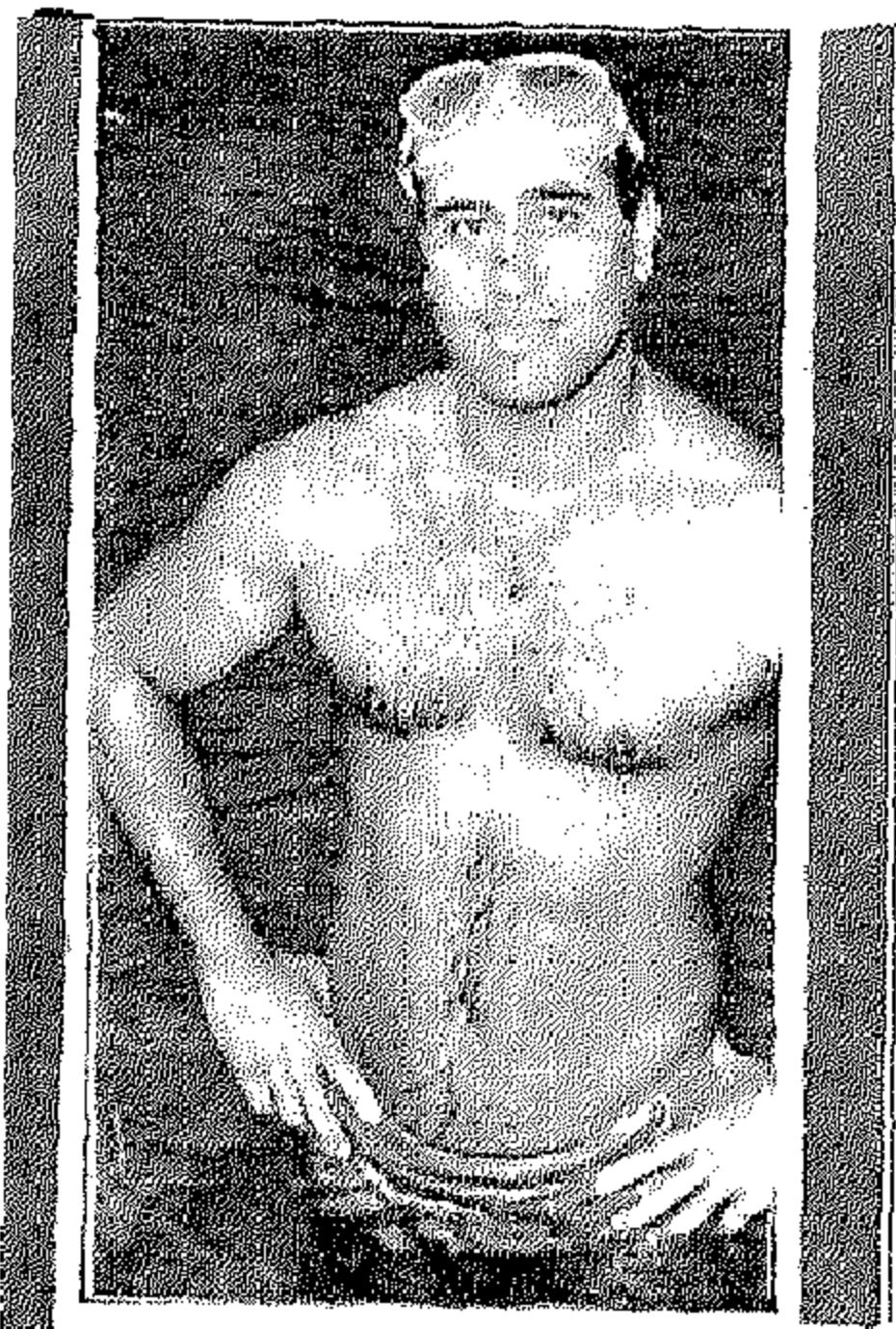
□ عند بداية "الدورة الاولى" عام ١٩٠٢ يبدو جان فيشر الذي لقب "بالمسلق" وبعد سباق دام ٧٢ ساعة اصبح نصف مجنون واصطدم بشجرة ٠٠٠



□ الدراج البلجيكي "كيرف" محاطا بانصاره قبل بدء دورة فرنسا الاولى التي اشترك فيها ٦٠ متسابقا وصل منهم ٢٠ فقط.

## المسابقة

### ■ اختبر معلوماتك:



■ سباح لبناني قطع المانش.

- ١ - بطل فرنسي فاز بدورة فرنسا في الدراجات خلال ١٩٦١ - ١٩٦٢ - ١٩٦٣ و ١٩٦٤.
- ٢ - بطل عالمي في القفز العالي فاز بدورة ميونيخ الاولمبية سنة ١٩٧٢.
- ٣ - عداء تونسي سجل عدة ارقام قياسية في سباقات المسافات الطويلة وفاز باولمبياد مكسيكو وطوكيو.
- ٤ - منتخب عالمي في كرة السلة فاز ببطولة العالم عام ١٩٧٠.
- ٥ - لاعبة سوفياتية عملاقة في كرة السلة طولها ٢٠١ سم لقبت باللاعبة رقم ١ في العالم عام ١٩٧١.
- ٦ - في أي سنة فاز الملاكم العالمي جو لويس بلقب البطولة؟
- ٧ - في اية مدينة ولد البطل محمد علي وما هو تاريخ الولادة؟
- ٨ - فريق انكليزي فاز ببطولة اوروبا بكرة القدم موسمي ٧٦ و ١٩٧٧ من هو وما اسمه؟
- ٩ - لاعب انكليزي دولي في كرة القدم لعب آخر مبارياته وكان عمره ٥٠ عاما؟
- ١٠ - اصغر بطلة عالمية لمع اسمها في رياضة الجمباز.



■ لاعب كرد عالمي اسائي.



■ بطل لسائي عالمي في التزلج على الماء.

### في اية مباراة؟

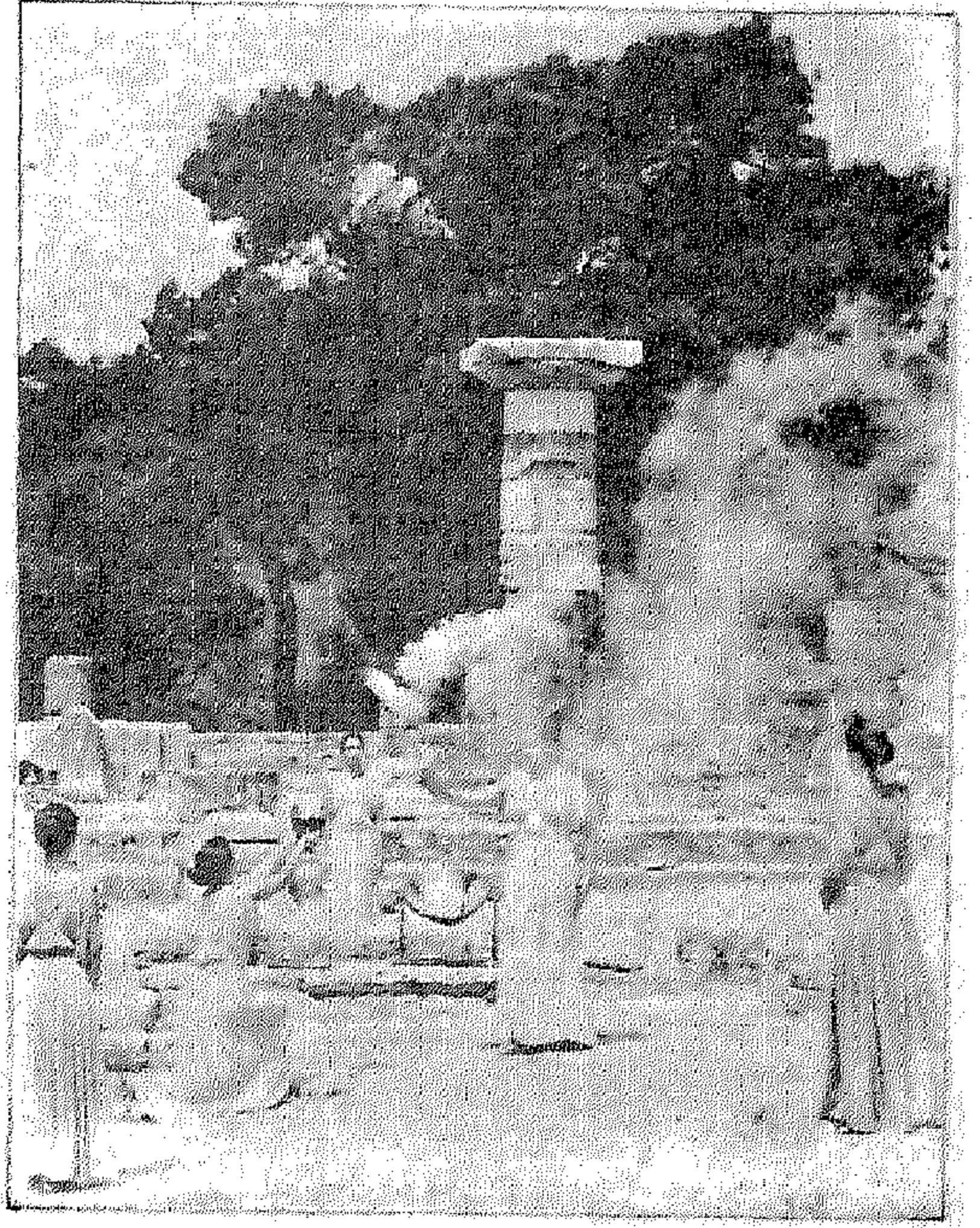
■ مباراة تونس - المكسيك والنتيجة كانت  
٣-١ لصالح تونس على ملعب روزاريو في  
الارجنتين.

٣ لاعبين

- كمبس - الارجنتين.
- فوجتس - المانيا الغربية.
- ريب - هولندا.

### الفائزون بمسابقة "تاريخ العرب والعالم" للرياضة:

- الفائز الاول: بسام ديب - برج البراجنة - بيروت فاز بالجائزة الاولى وقدرها مائة ليرة لبنانية.
- الفائز الثاني: سمير اسطفان - صيدا - لبنان جائزة بقيمة خمسين ليرة من محلات "سبور".
- الفائز الثالث: سالم محمد سعد الشروقي الدوحة - قطر ص.ب ٥٦٣٨: اشترك سنة في "تاريخ العرب والعالم".
- الفائز الرابع: جان بطرس الخوري - جونبة - مركز الهاتف اشترك نصف سنة في "تاريخ العرب والعالم".



■ الى بادا سمر همد المورده وابس احدي وما هي المناسبة العالمية.

### اجوبة مسابقة العدد الاول:

- ١ - سنة ١٩٠١ - جوهافلانج - ستانلي راوس.
- ٢ - ليف ياشين حارس مرمى منتخب الاتحاد السوفياتي.
- ٣ - ريال مدريد - فاز على ريمس ٤-٣.
- ٤ - البرازيل - فازت الاورغواي وجلت ثانيا البرازيل.
- ٥ - اللاعب الالماني ليز - المانيا والنمسا عام ١٩٣٤ في نابولي - سجل الهدف بعد ٢٤ ثانية في بدء المباراة.
- ٦ - مصر ١٩٣٤ - ١٩٥٤ - المغرب ١٩٧٠ تونس ١٩٧٨.
- ٧ - زكريا شهاب اولمبياد لندن وزن Bantam ١٩٥٢.
- ٨ - اللاعب الانكليزي "جيوف هيرست" عام ١٩٦٦ في المباراة النهائية بين انكلترا والمانيا الغربية.
- ٩ - منتخب مصر - فاز على المجر ٣-٠ صفر.
- ١٠ - فريتز واوتمار فالتر - المانيا الغربية - ١٩٥٤ بوبي وباك شارلتون - انكلترا - ١٩٦٦.

## قسمة الرياضة

رقم

٣





# الماضي الذي سيتأتي في اعتدادنا المقبلة







الجامع الأموي في دمشق . بُني في القرن الثامن الميلادي

العلاف الخارجي

دُست تشرب الرحلة على أنعام الموسيقى



السنة الأولى - العدد الرابع - تسباط " فبراير " ١٩٧٩ - الموافق ربيع الأول ١٣٩٩

- المقاومة الشعبية المصرية ضد الاحتلال الفرنسي
- الآثار العراقية من أقدم الأرملة حتى العصر الحري
- أسرار اتفاقية سايس - بيكو

■ ربيع الأول ١٣٩٩  
بطل وطني سداً مهابكم الازار الشقاء ؟

- ليلة الأمواس الطويلة
- زكراً تاريخية
- ساعة تحكمت بصير العالم
- الرياضة - التطريج - الطوايع - المروج - السابقات





الجامع الكبير في قرطبة (إسبانيا) بُني عام ٧٨٥ م -

دُمت تشرب العجيلة على أنغام الموسيقى



# تاريخ العرب والعالم

السنة الأولى  
المجلد الرابع  
شباط (فبراير) ١٩٧٩  
ربيع الأول ١٣٩٩ هـ

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

## الإشتراكات

٥٠ ل.ل	في لبنان
١٥٠ ل.ل	المؤسسات والدوائر الحكومية
٧٥ ل.ل	في الدول العربية
١٠٠ ل.ل	في أفريقيا وأوروبا
١٥٠ ل.ل	دول العالم الأخرى
٢٠٠ ل.ل	المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي

## ثمن النسخة

لبنان: ٤ ل.ل	سوريا: ٦ ل.س
العراق: ٧٠٠ فلس	ليبيا: ٨٠٠ درهم
السعودية: ٧ ريال	الكويت: ٥٠٠ فلس
الأردن: ٥٠٠ فلس	أبوظبي: ٨ درهم
دبي: ٨ درهم	قطر: ٧ ريال
البحرين: ٧٠٠ فلس	مسقط: ٨٠٠ بيضة

رئيس التحرير : فاروق البربر  
المدير المسؤول : محمد مشوشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان  
بناية أبو هليل - شقة ١١  
شارع السكادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني :  
شركة سيفما للتصميم والطباعة  
الإنتاج :  
المطابع التعاونية الصحفية  
التوزيع :  
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

## HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR  
A MONTHLY ILLUSTRATED  
MAGAZINE PUBLISHED FROM  
SADATE ST, ABOU HLEIL  
BLG, P.O.B. 5905  
TEL: 346276,  
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1  
N°4 Feb. 1979  
PRICE: 4L.L.  
ANNUAL SUBSCRIPTION:  
50\$ IN NON-ARABIC  
SPEAKING COUNTRIES

## قَبْلَ هَذَا العدد

■ المقالات الواردة توزع  
حسب التبويب الفني للمجلة،  
ولا علاقة لذلك بمكانة  
الكاتب، مع حفظ المكانة  
الاجتماعية للكاتب وغيرهم،  
تراعي في الالقاب الصفات  
العلمية فقط.

### الصفحة

### الموضوع

٣	■ المقاومة الشعبية المصرية ضد الاحتلال الفرنسي ١٧٩٨ - ١٨٠١ ..... د. احمد عبد الرحيم مصطفى
	■ الشيخ المناضل حسن سلامة ...
١٠	■ ومعرفة رأس العين ..... ع. د. ياسين سويد
١٦	■ تاريخ الاتفاقات البترولية في الوطن العربي ..... د. يوسف شبل
٢٢	■ مارو ... وعلمية التاريخ ..... د. جمال بدران
	■ انفجار لبنان عام (١٩٧٥ - ١٩٧٩) ...
٢٨	■ حذرت منه بعثة "ايرفد" قبل ١٩ عاماً ... .. الاب جوزيف لوبريه
	■ الامير فخر الدين الثاني، بطل وطني ...
٣٥	■ ام حاكم اراد البقاء؟! .....
٣٨	■ الآثار العراقية من اقدم الازمنة حتى العهد الكلداني د. ديمتري برامكي
	■ نظرة سريعة على الحضارة الانكلو - ساكسونية ...
٤٧	■ وبريطانيا د. سيد نوفل
٥٢	■ تراثيات: العقد الفريد لابن عبد ربه ..... د. الطاهر احمد مكي
٥٧	■ قاموس اقتصادي: "خطة" .....
٥٨	■ ليلة الامواس الطويلة: ساعة تحكمت بمصير العالم ..... عصام نعمان
٦٦	■ الفنان غويا: الوطني الصاخب ..... د. غلاس هالت
٧٣	■ جون روكفلر ... اسطورة حقيقية جعلته اغنى اغنياء العالم ... الان ديكو
٨٠	■ البروج الفلكية ... تاريخها ... واضواء عليها ..... منى تنير
٨٢	■ تاريخ الشطرنج: الصين مهد الشطرنج ام الهند؟ ..... محمد مراد سكر
٨٦	■ كيف نظمت عام ١٩٣٠ اول دورة عالمية لكرة القدم؟ ... وفيق علم الدين
٩٠	■ للطلاب فقط ..... سحر بعاصيري
٩٣	■ تاريخ حركة الطوابع البريدية في العراق ..... ميشال اسطفان

■ المقالات والدراسات ترسل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة في بيروت

■ المواد الواردة الى المجلة لا ترد اذا لم تنشر

■ المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبر بالضرورة عن اراء المجلة.



عندما يكون احتلال  
... نكون مقاومة

# المقاومة الشعبية المصرية ضد الاحتلال الفرنسي (١٧٩٨ - ١٨٠١)

د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

لعل مقاومة الاحتلال الجاثم على صدر الامة منذ العام ١٩٤٨ ، ثم بعد العام ١٩٦٧ ، هي ابرز معارك هذه المرحلة من التاريخ العربي ، ولم يقصر العرب ، على امتداد تاريخهم النضالي ، كما لم تقصر شعوب العالم الاخرى في مقاومة احتلال قوات غريبة لاراضيها او جزء من اراضيها ... وحتى في مقاومة الاحتلال السياسي والاقتصادي والمعنوي لفكر وسياسات وموارد هذه الشعوب المستعمرة .

ومن مقاومة الشعب العربي في مصر للاحتلال الفرنسي (١٧٩٨ - ١٨٠١) الى مقاومة الشعب الفيتنامي من ديان بيان فو الى سايغون ، الى مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال الصهيوني ... تاريخ طويل يجدر التوقف عنده بالدراسة والتعمق لاكتساب الخبرات .

ومن اجل ذلك كانت هذه السلسلة من تاريخ الشعوب في مقاومة انواع الاحتلال التي تعرض لها .

اهل لمدينة عن المقاومة حتى اقنعهم قائد السفينة العثمانية التي كانت بالميناء ٢٠٠ الفرنسيين انما جاؤوا لقتال المماليك ...

### في القاهرة

وبعد وقت قصير من احتلال القاهرة، قامت فيها أول ثورة ضد الحكم الفرنسي. ذلك ان الفرنسيين فرضوا ضريبة فادحة على الاهالي وصادروا الاملاك وابتزوا الاموال وهدموا المباني والاثار والمساجد وابواب الحارات بدعوى تحصين المدينة، واسرفوا في القتل ارباباً للناس. وبلغ هياج النفوس اشده، وتكونت لجان للثورة تديرها وتنشر دعوتها وتنظم صفوفها واتخذت الازهر مقراً لها. ونظم الشعب ديواناً للثورة، فنظم المتطوعين للقتال واستخرج الاسلحة المخبوءة.

وحين بدأت الثورة احتشدت الجموع في الازهر، وامتلات الطرقات بالناس حاملي السلاح من بنادق ورماح وسيوف وعصى قاصدين الاحياء التي يقطنها الفرنسيون. وهرع الجنرال ديبوي قومندان القاهرة وبعض رجاله الى منطقة بدء الثورة، فقتل هو وافراد من رجاله مما كان له اثره في تشجيع الثوار الذين استولوا على المواقع المحيطة بمعظم احياء القاهرة، واتخذوا من مصاطب الخوانيت متاريس اقاموها في الشوارع والحارات، اخذوا يطلقون من ورائها النيران.

وازدادت جموع الثوار بمن انضم اليهم من الضواحي، واخذ الناس يتجمعون بالازهر حتى اجتمع فيه وحده ١٥٠,٠٠٠ من اشد الثوار حماساً. واستعد الفرنسيون واخذوا يضربون المدينة بالمدافع، واخذت القنابل تتساقط على حي الازهر وما حوله في الوقت الذي شرع فيه الثوار بالهجوم على موقع الازبكية مواجهين نيران العدو الحامية، مما ادى الى تسليقهم المنازل والاسطح المشرفة على الموقع، واحتلوا جامعاً صغيراً هناك، واصلوا الازبكية نارا حامية قتلت الكثير من الفرنسيين. ورغم ذلك اخمدت ثورة القاهرة الاولى ازاء تفوق الاسلحة الفرنسية.

### في الدلتا

ولقد بدأت المقاومة الشعبية في الدلتا على اثر نزول الفرنسيين الى البلاد، ثم ما لبثت ان امتدت الى مدن الوجه البحري وريفه جميعاً بشكل منتظم مستمر. بل ان الاهالي قد امتنعوا عن تموين الفرنسيين، وكانوا كلما قدم العدو الى قرية من القرى طلباً للمؤونة وجد اهلها قد حملوا متاعهم واخذوا مواشيهم وتركوها الى القرى البعيدة. وما ان قامت القاهرة بثورتها الاولى حتى كان لها صدى واسع في شتى اطراف البلاد، فقامت البلاد كلها وكأنها على موعد، لدرجة ان الفرنسيين ظنوا ان الامر متفق عليه بين المصريين جميعاً.

■ جاء الفرنسيون الى مصر بقيادة نابليون بونابرت جرياً وراء اهداف عسكرية استعمارية ترتبط بكفاح فرنسا الثورة ضد انكلترا ارتباطها بالاتجاهات الاستعمارية التي عبر عنها كثير من المفكرين والساسة الفرنسيين في القرن الثامن عشر. جاؤوا اليها مزودين ليس فقط بجيش يستعمل الاسلحة الحديثة التي تطورت في اوروبا، بل بقائد محنك وبمجموعة كبيرة من العلماء والمهندسين والفنيين.

وكانت مصر حينئذ لم تخرج كثيراً في وسائل دفاعها عما كانت عليه الحال في العصور الوسطى حين تغلب المصريون والمماليك على الحملة الفرنسية في اواسط القرن الثالث عشر واسروا ملكها القديس لويس التاسع، وبذلك كانت القوى غير متكافئة من البداية الى النهاية.

ورغم ذلك، ورغم ادراك المصريين قوة خصمهم لم ينوا لحظة عن مقاتلة الفرنسيين منذ نزولهم الى الاسكندرية (اواخر حزيران ١٧٩٨) حتى جلائهم عن البلاد (ايلول ١٨٠١). قاتلوهم في المدن الكبرى، ورفعوا لواء العصيان في ساحات الدلتا جميعاً، وقاوموا مقاومة اعنف في الصعيد حيث الرجال اشد بأساً، وحيث الطبيعة الجغرافية تساعد على حرب الكر والمفر، وحيث المسافة بعيدة عن العاصمة والمواصلات صعبة.

وقامت القاهرة قوميتين عنيفتين (تشرين الاول ١٧٩٨ واذار ١٨٠٠) كان لهما اثرهما في اخراج مركز الفرنسيين على الرغم من المحاولات المتكررة التي لجأ اليها هؤلاء لاسترضاء القاهريين بوجه عام والمصريين بوجه خاص. فعبثاً حاول نابليون ان يخاطب المصريين بلغة الحرية والاخاء والمساواة التي خرجت بها الثورة الفرنسية، مثيراً فيهم امجاد مصر القديمة التي تقطعت بها الاسباب. وعبثاً تظاهر باحترام تقاليدهم وعقائدهم وتقريب زعمائهم والتلويح لهم بالاستقلال الذاتي. ذلك ان النظام الاداري الصارم الذي وضعه الفرنسيون، وما اضطروا الى فرضه من الضرائب وتدخلهم في صميم حياة الناس، واتضح مخالفة سلوكهم للتقاليد الشرقية وبعض اصول التقاليد الاسلامية - كل ذلك قد اوجد هوة بين المصريين والفرنسيين.

وقد بدأت الاسكندرية الكفاح فلقد حصن اهلها اسوار مدينتهم وشحنوا القلاع بالامداد والذخائر جهد طاقتهم، وفزعوا الى السلاح، وركبوا المدافع الثقيلة على اسوار المدينة استعداداً للكفاح، وعهدوا الى جماعة من الفرسان بمناوشة الفرنسيين قبل اقترابهم من المدينة.

### الاسكندرية تقاوم

وفي الاسكندرية ذاتها احتشد الناس على الاسوار وفي الابراج مسلحين بالبنادق والرماح. وحين حدث الهجوم الفرنسي العام اخذ الاهالي يطلقون النار من مدافعهم اطلاقاً غير محكم. وقاومت المدينة مقاومة شديدة ولكنها كانت غير مجدية امام الاسلحة الفرنسية، فاقتحمها الفرنسيون وهاجموا الناس في بيوتهم. ولم يكف





□ رفع العلم

التحصن بالوجه القبلي ومقاتلة الفرنسيين اذا انضم اليه الاهالي وعضدوه، وان بمقدوره ان يقطع الغلال عن القاهرة والوجه البحري لهذا قرر نابليون ان يبعث قوة فرنسية لتحطيم قوة مراد واخضاء الصعيد ضمناً لوصول الغلال والاغذية الى القاهرة والوجه البحري حتى لا تقع بهما المجاعة.

وسارت قوات الفرنسيين قاصدة الاستيلاء على سفن مراد التي استطاعت الافلات الى اسيوط، على حين التقت القوة المملوكية مع الفرنسيين عند سدمنت، وكانت قد انضمت الى قوات مراد اعداد كبيرة من الاهالي فرسانا ومشاة، وكادت الدائرة تدور على الفرنسيين لولا تفوق مدفعيتهم وحسن قيادتهم.

وكانت معركة سدمنت آخر المعارك المنظمة التي قادها مراد، ثم تحولت بعد ذلك الى حرب عصابات يقوم بها الاهالي في طول الصعيد، ومعهم بعض الاعراب الذين اتوا من الحجاز الى القصير، وفي ابان هذه المعارك نجح الفرنسيون في تحطيم قوة مراد دون ان يقضوا عليها تماماً، ولكنهم لم ينجحوا في اخضاع الاهالي، فحدثت معارك في البلاد الاتية: المتيا، ابو جرج، بني عدي، طنطا، جهينة، سوهاج، الصوامعة، برديس، جرجا، سمهود، الروسية، قنا، ابو مناع، اسنا، قفط، ابنود، واسوان.

حقاً لقد قاتلت القرى المجاورة وارسلت متطوعيا الى القاهرة، مما جعلها موضعاً للانتقام الفرنسيين الذين ارسلوا اليها الكتائب بعد اخماد الثورة لتجوبها بحثاً عن اعيانها ومشايخها الذين اشتركوا في الثورة فقبض عليهم وحوكموا واعدم بعضهم.

هذا وقد نشط المصريون في مهاجمة المراكب الفرنسية بين القاهرة ورشيد والاسكندرية، وفتكوا بمن فيها، واستمرت المقاومة في الوجه البحري، وبخاصة في طنطا والمنصورة ومن دمياط الى الاسكندرية وازدادت اشتعالاً بعد توجه نابليون الى الشام (١٧٩٩)، وما كاد الاهالي يشعرون بقلعة عدد الجند الفرنسيين حتى بدأت تقوم الثورات في الدلتا من جديد: فبدأت في الشرقية، وامتدت الى وسط الدلتا وغربيها حيث حدثت عدة معارك في كفر نجم وسنهور ودمنهور، ولم تهدأ الحال حتى عاد الفرنسيون من الشام.

### موقعة امبابا

وبعد هزيمة المماليك في موقعة امبابا على ايدي الفرنسيين اعتقد مراد بك ان بإمكانه

## ثورة القاهرة الثانية

ولعل ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين تستحق منا وقفة خاصة لما سجله الشعب المصري خلالها من بطولات جماعية وفردية. ففي اواخر عهد الحملة الفرنسية كان السلطان العثماني قد اتفق مع الانكليز على التعاون بقصد اخراج الفرنسيين. وكان الجنرال كليبر - خليفة نابليون - يائساً من مصير الحملة تواقاً الى الرجوع برجاله الى فرنسا - ففتح باب المفاوضات مع الاتراك والانكليز للجلاء عن مصر طبقاً لاتفاقية العريش ((كانون الثاني ١٨٠٠)). ولكن الحكومة الانكليزية لم توافق على الاتفاق برغم تقدم القوات العثمانية صوب القاهرة تنفيذاً للاتفاقية. ولما علم كليبر برفض انكلترا تصدى للاتراك ووقع بهم هزيمة كبيرة في عين شمس (٢٠ آذار ١٨٠٠)، غير ان فريقاً من الاتراك والمماليك استطاع دخول القاهرة مما شجع الشعب على رفع لواء الثورة من جديد. وكانت الاشاعات قد راجت في المدينة بانهزام الفرنسيين، واتخذ مروجوها من وجود الكتيبة العثمانية دليلاً على ذلك، فهاج الشعب واستعد للمقاومة.

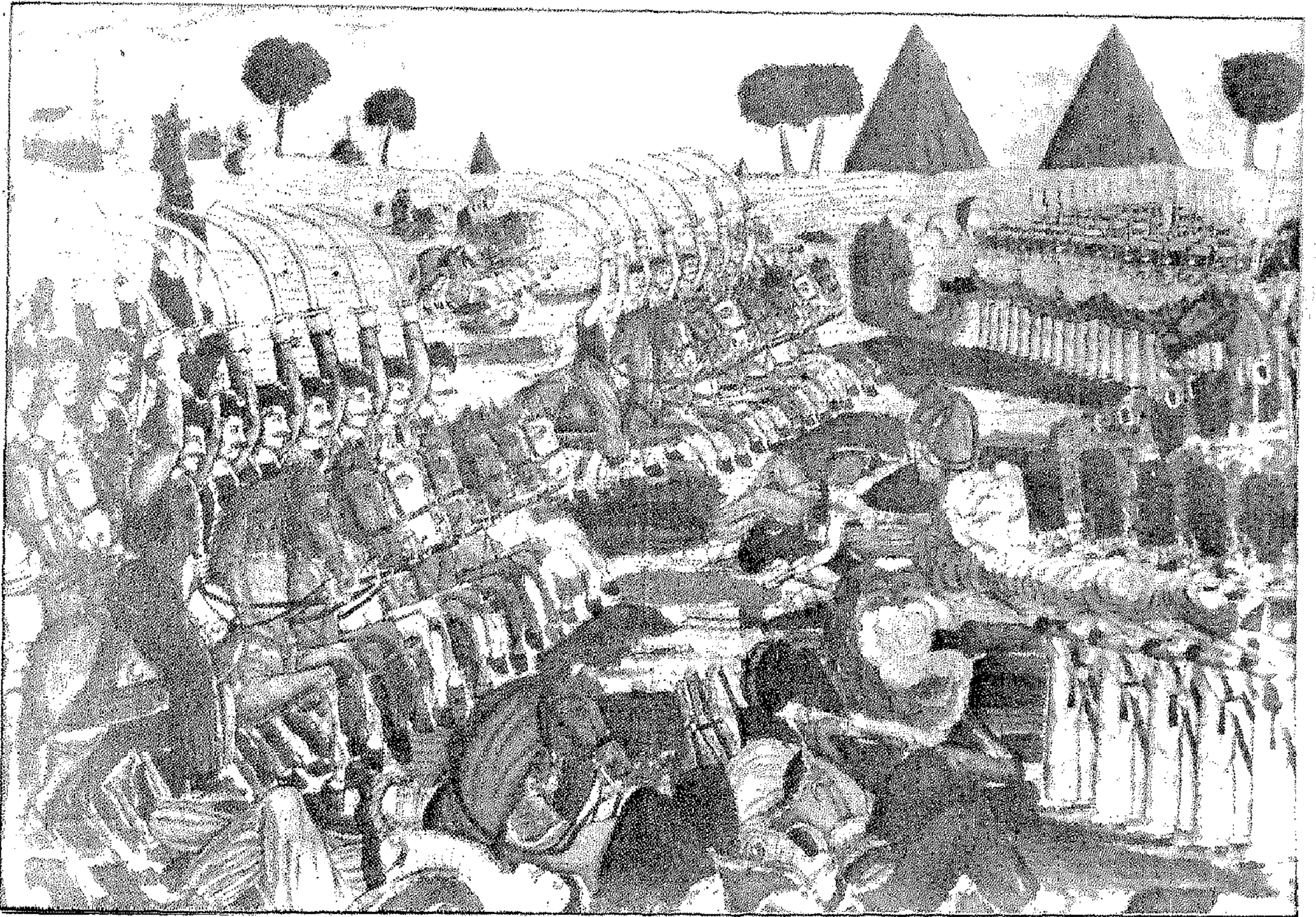
وقد بدأت هذه الثورة في حي بولاق بزعامة الحاج مصطفى البشتلي، وكان الفرنسيون قد اعتقلوه من قبل لوجود بارود مخزون في قدور في وكالته، ثم اطلقوا سراحه بعد توقيع اتفاقية

العريش، ثم انضم اليه عمر مكرم واحمد المحروقي كبير تجار القاهرة.

وقد بدأ الاهالي بمهاجمة مواقع الفرنسيين، ولما ردتهم المدافع عنها احتلوا البيوت المشرفة عليها مستخدمين المدافع المطمورة وثلاثة مدافع جاء بها الاتراك، واستطاعوا حصر الفرنسيين في معسكرهم بالازبكية.

غير أن القلاع ظلت تقصف المدينة بقذائفها، وما أن مرت على اندلاع الثورة ثلاثة أيام حتى كانت قد عمت القاهرة. وكان الاهالي قد انشأوا في اربع وعشرين ساعة مصنعاً للبارود، وآخر لاصلاح الاسلحة والمدافع، وثالثاً لصنع القنابل وصب المدافع وجمعوا له الحديد من المساجد والحوانيت، وتطوع الصانع للعمل فيه وقدموا ما لديهم من الحديد والالات والموازين بل اخذوا يجمعون بقايا القنابل المتساقطة من المدافع الفرنسية ويستعملونها في صنع قذائف جديدة.

وتطوع الاهالي لامداد الثوار بكل ما يلزمهم من مؤن، وتولى المحروقي وباقي التجار النفقات والمآكل والمشارب. كما عاونهم في ذلك كل سكان القاهرة وأهل الارياف القريبة. وأقام الثوار في بولاق ومصر القديمة حصوناً واضحت جميع الوكالات والمخازن والبيوت على النيل قلاعاً يخندقون فيها حتى سيطروا على الملاحة في النيل.



معركة الاهرام ١٧٩٨ وبمساعدة الجنود المصريين من جانب "البريد في التاريخ" للدكتور ارنولد توينبي.



والحديد، وجمعوا الى ذلك الحدادين والنجارين والسباكين وارباب الصنائع الذين يعرفون ذلك، فصار هذا كله يصنع ببيت القاضي والخان الذي بجانبه والرحبة التي عند بيت القاضي من جهة المشهد الحسيني، وباشر السيد احمد المحروقي وباقي التجار وسائر الناس الكلف والنفقات والمآكل والمشارب، وكذلك جميع اهل مصر: كل انسان سمح بنفسه وبجميع ما يملكه وأعان بعضهم بعضاً وفعلوا ما في وسعهم وطاقتهم من المعونة، واما اهل بولاق فانها قامت على ساق واحدة، وتحزم الحاج مصطفى البشتيلي وامثاله وهيجوا العامة وهياؤا عصيهم واسلحتهم ورمحوا وصفحوا

وبعد ان عاد الجيش الفرنسي على اثر انتصاره على الاتراك، رأي كليبر ان احسن وسيلة لقمع الثورة هي اخضاع الوجه البحري والبلاد المجاورة للقاهرة بقصد تطويقها، محاولا في الوقت نفسه ان يفرق بين العناصر الثلاثة في المدينة: الاتراك والمماليك والشعب. ففاوض الاتراك ان يحدوا



رسم لـ كليبر في طريقه الى يد حاصل سوري

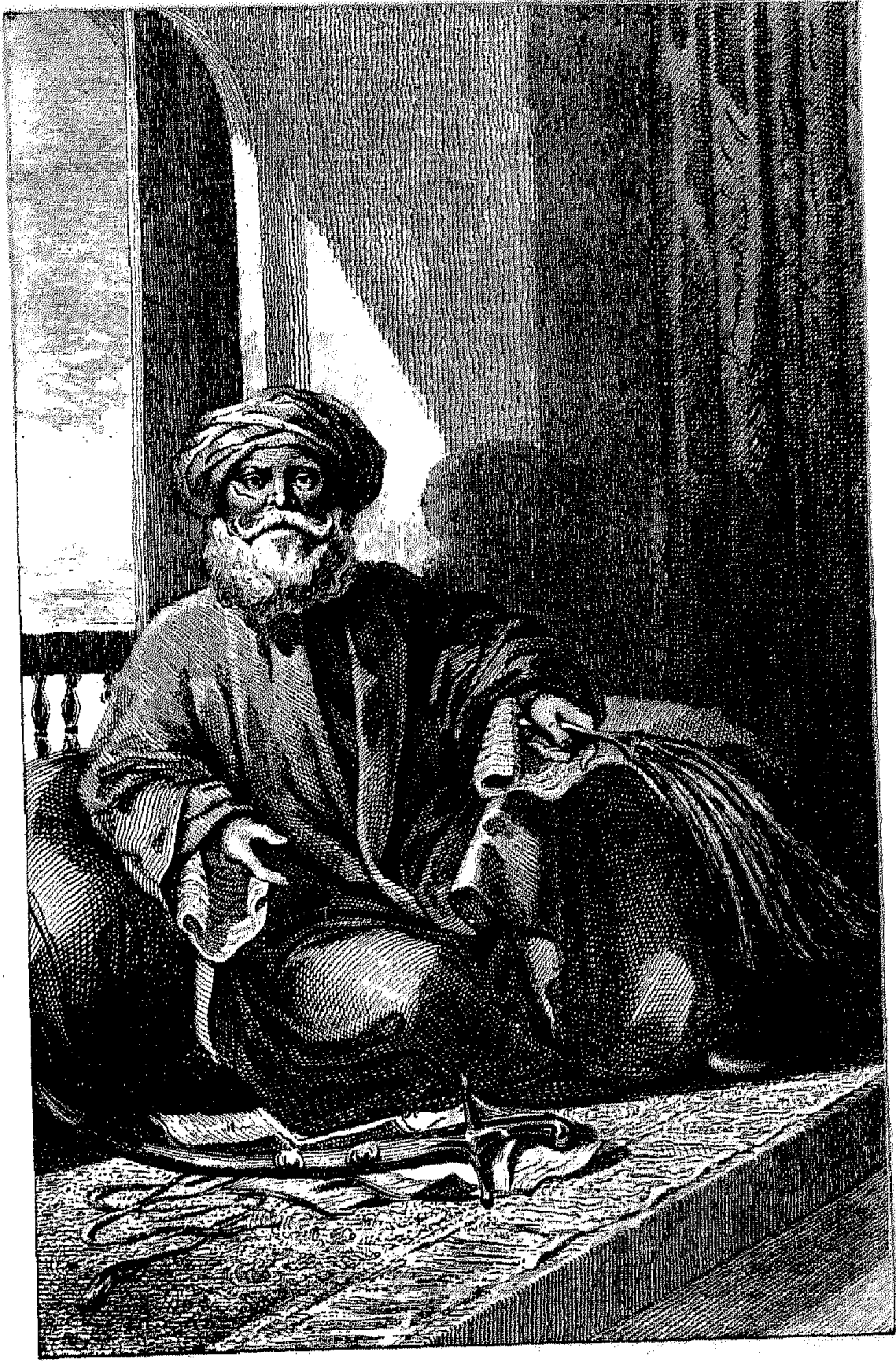


□ نابليون بونابرت عام ١٨١٠ رسم "غروندون"

### ماذا يقول الجبرتي؟

ويصف لنا الجبرتي بعض احداث الثورة كالآتي: "في الصباح تهيأ كبراء العساكر والعساكر ومعظم اهل مصر، ما عدا الضعيف الذي لا قوة له للحرب، وذهب المعظم الى جهة الازبكية، وسكن الكثير في البيوت الخالية، والبعض خلف المتاريس، واخذوا عدة مدافع زيادة على الثلاثة المتقدمة وجدت مدفونة في بعض بيوت الامراء، واحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التي يزنون بها البضائع، من حديد واحجار، واستعملوها عوضاً عن الجبل (القنابل) للمدافع. وبعد ايام اغلقوا باب القرافة (المقبرة) وباب البرقية وباقي الابواب التي في اطراف البلد، وزاد الناس في اصطناع المتاريس وفي الاحتراس. وصار جميع اهل مصر اما بالازقة ليلاً ونهاراً وهو من لا يمكنه القتال، واما بالاطراف وراء المتاريس - وهو من عنده اقدام وتمكن من الحرب ولم ينم احد ببيته سوى الضعيف والجبان والخائف.

"وانشأ عثمان كتحدا معملا للبارود ببيت قائد اغا بخت الخرنفش، واحضر الفندقجية والعرجية والحدادين والسباكين لانشاء مدافع وبنبات واصلاح المدافع التي وجدوها في بعض البيوت وعمل العربات والجبل وغير ذلك من المهمات، واحضروا ما يحتاجون اليه من الاخشاب وفروع الاشجار



□ لوحة لمراد بك

خصوصاً البنات الكبار على الدوام والاستمرار،  
 أثناء الليل وأطراف النهار.. في الغدو والبكور  
 والأسعار.. وعمدت الاقوات وعلت اسعار المبيعات،  
 وعزت المأكولات وفقدت الحبوب والفلات، وارتفع  
 وجود الخبز من الاسواق، وامتنع الطوافون به على  
 الاطباق.. وسارت العساكر الذين مع الناس في  
 البلد يخطفون ما يجدونه بأيدي الناس من المأكول  
 والمشارب... واستمر ضرب المدافع والقنابل  
 والبنادق والنيران ليلاً ونهاراً، حتى كان الناس  
 لا يهنا لهم نوم ولا راحة، ولا جلوس لحظة لطيفة  
 من الزمن"  
 "واستمر القتال على أشده في كل حي وفي كل

منها بسلاحهم، كما أرسل الى المماليك من يطلب  
 منهم الكف عن القتال بعد ان كان قد صالح مراد  
 بك على ان يعينه حاكماً على الصعيد تحت الحماية  
 الفرنسية بعد ان تقدم مراد بقواته حتى مشارف  
 القاهرة.

وما كاد يتفق مع كل من الطرفين وينجح في  
 اخضاع الوجه البحري وتطويق القاهرة حتى دك  
 المدينة بالمدافع من كل جانب وعندئذ - على حد  
 قول الجبرتي:

"اشتد الحرب وعظم الكرب.. واكثروا من الرمي  
 المتتابع بالمكاحل والمدافع، واكثروا واوصلوا وقع  
 القنابل والبنات، من أعالي التلّول والقلعات،



شارع ، وكان أعنف قتال في حي بولاق : "وقاتل اهل بولاق جهدهم ورموا بانفسهم في النيران حتى غلب الفرنسيين عليهم وحصروهم من كل جهة وقتلوا منهم بالحرق والقتل وبلوا بالتهب والسلب ، وملكوا بولاق وفعلوا بأهلها ما يشيب من هول النواصي وصارت القتلى مطروحة في الطرقات والازقة واحترقت الابنية والدور والقصور" .

وهكذا فان قوة السلاح واقتدار الاهالي الى المدافع والمواقع الحصينة انهى القتال الى جانب الفرنسيين الذين استعملوا منتهى الوحشية في الانتقام: فقد كانوا يشعلون النيران في كل حي يدخلونه وفي كل بيت ليحرقوه على من فيه من النساء والاطفال حتى صارت بعض الاحياء مثل بولاق والازبكية وبركة الرطلي خراباً واكواماً من التراب والرماد .

واخيراً اضطر الاهالي الى التسليم ، وتولى العلماء الوساطة واخذوا من كليبر العفو الشامل والامان ولكنه ما لبث ان تنكر لهما بعد ان خضعت له المدينة .

وهكذا كانت الحرب ضد الفرنسيين مستمرة

بانتظام في طول القطر وعرضه حتى تم جلاؤهم عنه ، هذا برغم كل ما سبق ان اشرنا اليه من ان القوى لم تكن متكافئة بين الطرفين: فالجيش الفرنسي الذي حاول اخضاع مصر هو الذي قيض له في ما بعد ان يدوخ اوروباوان يخضع معظمها للسيطرة الفرنسية ، هذا في الوقت الذي لم تكن مصر تمتلك فيه جيشاً اهلياً ثابتاً بإمكانه ان ينظم الدفاع عن البلاد .

فالمماليك الذين كانوا يحكمون البلاد وهم يمثلون فروسية العصور الوسطى ، قد شغلوا حين بدت بوادر الهزيمة بنفائسهم واموالهم التي اهتموا بها اكثر من اهتمامهم بشؤون الدفاع ، فأخذوا في نقل ما في قصورهم الى بيوت صغيرة غير معروفة ، كما ارسلوا كنوزهم الى الاقاليم او اودعوها ثقاتهم ومعارفهم حتى لا تصل الى ايدي المغيرين .

أما الشعب فقد ظهر في وقت الشدة ارقى نفساً وانبل مقصداً: فلم يتوان عن البذل والفداء بالنفس والنفيس حتى اقض مضاجع الفرنسيين ، وكان من العوامل الاساسية في فشل الحملة الفرنسية . ■

□ عن مجلة "الهلال" ، العدد الثامن ، أوغسطس (آب) ١٩٦٧

## آراء في التاريخ

■ كان السلطان العثماني محمود الثاني مولعاً باللغة العربية وآدابها ، ومن الصدفة العجيبة أنه بينما كان في نزهة بحرية اذ أبصر شيخاً جرفه تيار البحر وكاد أن يغرق ، فأمر حاشيته بانقاذه ، ولما وضع الشيخ يده على حافة الزورق انشد السلطان:

فيم اقتحامك لج البحر تركبه

فأجابه الشيخ:

وانت تكفيك منه مصة الوشل

اريد بسطة كف استعين بها

والبيتان من لامية الطفرائي المشهورة ومطلعها:

وحلية الفضل زانقني لدى العطل

اصالة الرأي صانتني عن الخطل

فسر السلطان من الشيخ واجازه .

★ ★ ★

■ رأى الفيلسوف اليوناني المشهور ديوجين لافته علقت على احد البيوت كتب

عليها: لا يدخل نجس هذا الباب

فكتب تحت هذه الجملة ما يأتي: إذن من أين يدخل صاحب البيت:

★ ★ ★

# الشيخ المناضل حسن سلامة ... ومركة رأس العين

العقيد الدكتور ياسين سويد



الشيخ حسن سلامة

■ الشيخ حسن سلامة (١٩٠٣ - ١٩٤٨) واحد من أبرز المناضلين العرب الفلسطينيين في العقدين الثالث والرابع من هذا القرن. ولد الشيخ حسن بن علي سلامة (أبو علي) عام ١٩٠٣ في قرية قولة قضاء اللد، من عائلة عربية عريقة، فنشأ نشأة وطنية خالصة وبدأ يعمل، منذ نعومة أظافره، بالقضايا الوطنية والقومية. ثم برز نشاطه في التحرك الوطني الشامل الذي بدأ ينفذه، منذ مطلع الثلاثينات، وضد الانتداب الانكليزي والمخطط البريطاني لتنفيذ وعد بلفور وإنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، نفر من الشباب العربي الفلسطيني، على رأسهم المجاهد الشهيد عبد القادر الحسيني، ومن أبرزهم الشيخ المناضل حسن سلامة.

وقد أنشأ هؤلاء الشباب في العام ١٩٣١ تنظيماً سرياً شبه عسكري لتجهيز الشباب العربي الفلسطيني وتدريبه وتسليحه وإعدادهم للقتال، وقد سمي هذا التنظيم في البدء بأسم "منظمة المقاومة والجهاد" ثم استبدل به اسم "الجهاد المقدس"، وقد بدأ النشاط الفعلي لهذا التنظيم منذ الاضراب العام والشامل في فلسطين عام ١٩٣٣. ثم استمر يتصاعد شاملاً القطر الفلسطيني كله. فكان الشيخ حسن سلامة، مع المناضل شحادة حسونة يمثلان قضاء اللد في هذا التنظيم، وكانت أهم قرارات هذا التنظيم تلك التي اتخذت في الاجتماع السري الذي عقد في "عقبة جبر" (أريحا) في آذار (مارس) عام ١٩٣٤ ومن بينها: إعادة بناء التنظيم السري على أساس الخلايا، وتكليف قائد التنظيم عبد القادر الحسيني مهمة إنشاء هذه الخلايا، ثم تعيين "لجنة عليا للتنظيم" مؤلفة من حسن سلامة ونافذ الحسيني وجميل الفارسي وصالح الريماوي وأميل الغوري، لمعاونة عبد القادر في أعماله ومهامه، وتنمية موارد التنظيم من المال والسلاح.

وفي عام ١٩٣٥ انضم هذا التنظيم الى مجموعة التنظيمات السرية التي كانت تعمل على الارض الفلسطينية ضد اليهود وحليفهم دولة الانتداب البريطاني، وشكلت جميعها - باستثناء تنظيم القسام - "منظمة فلسطينية عسكرية عامة" اسمها "الجهاد المقدس" ظلت تعمل على الساحة الفلسطينية بزعامة الحاج امين الحسيني السياسية، وقيادة عبد القادر الحسيني العسكرية، حتى حدوث النكبة الكبرى عام ١٩٤٨. وقد لعب الشيخ حسن سلامة في هذه المنظمة دوراً بارزاً وبخاصة في حوادث عام ١٩٣٦ حين تقرر، في اجتماع عقده المنظمة في اللد في ٥ نيسان (ابريل) من العام نفسه، تشكيل فصائل من "الجهاد المقدس" للرد على الاعتداءات اليهودية





■ الشهيد عيسى حسن سلامة ابن الشهيد  
الشيخ حسن سلامة

## هذا البحث

### المتواضع

□ قبل أيام من استشهادك، يا أبا حسن، كنت اعلل النفس بلقاء معك، لأتحدث، من خلالك، الى والدك الشيخ المناضل، الذي سبقك الى الشهادة منذ ثلاثين عاماً، وما كنت ادري، ونحن نتفق على الموعد، أن يد الغدر ستكون أسبق مني اليك، وأن موعدك مع والدك البطل، في رحاب الله، سيلغي، من مفكرتك، كل المواعيد.

وأني، اذ أقدم الى روبيكما الطاهرتين، هذا البحث المتواضع، العابق بعبير شهادتيكما، أقر انه يفتقر الى الكثير الكثير من وهج البطولة التي عرفتها فيك، ولمستها من خلال درسي لسيرة ابيك، وهو ما كنت آمل أن تبوح لي بومضات منه قبل أن تطبق عليه أجفانك، وشغاف قلبك، الى الابد.

وستظل سيرتكما النضالية، واستشهادكما، البطولي، أبا وأبناً، حافزاً لكل المناضلين، ونصراً للقضية.

بيروت/٢٤/١/٩٧٩

ع. سويد

ووضع حد لها، والتنسيق مع ثورة القسام التي بقيت - برضى الجميع - خارج المنظمات السرية، واهمة كل من هذه الفصائل، "قطع طرق المواصلات بين تل ابيب والمستعمرات اليهودية على الساحل، ومنع السيارات اليهودية من المرور في المناطق العربية باتجاه تل ابيب والساحل، والقيام بغارات على ثكنات الجيش البريطاني ومخافر الشرطة للاستيلاء على الاسلحة والاعتدة والذخائر"، وقد اسندت قيادة احدى هذه الفصائل الى الشيخ حسن سلامة الذي نشط في هذا الميدان ايها نشاط، وقد بلغ العمل الوطني الفلسطيني ذروته في هذه الاثناء على اثر الاضراب العام الذي اعلنه عرب فلسطين في فجر العشرين من نيسان (ابريل) ١٩٣٦ والذي تصاعد من الاضراب السلمي العام الى التظاهرات الصاخبة فالثورة العارمة، اذ بلغ في اول ايار (مايو) وبعد مرور عشرة أيام على بدء الاضراب، دعا عبد القادر الحسيني مجلس قيادة المنظمة الى اجتماع سري عقد في القدس، واتخذ على الاثر قرار سري باعلان "التمرد والعصيان على الحكم البريطاني والقيام بثورة مسلحة عامة تستمر حتى النصر"، وكان الشيخ حسن سلامة، في هذا الاجتماع التاريخي الخطير، بالإضافة الى شهادة حسونة وحسين خليل وأسكندر حبش، ممثلين لقضاء اللد، وما لبث ان وضع القرار السري باعلان الثورة موضع التنفيذ في السابع من ايار (مايو) نفسه، وهكذا ظهر التنظيم السري الى العلن، وكشف المناضلون الفلسطينيون القناع، وبدأت الثورة العربية الفلسطينية الكبرى التي اطلق عبد القادر الحسيني، في منتصف ليل ٦-٧ ايار (مايو)، اولى رصاصاتها.

### مناطق عسكرية

وقد قسمت قيادة الثورة فلسطين الى عدة مناطق لكل منها قيادة عسكرية محلية ترتبط مباشرة بالقيادة العامة للثورة التي كان مركزها بلدة بير زيت في قضاء رام الله، وكان الشيخ حسن سلامة قائدا لمنطقة يافا التي تشمل أقضية يافا واللد والرملة، ولكن هذه الثورة توقفت في صبيحة يوم ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه (١٩٣٦) اي بعد مرور خمسة اشهر واسبوع واحد على اندلاعها، وذلك تلبية لنداء اصدته اللجنة العربية العليا لفلسطين (التي كان يرئسها الحاج امين الحسيني)، وبعد مداخلات دولية وعربية لا مجال لذكرها في هذا البحث.

وقررت الحكومة البريطانية ايفاد "لجنة ملكية بريطانية" للتحقيق بالقضية الفلسطينية، ووصلت هذه اللجنة الى فلسطين في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٣٦، وباشرت أعمالها في الخامس عشر منه، لتنتشر بعد ذلك، وفي ٧ تموز (يوليو) ١٩٣٧، تقريراً توصي فيه بانشاء دولة



■ الشيخ حسن سلامة يشرح للمجاهدين على خارطة، خططه العسكرية.

### الشيخ حسن في العراق

وما أن تمكن البريطانيون من أخمد الثورة عام ١٩٣٨ حتى لجأ الشيخ حسن سلامة الى العراق والتحق بالجيش العراقي. ثم اشترك مع عدد من المناضلين الفلسطينيين، الذين كانوا قد لجأوا ايضا الى العراق، بثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الانكليز عام ١٩٤١. ولما فشلت ثورة الكيلاني غادر الشيخ حسن العراق الى المانيا حيث تدرب على فنون القتال وزرع الالغام وحرب العصابات. وعاد الى فلسطين مع مناضل آخر من رفاقه هو ذو الكفل عبد اللطيف، وثلاثة من المغامرين الالمان المتحمسين للقتال ضد الصهيونية. وحطت الطائرة بهمؤلاء الخمسة في سهل اريحا عام ١٩٤٥ حيث حاولوا اشعال نار الثورة ضد الانكليز واليهود، الا انهم لم يوفقوا اذ علمت السلطات الانكليزية بامرهم فاعتقلت ثلاثة منهم هم ذو الكفل واثان من رفاقه الالمان. اما الشيخ حسن فقد تمكن من اللجوء الى بلدة العباسية في سوريا، حيث بقي الى ان صدر قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٤٧، فعهدت اليه قيادة الجهاد المقدس بقيادة المجاهدين في القطاع الغربي للمنطقة الوسطى، اي القطاع الواقع بين يافا ووادي الصرار واضعة تحت قيادته: ٣ سرايا متحركة و٤ سرايا تدمير ونحو ٢٥ مفرزة دفاعية ووحدتين طبييتين تتمركز جميعها على خمس جبهات هي:

يهودية في جزء من فلسطين، مما الهب مشاعر الغضب والرفض في نفوس الفلسطينيين والعرب جميعا، وعلى رأسهم الحاج امين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا، الذي نشر في ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٧ وفي بيروت، وكان منقيا فيها، بيانا رفض فيه قرارات اللجنة الملكية البريطانية رفضا قاطعا. وفي ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) نفسه، اجتمع مجلس قيادة منظمة "الجهاد المقدس" سرا في مقره السابق في بير زيت، وبرئاسة المجاهد عبد القادر الحسيني، وتقرر في هذا الاجتماع استئناف الثورة. وبلغ المجلس قراره هذا الى مختلف قيادات الجهاد المقدس في سائر المناطق الفلسطينية، ممددا، ساعة الصفر للبدء بالتنفيذ، وكانت ساعة الصفر هذه فجر اليوم الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٣٧.

وخاض الشيخ حسن في هذه الثورة عدة معارك في منطقة يافا (التي كان قائدا لها) وقام بنفسه بعدة عمليات ناجحة ضد الجيش البريطاني، واهمها عملية "ويلهلم" (بين اللد ويافا) التي أدت الى نسف قطار عسكري يعمل على الخط الحديدي بين حيفا واللد، ومصرع عدد كبير من الجنود البريطانيين الذين كان يقلهم هذا القطار. وقد لحق الجنود البريطانيون الناجون برفيقه المناضل محمد سمحان فقتلوه، اما هو فقد تمكن من الافلات من قبضتهم.



رابعاً - الاتصال: بالقيادة العامة، أساساً، ثم بقائد منطقة القدس عبد القادر الحسيني، وقائد الجبهة الشمالية فوزي القاوقجي، لتبادل المعلومات فقط.

### "ملجأ الرجاء"

وقد اتخذ الشيخ حسن "ملجأ الرجاء" الواقع على طريق يافا - الرملة، مركزاً لقيادته، نصف اليهود هذا المركز بتاريخ ٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ بواسطة عميلين من جنود الانتداب البريطاني، مما أدى الى خلاف بين الشيخ حسن وبين زملائه القادة العراقيين والسوريين الذين اتهموه بالاهمال، فنقل مركز قيادته الى بلدة العباسية شرقي يافا، ولكن لم يتمكن الشيخ حسن من القيام بالمهام الموكولة اليه فقد سبق ان طلب، في كتاب منه الى اللجنة العسكرية بتاريخ ١٨ شباط ١٩٤٨، تعزيز حامية يافا وجميع الحاميات الداخلة في قطاعه العسكري، وذكر في كتابه هذا ان حامية يافا لا تتعدى الخمسة مقاتل، طالباً من اللجنة العسكرية (وكان اللواء طه باشا الهاشمي هو المفتش العام للمتطوعين في اللجنة والموجه الاول لها) ان ترسل اليه ٣٦٠٠ متطوع يتم توزيعهم على الحاميات في قطاعه كما يلي: ١٥٠٠ في يافا، ٥٠٠ في سلمة، و ٥٠٠ في بينا، والباقي ١١٠٠ في اللد والرملة ويازور وصرفند وقليلية. الا أن جواب طه باشا الهاشمي للشيخ حسن كان سلباً، معتبراً ان مهمته في ذلك القطاع هي مهمة دفاع ومشاغلة فقط الى أن يتم حشد قوات الانقاذ فيها.

وفي ٢٦ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ انسحب الشيخ حسن سلامة من يافا بعد ان سلم مهمة حمايتها والدفاع عنها الى فوج (كتيبة) من جيش الانقاذ بقيادة المقدم عادل نجم الدين (عراقي). ولكن هذا الاخير استبدل به بعد ايام فقط، الرئيس ميشال العيسى قائد فوج اجنادين من الجيش نفسه وفي اثناء عملية الاستبدال بين القائدين تعرضت حيفا لهجوم يهودي كاسح من ناحيتين: تل الريش من الناحية الجنوبية، ومنشية الفوقا، فصد العرب اليهود من ناحية تل الريش، ولكن هؤلاء تمكنوا من دخول، حي المنشية واحتلوه وقصوا على الكثير من سكانه العرب. ولم تصمد حيفا بعد ذلك طويلاً فسقطت في أيدي اليهود بعد هدنة بينهم وبين حاميتها استمرت حتى الخامس عشر من ايار (مايو)، يوم اعلان ولادة الدولة اليهودية. وكانت سلمة قد سقطت قبل ذلك وكذلك يازور (٣٠ نيسان - ابريل). وقاتل من نجا من أهل سلمة وحاميتها الى جانب الشيخ حسن سلامة في المعارك التي جرت بعدئذ في العباسية واللد والرملة، وآخرها معركة "رأس العين" التي جرت يومي ٣٠ و ٣١ ايار (مايو) ١٩٤٨، والتي جرح على أثرها الشيخ المناضل جرحاً بليفاً أدى الى استشهاده في الاول من حزيران (يونيو) عن عمر يناهز الخامسة.

- جبهة مدينة يافا.
- جبهة القرى الواقعة شرقي يافا.
- جبهة اللد وقراها.
- جبهة الرملة وقراها.
- جبهة المجدل وقراها. (انظر الخارطة)

وفي ٦ آذار (مارس) ١٩٤٨ تلقى الشيخ حسن سلامة، من امير اللواء الركن اسماعيل صفوت باشا رئيس اللجنة العسكرية المشكلة بموجب قرار من مجلس الجامعة العربية بتاريخ ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧، مذكرة يثبته بموجبها، بأسم اللجنة العسكرية، في قيادة القطاع، ويحدد له مهماته على الوجه التالي:

اولاً - منطقة العمليات التابعة للشيخ حسن سلامة: منطقة اللد (القطاع الغربي للمنطقة الوسطى سابقاً)

- شمالاً: خط يمتد من هرتسليا الى حوارة.
- جنوباً: خط يمتد من المجدل وجورة عسقلان الى الفالوجة.
- شرقاً: خط مواز للطريق العام المار من نابلس الى رام الله فالقدس فبيت لحم فالخليل.
- غرباً: البحر الابيض المتوسط.
- ثانياً - القوى الموضوعة بتصرفه:

الموقع	أمر الموقع	متطوع نظامي	مجاهد
يافا	١	١٠٠	٤٠٠
سلمة	١	-	١٠٠
ابو كبير	١	-	١٠٠
يازور	١	-	٥٠
القوة الصاربة	٣	١٢٨	٣٠٠
	٧	٢٢٨	٩٥٠

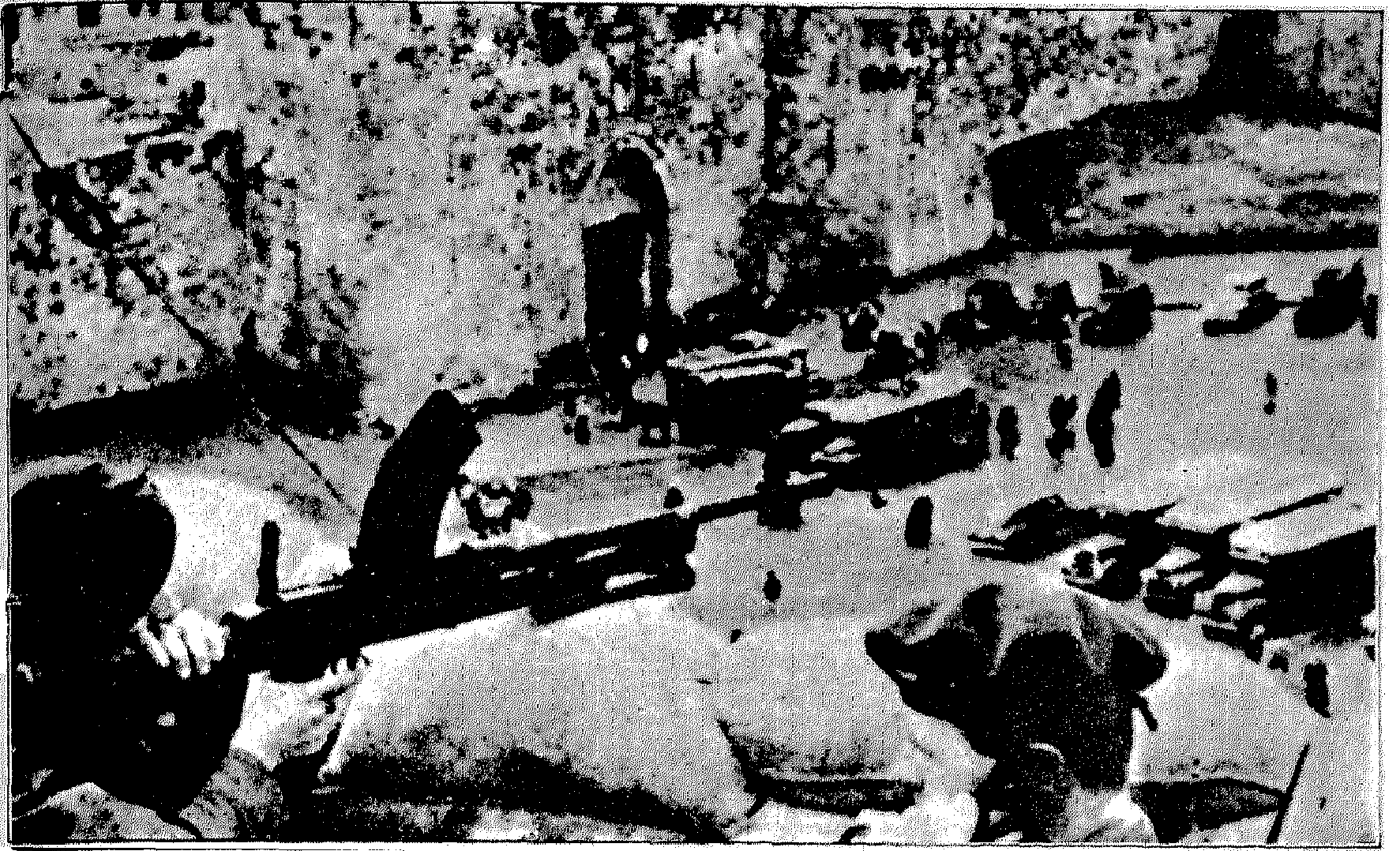
فيكون مجموع المقاتلين، ما عدا القادة: ١١٧٨ مقاتلاً.

وقد عثر في اضرابة الشيخ حسن سلامة بعد استشهاده، أنه كان في يافا، لدى العرب، من السلاح، بتاريخ ٦ آذار (مارس): ٧٢٥ بندقية و ٣٠ رشاشاً (تومي أو ستين) و ١٥ رشاشاً خفيفاً و ٤ مدافع هاون. وان عدد المقاتلين العرب الذين كانوا في مختلف المراكز في يافا بتاريخ ٢ آذار - مارس - (في الجبالية وابو كبير وكرم التوت والمسلخ وتل الريش الشمالي وطاسو وتل الريش الجنوبي الغربي) هو نحو خمسمائة مقاتل.

ثالثاً - المهمة: موقتاً، وبانتظار حشد القوى، تكون المهمة كما يلي:

- ١ - الدفاع عن المدن والقرى ضمن منطقة العمليات المحددة، وخاصة عن مراكز المواقع في يافا وسلمة وابو كبير ويازور.
- ٢ - اشغال العدو وانهاكه بشن غارات على مراكزه بهدف تعطيلها وشلها وعدم تمكينه من استخدامها.

- ٣ - عرقلة مواصلات العدو وضرب قوافله.
- ٤ - تأمين المواصلات بين يافا والمدن العربية.
- ٥ - تجنب الاصطدام ما أمكن بالقوات البريطانية.



■ بوابة دمشق في سور القدس القديمة تحت رحمة موقع بريطاني .

رأس العين في هذه الفترة بمياه عين فارة التي كانت تسقي في السابق المدينة المقدسة . كما استعمل اليهود في القدس الجديدة مياه الآبار التي كانت قليلة العدد، مما اضطرهم الى تقنين المياه بمقدار نصف صفيحة من الماء للفرد يوميا . وقد جرت حول هذه المنابع، ولأجل الاستيلاء عليها، عدة معارك كانت معركة ٣٠ - ٣١ ايار (مايو) اهمها .

كان العرب قد استولوا على هذه القرية، عسكريا، منذ صدور قرار التقسيم في ٢٩/١١/١٩٤٧ وفي ٨ اذار (مارس) ١٩٤٨ تمركز في قطاع رأس العين نحو خمسمائة من جيش الانقاذ وسيطروا على القرية ومنابع المياه . الا انهم لم يقطعوا الماء عن القدس كي لا يوقعوا الضرر بالسكان العرب في المدينة، ولكنهم طردوا الموظفين اليهود من محطات الضخ واستبدلوا بهم موظفين عربا . فتمت لهم بذلك السيطرة التامة على المنابع . الا ان حامية هذا الموقع عادت وقطعت المياه عن الاحياء اليهودية في القدس وعن المؤسسات العبرية في جبل الزيتون كالجامعة العبرية وهداسا، وذلك بعد ان رأت اليهود يعززون مواقعهم في المدينة ويضاعفون عدد قواتهم فيها، وفي كل مرة كان العرب يقطعون مياه رأس العين عن القدس كان اليهود يعودون، بمساعدة البريطانيين، لمدّها بعد اصلاح الانابيب . وقد نسف العرب هذه الانابيب مرات عديدة (في ١ نيسان و ١٠ نيسان - ابريل - و ٧ ايار - مايو -) وحاول

والاربعين، مخلّفاً بعده ولدين هما ابنه علي (ابو حسن) وابنته نضال .

### معركة رأس العين:

(٣٠-٣١ ايار - مايو - ١٩٤٨)

"رأس العين" قرية صغيرة، كانت عربية، تقع على بعد سبعة وثلاثين ميلا شمالي غربي القدس، وتكمن أهميتها بالنسبة الى المدينة المقدسة أنها تزود هذه المدينة بمياهها العذبة والغزيرة، وذلك منذ عام ١٩٣٥، اذ ان القدس كانت تستهلك يوميا من مياه رأس العين، نحو ثلاثة ملايين غالون، مما يجعل المدينة المقدسة، ولا شك، تحت رحمة القوة المسيطرة على منابع المياه في هذه القرية . وقد تنبه المجاهدون العرب لهذا الامر منذ بدء القتال العربي الصهيوني في فلسطين بعد اعلان قرار التقسيم . فنسفوا، في ١٥ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٤٧، خط الانابيب الذي ينقل المياه من رأس العين الى القدس بالقرب من مدينة اللد، مما أدى الى انقطاع المياه عن هذه المدينة طيلة خمسة ايام، وتعريض حياة الالاف من سكان الحي اليهودي والجنود البريطانيين في القدس لخطر الموت عطشا . وقد تمكن سكان القطاع العربي في المدينة من الاستعاضة عن مياه



في اليوم نفسه، أي في الاول من حزيران (يونيو) بعد ان اطمأن الى ان مقاتليه قد سلموا الامانة، عربية، الى فرقة من الجيش العراقي. ولكن الامانة لن تظل طويلا بيد العرب بعد ذلك، اذ انه لما أخلت القوات العربية اللد والرملة في ١١ و ١٢ تموز (يوليو) ١٩٤٨، رأى الجيش العراقي المتمركز في رأس العين أن جناحه الايسر أضحي مكشوفاً بعد سقوط اللد والرملة في أيدي اليهود، وخشي من حركة التفاف جانبية عليه من اليهود من تلك الناحية، فأخلى مواقعه في رأس العين، وامكن لليهود أن يثبوا الى هذا الموقع الاستراتيجي المهم فيستولوا عليه ليحموا مياه القدس ووجود اليهود فيها.

وبعد مرور عامين فقط على النكبة الكبرى في فلسطين عام ١٩٤٨، أصبحت "رأس العين" مستوطنة يهودية تعرف باسم "روش هاعين" أو "أفق" وارتفع عدد سكانها حتى أصبح عام ١٩٦٤ نحو عشرة آلاف نسمة معظمهم من يهود اليمن الذين هاجروا الى فلسطين خلال عامي ١٩٤٩ - ١٩٥٠، والذين يشتغلون في الزراعة وفي المصانع (مصانع مقاطعة بتاح تكفا في سهل اليهودية الساحلي قرب نهر العوجا).

ولم يبق للعرب بعد ذلك في "رأس العين"، أو "روش هاعين" سوى ذكرى المناضلين الذين رخوا بدمائهم، أرض "رأس العين"، على أمل ان تبقى، كما كانت عربية، وعلى رأسهم الشيخ المناضل، حسن سلامة.

## مراجع البحث

- "خارطة فلسطين" نشر مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، بيروت.
- "النكبة"، لعارف العارف، جزء ١ - ٤.
- "بلدانية فلسطين المحتلة" للدكتور انيس صايغ.
- "الحرب الفدائية في فلسطين" للمقدم محمد الشاعر.
- "فلسطين عبر سنين عام" لاميال الغوري جزء ٢٥١.
- "فلسطين والانتداب البريطاني" للدكتور كامل محمود خلة.
- "القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني" لقيادة الجيش اللبناني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- "جهاد شعب فلسطين" لصالح ابو يصير.
- "كارثة فلسطين" لعبدالله النل جزء اول.



■ ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٤٨: نصف المجاهدين العرب الفلسطينيين شارع ابن يهودا في القدس.

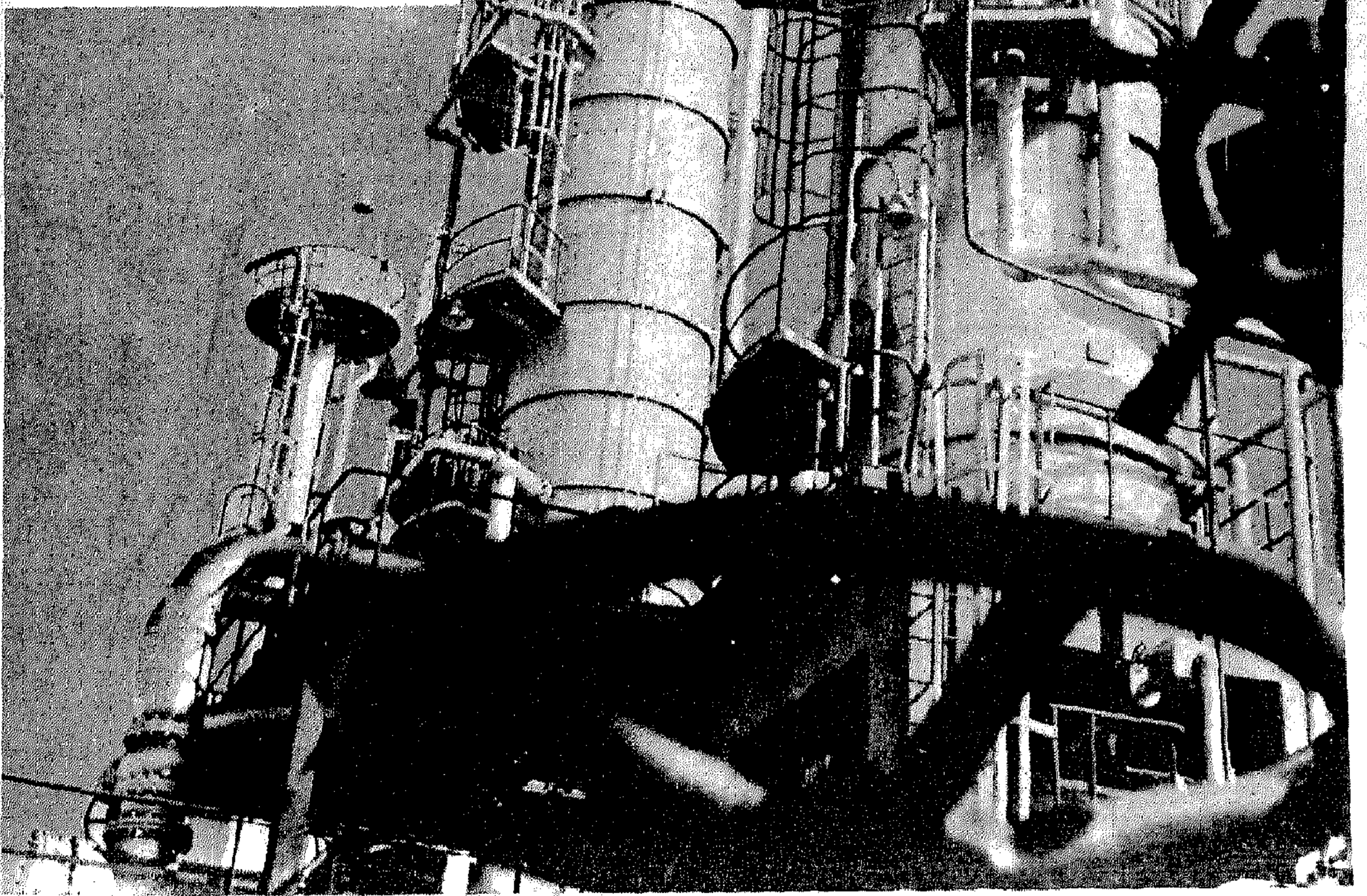
اليهود عدة مرات الاستيلاء على البلدة ومنايع المياه فيها فلم يفلحوا في البدء، الا انهم، في النهاية، تمكنوا من احتلالها بعد ان تغلبوا على حاميتها واخرجوها من المراكز التي كانت متحصنة فيها. وكان ذلك يوم ٣٠ ايار (مايو) ولكن اليهود لم يبيتوا اكثر من ليلة واحدة في تلك المواقع، اذ تحرك قائد المنطقة، الشيخ حسن سلامة بقوة من مقاتليه لتحرير هذه البلدة، وكانت رأس العين من ضمن التزاماته العسكرية وفقا للحدود الجغرافية للمنطقة، كما بينها أنفا.

وقد تداعى العديد من الرجال من قرى دير طريف وبيت نبالا وغيرهما من القرى المجاورة في القطاع، فانضموا الى القوة الزاحفة نحو رأس العين بقيادة الشيخ حسن، الذي وصل الى مشارف القرية فجر اليوم التالي أي ٣١ ايار (مايو) ودارت بين الفريقين معركة استمرت من الفجر الى ضحي ذلك اليوم، تمكن المناضلون العرب في نهايتها من الاستيلاء على ذلك الموقع بعد ان جرح القائد حسن سلامة من جراء شظية أصابت صدره ودخلت رئته اليسرى. فنقل للمعالجة في مستشفى ميداني قريب. أما اليهود فاستجمعوا قواهم وأعادوا الكرة في اليوم التالي أي في ١ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ محاولين احتلال موقع رأس العين من جديد. الا ان محاولتهم هذه صادفت وصول سرية من الجيش العراقي الى ذلك الموقع بقيادة المقدم الركن علي غالب عزيز وبدء تمركزها فيه وتسلم مهمة حمايته. فعاد اليهود أدراجهم دون أن يحاولوا الاشتباك مع هذه القوة. وأما الشيخ المناضل، فقد أسلم الروح

# تاريخ الاتفاقات البتروولية

في  
الوطن  
العربي

د. يوسف شبل



مستشار اقتصادي سابق لدى وزارة المالية في السعودية واستاذ اقتصاد في الجامعة الاميريكية سابق  
ويشغل حاليا منصب كبير الاقتصاديين في دار الهندسة للاستشارات والتصميم في بيروت.



## الاتفاقات في العراق

يعتبر العراق تاريخياً أول بلد عربي منتج ومصدر للنفط. كما انه يعتبر ثاني بلد، بعد ايران، في منطقة الشرق الاوسط قام باستخراج وتطوير النفط في أراضيه.

تبدأ قصة النفط في العراق في العام ١٨٩٥، ففي ذلك العام حصل البنك الالمانى على امتياز اقامة سكة حديد بغداد ومن بين شروط الامتياز حق التنقيب عن المعادن على امتداد ٢٠ كيلومتراً على جانب الشريط الحديدى. وفي العام ١٩٠١ قام احد الأثرياء الانكليز واسمه "آرسي" D'Arcy بمفاوضة السلطات التركية التي كانت تحكم العراق للحصول على امتياز في العراق. ثم تدخلت جماعات مالية من الولايات المتحدة ابتداء من العام ١٩٠٨ بمفاوضة السلطات التركية للحصول على امتيازات معدنية، بما فيها النفط، في العراق.

وفي آذار من عام ١٩١٤ تم تأليف "الشركة البترولية التركية" بين الانكليز والألمان والهولنديين، وقد لعب الثري الأرمني المعروف "غالبنكيان" دوراً هاماً في اتمام الصفقة ونال لقاء اتعابه نسبة ٥٪. وفي حزيران من نفس العام قامت السلطات التركية التي كانت تحكم العراق بمنح "الشركة البترولية التركية" حق التنقيب عن النفط في مقاطعتي بغداد والموصل. وبانتهاء الحرب العالمية الأولى واندحار الاتراك ودخول القوات البريطانية الى معظم بلدان الشرق الاوسط قوي نفوذ الشركات البريطانية. وخلال هذه الفترة اكتسب النفط اهمية متزايدة كمصدر طاقة الى جانب الفحم والكهرباء. وبدأت شركات الاستثمار في البلدان الصناعية تهتم به.

### اول ميثاق

وفي عام ١٩٢٥ تم التوقيع على ميثاق خاص بين الحكومة العراقية وكل من شركة "بريتش بترولسيوم"، "شل"، "جيرزي ستاندرد"، "سوكوني" و C.F.P. و "غالبنكيان"، الثري الأرمني. ويمكن تلخيص أهم نصوص هذا الاتفاق بالتالي:

- ١ - مدة الامتياز: ٧٥ سنة
- ٢ - المساحة المشمولة بالامتياز: ٢٦ ١٢٥ ٣٥٠ ميلاً مربعاً
- ٣ - الشروط المالية:

- ١ - "ريع" Royalty قدره ٤ شلنات (ذهب) لكل طن لفترة تمتد عشرين عاماً بعد انتهاء العمل في انبوب النفط الى احد موانئ التصدير

■ النفط العربي يحتل حالياً مركز الصدارة في العالم. فهو المصدر الأهم في ميدان الطاقة العالمية، وهو مفتاح الرخاء او الشقاء لكثير من بلدان العالم، وهو العامل الأكثر تأثيراً في نظام النقد الدولي، وهو في رأي الخبراء الماليين وراء التذبذب في قيمة الدولار بالنسبة لباقي عملات العالم في سوق القطع الاجنبي كما انه وراء كثير من التطورات السياسية والاقتصادية في العالم الصناعي والبلدان النامية.

غير ان هذا الحاضر العريق لا يمكن ان تستوعب أبعاده دون العودة الى الماضي لمعرفة كيف واين وباية شروط بدأ انتاج النفط العربي في مطلع هذا القرن. انها قصة طويلة لا يمكن كتابة تاريخها بمقال عابر.

والتاريخ النفطي العربي يعكس جملة من الأمور الرئيسية، فهو يعكس البنية الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في الوطن العربي و يعكس طبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية التي كانت قائمة بين البلدان المنتجة للنفط والبلدان الصناعية التي كانت تقوم باستغلال النفط عن طريق انتاجه وتكريره ثم شحنه الى الاسواق العالمية خصوصاً في أوروبا الغربية. لذلك فان الكتابة عن تاريخ الاتفاقات البترولية في الوطن العربي توضح كثيراً من خصائص البلدان المنتجة للنفط في مختلف مجالات الحياة وتعكس درجة تطورها الاقتصادي والاجتماعي وكيف بدأت تكتسب معرفة متزايدة في حقل التقنية والأدارة حتى وصلت الى مشارف السيطرة الكاملة على هذه الثروة النادرة. وسنعرض في هذا المقال تاريخ الاتفاقات البترولية في العراق والمملكة السعودية بصفتها اقدم وأعرق الدول النفطية.

والملاحظ في هذا الشأن انه خلال الفترة التي سبقت عام ١٩٥١ كانت جميع الاتفاقات البترولية المعقودة بين البلدان العربية المنتجة للنفط وبين الشركات الأجنبية العاملة في اراضيها تستند على اساس اعطاء ريع عن كل برميل منتج بالاضافة الى هبات معينة وكمية محدودة من الانتاج دون مقابل. وقد أتاح ذلك للشركات الأجنبية تحقيق ارباح خيالية في مدة قصيرة من الزمن خصوصاً وان تكاليف انتاج البرميل الواحد كانت منخفضة بالنسبة "للاسعار المعلنة" Posted Price واسعار المبيع الفعلية في اسواق النفط في العالم.

وفي تقرير مالي حول وضع شركات النفط نشر في الولايات المتحدة جاء ان ارباح بعض الشركات وصل إلى ٨٧ سنتاً للبرميل الواحد مما يعني تحقيق معدل أرباح قدره ٤٠٪ على صافي موجودات الشركة، ثم ارتفعت هذه النسبة حتى ٦٨٪.

موانئ ومواقع التصدير في الاراضي العراقية وبين القيمة الحقيقية للطن الواحد مضروباً بحجم الكمية المصدرة من النفط معبراً عنها بالطن. ونظراً لأن شركة نفط العراق تملك مصفاة في طرابلس - لبنان فقد تم اعتماد سعرين الأول تسليم الجرود العراقية - السورية والآخر تسليم ميناء البصرة على الخليج العربي. وقد تعهدت الشركة بتحقيق حد أدنى من صادرات النفط وبالتالي من العائدات على أن لا تقل عن ٢٥ مليون جنيه استرليني في مدة اقصاها عام ١٩٥٥. كما تعهدت الشركة باعطاء العراق كامل حاجته من النفط للاستهلاك المحلي.

### الاتفاقات السعودية

تم منح اول امتياز للتنقيب عن النفط في السعودية في العام ١٩٣٣. والمعروف أن فترة الأربعة أعوام بين ١٩٢٩ - ١٩٣٣ كانت تعرف بفترة الكساد الكبير حيث ظهرت البطالة على نطاق واسع وانهارت كثير من المؤسسات الاقتصادية في الدول الصناعية.

ففي ذلك العام، أي عام ١٩٣٣، تم اتصال بين الحكومة السعودية وكل من شركة نفط العراق I.P.C. وشركة "سوكال"، والمعروف أن "شركة نفط العراق" هي بريطانية في حين أن شركة "سوكال" هي أمريكية ومعروفة أكثر باسم "شركة ستاندرد اويل أوف كاليفورنيا"، وكانت هذه الشركة التي لا يزال مقرها الرئيسي في مدينة سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا قد باشرت نشاطها في البحرين التي تقع على مسافة قريبة جداً من الشاطئ الشرقي للسعودية والتي تقع فيها مدينة الظهران التي أصبحت فيما بعد المركز الأهم لانتاج النفط في منطقة الشرق الاوسط.

وقد عرضت الشركة الاميركية ان تدفع مبلغ ٣٥٠,٠٠٠ جنيه استرليني فوراً الى الملك عبد العزيز آل سعود في حين أن الشركة البريطانية عرضت دفع ٣٠٠,٠٠٠ استرليني. ولكي تجعل

ب - بعد انتهاء الفترة المشار اليها في (أ) ومرور عشرة أعوام على العمل بالريع المشار اليه يزداد بنسبة سنوية تساوي الزيادة في الارباح التي تحققت خلال الخمس سنوات الأخيرة من مدة العشرين سنة المشار اليها في البند (أ) على أن لا يزيد الريع عن ٢ شلنات ذهب للطن الواحد.

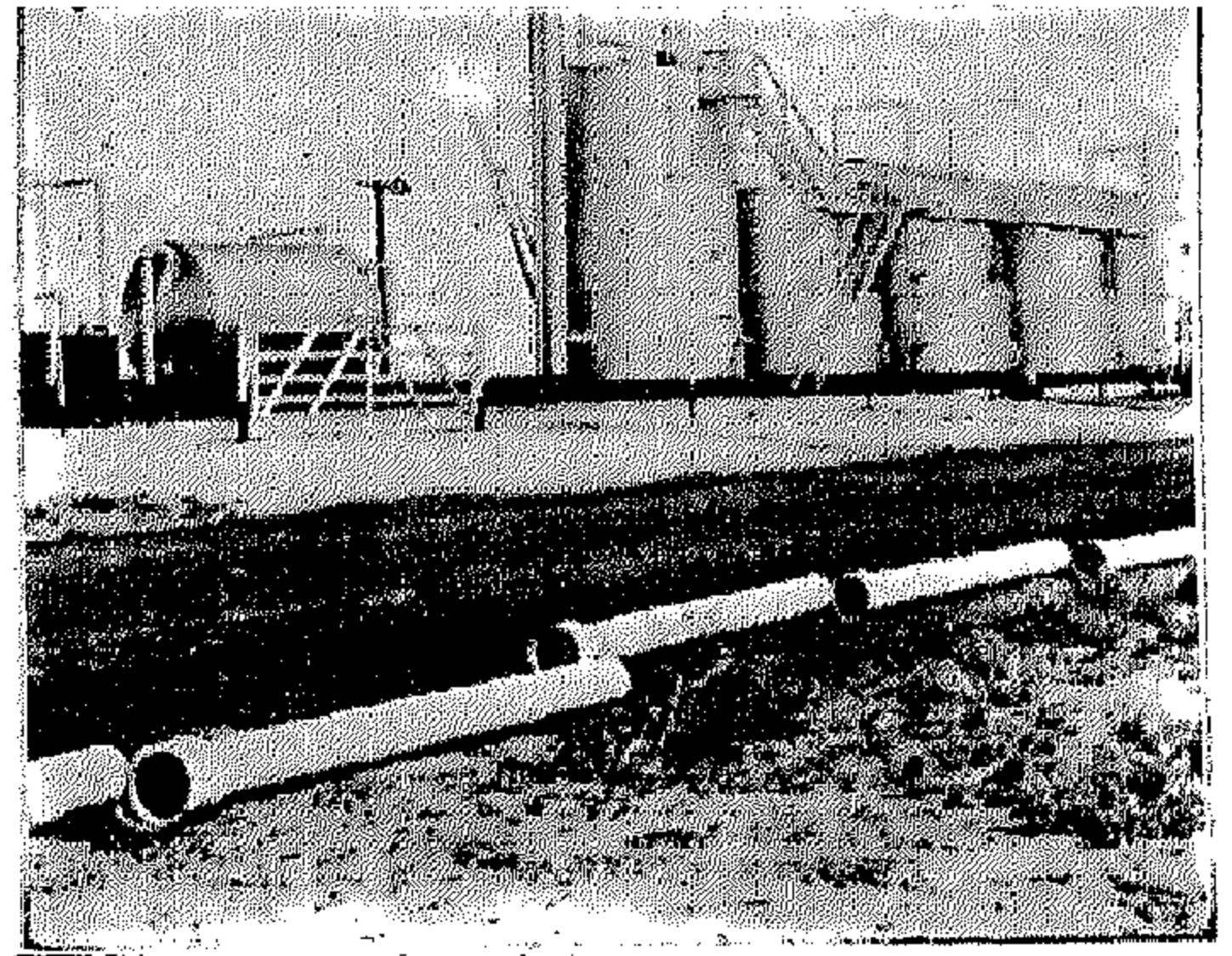
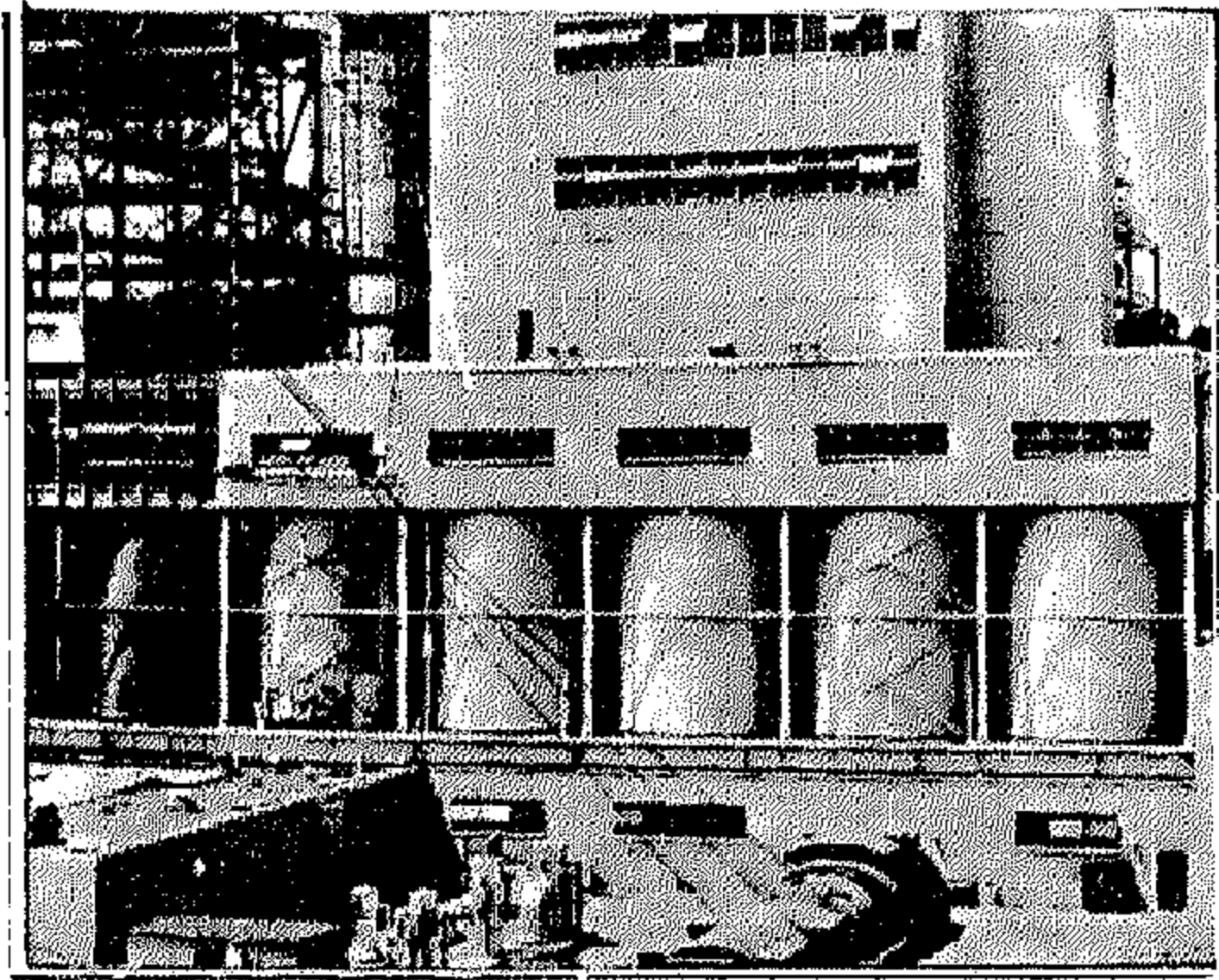
ج - تدفع ضريبة قدرها ٦٠,٠٠٠ استرليني (بالذهب) عن أول اربعة ملايين طن و ٢٠,٠٠٠ استرليني (بالذهب) عن كل مليون طن اضافي.

د - يدفع ريع Royalty سنوي لا يقل عن ٤٠٠,٠٠٠ استرليني (تدفع بما يعادلها من الذهب)

هـ - عند انتهاء فترة الامتياز يتم تسليم الموجودات الثابتة العائدة للشركة الى الحكومة العراقية دون مقابل.

وفي عام ١٩٢٩ بدأت "شركة نفط العراق" I.P.C. مفاوضات مع الحكومة العراقية لتعديل اسس اتفاقية عام ١٩٢٥. وفي آذار من عام ١٩٣١ حيث منحت الشركة حق التنقيب في مساحة شاسعة من الاراضي العراقية بلغت ٣٥,١٢٦ ميلاً مربعاً. وقد شمل الامتياز جميع مناطق بغداد والموصل الواقعة الى الشرق من نهر دجلة. وفي عام ١٩٣٨ استطاعت شركة I.P.C. ان تسيطر على كافة انحاء العراق باستثناء منطقة صغيرة في "خانقين" بقيت في يد شركة "آرسي"، ومع أن اتفاقية آذار من عام ١٩٣١ اعطت للحكومة العراقية حق الحصول على معلومات مفصلة عن مبيعات ونفقات الشركة وعن أسعار المبيع، فان الشركة كانت تمتنع عن اعطاء اية معلومات ذات قيمة للحكومة العراقية.

وقد ظل الوضع على حاله الى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث بدأت مفاوضات طويلة انتهت الى اتفاق في شباط من عام ١٩٥٢ على ان تكون الاتفاقية ذات مفعول رجعي ابتداء من ١ كانون الثاني، ١٩٥١. وقد استطاعت الحكومة العراقية ان تحصل على ٥٠٪ من ارباح الشركة الصافية في العراق. وقد تم تعريف الارباح الصافية على أنها تساوي الفرق بين قيمة النفط في





(د) إيجار سنوي قدره ٥٠٠٠ استرليني ابتداء من العام ١٩٣٣ وحتى اكتشاف النفط بكميات تجارية.

(هـ) عند اكتشاف النفط يدفع مقدماً مبلغ قدره ١٠٠٠٠٠٠ استرليني على امتداد فترة عامين على ان يتم الدفع مناصفة، اي ٥٠٠٠٠٠ استرليني كل عام. وجميع الدفعات تدفع بالذهب.

(و) تقديم منحة قدرها (١٤٠٠٠٠) استرليني في العام ١٩٣٩

(ز) دفع ايجار سنوي قدره ٢٠٠٠٠٠ استرليني ابتداء من العام ١٩٣٩ وحتى اكتشاف النفط بكميات تجارية ضمن الاراضي الداخلة حديثاً في المنطقة المشمولة بالامتياز.

(ح) منحة قدرها ١٠٠٠٠٠٠ استرليني عند اكتشاف النفط بكميات تجارية في المناطق الجديدة.

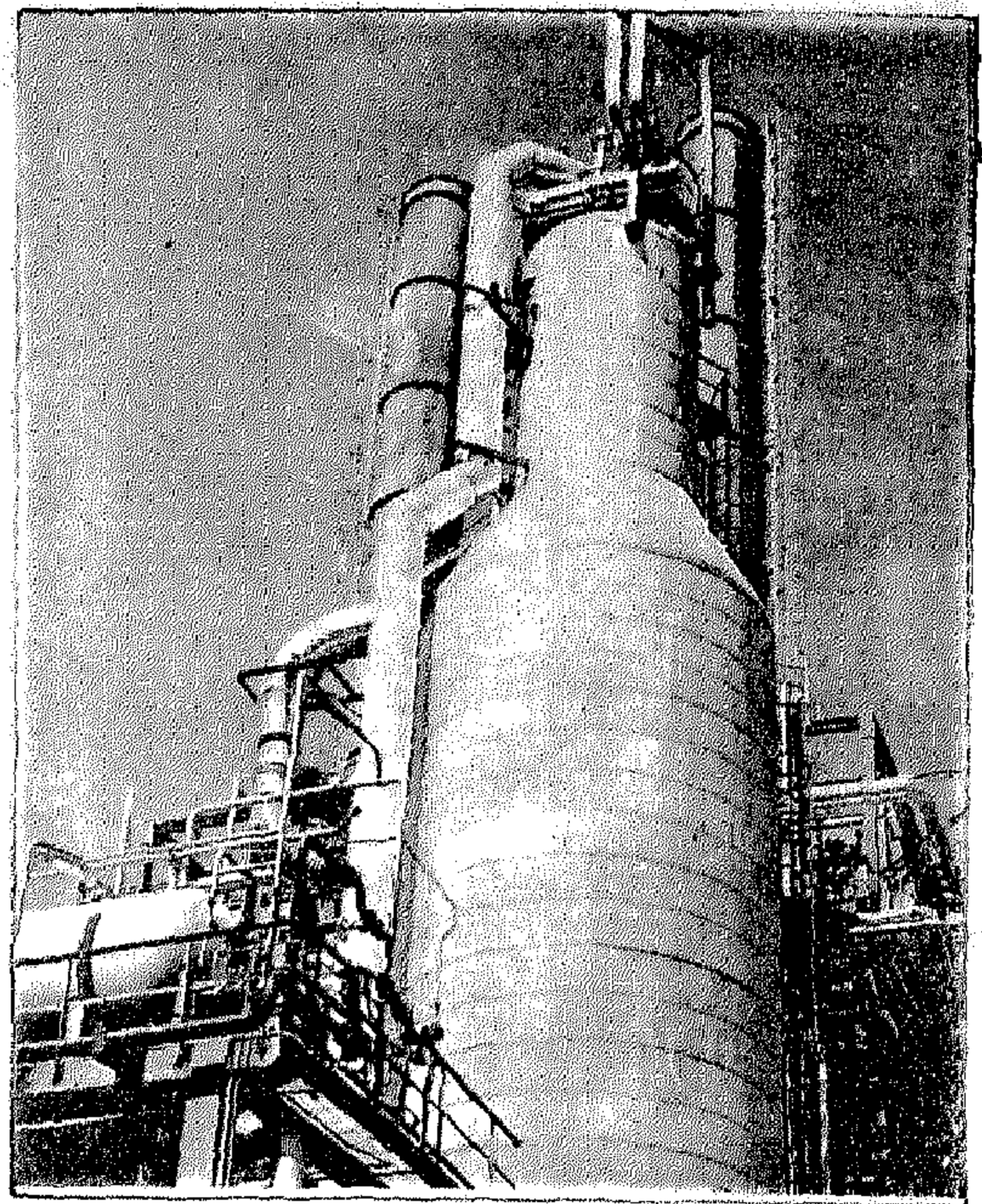
(ط) يحق لحكومة المملكة السعودية الحصول على ٢٠٣ مليون غالون من البنزين و ١٠٠٠٠٠٠٠ غالون من الكاز كل سنة بعد اكتشاف النفط.

(ي) تعود ملكية الموجودات غير الثابتة الى حكومة المملكة السعودية عند انتهاء مدة الامتياز. اما الموجودات المتحركة فيحق للحكومة السعودية شراؤها بقيمة الاستبدال مطروحاً منها قيمة الاستهلاك.

### اتفاقية جديدة

هذه هي اهم شروط اتفاقية عام ١٩٣٣. وقد ظلت سارية المفعول حتى ٣٠ ايلول من عام ١٩٥٠ حيث تم عقد اتفاق جديد بين الحكومة السعودية وشركة "ارامكو". ومع ان الاتفاقية الجديدة تدخل ضمن نطاق اتفاق الامتيازات التقليدية فانها حققت قفزة الى الامام فيما يتعلق بحصة المملكة من العائدات. ويمكن القول ان اهم ما حققته هذه الاتفاقية هو تعديل في ميزان المساومة بين الطرفين لصالح البلد المنتج للنفط بعد ان كانت الاتفاقات السابقة تعكس قوة شركات الانتاج الأجنبية عن طريق حصولها على حصة الأسد من الثروة النفطية.

وقد جاءت الاتفاقية الجديدة استباقاً لما كان يجري في إيران بين الحكومة الإيرانية والشركات الأجنبية المنتجة للنفط من خلافات عميقة أدت في نهاية الأمر الى تأميم مصادر النفط على يد الدكتور محمد مصدق رئيس الحكومة الإيرانية آنذاك. ومع ان تجربة التأميم لم يكتب لها النجاح وأدت الى سقوط حكومة مصدق، الا انها فتحت آفاقاً جديدة وفرصة نادرة لجميع البلدان العربية المنتجة للنفط لتحسين شروط التعامل مع الشركات الأجنبية



الشركة الاميركية عرضها مغرياً فقد تعهدت للملك عبد العزيز بأن تدفع القيمة بما يساويها من الذهب.

اما الشروط التي تم التوصل اليها فهي لا تختلف كثيراً عن شروط "الشركة البترولية التركية" والحكومة العراقية والتي اشرفنا اليها سابقاً. وقد تم التوقيع على الاتفاقية في ٢٩ أيار من عام ١٩٣٣. وفي عام ١٩٣٦ انضمت شركة "تيكساكو" الى "سوكال" لكي تؤلف الشركتان ما عرف فيما بعد باسم "ارامكو" وهو الاسم الشائع حتى الآن.

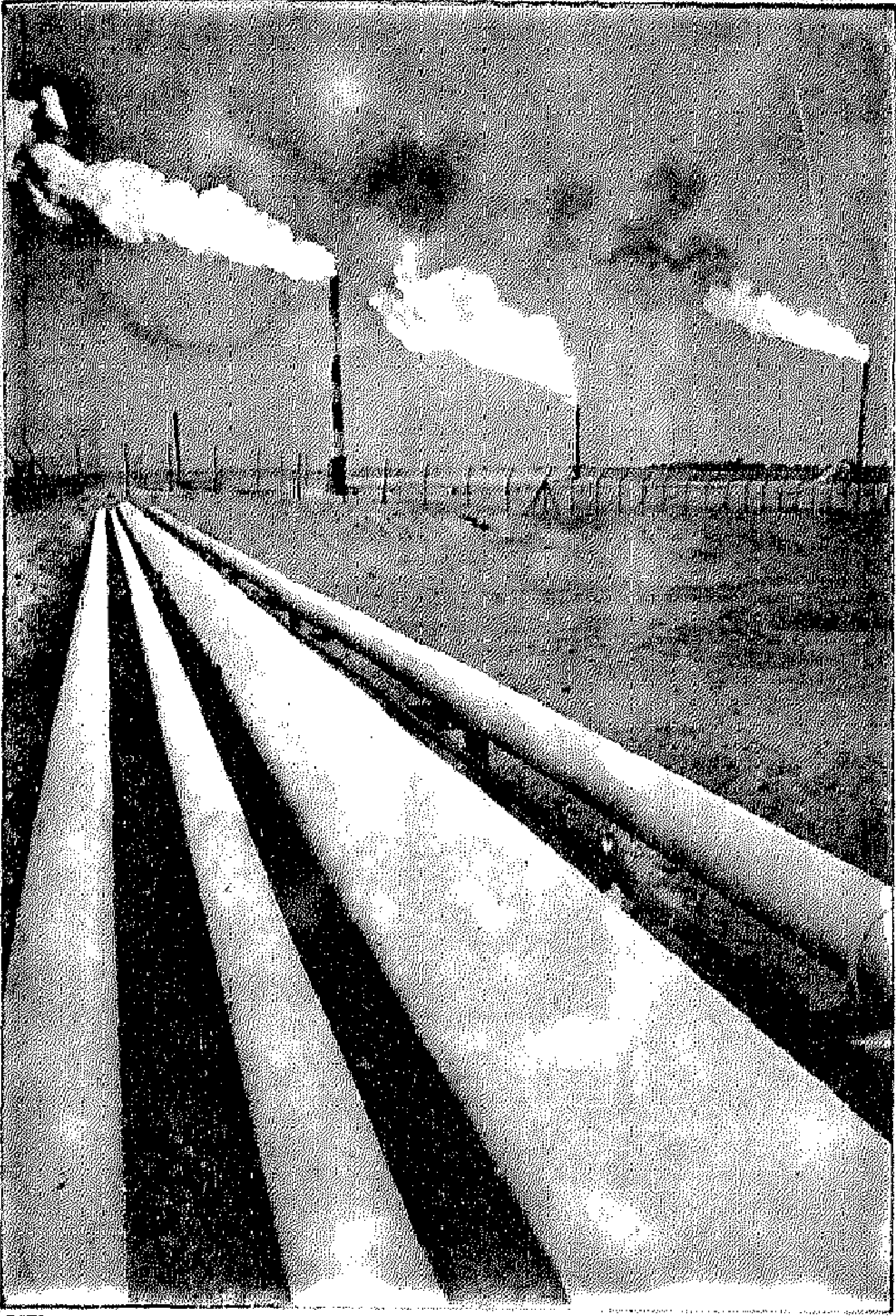
### اهم النصوص

- اما اهم نصوص اتفاقية عام ١٩٣٣ فهي الآتية:
- ١ - مساحة الامتياز ٣٣٠٠٠٠٠ ميل مربع يضاف اليها مساحة قدرها ١٢٠٠٠٠٠ ميل مربع في ٣١ أيار من عام ١٩٣٩
  - ٢ - مدة الامتياز: ٦٠ سنة
  - ٣ - الشروط المالية:

(١) ريع قدره ٤ شلنات (من الذهب) للطن الواحد

(ب) قرض أولي قدره ٣٠٠٠٠٠ استرليني على ان يحسم هذا القرض من الريع المستحق في المستقبل

(ج) قرض ثان في عام ١٩٣٥ قدره ٢٠٠٠٠٠ استرليني



العاملة في اراضيها • وقبل تجربة التأميم في ايران كانت حكومة فنزويلا قد أصدرت تشريعاً في عام ١٩٤٨ مهد الطريق الى اقتسام الارباح مع الشركات الاجنبية بنسبة ٥٠٪ لكل فريق، كما ان الحكومة السعودية عقدت اتفاقاً في عام ١٩٤٩ مع شركة "باسفيك كوربوريشن" التي اصبحت تعرف فيما بعد باسم "مجموعة جي تي" حصلت بموجبه على شروط في حدود ٥٠٪ لكل من الطرفين •

ان التغيير الذي احدثته اتفاقية ٢٠ ايلول من عام ١٩٥٠ فيما يتعلق بعائدات الحكومة السعودية يمكن تلخيصها بما يلي:

أ - ريع قدره ٢١ سنتاً امريكياً للبرميل الواحد من النفط المنتج من الحقول الداخلية وريع قدره ٢٦ سنتاً للبرميل من الحقول البحرية •

ب - الحصول على ٢٠٦٥ مليون غالون من البنزين و ٢٠٠٠٠٠٠٠ غالون من الكاز و ٧٥٠٠ طن من الاسفلت سنوياً دون مقابل •

ج - دفعة اضافية بموجب قانون ضريبة الدخل السعودي والذي ينص على ان تكون جميع المدفوعات تساوي ٥٠٪ من اجمالي دخل "ارامكو" بعد حسم تكاليف الانتاج، واستهلاك المعدات والموجودات الثابتة واية ضرائب دخل أخرى تدفعها "ارامكو" للحكومات الأجنبية خصوصاً حكومة الولايات المتحدة الامريكية •

## اتفاقيات المشاركة

ظلت اتفاقيات الامتيازات التقليدية سائدة فترة لا تقل عن عشرين عاماً • وعندما كانت هذه الاتفاقيات سارية المفعول كان سوق النفط العالمي يعكس طبيعة العرض والطلب على النفط كأحد مصادر الطاقة • وقد كان المستهلك في البلدان الصناعية هو سيد الموقف مما اعطى شركات النفط الأجنبية العاملة قوة تفاوضية مكنتها من تجميد الاتفاقيات البترولية مدة طويلة من الزمن •

ومع مطلع السبعينات بدأت الصورة في اسواق الطاقة العالمية تتغير • فقد بدأ الطلب على النفط يتزايد بصورة كبيرة نتيجة لنمو اقتصاديات البلدان الصناعية والبلدان النامية معاً مما أدى الى ارتفاع في "سعر النفط المعلن Posted Price" • فمثلاً ارتفع سعر البرميل الواحد في المملكة السعودية من ١٠٨٠ دولاراً في عام ١٩٧٠ الى ٣ دولارات في عام ١٩٧٣ •

إزاء هذه التطورات بادرت منظمة "اوبك" التي تضم بلدان العالم المصدرة للنفط الى اتخاذ قرار في مؤتمرها الذي عقد في فيينا في ٨ - ٩ تموز ١٩٦٩ الى دراسة موضوع "المشاركة" في

الامتيازات النفطية القائمة • وبعد دراسة استمرت عامين صدر في ١٣ تموز من عام ١٩٧١ قرار عن منظمة "اوبك"

يدعو الدول الاعضاء الى اتخاذ القرارات العاجلة لتحقيق مبدأ المشاركة والدخول في مفاوضات مع شركات النفط، اما فردياً او جماعياً، لتحقيق هذا الهدف • وفي ٥ تشرين الاول من عام ١٩٧٢ اعلن أحمد زكي اليماني، وزير النفط السعودي، الوصول الى اتفاق مع شركات النفط العاملة حول المبادئ العامة للمشاركة •

وفي ٢٠ كانون الاول من عام ١٩٧٢ وقعت المملكة العربية السعودية وابو ظبي على الاتفاقية المذكورة على ان تكون نافذة المفعول ابتداء من ١ كانون الثاني ١٩٧٣ ثم وقعت قطر الاتفاقية في ٤ كانون الثاني ١٩٧٣ •

أما العراق فانه لم يكن متحمساً للتوقيع على الاتفاقية أصلاً • كذلك ان وزير المالية والنفط الكويتي قد وقّع على الاتفاقية الا ان البرلمان لم يقبل الاتفاقية بالشكل الذي وقعت عليه السعودية وقطر وابو ظبي • وطلب تعديل نسبة المشاركة وبعض الشروط الأخرى المتعلقة بأسس التعويض على الشركات •



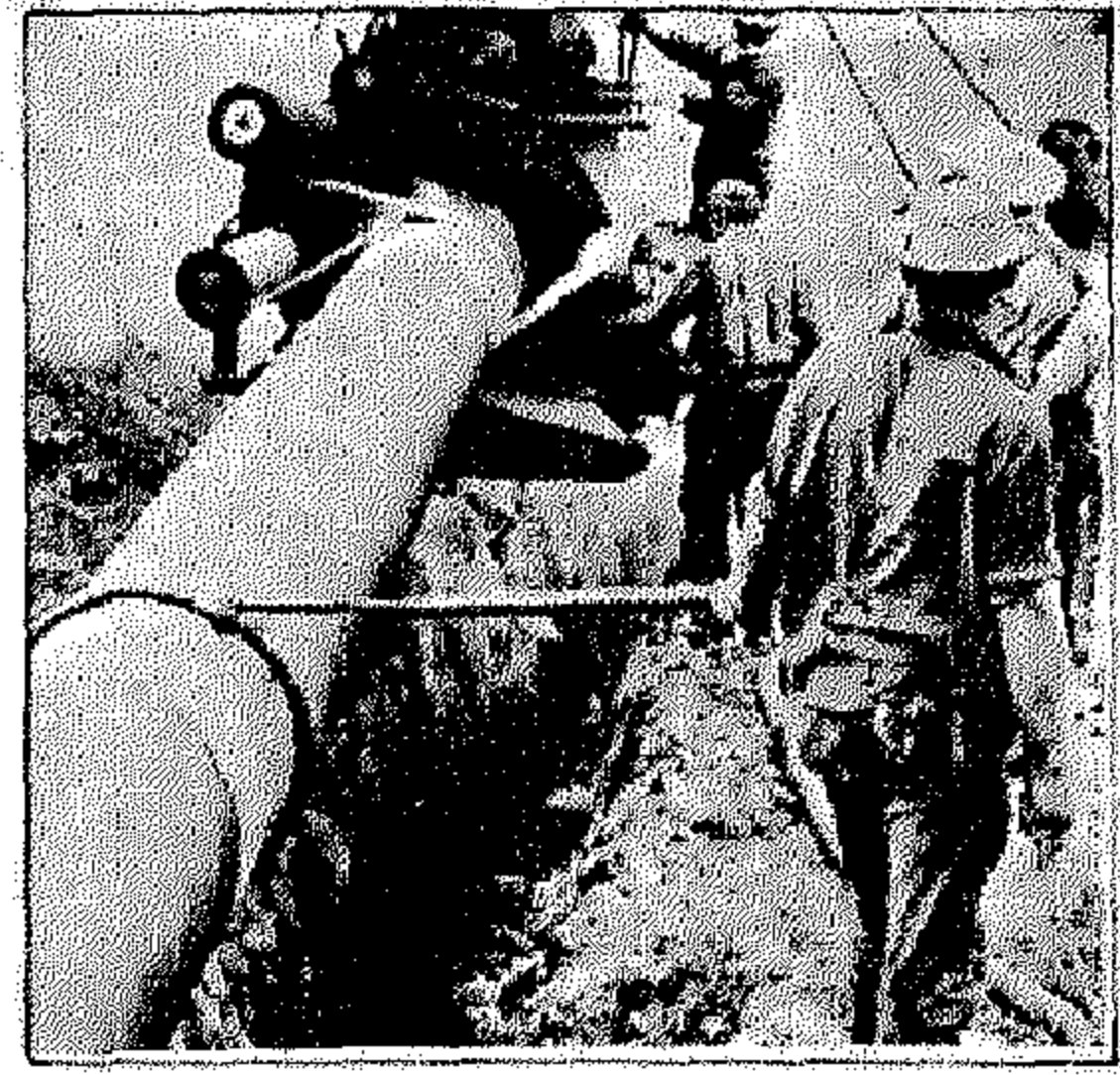
السنة الاولى ثم ٥٠٪ في السنة الثانية و ٢٥٪ في السنة الثالثة .

خامساً: اذا وجدت الدولة نفسها غير قادرة على تسويق حصتها فانها تستطيع بيع جزء من انتاجها الى الشركات العاملة حسب جدول محدد في هذا الصدد .

سادساً: تحدد معادلة معينة لتحديد سعر مبيع النفط الى الشركات سواء تلك التي تلتزم الشركة بشرائها او التي تلتزم الدولة ببيعها .

سابعاً: تقوم الدولة بتعويض الشركة العاملة باراضيها عن الحصة التي قامت بشرائها على اساس القيمة الدفترية لموجودات الشركة على أن يطبق "مضاعف تضخمي" Multiplier-Inflationary لكي يؤخذ بعين الاعتبار ارتفاع مستوى الأسعار بالنسبة لمواد البناء في منطقة الشرق الأوسط .

هذه هي اهم بنود "اتفاقية المشاركة" بايجاز شديد نظراً لأن هناك تفاصيل فنية لا تهم القارئ العربي وإن كانت تهم العاملين في ميدان النفط . لقد مضى اكثر من خمسة أعوام على توقيع اتفاقية المشاركة مع بعض الدول العربية المصدرة للنفط . ولا شك ان التطورات النفطية التي حدثت بعد تاريخ بدء العمل بالاتفاقية المشار اليها قد جعلت هذه الاتفاقية عديمة الجدوى بدليل أن السعودية تفاوض الآن على إمتلاك كامل شركة "أرامكو" بدلا من الاكتفاء بتملك ٥١٪ من الشركة المذكورة في عام ١٩٨٢ كما تنص على ذلك الاتفاقية . لذلك يمكن القول بأن "اتفاقية المشاركة" قد اصبحت جزءاً من التاريخ الاقتصادي العربي تماماً كاتفاقيات "الامتيازات التقليدية" التي نظمت العلاقة بين الدول المنتجة للنفط والشركات الاجنبية التي كانت تملك امتيازات بترولية رديحاً طويلاً من الزمن . ■



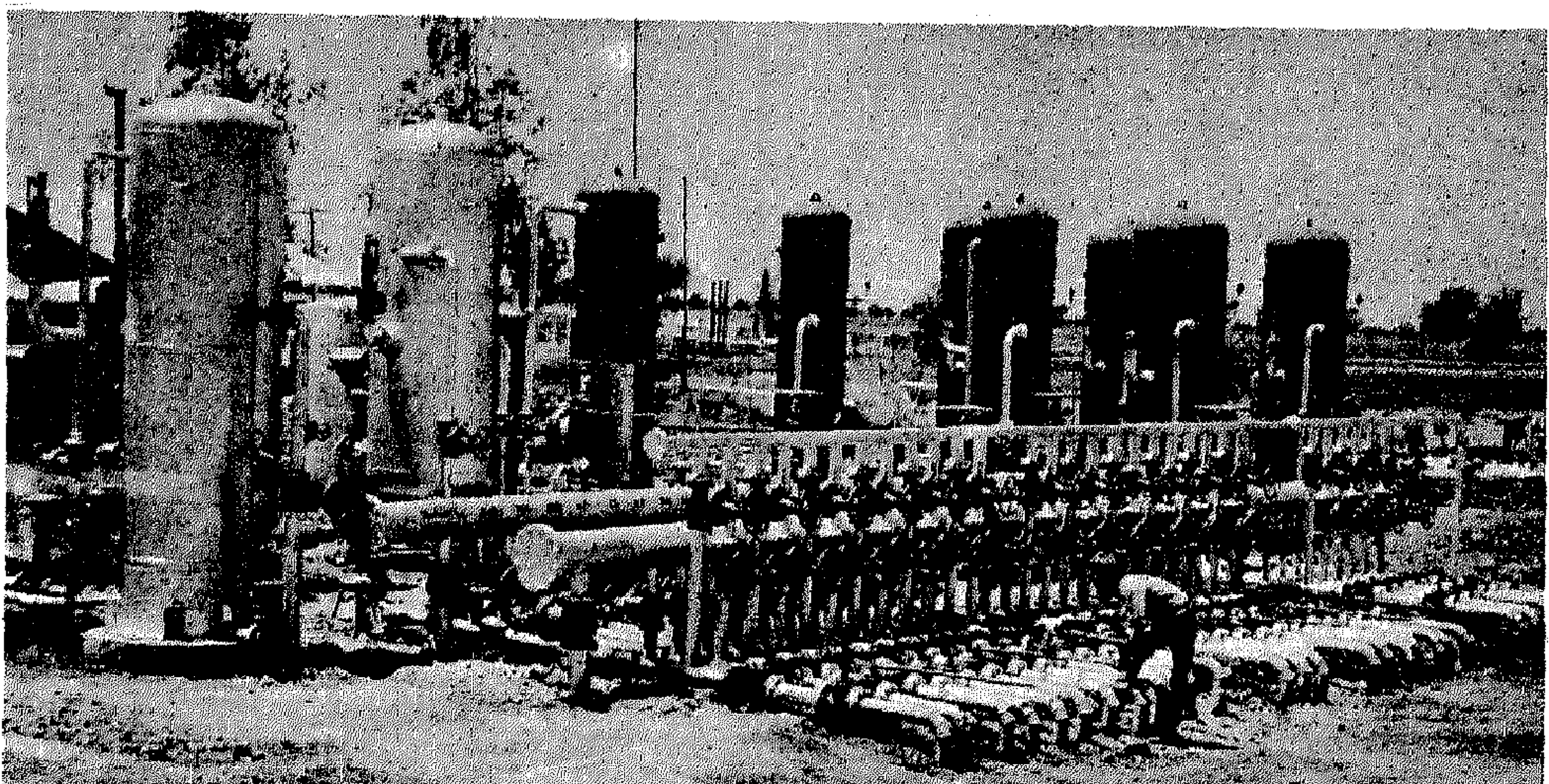
أما اهم بنود "اتفاقية المشاركة" فنتلخص بالآتي :

اولاً: تحصل كل دولة على حصة قدرها ٢٥٪ من "القيمة الدفترية" Book value لوسائل انتاج النفط في اراضيها ابتداء من العام ١٩٧٣ . وتبقى هذه النسبة حتى العام ١٩٧٧ ثم ترتفع إلى ٣٠٪ في عام ١٩٧٨ ، ٣٥٪ في عام ١٩٧٩ ، ٤٠٪ في عام ١٩٨٠ ، ٤٥٪ عام ١٩٨١ وأخيراً ٥١٪ في عام ١٩٨٢ .

ثانياً: يحق للدول الموقعة على الاتفاقية أن لا تشتري نسبة الـ ٥١٪ ، كما يحق لها ان تتأخر عن الشراء لمدة اطول من العام ١٩٨٢ .

ثالثاً: تشترك الدول المصدرة للنفط مع الشركات العاملة في اراضيها في نفقات التنقيب عن النفط وكذلك في نفقات التطوير لزيادة الانتاج او الحفاظ على المستوى الحالي لزيادة استثمارات أخرى .

رابعاً: تقوم الشركات بشراء جزء يحدد سلفاً من حصة الدولة من النفط . وتبلغ هذه الحصة ٧٥٪ في



# مارو

## وعلمية التاريخ

د. جمال بدران



لكن المعادلة الصعبة تكمن في طبيعة المجتمعات الانسانية وفي كيفية اخضاعها لدراسة في التاريخ علمية... كيف نبلغ بالتاريخ درجة السيطرة العلمية التي تجعل من مجتمع انساني حقلاً لتجاربه؟!

وهنا يجدر بنا ان نستحضر تجارب من سبقونا في هذا المضمار، ونستهديها رؤاها حتى نحقق رؤية على المستوى المحسوس...

ان مائدة في السماء نتمثلها... اذ يجلس اليها الخالدون ممن لاكوا سيرة الانسان وفلسفوا تطوره... لأجدر بأن يكون طعام هذه المائدة عظاما آدمية تعرف من قشورها اللحمية، حتى اذا ما استقى واحد منهم طعمها... ملأ فمه هواء الحفريات المتربة... فيزفره كلمات تملأ العيون والاسماع.

### استقراء فلاسفة التاريخ

فها هو أفلاطون ممثل الفكر الهليني... يتردد صدى كلماته عن حياة الناس... انها كالبحر الهائج الذي تنتابه حركتا المد والجزر، تاريخهم خاضع للفعل ولرد الفعل، تاريخ الناس يدور دورات لا بد ان تنتهي كل واحدة منها بالانحلال والكوارث... انها دورات محدودة ومحددة، محدودة لانها لا تغير فيها ولا تعديل... فهي تكرر نفسها، ومحددة لان كل واحدة منها لا يزيد عن عشرة آلاف سنة شمسية، ومن ثم فإن تطور البشرية يزداد بين دورتين متناوبتين، يفصل بين كل نوبة منهما طوفان يمحو آثار الاولى من بشر، ويسوي الارض ممهدا لما سوف يدب فوقها من جديد البشر... وهكذا دواليك... بل ان كل دورة منهما... تمر الانسانية خلالها بخمس حالات... الفطرة أو الممجية، الزراعة الجبلية، حياة المدن الجبلية، حياة المدن السهلية، ثم حياة المدن الساحلية التي يطغى بعدها الطوفان!!

■ من شائع القول ما هو معروف منذ اواخر القرن السابع عشر باسم فلسفة التاريخ، اذ صار هذا المصطلح - لكثرة ما تقاذفته مباحث الفلسفة والتاريخ والاجتماع - علما على هلامية الموضوع... يفتقد التحديد، ويحتاج الى التنقيب، ويتطلب التقليل والنقاش... ومن ثم يحتم على الباحث المعاصر تنظيم خطوات بحثه فيه، أو بالأصح يلزمه باستخدام منهج لا ترقى اليه شبهات القول والتأويل.

وهنري ايرني مارو من هؤلاء الباحثين المعاصرين في فرنسا الذين اخذوا على عاتقهم تطهير المعرفة التاريخية من شوائب عديدة... مستهدفا في ذلك غرض الوصول الى وسيلة علمية، تعين عالم التاريخ في الحاضر والمستقبل، وتؤدي به الى الحقيقة التاريخية التي لا مطعن فيها... وهو في محاولته الجادة... يعدد الشوائب التي عابت البحوث الماضية، ويتتبع مواضع الصواب التي تتضمنها، فيجمعها ليقارن بينها في موضوعية علمية، ويفترض من بينها احتمالات قد يتململ العقل في قبولها، فلا يلبث ان يساندها بشواهد من التاريخ ثابتة، حتى اذا ما كاد العقل أن يسلم بها، يادر الى تأمين العقل بنظرية البحث العلمي في التاريخ.

وأستاذ السوربون ثالث ثلاثة على قيد الحياة أخذوا بيد التاريخ ليخلصوه من ربكة التفلسف في طريقه الطويل بين الماضي والحاضر، ويسلموه عصا العلم يتوكأ عليها الى المستقبل... لكنه هو وزميليه توينبي وبرتراند رسل لا يقفون من الفلسفة موقف المعاداة في سيرها مع التاريخ، وإنما نراه يرجو ان تفسح الفلسفة طريق الحضارة - ولو الى حين - حتى تكتمل للتاريخ مقومات العلم، ويمكنه ان يرتقى الى مستوى اليقين... ولا ضير بعدئذ من تطوير علم التاريخ الكامل الى مرحلة من التفلسف شأنها شأن مرحلة العلوم المتقدمة كافة...



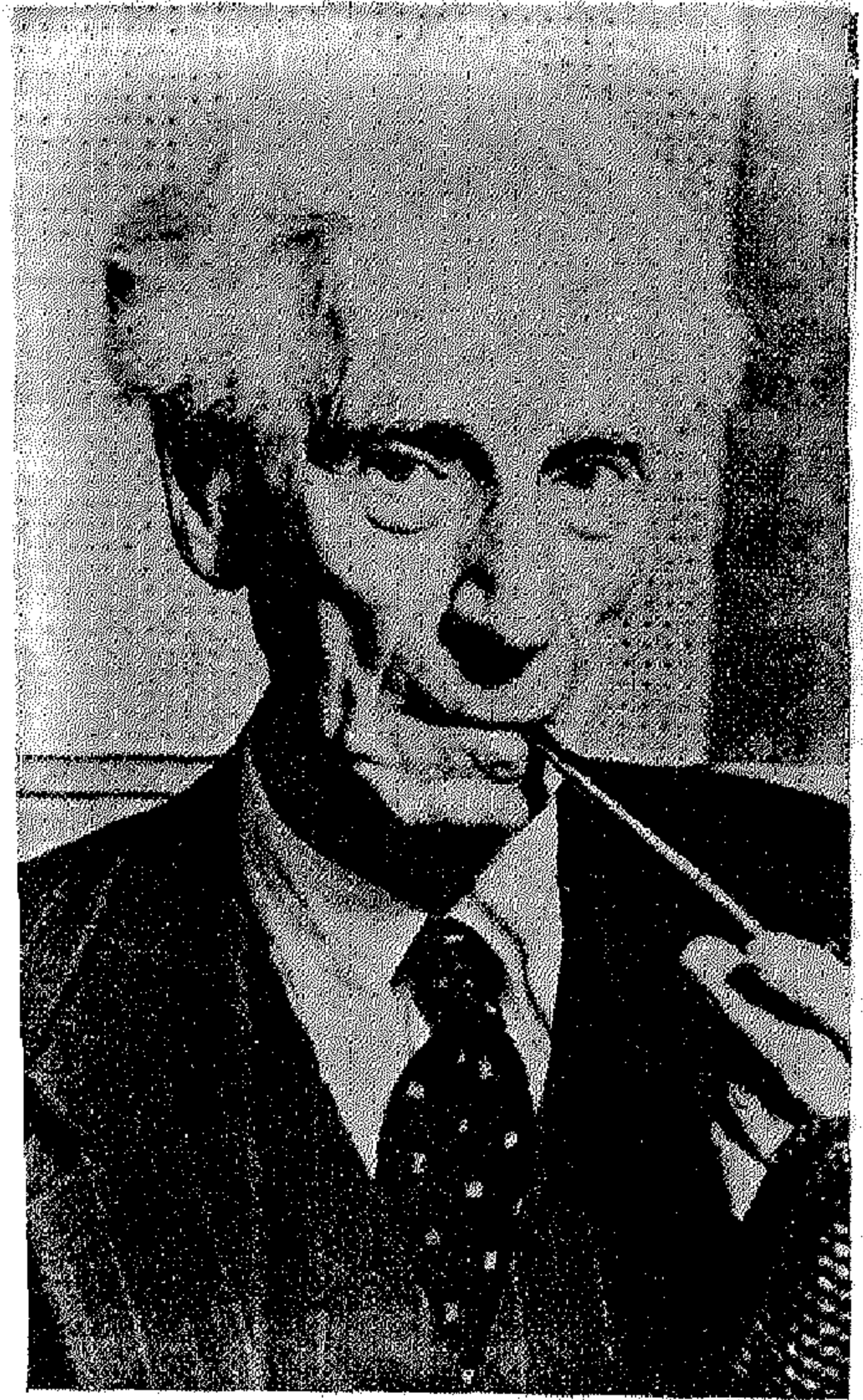
والآثار... ومن ثم فإن تاريخ البشرية لا يسير  
اعتباطاً، بل يخضع لاصول ونواميس تشتق من  
طبيعة الاجتماع البشري.

كلمات انطلقت فأطاحت بحاجز يحجب طريقاً  
جديداً... لكن أحجار هذا الحاجز استطاعت أن تشتت  
هذه الانطلاقات... فأنحرفت عن ولوج هذا الطريق،  
بل ارتدت لتطن... فنسمع لها صدى ما سبقها من  
كلمات... مظاهر الحياة كلها لدى الناس تتدرج من  
البساطة إلى التعقيد... تفكير الناس، عقيدتهم،  
نظامهم العمراني والسياسي، حتى شرفهم  
وحسبهم... كل هذا يمر بمراحل أربع  
متعاقبة... البداوة، ثم الملك، ثم الحضارة،  
وبعدئذ الاضمحلال والخراب والقضاء... لكن - والحق  
يقال - قانون المراحل الأربع هذا لا يشبه تماماً  
الدورة الافلاطونية، ولا يمثل نظرية للتقدم المطلق  
المستمر لدى البشرية على مسار التاريخ... بل هو  
تقدم محدود... يحده في النهاية الهرم والفساد،  
ثم ينقله إلى حقبة ثانية وثالثة ورابعة... المخ فقد  
يرمز بعضها للتقدم، ويرمز الآخر للتأخر  
والانحلال... وهكذا.

ها هو المفكر الإيطالي فيكو يسير على الدرب  
في فلسفة التاريخ... فيجد أن مظاهر الحضارة لا  
تخرج عن الدين والاسرة ودفن الموتى، ويجد أن  
تاريخ الانسانية وحدة متماسكة، تتطور شعوبها  
ومظاهرها حضاراتها بنوع من الحتمية، ولكن  
بسرعات متفاوتة... فتنتقل من المهمية إلى حياة  
اجتماعية منظمة من خلال مراحل ثلاث: (١ - دينية  
يسودها الخوف من الآلهة، فتصطبغ أفكار الناس  
بالخرافات والاساطير، وتنقباها نظم من الحكم  
استبدادية يحتكرها رجال الدين، ومن ثم يفسبون  
كل تصرفاتهم إلى الآلهة وحقوقها المقدسة... ٢ -  
بطولية يتأله فيها بعض البشر ويسيطرون على ما  
عداهم، فتكسو هذه النظرة كل القيم السائدة مثل  
الشرف والحق واللغة وكيفية الحكم، ومن ثم يظهر  
نظام الطبقات وتسود نزعات القوة  
والمخاطرة... وثالثة المراحل هي مرحلة الانسانية،  
حيث تحترم فيها الطبيعة البشرية، وتراعى فيها  
الواجبات والحقوق، وتسود فيها نظم من الحكم  
تدعو إلى المساواة والحرية في النقد، وتعم لغة  
شعبية سهلة الكتابة والتداول.

لكن المهم في هذه المراحل الاتصال بينها، بل  
مجرد تعاقب بين دورات مستقلة تنتهي ثالثها إلى  
الترف والميل إلى جمع المال وضعف الأديان  
وسيادة روح الانانية، ومن ثم ينشأ البغض بين  
الفقراء والاعنياء، وتخرب ذمم الحكام فتفسد  
الحكومات، ويتدهور موقفها إلى الحد الذي لا  
يصلح معه أي علاج... ثينتهي الأمر إلى احتلال عدو  
قوي لمثل تلك المجتمعات المفككة.

لكن فيكو يشرع في تدعيم نظريته الفلسفية  
بتطبيقها على الواقع التاريخي... فيتخذ من عهد  
هوميروس مثالا للمرحلة الدينية، ومن مدينة



■ راسل

وها هو بوليبيوس الميجالويولي لسان حال الفكر  
الروماني... تنطلق كلماته مؤيدة شطحة أفلاطون،  
فتبين لنا كيف أن الدولة في أصلها تعتمد على  
القوة، وكيف أنها في تطورها تتخذ مسار  
الانجذاب الشعوري إلى خلق فاضل يشيع بين  
أهلها، ويعتمد في شيوعه على عادات وعرف  
وتقاليد مرعية، فهو في حديثه عن سر انتصار روما  
وتكوينها الامبراطورية الرومانية، مطيحة في ذلك  
بالامبراطوريات التي سبقتها كافة... يؤكد أن القوة  
الكامنة في صمودها هي شمولها كل أنحاء  
المعمورة، بمعنى أنها لم تقع في أخطاء مؤسسي  
امبراطوريات الفرس والاسبرطيين والمقدونيين...

### التاريخ وطبيعة الاجتماع البشري

وها هو ابن خلدون مفكر العرب في التاريخ  
وفلسفة حدوثه، يصيح منادياً بأن التاريخ ملء  
بالاغلاط، كتابة التاريخ يجب أن تصوب، التاريخ  
يجب أن يمنهج، كما أن المنطق مدخل لدراسة  
الفلسفة فلا بد أن يكون للتاريخ مدخل... يضيء  
الطريق للباحثين في اقتفاء آثار الشعوب منذ الأزل  
حتى الابد... أن اقتفاء خطاهم يتطلب الماما  
بواقعات العمران... فللعمران طبائع في أحواله  
ترجع إليها الاخبار وتحمل عليها الروايات

ولهذا تفتق ذهن فولتير عن اكتشاف حالتين منحرفتين في الواقع، وتمهدان الى عهد المدنية المنتظر، هما... حالة الممجية لدى الامم المتأخرة... وحالة المدنية الناقصة لدى الامم المتقدمة في عصره. وظن فولتير أنه قضى على الخلاف بين فلاسفة التاريخ بهذا القانون الحاسم... لكنه مضى وظل الخلاف على حدته.

كذلك الامر مع جان جاك روسو... انه حزين دائما على الماضي، يتباكى على عهد الفطرة، يجعلها منبعاً لمجرى تاريخ البشر... ولما كان المنبع دائماً على مرتفع من المرتفعات... فان روسو قد استمد رأيه من تلك الصورة التضاريسية... فقال بأن الانسان أخذ في الانحدار تماماً كانهدار الماء من المورد المرتفع الى السهل المنخفض... حتى يتبدد في النهاية بين الوديان وبين المصب لا بد أن يخرق عهداً أربعة... أولها هذا العهد الفطري الذي عاش فيه الانسان لاشباع حاجاته الضرورية وابتعد عن كل صنعة بشرية، وثانيها عهد الاستقرار والحياة الجماعية وتقسيم العمل بين الرجل والمرأة فبدأت في ذلك العهد ظاهرة التملك والصراع، وثالثها عهد استخدام المعادن والزراعة وامتلاك الارض... ومن ثم ظهر الفرد القوي الذي يضع يده على ارض فيؤمن على ادعائه القوم البسطاء، فنشأت الجرائم والحروب، ورابع العهود عهد محاولة التخفيف من حدة ما سبقه من آثار الملكية الفردية... وذلك بتنظيم عقد اجتماعي تنظيميما عقلياً خالصاً... تنشأ فيه الدولة والقوانين والحكومات... ومع ذلك فهي محاولة فاشلة لانها تقضي على الحرية الطبيعية، وتزيد من ضعف الفقير، وتضاعف من أطماع الغنى... فتضيع معالم المساواة... ولا علاج غير العودة الى العهد الطبيعي...

ومعنى هذا ان روسو لم يكتف بأن تدور الانسانية في بدعة الحلقات او الدورات، بل افترض عهداً لا سند له من الواقع... ينظم به الصلة بين الحاكم والمحكومين... وذلك مما يزيد ظلمات الطريق الذي نسير فيه الى فلسفة التاريخ.

### فكرة التاريخ الكلي

ويكاد مارو أن يمل آراء الدورات هذه، فيلقى بها جانباً، ويبحث عن مفكر في الماضي مثلها مثله... فيصطدم بفكرة عن التاريخ الكلي من وجهة نظر عالمية... للفيلسوف الالماني عمانوئيل كانط... فالتاريخ عنده يصبح ذا معنى، لو نظر اليه كمسيرة مستمرة بلا هدف للتقدم أو للتأخر، فلا يهمه غير ربط أحداث هذه المسيرة التاريخية بالنوع الانساني عامة لا بفرد معين... ولهذا... ففي الامكان أن يتبع التاريخ خطة طويلة المدى



■ ميشل

أسبرطة عهد البطولة، ومن أثينا عهد الانسانية، ثم يطبقها على الرومان فيجعل من خضوعهم لرؤساء الاسر مرحلة دينية، ومن صراع الخاصة منهم "الباقريشيانز" مع عامتهم "البلييانز" حول حقوق العامة مرحلة بطولية، ومن عهد الجمهورية الذي أقرت فيه حقوق العامة ومساواتها بالخاصة مرحلة انسانية... كذلك يطبقه على العصور الوسطى في اوربا، ثم على الامم المعاصرة له...

أما المفكر الثائر فولتير... فقد غلى الدم في عروقه من سماعه لهذه الآراء، وانبرى معترضاً على هذه المراحل أو الدورات، لكن اعترضه لم يكن على مبدأ وجودها أو الاعتراف بها أصلاً، وانما كان منصبا على عددها... فلم يعترف الا بعهدين فقط... عهد الفطرة الخالصة وعهد المدنية... لكنهما حالتان مثاليتان كان على الانسانية أن تمر بهما، لان عهد الفطرة الخالصة لديه فطرة فكرية يسود فيها حكم العقل وفضائل الاخلاق وتعاليم الايمان الغريزي، أي عهد توازن اجتماعي لا عهد صراع أو حروب... أما عهد المدنية فهو حالة - في رأيه - لم نصل اليها بعد... لانها تنتج عن تعاقد بين الشعوب والحكام على ان يرعى الحكام حياة الشعوب واحترام القوانين وسيادة الاديان العقلية، ومن حق الشعوب أن تثور عليهم ان اخلوا بالتعاقدات المبرمة.



كذلك الامر مع ترجو في قوله عن التاريخ بأنه دستور لتجارب الامم، حلوها ومرها، وأن الجنس البشري ما هو الا مجتمع واحد، وأنه دائم السير الى الرقى بأحدى وسيلتين، عمل وانتاج في هدوء، أو وثبة الى مستوى أرقى في ثورة باعتبارها من طبائع الاشياء، ومن ثم يتحقق عن ذلك ارتقاء عقلي وآخر اجتماعي وعدالة في التشريع، الا انه يلتزم أيضا بفكرة المراحل التدريجية، لكنه يحصرها في ثلاث، تغلب على أولها السمة الدينية، وعلى ثانيها المسحة الفلسفية، وعلى ثالثها روح التجربة، ومن ثم يقع في الخطأ الذي وقع فيه السابقون.

#### المثل بحكم العالم

فهل نهج مفكر عقلي مثل هيجل منهج العلم في فلسفته للتاريخ؟ ما هو يقول: "الفكرة الوحيدة المصاحبة للفلسفة عند تأمل التاريخ هي الفكرة البسيطة للعقل، أي ان العقل يحكم العالم، ومن ثم فان تاريخ العالم هو عملية عقلية".

وذلك معناه انه يمكننا حبك رواية ذات أهمية لوقائع تتكون منها، وانه يمكننا كذلك ذكر اسس ودوافع هذه الوقائع، حتى نخرج بصورة عقلية لتاريخ هذا العالم، فالمؤرخ الفلسفي - على اساس هذا المفهوم - ينظر الى اكتشاف اسرار معنى ومعزى التاريخ بأكمله، وأظهار كيف يعمل العقل في مجال التاريخ، ومن اجل ذلك، عليه ان يعتمد على نتائج التاريخ التجريبي كمادة أولى، وعليه أن يوضح التاريخ "بالسمي وراء رفع المضمون التجريبي الى مرتبة الحقيقة الضرورية"، ذلك التاريخ الذي يتركز مفتاحه في فكرة الحرية وتطورها في الواقع، فيحاول هيجل ان يستمد من هذا الواقع سندا لفكره، فيجد ان حضارات الصين وبابل ومصر كان الطغيان والعبودية فيها هما القانون، أما الحرية فكانت مقتصرة على فرد واحد هو الملك، ثم يجد ان العالم اليوناني الروماني قد احتفظ بتنظيمات العبودية، لكنه مد نطاق الحرية كحق للمواطنين، الا انه كان مجرد ادعاء لانها لم تكن حقا لجميع الافراد، كذلك يجد ان الشعوب الالمانية لاوروبا الحديثة قد اتخذت صراحة فكرة الحرية، ومع ذلك لم تتحقق كاملة في نظمهم، ومعنى ذلك انها فكرة آخذة في التقدم، وهذا هو المسار العقلي للتاريخ الا وهو التقدم، ولذلك فانه يكمل نظريته عن القوى المحركة للتغير التاريخي بقوله، في الامكان تنفيذ الخطة الكبرى للعقل بمعاونة العواطف الانسانية فقط.



■ ابن خلدون

تستهدف النوع الانساني ككل ولو على حساب منفعة الفرد وخيره، وشأن التاريخ في هذا شأن العناية الالهية او الطبيعة تماما، ومن ثم فعلياً ان نتخيل ان للطبيعة او العناية الالهية وسيلة ما نتأكد بها من مواصلة هذه المسيرة التاريخية في فترة زمنية طويلة يمكن ادراكها من خلال النوع الانساني.

يقصد كنانط بهذه الوسيلة التي علينا تخيلها، ما لدى الانسان من ميول اجتماعية ولا اجتماعية، وبالتالي فان تزداد الانسان بينها هو الذي يشكل او يوجه مجرى التاريخ.

ومن هذا المنطق يمر الناس من حالة الممجية الى الحضارة بمرحلتين، أولاهما انتقال من حالة الطبيعة الى حالة مجتمع متحضر يجمع بين أعلى الحريات الممكنة وبين أقصى تصميم وضمان لتخديد هذه الحرية بطريقة تسمح بتعايش كل فرد مع الآخرين، وثانيتهما اقامة اتحاد فيدرالي لهذه الامم المتحضرة يتمتع بسلطات على جميع اعضائه.

وبهذا لا يقنع كنانط بالتاريخ في الماضي، وانما يقفز به متنبئاً له بمستقبل، على ضوء ما ارتآه واجبا أن يكون، ومن ثم يعرض مارو عن كلماته لانه يعيش حاضرا يختلف تماما عما تنبأ به الفيلسوف.



المؤرخ في سبل ذلك الا في القصور والعجز عن استحضار ادلة مندثرة، تملأ الكتابة التاريخية بالثغرات، لكن علاج هذه العقبة لا يتمثل في ملكة التخيل التي يشترطها كولنجوود في عالم التاريخ، وانما العلاج يتركز في توسيع لافاق معلوماته العلمية في البحوث الاكثر اكتمالا وتقدما.. والا ظل الامر وقفا على الشطحات الخيالية وذاتيات المؤرخين.. وهذا هو عين ما وقع فيه كولنجوود.. اذ لم يستطع الاعتماد على الخيال القبلي الذي نادى به، فانزلق الى تجربته الشخصية المحدودة والى عموميات التاريخ.

ولهذا فان مارو لا يريد ان يغمط كولنجوود حقه.. فيقول ان نظريته ممكنة بالنسبة للسير وتاريخ السياسات والصروب، لانها قد تكون مقصودة ومدبرة فيبرز فيها عنصر التفكير المرسوم.. اما ما عدا ذلك فخاضع حتما لتلقائية المجتمعات وتعدد مجالات نشاطاتها.

وبهذا المستوى الفكري يناقش مارو فلسفة توينبي التاريخية.. ويبدأ من مسلمته القائلة "الاسبقية والتبعية الزمניתان لهما دلالة ذاتية تافهة، او بالأصح لا دلالة لهما الا في محيط حضارة واحدة محددة، اما عند مقارنة حضارات مختلفة ببعضها.. فالعنصر الزمني لا علاقة له بموضوعاتها في غالب الاحيان.. وعادة ما يكون مضللا، اما في المعنى الفلسفي.. فستظل الحضارات كما كانت من قبل معاصرة لبعضها البعض.. لانها جميعا من نبع الاسرة الانسانية بأجيالها المتعاقبة، وما الفروق في الاعمار بينها غير فروق تتناهى في الضالة اذا ما قورنت بالعهد الطويل الذي عاشته هذه الاسرة الانسانية الخالدة".



ريتشارد توينبي

### حتمية النتائج الانسانية

لذا فاننا نجد ان مارو يناقش كلا من كولنجوود وتوينبي وبرتراند رسل مناقشة هادئة.. حول ضرورة النظرة العلمية التاريخية التي يمكن بمقتضاها ان تقول بحتمية نتائج انسانية على ضوءها في ظل شروط وظروف محددة..

فهو يتناول شعار كولنجوود لفكرته عن التاريخ، المعروف بعبارة "كل التاريخ تاريخ فكر"، ويسلم معه بأن المؤرخ لا يشاهد الوقائع التاريخية، ولكنه يشاهد وثائقها وآثارها.. ومن ثم فانه في محاولته فهم هذه الاحداث والوقائع بنفاذه الى اعماقها والى الخيط الذي يسلسل ترابطها وتعاقبها.. لا يعتمد على فكره وحده او افكار من سبقوه من المؤرخين والمعاصرين له، وانما يستعين بمنجزات العلوم الاخرى مثل الزراعة والكيمياء والعمارة وطبيعة الارض ومكونات المناخ، بل يستعين بحفريات تفصح عن معتقدات الانسان وتقاليده في فهم التطور التاريخي لها.. ومن ذلك يستطيع ان يتحقق من بعض الوقائع التي تستعصى على الفهم.. مثل الحجم السكاني للمجتمعات التاريخية وتطورها من الاتساع الى الضيق او العكس، وما اثر



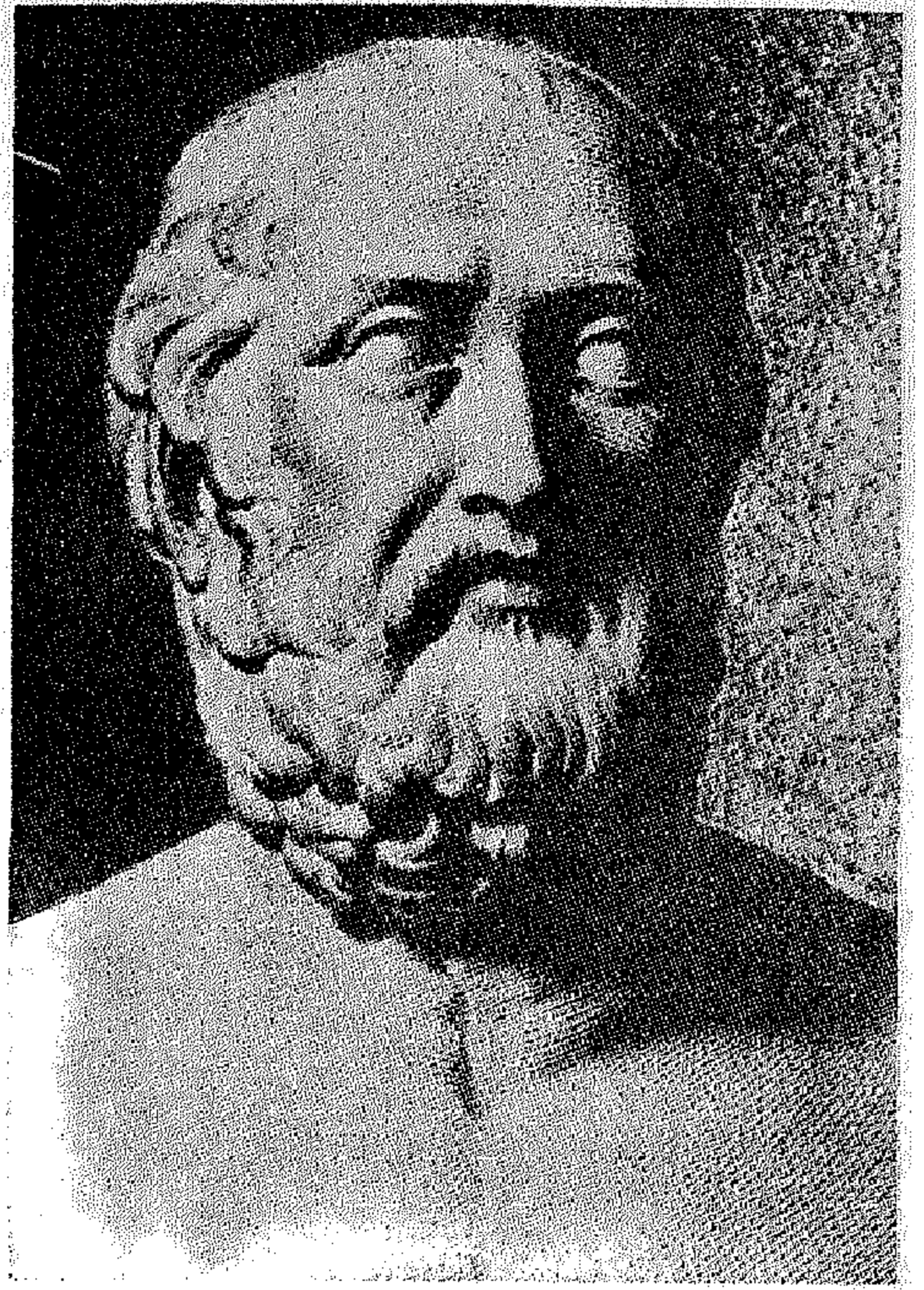
تتركز حول اكتشافه لهذا المعنى الذي تمثل في الغاية والمبرر الكامنين في العديد من الكوارث لا تستهدف غير اعداد الناس وتهيئتهم لتقبل اوضاع ونظم دينية علوية قد تكون في عالم الغيب . ومن ثم فإن هذه الحضارات تمر بأطوار أربعة هي التحدي والاستجابة ثم الانسحاب والعودة ، وهذا ما مرت به حضارات بائدة مثل الحضارات اليونانية والرومانية وحضارات امريكا الوسطى والجنوبية ، وما سوف ينتظر الحضارة الغربية أيضا . ومن ذلك نلمس أن توينبي بنى من قانونه عن التفسير التاريخي للحضارات قوة التنبؤ بالمستقبل .

وهنا الخطأ المنهجي في وجهة نظر توينبي . فهو بدأ بالنظرية كعالم اجتماع ، وبحث عن اسانيد مؤيدة لها من شواهد حضارية في التاريخ . فجاء استشهاده ذاتيا . تتضح فيه شخصيته التي تخضع بعض الوقائع لها . فيتناولها بالتعبير احيانا وبالتجاهل احيانا اخرى .

### تقويم علمية التاريخ

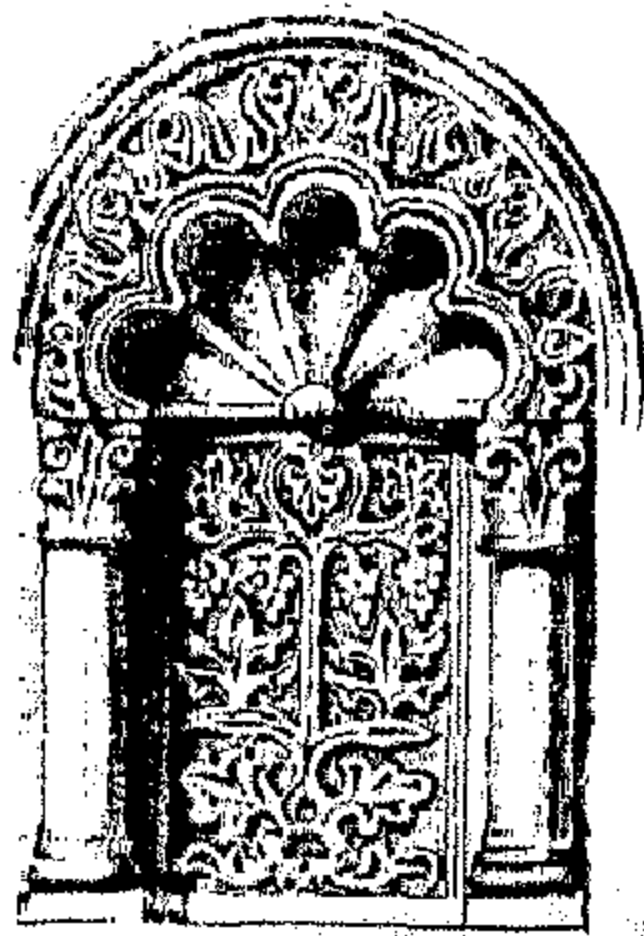
وما علينا بعد ذلك كله - في رأي مارو - الا ان نطرح فلسفة التاريخ جانبا الى حين ، ولناخذ على عاتقنا تقويم علمية التاريخ . ومع ذلك فهو يدرك تماما تميز مادة البحث التاريخي عما عداها من بحوث علمية ، فهو - كما يقول - " يعالج معدنا شديد الصلابة صعب المراس يحتاج الى أعلى درجات الحرارة الصادقة . لتخلص في تطويعه للدراسة ، أو اخضاعه لنظرية من النظريات . ذلك هو الانسان الذي حير أعظم العقول ، وخطأ أرجح الآراء " .

لكن مارو يتركنا بعد موقفه النقدي هذا في موقف الحيرة المنهجية . فهو يعترف بل يوصي كل باحث في تقويم تاريخ الانسان بأن يعتنق الديالكتيك والحتمية التاريخية لانهما أقرب الى التفسير العلمي لمسار التاريخ ، حتى لا ينجر الى متاهات التأمل والشطط .



■ افلاطون

معنى هذا ان الحضارة عند توينبي هي الوحدة الوحيدة الصالحة للدراسة التاريخية ، وبهذا شرع في مؤلفه "دراسة التاريخ" ذي العشرة أجزاء ، في تحديد معالم احدى وعشرين حضارة في الماضي والحاضر ، وعزل من ملامحها ما اعتقد انه متكرر في تاريخها . لكنه من الملاحظ ان توينبي في أجزاء مؤلفه الاولى قد قام بدور عالم الاجتماع الذي ينهج المنهج التجريبي في بحثه عن عوامل نشأة وتدهور الحضارات ، لكنه في الأجزاء الاخيرة منه يخضعها للإجابة عن سؤال واحد تردد من قبل بين فلاسفة التاريخ . هو ما معنى التاريخ ان كان له معنى ؟ لذلك فان اجاباته طوال هذه الأجزاء





مقاومة الارب للبريه عام ١٩٦٠

# انفجار لبنان

١٩٧٥ - ١٩٧٩

حذرت منه بعثة "ايرفد" قبل ١٩ عاماً !

الارب هزيف البريه

صاروخ من عيار ٨١



## مقدمة

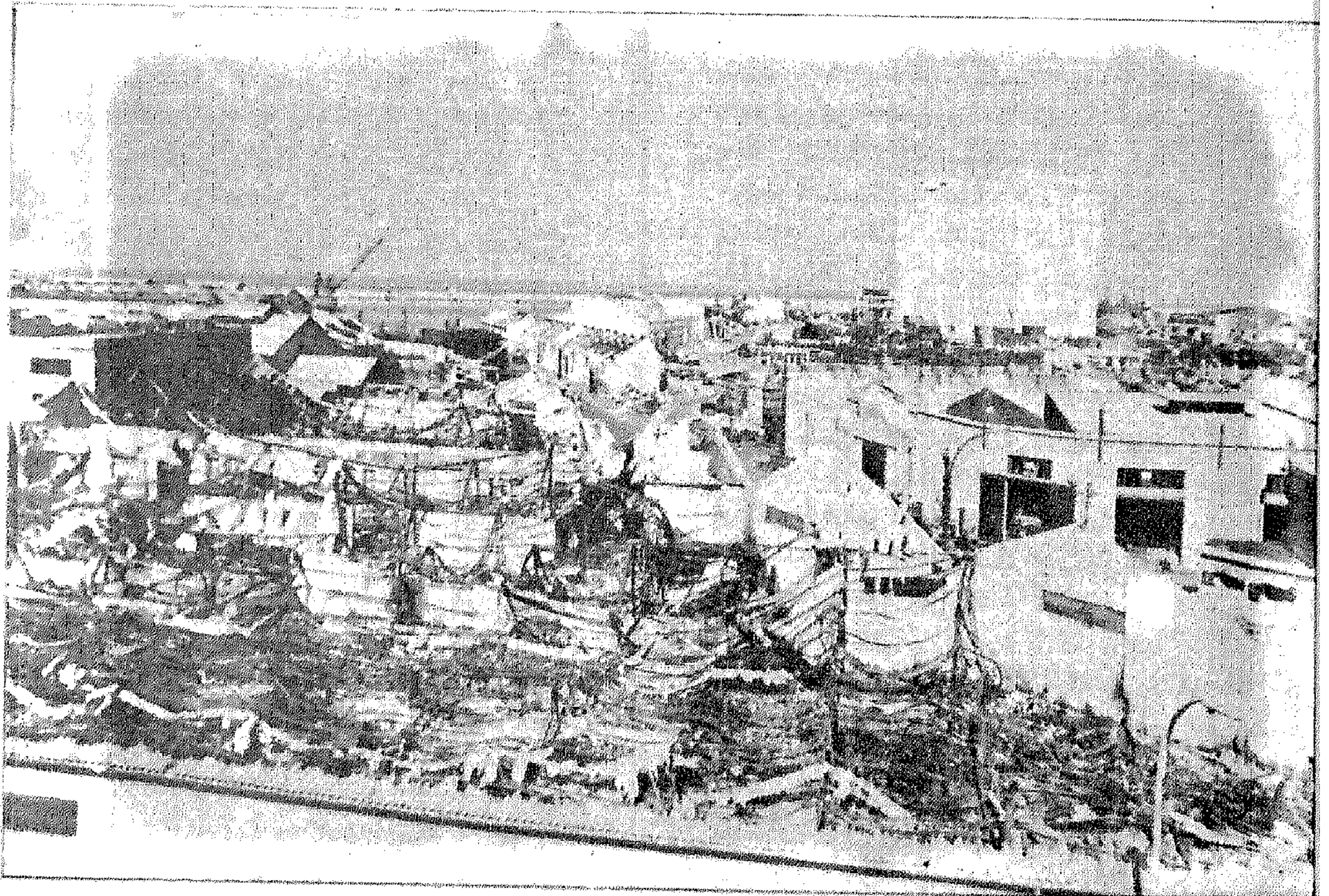
تقدم مجلة "تاريخ العرب والعالم" للقارئ العربي على حلقتين وثيقة هامة في تاريخ لبنان الاقتصادي والسياسي، وهذه الوثيقة هي محاضرة القاها الأب جوزيف لوبريه رئيس بعثة "إيرفد" الفرنسية (١) الى لبنان في ١٩ تشرين الثاني من عام ١٩٦٠ وقد القى الأب لوبريه هذه المحاضرة في بيروت بحضور اركان الدولة وفي طليعتهم الرئيس السابق فؤاد شهاب، وكان الرئيس الراحل شهاب قد استدعى هذه البعثة، بعد توليه مهامه الدستورية كرئيس للجمهورية، لدراسة الوضع الاقتصادي والاجتماعي في لبنان بهدف وضع الاسس لسياسة انمائية شاملة يلعب فيها القطاع العام في لبنان لأول مرة دوراً قيادياً ورائداً.

وقد ادرك الرئيس شهاب ان عملية التنمية لا تنحصر فقط في تحقيق زيادة مضطردة في حجم الناتج القومي وانما هنالك بعداً اجتماعياً يتمثل في تحقيق عدالة اجتماعية تواكب الزيادة في المداخل والانتاج، كما أيقن أن تركيبة الاقتصاد اللبناني التي تعتمد إلى حد بعيد على قطاع الخدمات قد بدأت تعزز بعض المشاكل والتناقضات الاجتماعية والسياسية التي قد تؤدي الى خلق حالة عدم استقرار في البلاد فيما اذا تركت دون معالجة جذرية، ولعل في بعض أحداث لبنان الأخيرة وما أفرزته تأكيداً لصحة ما ذهب اليه الرئيس الراحل.

ونظراً لأن المجال لا يتسع لنشر المحاضرة بنصها الحرفي فقد عمدت ادارة تحرير المجلة الى نشر الاجزاء الرئيسية منها وحذف بعض الأجزاء دون أن يؤثر ذلك على سياق المحاضرة أو على المعنى الذي هدف اليه الأب "لوبريه".

والمحاضرة بعنوان "لبنان يواجه قضية تنميته":

(١) المعهد الدولي للابحاث والاعداد للتنمية المنسقة



نـ مرها بيروت الشهير .. أصبح ركاماً ..

## ١ - مفهوم التنمية:

■ منذ مائة عام كان علماء الاقتصاد الأولون يتحدثون أكثر ما يتحدثون عن "الثروة" (Richesse). وكان مهمهم الأول إيجاد "الثروة"، وكان من الأمور المسلم بها أن هذه الثروة توزع نفسها بنفسها لخير البشرية العام، دون أن يعنى أحد بتوزيعها. غير أن النتائج التي ترتبت على ذلك كانت غير ما قدرُوا وانتظروا، إذ كان أن نشأت المشكلات الاجتماعية.

وبعد اصطلاح "الثروة" هذا جاء اصطلاح "التقدم" (Progrès). غير أن "التقدم" الذي كانوا يفكرون به كان مقتصرًا على التقدم العلمي والفني، أما الإنسان من حيث هو إنسان له إمكانياته، فقد أهمل كلياً واسقط من حساب هذا التقدم.

فالتقدم الإداري والتقدم الحضري والتقدم السلافي (الاثنولوجي) والتقدم الروحي، كانت كلها أموراً غير واردة في حسابهم. وقد كان من أثر هذا التشديد على التقدم العلمي والفني نشوء بعض الاختلال في توازن المجتمع مما لا زلنا نعاني منه حتى يومنا هذا.

وبعد ذلك ظهر اصطلاح "النمو" (Croissance) ومعنى هذا "النمو" بحسب النظريات الاقتصادية الحديثة النمو أو الارتفاع في الكميات الاجمالية، ولاسيما النمو في الدخل الوطني.

ومن الواضح ان النمو يصبح امراً ضرورياً إذا ما أردنا ان نلبي حاجات الانسان بصورة أفضل. على ان الأمر قد يلتبس علينا اذا علمنا - عندما نتبين من هو الذي يستفيد من هذا النمو - ان هذا النمو في الواقع يقتصر بتقهقر نسبي لقسم كبير من الشعب، وان هذا هو ما يجري أكثر الأحيان في البلدان السائرة في طريق التنمية. فلقد يحدث ان يستفيد ٢٠ في المائة تقريباً من الأهلين من هذا النمو، بينما تعاني الكثرة الساحقة من الركود ان لم نقل من التقهقر الفعلي.

وبعد اصطلاح النمو جاء اصطلاح "التوسع" (Expansion). والتوسع هو سرعة "النمو"، إذ لا يكفي للاقتصاد ان يأخذ في النمو حتى نقول انه أخذ في التوسع، بل يجب كذلك ان يتميز بتسارع في النمو، بيد اننا الآن حيث كنا من قبل، فاصطلاح "التوسع" هذا انما يعبر عنه بالارقام أو بمعدل النمو. وليس ينبغي لنا ان نستبعد اياً من هذه المفاهيم الثمينة، وانما ينبغي ان ندرك انها تتركنا في حدود دائرة المقاييس الكمية أو العددية.

ثم هنالك اصطلاح "الافادة القصوى" (Maximation) الذي يتعلق اما بربح رأس المال وأما بانتاج العمل. وهذا يعني في حقيقته زيادة الكفاية الانتاجية في اطار من الاستخدام الكامل

للموارد. وهذا الاصطلاح بدوره عرضة لأن يؤدي الى تضيق نطاق القيم البشرية. وحتى نصلح من نقائص اصطلاح "الافادة القصوى" هذا نميل الآن الى استعمال اصطلاح "الافادة المثلى" أو "الفضل" (Optimisation) أو (Optimisation). وانما نقرب من مفهوم التنمية الصحيح، من حيث نقوم بالتفتيش عن الفائدة المثلى وفي الوقت الذي نقدم فيه على ذلك. وفي الواقع ان الحصول على الفائدة المثلى لا يمكن ان يتم إذا لم يكن هناك تحسن في أحوال البشر من الناحية الانسانية.

★ ★ ★

ولذا فإنه سوف يتعين علينا - في مجال التنمية - أن نكيف الوسائل للوصول إلى الأهداف التي وضعناها نصب أعيننا. ولكي تكون التنمية تنمية حقيقية بالفعل يجب أن تكون متناسقة ومنسجمة بعضها مع البعض الآخر. وبعبارة أخرى لا يكفي أن نقوم بالتنمية في قطاع ما من قطاعات الاقتصاد، فلا يكفي أن نحسن الطرق، ولا يكفي أن نحسن سكك الحديد، ولا يكفي أن نحسن الأرض، ولا يكفي أن نحسن الزراعة ولا يكفي أن نحسن قطاع الخدمات، ولا يكفي أن نحسن التعليم الابتدائي أو التعليم الثانوي أو التعليم العالي، ولا يكفي أن نحسن مراكز البحوث العلمية الأساسية أو مراكز البحوث التطبيقية حتى تكون هناك تنمية. بل يجب أن نحقق كل هذه الأشياء في آن واحد.

فإذا تخلف سير التنمية في أحد هذه القطاعات، فسوف ينتهي الأمر بالتنمية الى مواجهة ما لا يمكن اجتيازه من العراقيل والعقبات فينتج عن ذلك تباطؤ التنمية وربما توقفها تماماً. ولذلك يجب أن تتقدم التنمية في جميع القطاعات، بما فيها من القطاعات الفنية ومناحي الحياة العامة، وذلك في تناسق وانسجام مما ينشأ وينمو على مر الزمن. ويجب أن يعتمد هذا التناسق على الأمور القيمة التي ثبت صلاحها في الماضي بشرط التفتيش عن أمور أفضل في المستقبل. وعندئذ يمكن القول بان هنالك بعض الانسجام بين الوضع الراهن والأوضاع الماضية. ولن تكون التنمية ذات أثر باق أو تنمية حقيقية بالفعل إذا هي اقتصر على وجود قوة دافعة من فوق، وانما يجب ان تكون نتيجة جهود المجتمع بكامله وأن يكون في تكوين هذا المجتمع ما يضمن استمرار التنمية باندفاع ذاتي. فإذا ما حددنا القضايا المنشودة وهيأنا الوسائل اللازمة أمكن لهذا المجتمع بكامله أن يتطور من نفسه ويسير قدماً بصورة متناسقة. ثم ان قوة الاندفاع الذاتي هذه يجب أن تصبح - عندما نصل الى مرحلة معينة - قوة لاصلاح الذاتي. وأنه يجب أن يكون في ردود الفعل التي تبدر من كل جماعة في وجه الجماعات الأخرى، وردود الفعل التي تبدر عن طبقات المجتمع فيما بينها، وردود الفعل التي



تصدر عن القوى المختلفة التي يواجهها المرء في المجتمع، ما يكفي لتصحيح الأخطاء التي ترتكب في سياق التنمية والتي لا مفر من ارتكابها.

★ ★ ★

## ٢ - الوضع في لبنان

لبنان بلد يكثر فيه عدد السكان وتنوع فيه المناظر الطبيعية ايما تنوع. ولقد حدثتنا نفوسنا عندما بدأنا عملنا بأن "مساحة لبنان من الصغر بحيث يكون العمل يسيراً". ولكننا وجدنا أنفسنا في الواقع نواجه من التعقيد المادي والبشري ما يحملني على الاعتقاد بأن لبنان أكثر تعقيداً من مجموع البرازيل حيث عملت عدة سنوات وحيث تبلغ المساحة ١٧ ضعفاً مساحة فرنسا. وهذا امر مهم للغاية لأن هذا التنوع يشكل ثروة في حد ذاته وهو أيضاً يعقد كثيراً من بعض المشكلات وخصوصاً مشكلات التنمية. ولبنان الذي يستمد تنوعه البالغ أيضاً من تعدد فئاته، هو احد الاقطار المعدودة في العالم قاطبة التي يمكن لأكثر عدد من النزعات المختلفة ان تعبر عن نفسها فيها، كما يشهد على ذلك تاريخه. فإذا نشأت فيه أمة واحدة بالرغم من الاختلاف الأساسي في العقائد السائدة وفي التقاليد، فإن ذلك من أعظم التجارب التي يمكن أن يمر بها هذا العالم. وان لبنان ليجد نفسه لذلك في مكانة فريدة، إذ ان هذا يجعل لنجاحه صدى عظيماً في العالم. ولبنان بلد لا يمكنه أن يعيش في ظل نظام الاكتفاء الذاتي (Autarcie). فان لبنان، بما هو عليه من مساحة وسكان، لا يمكنه إذا أراد أن يكتفي بانتاج موارده الحالية أن يتطور وينمو، ولذلك يجب بالضرورة أن يفتح على العالم. ومن هنا أصبح لبنان احد النقاط التي تركز فيها التوتر العالمي.

وهذا هو السبب في انه قد أصبح لقطاع الخدمات هذه الأهمية الكبرى في لبنان، ولقد اكتسب لبنان، بفضل انفتاحه على البحر المتوسط وكذلك على البحار جميعها، مكانة فريدة تماماً في مجموع التوازن العالمي لا تتناسب مع أهميته من حيث عدد السكان. ولبنان بلد حديث الاستقلال وهو في ممارسته لهذا الاستقلال قد لا يزال من بعض النواحي في طور التحسن. ولكنه يسعى إلى الاهتمام إلى الأجهزة الحكومية والأجهزة الادارية التي تضمن باطراد إمكان وجود هذا التعدد في فئاته وتحقيق تنميته في نفس الوقت.

ولبنان هو بوابة الشرق الاوسط بالنسبة الى الغرب وبوابة الغرب بالنسبة الى آسيا. فهو يقع بصورة مواتية في نقطة الاختلاط - إذا جاز التعبير - لأقسام هامة من سكان العالم.

## يواجه قضية تنميته

هذه لبنان بعد المقدمة التي قد تكون طويلة بعض الشيء ولكنها بدت لي من الضرورة بمكان. سوف اتبع الخطة التي رسمتها لي وزارة التصميم، ولا أقول فرضتها علي لأنني تقبلتها طائعاً مختاراً ومن الامور الطبيعية أن تقوم وزارة التصميم بتخطيط ما ينبغي أن يحدث عنده الخبراء تاركة لهم في نفس الوقت قسطاً عظيماً من الحرية. ولقد فرضت علينا ثلاث كلمات أو بالاحرى ثلاثة تعابير: "مستلزمات التنمية" و"إمكانات التنمية" و"احتمالات التنمية"، وقد وجدت أن هذه الخطة وافية بالغاية المنشودة ولذلك قبلت بهذا التقسيم.

### أ - المستلزمات

ان مستلزمات التنمية جد عديدة، ولا يسعني الا ان اختار منها عدداً محدوداً ثم احاول ان اضعها في ترتيبها المنطقي.

١ - في رأيي ان اول مستلزمات التنمية هو انها يجب ان تتجاوب مع نمو عدد السكان. ولا يمكن ان نعبر عن معدل تزايد عدد السكان بارقام دقيقة، غير ان الخبراء الذين عنوا بهذه المسألة قدروا انها تتراوح بين ١،٧ و ٢،٥ في المائة في السنة. والدراسات التي تمكنا من القيام بها بالاستعانة بالمعلومات المتيسرة تجعلنا نميل الى الظن بان معدل الزيادة يبلغ ٢،٣ في المائة في السنة، وهو معدل مساو لنظيره في اميركا اللاتينية. وهو أيضاً معدل مرتفع سوف ينتهي بلبنان الى تزايد متعظيم في عدد سكانه، بحيث يصبح عدد السكان بعد ١٥ سنة ٢،٤٠٠،٠٠٠ نتيجة للأسباب الطبيعية لتزايد السكان، بدلا من ١،٦٠٠،٠٠٠ نسمة هم سكانه الآن. ان واجبنا في مواجهة مثل هذه الزيادة في عدد السكان في خلال مثل هذا الوقت القصير هو احد هذه المستلزمات، ولا أقول انه يدعو الى الجزع ولكنه من المستلزمات الشاقة للغاية، لاسيما وانه لا يكفي ان نهيء للسكان المتزايدين مستوى الحياة الذي يعيش به السكان الحاليون، يجب ان ننجح في رفع مستوى حياة السواد الأعظم من السكان.

★ ★ ★

٢ - ولا يكفي ان نزيد الانتاج بمعدل ٢،٣ في المائة في السنة، إذ ان ذلك من شأنه ان يبقى السكان على حالتهم الراهنة. ان النتائج التي توصلنا اليها - وهي نتائج قابلة للتعديل - تهنيء لنا منهجاً مثمراً نتبعه. وانكم لتعرفون ان متوسط الدخل الوطني للفرد اللبناني يبلغ نحو ٣٠٠ دولار في السنة. وهو مستوى من الارتفاع بمكان، وهو في الواقع المستوى الصالح للبدء في التنمية. فالتنمية في العرف العام تبتدىء عندها يكون

ولقد حاولنا ونحن ننظر في هذا التباين في ظروف المعيشة ومستوياتها أن نحدد مكان فئات السكان المختلفة، الحضري.

ومن الواضح أنكم قد باعدتم في الشقة من حيث مستوى المعيشة بين الطبقات الاجتماعية، مما يمكن أن يصبح أمراً خطراً للغاية وغير إنساني في الوقت ذاته. ولذلك فإن من الخطأ أن تقنعوا بزيادة الدخل الوطني بنسبة ٢٠٣٪ في السنة. فإن من الضروري الحصول على زيادة محسوسة في الدخل الوطني بحيث يمكن بالتأكيد لجميع طبقات السكان، وعلى الأخص المحرومة أن تستفيد وتجد لنفسها مستوى يليق حقاً بالإنسان.

★ ★ ★

٣ - وحتى يزيد دخل الفرد (في خلال ١٥ سنة) نحو ٤٠ في المائة يجب أن يكون الحد الأدنى للنمو في الدخل الوطني ٤٠٧٥ في المائة في السنة. وهذا الحد الأدنى قريب من النمو الحالي في لبنان ولقد كان النمو في لبنان في السنوات العشر الماضية في الواقع ٤٠٤٪، فليس هذا أذن بالهدف الخيالي. غير أن النظر في هذا النمو في السنوات الأخيرة يبعث في النفس بعض القلق وذلك لأن معدل النمو في الزراعة لم يتجاوز ١٪ وفي الصناعة ٣٠٦٪ في المائة. فلقد جاء هذا النمو في معظمه من قطاع الخدمات حيث بلغ معدله ٧٪ ومن الإدارة حيث كان ٨٪ ومن النقل حيث كان ١٠٪. وبعبارة أخرى، إن بنیان نموكم - وهو بنیان تجهيزي في جزء كبير منه - بنیان يمكن أن أقول أنه غير سليم. فهو ليس بذلك البنيان الذي يساعد على تحقيق هذا الارتفاع في مستوى معيشة الفئات المحرومة والطبقات المتوسطة من السكان.

ومن الواضح أننا إذ نقترح تحقيق هذا خلال خمس عشرة سنة فإن علينا في الواقع أن نبحث في الامر على أساس ١٨ سنة، وذلك لاننا اذا ما بدأنا باعداد الوسائل اللازمة للوصول الى هذه الغاية المقترحة فسوف نحتاج الى فترة انطلاق يمكن تقديرها على وجه التقريب بثلاث سنوات. ولهذا فان البرنامج الذي يجب ان تضعوه امامكم لتحقيق هذه الزيادة يجب ان يمتد على ١٨ سنة. وعلى اساس ان عامل (Coefficient) رأس المال ربما كان ثلاثة - وهو ايضاً ما يجب ان نستعمله بمنتهى الحذر - فان ذلك يتطلب ان تستثمروا ١٤٪ من دخلكم. وليست نسبة ١٤٪ بالنسبة الهائلة. واذا كنتم تودون مضاعفة دخل الفرد خلال هذه المدة، فانه يجب عليكم ان تتوصلوا الى استثمار ٢٢٪ من دخلكم والى نمو بنسبة ٧٠٣٪ في السنة. واني اعتقد انه يجب ان تضعوا اهدافكم ما بين هذين الحدين. اي انكم ما بين ٧٠٣٪ و ٤٠٧٥٪ - حسب ما تكون الظروف اكثر او اقل مواتاة - تستطيعون في هذه الحالة ان تتوصلوا الى زيادة في دخل الفرد تتراوح بين ٧٠٤ و ٧٠٥ في المائة، وهذا يبدو



د. شريف - بيري

متوسط الدخل الفردي ما بين ٢٥٠ و ٣٠٠ دولار وهو رقم يدل على ان بلداً ما قد دخل في مرحلة التنمية. ولهذا فإن لبنان الذي يبلغ متوسط دخل الفرد فيه الف ليرة لبنانية في السنة يجد نفسه في مكان ملائم. واننا اذا رحنا ننظر في توزيع مجموع الدخل الوطني بين فئات السكان المختلفة فاننا نتوصل تقريباً الى النتائج التالية التي نوردها هنا على أساس العائلة: حوالي ٩ في المائة من السكان يحصلون على أقل من ١٢٠٠ ليرة في السنة للعائلة الواحدة، وحوالي ٤ في المائة من السكان يحصلون على ما بين ١٢٠٠ و ٢٥٠٠ ليرة، وبذلك نتبين دخل ٥٠ في المائة من السكان.

ومن هنا نعلم أن نصف عدد السكان يتصرف بـ ١٨٠١ في المائة من الدخل الوطني. تذكروا هذه الارقام: ٥٠٪ من عدد السكان و ١٨٠١٪ من الدخل الوطني. وفي القسم الآخر نجد ان ٢٢٪ من السكان يحصلون على ما بين ٢٥٠٠ و ٥٠٠٠ ليرة، وان ١٤٪ من السكان يحصلون على ما بين ٥٠٠٠ و ١٥٠٠٠ ليرة وان ٤٪ يحصلون على ما يزيد على ١٥٠٠٠ ليرة، وبعبارة اخرى أن النصف الآخر من السكان يتصرف بـ ٧١٠٩ في المائة من الدخل الوطني. ومن هنا نجد انفسنا وجهاً لوجه أمام قضية في غاية الخطورة لا نستطيع أن نغمض اعيننا عنها. وانه لمن الجلي الواضح أنه لا غنى عن القيام بمجهود ضخم بالنسبة الى ذلك النصف من السكان الذي لا يتصرف الا بـ ١٨٠١٪ من الدخل الوطني. فاذا لم نفعل، يصبح من الواضح أنه لا مفر من أن يؤدي انتشار التعليم إلى رد فعل بين السكان ينقلب الى عداوة ومن ثم الى اضطرابات اجتماعية في غاية الخطورة.



فكنتم بذلك السباقين . وهذا اقتصاد يتميز بصورة جلية واضحة عن الاقتصاد التقليدي . أما الاقتصاد الداخلي التقليدي في لبنان فهو مقصّر كثيراً من عدة نواح بالنسبة الى ما يمكن الوصول اليه وهذان الاقتصادان لم ينسق الواحد منهما مع الآخر حتى الآن ، ولذلك فان عليكم ان تبحثوا عن كيفية اقامة بنيان اقتصادي يسمح باصلاح اوجه الاختلال هذه التي تؤدي الى البؤس الشاسع في مستويات المعيشة والى عجز في القوة الشرائية لدى الطبقات المحرومة . وان من هذا النقص في القوة الشرائية لدى الفئات الشعبية ان يؤدي الى تضائل التنمية الصناعية وانكماشها مما قد يعرض للخطر في يوم من الايام تنمية قطاع الخدمات أيضاً .

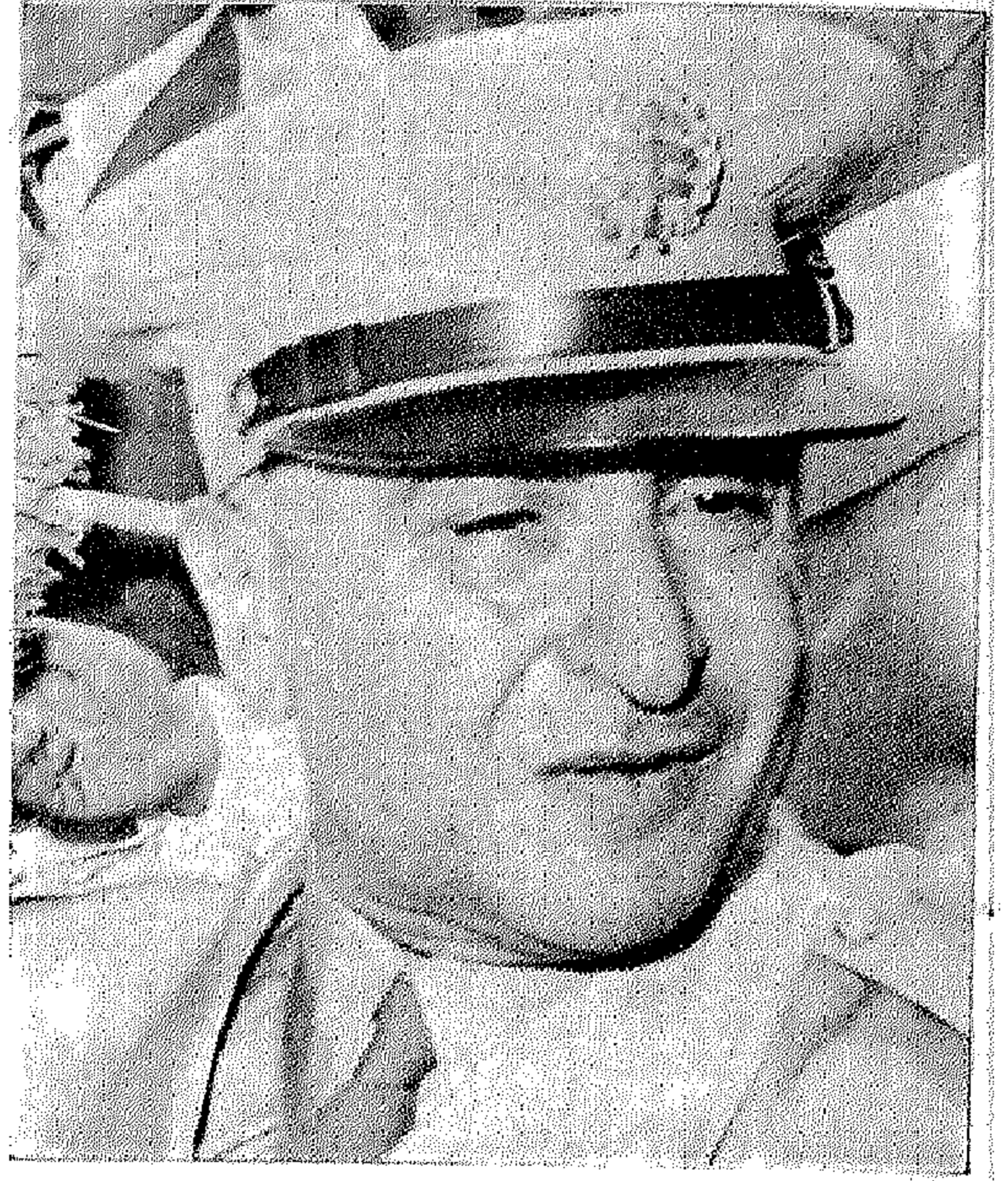
★ ★ ★

٦ - والسادس من المستلزمات هو الحد من نزوح السكان الى العاصمة ، ان النمو الضخم في بيروت ، وتعدد الخدمات التي يمكن الحصول عليها فيها ، والسهولة التي تهيئها وسائل النقل للوصول اليها ، كل هذه الامور جعلت من بيروت لا مجرد عاصمة فحسب بل كذلك مركز الحياة بأسرها بالنسبة الى السكان . فبدلاً من أن يتوقف السكان في المدن التي كانت فيما مضى صغيرة ، اصبحوا يؤمون المدينة الكبيرة المزاهية حيث اخذوا يستقرون شيئاً فشيئاً ، ومن الواضح اننا هنا امام ظاهرة اجتماعية واقتصادية في منتهى الخطورة ، اذ تصبح تكاليف المعيشة باهظة للغاية ، وتنشأ طبقات اضافية من السكان يصعب تيسير التعليم لها كما يصعب توفير المستوى الانساني اللائق لها الذي وضعناه من قبل هدفاً لنا . وتترتب على ذلك مشكلات اجتماعية خطيرة . وسوف نرى بعد دقائق معدودة كيف يمكننا جزئياً على الاقل ان نعالج أمر هذا الاحتشاد من جانب سكان لبنان في العاصمة .

وانه ليجب أن ننظم هذين الاقتصادين بحيث يتم تأمين عمالة لمجموع السكان في قطاعي الزراعة والصناعة ، وفي قطاع الخدمات أيضاً .

★ ★ ★

٧ - ايجاد عدد كبير من الاشغال : بالنظر الى نمو عدد السكان الذي سيتحول في خلال ١٥ او ١٦ سنة من ١٠٠٠٠٠٠ ١٠٦٠٠٠٠٠ نسمة الى نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة ، فانكم اذا لم تتخذوا من الآن الاحتياطات الضرورية التي تسمح بايجاد عمالة في الزراعة لعدد اكبر من الايدي العاملة وذلك عن طريق زيادة كثافة الزراعة (اي زيادة الاستفادة من نفس المساحة) ، وكذلك ايجاد شغل في الصناعة لعدد اكبر من الايدي العاملة وذلك عن طريق زيادة عدد المؤسسات الصناعية - اذ حيث تكون التنمية يكون نمو في الخدمات ، وهو نمو قد يكون طفيلياً وقد يكون على النقيض من ذلك نافعاً في حد ذاته -



رئيس مجلس الوزراء اللبناني

ممكناً اذا احسن تضميم التنمية الفعلية واحسنت ادارتها . ويجب ان نستنتج من هذه الارقام - وهي ارقام تقريبية ولكنها تعطينا فكرة عما هو واقع وعما هو ممكن - ان من الضروري ان نعنّى في نفس الوقت بالزراعة والصناعة ومجموع الخدمات ، لا الخدمات التجارية فحسب ، بل الخدمات التي تستهدف رفعة الانسان بصورة مباشرة ، الا وهي الخدمات الفكرية والثقافية والروحية . ولذلك فان من الضروري أن ننظر الى جميع الحاجات العاجلة وجهاً لوجه .

★ ★ ★

٤ - وأولى هذه الحاجات العاجلة هي ان نواجه النمو في عدد السكان ، والثانية هي ان نقلل من التفاوت بين مستويات المعيشة ، والثالثة هي ان نسعى الى تعيين حد ادنى للنمو السنوي بقصد التوصل الى هذا الارتفاع في مستويات المعيشة بالنسبة الى السكان المتزايدين والرابعة هي تلك التي تختص باعطاء جميع موارد البلد قيمتها (mise en valeur) ، بما في ذلك الموارد الطبيعية وموارد التربة والموارد الجوفية والموارد البشرية ، ولا يمكن لهذا أن يتحقق بطريقة ما في التوفيق بين هذين الاقتصادين المتباينين اللذين يتألف منهما الاقتصاد اللبناني في الوقت الحاضر .

★ ★ ★

٥ - ان النشاطات اللبنانية يوجهها الى حد كبير اقتصاد يتناهى وراء الحدود الوطنية ، اقتصاد يقوم على الخدمات وعلى زراعة الفواكه وتصديرها . وأنتم هنا في الطليعة بالنسبة الى سائر العالم



ولذلك فأن هناك واجباً يقضي باعداد الافراد للهجرة التي هي من خصائصكم والتي تتلاءم مع طبائعكم الانسانية وهذا أمر جميل . فإنه أفضل بكثير أن يكون لدينا رجال يقدمون على ركوب المخاطر من أن يكون لدينا رجال يصرفون وقتهم بالتفكير في سلامتهم . وأن من شأن اتجاه جديد يقوم على اعداد المهاجرين فكرياً وثقافياً وفنياً أن يمكنهم من أن يسدوا الى البلاد التي يكونون فيها أقصى قدر ممكن من الخدمات ، والا أصبحوا أشخاصاً غير مرغوب فيهم .

★ ★ ★

٩ - التعليم اللازم لهذه التنمية: وأخيراً، وعندما نتكلم عن التنمية فنحن انما نتكلم عن عدد من الاعمال التي يجب أن توضع موضع التنفيذ او من المشاريع التي يجب أن تحقق، مما يحتاج الى تدريب عدد من الناس واعدادهم لهذا الغرض . وسواء كان الامر يتعلق باعداد الناس أو باعدادهم للقيام بمشاريع داخل البلاد، فأن من المستحسن ان يوجه التعليم في مراحله الثلاث، وعلى صعيد التعليم العام وصعيد التعليم الفني على السواء، نحو المهمات الفعلية التي ينتظر من الناشئة في لبنان تحقيقها في مجرى حياتهم .

هذه هي مستلزمات التنمية مطروحة امامنا . وهي بحق مستلزمات جسام . فلا ينبغي لنا بحال من الاحوال ان نخطيء في تقديرها . إذ أن ما هو امامنا الآن ليس بالمشكلة السهلة، بل اننا نواجه مشكلة عسيرة . فما هي الامكانيات التي نواجه بها هذه المستلزمات؟ لكي نجيب على هذا السؤال دون الدخول في جميع التفاصيل، سوف نتفحص بسرعة امكانيات الزراعة وامكانيات الصناعة ثم مسألة الخدمات . . .

فإن الأمر سينتهي بلبنان إلى كارثة . فإنه إذا لم يكن هناك في هذه القطاعات الثلاثة امكانية لتشغيل عدد أكبر من الأيدي العاملة، فإنه سوف يتعين على السكان الذين تزايد عددهم أن يتقاسموا فيها بينهم موارد لم تنم بما فيه الكفاية، وبدلاً من أن نقبل على فترة تنمية سوف ينتهي بنا الامر إلى التقهقر . والعمالة أو فرص العمل شيء لا يمكن ايجاده في التو او اللحظة، بل يجب أن يكون لدينا مخطط بعيد المدى يمكننا من أن نجد أشغالا للناشئة بمجرد بلوغهم سن العمل بحيث يستطيعون أن يعيشوا وأن يؤسسوا لأنفسهم اسراً جديدة .

وهذه مسألة يجب علينا أن نتصدى لها وجهاً فلا نسكت بالاحباطات والتدابير التي لا نرى منها نفع الآن . ولقد كانت الهجرة الى الخارج حتى الآن بمثابة صمام، ولكن تزايد السكان لم يكن اذ ذاك بهذه السرعة . ولبنان قد حقق منذ ذلك الوقت تقدماً باهراً، فإني، وقد عشت فيه قبل اربعين سنة قلت، لأشهد بأن لبنان قد حقق هذا التقدم . لقد وثب لبنان في مضمار الصدا العامة وثبة كبيرة . وهذا هو السبب الذي أدى الى هذا النمو البالغ السرعة في عدد السكان .

★ ★ ★

٨ - التأهل الفني للمهاجرين: سنظل المهجرة من لبنان ضرورية ولكنه ليس من المحتمل أن تبقى شروط المهجرة سهلة كما كانت عليه من قبل . وفي الايام الخالية كان في وسع أي لبناني على قسط من الذكاء، وإن كان غير متعلم، أن يذهب إلى أي جزء من العالم لينشئ لنفسه حياة جديدة هناك . وكان يجد استقبالا حسناً، كما انه بفضل حاسته التجارية غالباً ما كان ينجح في أن يوجد لنفسه وضعاً لا مقبولا فحسب بل ممتازاً .



نحو تاريخ بدون تزييف...

الأمير  
فخر الدين الثاني

بطل وطني..

أم حاكم

أراد البقاء؟!



■ الأمير فخر الدين يرحل الغلسون في مونتانا.

### رسالة من قارئ ورد من مدرّس تاريخ عليها

من هو الأمير فخر الدين الثاني المعني؟ هل هو وطني أم هو مجرد حاكم كان يريد أن يحافظ على حكمه ولو بالتعاون مع الاجنبي؟ هذا السؤال طرح وما يزال، وقد تعددت وجهات النظر في الاجابة عليه. واخيراً اثارته رسالة وردت الى "تاريخ العرب والعالم" تسأل عن التباين في النظرة الى الأمير فخر الدين الثاني المعني بين كتب التاريخ التي تدرس في المدارس اللبنانية وبعض البحوث التاريخية التي تناولت تلك الفترة من تاريخ لبنان.

ولأن صورة الأمير فخر الدين مشوهة الى هذا الحد في اذهان المواطن اللبناني والعربي، فقد عرضت "تاريخ العرب والعالم" الرسالة على أحد مدرسي التاريخ طالبة رأيه في الموضوع. وهي هنا تنشر نص رسالة القارئ سامي الشامي - النبطية (لبنان الجنوبي) ورد مدرّس التاريخ في ثانوية عمر بن الخطاب - بيروت الاستاذ محيي الدين قدورة - ماجستير في التاريخ. وتفتح "تاريخ العرب والعالم" صفحاتها لكل وجهة نظر او واقعة تاريخية تزيل اللبس عن شخصية الأمير فخر الدين، وصولاً الى اعادة كتابة التاريخ - شعار المجلة - وتنقيته من كل الشوائب التي تعتريه.

ترتسم في أذهاننا ومنذ الصغر، صورة للامير فخر الدين الثاني كبطل وطني حاول أن يوحد لبنان ويخلصه من ربة الاستعمار والتبعية العثمانية، صورة ما كانت لتزعزع لولا قراءتي لاحد المصادر التي كتبها احد العاملين بعدها ارجو محاكمة هذا الامير الشوفي، فاما أن يكون ويظل بطلاً، واما أن يكون متعاملاً مع الاجنبي؟

واليكم مقاطع من كتاب "للبحث عن تاريخنا في لبنان" للمؤلف الشيخ علي الزين - الطبعة الاولى سنة ١٩٧٣م عدد صفحاته ٦٠٧ تحت عنوان "الظروف الدولية" صفحة ٢٣٨ - ٢٣٩ يورد ما يأتي:

"ومما يشعرننا بملاءمة الظروف لمحاولات فخر الدين ما تضمنته رسالة محفوظة هذه الى البابا يحثه فيها على السعي للاستيلاء على الاراضي المقدسة، ويؤكد له ان الوقت مناسب لان الفوضى ضاربة اطنابها في البلاد العثمانية والضعف باد عليها، وعرض فيها الامير على البابا أن يذهب بنفسه الى روميه ليتولى تنظيم هذه الحملة".

ثم في رسالة الى نائب ملك اسبانيا يقول "وان سألتكم عنا فاننا لا نتغير لان قلبنا واحد ونيقنا واحدة". تحت عنوان "ماذا وراء المساعدات الغربية لاميير الشوف" يورد في ص ٢٤٢ :

"أمن الصحيح ان حكام الغرب وملوكه قد عضدوا الامير فخر الدين وامدوا بالمساعدات المعنوية والمادية وبالسلاح والعتاد، وبالخبراء والقادة لمجرد انه كان ضد الدولة العثمانية؟ او لانه كان يسعى لتحرير لبنان من النفوذ الاجنبي؟ ام انهم عضدوه وساعدوه بكل ما يستطيع لكي يعيد الاراضي المقدسة الى الصليبيين ويستبدل مستعمراً بمستعمر ثم يكون بالتالي تحت حماية الاسياد الجدد؟؟"

ثم يورد مقطعاً "أمن الوطنية أعادة الحروب الصليبية الى البلاد؟" ص ٢٤٢

ثم يشكك ببطولته في معركة عنجر ويتهم فخر الدين بالتآمر والمراوغة (ص ٢٤٥) وما يليها .

هذا بعض من كثير من الاتهامات، وان كان كما يورد المؤرخ الزين حال فخر الدين فنكون في مدارسنا ومؤسساتنا التعليمية العالية نصنع التاريخ وننسج صوراً لا بطلان غير حقيقيين. ارجو الرد ولكم الشكر.

سامي الشامي - النبطية

لقد قرأت رسالتك وشغفت بما جاء فيها من تساؤل، بدور حول تشككك بوطنية الامير فخر الدين الثاني بعد اطلاعك على كتاب للشيخ علي الزين يحمل العنوان التالي: "للبحث عن تاريخنا في لبنان".

بناءً على ذلك اخبرك بأنني قد تمعنت بقراءة مقتطفات ذلك الكتاب من خلال ما ورد منها في سياق رسالتك وتوصلت الى اقتناع يؤكد بأن شكك كان في محله مستنداً في ذلك الى ما عندي من حقائق تاريخية بالاضافة الى ما جاء في كتاب الشيخ علي الزين السالف الذكر .

اما بالنسبة لمطالبتك بمحاكمة هذا الامير الشوفي فهذا حق لك كما هو واجب علينا في الوقت نفسه كممثلين للطليعة العربية المثقفة ان نميط اللثام عن المخفي من سياسة الامير فخر الدين الثاني كي يتسنى للقاريء العربي بصفة عامة واللبناني بصفة خاصة تكوين فكرة صحيحة عن تلك الشخصية، خالية من التبجيل والتعظيم الزائفين .

ان هذه المنطقة العربية قد نكبت بزعامات اقطاعية - منذ القرون الوسطى - كان همها الاول والاخير التفرد بالسلطة والجاه والتضحية في سبيلهما بكل غال ورخيص .

كما ان المحافظة على تلك الامتيازات المتوارثة كانت تدفع بقلك الزعامات للتعامل مع الشيطان متخذة من فلسفة "الغاية تبرر الوسيلة" مبدأ اساسياً تعتمد عليه لتحقيق مآربها .

هذه الاشياء تظهر لنا بوضوح في الصراع الدموي الذي حدث بين الامير فخر الدين الثاني وزعامات الحزب اليمني بالاضافة الى الصراعات التي حدثت فيما بعد بين الامراء الشهابيين وخصومهم من اليمنيين والقيسيين .

لكن الصراع عندما كان يحصل بين اي امير اقطاعي والدولة العثمانية كان هذا الامير او الوالي يستعين بقوى خارجية او اجنبية لتدعمه ضد الاستانة، لكن الدعم الاجنبي لم يكن ليتحقق الا اذا حصل توافق في المصلحة بين الفريقين الداعم منهما والمدعوم كي يتسنى لكل منهما تحقيق غاياته المرجوه متكافلين متضامنين حتى اتمام الصفقة .

اما الشواهد التاريخية على ذلك فكثيرة ومنها: تحالف الامير بشير الثاني مع محمد علي والي مصر وتعاون محمد علي مع فرنسا ضد الدولة العثمانية لقاء تحقيق منافع مشتركة لا يسمح لنا المجال بذكرها .



الشخصية المعنية الى مصاف رجالات العالم العظماء والمشهورين في التاريخ . كما ان معظم المراجع التاريخية والبنانية منها على وجه الخصوص اعتبرت فخر الدين "مثالا" للوطنية والبطولة والرجولة يحتذى به .

ان النفوذ الاجنبي بدأ يتغلغل عميقاً في تربة منطقتنا منذ عهد فخر الدين الثاني وذلك عن طريق الجواسيس الاوروبيين المتخفين بثياب التجار والبعثات التبشيرية والتعليمية والقنصلية التي اتت لدراسة احوال المشرق العربي واصطناع العملاء - مستخدمين مختلف الطرق والوسائل المغرية - تمهيداً للانقضاض على المنطقة وابتلاعها طمعاً بموقعها الاستراتيجي وغناها المادي .

وعلى ما لا ننسى المحاولة التي عقدت ١٦٠٨م بين الامير فخر الدين الثاني وامارة توسكانة والتي كان القصد منها التآمر على اقتسام المشرق العربي بين الدول الاوروبية المتمثلة بالتحالف التوسكاني - الاسباني - البابوي نظير تثبيت فخر الدين في امارته التي طرد منها فيما بعد على ايدي العثمانيين وذلك بعد انكشاف تحالفه واتصاله بدول اوروبا ضد الباب العالي . هذه الاتصالات التي قام بها فخر الدين مع دول اوروبا ضد الدولة العثمانية استمرت نيرانها منأجحة فترة امتدت منذ عقد المحاولة المعنية - التوسكانية ١٦٠٨م الى عام ١٦٥٢ حين اعدم الامير فخر الدين في الاستانة بسبب استمراره في الاتصال بدول اوروبا الآتفة الذكر كيما تنفذ ما اتفق عليه بين الفرقاء المعنيين منذ اكثر من ربع قرن .

منها :

أ - كانت الدولة العثمانية تتمتع بقوة عسكرية لا بأس بها .

ب - تغير موازين القوى الدولية .

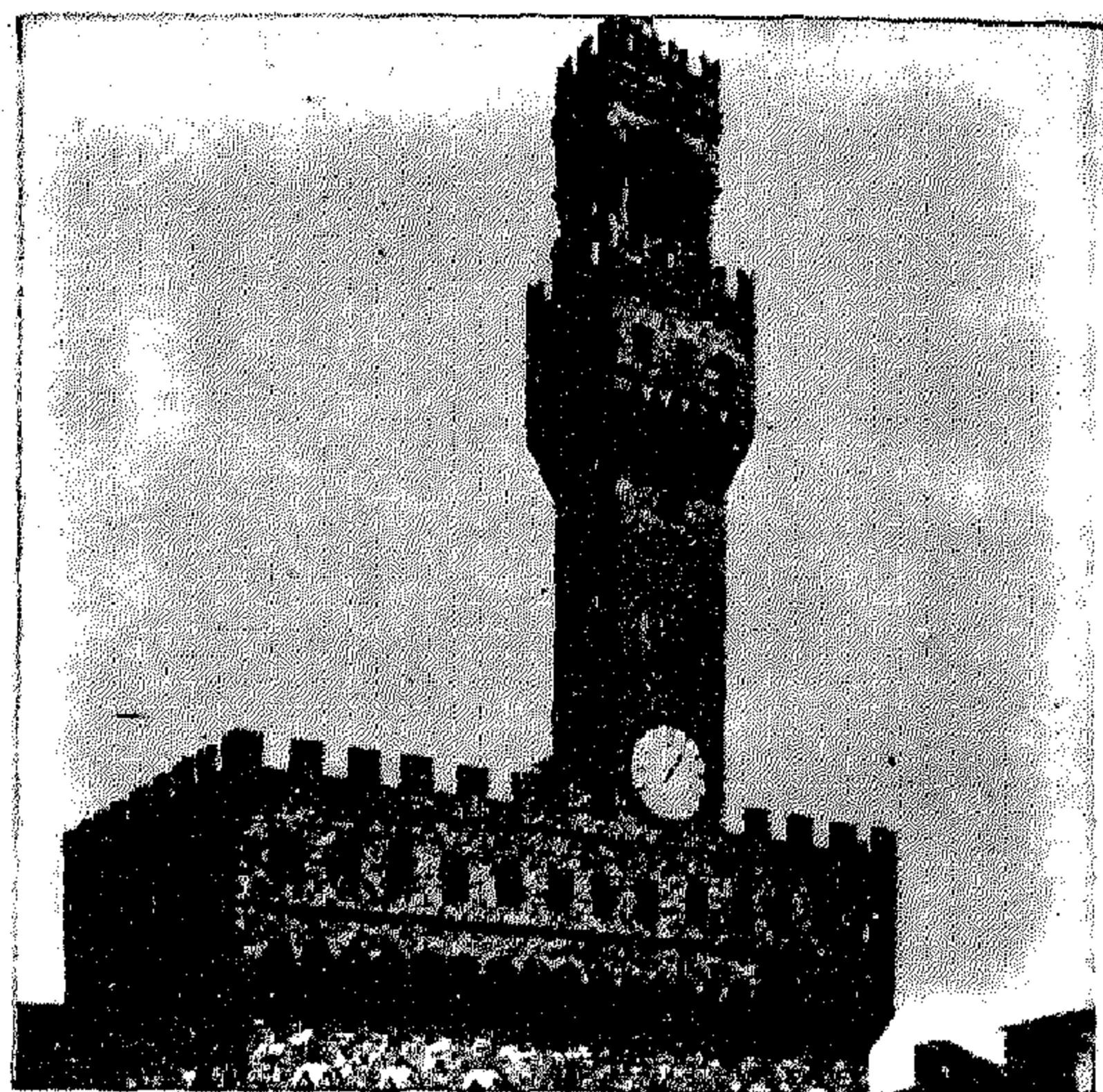
ج - صدور العفو العثماني عن الامير فخر الدين وعودته .

د - تخوف التحالف الاوروبي السالف الذكر من ردات فعل تؤدي الى نشوب حروب دينية شبيهة بسابقتها التي حدثت بين اواخر القرنين الحادي عشر والثالث عشر .

هـ - ضعف قوة البابا العسكرية والسياسية كان له الاثر الكبير في عدم محاولته استعادة الاراضي المقدسة .

ارجو ان اكون قد اجبت على التساؤلات التي طرحت والتي لآمل ان نقوم في المستقبل بالتعاون مع بعض الاخوة المطلعين على تاريخ منطقتنا بمحاكمة هذا الامير الشوفي على صفحات "تاريخ العرب والعالم" خدمة للحقيقة التاريخية المجردة عن كل غاية تمهيداً لاصدار حكم عادل بحق الامير فخر الدين الثاني .

محي الدين قدورة



كما ان طاهر العمر تعاون مع الاسطول الروسي ضد العثمانيين متمثلين بولاتهم في صيدا وببيروت . . .

اما فخر الدين الثاني فقد اختلف عن بشير النابلسي ومحمد علي وظاهر العمر في هذا الامر حيث انه كان على استعداد لتقديم الدعم اللازم لاية حملة تقوم بها الدول الاوروبية لاسترجاع بيت المقدس بعد ان تكون تلك الدول قد بادرت بمساعدة الامير في تثبيت حكمه وسلطانه في امارته .

بالاضافة الى ذلك فان الامير فخر الدين لم يكن ليكنفي بتقديم المساعدة اللازمة للدول الاوروبية كبما نحقق اطماعها في المشرق العربي فحسب بل سدد كان يقوم بتحريض اوروبا وعلى رأسها البابا للاسراع في التحرك للوصول الى الاهداف المشتركة كي يأمن الامير على نفسه وسلطانه من دسائس الدولة العثمانية وولاتها في المشرق العربي ودليلنا على ذلك ايفاد فخر الدين ١٦١١م "لمطران جرجس بن مارون الاهدني" الى قورها الثاني امير توسكانة والى البابا بولس الخامس وذلك لتحديد التحالف مع كل منهما ولحماهما على الاسراع في حطى المؤامرة الآتفة المذكورة ادى به الامر الى هفايض السيطرة العثمانية باستعمار اوروبي صليبي جديد ضارباً بعرض الحائط مصالح ابناء قومه ووطنه . وهناك امثلة حية لا زالت احداثها جارية الى يومنا هذا وتمثل صورة قريبة للاحداث البعيدة التي عاشتها منطقتنا العربية .

ان عقلية الحاكم الاقطاعي هي عقلية سياسي والتاجر نفسها حيث ان كلا منهم يزايد ويتاجر بمصالح ابناء قومه وعشيرته وامته تأمينا لمصلحته الذاتية . فلا عجب ان فخر الدين ما فعله ، ولكن الشيء الذي يثيرنا هو تغاضي المؤرخين عن ذلك ورفع فئة من المؤرخين اللبنانيين لهذه



■ - اناء الوركاء (شكل - ١)

# الأمم والأعراق

من أقدم الأزمنة حتى العهد الكلداني

د. ديمتري برامكي



يقول المؤرخ الشهير هيرودوت نقلا عن العالم هيكتاتايوس ان مصر هبة من النيل ، وهذا التعبير ينطبق تماما على العراق ، فالعراق هبة من الفرات ودجلة اذ لولا هذين النهرين لكان العراق خليجا ومستنقعات ، فالرواسب التي كان يحملها الرافدان كونت العراق وما فتئ هذان النهران بعد ذلك يرويان ارضها ويجددان تربتها الخصبة سنويا .



■ - رأس امرأة من الالف الثالث (شكل - ٢)

فهذه منحوتة برموز دينية تمثل الآلهة اننا اوشتر تتقبل القرابين من كهنة عراة (شكل ١) كما وجد ايضا رأس امرأة منحوت بالمرمر الشفاف (شكل ٢) .

وقد تفنن السومريون بصنع الاختام الاسطوانية وحفرها حفرًا دقيقًا ناعمًا بمشاهد ولائم او مشاهد صراع بين البطل جلجامش ورفيقه انكيidu من جهة والاسود والثيران البرية من جهة اخرى بدلا من الاختتام الاسطوانية التي الفناها في عهد جمدة نصر . وكذلك ابداع السومريون في صناعة التماثيل من المعادن وجعل المعادن اداة لفنهم . ومثالا على ذلك وجد في معبد نينخور ساج تماثيل نسر مزود برأس اسد فارشا جناحيه فوق غزالين ويقبض عليهما بمخالبه (شكل ٣) . ووجد في تل اسمر وفي خفاجه وفي ماري عدد كبير من التماثيل المصنوعة من الالبستر تمثل اشخاصا بلحى او بدونها مكتوفي الايدي وهم يقفون وقفة وقار تقليدية (شكل ٤) .

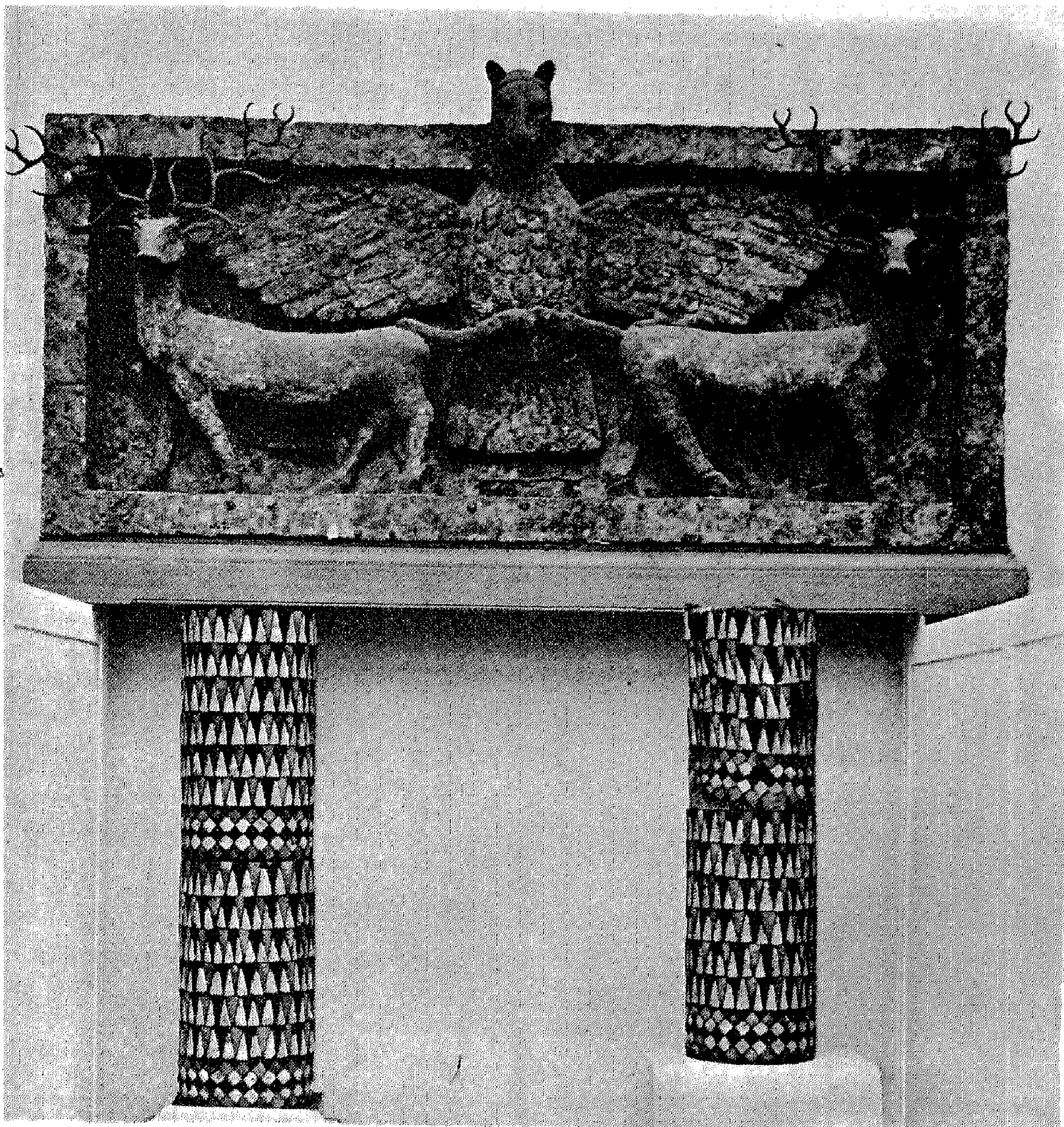
■ في العصر الحجري القديم لم يكن العراق مأهولا سوى من بعض المغاور في سفوح الجبال في منطقة شاندار . وفي الالف السادس قبل الميلاد عندما بدأ حفاف مستنقعات العراق الشمالي نشأت بعض القرى مثل جارمو وحسونة وسامرا وتل حلف وتل أربجية واخذت هذه القرى تتعاطى الزراعة وتدجين الحيوانات وتصنع الخزف بالايدي كما أن اهلها كانوا يسكنون الاكواخ المبنية من اللبن على اساسات من حجارة الحقول .

وفي اوائل الالف الرابع قبل الميلاد عندما جفت بعض المستنقعات في جنوب العراق هبطت اقوام من اعالي الجبال وحطت في سهول جنوب العراق في اماكن مثل تل العبيد والوركاء وجمدة نصر حيث اقاموا اكواخا من القصب والطين وتعاطوا الزراعة وتدجين الحيوانات وصناعة النسيج وصلاح القصب وصناعة الخزف اولا على الايدي ثم على الدولاب . وفي عهد الوركاء اي حوالي ٣٢٠٠ ق م . ظهرت الاختتام الاسطوانية المصنوعة من الحجارة لأول مرة في العراق وبقيت تستعمل حتى العصر الكلداني . كانت هذه الاختتام مزخرفة بالاشخاص في بادىء الامر ولكن في اواخر عهد جمدة نصر اي حوالي ٢٨٠٠ ق م . ظهرت الاختتام المزخرفة باشكال نباتية أو هندسية متكررة والتي اصبحت معروفة ببروكاد .

وفجأة في اوائل الالف الثالث قبل الميلاد ظهرت المدن المحصنة بأسوار منيعة واهيئت المعابد والقصور الفخمة من هذه المدن مدينة اوروك (الوركاء حاليا) ومدينة اور ومدينة اربدو ومدينة لبخش وغيرها من المدن السومرية . وكان الاهلون يعتقدون ان الآلهة هي التي أسست هذه المدن وانها جعلت من الكهنة وكلاء عنها . فاستغل الكهنة هذا الاعتقاد واخذوا يحكمون المدن السومرية باسم الآله ويتحكمون فيها كما يشاؤون .

### العصر السومري

من مميزات العصر السومري (٣٠٠٠ - ٢٤٠٠ ق م) ازدهار الفن بتشجيع من الكهنة . فمعتقدات السومريين وطقوسهم الدينية حفزتهم لممارسة الفن التمثيلي . مثال على ذلك الجرة المصنوعة من الالبستر والتي وجدت في اوروك .



■ - م دوجود (شكل - ٣)

أرواحهم . وعلى الجانب الخلفي من النصب نشاهد في القسم الاعلى الآله نين خورساج اله مدينة لبخش يمسك بشبكة تحتوي على الاسرى من جيوش مدينة اما (شكل ٥) وعلى القسم الادنى من النصب يظهر الآله ذاته راكبا عربة حربية يؤازر جيوش مدينة لبخش .

#### مقبرة الملوك

ومن آثار العهد تمثال جميل للملك انتمينا ملك مدينة لبخش يلبس ثوبا قصيرا ويدها مكتوفتان على صدره بحالة من الورع والتقوى كما عثر على

ومن اهم الانصاب التي ترقى الى هذا العهد نصب اقامة اينادو ملك لبخش تذكارا لانتصاره على مدينة اما . وهذا النصب محفور على الوجه والخلف . اما الوجه فمقسم الى ثلاثة اقسام . فالقسم الاعلى مشهد للملك اينادو ماشيا على رهط من رجاله المدججين بالسلاح يمشون فوق جثث القتلى من الاعداء وامامه عقبان تنهش جثث القتلى من مدينة اما . وفي القسم الثاني يسير الملك في عربة حربية وهو يقود جنوده الى الامام بينما الاعداء ينهزمون ويرجعون متقهقرين . والقسم الثالث والاحير منقوش بمشاهد لدفن الموتى من جنود لبخش بحفاوة بالغة بينما الملك اينادو يصب فوقهم العطور ويقدم ثورا قربانا عن



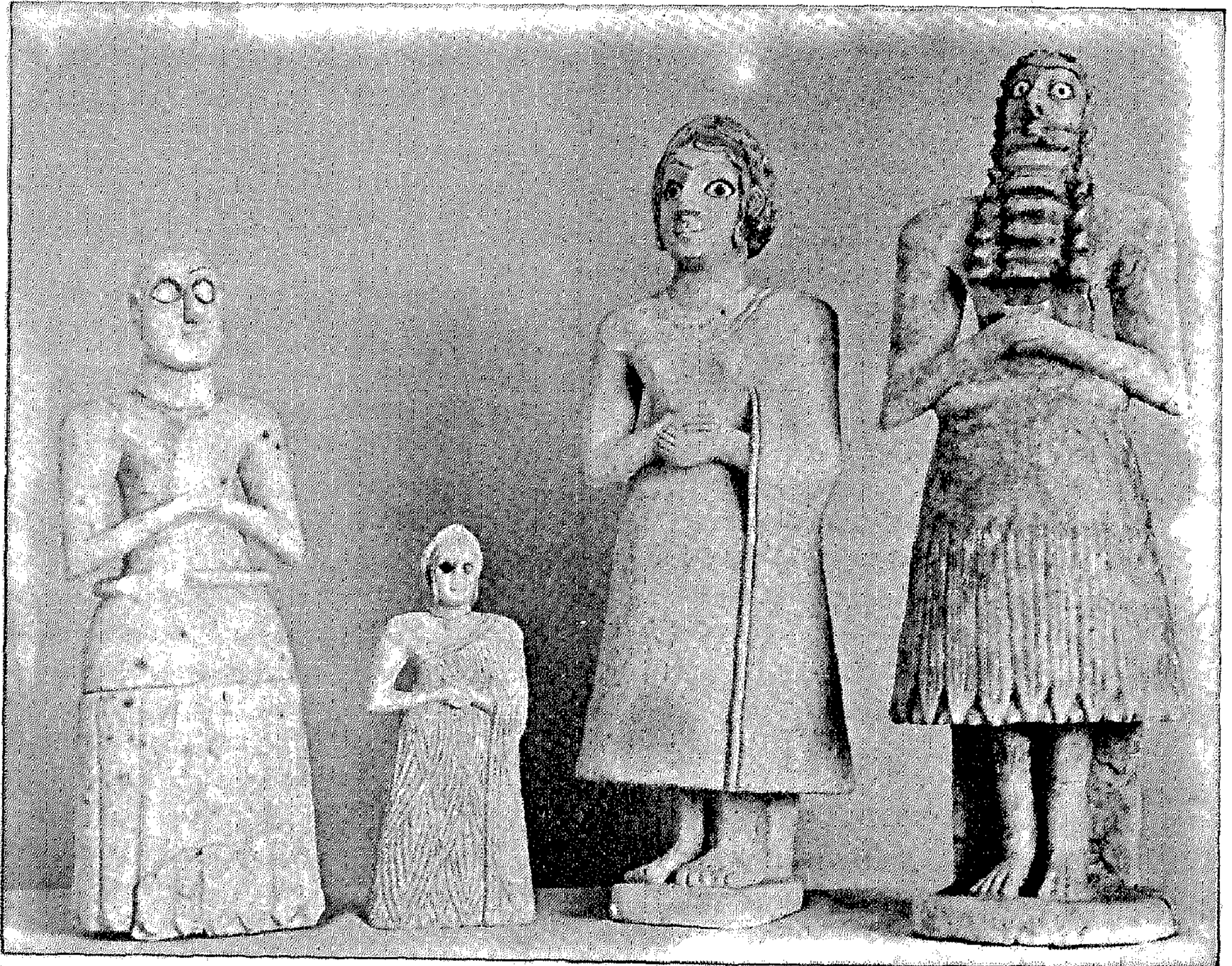
اناء فضي فوق قاعدة من النحاس ترقى الى العصر نفسه . والاناء محفور بنسر له رأس اسد في وسطه وتحت اجنحته غزالان . يذكرنا هذا الرسم بالنحت الذي وجد في معبد نين خورساج في تل العبيد والذي ذكرناه آنفاً . والكتابة في اعلى الاناء تذكر ان الاناء مقدمة من الملك انتمينا الى الآله نين خورساج اله المدينة .

وفي مقبرة الملوك التي وجدت في مدينة اور عثر على اثار مدهشة منها رأس ثور مصنوع من الذهب والحجر الازردي والخشب الذي يزين قيثاره موسيقية كما عثر ايضا على فنجر مصنوع من الذهب له بيت مزخرف بثقوب تصنع اشكالا هندسية بالطريقة المعروفة بالقلجري كما أن هناك خراباً وطاسات مصنوعة من الذهب الخالص وعثر في ذات المكان على خوذة الملك مس كلام دوج المزخرفة باشكال تشبه جلد السمك . ومن اهم محتويات هذه المقبرة جدي مصنوع من الذهب والحجر الازردي وهو يتسلق على شجرة صغيرة ويقف فوق قاعدة مزخرفة بالمربعات على شكل الفسيفساء (شكل ٦) .

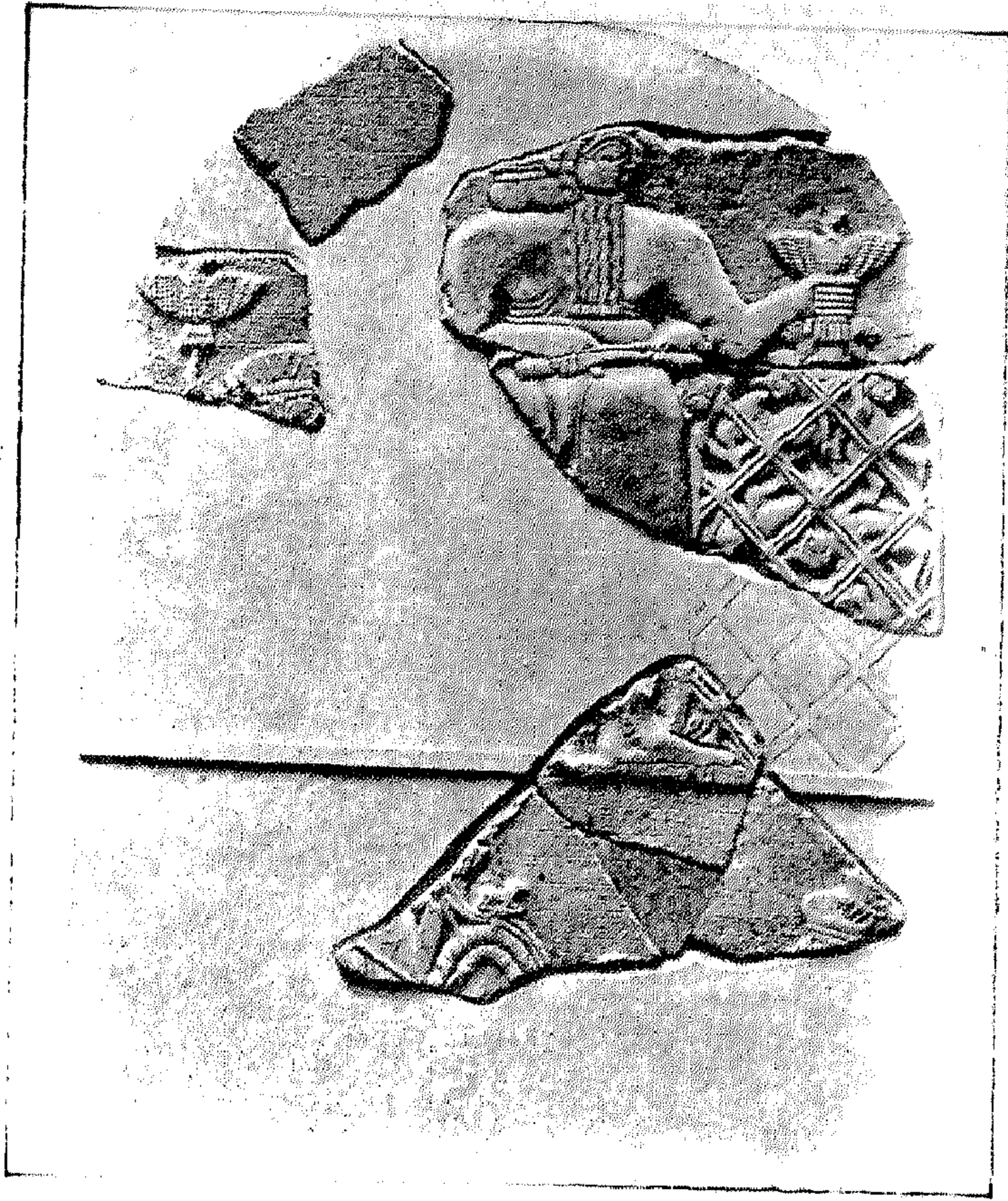
واقام السومريون الزاقورات التي كانت تستعمل كمعابد ومراصد في الوقت اذ برع الكهنة السومريون في علم الفلك ورصد الكواكب واستعملوا هذا العلم للسيطرة على الشعب الجاهل . وفي فن البناء استعمل السومريون القوس والعقد والقبّة كما ظهر جليا في المقبرة الملكية في مدينة اور كما أنهم استعملوا الاعمدة المبنية من اللبن والمغشاة بالفسيفساء المتعددة الالوان كما حصل في المعبد الابيض الذي وجد في مدينة الوركاء .

### انواع الطوب

وفي زمن الاسر القديمة ما بين ٣٠٠٠ و ٢٤٠٠ ق م . درج استعمال الطوب المحدودب وكانوا يطلون الحيطان من الداخل بالالوان المتعددة ويستعملون صور الحيوانات كما شاهد في تل عقير .



■ - مجدي من تل سمرامتل - ١٤



وفي معبد اقامه آبي بدا ملك مدينة اور استعمل الطوب المشوي في المداميك السفلى والبن في المداميك العليا وكانت جدران المعبد من الخارج مدعمة بالركائز المائلة.

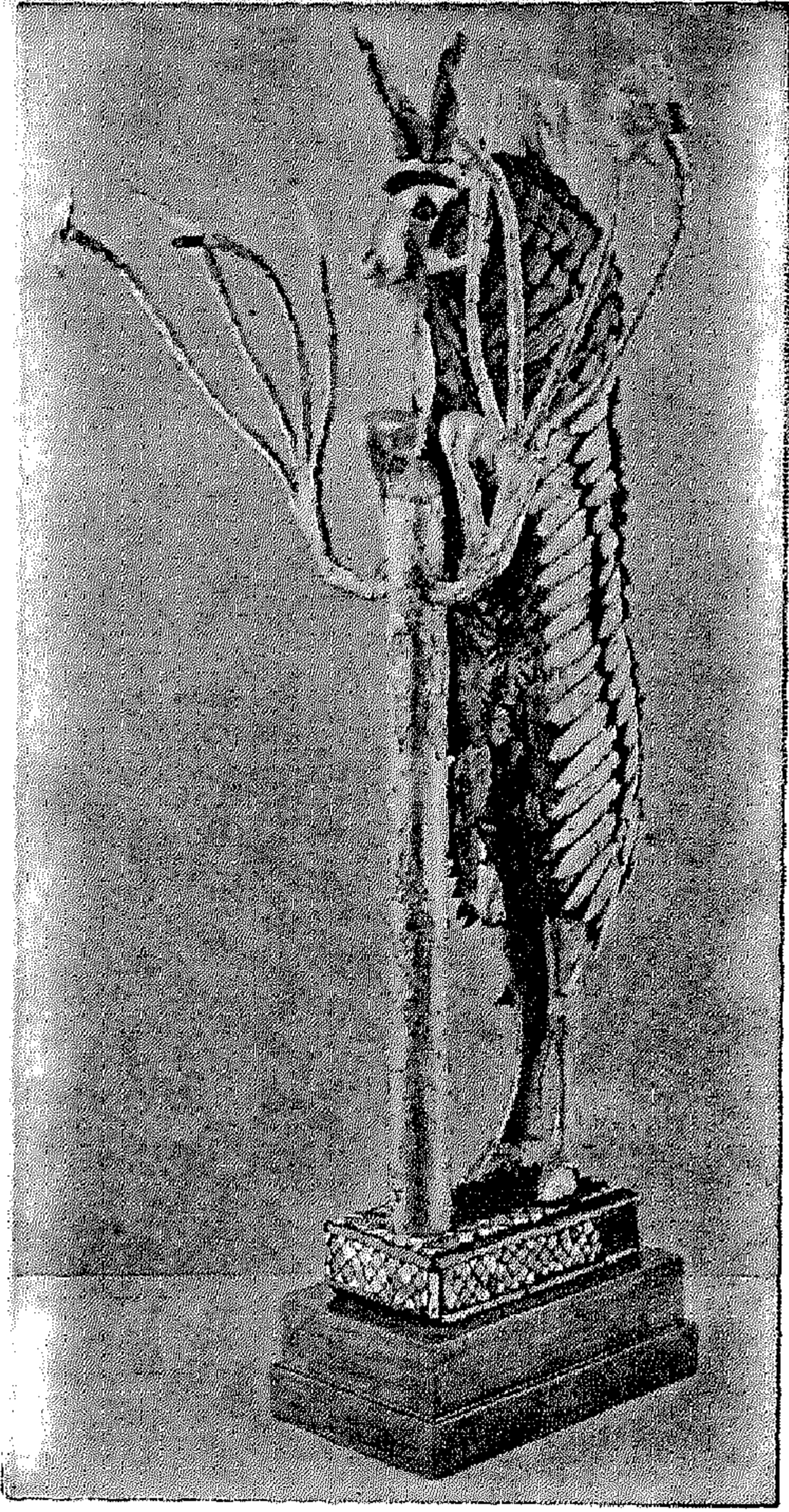
اقيم هذا المعبد فوق مصطبة يصعد اليه بدرجات من الحجر الكلسي وجدرانه مغطاة بالخشب. يؤدي الدرج الى مدخل المعبد وامامه رواق يرتكز سقفه على اعمدة من جذوع النخيل المكسوة بالنحاس. والباب قائم وسط مقدمتي اسود واقامت على عضادتي الباب اعمدة من جذوع النخيل يكسوها موزاييك بالحجارة السوداء والحمرات وبالصفحة ملصقة كلها بعضها ببعض بالقار. وفوق الباب النسر ام دوجود الذي ذكرناه انفاً. وفي اسفل حائط المعبد صف من تماثيل الثيران بشكل اسود مصبوعة من الخشب ومكسوة بالنحاس وملصقة بالقار. وخلف صف الثيران كان الحائط مزخرفاً بالمخاريط المصنوعة من الطين المشوي ومرصوفة بالبن. وهذه المخاريط مصفوفة بشكل الازهار ومزخرفة بالحجارة الحمراء والبيضاء والسوداء ومربوطة بالمخاريط باسلاك النحاس وملصوقة

بالقار. وفوق الارهار يوجد افريز من العجول مصنوع من النحاس وفوقه افريز اخر يمثل هاشية الآلهة نين خورساج من بقر وعجول وماعز. ومشهد لحلب البقر وكهنة يجمعون الحليب وثور برأس رجل والد الطيور زو. والتماثيل مصورة على ارضية من الموزاييك من الحجر الاسود. ويعلو كل هذا افريز اخر مزخرف بالعصافير والحمام كلها مصنوعة من الحجر الكلسي على ارضية سوداء ضمن اطار من النحاس.

### اساليب جديدة

وفي اواخر عصر الاسر القديمة اي حوالي سنة ٢٤٠٠ ق.م. حاول الفنانون السومريون التخلص من التقاليد القديمة وابداع اساليب جديدة في الفن. ففي مدينة ماري ابتدعت اساليب حيوية في النقش فتمثال ابي هيل (شكل ٧) مثلاً يرمز الى رجل ذي جلال ووقار كما أن تمثال أورنفشه الخادم يوحى





■ سري يسر - ٦ -

وفي زمن الاسرة الاكديه اخذ النحت لونا واقعيا اكثر فاكثرا كما نرى في النصب الذي اقامه الملك نارام سبني ذكرى لانتصاره على اعدائه من سكان الجبال بمؤازرة اله الشمس. (شكل ٨) ومن اهم الاثار التي ترقى الى هذه الاسرة رأس الملك سرجون المصنوع من البرونز (شكل ٩).

وعند ظهور اسرة مدينة اور الثالثة السومرية تعود الاساليب الى ما كانت عليه قبل الاسرة الاكدية انما تتأثر بحيوية وواقعية الفن الاكدي. فهي نصب اقامة الملك اورغو يظهر الملك وهو يقدم القرابين السائلة الى اله القمر ن نار (شكل ١٠). ومن عصر الكاهن جوديا وصلنا عدد كبير من التماثيل (شكل ١١) يضع فيها الكاهن يديه على صدره وهما مكتوفتان بحالة الورع بدلا من الحيوية التي عهدناها من قبل.

وفي زمن الاسرة البابلية ازدهر الفن ثانية وعادت اليه حيويته ففي رأس الملك حمورابي (شكل ١٢) تعود الانطباعية الى سابق عهدها في

بالحيوية والواقعية. ويمكن قول الشيء ذاته عن التماثيل المصنوعة من البرونز. وقد وجد في تل اسمر تماثيل امرأة عارية يبرز فيه تناسق اعضاء جسمها كما وجد في خفاجه تماثيل مزدوج يمثل متصارعين يحملان الجرار على رأسيهما.

كما أن الفنان السومري ابدع بصنع تماثيل الحيوانات واستعمل طرقا عديدة في هذا المضمار مثل الضرب بالمطرقة والصنع في القوالب وطريقة الشمع المفقود. كما ابدع في صنع الحلى والمجوهرات بذات الطرق وترصيعها بالحجارة الكريمة واستعمال الحبات الصغيرة من الذهب وطريقة الفلجري. وبرع السومريون باستخدام الصدف كآلة للزينة فحضره وملاؤه بالمعجون الاحمر والاسود. واللوحات المصنوعة على هذا الشكل كانت تستعمل في صنع العلب والصاديق الصغيرة وعلى مؤائد اللعب وعلى الآت الموسيقي كالقيثارة وغيرها.

### علم أور الشهير

ومن اهم دروب هذا اللون من الفن علم أور الشهير. وهو كناية عن لوح من الخشب يبلغ طوله ٥٤ سنتيمترا وعرضه ٢٢ سنتيمترا وهو مرصع بالفسيفساء على الجانبين ربما رفع هذا العلم في الحفلات والمواكب الدينية. اما الخشب فاندثر وتلاشى ولكن القطع المرصعة وجدت في مكانها الاصلي واقعة على الارض وهكذا تمكن العلماء من اعادة تركيبها. فالعلم مصور على الجهتين: جهة تمثل الحرب ووجهة تمثل السلم. وكل جهة مكونة من ثلاثة صفوف الواحد فوق الاخر. والاشخاص على الصور مصنوعة من الصدف ومرصعة فوق ارضية من الحجر اللاردي. ففي الصف الاول من الجانب الذي يمثل الحرب يقف الملك نازلا من عربته الحربية امام جنوده الذين يجلبون الاسرى العراة من الاعداء وايديهم مقيدة خلف ظهورهم. وفي الصف الثاني يسير رهط من الجيش الملكي وهم يعتمرون المخوذ النحاسية ويلبسون الاثواب الطويلة ويحملون البلطات الحربية تسير امامهم المشاة بدون اثواب ويحاربون بالفؤوس والرماح القصيرة.

وفي الصف الثالث العربات الحربية وفيها حملة الرماح الطويلة يجرون العربات والحيوانات المطاردة فوق جثث قتلى الحرب من الاعداء. وعلى الوجه الآخر من العلم مشهد وليمة يظهر فيها الملك وحاشيته جالسين في وليمة بينما يعزف لهم الموسيقيون على الاتهم النافخة. وفي الصف الثاني الخدم يجلبون الطعام والشراب وفي الصف الثالث خدم آخرون يحملون الغنيمة التي غنمها الملك في الحرب من اعدائه.



■ - تمثال ابي ميل - (شكل - ٧)

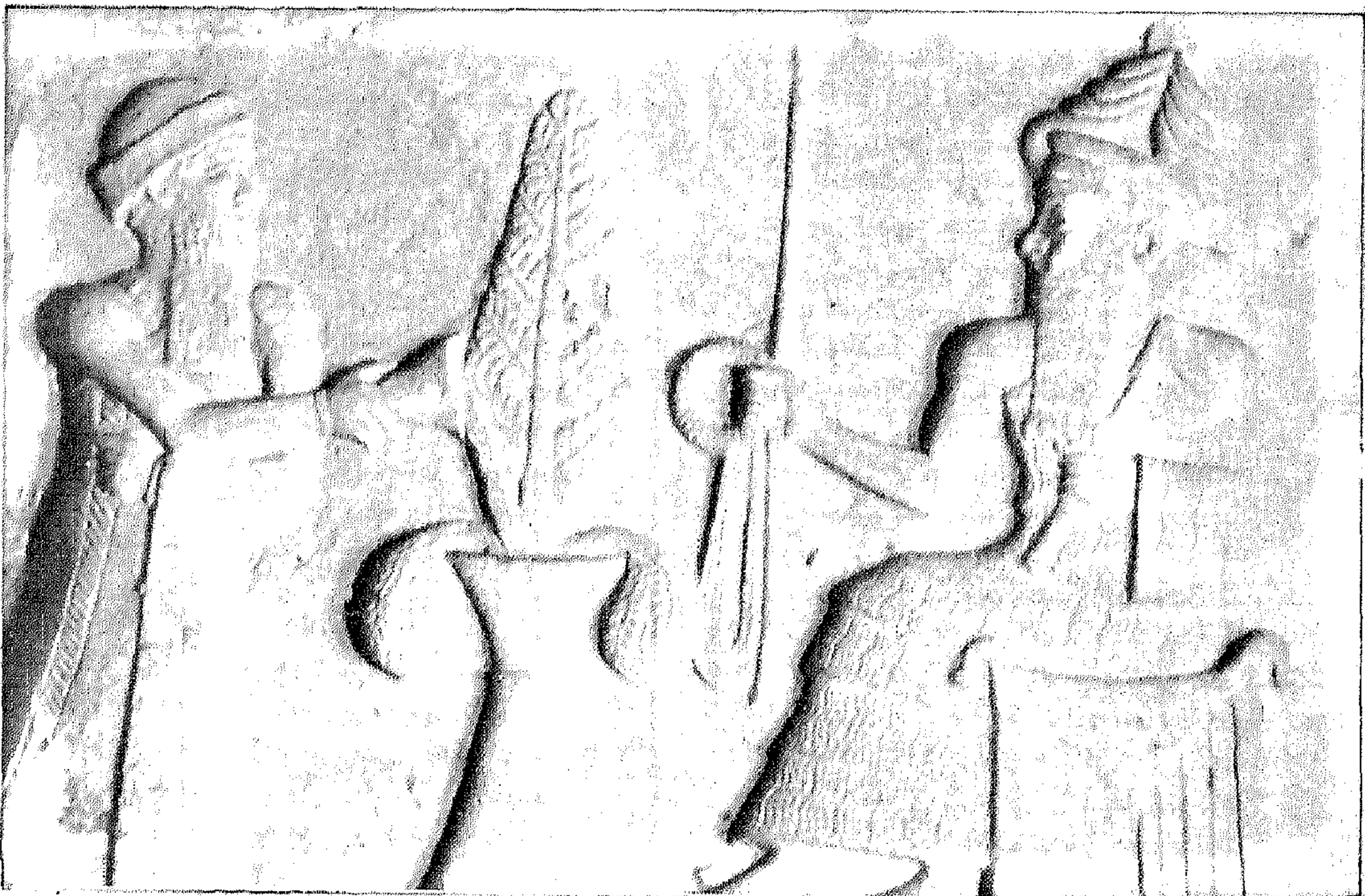
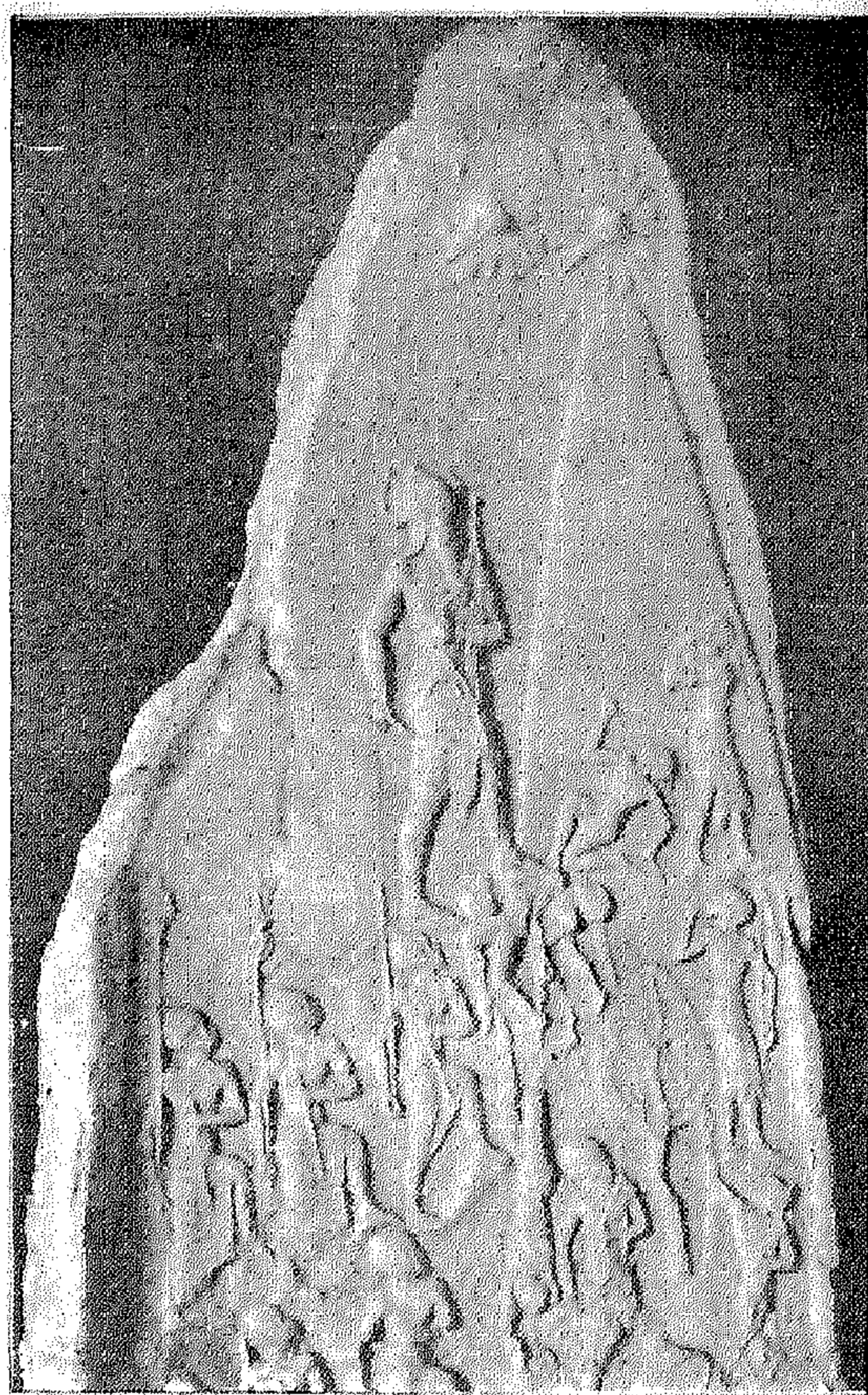
زمن الاسرة الاكدية . يظهر هذا جليا في النصب الذي اقامه حمورابي ودون عليه شريعته الشهيرة ، يظهر الملك وهو يتناول القوانين من اله الشمس بمظهر القوة والجبروت

### تطور الفن الاشوري

في بادىء الامر عندما تأسست الدولة الاشورية في شمال العراق سارع الفنانون الاشوريون في خطى

جيرانهم من العموريين وبقوا على هذا النمط مدة طويلة من الزمن . ولكن في عهد توكلتي انيورتا الاول تطور الفن الاشوري وتبلور كما نشاهد في مذبح منحوت يعود الى هذا العهد . نقش هذا المذبح بنقش يمثل طقوسا دينية ويظهر فيه البون الشاسع بين الآله والبشر يظهر هذا جليا ايضا على النصب المدعو بالمسلة المكسورة . اقام هذا النصب احد خلفاء الملك تفلات فلصر الاول ويظهر فيه ايضا الفرق الكبير بين الآله والبشر . واستعمل الاشوريون الجدرانيات ودرج تصوير ونحت الشجرة المقدسة والاسد المجتح .





۱۷. در نقش رستم

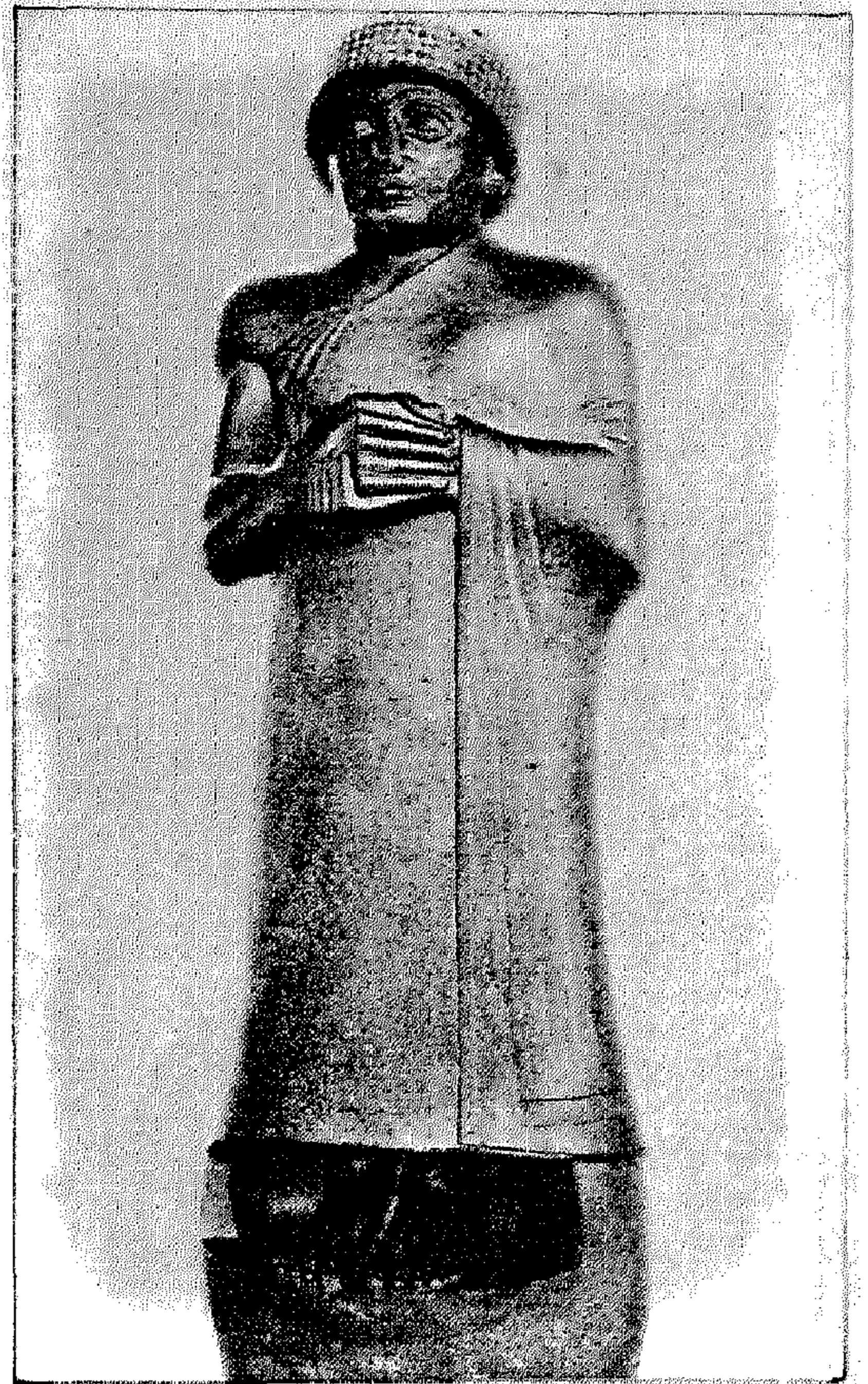




رأس الملك نبوخذ نصر الثاني

أردهر البناء في زمن الملك نبوخذ نصر الثاني الذي زين عاصمته مدينة بابل بالابنية الرائعة ولكن أغلب هذه الابنية اندثرت وطمست معالمها، انما الحفريات التي اقيمت في بابل كشفت عن بوابة اشجار المزودة بالابرار الضخمة والمزخرفة بالثيران والاسود والحيوانات الميثولوجية بالطوب المراج على ارضية زرقاء، كما عثر علماء الآثار على جفائن بابل المعلقة والتي كانت تقوم فوق عقود تتدلى منها الاشجار والازهار، واقام حفيد نبوخذ نصر الملك بابونايديوس زاقورة في مدينة اور، اقيمت هذه الزاقورة على سبع طبقات، والمظنون ان كل طبقة من هذه الطبقات كان لها لون مختلف كما يصفها المؤرخ هيرودوت الذي زار المدينة في القرن الخامس.

وعدا الآثار العديدة التي ذكرناها في العراق مجموعة كبيرة من العجايب القيمة معروضة في المتحف الوطني في بغداد، ومن بين هذه العجايب تلك المحفورة التي وجدت في نمرود، فهذه مبعها الملك اشور ناصر بال الثاني من بعض المدن السورية التي احلها وزين فيما قصده هي نمرود، والاغلب ان هذه العجايب من صنع فينيقي واهمها رأس امرأة باسم تذكرنا بالموناليزا الشهيرة والثانية اسد يغترس زنجيا في حقل من رموز اللوتس.



وابتداء من القرن التاسع اخذ الاشوريون يضعون امام قصورهم ثورين يدعيان لمسوا لوقاية القصر من الشر.

واغلب النحت الاشوري كان نحتا نافرا وقلما صنعوا التماثيل المنفردة، لكن من اهم هذه التماثيل تمثال الملك اشور ناصر بال، وكثير استعمال مشاهد الحروب والفتوحات عند الفنانين الاشوريين والمهجوم على المدن المحصنة مثل محاصرة مدينة لاديش، واشهر ما خلده الاشوريون القصور التي اقاموها في نمرود وخورسباد ونيروي، ففي مدينة نمرود اقام الملك اشور ناصر بال قصرا كبيرا بني من اللبن ولكن جدرانه غشيت بالحجارة الضخمة من الخارج وطلبت من الداخل بالكلس وازدانت بالصور المتعددة الالوان.

واستعمل الاشوريون الاقواس والعقود كما اقتبسوا في بناء قصورهم الطريقة السورية او الفينيقية المعروفة ببيت هيلاني، كما أنهم نقلوا عن السومريين بناء الزاقورات في اغلب الاحيان كانوا ينقلون هذه عن الزاقورات البابلية والسومرية التي كان يصعد الى اعلاها بواسطة الدرج ولكن في زاقورة اقيمت في خورسباد استعاضوا عن الدرج بطريقة منحدرية تصعد تدريجيا الى اعلى الزاقورة وفي عهد الاسرة الكلدانية

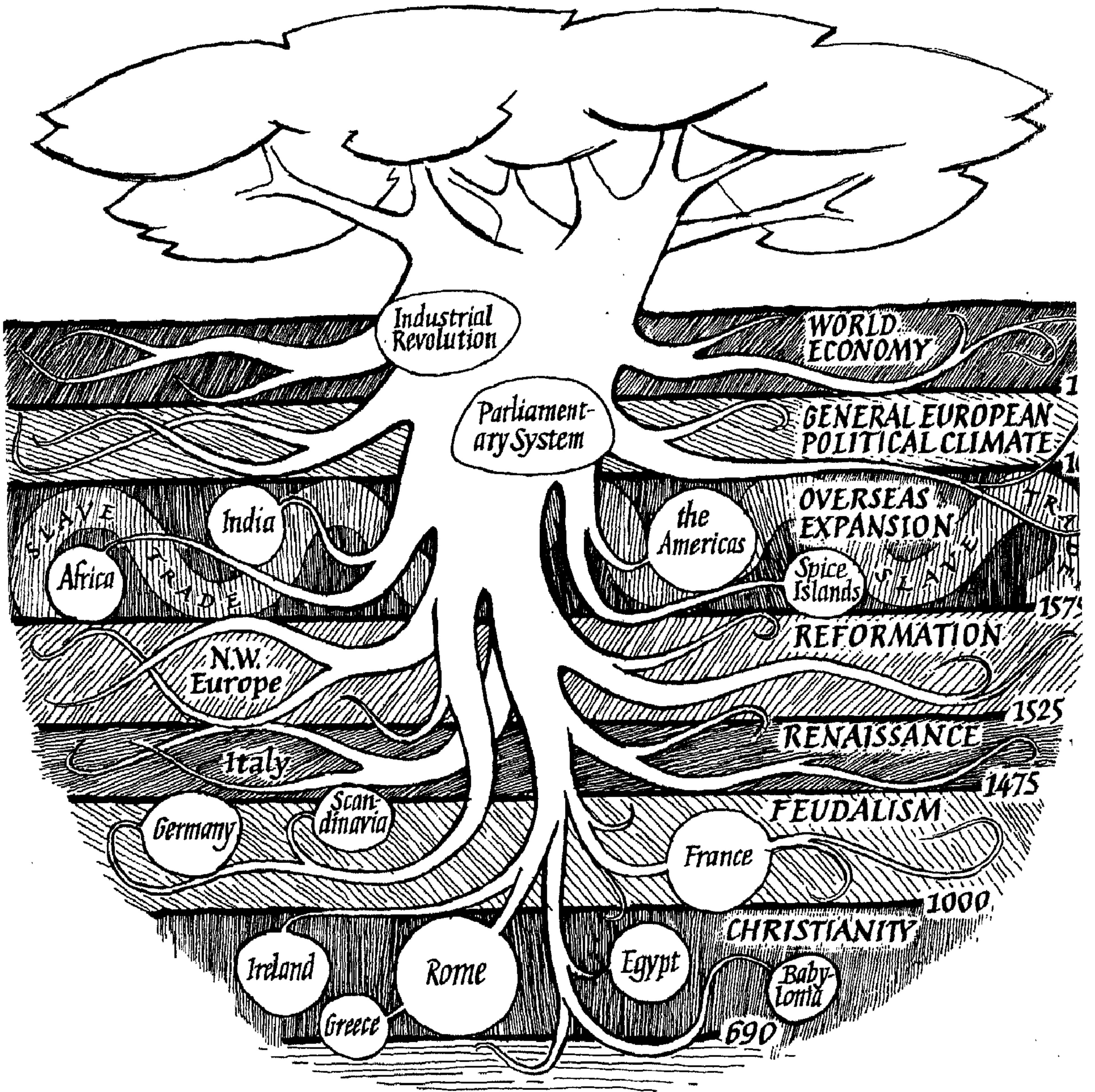


نظرة سريعة

# على الحضارة الانغلو-ساكسونية

د. سيد نوفل

... وبريطانيا



■ جدول الحضارة الانغلو-ساكسونية

(من كتاب دراسة في التاريخ لارنولد توينبي - ص ٤٠)

لم يكن لبريطانيا، ولم يكن لها يسمى بالحضارة الانغلوسكسونية، شأن مذكور في تاريخ الحضارات البشرية العريقة... فحين كانت الحضارات المصرية واليونانية والاشورية والبابلية، وغيرها من الصينية والهندية والسبئية والمعينية ترفع في العالم القديم الوية النظام والعلم والتقدم كان اهل الجزيرة البريطانية يحيون حياة بدائية، يسكنون الكهوف ويعيشون على صيد الحيوان، ويستخدمون الوسائل الاولى للحياة البشرية... وكان النازحون الى بريطانيا هم المغلوبون على امرهم من سكان اوربا، الذين فروا للنجاة بانفسهم من الجماعات الاوروبية الاقوى...

اما التقدم البريطاني أو الحضارة الانغلوسكسونية، فانها لا تعود الى أبعد من العصر الحديث بعد كشف العالم الجديد الامريكي واستخدام طريق رأس الرجاء الصالح في الملاحة العالمية، والتفوق البريطاني في الصراع البحري مع أسبانيا والبرتغال، وهو تفوق أكدته هزيمة أساطيل الدولتين الفازيتين على أيدي الاسطول البريطاني، الذي أنزل بها أشد الضربات والخسائر وردّها عن الشواطىء البريطانية مغلوبة مدحورة... ومكن التفوق البحري بريطانيا من غزو العالم بعد ذلك وتوفير وسائل التقدم الحضاري لها، حتى استطاعت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين ان تصبح القوة الاولى في العالم، وأن تفاخر بأن الشمس لا تغرب عن امبراطوريتها التي تبسط سلطانها على خمس العالم وثلاث سكانه...

#### بريطانيا والغزو الانغلوسكسوني

وبريطانيا، هو الاسم القديم لها سمي من بعد انكلترا وويلز واسكوتلندة، وقد يشمل الجزر البريطانية كلها... ويروي التاريخ القديم أن اهل بريطانيا ظلوا في عزلة بدائية حتى العصر الحجري الحديث... وذلك حين هاجرت، في عام ثلاثة آلاف قبل الميلاد، جماعات من الشمال الغربي لاوربا الى الجزر البريطانية، ونقلت الى أهلها الكثير من أسباب التقدم لذلك الزمان، وشملت هذه الأسباب

شؤون الزراعة ورعي الماشية والادوات الحجرية والاواني الفخارية... كما شملت المعتقدات الدينية... وقد ساعد هؤلاء المهاجرون أهل بريطانيا على الاستغلال البدائي للمعادن المتوفرة في غربي بريطانيا وأيرلندة، وعلى تنشيط حياتهم بالتجارة مع الاوروبيين...

وفي العصر الحديدي، عام أربعمائة قبل الميلاد، غزت الجزر البريطانية جماعات أوروبية أوفر حظا من الحضارة فزادت امكاناتهم الزراعية والتجارية...

وفي العصر الروماني ازداد نمو التجارة البريطانية، واستخدم البريطانيون العملات الذهبية ثم الفضية فالبرونزية، ونمت علاقاتهم بمنطقة البحر الابيض المتوسط...

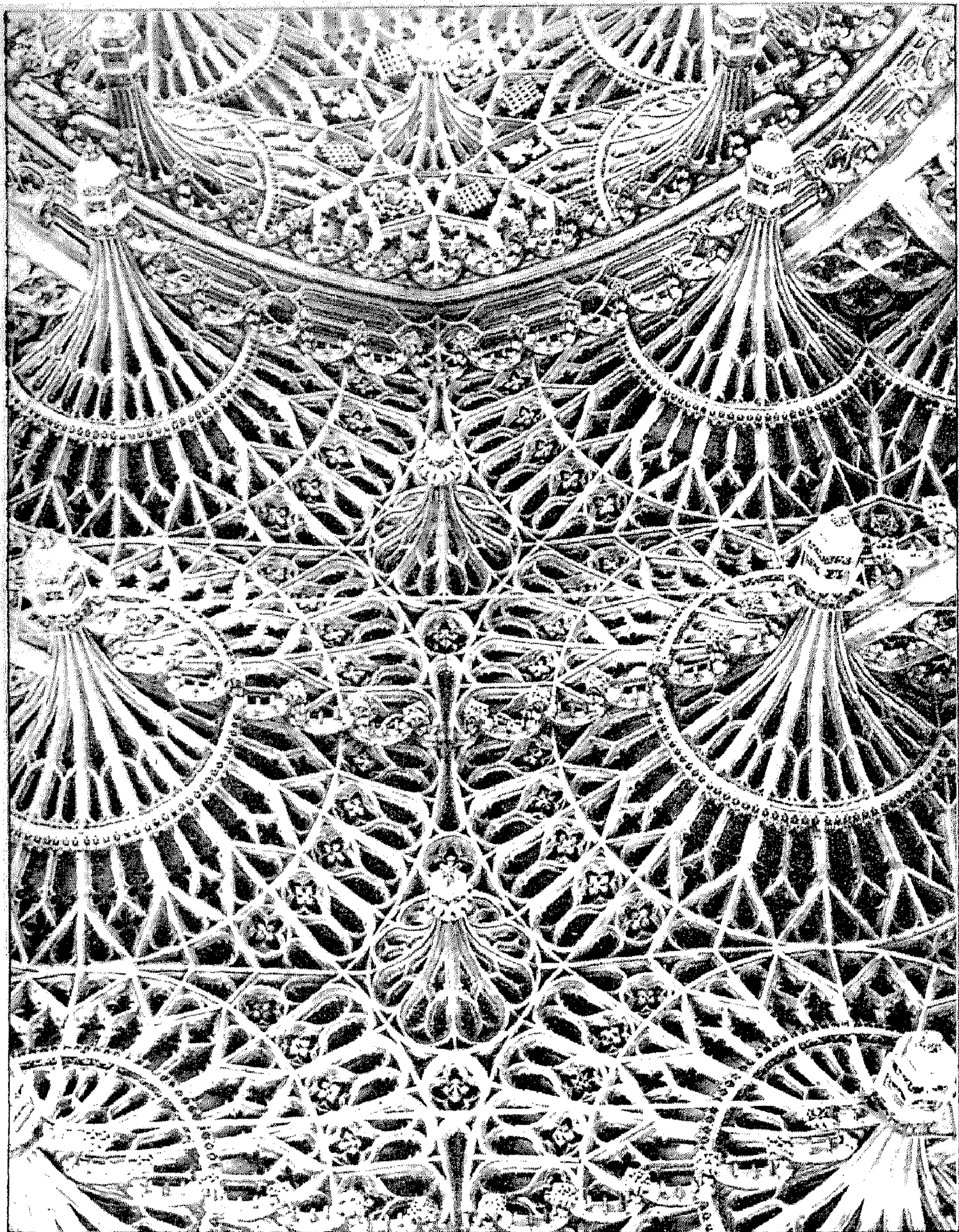
ومن بعد ذلك تعرضت بريطانيا لغزوات القراصنة السكسونيين، حين كانت القرصنة من أعمال البطولة... وقد جاء اليها هؤلاء القراصنة، وهم من أصل جرمانى، عبر بحر الشمال من المنطقة التي تعرف اليوم بالدانمارك... ولم يلقوا مقاومة في غزواتهم، وانما اخلى البريطانيون شرقي البلاد متراجعين الى غربيها... وكان هؤلاء الغزاة وثنيين فانكروا العمارة الرومانية والقانون الروماني، واخذوا يقطعون الغابات، ويزرعون أراضيها ويقيمون قراهم بينها...

وفي عام ستمائة ميلادية انتهى العهد الروماني لبريطانيا وسميت بلاد الأنغل Angleland ثم عدل الاسم الى England أما الفرنسيون فقد احتفظوا بأصل الكلمة وأطلقوا عليها انكلترة...

وفي عام سبعة وتسعين وخمسمائة قدم الى بريطانيا راهب أيطالي، مبعوثا من البابا غريغوري الاول، مع طائفة من الرهبان لنشر المسيحية في بريطانيا... ولقي الرهبان نجاحا فائقا في مهمتهم، وانتشرت المسيحية في بريطانيا انتشارا سريعا... وإلى هذا التاريخ يرجع الكثير من المؤرخين الانغلوسكسونية... ذلك بأن الرهبان المسيحيين لم يحملوا الى بريطانيا المسيحية وحدها، وانما حملوا اليها مقومات الحضارة ودعائمها في العمارة والقانون والفلسفة واللغة اللاتينية...

وبدأت بذلك حضارة جديدة تنمو في البلاد... واستطاع الملك الفريد ملك السكسونيين أن يرد عن بريطانيا من بعد الغزاة الاسكندنافيين القادمين من الدانمارك والفرويج... وسجل اسمه بذلك في سجل الابطال المنتصرين لاوطانهم لكن عظمته الخالدة في أنه مهد لبداية النثر الادبي الانكليزي والتخلص من سيادة اللغة اللاتينية على الادب البريطاني... وذلك بأنه ترجم الكتب اللاتينية الى اللغة الانغلوسكسونية، وانشأ المدارس، وحاول تأصيل الفكر الانكليزي بكتابة السجل التاريخي الانغلوسكسوني...





■ كنيسة هنري السابع في (ويستمستر ابي) بنيت ما بين ١٥٠٣ و ١٥١٩

## حضارة العصور الوسطى

وفي أواخر الستينات من القرن الحادي عشر الميلادي، نجح الغزو النورماندي لبريطانيا، وتولى وليم النورماندي ملك انكلترا... وهكذا بدأت الروابط الفرنسية البريطانية، وهي روابط تقلبت بين الصداقة والعداء من بعد ذلك مع قلب الليالي والايام.

ومع أن النورمانديين أدخلوا نظام الاقطاع الى بريطانيا، وانتزعوا الاراضي من السكسون ليمنحوها الى أتباع الملك من الغزاة الجدد فقد طوروا التنظيم الاداري والكنسي والاجتماعي في الجزر البريطانية، وسنوا قوانين واضحة الحقوق والواجبات في شؤون الادارة والكنيسة وأفراد المجتمع، كما أبقوا على القوانين التي تكفل الحريات الاساسية للانسان. وبهذا لم يستطع الاقطاع أن يقضي على كرامة الانسان، واستطاع مناخ الحرية أن يتهيأ ليبلغ من بعد ذلك اقصى المدى في الاكتمال...

وأدى تفوق النورمانديين في شؤون العمارة والهندسة الى تشييد الكثير من الكاتدرائيات التي تعد من أجمل المباني في العالم... ولا يزال برج لندن وكاتدرائية كانتريري يشهدان بالتفوق النورماندي في العمارة والهندسة... ولا يزال العهد الاعظم، أو الماجنا كارتا، يعبر عن التقدم الديمقراطي الحر للنورمانديين، ويعتبر المقدمة لوثيقة الاستقلال الامريكي، ولمبادئ الثورة الفرنسية... وفي هذا العهد ظهر "شوسر"، رائد الشعر الانكليزي الحديث، في النصف الاول للقرن الخامس عشر، ومهد لظهور شكسبير العظيم من بعده في النصف الثاني للقرن السادس عشر...

وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر، وبعد اكتشاف أمريكا وحركات الهجرة الكبرى العالمية اليها، والملاحة العالمية عن طريق رأس الرجاء الصالح، واحتلال بريطانيا مكانا وسطا في العالم بعد أن كانت تعتبر أحد اطرافه في هذين القرنين ظهرت التغيرات الكبرى في الحضارة الانغلو سكسونية... وكانت بريطانيا مسرحا للتطورات الجديدة في الدين والسياسة والاجتماع والثقافة... وتولى رجال من الطبقة الوسطى شؤون الادارة والحكم، وظهرت فيها بداية الاكتشافات العلمية التي مهدت لقانون الجاذبية على يدي نيوتن، ولاختراع الميكروسكوب والتلسكوب... كما شيدت آيات الفن المعماري التي لا تزال تأخذ بالابصار والعقول لكن ذلك العصر لم يخل من بذور شرور نمت من بعد، حتى تفاقم في هذا الزمان. فقد كانت الملكة اليزابيث الاولى، وغيرها من حكام بريطانيا يعاملون الايرلنديين معاملة الامريكيين للهنود الحمر،

وينهبون ثرواتهم ويبدلونهم بالرخاء والغنى عسرا وفقرا... وقد أدى ذلك الى كراهية الايرلنديين للانكليز، وهي كراهية نمتها عوامل الاختلاف المذهبي الديني بين الكاثوليك والبروتستانت... حتى أخذت طابع الحرب الاهلية في هذه الايام...

لكن عصر الملكة اليزابيث الاولى شهد انتصارا تاريخيا كانت له اثاره القوية في بناء مستقبل بريطانيا الدولي، وسلطانها العالمي، وحضارتها الرائدة.

ففي حومة الصراع الدولي، أعلن "فيليب" ملك اسبانيا الحرب على بريطانيا... وتحرك أسطول البحر الضخم، "الارمادا"، نحو الجزر البريطانية حتى بلغها في تموز عام ثمانية وثمانين وخمسمائة وألف.

وأستطاعت السفن البريطانية الصغيرة السريعة، بما تحمله من مدافع بعيدة المدى فوق سطحها وفي باطنها، وأعداد قليلة من المحاربين المهرة فوق كل منها، واستطاع التقدم العسكري البريطاني أن يدمر الاسطول الاسباني، وأن يرد ما بقي منه على أعقابهم مهزوما متداعيا.

وكانت هذه المعركة نقطة تحول في الحضارة البريطانية... فقد هزمت "الارمادا" على يد البحرية التجارية، وبأيدي التجار الذين حصنوا سفنهم لمواجهة أعمال القرصنة، وتأمين ما يصيدون ويستوردون من البضائع والمنتجات... ولهذا وقف هؤلاء التجار الاحرار يؤازرهم الشعب، وقد زاد ثقة بنفسه، في وجه محاولات الطغيان، وادعاءات الحق الالهي التي حاول جيمس الاول وشارل الثاني النكوص اليها... وانتصرت الحرية الشعبية على مطامع الاستبداد الفردي.

وصحب هذا النصر العسكري السياسي نصر أدبي لعله كان من دعائم الاول وبواغئه... ذلك هو ظهور "شكسبير" الخالد على الزمان، وما ملأ به الافكار وقوى من الارادات والعزائم... وكانت آراؤه، في مواجهة الازمات والتغلب على المصاعب، ذات اثر كبير في تنمية الحرية الفردية، وفي اثاره معاني البطولة والمغامرة والانتاج والتفوق...

## قمة الحضارة الانغلو سكسونية

وبلغت الحضارة البريطانية قمتها في القرن التاسع عشر... وظهر التفوق على أنه في ميدان الثورة الصناعية التي مكنت بريطانيا من تحقيق أهدافها في الداخل وسيطرتها الاستعمارية العالمية...

ففي بريطانيا اخترعت الآلة البخارية والآلات الغزل الحديثة، وأنوال النسيج الآلية، وتطورت



## انكماش بريطانيا الحضاري

وفي القرن العشرين واجهت بريطانيا التحول من الدولة الغربية الاولى، عالية الكلمة في المجال الدولي والحضاري الى دولة من الدرجة الثالثة... وتنازلت عن مقوماتها المستقلة ودورها القيادي لتصبح دولة أوروبية من الدرجة الثانية تسبقها في المجال الحضاري ألمانيا الغربية وفرنسا... وانضمت بعد لاي وجهد الى مجموعة الدول الأوروبية الغربية التسع لتتزم بخططها السياسية والاقتصادية: بعد أن ظلت حليفاً أو تابعاً لأمريكا منذ الحرب العالمية الثانية... .

وإذا تحدثنا عن الانكماش الحضاري لبريطانيا في هذا العهد، يجب أن نذكر مقومات الحضارة المعاصرة من التفوق الاقتصادي، والتقدم التكنولوجي، والقوة العسكرية بأسلحتها المتطورة الشاملة التدمير... أما المعاني الفكرية والفلسفية فقد أصبحت في متناول الجميع، بعد أن أصبح الإنسان في أي جانب من الأرض مواطناً عالمياً... .

وكانت أسباب الانكماش الحضاري البريطاني ما حل ببريطانيا في الحربين العالميتين الأولى والثانية... لقد كانت الحرب العالمية الثانية أول حرب في المواقع ينزل دمارها بالجزر البريطانية، وتتعرض مباشرة لقصف المدافع المغيرة وقنابل الطائرات الفتاكة... ولم يسبق في تاريخ بريطانيا أن تعرضت لمثل هذه الحرب، وأن ظلت أرضها وبقي ماؤها بمعزل عن الحرب حتى اليوم... .

وفي الحرب العالمية الأولى أرهقت بريطانيا، وفقدت ثلاثة أرباع الحليون من أبنائها البالغ عددهم ستة وثلاثون مليوناً ونصف المليون... ولهذا دخلت الحرب العالمية الثانية بشعب كثرت من الشيوخ والأطفال، وبذكريات أليمة عن الحرب الأولى، وبميزانية مثقلة بالاعباء بعد اضطراب بريطانيا لأقراض الكثير من الدول لتؤازرها في الحرب الأولى ثم اضطرابها آخر الأمر الى الاقتراض من الولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة المطالب التي تزداد المحاحا على الخزنة البريطانية الخاوية... .

وتعرضت بريطانيا لغارات المانية جوية لم يخطر مثلها هولا ببال الإنسان من قبل... وامتد بعضها ثمانية وخمسين يوماً كاملة... .

وظل الشعب يقاوم وظلت دائرة الحلفاء تتسع ودائرة الأعداء تضيق، حتى خرجت بريطانيا منتصرة من الحرب العالمية الثانية رسمياً لتتخلى عن قيادة المعسكر الغربي للولايات المتحدة الأمريكية ولتفقد مستعمراتها، ولتسعى للتعاون مع الدول التي تحررت من الاستعمار البريطاني، ولتذوق شيئاً من مرارة الآلام التي جرعت شعوب الأرض الكثير من كؤوسها... .

لكنها لا تزال تحتفظ بمقوماتها الحضارية، وبدورها الثالث في المجتمع الدولي... .

وسائل صهر الحديد، كما تقدمت وسائل المواصلات من انشاء الطرق وبناء الجسور ومد السكك الحديدية وحفر القنوات... .

وإذا تم لغيرهم اختراع تفوقوا في الاستفادة منه، وفي ذلك تقول الأمريكية "ماي لمبرتون بيكر" في كتابها: "انكلترا: شعباً وحكومة":

"وعندما اخترع "روبرت فولتون" الأمريكي السفينة البخارية تنبذ الملاحون الانكليز الى أهميتها، ولم ينقض وقت طويل حتى كانت ثلاثة أرباع السفن التي تجوب البحار سفناً بريطانية، وذلك فضلاً عن أن تسعة أعشار السفن البخارية في العالم كانت بريطانية أيضاً. ففي يوم وليلة تقريباً ظهرت بين الانكليز موهبة في الأعمال الميكانيكية استطاعوا بواسطتها أن يتوصلوا الى تطبيقات عملية مفيدة لاية فكرة جديدة... .

"قامت المصانع في انكلترا بالمئات والآلاف، في الشمال كما في الجنوب، ونشأت مدن جديدة، وأبحرت السفن الى اقاصي الأرض تحمل المنتجات التي كتب عليها (صناعة بريطانية) لتعود محملة بالمواد الغذائية التي لم تعد حقول انكلترا الخصبة تنتج كفاية البلاد منها، وهكذا أصبحت بريطانيا - تلك الجزيرة الصغيرة - اعظم مراكز العالم الصناعية. وأتاحت لها أسبقيتها في هذا الميدان أن تصبح أغنى بلاد العالم... .

كما تقول في المقدرة البريطانية على مواجهة الازمات وتخطيها، وأن كان للاستغلال الاستعماري الفضل في هذا:

ومن الازمات التي واجهتها البلاد في ذلك القرن تلك الازمة التي حلت بصناعة القطن في لانكشير في اثناء الحرب الاهلية الأمريكية اذ اضطرت معظم المصانع الى التوقف عن العمل لانقطاع ورود القطن الخام الذي كانوا يقومون بغزله. وقد أمكن في النهاية انتاج بعض القطن في مصر، ولكن بعد أن كانت الفاقة قد شلت عدداً كبيراً من الاسر التي كانت تعتمد على مصانع القطن. ومع ذلك، ورغم هذه المشكلات المحلية، ورغم انتشار البطالة من حين لآخر، فإن مستوى المعيشة ظل مضطرباً في ارتفاع طيلة القرن التاسع عشر... .

والواقع أن بريطانيا لم تكن تنتج الا قدراً ضئيلاً من استهلاكاتها الوطنية ومن أسباب الترف والبذخ في حياة أبنائها... فقد كانت تستورد من مستعمراتها المترامية في أرجاء العالم... كانت تستورد من كندا وسائر الأمريكتين، ومن أستراليا والهند وجنوبي افريقية، وسائر القارة السوداء من الجنوب حتى اقصى الشمال في مصر، ومن جزر الهند الغربية والملايو وسائر القارة الاسيوية، ومن البلاد الأوروبية... وكانت سيطرتها الاستعمارية تمكنها من الاستيراد في كثير من الاحوال بأرخص الاثمان أو بما يشبه المجان... .

# العقد الفريد لابن عبد ربه

د. الطاهر أحمد مكي

في قرطبة هذه ولد ابن عبد ربه، ذات يوم من عام ٢٤٦هـ - ٨٦٠م، وبها عاش طول حياته، وفيها توفي عام ٣٢٨هـ - ٩٤٠م.

★★

يذكر المؤرخون في التعريف بنسبه انه: "ابو عمرو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حيدر بن سالم القرطبي". ولا نعرف شيئاً كثيراً عن أسرته او طفولته، ولكن يمكن ان نتصور انه كعامة الاطفال على ايامه ذهب الى المدرسة الابتدائية، وكان التعليم في قرطبة دائماً ومجانياً، فحفظ سوراً من القرآن، وقصائد من الشعر، ودرس قليلاً من النحو، وشيئاً من اللغة، وبعضاً من شعائر الدين، وتعلم جانباً من الرياضة، والكتابة والقراءة، وكان ذلك هو منهج التعليم في المرحلة الابتدائية بمدارس الاندلس. على ما يذكر ابن خلدون.

فاذا تجاوز سن الطفولة الى مرحلة الشباب، درس الشائع في عصره من ادب وتاريخ ولغة، وفقه وتفسير وحديث، على أجلة العلماء في المدينة، فكان من اساتذته: محمد بن وضاح، وبقي بن مخلد، ومحمد بن الحارث الخشني، وعن تحصيله يقول ابن خلكان: "كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس".

وقد انتمى الى بلاط الامير محمد بن عبد الرحمن الداخل شابةً فتياً، ولزمه طوال مدة امارته (٨٥٢ - ٨٨٦م)، وترك هذا فيه ابلغ الاثر. لقد كان الامير واقعاً تحت تأثير اعظم شخصيتين في قرطبة في ذلك الوقت يحيى بن يحيى الفقيه، وزرياب

المغني، فجاء ابن عبد ربه موزع القلب بين هذين الامرين، كان فقيهاً دارساً، وبهذا اللقب عرف تكريماً له على طريقة عصره، وكان صاحب لهو يطرب ويشرب ويعشق، واذا كان مؤرخو عصره قد مروا بالجانب الثاني من حياته سراعاً، ورعاً منهم

كانت الحملة الاسلامية في شبه جزيرة ايبيريا، المدخل في الجنوبي الغربي لاوروبا اروع عمل حربي عرفه تاريخ العصور الوسطى. ففي خلال سنوات سبع تم فتح شبه الجزيرة، وقدر للحضارة العربية، بعد نصر يبدو كأنه اسطورة ان تستقر فيها وتزدهر. وان يصبح لها بعد قليل طابعها المميز على الرغم من اصولها المشرقية. وان تصبح قرطبة عاصمة الدول الجديدة مركز الثقافة في اوروبا، وبؤرة التحضر، فكانت مدينة مرصوفة الطرق، مضاعة الشوارع، تزخر بالحمامات العامة، في الوقت الذي كانت فيه جامعة اكسفورد - مثلاً - ترى في الاستحمام عادة وثنية ينبغي الابتعاد عنها.

وكانت لها احدى وعشرون ضاحية ولها سبعون داراً للكتب، ويتجاوز سكانها المليون عدداً، عامرة بالمدارس والمساجد، واليها الرحلة في رواية الشعر، ومنها كان علماء الاندلس، واليها يقصد علماء المشرق، ممن يرومون الشهرة، او ييغون الثروة، او يريدون ان يضيفوا الى علمهم جديداً. وكان المجتمع الاندلسي بعامته، والقرطبي بخاصة، حضرياً مترقياً، بلغ فيه الذوق العام قدراً عالياً من الرقة وتذوق الفنون الجميلة، يطرب للموسيقى، ويهتر للانشاد الجميل، والغناء الحلو، وتأسره الطبيعة بجمالها، وتميزت حضارته بأنها تعشق المياه الجارية، والجنان الخضراء، والبحيرات المتصلة، والانوار المنتشرة، في عصر الحصون والاسوار والفصور المظلمة.

ولقد وصفتها بحق راهبة المانية شاعرة، من القرن العاشر الميلادي في قصيدة لها، بأنها: "جوهرة العالم المتألقة، نافقة بماهجها، مختالة بثقافتها، فاضت بينابيع المعرفة السبعة، وطبق اسمها الافاق، ابد الدهر، بما احرزت من نصر متواصل".



او اجلالا له، فقد اعترف هو بأنه يحب سماع الموسيقى والاغاني، على طريقة اهل المدينة، وانه يشرب النبيذ جرياً على مذهب اهل العراق . وقد حار المتأخرون من علماء المشرق والمغرب في امره، ازاء المتناقض من خبره، فبينما يمدحه مواطنه صاحب كتاب " بغية الملتبس " بأنه: " كانت له ديانة وصيانة " ، ويقول عنه ياقوت الحموي في " ارشاد الاريب " : وكانت لابي عمرو بالعلم جلالة " ، نجد فيما وصلنا من شعره، ومن الملامح العامة "لعقده" ، انه عب من المباهج الحسية لعصره، وشارك فيما كان يجري حوله من شرب ولهو وطرب .

### روايتان غير متناقضتين

ولا تناقض بين الروايتين فيما ارى، فاحدهما تصفه شاباً مقبلاً على الحياة اخذاً من مباحها بقدر واسع، والاخرى تتحدث عنه شيخاً مديراً عن الدنيا، زاهداً فيها، يحاول ان يتزود لآخرته باوفى نصيب، ولقد عمد في اخريات ايامه الى اشعاره في الغزل والشراب فمحصها، ونقصها بمثلها في المواعظ والزهد، وسماها " الممحصات وجعلها على اعريض تنك وقوافيها .

وقد لازم ابن عبد ربه بعد الامير محمد ابنه المنذر، ثم أخاه عبد الله من بعد، وعبد الرحمن الناصر اخيراً، وكان معهم جميعاً شاعر البلاط ونديمه، وقال في غزوات الناصر وانتصاراته شعراً كثيراً، وخصه بأرجوزة ذكر فيها كل سنة من مغازيه على حدة، ولكن ليس في شعره او "عقده" ما يدل على انه شخصياً كان يشارك في الحرب، او يسهم فيها بنصيب، مقاتلاً او مدافعاً، او مقوياً لعزائم الجنود .



كان ابن عبد ربه كاتباً وشاعراً وشاحاً . وفي مجمل الكتابة لا نعرف له نثراً وصلنا، يمكن ان نستدل به على مكانته في هذا الفن غير مقدمات لآبواب "عقده"، وهي تمتاز بوضوح العبارة، ودقة الاسلوب، وازدواج الجملة، والخلو من الغريب والبعد عن التكلف والتعقيد .

وتنسب اليه المصادر الاندلسية انه كان وشاحاً، ويذهب بعضها الى انه مبتدع فن التوشيح، والاحتمال الاول ممكن والثاني بعيد، ذلك ان الموشحات ابتدعت في ايامه، وعلى يد زميل له شاعر واعى في بلاط الامير عبد الرحمن، هو مقدم ابن معافى القبري، فمن المرجح أن ابن عبد ربه سابقه منافسة، وواكبه اعجاباً، ولكن موشحات الاثنين ضاعت كلها، ربما لانها كأي عمل رائد في خطواته الاولى، لم تبلغ الغاية تجويداً واتقاناً، فنسيها الناس مع روائع الموشحات التي اغرقت الاندلس بعد ذلك بمائة عام .

أما شعره فكان موضع اعجاب القدامى وتقديرهم، قال عنه الفتح بن خاقان في "مطمح

الانفس : " انه حجة الادب، وان له شعراً انتهى منتهاه، وتجاوز سماك الاحسان وسهاه " . وروى ياقوت في " معجم الادباء " ان ابا الوليد ابن عسال لقي المتنبي في مسجد عمرو بن العاص، وان المتنبي قال له: " انشدني لمليح الاندلس، يعني ابن عبد ربه، فانشده:

يا لؤلؤاً يسبى العقول انيقاً

ورشاً بتقطيع القلوب رقيقاً

ما ان رميت ولا سمعت بمثله

دراً يعود من الحياء عقيقاً

واذا نظرت الى محاسن وجهه

ابصرت وجهك في سناه غريقاً

يا من تقطع خصره من رقة

ما بال قلبك لا يكون رقيقاً

فاستعاده المتنبي، ثم صادق بيديه وقال: " يا

ابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حيوا " .

وقد ذكر ابن خلكان في " وفيات الاعيان " : أن له ديوان شعر جيد، وذكر الحميدي في كتابه " البقية " : انه كان في نيف وعشرين جزءاً . وقد ضاع ديوانه، ولم يصلنا من شعره الا ما اورده في " العقد " وما رواه له الثعالبي في " يتيمة الدهر "، وهو قدر يكفي للحكم على شاعريته واراها في مستوى معظم شعراء الاندلس، مفعلة، ذات عرض بارع، ووقع موسيقى خلوة وخيال جيد، وبساطة جملة، لا ترتفع به الى مستوى الشاعر الفحل، كما لا تهبط به حيث الشعر ساقط، والشعراء اراذل .

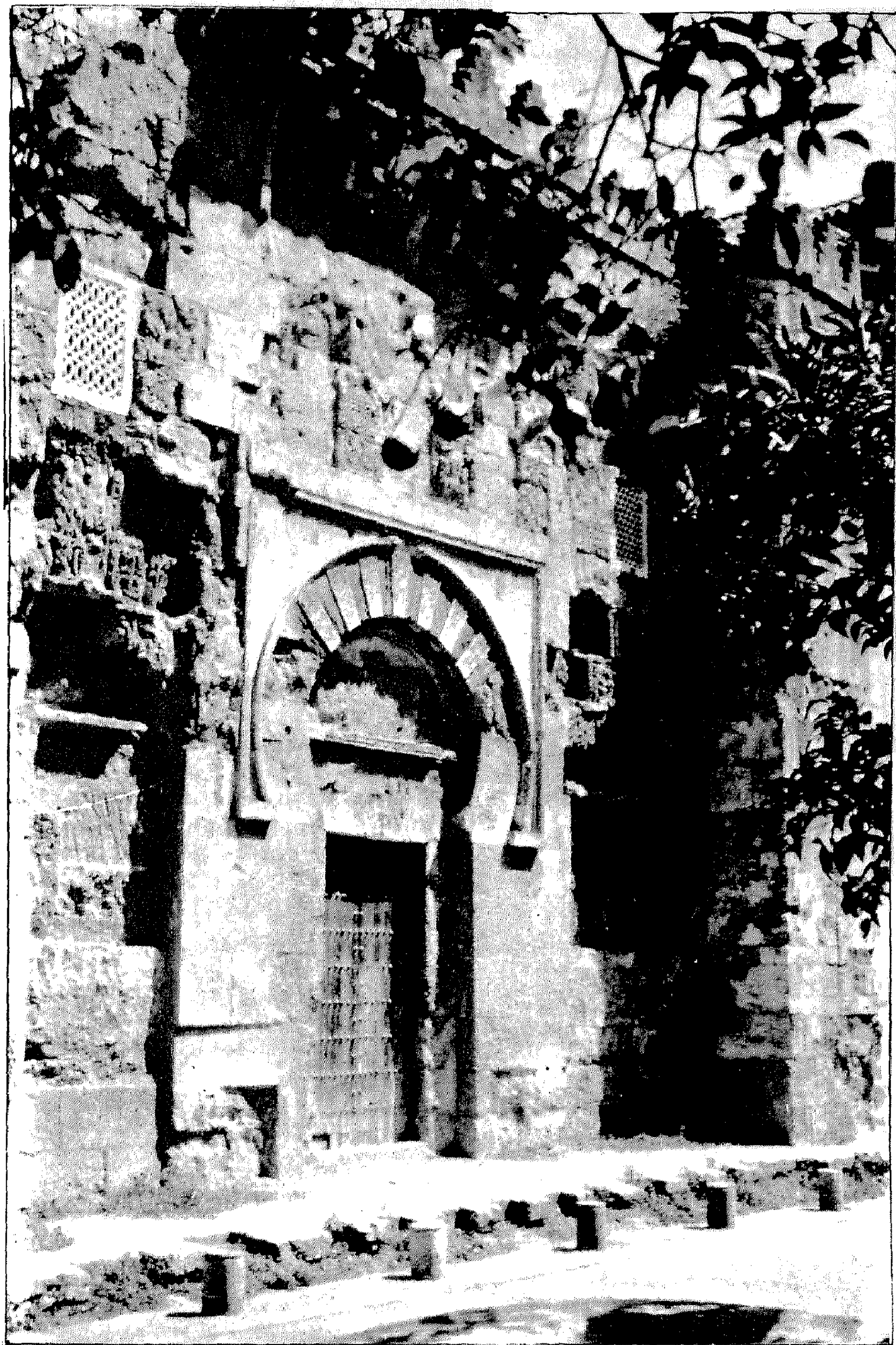
وله ارجوزة تاريخية، فيما شهد من حكم الناصر واحداثه، واذا كان النقاد العرب، ومفهومهم للشعر يقف عند الجانب الغنائي منه . يرونها نظماً لا اهمية له، فان المستشرقين الاسبان يرونها، وغيرها من مثيلاتها الاصل الذي احتذاه شعر الملاحم الاسباني فيما بعد .

### "العقد الفريد"

وقد شهر ابن عبد ربه بكتابه "العقد الفريد"، وليس له بين أيدينا كتاب آخر، وان كان حاجي خليفة في فهرسه : "كشف الظنون" ذكر ان له مؤلفاً ثانياً اسمه: الباب في معرفة العلم والادب"، ولم ترد اليه اية اشارة اخرى في مصدر اخر، ولم يعثر له على اثر . ومن هنا يظن ان "اللباب في معرفة العلم والادب" ليس الا جزءاً من "العقد" نفسه، اورده المؤلف تحت عنوان "الياقوت في العلم الادب" .

بقي لنا اذن من تراث الاديب الاندلسي كتاب "العقد" وحده، وليس ذلك بالشيء القليل فهو يمثل الان في حياتنا الثقافية والادبية المرتبة التي تلي كتاب "الاغاني" .

وقد درج الناس على تسميته بالعقد الفريد دون شك يراودهم في ان زيادة لحقت اسمه، او تحويراً اصابه، الى ان كتب المستشرق الالماني بروكلمان



□ المدخل الشرقي للجامع الكبير - قرطبة - اسبانيا من كتاب روائع الاسلام - ويلفريد بلنت - (ص-٣٩) .



مادة "ابن عبد ربه" في دائرة المعارف الإسلامية، فاوضح ان كلمة الفريد "اضافها المتأخرون، دون ان يستطرد الى ذكر ما يساند رأيه، وان يكن من الواضح الان ان العالم الالماني قرر ذلك اعتماداً على ان جميع المصادر الاولية، لا يرى فيها "العقد" منعوتاً بالفريد، وكان الوحيد الذي اوردته منعوتاً هو الابشيهي في كتابه "المستطرف في كل فن مستظرف"، ومع ذلك فان من الصعب الجزم بأن هذه الكلمة اضيفت فيما بعد، واصعب منه تحديد الزمن الذي اضيفت فيه، وتعدد من اهملها وتفرد من اوردتها، لا يقوم وحده دليلاً كافياً على نفي او اثبات، وبخاصة ان كلمة "الفريد" توجد في كل المخطوطات التي بين ايدينا.

وقد قسم صاحب العقد كتابه الى خمسة وعشرين كتاباً، اي فصلاً او باباً، في خمسة وعشرين فناً، ثم تصور عقده مؤلفاً من خمس وعشرين جوهرة كريمة، اثنتا عشرة في جانب واثنتا عشرة اخرى في جانب، وجعل للعقد واسطة، لكنه لم يسم الا الاثنتي عشرة الاولى، فلؤلؤة وفريدة وزبرجدة وجمانة، ومرجانة وياقوتة، وجوهرة وزمردة، ودرة وبتيمة، وعسجدة ومجنبة واما الاثنتا عشرة التي في الجانب الآخر فهي نفسها التي في الجانب الاول مكررة.

وشملت هذه الكتب نظم الحكم، تحت اسم السلطان، والحروب ومدار امزها الاجواد والاصفاد، والوفود، ومخاطبة الملوك، والعلم والادب، والامثال، والمواعظ والزهد، والتعازي والمراثي، والنسب وفضائل العرب، وكلام الاعراب، والاجوبة، والهدايا والفكاهات والملح، والطعام والشراب، وطبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان، والمتنبئون والممرودون والبخلاء والطفيليون، والنساء وصفاتهم، وعلم الالحان واختلاف الناس فيه، واعاريض الشعروعلل القوافي، وفضائل الشعر ومقاطعته ومخارجة، وأيام العرب ووقائعهم، واخبار زياد والحجاج والطالبين والبرامكة، والخلفاء وایامهم، والتوقيعات والفصل واخبار الكتبة، والخطب.



### دائرة معارف

من استيعاب مادة العقد يبدو ان مؤلفه كان يهدف الى وضع دائرة معارف صغيرة، تفي بمطالب الاديب على النحو الذي كان يطلب منه في ذلك العصر، من الالمام بطرف من كل علم، فهو يعرض لكل ضروب المعرفة في عصره، على النحو الذي ازدهرت عليه في المشرق، على يد الجاحظ والمبرد وابن قتيبة واخرين. وكان "عيون الاخبار" لابن قتيبة من اوضح

المصادر المشرقية اثرأ في العقد الفريد، فقد كان الكتاب رائجاً في الغرب الاسلامي، وتميز مؤلفه بين معاصريه، ومن سبقهم، بتنظيم مؤلفاته، وتسلسل افكاره، يسوق الباب ثم يتبعه بما هو قريب اليه او مناسب له وهو المنهج نفسه الذي سلكه ابن عبد ربه في العقد، بل اخذ ابن عبد ربه جانباً كبيراً من مادة "عيون الاخبار" ونقلها الى كتابه. ويعترف بذلك احياناً، ويسكت احياناً اخرى.

كما افاد مما حكاه ابو عبيدة في "النقائض" و"أيام العرب" ومن الجاحظ في "البيان التبيين"، فنقل عنه فصولاً في العتاب واستنجاز الوعد، والاعتذار وكتابة الرسائل. واخذ عن "الكامل" للمبرد الكثير من اخبار الخوارج، وعن الطبري من كتابه "تاريخ الامم والملوك"، وعن ابن سلام الجمحي من كتابه "طبقات فحول الشعراء"، واخرين كثيرين.

واورد كثيراً من الايات القرآنية والاحاديث، واخذ عن الثوراة والانجيل وتمثل بكثير من الحكم الفارسية والهندية، واقتبس من ارسطو، وهي معارف توجد متناثرة بكثرة في المصادر المشرقية التي افاد منها.

لكن ابن عبد ربه لم يقف عند المصادر المشرقية وحدها، وانما عرض لتاريخ الاندلس حتى زمنه، وخص عبد الرحمن الناصر بأرجوزة اورد فيها مآثره، ولكن حظ الاندلس اذا قيس بما خص الشرق العربي قليل، وهي ملاحظة لم تغب عن الاقدمين انفسهم. فقد رووا ان صاحب بن عباد حين قرأ "العقد" قال: "هذه بضاعتنا ردت اليها".

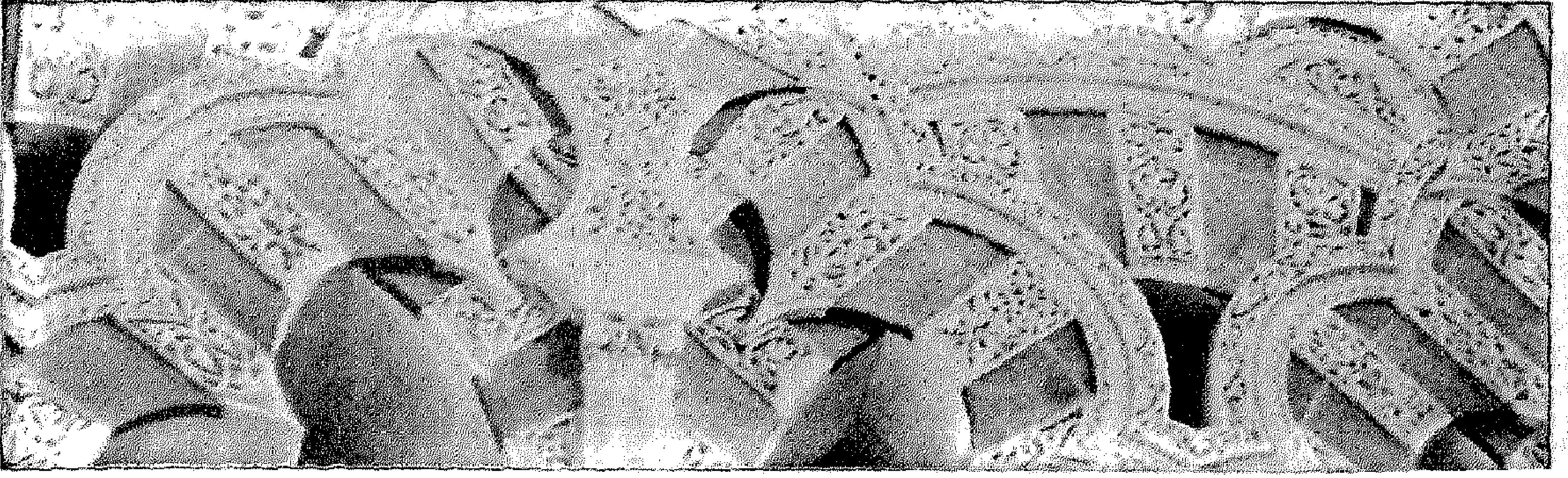
وقد اورد ابن عبد ربه منهجه في تأليف الكتاب واضحاً في مقدمته فهو:

يختار، ويحسن الاختيار، وينتقي جواهره من خير ما في الادب، ومن جوامع الكلم، وان له: "تأليف الاخبار، وفضل الاختيار، وحسن الاختصار، وفرش في صدر كل كتاب، وما سواه فمأخوذ من افواه العلماء، ومأثور عن الحكماء والادباء، واختيار الكلام أصعب من تأليفه".

وانه نخل نظائر الكلام، واشكال المعاني، وجواهر الحكم، وضروب الادب، ونوادير الامثال، ثم قرن كل جنس منها الى جنسه، فجعله باباً على حدة، ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب، ونظيره في كل باب.

وانه تخير من جملة الاخبار، وفنون الآثار، اشرفها جوهراً، واظهرها رونقاً، والطفها معنى، واجزلها لفظاً، وادسناها ديباجة، واكثرها طلاوة وحلاوة.

وانه حذف الاسانيد من اكثر الاخبار، طالباً للاستخفاف والايجاز، وهرباً من التثقل والتطويل، لانها اخبار وحكم ونوادير، لا ينفعها الاسناد باتصاله، ولا يضرها ما حذف منها.



من ... في ... ... ... عام ١٩٦٥

وقد نقل عن "العقد" كثيرون جاءوا بعده،  
واقادوا من مادته الوفيرة، مثل: الابشيهي في  
كتابه المستطرف في كل فن مستظرف"، واعترف  
بذلك في مقدمة كتابه، وابن خلدون في تاريخه،  
والقلقشندي في كتابه "صبح الاعشى" والبغدادى  
في خزائن الادب وغيرهم.

وعلى الرغم من المكانة التي يحتلها  
"العقد" في التراث العربي، كان حظ من الترجمة  
الى اللغات معدوماً، فلا نعرف له ترجمة الى اية  
لغة اجنبية، شرقية او غربية وان كان من المعروف  
ان مستشرقاً فرنسياً نقل منه الى الفرنسية كثيراً  
من النصوص التي تتصل بعرب الجاهلية، ونشرها  
في باريس اعوام ١٨٣٦ - ١٨٣٨.

كذلك اعتمد المستشرق الاسباني خوليان ريبيرا  
على الكتاب الاول منه، والخاص بالسلطان، في  
بحثه عن: "اصول القضاء في ارغون" والذي  
استهدف فيه بيان تأثير النظم السياسية والقضائية  
والادارية لمسلمي الاندلس في مثيلاتها بممالك  
الشمال الاسبانية المسيحية.

★★

وقد اختصر "العقد" قديماً كل من:

الاول: ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن الوادي  
اشي القيس. المتوفي عام ٥٧٠ هـ = ١١٧٤ م وهو  
اندلسي من وادي اش. مدينة جميلة، تقع في  
مقاطعة غرناطة باسبانيا الان.

والثاني: جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم  
الانصاري الخزرجي الشهير بأبن منظور،  
صاحب معجم "لسان العرب" المتوفي عام ٧١١ هـ =  
١٣١١ م.

واختصر حديثاً مرتين:

الاولى عندما عمدت لجنة من اساتذة دار  
العلوم في مصر الى اختصاره، استجابة لرغبة وزارة  
المعارف اذ ذاك، فاختارت بعض كتبه، وانتقلت من  
هذه بعض اخبارها، وسمته "مختار العقد" ونشر  
عام ١٩١٣. والثانية تمت من عشرة اعوام عندما  
نشرت وزارة الثقافة بعض مختاراته في سلسلة  
كانت تشرف على اصدارها.

وانه نظر في بعض الكتب الموضوعة فوجدها غير  
متصرفه في فنون الاخبار، ولا جامعة لجمل الاثار.  
فجعل العقد شافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري  
على افواه العامة والخاصة، وتدور على السنة  
الملوك والسوقة، وحلى كل كتاب منها يشاهد من  
الشعر، تجانس الاخبار في معانيها، وتوافقها في  
مذاهبها، وقرن بها غرائب من شعره، ليعلم الناظر  
في كتابه ان للمغرب على قاصيته، وبلده على  
انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور.

★★

يعد العقد واحداً من المصادر الهامة لتاريخ  
الحياة العربية بجوانبها المختلفة، سياسية  
 واجتماعية واقتصادية وثقافية، فهو يضم بين  
صفحاته مادة وافرة من الاخبار والقصص والوثائق  
التي تعين على تصور حركة تطور المجتمع العربي.

### اخبار ووثائق

فكتاب السلطان - مثلاً - يعطى صورة واضحة  
عن سياسة عمر، رعايته لعماله، والرسائل المتبادلة  
بينه وبينهم فيما يتصل بالثراء الفاحش الذي  
اصابوه فجأة، بعد ان تولوا الولاية، في هذا القطر  
او ذاك، من الامبراطورية الاسلامية الشاسعة، وفي  
كتاب الحرب حديث طويل عن فرسان العرب في  
جاهليتها واسلامها، وانفرد بأخبار ليست فيما  
وصلنا من المصادر الاخرى، كمشاوره المهدي لاهل  
بيته ووزرائه فيما يتصل بحرب خراسان. وأخبار  
زياد والحجاج والطلبين تحتوي حقائق يعز العثور  
عليها في مكان آخر.

وقد سلمت اخبار "العقد"، نسبياً، من التشويه  
والتحريف والبت، ومن هنا يمكن الاعتماد عليه في  
المقابلة بين النصوص المختلفة عند تحقيق ونشر  
المصادر التي اخذ عنها، او التي نقلت من رواية  
استند اليهم، وهو ما فعلته دار الكتب المصرية  
عندما حققت "عيون الاخبار"، لابن قتيبة، فقد  
الحقت به زيادات كثيرة نقلتها عن "العقد"  
وصححت عنه كثيراً من الاخطاء التي وجدها في  
مخطوطات "عيون الاخبار" عند مقابلة نصوصها بما  
اورده العقد عنها.



# خطة

يقصد بالخطة التنظيم الذي يوضع خلال فترة معلومة من أجل تحقيق اهداف معينة ، وحتى يتسنى للخطة القومية ان تحقق اهدافها ، يرى المعنيون بالامر أن يتبع النهج التالي:

اولا - يطلب الى الهيئات والمنظمات الانتاجية ان تقدم مقترحاتها بشأن ما تريد وما تستطيع انتاجه في فترة معينة ، وان تحدد تقديرها لما يحتاج اليه التنفيذ من خدمات ومعدات وعمل وغير ذلك ، وعلى أساس هذه المقترحات والتقديرات يمكن اعداد المشروع الابتدائي للخطة .

ثانياً - تقوم هيئة (او لجنة) التخطيط العليا بدراسة هذه المقترحات والتوفيق بينها ، على أن تراعى امراً آخر هو تقرير نسبة ما يخصص من موارد البلد الانتاجية (خلال المدة المقررة) لكن من ادوات الانتاج و سلع الاستهلاك وهكذا يصبح لديها مشروع متناسق الاجزاء ، ولا بد لها من النظر الى مسائل الدفاع ، ورفع مستوى الحياة الثقافية (معاهد التعليم ، الصحف ، الكتب الخ) ، وتحسين المستوى الصحي باعداد الاطباء والمستشفيات

ثالثاً - يرسل المشروع المؤقت الى الادارات الحكومية المركزية والمحلية والى الهيئات الانتاجية والمشروعات والمؤسسات المختلفة ، لدراسة كل ناحية من الاجزاء الخاصة بها ، وابداء ما يعني لها من ملاحظات ومقترحات .  
رابعاً - ترفع هذه الملاحظات الى الهيئة العليا التي تعمل على ازالة اي نوع من التناقض فاذا تم ذلك عرض المشروع المتكامل على الجهات المختصة لتصدر القانون الخاص به .

وينبغي عند اعداد الخطة ان تراعى بمنتهى الدقة مجموعة من الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، نذكر منها:

١ - حركة السكان من حيث معدل الزيادة او النقص ، وذلك لتقدير طاقة المجتمع الانتاجية وكمية السلع الاستهلاكية ومستوى الاجور والميزانية

٢ - التركيب الاجتماعي للسكان .

٣ - مقدار الدخل الاهلي والنسبة التي ينبغي ان يقسم بها بين انتاج سلع الاستهلاك وعمل ادوات الانتاج .

٤ - معدل الزيادة في الانتاج في عام بالنسبة الى العام الذي قبله

٥ - مسائل التجارة الخارجية واصدار النقد وموازنة الميزانية والضرائب ، وتحديد مقدار الاجور بطريقة توفق بين مصالح الاقتصاد القومي العامة ومصالح العاملين .

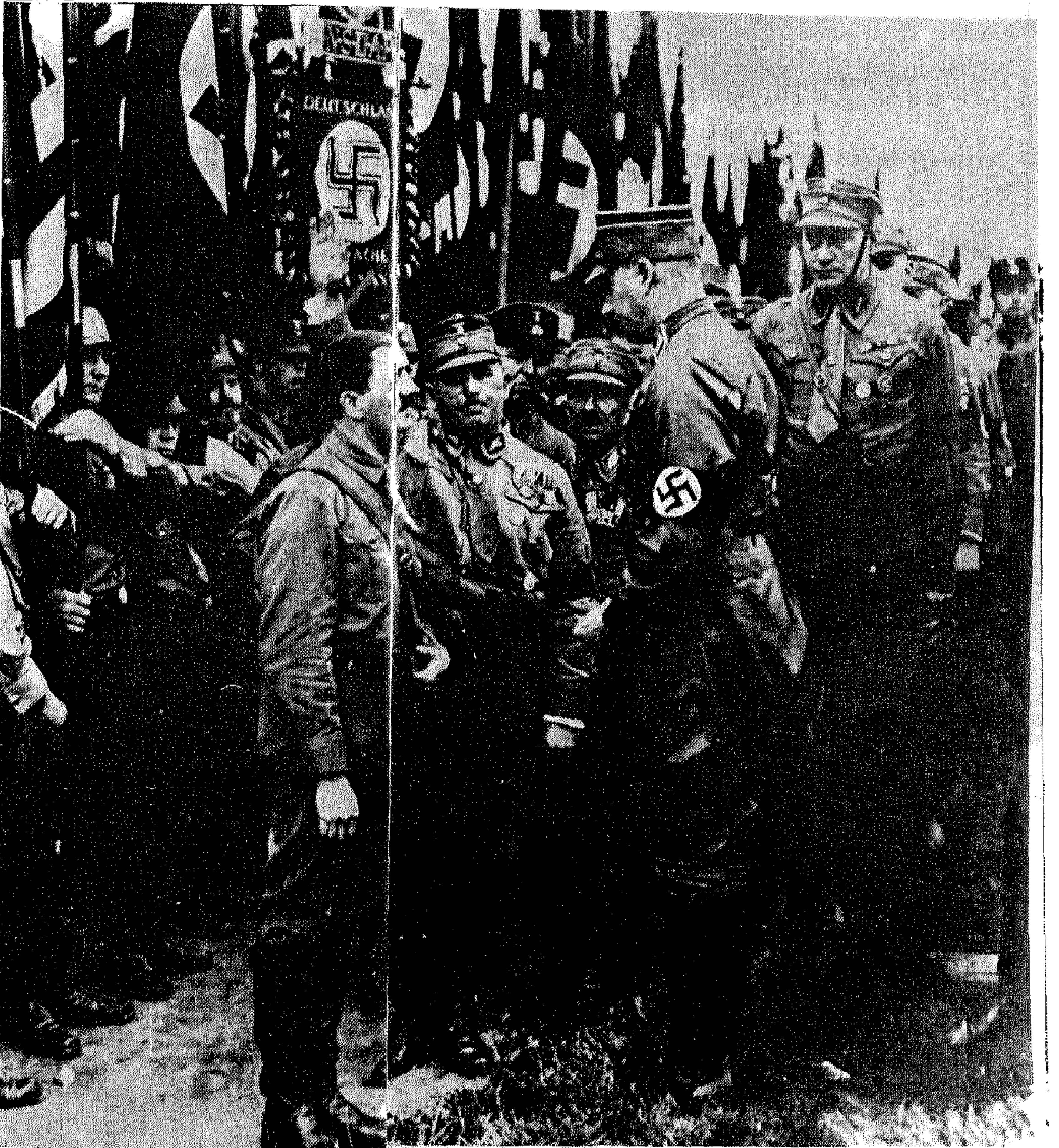
٦ - مقتضيات الدفاع الوطني من جميع نواحيه المادية والبشرية والفنية .

٧ - تهيئة الخدمات الثقافية والاجتماعية المختلفة

# ليلة الأموات الطويلة...

ساعة تحكمت بمصير العالم !

عصام نعمان



□ هتلر محاطاً بفرقة من "القمصان البنية" ويبدو روهم في الوسط رافعا يده بالتحية النازية !





ل. هيرنج رئيس هيرنج

من القوة بحيث يتمكن من استغلالهم للوصول الى هأربه . وجاءته - لحظه السعيد - فرصة سانحة في اواخر شباط ١٩٣٣ اذ احرق الريخستاغ (البرلمان) بطروف مشبوهة فبادر فوراً ووسط ذهول الجميع ، الى استغلال الحادث الى اقصى ما يمكن ، فحل الحزب الشيوعي وطارد اعضائه ، وصادر الحريات العامة ، وضيق على كافة خصومه السياسيين ، حتى اذا جاءت الانتخابات ، في مطلع اذار (مارس) وكان قد اعد لها العدة ، فاز حزبه بـ ٢٢٨ مقعداً واقترع الى جانبه ١٧٠٠٠٠٠٠ ناخب ، ومرة اخرى رأى من الافضل ان يضرب الحديد وهو حام فطلب من الريخستاغ سلطات استثنائية سرعان ما حاز عليها باكثرية (٤٤١ صوتاً مقابل ٩٤ ، والطريف انه ما ان اعلنت النتيجة حتى التفت الى مقاعد النواب الاشتراكيين وقال بلهجة دراماتيكية: "والان لم اعد بحاجة اليكم"!

وفي خلال عام واحد كان الفوهرر قد قطع اشواطاً بعيدة في تثبيت سلطته بعد ان اخمد كل معارضة ، وحل كافة الاحزاب باستثناء الحزب النازي طبعاً ، وقبض على ناصية الاجهزة البوليسية ووضعها تحت قيادته مباشرة ممهداً لذلك بتعيين ساعده الايمن غورنغ وزيراً لداخلية بروسيا ، ووبربط كافة الاجهزة البوليسية في الولايات الاخرى بزعيم الحرس النازي الاسود هنريك هملر .

#### جيش الصاعقة ... بالمرصاد

على ان وصول هتلر الى السلطة لم ينجح من خلافات حادة مع الذين عاونوه وحملوه على اكتافهم . وكان هؤلاء فئتان من الخصوم: الفئة الاولى تتمثل في قيادة الجيش العليا التي كانت - على كرهها لهتلر وتخوفها من طموحه الشره - تماشيته على مضض لانه الوحيد ، في نظرها ، القادر على انهاء الاضطرابات التي مزقت البلاد ، وعلى

■ الثاني من آب (اغسطس) تاريخ بارز في حياة المانيا النازية ، انه اليوم الذي توفي فيه ، لثلاثين سنة خلت ، الرئيس العجوز الماريشال هندنبرغ الذي كان يشكل العقبة الاخيرة في طريق استبداد هتلر المطلق . وبموته وحد الديكتاتور النازي منصبى الرئاسة والمستشارية (رئاسة الوزراء) في شخصه ، فأصبحت ارادته قانوناً وكلمته دستوراً واهدافه مطامح للرايخ الثالث برمته .

على ان ذلك اليوم التاريخي ليس الحدث الاعظم في صعود هتلر الدامي الى قمة السلطة ، اذ سبقته سلسلة من الاحداث بلغت ذروتها المفجعة في الثلاثين من حزيران (يونيه) ١٩٣٤ . عندما نفذ هتلر ، بلا رحمة ، أضخم عملية تصفية في تاريخ حكمه المرعب ، ذهب ضحيتها اكثر من خمسة آلاف شخص . انها الليلة التي دخلت التاريخ باسم "ليلة الامواس الطويلة" التي وطد فيها هتلر ، وحده ، نظامه النازي وكرس نفسه حاكماً بأمره والها معبوداً في طول المانيا وعرضها .

كيف تبدأ القصة ...

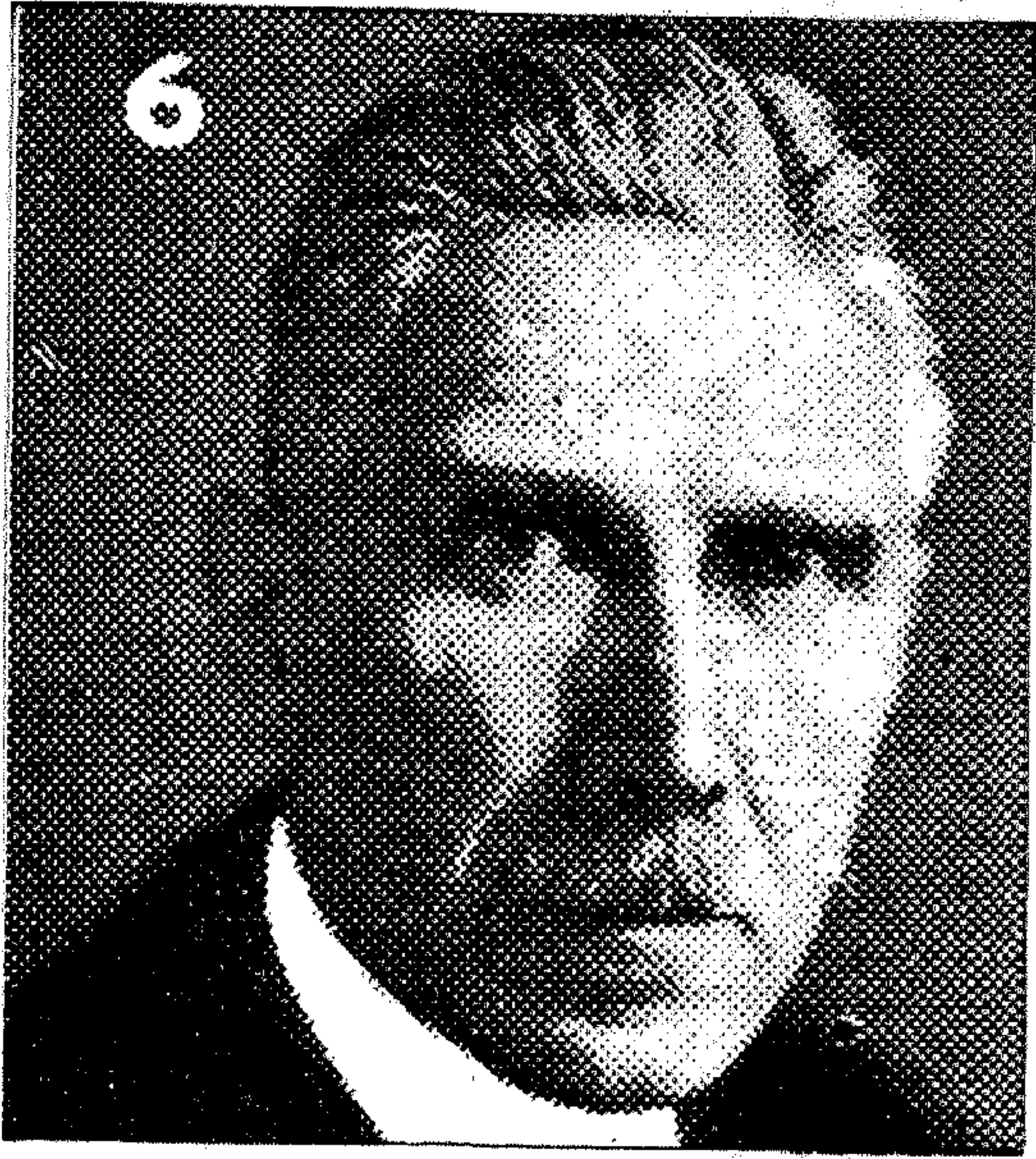
لعلها تبدأ في الثلاثين من كانون الثاني (يناير) ١٩٣٣ عندما زين المستشار الاسبق فرانز فون بابن والجنرال فون بلومبرغ ، وزير الحرب الالماني ، للرئيس هندنبرغ ان تسليم المستشارية لادولف هتلر (ونياية المستشارية لفون بابن نفسه) هو الحل الامثل لانهاء جو الانقسامات الدامية والاضطرابات الواسعة التي كانت تعصف بالمانيا في مطلع عام ١٩٣٣ .

وفي الواقع لم يكن الرئيس هندنبرغ معجباً بهتلر ابداً ، اوليس هو القائل بعد مقابلته له عام ١٩٣٣: "اهذا الرجل يصبح مستشاراً؟! ... في وسعي ان اعينه مديراً للبريد . ليلصق الطوابع التي تحمل رسمي بلسانه" . ومع ذلك فقد قبل بتكليفه بالمنصب نظراً لما كان لفون بابن من دالة عليه . اما فون بابن فكانت غايته من وراء ذلك واضحة: لماذا لا نهديء هتلر بأخفاء مسؤوليات الحكم واعبائه عليه؟

ومع ان اعضاء القيادة العليا للجيش - وهم رمز عظمة المانيا العسكرية وكل ما بقي لها من رصيد بعد الحرب - كانوا منقسمين على انفسهم ، فقد شاركوا فون بابن الاعتقاد بان مجيء هتلر الى الحكم مع اثنين من رفاقه فقط سيمكنهم من تحقيق هدفين مرة واحدة: الاول ان يركبوا المد الشعبي الهتلري . والثاني ان يعملوا على تقليص اظاهر القادة النازيين اثناء مشاركتهم السلطة ... بل ان بعضهم كان يمني النفس ، الى جانب هذا كله ، باعادة الملكية الى ربوع المانيا .

#### حساب الحقل ... وحساب البيدر

وطبيعي ان هتلر لم يكن غيباً ليصبح اداة في ايديهم بل كان يعتقد ، على العكس من ذلك ، انه



ل. فيون - ب. ب.

الخاص ولكرامتها العسكرية الشامخة ولدورها التاريخي في إعادة تسليح ألمانيا، وهي ما كانت لترضي باعلان هتلر لوحدة الحزب والدولة لولا وعده لها بان ذلك يستتبع عمليا انتهاء المنافسة بينها وبين قيادة جيش الصاعقة بدمج هذا الأخير بالجيش النظامي لكي تصبح كافة القوات المسلحة تحت أمرتها. ولما غدت مشكلة دمج فرق القمصان البنية شغل البلاد الشاغل في منتصف الربيع حتى أخذ روهم - وقد عزت عليه التضحية بجيشه - يضع العراقيل في طريق الدمج الكامل في الوقت الذي اصبح فيه الجنرال بلومبرغ، وزير الحرب، دائم التذمر من نشاط القمصان البنية وحماقاتهم.

### هتلر والخيار الصعب

عند هذه النقطة بالذات كان على الفوهرر ان يختار بين القيادة العليا التي تكرهه وتماشيه وبين قادة جيش الصاعقة الذين مكنوه بأرهابهم الواسع من ان يصل الى قمة السلطة. انه لخيار صعب، ومع ذلك فقد كان بإمكان هتلر ان يفكر في الامر مليا ليأتي قراره ناجحا وحاسما. وفي الواقع فانه ليستشعر خطورة انتصار روهم على القيادة العليا. ان ذلك يعني شيئا واحدا: وصول روهم الى حلمه القديم باستلام مقاليد وزارة الحرب للسيطرة على القيادة العليا، وبالتالي على الجيش النظامي الجديد والضخم الذي سيزداد عدده بدمج جنود الصاعقة. وعندما وصل تفكير هتلر الى هذه النقطة ادرك ان ما من قوة تمنع روهم، عندئذ، من ان ينقض على الحكم لتتكشف الى الابد شمس الفوهرر.

توفير جو صالح لتحقيق حلم العسكريين الاغلى - إعادة تسليح ألمانيا وبناء جبروتها العسكري العظيم.

وكان جيش الصاعقة او فرق القمصان البنية بزعامة الهر روهم يمثل الفئة الثانية من الخصوم. انهم عناصر نازية متطرفة وعميقة في تعلقها بالثورة الاجتماعية، قادتها تطورات الاحداث الى التعاطف مع شلة الهر غريغود شتراسر (من قدامى اعضاء الحزب) الذين خافوا بعد وصول هتلر الى قمة السلطة، ان تجتذبه الفئات الحالية الحاكمة، والقيادة العليا للجيش، والطبقة الرأسمالية المتحكمة، الامر الذي يعرض "الثورة الاجتماعية المستمرة" الى اخطار جمة.

### روهم يثير مخاوف الفوهرر

وفي ربيع عام ١٩٣٤ كان قلق هتلر الشديد من خصومه المتجمعين في جيش الصاعقة قد اخذ منه كل مأخذ. وكيف لا يخاف وقد اضحى جيش الصاعقة الان - بعد اندماج العديد من المنظمات في صفوفه - ثلاثة ملايين من المجندين والمدربين الذين، وان كانوا يمحضونه الولاء المطلق، الا انهم ليسوا تحت اشرافه على كل حال. وزاد في قلق هتلر ان روهم ما كان ليخشي تهديدات هتلر المتواصلة الموجهة "الى كل من يجرؤ على رفع رأسه ضد سلطة الدولة"، اذ انه اصدر في ١٨ نيسان (ابريل) على الرغم من تحذيره من خطورة هذا السلوك التحدي التالي:

"ان الثورة التي قمنا بها ليست مجرد ثورة وطنية بل ثورة وطنية اشتراكية، وعلينا ان نؤكد بصورة خاصة كلمة اشتراكية. والحاجز الوحيد الذي يقف في طريق الرجعية ممثل في فرقنا الهجومية التي هي التجسيد المطلق للفكرة الثورية...". ولعل روهم نسي ان يختم مقاله هذا بعبارة "هايل هتلر" "المألوفة... فكان ان اخذ هتلر علما بذلك!

لماذا لم يقنع هتلر بمفهوم الثورة الاجتماعية المستمرة؟ لان الثورة الاجتماعية كما يفهمها روهم وفرقة البنية كانت تعني امتصاص القيادة العليا للجيش والسيطرة على الدولة من خلال ما يسمى بالتعبئة الشعبية الدائمة... وهي عملية طويلة ودقيقة لا تسمح للفوهرر ان يستغل، وبسرعة، خبرة القيادة العليا لتسليح ألمانيا من اجل تحقيق حلمه الغالي الذي تضمنه كتاب "كفاحي" وهو بسط سيطرة الرايخ الثالث على كافة اصقاع اوربا.

### مطامع روهم ومخاوف القيادة العليا

وفي هذه الاثناء كانت القيادة العليا تراقب بحذر وخوف شديدين اتجاه روهم المناهض لكيانها



ولم يكن روهم ليدرك من ناحية أخرى وجه  
الخطورة في أن يكون هتلر قد اعتمد عليه في يوم  
من الأيام، وأنه قد يصبح تحت رحمته مرة  
أخرى إذا قيض لروهم الانتصار على القيادة  
العليا، ومما زاد في سوء حظه أنه لم يكن مستسلما  
لهتلر شأن بقية الزعماء النازيين، بل لقد حاول  
استمالته إلى صفه وعندما أخفق لم يضرب بآرائه  
الخاصة عرض الحائط بل أخذ يبحث عن حلفاء  
جدد، لقد عارض نزوع هتلر الشره نحو الطفليان  
الكامل، وهاجم تدمير النقابات العمالية، وتعاطف  
لنفس السبب مع غريغور شتراسر الذي كان هتلر قد  
حقد عليه بسبب عدم شجبه لنشاط الجنرال فون  
شليخر - عدوه اللدود ومنافسه الأقوى على  
المستشارية.

وفوق هذا وذاك كان روهم يقوم ببعض  
التصرفات التي تعكس استقلاله الذاتي وطموحه  
القتال، كان يستضيف مثلا السفير الإيطالي عدة  
مرات، أو يجتمع بالسفير الفرنسي، أو يصرح بأن  
جيش الصاعقة لا يشكل خرقا لمعاهدة فرساي.

روهم: هتلر حمار!

في وسط هذا الجو المكهرب أخذت شائعات  
"خيانة الفوهرر" لقضية الثورة الاجتماعية تعم  
بعض أوساط الحزب النازي، وقد نسب إلى روهم  
قوله في سياق حديث له أن هتلر حمار وأن جيش  
الصاعقة سيتجاهل أوامره، ورغم أن هذا القول ظل  
يفتقر إلى إثبات صحيح فقد كان ثمة قائد من قادة  
جيش الصاعقة اسمه فكتور لوتر يكن لروهم حقدا  
عظيما، تبرع بنقل الحديث إلى هتلر الذي طلب  
إليه أن يترث حتى تنضج الظروف!

وإذا كان من حادث بارز ميز هذه الفترة - وقد  
أصبحنا الآن في مطلع شهر حزيران (يونيه) - فهو  
المقابلة العاصفة التي أجراها هتلر مع روهم  
ودامت خمس ساعات متواصلة، من أجل الوصول  
إلى تسوية، وفيها تأكد هتلر أن ثمة هوة شاسعة  
تفصله عن روهم وأن لا سبيل إلى اقناع هذا الأخير  
مع أنه تظاهر في نهاية المقابلة "بالاقتناع"، ومرة  
أخرى أخذ هتلر علما بذلك!

فون بابن يتحرك...

في غمرة الصراع الخفي بين هتلر والقيادة  
العليا من جهة، وروهم وجيش الصاعقة من جهة  
أخرى برزت جبهة ثالثة من القوميين المحافظين  
والمستقلين، أخذت تلتقط أنفاسها وتمسح عن  
أجهزتها آثار الدهول التي خلفتها ضربات هتلر  
المحكمة لخصومه السياسيين والارهاب الواسع  
الذي نشره جيش الصاعقة في شتى الميادين، وقد  
رأى هؤلاء الناس في شخصية نائب المستشار فون

بابن ومكانته العالمية خير واجهة لهم في  
مقاومتهم للنظام الجديد، وكان ثمة اثنان منهم -  
الأول كاتب بروتستانتى يدعى "ادغار ينغ"  
والثاني كاثوليكي يدعى "هوبرت فون بوس" -  
يعاونان فون بابن في مكتبه، وحدث أن دعي فون  
بابن لالقاء خطاب في جامعة ماربورغ في ١٧  
حزيران (يونيه) فلم يتوان "ينغ" عن استغلال  
الفرصة، وهي جد مؤاتية، إذ قام بأعداد الخطاب -  
القنبلة الذي القاه فون بابن وسط دهول الجميع،  
ماذا قال فون بابن؟

لقد حرص، في سياق كلمته، على امتداح هتلر  
أكثر من مرة، ولكنه حمل على تقييد حرية الصحافة  
وأشاد بدورها الكبير في حقلي الاعلام والنقد  
والبناء، ثم لاحظ أن البلد تكاد أن تمزقه ثورة  
اجتماعية مستمرة الأمر الذي يستدعي الإسراع في  
إسناد رئاسة الدولة إلى شخص يعلو على المعارك  
السياسية لأن ديكتاتورية الحزب الواحد ليست في  
نظره سوى فترة انتقالية تجد تبريرها فقط عندما  
يتوقف عليها استقرار النظام الجديد وختم خطابه  
بملاحظة قاسية:

يجب ألا نعزل أنفسنا عن بقية دول  
أوروبا... يجب ألا نحبس أنفسنا داخل قوقعتنا  
الفكرية، وإذا كنا نتلمل من غلاة النازيين فلأننا  
نفكر بأولئك الذين يتطلعون، وهم بلا جذور، إلى  
حرمان المفكرين والباحثين من نعمة الوجود  
لكونهم ليسوا أعضاء في الحزب، فلنحذر إذن من  
تنفير المفكرين في امتنا، وليسكت أولئك الذين  
يأخذون على المفكرين افتقارهم للحياة، أن  
الخلط بين الحياة والبربرية لا يعني إلا الانحناء  
للعنف باخطر أشكاله.

أنه ليس صعب، في الواقع، تأكيد ما إذا كان فون  
بابن قد فهم الخطاب الذي أعده له "ينغ"، ولكنه  
قرأه على أي حال، أما الحضور فكادوا ألا يصدقوا  
أذانهم، ومع أن غوبلز وزير الدعاية سارع إلى حظر  
نشره وتوزيعه على صحف المانيا فقد تمكنت جريدة  
"فرانكفورتر زايونغ" أن تنشر نصه الحرفي، كما  
أن جريدة "جرمانيا" الكاثوليكية تمكنت هي  
الأخرى من نشر نصه الحرفي وتوزيع أعداد منه.  
وسرعان ما تناقلته الألسن والشائعات إلى كافة  
أطراف المانيا، وما أن ظهر فون بابن في ٢٤  
حزيران (يونيه) في حفلة للسباق في هاملولاغ  
حتى التفت الجماهير من حوله وأخذت تهتف له  
وتحييه.

لقد كان الهدف من وراء هذا الخطاب، بالنسبة  
لينغ وفون بوس، تشجيع الاتجاه المعتدل في  
القيادة العليا - وهي الآن أقوى قوة في المانيا -  
للوقوف في صف العاملين لإعادة الملكية إلى  
البلاد، بيد أن قلة من الرجال، حازمة وصارمة،  
كانت تهيم، في نفس الوقت شيئا مغايرا، وقد  
اقنعها فون بابن والانباء المتواترة عن صحة  
الرئيس هيندنبيرغ أن عليها الآن أن تكون في سباق  
مع الزمن.







أما فون بابن فقد هاج وماج لمصادرة خطابه وشفع غضبته بتقديم استقالته من نيابة المستشارية، ولكن سرعان ما تمكن هتلر من استرضائه واقناعه بأنه ما دام قد رتب له موعداً لزيارة العجوز هندنبرغ فلماذا لا يذهبان سوياً لمقابلته؟ وكان لهتلر ما أراد إذ اصطحب فون بابن إلى نيوديك (مقر هندنبرغ) ولكنه استطاع تضليله هناك وحال بينه وبين مقابلة الرئيس في الوقت الذي كان هو يجتمع إليه ويحمله على الموافقة على الكثير من أعماله ومشاريعه.

على أن الفائدة الأساسية التي حصل عليها هتلر من ذلك الاجتماع، هي بلا شك، تأكده من أن هندنبرغ - وقد غدا الآن في السابعة والثمانين - قد أنتهى وان عليه أن يضرب حوله ستارا من العزلة ليمنع عنه مقابلات الخصوم بانتظار اللحظة الحاسمة. ومنذ ذلك الحين أصبح يقال لفون بابن وغيره كلما حاولوا مقابلته أن صحته لا تسمح له بالقيام بأي نشاط.

### صفقة الحياة والموت

قلنا ان صراع القيادة العليا مع روهم حول دمج جيش الصاعقة بالجيش النظامي قد وضعت هتلر امام الخيار الصعب... فمن اختار الفوهرر؟

لقد اقنعتة مقابلة روهم الاخيرة في مطلع حزيران (يونيه) ان التفاهم مستحيل مع ذلك النازي المتصلب والطموح. فكان لا بد للفوهرر من أن يختار اهون الشرين - القيادة العليا.

وفي الواقع فقد بدا للمراقبين ان هتلر وبلومبرغ - ابرز قادة القيادة العليا ووزير الحرب - قد عقدا صفقة فيما بينهما منذ زمن بعيد لعله يعود الى نيسان (ابريل) الماضي عندما اجتمعا على البارحة "دوتشلاند". وكانت الصفقة تنطوي على ما يلي: ان يخلف هتلر هندنبرغ في الرئاسة مقابل ان توضع سلفا كافة التشكيلات العسكرية في المانيا - وخصوصا جيش الصاعقة - تحت امرة القيادة العليا.

هذا هو مضمون صفقة الحياة والموت بين الرجلين... فمتى توضع موضع التنفيذ؟

### فرصة العمر

كان هتلر قد قرر، بموافقة روهم البريئة، منح افراد جيش الصاعقة عطلتهم السنوية، ومقدارها شهر واحد، ابتداء من اول حزيران (يونيه) ٠٠ اذن، ها هي ذي فرصة العمر تلوح في الافق، فهل هنالك، بعد، مجال للتلكؤ؟

وسارع هتلر الى اتخاذ الاجراءات الاخيرة الكفيلة بتحطيم قادة جيش الصاعقة. وكان مما

يساعده على تنفيذ نواياه الجهنمية وجود صديقه هممر، منذ نيسان (ابريل) الماضي، في رئاسة الغستابو (البوليس السري الحكومي) واشراف هنريك هايدريخ - الذي خلف غورنغ في رئاسة غستابو برلين - على البوليس السري الحزبي. وهكذا أصبحت كافة التقارير والاخباريات التي تذهب الى هتلر والقيادة العليا تمر تحت رقابة هممر وهايدريخ. ومن الآن فصاعداً أصبح روهم موضوع رقابة شديدة اخذت شخصيته بنتيجتها تتخذ طابعاً شريراً ومتآمراً في كافة التقارير المرفوعة الى اعلى.

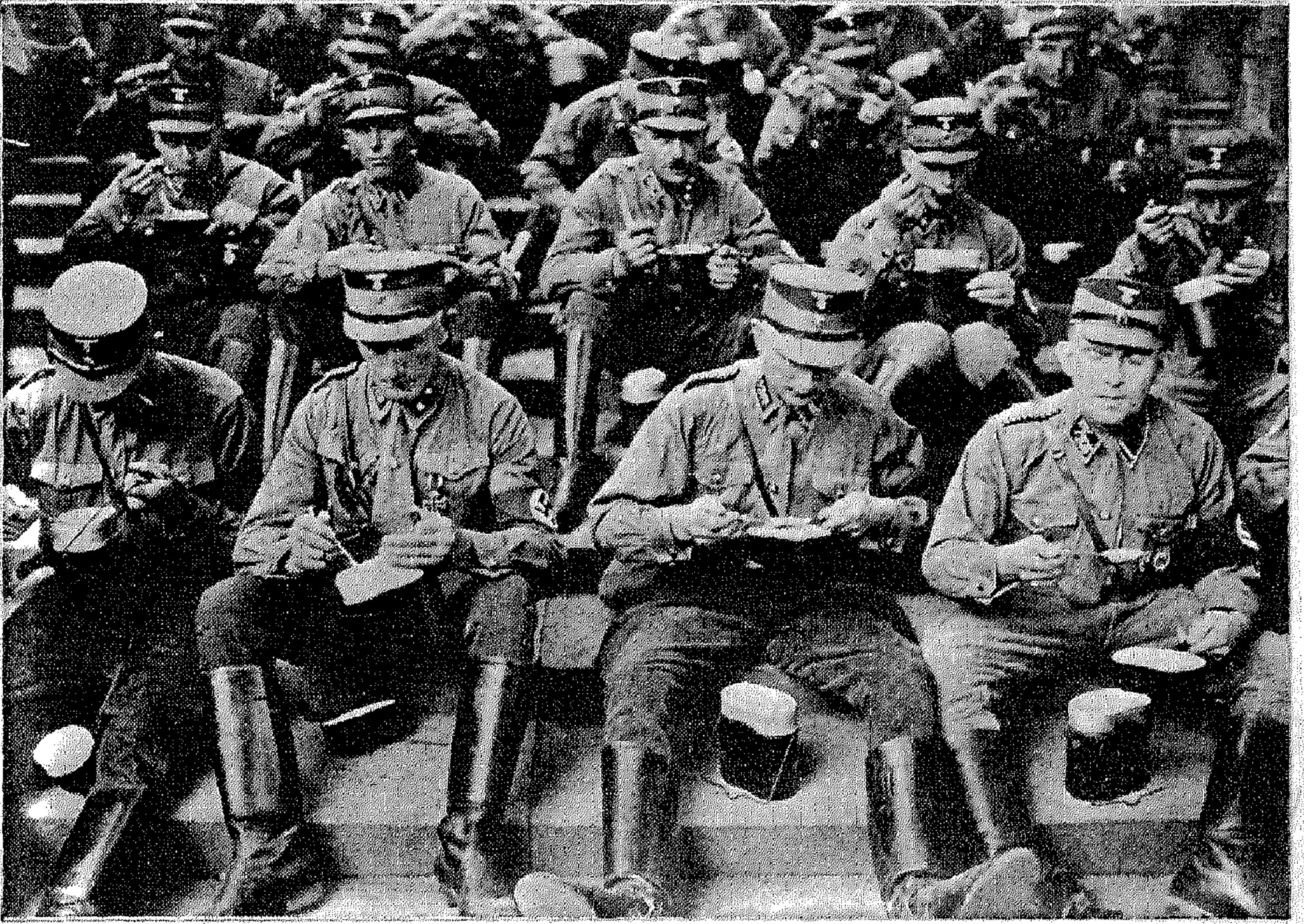
وكثرت في هذه الاونة لقاءات الجنرال راخينو وقائد الغستابو الجديد وفكتور لوتز القائد الصاعقي الحاقد على روهم. وراخينو هذا مسؤول عن التعبئة العامة للجيش وهو المحرك الضمني للجنرال بلومبرغ، فضلاً عن كونه اشد المتحمسين للفوهرر بين أعضاء القيادة العليا.

هل كان روهم يشعر بما يخطط له في الخفاء؟ وهل كان جيش الصاعقة يعد، بالمقابل، حركة مضادة؟

صحيح ان العديد من جنود الصاعقة تفوهوا بكلام قاس، وليس اقلهم في هذا المجال روهم نفسه. ومع ذلك فان دليلاً واحداً لم يعثر عليه يثبت اعتزام روهم القيام بانقلاب على الفوهرر.

وفي ٢٧ حزيران (يونيه) تقدم المهر "سب دايتريخ"، رئيس حرس هتلر الخاص، من القيادة العليا بطلب المساعدة في توفير السلاح اللازم لعملية خاصة سينفذها الفوهرر مبرزا في الوقت نفسه لائحة، زعم انها من وضع جيش الصاعقة، تتضمن اسماء اشخاص يعتزم جنود الصاعقة اغتيالهم وعلى رأسهم الجنرال فريتشه والجنرال باك الذي كان يستمع بنفسه الى معلومات دايتريخ. على انه في نفس الوقت او بعده بقليل تمكن المهر هاينز، قائد جيش الصاعقة في سيليزيا، من اقناع الجنرال فون كلايست، قائد الجيش النظامي في المنطقة، بان ما من حركة انقلابية يعدها جيش الصاعقة على الاطلاق، بل على العكس فان معلوماته تؤكد له بان القيادة العليا هي التي تنهياً لضرب جيش الصاعقة. وللتو سافر فون كلايست الى برلين - وقد اصبحنا الآن في ٢٩ حزيران (يونيه) - ليقدّم تقريراً عن الامر الى الجنرال فريتشه والجنرال باك مضمناً اياه ما قد اصبح حقيقة واقعة وهو ان قوة ثالثة - أي الحرس النازي بقيادة هممر - يحاول الايقاع بين القيادة العليا وجيش الصاعقة.

استدعت القيادة العليا الجنرال راخينو على الفور وعرضت عليه المعلومات الجديدة فكان ان استفاق هذا الاخير على الحقيقة... والتفت الى فون كلايست وقال له: "انت على حق، ولكن بعد فوات الاوان!!".



□ القمصان السمر (البنيد)

### هتلر يقرر ساعة الصفر

وفي تلك الليلة بالذات كان هتلر قد بدأ بتنفيذ قراره الرهيب: تصفية كافة الذين يعادونه ويستفزونده!

ولعدم اثاره الانتباه كان الفوهرر قد سافر عشية ٢٨ حزيران (يونيه) الى منطقة الراين بحجة زيارة احد المشاريع الصناعية. ومن هناك اتصل بروهم هاتفيا وطلب اليه، بكل براعة، ان يدعو قادة جيش الصاعقة الى مؤتمر يحضره هتلر بنفسه على ان يعقد في "وييسي" بالقرب من ميونيخ حيث كان روهم ينتجع الراحة منذ ٧ حزيران (يونيه). ويبدو ان روهم لم يفطن الى ان هذا المؤتمر - الفخ يجمع معظم مساعديه وفي مكان بعيد نسبيا ويضعهم دفعة واحدة تحت رحمة هتلر.

كانت هذه القديعة الاولى. اما الخديعة الثانية فقد تولى امرها هايدريخ، رئيس غستابو برلين، الذي قام بوسائله الخاصة - مستغلا جو الترقب والشائعات المتواترة عن تحركات القيادة العليا -

بالايغاز الى بعض قادة جيش الصاعقة بتنظيم تظاهرات واجتماعات خطابية في ميونيخ الامر الذي لا اعتراض عليه من قبلهم طالما انه يدعم قضيتهم - قضية الثورة الاجتماعية المستمرة.

وفي الساعة الرابعة من صباح الثلاثين من حزيران (يونيه) وصل هتلر بطريق الجو الى ميونيخ. وبينما كان يقود سيارته في المدينة تعاضم غيظه لمرأى بقايا جنود الصاعقة يجوبون الشوارع بعد انتهاء مسيرتهم الشعبية، الامر الذي عزز "شكوكه" بان روهم يوشك ان يسدد له الضربة القاضية.

اتجه هتلر اولا الى مبنى وزارة الداخلية حيث اعتقل بنفسه وعلى الفور اثنين من قادة جيش الصاعقة. ثم هرع الى وييسي ومعه غوبلز، وزير الدعاية، حيث كان بانتظاره قائد حرسه الخاص "سب دايتريخ" ورجاله الذين تولت القيادة العليا - قبل اكتشافها لحقيقة الامر - توفير وسائل نقلهم الى هناك ومعهم بعض افراد الحرس النازي في معسكر "داخو" المجاور. وفي تمام الساعة السابعة



العقلي الذي اصاب الجنود. اما روهم فقد طلب اليه ان يقتل نفسه بيده ولما رفض دخل عليه اثنان من زعماء بلدة داخو المجاورة وقال له احدهما ويدعى آيك: "ان الرجال البارزين الذين يعرضون رقابهم للخطر يجب ان يعدموا بأيدي رجال بارزين". واصلي روهم فوراً بوابل من العيارات النارية.

ولما اطمأن هتلر الى استقاب "الامن" طار الى برلين بعد ظهر اليوم نفسه.

### مذبحة اخرى في برلين

وفي غضون ذلك كان غورنغ قد تلقى من ميونخ اشارة البدء بالعمل من غوبلز فبادر فوراً الى احتجاز فون بابن في منزله وياشر مذبحة الواسعة. وقد اتسع نطاق الاغتيالات هنا فشمّل اكثر من صفوف جيش المصاعقة اذ قتل فون شليخ وزوجته بينما كان يقرأ في منزله، وأعدم غريغور شتراسر ومساعدى فون بابن ينغ وفون بوس وغيرهما من الرجال المقربين اليه. ولكن فون بابن نفسه لم يصب بسوء لسبب لا يزال مجهولاً. وفي غضون الاربع والعشرين ساعة القادمة اختفى العديد من الرجال الذين لا علاقة لهم "بمؤامرة" روهم، قدر عددهم بخمسة آلاف شخص.

وفي مساء اليوم التالي (الاول من تموز يوليو) توقف اطلاق الرصاص ليظهر هتلر على شرفة المستشارية في برلين ليتلقى هتاف الجماهير التي خيل اليها انه كان ضحية مؤامرة. وفي تلك اللحظات بدا الفوهرر وكأن نشوة النصر تكاد ان تطفر من وجهه. كيف لا وقد حفظ في تلك الليلة التي دخلت التاريخ باسم "ليلة الامواس الطويلة" وحدة نظامه وقضى على كافة الذين اعتبرهم اعداء ومناقسين. ولكن هل ينسى الفوهرر اولئك الذين مكنوه من رقاب اعدائه؟

ابداً... فما هو ذا هملر المرعب يدعوهم جميعاً، وقد اربى عددهم على المائتين، الى احتفال مغلق في برلين شكرهم في اثنائه على جهودهم الجلي للفوهرر العظيم وأهدى كل واحد منهم خنجرًا طويلاً حفر عليه اسم هملر. ثم اقساموا جميعاً، وتحت طائلة الموت، ان يدفنوا في قلوبهم والى الابد اسرار ليلة الامواس الطويلة.

وفي الثاني من آب (اغسطس) مات الرئيس العجوز الخرف هندنبيرغ ليصبح هتلر رئيس الرايخ الثالث والسيد الاوحد في طول المانيا وعرضها. ■

### المراجع

□ مذكرات ونستون تشرشل

□ مذكرات فون بابن

□ مقال لاليزابيت وسكمان في مجلة History Today



لاروهم

الا ربعا اقتحم هتلر ورجاله مدخل "شاليه" روهم، ثم مضى الفوهرر وحيدا ودون سلاح - وقد اضحى نمرا كاسرا - يصعد السلم ويقتحم على روهم غرفة نومهم فكان ان اذهلته المفاجأة ولم يستطع ان يبدي اية مقاومة فاعتقل مع معظم اركان حربه الشخصيين دون حادث.

وعاد الרכب الصغير مع الاسرى الى ميونيخ ليفاجأ في طريق الاياب برتل من السيارات الكبيرة تقل عددا من جنود المصاعقة في طريقهم الى ويسسي لتأدية تحية الصباح لروهم بمناسبة المؤتمر الذي كان من المقرر عقده هناك ظهر ذلك اليوم. فما كان من هتلر الا ان ترجل واستدعي الضابط المسؤول وأمره - بقوة وسلطة وجراءة متناهية - ان يعود برجاله الى بيوتهم، قاطاع الجنود الامر فوراً.

ولو تأخر هتلر ساعة واحدة او لو بكر هؤلاء الجنود ساعة واحدة لتغير تاريخ هتلر والمانيا والعالم.

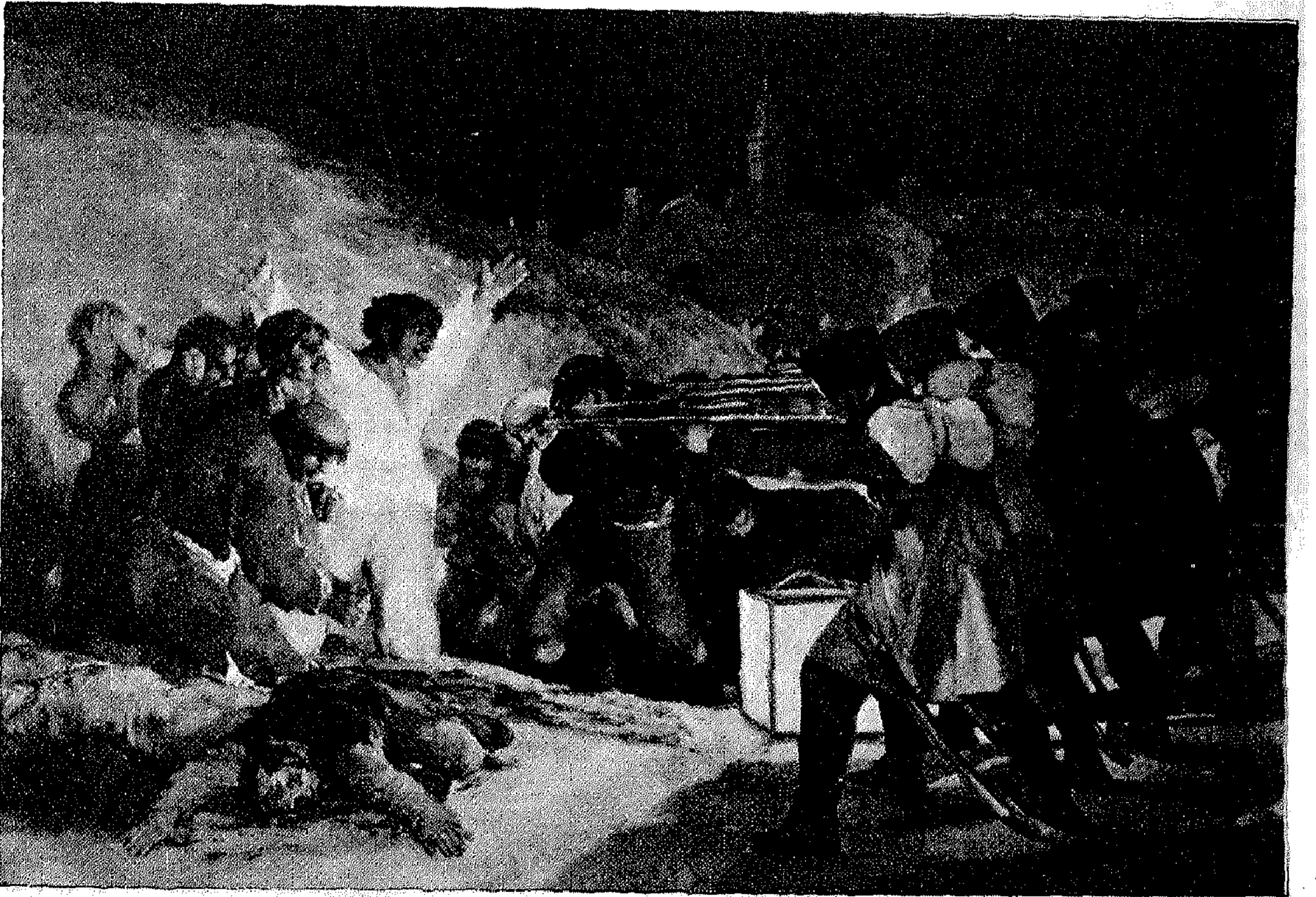
أودع روهم وأركان حربه سجن ميونخ حيث لفظ هتلر خطاباً نارياً صاعفا هشم فيه روهم وادانته بالشذوذ الجنسي وبسائر الموبقات البشرية. ثم بدأت المذبحة بعد الظهر واستمرت الى المساء في فترات متعاقبة، وقد جرى استبدال الفرق التي تطلق النار اكثر من مرة بغيرها، من جراء الاجهاد.

# الفنّان غويّا

الوطني الصاخب

دوغلاس هالت

ترجمة: مركز الدراسات





"نحن مجابون، ليس كأفراد بل على المستوى القومي. نحقق في ذبح انسان وجرائم القتل المعزولة. ولكن ماذا عن الحرب وجريمة ذبح شعوب بكاملها؟"

■ هكذا كتب سنيكا، رجل الدولة والفيلسوف الروماني الذي ولد في قرطبة، في جنوب اسبانيا، واكثر كتاب القرن الاول بعد الميلاد حساسية. وبعد ثمانية عشر قرناً اتخذت ملاحظاته قوة تنبئية خلال الحرب الضروس التي اثارها غزوة نابوليون لاسبانيا سنة ١٨٠٨، وفي مرة ثانية خلال المأساة المدمرة التي سببتها الحرب الاهلية سنة ١٩٣٦ - ٣٩.

كان سنيكا يعرف شعبه جيداً، ولكن لم يكن هناك من اسباني استطاع ان يصور خصائص وانفعالات مواطنيه بقوة نابضة بالحياة وبمفاد مثل فرنسيسكو غويا، رسام البلاط ومسجل اكثر اعماق الانسان ظلمة. يقال ان خادمه سأله مرة لماذا يرسم الاعمال البربرية التي يقتربها الانسان فأجابه غويا: "لكي اخبر الناس ابدأ بانهم لا ينبغي ان يكونوا برابرة".

في ما يتعلق بشباب غويا والسنوات التي شكلته انساناً، هنالك بعض الحقائق التي لا تقبل الجدل. لقد ملأ هذا الفراغ مؤلفون خياليون وكتاب الشاشة السينمائية في هوليوود، يروون عن حفلات مصارعة الثيران والتقاتل في الحانات ومحاولات الاغواء، كمنطلقات رئيسية - من جميع النواحي - وبالتالي ارتقاء الى قبة الفاتيكان خلال السنوات التي بددها في ايطاليا، فلقد صورت الاساطير غويا ثائراً منذ طفولته، يفتاظ للقيود التي وضعها عليه مجتمع غير متفهم ونسيب له صارم غارق في تقاليد نيو - كلاسيكية لا يمكن تصورها. ان رواية الشاشة تظهر غويا رافضاً كل سلطة ومنذفعاً بقوة متفردة، يبلغ اوج تحديه البغيض بينما يرسم على ضوء الفانوس جثث الضحايا الابطال في "دوس دي مايو"، ومن حسن التوقع، ان دوقه "البا" جلست أمام كنموذج للسيدة العارية "ماخا دي سنودا" وهكذا ملئت سنوات غويا الغاربة بذكريات الماضي العزيزة والعاطفية، فالحقائق تظل بكل اسف اكثر بعداً، ولكن ما تفقده من رومانيتها الشائعة بين الناس نعوضه بالثقة البسيكولوجية.

### غويا الريفى

ولد "فرنسيسكو غويا أي لوسيانوس" في قرية صغيرة في الاراغون بالقرب من سرقسطه سنة ١٧٤٦. تدرب على يد والده الذي يعمل كصائغ محلي، وعلى يد عدة فنانين يرسمون على الطراز الباروكي وهو الاسلوب الشائع في تلك الايام. وكان الحج الى ايطاليا للدراسة ما زال يعتبر شرطاً

لا بد منه، ومع ذلك فيجب ان تكون زيارة غويا قد جاءت مع نشر رائعة "ونكلمان" في ١٧٦٤ التي اعادت تقييم الفن اليوناني واحيت الروح الكلاسيكية من جديد، والاكثر بدهشة كانت اضطرابات "اسكويلاش" في مدريد التي شاهدها غويا في آذار ١٧٦٦. ومع ان الاضطرابات كانت موجهة ضد اشكال الازياء الاجنبية وانتشار الوزراء الايطاليين في البلاط، فقد كانت كذلك تأكيداً للتقاليد الاسبانية.

ولابد ان هذا الشاب الريفى الذي شاهد مدريد للمرة الاولى ان يكون قد ارتبك وابتهج للتيارات المعارضة من سياسية وفنية التي كانت شائعة في العاصمة في الثلث الاخير من القرن الثامن عشر.

لم تكن رسوم غويا في بدايتها عادية فحسب، فقد كانت تتم عن جوانب ساخرة ومتعددة تتكيف مع اي اسلوب، او رغبة، علمانياً كان او اكليركياً. وهكذا اتسمت سنواته الاولى، باختيار ينسجم مع ما يعطيه من امثلة غير بارعة من الزخرفة الكنسية المفرطة في التعقيد فضلاً عن مواضيع معالجة بالطريقة الكلاسيكية، هذه المقدرة على العمل في وقت واحد في مواضيع متضاربة وعلى نطاق واسع من الاساليب بقيت صفة مميزة عند غويا طوال حياته. في هذه الحقبة كان يبدو غير مكترث للقضايا السياسية والاجتماعية في تلك الايام، بل يوجه جهوده لكي يصبح الرسام الرسمي للبلاط. وكان زواجه سنة ١٧٧٣ من خوسيا بايو شقيقة احد الفنانين الطليعيين في مدرسة "مانغس" للرسم الكلاسيكي الحديث خطوة مفيدة لتحقيق غايته. ففرنسيسكو بايو، ذلك الرجل الصارم، المتعكر المزاج، علم مع ذلك نسيبه تقنيات جديدة، وبالرغم من المشاحنات الشخصية العديدة، فقد ساعد ذلك غويا على التقدم في مهنته.

وكانت اولى النتائج تلك المناظر الريفية التي رسمها غويا في اولى لوحاته وتحولت بعد ذلك الى تصاميم للجدرانيات الملكية، والاشكال النموذجية الاسبانية كانت تلك التي تمثل "الماخا والماخو" والمتعجرفين بالالبسة الانيقة ذات الاسلوب المحبب الى الطبقة الفقيرة والاريسقراطية على السواء. ومع انها اخاذة اكثر مما هي مبتكرة فقد اشرت الرسوم "التصاميم" من البداية الى ما سوف يحدث في ما بعد. وقد قالت انطونيا فلانطين حرفياً: "ان غويا في رسومه "التصاميم" كان كالشاعر العظيم الذي يخطط بالنثر التافه عناصر قصائد ينظمها في ما بعد لتصبح خالدة".

والتقدم المفاجيء الذي حصل في سيرته هو تكليفه برسم صورة بالالوان للكونست فلوريدا بلانكا، رئيس وزراء شارل الثالث. وقد كان الكونت مثل غويا، من اصل متواضع، ليبرالياً حراً ومعادياً لكل من يعيق التقدم وانتشار المعرفة. والفرق بين الاثنين هو ان غويا، وقد أصبح في

الاسبانية يدركون نسبهم ومركزهم الاجتماعي الا انهم تشربوا روحاً ديموقراطية مما جعلهم يتقبلون بسرور صحيفة الماخو (المتأنقين)، ومصارعي الثيران، والكتاب والفنانين. وغويا الذي دخل الاربعينات من عمره باشر سلسلة رسوم للافراد والعائلات، تشمل رسوم العائلة الغرية اوسونا، وابن الملك دون لويس وشقيق الملك. لقد دخلت ماريا تيريزا، حفيدة الملك البالغة من العمر سنتين، على الفنان وهو يرسم لوحة جامعة. وبعد سبعة عشر عاماً، تماماً، قام غويا برسم صورة لها كزوجة مانويل غودوي، الرجل المفضل في البلاد والحاكم الحقيقي لاسبانيا، يكشف فيها شقاء الزواج الخالي من الحب.

لم يكن يبدو هناك من تلميح الى مأساة مستقبلية في هذه الاعمال المبكرة، ولكن نزوع غويا الى النوعية المختلفة، وهو انعكاس لموقفه الشخصي تجاه موضوعه، عرف بسرعة وكثير التعليق على الموضوع، فصورة شارل الثالث بملابس الصيد تظهر عاطفة كبيرة وتفهماً لصاحب الجلالة الملكية، بينما الكونت كابرولس، والد مدام تاليان، قد رسم بوضع متوتر يفوق الخيال.

في ٢١ ايلول ١٧٨٩ بدأت احتفالات الايام الثلاثة الرسمية بمناسبة اعتلاء شارل الرابع وماريا لويزا كملكين جديدين عرش اسبانيا. وكان قد تم اقتحام الباستيل واحتلاله، ولكن ذلك كان عالماً آخر. وبالرغم من ان غويا كان ساخطاً لتعهداته بانجاز رسوم تصاميم الجدرانيات للبلاط، فقد كانت المهمات والطلبات تنصب عليه من الاغنياء وكذلك من الممثلين واصدقائه الشخصيين. وخلال هذه المرحلة التي تبدو في الظاهر مرضية فقد كان هنالك صخب داخلي يتجمع في اعماق الفنان يوازي كثيراً الاكتئاب الذهني الذي يعانيه السياسيون التقدميون والكتاب كجوفلانوس صديق غويا. وبالرغم من مواظبته على اعتماد الاساليب التقليدية، فقد اخذ غويا اكثر فأكثر بتحبذ لمسات الفرشاة القصيرة والقوية، حتى استعمال الخرق والاسفنج لوضع التلوين. واخذ يعمل باسرع ما يمكن حتى يلتقط الانطباع الاول ويحوله الى لوحة. والخلفيات اصبحت مظلمة خالية من التفاصيل غير الضرورية. وظهر على نحو واضح تأثير كل من رامبرانت وفيلاسكيز في استعمال طريقة توزيع الضوء والظل في الصورة للحصول على تأثير نفسي اكبر.

### شلل وصمم جزئي

وفي ١٧٩٢، تلك السنة المشؤومة التي تسلم فيها جودوي زمام الحكم من فلوريدا بلانكا، اصاب غويا مرض شديد اثناء زيارته لاندلس وبدأ في احد الاوقات تخوف من ان يفقد بصره، وحتى



١- الثوب فلوري دالانكا (١٧٢٨ - ١٨٠٨) كان وزيراً بارزاً للملك شارل الثالث. ويبدو غويا الى اليسار.

السابعة والثلاثين من عمره لم يكن قد اشتهر بعد، بينما فلوريدا بلانكا - كما يظهر بوضوح من صورته الرسمية - كان ينعم بمركز رفيع. ويسيطر رئيس الوزراء على اللوحة تماماً، وتلتف حوله شارلات الشرف والوظيفة: وجه متعطر يحرق بتركيز في وجه الناظر اليه، متجاهلاً تماماً امين سره الوجع في الخلف والفنان الذي يقف باحترام يعرض لوحة على انظاره.

### مصور اشخاص

لا تعد اللوحة من الروائع - انها فعلاً تفاهة نيوكلاسيكية - انها كانت الرائدة والمبشرة بصعود غويا والاعتراف به كمصور اشخاص. ومع الشهرة اتته الثروة وكذلك درجة من الاستقلال الفني اتاح له بدوره اساليب جديدة للتعبير الفني.

وقد تم لغويا الآن الانخراط في المجتمع الاريسقراطي وكذلك في عالم الادب، وبالرغم من ان الكثيرين من انبل العائلات





المرأة العظيمة - ١٧٩٢ - لـ جيمس إلينج - بريشة

حياته، فكانت النتيجة شللاً وصمماً جزئيين مما عوض الفنان رؤيا باطنية قوية، وما لبثت ان قامت الحرب بين اسبانيا وفرنسا الثورية، واخذت اسبانيا تفقد استقرارها، فضلا عن علاقة الملكة المفضحة بغودوي والتي هزت ايمان الشعب التقليدي بحكامه. وقد رأى غويا المجتمع على جميع المستويات وكأنه مختبئ وراء قناع ليخفي طبيعته المنحطة. فلم يعد مهما ان تكون مواضيعه رسميين من الحكم او قرويين يحتفلون بانتهاء موسم عيد المرفع (الكارنفال) فالجميع اصابهم الخبل، وكذلك كل حشد من الناس الذين يتجمعون اما لمشاهدة موكب ضاربي السياط، او مصارعة الثيران، او نزلاء مصح الامراض العقلية. وسرعان ما يتحد المشاهدون والنضحايا بهذيان شامل. هذه السلسلة من التسلية الشعبية سمحت لغويا ان يغزو ويتفحص عالم المستيريا الجماهيرية، والخرافات والجهل، وهو موضوع يمكنه الرجوع اليه بصورة اقوى.

تعرف خلال احدى ايام عام ١٧٩٥ الى دوق ودوقة الباسا. وكانت ثروة الاخيرة تضاهي ان لم نقل تزيد عن ثروة العائلة المالكة. وكان العداء المشترك بين الملكة والدوقة موضوع فضيحة مستمرا ساعد على وضع الحوادث المشؤومة في باريس بعيدة عن الاضواء. وبعد وفاة الدوق في ١٧٩٦ امضى غويا عدة اشهر في ممتلكات الباسا في سانلوكار بالقرب من قادش، لمؤاساة الارملة التي نفتها ماريانا لويز من مدريد وكانت تحقد عليها. ومع ان اللوحتين اللتين رسمتا بالحجم الطبيعي للدوقة، تلك المرأة القوية الارادة، هما مما يثير الاعجاب فنياً، الا ان فيهما شيئاً من الانقباض وتنقصهما الحيوية.

كان عمر غويا الآن قد تجاوز الخمسين، وهو ذلك الريفى الصلب، القوي البنية، الذي لا يزال قليل الثقافة. وكانت الدوقة التي تصغره بعشرين سنة تقريباً، تنسوق الى رفيق اكثر اناقة ومفعماً بالحيوية. من هنا انتهت تلك العلاقة وعاد الفنان الى مدريد والى افكاره الكثيرة.

### مشروعان مختلفان

وكما هي الحال في اغلب ايام حياته، بدأ غويا الآن يعمل في مشروعين مختلفان تماماً الواحد عن الآخر. ففي ١٧٩٨ كلف بتزيين كنيسة سان انطونيو دي لا فلوريدا الجديدة بمشاهد تصور معجزة قام بها هذا القديس. ولم تكن الاشكال العامة تنم عن حيوية وروعة وانما يبدو ذلك بخاصة في حشد من الاشخاص، كل يمثل بحد ذاته معجزة فنية.

وبعد عدة سنوات من وفاة غويا في فرنسا اعيد جثمانه الى مدريد ودفن امام مذبح الكنيسة التي بُنيت فيها حياة جديدة، تقرباً كما اعاد سان

### انطونيو الحياة الى الرجل الذي مات.

في الوقت ذاته تقريباً بدأ غويا سلسلة محفورات تحمل عنواناً عاماً هو Caprichos - "اهواء فنية" - يفترض ان تكون سلسلة بريئة لرسم غربية يقصد منها ان تمثل مرآة المجتمع. لم يتقبل احد هذا العمل الساذج وعلى الاقل معاصروه. فكانت الثمانون قطعة من هذه "الاهواء الفنية" سلسلة متعاقبة من الهاء والسخرية تؤكد على تعليقات الفنان اللاذعة التي ترافق كل مشهد. فهي بغرابتها وهلوستها صورة خالصة عن مرض اسبانيا الاجتماعي والسياسي. ومع ان غودوي اغرق عن غير قصد بلاده بالحرب ضد فرنسا الثورية فقد تمكن من التمتع باللقب الوهمي: "امير السلام". وقد فاخر مرة بقوله: "ان اسمي يعني" Goda Soy اي انا القوي" وعلى هذا فان سلسلة نسبة ترجع الى القوطيين. وقد رسم غويا صورة حمار يدرس باهتمام سلالة بالطريقة نفسها. حتى ان دوق الباسا لم تنج من اذاه نظراً للطريقة الوقحة التي صرفت بها الفنان. انما مثل هذه المؤشرات الشخصية هي عرضة لموضوع "الاهواء الفنية"



□ فرانسيسكو غويا: رسم للعنان بريشته حوالي عام ١٧٧٥ (المتحف البلدي - ساراعوسا).

عاماً، وفي رائعة أخرى تحليلية استطاع غويا ان يرسم نفسييتها وهي تحمل طفل زوجها القاسي، ويبدو فيها غودوي بمظاهر الابتذال في وضع غير عسكري وبهيكله الضخم مضجعا على كرسي منقوش وفي خلفية متنافرة.

لعل غويا اخطأ في ولائه غير الواضح طوال حياته، ولكن صوته الباطني الفني كان ينطق بصدق اخلاصه، وليس ادل على ذلك من اللوحة الاخاذة لعائلة شارل الرابع التي رسمها عام ١٨٠٠، والواقع ان احداً من الفنانين لم يصف قبلاً الانحطاط الشامل للأجيال القادمة بضربة ريشة ارشق من ريشته البارعة، اما وقد اصبح الان في الخمسينات من عمره فقد امتلك غويا أخيراً الثقة بفعل عبقريته القادرة.

ولم يحل تعيينه كرسام اول للبلاط سنة ١٧٩٩ دون اضماد مقته المتنامي للجنس البشري وانكفائه الى عالمه الداخلي، وسرعان ما سجن صديقه جوفلانوسن لاوهي التهم، وسنة ١٨٠٢ ماتت دوقة البا بصورة غامضة، ولم يكن لها من العمر سوى ٤٠ سنة.

وفي الواقع فان غويا قد تقاعد بعض الشيء بينما هو في اوج عطائه وشهرته الفنية، فلم يعد

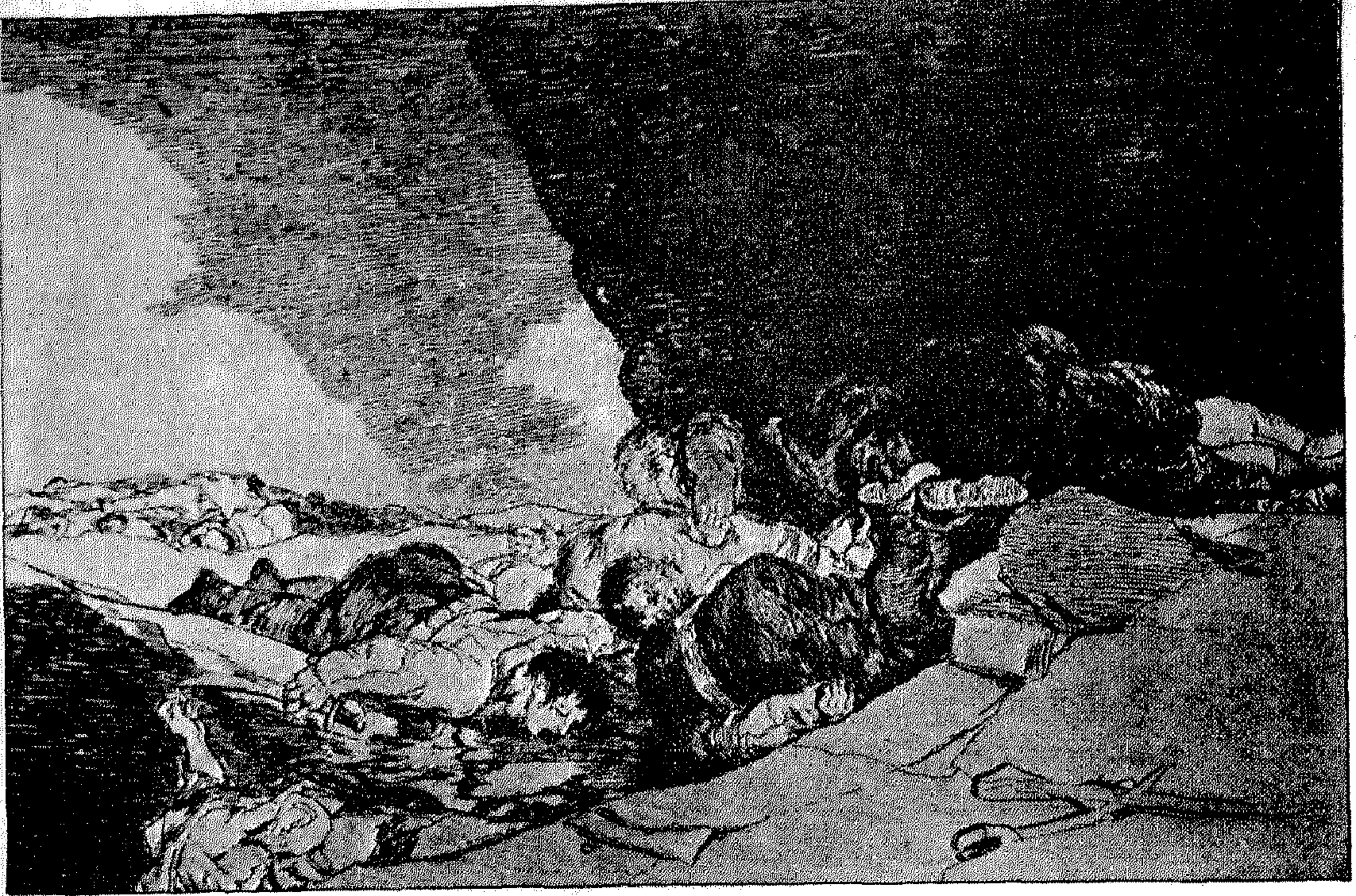
الرئيسي الذي يمثل شبح الجنون المخيف بكل اشكاله، اذ يظهر في احدى المحفورات رجل - لعله غويا نفسه - يتهالك يائساً على طاولة تنقص عليه مخلوقات ليلية بطريقة بشعة، وقد كتب الفنان تحتها هذه العبارة: "نوم لعقل يولد الوحوش المخيفة".

وهكذا فان القرن الثامن عشر الذي يفخر بأنه عصر النور قد مات، وان عصراً من الرعب اللاعقلاني، كما تخططه "الاهواء الفنية" اصبح على الابواب.

### ولاء غويا

ومهما كانت مشاعر غويا الشخصية فانه في سلوكه العام اظهر تصرفاً مميزاً، وباستسلامه ظاهراً الى مراهنات غودوي - الذي تعلم حتى مبادئ لغة الاشارة التي يتحدث بها مع الفنان الاصم - فقد رسم غويا زوجة هذا المقرب من البلاط وبعد ذلك بوقت قصير رسم "امير السلام" نفسه بملايسه المبهرجة، ان زوجة غودوي، وهي ابنة عم الملك، والان الكونتس تشنشون، قد فقدت كل ملامح براءة الطفولة التي التقطها غويا قبل سبعة عشر





□ مأسى الحروب ، رسمت ايام حملة نابليون بوناپرت لاسبانيا • (الجمعية الملكية للفنون الجميلة) •

وبعد هزيمة الفرنسيين غير المتوقعة في "بابلن" والمقاومة البطولية لسرقسطه المحاصرة تحت امره خوسيه بالافوكس، عاد غويا الى موطنه في تلك المقاطعة وتوجه منها لزيارة المدينة. وقد تأثر غويا للدمار المرعب الذي حصل خلال المراحل الاولى من الحرب ولبطولة الجنود الاسبان وكذلك المواطنين العاديين. ومحفورته لاوغستينا سرغوزا وهي تطلق المدفع بعد موت طاقمها اكتسبت قوة رمزية •

حدثان متزامنتان كان لهما تأثير في موقف غويا. الاولى كانت قيادة نابليون الشخصية للحرب وثبتت اخيه جوزف على عرش اسبانيا الخالي. وخلافاً للرأي الاسباني، كان جوزيف من الاحرار المستنيرين، تواقاً حقاً للقيام باصلاحات كالغاء محاكم التفتيش والحقوق الاقطاعية. ومخططاته الطموحة لتحسين مدريد، ودعمه للفنون، جعلت هذا الملك الدمث الاخلاق شعبياً حقاً بين اولئك القلائل الذين تقربوا منه. ومع ان غويا لم يرسم لوحة رسمية "للملك الدخيل" فقد نسخ صورة لجوزيف عن مطبوعة وعرضها بشكل ظاهر في "رمزية لمدينة مدريد". هذه اللوحة خضعت لتغييرات متتابة في السنوات التي تلت عكست مساوىء الحرب. وفي ما بعد في القرن

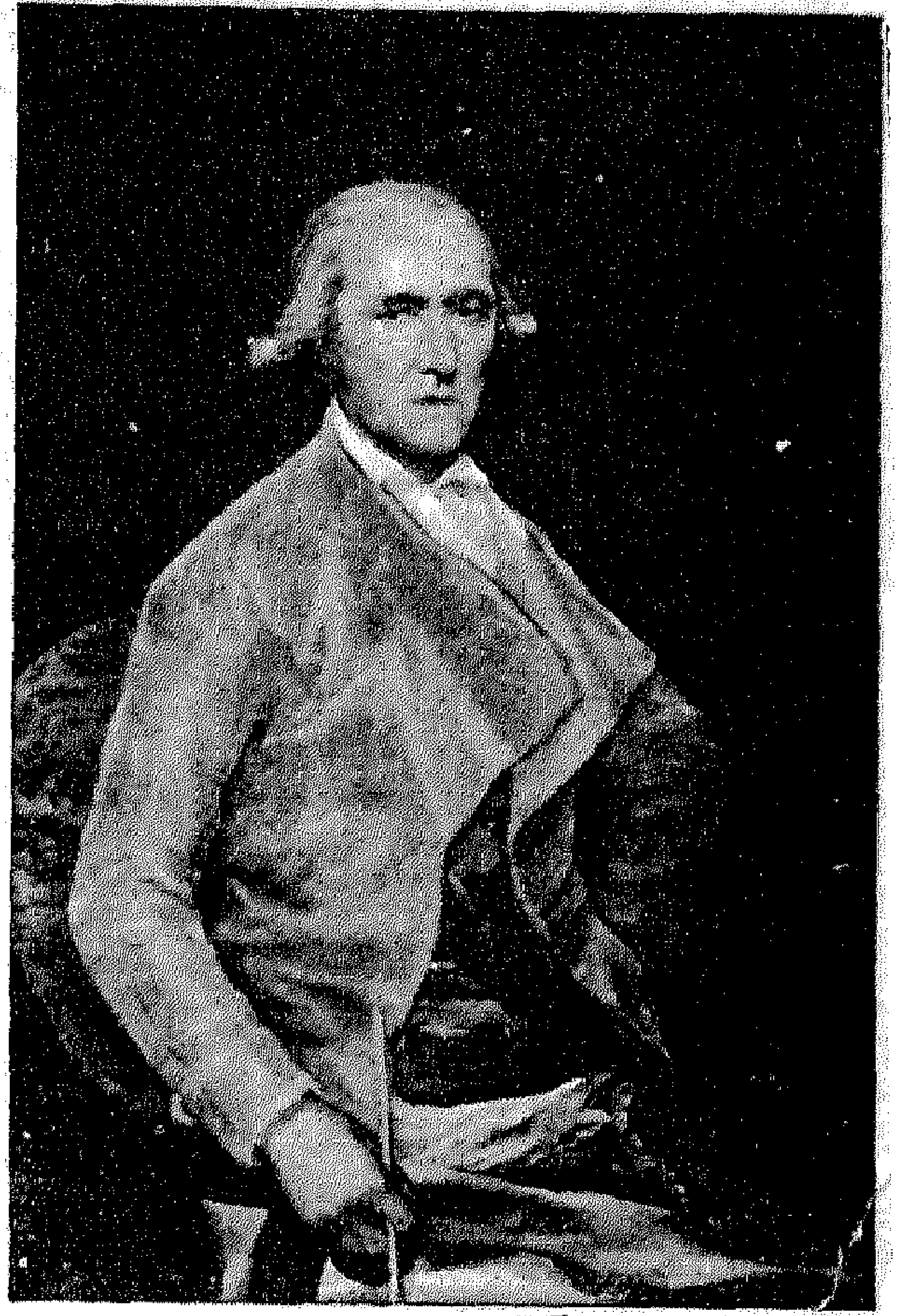
ثمة من صور لشخصيات البلاط، ومن الصعب تحديد تاريخ لوحات هذه الحقبة القاحلة بدقة لانها تختلف من حيث الاسلوب والالهام. والوحيدة كانت الغزوة النابوليونية وما تبعها من ازمة وطنية سنة ١٨٠٨ هي التي ايقظت عبقرية غويا الراقدة في سن الثانية والستين. وقد اضيف آنذ الى رؤياه الذاتية كرهه للحرب والدمار المنتشر.

فالحالة التي وجد غويا نفسه واقعاً فيها كانت نموذجاً يمثل الكثيرين من الاحرار الاسبان. وبالرغم من انه اغتبط لتنازل شارل الرابع وماريا لويزا، وابتهج لسقوط غودوي (الذي وجد في حوزته كلتا اللوحتين للسيدة الشهيرة)، فالمذبذبة وما تبعها من انتقام غير ضروري بعد الثورة الشعبية في الثاني من ايار حولت الحماس المبتدئ للافكار الفرنسية الى نفور عميق منها. وبالرغم من ان هناك اساساً واهياً للقول بأن غويا قام بدراسات دقيقة للضحايا التي سقطت، فمما لا شك فيه ان وحشية تلك الساعات انطبعت في اعماق ذهنه. وعندما قام بعد ست سنوات برسم لوحتيه الزيتيتين الخالدين فان تفاصيل هذه الحوادث الاليمة لم تكن قد تخلت عن تأثيرها عليه.

اشتملت على التمثيل بالجنث - غيرت تماماً طبيعة الحرب بأكملها ، فامتلات نفس غويا اشمئزازاً لهذه المذبحة المفرطة وذلك القدهور الانساني ، وبادر الى رسم النهب والدمار بشكل دائم ، والقوى المكبوتة التي لفتت الانظار سابقاً في "الاهواء الفنية" تفشت الآن في الارض ، وظهر تخطيطها في المحفورات التي تشمل "نكبات الحرب" وتكشف الهول الكامل للحرب الشاملة ، ان المشاهد الواقعية للاغتصاب والفظائع الاخرى التي قام بها المدنيون بعضهم ضد البعض هي اتهام بليغ للحروب في جميع الازمان ،

والكرب الذي عاناه غويا كان باطنياً ، في الواقع لم تعرف "النكبات" الا بعد وفاته بفترة من الزمن ، فبدلاً من توزيع الاثم على هذا الجانب او ذاك لاسباب وطنية فقط ، فقد ادرك غويا ان الجريمة الحقيقية هي الحرب نفسها ، لقد بقي اثناء القتال في مدريد يرسم اصدقاءه وافراد عائلته وكذلك الافراد العسكريين الذين كانوا يملكون عرضاً ، وفي احدى نزهاته القليلة خارج العاصمة رسم دوق اوف ولنغتون في "البادي توميس" مباشرة بعد معركة ارابيليس (سلامنكا) سنة ١٨١٢ ، في جلسة قيل انه جرى فيها شيء من تبادل الهجمات بين قائد وفنان ، واللوحة التي تمثل ولنغتون على متن جواد والتي رسمت في ما بعد لا تثير الاعجاب ، حتى ان اللوحة الشهيرة التي تمثل في البزة الرسمية تفتقر الى التعمق الفني ، ولا يقال الشيء نفسه عن اللوحة ذات الحجم الطبيعي لفرديناند السابع لدى عودته من المنفى الفرنسي ، انها تمثل بعض ما اختزن من كراهية الملك الجديد وحقدده على كل لمسة ريشة ، وهي خلاصة وافية لكل الشر الذي واجهه به اولئك الاحرار والوطنيون الذين كانوا قد حرروا اسبانيا من الفرنسيين .

يبقى ان غويا غادر الحياة تاركاً للناس ومضة من الامل ان "نكبات الحرب" ذلك العرض للكراهية والرعب ، ينتهي بسمة مميزة متفائلة توجب الدهشة "الحقيقة والصواب" عاداً الى الحياة بتفجر من نور متألق ، وكما كان في حياته الخاصة ، فان غويا يروي لنا أن الشدائد هي تحد يجب التفوق عليه ، ولعل هذا هو الجواب على كل ذلك .■



(متحف البرادو - مدريد) ١٧٦٥

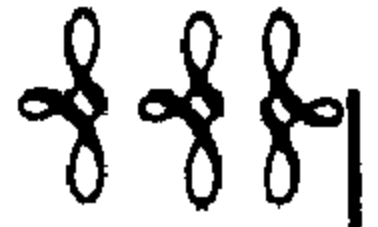
التاسع عشر ازيلت التغييرات التي رسمت فوق صورة جوزيف واستبدلت بلفيات كتب عليها "دوس دي مايو" ، واهم من ذلك ، فقد رسم غويا عدداً من الاعيان الفرنسيين خلال احتلال مدريد ، بما في ذلك الجنرال نيقولا غوي وبضعة من الاسبان المتفرنسين ، وبصفته رسام البلاط فقد اوكل الى غويا مهمة المساعدة على اختيار خمسين عملاً من الاعمال الفنية الاسبانية لتزيين متحف نابوليون في باريس .

اما الحادثة الثانية فكانت نتيجة للاولى ، اذ ان هزيمة نابوليون لعدة جيوش اسبانية قد بلورت المقاومة وحولتها الى حرب عصابات شاملة انهمكت قوات الاحتلال بهجمات المتكررة ، وما نجم من فظائع قام بها الطرفان - غالباً من النوع السادي

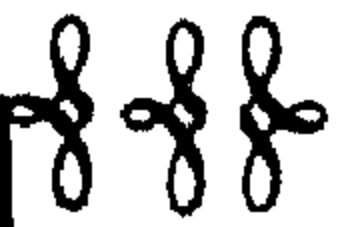
■ عن مجلة History Today

آب أغسطس ١٩٧٣





# جون روكفلر



الصوره

حقيقه

جعلته

اغنى اغنياء العالم ..

الآن ديكو

ترجمة: مركز الدراسات والبحوث في تاريخ العرب والعالم

جون د. روكفلر، اغنى اغنياء الولايات المتحدة الاميركية والعالم في القرن التاسع عشر، يعتبر نموذجا للانسان الناجح في الدول الغربية الرأسمالية. تحدث وكتب عنه الكثيرون ولكن لم يستطع ان يبرز شخصيته الحقيقية بكل عريها الا الكاتب الفرنسي "ألان ديكو" (١) الذي ربط بحق بين طموح روكفلر الى النفوذ والسيطرة وبين الفترة الذهبية للرأسمالية الاميركية في بدء انطلاقها وازدهارها.

لا يسرد ديكو في مقالته مجمل السيرة العامة والفاضة لجون د. روكفلر، وانما يشدد على هذه الظاهرة الفريدة من نوعها في العالم والتي لن تتكرر اطلاقا في عصر الاحتكارات والتكتلات الاقتصادية المضخمة: ظاهرة تكديس اكبر ثروة مالية في عالمنا المعاصر بين ايدي انسان فرد انطلق من الصفر ووصل الى ذروة النجاح المادي باستخدام اساليب شتى لا علاقة لها اطلاقا بالاخلاق العامة. من هنا يؤكد ديكو على هدفه من خلال هذا البحث وهو الاجابة عن السؤال التالي: هل عرف هذا الملياردير السعادة؟ والجواب يصدمنا عند كل منعطف في حياة جون د. روكفلر.

(١) راجع مقالته في مجلة "ايستوريا" الفرنسية عدد تشرين الثاني ١٩٧٨، ص ٣٠ - ٤٥.

■ في الثامن من تموز ١٨٣٩ ، وفي قرية صغيرة من منطقة "ريتشفورد" شمال شرقي الولايات المتحدة الاميركية ، ولد جون دافيدسون روكفلر .

كان والده ، وليام الملقب بـ "بيغ بيل" ، من اكبر دجالي عصره واكثرهم دهاء وعريضة . بطاقته الشخصية التي صادق عليها هو من غير استشارة اية سلطة رسمية في المقاطعة ، كانت تتضمن الكلمات الآتية: "دكتور في الطب ، اختصاصي في امراض السرطان والسل والروماتيزم وامراض الجلد" . زبائنه: الصيادون والمغامرون على اختلاف مشاربهم والهنود الحمر ، علاجه السحري الذي كان "يشفي" كل هذه الامراض: مياه طبيعية مع قليل من السكر محفوظة في اناء .

... وعلى الاقل فانه كان يبيع مرضاه بعض الامل .

معظم الاموال التي يجنيها كان يخسرها في القمار ، وعند ذلك كان يعود مرة اخرى الى "مهنته" الطبية .

كان يزور زوجته واولاده في ختام كل جولة من جولاته الاستشفائية وقبل ان يرتاد الخمارات ، فيدخل الى منزله المتواضع مبتسما فرحاً بجعبته المليئة بالدولارات . وكان جون الصغير لا يراه الا في هذه الحالة الميسورة ، ومن هنا انطبعت في ذهن الفتى البريء صورة زاهرة عن والده .

لكن المال الحرام لا يدوم ، وتقع المصيبة: ففي يوم من ايام تموز ١٨٤٩ ، وكان جون في العاشرة من عمره ، تبلفت عائلة آل روكفلر قرار المحكمة بمصادرة كل املاك الاب وبيعها في المزاد العلني . ويكشف المؤرخ الاميركي "آلين" عن حيثيات قرار الاتهام التي تقول ما يأتي: " ... بسبب تعرضه في شكل عنيف وغادر للسيدة ... ، واختطافها رغماً عنها واغتصابها مما يشكل تجاوزاً للقوانين العامة وانتهاكاً لكرامة شعب دولة نيويورك " (٢)

من يومها اصبح روكفلر الاب مطارداً لا يأتي الى المنزل الا خلسة وتحت جناح الظلام ليلتقي مع افراد عائلته (زوجته واولاده الستة) ، وما يلبث ان ينطلق هارباً كالطريدة ، عند بزوغ الفجر . واصبح انساناً غريباً تروى حوله الروايات وتنسج القصص والاقاويل والاشاعات الى درجة ان احداً لم يعرف كيف واين مات .

### جون وحياة التقشف

اذن ، بدأ جون الصغير ومنذ العاشرة من عمره حياة تقشف تختلف تمام الاختلاف عن حياة "البذخ" التي عرفها في الصغر من دون ان يعيها . واخذ منذ ذلك الحين يقدر قيمة المال حق قدره . ذات يوم اهداه احد الاقارب ديكتين حبشيين . فما كان من جون الصغير الا ان رباهما فتكاثرا ، ثم عرض كل ما لديه للبيع في اعياد نهاية السنة وكان قد بلغ الثانية عشرة من عمره ، فحصل

بالمقابل على الخمسين دولاراً الاولى في حياته من تعب وجهده .

بعد فترة وجيزة عمل عند احد المزارعين لمدة ثلاثة ايام في جمع البطاطا مقابل ٣ دولارات ، لكن العمل كان مرهقاً للغاية وهو لم يعتد بذل كل هذه الطاقة مقابل ٣ دولارات فقط . فكيف يزيد امواله القليلة بسرعة ومن غير جهد جسدي مرهق ؟

وجد جون الصغير الحل صدفة بفضل جراته: فقد عرض على احد المزارعين المعوزين الخمسين دولاراً مقابل فائدة قدرها ٣ دولارات ونصف الدولار . وبعد اشهر قليلة استعاد المبلغ بكامله مع الفائدة . وهكذا اكتشف قانون الرأسمالية المقدس على طريقته الخاصة بما كان يناسب عمره ، عندما قال: "فهمت منذ ذلك الوقت انه من الغباء العمل من اجل جمع الاموال . يجب ان تعمل الاموال هي لا غنائك" .

لذلك كان من الطبيعي ان يدخله اهله ، فور انتهائه من المدرسة الابتدائية ، الى مدرسة التجارة في كليفلاند حيث برع في الحساب في شكل قل نظيره في تاريخ المدرسة . صحيح انه كان ينفر من كل ما له علاقة بالادب والتاريخ والفنون والعلوم ، الا ان ميله الشديد للارقام كان يعوض بعضاً من تقدير الاساتذة له .

فور تخرجه من مدرسة التجارة ، وكان في السادسة عشرة من عمره ، بدأ بالبحث عن عمل ما اي عمل . وكان في كل مرة يصطدم بالرفض: "لا عمل لك عندنا يا صغيري" . هذا هو الجواب الذي كان يتلقاه . ويعود في المساء الى البيت خائباً .

ذات يوم قال له احد الذين توجه اليهم ، وكان مساعد مدير شركة "هويت اند تيوتيل" للنقلات: "اصبح الوقت ظهراً . اترك لي مجال الغداء . سنتحدث في الموضوع في ما بعد" . وانتظر جون الصغير على باب المبنى من الساعة الثانية عشرة ظهراً حتى الثانية بعد الظهر . ولدى عودته استغرب رب العمل وجوده وسأله: "هل ما زلت واقفا هنا منذ الثانية عشرة ظهراً؟" اجاب جون: "نعم . قلت لي ان اترك لك مجالاً للغداء فانتظرتك . لم اكن اعرف انك ستغيب طويلاً لانني انا شخصياً اتغدى خلال ربع ساعة فقط" .

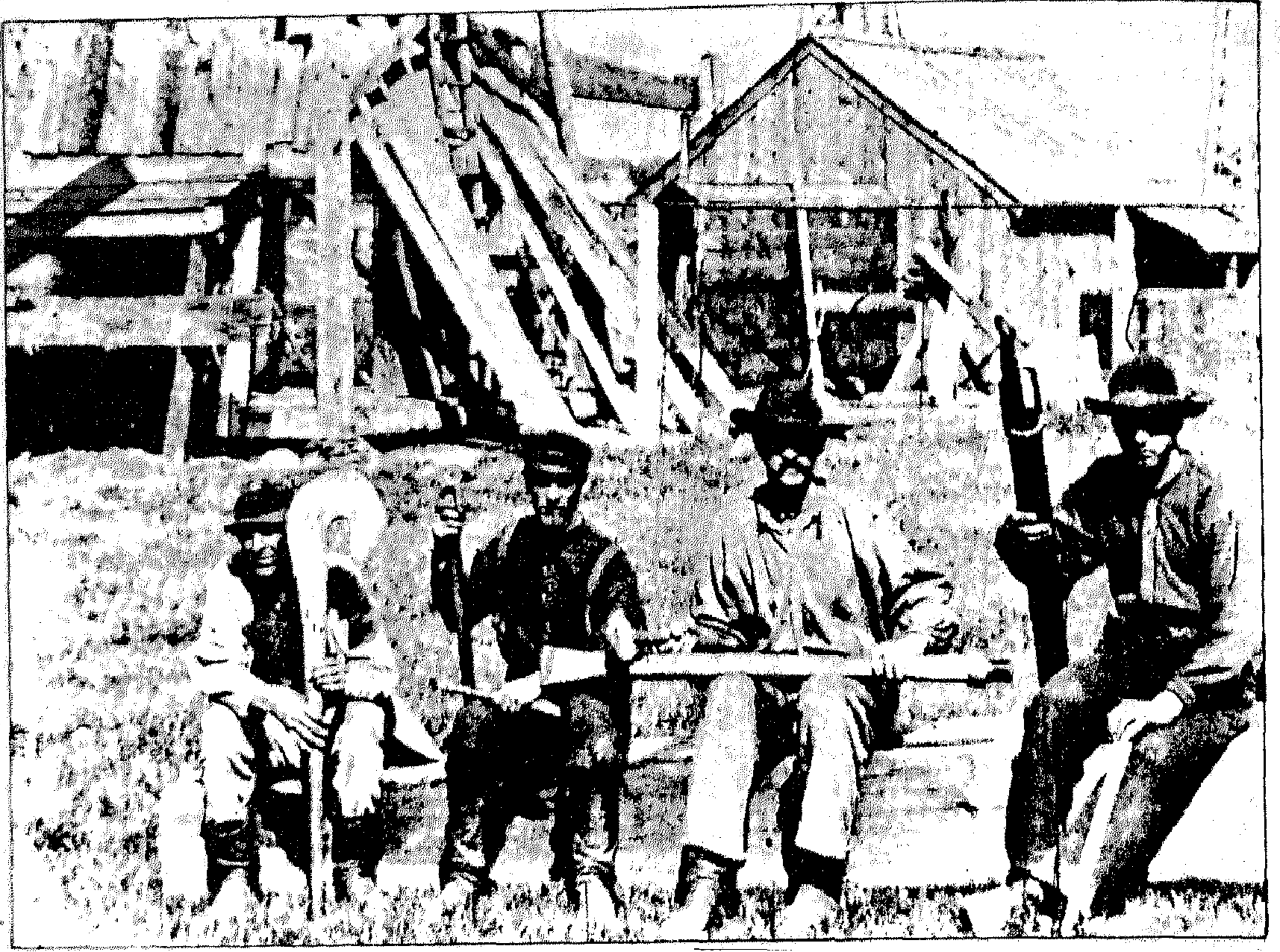
وهكذا ببراءته كسب جون الصغير الجولة الاولى: عمل فترة قصيرة كمساعد محاسب في شكل تجريبي ، ولما أبدى نشاطاً ملحوظاً تم تثبيته في وظيفته . كان ذلك يوم ٢٦ ايلول ١٨٥٥ . هذا اليوم التاريخي الذي كسب فيه جون د. روكفلر نصف دولار اصبح من الايام التي ظل يحتفل بها سنوياً طوال حياته .

### تقاليد صارمة

واخذت شخصية جون تنضج وتتكامل . وهذا لم يمنعه ابداً من التمسك الصارم بتقاليد عائلة آل

(٢) كثيرون من الصهاينة الاميركيين شككوا في صحة هذا الاتهام الا ان ر. كورو ، مؤرخ سيرة جون د. روكفلر ، ذكر في كتابه "روكفلر ملك النفط" (منشورات بايو ، باريس ١٩٣٤) انه لدى مراجعته للسجلات القضائية الرسمية ... الصفحة المطلوبة مفقودة .





□ البدايد ٠٠ عندما اكشف البسرول عام ١٨٥٩ !

وتابع جون عمله الروتيني في الشركة محاولا تخطي هذا الفشل الاول في حياته . وبعد ٣ سنوات طالب المدير بزيادة في الراتب . فرفض الطلب . فما كان منه الا ان قدم استقالته .

ولكن لم يبق طويلا بلا عمل اذ التقى ذات يوم بشاب انكليزي اسمه كلارك . كان هذا اللقاء بحق لقاء عمل بين رجلين اعمال طموحين: جون كان يدخر حوالي ٩٠٠ دولار وكلارك ٢٠٠٠ دولار . فعرض الاول على الثاني انشاء شركة للنقليات مثل شركة "هويت اند تيوتيل" ، ربما تحديا للذين رفضوا تقديره حق قدره .

وهكذا تأسست في كليفلاند شركة "روكفلر اند كلارك" مدعومة بخبرة جون الشاب في مجال النقل والمواصلات .

وتشاء الصدق ان تنشب في هذه الفترة بالذات الحرب الاهلية الاميركية (١٨٦١ - ١٨٦٥) . كان الحدث نقطة تحول في حياة آل روكفلر: من جهة اندفع احد اشقاء جون ، وهو فرانك الى المشاركة في الحرب على رغم معارضة جون الشديدة له ، ومن جهة ثانية استفادت شركة "روكفلر اند كلارك" من الازمة لزيادة اعمالها التجارية وتوسيعها . ففضى شقيقه نخبه في هذه الحرب في الوقت الذي كان جون يكسب الدولارات .

روكفلر ، ومنها اقتطاع جزء من مدخوله للاعمال الخيرية والمثابرة على تأدية الفرائض الدينية بانتظام وخصوصا تسجيل يومياته وارباحه ومصاريفه في مفكرة صغيرة خاصة بالعائلة .

كل شيء كان يشير من خلال يومياته المدونة هذه الى اصراره على ان يظهر بمظهر رجل الاعمال الناجح: كان انيقا لا ييخل في اقتناء افضل الملابس . يستمع جيدا الى محاوريه . يتكلم قليلا وبتركيز شديد ، وقليل ما كان يبتسم . يبدو انه قرأ بامعان ما كتبه كازانوفا (١٧٢٥ - ١٧٩٨) في مذكراته:

"على الانسان الذي يبحث عن الثروة ان يكون مرنا في تصرفاته ، حذقا في معاملته مع الغير ، متحفظا في احاديثه ، ذا شخصية نافذة ، متواضعا احيانا ، صادقا مع شيء من الخبث ، دائما يبدو وكأنه يفهم اقل مما يفهم في الواقع ، صبورا ، ومحافظا على اناقته . . ."

لم تكن تنقصه الا زوجة مخلصه . وأول من وقعت عينه عليها كانت الخادمة . ولكن عندما طلبها من والدتها ، التي كانت مزارعة في القرية المجاورة ، رفضت الطلب رفضا قاطعا بحجة ان ابنتها لا يمكن ان تتزوج من "شاب لا مستقبل له" .

لم تعجبه كل هذه الفوضى وكل هذه الاستثمارات التي يضيع معظمها من غير مردود سريع . والشيء الوحيد الذي جعل من هذه الزيارة زيارة ناجحة بالنسبة اليه كان اكتشافه على الطبيعة ان لا قيمة فعلية للتنقيب عن النفط بل كل الاهمية للنفط بحد ذاته ولتكرير النفط في شكل خاص . لماذا؟ لان حسه الرأسمالي اظهر له بحق ان التنقيب عن النفط يتطلب مخاطرة بينما تكريره لا يؤدي الى اية خسارة نظرا الى انه يوجد دائما من يريد بيع نفطه .

**جون: الفا دولار**

وعلى رغم ان بحثه عن المجد والثروة كان يتم من غير تصنع الا ان الانتقادات القاسية بدأت تنتشر في المدينة، خصوصا تلك المتعلقة بثروته التي جمعها خلال الحرب، كثيرون من اعدائه المهنيين والحاسدين عموما ركبوا الموجة ضد جون الشاب بهدف تحطيمه وهو بعد في بداية انطلاقه، ولكي يقطع دابر هذه المحاولات رضح لمصلحة الضرائب في المدينة ودفع ١٧ ألف دولار عن ارباحه السابقة، وكان هذا المبلغ الضخم يومها يشير الى ثروته الكبيرة.

فتم زواجهما في العام ١٨٦٤ وكان جون يناهز الخامسة والعشرين من عمره، ونجح زواجهما (مع اطفالهما الخمسة) مدى الحياة، اي طوال ٦٥ عاما، وكلمة "نجاح" هنا نعني انهما لم يخدع احدهما الآخر مطلقا.

## ماذا وجد؟

صعق لهذه الحركة الهائلة من العمال الذين يقومون بحفر الابار هنا وهناك وهناك وللتجار الذي يضاربون باسعار الاراضي التي يحتمل ان توجد في جوفها كميات من النفط وللها مشيين من الناس الذين يفرّخون في كل موقع تشتم فيه رائحة الدولارات .



- أولا - الاتصال بأصحاب المصافي الصغيرة وعرض مبالغ عليهم تفوق بكثير أرباحهم السنوية. هذا ما حصل لاحدهم مثلا مقابل ٢٧٠٠ دولارا.

- ثانيا - شن حرب استنزاف اقتصادية وتجارية ضد المصافي الكبرى من خلال عقد الاتفاق السري الشهير مع شركات السكة الحديدية التي تنقل النفط. يتلخص هذا الاتفاق بتخفيض ٥٠ في المئة من اجور النقل لشركته مقابل زيادة ٥٠ في المئة على اجور النقل للشركات الاخرى والادهي من ذلك ان روكفلر استطاع الحصول ايضا على نسبة معينة من ارباح شركات النقل الاضافية. وهكذا كان اصحاب المصافي، الذين لم يقدرُوا تحمل الزيادة الهائلة، لقمة سائغة امام جبروت روكفلر. فماذا كانت النتيجة؟

خلال خمس سنوات (١٨٧٢ - ١٨٧٧) ازدادت طاقة تكرير شركة روكفلر من ٤ في المئة الى ٩٥ في المئة من حاجات السوق العالمية للنفط. وتبقى الـ ٥ في المئة الاخرى.

- ثالثا - بالنسبة الى "المتمردين" الآخرين، كان روكفلر يمهلمهم وقتا اضافيا لـ "اعادة التفكير" في الامر. وفي الوقت المناسب كان يخفض الاسعار مما يهدد بافلاسهم. لكن البعض استمر في صموده. فجاءه الرد قاسيا: بكل بساطة، وبقدرة قادر، يتوقف المنتجون عن تزويدهم بالنفط الخام او يمتنع الزبون الاجنبي عن شراء النفط المكرر. وفي الحالتين تكون الكارثة حتمية في حال عدم الرضوخ لروكفلر.

- رابعا - من بين الـ ٢٦ مصفاة الموجودة حينئذ في كليفلاند لم تبق الا اثنتان خارج كارتيل روكفلر. واستنادا الى قوانين السوق الرأسمالية كان الامر يعني شواذا لا يمكن ان يستمر. وبالفعل لم يستمر.

المصفاة الاولى انفجرت في احد الايام والسبب: خطأ من المهندس الفني المشرف عليها. وحاول عبثا صاحب المصفاة مقاضاة روكفلر بعدما ثبتت علاقته بالمهندس، الا ان الامر انتهى وطوى النسيان الماضي. المهم انه بقي على قيد الحياة.

اما المصفاة الثانية فصاحبها كانت احدى الارامل التي تعيل اطفالها بعدما استشهد زوجها في الحرب الاهلية. وعندما علمت بمخططات روكفلر ذهبت لزيارته وتوسلت اليه ان يتركها وشأنها واستحلفته بشقيقه الشهيد الذي قضى هو ايضا في هذه الحرب. فتأثر كثيرا للدموع. وكعادته في مثل هذه المواقف الانسانية الحساسة وعدها روكفلر خيرا. وفي صباح اليوم التالي طردت الارملة من مصفاها.

ويبدو ان القدر كان يريد مكافأته على جراته. اذ عندما طرح جون افكاره هذه على شقيقه الكبير اندروز الذي كان يصنع الشموع، فاجأه هذا الاخير باكتشافه طريقة جديدة لتكرير النفط تعطي نوعية افضل من تلك الموجودة في الاسواق.

لكن شريك جون، كلارك، لم يستوعب تماما هذه العملية الاستثمارية الناجحة سلفا. فتركه.

وهكذا تأسست شركة تكرير النفط الجديدة من ٣ اشخاص: جون وشقيقه اندروز وهنري فلاغر. وهذا الاخير دعم المشروع بالاموال الاضافية اللازمة التي استقرضها من عمه الذي كان يقوم بتقطير الكحول.

## ولع بالتوفير

وكلما كان العمل يتقدم والدولارات تتكدس، كلما زاد ولع جون بالتوفير. كان يقتصد في كل شيء الى درجة انه اخذ يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في اعمال الشركة الادارية منها والفنية: كان احيانا يوبخ مدير التوزيع بسبب نقصان عدد من سدادات البراميل داخل المخزن...

بعد اشهر قليلة تم بناء مصفاة نفط ثانية في كليفلاند تابعة لروكفلر. وهذا شجعه على افتتاح مكتب تجاري في قلب نيويورك للتصدير نحو اوروبا.

لقد اصبحت لروكفلر ثلاث مؤسسات، فلماذا لا يدمجها في شركة واحدة؟

وهكذا تأسست في ١٠ حزيران ١٨٧٠ اولى الشركات الاميركية العالمية للنفط "ستاندرد اويل اوف اوهايو" برأسمال مليون دولار.

لم يكثر احد يومها لهذه العملية الاندماجية مع انها كانت بداية انطلاق الرأسمالية نحو مرحلتها الاحتكارية. كانت في الواقع ثورة في التاريخ الاقتصادي العالمي. ربما كان ما يلفت انتباه الناس حينئذ ازدياد تمسك جون بالتوفير الى درجة البخل، رغم تدفق الدولارات عليه: فذات يوم كان يركب القطار والى جانبه سيدة من معارفه يتحدث اليها. وعندما مر الجابي دفع جون دولارا. فما كان من الجابي الا ان حسم ثمن تذكرتين. فتجههم وجه جون واحتد قائلا: "ينقص بعض البنسات". اجابه الجابي مرتبكا: "لكن... سيدي... اعتقدت انكم ستدفعون ثمن مكانين". عندها قال جون بهدوء: "لا تحاول ابدا ان تتصور أمورا طائشة".

ولكن... كيف كانت الصفقة المقبلة، اذ لا بد ان تكون أية صفقة مقدمة لصفقات اخرى؟ بكلمة واحدة: السيطرة على كل شركات تكرير النفط الاخرى في كليفلاند وعددها في تلك الفترة كان ٢٦ مصفاة.

وللوصول الى هذا الهدف بذل جون كل عبقريته الرأسمالية الفذة والتي يمكن ايجازها بالآتي:



لـ روكفلر العجوز قبل سنين من وفاته.



## ملك النفط

واخيرا استقر الوضع واصبح جون د. روكفلر ملك النفط غير المتوج. فنقل مقر شركته الاحتكارية الى نيويورك (في شارع برودواي) كما نقل اليها عائلته (في الشارع ٥٤ رقم ٤).

منذ ذلك الحين بدأت العقبات تعترض مسيرته، هذه العقبات التي كان يجد دائما سبل تخطيها باقل الخسائر الممكنة. واهم العقبات ثلاث:

١- العقبة الاولى كانت في افتضاح امر اتفاه السري غير المشروع مع شركات السكة الحديدية. وتنطلق الصحف في نيويورك في حربها الاعلامية والنفسية ضد روكفلر ويتحرك الشارع وتكثر التجمعات التي تسخر من لا اخلاقية جون. كما يهدد المنتجون بوقف امداد مصافي الشركة بالنفط الخام. وتكبر المسألة الى درجة احوالها على القضاء. لكن يبقى السؤال: من الذي كشف سر الاتفاق؟

ولا يطول انتظار الجواب لان الشخص المذكور، ويدعى "ارخبولد"، يكشف الامر بنفسه لجون مساوما على بعض الاسهم في الشركة. فيوافق روكفلر على الابتزاز.

مرة اخرى، وبقدرة قادر، تتوقف الحملات الصحفية وينتشر الخبر السعيد: الفى روكفلر اتفاه السري مع شركات النقل! ورغم ذلك بقي الاتفاق كما كان في السابق.

٢- العقبة الثانية كانت في القانون الاميركي المناهض للاحتكارات ("شيرمان أكت" للعام ١٨٩٠). ومن جديد تقوم القيامة ضد جون روكفلر ويساق الى المحاكم ولجان التحقيق البرلمانية. ودائما كان يجد من يدافع عنه ويقدم الحجج القانونية والاجتهادات المختلفة. الا ان الاهم من كل ذلك كره الناس المتعاضم له. اصبح روكفلر رجلا مكروها حتى من الكنيسة التي كان يتبرع لصندوقها الخيري بملايين الدولارات، اذ ان الكهنة رفضوا في نهاية الامر هذا "المال الحرام".

ولم يكثر ملك النفط لكل هذه الحملات. لم يكن يأبه الا لحسه الرأسمالي الذي بشره بازدهار اعماله اكثر فاكثر عندما شاهد اولى السيارات في شوارع نيويورك. فطن فورا لاهمية هذا الحدث: نفطه سيشكل وقودا لا غنى عنه للسيارات الحديثة هذه.

٣- وكانت العقبة الثالثة هي القضية: ففي غمرة مشاريعه واحلامه في المزيد من اطنان الدولارات، اضطر لاتخاذ قراره الذي هز السوق العالمية والاقتصاد العالمي: الاعتزال. كان ذلك في العام ١٨٩٥ وعمره لم يتجاوز ٥٦ عاما. والسبب: مرض خطير جعله اشبه بالهيكل العظمي خلال اشهر قليلة.

## الحديد... والغولف

هكذا تشاء الصدف.

ويخلقه في رئاسة امبراطوريته عدوه الذي اصبح في ما بعد شريكه: ارخبولد.

وعلى رغم ذلك لم يرحمه المجتمع الاميركي الحاقد عليه حتى في عزلته ومرضه. فترفع الدعاوى ضده للتستر على ملكيته لاحتكار نفطي في صورة مخالفة لقانون ١٨٩٠. ويرضخ ملك النفط اخيرا لحكم القضاء، وانما ليس من غير مقاومة، اذ نجح في اقرار تصفية احتكاره تدريجيا وليس دفعة واحدة. يعطيه هذا الامر وقتا كافيا لتصرف ثروته في شكل او في آخر.

هل ارتاح جون د. روكفلر اخيرا؟ كلا.

حاول في عزلته ان يتسلى بأسهم شركات السكة الحديدية ومناجم الحديد، وسرعان ما تحولت هذه الاسهم الى ذهب، اذ ربح صدفه بضع مئات من الملايين من الدولارات نتيجة تحول لصالحه في البورصة. كل ذلك لم يعد يعني له شيئا. فقرر التخلي عن كل ما له علاقة بالمال والاهتمام فقط بالغولف.

بين سنوات ١٩٠٠ و١٩٣٠ لم يهتم الا بالغولف صيفا وخريفا وشتاء وربيعا. اصبح احد اشهر لاعبي الغولف في الولايات المتحدة الاميركية. كان سعيدا بمهارته الجديدة كسعادته عندما أسس اول امبراطورية للنفط في العالم. لكن سعادته الوهمية هذه كانت تخفي وراءها الخوف. خوفا من الاغتيال لانه كان يشعر في قرارة نفسه انه اكثر الرجال المكروهين في العالم.

ذات يوم، وعلى غير عادة، زاره كاهن اسمه "غيثس" جاء يطلب ٢٠٠ ألف دولار لمشاريع الجامعة الملحق بالكنيسة المجاورة.

لبي جون فورا الطلب على استعداد شيئا من عطف المجتمع عليه. لكن الكاهن لم يمهله لحظة واحدة للتفكير وفاجأه بالقول: "جون. حان الوقت لكتابة وصيتك. لا بد ان تفكر في مستقبل اولادك واحفادك...". مرة ثانية خلال اقل من دقيقتين رضخ روكفلر للطلب. كيف؟ لماذا؟ المهم انه رضخ.

ولسخرية القدر ان "يتخصص" ابنه البكر في الاهتمام بتوزيع ثروة والده وذلك من خلال مؤسسة روكفلر الخيرية التي اصبح يديرها الكاهن غيثس نفسه.

... لم تنته اسطورة جون روكفلر عند هذا الحد. فالتقدرا قسا عليه مرة اخرى واخيرة. ففي عيد ميلاده ٩٧ قال لافراد عائلته الذين التفتوا حوله بشفقة: "اراهنكم انني سأعمر حتى المئة".

وللمرة الاولى فشل جون في رهاته عندما فاجأه الموت - يوم ٢٣ ايار ١٩٣٧، وكأنه يريد ان يقول لملك النفط: "كفى مراهنه".

# البروج الفلكية

## تاريخها .. وأصوائها عليها

اعداد : منى شير

تعتبر البروج الفلكية من المسائل القليلة التي فرضت نفسها على قطاع كبير من الناس ، وهي تلعب دورا مميزا في الحياة اليومية (الاجتماعية والمهنية) لجهة التأثير المباشر وغير المباشر على نفسية الافراد وتصرفاتهم .

وبغض النظر عن الطابع العلمي او الاسطوري لهذه المسألة ، فمما لا شك فيه ، في عصر الفضاء الكوني الذي نشهد اليوم اشاعات بزوغه الاولى ، ان للنجوم والكواكب وكافة المظاهر الفلكية الاخرى تأثيرا معيناً على التكوين البيولوجي للانسان .

اوائل علماء التنجيم الفلكي اعتقدوا ان السماء تسكنها حيوانات وآلهة وابطال . لذا فان اليونانيين القدماء ، كأساتذتهم البابليين والكلدانيين ، اطلقوا على البروج اسماء آلهتهم وابطالهم وصوروها على شكل الحيوانات في اساطيرهم . اما العلماء المسلمون والعرب فانهم - لاسباب لا مجال لدراستها هنا - اهتموا بعلم الفلك عموما اكثر من اهتمامهم بمسألة التنجيم الفلكي .

لكن القلائل الذين اهتموا بالتنجيم الفلكي ابدعوا فيه: نذكر منهم العالم عبد الرحمن الصوفي الرازي في كتابه "صور الكواكب الثابتة" الذي ضمنه رسوما ، معظمها على شكل حيوانات ، لنحو ١٤٢٠ نجما وكوكبا واعطاها اسماء ما زالت متداولة الى يومنا ، مثل الحوت والعقرب والعذراء ، كما نذكر ابا الريحاني البيروني في كتابه "التفهيم لاوائل صناعة التنجيم" الذي يعتبر من امهات المراجع في هذا الموضوع بالنسبة الى الشرق والغرب معاً .

ومن بين العلماء الذين يبدو انهم لم يحظوا باجماع الباحثين والمؤرخين حول دورهم الاخلاق في هذا المجال ، نشير الى "ابي معشر" البجلي مولدا والبغدادى اقامة . اهم مصنف له هو "كتاب المدخل الى علم احكام النجوم" . وفي هذا السياق لا بد من التنويه بالاكتشاف المهم المتعلق بصورة دائرة البروج التي وجدت حوالي الاعوام ٧١١ - ٧١٥ م ، في مبنى اثرى اموي يعرف باسم "قصير عمرو" .

ومما لا شك فيه اليوم ان علم التنجيم الفلكي الاوروبي في القرون الوسطى لم يكن ليتطور وينتقل الى مرحلة نوعية جديدة لولا المساهمات الخلاقة للعلماء المسلمين والعرب الذين استفادوا هم ايضا من انجازات من سبقوهم ليطوروا ويعقلنوا الاسس الاولى لعلم التنجيم الفلكي الجديد .

وهكذا فان مسألة التنجيم الفلكي هي في الواقع جزء من التاريخ العام للحضارات البشرية . ولكل اسم من اسماء البروج الـ ١٢ المعروفة حاليا (١) قصة طريفة يمتزج فيها الخيال بالواقع





## الحلقة الدورية : برج الدلو ٢٠١١ - ١٩ شباط

- الممثلة الفرنسية جين مورو
- العالم الايطالي غاليليو
- الرئيس الاميركي الاسبق ابراهام لينكولن
- الكاتب البريطاني سومرست موم
- العالم الاميركي توماس اديسون
- الممثلة البريطانية فانيشا رديف
- الرئيس الاميركي الاسبق فرانكلين روزفلت
- الممثلة الامركية كيم بوفاك



رسم برج الدلو على لوحه حديد

يرمز الى برج الدلو بتعبير "حامل الماء"، ذلك ان علماء التنجيم الفلكي يربطون دائما بين هذا البرج والماء، ربما بسبب ان الشمس تمر فيه خلال ايام شهر شباط الممطرة، ويذكر ان الفراعنة رمزوا الى هذا البرج برمز جزيرة "الليفنتين" المصرية المقابلة لاسوان.

استطاع عالم الفلك الفرنسي "لوفيري" (١٨١١ - ١٨٧٧) اكتشاف احد الكواكب في المجموعة الشمسية في العام ١٨٤٦ داخل "الحدود الفلكية" لبرج الدلو، فسمى الكوكب باسم "نبتون"، وهو اله البحر والملاحة عند الرومان الاقدمين.

واستنادا الى ابحاث العلماء فان برج الدلو له تأثير مباشر على انحاء محددة من الجسم البشري هي: الكاحل وعضل الساق خصوصا.

ان مواليد هذا البرج لطيفو والمعشر واجتماعيون، شعارهم "الاخوة بين البشر مع الحرية الشخصية"، من هنا يتميز هؤلاء بطبعهم المعقد بسبب صعوبة التوفيق بين الحرية الشخصية للفرد والعدل لجموع البشر، وهم يميلون للانضمام الى الجمعيات التي تعمل على تحقيق اهداف انسانية، فينشرون داخلها العديد من الافكار مما يسمح لهم مبدئيا بفتح حوار واتصال مستمرين مع الآخرين.

لكن بما انهم مستقلون في تصرفاتهم ويثقون في انفسهم ثقة كبيرة، فان الحوار معهم صعب للغاية لان كل ما يطرحونه بالنسبة اليهم صحيح، وبالتالي كثيرا ما يهملون الرأي الآخر ويكابرون في مواقفهم، اما في حال اختيارهم لصديق ما فانهم يكونون له كل الاخلاص والمودة.

وعلى رغم كل هذه التناقضات فهم يتحلون بروح الابداع وبعد النظر والعقلانية والذكاء.

من بين الشخصيات العالمية المشهورة في التاريخ القديم والحديث والتي ولدت في برج الدلو نذكر:

- الفيلسوف البريطاني فرنسيس بيكون
- العالم البريطاني شارلز داروين
- الكاتب البريطاني شارلز ديكنز

(١) سنتطرق في حينه الى النظرية الجديدة للعالم الفلكي جان رينياك الذي اثبت وجود البرج الثالث عشر، وهو برج الافعى، لمواليد ما بين ٢٣ تشرين الاول و ٩ تشرين الثاني. وهذا البرج يقع بين كوكبي العقرب والقوس.

# الصين مهد الشطرنج أم الهند؟



الامبراطور ياراضرعه لتعليم ابنه فنون الحرب  
ام اضرعه هانسك لاسرار هندو؟

تاريخ

يكتبها محمد راد بكر

رئيس الاتحاد اللبناني للشطرنج

الامين العام للاتحاد العربي للشطرنج

## الصين واليابان

■ الشطرنج الصيني مؤلف من ٢٤ خانة كلها من لون واحد، في نصف الرقعة خط عريض يدعى "هو" يقسم ساحة المعركة (اي الرقعة) الى شطرين في كل قسم ٣٢ خانة، القطع في كل قسم لها لون مختلف عن الآخر، عادة احمر واسود. توضع هذه القطع على زوايا الخانات وليس في نصفها كما تصف احجار الشطرنج المصري الدولي اليوم، وهكذا وعلى الرغم من وجود ثماني خانات فمن الممكن وضع تسع قطع في كل خط. لتريح جولة يجب وضع قائد الاعداء (اي الشاه) ويدعى في الصين (سيانغ) في وضع مات، واليك وضع القطع في بدء الجولة.

### في الصف الاول

عربة الحرب - الحصان - الفيل - الملازم - الجنرال  
- الملازم - الفيل - الحصان - عربة الحرب -  
الحرب الحرب

### في الصف الثاني

مدفع  
جندي - جندي - جندي - جندي - جندي  
وكذلك في القسم المقابل.

المدفع يشبه الحصان في شطرنجنا اليوم، يستطيع القفز فوق القطع ولكن عليه كي يستطيع اسر قطعة عدوة ان يكون منفصلا عنها بقطعة من قطعه او من قطع خصمه والا فانه لا يستطيع ذلك. الشاه والمدافع والعربات لا تستطيع قطع النهر اي الخط الفاصل، الجنود لا يتقدمون اكثر من خانة واحدة في كل مرة ويأسرون يمينا او شمالا ولا يحق لهم التقهقر.

لعبة الشطرنج تدعى في الصينية "كي" واللاعبون كيتزي Ki-Tsze وهناك انواع كثيرة منها لعبة تدعى واي كي Wei-ki وقد وضعت كما يقول المؤرخون الصينيون سنة ٢٢٢٠ قبل الميلاد.

في الموسوعة اليابانية الكبيرة الكتاب السابع عشر الصفحة الاولى، جاء ما يأتي: اخترع الامبراطور ياو YAO هذه اللعبة التي دعيت واي كي Wei-ki لتساعده على تعليم ابنه فنون الحرب. ويقول مؤرخون اخرون ان الامبراطور شون CHUN هو الذي اخترع هذه اللعبة لنفس الهدف. ادخال لعبة الشطرنج الى اليابان يعود الى "كي - بي - كو ki-bi-ko هذه الشخصية التاريخية الشهيرة ويقال انها من المع شخصيات التاريخ القديم لنيبون Nippon. ولد سنة ٦٩٢ وتابع دراسته في الصين في سن الثالثة والعشرين ولدى عودته الى وطنه سنة ٧٣٣ ادخل معه كثيرا من العلوم والفنون الصينية وخصوصا الحروف المعروفة باسم كاتاكانا Kata-Kana ولعبة الشطرنج.

وتقول الموسوعة اليابانية، ان لعبة الشطرنج دخلت اليابان بواسطة كي - بي - ساما Ki-Bi Sama بعد ان عاش في الصين مدة عشرين عاما، ولما عاد الى القصر في نيبون في السنة السابعة من التقويم الامبراطوري (٧٣٥ ميلادية) اتى معه بهذه اللعبة وكان ذلك في عهد الامبراطور HIOUEN-TSOUNG في الصين، وعهد الامبراطور SZI-MOU في اليابان.

في الصين، كانوا يعلمون البنات لعبة الشطرنج في سن مبكرة بنفس العناية التي كانوا يعلمونهن بها الغناء والرقص.

بعد مرور ٣٧٩ عاماً على كونفوشيوس، ارسل هونغ كوشو Hung-Cochu ملك كيان غان Kian-Guan حملة عسكرية بقيادة هانسك HANSING لفتح بلاد شنسي Shensi. وبعد حملة موفقة اوصلته الى ابواب المدينة دهم الجند فصل الشتاء القارص، وطال الحصار ولم يكن الجند معتادين على مثل هذا البرد، فاستبد بهم الحنين للعودة الى زوجاتهم واولادهم وطالبوا بالحاح بالعودة الى وطنهم. ولم يكن هانسك محاربا عاديا، بل قائدا ذا ذكاء حاد، فاخذ يعمل جهده





١٠ مخطوطد صيني قديم يبدو هيما الامبراطور "تو-تاي"

زاوية قائمة، (قد تشبه تحركات الحصان اليوم) تضعان الشاه في وضع (كشر) وتأسران بطريقة مختلفة.

في التاسع عشر من اب ١٩٧٨ اثناء المباريات الاخيرة لبطولة العالم التي جرت في الفيليبين بين اناتولي كاربوف وفكتور كورتشنيو، نشرت احدى الصحف في هونغ كونغ المقال التالي:

يتابع كورتشنيو وكاربوف في باغيو سيتي في الفيليبين لعبهما حول شكل من اشكال لعبة الشطرنج التي وجدت منبعها في اسيا والتي يدعي الغرب ابوتها خطأ.

صحيح ان الشطرنج الدولي الحالي لا يلعبه الا قليلون من الانتليجانسيا في اسيا ولكن الاغلبية من اهالي الصين وهونغ كونغ وسنغابور وغيرهم من بلاد اسيا يعرفون تمام المعرفة قواعد اللعبة الصينية Hsiang-chi وبمعنى اخر شطرنج القيلة كما تعني الكلمة هذه في اللغة الصينية. هذه اللعبة اخترعت كما يقول بعض المؤرخين ما بين ١٢٢ و ٢٥٥ قبل الميلاد، واخذتها ونسيتها الصين مدة طويلة الى ان اعادها اليها رهبان بوذيون، ثم اتجهت اللعبة نحو فارس فالبلاد العربية ومن ثم الى اوربا. ويقول مؤرخون اخرون ان لعبة Hsiang-chi اتت من الهند الى الصين كفرع من فروع الشطرنج التي وضعها غورو مصه (وقصته معروفة سنعود اليها في عدد لاحق).

هذه اللعبة الصينية عدلت في كثير من بلاد اسيا، الا في الفيتنام حيث لا تزال تحافظ على صورتها الاولى. في كوريا واليابان احدثت فيها بعض التغييرات والاقتباسات واصبح اسمها في

لايجاد مخرج من هذه الازمة، واذا به يخترع بعد تفكير عميق لعبة الشطرنج، ليسلي جنوده اولا وليلهيهم عما هم فيه، ولينمي فيهم روح الحرب والقتال ثانية، ذلك ان اللعبة التي وضعها تشبه المعارك الحقيقية وتدار وفقا لمبادئ الحرب وفنونها. ونجح القائد في مبتغاه، فقد احب الجند اللعبة، وأنستهم المعارك الصغيرة هذه على الرقعة ما هم فيه. وما ان انقضى فصل الشتاء، ودخل الربيع حتى استطاع القائد الذكي ان يضيف الى مملكة كيان غان بلاد شنسي الغنية بمواردها الطبيعية.

وبعودته الى بلاده مع الملك الاسير شوباينان Choupaynen اطلق لقب امبراطور على اول ملك لليابان وكان في ذلك الوقت يدعى Hung-cochu ومن فرط حزنه على مملكته انهى شوباينان حياته بالانتحار.

في Hai-Piène (الموسوعة الصينية) وتدعى بالابجدية الكبرى في الصين، وضع امام كلمة Siangh-ki : اختراع الشطرنج يعود الى اصل هندي، دخلت الصين في عهد الامبراطور "يو - تاي" yau-ty حوالي سنة ٥٣٧ ميلادية.

الشطرنج الصيني لا يقل جمالا وغنى في خطته عن الشطرنج المعروف اليوم. ويقول المؤرخون انه قد يكون اكثر تعقيدا للوزيراو الملكة غير موجودين في الشطرنج الصيني، ونجد مكانهما وزيرين او ملازمين او اولاد الملك. في الخط الافقي الثالث وامام الفرسان يوضع ملازمان (تشبها بالرتب العسكرية) وهاتان القطعتان مهمتان كثيرا وتتحركان بطريقة خاصة، في خط مستقيم وفي

اليابان (غو) Go وهي لعبة شبيهة بالستراتيجية العسكرية وكلها شبيهة بالشطرنج اليوم.

ال Hsiang-chi وال Go كل منهما مؤلف من ٢٤ خانة و ٣٢ قطعة وهما اسر الملك او الشاه، وهناك بعض التشابه او المعادلات بين القطع الصينية وقطع الشطرنج اليوم، الملك او الشاه موجود في اللبعتين، ولكن لا توجد ملكة (اي وزير) في اللعبة الصينية. البيدق يصبح جنديا في اللعبة الصينية، الرخ يسمى عربة، الفرس هو هو ويدعى حصانا، الفيل فيل حقيقي، وتحوي اللعبة الصينية على جنرال ووزراء ومدافع.

نقل الاحجار تقريبا متشابه في كليهما، ولكن القطع الصينية تتحرك على الخطوط وليس على الخانات، وهناك كما ذكرنا أنفا، خط ابيض يفصل المعسكرين ويقصد بهذا الخط النهر الذي يفصل بين المقاطعتين، وهذا ما يعطي بعض النور او التفسير على اصل اللعبة الصينية Hsiang-chi

وفقا لهذه النظرية، وضعت لعبة الشطرنج تشبها بعوامل الطبيعة وتكوين الكواكب من قبل امبراطور في عهد السلالة الحاكمة Six Dynasties ما بين ٢٢٠ - ٥٨٩م، وقطعها تشبه الكواكب، وكان للحظ نصيب في اللعب اذ كانت القطع توضع على الرقع او تتحرك مثل لعبة الزهر، وهكذا مع الزمن اصبحت اللعبة الصينية تلعب في مباريات عامة، اما اسمها فقد يكون راجعا الى ان احد القطع هو فيل ومعناه بالصينية Hsiang وتعني ايضا صورة ويقصد بها الشبه بين هذه اللعبة وبين حركة الكواكب.

بقيت اللعبة الصينية مدة طويلة تسلية الحكام

والوزراء في الصين، ثم عممت لفحص درجة الذكاء عند بعض النافذين، اذ كان على رجال السياسة ان يتقنوها جيدا قبل ان يطمعوا باي نجاح في مناصبهم، اما اليوم فقد اصبحت تسلية الشعب باكملة يلعبونها في كل مكان وعلى الارصفة في

الشوارع وخصوصا في هونغ كونغ، واصبحت لعبة تمارس في الاعياد الوطنية على رقع كبيرة جدا، ويحكي تاريخ الصين قصصا كثيرة عن جنرالات ومحاربين مشهورين كانوا يصرون على اكمال جولاتهم او نقل حجرهم قبل الالتفات الى عدوهم المباغت او الذي يطوقهم او يضيق الخناق عليهم واحيانا حتى لو كانوا في اخرج الازمات.

احجار اللعبة الصينية ذات النوعية الممتازة كانت تصنع قديما وفقا للتقاليد من العاج او من الجاد وكان سعرها خاليا، اما الاحجار الشعبية فكانت تصنع من الخشب (تختلف نوعيته وفقا للمبلغ الذي يدفعه الشاري) وهي بهذا الشكل انتشرت بين الشعوب في اسيا.

نموذج جديد ظهر اخيرا وهو مصنوع من البلاستيك اما الاشكال الفنية فقد استعير عنها ببعض الرموز التي يتعرف عليها اللاعبون بسرعة.

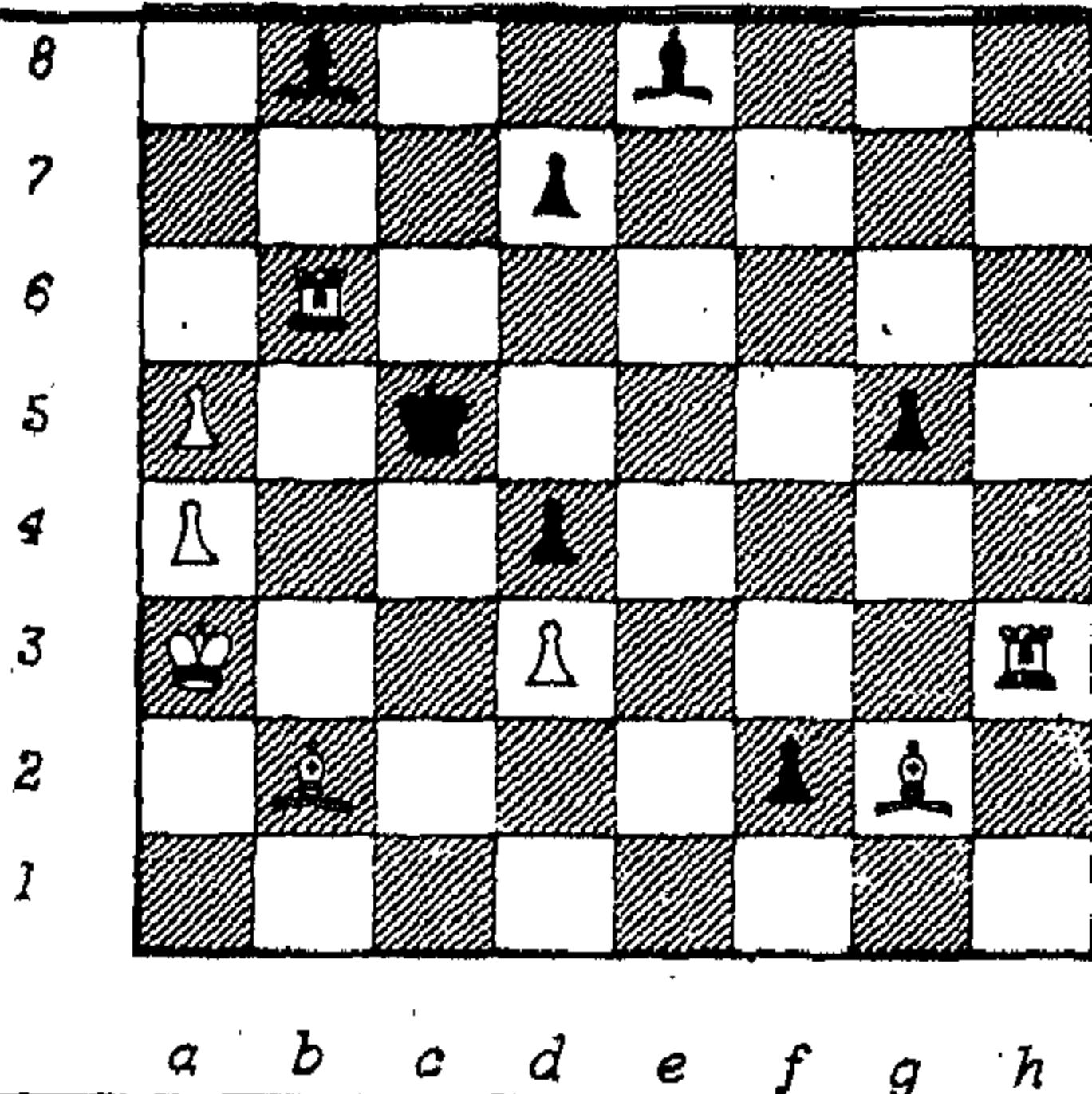
وعلى هذا الشكل قد تنتشر اللعبة الصينية هذه Hsiang-Chi اليوم في العالم كما انتشرت منذ الاف السنين في غرب الصين.

من هذه التناقضات يتبين لنا ان اصل الشطرنج لا يزال مجهولا وان يكن محصورا بين الهند والصين ونظنه من الهند وسنعود الى ذلك في عدد مقبل ان شاء الله.

## مسابقة الشطرنج

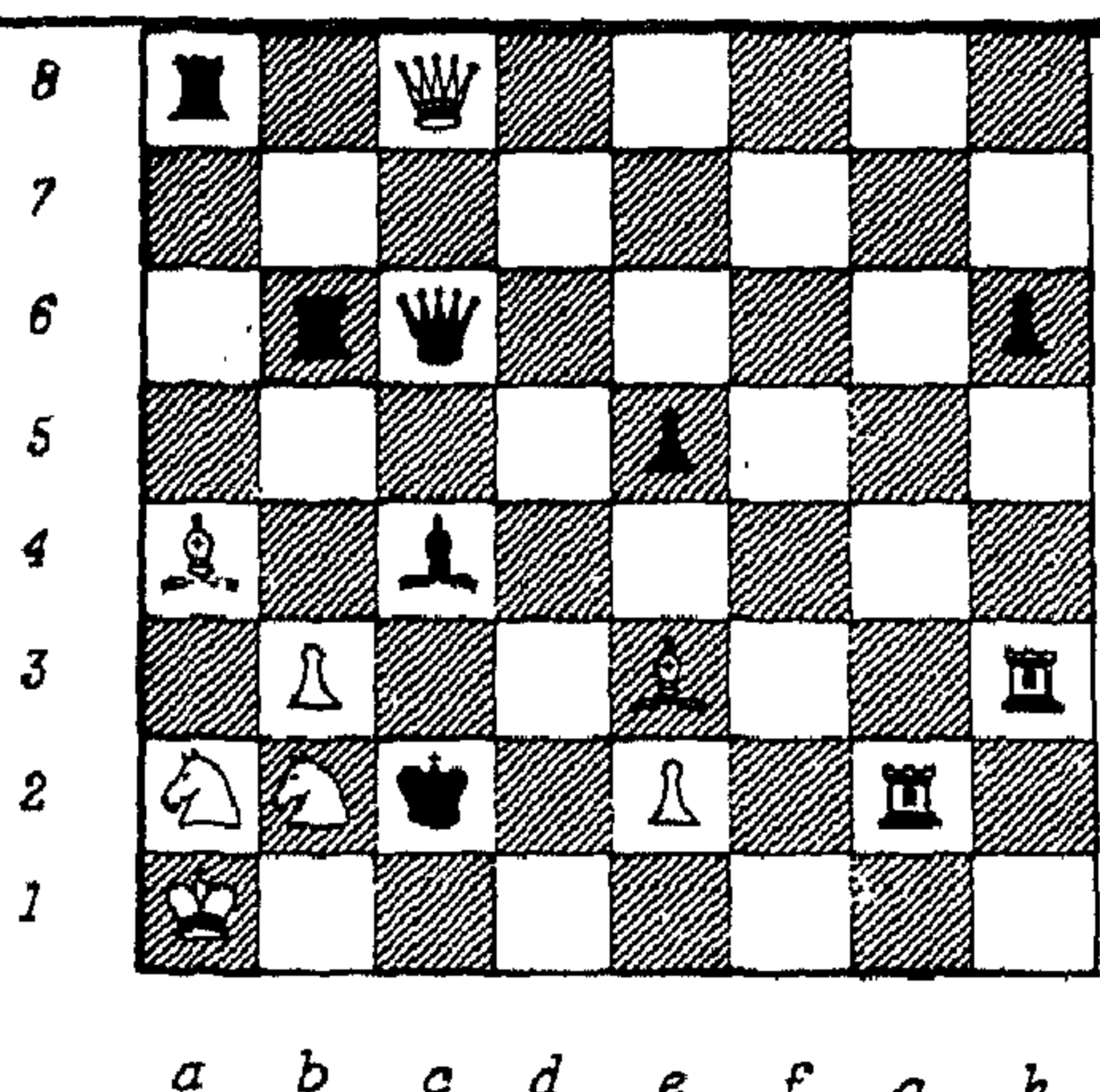
المسألة رقم ٨

مات بثلاث نقلات



المسألة رقم ٧

مات بنقلتين





المسألة رقم ٣: المفتاح 1-C6

المسألة رقم ٤: المفتاح 1-h6

### الفائزون:

وصلتنا رسائل عديدة منها بكل اسف ما لا يحمل اسم صاحب الحل ان على المغلف أو على الرسالة . انما لم يرسل الحل الصحيح سوى اثنان فقط هما: السيد م . كامل سعيد - حمص - ص . ب . ١٩٦ والسيد سليمان الرمضان من جامعة حلب . وبنتيجة القرعة فاز الاول بالجائزة الاولى وقدرها مائة ليرة لبنانية . والثاني فاز بالجائزة الثانية وقدرها اشتراك سنة وسترسل لهما جائزتهما قريباً وقد حجبنا الجائزة الثالثة هذا الشهر على ان تكون من نصيب فائزين أربعة في العدد المقبل . على ان هناك كثيرين حلوا مسألة واحدة ولم يوفقوا في الثانية ونرجو لهم حظاً سعيداً في المرة المقبلة .

### ملاحظة للقراء:

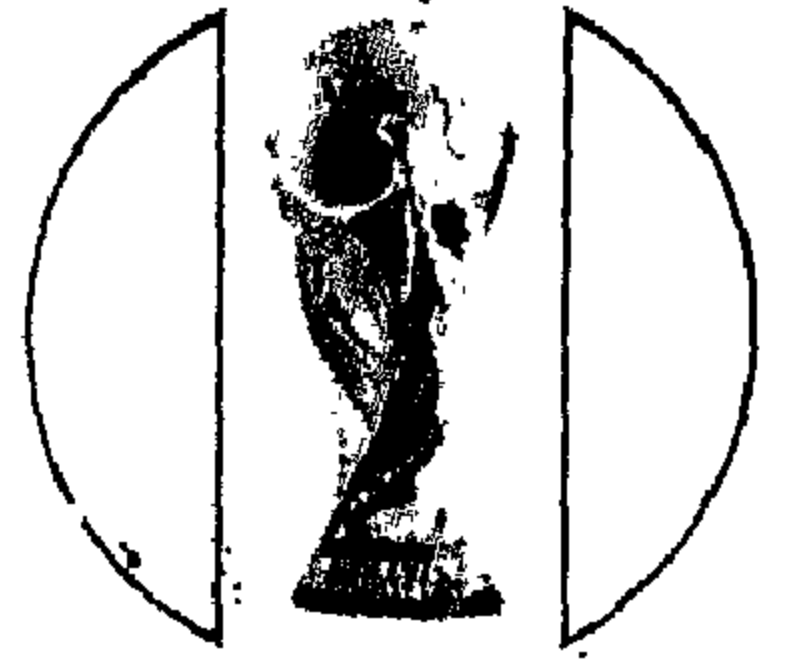
ان فوز اثنين هذه المرة ومن سوريا فيه الجواب المباشر للذين يظنون ان المسابقة وضعت فقط للبنانيين وان تأخر البريد يمنع بصورة ما اشتراك من هم خارج لبنان ، واحب ان اسوه بانفسنا استلمنا عدة رسائل من الخليج وخصوصاً من الامارات العربية ولكن الحل لم يكن صحيحاً ، لذا فليطمئن الاصدقاء الى اننا نأخذ بعين الاعتبار تأخر البريد ولا نبدأ بالقرعة الا قبل ايام قليلة من بدء طبع هذه الزاوية . اما تقديم صفحات اكثر عن الشطرنج فقد حاولنا بهذا العدد ارضاء القراء ، ولكن احيانا تضطرتنا كثرة المواد الاخرى للاختصار . على كل نشكر للقراء عواطفهم وتشجيعهم لهذه الزاوية .

### مسابقة الشطرنج

■ يرسل الحل الصحيح مع القسيمة الى ادارة المجلة ص . ب . (٥٩٠٥) ويكتب على الظرف مسابقة الشطرنج . يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال .

الاسم :	قسيمة الشطرنج رقم ٤
المهنة :	
العنوان :	

# كأس العالم لكرة القدم



كيف نظمت عام ١٩٣٠ أول دورة عالمية لكرة ؟

وفيه علم الدين



أول كأس العالم الأول لكرة القدم

شغل الصحفي العالمي جان ايكينازي خلال عشرين سنة متتالية منصب مدير الشؤون الرياضية في جريدة "فرانس سوار" الفرنسية، وحاز على الجائزة الكبرى من الاكاديمية الرياضية، وهو في كتابه "ارجننتين ٧٨" (منشورات دوميسين، باريس ١٩٧٨) يروي التاريخ المنسى للبطولات العالمية وكأس العالم لكرة القدم ابتداء من البطولة العالمية الاولى التي جرت في الاورغواي (١٩٣٠) وحتى دورة الارجننتين الاخيرة (١٩٧٨) كما يكشف عن جوانب جديدة من تاريخ اكثر الالعاب الرياضية شعبية في العالم المعاصر، هذه اللعبة التي تجسد انتصار الخيال المبدع لكونها تجمع في آن معا بين التنسيق الجماعي المنظم والمبادرات الفردية الجريئة -  
وقد جاء في كتابه عن تنظيم اول دورة عالمية في كرة القدم في عام ١٩٣٠ ما يأتي:



## الاوروغواي تحقق حلم جول ريميه

عندما طرح جول ريميه، رئيس الاتحاد الفرنسي لكرة القدم ومؤسس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) فكرة تنظيم مباريات عالمية لكرة القدم، لم يلق حماس الدوائر الرسمية بسبب صعوبة التنفيذ. ومع ذلك كان هاجسه في كل لقاء صغير أو كبير، رسمي أو غير رسمي، أن يطرح هذه الفكرة على اوسع نطاق ممكن. وجاء العام ١٩٢٩ ليشهد أول انهيار اقتصادي رأسمالي بعد الحرب العالمية الأولى. فنشط ريميه وسط اليأس العارم والاحباط لدى ملايين البشر ليعيد الحماسة والبسمة الى وجوه الناس. ولم تمض شهور قليلة الا وكانت دولة صغيرة في اميركا الجنوبية قد حققت حلم مؤسس الفيفا، هذه الهيئة الدولية التي تضم اليوم اعضاء رسميين يفوق عددهم عدد اعضاء الامم المتحدة نفسها.

والسؤال الذي لم يطرحه الكثيرون حينها هو: لماذا اختيرت الاوروغواي بالذات؟

الاسباب عديدة واهمها المشاكل الاقتصادية والمالية التي كانت تواجهها الدول الاوروبية والولايات المتحدة نفسها. ومع ذلك لم يكن اختيار هذا البلد الصغير اختيارا عشوائيا اذ ان فريقه الوطني كان قد ربح مرتين في الالعاب الاولمبية لكرة القدم التي جرت في باريس (١٩٢٤) وفي امستردام (١٩٢٨).

وبفضل كرة القدم دخلت الاوروغواي التاريخ الرياضي قبل غيرها من الدول.

لم تشارك في هذه البطولة العالمية الاولى من نوعها الا ٤ فرق اوروبية من الدرجة الثانية (بلجيكا، فرنسا، رومانيا ويوغوسلافيا) و ٩ فرق اميركية (الاوروغواي، الارجنتين، بوليفيا، البرازيل، تشيلي، الولايات المتحدة، المكسيك، الباراغواي والبيرو). اما فرق الدرجة الاولى الاوروبية يومها (النمسا، هنغاريا، ايطاليا، تشيكوسلوفاكيا وبريطانيا) فانها لم تساهم في البطولة ربما بسبب عدم اقتناعها بجدواها.

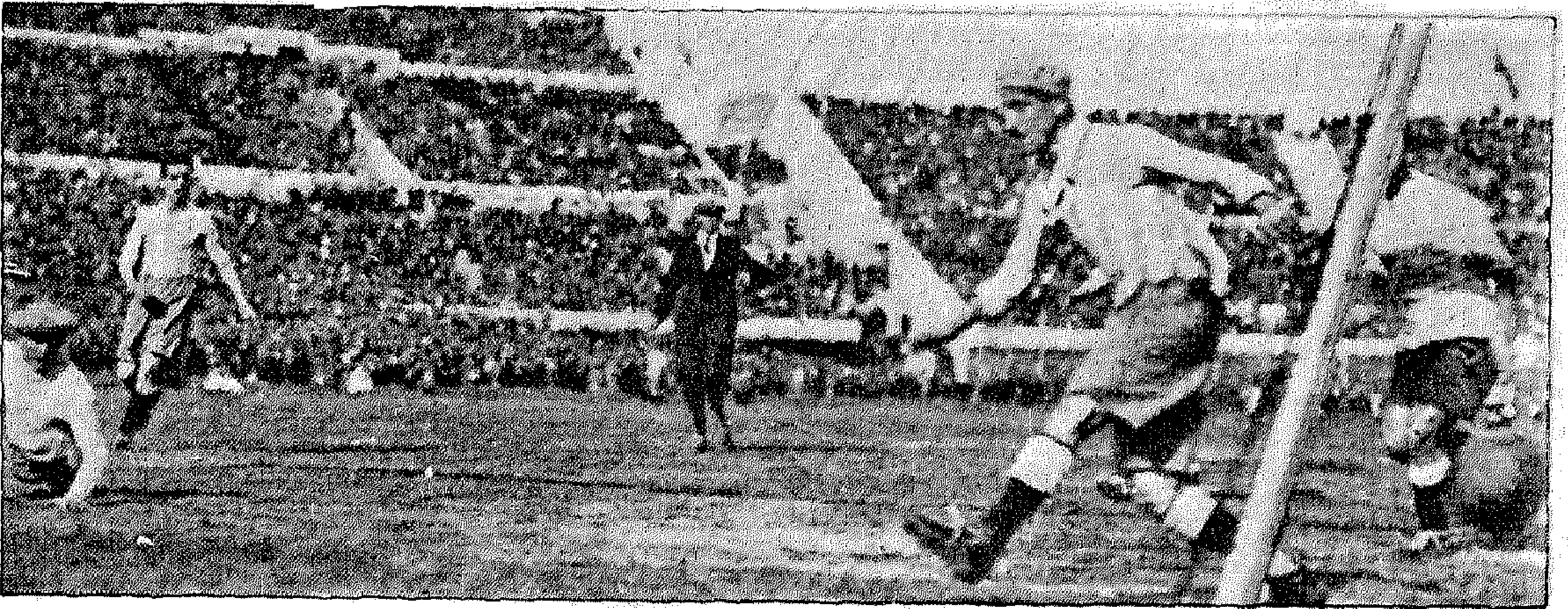
وهكذا في صيف ١٩٣٠ جرت المباريات على ملاعب "سينتاريو" في مونتيفيديو.

بعد التصفيات المتتالية وصلت الاوروغواي الى المرحلة النهائية من دون صعوبة تذكر، تقابلها الارجنتين التي خاضت مباريات صعبة خصوصا مع الفريق الفرنسي (١ - ٠).



لعبت من مبارات الاوروغواي - الارجنتين يظهر فيها الحكم منكنا على حشد المرمى.





ر. لمدف الاول صالح الاوروغوي

علما بأن التدريب يومها لم يكن يتم في شكل مبرمج ومنظم. فكان المدرب يتكل على عفوية اللعب الجماعي وعلى المبادرات الفردية لبعض نجوم الفرق الى درجة انه في حال اعادة عرض هذه المباراة حاليا، لا بد وان ترتسم ابتسامة خبيثة على وجه المشاهد العادي.

ومن الامور الطريفة التي كاد المرء ان ينساها مع مرور الزمن، اللباس الرسمي للحكم (وكان يومها البلجيكي جون لانجونوس دانفير) وهو "السموكن" الكامل مع ربطة العنق والقبعة الرياضية - الكشفية. وهذا ان دل على شيء فعلى مدى احترام اللجنة الدولية لأكثر الالعاب الرياضية رواجاً على المستويين الرسمي والشعبي، والفضل كل الفضل يعود لجول ريميه.

وفي ٣٠ تموز بدأت مباراة البطولة الفاصلة بين الدولتين الاميركيتين الشقيقتين، تماماً مثلما كان عليه الوضع في المباراة الاولمبية لكرة القدم في امستردام قبل ذلك بسنتين.

في الشوط الاول ربحت الاوروغواي (٢ - ١) وعززت انتصارها في الشوط الثاني (٤ - ٢) مؤكدة بذلك ان لقبها الذي كسبته في باريس وامستردام استحقته عن جدارة. واصبح يوم الثلاثين من تموز عيداً وطنياً لأول بلد حاز على كأس جول ريميه الذهبية لكرة القدم.

ماذا عن مستوى المباراة؟

ان من كان له حظ مشاهدة هذه المباراة، استمتع بالاخلاقية الرفيعة التي تحلى بها الفرقاء وبالنوعية العالمية للتكتيكات التي اعتمدت،

## المسابقة



■ اين التقطت هذه الصورة وفي اية مناسبة رياضية؟ من هو حارس المرمى الذي يحمل الكرة؟





● سباحة أسترالية ولدت في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٦ . بطلة العالم في السباحة في عام ١٩٧١ حين ضربت كل الأرقام القياسية في السباحة الحرة من ١٠٠ متر إلى ٨٠٠ متر . ونجحت في قطع مسافة ٩٨٠ : ٤ كلم في الساعة .  
مدربها هو فوربس كارليل .  
قال عنها البطل الأسترالي الكبير مودي روز "إنها أول سباحة أعرفها ذات أعصاب كاملة الاتزان" .



● لاعب بريطاني عالمي في كرة القدم ولد في كانون الأول ١٩٣٨ في شيفيلد . وهو أفضل حارس مرمى منذ "ياشين" .  
كسب مع فريقه بطولة العالم في ١٩٦٦ .  
استبدل بالحارس بونيتي بسبب حادث تسهم مفاجيء في معدته . وهذا ما أدى إلى خسارة فريقه أمام ألمانيا الغربية .  
اشترك بـ ٥٨ مباراة دولية .



■ رياضي ومدرّب جزائري ولد في الأول من كانون الثاني ١٩٢١ في "تل تلغ" . من أشهر العدائين في زمانه .  
بدأ حياته الرياضية منذ ١٩٤٠ .  
كسب البطولة ٣١ مرة . عهده الذهبي كان بين أعوام ١٩٤٦ و ١٩٥٦ حيث جاء الثاني بعد البطل التشيكي الشهير اميل زاتوبك .  
ربح أربع مرات بطولة "سباق الدول" في أعوام ١٩٤٩ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٤ و ١٩٥٦ .

فستيمة  
مسابقة الرياضة  
٤

الاسم :  
المهنة :  
العنوان :



# للطلاب فقط...

اعداد : سحر بعاصير  
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي، خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم .  
ومن اجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد .  
والمطلوب الاجابة على الاسئلة جميعها ورافقها بالقسيمة المنشورة الى جانب الزاوية، ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من اخطأ في احد الحلول .  
اذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فما عليك الا ان ترسل الاجوبة مع القسيمة الى عنوان المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة او الكلية او المعهد الذي تواصل تعليمك فيه . وتهمل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة للطلاب . . وللطلاب فقط .

● مقاطعتان على الحدود الفرنسية الالمانية ضُمتا إلى فرنسا عام ١٧٦٦ ولكن بسمارك انتزعهما منها عام ١٨٧١ الأمر الذي ترك مرارة شديدة في نفوس الفرنسيين . استعادتهما فرنسا في اعقاب الحرب العالمية الاولى وهما بحوزتها الآن . تبلغ مساحتهما نحو ١٤٥٧٧ ميلا مربعا، وسكانهما نحو مليونين ونصف المليون . فهل عرفتهما ؟

## اية معركة ؟

● في فترة من فترات الحرب الثانية باغتت طائرات الاسطول البحري الياباني وحدات الاسطول البحري الأميركي الراسية في مكان ما في المحيط الهادي، وتمكنت بذلك نحو ١٠٥ طائرات يابانية من تعطيل نحو نصف السفن البحرية الاميركية الكبيرة عن العمل بالإضافة الى ثلاثة طرادات وثلاث مدمرات وبعض القطع الأخرى .  
أما الطائرات الاميركية فقد دُمر معظمها وهي على أرض المطار وبلغ عدد القتلى الاميركيين ٢٣٢٠ رجلا وعدد الجرحى يقارب ١٣٠٠ جريح والمفقودين حوالي الألف .  
وعلى الرغم مما اصيب به الاميركيون، فان الضربة لم تكن كافية لشل حركتهم واستطاعوا بالتالي استعادة نشاطهم وخوض غمار الحرب العالمية بكامل قوتهم وطاقاتهم الانتاجية . فأين وقعت هذه المعركة ومتى ؟ .



## من هو ؟

● مؤرخ وعالم اجتماع . ولد في عام ١٣٣٢ م وتوفي عام ١٤٠٦ م . اقامت أسرته في تونس حيث تعلم . انتقل إلى مصر حيث اتصل بسلطانها برقوق . حج إلى مكة عام ١٣٨٧ م ، ورافق جيش المماليك الذي صد زحف تيمورلنك . ألف كتابه الشهير "العبر وديوان المبتدأ والخبر" . يعتبر رائداً لعلم الاجتماع واول من وضع القواعد العلمية للبحث التاريخي بابتكاره المنهج التاريخي وهو يقول أن الوقائع التاريخية يرتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول . سبق عصره ومفكري العرب والغرب وأثر فيما بعد بأوغست كونت وهربرت سبنسر . في عام ١٩٥٠ ألف عميد جامعة السوربون اطروحته عنه ، وكذلك فصل طه حسين عام ١٩٣٠ .

## ما هي ؟

● اقدم الفرق الاسلامية . ظهرت عام ٦٥٧ م . واشتهرت بشدة تعصبها وتقيدها الدقيق التام بأحكام القرآن الكريم . ولقد انبثقت من خلال الصراع بين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان . افراد هذه الفرقة كانوا اول الأمر من اشد اعوان علي الا ان قبوله بالتحكيم قد ساءهم فصمموا على قتله . لا تزال بقايا بعض الفصائل القليلة والمعتدلة من هذه الفرقة موجودة حتى الآن في جنوب الجزائر وتونس وعمان وزنجبار . فما هو اسم هذه الفرقة ؟

- الجائزة الاولى: مائة ليرة لبنانية او ما يعادلها
- الجائزة الثانية: اشتراك سنة في المجلة
- الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في المجلة

الجوائز هي:

### اجوبة مسابقة العدد الثاني

- ١ - اتحاد كونفدرالي ٢ - جنديس فرانس ٣ - سايكس - بيكو ٤ - معركة اتوال ٥ - ابن سيناء ٦ - سجموند فرويد

### الفائزون

- الفائز الاول: محمد البسام - الجامعة اللبنانية - خمسون ليرة لبنانية - بيروت
- الفائز الثاني: جورج شاهين - الجامعة الاميركية - اشتراك سنة - بيروت
- الفائز الثاني: محمد حسين - الجامعة العربية - اشتراك نصف سنة - بيروت

الاسم: _____	<b>قيمة للظاري فقط</b> رقم ٤
المهنة: _____	
العنوان: _____	

# تاريخ حركة الطوابع البريدية في العراق



اعداد: ميشال اربطانت الاخصائي في الطابع

العثمانية الموجودة بعد ان وشحتها بالانكليزية:  
BAGHDAD In Brith occupation  
(بغداد - احتلال بريطاني) (صورة ١) وهذا  
الاصدار خصص لبغداد.

طوابع هذه المجموعة خمسة وعشرون اخذت  
كيفما تيسر مما خلف من الطوابع العثمانية،  
واقبصر توشيحها على فئات ثلاث فحسب، هي ١/٢  
آنة و (آنة و آنة) فكان من الطبيعي ان يختلف عدد  
طوابع كل من هذه الفئات عن عدد طوابع الفئة  
الافرى، وهي بمجملها ضئيلة جداً مما جعل ثمنها  
اليوم يزيد عن عشرة الاف ليرة لبنانية، كما ظهرت  
بعدئذ بعض الفئات المزورة من هذه المجموعة مما  
حمل الهواة على الحذر في شرائها واقتنائها الا  
مرفقة بشهادة خبير موثوق، اما في الموصل فقد  
وشحت سلطات الاحتلال عندما دخلتها في ١٠  
تشرين الثاني ١٩١٨، ستة انواع من الطوابع  
العثمانية المالية التي وجدتها وهي من فئة ١/٢  
آنة، ١، ١/٢، ٢، ٣، ٤، ٨ آنة، والتوشيح هو  
بالانكليزية ايضاً: (Postage I.E.F.D.) (بريد)  
قوات استطلاعية هندية "د" (صورة ٢) وقد  
خصصت هذه المجموعة للموصل وفي كانون اول  
١٩٢٥ الحقت عصبة الامم ولاية الموصل بالعراق.  
اما المجموعة الاولى الخاصة بالعراق بمجملها،  
بعد المجموعات الموشحة المذكورة آنفاً، فقد  
صدرت في اول ايلول ١٩١٨ مؤلفة من ١٤ طابعاً من  
الطوابع العثمانية الموشحة بالانكليزية ايضاً:

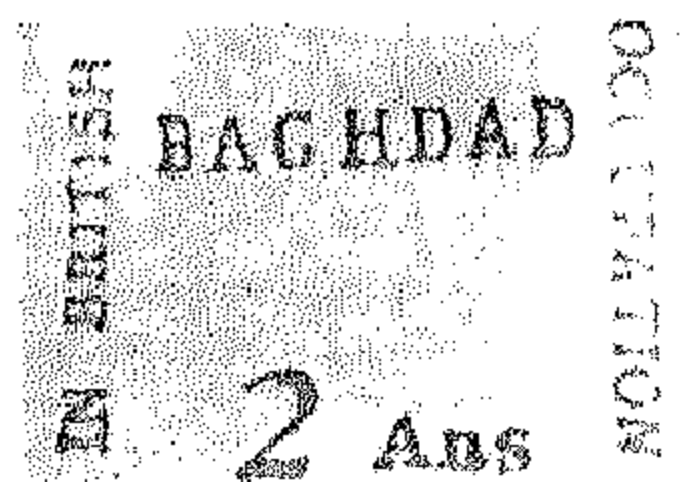
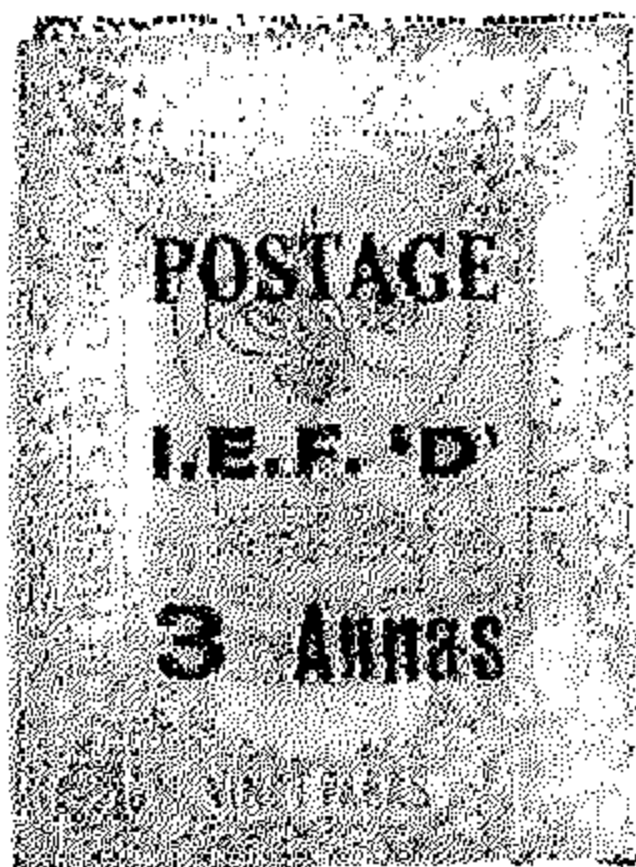
IRAQ In Brith occupation.

العراق يشمل البلاد التي كان يطلق  
عليها الغربيون اسم MESOPOTAMIA  
(تدمر)، وكانت جزءاً من الامبراطورية  
العثمانية، من ١٥٣٤ الى ١٦٢٣ ومن  
١٦٣٨ الى ١٧٠٤ ومن ١٨٣١ الى ١٩١٧،  
وحكمها الصفويون من ١٦٢٣ الى ١٦٣٨  
والباشوات المماليك من ١٧٠٤ الى ١٨٣١.

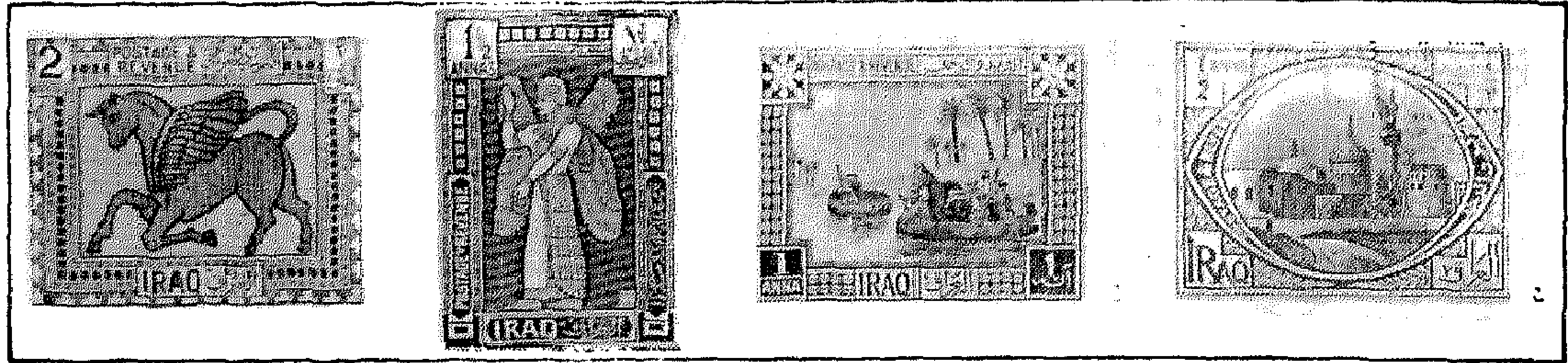
واثناء الحرب العالمية الاولى، احتلت القوات  
البريطانية - الهندية البصرة في ٢٢ تشرين الثاني  
١٩١٤ لتحمي انابيب البترول من الفرس، ثم بعد  
معارك عنيفة دخلت بغداد في ١١ آذار ١٩١٧،  
وبذلك كان بدء الاحتلال البريطاني.

وفي ٢٥ نيسان ١٩٢٠، بناء على توصية  
المجلس الاعلى للحلفاء اسندت عصبة الامم الى  
المملكة المتحدة (بريطانيا العظمى) الانتداب على  
البلاد، فنصبت الامير فيصل الاول الذي اخرج من  
سوريا، ملكاً على العراق في ٢٣ آب ١٩٢١، حيث  
بقي حتى ٨ ايلول سنة ١٩٣٣ حين خلفه الملك  
غازي ثم الملك فيصل الثاني في ٤ نيسان سنة  
١٩٣٩. وفي ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ اجتاحت الثورة  
البلاد واطاحت بالعبالة المالكة وحاشيتها كما هو  
معروف واصبح العراق جمهورية.

والطوابع العثمانية كانت منتشرة في بلاد الشرق  
باختام خاصة لكل بلد، وهكذا كانت الحال في  
العراق ايضاً، الى ان دخلت قوات الاحتلال سنة  
١٩١٧ فاصدرت اول مجموعة اتخذتها من الطوابع







المؤلف كل منهما من خمسة طوابع فئة ٢ و ٣ و ٥ و ١٠ و ٥٠ سولدي (العملة النمساوية)، واستعملها في مكاتبه في الشرق وأوروبا في أكثر من سبعين بلداً، وكان خاتم البلد الذي استعمل فيه الطابع هو الدليل عليه.

ومن سنة ١٨٢٧ إلى ١٨٨٨ أصدر المكتب مجموعتين تحمل الأولى صورة القيصر فرانس جوزف والثانية صورة النسرين التوأمين رمزاً للنمسا، (صورة ١٣ و ١٤)، وكانت بالسولدي كذلك.

ومن إصدارات النمسا لسنة ١٨٨٨ و ١٨٩٠ و ١٨٩١ و ١٩٠٠ وشحت المكاتب ٢٤ طابعاً بالبارة والقرش، أما المجموعات الأخيرة للمكتب فكانت ثلاثة مؤلفة من ١٥ طابعاً بفئات تتدرج من ١٠ باره إلى ٢٠ قرشاً ولا تحمل أي توشيح وبالمناسبة نذكر أنه كانت هناك مجموعتان أيضاً صدرت الأولى سنة ١٩٠١ موشحة من ١٠ باره إلى ٥ قروش ومؤلفة من خمسة طوابع والثانية سنة ١٩٠٨ مؤلفة من ٩ طوابع من ١/٤ قرش إلى ٣٠ قرشاً، وكانت هذه المجموعات للاجور المستحقة أي للمراسلات الواردة الناقصة الاجرة؟ وهو الطابع الذي نطلق عليه اسم Taxe (اجور مستحقة).

(العراق - احتلال بريطاني)، بفئات ١/٤ آنه إلى ١٠ روبيات. (صورة ٣) وفي شهر ايار سنة ١٩٢٣ صدرت اول مجموعة طبعت خصيصاً لتعكس صوراً حقيقية عن البلاد وكانت مؤلفة من ١٣ طابعاً وتحمل ثماني صور مختلفة، (صورة ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١) منها اثنية ومنها رمزية بفئات من ١/٢ آنه إلى ١٠ روبيات، ثم تلاها طابع واحد سنة ١٩٢٧ يحمل صورة الملك فيصل الاول فئة روبية وحدة. (صورة ١٢) ثم عقت ذلك مجموعات متوالية كانت كلها تحمل صورة الملك الحاكم.

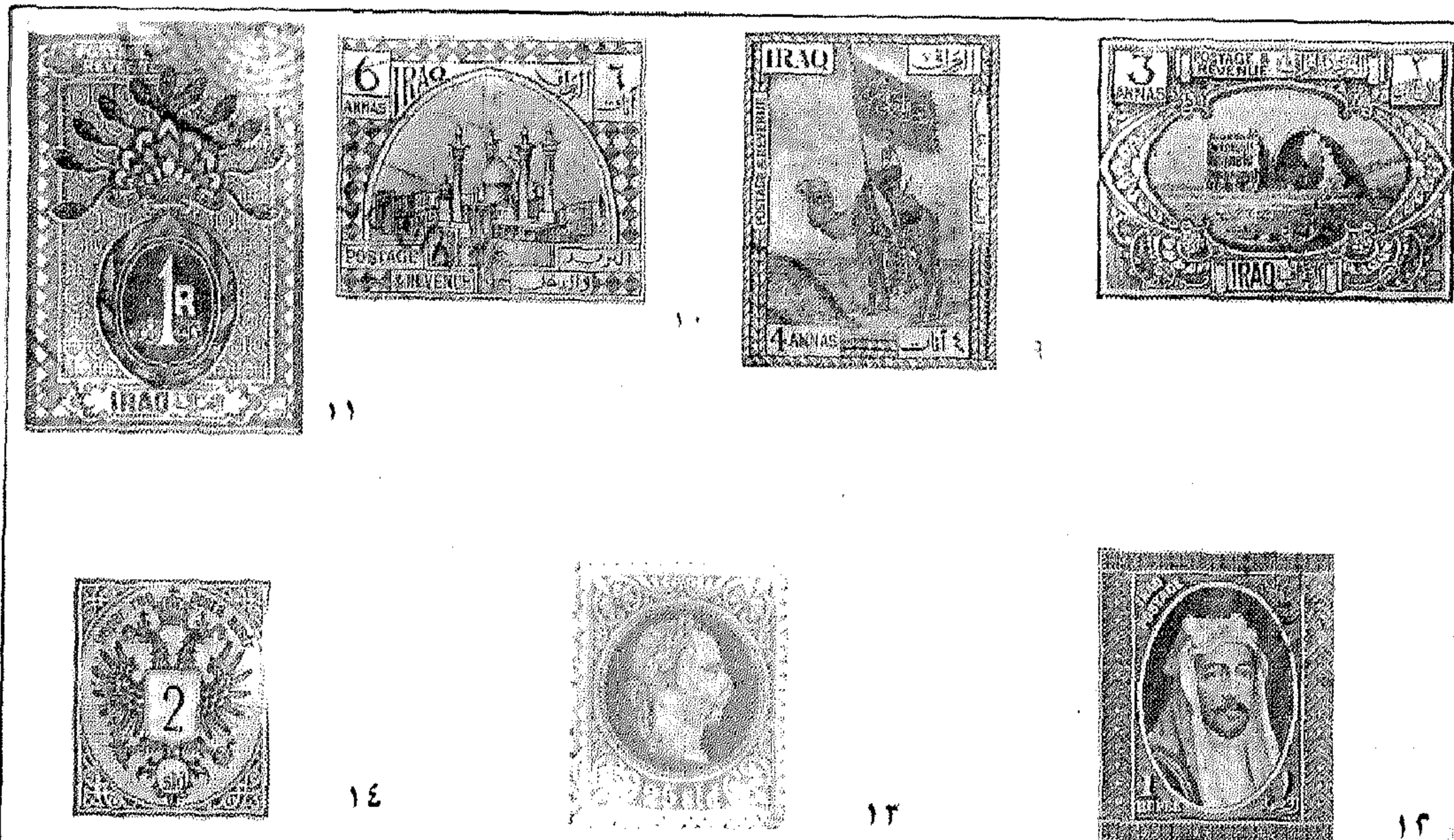
### المكاتب الاجنبية

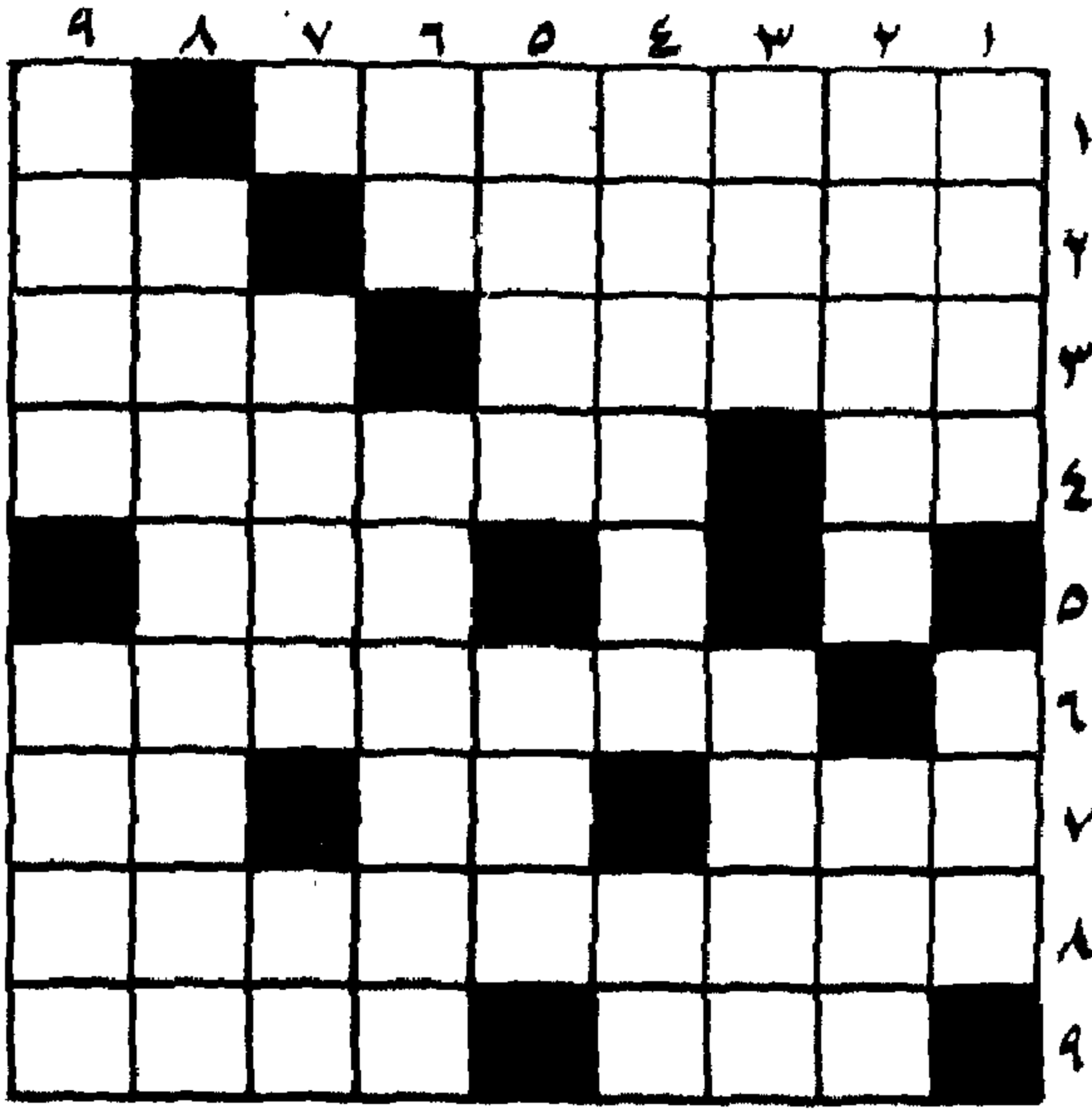
#### في الشرق

في الاعداد السابقة تحدثنا عن المكاتب الفرنسية والمكاتب الروسية. والآن نقدم نبذة عن تاريخ المكاتب النمساوية.

Lombardo Venette (لومباردو

فينيته)، ولاية نمساوية اصدرت اول مجموعة لها سنة ١٨٥٠، ثم خمس مجموعات لاحقة اخذ منها المكتب النمساوي مجموعتي سنة ١٨٦٣ و ١٨٦٤





افقياً:

- ١ - شاعر مخضرم لقب بشاعر المرتدين ٢ -
- طيور من الجوارح . نجيع (معكوسة) ٣ - ضد "على
- بغض" من الطيور ويعرف بالكركي ٤ - ضمير
- مجرور بحرف جر . اشتهر بأسفاره البحرية ٥ - جدها
- في فتية ٦ - قصر بناه النعمان اللخمي
- (( معكوسة )) ٧ - خلاف صبي . حرف تعجب وزجر .
- لعب بالكعبة ٨ - فنان مصري ٩ - مدينة ما بين
- النهرين دمرت وانقاضها على شاطئ الفرات .
- مستشرق بريطاني يدعى جورج ١٠٠٠ درس العربية
- واهتم بالاسلاميات وترجم القرآن .

عمودياً:

- ١ - يضرب به المثل بالطمع . مطلع احدي
- المعلقات "قفا" ٢ - من الاشهر (معكوسة) .
- ظهر (معكوسة) ٣ - حرف هجائي . مؤسس دولة
- تركمانية حكمت ديار بكر وماردين وحلب (معكوسة)
- ٤ - كاتب ومفكر مصري . حرف استفهام مجرور
- (معكوسة) ٥ - بيني مبعثرة . قائد لقب بثعلب
- الصحراء ٦ - حرف نصب . وميدة مبعثرة . ٧ - واحدة
- احتلها النبي وفرض الاتاة على سكانها اليهود ثم
- اجلاهم عنها عمر (معكوسة) . لمس ٨ - فوضت
- اليهم (معكوسة) ٩ - حواجز - صفة غالبية للصقر .

### مسابقة الطوابع

ترسل الحلول الى ادارة المجلة . ويكتب على  
الظرف: "مسابقة الطوابع" يجب ان يصل الحل قبل  
نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف  
بمطابقة التاريخ الصحيح للارسال .

الجوائز هي:

الجائزة الاولى: خمسون ليرة لبنانية او ما  
يعادلها .

الجائزة الثانية: مجموعة طوابع بريدية قيمتها لا  
تقل عن خمسين ليرة لبنانية .

الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في المجلة

● تحية خاصة للمهندس نزار عرنوق من  
طرطوس - سوريا الذي اخطأ بكلمة واحدة هي  
"عمى" بدلا من عما . عسى ان يحالفك الحظ في  
المرة القادمة .

### حل مسابقة العدد الثالث

عمودياً:

- ١ - حباب
- ٢ - خاب . عش
- ٣ - هي . يم . رأس
- ٤ - بشارة خوري
- ٥ - اده . فلك
- ٦ - لا . مسك . حر
- ٧ - سو . سليمان .
- ٨ - عفا . بيجو .
- ٩ - بلدان .

افقياً:

- ١ - حبيب السعد
- ٢ - فؤاد شهاب
- ٣ - اخ . آه . أن .
- ٤ - مر . من
- ٥ - بغية . دباس .
- ٦ - كميل
- ٧ - معروف . يسجب
- ٨ - شارل حلو
- ٩ - سركييس

الفائزون في مسابقة العدد الثاني

■ الفائز الاول: اسامه جواد رضا -

صور لبنان خمسون ليرة لبنانية

■ الفائز الثاني: محمد احمد صالح -

ثانوية رأس النبع الرسمية - بيروت

مجموعة طوابع بريدية بقيمة خمسين ليرة

لبنانية

■ الفائز الثالث: اشتراك نصف سنة

في "تاريخ العرب والعالم" نزيه حسين

رمضان - رياق - حوش حالا

### قسيمة الطوابع

رقم

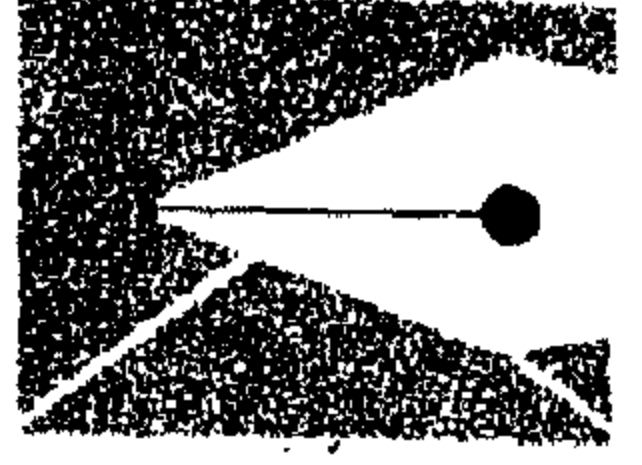
٤

الاسم :

المهنة :

العنوان :





## الوطن العربي أصبح بحاجة الى مجلة

متخصصة في التاريخ العربي  
■ اتمنى لمجلتكم (تاريخ العرب والعالم) النجاح والاستمرار. وان تتحقق الأهداف التي وضعتها نصب اعينكم...  
رغم انني لم اقرأ المجلة القراءة الجديدة التي تمكنني من الحكم او بالأحرى ابداء الرأي... لان الحكم لا زال مبكراً جداً... اعجبت بهذا الجهد الواعي والجاد. في جعل احد فروع العلم (التاريخ) في متناول ايدي القراء... وان الوطن العربي أصبح بحاجة الى مثل هذه المجلة المتخصصة في التاريخ.

اقترح ان تحوى المجلة على مواضيع، لا اقول متخصصة بالاقتصاد... بل ان تلم بدراسة التاريخ الاقتصادي وتاريخ الفكر الاقتصادي... وتاريخ علم الاقتصاد... وتاريخ علماء ومفكري الاقتصاد... الخ... في الوطن العربي والعالم وهكذا في بقية العلوم البحتة، والعلوم الانسانية... وبهذا الشكل تستطيع المجلة ان تدخل الى كل مكتبة وكل بيت... لانها ستكون مرجعاً لكل شأن من شؤون الحياة.

اتمنى لكم التوفيق والنجاح

جامعة دمشق كلية الاقتصاد دمشق -

ج.ع.س

## الاسلوب العلمي الصارم والمنهج

السليم هو الطريق السليم للنجاح  
■ منذ العدد الاول لمجلتكم الغراء وجدت نفسي مدفوعاً للكتابة اليكم معبراً عن تقديري لهذا الجهد الكبير في تخصيص المجلة بكاملها لموضوع طالما تجاهلته دور النشر العربية في وطننا الكبير. ان الاسلوب العلمي الصارم والمنهج المتبع في مواضيع

العدد يشكلان ولا شك الانطلاقة السليمة لمثل هذا المشروع الصعب في تحقيقه والاصعب في تأمين استمراريته. ارجو ان تعتبروني احد المستعدين للمساهمة في تحرير بعض مواد المجلة في المستقبل.

محمد سليم

راس النبع - بيروت - لبنان.

## مجلة تاريخية جديدة تأخذ مكاناً من غير

ضجيج اعلامي...

■ فوجئت بالعدد الاول من مجلة "تاريخ العرب والعالم" بين عشرات المجلات والصحف تأخذ مكانها من غير اي ضجيج اعلام مسبق. وعندما تصفحت العدد كان تفاؤلي اكبر مما تتصورون. فاضافة الى المساهمة القيمة لكثير من المتخصصين المعروفين في التاريخ لفت نظري تنوع مواضيع المجلة مما يجعلها بحق رائدة في هذا المجال في لغتنا العربية.

احمد محمد رضوان

حلب - سوريا

اجوبة سريعة

## ● الأخ صبري سامي صبري - بغداد -

العراق.

□ المسابقة الرياضية مؤلفة من اثني عشر سؤالاً. لقد اجبت على سؤال واحد فقط. نشكر لك عواطفك الطيبة

● الأخ بشار منافنجي - دمشق -

سوريا

□ رسالتك وصلت متأخرة جداً. عسى ان يحالفك الحظ في المرة القادمة

● الأخ ايليا خوشابا بولص - الموصل -

العراق

□ رسالتك وصلت متأخرة جداً. عسى ان يحالفك الحظ في المرة القادمة.

● الأخ غسان الحسامي - طرابلس -

لبنان

□ حولت رسالتكم للاستاذ ميشال اسطفان للاجابة عليها.

● الأخ كامل سبيد - حمص - سوريا -

ص ١٩٦ ب

□ تأخر وصول العدد الاول كان بسبب ظروف قاهرة خارجة عن ارادة الجميع. الاعداد القادمة ستكون في الاسواق العربية في الاسبوع الاول من كل شهر بأذن الله. الاستاذ محمد سكر سيحاول تحقيق رغباتكم في الاعداد المقبلة. نشكر لك مبادرتك

● الأخ رولان بنكلي - دمشق - سوريا

□ نشكر لك مشاعرك الطيبة. ونأمل ان يجد القارئ العربي دائماً كل يفيد وجديد في مجلة "تاريخ العرب والعالم". بالنسبة الى المسابقة الطلابية فلقد وصلت رسالتك متأخرة شهراً على الاقل. نتمنى لك التوفيق في المرة القادمة.

أراء في التاريخ

■ دخل اعرابي بلداً في يوم جمعة، فقبل له: ادخل الحمام واغتسل وتطهر، فدخل حماماً فزلقت رجله ووقع فشج رأسه وسال دمه فأنشد يقول:

وقالوا تطهر انه يوم جمعة  
تزودت منه شجتين بمفرقي  
وما تحسن الاعراب في السوق مشياً

★ ★ ★

■ مر أشعب بقوم يأكلون، فقال: ماذا تأكلون، فأجابوه: سم الموت فقال لهم، لا حياة لي بعدكم. وجلس يأكل معهم.

★ ★ ★

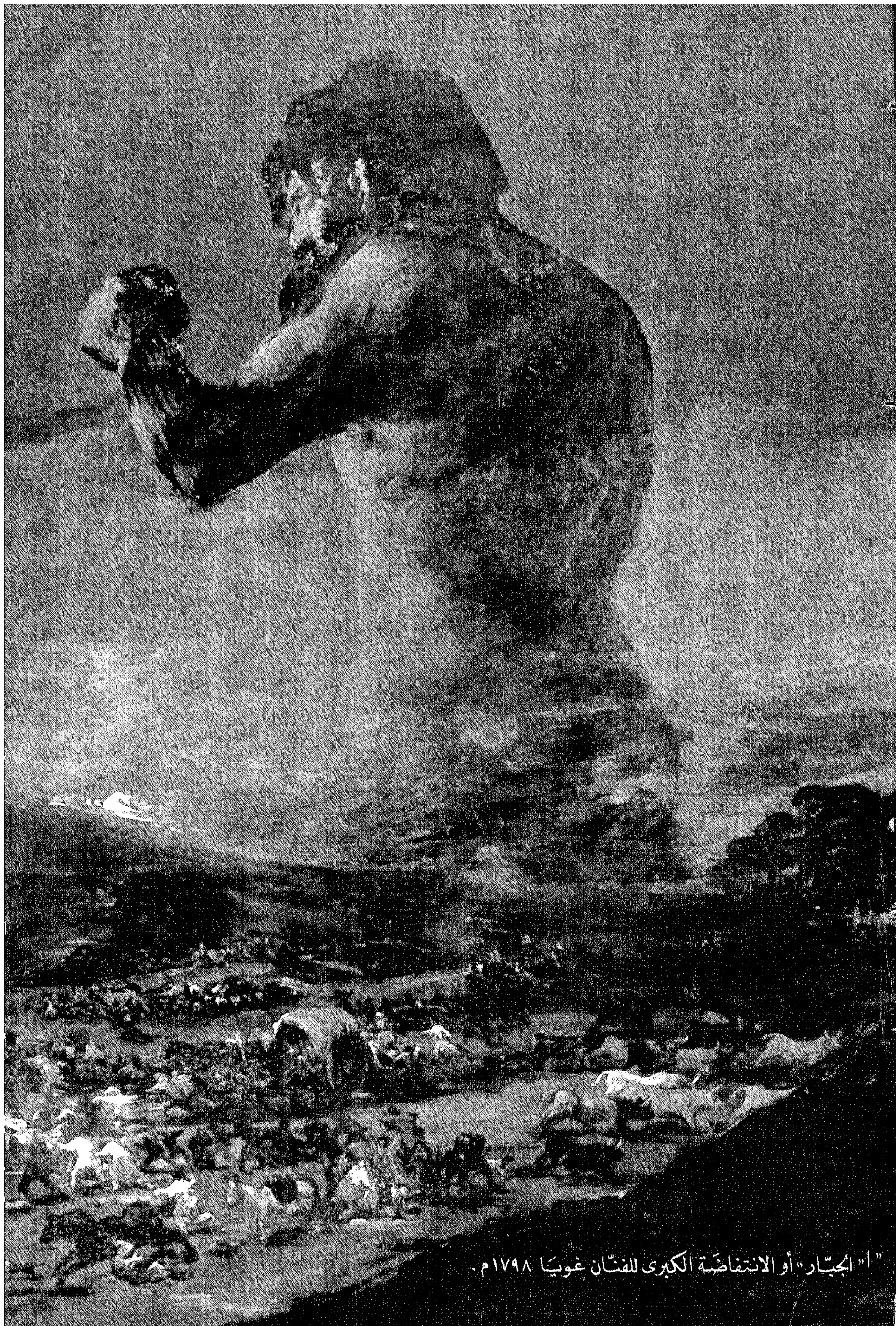
■ قال غلادستون في اواخر أيامه ان امرأتي اكثر السيدات ثباتاً على كلامها فما من مرة سألتها عن عمرها الا قالت انه ثلاثون.

★ ★ ★

■ كان الملك الفرنسي لويس الرابع عشر يخرج للصيد ايام الشتاء دون ان يلبس قفازاً، وراه مرة فلاحان فتعجب احدهما لذلك، فبادره الآخر بالقول: لا تعجب، فانه لا يحتاج لللبس القفازات لأنه يضع يديه في جيوبنا دائماً.

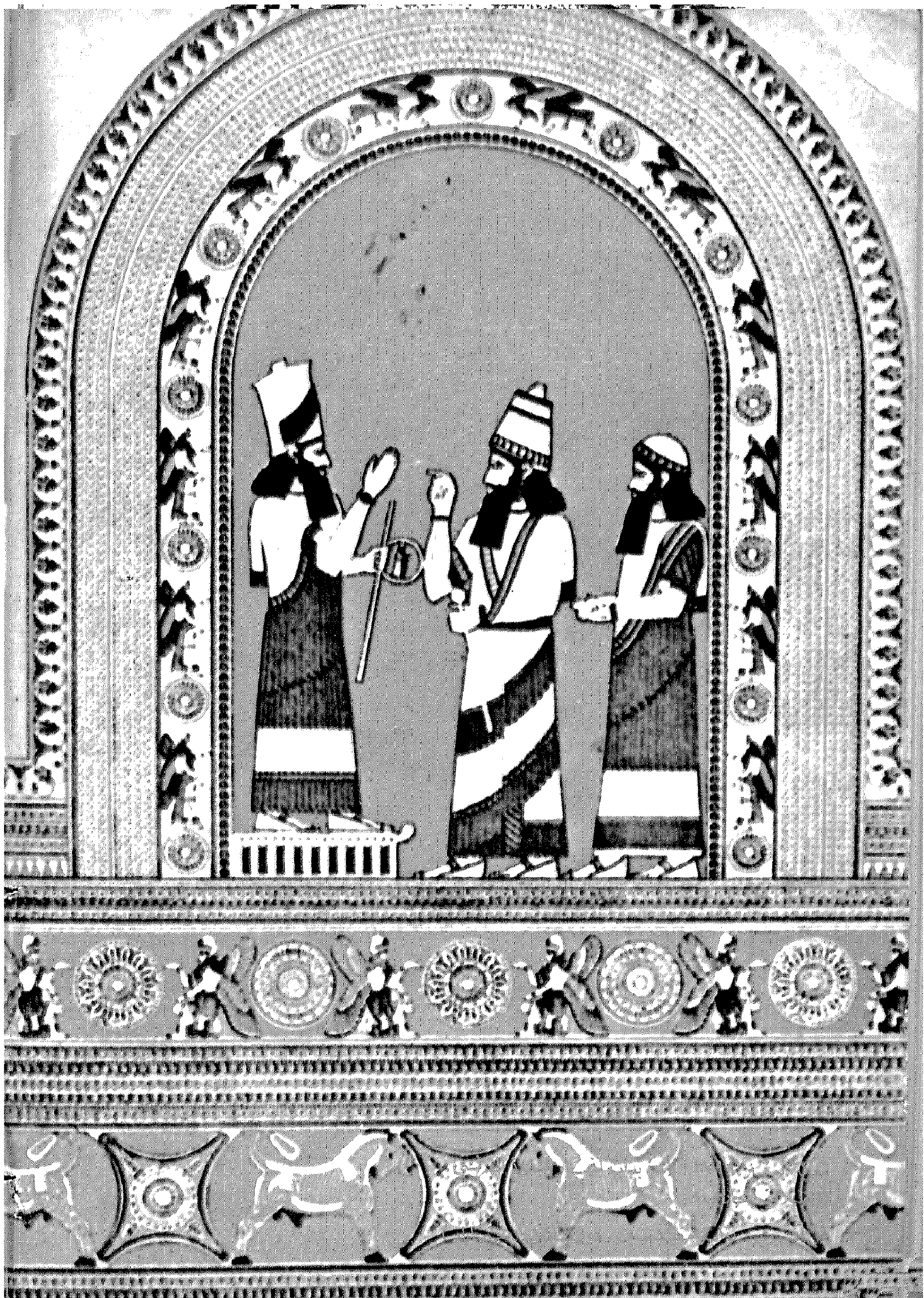
★ ★ ★





”ا” الجبّار” أو الانتفاضة الكبرى للفنان غويا ١٧٩٨ م.



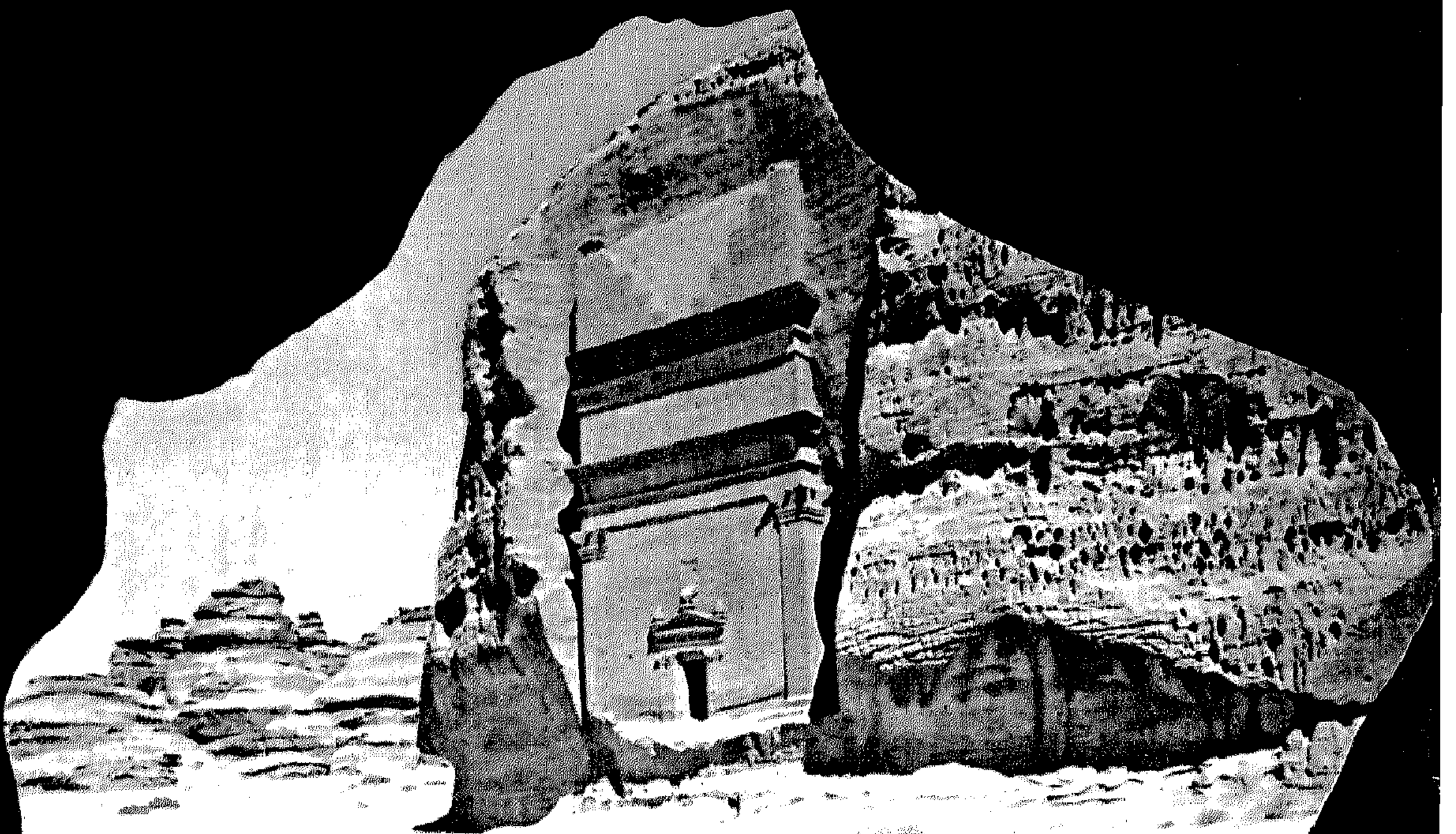




# تاريخ العرب والعالم

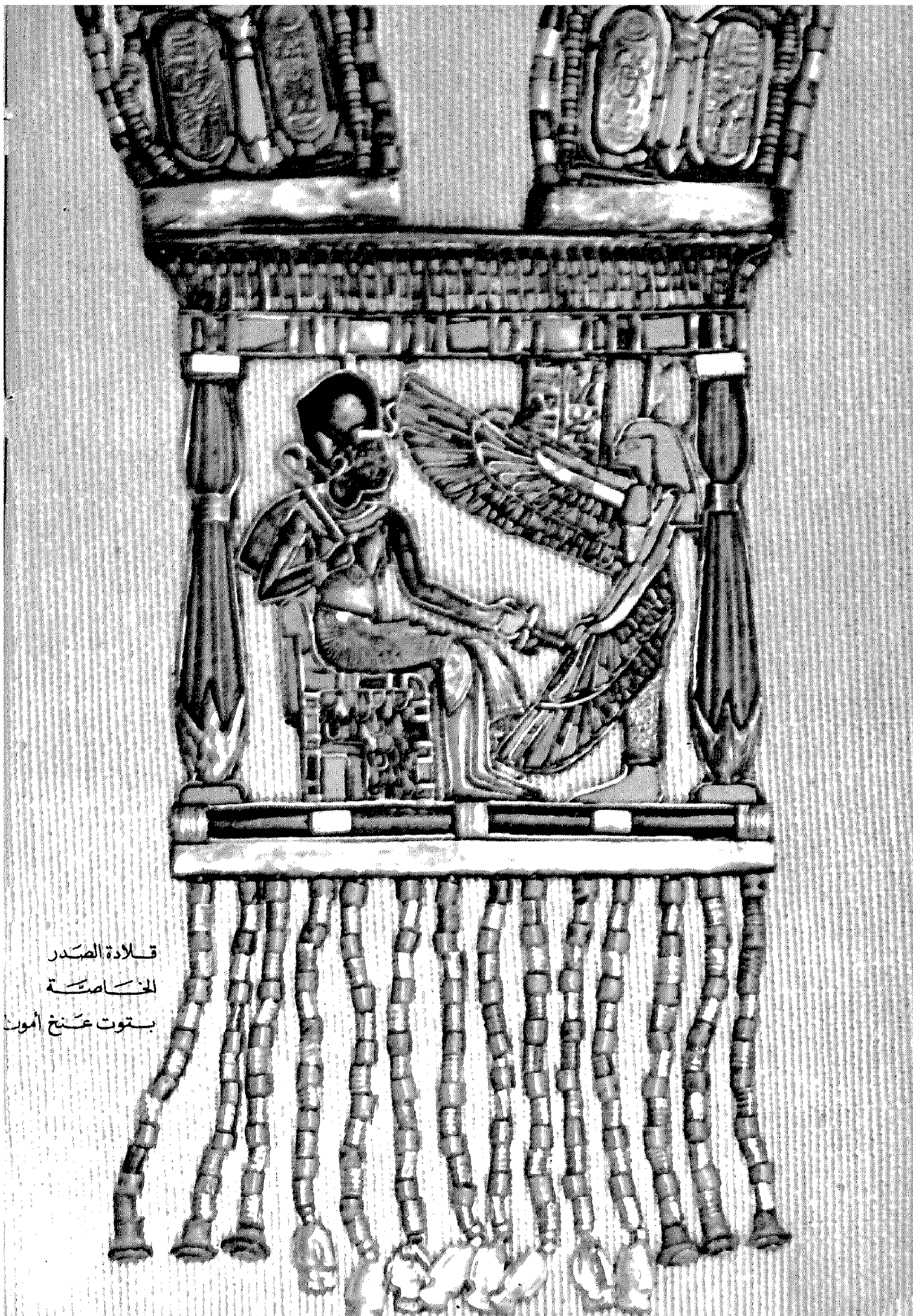
مجلة شهرية مصوّرة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى - العدد الخامس - آذار « مارس » ١٩٧٩ - الموافق ربيع الثاني ١٣٩٩



- قضية المدور بين فاطميين ومحمديين ١٨١٤-١٨١٧
- مذكرات الادبية المكتبة خالدة الريب في لبنان وسورية
- العرب في جنوب السودان القديمة
- اتفاقية الهدنة اللطافية بين مصر والبريطانية
- في الزين يعني الثاني ... أحكام التاريخ ..
- تاريخ الجوهرة : الهامى كانت إمبراطورية السمرقند





قلادة الصدر  
الخاصة  
بتوت عنخ آمون



# تاريخ العرب والعالم

السنة الأولى  
العدد الخامس  
آذار (مارس) ١٩٧٩  
ربيع الثاني ١٣٩٩

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

## الإشتراكات

٥٠ ل.ل.	في لبنان
١٥٠ ل.ل.	للمؤسسات والدوائر الحكومية
٧٥ ل.ل.	في الدول العربية
١٠٠ ل.ل.	في أفريقيا وأوروبا
١٥٠ ل.ل.	دول العالم الأخرى
٢٠٠ ل.ل.	للمؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي

## شحن النسخة

لبنان: ٤ ل.ل.	سوريا: ٦ ل.س.
العراق: ٧٠٠ فلس	ليبيا: ٨٠٠ درهم
السعودية: ٧ ريال	الكويت: ٥٠٠ فلس
الأردن: ٥٠٠ فلس	أبوظبي: ٨ درهم
دبي: ٨ درهم	قطر: ٧ ريال
البحرين: ٧٠٠ فلس	مقط: ٨٠٠ بيعة

رئيس التحرير : فاروق البربير  
المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب. : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان  
بناية أبو هليل - شقة ١١  
شارع السكادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني :  
شركة سينما للتصميم والطباعة  
الإنتاج :  
مطبعة المستوسط ش.م.ل.  
التوزيع :  
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

## HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR  
A MONTHLY ILLUSTRATED  
MAGAZINE PUBLISHED FROM  
SADATE ST. ABOU HLEIL  
BLG. P.O.B. 5905  
TEL. : 346276  
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1  
Nº. 5 March 1979  
PRICE : 4 L.L.  
ANNUAL SUBSCRIPTION :  
50 \$ IN NON-ARABIC  
SPEAKING COUNTRIES

## في هذا العدد

■ المقالات الواردة توزع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكاتب وغيرهم. تراعي في الألقاب الصفات العلمية فقط.

### الصفحة

### الموضوع

- انطباعات الأدبية التركية خالدة أديب
- في لبنان وسورية وفلسطين ١٩١٦ - ١٩١٧ ..... د. إحسان عباس ٣
- قضية الحدود بين فلسطين ومصر ١٨٤٠ - ١٩١٧
- وأثرها في جذور الصراع العربي الاسرائيلي ..... د. خيرية قاسمية ١٤
- العمران في جنوب الجزيرة العربية قبل الاسلام ..... د. نقولا زيادة ٢١
- نساء شهيرات : مدام تيسو المثالة ..... محمد حسن كامل ٣١
- اتفاقية الهدنة اللبنانية - « الاسرائيلية »
- ( ٢٣ آذار - مارس - ١٩٤٩ ) ..... ع. د. ياسين سويد ٣٢
- أمجاد عربية : الطب العربي من ١٠٠٠ سنة ..... عفاف الرشيد الخضر ٤١
- تاريخ الجواهرات : الحلي كانت أحراراً لردّ الشرور ..... متى سمعان بوري ٤٨
- انفجار لبنان عام ١٩٧٥ - ١٩٧٩
- حدثت منه بعثة « ايرفد » قبل ١٩ عاماً ! ( الجزء الثاني ) ..... الأب جوزيف لوبريه ٥٣
- معاهدة كوتاهية ( ١٨٣٣ ) ..... سعيد كريدة ٦١
- نحو تاريخ بدون تزييف :
- فخر الدين الثاني : اختلف المؤرخون فيه .. واتفق الشعب ..... المحامي عصام العريضي ٦٤
- الجغرافيا عند أصحاب الحضارات القديمة ..... وجيه عضاضة ٧٢
- كتاب العدد : « أعداؤنا الفرنسيون » ..... عايدة سلمان نعمان ٧٧
- تاريخ الرياضة : ايطاليا رجحت بطولة ١٩٣٤
- التي انتصر فيها ... موسوليني ..... وفيق علم الدين ٧٩
- تاريخ البروج : برج الحوت ٢٠ شباط - ٣١ آذار ..... منى تنير ٨٢
- تاريخ الشطرنج : خسر الملك فيليب كل جولاته ...
- فهرب منافسه خوفاً ! ..... محمد مراد سكر ٨٤

■ المقالات والدراسات ترسل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة في بيروت.

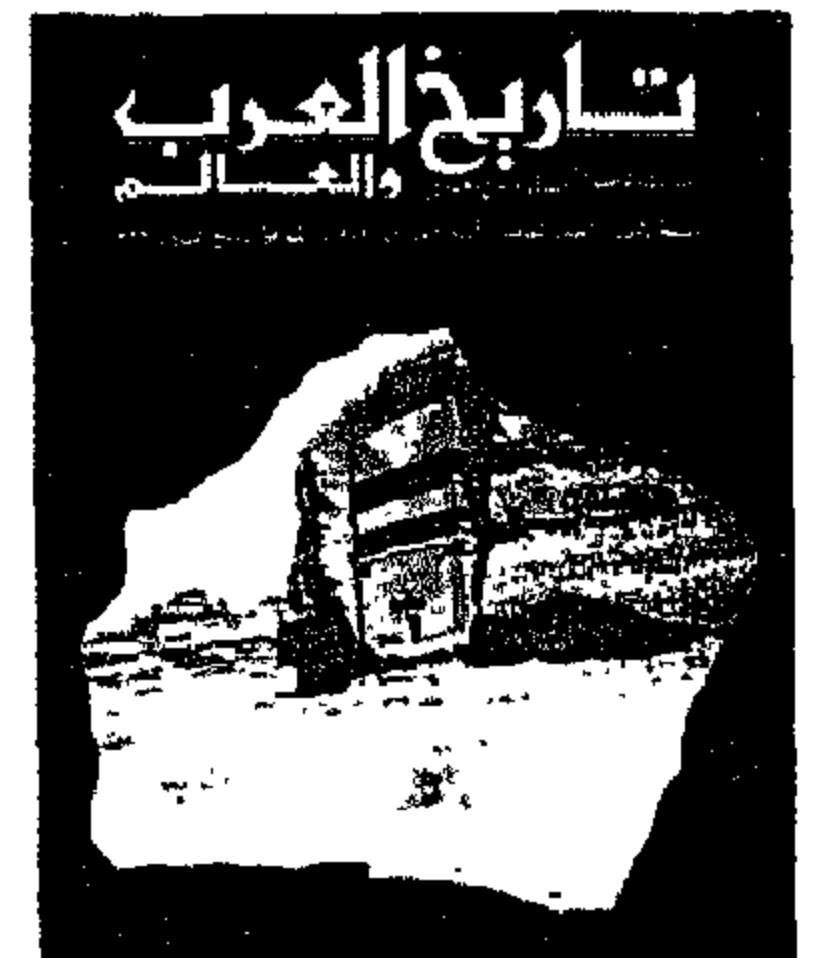
■ المواد الواردة إلى المجلة لا ترد إذا لم تنشر.

■ المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبر بالضرورة عن آراء المجلة.

مدائن صالح  
في

جنوب الجزيرة العربية  
« صورة الغلاف »

راجع موضوع د. نقولا زيادة  
ص ٢١





الادبية التركية خالدة أديب  
(من كتاب مذكرات خالدة أديب - لندن ١٩٢٦)



# انطباعات الادبية التركية خالدة اديب في لبنان وسوريا وفلسطين ١٩١٦ - ١٩١٧

د. امعان عباس

لا ريب في أن الكثيرين من الأحياء يعرفون شيئاً كثيراً عن دقائق الحياة أثناء تلك الحقبة التي تحدثت عنها خالدة أديب . في دمشق والجبل وبيروت : كانت الحرب الكبرى ( الأولى ) قد بدأت . وكان جمال باشا قد علّق المشانق للقوميين العرب . وكانت مذابح الأكراد والأرمن قد ملأت البلاد السورية بالمهاجرين والمشردين والأيتام . وشبح المحاجة المرعب أخذ بجوب الشوارع ...

الأولى بأخرى أكثر تحديداً يطلب فيها إلى خالدة ان تجيء إلى سورية لدراسة الأوضاع ووضع خطة لإنشاء مدارس كبيرة في دمشق وبيروت ولبنان . كان ذلك في صيف ١٩١٦ . ووجدت خالدة . التي لم تكن قد تجاوزت حدود الأناضول يومئذ . أنها فرصة سانحة للتعرف إلى بلاد لم ترها من قبل . فقبلت بالمهمة . وهي تظن انها سترسم الخطة التعليمية اللازمة . وتترك لغيرها تنفيذها . وكان

■ في تلك الغمرة أخذ جمال باشا يفكر في « تحديث » التعليم في سورية . وجعله على مستوى لائق ينافس ما كانت تتمتع به المدارس الفرنسية . التي أغلقها جمال باشا نفسه . من مستوى . فأرسل فالح رفيق بك برسالة إلى خالدة أديب يسألها فيها ان كانت تستطيع أن تقدم العون في هذا السبيل إما بقدومها هي نفسها وإما بارسالها مدرّسات يبدأن العمل هناك . لم يلبث جمال باشا ان شفع رسالته

اللغات التي تعلم فيها هي التركية والعربية والفرنسية» .

#### قصة الشهداء

«كان يعجبني في فؤاد بك نزاهته التي لا تتزعزع وكرهه للفساد . ولكن كان يقال عنه إنه ضعيف في السياسة . وانه شديد الطموح . طلبت اليه أن يخبرني عن اجراءات محكمة عاليه ، وكان أهم ما أود معرفته هو : هل كان القوميون العرب يعملون لمجرد تغيير الحكم أو لنيل الاستقلال . فأسمعي وجهة نظر جمال باشا والحكومة دون وجهة نظره ، لأنني أعتقد انه هو نفسه كان أيضاً ضدّ الاعداد السياسي ؛ قال : ان تحقيق النجاح هو غايتنا القصوى وانه لو لم تستعمل الحكومة شيئاً من الارهاب الجزئي لاضطر الجيش التركي أن يغادر سورية في الأشهر الأولى من الحملة . وحين تحدث عن القوميين العرب قال إنه يعتقد أن بعضهم كانوا وطنيين مخلصين . وقد حدثني عن موت أحدهم حديثاً لن أنساه ، فقال : «جئت إلى بيروت يوم تنفيذ الحكم بالاعدام ، وكان ذلك أمام السراي ، حيث نصبت سلسلة من المشانق ، وكان قد تمّ اعدام بعضهم . وكان فيهم واحد يتمشى بين المحكومين ؛ كان ضابط احتياط يلبس قلباً . كان هادئاً وكأنما هو فوق مستوى الخوف من الموت . جلس على أحد المقاعد وظلّ يدخن حتى حان دوره . اختار مشنقته ، وأدار الأنشطة حول عنقه وقال : ولدت عربياً وعملت من أجل العرب وها أنا أموت في سبيل العرب » . تأملت لمقتل مثل هذا العربي العظيم حتى انني لم أسأل عن اسمه . غير ان السوريين يعرفونه ولا بدّ . لقد استولى عليّ خياله على نحو غريب . فكنت كلما مررت من أمام السراي أتوقف لحظة وألقي عليه تحية احترام . وكثيراً ما كنت أجلس - بعد عام - على شرفة دير الناصرة وأقول له في نفسي : إنني سأبذل كل ما في وسعي من جهد من أجل أطفال العرب أثناء اقامتي في سورية » .

همها بعد أن وصلت صوفر - حيث مصيف جمال باشا وعائلته - أن تستشير بعض العارفين وتستشير بآرائهم حول التعليم ، ثم توجهت إلى مدينة بيروت ، حيث وضعت مخططاً للمدارس التي يمكن إنشاؤها ، وعادت إلى دمشق ، وقامت برحلة في الصحراء ، وزارت القدس ، وكانت هذه الزيارة الأولى «سياحية الطابع» في أكثرها ، كما تحدثت عنها في «مذكراتها» .

#### انطباعات أولية عن بيروت

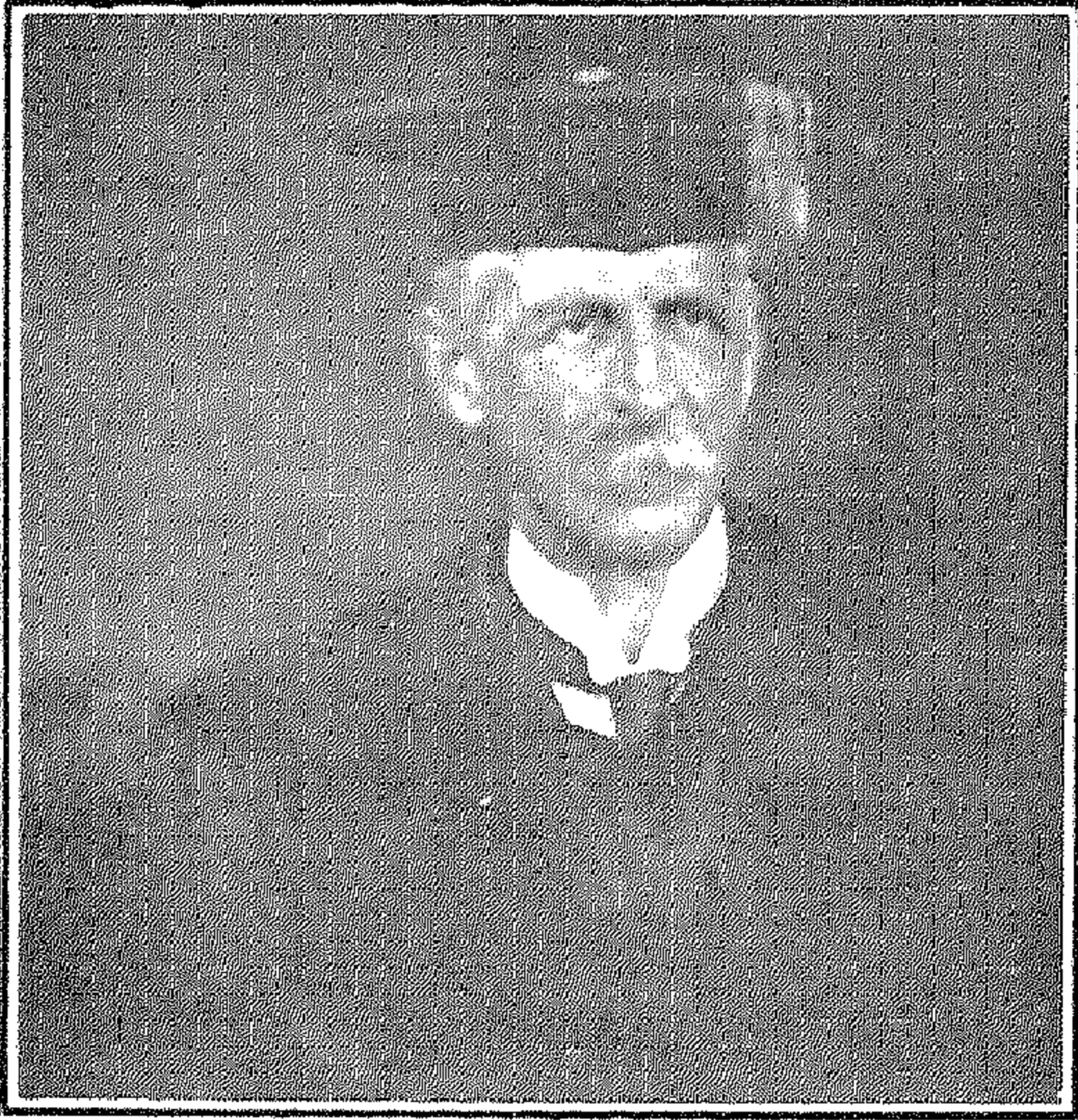
«كان الفقراء من السكان يبدوون هزيلي الأجسام سيئي التغذية . غير أن نساء الطبقات الغنية كنّ يطفن في عرباتهن أرجاء المدينة وهنّ في أبهى حللهن وقد وضعن أصباغهن بدقة وإحكام . لم تكن المجاعة حينئذ قد بلغت ذروتها ولكن كانت نذرها قد بدأت ، وكان رخاء الأثرياء يؤدي العيون .

زرنا جميع المدارس واذا شئنا الدقة قلنا ان لبنان وبيروت تملؤهما الأديرة الفرنسية والمدارس الدينية وغيرها من المؤسسات . كان أفق التعليم محدوداً ، يتخذ في الأكثر دعاوة سياسية للفرنسيين . غير ان كل شيء كان يدرس بكلّ جهد وعناية وراء تلك الأسوار الديرية الحافلة بالأسرار .

أقمنا في فندق بسّول إزاء الميناء ، وفيه أخذنا نعمل ونستقبل زائرينا ، كما جعلنا من الفندق مركزنا الرئيسي - وهذا أتاح لي التعرف على (الكولونيل) فؤاد بك رئيس الأركان - وفي غضون اسبوعين تمّ اعداد التقرير .

وكان فحوى التقرير في كلمات . «لا بد من أن تتوحد الجهود في بيروت ولبنان ودمشق فتنشأ مدرسة نظامية وكلية على أن تكون بيروت مركزاً للمدرسة النظامية . وستكون في كلّ من الولايات الثلاث مدرسة أولية نموذجية ذات ستة صفوف تعد الطلاب للكلية والمدرسة النظامية وستكون





هوارد بلس من كتاب «لكي تكون لهم حياة»



جمال باشا

الأنواع التي لا يحصل عليها المرء الا في دمشق . وكانت هادية ذات ابتسامة غريبة وعينين صافيتين ورأس صغير وشعر قد سُرَّحَ ببساطة وجمع في عقدة عند العنق . وعلى نحو ما بدت أكثر أصالة بل أكثر نزاهة من بعض السيدات اللواتي أثقلن أنفسهن بالجواهر والأصباغ . وبذلن جهدهن في تجميل أنفسهن محاولات الاحتفاظ بأزواجهن . أما هادية فقد كانت «تدير» رؤوس كل الرجال الذين تلقاهم دون أن تبذل أي جهد من ذلك القبيل . كانت يداها الكبيرتان وأناملها الطويلة تتلاعب بالثروات ، وتجعلها تنحدر عند أطرافها المستدقة عفواً دون عناء .

وبعد كثير من الاحاح والتحضير . وذلك ما كانت تعدّه أمراً طبيعياً . أخذت تغني الأغنية البدوية :

إن كنتُ في الجيش أدعى قائد العلم  
فاني في هواكم صاحب الألم  
يا من تملكتم قلبي فكان لكم  
عبداً وكنتُ لهذا العبد كالخدم

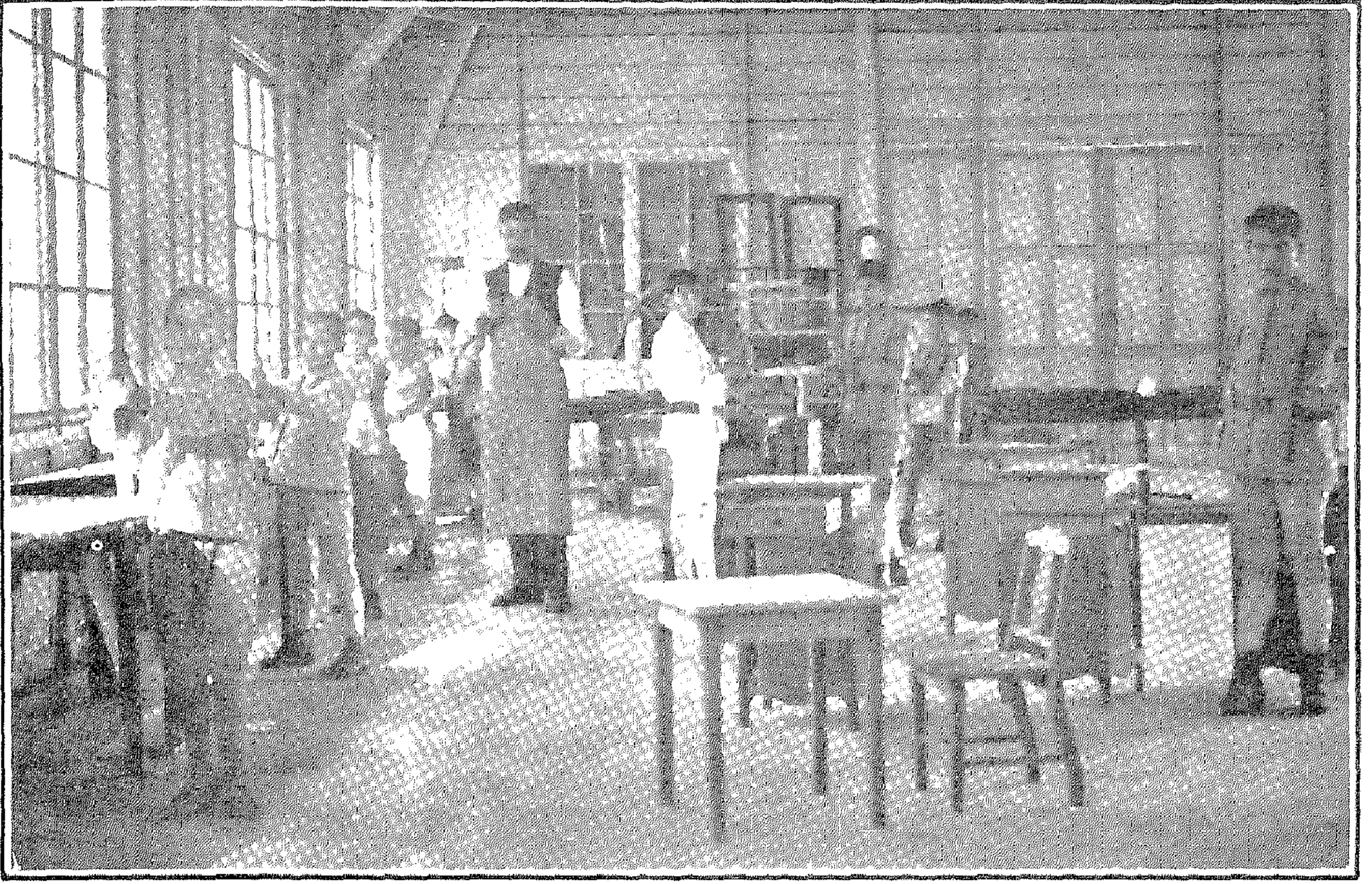
قوة الفن تتجاوز حدود البيئة . في ذلك الزمّ البسيط الذي يحاكي الأزياء الأوروبية . في

#### حفلة عنائية في دمشق

« في آخر ليلة قبل أن تغادر دمشق أقامت السيدات أمسية موسيقية على الطراز العربي . وكأنما كانت الحلوى والفواكهة اللذيذة ورقص النساء العربيات وغناؤهن أموراً لا تنتهي . وكانت المغنيات والراقصات يلبسن ثياباً أوروبية ضيقة ... وعندما كاد الحفل ينتهي حدث هرج كثير . وقالت ربة البيت : «إنها آتية ! إنها آتية ! وأخيراً نجح تدبيري» قلت متسائلة : من هي ؟ قالت هادية المطربة العربية الكبيرة : من أجلها يحرب الرجال بيوتهم . هي حليمة موظف متقاعد أثري باستغلال ظروف الحرب ، لا يسمح لها أن تغني علناً ولكنه سمح لها هذه المرة تفضلاً إذ يعلم ان لا رجال هنالك » .

وجاءت ... جاءت سافرة ترقدي ثياباً أوروبية . وكان لجسمها النحيل تلك القوة والحياة التي لا تستطيع أن يخفيها أي قدر من الملابس الأوروبية وانعدام الاصباغ ، وكانت تتمتع بذلك الميّد العربي النمودجي في خطراتها .

جلست السيدات من حولها وقدّمن لها الفواكهة : المشمش والعنب اللذيين ، من تلك



صف لتعليم مهنة النجارة في عينطورة

ما تسمح به هذه الأيام العصبية ، فكيف ترضي أن يُسمِّي أطفال الأرمن بأسماء إسلامية ؟ ذلك يبدو وكأن الأرمن يتحولون إلى مسلمين ، يوماً ما سيثار التاريخ من ذلك في أشخاص الجيل التركي القادم».

فأجابني برزانة قائلاً : « أنت مثالية ، وككل المثاليين تفتقرين إلى استشعار الواقع . هل تعتقدين أنني أنفع قومي إذا حولت بضعة مئات من أولاد الأرمن وبناتهم إلى الاسلام ؟ لقد رأيت أنت دور الأيتام الأرمنية في دمشق يديرها أرمن ولم يعد في تلك الدور مكان ، وليس هناك أموال لفتح دور جديدة . وهذه الدار [ في عينطورة ] إسلامية ، وهي وقف على أيتام المسلمين وأنا أرسل اليها كل طفل مشرد يأتي سورية من تلك المناطق التي حدثت فيها المأساة ، فهي اليوم مليئة بالأكراد والأتراك . وإذا سمعتُ بأطفال تائهين يكادون يموتون جوعاً أرسلتهم إلى عينطورة : عليّ أن ابقهم على قيد الحياة . كيف ؟ ذلك ما لا أعبا به . كل

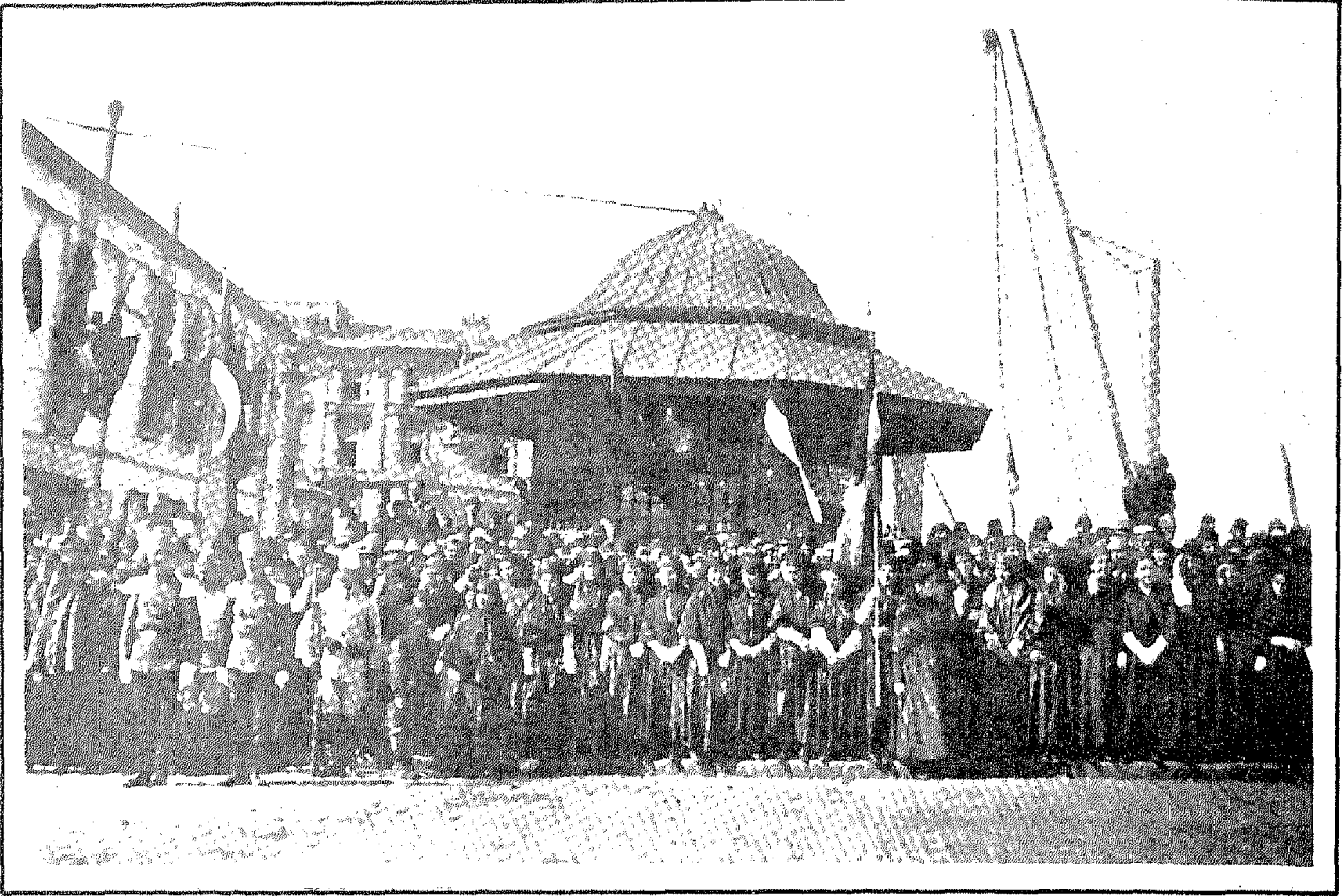
تلك الملابس الأوروبية الرخيصة السيئة التفصيل ، أدت هادية الأغنية بروح العربية الحق وعاطفتها ، كانت «المرنانية» في صوتها ذات درجة خفيفة لكنها صافية عميقة قوية تستطيع أن تستولي على النغمات العربية العاطفية حين تلفظ « يا ظالم » التي توجه إلى المحبوبة في الأغنية . وحين انتهت من أغنيها أدركت مع الأخريات أننا كنا مأخوذات بجمال صوتها ، وتنفسنا الصعداء كما يفعل المرء إثر توتر أو إجهاد عاطفي .

لم تكن في ما يلوح للعين امرأة جميلة ولكن كان لها « حضور » مشوب لا نجد له تعليلاً . كانت تتنفسه . كانت تبثه من حولها على نحو يكاد يسوّغ ضعف الرجال وحقاقتهم ».

#### دار الأيتام في عينطورة

[ قبل العودة إلى استانبول ] « تحدثت ونحن في العربة إلى جمال باشا ، وكان حديثاً كاشفاً ، قلت له : لقد كنت للأرمن نعم المعين ، قدر





النساء التركيات في القرنين الثامن والتاسع عشر

ما في الأمر أنني لا أستطيع أن أتحمّل رؤيتهم يموتون في الشوارع».

قلت له : «ومن بعد» ؟

قال : «تعنين من بعد الحرب ؟ بعد الحرب سيعودون كلٌّ إلى قومه . وأرجو ألا يكون فيهم من لا يستطيع أن يعرف إلى أي شعب ينتمي» .

قلت : «لن يكون لي بهذه الدار أدنى صلة» .

فهز رأسه قائلاً : «بل سيكون لك . انك حين ترينهم في بؤس وشقاء فانك ستذهبين اليهم دون أن تقفي كثيراً عند أسمائهم وأديانهم . انك تتحدثين وكأني آتي عملاً غير انساني . أنا أخذ الخبز من أفواه أيتام المسلمين الذين كان يمكن أن أنفق الأموال عليهم لو لم أقم برعاية هذا العدد الكبير من أطفال الأرمن» .

عاد جمال باشا فأرسل إلى خالدة يسألها ان تعود إلى سورية لتشرف على تنظيم المدارس ، ومن

ضمنها مدرسة عينطورة التي كان عدد طلابها قد ارتفع إلى ثمانمائة . فقبلت بالاشراف على التنظيم ورفضت أن تكون مسؤولة عن دار الأيتام ، ووعدت أن تجد رجلاً كفواً يدير تلك الدار على أن تقوم هي بدور المفتش فيها . وكانت الخطة تقضي بأن تقام في بيروت كلية ومدرسة نظامية وان تفتح في لبنان ودمشق مدرستان أوليتان داخليتان تحوي كل منهما ستة صفوف على النظام الحديث ، واختارت لهذه المدارس عدداً من طالباتها القدامى اللواتي تخرجن في مدارس الأوقاف (باستانبول) وهكذا سافرت إلى سورية مع خمسين امرأة وبضعة رجال حوالي أواخر كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦ .

#### إنشاء المدارس النظامية

«وصلنا بيروت مساء والمطر ينهمر ، فأخذ مدير عينطورة الكتبة والمحاسبين (وهم من الرجال) إلى الفندق ، وذهبت مع المدرّسات الخمسين إلى

مدرسة البنات الأولية التي كانت تديرها أختي . وأخذ حكام بيروت ودمشق ولبنان يعاونون في إنجاز الخطة . وكان ذلك يعني بالنسبة لنا ست عشرة ساعة من العمل في اليوم ، ولكن قبل نهاية كانون الثاني (يناير) ١٩١٧ ، كانت كل المدارس قد فتحت ووصل الطلاب وبدأ العمل فيها جميعاً .

وبدأت المدرسة النظامية والكلية التي كانت مشتركة بين الولايات الثلاث في دير الناصرة : بناية طويلة ذات ثلاثة جوانب تحتضن باحة عالية ، تطلّ على مزارع البرتقال والموز وعلى نخلات طويلة في البساتين الدنيا وعلى الزرقة البديعة المديدة في مياه المتوسط . وكانت البناية من قبل تحتوي مدرسة دينية للبنات السوريات تديرها راهبات ، كن هنالك حين وصلنا . ذهبت في صباح اليوم التالي إلى المدرسة ، وكانت الغرف تبيض وتنظف وتعدّ . فاستقبلتني رئيسة الراهبات وجالت معي في أرجاء المكان .

كان جمال باشا قد أعدّ للراهبات ديراً في القدس ، وكان على رئيسته الأخت فريج والثلاث اللواتي تحت إدارتها ان يرحلن . ولكنني حين جلست إليها في غرفة الاستراحة البسيطة وجاءت راهبة تقدم لنا القهوة فكرت بتدبير أكفل به الاحتفاظ بالراهبات إلى جانبي ... وفي خلال نصف ساعة توصلنا إلى تفاهم كامل . فقد رضيت الأخت فريج أن تبقى وأن تقوم بكل أعمال التدبير المنزلي ... ولا أزال أذكر المحبة ونبرة الاخلاص في صوتها وهي تقول لي : « سنصلي من أجل روحك يا بني » ولا ريب في انهن كن يتذكرني في صلواتهن اليومية في كنيستهن العجيبة .

... كانت امتحانات الدخول عملاً نشيطاً مثيراً فقد تقدم إلينا ١٧٥ طلباً ملء عشرين مقعداً خالياً في الصفوف العليا . وكان أكثر المتقدمات بطلباتهن واللواتي ملأن المدرسة يأتين من لبنان وبيروت بالذات . أما طالبات دمشق فمن حسن

الحظ ان معهد دمشق هو الذي كان يختارهن ويرسلهن إلينا . وكان لبنان يرسل إلينا بنات مسيحيات ، وبيروت ترسل مسلمات ومسيحيات ، بينما كانت الطالبات من دمشق جميعاً مسلمات . وحين ترجم الجسر أفندي المفتش العربي للتعليم العام أسئلة الامتحان إلى العربية ابتسم وقال لي : « لو كنت عربية لانهمت بالقومية العربية ولقدمت إلى محكمة عاليه » . أجل . بما أني كنت قومية مخلصه فقد كنت أرى ان من حق كل امرئ أن يعرف لغة بلده وثقافتها . والحق ان البنات وأكثرهن جئن من مدارس فرنسية لم يكن يعرفن شيئاً عن البلاد التي يعشن فيها ، وكن يحتقرون لغتهن ويرينها في مستوى دون الفرنسية . ولهذا فان المدارس التي افتتحناها أخذت تعلم العربية مأخذ الجد الخالص .

... وسرعان ما افتتحنا صفوفاً لتدريس الخياطة واللغات وخاصة الفرنسية والتركية ، وقد كانت قاعات الانتظار تكتظ بالنساء العربيات اللواتي كن حريصات على الانتظام في تلك الصفوف » .

#### «دوماني» والزيّ الموحد

« في هذه الأثناء جاء لمقابلتي رجل يدعى دوماني ، أحضر معه نماذج من قماش محلي الصنع قابل للغسل والتنظيف بدا لي انه يصلح تمام الصلاحية ليتخذ زياً للطالبات . كان لديه معمل نسيج يفيد فيه من فضلات الحرير بسورية ، وقدم لنا القماش بسعر متهاود جداً مشروطاً أن يدفع له نصف ثمنه فحماً . فوضعه الوالي عزمي بك تحت رعايته وزوّد جميع مدارسنا بذلك القماش العجيب من معمله . ولما عرفت تاريخ حياته من الأخت فريج أحسست بما يتجاوز السرور من أني عرفته إلى عزمي بك : كان أبوه أغني رجل في سورية ، قد بدد كل ثروته في القمار ، ومات وعليه دين ثقیل ، فباع دوماني كل ما قدر عليه من ممتلكات ، وسدد الديون وبدأ يشتغل عاملاً



بسيطاً . انه وأمه ، تلك المرأة النبيلة من كل وجه ،  
من بين أولئك الذين أكنُّ لهم عميق الاحترام» .

### تحسّن الأوضاع في عينطورة

« في الوقت نفسه لم أكن راضية عن مجرى  
الأمر في عينطورة . حقاً اني عيّنتُ لها مديراً  
ومساعدين في أول أسبوع من كانون الثاني (يناير)  
ولكن المكان كان من القذارة والبؤس على درجة  
لا تصدق . فقد كان ما يزيد عن خمسمائة طالب  
من بين الشبانمئة ، مرضى ، ولم يكن هناك أي  
نظام ، وكانت هيئة المستخدمين تتألف من بضع  
نسوة طبيبات لكن تعوزهن الكفاية وبضعة رجال  
وستة عساكر يفترض فيهم أن يقوموا ببعض  
الأعمال . ولهذا أبدى النساء والرجال غاية الفرح  
حين رأوا ان هيئة جديدة كبيرة قد وصلت . كان  
كل طفل وكل سرير وكل جزء في الأثاث تملوه  
الحشرات الطفيلية ، وكان معظم الأطفال مصابين  
بمرض في الفم . بل إن الأطفال انفسهم بدوا في  
مظهرهم وتصرفاتهم مثل الوحوش البرية ، وقد  
صدمت الموظفين الجدد الرائحة والقذارة والضجيج  
ومناظر التعاسة . وطلب المدير الجديد (لطي بك)  
على التّوّ مراجل وألقى فيها كل ما يمكن غلّيه ،  
وأخذ في تعقيم الأثاث والمكان كله لأن التيفوس  
كان في أسوأ الأمراض الوبائية السائدة في سورية .  
ووصل طبيب جديد (اسمه لطفي أيضاً) من الجهة  
وعمل الأعاجيب لانشاء مستشفى مقبول ولتحسين  
الأوضاع الصحية ، فأبیدت الحشرات ، وأزيلت  
الأوساخ والقاذورات ، ولكن بدا لي في زيارتي  
الاسبوعية للمدرسة ان التحسن كان بطيئاً  
أو معدوماً .

وقد أخذت وهن العزيمة يستولي على المدير ، إذ  
أربعه التردّي الخلق الذي كان يعانيه  
الطلاب ، فقد كان بينهم قلة من الكبار الأصحاء  
يسيطرون على المكان كله . وقد أخبرني أنهم  
يأخذون خبز الصغار ويبيعونه في القرية ، ويقامرون

بكلّ سبيل ويأتون أموراً أخرى لا يمكن التحدث  
عنها . فتحدثت إلى أولئك الطلاب (الكبار) وإلى  
المعلمين ومكثت بعض الوقت أرقب الأمور وأخيراً  
قررت أن آتي إلى المدرسة بنفسني وأبدأ فيها العمل ،  
ذلك ان مدرسة دير الناصرة كانت قد بدأت في  
جميع فروعها بداية حسنة ، وكانت في أيد أمينة ،  
ولهذا كان في استطاعتي أن أغيب عنها بعض  
الوقت .

ولما بلغ وهن العزيمة حدّه الأقصى لدى  
المدير قرّر مبارحة المدرسة مع عدد من معلمها ،  
وقبل الدكتور لطفي (الطبيب) ان يكون مديراً  
للمدرسة ، وكان تعييناً ذا بركة على تلك المؤسسة ،  
فأبرقتُ إلى المركز بدمشق وأعلمتهم بما تمّ من تغيير  
وشرعت في العمل .

بدأت عملي بالذهاب إلى غرفة الطعام لأرى  
تلك المحنة الفظيعة التي تسمى تغذية الأطفال والتي  
روّعت المدير السابق وهيئة التدريس . كانت غرفة  
الطعام تتألف من ثلاث قاعات كبيرة واسعة جداً .  
تفضي إحداها إلى الأخرى . وقد احتشد  
فيها ٤٥٠ طالباً لتناول وجباتهم ، ومعظمهم يبدون  
وكأن المصحة أليقُ بهم . ويقف على الباب جنديان  
ومع كل منهما كبس مملوء بالخبز يوزعانه على  
الأطفال لدى دخولهم ، بينما تحاول المشرفة مقبولة  
خاتم مع بعض الاساتذة سكب الحساء لهم .

وقبل أن يتكامل عدد الأطفال في القاعة بدأ  
ضجيج صاحب وعراك . ذلك منظر يجدرُ بطلاب  
علم الانثروبولوجيا رؤيته لأنه يصور الصراع  
الرهيب من أجل البقاء بين أخطأ أنواع  
«الحيوانات» . كان الأولاد الأقوياء يخطفون الخبز  
من الضعفاء ، وهؤلاء بدورهم يناضلون ليحتفظوا  
به لأنفسهم . كان عراقاً شرساً ترى فيه جميع  
الأطفال يتصارعون ويتشاجرون ويكون  
ويصرخون . حاول محاسب المدرسة وهو رجل قوي  
أن يعيد النظام بعصاه فلم يفلح ، وكان بعض  
الأطفال ما يزلون مطروحين أرضاً ، والمشرفة قد

جرحت والدم يسيل من يديها وعنقها . ويبدو ان هذا أسوأ ما كانوا يستطيعون عمله . ولهذا سررتُ أن أرى الأمر يبلغ حده . وان كان يملاً المرء أسىً لا قبل له بالتعبير عنه وهو يرى سرعة انهيار الطبيعة الانسانية في ظروف البؤس والتعاسة .

« كانت خطتي أن أبدأ تَوْأً فأجعل الأولاد يحكون ويعملون في النجارة ويصنعون الأحذية أي أن أُلقي بهذه الكتلة الضخمة من الطلاب الكبار في حومة العمل وأن أجعلهم يحققون الاكتفاء الذاتي إلى حد ما . وفي الليلة الأولى . وبعد أن عملت حتى الثانية عشرة في مكتبي - وكان يقع في الطابق الأول - تجوّلت بهدوء في أرجاء المدرسة . كانت الدهاليز مليئة بالأولاد الكبار يضحكون ويتحدثون مع الجنود العرب الذين يفترض فيهم القيام بالحراسة . وكانت غرف النوم في حالة زريبة ، يتكدس فيها الكبار والصغار معاً . وعدت في الثانية إلى غرفتي وأضفت ملاحظات أخرى لما أنوي أن أقوم به .

كانت إحدى النساء الاستانبوليات اللواتي قررن البقاء تحسن الخياطة . واستدعيت عدة نساء من القرية ، بدأن مع البنات الكبيرات يحضرن الملابس والفراش للصغار ، طلبت من الإدارة أن ترسل نجاراً ماهراً وصانع أحذية ومديراً ينظم فرقة نحاسية واحضرت اثنتين من مهرة النساجين وبضعة أنوال بسيطة للبدء بنسج الأغزال في قماش . فوصل « المعلمون » في خلال ثلاثة أيام واختاروا الأولاد الكبار الذين لا بدّ منهم في تسيير العمل وبدأوا يعملون بنشاط بالغ . والفضل في سرعة إرساء قواعد النظام يعود لحدّ كبير إلى هؤلاء الأولاد الكبار وهم الذين كانوا في البداية متدهورين يصعب التعامل معهم . وقد كانت لي معهم أحاديث جدية . ومن خلال الاتصال الشخصي اخترت أيضاً كل من أريده لأغراض أخرى عدا النسج والنجارة .

وعند نهاية الأسبوع كانت غرف نوم الصغار

قد أعدت بفرشها الجديد ، وكانت ملابسهم وجانب كبير من أحذيتهم قد أعدت كذلك . وقد خصصت لكل عشرة أطفال صغار (من ذكور وإناث دون السابعة) مشرفة (أُبلة) أي « أختاً » من بين البنات الكبار ترعاهم وتعينهم في اللبس والاغتسال والذهاب إلى الصفوف ... وأول يوم سار فيه كل عشرة إلى حمام مع المشرفة كان يوماً لا ينسى ، فلما استحم أول عشرة وارتدوا ملابسهم التي كان يحلو النظر اليها ، جلسوا على « بنك » في قاعة الاستحمام ومالوا برؤوسهم بعضهم إلى بعض ، وناموا ، وعلى وجوههم سمات سعادة لم أكن أظنها تتأني لهم . وحين خرج كل عشرة مع مرافقتهم مهندمين مسرحين نظيفين ، فان المدرسة كلها التي نزلت لترقب هذا التغير وقفت تشهدهم وهم يمرون وقد تملكها شيء يشبه الرهبة . في تلك الليلة ذهبتُ ثلاث مرات إلى حجر النوم لأرقب الصغار وهم تائمون .

وعند ختام شهرين كان كل الطلاب قد اتخذوا ملابس جديدة ، وأحذية جديدة وكلها من صنعهم ، وأصبحت حجرات نومهم نظيفة مرتبة . وقد صنع النجارون الشبان ثلاثمائة سرير خشبي وكانوا آخذين في صنع « اسكملتات » ... وكان برنامج التعليم المقسم إلى خمسة صفوف يطبق بكليته . وكان للأولاد أيضاً مشرفون ، فلكل خمسة وعشرين منهم « شاويش » وتلك مرتبة شريف ، ولقد سرّوا باعتبارهم زملاء عمل مع الاساتذة ولهذا كان كل « شاويش » يحاول أن يبقّي جماعته في أحسن تدريب . ان بركة العمل والنظافة والاهتمام بالألعاب والموسيقى جعلتهم في حالة مزاجية أحسن ، حتى لقد أصبح الانسجام العام بين الطلاب مدهشاً . تذكّرت الأيام الأولى حين كان الطلاب الأرمن والأكراد يكادون يمزقون حلق بعضهم بعضاً يومياً ، وشعرت بالامتنان لهذا التغير السريع . ثمة طالبان كرديان أصبحا خير نساجين هذان نفساهما هما اللذان جاءاني في خلال



الاسبوع الأول من مقامي بعينطورة ورأساهما  
ملفوفان بالضمادات . وقالاً بلسان واحد :

- نريد اذنًا لنذهب إلى دمشق .

- من أجل ماذا؟

- نريد أن نقتل الأرمن .

- ولم؟

- لأن الأرمن قتلوا آباءنا وهم يضربوننا

يومياً .

- ولكن ليس هؤلاء الأولاد هم الذين

قتلوا آباءكم . ثم ان آباءهم هم أيضاً قتلهم ناس  
آخرون . لكن اخبراني كيف أصبنا بهذه الجروح  
في رأسيكما؟

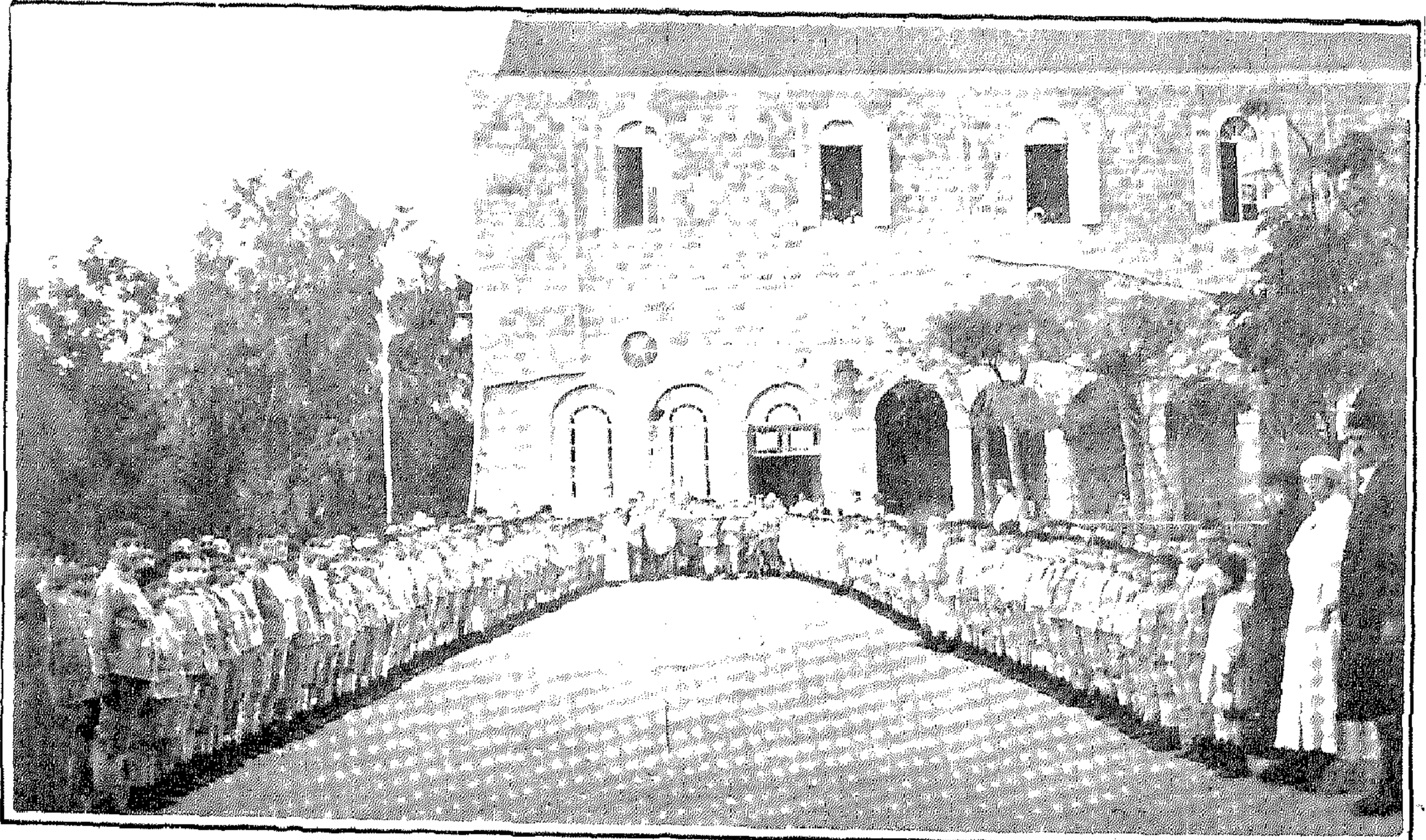
أرسلتهما إلى المستشفى وقلت لهما عليكما أن

تؤجلا الذهاب إلى دمشق بعض الوقت ؛ ومما  
أحببته فيهما أنهما رغم ما كان يملأ صدريهما من  
كراهية للأرمن . أبيا أن يذكرأ أسماء من  
جرحوهما . هذان الولدان أصبحا هما الذين  
ينسجان كل ملابس رفاقهما . يذهبان ويحيثان في  
وداعة الحمل .

لم أكن آمل في أن أسمع الضحك في  
عينطورة . كان جل ما أسمى إليه أن أقلل من  
الدموع ومن المرضى . ومع ذلك رأيت أرجلاً قوية  
ووجوهاً تطفح بالحياة . وكثيراً ما كنت أسمع  
ضحكاً وأصوات حبور . ان روح المودة النسبية  
والصحة الجيدة كانتا باعثتين على الاحساس  
بالإبتهاج والتفاؤل بعد شهرين من العمل المضني .  
ولم أتبين أنه مضمّن حقاً إلا حين نظرت في مرآتي  
ذات صباح فرأيتها مغشاةً بسحابة رمادية ووقعت  
على الأرض وأنا أحس أن الموت سيخطفني قبل أن  
أبدأ كل ما أريد تحقيقه في تلك المؤسسة على الوجه  
الصحيح ... وقال لي الطبيب إنها حالة من  
« الأنيميا » الدماغية . لزمت الفراش بها اسبوعاً  
قبل أن أسافر . للتفتيش على مدرستنا  
بدمشق ... »

من صور النجاعة

« كنت التقط لمحات من حياة الناس المتعددة  
الجوانب بسورية : كان هناك الأغنياء بلبان  
وبيروت من الأسر المسيحية العريقة : صورة  
تقليدية عربية للدنيا الباريسية . فالملابس وآداب



أولاد الطائفة الارمنية كانوا موسيقيين جيدين

السلوك والطرائق العامة كلها واردات فرنسية .  
ومن الغريب في الأمر - مع ذلك - انه كان  
ما يزال لديهم شيء أصيل يحاولون جهد الطاقة  
إخفائه . وهناك أبناء العائلات الاسلامية والدرزية  
العريقة ، الذين حاولوا جاهدين أن يحافظوا باعتزاز  
على طريقتهم وشخصيتهم . وكان هناك ثراء فاحش  
بسبب الحرب ، كله قائم على الاتجار بالقمح ، أما  
بين الجماهير فكانت المجاعة بأبشع صورها آتية على  
نحو كاسح سريع ، وكنت ترى في شوارع بيروت  
الغنية أناساً في اسحال . ووجوههم قد اعتصرها  
الجوع ، ومشردين هائمين من رجال ونساء .  
وأطفالاً مستوحدين ذوي أرجل مرتعشة نحيلة  
كالقصب ، ووجوه متفضنة كوجوه المعمرين ،  
وعيون غائرة تنفث سخرية مريرة لا واعية ، وشعر  
قد خفّ أو سقط جملة . وما يزال في ذاكرتي  
منظر طريق تمتد إلى ما لا نهاية أرى فيه هذه  
الأشكال الصغيرة المغمورة تمضي قدماً ، وفيها  
صورة درجات رخامية غنية أمام منازل فخمة  
حيث يرتمي أحد تلك الرؤوس البائسة الصغيرة على  
ذراع عظمي ناحل في استسلام مطلق وتوق إلى  
الموت . وأول مرة سمعت الصيحة ترددت أصدائها  
وترددت في رأسي وقلبي . كان ذلك بعد حفلة  
موسيقية في الكلية الأميركية ذهبت اليها مع عدد  
من المدرسات وأسلمت نفسي إلى نعيم الموسيقى .  
وكنت أسوق عربتي عائدة خلال شوارع بيروت إلى  
دير الناصرة حين سمعت : «جوعان» ، كانت  
صرخة وحيدة نافذة ملحة تشق الفضاء كالمدية .  
ومنذ ذلك الحين سمعت لفظة «جوعان» كثيراً . مع  
مرور الأيام أصبحت الأصوات الجشاء اللائبة التي  
ترسلها النساء ، والنغبات الرزينة العميقة التي  
يطلقها الرجال في ألم لا لون له ولا وهج .  
وحلوق الصغار الواهنة التي تكاد لا تجد فيها بقية  
رمق - أصبح كل أولئك يرسلون تلك الصرخة في  
نغمة فريدة حادة كشفرة السيف تشق شغاف  
القلوب

وفي السنة التالية (١٩١٧) ازداد البؤس

ولكن رافقه روح أكثر استعداداً لتقديم المعونة :  
ففتح الوالي عزمي بك داراً للأيتام ضمت سبعمائة  
طفل عربي ، جمعوا كلهم من طرق بيروت  
ولبنان ، وافتتح علي منيف بك مطابخ عديدة  
لتقديم الحساء للمشردين واليتامى الهائمين ، وزاد  
من عدد تلك المطابخ خليفته اسماعيل حقي بك  
الذي كان يحبه أهل لبنان كثيراً لإدارته المتحررة  
المتسامحة . كذلك قام الأميركيون بنصيب كبير ،  
فهناك دار الأيتام كان ينفق عليها المستر دودج ،  
ختن (زوج ابنة) المستر بلس . ان حياة التضحية  
بالذات التي عاشتها عائلة دودج في بيروت خلال  
السنوات التي مكثتها هنالك لأمر يعتربه المرء حقاً .  
وكان هناك تعاطف وانسجام متناميان بين  
المؤسسات الحكومية والاميركية ، وأنا بخاصة أشعر  
بجميل الدكتور بلس لمودته المشجعة ومعاونته في  
إيجاد معلمين للغة العربية ، وعن طريقه أيضاً  
حصلت على معلمة ممتازة للتربية البدنية - شابة  
أميركية تدعى الآنسة فيشر كان انضمامها إلى الهيئة  
التعليمية بمدرستنا كسباً لا يستهان به .

كذلك كانت السيدات الغنيات الأنقيات  
في بيروت ولبنان نشيطات في السنة الثانية فقد  
افتتحن «ورشة» جميلة للتطريز والملابس النسوية  
الداخلية وقمن بإدارتها بقدر فائقة ، واستخدمن  
عدداً كبيراً من الأيتام الصغار .

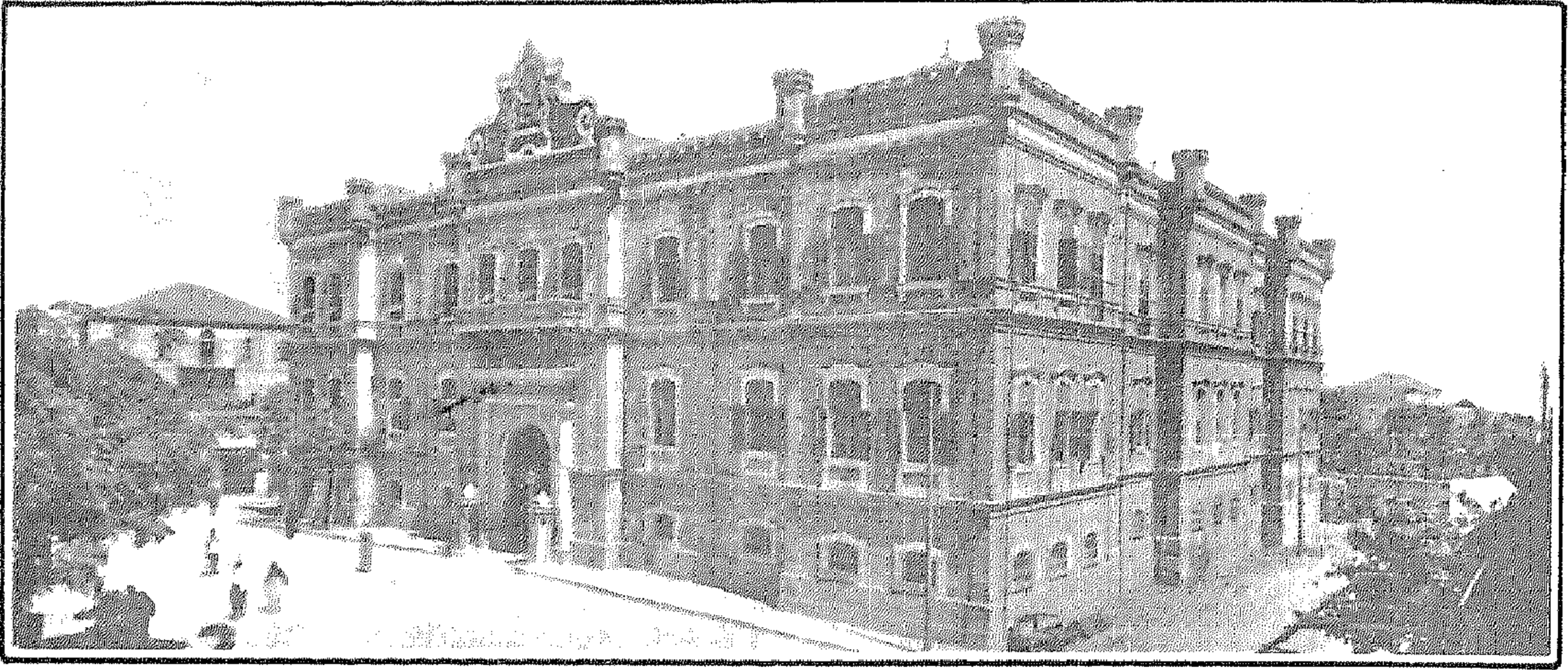
### وديع صبرا

كثيراً ما تحدث إليّ السوريون ، وخاصة  
المثقفون فيهم ، عن موسيقار عظيم منهم اسمه وديع  
صبرا . كنت سمعت باسم وديع صبرا أول مرة  
سنة ١٩٠٨ وأنه ملحن أغنية قومية نظمها توفيق  
فكرت ومطلعها :

شعب من الشجعان  
نحن بني عثمان

وقد ردها حوالي ثمانين ألف رجل وطالب





السراي القديم في بيروت الذي بني عام ١٨٨٣ - ١٨٨٤

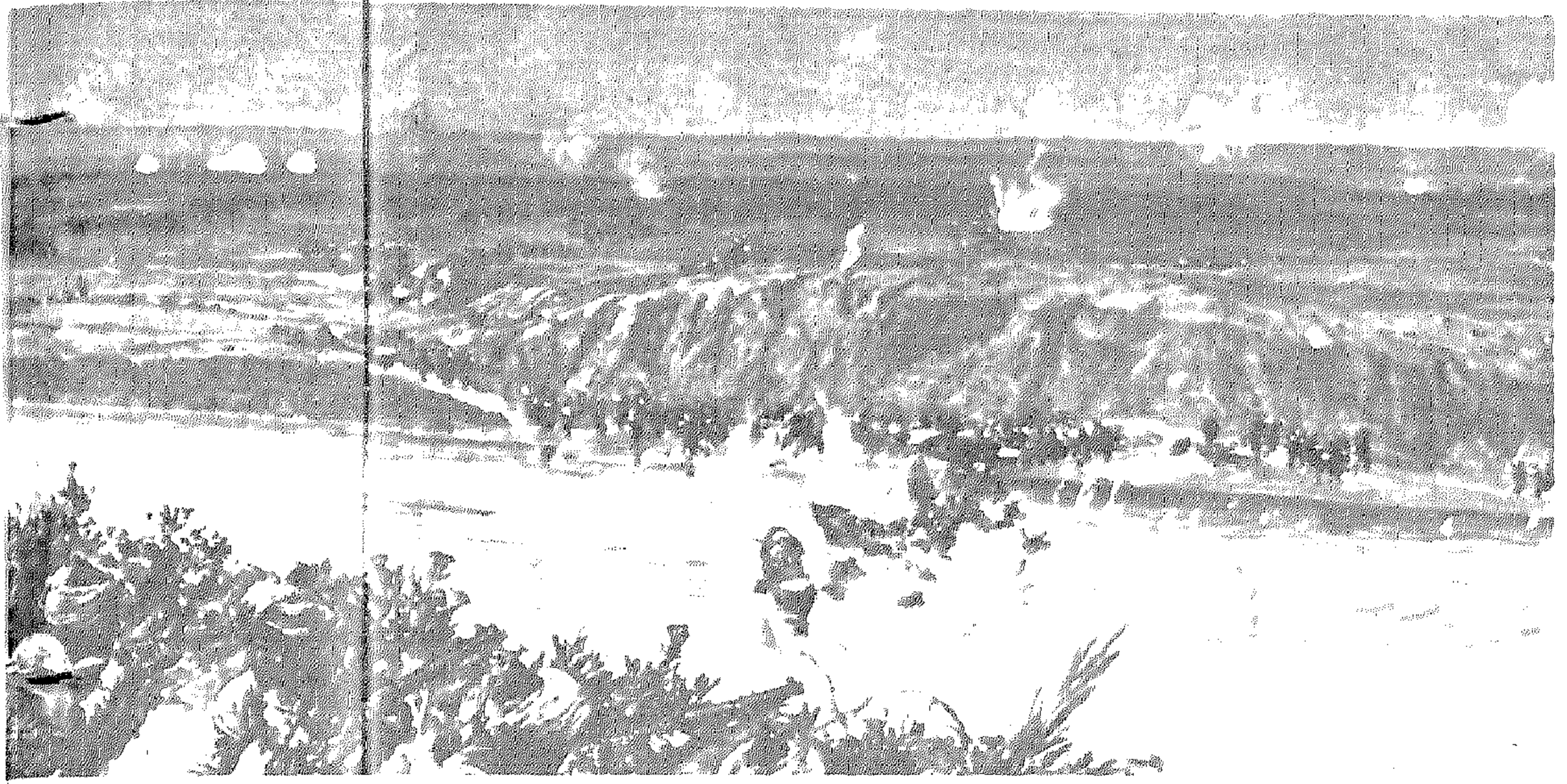
الحالات يؤدونها إلى حد الكمال... أولئك الأطفال الحفاة في عباءاتهم الفضفاضة ذات الألوان الحمر والزررق والبرتقالية اللامعة حسبوا أنفسهم حقاً في الصحراء، يحسون بالحسد القاتل في نفوس إخوة يوسف تجاه أخيهيم وهم يتآمرون على بيعه أو قتله. وفي المشهد الأخير عندما غنوا تلك النغمة التي تعرفها سورية كلها «لنقتله، لنقتله» أحسستُ حقاً بالقلق على حياة الطفلة التي كانت تمثل دور يوسف. ذلك ان التشجنات القاسية على وجوههم السامية. وأيديهم القاتلة وهي تعث حول يوسف بنحفة كالبرق. ويوسف المسكين يعدو محاولاً أن ينجو. برعب حقيقي لا يستطيع أن يعبر عنه - كل ذلك زلزل القاعة، حتى لقد سرت عدوى الأداء التمثيلي إلى المشاهدين... واستعادت بيروت المسرحية ثلاث عشرة مرة».

[في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩١٧ بدأ الانحسار. وكانت خالدة المنهمكة في عملها لا تتصوّر أن سورية قد تقع في يد «الأعداء». وهكذا كانت لحظات البناء الثقافي، كأنها حلم بدده كابوس الهزيمة أو شبحها المنتظر. كانت تجربة تشبه «صحوة الموت». ان التاريخ صارم جداً، إنه لا يسمح للمرء أن يقول: ماذا لو تمّت قبل سنوات. وترسخت منها الجذور!]. ■

في حديقة تقسيم. وكان صبرا يومئذ يقود الأوركسترا. في تلك الأيام لم يكن البغض العرقي في تركيا قد ابتدأ، وفي سنة ١٩١٥ اقترن اسم وديع صبرا بمؤامرة في بيروت لصالح الفرنسيين فني إلى أرضروم. وقد كتبت إلى جمال باشا أسأله ان يأذن لنا بتعيين وديع صبرا رئيساً للدائرة الموسيقية التي كنا نزمع أن نجعلها نموذجية في سورية. ولم يمض وقتٌ طويل حتى كان صبرا رأس الدروس الموسيقية.

... استأذن وديع صبرا أن يجعل من «رعاة كنعان» مسرحية موسيقية وبعد أن رتب نصّ الأوبرا بمعاونتي شرع في العمل. فأتّم انجاز الفصل الأول في سورية منظماً أوركسترا من خمسة وعشرين بينهم أهم الموسيقيين الهواة والمحترفين في بيروت، وكان علي ضومط عازف البيان السوري الذي كسر سنه الأمامية ليصبح شبيهاً بيتهوفن أن يصاحب الأوركسترا. وبدأ صبرا يعد العدة ليقدم تلك المسرحية... وكان أن قدّمها في ٢٢ شباط (فبراير) ١٩١٧.

الأطفال في العالم كله ممثلون بارعون، ولكن الأطفال العرب يبدّون من عداهم جميعاً في أمور معينة، فهم يندمجون في التمثيل كأنما يتحوّل لديهم إلى حقيقة، وإذا كانت ثمة رواية ذات عاطفة درامية أو مأساة أو وتر بطولي رومانسي فاعهد بها إلى الأطفال العرب، وستجدهم في معظم



عملية عبور القوات التركية لقناة السويس

# قضية الحدود بين فلسطين ومصر وانثرها في جذور الصراع العربي - الصهيوني

د. خيرية قاسمية

جامعة دمشق / معهد البحوث والدراسات العربية

تقديراً من مجلة «تاريخ العرب والعالم» للمؤتمر الثاني لتاريخ بلاد الشام الذي عقد مؤخراً في دمشق (راجع العدد ٣ من تاريخ العرب والعالم «كانون الثاني ١٩٧٩») أعد مركز الدراسات والابحاث في المجلة صورة ملخصة من ثلاثة من البحوث التي قرئت في المؤتمر وكانت على جانب كبير من الاهمية والاثارة. على ان تُنشر متتالية في المجلة ابتداء من هذا العدد.

وفي هذا المجال تودّ المجلة ان تؤكد انها تقدر جميع البحوث المقدمة الى المؤتمر. كما انها تقدر الجهود الكبيرة التي بذلتها جامعة دمشق في سبيل انجاح هذا المؤتمر. وتتمني ان تستمر الجهود في جميع انحاء الوطن العربي لدرس تاريخ العرب دراسة متعمقة مكثفة تضمن للعرب رؤية اوضح لتاريخهم وثقة اكبر بأن هذا التاريخ يكون ركيزة اصيلة لا نطلاقهم في مجال بناء تاريخهم الحديث بناء سليماً ثابت البنيان.

د. خيرية قاسمية : جامعة دمشق . معهد البحوث والدراسات العربية.



المصالح البريطانية وجه نداء يدعو فيه اليهود في آسيا وأفريقيا «لالتفاف حول رايته من أجل إعادة مملكة القدس القديمة» ولم يكن ذلك إلا لأن توطين اليهود في فلسطين قد أصبح يلعب دوراً كبيراً في أمور السياسة الدولية العملية حتى قبل أن توجد الحركة الصهيونية السياسية.

وقد تلاشي المشروع بمعارك عكا وأبي قير .  
الا أن بريطانيا تحققت من أهمية هذه المنطقة بالنسبة لامبراطوريتها الشرقية . فسعت بشتى الوسائل لابعاد أي نفوذ آخر عن تلك المنطقة بحجة حماية الطريق الذي تسلكه مصالحها الى الهند . وهذا مادفعها الى مساندة الدولة العثمانية حين أحست بخطر جديد على مصالحها في الشرق مع ظهور قوة محمد علي .

فع تآزم المسألة الشرقية الناجمة عن توسع محمد علي أرسل بالمرستون تعليماته الى سفيره في الاستانة ١١ / أغسطس / آب ١٨٤٠ - يوم نزول القوات البريطانية بيروت - «أنه لو عاد اليهود (الى فلسطين) بموافقة السلطان سيكون ذلك كبها لأية مشاريع خطيرة في المستقبل من محمد علي أو خلفائه» . ولذلك ليس من الغريب بعد عودة فلسطين الى السلطان أن يشير قريب بالمرستون لورد شافستري في مذكرة (سبتمبر ١٨٤٠) الى أن «توطين اليهود بضمن من الدول الأربع هو جزء من تسوية القضية السورية يحمل السلم والازدهار لكل البلاد التي تقع بين الفرات والبحر المتوسط» .  
وأجمعت مشاريع بريطانية أخرى على أن التوطين اليهودي ضروري من أجل تحكم بريطانية في الشرق وكحل عملي للمسألة الشرقية . أهمها ما اقترحه الكولونيل تشرشل في الستينات لتوطين اليهود في فلسطين لأن فلسطين هي جغرافيا وتاريخيا ضرورة محتمة لمصر وكلاهما يجب أن يرتبطا ببريطانيا .

وقد لعب صندوق الاكتشاف الفلسطيني Palestine Exploration Fund الذي



■ تعود قضية الحدود بين مصر وفلسطين . او على الأصح بين الولايات التركية في بلاد الشام والأراضي المصرية في سيناء . في العصر الحديث . الى عهد محمد علي حين أجبرته القوى الدولية على التراجع عن بلاد الشام وتقررت حدود مصر في معاهدة لندن ١٨٤٠ وأبلغت الى محمد علي بفرمان التولية ١٨٤١ من السلطان محمود الثاني حيث ثبته على ولاية مصر بالحدود المرسومة على الخريطة الملحقة بالفرمان . ولا يعرف بالضبط ما هي الحدود المرسومة على تلك الخريطة . اذ لم يوقف لها على أثر لا في مصر ولا في الأستانة . ولكن المعروف أن شبه جزيرة سيناء كانت كلها ملحقة بولاية مصر من نقطة تبدأ شرقي العريش وتمتد على شكل خط مستقيم نحو الجنوب الشرقي لتضم بعض النقاط المحصنة في بلاد الحجاز على الساحل الشرقي من البحر الأحمر كقلعة العقبة وضبة والمويلح والوجه .

وبسبب وجود سيناء والمناطق الواقعة على طرفيها على طريق الهند فقد اكتسبت أهمية دولية . وكانت حملة نابليون الى مصر بداية الصراع الدولي الحديث في هذه المنطقة . وهو في حلمه بمسيرة عبر آسيه نحو الهند لبناء امبراطورية شرقية وضرب

أنشئ عام ١٨٦٥ في بريطانيا دوراً كبيراً في تأكيد هذه الصلة العملية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ومع أنه انطلق من فكرة دينية بهدف دراسة كل ما يتعلق بالأرض المقدسة، إلا أن حقول نشاطاته قد تعدت المسألة الدينية العلمية، كما أن أعماله قد شجعت بطريقة غير مباشرة عملية الاستيطان اليهودي لأنها قدمت صورة مفصلة عن فلسطين بكل جوانبها الجغرافية والأثرية والاقتصادية. ثم إن معظم الذين قاموا بالبعثات والاكتشافات وتولوا عمليات الحفر والمسح ووضع الخرائط كانوا ضباطاً في وزارة الحربية البريطانية من سلاح الهندسة الملكية بالذات، بالإضافة إلى رجال الآثار والمستشرقين والعاملين في دوائر المخابرات البريطانية.

«دزرائيلي» و «أوليفنت» يساهمان...

وبعد شق قناة السويس ١٨٦٩ ازدادت أهمية المنطقة التي تقع شرق القناة. وشهدت السبعينات فترة نشطة من الاهتمام بفلسطين لما تولى دزرائيلي رئاسة الحكومة البريطانية، فإنه دعم جهود بريطاني آخر من الذين شاركوه عطفه على اليهود والدور الذي يمكن أن تلعبه بريطانيا في سياسة الشرق عن طريقهم، وذلك هو لورنس أوليفنت (١٨٢٨-١٨٨٨) الذي كان صحفياً وعضو برلمان قام برحلات إلى الشرق بعد توقيع معاهدة برلين ١٨٧٨ ورأى أن مشكلة الشرق ستتركز في المستقبل في تلك المنطقة التي تحرس طريق المتوسط نحو المحيط الهندي بسبب خطر تهديد روسيا بالتقدم نحو البحر الأحمر عن طريق العقبة مما يحول لها الإشراف السياسي على كل الشرق. فوضع مشروعاً يضمن حل المشكلة وينمي موارد الامبراطورية العثمانية بإنشاء شركة لاستيطان المناطق الغنية وغير المأهولة في الدولة العثمانية. وأوصلته نتائج تحرياته إلى أن مكان الاستيطان هو الجانب الشرقي للاردن في النهاية العلوية للبحر الميت (أرض جلعاد) التي أثبتت

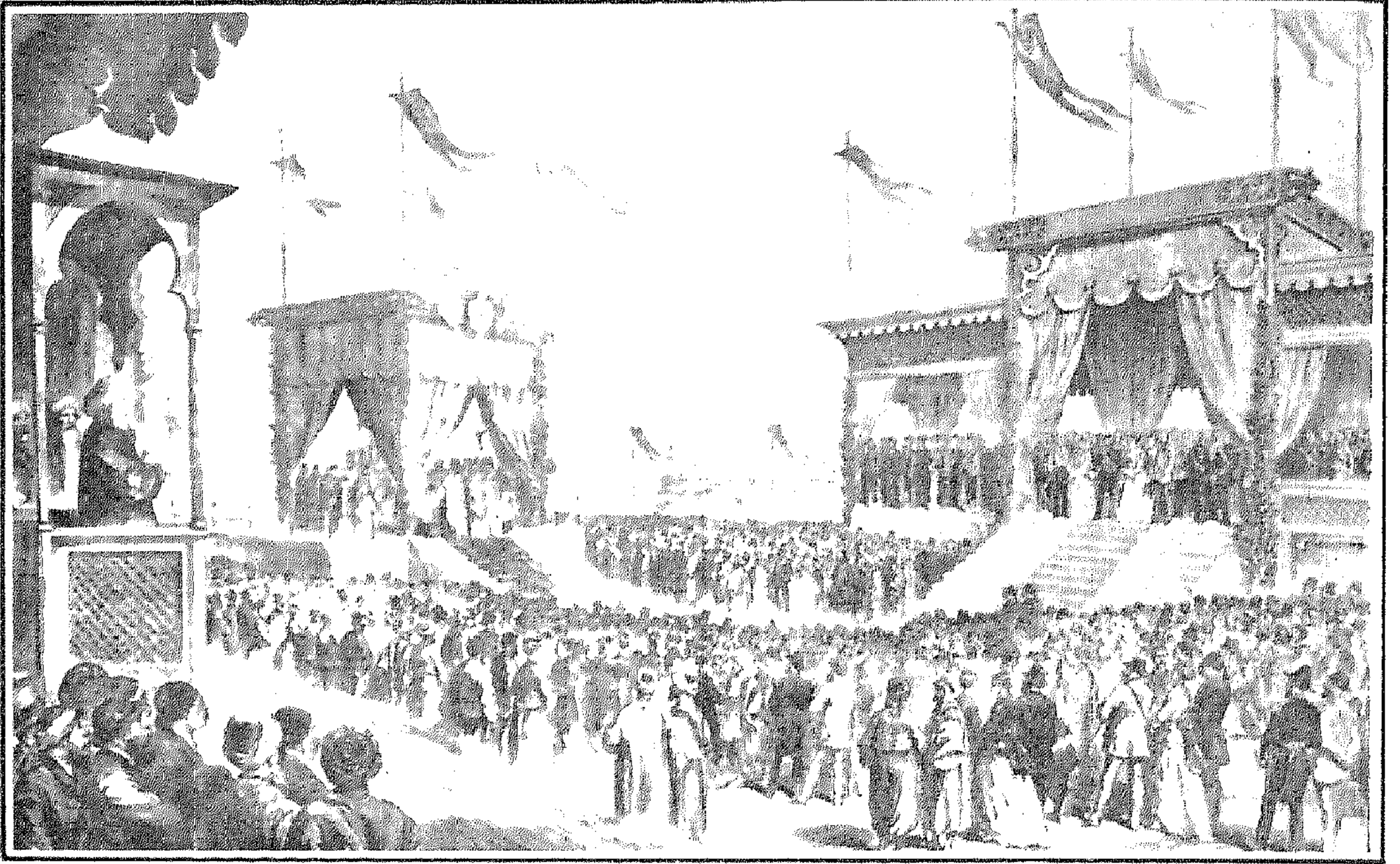
تحريات صندوق الاكتشافات الفلسطيني أنه يتمتع بإمكانات كبيرة وأن الشعب الذي سيدعى لاستيطان هذا المكان هو الشعب اليهودي من أوروبا الشرقية. ولكن مفاوضات أوليفنت الدبلوماسية في الاستانة فشلت ورفضت السلطات إدخال عنصر جديد في المسألة الشرقية بفتح ولاياتها الآسيوية، وخاصة هذا البلد المقدس، للهجرة اليهودية الجماعية.

زاد تعقيد الموقف نتيجة احتلال بريطانيا لمصر ١٨٨٢. فقد أعطاه ذلك اهتماماً أكثر بفلسطين وزاد قلقها في الحصول على دولة صديقة على جانبي الطريق نحو الهند. هذا القلق هو الذي أدى إلى اهتمام متعاطف مع الهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية إلى فلسطين في أوائل الثمانينات وتشجيع جمعيات أحياء صهيون (Chibbatt Zion)، في توجيهها إلى فلسطين وإنشاء المستوطنات اليهودية الأولى بين ١٨٨٢ - ١٨٨٤.

#### هجرة «فريدمان» تثير المشكلة

وكانت العقبات التي وضعتها السلطات العثمانية في وجه الاستيطان في فلسطين هي التي أدت بالسلطات البريطانية في مصر إلى العطف على مشروع فردي لاستيطان يهودي في منطقة تشرف عليها بريطانيا قرب فلسطين. يرتبط هذا المشروع بأسم بول فريدمان الذي عرفته جريدة المؤيد في ٩ شباط/فبراير ١٨٩٢ «أنه يهودي ألماني عقد العزيمة على تشييد مملكة اسرائيلية في الأراضي المقدسة.. ووجد من ثروته ووفرة كثير من أفراد بني اسرائيل عضداً قوياً فيه الأمل.. وخاصة بعد ما حل بقومه وبني مذهبه في الروسية..» وقد وصل فريدمان مصر ١٨٩٠ وقابل بعض المسؤولين. وعلى رأسهم السير أفلين بارلج (لورد كرومر فيما بعد). وفاتحهم في موضوع الاستيطان اليهودي في بقعة على السواحل الشرقية لخليج العقبة (المعروفة بأرض مدين). ودلت عودته بعد سنتين على أنه لم يمانع





إفتتاح قناة السويس

وأرسلت وزارة الحربية المصرية عدداً من الجنود المصريين الى ضبه والتقت بالقوة العثمانية وكاد يحدث خلاف في منطقة الحدود الفاصلة بين مصر والدولة العثمانية . التي لم تكن قد حددت تحديداً قاطعاً منذ فرمان التولية الذي اصدره السلطان محمد الثاني الى محمد علي ١٨٤١ وبدأت الاتصالات بين مصر والاساتنة ولندن لحل المشكلة . وقد أثار مشروع فريدمان الشكوك في ذهن السلطان بأن اليهود المتوطنين خارج حدود السلطنة سوف يستخدمون هذا المكان كنقطة انطلاق نحو فلسطين وانشاء دولة يهودية .

وقد جرت المباحثات بين المندوب العثماني في مصر والمسؤولين لايخراج الأراضي التي تقع بين العقبة والوجه على البحر الاحمر وضمها الى ولاية الحجاز . لكن لم يتوصل الى اتفاق . حتى وردت أنباء من الاساتنة بأن فرمان تولية الخديوي عباس يختلف عن فرمان الذي صدر بتولية والده توفيق اذ يخرج شبه جزيرة سيناء كلها عن حدود مصر ويلحقها بولاية الحجاز . وأعلم سفير بريطانيا في

في ما طلب . وكان قد اشترى يختاً بخارياً أسماه (اسرائيل) حمل عليه ذخائر ومدافع وعددا من العلماء والمهندسين والكماويين والجغرافيين وثلاثين عائلة من اليهود المهاجرين .

وقصد فريدمان جزيرة العرب قرب جهة الطور عند مكان يسمى (شرما) ونصب لجماعته الخيام في واد قرب مدين التي أراد أن يتخذها عاصمة مملكته الجديدة ، وأخذ يتفقد المنطقة لشراء أرض ولقي صعوبات من الاهالي وتمكن من شراء أرض جهة المويلح مع أن قوانين الدولة العثمانية لا تبيع بيع أرض للأجانب في شبه جزيرة العرب . فاشتكى وفد من الاهالي الى السلطات المحتلة في مصر دون فائدة . فلبجأوا الى والي الحجاز العثماني الذي أمر الجند العثمانيين باحتلال قلعة المويلح وما جاورها على اعتبار أنها من أملاك الدولة العثمانية ولما تقابلوا مع فريدمان وجماعته في جهة ضبه ذكر للقائد العثماني انه «استعمرها برخصة من الحكومة المصرية وله الحق أن يمنعه من الإقامة بها وأنه مستعد للحرب» .



الخديوي عباس باشا حلمي

هرتزل قد يش من تغيير وجهة نظر السلطان وتبين المصاعب التي تقف في طريق برنامج بال وفكر لو ان اليهود استطاعوا الحصول على حقوق يهودية في أي مكان في العالم . فان هذا يحملهم الى منتصف الطريق نحو فلسطين . وتطلع هرتزل نحو بريطانيا لدعم مشاريعه وهو في هذا كان يتحول الى بلد قد أعد الرأي العام فيه مسبقاً .

وكان هرتزل فكر - بعد استبعاد مشروع قبرص - في مكان يقع في منتصف الطريق يسميه فلسطين المصرية أو بمعنى آخر الجانب المصري من الحدود التركية المصرية في جزيرة سيناء . وما كان في ذهنه هو منطقة العريش بالذات . وتركت حجج هرتزل انطباعاً عميقاً في نفس تشمبرلن وزير المستعمرات ولم يعارض مبدئياً فكرة إقامة مستعمرة يهودية مستقلة في الجانب الجنوبي الشرقي من المتوسط . ورفع هرتزل مذكرة بمقترحاته الى لانسدون وزير الخارجية البريطانية في ٢٤/ تشرين اول/ اكتوبر ١٩٠٢ لحل المسألة اليهودية في شرق اوروبا والرغبة بايجاد مكان لتهجير اليهود الى المناطق الخالية من السكان في جنوب شرقي المتوسط (العريش وسيناء) والتي تقع تحت نفوذ بريطانيا . وسيكون لها مقابل ذلك «ولاء عشرة ملايين يهودي

الاستانة دولته بفحوى فرمان وأثار معتمد بريطانيا في مصر السير افلين بارنج (لورد كرومر فيما بعد) اعتراضات بحجة أنه «لا يجوز تغيير شيء في الفرائمانات التي تحكم بعلاقات الباب العالي ومصر بلا مصادقة حكومة جلالة الملك»

وقد تقرر نتيجة الضغط البريطاني أن لا يحصل تغيير في فرمان بحيث يحول الخديوي «الخديوية المصرية المحدودة القديمة .. مع الأراضي المنضمة اليها ..» . أما الأراضي التي تقع بين العقبة والوجه فقد ضمت الى ولاية الحجاز نظراً لأنها لم تعد في طريق الحمل الشريف المصري . وقيد فرمان صلاحيات الخديوي فيما يتعلق بالامتيازات التي أعطيت لمصر والتي هي جزء من حقوق الدولة العثمانية . «فلا يجوز لأي سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة أرض من الأراضي المصرية للغير مطلقاً» . وأصبح معروفاً أن الحد الفاصل بين سيناء والولايات العثمانية هو «خط يمتد من نقطة شرقي العريش يتجه جنوباً بشرق حتى ينتهي الى قلعة العقبة على خليج العقبة فما وقع غربي هذا الخط تكون ادارته منوطة بالخديوية المصرية . وظل كرومر يعتبر مسألة الحدود بين مصر والولايات العثمانية في فلسطين قضية معقدة .

#### مشروع هرتزل الاستيطاني ...

وكان الاهتمام البريطاني بحركة الاستيطان اليهودي قد دخل في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر مرحلة هامة وفعالة وذلك بعد ظهور صهيونية جديدة في أواخر القرن التاسع عشر في غرب اوروبا . وقد فكرت الصهيونية الجديدة بأساليب سياسية للحصول على فلسطين بدلاً من الاستيطان البطيء . واقرنت باسم هرتزل بكتابه (دراسة اليهود) وبالمنظمة الصهيونية التي نشأت بعد المؤتمر الصهيوني الاول في بال عام ١٨٩٧

ورغم ذلك فان القيود العثمانية كانت تعوق الحل الصهيوني للمشكلة اليهودية . ويبدو أن



اقامة مشاريع في أرض هم على ثقة من التمتع بثمار عملهم فيها . ومن الضروري كخطوة تمهيدية لارسال اللجنة للحصول على موافقة حكومة جلالته والحكومة المصرية بمستشاريها الانجليز على الخطة العامة . وعند الحصول على امتياز أولى سياتر بالعمل فوراً .

وكان كرومر يتعاطف تماماً مع الاقتراح وفي رسالته الجوابية الى وزارة الخارجية في ٢٩ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٠٢ لم يجد أي اعتراض سياسي لاقامة هذه المستعمرة ولكنه أراد تقديم بعض الايضاحات حول ظروف معينة تحيط بالمشروع رأى أن يتم التفاهم عليها مسبقاً حتى لا يصاب المشروع بالفشل .

وفي رسالة هرتزل الى لاندسون في ٦ كانون ثاني/يناير ١٩٠٣ رحب بكل التوضيحات التي عرضها كرومر وانهى رسالته الى لاندسون بثقته بأن « حكمة الحكومة المصرية بالمشاركة مع جهودنا الخاصة » ستتوصل الى ابتكار صيغة للميثاق الذي سيضمن للمستوطنين عدم تعرضهم من جديد لخطر الاضطهاد او التشرذم بعد ان يكونوا قد حولوا بعرق جيبنهم منطقة هي في تقدير كرومر الآن . ليست افضل من صحراء .

وقد شرعت لجنة الخبراء تحرياتها في ١١ شباط/فبراير ١٩٠٣ بدءاً من القنطرة وانتهت في آذار/مارس في السويس ورفعت إلى وزارة الخارجية البريطانية في ٢٩ آذار/مارس تقريراً مفصلاً باللغتين الفرنسية والانجليزية .

ومع أن كرومر منذ البداية تعاطف مع الاقتراح . الا انه بين في رسالته الى لاندسون في ١٤ ايار/مايو ١٩٠٣ انه منذ البداية واجه قدراً كبيراً من المعارضة وانه بذل جهداً كبيراً كي يحظى هرتزل واعوانه بأذن صاغية لدى المسؤولين في مصر ولا يرجع كرومر المعارضة المصرية الى حقد معاد لليهود بل الى ان المسؤولين المصريين وكذلك جميع المسؤولين البريطانيين في مصر . ليست لديهم ثقة



اللورد كترنر

يعطون من أجل عظمتها وسيطرتها على الصعيدين السياسي والاقتصادي . وكان قبول لاندسون للمشروع مشروطاً بموافقة كرومر .

وبعد هذه الموافقة المبدئية على المشروع دارت مراسلات ومحادثات بين هرتزل ومبعوثيه من جهة وبين كرومر والحكومة المصرية من جهة أخرى وكانت وزارة الخارجية البريطانية الوسيط في هذه المفاوضات .

وانتقل هرتزل بعد ذلك الى تفاصيل المشروع : ستمنح الحكومة المصرية الامتياز المطلوب وعلى أساسه يقترح انشاء مستوطنة وشركة استيطان يسميها « الشركة الشرقية اليهودية » برأسمال تقريبي ٥/ملايين استرليني تتولى عملية الاستيطان . وقبل البدء بالاستيطان الفعلي تأتي هيئة من المختصين الفنيين والمهندسين الزراعيين لاعداد المنطقة (من بناء طرق وموانئ .. الخ) ثم تبدأ الهجرة ببطء وبشكل منظم ودقيق لاختيار دعامة صحيحة من (الطلائع) . وسيتم الاستيطان طبقاً لأحدث أساليب العلم والتجربة . ولن تقتصر الهجرة على يهود أوروبا الشرقية الباحثين عن العمل فقط . بل سيعمد أصحاب رؤوس الاموال الى



اللورد كرومر

القسم الثاني في العدد القادم

بإمكانية نجاح المشروع لذا هم لا يرغبون الالتزام  
بمشروع محكوم عليه بالفشل . وقد يثير هذا المشروع  
برأي كرومر حملة من الانتقاد ضد الحكومة  
المصرية « حين يثبت ان الاموال قد بددت هدرًا »  
وقد أورد كرومر حججاً أخرى تقدم بها الوزراء  
المصريون في معارضتهم للمشروع اذ ان آلية الحكم  
في هذا البلد بالغة التعقيد . ويصعب التكهن  
بالنتائج . . لو نفذت خطط هرتزل فمن المحتمل ان  
تزداد التعقيدات الحالية اذا سمح باستيطان مجتمع  
( له صفة عالمية ) في سيناء باهداف سياسية معلنة .  
وهذا على الاقل لا يتفق مع مصالح السلطان  
صاحب السيادة في مصر .

وقد بعثت وزارة الخارجية البريطانية  
اعتذارها الى هرتزل في ١ حزيران/يونيو ١٩٠٣  
بسبب رفض الحكومة المصرية النظر بمشروع  
مستوطنة يهودية في سيناء ■



سحانبل نعيمه

كلما بريت قلمي براني .

### لو رميت نفسك من الطائرة

بروي أن ترومان رئيس الجمهورية الأمريكية سابقاً وصديق اسرائيل الحميم . كان يستقل طائرته الخاصة ويرفقه  
مستشاره الخاص . فقال ترومان للمستشار : ألا تعتقد أني أسعد عشرة أميركيين لو رميت من الطائرة عشرة دولارات . فقال  
المستشار : لو أنك رميت ألف دولار لكان السعداء ألف أميركي  
وهنا التفت قائد الطائرة وهو جمهوري بعكس ترومان الديمقراطي . وقال لترومان : لو أنك حريص على سعادة  
الشعب الأميركي كله لرميت نفسك من الطائرة .

برنارد شو

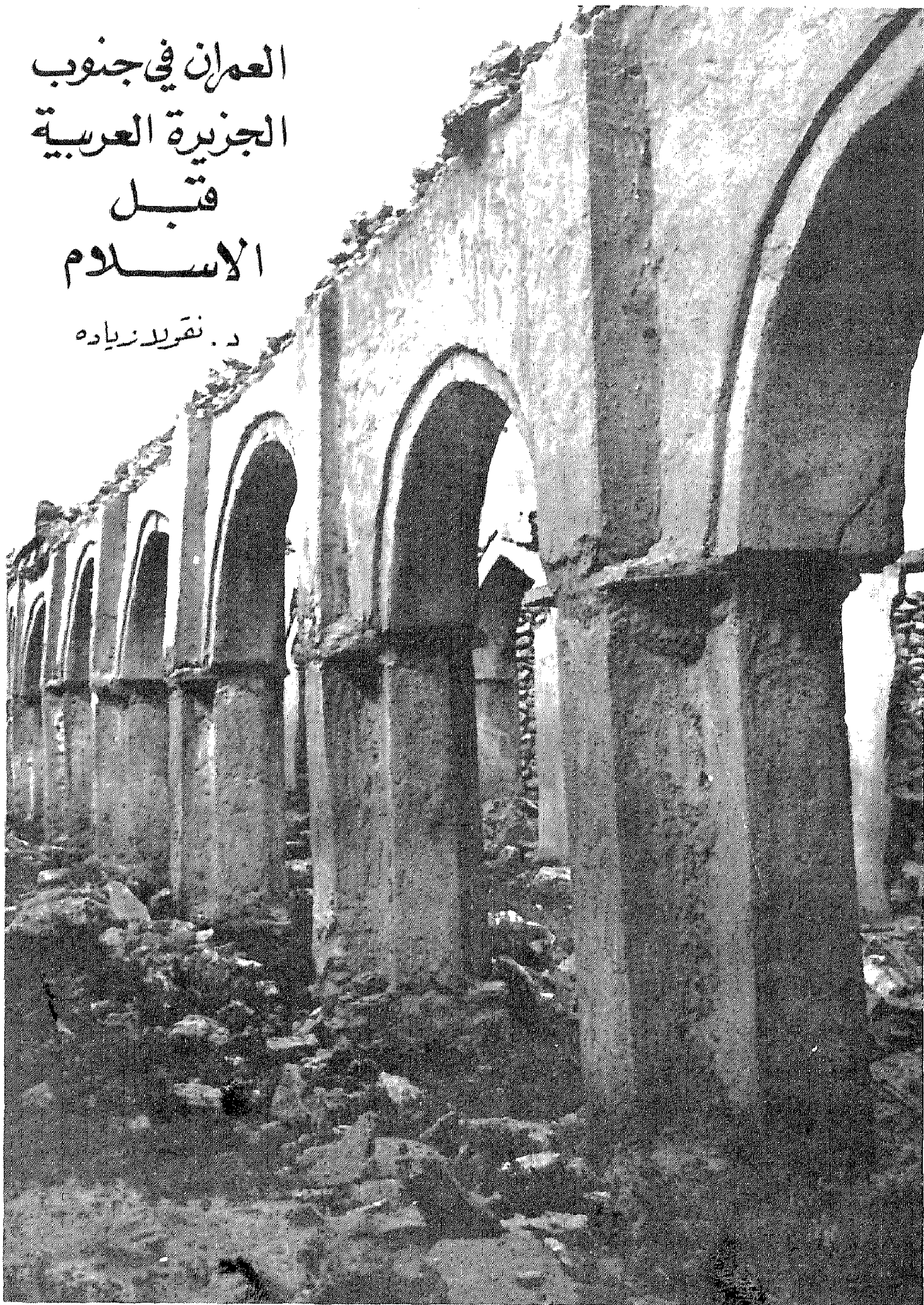
يجب أن نتذكر دائماً أننا تحت ثيابنا عرايا .





العمارة في جنوب  
الجزيرة العربية  
قبل  
الاسلام

د. نوري زبادي



اطلال مبنى المسجد في قرية بني خالد في جزيرة جنتا من كتاب «مدخل الى الآثار في المملكة العربية السعودية»  
- وزارة التربية - قسم الآثار والمتاحف ١٩٧٥

■ في القصص القرآني وفي التاريخ وفي الأساطير العربية الجاهلية وفي طيات الأخبار المتعلقة بالأنساب وفي الشعر الجاهلي إشارة إلى سد مأرب. كل هذه جعلت هذا السد شيئاً معروفاً بالنسبة إلى سكان الجزيرة. كما أنه ذاع خبره وانتشر تاريخياً في أخبار الأولين واسطورياً في كل مكان.

فقد جاء في محكم الكتاب الكريم ذكر قصة مأرب وفيها: وأرسلنا عليهم سيل العرم. وقد نقل ياقوت في معجم البلدان أن العرم هو المساة التي كانت قد أحكمت لتكون حاجزاً بين ضياع القوم وحدائقهم وبين السيل. فقجرت العرم فارة. ليكون أظهر في الأعجوبة.

وفي شعر الأعشى:

في ذاك للمؤتسي أسوة  
ومأرب عفى عليها العرم  
رخام بننته لهم حمير  
إذا ما نأى مأوهم لم يرم  
فأروى الزروع وأغنامها  
على سعة مأوهم ان قسم  
وطار القيول وقيلاتها  
بيهماء فيها سراب يطم  
فكانوا بذلكم حقة  
فمال بهم جارف منهزم  
فصاروا أيادي ما يقدر  
منه على شرب ماء فطم

وشعر الأعشى ليس الوحيد الذي يشير إلى مأرب وسيل العرم. ولكننا نكتفي بهذا القدر للتمثيل فقط.

وقد ظل العالم الخارجي الحديث لا يعرف عن مأرب وسدها شيئاً دقيقاً حتى القرن الماضي. فقد تمكن ثلاثة زوار أوروبيين من الوصول إلى مأرب بين سنتي ١٨٤٣ و ١٨٩٤. وفي سنة ١٩٤٧ قام الدكتور أحمد فخري بدراسة وافية للمنطقة

ونشر نتيجة أبحاثه في القاهرة سنة ١٩٥١ - ١٩٥٢. إلا أن الحفر والتنقيب الأثري المعتمد فيهما على الرفش والمعول وآلة المسح والمعرفة الفنية لم تعرفها منطقة سد مأرب إلا في أواخر سنة ١٩٥١ وأوائل سنة ١٩٥٢.

على أن أعمال الحفر في هذه الفترة القصيرة لم تقتصر على سد مأرب وما إليه. بل شملت وادي بيحان وهو جزء من المنطقة التي قامت فيها مملكة قتيان التي كانت عاصمتها «تمنع» وهي المعروفة اليوم باسم حجر كحلان. وفي هذا المقال نود أن نتحدث عن الري والزراعة في وادي بيحان. لا عن منطقة مأرب:

فهذه كثر الحديث عنها ولكن تلك بعد حديثة عهد بالكتابة عنها.

على أننا قبل الانتقال إلى الحديث نفسه. نود أن نضع بين يدي القارئ خلاصة تاريخية للدول التي قامت في جنوب الجزيرة العربية في العصور السابقة للإسلام.

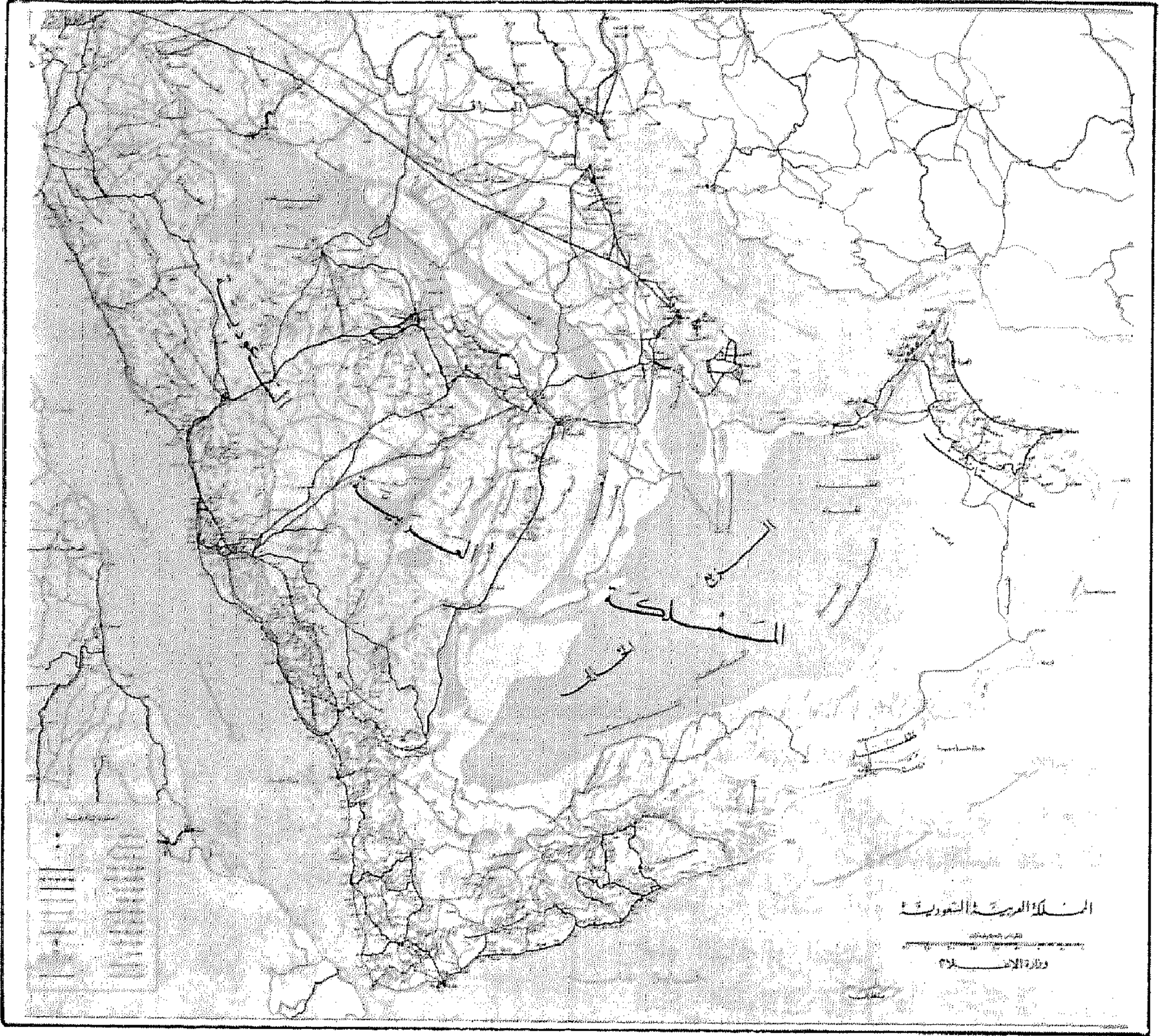
والمعارف عليه أن خمس دول قامت في تلك الرقعة من الجزيرة التي يمكن وضعها على الشكل التالي:

(١) دولة معين التي قامت في منطقة الجوف، وكانت عاصمتها قرناو (وهي خربة معين اليوم). ومن مدنها المشهورة يثيل (براقش اليوم) وكانت لها شهرة دينية. ودولة معين دامت من حول القرن الثامن ق. م. إلى حول سنة ١١٥ ق. م.

(٢) دولة سبأ التي تركزت حول سبأ أولاً ثم اتسع سلطانها بحيث شمل جنوب الجزيرة بأجمعه تقريباً. وكانت عاصمة الدولة سروح أولاً لكن مأرب صار إليها الأمر والنهي منذ حول سنة ٦١٠ ق. م. وقد استمرت هذه الدولة من القرن الثامن ق. م. إلى حول سنة ١١٥ ق. م.

(٣) دولة قتيان وكانت تقع إلى الشرق من





خريطة للمملكة العربية السعودية . من كتاب « هذه بلادنا » وزارة الاعلام السعودية -

٥) دولة حمير (الأولى ١١٥ ق.م. والثانية ٣٠٠ ق.م.) كانت عاصمتها ظفار في اليمن ولم تلبث أن ضمت سبأ ومعين، فكانت أوسع دول الجنوب نفوذاً. ولما تهدم سد مأرب، في أواسط القرن السادس للميلاد، كان ذلك إيذاناً بانتهاء السلطة الحميرية. زراعة مزدهرة على مياه السيول

مع أن دولة قتيبان كانت واسعة، فقد كانت المراكز الرئيسية للحياة فيها في وادي بيجان ووادي حريب. وهذان الواديان يتجهان إلى الشمال نحو الصحراء بدءاً من الكتلة الجبلية المتمركزة في جنوب الجزيرة. ويبدو من كثرة آثار الري ومصانع الماء في تلك المناطق أن قتيبان كانت من المناطق

منطقة عدن والغرب من حضر موت. وكانت العاصمة «تمع» (حجر كحلان اليوم). ويبدو أن دولة قتيبان قامت معاصرة للدولتين السابقتين إلا أنها أصبحت مملكة حول سنة ٤٠٠ ق.م. وقد بلغت ذروة المجد في القرن الأول ق.م. ونعرف أنها سكت نقداً ذهبياً حول سنة ٥٠ ق.م. وقد انتهى أمر هذه الدولة في أيام المسيح.

٤) دولة حضر موت التي قامت في الوادي المعروف بهذا الاسم ثم اتسعت نحو الساحل في مهرا وضمت ظفار. كانت العاصمة شبوة. وعمرت هذه الدولة في منتصف القرن الخامس ق.م. إلى القرن الأول ق.م. ولعل دولة حضر موت هي التي قضت على قتيبان.

إن السفوح الشمالية للجبال الممتدة في جنوب جزيرة العرب تواجه الصحراء الواسعة الواقعة إلى الشمال، ومناخها هو مناخ شبه صحراوي. إلا أن الرياح الموسمية التي تهب على الساحل الجنوبي للجزيرة ستة شهور في السنة. في اتجاه واحد، ثم تغير اتجاهها للشهور الستة التالية من السنة - هذه الرياح تحمل معها أمطاراً إلى الأودية في أوقات تبدل اتجاهها أي في فترة نيسان - أيار (ابريل - مايو) وفترة تشرين الأول - كانون الأول (أكتوبر - ديسمبر). وقد لا تسقط الأمطار سنوات متعددة متتالية. ولكنها متى جاءت إلى وادي بيجان مثلاً فإنها تكون فيضاً خائفاً بحيث أنها تملأ وادي بيجان الذي يبلغ طوله نحو ٦٥ كيلومتراً، كما أنها تملأ عدوات الأودية المتصلة به. ومثل هذا النوع من المطر والفيضان هو المعروف «بالسيل». ومن هنا كان الري الذي اعتمد عليه في تلك الجهات هو ري السيل، وهذا يختلف بطبيعة الحال عن الري الفيضاني النهري الذي عرفته مصر في تاريخها الطويل. وهذا الحديث الذي نسوقه اليوم إلى القراء مبني، مبدئياً، على التقارير والشروح التي وضعتها البعثة الأميركية التي حفرت هناك سنتي ١٩٥٠ و ١٩٥١ والتي ظهرت تقاريرها تباعاً اعتباراً من سنة ١٩٥٧.

وهذه السيول التي كانت تنحدر من المرتفعات إلى المناطق المنخفضة من الأودية، كانت تحمل معها الطمي أو الغرين الذي كان يستقر في المنخفضات ويرفع من مستوى تلك الأماكن، ولكن كان يتبع ذلك أن الأودية الجانية كان يصل إليها الماء إلى نقاط أعلى بسبب ارتفاع المجرى العام للسيل. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن أعمال الري والزراعة في وادي بيجان توقفت منذ نحو ١٥٠٠ سنة، فيمكن أن يتصور المرء ما قامت به عوامل النحت والتعرية في ذلك الطمي من حيث حفر مجار خاصة بالمياه المتحدرة

والطمي كان القوم يفيدون منه لاقامة سد تجمع المياه خلفه. ولم يقم القوم ابنية حجرية الا حيث وجدوا ان عوامل النحت والتعرية كانت تأكل جوانب الأودية وعدواتها.

ومما كشفت عنه البعثة الاثرية في وادي بيجان القناة التي بنيت في حجر بن حميد، والتي يبلغ طولها ١٢٠٠ من الامتار. وقد اقيمت عليها هواويس (احواض) لتوزيع المياه على جانبيها، اي على الأراضي المنخفضة عنها. وقد استعمل في بناء هذه القناة وغيرها جدران من الحجارة الضخمة في اول الامر، فلما اتقن القوم الصناعة اصبحت الحجارة اصغر حجماً لأن فن البناء عندهم تحسن.

وقد اظهر التصوير الجوي ان الحقول التي كانت تستفيد من الري في وادي بيجان مثلاً، كانت منتظمة في اشكالها ويغلب عليها الشكل المستطيل، وكانت محاورها الطويلة تتعامد على اتجاه القناة او المصدر الرئيسي للمياه، بحيث تتمكن الحقول ان تحصل على حاجتها من مياه الري بدون ضياع.

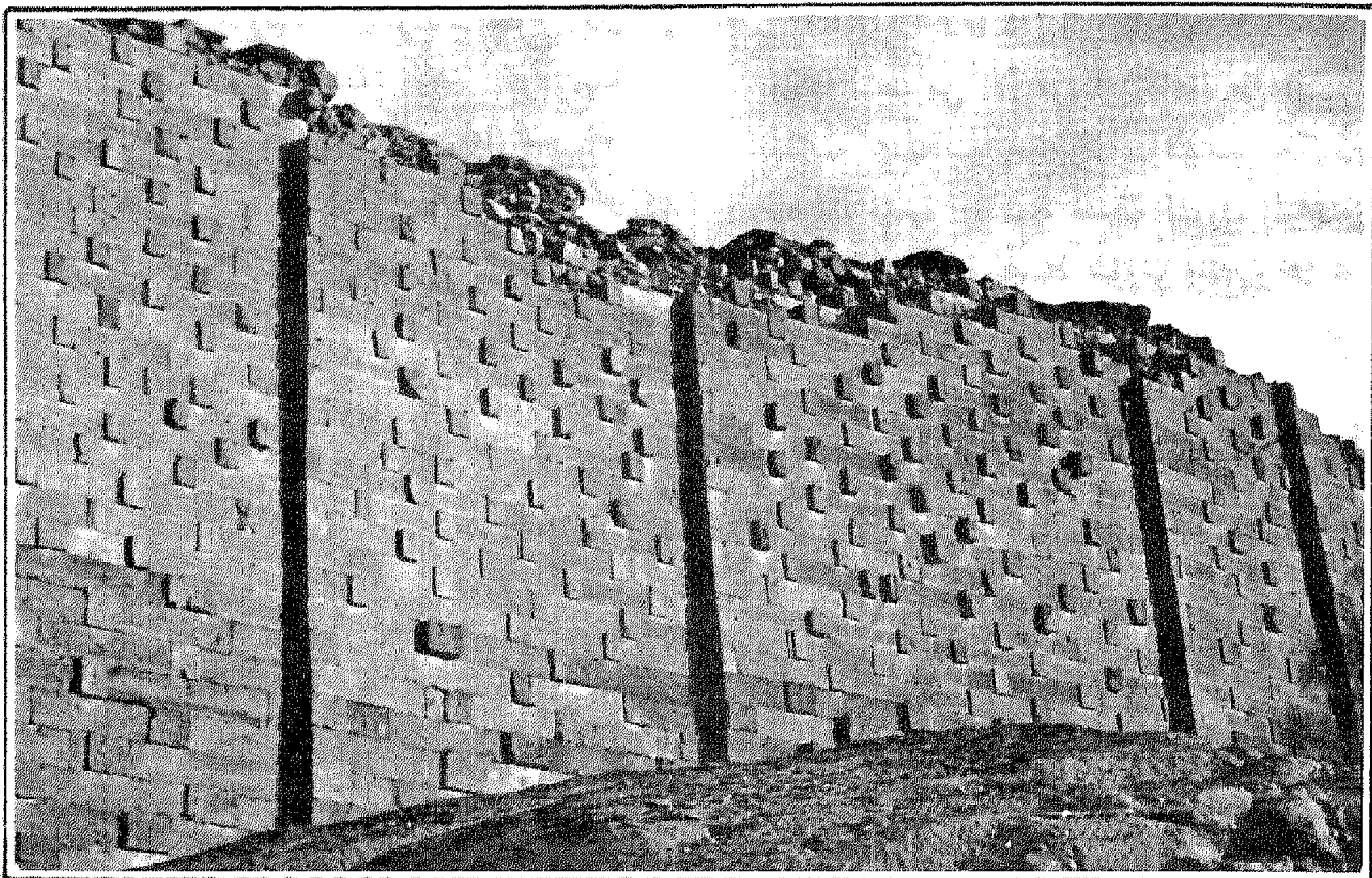
وقد اتضح نتيجة للدراسات المختلفة انه كان ثمة عدد كبير من مناطق الطمي. فقد عدت البعثة المذكورة في تقاريرها المختلفة احد عشر موضعاً في وادي بيجان فقط.

#### انحسار الزراعة.. والحضارة

في الحقول كان المزارعون يزرعون الحبوب التي كانت تغذي القوم، ولعل احد الاسباب التي من اجلها ظلت دولة سبأ مدة اطول، وظلت العناية بسد مأرب بعد زوال وسائل الري الاخرى، هو ان الحبوب التي كانت تنمو في منطقة مأرب كانت تسد حاجة كبيرة للسكان بعد ان اهمل الآخرون الري والزراعة.

ويبدو ان وادي بيجان كانت تزرع فيه





بقايا سد مأرب

والرومان . فلما فقدت تلك الاماكن مصادر الثروة الرئيسية اخذت بالتأخر شيئاً فشيئاً حتى انتهى امرها واصبحت خيراً للتاريخ وزادا للأسطورة وعبرة للبشر .

والسؤال الذي يسأل الان : هل كان اهتداء القوم الى وسائل الري - سدوداً وقنياً وهو اويس (احواض) صغيرة - شيئاً نشأ هناك ام انه نقل من الخارج ؟

المناطق التي عرفت الري والتي كان لأجزاء مختلفة من الجزيرة العربية اتصال بها هي : وادي النيل وبلاد ما بين النهرين وحوض السند . ولكن الري في هذه ري نهري يعتمد على ماء مستمر او منتظم الوصول . له مواسم معروفة معينة . اما الري الذي تحدثنا عنه فري السيول . وهو موسمي بمعنى انه يأتي في وقت خاص في السنة .

ومن هنا فالذي يقول به المشتغلون بهذا الموضوع هو ان انظمة الري المعروفة في جنوب جزيرة العرب هي محلية في أصلها وتطورها . ولعلها

اشجار المر التي كانت عصاريتها تنقل الى الشمال مع البخور والطيب عبر الجزيرة الى غزة والبتراء ومصر ودمشق .

وقد مر بنا ان دولة قتيبان انتهى امرها دولة مستقلة حول ايام المسيح . ومع ان تمنع قد احترق جزء كبير منها نتيجة لهجوم عليها . ومع ان المهاجمين كانوا من حضرموت ، فان قتيبان ظلت لها زراعتها وريها وهي تابعة للدولة الجديدة .

لكن الملاحظ ان الزراعة والري في وادي بيهان اخذا بالتأخر تدريجياً منذ القرن الاول الميلادي . والباحثون يرجحون ان السبب كان خارجياً . فقد مر بنا في مقال سابق ان مناطق جنوب الجزيرة كانت تعتمد على التجارة - البخور والمر والطيب وغير ذلك - في ثروتها وقوتها . وكانت التجارة هذه حكراً على الاقوام المقيمة هناك .

الا انه منذ القرن الاول الميلادي اخذت التجارة هذه تنتقل عن طريق البحر الاحمر . تاركة قتيبان وجيرانها ، وكان التجار الان اليونان

بدأت بملاحظة الارتباط بين ازدياد المنتج وبين  
الطمي المتراكم في الاودية. فاهتم القوم بهذا  
الطمي بأن أقاموا منه سداً بسيطاً. أما السير نحو  
إتقان السد واقامة البناء الحجري لذلك، على نحو  
ما هو قائم في سد مأرب، فامر كان مرتبطاً بالتقدم  
الصناعي والفني في المنطقة. والواقع ان فن البناء  
كان متقدماً هناك، فكأن القضية كانت نقل  
المهارة من نوع من البناء الى نوع آخر.

### بعض المدن القديمة

يقول المرحوم الدكتور جواد علي في مفتاح  
الجزء الثامن من كتابه الكبير «تاريخ العرب قبل  
الاسلام» عن المجتمع العربي الجاهلي ما يلي :

«المجتمع العربي» : بدو وحضر. أهل وبر  
وأهل مدر، يتساوى في هذه الحال عرب الشمال  
وعرب الجنوب وعرب جميع أنحاء جزيرة العرب  
الآخري.

وحياة الحضر على الأرض يزرعونها ويعيشون  
منها، او على التجارة او على الحرف الآخري  
كالخرف البدوية، ومن طبيعة هذه الحرف  
الاستقرار والاستيطان في ارض تكون وطناً ثابتاً  
للإنسان... اما اهل الوب، فهم رحل، يتنقلون  
طلباً للماء والكلأ والامتيار، ولذلك فهوطنهم  
متنقل قلق غير مستقر.

ولما كانت طبيعة الجفاف هي الغالبة على  
جزيرة العرب، كان لهذه الطبيعة اثرها في حياة  
الناس. فغلبت البداوة على الاستقرار، واثرت في  
النظم والآراء السياسية والاجتماعية والاقتصادية  
والحربية وفي سائر نواحي الحياة الآخري. لقد  
حالت دون قيام المجتمعات الكبيرة القائمة على  
الاستقرار والاستيطان واستغلال الأرض.  
وجعلت من الصعب قيام الدول الكبيرة في هذه  
البلاد، وتكوين حكومات تقوم على احترام حقوق  
جميع أبناء الحكومة دون نظر الى البيوتات  
والعشائر والقبائل والرئاسات.

«وفي الاماكن التي توافرت فيها المياه،  
المياه النابعة من الأرض او الهاطلة من السماء،  
نشأت مجتمعات مستقرة، وظهرت حكومات  
وهيآت مدنية حاكمة منسقة لشؤون المواطنين،  
استعانت بالكتابة لضبط شؤونها وللتعبير عما يحول  
في خواطرها. بقي بعضها، ومنها استخرجنا معارفنا  
بهم، وتأريخنا لأولئك الماضين.

«ومن هنا قامت الحكومات في الجزيرة  
العربية الجنوبية الغربية بوجه خاص... وهي  
حكومات كبيرة اذا قيست الى الحكومات التي  
قامت في الانحاء الآخري من جزيرة العرب وكان  
لها عمر طويل بالقياس الى اعمار الحكومات  
الآخري، التي لم تعمر طويلاً.

«ومعارفنا بحال هذه الممالك العربية الجنوبية  
حسنة بعض الحسن بالقياس الى معارفنا بالامارات  
العربية التي تكونت في اماكن آخري من جزيرة  
العرب، وذلك بفضل النصوص والكتابات  
الجاهلية التي وصلت منها الينا، على حين ان  
الامارات والمشيخات التي تكونت في مواضع  
آخري كانت شحيحة علينا غاية في الشح، فلم  
تعطنا نصوصاً تمكننا الاستفادة منها في تكوين رأى  
واضح في تلك الامارات والمشيخات. فاقصر  
حديثنا عليها على ما ورد في الاخبار والروايات،  
وكلها بالنقل والرواية، لا بالكتابة والوثائق المدونة  
المكتوبة بخطوط أبناء تلك الاجيال.

«ولما كان مناخ العربية الجنوبية اكثر ملاءمة  
وصلاحاً للزراعة، ازدهرت منذ الالف الثاني قبل  
الميلاد حضارة راقية فيها، قامت على اساس  
الزراعة والتجارة. وآثار السدود التي استخدمها  
الإنسان قبل الميلاد وبعده الى أيام الاسلام،  
والمدين المحصنة، والمعابد المشيدة وآثار القنوات  
والمزارع القديمة: كل اولئك شاهد على وجود  
مجتمع متحضر، نظم حياته تنظيمًا يلائم المحيط  
الذي عاش فيه. وقد انشأ له حضارة زاهية في تلك  
الارضين».



هناك بضعة امور تلفت النظر في هذا النص  
المقتبس وهي :

اولاً - ان المجتمعات الكبيرة المنظمة ظهرت  
في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة لان الأرض  
كانت خصبة معطاء ، والسماء وهابة . فانشئت  
هناك مدن كبيرة ، وشيدت فيها القصور الضخمة  
والهياكل الكبيرة ، وازدهرت صناعات وفنون .

ثانياً - ثمة مناطق في الجزيرة ، ولو انها  
كانت على درجة كبيرة من الجفاف ، قامت فيها  
مدن حول الواحات الغزيرة المياه لان الأرض هناك  
كانت تفيد من تلك المياه . والمدينة المنورة مثل على  
ذلك .

ثالثاً - قد تكون اماكن شحيحة المياه لكن  
وقوعها على طريق تجاري هام ادى الى قيام مدن  
هامة هناك اصبحت اسواقاً كبيرة . ومثلنا على ذلك  
مكة المكرمة .

رابعاً - ان الاماكن التي قامت فيها  
مجتمعات مستقرة كانت لها كتابة استخدمتها في  
النقوش . وهذه النقوش كانت ، لما اهتمدى  
الباحثون اليها ، مصدراً رئيسياً للمادة التاريخية  
( اللغوية ) التي وضعها هؤلاء الباحثون بين ايدينا .  
خامساً - ان المناطق الاخرى كانت شحيحة  
في النصوص والنقوش . فضلاً عن ان اعمال  
التنقيب الاثري حديثة العهد فيها - مثل شرق  
الجزيرة .

سادساً - يلفت المؤلف نظرنا الى اعتماد  
الباحثين على « ما ورد في الاخبار والروايات » في  
تفسير تاريخ تلك المناطق . ونود هنا ان نقول ان  
هذه الاخبار والروايات كانت ، في احيان كثيرة ،  
مزيجاً من الاساطير بحيث ان فصل الصحيح من  
الغث ليس امراً سهلاً ، ان لم يكن امراً مستحيلاً .  
على اننا ، مع ذلك ، نجد ان الجزيرة العربية  
عرفت ، في العصور القديمة عدداً كبيراً من المدن .  
بعضها استمر حتى بعد ظهور الاسلام ، والبعض

الاخر منها لا يزال موجوداً الى الان . ولسنا نقصد  
ان نتحدث على هذه المدن بأجمعها في هذا  
المقال ، ولكننا نود ان نتحدث على هذه المدن  
بوجه عام ، آمليين ان نعود الى تفصيل اخبار  
البعض من هذه المدن في المستقبل .

### المدن التجارية شمال غرب الجزيرة

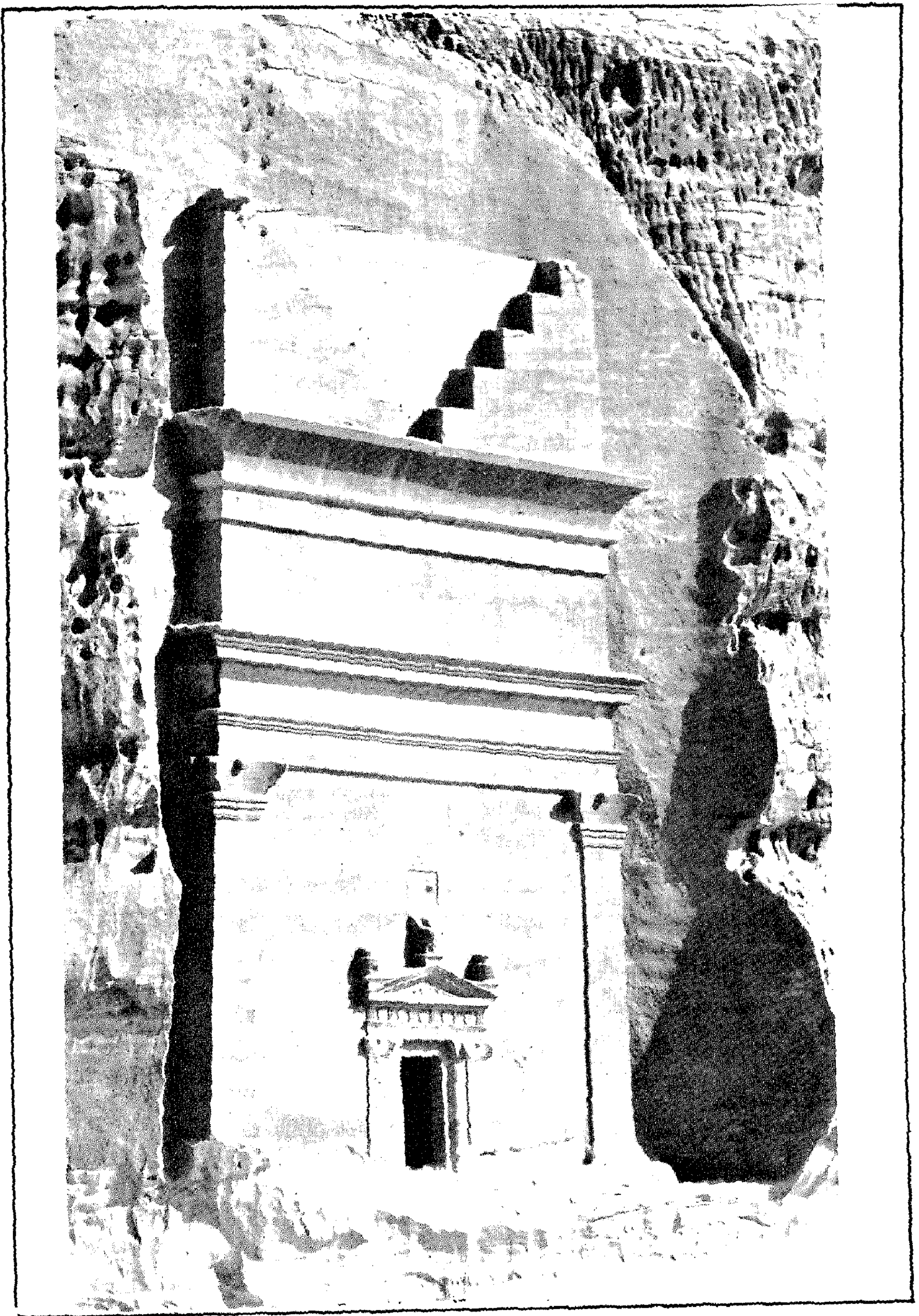
ونحن اذا اخذنا المنطقة الشمالية الغربية  
والوسطى من الجزيرة ، وجدنا عدداً من المدن يعود  
تاريخ انشائها الى عصور ما قبل التاريخ ، ولكنها  
كانت ذات قيمة تجارية خاصة في الفترة الواقعة بين  
القرن العاشر قبل الميلاد والعصور الاسلامية  
الاولى . ويعود ذلك اصلاً الى انها كانت على  
الطريق التجاري الرئيسي الذي كان يصل بين  
الشام ( حيث كان يتفرع عند البتراء الى مصر ) وبين  
اليمن عن طريق الحجاز .

وقد اصبح من المتعارف عليه عند الباحثين  
ان اهم هذه المدن هي :

- آرام او إرم التي ورد ذكرها في  
الكتابات القديمة والتي نستدل منها على ان العرب  
كانوا يقطنون فيها في القرن الثامن قبل الميلاد . وقد  
كانت اهميتها اصلاً انها على طريق البخور بين  
البتراء شمالاً ومدن الجنوب . وبعد الاسلام  
اصبحت مركزاً على طريق الحج :

٢ - القرية التي تقع على نحو سبعين  
كيلومتراً شمال غربي تبوك . وقد بلغت عصرها  
الذهبي ايام ازدهار دولة الانباط .

٣ - تيماء وهي ، فيما نعلم ، اقدم مدينة في  
تلك الرقعة من الجزيرة . وقد ورد ذكرها في نقوش  
اشورية ترجع الى سنة ٧٣٢ ق . م . وقد كانت تيماء  
على طريق البخور الموصل الى الخليج العربي  
( وذلك بعد ان دخل الجمل الى تلك الجهات فغير  
اتجاه الطرق لانه يستطيع الصبر على العطش اكثر  
من الحيوان الذي سبقه وهو الحمار ) . وقد كان



منظر تفصيلي لواجهة ضريح مرتفع في «قصر البنت»



فاذا انتقلنا الى المنطقة الشرقية من الجزيرة .  
وجدنا انفسنا امام عدد اقل من المدن . ولكن  
السؤال الحري بأن يطرح هو : هل كانت تلك  
المناطق اقل مدناً في الواقع ، ام اننا لا نزال نجهل  
الكثير عن تلك المناطق ؟ ولناخذ على سبيل المثال  
كندة . فقد عرف التاريخ الادبي ملوكاً لكندة لعل  
آخرهم الشاعر المشهور امرؤ القيس ، ولكننا لم  
نقف بعد على آثار مدن هناك . او على الاقل  
لم نتأكد من ذلك بعد . واذن فالقضية الاساسية  
هي ان معرفتنا قليلة ومع ذلك فقد عرف التاريخ  
مدناً شهيرة كان لها ادوار هامة في التجارة وما الى  
ذلك .

ولندكر على سبيل المثال

١ - «الابله» ، الواقعة على شمال الخليج  
العربي ، التي وصفها مؤلف كتاب دليل البحر  
الاحمر على انها سوق من الاسواق التجارية  
الهامة . وكانت تصدر الى اليمن اللؤلؤ والتمر والبلح  
والذهب وقد سماها أبو لوغوس . اما الابله فهو  
الاسم العربي الاسلامي للمكان (د. جواد) . وقد  
وصفها الطبري المؤرخ بأنها كانت فرح الهند .

٢ - «جرها» الواقعة على ساحل  
الاحساء . وقد كان اهلها «من انشط الناس في  
التجارة ، يتاجرون في البحر والبر ، ويتاجرون مع  
الهند وسواحل ايران الجنوبية ، كما كانوا يتاجرون  
مع العربية الجنوبية وارض العراق . وكانوا قوماً  
اصحاب تجارة مسلمين لا يرغبون في الحروب»  
(د. جواد) . ومن المرجح ان «جرها» (او  
الجرعاء؟) كانت تقوم مكان العقير اليوم . ذلك  
هو الرأي القائم الان ، ولكن استمراره او تبدله  
متوقف على ما يظهره الرفش والمعول والعالم الأثري  
في المستقبل .

٣ - وهناك جبلة وهجر والقطيف ومسقط  
وعمان والبحرين (الجزيرة) . وهجر هي الاحساء

لتيماء سور عرضه حول المترين وارتفاعه نحو ثلاثة  
امتار . ويبدو ان ابنتها تأثرت بالفن الآرامي في  
القرنين السادس والخامس قبل الميلاد . وقد ذكرها  
ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال عليها :

«تيماء» : بالفتح والمد : بليد في أطراف  
الشام ، بين الشام ووادي القرى ، على طريق حاج  
الشام ودمشق ، والابلق الفرد حصن السموأل بن  
عادياء مشرف عليها . وقال ابن الازهري : المقيم  
المضلل ، ومنه قيل للفلاة تيماء لأنها يفضل فيها ،  
قال ابن الاعرابي : ارض واسعة ، وقال  
الأصمعي : التيماء الأرض التي لا ماء فيها ولا نحو  
ذلك . ولما بلغ اهل تيماء في سنة تسع وطفه النبي  
صلى الله عليه وسلم ، وادي القرى ، أرسلوا اليه  
وصالحوه على الجزية وأقاموا ببلادهم وارضهم  
بأيديهم

٤ - الحجر (او مداين صالح) الواقعة الى  
الجنوب الغربي من تيماء التي كانت بالاضافة الى  
البتراء اهم مدينة في دولة الانباط . اما بناؤها  
فيعود ، على ما يرجحه الباحثون ، الى المعينين ايام  
كانت تجارتهم تمتد طرقها واسواقها الى تلك  
المناطق .

٥ - وثمة العلا التي كانت ايضاً على  
الطريق التجاري الهام . مما حمل التجار ، والحجاج  
فيما بعد ، على اتخاذها نقطة استراحة لتجمع الماء  
بغزارة في الواحة المحيطة بها .

٦ - حري بنا ان نذكر ان شواطئ البحر  
الاحمر كانت فيها موانئ هامة يتخذها التجار  
مراكز لتأجيرهم ينقلونها من المراكز المذكورة آنفاً  
اليها تمهيداً لحملها عبر البحر الى مصر . فهناك «ايلة»  
على رأس خليج العقبة وهناك ميناء «لويكة كومي»  
التي كانت تقع جنوبي ايلة . وقد ظلت هذه ميناء  
مستعملاً الى حول القرن الثالث للميلاد ، ثم  
انتزعت ايلة منها تجارتها ومكانتها . اما في العصور  
الاسلامية فقد قامت «ينبع» على مقربة منها ،  
وحصلت على شيء من مكانتها .

(الحسا) اليوم. وقد ورد ذكرها في النقوش الآجرية التي وجدت في بلاد بين النهرين. اما عمان فكانت مركز تصدير الفضة والنحاس. وكانت التاج تقع على الطريق التجاري بين مكة والحيرة. والكثير من هذه المدن ورد ذكرها عند الجغرافيين العرب. فقد جاء في كتاب احسن التقاسيم للمقدسي عن بعض المدن الشرقية قوله «أمج صغيرة بها خمسة حصون اثنان حجر وثلاثة مدر والجامع على متن الطريق، وخليص متصلة بها، وبها بركة وقناة وتمور وخضر ومزارع. السوارقية كثيرة الحصون بها بساتين ومزارع كثيرة ومواشي. الفرع والسيرة حصنان بكل واحد جامع. جيلة كبيرة بها متاجر عليها حصن منيع يقال له المهدي الجامع خارجه. مهايع نظير جيلة على اودية ساية. حاذة مدينة مليحة للبكرين بها عدة من الحصون وجامع كبير».

وقال ياقوت الحموي (في معجم البلدان) عن القطيف ما يلي :

«القطيف» : بفتح اوله، وكسر ثانية. فعيل من القطف وهي مدينة بالبحرين هي اليوم قصبتها واعظم مدنها وكان قديماً اسماً لكورة هناك غلب عليها الان اسم هذه المدينة، وقال الحفصي : القطيف قرية لجذيمة عبد القيس، وقال عمرو بن اسرى العبدي :

وتركن عنتر لا يقاتل

أهل القطيف قتال خيل تنفع

الحديث عن المدن الواقعة في المناطق الجنوبية من الجزيرة حديث طويل، وقد عرضنا لبعض هذه المدن في مقالات سابقة لمناسبة الحديث عن بلاد البخور والزراعة والري. والذي نود ان نفعله الان هو ان نجمل بعض خصائص المدن الجنوبية، آملين ان نفصل الحديث عن بعضها على الاقل في المستقبل.

اولاً- يغلب على المدن التي بنيت في الجنوب ان تكون مربعة او مستطيلة شكلاً،

وزواياها شبه قائمة ان لم تكن قائمة تماماً. هذا هو الذي وجدته الرحالة والبحاث في مأرب وغربون (حضر موت) وشبوه وحريب ويليظ (خريبة سعود) وقرناو (معين).

ثانياً- ثمة مدن بيضية الشكل اشهرها حاز وبيحان.

ثالثاً- يغلب على المدن ان تكون في أودية على ما نعرف عن الجوف ومأرب وحريب وثماناء- كحلان.

رابعاً- تقوم مدينة شبام على هضبة. وهناك بعض المدن بنيت على تلال صناعية لتجنب خطر الفيضان مثل يطل (براقش) وقرناو (معين).

وحري بالذكر ان اليمن بشكل خاص بلاد غنية بالحجارة الصالحة للبناء ففيها الحجر الناري والرمل والغرانيت والمرمر (اللبستر). ومن هنا فقد كانت الابنية، الدينية وغيرها، يمكن زخرفتها كما ان بقاياها لا تزال قائمة الى الان. وها نحن اولاء ننقل وصفاً لبراقش (يطل) ومعين (قرناو) عن الدكتور احمد فخري (من كتابه اليمن ماضيها وحاضرها). قال المؤلف :

«ومدينة براقش من أهم الخرائب القديمة في بلاد معين وما زالت بعض معابدها مطمورة تحت الثرى لا يظهر منها الا القليل ولكن سورها هو اكثر اسوار المدن القديمة في اليمن احتفاظاً بشكله. وبراقش خالية الان من سكانها ولكنها في العصور الوسطى كان فيها جامع للصلاة وبقايا بعض المنازل التي شيدت فوق المباني القديمة».

«وزرت خرائب مدينة معين، ولا تبعد اكثر من ركوب ساعة واحدة من مدينة الحزم، وخرائبها هي ومدينة براقش اهم ما بقي من المدن المعينية في بلاد الجوف».

«وهناك المدينة القديمة وحولها الاسوار وفي داخلها كثير من بقايا المعابد، وعلى بوابتها وعلى اسوارها كثير من النقوش. وفي خارج اسوار معين وعلى مسافة قريبة منها يوجد معبد آخر ربما كان لأحد الآلهة الشهيرة وهو الاله عشتار».





اسمها الأصلي ماري آن غروشلتز. وقد ولدت في مدينة سترا سورغ الفرنسية . سنة ١٧٦١ ميلادية ومات أبوها وكان عمرها شهرين .

• قضت مدام تيسو أيام طفولتها في مدينة (برن) في سويسرا حيث كفلها خالها الدكتور كورت يوس . وكان هذا الطبيب فنانا يهوى عمل التماثيل من الشمع فاستهوت صناعة التماثيل الطفلة الصغيرة . انتقل خالها إلى باريس قبل قيام الثورة الفرنسية وافتتح معرضاً لتماثيله وكانت ماري آن قد برعت في صناعة التماثيل براعة فالت بها خالها وأستاذها ما جعله يطلق على متحفه اسم معرض ماري آن وكورت يوس .

• ذاعت شهرة هذا العرض فدعاها ملك فرنسا لويس السادس عشر وزوجته الملكة ماري أنطوانيت إلى الإقامة في القصر لعمل مختلف التماثيل للملك وزوجته وأفراد الحاشية .

• اندلعت نيران الثورة الفرنسية وأعدم الملك وماري أنطوانيت على المقصلة وقبض الثوار على مثالة القصر وعذبوها وحلقوا شعر رأسها ثم ألقيوها في السجن لتقدمها للمحاكمة في اليوم التالي .

• كانت محاكمة ماري آن أغرب محاكمة تجري لفنان أو فنانة . فقد أنكر روبسيير الزعيم الثوري أنها مثالة وطلب منها تقديم الدليل على ذلك . واقترح يهودي اسمه دافيد ابراهام كان من أعضاء المحكمة أن يكون اختبارها بعمل تماثيل لرأس كل من لويس السادس عشر وماري أنطوانيت . واستحضروا الرأسين وما زالت الدماء الجافة عالقة بهما . واضطرت المثالة المسكينة إلى عمل التماثيل من الشمع . وكانا من الدقة لدرجة أن بعض أعضاء المحكمة حسبها الرأسين نفسيهما اللذين أطاحت بهما المقصلة فأخفى وجهه بيديه . وعلى الرغم من ذلك أبقاها روبسيير في السجن حتى سنة ١٧٩٤ . ودارت الأيام دورتها وأخرجوها من السجن لكي تصنع تماثلاً لرأس روبسيير نفسه بعد أن أعدم على المقصلة ونجس الكأس التي سقاها للآخرين .

• تزوجت سنة ١٧٩٥ من فنان خامل الذكر اسمه فرنسوا تيسو . فاشتهرت بلقبه الذي حملته بعد زواجها ، ورزقت منه بولدين ثم سافرت إلى بريطانيا ولبثت هناك حتى ماتت في سنة ١٨٥٠ وهي في التاسعة والثمانين من عمرها .

• حافظ ابنها فرنسيس على تراثها الفني ، وهو التراث الذي تعتز به فرنسا الآن اعتزازاً كبيراً ، إذ أن تماثيلها هي أصدق سجل لشخصيات الثورة الفرنسية .



# اتفاقية الهدنة البنانية - الإسرائيلية

(٢٣ آذار - مارس ١٩٤٩)

الاتفاقية اغفلت ذكر الطرفين تفادياً للاعتراف  
بالكيان الصهيوني

المقيد الدكتور يارحين سويد

في التاسع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٧ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ١٨١ (٢) القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية . وهو القرار الذي رفضته الدول العربية مجتمعة وأعدت العدة لمقاومة تنفيذه بقوة السلاح . وتنفيذاً لهذا القرار وفي الساعة الرابعة من بعد ظهر الرابع عشر من أيار (مايو) عام ١٩٤٨ وفي متحف الفن الحديث في تل ابيب حيث كان المجلس القومي اليهودي يعقد جلسته التاريخية . أعلن بن غوريون قيام الدولة اليهودية على أرض فلسطين اعتباراً من الساعة الصفر من يوم ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ وهي الساعة التي حددها البريطانيون لانتهاء انتدابهم على فلسطين وجلاتهم عنها . وفي هذا الوقت المحدد لولادة الدولة اليهودية . أي في منتصف ليل ١٤ - ١٥ أيار (مايو) نفسه . زحفت الجيوش العربية تجاه فلسطين مخترقة حدودها من كل جانب ومعلنة الحرب على الدولة الوليدة .

إلا أن القتال لم يستمر سوى أقل من شهر ( ١٥ أيار «مايو» - ١١ حزيران «يونيو» ) . إذ تدخل مجلس الأمن الدولي وفرض على المتحاربين هدنة قبلها العرب رغم أنها لم تكن لمصلحتهم . بل كانت لمصلحة اليهود الذين استغلوها لإعادة تنظيم صفوفهم واستعادة قواهم التي زعزعتها الفترة الأولى من الحرب . وذلك باستقدام كميات كبيرة من الذخائر والأسلحة بما في ذلك المصفحات والدبابات والمدافع والطائرات . ثم نشب القتال من جديد بين الجيوش العربية واليهود الذين نقضوا الهدنة فور أن أنسوا لديهم القدرة على استئناف القتال . غير عابئين بأوامر المنظمة العالمية . واستمر القتال عشرة أيام فقط ( ٨ - ١٨ تموز - يوليو - ) تمكن اليهود خلالها من تحقيق انتصارات والحصول على مكاسب على حساب الجزء المخصص لإنشاء الدولة العربية على أرض فلسطين وفقاً لقرار التقسيم المشار إليه .



وقد تمكن مجلس الامن من فرض الهدنة من جديد على المتحاربين بعد ان استولى اليهود على «ثلاثة أضعاف المناطق التي كسبها العرب خلال الشهر الأول من القتال». (حسب رأي كيرك KRIK في كتابه :

The Middle East: 1945-1950

واستمرت الهدنة الثانية من ١٨ تموز (يوليو) الى ١٨ ايلول (سبتمبر) حين نقضها اليهود مستأنفين القتال هذه المرة بقوات عجز العرب جميعاً عن الوقوف في وجهها. وسواء كان هذا العجز ناتجاً عن ضعف حقيقي في جيوشهم أم عن تواطؤ بعضهم مع الدول الكبرى صاحبة القرار في انشاء الدولة اليهودية. فقد كان الهجوم الكبير الذي شنّه اليهود على القطاع العربي من فلسطين في منتصف تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩٤٨ فرصة لهم لا تعوض لكي يوسعوا رقعة دولتهم فيضموا اليها مناطق النقب والجليل والعقبة والمثلث

الصغير (طولكرم - نابلس - جنين) وبعض قرى لبنان الجنوبي (ومن هذه القرى : بليدا وميس الجبل ومركبا ومحبيب وكفركلا والقنطرة وعديسة والطيبة وتل النحاس ورب الثلاثين والجنان والحولة التي قتل منها وحدها في هذا الهجوم أكثر من تسعين نسمة). وان يجبروا الجيوش العربية بالتتابع. على ان تنكفيء تحت ضغط التواطؤ العربي الرسمي والدولي.

#### جيش لبناني وليد

وكان لبنان قد دخل هذه الحرب وهو بملك جيشاً حديث التكوين بلغ عديده زهاء خمسة آلاف جندي. وهو الجيش الذي كان قد آل اليه في الاول من آب (أغسطس) عام ١٩٤٥ بعد نيّله الاستقلال وانسحاب الجيوش الفرنسية من أراضيه (مضافا اليه بعض الوحدات التي انشئت خلال الاعوام الثلاثة من بدء الاستقلال) وكان هذا الجيش الصغير منظماً على الشكل التالي :



٢٣ آذار (مارس). رأس الناقورة : المقدم جوزف حرب (إلى اليمين) والعقيد توفيق سالم (لم يظهر وجهه) يوقعان على اتفاقية الهدنة وخلفهما مجموعة من المراقبين الدوليين.

٤ - كتياب مشاة (تقدر الكتيبة بنحو ٥٠٠ عسكري)

- بطارية مدفعية ميدان ١٠٥ ملم .

- بطارية مدفعية مضادة للطائرات ٧٥ ملم .

- كتيبة مصفحات (تسع مصفحات)

- كتيبة دبابات (تسع دبابات)

- سرية اطفاء

- سرية المقر العام

- سرية خيالة

- سرية هندسة وإشارة

- سرية نقل

- فوج من المجاهدين

انشىء (فوج المجاهدين) في بدء القتال وسلمت قيادته الى النقيب اللبناني محمد زغب الذي استشهد في معركة المالكية . الا انه لم يشترك من هذا الجيش في القتال سوى ثلاثة آلاف فقط ، بينما ظل الباقي منه ، وهو الفان ، داخل الأراضي اللبنانية للمحافظة على الامن في البلاد وحماية مؤسساتها ومرافقها الحيوية ، وقد خصص لهذا الجيش ، وفقا لخطة القيادة العربية الموحدة في ذلك الحين ، القطاع الاوسط من الجبهة اللبنانية ، محور المالكية - الجليل الشرقي ، والقطاع الغربي من تلك الجبهة ، محور الناقورة - نهاريا ، فتمركزت قواته في قطاع عيترون - بليدا - بنت جبيل ، وفي الناقورة باتجاه نهاريا ، وقامت ببعض العمليات الحربية الصغيرة . الا ان اهم معركة خاضها الجيش اللبناني في هذه الحرب هي معركة المالكية التي جرت بتاريخ ٥-٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، والتي انتهت بانتصاره واسترداد المالكية من اليهود (اشترك في هذه المعركة من الجيش اللبناني ، كتيبة المشاة الثالثة بقيادة المقدم جميل الحسامي ، فصيلة مدفعية ٧٥ ملم ، سرية مدرعات ، ومفرزة هندسة) الا أن المالكية لم تبقى بيد العرب بعد ان

تسلمها جيش الانقاذ من الجيش اللبناني ثم فقدتها بعد معركة خاسرة مع العدو . وقد التزم لبنان ، خلال الحرب بالهدنتين الاولى والثانية ، كما التزم ، بعدها ، بالهدنة الدائمة الاخيرة ، ولا يزال .

### الهدنة الثالثة .. والنهاية

فكيف تم التوصل الى عقد هذه الهدنة الدائمة (الثالثة والاخيرة) بين العرب واليهود؟ في السادس عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٨ ، صدر عن مجلس الامن قرار رقم ٦٢ يدعو الدول المتحاربة في فلسطين الى اقرار هدنة دائمة بينها في جميع انحاء فلسطين وهذا نصه : «ان مجلس الامن ، اذ يعيد تأكيد قراراته السابقة بشأن اقامة وتنفيذ الهدنة في فلسطين . ويشير بصورة خاصة الى قراره رقم ٥٤ (١٩٤٨) الصادر في ١٥ تموز - يوليو - (١٩٤٨) الذي قرر ان الوضع في فلسطين يشكل تهديداً للسلام ضمن معنى المادة ٣٩ من ميثاق الامم المتحدة ، ويحيط علماً بأن الجمعية العامة تواصل النظر في مستقبل الحكم في فلسطين تلبية لطلب مجلس الامن بموجب قراره رقم ٤٤ (١٩٤٨) الصادر في ١ نيسان - ابريل - (١٩٤٨) ودون اجحاف بأعمال الوسيط بالوكالة بالنسبة لتطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٦١ (١٩٤٨) الصادر في ٤ تشرين الثاني - نوفمبر - (١٩٤٨) (يطلب هذا القرار من كل مصر «واسرائيل» سحب قواتها الى الحدود التي كانا يحتلانها في ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٨ . وقد أذعنت مصر لهذا القرار ونفذته . أما الدولة الصهيونية فلم تدعن ولم تنفذ ،

١ - يقرر أنه لأجل إزالة التهديد للسلام في فلسطين ولتسهيل الانتقال من الهدنة الحاضرة الى السلام الدائم في فلسطين ستقام هدنة في جميع قطاعات فلسطين .

٢ - يدعو جميع الاطراف ذوي العلاقة المباشرة في النزاع في فلسطين ، كتدبير موقت إضافي بموجب المادة ٤٠ من الميثاق ، الى السعي للاتفاق





الفتنانت كولونيل مردخاي ماكليف (إلى اليمين) يوقع على إتفاقية الهدنة باسم حكومة «إسرائيل». وإلى اليسار الجنرال رايلي قائد القوات الدولية التي أشرفت على التوقيع. وظهر خلفها النقيب منير حمدان الذي أصبح فيما بعد مفتشاً عاماً في وزارة الدفاع اللبنانية برتبة عميد.

٣- أنشأت بموجبه «لجنة توفيق» تابعة للامم المتحدة مهمتها القيام بدور الوسيط في فلسطين وتنفيذ توجيهات الجمعية العامة ومجلس الأمن بهذا الصدد. بما في ذلك تسهيل عودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم. واتخاذ التدابير اللازمة «بغية معاونة الحكومات والسلطات المعنية لاحراز تسوية نهائية لجميع المسائل المعلقة». بين الاطراف المتنازعة. فقد كانت صلاحيات هذه اللجنة تتلخص إذن بثلاث: التوسط، والتوفيق، وتنفيذ قرار العودة. وقد باشرت هذه اللجنة مهامها في لوزان في سويسرا (اعتباراً من ١٧/١/١٩٤٩) حيث وصلت وفود كل من سوريا ولبنان ومصر وشرقي الاردن والعدو. واستمرت هذه المحادثات قرابة ثمانية اشهر (من ١٧/١/٤٩ لغاية ١٥/٩/١٩٤٩).

الدول العربية واحدة بعد الاخرى  
الا ان المفاوضات بين الدول العربية والعدو

حالا عن طريق المفاوضات التي تجري اما مباشرة او بواسطة الوسيط بالوكالة لأقامة هدنة دائمة فورية تشمل:

أ- رسم خطوط هدنة دائمة لا يجوز لقوات الاطراف المعنية المسلحة تخطيها.

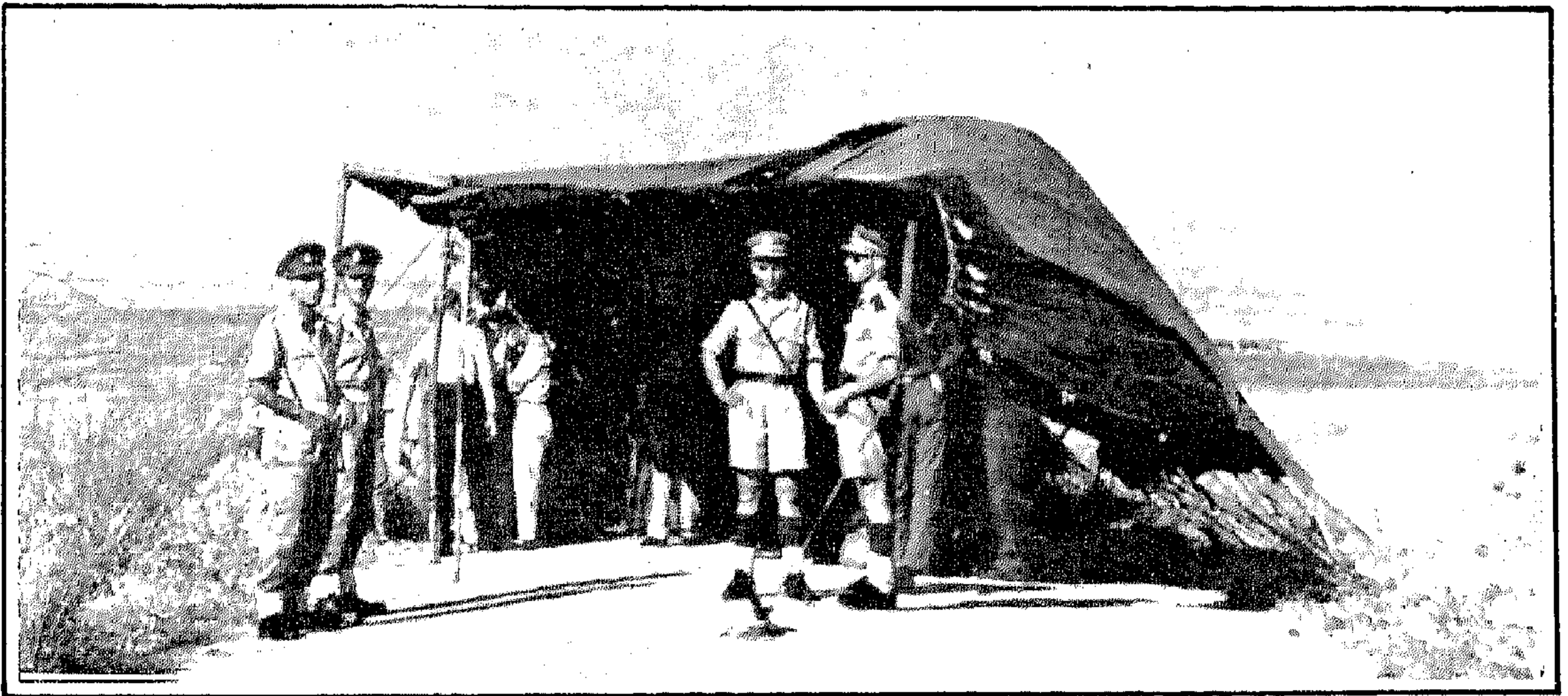
ب- القيام بما يلزم من سحب وتخفيض لقواتها المسلحة لتأمين المحافظة على الهدنة الدائمة في أثناء الانتقال إلى السلام الدائم في فلسطين، واستناداً إلى ما ورد في القرارين المذكورين اعلاه (القرار رقم ٤٤ تاريخ ١ نيسان - ابريل - ١٩٤٨، الذي يدعو الجمعية العامة الى عقد دورة استثنائية للبحث مجدداً في مسألة مستقبل الحكم في فلسطين، والقرار رقم ٦٢ تاريخ ١٦/١١/١٩٤٨ الذي يؤكد هذه الدعوة من جديد في معرض قراره لهدنة دائمة في فلسطين). التأمّت الجمعية العامة بتاريخ ١١/١٢/١٩٤٨ واصدرت قراراً رقم ١٩٤

الصهيوني كانت قد بدأت قبل ذلك بستة اشهر تقريباً ، بدأها الوسيط الدولي الكونت فولك برنادوت في جزيرة رودس في حزيران (يونيو) من العام ١٩٤٨ ، واشترك فيها من عرب فلسطين المحاميان أحمد الشقيري وهنري كتن. الا أن هذه المفاوضات تعثرت مما حمل الوسيط الدولي على مغادرة الجزيرة الى نيويورك للتباحث مع مسؤولي الأمم المتحدة فيما يجب عمله ، ثم جمدت ريثما يعود الوسيط الدولي من رحلته. وانتقل برنادوت من نيويورك الى أرض المعركة في فلسطين متابعاً مهمته للتوسط بين العرب واليهود فيها ، وكان الرجل على جانب كبير من النزاهة والحياد والتجرد ، فاذا بمنظمة «شترن» الصهيونية الارهابية تغتاله في الحي اليهودي في القدس بتاريخ ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ وذلك لأنه في اليوم السابق لاغتياله (١٦ ايلول - سبتمبر) بعث الى المستر تريغفلي الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة باقتراحات لحل القضية الفلسطينية اعتبرها اليهود غير متفقة مع مطالبهم . فكلفت المنظمة الدولية ممثل الأمين العام للأمم المتحدة في فلسطين الدكتور رالف بانس اتمام المهمة . فأشرف هذا على استئناف المفاوضات بين الوفدين المصري والصهيوني ، ثم بين الوفود العربية والوفد العدو. ولم يمض زمن طويل على بدء هذه

المفاوضات حتى كانت وفود الدول العربية المفاوضة ، تنجر الواحد منها بعد الآخر ، الى طاولة مشتركة لتوقيع الهدنة المنشودة ، فتوقع مصر تلك الاتفاقية في رودس بتاريخ ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٤٩ ، ويليه لبنان فيوقعها في رأس الناقورة بتاريخ ٢٣ آذار (مارس) من العام نفسه ، ثم الاردن فيوقعها في رودس بتاريخ ٣ نيسان (ابريل) ، واخيراً سوريا التي وقعت في التل رقم ٢٣٢ بالقرب من مهانيم على الحدود السورية الفلسطينية بتاريخ ٢٠ تموز (يوليو).

ولم تدع باقي الدول العربية الى توقيع مثل هذه الاتفاقية باعتبار ان ليس لديها حدود مشتركة مع فلسطين وبالتالي لم تشترك مع العرب في حروبهم ضد العدو باستثناء العراق الذي رفض توقيع اتفاقية الهدنة وأوكل أمر ذلك الى المملكة الاردنية الهاشمية .

وكان لبنان البلد الثاني بعد مصر ، الذي وقع اتفاقية الهدنة وقد تم ذلك بعد مفاوضات بين الفريقين استمرت أكثر من شهرين من ١٩ كانون الثاني (يناير) حتى ٢٣ آذار (مارس) ١٩٤٩ حسب رواية الاستاذ عارف العارف (بينما يذكر الفريق أول صالح صائب الجبوري رئيس أركان الجيش العراقي في هذه الفترة انه تلقى بتاريخ ٢٨



خيمة الهدنة على طريق طبريا - الشام - من كتاب «العشر سنين الأول» تأليف والتر باتان - لندن ١٩٥٨ -



كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ اتصالاً هاتفياً من الزعيم رئيس اركان الجيش السوري يومذاك ينبئه فيه ان مفاوضات تجري بين اللبنانيين واليهود في الناقورة لعقد هدنة بينهما ، وانه اكده ذلك في اتصال هاتفي آخر في ٣٠ من الشهر نفسه . وقد جرت هذه المفاوضات في اجتماعات متتالية بين المتفاوضين ، مرة في رأس الناقورة (الناقورة الانكليزية) في الجانب المحتل من الحدود ، واخرى في الناقورة الفرنسية ، في الجانب اللبناني من الحدود الجنوبية للبنان . وقد اشترك في المفاوضات عن الجانب اللبناني ثلاثة من ضباط الجيش هم : العقيد توفيق سالم والمقدم جوزف حرب والنقيب منير حمدان بالاضافة الى المستشار القانوني للوفد الاستاذ محمد علي حماده ، واشترك فيها عن الجانب الصهيوني كل من الكولونيل مردخاي ماكليف ونيوشواع بيلمان وشبطاي روزين ، ووقعها عن الجانب اللبناني العقيد توفيق سالم ، كما وقعها عن العدو أعضاء الوفد الصهيوني الثلاثة . والطريف في الأمر أن العقيد توفيق سالم رئيس الوفد اللبناني قد وقع على هذه الاتفاقية في المكان المخصص لوفد العدو ، كما وقع الوفد الصهيوني في المكان المخصص لوفد لبنان (انظر صورة الصفحة الأخيرة من الاتفاقية) .

#### بنود الاتفاقية اللبنانية «الاسرائيلية»

وتتضمن الاتفاقية المعقودة بين لبنان والعدو ثماني مواد وملحقاً خاصاً بتعريف القوات الدفاعية على جانبي الحدود ، وتجدر الإشارة الى ان الطرفين يعترفان بأن الاعتبارات العسكرية وحدها هي التي أملت أحكام هذه الاتفاقية (المادة الثانية - الفقرة ٢) . ويتعهد طرفا الاتفاق (في المادة الاولى) بعدم اللجوء الى القوة العسكرية لتسوية القضية الفلسطينية كما يتعهدان بأن يحترم كل واحد أمن الآخر وحرية وقرآن بضرورة قيام هدنة دائمة بينهما «كمرحلة ضرورية في سبيل تسوية النزاع

المسلح وإعادة السلم الى فلسطين» ، ويؤكدان (في المادة الثانية) الاعتراف بمبدأ عدم جواز تحقيق أي امتياز عسكري او سياسي من جراء هذه الهدنة كما يدركان بأن هذا الاتفاق يجب ان لا يمس حقوق ومطالب أي من الفريقين أو مواقفه في التسوية السلمية والنهائية للمسألة الفلسطينية ، ويتعهد كل طرف (المادة الثالثة) بعدم القيام وعدم السماح بأي عمل من الاعمال الحربية أو شبه الحربية ضد الطرف الآخر ، ويعترف الطرفان (المادة الرابعة) بخطوط ثابتة للهدنة بينهما يجب أن لا تتعداها القوات المسلحة لكل منهما ، وتحدد (المادة الخامسة) خطوط الهدنة هذه «بالحدود الدولية بين لبنان وفلسطين» ، كما يتعهد كل منهما بتقليص قواته على جانبي هذا الخط الى قوات «دفاعية» في خلال فترة عشرة أيام من توقيع الاتفاقية ، وتوجب (المادة السادسة) على طرفي الاتفاق تبادل اسرى الحرب فيما بينهما وتحدد شروط عملية التبادل هذه ، وتنشئ (المادة السابعة) لجنة مشتركة للهدنة باشراف مندوب عن مراقبي هيئة الأمم المتحدة ، كما تحدد شروط اجتماع هذه اللجنة وصلاحياتها ومسؤولياتها وكيفية اتخاذ القرارات فيها .

اما (المادة الثامنة) والاخيرة فتحدد شروط العمل بهذا الاتفاق وكيفية تطبيقه ، كما تتيح لأي من الفريقين إمكان إعادة النظر باحكام الاتفاق او وقف تنفيذ اي من هذه الاحكام ، في اي وقت كان ضمن شروط محددة (ماعداد المادتين ١ و٣) .

وينتهي الإتفاق بعبارة «وقع في رأس الناقورة في ٢٣ آذار مارس عام ١٩٤٩ بحضور الممثل الشخصي لوسيط الأمم المتحدة الخاص في فلسطين بالوكالة ، ورئيس أركان هيئة الرقابة على الهدنة التابعة للأمم المتحدة» ، ويلى ذلك التوقيع ، واستناداً إلى إتفاق الهدنة هذا (المادة الخامسة) سحب العدو قواته من القرى اللبنانية التي كان قد احتلها خلال الهجوم الذي شنّه على جنوبي لبنان في ١٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨ .

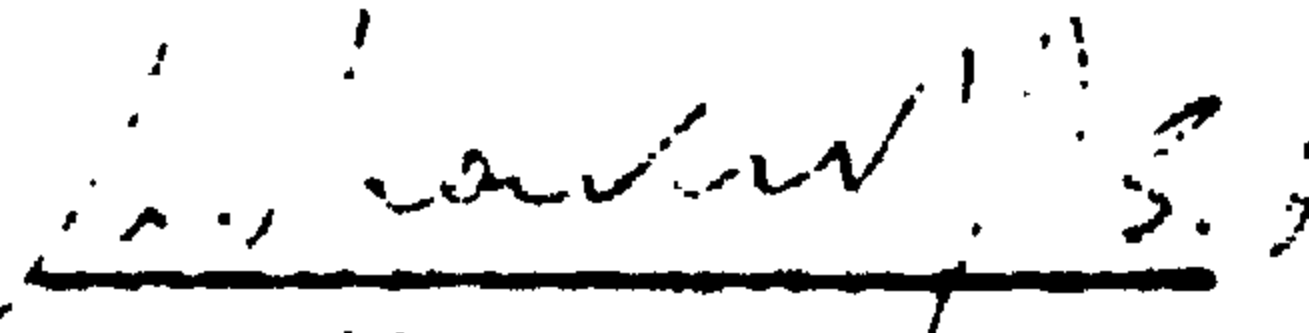
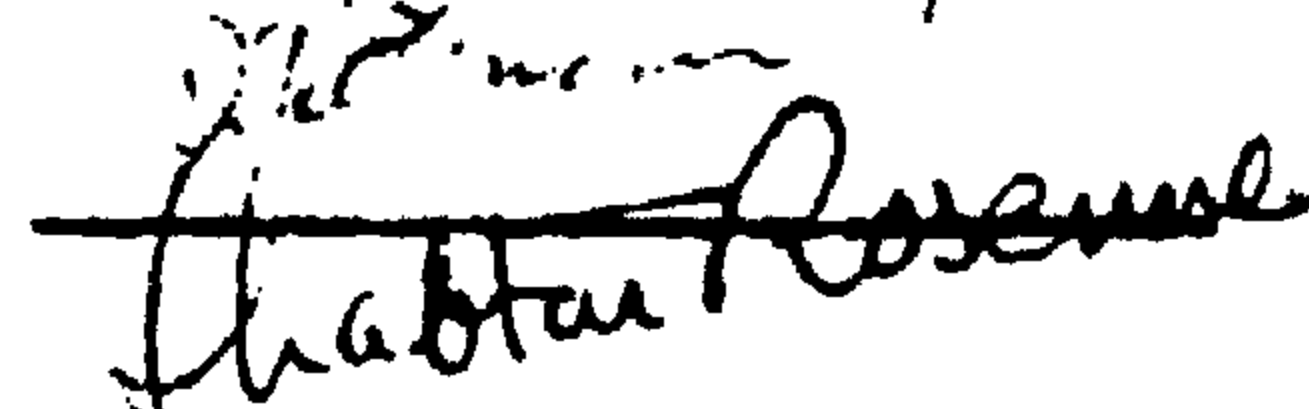
9. This Agreement is signed in quintuplicate, of which one copy shall be retained by each Party, two copies communicated to the Secretary-General of the United Nations for transmission to the Security Council and to the United Nations Conciliation Commission on Palestine, and one copy to the Acting Mediator on Palestine.

DONE at Ras En Naqoura on the twenty-third of March nineteen forty-nine, in the presence of the Personal Deputy of the United Nations Acting Mediator on Palestine and the United Nations Chief of Staff of the Truce Supervision Organisation.

FOR AND ON BEHALF OF THE  
GOVERNMENT OF ISRAEL

FOR AND ON BEHALF OF THE  
GOVERNMENT OF THE LEBANON

Signed:   
\_\_\_\_\_

Signed:   


صورة الصفحة الأخيرة من إتفاقية الهدنة (النص الإنكليزي) ويبدو إلى اليسار توقيع العقيد توفيق سالم . نيابة عن الحكومة «الإسرائيلية» ! وإلى اليمين توقيع اليهود باسم الحكومة اللبنانية ! خطأ لم يعرف من المسؤول عنه . ويعتقد أن الفريقين سبق لهما أن وقعا على النسخة الفرنسية . وظنا أن ترتيب التوقيعات مماثل في النسخة الإنكليزية .

ميدانية ووحدات خدمة للتموين والمعدات ولا يتجاوز عديد هذه الوحدات جميعها ١٥٠٠ ضابط وجندي .

كما يفرض هذا الملحق على كل من الطرفين أن لا ترابط أية قوات عسكرية إضافية غير القوات الدفاعية الوارد ذكرها ضمن خطوط محددة كما يلي :

على الجانب اللبناني : في أية نقطة إلى الجنوب من الخط العام ، القاسمية ، - النبطية - التحتا - حاصبيا .

على الجانب الآخر : في أية نقطة إلى الشمال من الخط العام ، نهاريًا - ترشيحا - الجش - ماروس .

أما الملحق الخاص بقوات الدفاع فيحدد القوات الدفاعية اللبنانية بكتبتين وسريتين من مشاة الجيش النظامي اللبناني ، وبطارية ميدان واحدة مؤلفة من ٤ مدافع وسرية واحدة مؤلفة من ١٢ سيارة خفيفة مصفحة ومسلحة بمدافع رشاشة ، و ٦ دبابات خفيفة ومسلحة بمدافع خفيفة ، ولا يتجاوز عديد هذه الوحدات جميعها ١٥٠٠ ضابط وجندي . أما قوات «الدفاع» العدو فتحدد بكتيبة مشاة واحدة وسرية مساندة واحدة وستة مدافع هاون وستة مدافع رشاشة وسرية إستطلاع واحدة وست عربات مصفحة وست سيارات جيب مصفحة وبطارية مدفعية ميدان واحدة مؤلفة من ٤ مدافع وفصيلة هندسة



## تفادياً للإعتراف « بإسرائيل »

ومما يجدر ذكره أن أياً من إتفاقات الهدنة الموقعة بين الأطراف العربية والعدو ، لم يذكر بوضوح إسمي الفريقين المعنيين بها ، ويذكر الأستاذ عارف العارف ، نقلاً عن الدكتور حلیم أبو عزالدين رئيس الدائرة السياسية في وزارة الخارجية اللبنانية عام ١٩٥١ أن أسماء الفرقاء قد أهملت من الإتفاقية عمداً وذلك « بإصرار من لبنان الذي لم يشأ أن يعترف « بإسرائيل » ، لذا ، استهلت كل من هذه الإتفاقيات بالنص التالي : « إن الفريقين في هذه الإتفاقية ، تنفيذاً لقرار مجلس الأمن الخ » .

ويصف الأستاذ محمد علي حمادة المستشار

القانوني للوفد اللبناني إلى المفاوضات ، الجو الذي ساد حفلة توقيع الإتفاقية في الناقورة ، كما يلي : « .... وصل الوفد اللبناني قبيل الساعة التاسعة ، ثم أقبل ممثلو الأمم المتحدة برئاسة الجنرال رايلي . من على الشرفة ، كانت الانظار متجهة صوب الأرض المحتلة ، وأعضاء الوفد « الإسرائيلي » وهم يصعدون برفق وحذر المسلك الوعر والوحيد الرابط بين الموقعين العسكريين على الحدود ( يقصد الناقورة الإنكليزية والناقورة الفرنسية ) ، يتقدم الوفد « الإسرائيلي » خبير بمسك بكاشفة الغام لأن الجيشين زرعا الألغام في منطقة تقارب مساحتها كيلومتراً مربعاً .

« دخل ماكليف يتبعه بيلمان وروزين ، وابتسامة خفرة ترسم على شفاههم ، فاستقبلهم كبير المراقبين الدوليين . أما اللبنانيون فقد وقفوا في جمود ينم عما كان يتفاعل في نفوسهم من مشاعر الألم والأسى ، إقتصرت التحية المتبادلة على إيماءة خاطفة بادرها ماكليف باتجاه العقيد سالم ، ثم تقابل الوفدان حول طاولة مستطيلة جلس على رأسها الجنرال رايلي الذي بدأ فوراً تلاوة مشروع إتفاق الهدنة نصاً كاملاً ، ثم أخذ بعد ذلك يقرؤها بنداً بنداً . لقد أراد لبنان أن يدخل في الإتفاق مادة صريحة يضمنها إعترافاً لا لبس فيه بحدوده

السياسية ، واحتدم الجدل حول هذه النقطة مما أطال الجلسات عدة أيام .... » .  
الأمنية الصهيونية التي لم يحققها العدو

وفي الذكرى السنوية الأولى للتوقيع على إتفاقية الهدنة تلقى كل من العقيد توفيق سالم ومحمد علي حمادة ، كتاباً من شبطاي روزين يعرب فيه « عن سعادته بما تحقق في إجتماعات الناقورة ، ويرجو إقتراب اليوم الذي تتحقق فيه أمنيته في زيارة لبنان الجميل بمصايفه ومشاتيه » . ولا عجب إذا انتاب الوفد اللبناني في هذه الإجتماعات « الألم والأسى » ، إذ يذكر الصحافي عادل مالك الذي أورد هذا الوصف في كتابه ( من رودس إلى جنيف ) أن رياض الصلح رئيس الوزراء اللبناني حينذاك ، ورئيس الوفد اللبناني إلى إجتماع للدول العربية تم في عمان ، قبيل الموافقة على المفاوضات مع العدو ، كان أول الراضين لعقد هدنة مع العدو ، وأنه أرغم على القبول بها بعد أن كان رد بعض العرب على موقفه الراض للهدنة : حاربوا وحدكم .

كما أكد رغبة لبنان في عدم القبول بالهدنة وسعيه لاستئناف القتال ، مذكرة سرية نشرها الأستاذ عارف العارف ( في كتابه النكبة ج ٣ ) وهي موجهة من رئيس الوزراء اللبناني رياض الصلح نفسه إلى مزاحم الباججي رئيس وزراء العراق آنذاك ، يشرح له فيها مقابلة جرت بينه ( أي رياض الصلح ) وبين الملك عبد الله ملك الأردن في عمان ، ويخلص فيها إلى القول إن الأردن عازم على الخروج نهائياً من ساحة القتال ، وإن الجيش العراقي القوي كفيل بسد الثغرة التي ستركها انسحاب الجيش الأردني من المعركة . ويؤكد رياض الصلح في هذه المذكرة أنه « لم أقبل وقف القتال إلا بعد غيري » وأنه « لا مناص من القتال » كما أنه « لا بد من توحيد القيادة » .

وقد كان هناك خلاف بين العرب واليهود على تفسير إتفاقات الهدنة هذه ، إذ اعتبر اليهود أن



أعضاء الوفد المصري لحظة وصوله إلى رودس من كتاب «العشر سنين الأول» تأليف والتر إيتان - لندن ١٩٥٨ -

أما فيما يختص بلبنان، فقد حاول العدو مراراً التملص من هذه الإتفاقية خاصة بعد أن بدأت المقاومة الفلسطينية تزاوّل نشاطها الثوري داخل الأرض المحتلة إنطلاقاً من الحدود اللبنانية - الفلسطينية وبعد حرب حزيران يونيو عام ١٩٦٧، وتحديدًا في ٤ آب (أغسطس) من العام نفسه حين أعلن وزير خارجية العدو رسمياً إلغاء إتفاقية الهدنة المعقودة مع لبنان. إلا أن لبنان أصر مراراً، بلسان وزير خارجيته تارة، وبلسان مندوبه لدى الأمم المتحدة تارة أخرى، على التمسك بهذه الإتفاقية، رغم تنكر الكيان الصهيوني لها، ولا يزال حتى اليوم، مصرّاً على اعتبارها قائمة بينه وبين العدو.

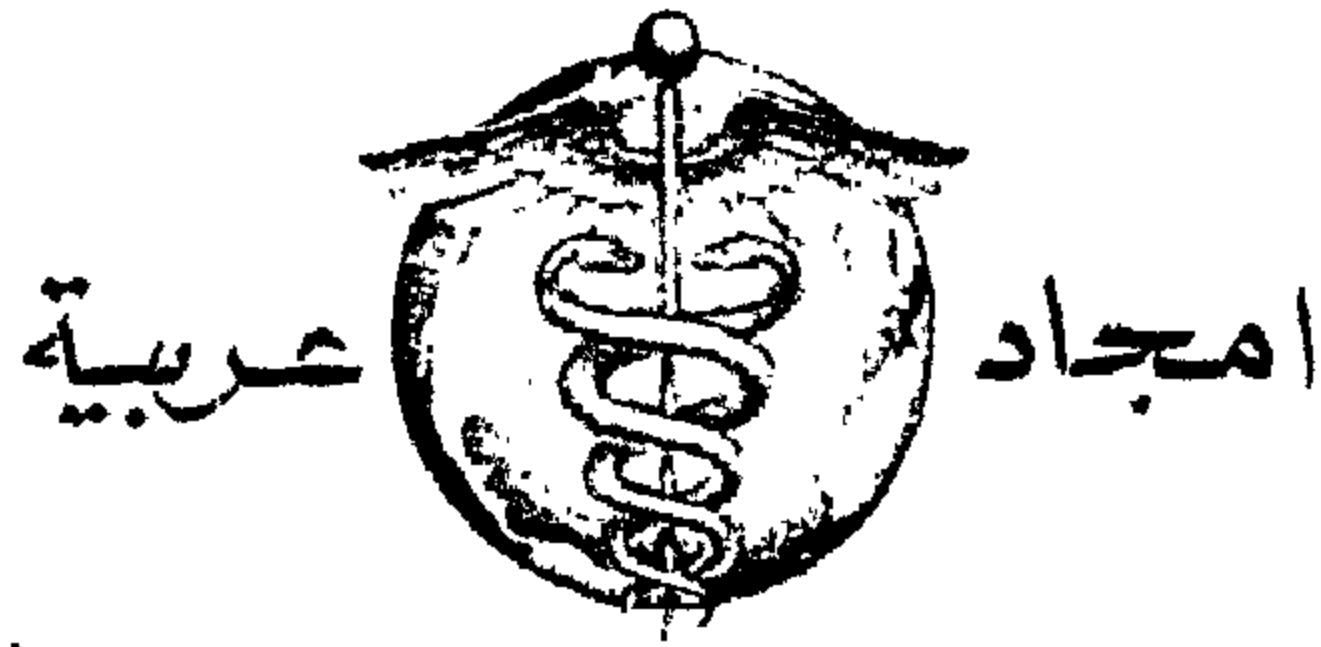
### المراجع

- «النكبة»، لعارف العارف، ج ١ - ٥.
- «القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني»، لقيادة الجيش اللبناني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت.
- نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت، لعام ١٩٧٢
- «قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين» ١٩٤٧ -
- ١٩٧٢ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت
- «من رودس إلى جنيف»، لعادل مالك.
- «محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية» لصالح صائب الجبوري. ■

هذه الإتفاقيات تنهي حالة الحرب القائمة بينهم وبين الدول العربية الموقعة عليها، بينما كان التفسير العربي والدولي، بالتالي، لهذه الإتفاقيات، يناقض تماماً التفسير الصهيوني لها. وقد فسر قرار الأمم المتحدة الصادر بتاريخ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ هذه الإتفاقيات بأنها «تدبير مؤقت إضافي بموجب المادة ٤٠ من الميثاق»، مرهون بإعادة نظر الجمعية العامة «في مسألة مستقبل الحكم في فلسطين» (قرار رقم ٦٢ تاريخ ١١/١١/٤٨ معطوفاً على القرار رقم ٤٤ تاريخ ١ نيسان - إبريل - ١٩٤٨). كما فسر السيد محمود رياض (الأمين العام لجامعة الدول العربية، واحد أعضاء الوفد المصري في مفاوضات رودس) في حديث مع الصحافي اللبناني عادل مالك، هذه الإتفاقيات بأنها ترتكز، من جانب الدول العربية، على نقطتين أساسيتين، أولاهما الإصرار على أن لا تمس هذه الإتفاقيات بحقوق الدول العربية عامة والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني خاصة، وثانيهما إعتبار هذه الإتفاقيات موقّعة وعسكرية، أساسها وقف إطلاق النار فقط، دون أي طابع سياسي، يؤكد ذلك ما سبق وأوردناه في المادة الثانية من الإتفاقية (فقرة ٢).

وقد تغلب في النهاية التفسير العربي والدولي لهذه الإتفاقيات، نظرياً وبالممارسة. ولكن لمصلحة العدو طبعاً، خاصة وأنه لم يحترم هذه الإتفاقيات في أية مرحلة من مراحل العمل بها ومنذ توقيعها حتى اليوم.





# الطب العربي من ١٠٠٠ سنة

٩٠٠ طبيب خاص في بغداد ودلا طبيب واحد في مرض الراين

عفاف الرشيد الخضر

إذا أردنا أن نلقي أضواء على مستوى مستشفيات العرب منذ ألف سنة وما كان يقابلها من مستشفيات في أوروبا ، فإنه يمكن الاعتماد على ما جاء في وصف المؤرخين لاعادة رسم الصورة على الشكل التالي :

«رسالة» من مريض في مستشفى المنصوري  
لأبيه

والدي العزيز :

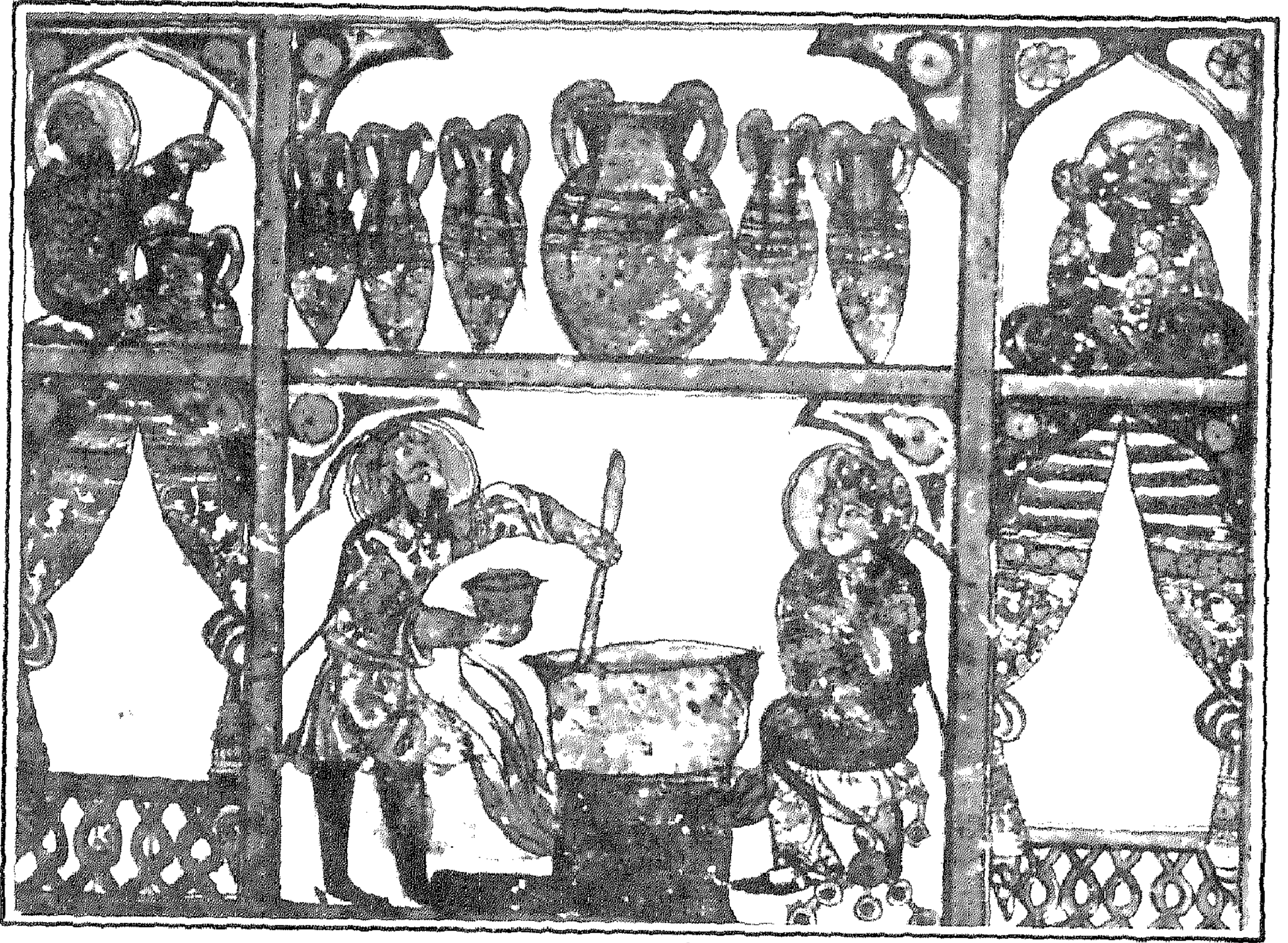
■ انك تسأل اذا كنت تحضر لي نقوداً عند زيارتك . والواقع أنني عندما أغادر المستشفى ستصرف لي ادارته كسوة جديدة وتسلمني خمس قطع ذهبية انفق منها عقب خروجي ، حتى لا أضطر إلى العمل وأنا في حاجة إلى الراحة فترة النقاهة . فأنت يا والدي لست بحاجة إلى بيع ماشية من مواشيك ، ولا بحاجة لتستدين . والشئ الوحيد الذي أطلبه منك سرعة المبادرة ، وإذا أردت زيارتي حيث أقيم ، فأنا الآن في قاعة ذوي العاهات إلى جانب حجرة العمليات . والوصول إليها سهل يسير . عندما تدخل من الباب الرئيسي للمستشفى اتجه إلى القاعة الخارجية جهة الجنوب وهي المصحة الشعبية التي نقلت إليها عقب سقوطي وهناك يكشف على المريض مساعدو الأطباء وبرفقتهم الطلبة . أما المريض الذي لا يحتاج إلى علاج داخلي في المستشفى فيحصل على كشف

بالدواء الذي يحتاج اليه ، ويتناوله من صيدلية المستشفى . وبعد الكشف عليّ ، كتب اسمي في سجل المستشفى وعرضت على كبير الأطباء ، وقد حملني ممرض إلى قسم الرجال بعد أن أدخلني الحمام والبسني ملابس نظيفة للمرضى .

وعلى يسارك نجد المكتبة والقاعة الكبرى للمحاضرات حيث يدرس كبير الأطباء ، الطلاب . أما الطريق في جهة اليسار من فناء المستشفى فيؤدي إلى قسم النساء . لذلك يجب عليك أن تلتزم دائماً ناحية اليمنى ماراً بقسم الأمراض الباطنية ، وقسم الجراحة . وعندما تسمع موسيقى أو غناء في قاعة من القاعات فانظر إلى داخلها فقد أكون في القاعة النهارية للاستجمام والترريح عن النفس . حيث نجد كتباً وموسيقى للتسلية .

زارني صباح اليوم كبير الأطباء . ومعه مساعدوه والممرضون . وكشف وشرح لي - بعد أن أملى على طبيب القسم شيئاً لم أفهمه - أنني قد أغادر السرير غداً وأترك المستشفى . والواقع يا والدي أنني لا أريد مغادرته ، فكل شيء هنا في غاية النظافة والجمال : الأسرة وثيرة واغطيها من

عفاف الرشيد الخضر : مدرسة علم الاجتماع في المدارس التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية .



— من كتاب «الحشاش وخياض العقاقير» (مكتبة آيا صوفيا، استنبول)

كانت أوروبا تعيش في جحيم القرون الوسطى ، اذ كان الجهل يلف العقول بغشاوة يندى لها جبين الإنسانية خجلاً . وهاكم صورة عن حالة المستشفيات في أوروبا في منتصف القرنين التاسع والعاشر الميلاديين .

#### مستشفى أوتيل ديه في باريس

فن أوائل المستشفيات الأوروبية حسب قول شاهد عيان ، ومن أحسنها ذلك المستشفى المعروف في باريس باسم «أوتيل ديه» ، أي فندق الله . وهذا المستشفى كما تصفه المراجع رصفت أرضه بالطوب المغطى بالقش حيث يزدحم المرضى .. أقدام هؤلاء إلى جانب رؤوس أولئك ، والأطفال إلى جانب الشيوخ والنساء بجوار الرجال .. وأصحاب الأمراض المعدية مع غيرهم جنباً إلى جنب . كما نجد نساء قد جاءهن المخاض وأطفالاً

القماش الدمشقي الأبيض وعليها أخرى هشة ناعمة كالقطيفة . وفي كل غرفة ماء جار وفيها تدفئة تستخدم شتاء .

أما وجبة الطعام فغالباً ما تتكون من الطيور أو شواء الضأن لأولئك الذين تحتمل صحتهم مثل هذا . ان جاري قد تمارض نحو اسبوع طلباً للبقاء في المستشفى ليتمتع بلحم صدر الفراخ . إلا أن كبير الأطباء تبينه وأخرجه من المستشفى بعد أن تأكدت له جودة صحته . فقد أكل رغيفاً وفرخة كاملة ...

الحالة التي يصورها الخطاب الموجه من ابن مريض الى أبيه تستطيع أن ننسبها إلى القرون العشرين الذي كثيراً ما نشيد به . والواقع ان هذه الرسالة تصور مستشفى من المستشفيات الكثيرة التي كانت منتشرة في مختلف أنحاء العالم الاسلامي قبل ألف عام من المهالاليا إلى البرناس . في هذا الوقت





- من كتاب «دعوة الأطباء» (١٢٧٣م). أبو أيوب الكحال يغلبه النعاس (مكتبة الأمروزيانا)

غيرها، واشتهرت بمستشفياتها منذ عهد هارون الرشيد. مواقعها قد أحسن اختيارها صحياً، وزودت جميع غرفها ومحال الغسل فيها بالمياه الجارية المأخوذة من مياه نهر دجلة. وعندما شرع السلطان عضد الدولة في بناء مستشفى جديد كلف الطبيب المشهور الرازي باختيار أنسب مكان وأصحّه. فأمر الرازي غلمانه بأن تعلق في كل ناحية من بغداد شقة لحم، واعتبر الموضع المنشود هو الذي لم يفسد فيه اللحم.

وفي القاهرة حول صلاح الدين قصراً من قصوره إلى مستشفى. وبني داراً للشفاء أو مارستان وهو مستشفى كبير معروف باسم المنصوري. وقد وعد ببنائه متى اعتلى عرش الحكم وقد وفى بوعدّه. وصرف عليه مالا كثيراً حتى جاء أحدث وأكمل مستشفى على سطح الكرة الأرضية في ذلك العصر. وفي دمشق، المستشفى النوري، أسسه نور

من المغص يتلوون، ومصابين بالحمى يهدون ومرضى بالسل يسعلون. وآخرين بالأمراض الجلدية ينهشون. ولا تسلم عن قذارة المستشفى وكثرة الهوام والحشرات وشكوى المرضى مما اضطر القائمين على المستشفى إلى فتح أبوابه ليلاً نهاراً ليتسنى لذوي المرضى زيارتهم وإطعامهم، هذا الطعام الذي أودى بحياة كثير من المرضى، وذلك لغياب الأشرف الطبي السليم..

أما تهوية المستشفى فقد كانت من الوداعة مما اضطر المرضى وغيرهم إلى وضع اسفنجة مبللة بالخل على أفواههم. أما جثث الموتى فقد كانت تظل في أماكنها أياماً حتى تنقل.

أشهر المستشفيات في العالم الاسلامي

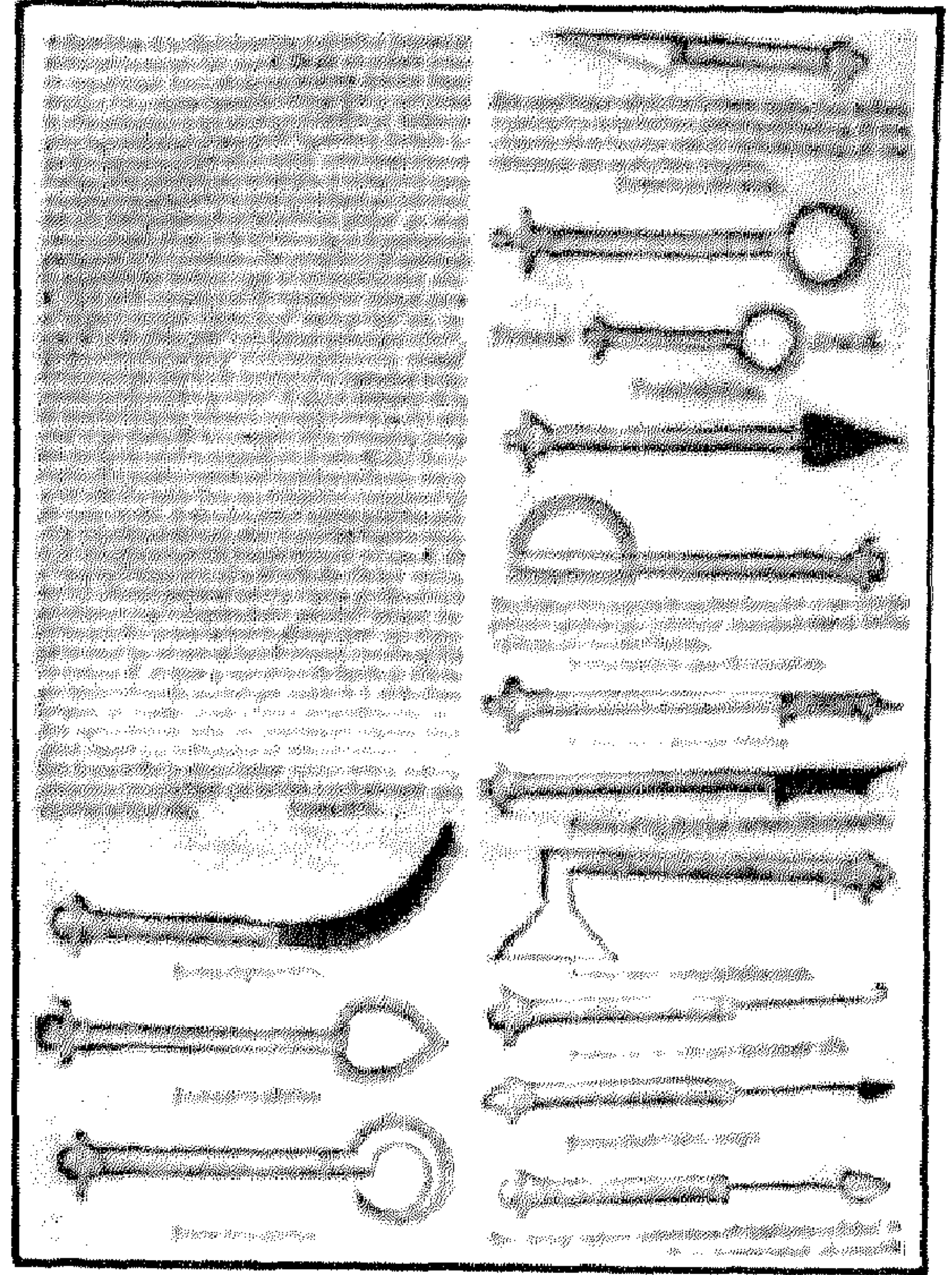
حتى منتصف القرن العاشر، نجد في قرطبة مثلاً خمسين مستشفى، أما بغداد، فقد فاقت

بالأمانة والكفاية ، ومع ذلك كانوا تحت مراقبة الدولة . وإدارة المستشفى غالباً ما تكون بيد أمير . والسلطان يحرص على معرفة ما يجري في المستشفى عن طريق التفتيش أو الاستجواب .

المستشفيات العربية : مدارس عالية للطب

في المستشفيات العربية ، كان الطبيب يطبق النظري بالعمل . ويحدثنا ابن أبي أصيبعة في «طبقاته» ان الطلبة في دمشق كانوا يرافقون الأستاذ عند زيارته للمرضى فيدرسون عملياً مختلف الحالات ويسمعون المناقشة بين رئيس الأطباء وزميل له مشهور ، فالفائدة من الزيارة مزدوجة : الدرس أولاً ونظام المستشفى ثانياً . مثل هذا النظام لم يعرفه العالم من قبل ، اللهم إلا في العصر الحديث . ولحرص الدولة العربية على المصلحة العامة لم تكن تسمح لطبيب بمزاولة عمله إلا بعد أن يؤدي امتحاناً نظرياً وعملياً وتمنحه الدولة اجازة . وهذا النظام كان متبعاً أيضاً في الاندلس . ومع هذا يبقى الطبيب دائماً تحت رقابة الدولة . ويذكر المؤرخون ان تاريخ تشريع الحصول على مثل هذه الشهادة يرجع إلى عام ٩٣١ م . وذلك في عهد المقتدر اذ علم ان طبيباً بغدادياً ارتكب خطأ نتج عنه موت المريض ، فأمر باجراء امتحان لكل طبيب يزاول مهنة الطب ، عدا الاطباء الذين يعملون في مستشفيات الدولة . فتألف عند ذلك مجلس الأطباء وعين سنان بن ثابت رئيساً له . والجدير بالذكر ان عدد الأطباء في بغداد الذين يعملون خارج المستشفيات الحكومية آنذاك بلغ نحو ٩٠٠ طبيب . في الوقت الذي لم يكن فيه يوجد طبيب واحد في حوض نهر الراين .

وكانت مجالس الأطباء تعقد في المستشفى لدراسة الحالات النادرة والمعقدة وذلك لتجنب الوقوع في الأخطاء ولصحة تشخيص المرض والعلاج ، وأكبر المستشارين سنّاً من بين الأطباء يرئس المجلس وأصغرهم سنّاً يسجل المحضر .



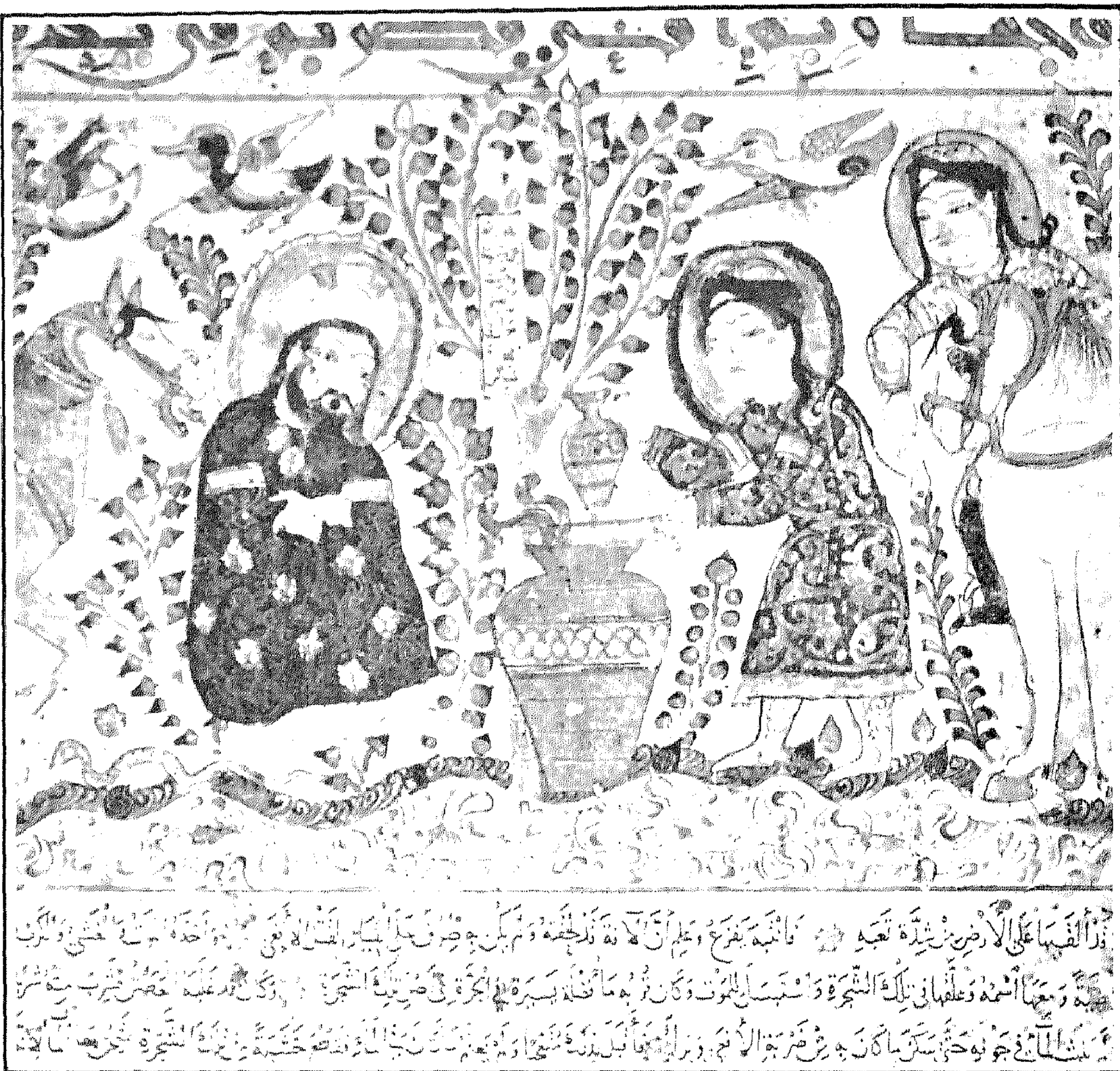
مقالة الزهراوي كما ترجمها بيترا أرجيلانا عام ١٥٣١  
حول الأدوات الطبية والجراحية عند العرب

الدين زنكي (١١٤٦ - ١١٧٤) وقد شيده من فدية من أحد ملوك الافرنج كان قد سجنه . وليس السلاطين والخلفاء هم الذين شيّدوا المستشفيات فحسب بل كذلك الأطباء مثل سنان بن ثابت وثابت بن سنان وحفيد الفلكي ثابت بن قرة . فقد أسسوا أيضاً المصحات ودور الاسعاف المتنقلة . وكذلك مستشفيات للأسرى . وفي عام ٩٢٣ م أسس الوزير ابن الفرات في بغداد من ماله الخاص مستشفى لموظفيه حيث يعالجون مجاناً سواء أكانوا أغنياء أم فقراء ولا يدفعون شيئاً نظير اقامتهم في المستشفى . وحتى العلاج كان يصرف لهم مجاناً . وعلاوة على ذلك يتناول المرضى الملابس والنقود للانفاق على الخصوصيات لمدة شهر بعد ترك المستشفى .

فمن أين كان يدفع جميع هذا ؟

مستشفى المنصوري مثلاً كان يحتاج إلى مليون درهم سنوياً يؤخذ من إيرادات املاك الدولة . وإدارة الاملاك كانت في يد اناس مشهود لهم





من كتاب «الترياق» لسمي جالينوس (١١٩٩م) - دار الكتب القومية . باريس .

## في قسم الجراحة في احدى المستشفيات الاسلامية :

في طليعة جراحي المسلمين أبو القاسم  
 الزهراوي . إذ كانت تعاليمه ومعلوماته ووسائله  
 وآلاته أساساً متيناً بنيت عليه صروح الجراحة  
 الحديثة . فلقد توصل جراحو العرب في صدر  
 العصور العباسية إلى إجراء عمليات بطرق فنية  
 وعلمية في غاية الدقة والنجاح سبقوا فيها بعض  
 جراحي العصر الحديث .

ويبدو أن أبا القاسم الزهراوي كان أول من

ربط الشريان لوقف النزف بخيوط من الحرير وأول  
 من خاط الأعضاء بخيوط مصنوعة من الامعاء  
 وأوتار العود . كما أوصى بجعل الطرفين الاسفلين  
 أعلى من الرأس حين إجراء العملية الجراحية للبطن  
 فسبق بذلك العالم تران دي لانبورغ الذي اخترع  
 الوصفة حاملة اسمه .

وعند إجراء العمليات الجراحية الكبرى  
 يساعد الطبيب زميله كما هو الحال اليوم . فيقوم  
 أحد الأطباء بعملية التخدير وذلك بواسطة قطعة  
 من الاسفنج مبللة بالحشيش أو زهرة البسلة ومن  
 ثم يضعها أمام أنف المريض . وثالث يجري العملية

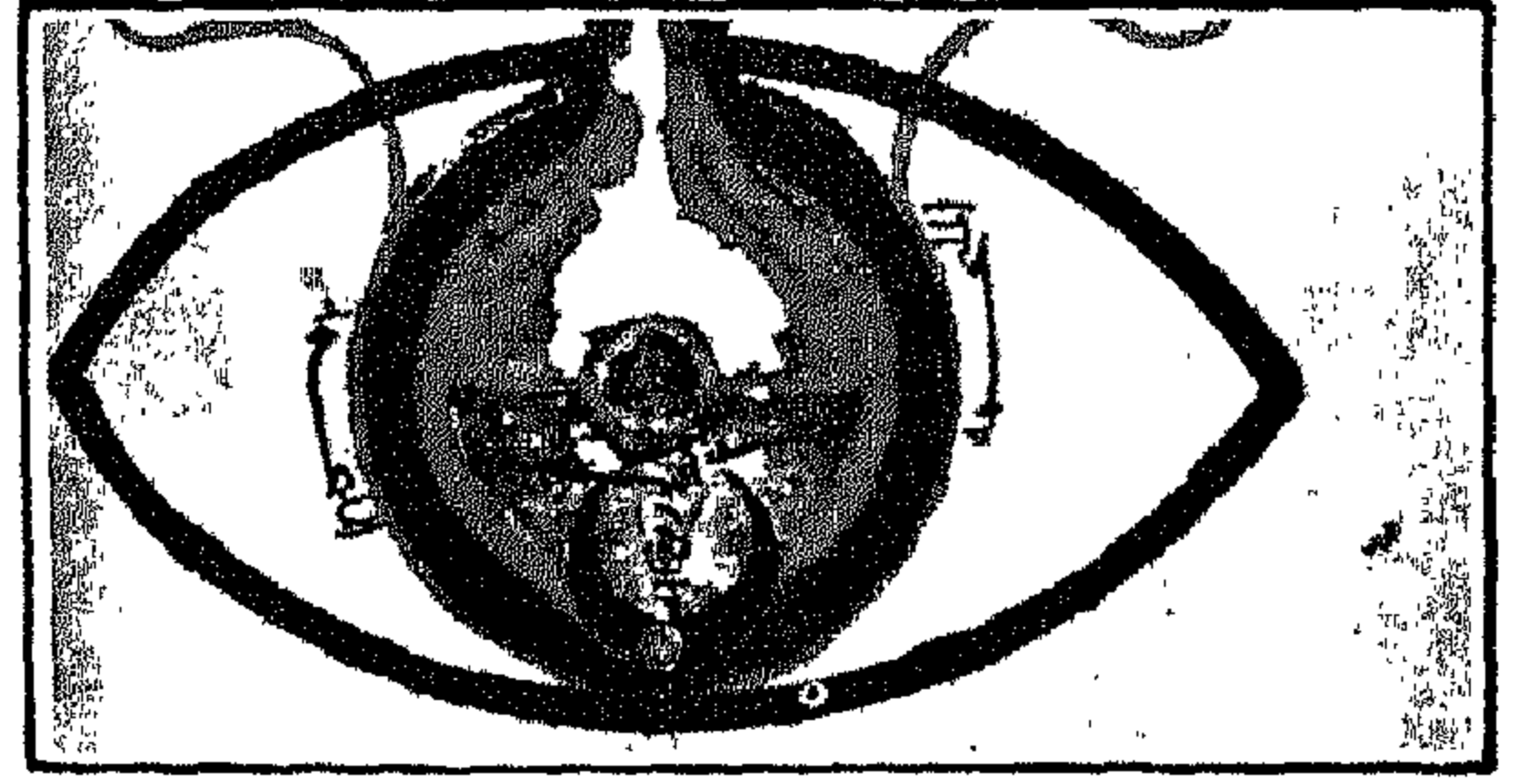
ولا شك في انهم كانوا يستوردون العقاقير النباتية الهندية ، وكذلك العقاقير الأوروبية التي هي من أصل نباتي أو حيواني من البلاد المتوافرة فيها . ولم يجدوا في ذلك صعوبة ، اللهم إلا صعوبة المواصلات لاتساع رقعة الامبراطورية الاسلامية في ذلك الحين ...

لقد عرفوا خصائص مواد كثيرة واهميتها في المعالجة كالقرفة ، جوز الطيب ، والصندل ، والكافور وجوز القيق . والحنظل ، والتمر الهندي والمسك وخانق الذئب والسنامكة . كما كانت مركبات الزئبق والافيون معروفة قبل اشتغالهم بالصيدلة . وقد اهتم ابن سينا إلى طريقة تغليف بعض الأدوية - خاصة تلك التي تؤخذ بطريقة البلع - وذلك للتخفيف من طعم الدواء على المريض فريجه من طعمها الكريه . وتمكننا مشاهدة بعض القوارير الخاصة في المارستان وقد حملت اسماء لبعض المخدرات لازالة الألم أو تخفيفه كالافيون والحشيش والزؤان وست الحسن . وهناك الترياق المقاوم للسموم .

وأخيراً ، لا بد هنا من ذكر الصفات الخلقية التي كان يتمتع بها الطبيب العربي في اثناء ممارسته لعمله الانساني في المستشفى . تلك الصفات التي جعلت من الطبيب العربي عالماً بلا منازع . وجعلت منه مثلاً وقدوة لأطباء أوروبا فيما بعد . كان بعيداً عن التعصب والتحيز . يلتزم بسرية المهنة ، ولا يميز بين جنس وجنس وكان يسعى للبحث العلمي والتطور ، وتحقيق المنهج العلمي

السليم في مجالات العلوم الطبية وذلك من أجل خدمة الانسان كإنسان لا حياً في جاه ولا طمعاً في مال

وبعد . فما هذه السطور إلا من بحر العلوم عند العرب . أردت بها أن أبين الابدعية العربية في التفوق الفكري الذي سبقنا الغرب إلى تبيانهِ وقراءته مفيداً منه . معجباً به . مقراً بفضلِهِ ■



رسم تخطيطي لتركيب العين في إحدى رسائل الطبيب العربي الشهير حنين بن اسحق .

بكل عناية ودقة وحذر عندما يستعمل الموضع . فالجرح يجب أن لا يكون كبيراً جداً ولا عميقاً جداً . أما المساعد فعليه أن يحجز الجلد بجراحة صغيرة دقيقة . وبعد التأكد من أخذ التدابير الضرورية يسرع الجراح بالعملية ، وها هو يعمل بخفة ومهارة ليخلص الجراح من النسيج المحيط به وهو يعرف ، ان عليه الانتباه إلى عدم اتلاف وعاء أو فصل عصب . فاذا أصاب عرقاً عليه أن يربطه بعناية حتى لا يغمر الدم موضع العملية فيعوق اجراءها وعليه أن يتحسس الجراح بيده ثم يعمل على استئصاله وجميع البقايا ثم يعيد الجلد إلى موضعه ويقوم بعملية الخياطة بأعصاب قطعة . هكذا كان يعلم علي بن العباس .

ويذهب علي بن العباس إلى أبعد من ذلك فيقرر ان الطب لا يفيد في حالة السرطان فهو يطالب الجراح بانتزاعه من العضو المصاب . وعلى الجراح أن يزيل كل ما حول السرطان حتى لا يبقى له جذور في الجسم . لذلك تجب العناية الكاملة عند اجراء مثل هذه العملية .

صيدلية المارستان :

لو تسنى لنا التطلع إلى رفوف الصيدلية العربية في المارستان لشاهدنا قوارير العقاقير وقد كتب عليها اسمائها الطبية . ولعرفنا مدى اطلاع العرب الواسع في هذا المضمار . كانت مهنة الصيدلة فتاً منظماً فلا يحق لصيدلي ممارستها إلا اذا حمل ترخيصاً رسمياً بالممارسة . أو اذا كان اسمه مدرجاً في جدول الصيدالة .



# التضخم المالي



إذا ارتفعت الاسعار نتيجة لزيادة كمية النقود بالنسبة إلى كمية السلع والخدمات . تدهورت قيمة النقود وساد التضخم . فالتضخم يظهر كلما زادت وسائل الشراء لدى الأفراد دون أن تزيد كمية السلع بالنسبة نفسها . وثمة نظريات كثيرة في تفسير التضخم . أبسطها وأكثرها رواجاً . النظرية الكمية التي تعزو التضخم إلى زيادة في كمية النقود بالنسبة إلى كمية السلع والخدمات . وهذا هو جوهر التضخم . أما الاقتصادي « كينز » ، فيرد كل محاولة تضخم إلى ارتفاع نفقات الانتاج والأسعار دون أن تصحبه زيادة في حجم الانتاج .

ويدعو « كينز » إلى ما يدعو به التضخم الجزئي . وفيه تصطبغ زيادة كمية النقود . زيادة في نفقات انتاج الوحدة وزيادة في حجم الانتاج في الوقت نفسه . مثل هذا التضخم الجزئي ليس تضخماً بالمعنى الصحيح فهو تشجيع للصناعة . ويقع غالباً في فترات الانتعاش .

ويرى الاقتصاديون ان التضخم يؤدي إلى نتائج غير مرضية . فهو يضر بالانتاج . ويشجع على المضاربة . ويحفز على الضياع الاقتصادي . ولا يشجع على الارتفاع بمستوى الكفاية . ولا على الادخار . ومن ثم ينقص من الاستثمار ويؤخر النمو . ويهبط بمستوى المعيشة . ويسلب المال من بعض الأفراد وبتيح مكاسب فورية لغيرهم .

غير ان بعض الاقتصاديين يرى ان الضرر الذي يحدثه التضخم مبالغ فيه . ويقول مثلاً . أن الولايات المتحدة مرت بتجربة تضخم يرقى إلى مضاعفة مستوى أسعار السلع . ومع ذلك فخلال تلك الفترة وتمتد بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٦٠ حدثت التنمية الاقتصادية نخطى سريعة .

وهنا يلاحظ أن الدول التي تتعرض للتضخم لا تقف أمامه ساكنة وإنما تتخذ من التدابير ما تراه كفيلاً بالحد منه . ومنعه من التطور إلى أبعاد خطيرة . وثمة وسائل وأسباب متنوعة تعمل على مكافحة التضخم :

١ - فيلاحظ ان الانتاجية تعوق التضخم . اذ عندما يزداد الناتج لكل رجل - ساعة تنقص نفقة الوحدة من العمل في عمليات الانتاج ( ما لم تزد معدلات الأجور بالنسبة نفسها . عندما تبقى نفقة الوحدة من العمل على ما هي عليه دون تغيير) .

٢ - امتصاص القوة الشرائية . أي ابعاد الدخول الزائدة عن أسواق الاستهلاك وإجبار الأفراد على الادخار ومنعهم من انفاق مدخراتهم ومن وسائل ذلك الضرائب وتوظيف المدخرات في سندات الدولة . إلا انه يجب أن تكون للدولة رقابة كافية على مجموع الانتاج والتداول والتوزيع والاستهلاك .

٣ - من أهم الخطوات التي ينبغي اتخاذها للتقليل من ميل النمو الاقتصادي إلى رفع مستوى الأسعار . تعاون الموظفين جميعهم . بغض النظر عن مراتبهم . في مختلف المشروعات . وبصورة فعالة . على خفض النسبة بين نفقات الأجور والمرتبات وبين المبيعات . وكذلك ينبغي استئصال بعض العوامل التي تساعد على التضخم مثل العمل . واستبعاد الأعمال غير الضرورية أو غير النافعة في استخدام أيد عاملة لا ضرورة لها أو التي تبذل القليل في المشروعات والمنشآت .



رسم زيني لكراتاخ (١٥٣٠)، تبدو فيه زوجة الفنان وعلى جديها سلاسل ثقيلة كانت دارجة في تلك الحقبة في أوروبا

# تاريخ المجوهرات ①

## الحلى كانت أحراراً لرد الشرور فن فرعونى وآشوري ورثه اليونان والرومان

متى سمعان بوري



الحلى في القرن السادس عشر: إيزابيلا كلارا أوجينيا، كما رسمها الفنان سانشير كويلر سنة ١٥٧٠

الأحجار أبداً وذلك طيلة قرنين كاملين حتى جاء القرن الثالث قبل الميلاد فأدخلوا صناعة المينا الملونة. وهي مزيج من الألوان منها الأزرق والأسود والأبيض والأخضر وغيره مما نستعمله اليوم في كثير من أنواع الحلى كالحواتم وبيوت المصاحف وغيرها. وعند ظهور الإسكندر الكبير بدأت الأحجار الكريمة ترد إلى بلاد الإغريق من الشرق وخصوصاً أحجار العقيق متنوعة الألوان التي توجد في بلاد اليمن وما جاورها، وكذلك في الهند. وكان الإغريق مولعين بصنع التيجان المكللة بالصفائر والزهور والتي كانت تمنح كجوائز شرف للمتفوقين في الحروب والمعارك. كما أنها كانت تستعمل في الطقوس الدينية. وقد برعوا في صناعة الأقراط والعقود وكانوا أول من حفر صوراً ونقوشاً على أحجار العقيق وغيرها. ومنها ما وجد ويوجد في الحفريات الأثرية في مدينة صور. كما أنهم بدأوا يحفرون على الذهب والفضة نقوشاً جميلة. أما صياغة الحفر على الصدف فهذه كانت من عمل الرومان الذين تابعوا في القرن الثاني ق. م. طريقة الإغريق ولكنهم طوروها وحسنوها وأضافوا الأحجار الكريمة مرتفعة الثمن إلى الحلى وأحياناً

صناعة الحلى ولكن ممزوجاً ببعض الذهب. وصاروا يعملون أشكالاً من الحلى تشبه الخضراوات وأوراق الشجر وغيرها.

### الحجارة الكريمة

أما في القرن الثاني قبل الميلاد فقد بدأ يطغى الطابع الآشوري على صناعة الحلى وذلك باستعمال الحفر والنقش وعمل أشكال جديدة يطغى عليها الطابع الشرقي. أما الحلى الفينيقية فكانت خليطاً من جميع الأشكال أي أنهم أخذوا ما راق لهم من سبقهم وصاروا يشابكون الأشكال بعضها ببعض ويطورون في الصناعة قدر ما يستطيعون. أما الإغريق فقد أدخلوا شيئاً جديداً لم يكن معروفاً من قبل على صناعة المجوهرات وهو الـ Filigree أي التخريم أو الدانتيل. وكان هذا في القرن الخامس قبل الميلاد.

وكانت جهودهم منصبة على أشكال متطورة مستوحاة من شكل الإنسان والحيوان. وكلها أو معظمها من الذهب ولم يكونوا يستعملون

والزجاج الملون وكانوا يفضلون تعدد الألوان في الحلية فيستعملون أحجاراً من جميع الألوان في قطعة واحدة. وفي بعض الأحيان كانوا يخلطون الذهب الصافي ببعض المواد كي يصبح لونه أحمر أرجوانياً، ويصيفون من الذهب حبيبات صغيرة كحبة الحمص وغيرها من الأشكال ثم يثقبونها من الجانبين ويدخلون فيها خيطاً أو ما شابه حتى تصبح قلادة يضعونها في الرقبة ويلبسونها متباهين بها.

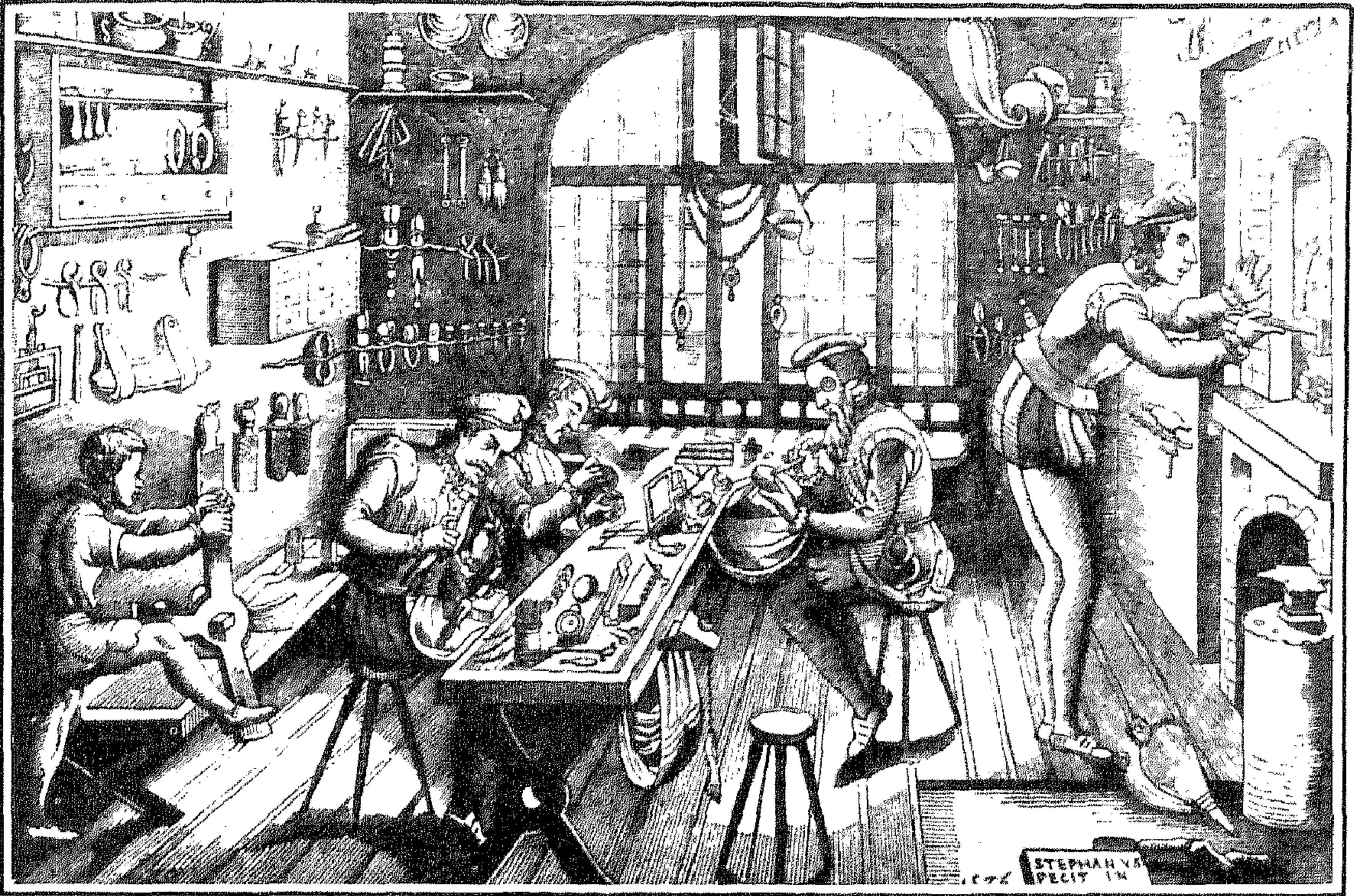
وكان المصريون يصنعون هذه الحلى بما كان يتيسر لديهم من أدوات بدائية تأخذ منهم الوقت الطويل لإنجازها. وكانوا يضيفون إلى حبيبات الذهب الأحجار الملونة لكي تضفي عليها بريقاً وجمالاً. أما الحواتم فكانوا يضعون في وسطها حجر الجعران وهو يشبه الجيز ولونه أخضر وهو موجود إلى الآن

في مصر. وفي الفترة ما بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد درجت عادة وضع الأقراط في الأذنين. فكانوا يثقبون الأذن ويدخلون القرط فيها كما تفعل النساء في عصرنا هذا. ثم بدأوا استعمال الصدف والعظام الحيوانية مع الذهب ومع الفضة. كذلك أدخل النحاس في

■ أول من استعمل الحلى والمجوهرات هم قدماء المصريين وكانوا يتمتعون بحداقة ومهارة في هذا المضمار لم يستطع أن يجاريها أي من شعوب العالم. واستطاعوا أن يصنعوا أشكالاً متعددة من الحلى تتمتع بالجمال والدقة في العمل. حتى أن صناعة الحلى والمجوهرات في أيامنا هذه أخذت وتأخذ الكثير من هذه الأشكال والرسومات وأصبحت من الأشكال التي تلقى رواجاً خصوصاً بين من يبحثون عن الأشياء القديمة من طبقة القادرين على تنويع حلاهم ومجوهراتهم. أما تاريخ بدء المصريين بهذه الصناعة فهو القرن العشرين قبل الميلاد. وكانت النساء يتحلين بناذج مختلفة من الحلى بعضها يضعنها في الرقبة وبعضها في المعصم وفي الأصابع وعلى الرأس. حتى الأوراك كن يطوقنها بأشكال من الحلى. أما المعادن التي كانت تستعمل في ذلك العهد فهي الذهب والفضة فقط. وكانوا يضيفون إليها بعض الأحجار التي كانت معروفة في ذلك الحين كالفيروز وحجر الدم واللايس والكارنت والكريستال الصخري

متى سمعان بوري: من أقدم خبراء المجوهرات في الشرق الأوسط عضو نقابة الصاغة اشترك في جميع المعارض الدولية





دار للصياغة في القرن السادس عشر في أوروبا

الشرق ولكنها انتقلت إلى الغرب حيث استقرت بصورة خاصة في أيرلندا وفي اسكوتلاندا ، حيث راجت صناعة القلائد المدلى منها القطع البرونزية والتي كان يلبسها الملوك والأمراء وكبار قادة الجيوش كرمز للقوة والعظمة ورفعة المكانة . ثم سرت عادة تقديم وإهداء الحلي والمجوهرات للكائنات أيضاً للندور وطلباً لشفاعة القديسين . وراجت صناعة الحفر على الخواتم واستعمالها كأختام بدلاً من التوقيع . ومن هنا جاءت كلمة خاتم من الختم . في القرن الرابع عشر أصبحت الأحجار الكريمة في متناول الجميع شرقاً وغرباً نظراً للتبادل التجاري الذي كان قائماً بين إيطاليا والشرق . وبدأت تظهر أشكال جديدة ومتطورة من الحلي والمجوهرات على اختلاف أنواعها . وكان التنافس بين النساء على التحلي بأجمل الحلي وأغلاها ، وكل على قدر طاقته ، كما هو عندنا في هذه الأيام . وكانت المرأة تقاس بعد جماها بقيمة ما تقتنيه من مجوهرات . وراجت أشكال القلوب المصنوعة من

كانوا يضعون أحجاراً مقلدة . وكان الطابع الشرقي لا يزال هو الغالب على صناعة الحلي . وفي هذه الفترة إقتحم الفن السوري مع المصري الميدان بتطوير جديد وشكل جديد وذلك بإضافة رؤوس الثعابين والتماسيح وباستعمال اللؤلؤ والزفير . كما أنهم اخترعوا البروشات والدبابيس للصدر والقلادات المصنوعة على أشكال الطيور والأسماك وغيرها من الحيوانات وفي العصور الوسطى ظهرت الحلي البريطانية التي تابعت هي بدورها الطريقة والنهج الروماني . ولكن بميل ظاهر إلى الطابع الشرقي البحت . وبدأت صناعة المينا تحتل مركز الصدارة في الحلي . وبدأ التنافس بين أقطار البحر المتوسط وآسيا وشمال أفريقيا على أشده وذلك في القرن الخامس بعد الميلاد حتي القرن السابع . وشهدت هذه الحقبة ازدهاراً كبيراً في تجارة الحلي والمجوهرات نتيجة هذا التنافس في التطوير والإبداع .

من الشرق إلى الغرب

وبعد القرن السابع انحسرت صناعة المينا في



53 Long headdress of a queen of Tuthmosis III, from Thebes

#### من مجوهرات ملكة طيبة الفرعونية

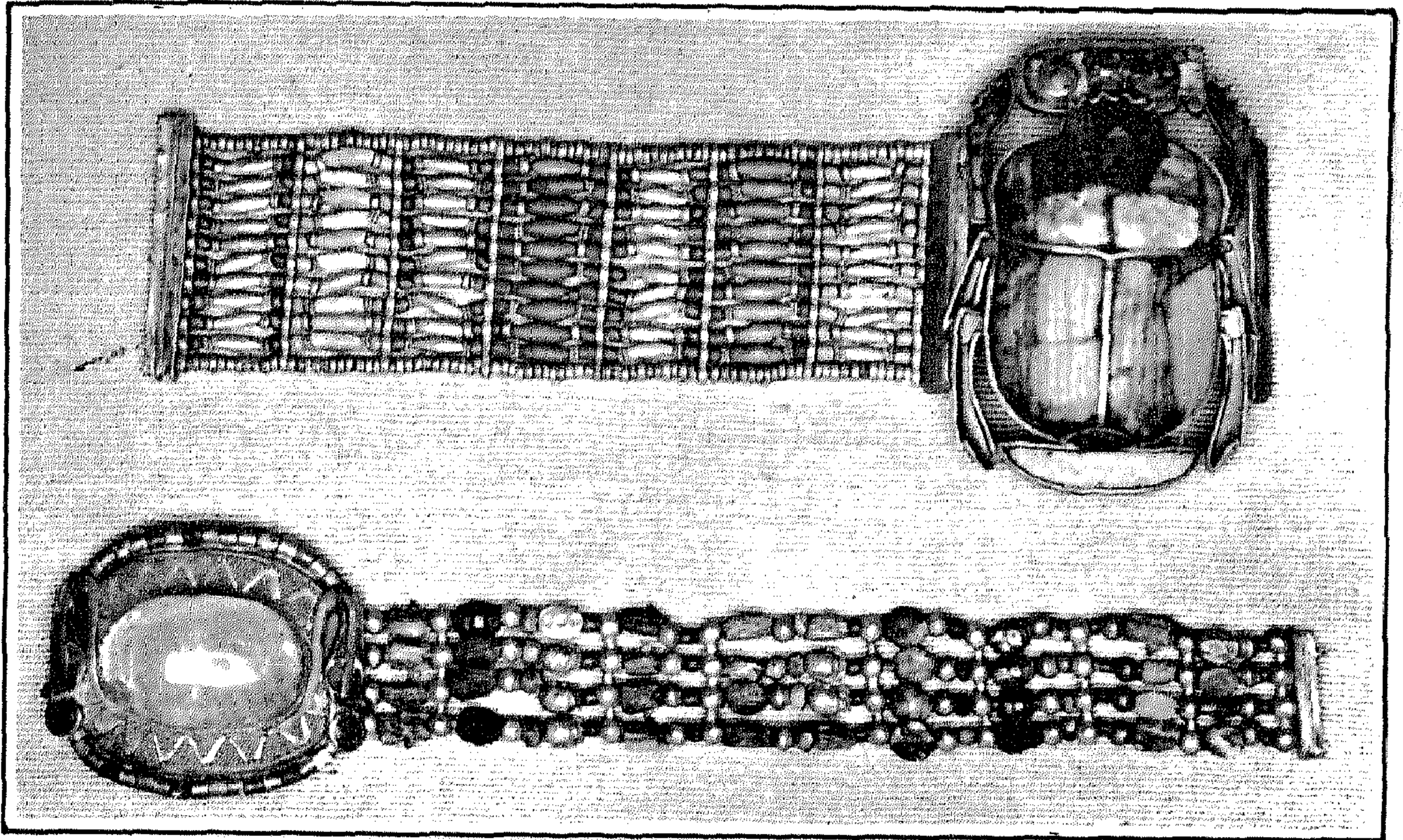
الذهب والمرصعة بالأحجار الكريمة والتي كان يهديها العشاق والخطاب والمحبون لمن يختارون. وعندما تم في القرن الخامس عشر إكتشاف الكثير من الأحجار الكريمة التي لم تكن قد اكتشفت بعد، ارتفعت أسعار الحلي نظراً لاحتوائها على عدد كبير من هذه الأحجار الكريمة المكتشفة حديثاً.

#### فن مصري

ومما لا شك منه أن قدماء المصريين هم رواد صناعة الحلي والمجوهرات منذ فجر التاريخ.

وشهدت صناعة الحلي في مصر الفرعونية عصرًا ذهبياً ونماذج وأشكالاً من الحلي المتعددة التي كان يستعملها الرجل كما تستعملها المرأة. وكان الرجل يتحلى بالقلايدات والأساور وحتى الأقراط. في ذلك الوقت كانت الحلي تعني لهم أشياء كثيرة ومهمة فكانوا يعتقدون أنها تقيهم من المصائب والحسد ويعتبرونها كحُرز تدافع عن لابسها الأخطار والنكبات والمستقبل السيئ. وكانوا يصنعون الحلي خاصة على صورة الحيوانات كالتماسيح والأفاعي والعقارب. وكانوا يضعونها في الأماكن المعرضة





سواران من أساور توت عنخ آمون، من مدينة طيبة.

منها مصممو الحلي في عصرنا هذا . وإذا ما دققنا النظر إلى الحلي المستعملة في أيامنا هذه والمعروضة في أشهر محال الحلي والمجوهرات في العالم للاحظنا البصمات الفرعونية ظاهرة على كثير من الأشكال والتصاميم ، مع بعض التغيرات التي تلائم العصر وإضافة بعض الأحجار الكريمة التي لم تكن مكتشفة ومعروفة في ذلك الوقت . ولو أخذنا بعين الاعتبار وجود الكهرباء والآلات الحديثة المتطورة في عصرنا هذا وقارنا كل ذلك بالأدوات التي كان يستعملها الصاغة وصانعو الحلي في أيام الفراعنة لوجدنا كم كان هؤلاء على درجة من المهارة والذوق الرفيع . ■

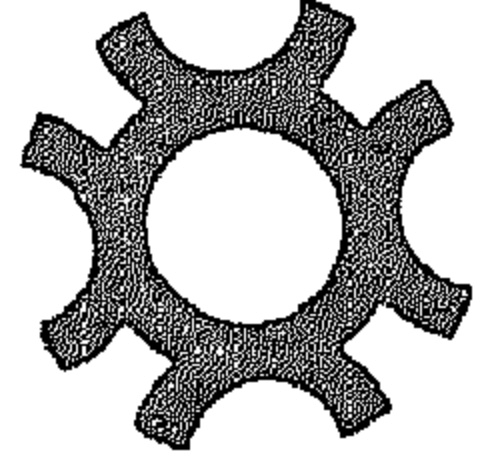
للخطر في الجسم كالرقبة والمعصم والخصر . وكانت تحتوي على الفيروز وحجر اللايس . وقد توصلوا إلى اكتشاف كميات من الذهب في بعض المناطق ساعدتهم على تنويع حلالهم . كما أنهم كانوا يتخذون الحلي من محالب الحيوانات المفترسة وغيرها من المخلوقات الكاسرة وقرون وأنياب الحيوانات البرية . إن الكتابة على الفخ الفرعوني لصناعة الحلي والمجوهرات إذا أردنا إيفاء حقه ، تحتاج إلى مجلدات ، لأن هذه الصناعة كانت في تطور مستمر خلال الأزمنة الفرعونية . وهي لا زالت إلى يومنا هذا من المصادر والمراجع الأساسية التي ينهل



#### جواب في محله

سئلت زوجة اينشتاين : هل تفهمين النظرية النسبية التي ابتكرها زوجها ؟ فترددت قليلاً وهي تبسم ثم قالت : أنا أفهم ما هو أهم منها وهو اينشتاين نفسه .





## حذرت منه بعثة ايرفد قبل ١٩ عاماً

الدكتور جوزيف لوبريه

قدمت مجلة «تاريخ العرب والعالم» للقارئ العربي في العدد الماضي . الحلقة الأولى وتقدم في هذا العدد منها ، الحلقة الثانية والأخيرة . من وثيقة مهمة في تاريخ لبنان الاقتصادي والسياسي . وهذه الوثيقة هي محاضرة ألقاها الأب جوزيف لوبريه . رئيس بعثة «ايرفد» الفرنسية الى لبنان في ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) من العام ١٩٦٠ . وقد ألقى الأب لوبريه هذه المحاضرة في بيروت بحضور أركان الدولة وفي طليعتهم الرئيس السابق فؤاد شهاب .

وكان الرئيس الراحل شهاب قد استدعى هذه البعثة بعد توليه مهامه الدستورية كرئيس للجمهورية . لدراسة الوضع الاقتصادي والاجتماعي في لبنان بهدف وضع الأسس لسياسة انمائية شاملة يلعب فيها القطاع العام في لبنان لأول مرة دوراً قيادياً ورائداً .

وقد أدرك الرئيس شهاب أن عملية التنمية لا تنحصر فقط في تحقيق زيادة مطردة في حجم الناتج القومي . وإنما هنالك بعد اجتماعي يتمثل في تحقيق عدالة اجتماعية تواكب الزيادة في المداخيل والانتاج . كما أيقن ان تركيبة الاقتصاد اللبناني التي تعتمد إلى حد بعيد على قطاع الخدمات قد بدأت تفرز بعض المشاكل والتناقضات الاجتماعية والسياسية التي قد تؤدي إلى خلق حالة عدم استقرار في البلاد . اذا تركت دون معالجة جذرية . ولعل في بعض حوادث لبنان الأخيرة . وما أفرزته سياسياً واجتماعياً تأكيداً لصحة ما ذهب اليه الرئيس الراحل .

ونظراً لأن المجال لا يتسع لنشر المحاضرة بنصها الحرفي . فقد عمدت ادارة تحرير المجلة إلى نشر الأجزاء الرئيسية منها وحذف بعض الأجزاء دون أن يؤثر ذلك في سياق المحاضرة . أو في المعنى الذي هدف اليه الأب لوبريه .

والمحاضرة بعنوان «لبنان يواجه قضية تنميته» . وهذا الجزء الثاني والأخير منها :



## ١ الامكانيات الزراعية

### ١ - تحسين أساليب الزراعة :

■ إن في الإمكان إدخال التحسين على أساليب الزراعة بسرعة - فأهل لبنان قوم أذكاء - شرط أن يكون هناك عدد كاف من ذوي الدربة ليقوموا على أمر الزراعة . إن انتشار الدربة والمعرفة أمر ضروري لمكيننا من الانتقال إلى زراعة أكثر كثافة ، لا من حيث الكمية فحسب ، بل من حيث الجودة أيضاً . كذلك هو أمر ضروري للتوصل إلى استعمال أفضل للتربة حسب استعداداتها الطبيعية ، وإلى استعمال أفضل الأسمدة ، ثم التوصل إلى أساليب زراعة أفضل بصورة عامة . فلبنان أبعد ما يكون عن استثمار الأرض على الوجه الأمثل . ومن المؤكد أن الإمكانيات في هذا المجال كبيرة جداً ، ولكنها تتطلب إتخاذ عدد من التدابير المدروسة للمدى الطويل .

### المشكلة الجوهرية للمياه :

من الواضح أن الاستفادة من الماء تجري بطريقة فيها كثير من الخلل ، فالثروة المائية مبعثرة هنا وهناك دون ترتيب أو نظام . وينبغي لنا أن نتفحص مشكلة الماء هذه عن قرب .  
الزراعات المرتفعة ربحاً :

في الواقع يتبين من قائمة المستوردات أن هناك تبايناً بين إنتاجكم الزراعي وبين حاجات السكان ، لأنكم تضطرون إلى أن تجلبوا هذه المحصولات من الخارج بأسعار مرتفعة . وسوف يتضمن التقرير على كل حال عدداً كبيراً من التفاصيل المأخوذة من البعثات السابقة . واني لأرى في هذه القاعة رجلاً عمل هنا سنوات في إدارة بعثة زراعية . لقد شددت البعثات السابقة على ضرورات الزراعة كل التشديد . وقد لا يكون الأمر من السهولة بهذه الدرجة ، غير أنه إذا لم تتخذ التدابير اللازمة في الوقت المناسب ،

فسوف تستمر الأراضي في الانحطاط ، وتستمر المناطق الريفية لذلك في خسارة سكانها ، ويستمر النزوح إلى بيروت في التسارع ، وتصبح مشكلة الإختلال بين الإقتصاديين الإثنين على جانب عظيم من الخطورة . وعلينا لذلك أن نوجه السياسة الإقتصادية هذه الوجهة الأساسية .

### ٢ - الإمكانيات الصناعية والحرفية والسياحية

#### أ - إنعاش الحرف الصناعية بتحسينها :

كان من أثر هذا النزوح إلى بيروت حصول انحطاط في الصناعات اليدوية في المناطق . وبما أنه يمكن الحصول في بيروت على كل شيء ، فإنه لم تعد هناك ضرورة أو مبرر لوجود صاحب الحرفة الصغير في المناطق المحلية . ثم أنه نتيجة لغزو المنتجات المستوردة للسوق لم يعد للمواد القديمة التي كان يصنعها أصحاب الحرف من محل في هذه السوق . والحياة الريفية لا تقتصر على وجود عدد من المزارعين ، بل إنها تتطلب عدداً من الناس الذين يقومون بأدوار مختلفة يتمم بعضها البعض الآخر حتى يمكن أن توجد حقاً بيئة جماعية تسمح بالازدهار الإنساني . وإن لدى العمال ( في لبنان ) قسطاً عظيماً من المهارة اليدوية . ثم ان تكيفهم مع الأنواع العادية من العمل يتم بسرعة لا متناهية .

#### ب - تنظيم السياحة على نحو أفضل :

عندما يتصل الأمر ببلد من أجمل بلدان العالم وعندما نرى المرافق السياحية في هذا البلد - ومرافق السياحة هي شيء مختلف تماماً عن مرافق الإصطيف - ندرك أن عليكم في هذا المجال أن تحققوا وثبة عظيمة ومهمة إلى الأمام . ومن ذلك إيجاد شبكات للطرق ، والمرافق اللازمة من الفنادق وتأسيس مكاتب للسياحة ، والدعاية في جميع أوساط المغتربين اللبنانيين المنتشرين في



— التحية الاحمري - الجامعة الوطنية - داخل الحرم الجامعي.

يدرك ما هي الصناعات المتكاملة والمتوازية التي يمكن ارساؤها على أسس اقتصادية مريحة. وانه ليتبين من قوائم المنتجات الصناعية المستوردة أن في الإمكان إنشاء بعض الصناعات، المتوسطة في لبنان.

هذا ويجب عليكم طبعاً أن تعتنوا بجودة منتجاتكم وأسعارها إذا ما أردتم الوصول إلى الأسواق الخارجية. وكثيراً ما يقال أن لبنان هو سويسرا الصغيرة. والواقع أن هناك بعض التماثل بينهما. ولكن سويسرا لم تتوصل إلى ما توصلت إليه من مستواها الإقتصادي الرفيع إلا بفضل الإجادة التي توصل إليها العمال السويسريون بعد قرون من ممارسة الصناعة التي تحتاج إلى دقة عظيمة. وبالنظر إلى مكانكم من سائر العالم فإن سعيكم وراء الجودة في الإنتاج ووراء صنع منتجات تحتاج إلى مهارة متزايدة يمكن أن يفتح لكم مجالاً كبيراً في

مختلف أنحاء العالم لاجتذاب السواح إلى القدوم لمشاهدة لبنان.

ج - الصناعات التي ينبغي إيجادها :

على ان الصناعة - ونعني بها هنا الصناعة بمفهومها الصحيح - قد اجتازت المرحلة الصعبة الأولى فهي بعد أن كانت غير موجودة من قبل أخذت بالإنطلاق، ثم أصبح لها الآن كيان قائم. لقد اجتازت الصناعة فترة التجربة والإختبار فهناك مؤسسات صناعية نشيطة، وهناك جو في تم إيجاده بفضل الجامعات التي تعد الفنيين وبفضل أولئك الذين بعثوا للتدريب في الخارج. غير أن لبنان الصناعي مقبل الآن على مرحلة جديدة. فكيف ينبغي أن يتجه؟ يستطيع المرء ابتداءً بالصناعات الموجودة أن ينظر ما هي الصناعات المتقدمة وما هي الصناعات المتأخرة، ومن ثم أن





— لا وطن ولا استقلال إلا بالوحدة الوطنية

### ٣ - إمكانات قطاع الخدمات

إن قطاع الخدمات هاش إلى حد بعيد ومسألة الخدمات مسألة أخرى لا تقل معرفتكم بها عن معرفتي فقد درستها كلياتكم للإقتصاد السياسي كما درسها مجلسكم للتصميم. إن من أوجه التناقض في لبنان التجاري الذي بلغ العجز فيه ٧٠٠ مليون ليرة لبنانية. وهو عجز يتوصل لبنان إلى تداركه عن طريق الإيرادات غير المنظورة التي تأتيه من السياحة والنقل والتأمين ومن أرباح الإستثمارات ومن الرسوم المفروضة على مرور البترول. ومن مصاريف المنظمات العالمية. ومن تجارة الترانزيت. ومن غيرها من العمليات الدولية. وتتضافر هذه العوامل كلها على تخفيض هذا العجز إلى حد كبير. على أن ميزان الحسابات الحارية يظل على ذلك في عجز. وإنما يتوصل لبنان إلى ميزان إيجابي للمدفوعات في نهاية الأمر عن طريق ما يرسله المغتربون وعما يأتيه من الأموال على سبيل المساعدات الثقافية والخيرية. ثم من

السوق العالمي الواسع. ولكم في ذلك ميزة كبيرة هي مرافقكم التجارية والشبكة التي تتألف من علاقاتكم التجارية المنتشرة في جميع أرجاء العالم.

د - المنطقة الحرة :

وهناك عامل آخر على جانب كبير من الأهمية. هو نجاح منطقتكم الحرة التي يمكن إذا وسعت أن تساعد على توسيع صناعتهكم. بل إن في وسعنا أن نتصور إمكان قيام صناعات أجنبية في هذه المنطقة الحرة مما يساعد إلى حد كبير على تدعيم المحيط الفني وهو الشرط اللازم للتوسع الصناعي.

هـ - تنشيط الصناعة في المناطق :

يجب ألا يقتصر تفكيرنا على النمو الصناعي في بيروت. بل يجب أن تمتد تفكيرنا إلى الإقلاع من المركزية. وأن نتجه بصورة خاصة إلى القصبات المحلية في المناطق

أما أن تركزوا كل شيء في بيروت فإنكم تريدون بذلك من هول هذه المدينة التي تضم ما يقرب من ثلث سكان البلاد والتي سوف تضم بعد سنوات معدودة نصف هؤلاء السكان.

تكن لدينا هذه المعرفة .

#### ١- دراسة الموارد المائية :

ومن الدراسات التي تفرض نفسها علينا بصورة عاجلة . دراسة الطريقة المثلى للاستفادة من المياه . إن من الضروري بمكان أن يتم توزيع مواردكم المائية التي هي ملك الأمة جميعها بحيث يمكن إعطاء الأراضي قيمتها الكاملة . أي الانتفاع منها إلى أقصى الحدود قانوني . مما يسمح بإعطاء هذه المياه قيمتها والإفادة منها على نحو ينسجم مع حكم العقل بحيث لا يتأذى أحد في إساءة استعمالها . فهناك من الناس من يبدد من الماء أربعة أو خمسة أضعاف ما يحتاج إليه فيتلف بذلك محاصيله ولا يجني منها إلا القليل .

#### ٢ - التنقيب عن الموارد المعدنية :

التنقيب عن موارد البلاد المعدنية أمر هو الآخر على جانب كبير من الأهمية . وفي لبنان مصادر عدة للخامات المعدنية . فإذا توفرت فعلاً موارد معدنية غنية . وإذا أمكن لطبقات الأرض الجوفية أن تؤمن المواد الأولية للصناعة فإن في هذا ما يؤدي بداهة إلى إجراء تغيير في التطور الصناعي . لذلك فإنه من الواجب إجراء التنقيب المشار إليه وإن ارتفعت تكاليفه . إذ إن هناك منظمات للإحصاء وللمعونة الدولية الثنائية يمكن الاستفادة من استعدادها لمساعدة مشاريع كهذه . ويجب القيام بهذه الدراسات الاقتصادية اللازمة بمنتهى السرعة لتحديد الخطوط الرئيسية لهذه التنمية . فهناك إجماع عالمي في هذه الأيام على ضرورة الدراسات الإحصائية . إذ إنه عندما يراد توجيه اقتصاد معين فإن الأمر يتطلب توفر المعلومات المتعلقة بالإحصاءات البشرية والاقتصادية . لذلك فتتطلب جهاز إحصائي يقوم بهذه المهام ويتمكن من تحديد السرعة الإنمائية بشيء من الدقة هو من الأمور التي تؤثر في مجرى التنمية بأجمعه .

الرصيد الناتج من حركة انتقال رؤوس الأموال لا سيما من المناطق البترولية ، وهو رصيد إيجابي في معظمه . ومن الواضح أنه ليس في العالم كله بلد له مثل هذا البنيان الاقتصادي . فأوضاعكم تمثل حالة فريدة في نوعها . وإنه لمن دواعي الإعجاب أن تحققوا مثل هذا النجاح ، غير أننا إذا جئنا نتفحص البنود غير المنظورة وانتقال رؤوس الأموال بالتفصيل ، أخذتنا من ذلك رعدة . فهذه الأشياء كلها معرضة للخطر ، بعضها عرضة لخطر عظيم وبعضها عرضة لخطر بسيط ، ولكنها جميعها على كل حال عرضة للخطر . فهذا النجاح العظيم الذي أحرزه لبنان نجاح هش سهل الإنكسار مما يستدعي منا التأمل والتفكير .

إن في ترك لبنان يتأذى في نشوته وهو يندفع في قطاع الخدمات متناسياً إستغلال موارده الطبيعية وتأسيس الصناعة فيه ، خطراً أعظم مما تسمح الحكمة لبلد ما بأن يتعرض له . إن هناك إمكانات كبيرة في قطاع الخدمات يعود الفضل فيها إلى العبقرية الخاصة التي يتميز بها اللبنانيون في الأعمال التجارية على الصعيد الدولي وإلى الشبكة العالمية التي يملكونها . ولكن هذه الشبكة غير مكتملة البناء .

وخلاصة القول أنكم تقفون في مركز الصدارة في هذا العالم . غير أنه إذا انخفضت بعض هذه الخدمات ، فسوف تصبحون بسرعة بلداً آخذاً بالتدهور بحيث لا يمكنه على الإطلاق أن يقيم أود سكانه . وهذا يدعونا إلى أن ننظر في الإطار الذي ينبغي إيجاده للتنمية في بلدكم .

#### (ج) إطار التنمية :

أود أن أؤوه فقط ببعض الاتجاهات الرئيسية التي يجب إتباعها . إن المرء يجب أن يبدأ بما «يعرف» . إذ ليس في الإمكان تحقيق التنمية بدون حصول المعرفة . وليس في الإمكان أن نضمن نمواً كذلك الذي لا بد منه لبلادكم إذا لم





آخ يا بلدا !

ويجب ألا يكتفي بجمع هذه المعلومات الإحصائية بل يجب أن يتمكن هذا الجهاز الإحصائي من تفسيرها. إذن يجب إنشاء مصلحة أو جهاز يمكن له أن يتوصل إلى التقديرات الإنمائية المستقبلية. هذه جميعاً أمور يجب أن نجد لها المكان المناسب في المخطط الإنمائي العام في أقرب وقت ممكن

٣ - التخطيط اللازم :

لا يمكن للتنمية أن تتحقق إذا لم تتوفر لها التخطيط. فالتنمية بدون خطة معرضة لعراقيل وعقبات تؤدي إلى هدر الجهود ويقف عائقاً في سبيل بلوغ الأهداف المرجوة. لذلك فإنه لمن أهم الأمور أن يتوافر لوزارة التصميم العام الجهاز اللازم والميزانية الكافية.

وهناك عمليات عدة تقع ضمن اختصاص الدولة. فمن الأمور الطبيعية أن تضع الدولة الأساس الذي يقوم عليه البنيان أو الهيكل العام. وقد تحدث فخامة الرئيس الينا البارحة عن القرى السمتة في لبنان التي لا تزال بلا طرق. فالطرق ليست مهمة فقط بالنسبة للسياحة بل لأنها تعين على الاستفادة المجدية من المناطق الجبلية. فأسس البناء، كالهيكل الأساسي الذي تقوم عليه المواصلات والهيكل الأساسي الذي يقوم عليه توليد الطاقة، تقع في اختصاص الدولة.

وهذه الواجهة من الاستثمار الحكومي لا تكون عادة استثمارات مربحة من حيث مردود رأس المال المستخدم، وإنما هي مربحة إذا اعتبرنا فائدتها على الصعيد العام. وعلى الدولة أن تساهم بقسط أوفر من الجهد لمساعدة الصناعة وذلك مثلاً عن طريق تخصيص مناطق معينة لبناء المصانع. ففي طرابلس مثلاً يمكن تخصيص منطقة من هذا النوع لاجتلاب الراغبين في الانشاءات من اللبنانيين أو الأجانب. وسأطرق بعد برهة وجيزة إلى المشكلات التي ينطوي عليها هذا الأمر من حيث القروض الطويلة الأجل. وتجب الإشارة هنا إلى أن التصميم لا يقتصر على تحديد التدابير الواجب اتخاذها من قبل الدولة، بل يتعدى ذلك إلى توجيه الجهود الفردي الذي كثيراً ما يتصف بقصر النظر وكثيراً ما يلقي بنفسه في المخاطر. فإذا ما أخفق هذا الجهود كان ذلك سبباً لا في هدر الموارد بالنسبة لمشروع معين فحسب، وإنما في إبطاء حركة النمو والتطور العامين. والتصميم ضروري أيضاً لتحديد أوجه النشاط المجدية وتقسيمها بحسب أولويتها بما يتناسب مع الاحتياجات والامكانيات العامة. كذلك لا يقتصر التصميم على تحديد ما على الدولة أن تبذله من مجهود مباشر، بل أنه يساعد أيضاً على توجيه الجهد الخاص في السبيل السوي تفادياً لمضاعفة الاغلاط أو تكرير

ما اقترَف منها في مشاريعكم الانمائية منذ عشر سنوات أو خمس عشرة سنة ، علماً بأنها اغلاط فادحة الثمن.

وببيروت مثلاً ، مدينة ستكلف الأموال الطائلة لان نموها لا يستند الى مخطط . لذلك فهو اليوم مصيبة من المصائب .

واذ لم يوجد هذا التنسيق ، كانت حصيلة ما يبذل في جميع المجالات من الجهود التي لا يتم بعضها بعضاً ، الاستمرار في انتاج لا يرتفع الى مستوى الجودة المطلوب ، وبقاء الاسعار كثيرة الارتفاع والصعوبات في التصدير ، وبالتالي استحالة زيادة الموازنة المعدة للاستثمار في المستقبل وكذلك استحالة تحقيق الشروط اللازمة لتنمية متدرجة ومستمرة .

٤ - التعاون بين الوزارات في سبيل التنمية .

وتحقيق هذا الامر يتطلب اقامة بنیان او هيكل للتنمية ، ولكن ذلك لا يمكن له ان يتأني حالاً او تلقائياً بل يجب ان يكون الجهازان الحكومي والاداري بأجمعها مهياين للتنمية . فالتنمية مهمة تشترك فيها جميع الوزارات . الا ان الوزارات الفنية وكذلك وزارتي التربية والصحة معنيتان بالامر بشكل مباشر ، ويجب ان يجري البحث عن الاصول الواجب اتباعها للحصول على تعاون وثيق بين السلطات العليا جميعها وكذلك بين هذه السلطات والوزارات والادارات التي تهتم بأمور التنمية .

٥ - الجهاز الاداري الاقليمي .

لا يكفي وجود جهاز ومخطط حكوميين بل يجب ايضاً ان يوجد جهاز اداري اقليمي ومحلي ، لأن التنمية حين تعتمد على جهاز إداري متدرج عمودياً تدرجاً تاماً ، وحين يكون لدى كل وزارة موظفون من اسمى الرتب الى اقلها دون ان يكون هنالك تنسيق انمائي على مستوى الناحية

أو القضاء ، فانه من البديهي ان تكون التنمية في هذه الحال قاصرة . لذلك فانه من الضروري ان يوجد في كل محافظة موظفون مختصون بامور الانماء لكي لا تتبعثر الجهود ولكي تتحقق المخططات الانمائية بأقل كلفة وأقصر مهلة . كل هذه الامور تتطلب التنسيق او هي بكلمة اخرى تتطلب . بالاضافة الى النظام العمودي المتدرج المتبع حالياً . ان يصار الى تنظيم اداري افقي يسمح بالبت في الامور وبالدراسة والتنفيذ وهي جميعاً شروط اساسية للنجاح . وهذا مما يؤدي بالاصلاح الاداري الذي يدرس حالياً الى تأمين المكان اللائق للناحية التي تقوم على وجود المجموعات الادارية المتكاملة . واقول « متكاملة » لأن جميع الفنيين الذين يعملون في مختلف الوزارات سواء منها الاشغال العامة او الاصلاح الريفي او الزراعة او الصحة . او في مجالات التعليم الفني او الاحصاء وغيرها مما يفوتني ذكره . كل هؤلاء الناس ، اذ يعملون سوياً في منطقة يعرفونها جيداً . يساهمون سوياً في اعداد المخطط الانمائي الاقليمي وفي تحقيقه . ولكم ان تتصوروا ما يضيفه هذا الترتيب من حيوية على الاقتصاد .

وبناء على ما تقدم يمكن لكم ان تهيئوا تنظيمًا انمائياً . فالعامل البشري متوافر ولكنه يحتاج الى ان يهيأ للانماء . وهذا امر يمكن تحقيقه بسرعة . ونادراً ما تستطيع دولة لا تزال في مراحل التطور ان تجد الشكل الذي يجب ان يصاغ عليه التنظيم الاداري الحكومي الذي يتجاوب مع متطلبات الانماء . اما هنا فان النخبة اللبنانية . والاختصاصيين اللبنانيين ، والوسط الفني الموجود حالياً . كل هذه تمكنكم من تحقيق نهج مبتكر يصح ان يكون مثلاً يحتذى للانماء في بلاد اخرى .

٦ - تجهيز افضل لقصبات الاقاليم ومراكز الاقضية .

اذا اريد للتنمية ان تنجح فانه من الواجب ان يصار الى تعميمها . لذلك فان على الحكومة



العامة التي ساهمت في ارتفاع اثمان الاراضي الزراعية وازاضي البناء .

وسوف يكون من شأن اصلاح النظام المالي ان يؤدي بالتدرج الى اعادة النظر بصورة شاملة- فيما يتعلق بالنشاط وبتغيير البنيان الاقتصادي والبنيان الاجتماعي .

### نجاح مخطط كبير

ان لبنان اذ يواجه هذه المستلزمات ، ولا سيما التجارب مع زيادة عدد سكانه والتخفيف من الفروق في مستوى المعيشة بين طبقات الشعب ، وموازنة العوامل الايجابية والعوامل السلبية في مجالات التنمية ، فانه يخوض غمار مغامرة كبيرة ، لذلك يجب أن يكون للبنان مخطط كبير ، كما يجب على لبنان أن يضمن لنفسه النجاح وإلا يتعرض لخطر الاخفاق .

النخبة والجهود الواعي المتحمس من الشعب . فالاقتصاد الذي يعتمد بهذا المقدار على الخدمات هو اقتصاد هش ضعيف . ولسنا ندري كيف يكون تطور العالم في المستقبل . اذ ان كل يوم يحمل الينا من الانباء ما يؤكد ان كل شيء يمكن له ان يتغير بسرعة لذلك فأن تكييف الاقتصاد مع انواع جديدة من الخدمات امر قد يكتب له النجاح .

وقد يتردى لبنان في ازمات حادة من جراء طبيعة تركيبه الاقتصادي . اذ انه اقتصاد يرتكز على الخارج اكثر مما هو اقتصاد يرتكز على الداخل . فالحذر اذن واجب . وتنفيذ ما توحى به الدراسات من انشاء جهاز للتخطيط واسع الصلاحيات واجراء اصلاح اداري يصل بهذا الجهاز الى القرية ، امر ضروري . ومن البديهي ان الحياة يجب ان تنفخ في هذا جميعه . وهذه احدى المهام التي يجب على الشبان ان يكونوا على استعداد للقيام باعبائها . ولديكم في هذه البلاد شبان يطمحون الى المساهمة في هذا الجهد الكبير الذي لا غني للبنان عن بذلة لتحسين أحوال جموع الشعوب . ■

والادارات المركزية والمؤسسات الجامعية في بيروت ان تعتمد الى ايجاد الاموال اللازمة لهذا التعميم على شكل مخطط متدرج يؤمن تجهيز مراكز الدرجة الثانية والدرجة الثالثة في البلاد بوسائل التنمية . والمراكز الثانوية هي عواصم المحافظات كطرابلس وصيدا وزحلة . اما المراكز الثالثة فتتشكل في معظمها من مراكز الاقضية .

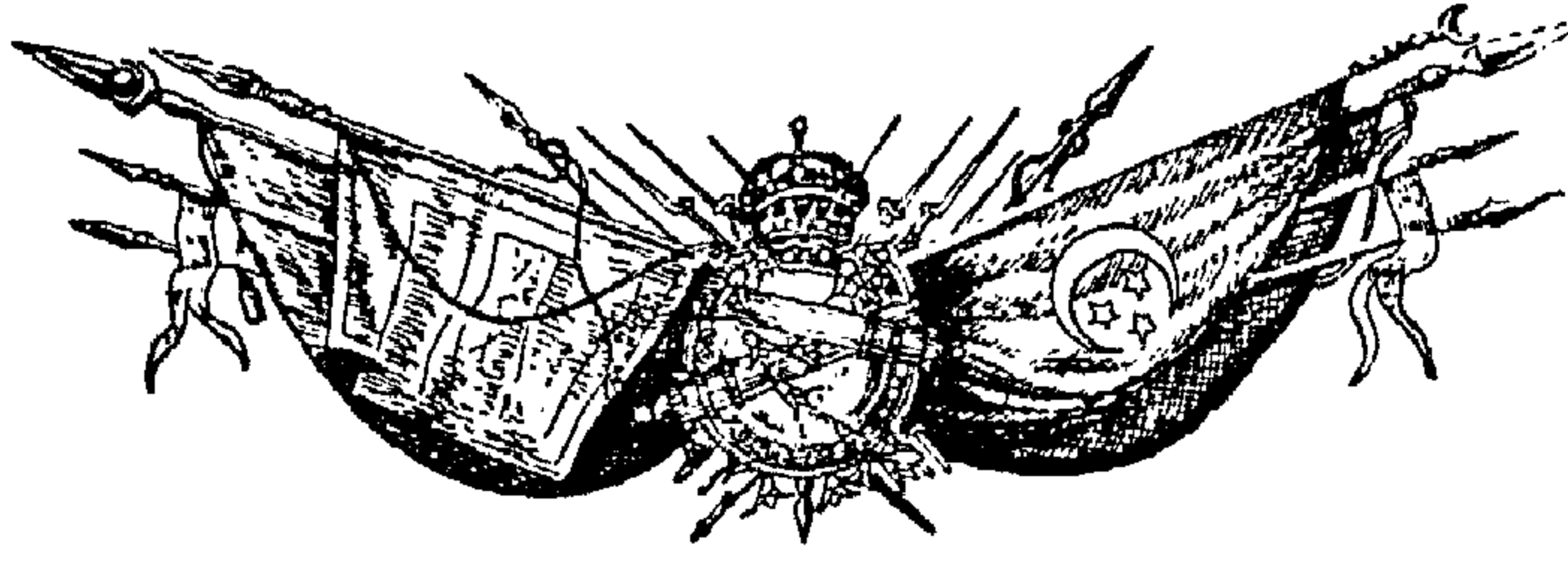
ولا يكفي ان يصار الى تخطيط المدن الكبيرة فقط بل يجب ان تتناول العناية مجموع رقعة الدولة والمراكز التي تأتي في المرتبة الثالثة والا استمر السكان في التزوح الى العاصمة . فتعند عند ذلك مظاهر الحياة المحلية اذ تكون العاصمة قد اجتذبت اليها كل شيء .

٧ - تنظيم القروض متوسطة وطويلة الاجل .

يجب ان يصار الى تنظيم القروض . هنالك عدة حلول لهذه المشكلة المهمة . فيمكن مثلاً انشاء مصرف للتنمية واحد . او على النقيض من ذلك ايجاد عدة صناديق لأنواع معينة من القروض . الا ان انشاء مصرف للتنمية يعمل حسب الاساليب المصرفية بمتاز بحسنات عديدة من الناحية الادارية اذا ما قورن بصناديق القروض الصغيرة التي قد تكون اصلح منه في بيئات معينة . فيجب ان يجري الخيار بين هذه وذاك حسب الظروف . اما القروض طويلة الأجل فلا وجود لها حالياً . في حين انها هي التي تصنع الانماء

٨ - زيادة الايرادات المالية :

من البديهي أن يكون في متناول الدولة من الايرادات ما يمكنها من تحقيق التنظيمات اللازمة . واذا لم يكن هنالك من داع لا جراء تعديلات كبيرة في نظام الضرائب . فأن تحسين وسائل جباية ضرائب الدخل تؤمن للدولة دخلاً يبلغ في الاغلب ثلاثة اضعاف المبلغ الذي تستوفيه حالياً . ويمكن تخصيص جزء من زيادة ثمن الاراضي الناتج عن التداولات العقارية للمشاريع



# معاهدة كوتاهية (١٨٣٣)

اول دولة للرحمة العربية منذ هزيمة الصليبيين

سعيد كريدية

تشكل حاجزاً طبيعياً يحمي مصر من أي هجوم عثماني محتمل.

٢ - يعتبر فتح سوريا جزءاً من مشروع محمد علي ، وهو تأسيس دولة حديثة قوية تضاهي الامبراطورية العثمانية .

٣ - لأرض سوريا أهمية اقتصادية كبيرة ، ففيها الأخشاب والزيوت والحرير والجلود والمعادن والأنهار وهذه الخيرات تكمل ما هو موجود في مصر وتساعد على تقوية الجيش وتنمية ميزانيته .

إن ما ذكر عن أهمية سوريا يعتبر من العوامل الرئيسية التي دفعت محمد علي لفتحها ، لذلك كان محمد علي يغتنم المناسبات لبسط نفوذه عليها . فطالب بولاية سوريا أثناء محاربته للوهابين أعداء العثمانيين بحجة أنه في حاجة إلى مدد منها لمعاونته في القتال ، وأخذ يتوعد لزعماء المنطقة كالأمير بشير الشهابي وعبد الله باشا والي عكا ، ولما كلفه السلطان بالقضاء على ثورة اليونان أمل محمد علي بالولاية على سوريا كمكافأة من السلطان على صنيعه الطيب . ولكن الباب العالي رفض منحه

## معاهدة كوتاهية ١٨٣٣

■ رأى محمد علي باشا والي مصر عندما تمكن من حكمها ، ان السيل الوحيد للمحافظة على ممتلكاته هو أن يوسع حكمه إلى البلاد العربية : مصر والسودان وشبه الجزيرة العربية وسوريا والعراق ، وأن يجعل زمام الأمر بيده . وإذا ما تحقق حلمه فإن سلطته على مصر ستضمن له موارد وفيرة من المال والرجال .

وعلى هذا الأساس فإن محمد علي بعد أن قضى على الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية ، أخذ ينظم شؤونها وعين الموالين في الوظائف واسترضى الأشراف وزعماء القبائل . ثم احتل الموانئ اليمنية كالحديدة بعد أن تم له فتح السودان . كانت سوريا في نظر محمد علي ، كما كانت في نظر جميع حكام مصر منذ أيام الفراعنة ، أكثر بلاد الشرق أهمية لمصر ، وذلك لما بين البلدين من تكامل طبيعي واقتصادي ، وتعود أهمية سوريا (أي سوريا الطبيعية) لدى محمد علي إلى العوامل التالية :

١ - حدود سوريا الشمالية تقف عند جبال طوروس ، وهي



إياها . وأخيراً وجد محمد علي عذراً لبدء الفتح أثر النزاع بينه وبين عبد الله باشا والي عكا الذي كانت له مطامع هو الآخر في بلاد الشام إذ ساعد المصريين الهاربين من الجندية ومن دفع الضرائب وامتنع عن تسديد ما عليه من ديون لمحمد علي ورفض إرسال الأخشاب اللازمة لأسطول مصر ، وساعد التجار على تهريب البضائع إلى مصر عن طريق شبه جزيرة سيناء .

وفي خريف عام ١٨٣١ أرسل محمد علي قواته البرية والبحرية بقيادة ابنه إبراهيم ، فاستولى على غزة وبافا وحاصر عكا ، وفتح القدس وطرابلس وبيروت . ثم سقطت عكا بعد حصار شديد دام ستة أشهر ، واتجه إلى دمشق التي كانت في ثورة على الوالي العثماني ، فدخلها دون مقاومة ثم هزم القوات التركية عند بحيرة حمص ، واستولى على حماه وحلب وهزم جيشاً عثمانياً آخر عند ممر بيلان قرب الاسكندرونة جنوب آسيا الصغرى .

ظن السلطان العثماني محمود الثاني أول الأمر ان معركة محمد علي ما هي إلا نزاع بسيط كما يحدث مراراً . فلم يهتم بها كثيراً في بادئ الأمر . لكن الحقيقة اتضحت عندما تابع إبراهيم بن محمد علي زحفه إلى دمشق واستولى على بيروت وطرابلس ، فاعتبر الباب العالي السلطان ، هذه الأعمال تحدياً له فأصدر مرسوماً بعزل محمد علي وأرسل جيوشه لمحاربه .

وقد أعلن الأمير بشير الشهابي الثاني والأعيان والزعماء انضمامهم إلى إبراهيم واستقبله السكان في معظم المدن استقبالا حافلاً وفتحت له المدن أبوابها . وكان إبراهيم يعلن أن جيوشه لن تقف إلا عند الفاصل بين المتكلمين بالتركية والناطقين بلغة الضاد . وقال أنه ينوي احياء القومية العربية واسناد المناصب إلى العرب في الادارة والجيش . وانه يريد أن يجعل منهم شعباً مستقلاً . وكان يذكر هذه الأشياء بمنشورات يوزعها بين الجنود والسكان ويذكرهم بعظمة الأمة العربية

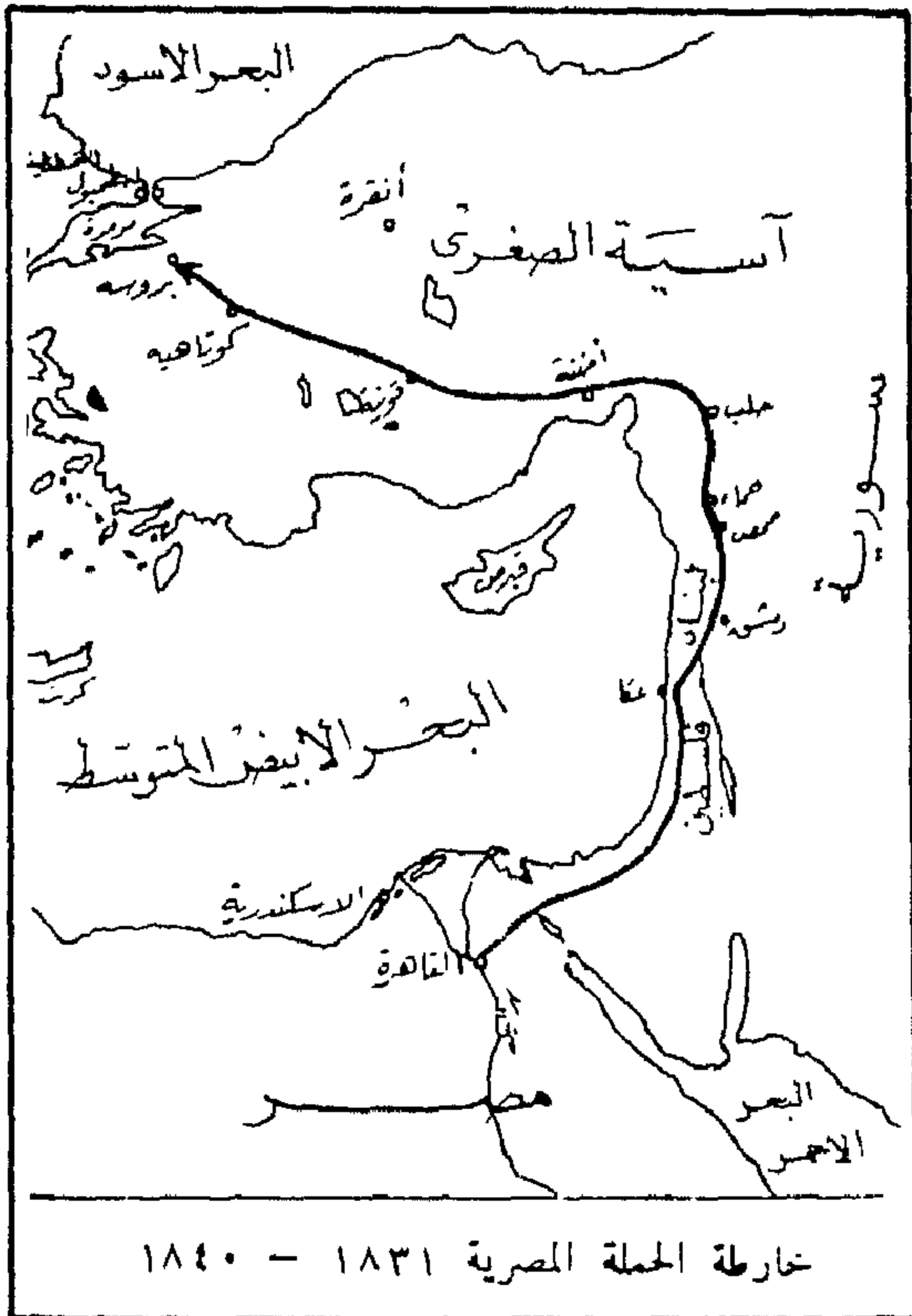
وماضيها المجيد وحضارتها الرفيعة .

عندما وصل إبراهيم إلى حدود الأناضول بعد معركة بيلان ، عرض محمد علي على السلطان إعطاءه حكومة سوريا ومصر ، فلما رفض الباب العالي هذا العرض دخل إبراهيم آسيا الصغرى واحتل أضنه ، ألى أن وصل إلى قونية في قلب الأناضول ، حيث انتصر انتصاراً رائعاً على الجيش العثماني الكبير وأصبحت الطريق إلى استانبول مفتوحة أمامه .

أذهلت هذه الانتصارات السريعة المتكررة دول الغرب عامة ، وبخاصة :

١ - فرنسا التي أيدت صديقها محمد علي واعتقدت ان اتساع نفوذه هو بالتالي اتساع لنفوذه .

٢ - بريطانيا التي لم ترغب بنشوء دولة قوية فتية صديقة لفرنسا تسيطر على أهم الطرق الموصلة إلى



الهند وتحد من أطماعها في تلك المناطق .

٣ - روسيا التي قلقت من هذا التوسع وخافت من امتداده إلى بقية أراضي الدولة العثمانية فيؤدي ذلك إلى قيام دولة قوية على انقاض الرجل المريض (أو الامبراطورية العثمانية) فتحول دون تحقيق أطماع روسيا القيصرية في السيطرة على مضائق البوسفور والدردنيل .

وقد كانت هذه الدول آنذاك مشغولة بثورات ومشاكل في أوروبا فاكثفت أولاً بنصح محمد علي بأن يوقف القتال . الا ان هذه الدول عادت وعزمت على التدخل جدياً عندما رأت السلطان محمود الثاني سلطان الامبراطورية العثمانية ، بعد معركة قونية يقبل مساعدة روسيا العسكرية التي تستجيب لطلبه وترسل أسطولها إلى البوسفور ، ويسمح بنزول القوات الروسية في استانبول . لهذا ضغطت كل من فرنسا وبريطانيا على السلطان لإرضاء محمد علي وطرده الروس من بلاده ، وفي نفس الوقت أجبرت محمد علي على عقد الصلح . وتمت المفاوضات بين السلطان ومحمد علي باتفاقية كوتاهية (نسبة لمدينة كوتاهية التي وقعت فيها عام ١٨٣٣) .

مضمون هذه الاتفاقية :

١ - إعراف السلطان العثماني محمود الثاني

لمحمد علي باشا بسلطته على :

(أ) مصر

(ب) سوريا الطبيعية (أي

ما يسمى اليوم بسوريا ولبنان وفلسطين والأردن) .

(ج) منطقة أضنه جنوب

آسيا الصغرى .

(د) جزيرة كريت أو

كريد .

٢ - ولي إبراهيم على الحجاز .

٣ - تعهد محمد علي بأن يدفع للسلطان عن سوريا الأموال التي كان يدفعها له الولاة العثمانيون سابقاً أي ما يعادل ١٥٠٠٠٠ جنيه استرليني .

وقد كافأ محمد علي الأمير بشير ، باعطائه مزيداً من الاستقلال الذاتي في جبل لبنان .

وهكذا نرى أن دولة عربية قوية قد تشكلت وامتدت من أضنه شمالاً إلى أقصى مصر وأطراف شبه الجزيرة العربية جنوباً ومن الخليج العربي شرقاً إلى حدود ليبيا غرباً . ويمكن القول أنها أول محاولة لتحقيق وحدة عربية حديثة وآخر انتصار عربي . إذ بعدها بدأ الأعاجم باحراز انتصار تلو انتصار تمكنوا من بسط سيطرتهم على كل الوطن العربي .

كما أوجدت هذه المعاهدة أول وحدة بين مصر وسوريا تحت قيادة عربية موحدة منذ جلاء الصليبيين .

والواقع أن إبراهيم باشا كان أكثر إيماناً وحماسة من أبيه للوحدة العربية . فقد نشأ في محيط عربي وتكلم بلسان عربي على خلاف أبيه الألباني الأصل ، ونهل من الثقافة العربية ، ودرس التاريخ العربي . وظهر لديه ميل قوي لهذه الأمة ، واعتقد إبراهيم بأن الدولة التي يرثها والده تزداد قوة وثباتاً إذا قامت في الأصل على بعث أمة العرب بعثاً قومياً . ■

المراجع :

كريزي . إدوارد : «تاريخ الأتراك العثمانيين . هولت . پ . م . : «مصر والخلال الحبيب ١٥١٦ - ١٩٢٢ .

حتي . فيليب . : «اليقظة العربية . عرجاني . يحيى : «الشرق الأوسط في الماضي والحاضر . الخاني . علاء الدين : «تاريخ العرب الحديث والمعاصر .



## نحو تاريخ بدون تزيف...

بعد الرسالة التي أثار فيها أحد قراء « تاريخ العرب والعالم » مسألة البت نهائياً فما إذا كان الأمير فخر الدين المعني الثاني بطلاً وطنياً كما يقول البعض . أم متعاوناً مع الأجنبي . كما يقول البعض الآخر . وبعد الرد الذي كتبه « لتاريخ العرب والعالم » الاستاذ محي الدين قدورة ( العدد ٤ ) ، والذي تبني فيه مدرس التاريخ . وجهة النظر الثانية . ها هو المحامي عصام العريضي . يرد على الرد ، مبرئاً ساحة الأمير فخر الدين . وفتحاً في الوقت ذاته على صفحات المجلة . معركة يرجى منها أن تسهم في جلاء جانب من الحقيقة . حقيقة هذا السياسي الذي حكم لبنان فترات متقطعة طوال خمس وأربعين سنة .

اختلف المؤرخون فيه  
... وانفق الشعب

رد المحامي عصام العريضي

فخر الدين  
المعني الثاني

تاريخ الأبطال الوطنيين الذين غيروا مجرى التاريخ ليس أثراً تخلف عن أصحابه ليدركه  
الفناء فيتبع على حد قول أبي الطيب .

ولأن التاريخ لا يكتب بالطبشور . وبالتالي لا يموت . كان من الطبيعي أن تستمر حياة  
هؤلاء الأبطال خالدة في شعوبهم أو تنبعث فيهم شعلة هدي ونار ثورة إذا ما ناخ عليهم ليل  
جهل وتخلف .

والأمير فخر الدين الثاني هو أحد هؤلاء الأبطال التاريخيين وفي طليعتهم . إلا أنني إذا كنت  
قد وضعت الأمير في مقامه اللائق . مستبقاً الأدلة التي سأعرضها في هذا البحث . فإني لن  
أنطلق في ردي على الموضوع الذي طرحه مجلة « تاريخ العرب والعالم » إلا من موضوعية علمية  
بحتة .



فخر الدين المعني الثاني . في إحدى صورته القليلة .  
ويشاهد وهو يدخل غليوناً . ويحفر عصا خشبية .

الزين « للبحث عن تاريخنا في لبنان » كذلك لم أجد غرابة في ردّ الاستاذ محي الدين قدورة الذي التزم برأي الشيخ الزين بعد أن عاد وتمعن في قراءة كتابه . لكن ما استغربته من السيد الشامي طلب محاكمة الأمير ( الشوفي ) فوراً او دون درس « قضيته » . وأنا واثق من أنه بعد أن يطلع على مناقشة الوثائق التي تبرئ ساحة الأمير - كما سيأتي في بحثنا - فسيطلب محاكمة المؤرخين وكتبه التاريخ لثبوت مسؤوليتهم . تجاه الأجيال الجديدة في تشويه صورة الأمير . هذا التشويه . الذي أقل ما يقال فيه إنه ناجم عن التسرع وعدم التحييص وعن انتفاء الموضوعية التي يتطلبها علم كعلم التاريخ . هذا إن لم نقل ان التشويه المذكور مصدره خلفيات طائفية ترسبت في أذهان لم يستطع العلم أن يخلو صداها .

### أولاً : في مناقشة الوثائق

بما أن الشيخ علي الزين استند في كتابه

■ رأي أن هناك ثغرة كبيرة في تاريخ هذا الرجل الكبير يجب أن تُسدَّ حتى تظهر صورته الوطنية والقومية والاجتماعية مجلوة على حقيقتها . وهذه الثغرة تكمن في الشبهات الخائفة حول علاقاته الخارجية أي حول سياسته الخارجية مع دول غربية كتوسكانه والفايكان بصورة خاصة . ولم أقع الأعلى النادر من المصادر التاريخية التي حاولت أن تدفع القليل من هذه الشبهات . وكانت محاولات غير وافية . أما سائر المصادر فمنها ما استقى من غيره معتمداً النقل دون التدقيق ومنها ما وقف حائراً أمام سياسة الأمير الخارجية فتجاوزها وقفز فوقها إما قصوراً أو هرباً من هذا الموضوع الشائك ومنها ما طلائها بلون ميوله ورغائبه فجاء الطلاء أبيض حيناً وحيناً آخر أسود . بيد أن بعض المصادر لجأت إلى الوثائق كأسانيد في كتابة تاريخ الأمير كالأب بولس قرألي . الذي أعلن في مقدمة مؤلفه « فخر الدين المعني الثاني » ( ١٩٣٧ ) . انه وقف على الوثائق في خزائن توسكانا ( وثائق آل مديتشي ) وفي خزائن الفاتيكان خلال حكمي البابا بولس الخامس ثم البابا أوربانوس الثامن .

الآن هذه الوثائق بالذات . على قيمتها . ما جاءت إلا لتعكس رغبة المؤلف في إبراز الأمير وكأنه متعامل مع توسكانة واسبانيا والفايكان يتواطأ معها لاستعادة الأراضي المقدسة من أيدي العثمانيين . والحقيقة أننا عدنا ودققنا في هذه الوثائق فوجدناها لاتدين الأمير مطلقاً ولكنها . على العكس . تدفع عنه كل شبهة وترفع جبينه ناصعاً . هذا مع العلم أن لنا رأياً لا يلتزم « بعقده التعامل مع الأجنبي » سنعرضه في سياق هذا البحث .

ومن هنا لم أجد غرابة في معاناة السيد سامي الشامي ( النبطية ) الذي اختار منبر « تاريخ العرب والعالم » ليزيل شكّه في الأمير المعني . هذا الشك الذي تسرب إلى نفسه بعد قراءته كتاب الشيخ علي



المذكور الى رسالة «محفظة» من الأمير فخر الدين  
إلى البابا

وبما أن السيد محي الدين قدورة قد أيد  
بدوره هذا المستند ثم ارتكز بدوره الى معاهدة  
١٦٠٨.

لذا نرى لزماً علينا مناقشة هذين المستندين  
منوهين بأن المجال قصير في هذا البحث للتعرض  
لسائر الوثائق وعسى أن نوفق إلى إصدارها مجمعة  
في كتاب بعنوان «سياسة فخر الدين الخارجية».

### ١ - في الرسالة «المحفظة» الى البابا :

من العودة الى النص الوارد في كتاب الشيخ  
علي الزين (للبحث عن تاريخنا في لبنان) وفي  
الصفحتين ٢٣٨ و ٢٣٩ ، جاء ما حرفيته : «ومما  
يشعرنا بملاءمة الظروف» لمحاولات فخر الدين ما  
تضمنته رسالة (محفظة) منه الى البابا يحثه فيها على  
السعي للاستيلاء على الأراضي المقدسة ويؤكد له  
فيها أن الوقت مناسب لأن الفوضى ضاربة أطنابها  
في البلاد العثمانية والضعف باد عليها. وعرض فيها  
الأمير على البابا أن يذهب بنفسه الى روميه ليتولى  
تنظيم هذه الحملة (انتهى النص).

ومن مراجعة النص الوارد في كتاب الأب  
بولس قرألي (فخر الدين المعني الثاني) وتحت  
عنوان أوربانوس الثامن ص ١٤٣ جاء ما حرفيته :  
«وفي السنة ١٦٢٤ كتب فخر الدين الى البابا  
المذكور (والكلام الآتي يضعه الأب قرألي بين  
مزدوجين) «حاثاً إياه على السعي للاستيلاء على  
الأراضي المقدسة فالوقت مناسب لأن الفوضى  
ضاربة أطنابها في الامبراطورية العثمانية والضعف  
باد عليها. وعاهده أن يضع تحت تصرفه جيشه  
البري.. وعرض الأمير أن يذهب بنفسه الى روميه  
ليتولى تنظيم هذه الحملة المجيدة» (هنا يقفل  
المزدوجان) واستكتب بهذا المعنى البطريرك الماروني  
وأبا صافي الخازن حاكم جبّة بشري ، (انتهى  
نص قرألي)

ومن المقارنة بين النصين يتضح مايلي :

أ - في نص الشيخ الزين ما هو مأخوذ  
بحرفيته عن نص الأب قرألي. وهذا يعني أن نص  
الشيخ مأخوذ من نص الأب.

ب - الكلام الموضوع بين مزدوجين في  
نص الأب قرألي لا يتبين أنه مأخوذ من نص رسالة  
لفخر الدين الى البابا وذلك كما يتبين من صياغة  
النص بصورة الغائب وليس بصورة المخاطب كما  
هي العادة في الرسائل (مثلاً : حاثاً إياه.. وعرض  
الأمير أن يذهب..)

ج - والذي يبعث على العجب أن الشيخ  
الزين اكتفى بما اقتطفه من النص الوارد في  
الصفحة ١٤٣ من كتاب الأب قرألي ولم ينتقل الى  
باب «عرض الوثائق» في المؤلف نفسه ليدقق في  
صحة هذا النص المقتطف وذلك في ضوء ما  
توضحه الوثائق المعروضة. أما عزوف الشيخ الزين  
عن هذا التدقيق الواجب على المؤرخ فلست أرى  
تفسيراً له إلا غاية منطوية أو قصوراً في التحقيق  
واليكف ما ورد في كتاب الأب قرألي نفسه (ص  
٢٧٠) في «باب عرض الوثائق» وتحت عنوان  
«سفارة الخوري يوحنا الحصري» !

فر الخوري المذكور (الحصري) في  
الخامس والعشرين من تشرين الأول (أكتوبر)  
سنة ١٦٢٤ وقابل الأمير فخر الدين مقابلة سرية  
فسلمه (الأمير) كتاباً بهذا التاريخ الى البابا  
أوربانوس الثامن يحثه فيه على السعي وراء مشروع  
الحملة على الأراضي المقدسة. وحمل الخوري  
يوحنا معه كتابين آخرين وجهها الى الحبر الأعظم  
البطريرك مخلوف أبي صافي الخازن حاكم جبّة  
بشري تأييداً لطلب الأمير (انتهى النص)

نفهم من هذا النص ان الخوري الحصري  
حمل ثلاث رسائل الى الحبر الأعظم واحده منها  
للأمير فخر الدين

الآ أنه لدى اطلعنا على عرض هذه  
الرسائل - الوثائق لا نجد أثراً لرسالة فخر الدين  
المزعومة.



معركة عنجر. أهم معارك فخر الدين. وقد انتصر فيها على أعدائه الذين سبّرتهم الدولة العثمانية لتأديبه.

نجد فقط نص رسالة أبي صافي الخازن (ص ٢٧١). ونجد نصاً ثانياً لجواب البابا أوربانوس الثامن على رسالة البطريك (ص ٢٧١ - ٢٧٢). وعندما يصل الأب قرألي إلى رسالة الأمير (وهنا بيت القصيد) يقول تحت عنوان «جواب البابا أوربانوس للأمير» ص (٢٧٣) ما حرفيته: «تعبنا كثيراً في التفتيش على نص كتاب الأمير إلى أوربانوس الثامن فلم نعثر عليه» فالرسالة اذن غير موجودة باعتراف الأب قرألي وهو الذي فتح خزائن الفاتيكان ليطلع على الوثائق. ويقول إنه لم يعثر عليها.

فكيف يحجز الشيخ الزين لنفسه أن يقول أن الرسالة من فخر الدين إلى البابا «م محفوظة» كما ورد عنده ما حرفيته: «ما تضمنته رسالة محفوظة منه إلى البابا» فإذا كان الأب قرألي يعترف بأنها غير موجودة فكيف يجوز للشيخ الزين الذي استند إليه أن يزعم أنها محفوظة! أهذه منهجية المؤرخ المدقق؟ أيجوز له أن يورد واقعة لم تحدث أصلاً؟ أليست هذه من مغالطات المؤرخين الذين ينقلون كيفما اتفق؟

د - والطريف أن الأب قرألي يقول أنه استدل على رسالة الأمير من جواب البابا أوربانوس الثامن فيضع مقتطفات من هذا الجواب

لا يتبين فيها أي ذكر للأمير فخر الدين. بل هي موجهة إلى «حفيد قائد الصليبيين» «غودفروا دو بويون»! ويستنتج الأب قرألي أن حفيد قائد الصليبيين هذا هو الأمير فخر الدين. أليس طريفاً حقاً، ومضحكاً في آن معاً، أن يكون الأمير فخر الدين الثاني، الذي يعترف الأب قرألي بدرزيته (وكذلك البابا بولس الخامس بنفسه كما سيأتي بيانه) حفيداً لقائد الصليبيين غودفروا دو بويون. أليس مثل هذا التشويه للتاريخ كان وراء الخرافات المتعددة ومنها أن الدروز هم من بقايا الصليبيين؟

هـ - وقبل أن نقفل باب مناقشة الرسالة المزعومة أود أن أذكر بأن الأمير فخر الدين كان سنة ١٦٢٤ (وهو تاريخ الرسالة المذكورة) قد بلغ أوج عزّه وأصبح أمير عربستان بفرمان من الدولة العثمانية. وامتدت سيطرته من انطاكية إلى غزّه فكانت القدس على حدوده وتحت تأثير نفوذه. فما هي حاجته في ذلك الحين إلى البابا ليكتب إليه لمساعدته على الاستيلاء عليها؟ ألاّنه كان عاجزاً عن ذلك؟ أم لأنّه كان يريد مكافأة الدولة العثمانية التي كانت قد اقرته على «عربستان» فيغضبها بلجوائه إلى التآمر عليها مع البابا؟ وإذا كان قد استولى على القدس فهل من أجل أن يقدمها غنيمة باردة للبابا؟ ألهذا الحد كان ينتهي طموح الأمير فخر الدين؟



و - وقبل الانتهاء من علاقة فخر الدين بالقائكان تحدثت بعض المصادر التاريخية على معاهدة « أخرى » بين الأمير والبابا سنة ١٩٣٣ . ولدى التدقيق في هذه المعاهدة تبين أنها مجرد تقرير رفعه المطران جرجس الماروني رئيس أساقفة نيقوسيا الى البابا أوربانوس الثامن بشأن فتح مملكة قبرص ومدينة القدس . ومن الغريب أن بعض المؤرخين ( ومنهم عيسى اسكندر المعلوف ) قد أطلق على هذا لتقرير اسم معاهدة فيقول : « هذه صورة معاهدة الأمير فخر الدين مع البابا أوربانوس الثامن » وهي التقرير الموجز الذي رفعه سيادة المطران جرجس مارون الماروني رئيس أساقفة نيقوسيا الى قداسة البابا (ص ٢٧٦)

بعد هذا ألا يرى القارئ وجه الشبه بين الرسالة « المحفوظة » - والمعاهدة - التقرير ؟  
إذا كان من حق سفير أي دولة أن يقدم التقرير المناسب لدولته فهل يمكن أن يسمى مثل هذا التقرير معاهدة في علم القانون الدولي العام !

## ٢ - في معاهدة ١٦٠٨

شدّد السيد محي الدين قدّورة في جوابه على معاهدة ١٦٠٨ . ومما قاله : « هذه الاتصالات التي قام بها فخر الدين مع دولة أوروبا ضد الدولة العثمانية استمرت نيرانها متأججة فترة امتدت منذ عقد المحالفة المعنية - التوسكانية ١٦٠٨ الى عام ١٦٥٣ (المقصود ١٦٣٥) حين اعدم فخر الدين في الآستانة بسبب استمراره في الاتصال بدول أوروبا الآنفة الذكر » وعلى هذا أجدني مضطراً أن انوّه بالحقائق التالية :

أ - ليس هنالك من معاهدة تسمى معاهدة ١٦٠٨ وإن كانت المصادر قد تناقلتها ومنها لمؤرخين كبار وقعوا في هذا الخطأ دون أن يدققوا . فحتى الدكتور حتي في مؤلفه تاريخ لبنان يذكر هذه المعاهدة (ص ٤٥٦) ثم ينسب المصدر في الحاشية الى الأب بولس قرألي . ومن العودة الى المصدر المنسوب اليه نفاجاً ، أول ما نفاجاً تحت

عنوان معاهدة ١٦٠٨ ، وفي الحاشية بالذات : بما حرفيته « لا تاريخ لنص هذه المعاهدة ولما كانت المعاهدة مع جانبولادباشا قد وقعت في ٣ تشرين الثاني ١٦٠٧ ومضت بضعة أشهر بينها وبين هذه فزجح أنها جرت في ربيع ١٦٠٨ (انتهى النص)

ب - وقصة ما يسمى بهذه المعاهدة أن غراندوق توسكانا أرسل بعثة برئاسة السفير هيوبوليت ليونسي وذلك على أثر هزيمة علي باشا جانبولاد امام الدولة العثمانية . وعقدت هذه البعثة اجتماعاً مع الأمير فخر الدين يتبين من خلاصته أن الغاية الأساسية كانت دعوة الأمير الى التوسط للافراج عن ثلاثة أسرى توسكانيين ويقول الأب قرألي أن فخر الدين قد أملى شروطه على البعثة المذكورة لتنقلها الى غراندوق توسكانا . واليك ما يقوله بالحرف عن مصير هذه المعاهدة : « ولما وصلت البعثة الى توسكانا قدّم الترجمان للغراندوق **خلاف هذا التقرير** شكوى على السفير اتهمه فيها بافشاء سرّ المحالفة في كل الثغور »

ج - من جهة أخرى يقول الأب قرألي في كتابه الأنف الذكر (ص ٢٦٨) ما حرفيته : ويتذكر القراء أن آخر وثيقة توسكانية عائدة الى إقامة الأمير في ايطاليا تحمل تاريخ ١١ آب (اغسطس) ١٦١٥ ، اليوم الذي ، وصل فيه الى مسينا فأماننا بين هاتين الوثيقتين ثغرة تسع سنوات لا يعقل أن ينقطع الأمير خلالها عن مكاتبة البلاط التوسكاني أن لم يكن من باب المجاملة فن باب المصلحة . وبين السنتين ١٦٢٤ و ١٦٢٩ تنفرج ثغرة أخرى توقعنا في الحيرة نفسها : فأكبر الظن أن هناك نقصاً في الاسانيد لأن المؤرخ مارتى الذي قبلها قبلنا بقرن ونصف قرن لم يملأ هاتين الثغرتين إلا بتخيلات خارجة من دماغه مما يدل على نقص حقيقي . انتهى النص .

بعد هذا نقول للسيد قدّورة إن معاهدة ١٦٠٨ هي مزعومة ولا تاريخ صحيحاً لها وهي مجرد تقرير لم يتسلمه صاحب العلاقة نفسه أي

الغراندوق . ثم أن هذه المعاهدة المزعومة لم تستمر حتى سنة ١٦٣٥ فالمصادر تقر بأن هناك «ثغرتين» الأولى تمتد تسع سنوات (من ١٦١٥ الى ١٦٢٤) والثانية خمس سنوات (من ١٦٢٤ الى ١٦٢٩) فكيف كانت «نيران هذه الاتصالات متأججة من سنة ١٦٠٨ حتى ١٦٣٥» كما جاء في رد السيد قدورة .

### ثانياً :

#### في طبيعة العلاقات الدولية للأمير فخر الدين

بعد هذا العرض المقتضب للرسالة المنسوبة أو المزعومة للأمير فخر الدين الى البابا وبعد التعرض لمعاهدة ١٦٠٨ المزعومة أيضاً . لا بد لنا من أن نلقي ضوءاً على طبيعة العلاقات الدولية للأمير فخر الدين مراعين الظروف الداخلية والدولية التي كانت تحيق بدولته الناشئة . من البديهي أن دولة كالتى بناها الأمير بسيفه حيناً وحنكته ودهائه حيناً آخر لا يمكن أن تكتب لها الحياة اذا لم تجد متنفساً لها . فهي اذن بحاجة الى ان تقيم علاقات طبيعية مع غيرها من الدول - علاقات اقتصادية وسياسية وعسكرية وغيرها واذا عدنا الى الأوضاع التي عاشها الأمير فخر الدين لوجدنا أن سياسته الداخلية قد أملت عليه سياسته الخارجية : فهو من جهة حارب الاقطاعات الصغيرة ووحدتها في دولة هي أقرب ما تكون الى الهلال الخصيب فاضطر لذلك الى أن يجابه الدولة العثمانية ويوقف في وجهها في عصر كانت فيه الدول الأوروبية تحشى صولتها . ولم تكن مجابهته عسكرية دوماً فكثيراً ما كان يلجأ الى الحيلة والدهاء فيأخذ بالكلام ما لا يضطر الى أخذه بالسيف . ولا ننس أن عداء قديماً قد استحكم بين الأمير والدولة العثمانية التي قتلت والده قرقاس غدرًا وبهتانًا وفتكت بالألوف من عشيرته الدرزية بينهم ستمائة شهيد من العقال غدر بهم ابراهيم باشا والي مصر دفعة واحدة في عين صوفر . فمن الطبيعي أن لا يكون ولاؤه للدولة العثمانية . كما أنه لن

يكون لدولة أجنبية أخرى . وإذا كان قد اتجه إلى إقامة علاقات مع بعض الدول الغربية ومنها الفاتيكان فلأنه كان مقبولاً لديها نتيجة لتسامحه الديني مع المسيحيين وخاصة الموارنة منهم الذين خلصهم من جور يوسف باشا سيما بأن قضى على نفوذه قضاءً مبرماً والذين أعطاهم حقوق المواطنة كاملة بعد أن كانوا يعتبرون من أهل الذمة في نظر الدولة العثمانية .

وبالفعل فقد أقام علاقات حميمة مع الفاتيكان وتوسكانا . وهذا من حقه كما كان من حق الدولة العثمانية أن يكون لها حلفاء في الدول الأوروبية كفرنسا وإنكلترا وهولندا والبندقية .

إلا أن هذه العلاقات العادية جداً لا يمكن أن نصفها بالعمالة لأنها تعامل دولي بين دولة وأخرى والمعروف أن التعامل غير العمالة . ولو كان الأمر غير ذلك لجاز لنا أن نتهم اليوم كبريات الدول بالعمالة لمجرد إقامتها علاقات دبلوماسية بينها وبين دولة من معسكر آخر كما هي حال الصين اليوم مع أميركا . وبعد الم يقض فخرالدين خمس سنوات في منفاه في إيطاليا دون أن تقدم له أية دولة . لا توسكانا ولا الفاتيكان ، أية مساعدة سوى أن غراندوق توسكانا توسط له الصدر الأعظم للعفو عنه . أليس في عفو السلطات عنه دليلاً على براءته من العمالة لاسيما وأن الوسيط للعفو دولة كتوسكانة . وهنا نسأل أين مصير المعاهدات . ومنها معاهدة ١٦٠٨ ، لماذا لم تنفذ والأمير ينتظر على أحر من الجمر ويمنع من العودة إلى بلاده . ناهيك بأن هذه الدول التي أقام فخرالدين معها علاقات دبلوماسية لم تكن لتغامر بوجودها وأمنها ومصالحها تجاه الدولة العثمانية القوية والتي لها حلفاء من الدول الغربية الأخرى يشدون إزرها .

ولا بد لنا في هذا المجال من أن نذكر ما كان يتمتع به الأمير فخرالدين من قوة ومكانة رفيعة لدى الدول الغربية الصديقة ومنها توسكانا . مما يدل على أنه لم يكن يفاوض من موقع ضعف .



وهاكم رسالة بعث بها غراندوق توسكانا في ٢٢  
أيلول (سبتمبر) ١٦٠٧ إلى الأمير وهذا نصّها.  
«أيها السيد الكلي الشرف.

وفق الله سموك - أُملي منك أنك ما زلت  
تذكر الرغبة الشديدة التي أبديتها سابقاً لأفوز  
بصدافتك. نأكد أنّي ما زلت راغباً فيها ومقدراً  
إياها حق قدرها لبسالتك وشرف نفسك.  
ولما كنت قد أوعزت إلى حامل هذه الرسالة أن  
يقبل يديك بدلاً مني وأن يؤكد لك محبتي أرجوك  
أن تقبله في حضرتك وتصغي إليه بارتياح وثق  
بكلامه كأنه صادر مني. فأوصيك به خيراً وأقدم  
لك نفسي للقيام بكل ما يمكنني من أن  
أخدمك به.

ليفورنو في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٦٠٧.

خادم سعادتكم المحبّ

المرجع : يوسف مزهر تاريخ لبنان العام ج أ

ص ٢٧٦.

بعد هذه الرسالة ألا يستغرب القارئ قيمة  
فخرالدين لدى حلفائه حتى أن غراندوق توسكانة  
قد أوعز لموفده أن يقبل يدي الأمير عنه؟

وهناك رسالة شهيرة من البابا بولس الخامس  
نفسه إلى الأمير فخرالدين ومؤرخة في ١٦ كانون  
الثاني ١٦٠٩ نقتطف منها ما يلي :

« إلى فخرالدين أمير الدروز ونيقوميديّة  
وفلسطين وفينيقية .

سلام أيها الرجل الشريف وليحل عليك نور  
النعمة الإلهية :

عرفنا الأخ المحترم سرّكيس رئيس أساقفة  
دمشق الماروني الذي أمّ روميه لزيارة ضريحي  
الرسولين القديسين عطّقتك على أولادنا المسيحيين  
وخاصة الموارنة . فبتنا مدينين لك كثيراً لأن ما تفعله  
نحو أولادنا تفعله نحننا... الخ ».

أليس في رسالة الخبر الأعظم ما يؤكد المكانة

التي كان يحتلها فخرالدين في علاقاته الخارجية . ألا  
يبرز ذلك في هذه اللهجة السامية التي يخاطب بها  
البابا الأمير المعنيّ العظيم معترفاً بفضله وبتسامحه  
الديني في عصر كانت فيه هذه الفضيلة نادرة .  
وبيننا اليوم وبين فخرالدين ثلاثة قرون ونصف  
القرن وبيننا وبين فضيلة التسامح الديني « بيد دونها  
بيد ».

(ثالثاً : ماذا وراء تشويه صورة الأمير ) .

اختلف المؤرخون على فخرالدين . والناس  
ما اختلفوا يوماً إلا على رجل عظيم . إلا أنه بعد ما  
تقدم من بحث يُثبت تشويه التاريخ وتزويره ، نجد  
أنه من الخيف أن يرمى مثل هذه البطل بفرية . من  
ترى يبقى لنا من أبطال التاريخ سالماً إذا شوهنا  
فخرالدين ؟ هذا التأثير الكبير على الإقطاع وعلى  
الإستعمار العثماني قبل ثلاثة قرون من سقوطه . هذا  
البطل القومي الوجدوي الذي ما زال قدوة يحتذى  
سواء في أوضاعنا الداخلية في لبنان أو في التيارات  
القومية التي تحتضن لبنان . هذا المصلح الإجتماعي  
الذي حقق أسْمى مبدءاً نتوق اليوم إلى تحقيقه ألا  
وهو التسامح الديني والإقلاع عن الطائفية  
والعصبية الدينية التي تمنع فينا تمزيقاً .

ومن المؤسف أن يكون بعض المؤرخين وكتبة  
التاريخ قد أخذوا على هذا الرجل الكبير تساهله  
الديني فتناولوه من هذه الزاوية بالذات . ومن  
المؤسف أن يكون قد قصد «تبئيه» دينياً بنسج  
الحكايات المختلفة عنه كاعتناقه النصرانية وهو في  
أواخر حياته وفي حالة المرض كما ترعم الرواية . أو  
اعتباره حفيداً صليبيّاً لغودفروا دو بويون وهو  
حفيد الأمير معن الذي نزل الشوف مع عشيرته في  
أوائل القرن الثاني عشر للميلاد لمحاربة الصليبيين ،  
بعد أن نازل ملك الفرنجة بلوديون بالقرب من  
انطاكيا . وهذه الروايات تقرب كثيراً من تلك التي  
تعتبر الدروز من بقايا الصليبيين لأنها من نسج  
واحد أليس هذا تشويهاً لتاريخنا وإساءة لكرامتنا  
القومية . فإما أن نصدق الخرافات المشوهة وإما أن

نعتبر فخر الدين بطلاً قومياً لا متعاملاً مع الدول الغربية لبعث صليبية جديدة. والمعنيون لم يبرزوا في التاريخ إلا عندما قاوموا الفتوحات الصليبية فشكّلوا حلفاً مقدساً مع العائلات الدرزية العريقة كالارسلانية والبحرية التنوخية وآل نكد وآل تلحوق. هذا الحلف الذي شد أزره الشهابيون عندما قدموا إلى وادي التيم في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

يبقى لي أن أقول كلمة أخيرة وهي أن فخر الدين لم يعد في الآستانة لتعامله مع الدول الغربية كما ذكر في رده. إن الآستانة قضت على فخر الدين لتقضي على طموحاته التوسعية التي كانت تهدد الدولة العثمانية بالتفكك. وقد ذكرت بعض المصادر ومنها المحبي أنه لم «يبق أمام فخر الدين سوى دعوى السلطنة». إن طموح فخر الدين، وربما للوصول إلى عرش السلطنة، هو الذي قضى عليه وقد دافع عن نفسه أمام السلطان مراد فأقنعه وعفا عنه. لكن خصومه في الداخل أوعزوا إلى ابن أخيه يونس ليشير القلاقل ضد الدولة العثمانية. فما أثار حفيظة السلطان فأمر بإعدامه في يوم مشؤوم هو الثالث عشر من نيسان (أبريل) سنة ١٦٣٥.

لنكتب عن فخر الدين ولكن من منطلق

وطني وليس من خلفيات طائفية. لأن في ذلك إساءة للرجل الكبير الذي عرف كيف يذيب الطائفية في نفسه ليقبلي بها شعبه. فهو الدرزي ابن بعقلين الذي يكسب ود الفاتيكان لتساهله مع المسيحيين، وهو الدرزي الذي كان يمارس الشعائر الإسلامية حتى في إيطاليا نفسها. فقد ذكر الدكتور حتي في مؤلفه تاريخ لبنان أنه بنى جامعاً في نابولي واستقدم مؤذناً له للصلاة وهو الذي حلف بحق «زمزم والنبي المختار» لبني دير القمر من حجر عكار وما زال جامعهم في الدير قائماً إلى اليوم. وهو القيسي الذي أذاب العصبية القيسية اليمينية بتقريبه من اليمينين وإقامة علاقات القرابة والمصاهرة. فجمع الحزبيين المتناحرين تحت لوائه الذي ضم اللونين الأبيض والأحمر الأول شعار اليميني والثاني شعار القيسي.

والخلاصة أن فخر الدين لم يكن مؤسس دولة بضم أشلائها المتنافرة فحسب، بل كان باني عمارة شعب بأسره لا تتحكم بمصيره طائفية أو إقطاعية أو عرقية. ولم يكن مرتباً في علاقاته السياسية الداخلية والخارجية. وإذا كان قد أجمع عليه شعبه قديماً وحديثاً فليس من العدل أن يختلف فيه المؤرخون حتى لا تتشوه صورته الوطنية الصافية وحتى لا يتناول التشويه حاضرنّا في لبنان وماضيها معاً.

١ - الخوري بولس قرألي «فخر الدين المعني الثاني» أمير لبنان. إدارته وسياسته. ١٥٩٠ - ١٦٣٥ (حريصا).

مطبعة القديس بولس. ١٩٣٧. (الأجزاء الثلاثة).

٢ - أحمد بن محمد الخالدي الصفدي «لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني» (منشورات الجامعة اللبنانية).

بيروت ١٩٦٩. (رسم البستاني).

٣ - الدكتور فيليب حتي «تاريخ لبنان» منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر. ترجمة الدكتور أنيس فريجة. مراجعة الدكتور نقولا زيادة. دار الثقافة. بيروت. الطبعة الثانية آذار ١٩٧٢.

٤ - عيسى اسكندر المعلوف «تاريخ فخر الدين المعني الثاني» (جونية. مطبعة الرسالة اللبنانية. ١٩٣٤).

٥ - عزيز الأحذب، عميد ركن. «فخر الدين إن حكى» دار الكتاب اللبناني.

٦ - عزيز الأحذب، عميد ركن. «فخر الدين مؤسس لبنان الحديث» (دار الكتاب اللبناني).

٧ - دكتور عبد العزيز نوار: «دراسات في تاريخ لبنان الحديث». جامعة بيروت العربية. كلية الآداب. قسم

التاريخ والجغرافيا، السنة الرابعة.

٨ - «مجلة فخر الدين» وما يضاف بعد؟ إعداد المجلس الدرزي للبحوث والاعناء. جريدة «النهار» ١٩٧٧/١٠/٣٠.

٩ - ردّ محمد العريضي على الدكتور كمال الصليبي. جريدة «الزمان» العدد ٤٦٩٨ تاريخ ٨ آب ١٩٦٦.



# الجغرافية عند اصحاب الحضارات القديمة

وجهه عضاضة

لقد صور المصريون القدماء تلك الصورة الأسطورية بشكل يبين طريقة فصل السماء عن الأرض.

وصوروا إلهة السماء «نوت» تحيط بالسماء حاملة نفسها على يديها وقدميها. كما يجعل إله الأرض «كب» ممدداً على الأرض أما الإله «شو» فيقف في الوسط بعد أن رفع «نوت» على يديه. واعتقد المصريون القدماء كذلك بأن الإله «شو» ربما كانت تساعد في حمل السماء أعمدة أو جبال عند الأفق.

لقد تصور المصريون القدماء الكون على هيئة صندوق شكله متوسط بين البيضي والمستطيل. وأطول أبعاده يمتد بين الشمال والجنوب وأقصر أبعاده بين الشرق والغرب. وتكون الأرض (ومصر في وسطها) القاعدة المنبسطة أو المقعرة قليلاً لهذا الصندوق، بينما تكون سلاسل من الجبال جوانب الصندوق وأركانه وتكون السماء غطاءه. كذلك اعتقدوا بوجود نهر سماوي عظيم يجري على ارتفاع قريب من مستوى السلاسل الجبلية المحيطة. هذا النهر يجري حول الأرض باستمرار. وما النيل إلا فرع من هذا النهر السماوي يأخذ منه عند شلال عظيم يقع قريباً من ثنيته الجنوبية. ولهذا فإن الجنوب كان عند المصريين أهم جهة أصلية. وقد حددوا على أساسها بقية الجهات.

وقد تصوروا الشمس والقمر والكواكب آلهة تحملها قوارب تتحرك على ماء النهر السماوي

ولدت الجغرافيا كفرع من شجرة المعرفة الإنسانية في أرض الحضارات القديمة. وأخذت على مر الزمن تنمو وتتطور حتى اكتملت اليوم علماً ثابت الأصول قوي الأركان.

في المرحلة الأولى من هذه الدراسة نقسم المعرفة الجغرافية إلى ثلاثة أقسام:

أ : آراء ومعتقدات تتصل بشكل الأرض ومركزها من الكون.

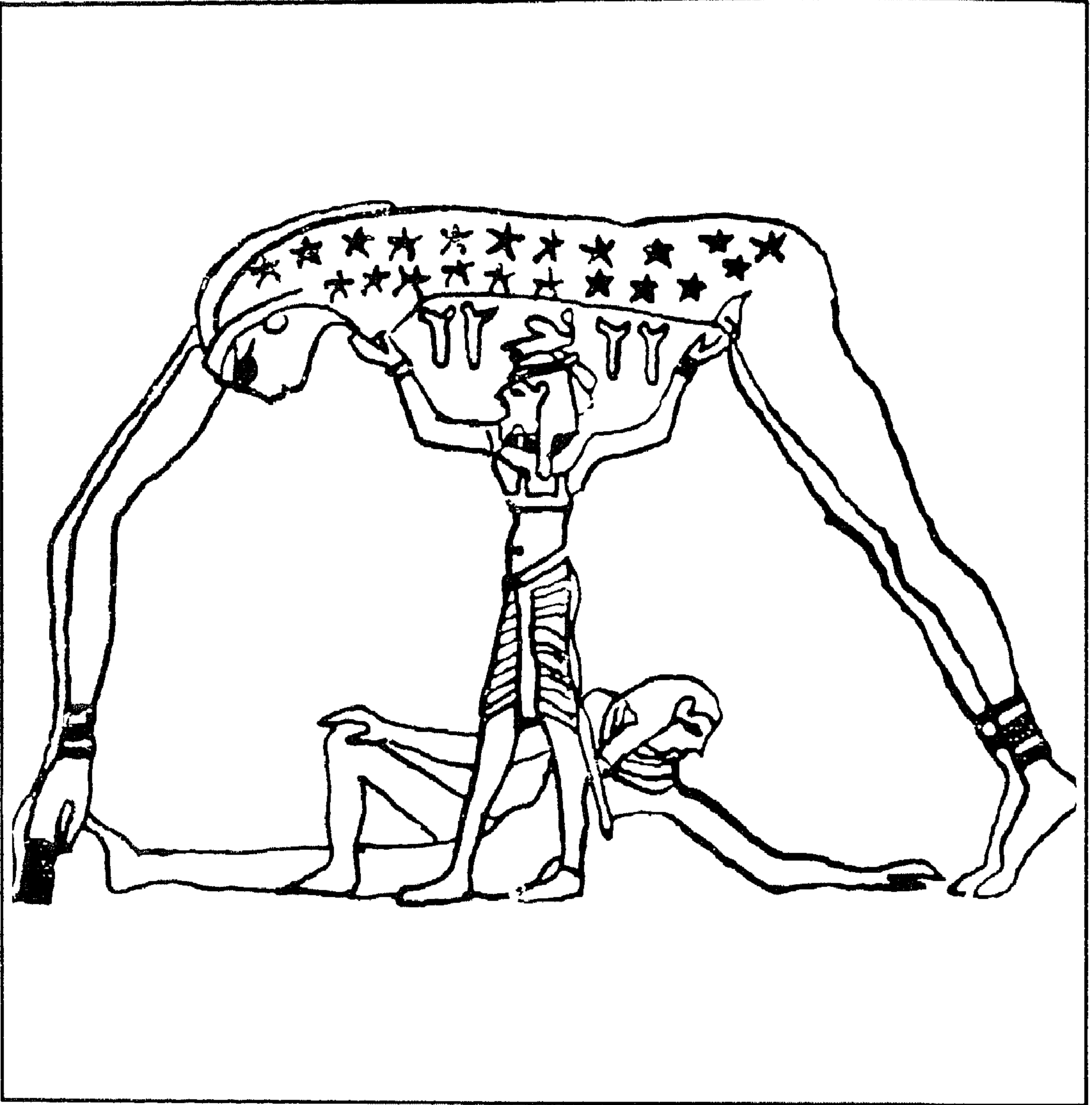
ب : معلومات عن العالم المعمور.

ج : معرفة بعمليات حساب الزمن وقياس الأرض والمحاولات الأولى لرسم الخرائط.

وهذا عرض للمعرفة الجغرافية وفقاً للتقسيم المشار إليه عند المصريين والسوريين والبابليين والفينيقيين والصينيين.

فما يتعلق بالخلق تقول نظرية المصريين القدماء بأن الأرض والسماء قد نشأ في المحيط الأزلي الذي يعتبر بداية لكل خلق. فمن ذلك المحيط أن إله الشمس الذي كانوا يعرفونه بإسم «أمون - رع» وُلد من زهرة «لوتس» كانت نامية على سطح المحيط، باعتبار أن الماء هو أساس كل شيء وأصل كل خلق. ثم ارتفع بارزاً من المحيط وقام بخلق إله الهواء «شو». ثم جعله يقوم بفصل اخته «نوت» (السماء) عن أخيه «كب» (الأرض) ..

وجهه عضاضة : مدرس مادة الاجتماعيات في المدارس التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية.



عقيدة قدماء المصريين في خلق العالم

منتصف كل شهر تنقض عليه خنزيرة لتزعه من صفحة السماء وتلقي به في النهر السماوي هناك؛ ينطفئ نوره ويختفي عدة أيام. كذلك كانت الكواكب آلهة تحملها قوارب تسبح في مياه النهر السماوي ولكن تختلف في اتجاهاتها وسرعاتها. أما النجوم فهي في ظنهم مصابيح تتدلى من قبة السماء الحديدية بواسطة حبال حديدية أيضاً.

أما عن إهتمام البابليين بخلق الكون فتحكي الأساطير أنه قبل معرفة السماء والأرض كان يوجد البحر والمحيط. وفي أسطورة بابلية أخرى نجد

بسرعات مختلفة. وعندما يكون القارب متجهاً من الشرق إلى الغرب ماراً بالجنوب يكون النهار. ويحتجب الضوء ويكون النهار عندما ينحدر القارب في رحلته من الغرب إلى الشرق ماراً بالقمة الشمالية. أما كسوف الشمس فقد فسّر بأن إله الشمس كان أحياناً يدخل في معركة مع ثعبان عظيم في النهر السماوي مما كان يمنع ضوءه من الوصول إلى الأرض. وكان تغير أوجه القمر في رأيهم يرجع إلى أن هذا الإله كان يموت ويولد من جديد ١٢ مرة في السنة. فعندما يصبح بدرًا في



اعتقاداً آخر مفاده أن الإله قهر تيامات الممثلة للقوة أو السلطة الأقدم للكون، قبل تكوينه أو ما يسمى «باهيولي». فُلِقَ هذا الإله إلى فلقتين كما تفلق صدفة السمكة. فكانت الفلقتان هما الأرض والسماء.

أما فيما يختص بالأرض فقد كانت معتقدات البابليين غير ناضجة:

فتقول أساطيرهم أن الأرض قفة<sup>(١)</sup> مقلوبة طافية على الأوقيانوس بمعنى أنها تشبه قبة محدبة ضخمة أو جبلاً هائلاً بارزاً من العمق الأزلي. كما أن آلهتهم تسكن فوق الجبل بل وتستقر الأرواح بعد مفارقة الأبدان في عالم سفلي خاص.

واعتقد البابليون كذلك بأن الأرض تتكون من سبع طبقات وبأن الشمس تختفي ليلاً خلف جبل في شمال الأرض.

ماذا عن معرفة القدماء بالعالم المعمور؟

كانت معرفة القدماء بالعالم المعمور تزداد بالغزوات الحربية وبنشاط التجارة وبالرغبة في الرحلة وكشف المجهول والتعرف على الشعوب الأخرى. هذه المعرفة كانت محدودة نسبياً تتخللها الأساطير والخيالات. وسبب ذلك هو ضعف وسائل التنقل والحركة وانعزال الحضارات. فقد عرف المصريون القدماء جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا عن طريق الغزوات والتجارة. كما هدفت رحلاتهم إلى سواحل البحر الأحمر للوصول إلى «الأرض المقدسة» بونت أي بلاد الهند، حيث يشرق إله الشمس.

أشهر الرحلات هذه تلك الرحلة التي أرسلتها الملكة حتشبسوت عام ١٥٠٠ ق.م. وكانت مكونة من خمس سفن.

وكان هدف هذه الرحلة هو جلب شجر البخور لكي تزين الملكة المصرية معبدها الجميل. تحذوها الرغبة في أن تجعل للإله «آمون» بونت أخرى في حديقة المعبد. وعادت السفن محملة

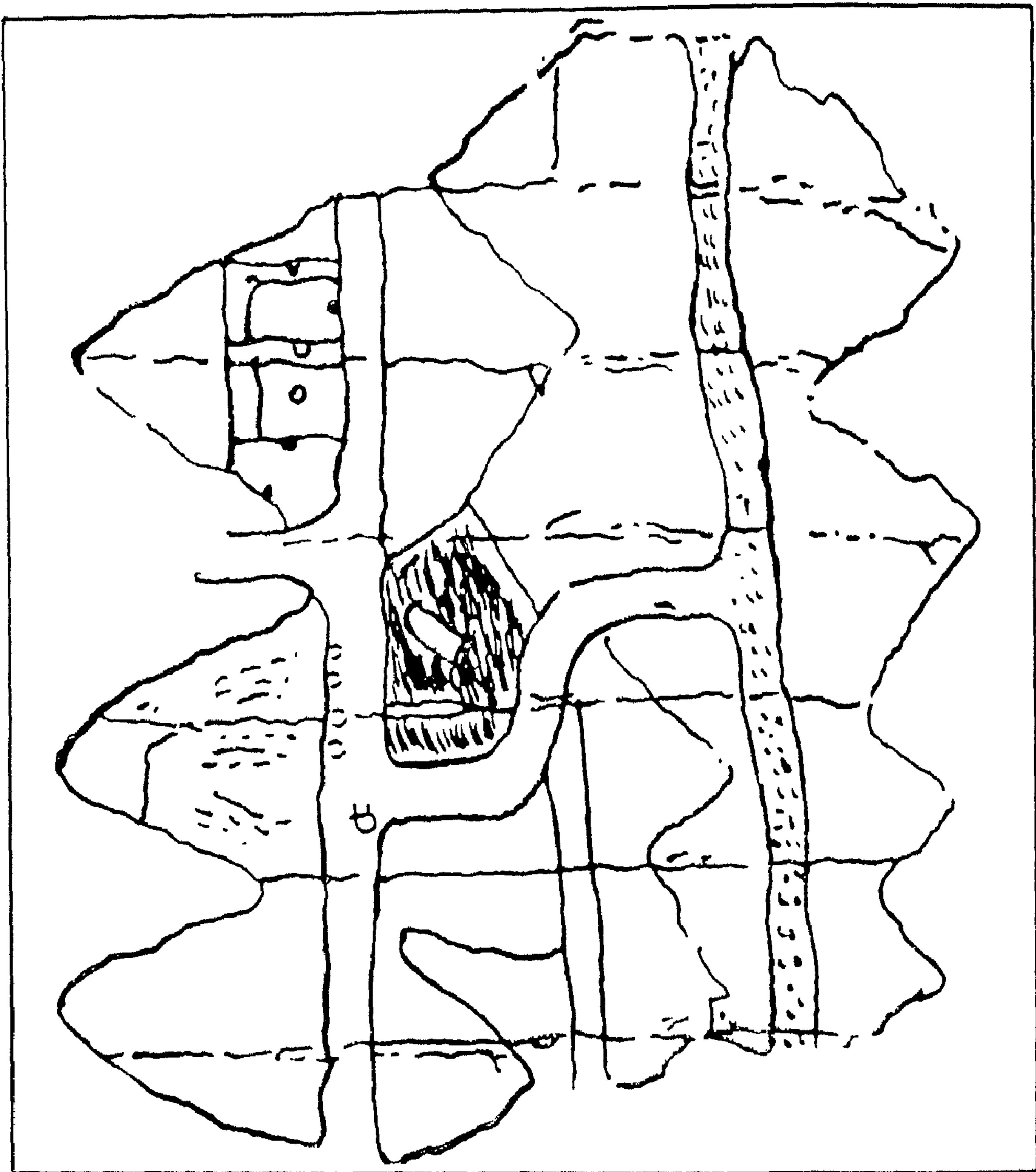
بعجائب بونت التي لم تجلب لأحد من الملوك السابقين. فمن ذلك، البخور والتوابل والأخشاب الثمينة والعاج والعبيد والبيغاوات...

كما توغل المصريون القدماء جنوباً عن طريق نهر النيل ودرب الأربعين إلى السودان. فتجمعت لديهم معلومات عن بعض الشعوب الأفريقية. وتحكي الأساطير أن هناك أقواماً من الناس ذوي صفات غاية في الغرابة: فمنهم من لا لسان له أوليست له قصبة أنف. ومنهم من له وجوه شبيهة بوجوه الكلاب، ومجموعة أخرى لكل فرد فيها عين واحدة في الصدر وليست في الرأس. كما امتدت غرائب قصصهم إلى عالم الحيوان أيضاً. فذكر مثلاً عن وجود حمير لها قرون. ووحوش ضارية ذات خطر شديد كالنعاين مثلاً.

ولقد وجه البابليون اهتماماً خاصاً إلى التعرف على بلاد فارس وبلاد حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي والجزيرة العربية ومصر. وذلك عن طريق التجارة والفتوحات ولذلك فقد اهتموا كثيراً بعلم الفلك لإرتباطه المباشر بالملاحة البحرية. كما بنوا لهذه الغاية سفناً أبحروا بها على طول سواحل البلدان المذكورة.

احتفظ الفينيقيون لأنفسهم بأسرار الطرق التجارية والمعارف الجغرافية حرصاً على مصادر بضائعهم ومنابع ثرواتهم وريختهم. وكان الفينيقيون يفضلون الموت على أن يبوحوا بأي من أسرار تلك الطرق التجارية في البحار. ومما يدون بصدد ذلك أن إحدى السفن الفينيقية تعقبها ذات مرة سفينة رومانية. فلما كان من السفينة الفينيقية إلا أن جنحت إلى أقرب ساحل وتوقفت تماماً عن الرحلة، إلى أن يئست السفينة الرومانية وابتعدت عنها.

وليس بغريب أن يكون الفينيقيون هم الذين ابتكروا القصص المخيفة عن أخطار ركوب البحر ليخلوا لهم المجال ويحتكروا التجارة البحرية وحدهم.



خريطة مصرية قديمة تبين الطرق الى مناجم الذهب

هرقل (مضيق جبل طارق). فقد كشف الفينيقيون سواحل أفريقيا الغربية وبنوا عليها محطاتهم التجارية. وكان الفينيقيون أول الشعوب التي اكتشفت هذه السواحل. وكانت قد ظلت مدة طويلة مجهولة تماماً. وقد تعرفوا على شعوبها القديمة كعناصر البربر في وادي دراع. وكذلك رأوا في شمال نهر أورو قطعاناً من القبيلة الوحشية. بينما

وقام الفينيقيون بتأسيس عدة مستعمرات لهم في حوض البحر المتوسط. فكان لهم مستعمرات في قبرص وصقلية وسردينية وكريت وغيرها. وكانت أعظم محطاتهم التجارية قرطاجة التي أسسوها عام ٨٠٠ ق.م. وتقع مكان مدينة تونس الحالية في شمال أفريقيا. أما عن الرحلات الفينيقية في المحيط الأطلسي والتي اجتازت فيها السفن الفينيقية أعمدة



هاجمتهم في السنغال شعوب بدائية تشبه إنسان العصر الحجري الحديث في ملبسه وسلاحه .  
وقد تعرّف الفينيقيون على تجار بلاد البحر البلطي وتبادلوا معهم الكهرمان . كما كان لهم علاقات إقتصادية بأهل إقليم كورنوال .

أما عن إهتمام الصينيين بالرحلات البحرية فيعود إلى تشجيع الملاحين العرب الذين كانت لهم خبرة واسعة بركوب البحر . فقد ورد في كتاب المسعودي أن أقدم رحلة صينية ترجع إلى النصف الأول من القرن الخامس الميلادي . وقد عبرت نهر الفرات عند الحيرة . فضلاً عن الحوليات الصينية التي اجتازت البحر من كانتون إلى الفرات كذلك قام الصينيون برحلات من سيلان ( سريلانكا ) إلى ساحل مالابار وعبروا أيضاً كامبي حتى وصلوا إلى ديو . وكان لهم إهتمام خاص بجزيرة سيلان لاغتناها البوذية .

وكان أول ما اهتم به الصينيون الكشف عن معالم العالم الآسيوي وقلب آسيا وبعض أقاليمها الواقعة إلى الشرق من جبال زاجروس .  
حساب الزمن والمساحات

أما عن الجانب الثالث من المعرفة الجغرافية وهو المتعلق بحساب الزمن والمسافة والتفكير في عمل الخرائط . فقد راقب قدماء المصريين ما في السماء من نجوم وحددوا مواقعها ورصدوا تحركاتها وقسموا السنة إلى ٣٦٥ يوماً وربع اليوم . وقسموا السنة إلى إثني عشر شهراً . وكانوا يقيسون الأرض الزراعية لتحديد الضرائب بواسطة حبل طوله مائة ذراع . كذلك توصل المصريون إلى حساب مساحة الشكل المربع والمثلث وتقدير حجم الشكل الهرمي .

أما الخرائط التي تركوها فهي توضح الطرق ومناجم الذهب في الصحراء الشرقية وتعود هذه الخرائط إلى الأسرة التاسعة عشر ( ١١٠٠ ق . م . ) وتوجد الآن محفوظة بمتحف تورينو ومرسومة على ورق البردي .

وبرع البابليون في علم الأرصاد الفلكية . رغم الأدوات البسيطة التي استعملوها لهذا الغرض . فقد استخدموا المزولة <sup>(٢)</sup> الشمسية .

كما عرفوا بعض النجوم القريبة من الشمس : عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل . ووضعوا تقويماً قرياً . وقسموا الشهر القمري بين ٢٩ و ٣٠ يوماً . وقاموا بتسجيل ظاهرة الخسوف والكسوف . إن أقدم الخرائط البابلية المحفوظة . موجودة حالياً في جامعة هارفارد الأميركية . وهي المعروفة باسم لوحة جاسور نظراً لأنها اكتشفت في مدينة جاسور . الواقعة شمالي بابل . ويرجع تاريخها إلى عام ٢٥٠٠ ق . م . وهذه الخريطة عبارة عن لوحة من الطين بعناها ٧ سم و ٩ سم تقريباً . عليها أحد الأنهار تحيط به رموز من الجانبين .

أما أهم الخرائط البابلية التي أثارت الانتباه والدهشة بشكل استثنائي . نظراً لأنها تكاد تكون إحدى العجائب والغرائب . فهي خريطة للعالم . وهي تعتبر تغييراً كبيراً في مفهومهم للعالم . وتعود تقريباً إلى القرن السادس قبل الميلاد . وهذه الخريطة تصور العالم على شكل قرص مستدير يحيط به البحر من جميع الجهات .

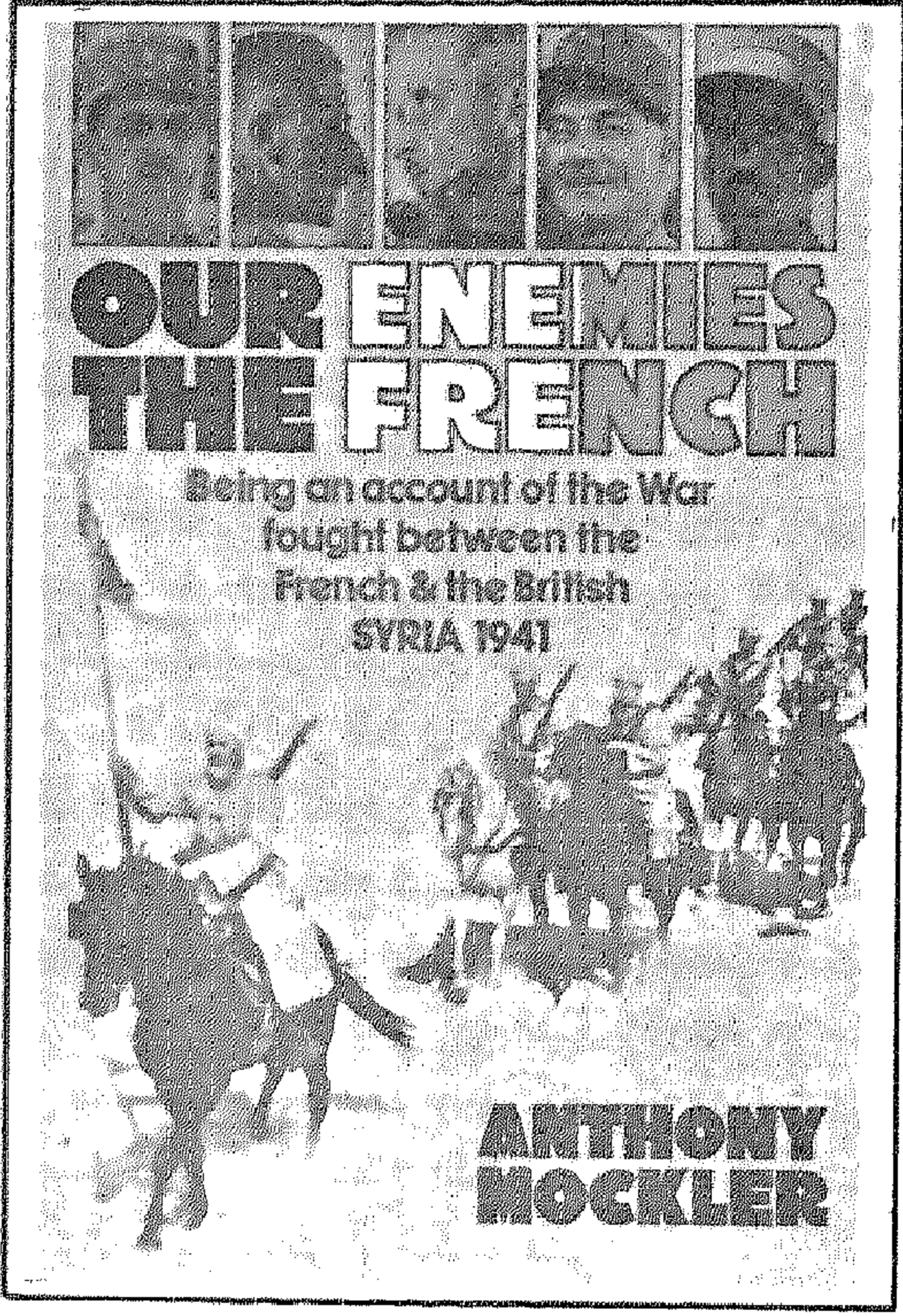
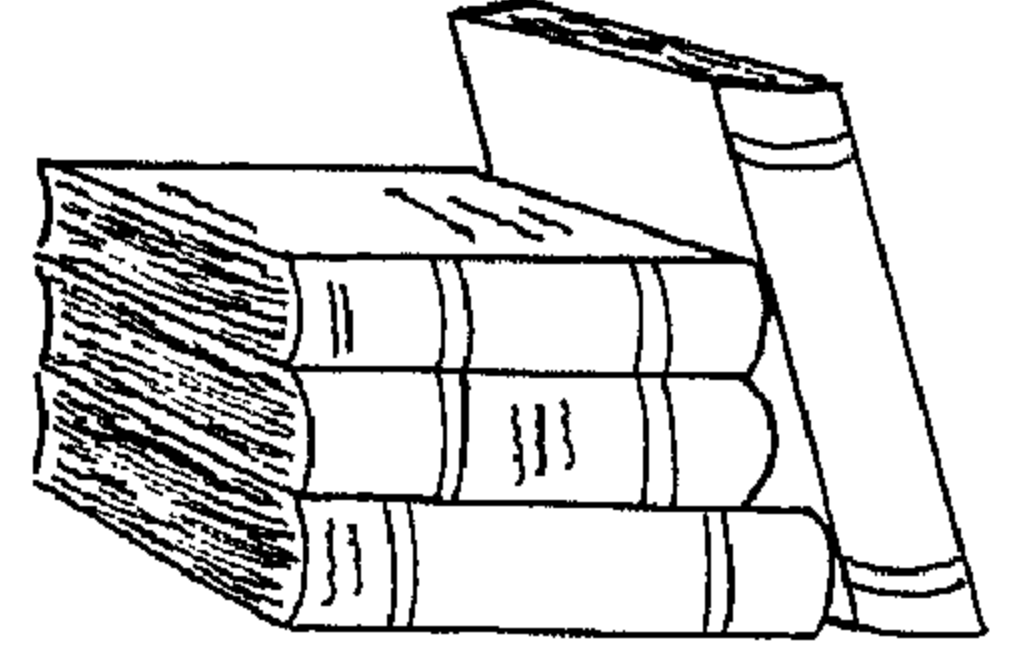
أما عن إهتمام الفينيقيين بالنجوم فقد استخدموها للسفر ومعرفة طريقهم في البحر ليلاً . وكذلك الصينيون . فالتقويم الفلكي معروف عندهم منذ زمن طويل . أما الخرائط فقد اهتموا بها بعض الشيء وإن كانت لا تستند إلى أسس علمية . لكنها كانت ضرورية لقياس الأرض الزراعية وتحديد الضريبة ومصادر المياه . وكانت تبين المناطق المرتفعة عن المناطق المنخفضة . كما تبين الاتجاهات والانحناءات .

(١) « القفة » قارب مستدير الشكل كان يصنع من نبات

الحلفا والبردي ثم يُطلى بالقار وكان هذا النوع من القوارب يستعمل في بلاد ما بين النهرين منذ أقدم العصور .

٢ - قضيب بنظام خاص يقيس بالظل زاوية الشمس .

عرض كتاب



## أعداؤنا الفرنسيون

تقرير عن الحرب  
بين الفرنسيين  
والانكليز  
في سوريا

تأليف : أنثوني موكلر  
عرض : عايدہ نعمان

ثانياً : في المنطقة حينذاك كانت هناك ثلاث قوى وهي تركيا وفرنسا وانكلترا . وكانت هذه القوى على وفاق تام على اقتسام مغانم المنطقة بحيث لم يكن للامان أو لأية فئة ثورية عربية من حظ في إحداث أي تغيير يذكر .

ثالثاً : مهما صغرت أو كبرت التناقضات بين القوى الثلاث المذكورة كانت مجمعة بل مصممة على منع المانيا أو حليفها ايطاليا من تعكير التوازن الحاصل في الدول العربية .

في الرابع عشر من حزيران ١٩٤٠ . وبينما كان المارشال بيتان يعلن هزيمة فرنسا واستسلامها كان السفير البولوني في أنقرة يسر في أذن السفير البريطاني : « لماذا لا تتحرك قواتكم وتحتل سوريا ؟ » ولم يكن اقتراح السفير البولوني مجرد مصادفة إذ في حمص كانت هناك قوة بولونية من أربعة آلاف رجل ممن افلتوا من مذابح الامان في بولونيا لتسعة أشهر خلت . هذه القوة لم يكن ليشير

■ يعرف المؤلف كتابه في المقدمة بقوله انه مجرد تاريخ عسكري لحرب وقعت من أجل السيطرة على سوريا في عام ١٩٤١ وانه لا يختلف عن غيره من كتب التاريخ العسكري بكل ما تتميز به من تفاصيل . سوى ان المتحاربين كانوا في شك دائم انهم لا يحاربون عدوهم الحقيقي . يستثني من ذلك فوزي القاوقجي ورجاله الذين كانوا يدركون انه لا بد لهم من محاربة الانكليز ويدركون أيضاً لماذا يحاربونهم .

ينطلق المؤلف من قناعات اساسية كما يذكر وهي انه رغم شدة التداخل والتشابك في أحداث الشرق الادنى حينذاك هناك ثوابت لا يمكن تجاهلها وهي :  
أولاً : ان الامة العربية وحدت فعلاً كوحدة سياسية وثقافية . وما كان يحل في جزء منها كان يؤثر في الجزء الآخر .

عايدہ سلام عمان . نالت ب .ع . أدب عربي من كلية بيروت لسانات . وماحستر علم المكتبات من جامعة ميسيسا .

الولايات المتحدة الأمريكية . درست علم المكتبات في كل من الجامعة اللبنانية . كلية الاعلام والتوثيق . وكلية بيروت الجامعة حالياً . رئيسة قسم الاعارة في مكتبة بافت . الجامعة الأمريكية في بيروت .



حماسها أكثر من دعم أي تحرك انكليزي يبعد شبح المانيا عن الشرق. أما الانكليز فكانوا يتساءلون إذا ما كانت هزيمة فرنسا ستعني حكماً سقوط مناطق نفوذها تبعاً بيد الالمان. بل كانوا يتساءلون أكثر من ذلك : لماذا لا تسقط هذه المناطق تحت نفوذهم هم ، وخاصة تلك المتاخمة لمناطق وجودهم ، بل من أحق منهم في وراثة حلفاء الأمم وخاصة في سوريا ولبنان وجيشهم على بعد أميال في فلسطين أو بعض مناطق العراق؟.

سوريا أصبحت فجأة في الواجهة وكأنها امتداد لخطوط النار في أوروبا. الصراع حولها ليس فقط بين الانكليز والفرنسيين ولكن بين الفرنسيين أنفسهم بما يشبه الحرب الاهلية ولكن فقط في صفوف الجيش. من بيروت كان الجنرال دانتز المفوض السامي الفرنسي وممثل حكومة فيشي يحاول ما استطاع تثبيت سيطرته على سوريا لدعم حكومة فيشي بينما اعتبر الجنرال ديغول ان محالفة الانكليز في حرب ضد قوات فيشي في الشرق الاوسط هو جزء من قتاله ضد المانيا. لذلك أرسل بكاترو الى الشرق لينظم الحملة وليشق ما استطاع القوات الفرنسية التي كانت ما تزال تدين لدانتز أو لحكومة فيشي.

في هذا الوقت كان راديو برلين يغدق الوعود على العرب «إذا نجح المحور في الحرب فسوف تنشأ أمة عربية حرة يكون لبنان وفلسطين جزئين منها ولن يكون هناك وطن لليهود. ولم تكن هذه الدعوة لتذهب هباءً إذ كتب الحاج أمين الحسيني إلى هتلر في عام ١٩٤١ يقول : «يا صاحب السعادة ،

ان بريطانيا ذلك العدو الظالم والخبيث ، العدو الحقيقي لتحرر العرب . لا تكل عن صنع الاغلال لاستعباد الشعب العربي واذلاله».

وختم رسالته بتمني النصر السريع لهتلر ولجيوش المحور ! يقول المؤلف ان هذه المشاعر لم تكف وقفاً على الحاج أمين الحسيني في تلك الفترة وانما كانت مشاعر معظم العرب التواقين الى الحرية وغير القادرين على التعبير عنها.

في حين راجت شائعات ان الالمان سيتوجهون الى الشرق . أبوق الجنرال دانتز الى حكومة فيشي يقول : «انني الآن في مواجهة تهديد ديغولي - انكليزي . وما لم أظهر انني اذافع عن فرنسا ولست بصدد دعم أو عدااء للالمان . ما لم أظهر بهذا المظهر فسيكون مصيرنا الانهيار».

ولكن كانت ردّة فعل ديغول برفية أرسل بها إلى الجنرال كاترو يقول ان السرعة وحدها تقرر مدى نجاح أو فشل الحملة الى دمشق. يجب أن تزحف توا الى دمشق . حتى ولو بلواء واحد. ان ما يستتبعه ذلك من الوقع النفسي سيضمن النتائج.

وبالفعل بدأ الفرنسيون الاحرار زحفهم على سوريا ولبنان وكذلك الانكليز الذين لم يكن ليعيق تقدمهم نحو تدمير إلا الهجمات الخاطفة الآتية في جناح الظلام من الصحراء بقيادة فوزي القاوقجي الذي كان الانكليز يجدون في البحث عنه لاعتقاله ايماً وجد.

كانت الحرب حينذاك تبدو وكأنها حرب الجميع إلا أهل المنطقة بالذات. كان الانكليز يحاربون بفرق من كل لون وجنس من جميع مستعمراتهم. وكان هناك السنغاليون والشركس وقوات فرنسية. من شمال افريقيا. وكان الانكليز يحاربون بالاوستراليين وبفرق من الهند والبنجاب وغيرها. حتى ان أحد الضباط الفرنسيين صرخ بزميل انكليزي بعد إحدى المعارك «ان هنودكم لحقا رائعون».

اللبنانيون والسوريون كانوا يرقبون عن بعد. لم تكن الحرب لتعنيهم. الانكليز يحاولون توسيع سلطتهم لتشمل الهلال الخصيب الفرنسيون بحريهم هنا يوفرون على أنفسهم حرباً أهلية غير ممكنة بوجود الالمان المنتصرين. كان الاهالي فقط يودون انتهاء الحرب وعودة السلم بصرف النظر عن النتائج. إذ حين ضرب الانكليز قصر الصنوبر مقر القيادة الفرنسية أرسل دانتز الى فيشي يقول : «لقد هدم مقرّي. كذلك ضربت بيروت بالمدفعية دون سبب سوى إثارة المواطنين ضدي. انهم على كل حال يدعوني بالجزار ويجدون مقاومتي ضرباً من السخرية».

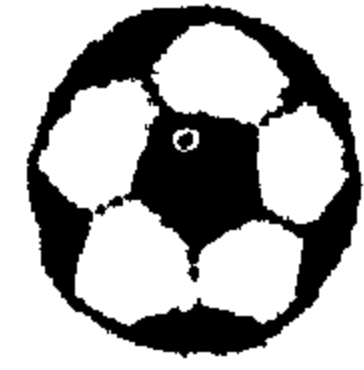
لم تكن الحرب حرب اللبنانيين ولا السوريين. لم تكن من أجل سوريا أو لبنان ، إذ حين انجلت عن انتصار الانكليز والديغوليين ، دفنت جثث ثمانمائة فرنسي قتلوا في معارك بعضهم مع البعض ، دفنت كلها معاً في مقبرة الفرنسيين في دمشق وكتب فوقها جميعاً «ماتوا من أجل فرنسا».

المرجع

“Our ennemies the French”  
by Antony Mockler, London  
Leo Cooper, 1974

# تاريخ كأس العالم لكرة القدم

## إيطاليا رعت بطولة ١٩٣٤ التي انتصر فيها... موسوليني

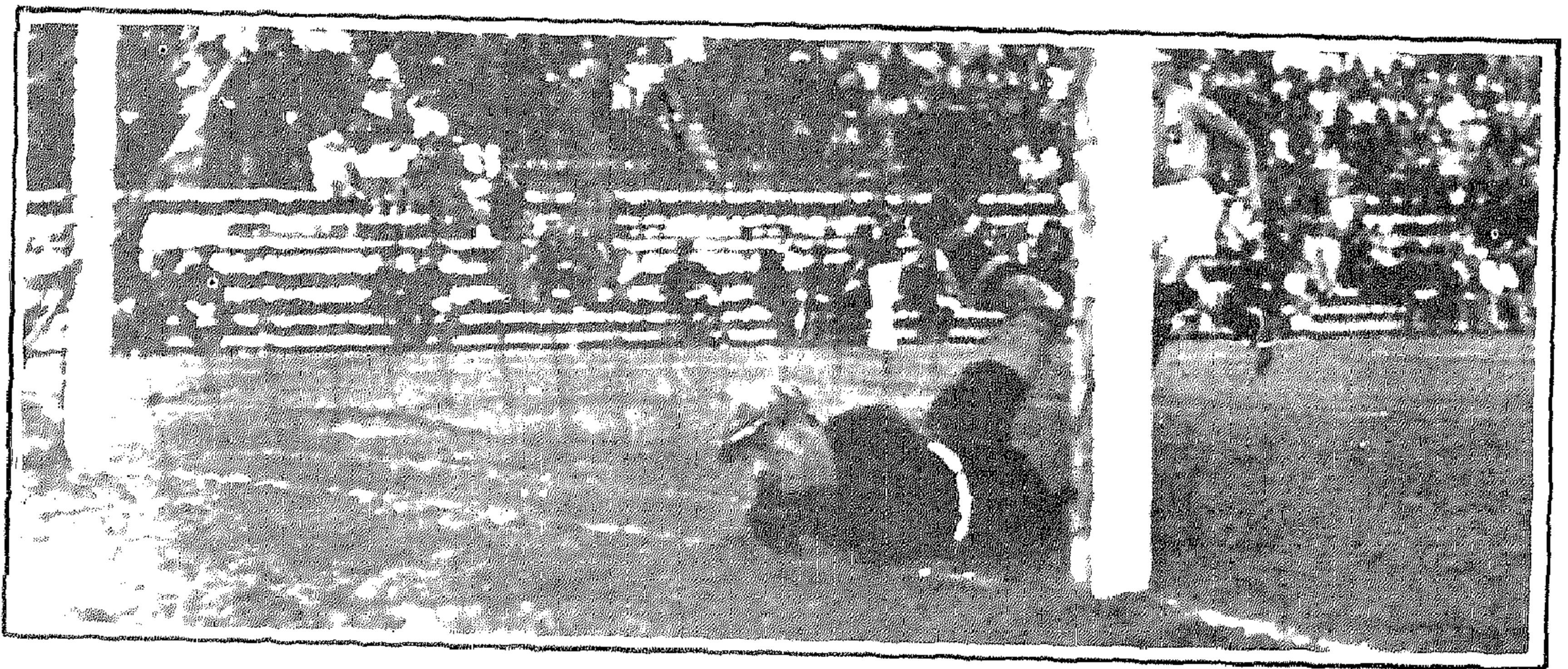


وفيقه علم الدين

البطولة كان هناك ٤ دول غير اوروبية : امريكا والبرازيل والارجنتين ومصر. وكانت الفرق الاوروبية بلا منازع من اقوى المنتخبات الدولية يومها ، نذكر خصوصاً فريق النمسا الذي كان المرشح للفوز لكنه فشل.

في الدور نصف النهائي تنافست تشيكوسلوفاكيا مع المانيا ، وايطاليا مع النمسا. وكانت هذه الفرق الاربعة تشكل حينها اقوى المنتخبات الاوروبية. وكما رجحت التقديرات فان المانيا هزمت النمسا (٣-٢) ، ووصل فريقا تشيكوسلوفاكيا وايطاليا الى الدور النهائي للبطولة ، والانظار تتجه كلها نحو الفريق التشيكوسلوفاكي الذي هزم المانيا (٣-١) بينما ايطاليا لم تحرز النصر على النمسا الا بهدف ينم.

جرت بطولة كأس العالم الثانية لكرة القدم في روما في العام ١٩٣٤ بتشجيع شخصي من موسوليني الذي امر بتجهيز المنشآت الرياضية لاستقبال فرق العالم في الادوار النهائية من البطولة. كان «الدوتشي» يريد استغلال هذه المناسبة الرياضية الدولية - تماماً كما سيفعل رفيق دربه هتلر بالنسبة الى الالعاب الاولمبية في العام ١٩٣٦ - في محاولة لفك عزلة بلاده المتزايدة وسط طبول الحرب التي كانت تسمع أصداؤها في انحاء عديدة من اوروبا ، خصوصاً بعد استلام هتلر السلطة في المانيا في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٣. تميزت البطولة الثانية لكرة القدم بطابعها الاوروبي ان لجهة مستوى الفرق الوطنية المشاركة او لجهة عددها : فمن اصل ١٦ دولة اشتركت في



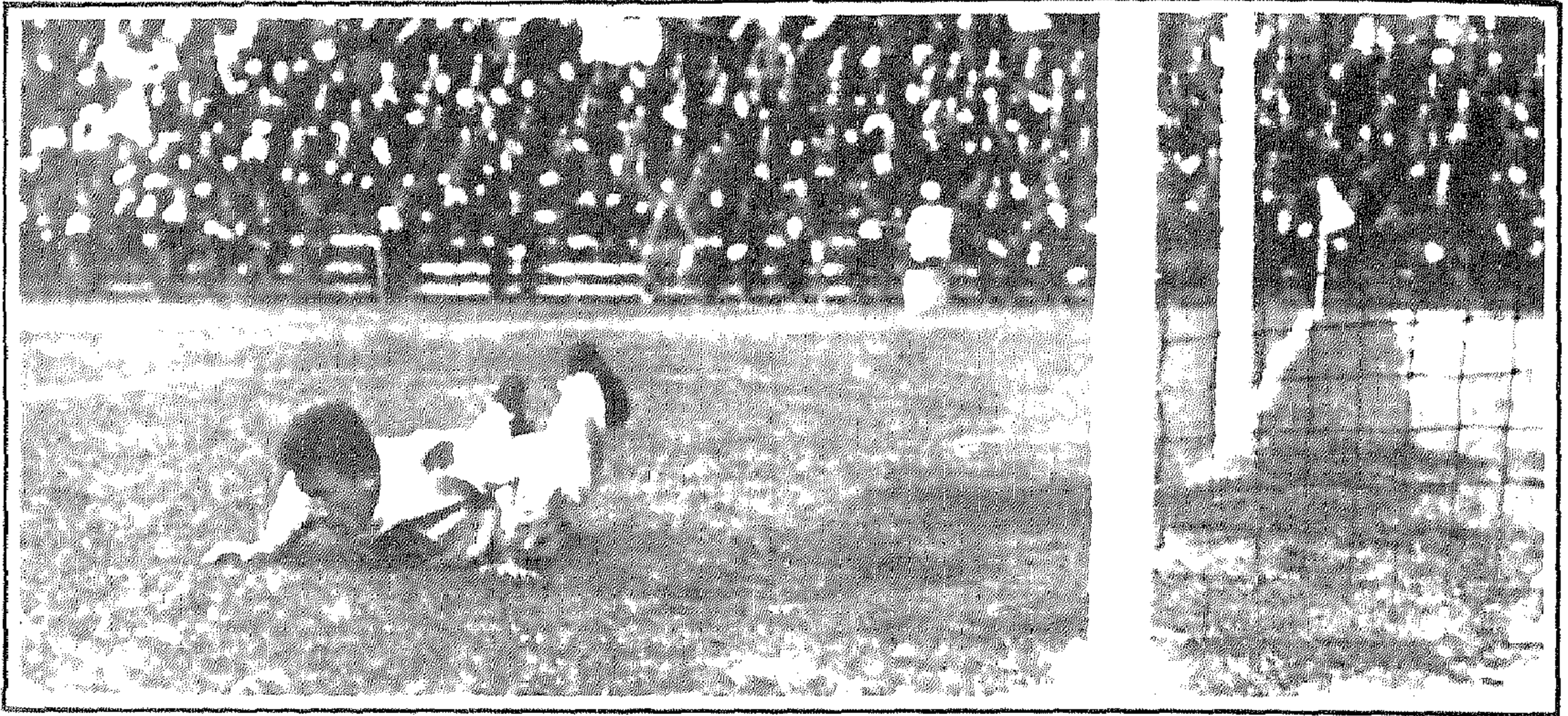
- حارس المرمى الايطالي (وكابتن الفريق أيضاً) كومي . يعجز عن صد كرة من اللاعب التشيكي بوتش . وهكذا يتم تسجيل أول أهداف المباراة . فيطير صواب الجمهور الايطالي.





- ربح إيطاليا كأس العالم في روما. رد فعل اللاعبين الإيطاليين الأول كان الهجوم على استاذهم فيتوريو بوتزو لحملة على الأكتاف. هذا المهندس القديم الذي أنهى حياته العملية صحافياً. استطاع أن ينقل عدوى الحماسة والتفاني إلى لاعبيه. وأبرزهم مونزيليو الظهر الأيمن وبرتوليني لاعب الوسط الأيسر. ومونتي قلب الهجوم (من اليسار إلى اليمين). مونتي كان قد لعب قبل أربع سنوات في المركز ذاته. ولكن ضمن فريق الأرجنتين في نهائي كأس العالم في مونتيفيديو.





- بلانيسكا . حارس مرمى تشيكوسلوفاكيا ( وكابتن الفريق أيضاً هو الآخر ) لحظة تسجيل أحد هدي المباراة التاريخية . وقد سجل لايطاليا أورسي وشيافو .

إذ تساءل المراقبون يومها كيف استطاع الفريق المهزوم ان يبق محافظاً على هدوئه ورباطة جأشه امام خشونة الايطاليين غير المعهودة .

المهم النتيجة : فايطاليا رجحت وزعيمها الفاشي ربح أيضاً على طريقته الخاصة . وبقي في الظل الرابع الأكبر وهو «عراب» الفريق الايطالي : المهندس سابقاً والصحافي لاحقاً فيتوريو بوتزو . وليس صدفة . كما لاحظ الآف المشاهدين ، ان يلتف اللاعبون الايطاليون حول عرابهم ويحملوه على الاكتاف فور انتهاء المباراة . فهو كان حاضراً معهم بتوجيهاته وبنصائحه في كل دقيقة من دقائق المباراة . وخصوصاً خلال الشوط الثاني حين كانت اعصاب اللاعبين الايطاليين مشدودة الى أقصى مداها . اما العراب الكبير . موسوليني . فكانت له حساباته الخاصة : اذ بعد ايام قليلة من البطولة ( ١٤-١٥ حزيران - يونيو - ) سيستقبل هتلر للتخطيط سوية من أجل اشعال الحرب مستثمرا افضل استثمار استضافته لبطولة كأس العالم لكرة القدم . أكثر الالعاب الرياضية دعوة للوفاق بين الدول والشعوب

في العاشر من حزيران ( يونيو ) ١٩٣٤ بدأت الساعة عدّها العكسي بين الفريق التشيكوسلوفاكي هادئ الأعصاب والواثق من نفسه . والفريق الايطالي المضطرب والذي كان يشعر بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه وهو الذي يلعب على ملعبه ولا يمثل ايطاليا فقط ولكن خصوصاً «الدوتشي» . خلال الشوط الاول من المباراة تعادل الفريقان . لكن الايطاليين شعروا بأنهم هم الخاسرون . فازدادت شرastهم في الشوط الثاني الى درجة ان موسوليني اضطر للتدخل شخصياً بواسطة مبعوث خاص لدعوتهم الى التخفيف من خشونتهم ذلك هو افضل سبيل للفوز بكرامة .

في الدقيقة ٦٩ من المباراة سجلت تشيكوسلوفاكيا الهدف الأول . فالتهب الملعب بمشاهديه ال ٥٥ ألفاً وكادت الروح الفاشية النائمة في لا وعي الايطاليين يومها ان تستيقظ لولا هدف التعادل الذي سجلته ايطاليا بعد دقائق قليلة . ولم تسجل ايطاليا هدف الفوز الا بعد تمديد المباراة ، اي في الدقيقة ٩٥ .

المفاجأة لم تكن في فوز ايطاليا فحسب بقدر ما كانت ايضاً في كيفية هزيمة تشيكوسلوفاكيا .



# البرج الفلكية

## برج الحوت

٢. شباط (فبراير) - ٢١ آذار (مارس)

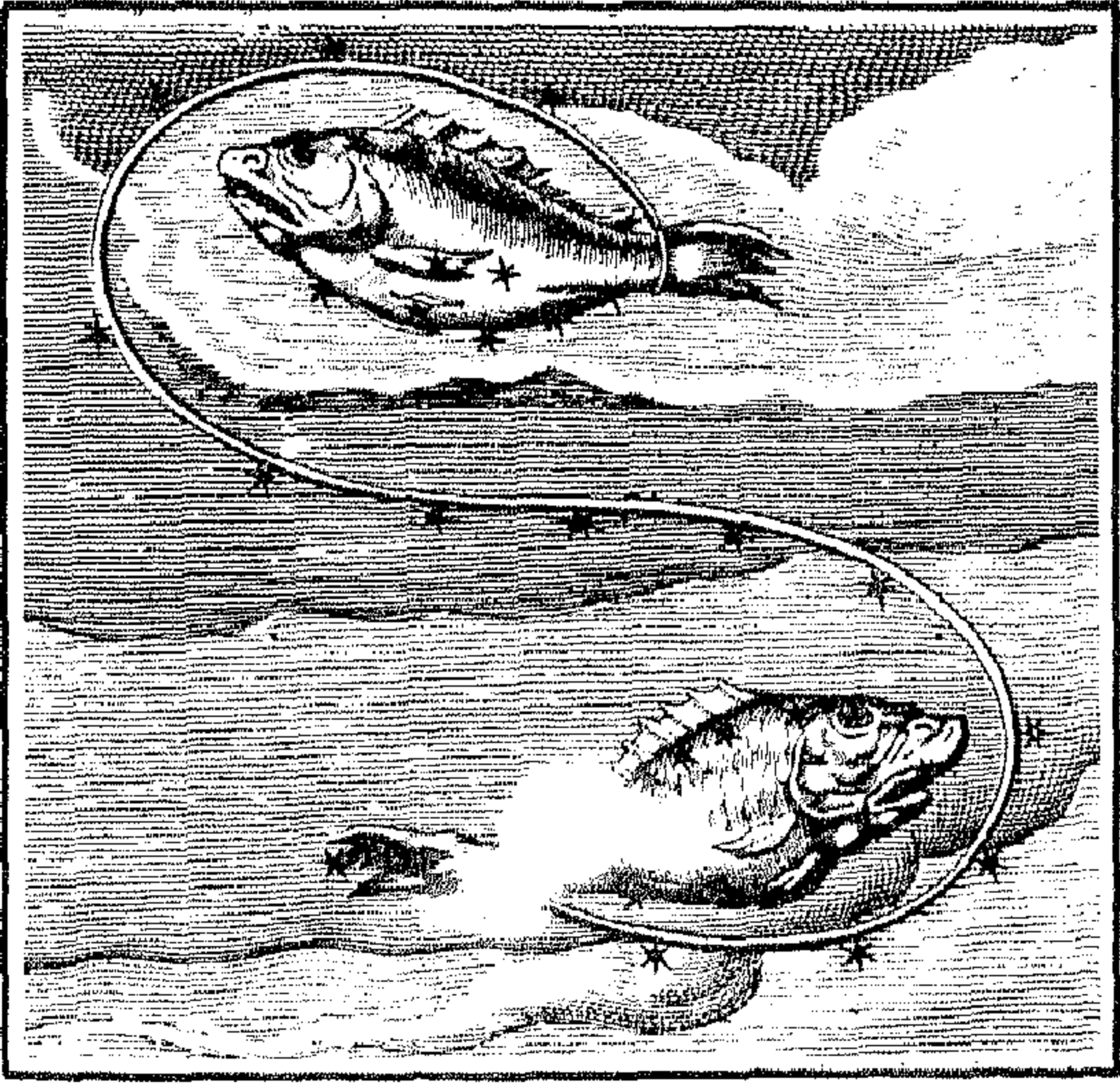
منى التنير

بغض النظر عن الطابع العلمي أو الاسطوري الذي تتخذه المعتقدات الفلكية في أذهان الناس . فان فيها مقداراً من العلم . كانت للعلماء العرب حصة فيه . أمثال عبد الرحمن الصوفي الرازي وأبي الريحاني البيروني .

ولقد كان « لعلم التنجيم » بداية وتطور . حتى وصل إلينا . وكان لكل برج من البروج قصة وتاريخ . وفي ما يلي تاريخ برج الحوت :

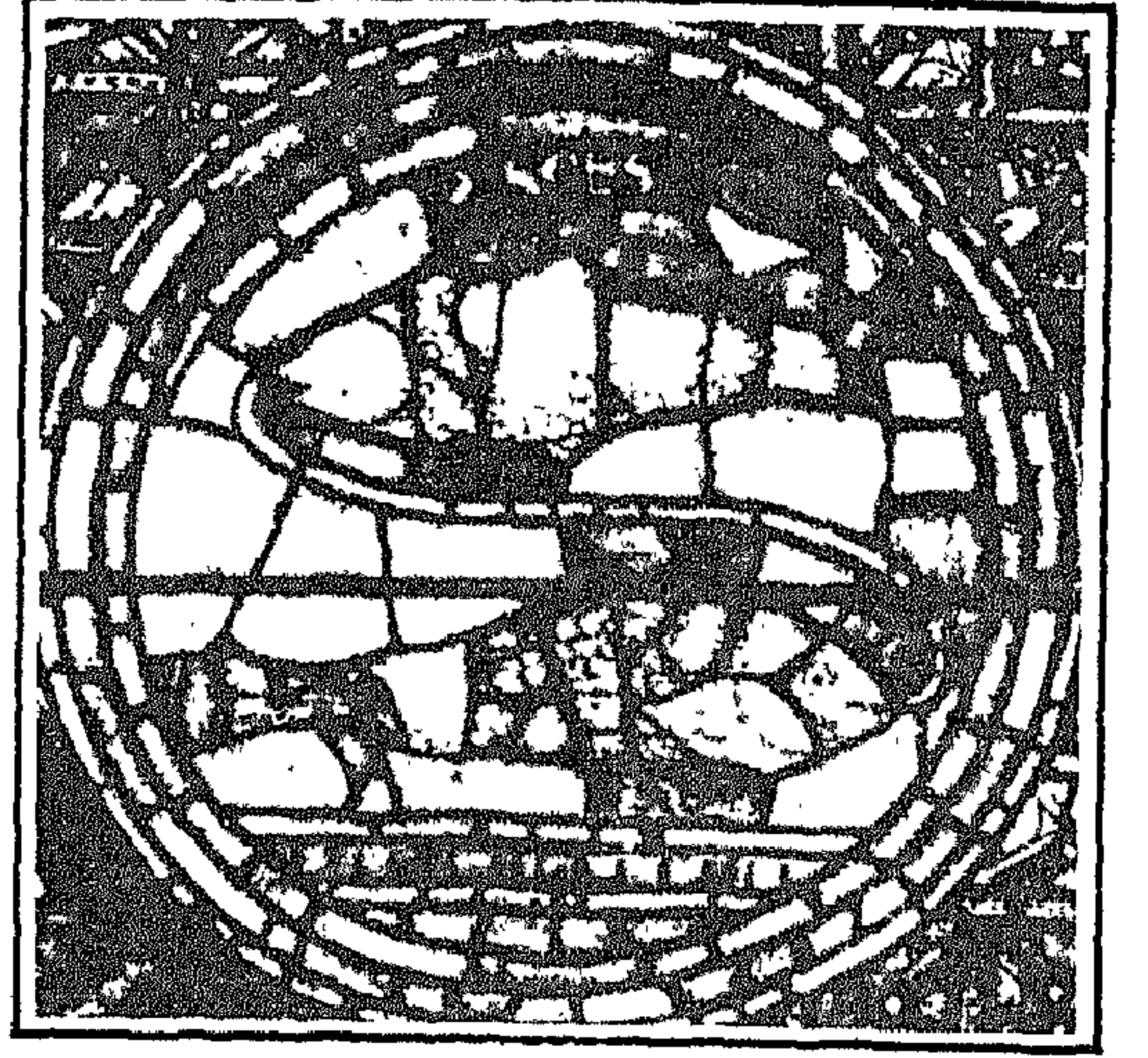
يرمز الى برج الحوت بصورة « السمكتين » وذلك استناداً الى اسطورة يونانية قديمة تفيد ان فينوس ، آلهة الحب ، وكوبيدون ، إله الحب ، تحولاً الى سمكتين هربتا من الاعاصير المدمرة . فأخذتهما مينيرفا ، آلهة الحكمة ، الى السماء تخليداً لهروبهما . ومنذ القدم اتفق البابليون واليونانيون والسوريون والفرس على وصف هذا البرج ببرج السمكتين . اما الفراعنة فانهم رمزوا اليه برمز بلدة « اسنا » . استناداً الى ابحاث العلماء فان برج الحوت له تأثير مباشر في ناحية محددة من الجسم البشري هي القدم .

يمتاز مواليد هذا البرج بحس مرهف وبطبع رقيق . وهم يخضعون بسهولة لتأثير الغير . انهم دائماً قلقون يعترهم الخوف من شيء مجهول الى درجة انهم يندمجون مع الغير فيفقدون شخصيتهم المميزة ويظهرون وكأن لا رأي لهم . انهم يهربون دائماً من



رسم لبرج الحوت نقلاً عن الاسطورة اليونانية .

مشاكلهم الخاصة ويجدون لذة في الانزواء عن المجتمع . وهذا ما يدفع البعض الى اعتبارهم



صورة لبرج الحوت على زجاج ملون في احدى الكنائس .

جنباء . ان حياتهم الخاصة تشبه الى حد كبير حياة السمك . ومع ذلك يمكنهم ان يعيشوا حياة هائلة راغدة بلا هموم وبلا صعوبات مادية تذكر . اذا ما انساقوا الى حسهم المرهف ووجهوه وجهة بناءة . انهم عاطفيون أكثر من كونهم عقلانيين لذلك فهم رومانطيقيون مخلصون ويعرفون كيف يكون العشق الحقيقي .

بين الشخصيات العالمية المشهورة في التاريخ القديم والحديث والتي ولدت في برج الحوت نذكر : - الموسيقار البولوني فريدريك شوبان - العالم الالماني البيرت اينشتاين - الكاتب الفرنسي فيكتور هوغو - الرئيس الاميركي - جيمس ماديسون - الفنان الايطالي مايكل انجلو - الرسام الفرنسي اوغست رونوار - الكاتب الاميركي جون شتاينك - الممثلة الاميركية اليزابيث تايلور - اول رئيس اميركي جورج واشنطن .

## تاريخ العرب والعالم

### قيمة اشتراك

إقطع هذه القيمة وأرسلها مرفقة بقيمة الاشتراك بإسم مجلة تاريخ العرب والعالم إلى العنوان التالي :  
شارع السكّادات - بناية أبو هليل - ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان

الاسم الكامل : \_\_\_\_\_  
العنوان : \_\_\_\_\_  
المدينة : \_\_\_\_\_  
الامضاء : \_\_\_\_\_

أرفق اشتراكي : ☐ شك ☐ شك بريدي ☐ حوالة بريديّة  
اشتراك لمدة : ☐ سنة (١٢ عدد)





# خسر الملك فيليب كل جولاته فهرب منافسه خوفاً !

يكتبها محمد مراد حكر

رئيس الاتحاد اللبناني للشطرنج  
الامين العام للاتحاد العربي للشطرنج

السطح المقابل فليس فيه سوى ١٢ خانة تشكل  
مربعاً في إحدى الزوايا حيث القطر يضيف خانات  
ثمانية أخرى. للعبة هذه جارور صغير يحوي قطعاً  
مختلفة بألوان مختلفة تشبه قليلاً البيزوس  
( Pessos ) ومما يدعى  
( Latruncules ) .

هذا الوصف كتبه السيد  
( Prisse d'Avesne ) في مقاله عن مجموعة  
القطع القديمة المصرية في القاهرة والمنشور في مجلة  
( Archeologique ) لصاحبها ( Leleux )  
سنة ١٨٤٦ م .

يرى الكاتب ان اللعبة هذه تشبه الداما وقد  
تكون فرعاً منها ، وقطعها تشبه قطع الداما الملعبه  
كثيراً في الشرق .

ويضيف عالم الآثار هذا ، ان الداما المصرية  
هذه تختلف قليلاً عما هو معروف في أوروبا ( في  
ذلك الحين ) وهي تعتبر نموذجاً لألعاب شبيهة عند  
اليونانيين وعند الرومان .

وقد نشر السيد ( Doazan ) في باريس  
سنة ١٨٦٠ تحت عنوان حلم : لدينا في متاحفنا  
علب الشطرنج من خشب ومن فخار ، وبيادق من

مصر :

يقول ابن عزة في قصيدته العبرية عن  
الشطرنج : ان موسى عليه السلام هو الذي اخترع  
الشطرنج في بلاط القراعنة . وهو قول لم يتطرق  
اليه أحد من المؤرخين لذلك نذكره بكل تحفظ  
لأننا لم نلق له أي مؤيد فيما قرأنا من كتب حول  
هذا الموضوع .

لقد كان للمصريين لعبة مليئة بالخطط .  
تبدو قديمة جداً ومنتشرة بين الشعب المصري القديم  
وترى واضحة في الرسوم الهيروغليفية القديمة مع  
صورة اسرتاسن الأول  
OSORTASEN Premier وفي جناح رمسيس  
Ramses — Meïamoun في مدينة حبو  
( Habou ) هذه اللوحة تمثل فرعون يلعب هذه  
اللعبة مع إحدى زوجاته .

هذه الصورة مأخوذة دائماً من الجانب دون  
أن يظهر عمق الصورة ، ويصعب على المشاهد  
رؤية الرقعة ، شكلها وعدد خاناتها . هذه الرقعة  
المصرية ، كما ترى في متحف اللوفر ، تشبه علبة  
طولها ٢٨ سنتيمتراً تقريباً وعرضها ٧ سنتيمترات ،  
منحوتة من الجهتين ولها خانات تشبه خانات  
الشطرنج . سطح العلبة مقطع إلى ثلاثين خانة أما

يوماً تحت قناع وذهبت تتحدى القسيس الذي قبل التحدي . دون أن يحاول اكتشاف المتحدي . وما لبث القسيس ان خسر بسرعة ولأول مرة بهذا الشكل ، فانسحب إلى الدير بعد أن ساءته هذه الخسارة وأثرت في معنوياته . ولما طالت غيبته حوالي ستة أشهر ذهبت مينيت إليه لتعلمه ان المتحدي لم يكن أحداً سواها .

لوسانا ( Lucena ) ، كاتب اسباني ( لم يذكر اسمه الأول ) حوالي ١٤٩٥ كتب في الشطرنج ٨٧ صفحة يعلم فيها فنون الشطرنج ناشراً ١٥٠ وضعاً مختلفاً يشرح فيها كيفية متابعة اللعبة لربح الجولة .

ويقول وولكر ان داميانو أخذ من هذا الكتاب ١٢٠ نهاية جولة . هذا الكتاب لم يترجم ولكنه يحوي نهايات جولات جميلة مع قليل من الملح ( بضم الميم وفتح اللام ) فهو يقول مثلاً : اذا لعبت مساء على ضوء قنديل واحد . ضعه من جهة يدك اليسرى لأن ذلك لن يزعج نظرك ، في النهار ، ضع خصمك بمواجهة النور فذلك سيعطيك أفضلية الخ ...

وهذا كان أول كتاب نرى سير القطع فيه يشبه سير القطع اليوم مما يدل على ان تعديل سير الوزير والقبيل قد تما في اسبانيا . ولا يوجد اليوم من هذا الكتاب سوى ثلاث نسخ ، واحدة في المكتبة العامة في باريس وثانية في المتحف البريطاني والثالثة في المكتبة الملكية في بروكسل . اسم الكتاب طويل نشره كما وردنا :

Arte breve, e introduccion muy necessario para saber jugar al axedres, can ciento y cinquenta juegos de partido etc...

فيليب الثاني المتوفى سنة ١٥٩٨ كان من كبار هواة الشطرنج ، وفي عهده برز ليوناردودي كوتري ، بوي دي سيراكوس ، دون سالفير وغيرهم من مشاهير اللاعبين .



فيليب الثاني : خسر الجولات فهرب الراح . ( لاروس )

زجاج ملون ، من عظم أو من عاج ، قسم منها يمثل العيد الافريقيين والاسيويين ، وقسم منها يمثل أشكالاً أخرى يظهر انها اخترعت أخيراً وكلها تعود إلى ثلاثة آلاف وأربعمائة عام . احدى هذه العلب تعود إلى ابنة تحوتمس الأول التي كانت تدعى HA-T-ASOU والتي حكمت بعد وفاة والدها .

اسبانيا — البرتغال

الشطرنج — مجلة ظهرت في برشلونة لأول مرة سنة ١٨٦٢ ، وهي شهرية تحوى ١٦ إلى ٢٠ صفحة .

وأشهر الشطرنجيين القدامى هم :

بلانكو اسفار ( Blasco Isfar )

لاعب شهير في القرن السادس عشر كان يلعب استدياراً ( أي دون النظر إلى الرقعة ) .

دون كارلوس ، لاعب مشهور سافر إلى

البرتغال وإلى ايطاليا وهولندا وفرنسا ، وكان يربح في كل مكان حل به . في باريس تعرف على آنسة

تدعى مينيت ( Minette ) كانت تخسر

باستمرار ضد قسيس يلاعبها الشطرنج ، فأخذها

ودربها وعلمها كيف يمكن الربح مع هذا

القسيس . وهكذا وحتى لا يعرفها القسيس تخفت



Amelot de la Houssaie في كتابه  
رجل القصر l'Homme de cour المنشور  
سنة ١٦٩٠ يروي في الصفحة السابعة القصة  
التالية :

أحد الأشراف الاسبان ، بعد أن لعب  
طويلاً الشطرنج مع الملك فيليب الثاني ، لاحظ  
غضب الملك لخسارته (أي الملك) للجولات كافة  
فما كان بعد ان وصل إلى منزله الا ان قال لعائلته  
يظهر انه لم يعد لدينا ما نعمله هنا ، هيا نرحل  
فالملك غاضب علينا لخسارته معي الدائمة في  
الشطرنج .

روي لويز Roy Lopez اللاعب  
المشهور الذي وضع الجولة الاسبانية المعروفة جيداً  
باسمه اليوم ، ألف كتابه الأول سنة ١٥٦١ ، وكان  
كتاباً قيماً ترجم إلى الفرنسية في حينه ، وطريقته في  
اللعبة عدلت فيما بعد من قبل بعض الجهابذة في  
اللعبة ولكنها كما اسلفنا لا تزال تعرف باسمه .

يقول روي لويز ان مخترع الشطرنج هو  
بالاميد ، وهو قول لا يستند إلى اسس صحيحة .  
فالكتب التي وقعت بين أيدينا ان بالاميد هذا أوجد  
لعبة أخرى ظنها البعض شطرنج . بالاميد هذا هو  
قائد يوناني اخترع لعبة تتألف من خمس قطع  
لا تشبه الشطرنج في شيء ولعلها اللعبة اليونانية  
الشعبية ( Petteia ) التي ذكرها هوميرو في  
الأوديسة .

وهناك كتاب آخر كتبه فيسان  
( Vicent ) سنة ١٤٩٥ يشرح فيه كتابه كيفية  
لعب الشطرنج في مائة جولة مختلفة .

داميانو سنة ١٥١٠ ( كاتب شهر ) ألف  
كتاباً من ٦٤ صفحة تحوي ثلاثمائة صورة لقس  
يلعب الشطرنج مع راهب وقد توجت كل  
الصفحات بصورة رقعة الشطرنج .

صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب في  
العام نفسه وكذلك الثالثة ، أما الرابعة فصدرت  
سنة ١٥١٢ والخامسة سنة ١٥١٨ ثم تتابعت  
الطباعات لغاية سنة ١٨٤٩ وفي اللغات كافة  
ولم نعثر على أثر لطبعة أخرى بعد هذا التاريخ .

داميانو هو أول مؤلف حاول تسهيل دراسة  
هذه اللعبة ، استقى ، كما اسلفنا ، كثيراً من جولاته  
من لوسانا ( Lucena ) . هذا الكتاب هو أقدم  
كتاب نشر في البرتغال وهو مهم جداً رجع اليه فيما  
بعد كثير من الكتاب والمؤلفين في الشطرنج مثل  
غريكو ( Greco ) كما ترجمه إلى الفرنسية أيضاً  
كلود كروجيه سنة ١٥٦٠ .

الكتاب يحتوي على عشرة أبواب ، قانون  
اللعبة ، ملاحظات عامة ، افتتاحيات مختلفة ، نجمة  
من المسائل وباب خاص في كيفية اللعب استدباراً  
( أي دون رؤية الرقعة ) .

الرموز : نعيد ذكرها بناء على طلب

القراء :

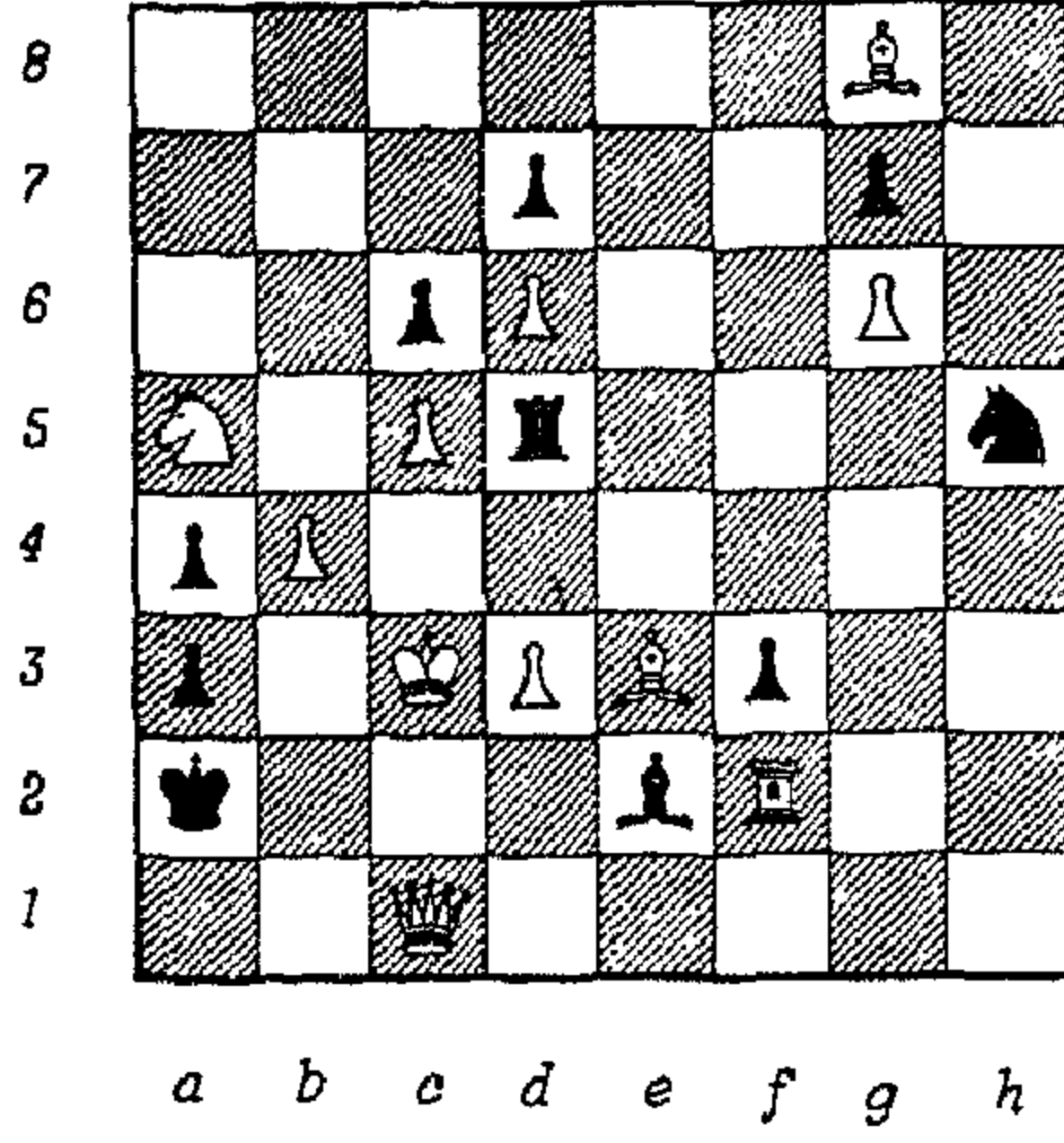
T يقصد به الحصان ( Cavalier ) باللغة  
الفرنسية ، أو ( Knight ) باللغة الانكليزية .  
C يقصد به الرخ ( Tour ) باللغة الفرنسية ،  
أو ( Rook ) باللغة الانكليزية .

D يقصد به الوزير ( Dame ) باللغة  
الفرنسية ، أو ( Queen ) باللغة الانكليزية .  
R يقصد به الشاه ( Roi ) باللغة الفرنسية ،  
أو ( King ) باللغة الانكليزية .

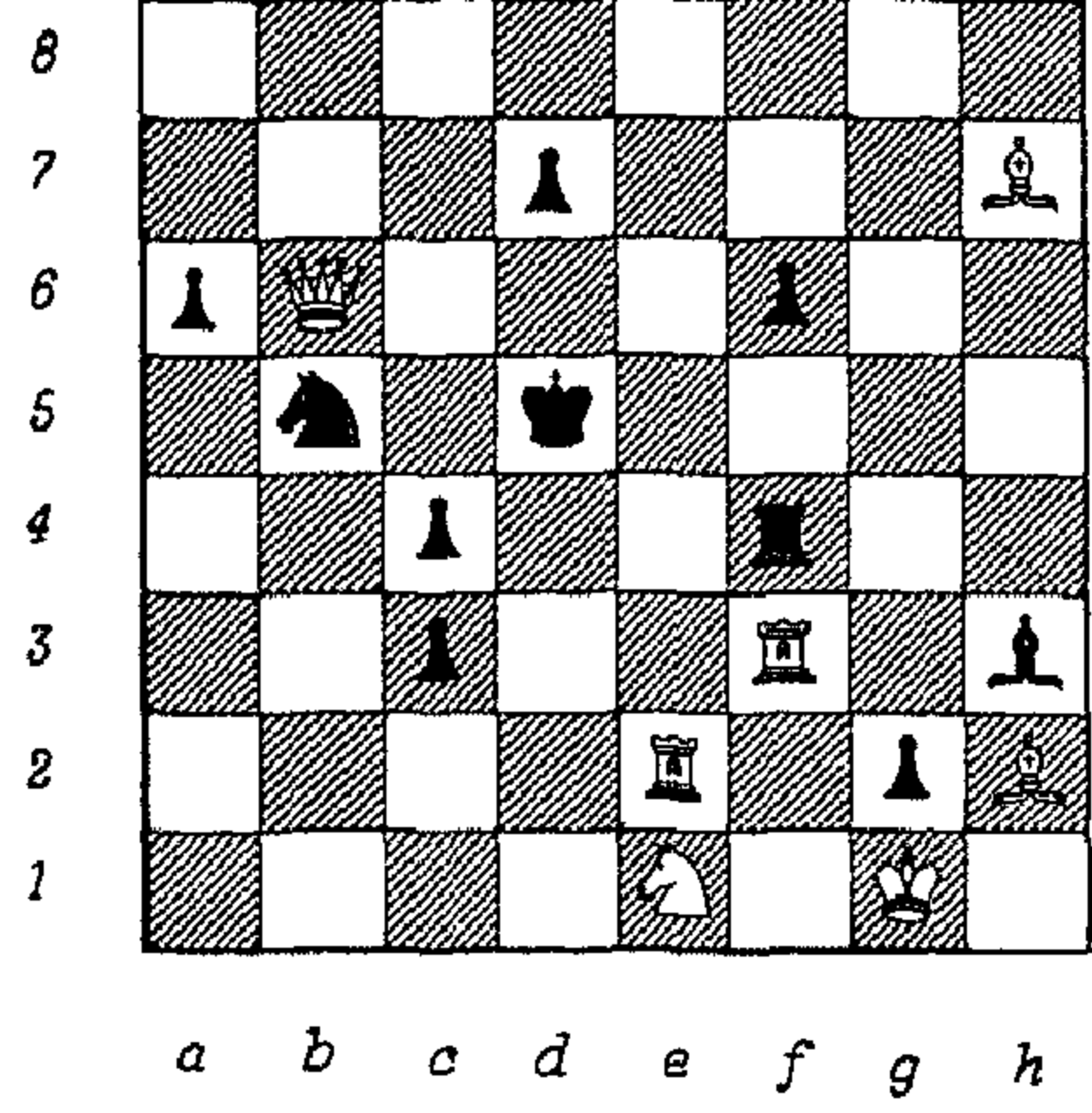


## المسابقة رقم ٥

مات بثلاث نقلات



(مات بنقلتين)



حل المسابقة رقم ٣

المسألة رقم ٥ : المفتاح : 1-DX d 7  
المسألة رقم ٦ : المفتاح : 1-DC 5

■ يرسل الحل الصحيح مع القسيمة الى ادارة المجلة ص.ب (٥٩٠٥) ويكتب على الظرف مسابقة الشطرنج . يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خانم البريد على الظرف بمثابة الناريح الصحيح للارسال .

وهذه هي الامكانات المنتظرة :

1. .... Ra 2  
2. Da 3 ....  
3. DX a 1 mat (CXC)

1. .... RC 1  
2. DC 3

1. DQ 5 CXQ 2  
2. DXQ 2 —

الفائزون :

الأجوبة التي وصلتنا عديدة ومن دول عربية عديدة لا سيما من الدوحة قطر ورغم انتظارنا الى اليوم الذي أرسلنا بهذه الصفحة الى المطبعة فان أحداً لم يعط الحل الصحيح الكامل للمسألين سوى السيدين نبيل أسود من بيروت وم. كامل سعيد من حمص . وبنتيجة القرعة فاز السيد نبيل أسود بالجائزة الأولى وقدرها مائة ليرة لبنانية . وفاز بالجائزة الثانية السيد م. كامل سعيد من حمص بالجائزة الثانية وقدرها اشتراك محافي سنوي في مجلة «تاريخ العرب والعالم» .



فقط ...



للطلاب

اعداد : سحر بعاصيري  
الجامعة الاميركية :

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي .  
خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم .

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية  
الشهر الذي يصدر فيه العدد .

والمطلوب الاجابة عن الأسئلة جميعها وأرفاقها بالقسيمة المنشورة إلى جانب الزاوية . ولا يشترك في  
القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من أخطأ في أحد الحلول .

اذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فها عليك إلا أن ترسل الأجوبة مع القسيمة إلى عنوان  
المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة أو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه . وتهمل كل رسالة  
لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة للطلاب .. وللطلاب فقط .

## من هو؟

فلكي وعالم بولوني من أصل الماني ( ١٤٧٣ - ١٥٤٣ ) تعلم الطب وعلم الدين في خراكوف وتولى منصباً دينياً في  
فراونبرغ . ثم قام بتدريس الرياضيات والفلك في روما . هو الذي اكتشف أن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية وأن  
الأرض مجرد تابع للشمس وليست المركز كما كان معتقداً من قبل .

أصدر كتاباً عن دوران الأفلاك سنة ١٥٣٠ ظل ممنوعاً من النشر حتى سنة ١٥٤٣ حين تم طبعه في نورنبرغ ثم حرم  
توزيعه حتى سنة ١٧٥٨ وذلك لموقف الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من مادة الكتاب العلمية .

## ما هي؟

قرية صغيرة في فلسطين جرت فيها في ٩ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ مجزرة رهيبة قامت بها العصابات الارهابية الصهيونية  
وأُسفرت عن ذبح ٢٥٠ عربياً معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ العزل من السلاح . ويعتبر المسؤولون عن هذه المجزرة  
انه كان لا بد منها لترويع السكان الفلسطينيين ودفعهم إلى ترك بيوتهم . وقد أكدت تقارير الأمم المتحدة هذه الواقعة واعترفت  
اسرائيل نفسها بها بالرغم من أنها تميل إلى تقليل عدد ضحاياها واطهارها بأنها من عمل مجموعة إرهابية ودون أن تذكر أن  
هذه المجموعة الإرهابية قد انضمت فيما بعد إلى الجيش الإسرائيلي ذاته .

## ما هو؟

موقع استراتيجي مصري يقوم على الطرف الجنوبي من شبه جزيرة سيناء وسيطر على المدخل الغربي والرئيسي لخليج العقبة . تقابله جزيرة تيران التي تفصلها عنه حوالي أربعة أميال . احتلته اسرائيل ابان العدوان الثلاثي على سيناء والسويس ( ١٩٥٦ ) وانسحبت منه في ٧ آذار ( مارس ) ١٩٥٧ بعد تدمير المنشآت المصرية العسكرية وتمركزت فيه قوات الطوارئ الدولية حتى ٢١ أيار ( مايو ) ١٩٦٧ . استولت عليه قوات المظليين الاسرائيلية في حرب حزيران ١٩٦٧ وأقامت فيه منشآت سياحية وعسكرية بقصد الاحتفاظ به والاستمرار في احتلاله .

## ما هي؟

اسم مشترك لمعركتين كبيرتين وهامتين حدثتا أثناء الحرب العالمية الأولى . يرجع اسم المعركتين إلى نهر طويل ( يبلغ طوله ٥٢٠ كم ) ينبع من هضبة لانجوري غرباً ماراً بشالون وايرين وشاتور تري ليتصل مع نهر السين . حدثت المعركة الأولى بين ٦ - ٩ أيلول ( سبتمبر ) سنة ١٩١٤ حيث بدا أن تقدم القوات الألمانية نحو باريس مؤكداً . إلا أن الامبراطور الألماني فلهم الثاني أوقف القتال لأسباب غير معروفة وما زالت موضع نقاش . أما المعركة الثانية فقد وقعت في تموز ( يوليو ) سنة ١٩١٨ .

### الجوائز هي :

- الجائزة الأولى : مائة ليرة لبنانية أو ما يعادلها .
- الجائزة الثانية : اشتراك سنة في المجلة .
- الجائزة الثالثة : اشتراك نصف سنة في المجلة .

### أجوبة مسابقة العدد الثالث :

- ١ - دولة المراتبين . ٢ - المناضل الفلسطيني محمد يوسف النجار ( أبو يوسف ) . ٣ - جمهورية سان مارينو . ٤ - البيروني .

### الفائزون :

- الفائز الأول : ناصر الحاج علي - صور - لبنان - خمسون ليرة لبنانية .
- الفائز الثاني : سالم حميد عمير - مدرسة جابر بن زيد الثانوية . ص.ب . ٣٥١٠ روى - سلطنة عمان اشتراك سنة في المجلة .
- الفائز الثالث : سمر لبايدي - الجامعة اللبنانية - بيروت - لبنان . اشتراك نصف سنة في المجلة .

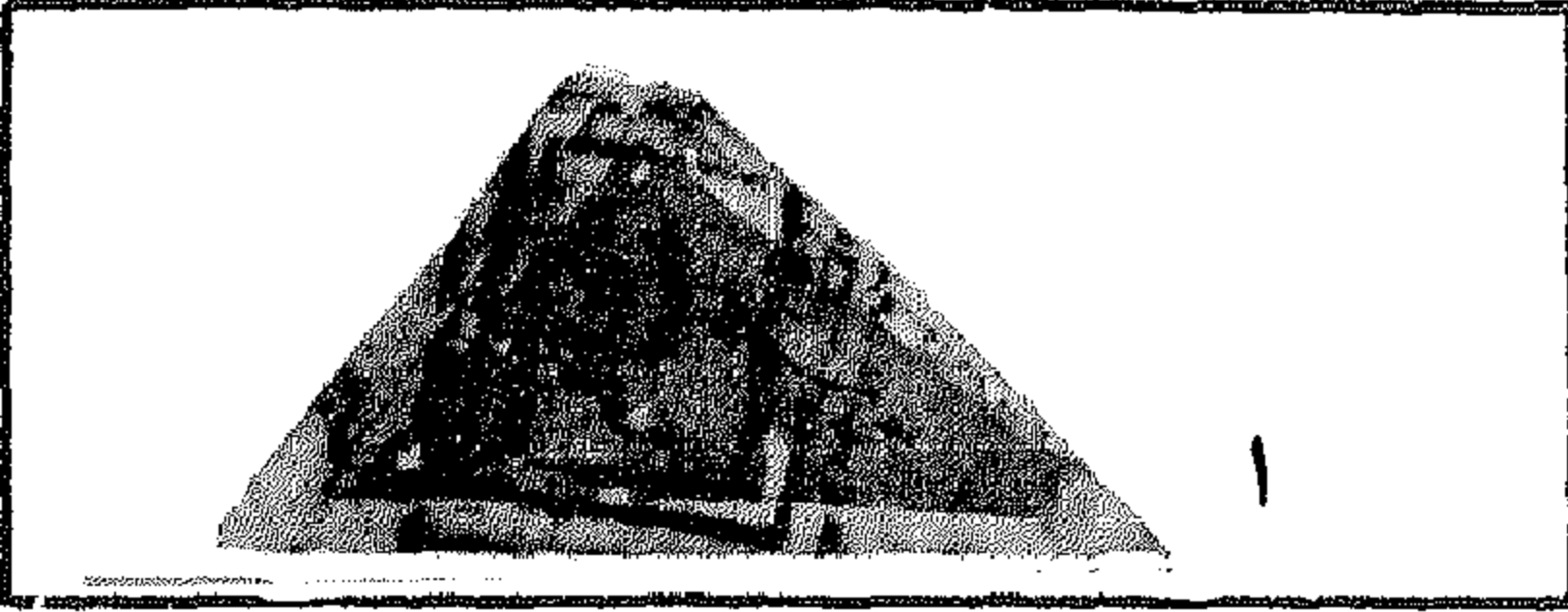


## تاريخ الطوابع

سنة ١٩١٨ تاريخ دخول جيوش الحلفاء ؛ فتوقف استعمال الطابع العثماني أولاً ثم طوابع المكاتب الأجنبية التي أقفلت سنة ١٩٢٣ على أثر معاهدة لوزان .

عندما دخل الجيش البريطاني فلسطين ثم الأردن فسورية وضع في التداول ابتداء من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨ مجموعة مؤلفة من ١١ طابعاً (صورة ٣) ، كتب عليها «خالص الأجرة» و«بالإنكليزية»

“E.E.F. Postage Paid”



(قوات إستطلاعية مصرية أجور البريد مدفوعة) . هذه المجموعة هي الأولى التي استعملت في فلسطين منذ ١٦ تموز (يوليو) سنة ١٩١٨ ، وهي الأولى في مجموعة الطوابع الفلسطينية . ومع دخول قوات الحلفاء سورية من الجنوب كان الأمير فيصل الإبن الأكبر للشريف حسين بن علي ملك الحجاز قد دخل في أول تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩١٨ سورية من الشرق مع قوات عسكرية عربية ، ثم أعلنها مملكة في ٨ آذار (مارس) ١٩٢٠ .

وفي ٨ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩١٨ كان الجيش الفرنسي قد احتل بيروت والساحل السوري فصارت البلاد مقسومة إلى ثلاث مقاطعات :

أ - المقاطعة الغربية الممتدة ساحلياً من الإسكندرونة شمالاً فاللاذقية فلبنان ، بإدارة قائد الجيش الفرنسي .

ب - المقاطعة الشرقية التي تشمل الجزء الداخلي من سورية والأردن ، بإدارة الملك فيصل الذي أسس فيها مملكة سورية العربية .

ج - المقاطعة الجنوبية فلسطين ، بإدارة قائد

## طوابع سورية من السلطنة إلى فيصل الأول

### ميشال اسطفان

بدأ تخليص البريد في سورية في عهد السلطنة العثمانية التي حكمت البلاد من سنة ١٥١٦ إلى ١٨٣٢ ثم حكمها السلطان محمد علي الكبير وأسرته من سنة ١٨٣٢ إلى ١٨٤٠ ، والعثمانيون ثانية من سنة ١٨٤٠ إلى ١٩١٨ .

كان البريد في سورية خلال العهود السابقة لظهور أول مجموعة تركية سنة ١٨٦٣ يخلص بالوسائل المتبعة قديماً ، لكن منذ صدرت المجموعة التركية المشار إليها ووضعت للإستعمال في سورية وكانت تعطل بأختام مربعة في بادئ الأمر (صورة ١) ثم بأختام مختلفة تحمل إسم المصدر والتاريخ . (صورة ٢) .

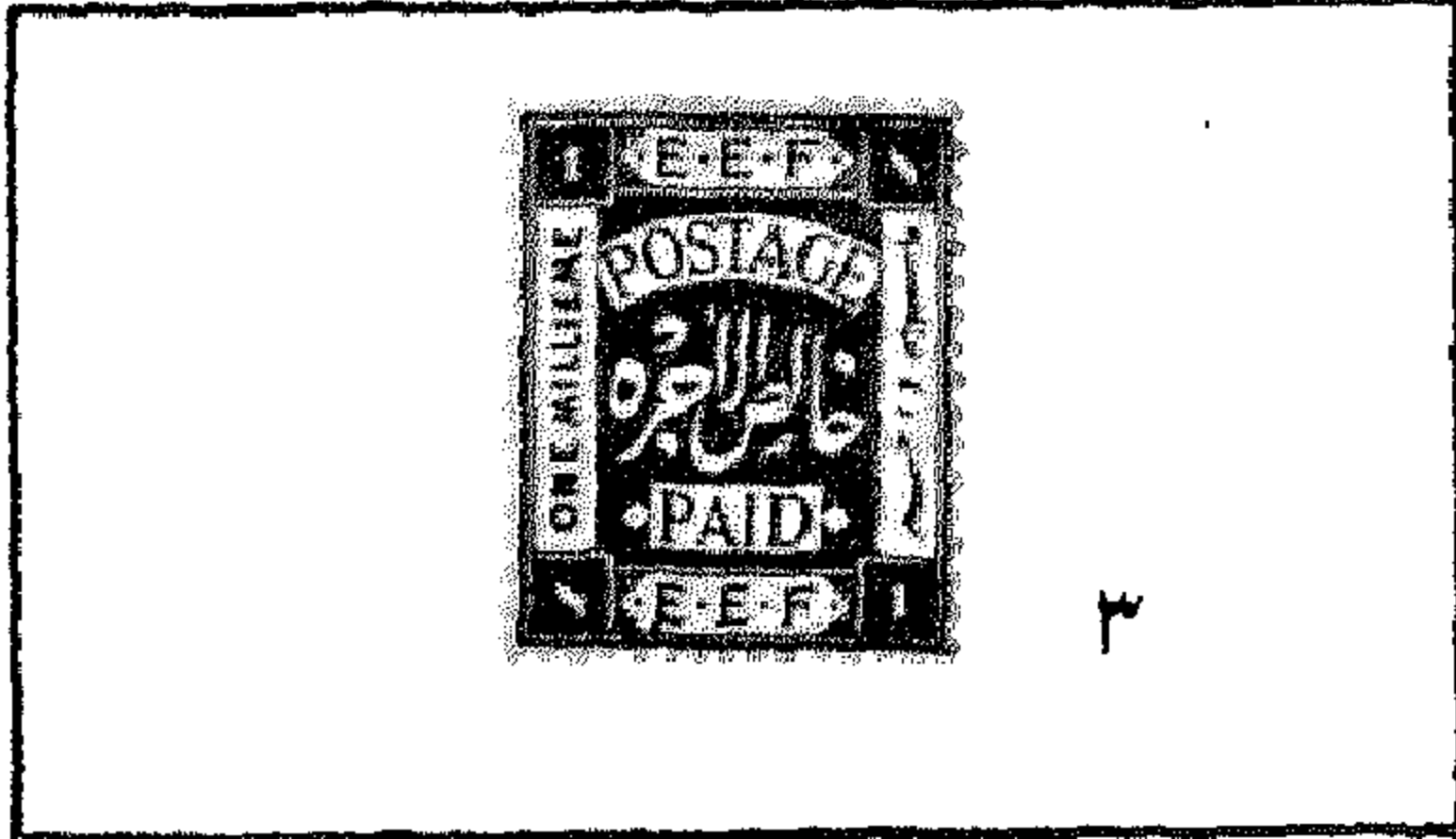
انتشرت هذه الطوابع التركية في سورية كانتشارها في جميع الأراضي المشمولة بحماية الدولة العثمانية إلى جانب طوابع المكاتب الأجنبية (الأوروبية) . التي أشرنا إليها في أعداد سابقة من هذه المجلة ؛ وذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى

أ - ولاية دمشق - تشمل سناجق حماه وحمص ، ودمشق .

ب - ولاية حلب - تشمل دير الزور واسكندرونة وحلب .

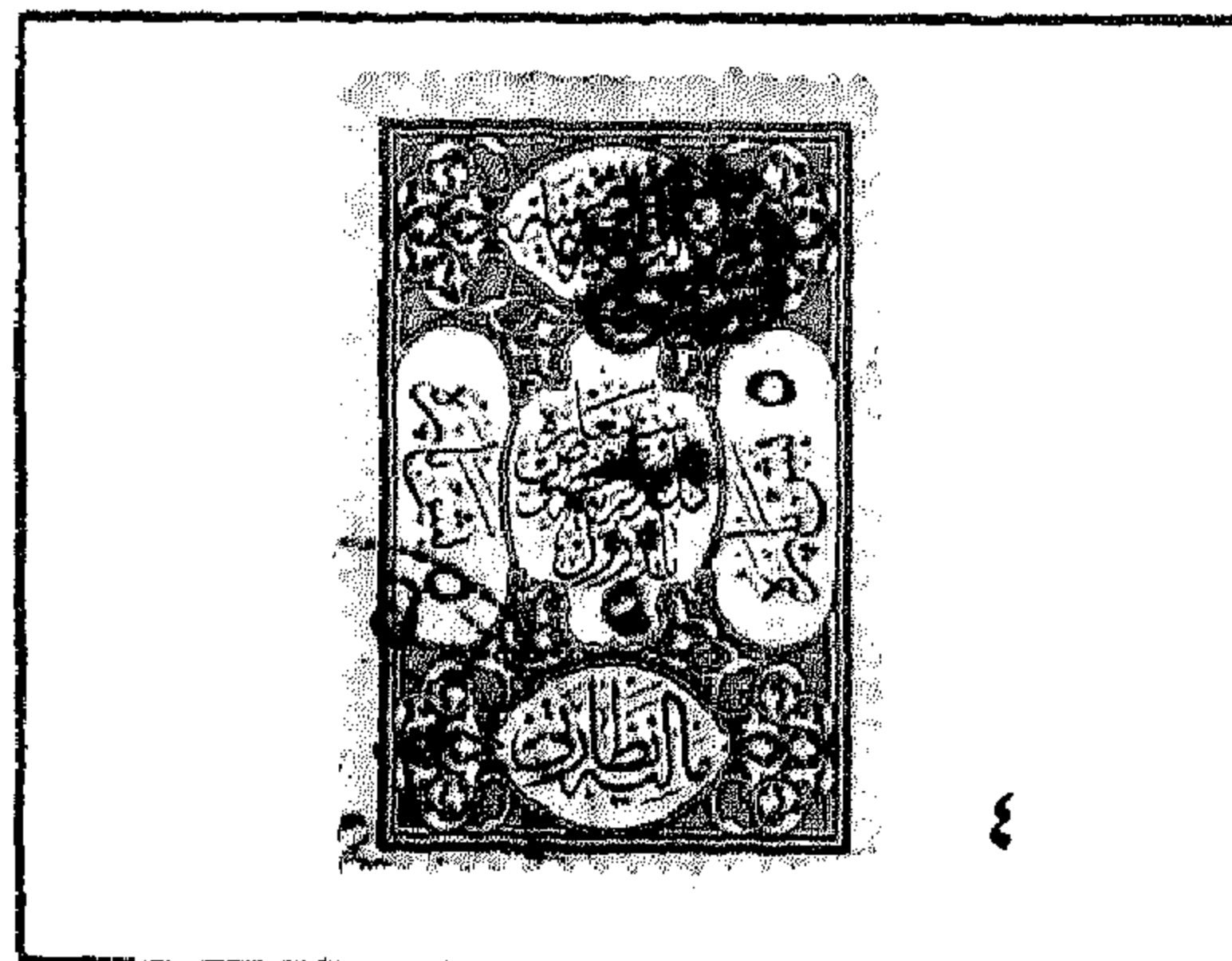
ج - ولاية العلويين بعاصمتها اللاذقية .

د - ولاية جبل الدروز التي كانت مرتبطة بحكومة دمشق إدارياً .

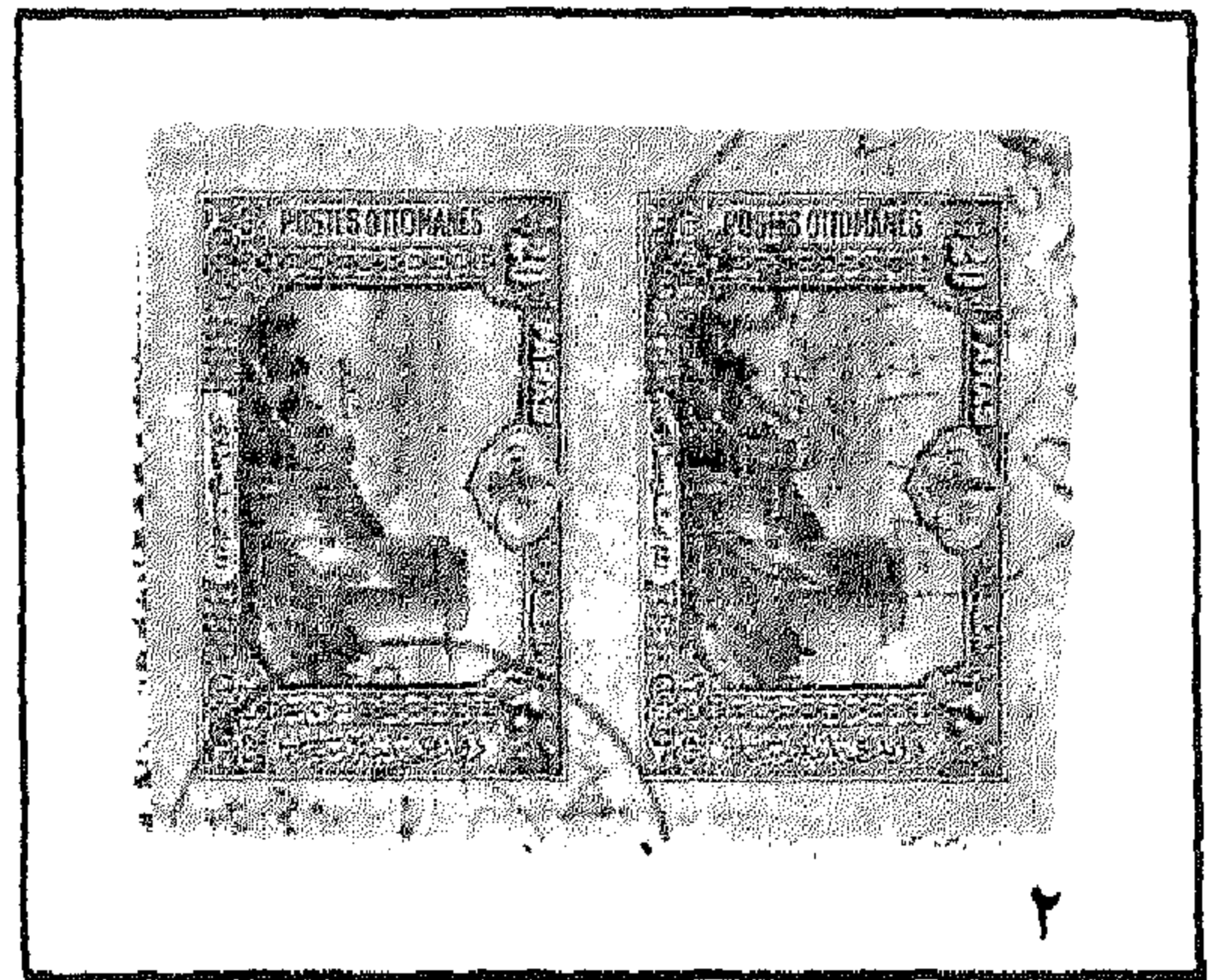


وفي ٥ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٢٣ تمّ إنتداب فرنسا على سورية ولبنان وسلخ سنجق الإسكندرونة من سورية ثم إعلان إستقلاله بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٣٨ ثم وضعه تحت نفوذ تركيا التي أعطته اسم « هاتاي » ثم ألحقته بها نهائياً بتاريخ ٣٠ حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٩ على أثر إستفتاء شعبي قارت حوله كثير من الشبهات .

لبث الإنتداب الفرنسي قائماً على سورية حتى ٢٧ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٤١ يوم أعلنت إستقلالها ثم أجلت قواتها عن البلاد بتاريخ ١٧ نيسان (ابريل) سنة ١٩٤٦ .



الجيش البريطاني . وخلال سنة ١٩٢٠ أصدرت حكومة الملك فيصل ٩٣ طابعاً بريدياً وخمسة طوابع أجور مستحقة ، وذلك بأن استولت على الطوابع التركية المتبقية وكانت من إصدارات سنة ١٩٠٩ - ١٩١٩ ووشحت باليد ٨٥ طابعاً مختلفاً بخاتم نحاسي يحمل اسم « الحكومة العربية » (صورة ٤) ثم ٧ طوابع بخاتم آخر مثلث يحمل اسم « الحكومة السورية العربية » (صورة ٥) . وبعد ذلك أصدرت مجموعة مؤلفة من ٨ طوابع بريدية توشح منها طابع واحد لذكرى الإستقلال وطابع واحد أجور مستحقة (صورة ٦) طبعت كلها محلياً وصُمِّغت بالفرشاة يدوياً وبصورة بدائية .

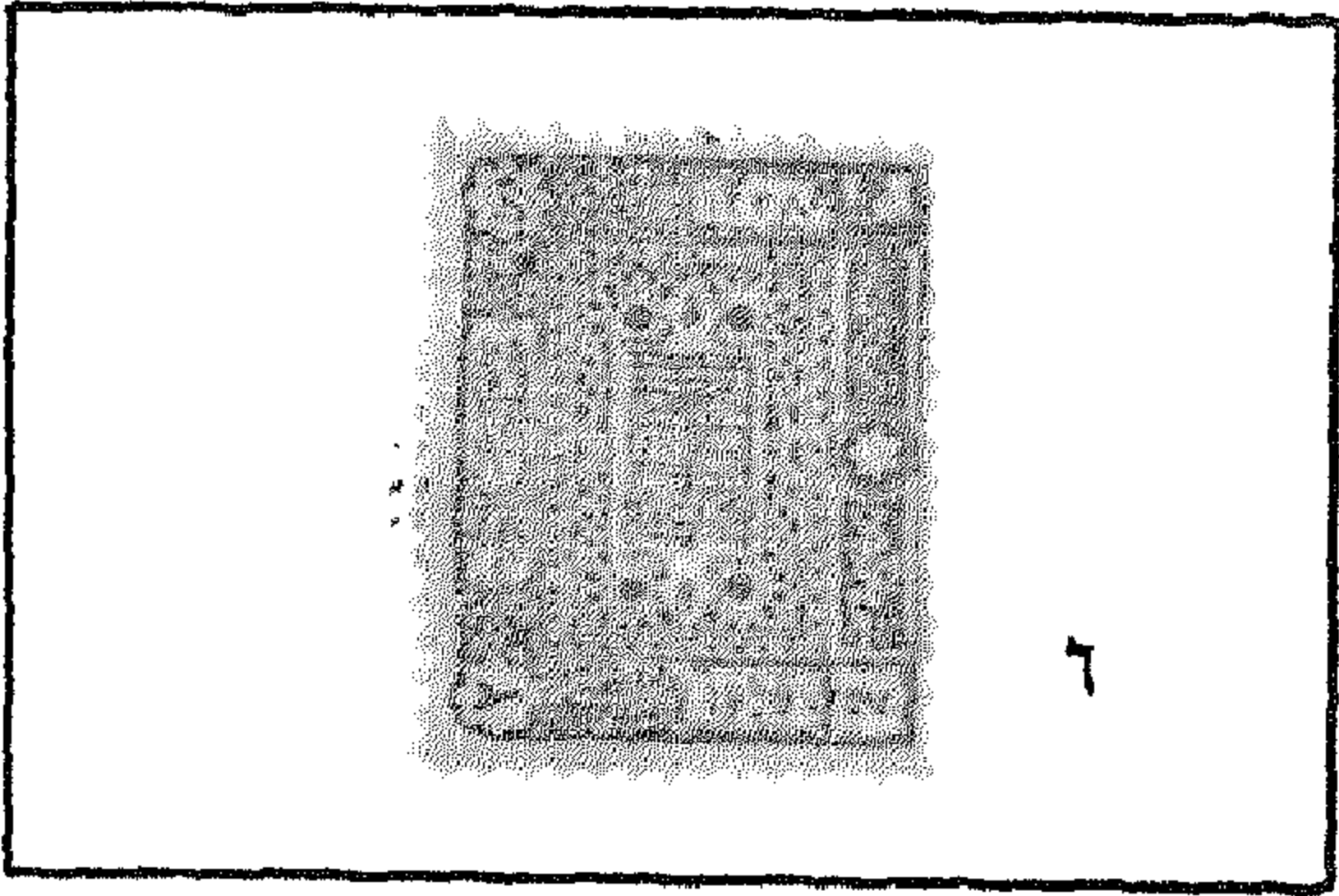


وبجانب هذه الطوابع كانت الطوابع الفرنسية الموشحة T.E.O قد أخذت طريقها إلى الإستعمال بدءاً ببيروت في ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٩ ثم في سورية ، ثم تلتها الطوابع الموشحة O.M.F وهي ما شرحنا عنه مفصلاً في العدد الأول في هذه المجلة .

وفي ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٩ انسحب الجيش البريطاني من حلب وفي ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠ دخلت القوات الفرنسية حلب ثم دخلت دمشق في ٢٤ منه بعد معركة ميسلون المشهورة التي أودت بحكومة الملك فيصل .

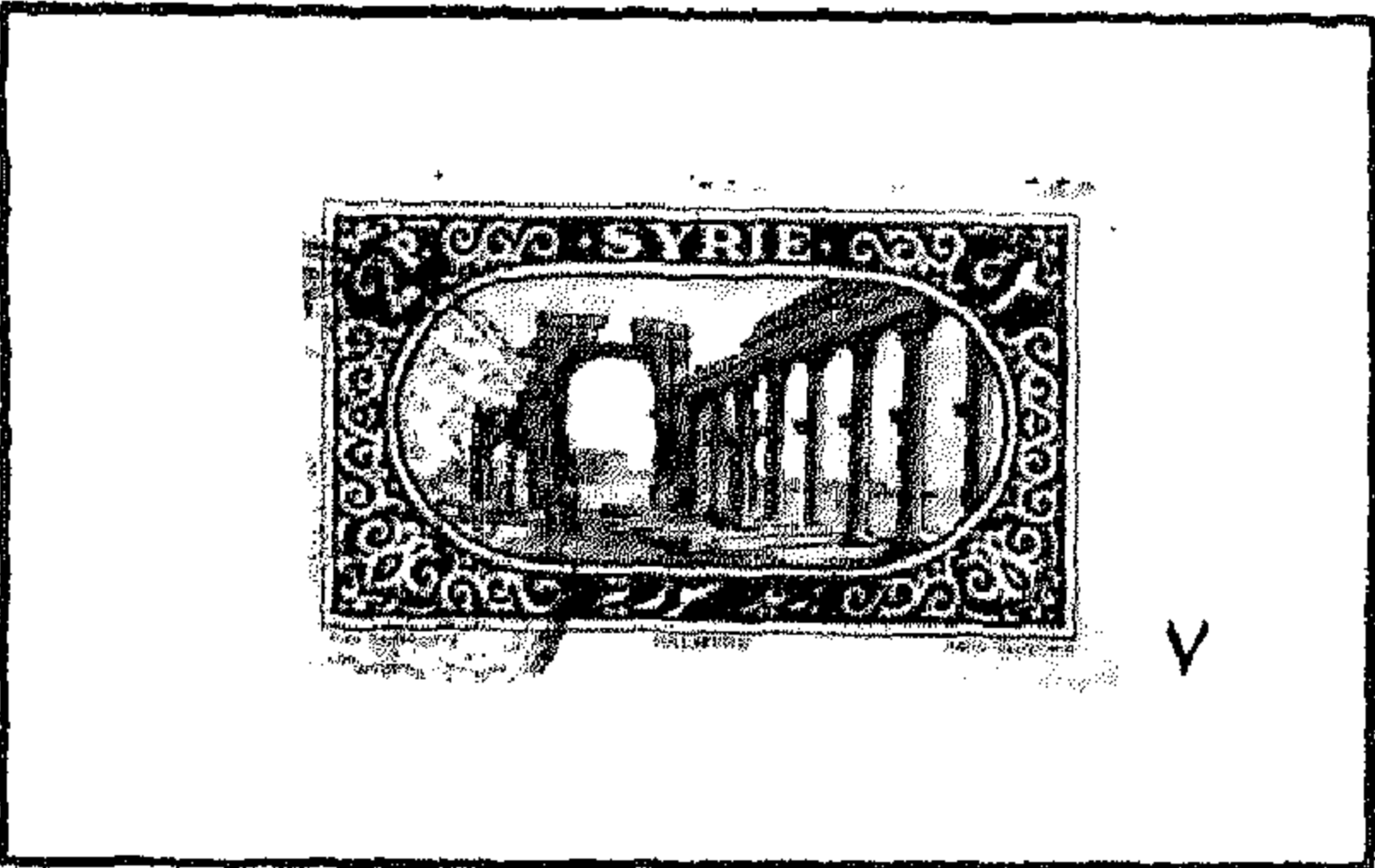
وفي ٣١ آب (أغسطس) سنة ١٩٢١ أعلن قيام لبنان الكبير وقسمت سورية إلى أربع ولايات :





طابع ، وعددها ٢٤ طابعاً بريدياً وطابعان أجور مستحقة . (صورة نموذج واحد ٨) .

والجدير بالذكر أن مجموعات مختلفة مهمة صدرت في سورية تحمل توشيدات عدة ! منها : «زهرة حلب» و«العلويين» و«سنجق الإسكندرونة» باللغة الفرنسية فقط ، و«اللاذقية» و«عين تاب» توشحت O.M.F. Syrie على طابع تركية فقط . و«جزيرة ارواد» باللغة الفرنسية فقط . وقد نشرح عنها جميعاً ومفصلاً في اعداد لاحقة لضيق المكان هذه المرة



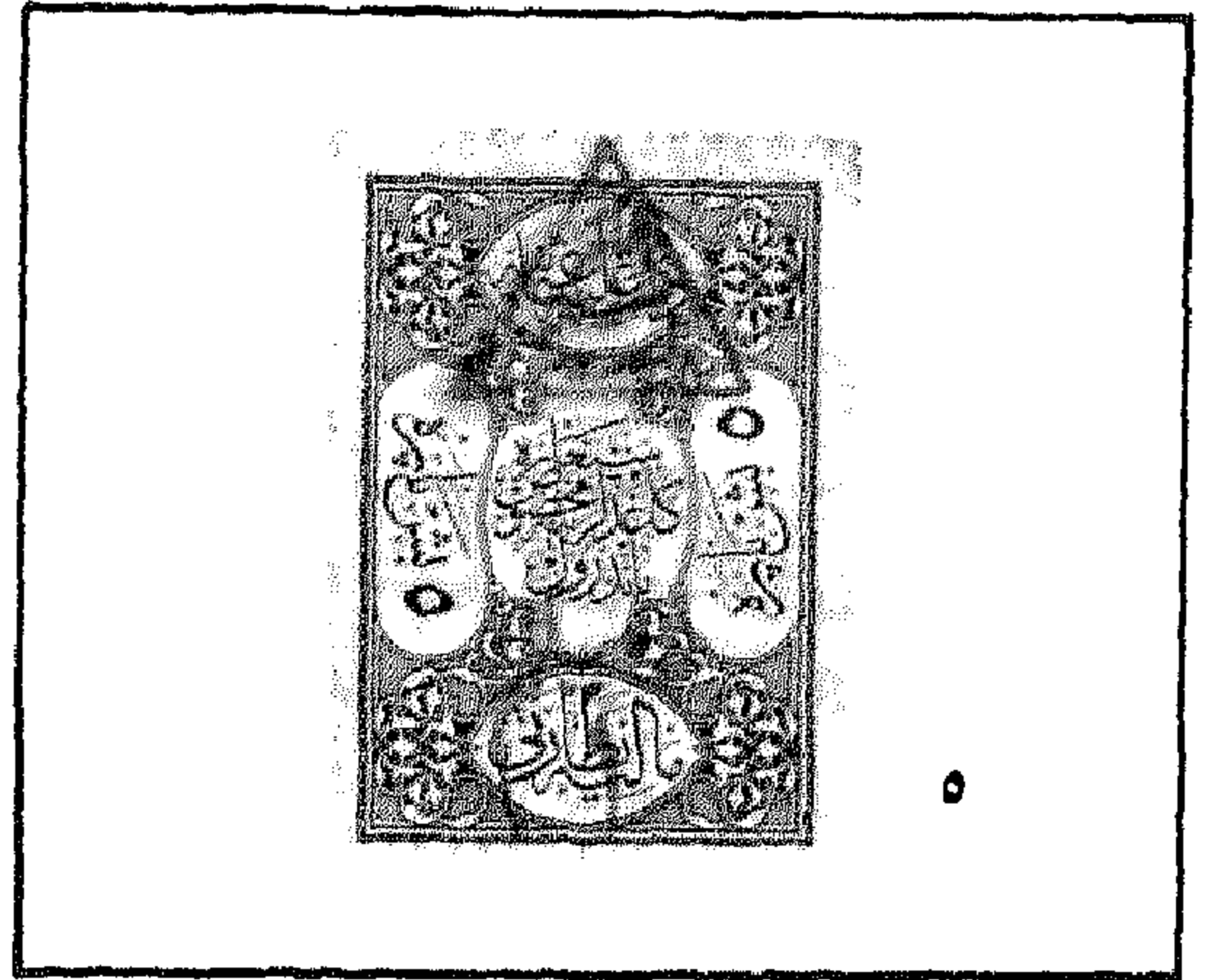
المكاتب الأجنبية .

مكاتب البريد البريطاني في البلاد الأجنبية كانت في مراكش والشرق الأدنى ومدغشقر والصين .

مكتب مراكش افتتح أعماله من سنة ١٨٩٨ إلى نيسان (ابريل) سنة ١٩٥٧ واستعمل ٣٨٢ طابعاً مختلفاً توشحت تباعاً Morocco Agencies و«Tangier» على طابع الملكة فكتوريا والملك أدوار السابع والملك

أما تاريخ الطوابع خلال هذه الفترة فقد رافق الأحداث السياسية فدخل الطابع الموشح E.E.F الذي أشرنا إليه مع دخول الجيش البريطاني ، ثم ظهرت الطوابع الفرنسية الموشحة T.E.O.

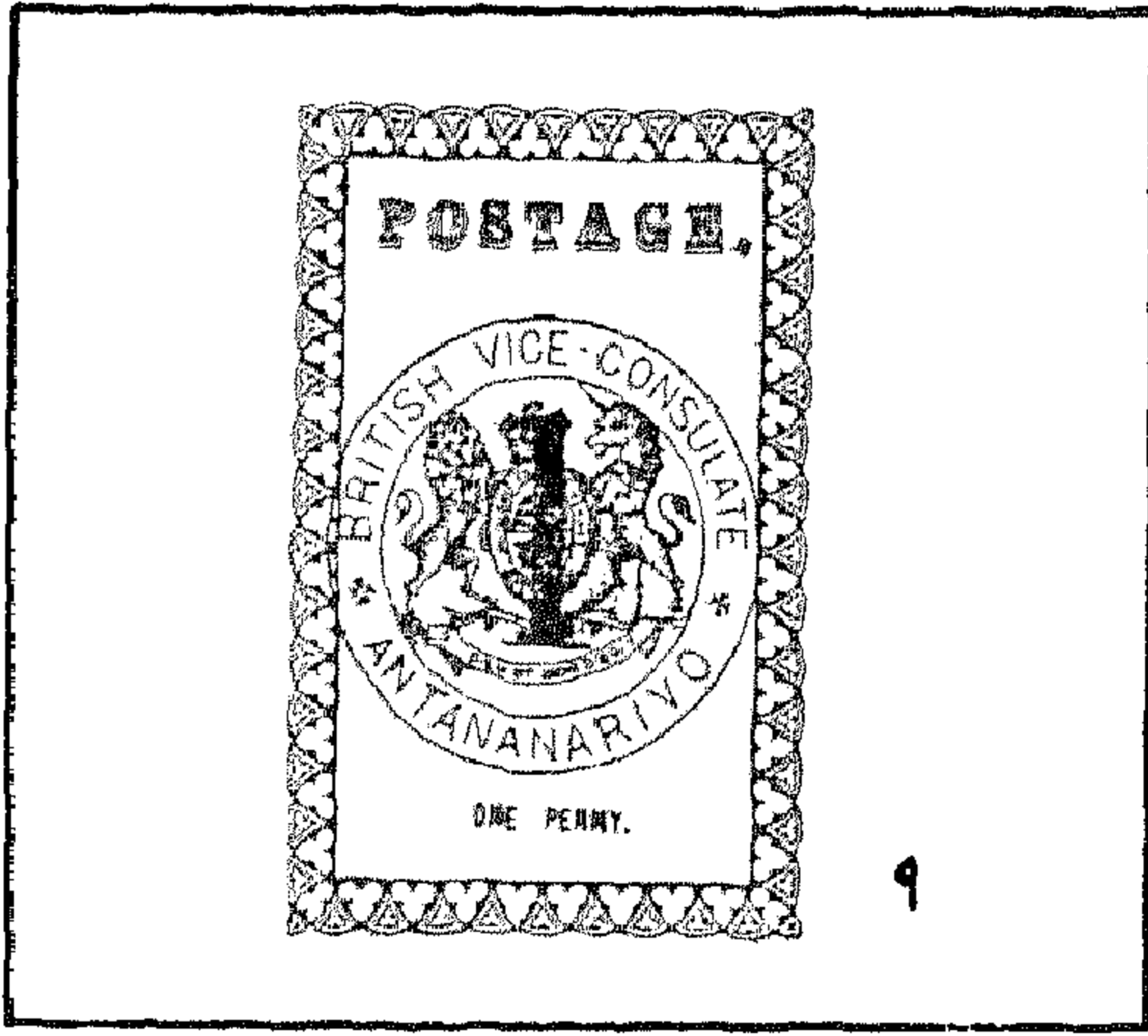
أي (Territoires Ennemis Occupés) أراضي أعداء محتلة . ثم طابع الملك فيصل التي ما لبث أن ألغيت بسقوط حكومة المملكة السورية العربية .



طوابع الإنتداب :

ولكن طوابع الإنتداب الفرنسي بقيت قيد الإستعمال وبعد المجموعات الموشحة «T.E.O» و O.M.F المذكورة آنفاً ، صدرت مجموعتان أخريان موشحتان على الطوابع الفرنسية ، الأولى موشحة «Syrie» صدرت في شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٤ والثانية موشحة «سوريا» صدرت في شهر تموز (يوليو) سنة ١٩٢٤ . وفي أول آذار (مارس) سنة ١٩٢٥ صدرت أول مجموعة مصورة عليها مناظر البلاد مؤلفة من ١٣ طابعاً بريدياً وخمسة طوابع أجور مستحقة تميز من المجموعة الثانية المصورة التي صدرت في شهر أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٠ بكلمة «Syrie» باللغة الفرنسية ، فوق كلمة «بريد سورية» (صورة نموذج واحد ٧) . بعكس الأخيرة التي ظهرت فيها كلمة «سورية» بأعلى كل

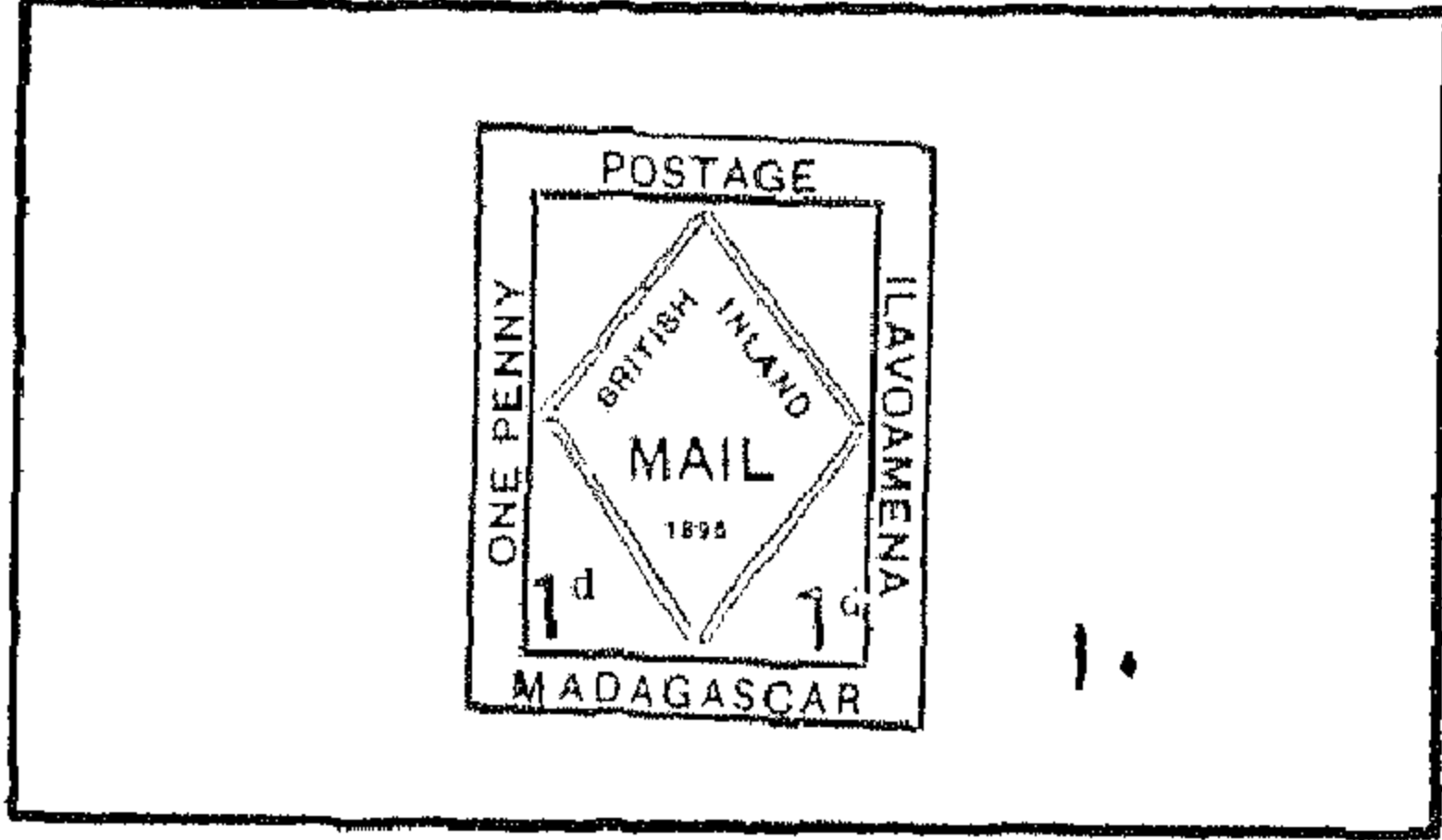
جورج الخامس والملك ادوار الثامن والملك جورج الخامس ثانية والملكة أليزابيث ، واستعملت في الجزءين المحتلين من قبل فرنسا واسبانيا وبعملتها السانتيموس والبزيطة والسنتيم والفرونك . مكتب



الثاني (يناير) إلى آخر أيلول (سبتمبر) سنة ١٨٩٥ تاريخ دخول القوات الفرنسية مدينة أنتناريف (تناناريف) .



الشرق الأدنى افتتح أعماله من أول نيسان (ابريل) ١٨٨٥ إلى أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٣ واستعمل ٧٤ طابعاً توشحت « Levant » على طوابع الملكة فكتوريا والملك أدوار السابع والملك جورج الخامس استعملت في استنبول وأزمير وبيروت . وهناك ٨ طوابع توشحت على طوابع الملك جورج الخامس وصدرت في أواخر شباط (فبراير) سنة ١٩١٦ لتستعمل في سالونيك فقط .



مكتب الصين إفتتح أعماله من سنة ١٩١٧ إلى أول تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٣٠ بطوابع الملك جورج الخامس واستعمل ٢٧ طابعاً بعد أن وشحها بالإنكليزية « China » .

مكتب مدغشقر افتتح أعماله بطوابع قنصلية من آذار (مارس) سنة ١٨٨٤ إلى سنة ١٨٨٧ وكان عددها ٤٩ طابعاً (صورة نموذج رقم ٩) ثم صدرت مجموعتان من ١٣ طابعاً للبريد الداخلي (صورة نموذج واحد ١٠) وعملت من كانون

### حركة البيع والشراء :

هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع وللراغبين في المبادلة أو البيع أو الشراء . وقد درسنا أحسن الوسائل العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا في خدمة القراء .



## مسابقة الشهر

عمودياً -

- ١ - منطقة في الكويت . ٢ - مبعوث (معكوسة) . أنعم (معكوسة) ٣ - راوغ . نعم بالأجنبية . ٤ - الكثير عطاءً (معكوسة) . ٥ - يقطع (معكوسة) . أخفق . ٦ - واحد من اللاويين اليهود (معكوسة) . ٧ - يحيط (معكوسة) . ضد حواضر أو حوادي (معكوسة) . ٨ - ملك عربي . متشابهان . ٩ - موضع في مصر مشهور بأثاره .

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١

### حل مسابقة العدد الرابع

- أفقياً :
- ١ - الخطيئة : ١ - أشعب . نبك
  - ٢ - شواهين . دم ٢ - أيلول . بان
  - ٣ - علا حب . وهو ٣ - حاء . ارتق
  - ٤ - بي . سندباد ٤ - طه حسين . بم
  - ٥ - تية ٥ - يني . رومل
  - ٦ - الخورنق ٦ - ان . وحيدة
  - ٧ - بنت . وي . كج ٧ - خير . مس
  - ٨ - كارم محمود ٨ - أو كلتاهم .
  - ٩ - بابل . سال ٩ - سدود . أجدل .
- عامودياً :

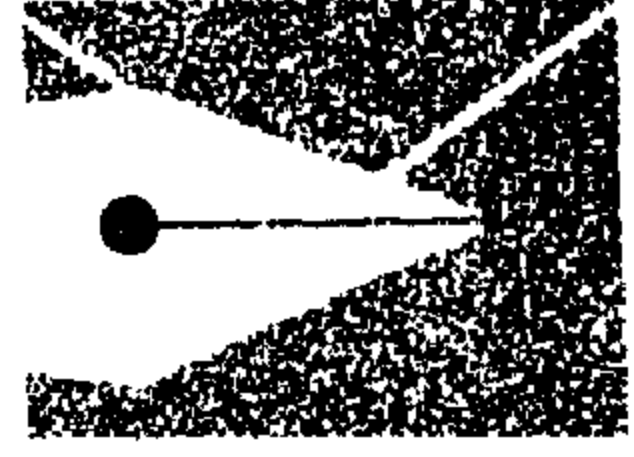
أفقياً -

- ١ - منطقة في شمال المملكة العربية السعودية . أقل ثقلاً (معكوسة) .
- ٢ - رماح طوال (معكوسة) . لائمة وعاذلة (معكوسة) .
- ٣ - ملكة مصرية قديمة (معكوسة) .
- ٤ - أعلى جبال في العالم . جوهر .
- ٥ - ملكي . ٦ - عبرات . أسفل كل شيء - منخفض . ٧ - زعيم ديني يمثل دوراً سياسياً كبيراً حالياً (معكوسة) . ٨ - فقيه في الفلسفة والدين المسيحي .
- ٩ - مرض الحنين إلى الوطن .

### الفائزون في مسابقة العدد الثالث

- الفائز الأول : مهاب التنير - بريد الحمراء - بيروت . ٥٠ ل . ل .
- الفائز الثاني : سامي الشامي - الجامعة اللبنانية - صيدا . اشترك سنة في المجلة .
- الفائز الثالث : أمل الشمعة - دمشق - أبو رمانة . اشترك نصف سنة في المجلة .
- اجابات صحيحة ولكن الحظ لم يحالف أصحابها : نزيه رمضان - رياق - حوش حالا - البقاع . لبنان . محمد أمين الأيوبي - مكتب بريد طرابلس . جوزيف وجورج حداد - جل الديب . لبنان . عسى أن يحالفكم الحظ في المرة القادمة .

## بريد القراء



وطوال هذه العصور، كانت مدينتهم الكبرى والأولى هي «تبليسي» (Tbilissi)، أو «تفليس» (Tiflis)، وتجمع فيها السكان المحليون - وهم آريون - مع اليونان والأرمن والترك، فصارت لغتهم بسبب هذا الاختلاط، مجموعة لهجات تكاد تكون لغات قائمة بذاتها.

أما تاريخ آدابهم فقير، لم يرد فيه سوى بعض الكتاب والشعراء والمترجمين، أكثرهم من رجال الدين المسيحي، وجلّ تأليفهم تعلق بالدين.

وفي بعض المكتبات العالمية مجموعة قيمة من المخطوطات باللغة الكرجية «حسب تسمية العرب» وهذه المخطوطات هي بأكثرها ترجحات لبعض الكتب اليونانية - الهيلينية على وجه الدقة - هذه الكتب القيمة التي فقدت نصوصها - اليونانية - وما عاد بالامكان معرفتها إلا بفضل هذه الترجحات.

في أيامنا هذه، تقع «إيبيرية» ضمن حدود الاتحاد السوفياتي. أما الفاظ كورجستان، الكرج وجورجيا فهي على علاقة أكيدة، وأنا أرجح أنها مشتقة من لفظة «بورغوس» اليونانية، ومعناها «الزراع» و «الفلاح».

\* «تاريخ العرب والعالم» ترحب بالقارئ محاييل الهاشم وبمساهماته. فالقيمة للموضوع. ونرحب بأي تعليق أو بحث قيم، صالح للنشر.

\* تعليقا على بحث «العرب والمردة» للدكتور احسان عباس (العدد الثالث من «تاريخ العرب والعالم») وردتنا رسالة من القارئ ميخايل الهاشم، سرجبال، لبنان، يقول فيها:

إيبيرية الوارد ذكرها في البحث، هي ليست الاندلس. بل اقليم يقع وراء جبل القوقاز، أو القفقاس، بين أرمينية وتركيا وروسيا، يرتقي تاريخه المعروف إلى ما قبل الميلاد ببضعة قرون. وقد اتفق المؤرخون على ان هذا الاقليم قد دخل تحت سلطة الاسكندر ذي القرنين، وشارك في الحروب ضد الفرس. وبعد تقسيم الشرق على قواد الاسكندر، بقيت إيبيرية على سياستها، فخالفت الدولة السلوقية السورية، ثم الرومان، ثم البيزنطيين من بعدهم، في حروبهم ضد الفرس. أما العرب فقد فتحوها على عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وذلك عام ٧٣٢م. وبقوا فيها حتى القرن التاسع. وفي القرن العاشر، سيطر عليها الدّيلم وبنو بويه (والديلم اقليم يجاور إيبيرية شرقاً، ويُعرف سكانه بالاسم نفسه ومنهم بنو بويه). وبعدهم دخلها الأتراك العثمانيون، حتى القرن ١٨، إذ دخلت تحت حماية قيصر الروس.

وبسبب هذه المجموعة من الشعوب التي توالى على إيبيرية، فقد كان الاسم الرسمي (الذي يستعمله المؤرخون) مختلفاً عن تسمية الشعوب المختلفة. فالسكان يسمّون أنفسهم «قرطفيلي». واسم «إيبيرية» (Iberie) أطلقه اليونان وتبناه الرومان. ومع الفرس صار الاسم كورجستان، نسبة إلى نهر «كورا» (Kour). أما العرب فسمّوا الاقليم بلاد الكرج والكُرج والروس سمّوه غروزيا وسمّاه الغربيون جيورجيا.



\* ومن الطالب محمد يوسف شتال (أولى تاريخ، جامعة بيروت العربية) جاءنا الخطاب التالي :

وأخيراً صدرت مجلة متخصصة في شؤون التاريخ العربي والعالمي . التي انتظرناها بشغف كبير ، لا سيما وإنها المجلة الوحيدة تقريباً بين المجلات الثقافية التي تعطي للتاريخ أهميته ، ولهذا سدت المجلة فراغاً عانت منه الثقافة في لبنان .

- ان معرفة تاريخنا خصوصاً في هذه المرحلة الحرجة ، يتطلب مجهوداً كبيراً ومساهمة جبارة ، وأعتقد بأن هذه المجلة قادرة على اختراق الصعاب ، والسير دائماً نحو الامام .

- فتحية إلى كل العاملين في هذه المجلة الغراء

\* جوزيف وجورج حداد من جل الديب ، لبنان ، كتبوا يقولان :

لكم سررنا لدى قراءة الاعداد الأولى...خاصة وان المجلة ابتعدت عن الأساليب التقليدية في كتابة الاحداث التاريخية ، وانتقلت إلى الاسلوب العلمي المقرون بالشروحات والصور المعبرة . لذلك نقدر لكم جهودكم المبذولة في سبيل إخراج هذه المجلة على هذا الوجه . ونشكر

جميع الذين ساهموا في إبراز المجلة راجين من الله دوامها وتقدمها من الحسن إلى الأحسن .

وقد سررنا أن نشترك في مسابقة الكلمات المتقاطعة .

\* ومن غسان وهبة ، طرابلس ، لبنان ، جاءنا :

تحية إلى كل العاملين في مجلة «تاريخ العرب والعالم» ، لنشكرهم الثقافة بين أيدي طلابنا في البلدان العربية . تحية لجهودهم الخيرة لمصلحة هذا الوطن .

عندما قرأت أول عدد للمجلة شدني إليها استيعابها كل المواضيع وجميع الهوايات واسعدني بها أكثر وجود هوايتي فيها وهي «الطوايع» .

واني أطلب منكم لو تضعوا في مجلتنا موضوعاً يتعلق بعالم التصوير ، بفن التصوير ، لأن التصوير عالم ثانٍ كبير جميل جداً ، ويا حبذا لو أرى هذا الموضوع في عددنا القادم .

\* المجلة ترحب بك صديقاً وتعدك بموضوع عن تاريخ التصوير ، دون الالتزام بزمان معين . ونشكر لك اهتمامك .



## تصحيح

في عناوين غلاف العدد الرابع من «تاريخ العرب والعالم» . ظهر ما يفيد ان في العدد «أسرار اتفاقية سايكس بيكو» . فيما خلا العدد من هذا الموضوع . والواقع ان هذا الموضوع استبدل به موضوع «الشيخ المناضل حسن سلامة» . في آخر لحظة . بسبب الحادثة التي أودت بحياة المرحوم أبو حسن سلامة . وكان الغلاف قد طبع . فاقتضى الاعتذار .

كذلك وقع خطأ في تنفيذ شبكة الكلمات المتقاطعة . فبدلاً من وضع المربع الأسود في ٩ أفقي . ٥ عمودي . كان المفترض ان يكون المربع الأسود في ٩ أفقي . ٦ عمودي . فالمعذرة .









أستrolاب عربي توليدو - إسبانيا - عام ١٠٦٨ للعالم إبراهيم سعيد الساحلي





■ القسام في تاريخ فلسطين  
■ قضية الحدود بين فلسطين ومصر ١٨٤٠-١٩١٧  
■ العرب لهم رواد دراسة عالم الأفلاك

■ الساحل الشرقي للجزيرة العربية  
■ الميثاق الوطني ميثاق مكتوب  
■ تاريخ المعين لهرات: الذهب والأحجار الكريمة  
■ لا تحاكموا على فخر الدين قبل أن تحاكموه





بسمارك  
رائد الوحدة الألمانية

# تاريخ العرب والعالم

السنة الأولى  
العدد السادس  
نيسان (أبريل) ١٩٧٩  
جمادى الأولى ١٣٩٩

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

## الإشتراكات

٥٠ ل.ل.	في لبنان
١٥٠ ل.ل.	المؤسسات والدوائر الحكومية
٧٥ ل.ل.	في الدول العربية
١٠٠ ل.ل.	في أفريقيا وأوروبا
١٥٠ ل.ل.	دول العالم الأخرى
٢٠٠ ل.ل.	المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي

## شحن النسخة

لبنان: ٤ ل.ل.	سوريا: ٦ ل.ل.
العراق: ٧٠٠ فلس	ليبيا: ٨٠٠ درهم
السعودية: ٧ ريال	الكويت: ٥٠٠ فلس
الأردن: ٥٠٠ فلس	أبوظبي: ٨ درهم
دبي: ٨ درهم	قطر: ٧ ريال
البحرين: ٧٠٠ فلس	مسقط: ٨٠٠ بيعة

رئيس التحرير : فاروق البربر  
المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب. : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان  
بناية أبو هليل - شقة ١١  
شارع السكادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني :  
شركة سيفا للتصميم والطباعة  
الإنشاج :  
مطبعة المتوسط ش.م.ل.  
التوزيع :  
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

## HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR  
A MONTHLY ILLUSTRATED  
MAGAZINE PUBLISHED FROM  
SADATE ST. ABOU HLEIL  
BLG. P.O.B. 5905  
TEL. : 346276  
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1  
Nº. 6 April, 1979  
PRICE : 4 L.L.  
ANNUAL SUBSCRIPTION :  
50 \$ IN NON-ARABIC  
SPEAKING COUNTRIES



## في هذا العدد

- المقالات الواردة توزع حسب التبويب الفني للمجلة .  
ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب . مع حفظ المكانة  
الاجتماعية للكاتب . تراعى في الألقاب الصفات العلمية  
فقط .

### الصفحة

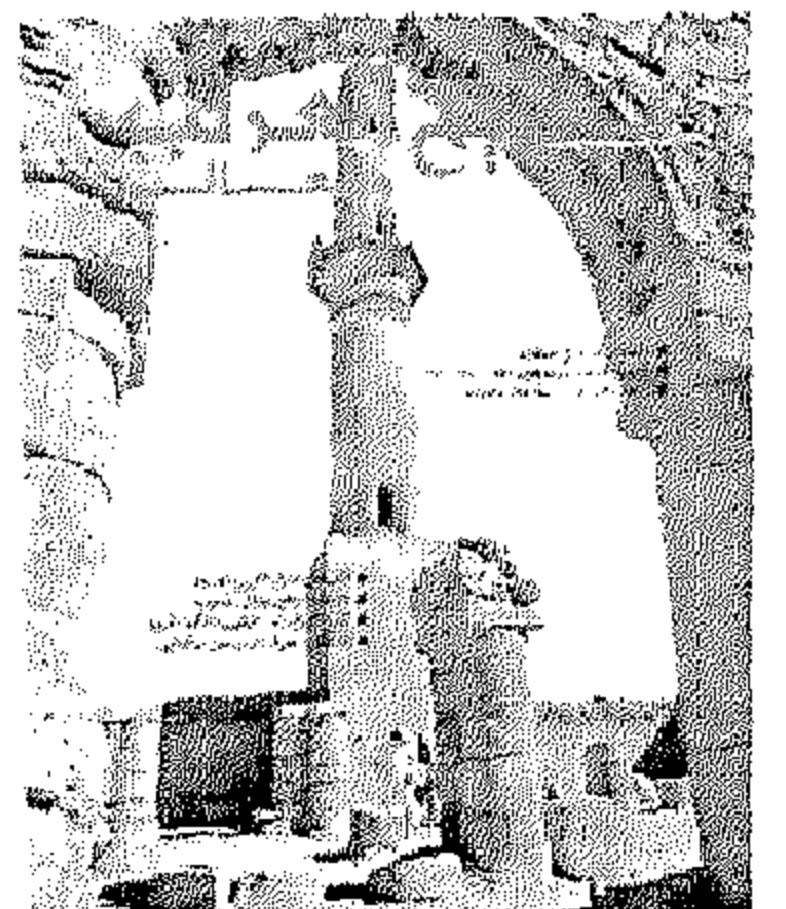
### الموضوع

- القسام في تاريخ فلسطين :
- أول ثورة مسلحة جابهت القوات البريطانية ..... د. بيان نويهض الحوت ٣
- قضية الحدود بين فلسطين ومصر ١٨٤٠ - ١٩١٧ (الجزء الثاني) .. د. خيرية قاسمية ١٢
- لا تحكموا على فخر الدين قبل أن تحكموه ! ..... ع. د. ياسين سويد ١٨
- نساء شهيرات : هند بنت المهلب ..... محمد حسن كامل ٢٧
- العرب هم رواد علم الفلك ..... د. نقولا شاهين ٢٨
- الميثاق الوطني اللبناني ١٩٤٣ : ميثاق مكتوب ! ..... حسن حلاق ٣٥
- الجغرافيا عند العرب في القرن الثالث للهجرة ..... وجيه عضاضة ٤١
- تاريخ الجواهرات :
- الذهب ٤٠٠٠ سنة من الصعود ..... متى سمعان بوري ٤٨
- الساحل الشرقي للجزيرة العربية في القرن الرابع الهجري ..... د. نقولا زيادة ٥٣
- تاريخ لبنان من عام ١٩١٤ - ١٩٢٠ ..... محي الدين قدورة ٦٢
- جنوب لبنان تحت الاحتلال الصليبي
- في القرنين الثاني والثالث عشر ..... محمد حسن حجازي ٧٠
- تقاليد شعبية : كذبة أول نيسان .. الأصول والوقائع ..... فكتور سحاب ٧٦
- كتاب العدد : بسمارك رائد الوحدة الألمانية ..... عايدة سلمان نعمان ٨٠
- تاريخ الشطرنج : شارلمان دهم زوجته مع المستشار
- فحكم عليه بالانتصار أو ... الموت ..... محمد مراد سكر ٨٢
- تاريخ الطوايع : فلسطين من السلطنة إلى الانتداب .. فالنكبة ..... ميشال اسطفان ٨٦
- تاريخ البروج : برج الحمل ٢٢ آذار - ٢٠ نيسان ..... منى تنير ٩١
- للطلاب فقط ..... سحر بعاصيري ٩٣

- المقالات والدراسات تُرسل باسم رئيس التحرير  
على عنوان المجلة : ص. ب ٥٩٠٥ في بيروت .

- المقالات والدراسات التي تُنشر  
لا تعبر بالضرورة عن آراء المجلة .
- المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تُنشر .

جامع سوق الخميس  
أقدم جوامع الخليج العربي  
راجع مقالة د. نقولا زيادة  
ص ٥٣



# القسام في تاريخ فلسطين

## أول ثورة مسلحة جابهت القوات البريطانية

د. بيان نويهض الحوت

- حين أعلنت ثورة القسام عن نفسها في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٥ ، وذلك عبر المجابهة المسلحة بينها وبين القوات البريطانية في احراش يعبد ، كانت المجموعة القسامية تلك هي المجموعة العربية المجاهدة الأولى التي تتحدى الرصاص البريطاني بالرصاص العربي ، أي انه حتى ثورة القسام لم تكن المجابهة المسلحة مع القوات المنتدبة واردة في القاموس السياسي للحركة الوطنية الفلسطينية ، بل على العكس من ذلك ، كانت القيادة السياسية الفلسطينية لا تزال تؤمن بمنهج الحوار السياسي مع الانتداب البريطاني على أمل الوصول إلى أمانها القومية أو بعضها على الأقل .

القيمة السياسية الرئيسية لثورة القسام اذن هي في كونها قد اختطت نهجاً سياسياً جديداً قائماً على اعتبار السلطة الانتدابية سلطة محتلة وعدوة ، لا سلطة حليفة من الممكن التفاهم معها . والوسيلة الوحيدة للتخلص منها هي الثورة المسلحة التي تأكل الأخضر واليابس . وتتلخص المبادئ القسامية في الشعار الذي انضوى تحته القساميون : « هذا جهاد ، نصر أو استشهاد » .

### الوضع السياسي العام

■ عندما دخل الجيش البريطاني مدينة القدس (١٩١٧/١٢/٩) دخل بصفته جيشاً حليفاً للعرب ، ولم يكن عرب فلسطين آنذاك يعلمون شيئاً عن ان حلفاءهم هؤلاء قد تخلوا عن كل عهودهم للقضية العربية وللشريف حسين بتوقيعهم سراً على اتفاقية سايكس-بيكو ، وكذلك بمنحهم سراً وعد بلفور .

وبمرور السنوات الأولى من الحكم العسكري فالانتداب البريطاني ، وبانتهاء الدولة العربية في

دمشق وهي لم تتجاوز بعد عامها الاول كي يحل الانتداب الفرنسي مكانها وتنفذ خريطة سايكس بيكو ، أدرك العرب في المنطقة كلها (سوريا-لبنان-العراق-الأردن وفلسطين) ماهية المؤامرة البريطانية-الفرنسية ضدهم . وبالنسبة الى فلسطين بالذات كانت المؤامرة مزدوجة ، فهي بريطانية وصهيونية في آن واحد . وهكذا اضحى اهل فلسطين إزاء اخطار انتداب بريطاني قائم وشبح احتلال صهيوني قادم .

وفي صك الانتداب وكذلك في الدستور برز

- دكتورة بيان نويهض الحوت : استاذة في كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية . مارست

الصحافة في « دار الصياد » وصحف ومحلات أخرى . حازت على دكتوراه دولة من الجامعة اللبنانية على رسالتها :

القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (١٩١٧-١٩٤٨) .



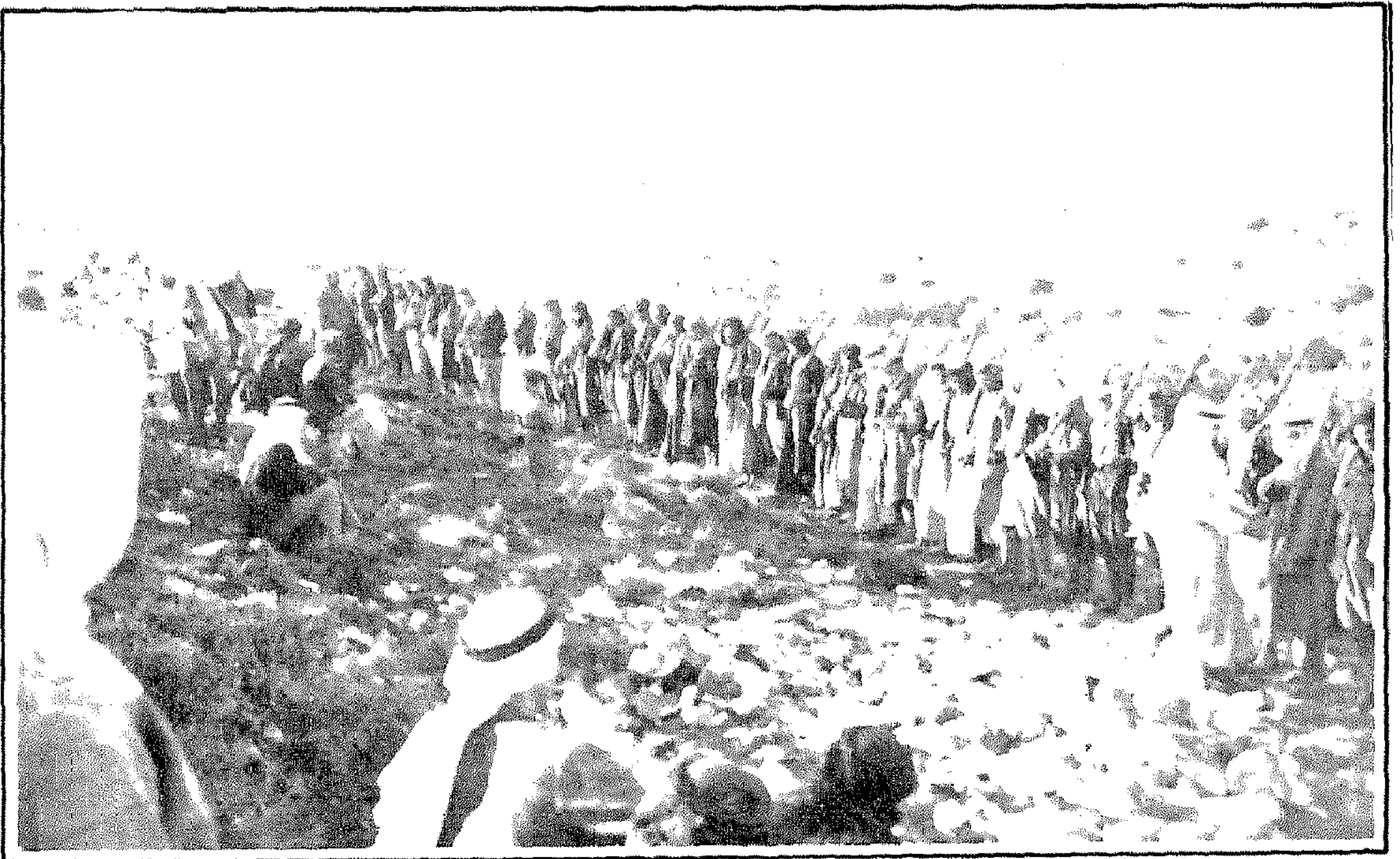
وعد بلفور، والمندوبون السامون أعلنوا مرات ومرات أنهم جاءوا لترسيخ وعد بلفور. وكان الموقف الرسمي والمعلن للحكومة البريطانية أن أي تفاهم مع العرب، لا يتم ولن يتم إلا من خلال وعد بلفور.

إن الترجمة السياسية الواقعية لهذا الموقف هو حرمان العرب من إنشاء مؤسسات دستورية كمجلس تمثيلي أو حكم وطني، مع الرفض المتواصل لجميع المذكرات السياسية التي طالب بها العرب في وقف الهجرة وبيع الأراضي.

أول فريق سياسي أدرك ضرورة المجابهة مع السلطة الانتدابية كان حزب الاستقلال العربي الذي تأسس ١٩٣٢، وقد كان من أبرز أهدافه نشر التوعية بين الجماهير بتوجيه العداء ضد الإنكليز باعتبارهم أساس الداء. ومن خلال العديد من المهرجانات والاجتماعات السياسية العامة التي دعا إليها الحزب في مختلف المدن الفلسطينية وعبر المذكرات السياسية التي كان فيها يخاطب الجماهير تمكن من ترسيخ فكرة العداء ضد الانتداب. ويعتبر الاستقاليون أن ثورة القسام قد وصلت ذروتها في الجو الوطني المشحون الذي كانوا قد هيأوا له بالتوعية السياسية العامة.

أذن، فالدعوة الفكرية ضد الإنكليز لحزب الاستقلال، والقرار بجمعية الكفاح المسلح ضدهم - للشيخ عز الدين القسام وعصبته، فإذا كان موقف القيادة السياسية من هذا كله؟

منذ بداية عهد الانتداب وحتى استشهاد القسام كانت الحركة الوطنية قد عاشت مرحلة القيادة السياسية الأولى فقط، وهي القيادة التي تمثلت في اللجان الوطنية المتعاقبة من ١٩٢٠ إلى ١٩٣٤، وقد ترأس هذه اللجان كلها الشيخ موسى كاظم الحسيني، وهو شيخ وقور معتدل السياسة ومحترم لدى جميع الفئات السياسية. إن أقصى ما وصلت إليه اللجنة التنفيذية الأخيرة من إعلان سخطها على السياسة البريطانية كان دعوتها إلى التظاهر ضد تلك السياسة (١٩٣٣)، وكان الرد البريطاني عنيفاً بالتعرض إلى تظاهري القدس ويافا بالعنف وبعثال عدد كبير من قادة التظاهرتن، وهذا ما دعا اللجنة التنفيذية إلى العودة عن سياسة التظاهر إلى اعتدالها السابق. وبسبب المرض والشيخوخة اعتكف موسى كاظم الحسيني في منزله، ولما توفي في العام التالي (١٩٣٤)، انحلت اللجنة التنفيذية تدريجياً، ولم ينتخب من بعده أي رئيس جديد.



- القائد القسامي أبو إبراهيم الكبير وبعض المجاهدين

وفي مرحلة السنوات ما بين ١٩٣٤ و ١٩٣٦ ،  
تولى مهمة القيادة بحكم الامر الواقع الائتلاف  
الحزبي ، وقد استمر هذا الوضع حتى قيام الاضراب  
الشهير وانبثاق اللجنة العربية العليا .

توقع الكثيرون من الحاج امين الحسيني ان  
يتأسس الحركة الوطنية علناً بعد وفاة الشيخ موسى  
كاظم ، الا انه لم يفعل ، وتحليل ذلك يعود الى ان  
الحاج امين مفتي القدس كان يشغل منصب رئاسة  
المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى منذ سنة ١٩٢٢ ،  
وهو منصب ديني رسمي أثر الاكتفاء به مع ممارسته  
للزعامة السياسية الفعلية في اثناء رئاسة موسى كاظم  
للجان التنفيذية وبعدها . وهذا بالاضافة الى ان  
الحاج امين لم يكن مؤمناً حتى تلك المرحلة بإمكان  
المجاهمة المسلحة ضد الانكليز في ثورة شاملة ، وهو  
عندما تزعم الثورة بصفته رئيساً للجنة العربية العليا  
(١٩٣٦/٤/٢٥) ، فعل ذلك بناء على الحاج  
القيادات الحزبية وتعطش الجماهير قائدة الاضراب  
الحقيقية الى قيادة رسمية عليا لها . وقد دفع المفتي فيما  
بعد ثمناً لهذه القيادة العلنية ، وهو قرار السلطة بجل  
القيادة السياسية وعزله عن رئاسة المجلس الاسلامي .

يتضح من هذا العرض الموجز للوضع السياسي  
القسمي حين الاعلان عن ثورة القسم  
(١٩٣٥/١١/٢٠) ان البلاد كانت خالية من قيادة  
سياسية عليا موحدة ، وخالية ايضاً من أي تنظيم  
مدرب ومسلح ومستعد للجهاد ، ما خلا التنظيم  
القسمي .

### عصبة القسم السرية

ولد عزالدين القسم في سوريا سنة ١٨٧١ .

ودرس في الازهر الشريف وكان من تلاميذ الشيخ  
محمد عبده . لما عاد الى بلده عمل مدرساً في جامع  
السلطان ابراهيم ، ولما قامت الثورة ضد الفرنسيين سنة  
١٩٢٠ ، شارك القسم مع المجاهد الشيخ صالح العلي  
في ثورة العلويين . حاولت السلطة العسكرية الفرنسية  
شراؤه بتوليته على القضاء ، ولكنه رفض ذلك وكان  
جزاؤه الحكم عليه بالاعدام من قبل الديوان العرفي .

وصل القسم الى مدينة حيفا في  
١٩٢٢/٢/٥ . ووصل معه من رفاق الجهاد الشيخ  
محمد الحنفي والشيخ علي الحاج عبيد . عمل في حيفا  
واعظاً دينياً ومرشداً ورئيساً لجمعية الشبان المسلمين

فيها ، واشتهر في حيفا وما حولها من منطقة الشمال  
بصفته إماماً وخطيباً بارعاً ، الا أن اسمه لم يشتهر في  
فلسطين كلها إلا غداة استشهاده ، فقد أصبح اسم  
القسم ما بين ليلة وضحاها رمزاً للجهاد .

إن تاريخ تأسيس عصبة القسم السرية  
بالتحديد لم يعرف بعد ، ولكن من المعروف انه منذ  
قدومه الى حيفا ابتداءً بعمل في الاعداد النفسي  
للثورة ، وقد تعاون معه في هذه المرحلة عدد من  
المؤمنين بالعروبة والجهاد ، ومنهم الشيخ كامل  
القصاب من سوريا وهاني أبو مصلح من لبنان .

اتضح فيما بعد ان القسم قد اتبع السرية  
المطلقة ستاراً لكل اعماله وتحركاته مستفيداً من الوعظ  
والتدريس في اكتشاف العناصر الصالحة من  
تلاميذه ، وكان معظم هؤلاء من فلاحي القرى وعمال  
حيفا ، فكان يجذبهم تحت لواء التعاليم الدينية العامة  
ومنها الدعوة الى الجهاد .

الحديد في القاعدة القسامية ان القسم لم يعرف  
عنه اهتمامه فقط بالصالحين او الطيبين من الطبقة  
الكادحة ، بل تجاوز هؤلاء الى المنحرفين منها . كان  
يؤمن ان جرأة المنحرف او السارق او القاتل من  
الممكن ان تتحول الى شجاعة والى ثورة حقيقية في  
نفسه اذا آمن بالله ايماناً صحيحاً وآمن بالجهاد في  
سبيل الله . فمن عناصره البارزة حسين الباير الذي  
اعترف في شهادة رسمية بأن مهنته السابقة كانت  
السرقه . ومن الذين أصبح يعتمد عليهم من أبناء  
الطبقة الكادحة ابو درة بائع الكاز على الطنير ،  
والغلاييني الذي كان عمله لحم التنك والحديد . وهو  
الذي أصبحت مهمته النضالية بحكم مهنته صنع  
القنابل البدائية .

اعتقد القسم بأنه لا حل للقضية الفلسطينية  
إلا عن طريق الجهاد الاسلامي . وقد وضع وفقاً  
لمبادئه الدينية والقومية الأسس العامة لثورة مسلحة  
وشاملة ضد السلطة الانتدابية . كان لا يقبل في  
صفوفه الا من كان مستعداً لأن يموت في سبيل  
بلاده ، بالاضافة الى شرطين اساسيين . اولهما ان  
يقتني العضو سلاحه على حسابه . وثانيهما ان يتبرع  
بشيء من ماله قدر المستطاع .

السؤال الرئيسي الذي يطرح نفسه : لماذا اعلن  
القسم عن ثورته او حركته السرية وهي لم تكن قد





- المجاهد القسامي أبو خالد

يوسف يعقوبي، فأصيب صاحب المنزل وابنه داود بجراح أدت الى وفاتهما فيما بعد. وقد ثار اليهود لهذه الحادثة وحولوا جنازة اليعقوبي الى تظاهرة سياسية قادها الدكتور آرلوزوروف رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، وأعلنت الحكومة عن مبلغ خمسمائة جنيه مكافأة لمن يرشد الى مقترفي جريمة «نخلال»، ولكن عبثاً.

وبعد ان قام القساميون بثلاث عمليات اخرى مماثلة ازدادت شكوك السلطة بالقسام ورفاقه، فقرر القسام في خريف ١٩٣٥ الاعتصام بالجبال والاعلان عن ثورته. وقد رافقه عشرة من رفاقه المجاهدين.

البوليس كان قد أعد عدة هائلة لمجابهة ذلك النفر من المؤمنين المسلحين. فقد أحاط منذ الفجر بأحراش يعبد (قضاء جنين). ووضعت القيادة البوليس العربي في الخطوط الأمامية الثلاثة قبل البوليس الانكليزي. وبينما الفريقان يتأهبان صاح أحد أفراد البوليس العربي طالباً الاستسلام فرد عليه القسام صائحاً: «اننا لن نستسلم. ان هذا جهاد في سبيل الله والوطن».

كانت المعركة قصيرة. إذ دامت ساعتين فقط. استعمل خلالها الانكليز الطائرات لاكتشاف

تخطت مرحلة الاعداد بعد؟ لقد وصف البعض قراره هذا بأنه قرار خاطيء سابق لأوانه، وقال آخرون بأنه قرار انتحاري لا ثوري. وقد اجابني عن هذا السؤال واحد من رفاقه المؤمنين البسطاء هو حسن شبلاق حين قال ببساطة: «خاف ان يعتقل فخرج الى الجبل». ويلتقي هذا الجواب مع رأي مجاهد قسامي آخر هو ابراهيم الشيخ خليل، فقد كتب يقول:

«... في عام ١٩٣٥ رأى القائد بأن المستعمر يراقب تحركات القساميين مراقبة دقيقة وكان القائد يتحسس بأن المستعمر سيعتقل النخبة الصالحة من إخوانه ويفسد. جميع مخططات الثورة قبل ان تظهر للمواطنين. وكان رأيه الخروج الى الجبال والطواف بالقرى وحث المواطنين على شراء السلاح والاستعداد للثورة...» (شؤون فلسطينية، ١٩٧٢/٣/٧، ص: ٢٦٧)

### عمليات القساميين

القيادة العليا في العصبة لم تكن للقسام وحده، بل كانت قيادة جماعية تتألف من اثني عشر عضواً، ويشار اليهم باسم اعضاء الجمعية. وكان هؤلاء يتخذون جميع القرارات العليا بما فيها اغتيال الجواسيس والخونة، الا ان هذه القرارات الاخيرة كان لا بد لها من ان ترفع الى عالم ديني كي تصدر عنه، وذلك لأسباب دينية.

في بداية تكوينها تألفت خلايا الجهاد على نمط حلقات الأرقم ابن ابي الارقم، أي من خمسة اشخاص على الاكثر من بينهم نقيب مسؤول عن القيادة والتوجيه. وقد وصلت العصبة السرية الى خمس وحدات منظمة مختلفة المهات.

الوحدة الأولى لشراء السلاح، والثانية للتدريب العسكري. والثالثة للاستخبارات ومراقبة خطط الانكليز واليهود السرية، والرابعة للدعوة المستمرة الى الجهاد الديني. والخامسة للاتصالات السياسية.

ولم تكن عملية المجابهة المسلحة في يعبد العملية الفعلية الاولى للقساميين، فهي الخامسة عدداً، إذ سبقها أربع عمليات سرية أفضت مضاجع الانكليز والصهاينة. والأولى من هذه العمليات هي الشهيرة بعملية «نخلال» في مرج ابن عامر، فقد القي القساميون قبلة في ليلة (١٩٣٢/١٢/٢٢) على منزل

موقع الثوار، وكان الرصاص يصم الآذان بلا انقطاع. وحين انتهائها أسفرت المعركة عن استشهاد القسم وثلاثة من المجاهدين. كما ألقى البوليس القبض على أربعة منهم. وروت جريدة الجامعة الإسلامية ان الشهيد القسم قد وجد بعد المعركة مجنحاً لا يملأه الدينية ومعه مصحف شريف وأربعة عشر جنياً ومسدس كبير.

### القساميون في الثورة الكبرى

لم تنته ثورة القسم بل ابتدأت باستشهاده، فقد استمر رفاقه من بعده يعملون. وقد قاموا بعمليات عديدة لم يعرف عنها في حينها أنها من عملياتهم بسبب السرية، إلا أنهم فيما بعد اعترفوا بها أو اعترف بها التاريخ.

أهم حدث في البلاد بعد استشهاد القسم كان الاضراب الكبير الذي انفجر شعبياً وعفويًا في ٢٠/٤/١٩٣٦، والذي انبثقت معه اللجنة القومية في نابلس داعية سائر المدن والقرى الى تأليف لجان مماثلة، وقد لبث الهيئات الشعبية والمواطنون النداء الصادر عن نابلس فتألفت اللجان في أكثر من عشرين مدينة وقرية، وانساقَت الزعامات السياسية والاحزاب كذلك الى الاضراب الطويل كما انساقَت الجماهير، والسؤال الآن، ما هي حقيقة دور القساميين في احداث اضراب الاشهر الستة، وما رافقها من ثورة عارمة.

سبق الاضراب الطويل مسلسل دموي سريع ابتداء ليلة الخامس عشر من نيسان (ابريل) فقد هاجم ثلاثة من العرب قافلة يهودية من السيارات على الطريق العام في قضاء نابلس، وأدى هذا الهجوم الى مقتل يهوديين واصابة ثالث. وقد عرف فيما بعد ان المهاجمين الثلاثة كانوا من القساميين وبقيادة الشيخ فرحان السعدي. واستنتاجاً من طبيعة الاحداث الحارية آنذاك وهي تلخص في موافقة زعماء الاحزاب السياسية على مبدأ التفاوض من جديد مع الحكومة البريطانية، واختلافهم فيما بينهم على عضوية الوفد المفاوض والذهاب الى لندن، نعتقد ان اقدام الشيخ فرحان السعدي على الاصطدام مع اليهود كان هدفه تحدي أسلوب التفاوض السياسي مع السلطة المستعمرة الحاكمة.

نجح القساميون في ذلك، اذ ادى انتقام اليهود

في اليوم التالي من تلك الحادثة الى اصطدامات أدت بدورها الى لجوء المندوب السامي الى تطبيق قانون الطوارئ وفرض نظام منع التجول على مدينتي يافا وتل ابيب منذ مساء ١٩ نيسان (ابريل). وصحت يافا صباح اليوم التالي على إضراب شامل وعلى اشتباكات مسلحة، وقد تحول هذا الاضراب المحلي الى إضراب عام ومفتوح في فلسطين كلها طوال ستة اشهر، وذلك اثر نداءات ثلاثة صدرت عن نابلس ويافا والقدس تدعو الشعب الى المشاركة، وكانت النتيجة بالنسبة الى المفاوضات المتوقعة ان اعلن زعماء الاحزاب قرارهم بتأجيل سفر الوفد الى لندن.

ومرت فترة من الركود الظاهر بعد انتهاء الاضراب زارت في خلالها اللجنة الملكية فلسطين ثم اصدرت تقريرها في (١٩٣٧/٧/٧)، وهو التقرير الشهير الذي احتوى على مشروع التقسيم كفكرة، وكاطار عام دليلاً على امكان تنفيذه عملياً في المستقبل. وقد هب العرب يعترضون على التقسيم في تصريحاتهم ومؤتمراتهم.

وانفجر الوضع العام من جديد، وذلك في (١٩٣٧/٩/٢٦) عندما اقدم «مجهولون» على قتل اندروز حاكم الخليل ومرافقه في مدينة الناصرة. وكان هذا الحدث كافياً لشن حملة من الارهاب ما رأت البلاد مثلها من قبل. لقد اعلنت الحكومة حل اللجنة العربية العليا واللجان القومية. كما اعلنت حلها للمجلس الشرعي الاسلامي الأعلى وعزل المفتي من رئاسته للمجلس، وذلك بعد أربعة ايام من مقتل اندروز.

وفي اليوم نفسه (١٩٣٧/٩/٣٠) اصدرت الحكومة أوامرها باعتقال اعضاء اللجنة العربية العليا، كما شرعت في اعتقال العشرات من المواطنين، ولكنها لم تتمكن من اعتقال المفتي بسبب وجوده في بيته ضمن أسوار الحرم الشريف، فشددت الحراسة حول الحرم. الا انه قد تمكن بعد ذلك من الافلات والتسلل سراً الى لبنان (١٩٣٧/١٠/١٣). ومن هناك عاد من جديد الى قيادة الثورة من الخارج.

من البديهي ان تبحث الحكومة ليل نهار عن قاتلي اندروز، هؤلاء «المجهولين». وقد وجهت كل شكوكها نحو القساميين، والسبب ان اندروز حاكم الخليل كان بدوره اكثر من تعقب خطاهم في الشمال





- فريق من المجاهدين بشباب الميدان

بواعث الثورة، ومن الذين يشيرون الى دوره الكبير رفيقه القسامي صبحي ياسين، فقد لقبه «بالمجاهد الصادق» وقال بأنه «خليفة الشهيد القسام وأول من اطلق رصاصة في سنة ١٩٣٦».

وكان دور القساميين وسواهم من الثوار كبيراً في بداية المرحلة الثانية من الثورة، فقد أخذوا يعملون في المنطقة الشمالية وجبل الخليل بمجموعات متعددة، وذلك حتى تمكنت القيادة السياسية العليا من استرداد نشاطها في الخارج من جديد، ففي تلك الاثناء كان رئيس اللجنة العربية العليا (المنحلة نظرياً) قد وصل سراً الى لبنان وأعاد تنظيم اللجنة بمن وجد من الاعضاء. كما أنه تمكن من إنشاء اللجنة المركزية للجهاد في دمشق كحلقة وصل بينه وبين قادة الفصائل في الداخل، والمسؤول عن هذه اللجنة المؤرخ محمد عزة دروزة يشير الى القساميين في تلك المرحلة بكثير من التقدير والاعجاب. كذلك يشير اليهم صبحي ياسين، ومن القادة القساميين في الثورة خليل العيسى (أبو ابراهيم الكبير) وتوفيق الابراهيم (أبو ابراهيم الصغير) وسليمان عبد القادر (أبو علي).

وكانت ثورة ١٩٣٧-١٩٣٩ ثورة عامة شاملة

بحكم منصبه، وقد حققت الحكومة منهاها عندما تمكنت من القاء القبض على خليفة القسام الشيخ فرحان السعدي مع ثلاثة من رفاقه.

وحين القاء القبض عليه، كانت الحكومة تعلم ما لهذا الشيخ الوقور من ماضٍ نضالي، فالسعدي قد أُلِف في ثورة ١٩٢٩ عصبة من المجاهدين في قضاء جنين. وقد قبضت عليه السلطة في تلك السنة وأُلقت به في سجن عكا ثم سجن نور شمس ثلاثة اعوام، ولما خرج من السجن انتقل الى حيفا حيث اتصل بالقسام وانضم الى عصبته، ثم أصبح الرأس الاول في العصبة بعد استشهاد القسام.

كان هذا كله مدعاة الى السرعة الفائقة في محاكمة الشيخ فرحان السعدي محاكمة صورية في ثلاث ساعات. لا أكثر. وجهت اليه في خلالها تهمة قتل اندروز. ثم صدر عليه الحكم بالأعدام. ونفذ الحكم فعلاً بهذا الشيخ الصائم في شهر رمضان المبارك. وذلك في (١٩٣٧/١١/٢٢).

وقد أدى إعدام السعدي الى بعث الحماسة الجماهيرية الثورية من جديد. ومن الغريب أن تشتهر حادثة إعدام السعدي. ذلك الشيخ المجاهد المسن، الى حد طغى على دوره الكبير كمحرك وباعث من

الثورة. كان من همومه- ان لم يكن همه الأوحد- أن  
تنتشر الثورة.  
وحدة النضال العربي

ان انبعاث ثورة القسام السوري أصلاً على  
أرض فلسطين يضيء صفحة خالدة من صفحات  
وحدة النضال العربي ضد الاستعمار. ودليلاً على هذه  
الوحدة، وفي المأمم الضخم الذي شيع فيه القسام  
وصحبه في مدينة حيفا، أقدم صديقه رشيد الحاج  
ابراهيم على لف النقوش الثلاثة بالأعلام العربية رمزا  
للهدف الكبير وراء استشهادهم، فكان العلم العراقي  
للشهيد القسام، والعلم السعودي للشهيد سعيد عطية  
أحمد المصري، والعلم اليمني للشهيد يوسف عبد  
الله الزياوي.

ابتعاد القسام عن الحزبيات المحلية.

اعتقد القسام بأن الاحزاب السياسية عبث ما  
لم تقم على الايمان الصحيح، وهو لم ينضم يوماً الى  
حزب ما، وهذا مع ضرورة الاشارة الى ان صداقته  
الوطيدة مع رشيد الحاج ابراهيم أحد مؤسسي حزب  
الاستقلال ورجاله الكبار، جعلت بعض المؤرخين  
ينسبونه خطأ الى حزب الاستقلال.

وفي الوقت نفسه، وبالتأكيد، لم ينتسب  
القسام يوماً الى الحزب العربي الفلسطيني، وهو حزب

الحركة الوطنية المؤيد لسياسة المفتي. والغريب فعلاً  
ان يدعي أميل الغوري، وهو أحد أعضاء الحزب  
العربي ان القسام كان من أعضاء الحزب العربي  
بقوله حول استشهاد القسام: «ودعا الحزب العربي  
الفلسطيني (وكان القسام من أعضائه وأحد ممثلي  
منطقة حيفا في لجنته التنفيذية) دعا الشعب الى  
الاضراب العام وعلان الحداد على الشهيد» (فلسطين  
عبر ستين عاماً، ج: ٢، ص: ٣٨).

لو ذكر ادعاء انتساب القسام الى الحزب  
العربي، وادعاء دعوة الحزب الى اضراب عام اثر  
إستشهاده في مصدر آخر سوى مصدر الغوري،  
لكان الرد بالتفصيل وبالأدلة وبالبراهين ضرورة، وأما  
بسبب صدور هذه الأقوال عن أميل الغوري بالذات  
وهو الذي ينضح كتابه بالمغالطات والاطعاء. فنحن  
سوف نكتفي بالرد على ذلك بما قاله جمال الحسيني

شاركت فيها كل الفئات، شاركت المدينة وشاركت  
القرية، وكانت أكبر بكثير من ان تنسب الى رئيس  
فرد او زعيم فرد، او ثائر فرد. وبالإضافة الى  
القساميين كان هناك عدد كبير من القادة الكبار  
ابرزهم القائد عبد الرحيم الحاج محمد، وقد لقب  
بالقائد العام (أبو كمال)، وهناك عارف عبد الرزاق  
(أبو فيصل) وحسن سلامة (أبو علي) وعبد القادر  
الحسيني وسواهم.

وفي الحرب المأساة ١٩٤٧، شارك القساميون  
كأفراد وجماعات، الا أن دورهم لم يكن مميزاً في  
القيادات العسكرية المحلية  
لأن القيادة العسكرية توزعت عملياً مجموعتان:  
جيش الانقاذ بقيادة القائد فوزي القاوقجي، وقوات  
الجهاد المقدس بقيادة القائد عبد القادر الحسيني.  
وبمعنى آخر ما عادت القيادة عبارة عن مجموعة من  
قادة المناطق والفصائل كما كانت في الثورة الكبرى،  
الا ان بطولات القساميين في الحرب الأخير ما قبل  
النكبة تثبت صدق ما يقوله القساميون من أن  
تنظيمهم استمر تنظيمياً سرّياً وعاملاً حتى ١٩٤٨.

أضواء على ثورة القسام

الثورة هي الهدف

القسام ما كان محبا للزعامة او الرئاسة، وما  
كان متهاقناً على شهرة او مجد، كان ثائراً حقيقياً،  
وسيرة حياته تشهد بذلك.

آمن القسام بالثورة، آمن بالجهاد المسلح وسيلة  
وحيدة ممكنة للنصر، وآمن بالسرية المطلقة سرّاً  
للنجاح، فهو حتى تنظيمه لم يطلق عليه اسماً محدداً  
إمعاناً في السرية، وأما الاسماء المتعددة من  
«القساميين» «وعصبة القسام» «وجماعة القسام»،  
فكلها أسماء انتشرت واطلقت بعد استشهاد القسام.  
وما كان رفاق القسام بأقل منه حرصاً على  
انتشار الثورة، وقد عرفنا دور الشيخ فرحان السعدي  
في بداية الاضراب، ومن ثم في انطلاق الثورة من  
جديد، فالقساميون اذن ما سقطت من يدهم  
الشعلة، لقد عملوا باستمرار وتواصل عنصراً رئيسياً  
من عناصر الثورة.

والذين يعرفون القسام يشهدون بأن هذا الرجل  
ما كان من همومه ابداً ان تنسب اليه ثورة، أو



الزمن.... يسمع القسم وصحبه هذا فيثورون عليه ويخرجون... يخرجون عمن؟ يخرجون عن أعشاش فيها قطع من اللحم كأفراخ العصفير ينتظر كل منها معيله ليسقط في متقاره ما يسد به جوعه ويروي عطشه.... فيندفع القسم وصحبه من تلك الأعشاش لتثيت المبدأ وإحقاق الحق وإعلاء شأن الايمان، ونحن إذ نرى منهم ذلك لا يسعنا إلا ان نشعر بتبكيك الضمير واحمرار الوجوه فندعو الله أن ينير قلوبنا بهذا الايمان» (جريدة الجامعة العربية العدد ١٧٢٥، ١/٧، ١٩٣٦).

### علاقة القسم بالمفتي .

كان القسم واعظاً دينياً في حيفا، وهذه المهمة هي في أساسها مرتبطة بالمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، وبتعيين من مجلس الحاج امين الحسيني. ويتضح من هذا، العلاقة الدينية والعملية بين الرجلين. وأما عن علاقة العمل السري أو علاقة الجهاد فعلى الرغم من محاولات البعض اثبات علاقة ما من هذا النوع، الا أنه لا يوجد أية حقائق ثابتة حول ذلك. وهذا في الوقت الذي بنى فيه المنطق العام وجود أية علاقة بينهما بشأن التنظيم السري أو بشأن عزم القسم على إعلان الجهاد. إذ أخفى القسم هذا الخبر حتى عن أقرب الأصدقاء اليه، فلماذا يخبر المفتي إذن أو حتى يستشير، والمفتي كان واضحاً جداً في سياسته العامة في تلك المرحلة، وهي سياسة «اللاتوريط» التي أعلن عنها في مؤتمر يافا الشهير (١٩٣٣/٣/٢٦)، وهي السياسة نفسها التي كان مستمراً عليها، وما تحول عنها تحول الزعيم السياسي القدير إلا بعد الاضراب الكبير.

وأما عن علاقة المفتي بالقساميين، فالواضح والأكيد أن العلاقة بين الفريقين في أحداث الثورة وما تلاها كانت متينة وصلبة وقائمة على الثقة المتبادلة لقد استوعب المفتي جميع القساميين في صفوف الجهاد والثورة محترماً تنظيمهم الخاص السري، وهم بدورهم تعاونوا معه ومع اللجنة المركزية للجهاد تعاوناً صادقاً شعاره الجهاد في سبيل الله. ■



— الشيخ الشهيد عز الدين القسام

نفسه رئيس الحزب العربي.

جمال الحسيني ما ادعى يوماً من الأيام بأن القسم كان من اعضاء حزبه، وقد سألته حول ذلك في إحدى المقابلات فنفي نفياً قاطعاً، وأبدى عجبه من السؤال. ونفي ذلك ايضاً كامل الدجاني أحد اركان الحزب العربي.

ونقتطف هنا فقرة من خطاب رئيس الحزب العربي إثر استشهاد القسم، وفيها ينتقد جمال الحسيني موقف السياسيين من أمثاله نقداً ذاتياً:

«ثورة القسم كانت ثورة علينا جميعاً، شباناً وشيوخاً وكهولاً، إذ يقول كل واحد منا في قلبي إيمان وفي نفسي اخلاص وعزيمة ولكني مثقل وورائي عائلة كبيرة أخاف ان خرجت ان يتخطفهم الذل والعار والموت وليس لدي ما يدفع عنهم عوادي

## المراجع

### (أ) الوثائق :

- زعيتر، أكرم. أوراق اكرم زعيتر، محفوظة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

### (ب) المقابلات :

- الحسيني، جمال. البرزة : ١٩٧٣.

- الدجاني، كامل. بيروت : ١٩٧٣.

- دروزة، محمد عزة. دمشق : ١٩٧٤.

- زعيتر، أكرم. بيروت : ١٩٧٤.

- شبلاق، حسن. بيروت : ١٩٧٣.

### (ج) الكتب والمقالات :

- الحوت، بيان نويهض. القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨. يصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٩.

- دروزة، محمد عزة. حول الحركة العربية الحديثة. ج : ٣. صيدا : المكتبة العصرية، ١٩٥٠.

- الزركلي، خير الدين. الاعلام. الطبعة الثالثة. ج : ٧. بيروت : لا. ن.، ١٩٦٩.

- الشيخ خليل، ابراهيم. «رسالة من مجاهد قديم : ذكريات عن القسام»، مجلة شؤون فلسطينية، ١٩٧٢/٣/٧.

- غنيم، عادل حسن. «ثورة الشيخ عز الدين القسام» مجلة شؤون فلسطينية، ١٩٦١/٨/١٦.

- نويهض، عجاج. «الشيخ عز الدين القسام»، جريدة الأنوار، العدد ٦٠٩، ١٩٦١/٨/١٦.

- ياسين، صبحي. الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦-١٩٣٩. لا. ب.، دار الهنا للطباعة، ١٩٥٩.

### (د) الدوريات :

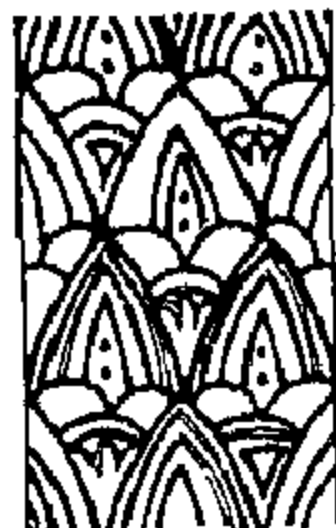
- جريدة الجامعة الاسلامية. يافا، ١٩٣٥.

- جريدة الجامعة العربية. القدس، ١٩٣٥.

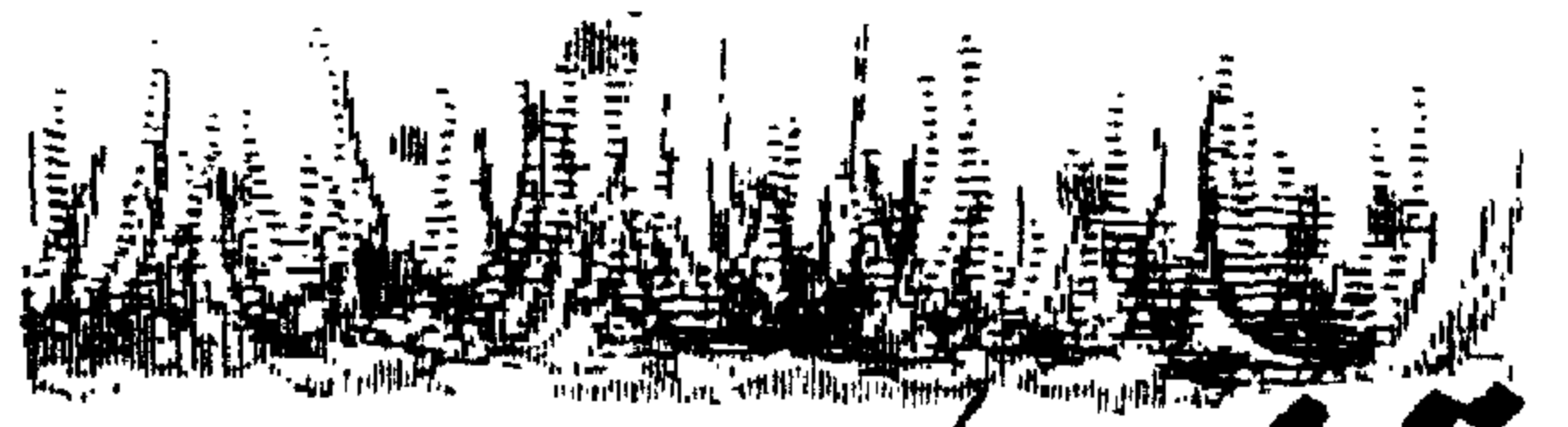
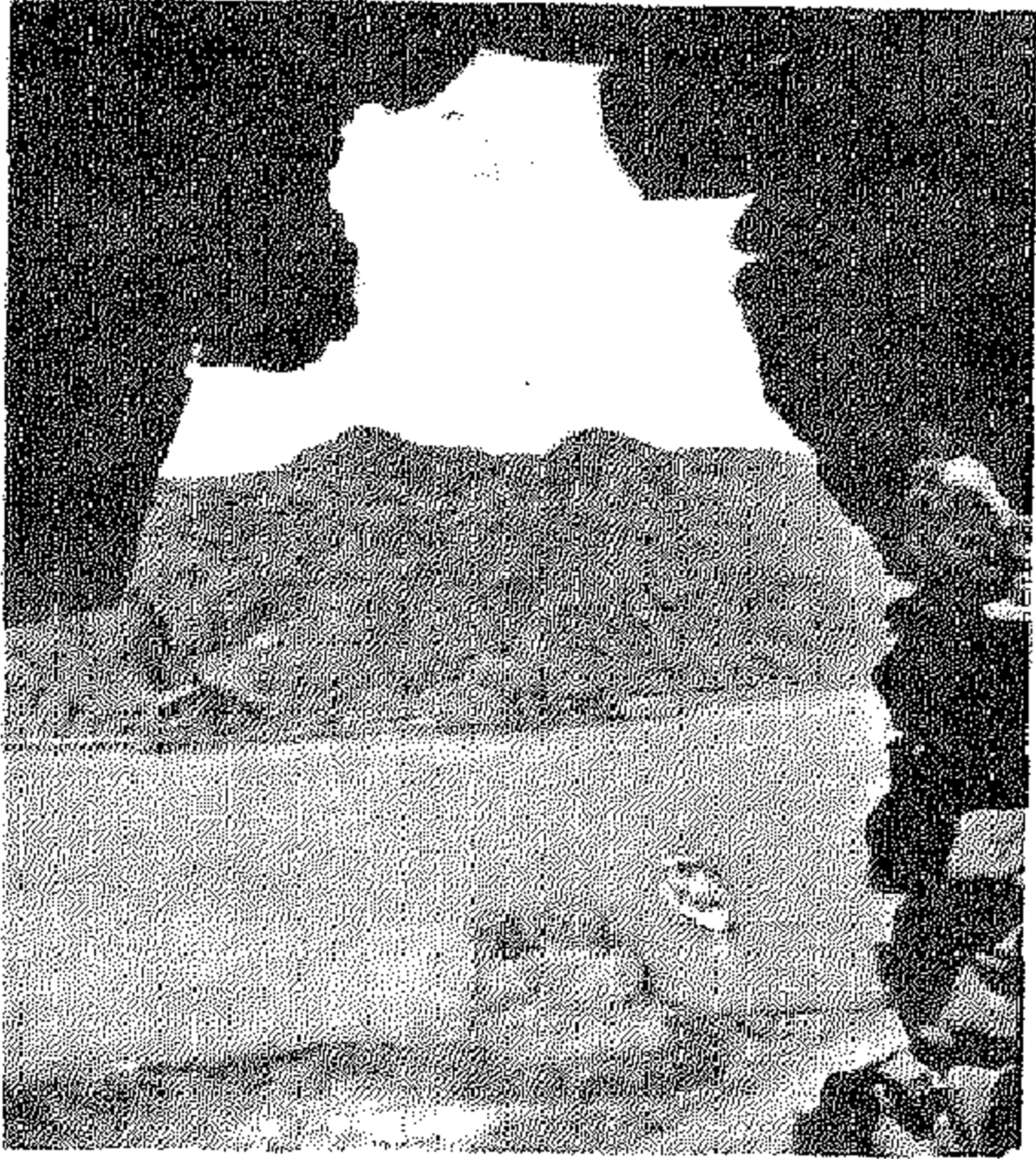
- جريدة فلسطين. يافا، ١٩٣٥.

### (هـ) الصور :

- المكتبة العامة في مركز الابحاث : منظمة التحرير الفلسطينية. بيروت.







# قضية الحدود بين فلسطين ومصر

١٨٤٠ - ١٩١٧

الجزء الثاني

د. خيرية قاسمية

اهتمام بريطانيا العملي بالحدود

■ فشلت مفاوضات العريش في تقديم نتائج محسوسة ولكن الحكومة البريطانية - ظلت تنظر الى الحركة الصهيونية كعامل هام في سياستها في الشرق الأدنى يمكن أن يحسب حسابها ، واتخذ كرومر خطوات معينة لتقوية مركز بريطانيا هناك فعين الكولونيل براملي مفتشاً لسيناء عام ١٩٠٥ .

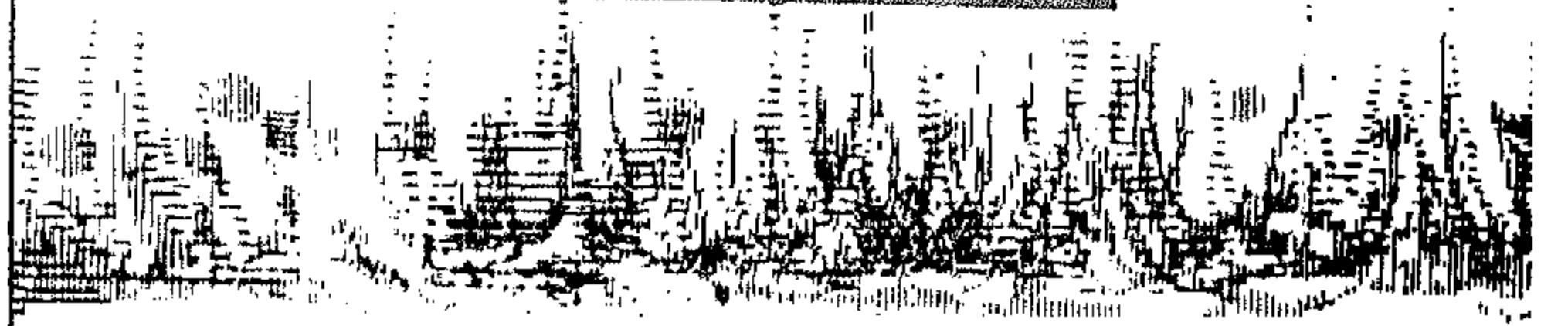
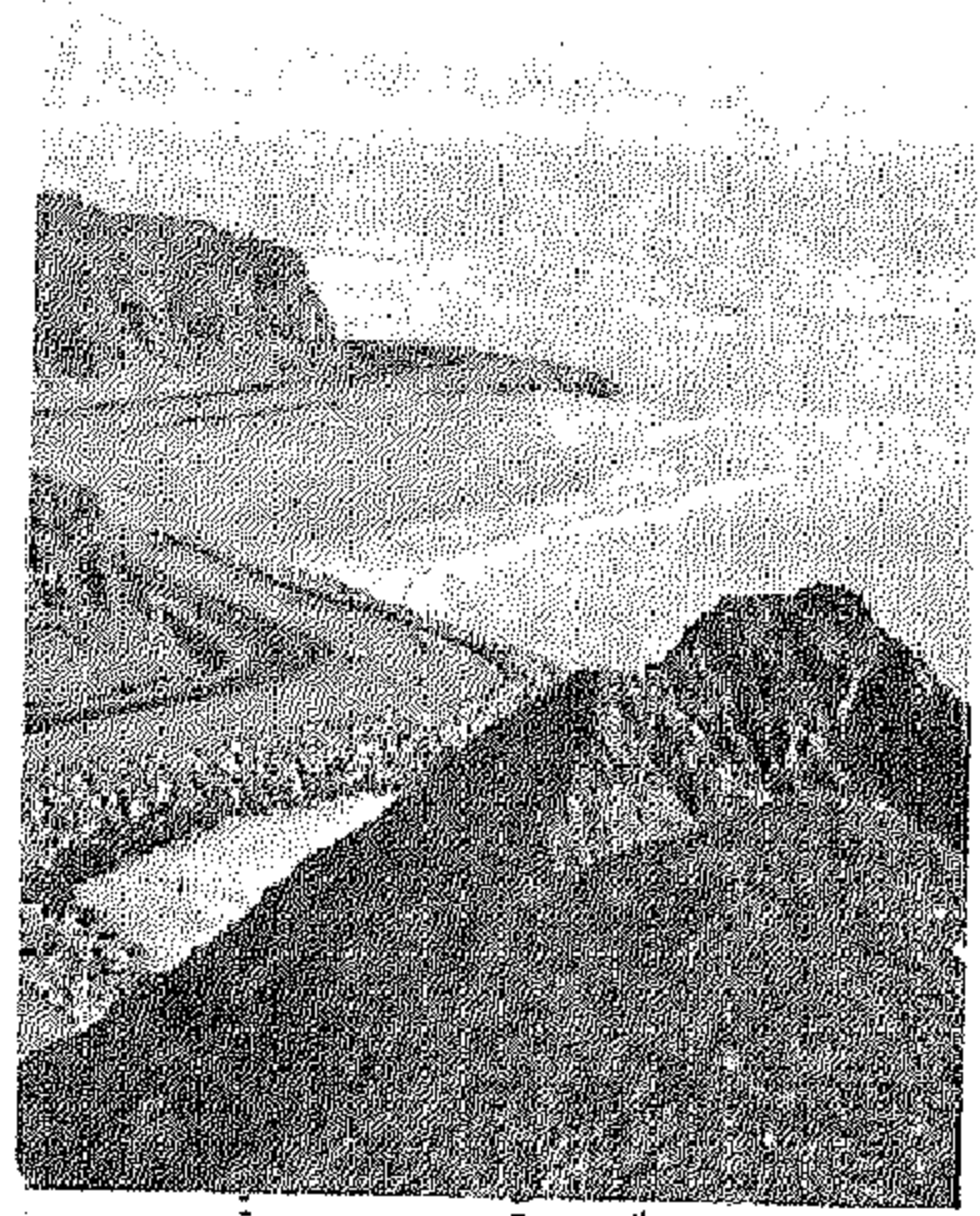
فشرع هذا في اجراء اصلاح ادارى هناك وارسل بعد ذلك قوات مصرية لاحتلال مراكز معينة داخل سيناء بما فيها طابه على الشاطئ الغربي لخليج العقبة ولكن وجدت قوات تركية قد احتلتها مسبقاً في ١٧ شباط/فبراير ١٩٠٦ وجرت مفاوضات بين الحكومة المصرية والاستانة وتمسكت الحكومة العثمانية . الى ان حدود سيناء يجب ان تمتد من رفح الى السويس ومن السويس الى العقبة واصرت الحكومة المصرية على ان تكون

برقية ٨ نيسان/ابريل ١٨٩٢ اساساً لاي تسوية .  
بينما اصرت الاستانة على ان تفسير البرقية هو مسألة  
تهم فقط الحكومة العثمانية .

ولجأت السلطات في مصر الى القيام  
باستعدادات وتحركات عسكرية في منطقة الحدود  
وعلى السواحل ، قابلتها الحكومة العثمانية بامداد  
النقط الحربية على الحدود بقوات جديدة .  
واخترقت قوة عسكرية منطقة رفح وازالت  
عمودي الحدود من مكانها .

وبلغت قضية الخلاف مرحلة خطيرة فاعزت  
الحكومة البريطانية الى سفيرها في الاستانة رفع  
انذار الى الباب العالي في ايار/مايو ١٩٠٦ باجابة  
مطالب حكومته خلال عشرة ايام وتتلخص  
باحتيال طابه وعودة الجنود العثمانيين من رفح  
الى حدودهم واعادة عمودي الحدود الى مكانها .  
ودل الانذار ان بريطانيا مصممة على استخدام  
القوة اذا لم تجب الى مطالبها ، وايد سفير فرنسا  
وروسيا في الاستانة السفير البريطاني كما اعلنت  
المانيا عدم تعاضدها للدولة العثمانية في هذه  
المشكلة .

وعرضت القضية برمتها على لجنة الدفاع عن  
الامبراطورية وهي جهاز استشاري بريطاني . ولم  
تكن المشكلة امتلاك طابه بالذات كما دلت



مناقشات لجنة الدفاع في الامبراطورية ، بل ان يصبح خليج العقبة «بحرة مغلقة» يتحكم بها الاتراك ويزيد احتمالات هجوم تركي على الحدود ، ابحت اللجنة في أساليب الضغط العسكري أو البحري الذي يمكن ان يطبق على الدولة العثمانية في حالة رفض الجلاء عن المنطقة المصرية ، وكان من بينها قطع طريق الامدادات التركية عن اليمن الذي قد يؤدي الى نشوب ثورة في الحجاز أو سورية .

وقبل ان ينقضي اجل البلاغ بضع ساعات اصدرت الدولة العثمانية اوامرها برجوع جنودها عن طابه وعن كل النقط المحدودة من الاملاك المصرية . واتفق الباب العالي وبريطانية على تحديد التحوم الفاصلة بين سيناء والولايات العثمانية بواسطة لجنة مشتركة من الطرفين ووقعت إتفاقية حدود سيناء في أول تشرين أول ١٩٠٦ ، وتبدأ من رفح على ساحل المتوسط وتمتد جنوباً بشرق الى نقطة تبعد ثلاثة أميال عن قلعة العقبة غرباً على محاذة ساحل خليج العقبة .

\* \* \*

تكتيك شراء الأراضي العربية

وعاد التفكير ثانية بإحياء المشروع الذي عرض على هرتزل لإنشاء مستوطنة يهودية في الجزء

الشمالي من جزيرة سيناء قرب الحدود التركية . في المنطقة التي كانت مثار نزاع متواصل بين السلطات العثمانية والحكومة المصرية . وفي حين كان مشروع هرتزل قد تم الأعداد له والإشراف عليه عن طريق وزارة الخارجية البريطانية والسلطات البريطانية في مصر يبدو أن المحاولات المتأخرة التي تولتها شركات استيطان يهودية لم يؤخذ بها رأي وزارة الخارجية قبل الشروع بها ، وإن كان نائب القنصل البريطاني في غزة كنزفيتش A. Knezevich قد عمل وكيلاً لعمليات الشراء باسم شركات الإستيطان اليهودية وكانت السلطات البريطانية في مصر - كذلك الهيئات القنصلية في القدس - على علم بهذه التحركات منذ أن بدأ التفكير فيها ١٩٠٨ وأصبحت موضوع مراسلات عديدة ومعقدة بين القدس والآستانة والقاهرة ولندن .

ويبدو أن المعتمدة البريطانية في القاهرة قد أبلغت كذلك السفارة البريطانية في الآستانة بالموضوع ، وطلبت إتخاذ الإجراءات لمنع نشاط كنزفيتش حتى لا يبدو أنه يتمتع بموافقة حكومة جلالته ، لذلك قام لوثر السفير البريطاني في الآستانة بإبلاغ القنصل البريطاني في القدس (ساتو) Satow في برقية في ١٦ نيسان /إبريل ١٩١١ بتفاصيل القضية التي يعتبر أنها تؤثر على العلاقات مع السلطات العثمانية من جهة ومع العرب المصريين وان المشروع غير مرغوب الإستمرار فيه . ومن المحتمل أن يعطي انطباعاً كاذباً بأن المشروع يتمتع بدعم حكومة جلالته .

وظلت المراسلات مستمرة منذ عام ١٩٠٨ حتى بداية ١٩١١ إلى إن تم توقيع عقد بين كنزفيتش وستة أشخاص يمثلون الشركة . وبموجبه يشترى الأول أرضاً مساحتها ٥٠٠٠٠٠ دونم في رفح على مسافة كيلو متر من عمود الحدود العسكري وقد تم حتى تاريخ إرسال ساتو التقرير شراء ١٠٠٠٠ دونم ولم يتم شراء أرض لمصلحة هذه





حسين بن علي

الوقت الحاضر، إلا أن هجرة يهود روسيا أو غيرهم منها كانت أعدادهم سيثير بلا شك مشاكل قد تكون مؤسفة جداً، وبالإضافة إلى هذه الإعتبارات هناك صعوبة حصول المستوطنين اليهود على أرض لها حقوق ملكية واضحة لأن هذه الحقوق في سيناء تعتمد على العرف ويصعب بالتالي تحديدها ومع أن الحكومة المصرية هي التي لها حق الملكية إلا أنها قد منحت السكان هناك حقوقاً عرفية للرعي والزراعة ولا ترى الحكومة المصرية أي داع لوضع حق ملكيتها موضع التنفيذ في الوضع الحاضر، أي طالما أن الأرض يشغلها عرب منحوا حق إستخدامها لعدة أجيال ولا يتبع ذلك أن تبقى الحكومة المصرية حقوقها معلقة لو جرت محاولة لإنشاء مستوطنة أجنبية، وهي ليست على استعداد في الوقت الحاضر للتخلي عن هذه الحقوق نظراً لما قد يثار من قضايا صعبة ومعقدة.

ويكشف تشيتام في رسالته أن محاولة شراء أراضي لاستيطان مهاجرين يهود في المنطقة المجاورة لرفح قد جرت قبل عام ١٩١١ ولم يبلغ عنها في حينها، وتمت الصفقات الأولى منذ النصف الأول لعام ١٩١٠، رغم تحذير السلطات المصرية للوكلاء الذين تولوا المفاوضات من الأخطار التي قد يتعرض لها موكلوهم بسبب عدم ضمان حقوق الملكية.

وقد أشار تشيتام في رسالته بأنه كانت هناك منظمة أخرى للإستيطان اليهودي باسم المنظمة العامة للإستيطان اليهودي يتولاها عدد من اليهود الألمان برئاسة الفرد نوسيج Nossig كانت تفكر في نفس المنطقة ضمن مشروع واسع يشمل الشرق كله.

ويبدو أن كترفيتش ظل يلح على طلب إجازة تفتيشية للتوجه إلى الحدود المصرية لأمر يتعلق بعمليات شراء الأرض، وعاد مكريغور في رسالته إلى السفارة البريطانية في الآستانة ١ آب/

الشركة في الجانب التركي من الحدود. وقد برر كترفيتش عمله بأنه نوع من عمل تجاري وأنه لم يستخدم صفته القنصلية للتأثير على بيع الأراضي إذ أنها قد تمت في الجانب المصري حيث لا مركز رسمي له. ولكن معرفته الشخصية بالمواطنين قد أفادت مفاوضاته وباعتقاده أنه نظراً لأن معظم اليهود المهتمين بإنشاء المستوطنة المقترحة كانوا من التبعية البريطانية فهو إنما يدعم المصالح البريطانية...

وقد رأت وزارة الخارجية البريطانية أن تستطلع رأي السلطات في مصر فبعثت نسخة من التقرير إلى تشيتام (وكيل المعتمد البريطاني) وفي رسالة الأخير إلى غراي في ١٧ حزيران/يونيو ١٩١١ أوضح الموقف في مصر من عمليات الشراء مبيناً قبل كل شيء الصفة العامة لجزيرة سيناء التي يسكنها فقط عرب رحل لا يخضعون تماماً للنظم الإدارية المصرية، بل إلى حد بعيد طبقاً للعادات القبلية ويديرها موظفون إنجليز يتبعون وزارة الحربية المصرية، وهذا الوضع يبدو مرضياً إلى حد كبير في

أغسطس ١٩١٢ يجدد الطلب مؤكداً أن كنفيتش ما زال يعمل على شراء أرض استيطان يهودية وهو أمر يثير حيرة القنصلية في القدس بشأن الموقف الواجب إتخاذه حيال هذه الصفقات .

وأبلغت قنصلية القدس كنفيتش بصورة شخصية أن البيع لا يزال مستمراً بطريقة سرية ، وحذرت بضرورة التيقظ ، وامتنعت السفارة البريطانية في الآستانة عن إعطاء الإذن لكنفيتش بمغادرة المنطقة من أجل قضية شراء الأراضي ( التي

دعاها كتشنر عملية غير شرعية ) ما لم تتأكد السفارة مسبقاً أن هدف كنفيتش هو وضع حد نهائي لعملية الشراء .

وأبلغت وزارة الخارجية بالتطورات الأخيرة في ١٤ آب / أغسطس ١٩١٢ في رسالة بعث بها مارلنغ مستفسراً عن رد القاهرة فيما يتعلق بالتعويض على كنفيتش نظراً لحسن نيته ولذلك بعث لورد غراي وزير الخارجية في ٢٦ آب / أغسطس ١٩١٢ إلى مصر لحث السلطات البريطانية فيها على إرسال رد على رسالته ١٨ أيلول / سبتمبر ١٩١١ ويعترض فيها على تقييم لورد كتشنر لتصرف كنفيتش .

بريطانيا تستغل ضعف تركيا في فلسطين .  
واتفقت آراء الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية البريطانية مع رأي كتشنر ، وتقرر ضرورة سحب ما ورد في رسالة وزير الخارجية - ١٨ أيلول / سبتمبر ١٩١١ بعدم لوم كنفيتش والتعويض عليه لأنه فعلاً لا يستحق أي تعويض وأبلغت الأطراف المعنية بآراء وزارة الخارجية حول هذا الأمر .

لقد كانت الدوافع الرئيسية التي تكمن وراء اعتراض السلطات في مصر على حصول كنفيتش وشركائه لأراضي من أجل أغراض الاستيطان قرب الحدود المصرية التركية ، إنما خشية أن يؤثر ذلك على علاقات الحكومة البريطانية مع السلطات

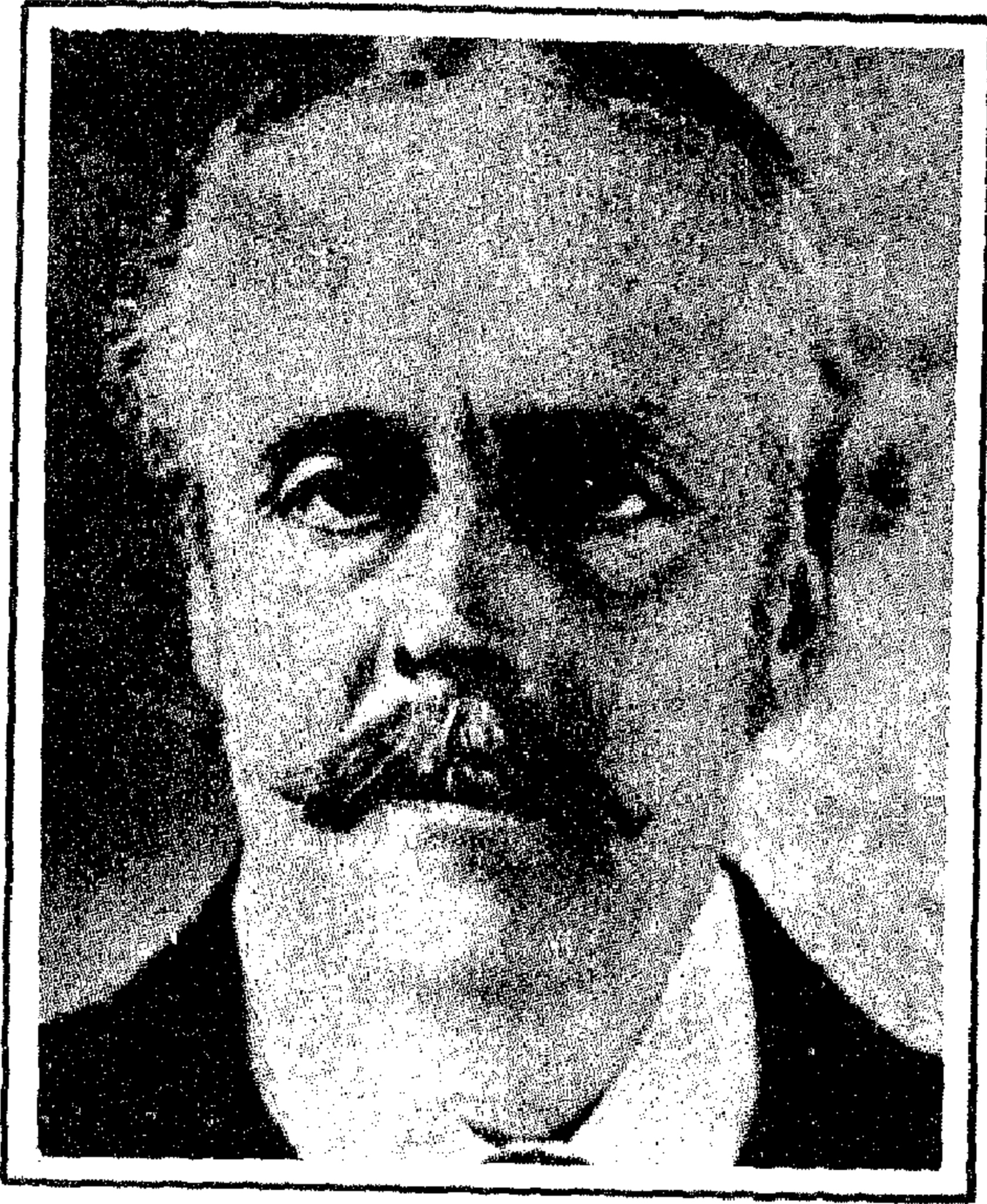
العثمانية من جهة ومع القوى المحلية في مصر من جهة أخرى . ولم تمنع هذه الحقائق منظمات الإستيطان اليهودية عن إتباع أساليب جديدة لإتمام عمليات الشراء .

وكان الهدف النهائي للمعاملات الجارية كما يرى مكريغور ، هو نقل الأرض المذكورة إلى مؤسسة الإستيطان اليهودي المعروفة باسم « شركة تطوير الأراضي الإنجلوفلسطينية »  
Anglo-Palestine Development Company

ودخول (مس بالمير) شريكاً كان يضمن للشركة بالإضافة إلى المساعدة المالية . حماية القنصلية البريطانية في قضية نقل حقوق الملكية . وكانت النية أن تؤسس الشركة وتسجل في القاهرة . على أن يقام لها فرع في القدس تحت الحماية البريطانية . ولكن ما هو مؤكد أن فكرة إنشاء مستوطنة على الجانب المصري من الحدود قد تُخلي عنها واقتصرت محاولات الشراء على الجانب التركي من الحدود . ولم يكن الموقف البريطاني من عمليات الشراء يعني توقف الإهتمام بالمصالح البريطانية على الحدود التركية المصرية ، فقد أثبت مجدداً مسألة الدفاع عن الحدود الشرقية لمصر نتيجة لتغير الأوضاع في الدولة العثمانية بعد تراجعها كقوة عسكرية إثر الحرب الطرابلسية ١٩١١ وحروب البلقان ١٩١٢/١٩١٣ . واستبعدت السلطات العسكرية في إنجلترا احتمال قيام الدولة العثمانية بعمليات هجومية ضد مصر عبر شبه جزيرة سيناء ولم يوافق كتشنر - المعتمد البريطاني في مصر - على أنقاص القوة العسكرية في مصر ، إذ برأيه أن عودة القوات المهزومة الممتلئة بالعداء المرير للأوروبيين بعد انتهاء الحرب البلقانية سيكون مصدر قلق للسلطات في مصر .

ويفسر هذا زيادة الإهتمام البريطاني بما كان يحدث في فلسطين نتيجة للهزائم التركية . وسعت الأجهزة البريطانية إلى ترويج الدعاية القائلة بأن





بلفور

معينة في مصر وإنجلترا، ومن المعروف أنه قد رسخت في ذهن لورد كتشنر (المعتمد البريطاني في مصر) منذ أيلول/ سبتمبر ١٩١١ وحتى اندلاع الحرب هذه الفكرة وعمل على نشرها في الدوائر الرسمية قبل الحرب.

وتمكن البعثة من مسح صحراء سيناء في المثلث بين بئر السبع والعقبة - وادي عربة وعدلت نتائج تحرياتها إلى حد كبير الفكرة السائدة بأن نقص المياه ومصاعب النقل تمنع أي هجوم خطير من فلسطين، كما أن المعلومات التي قدمتها البعثة عن الصفات الطبيعية ووصف الأماكن ومواقع المياه مع الصور التوضيحية والمخططات كانت ذات قيمة كبرى بعد نشوب الحرب حين توجهت الأنظار إلى شمال سيناء. ولم ينشر (صندوق الاكتشاف الفلسطيني) هذه الدراسة والخرائط التوضيحية الملحق بها في حينه بناء على طلب وزارة الحربية التي رأت «أنه من غير المرغوب أن تصل إلى العدو يمكن أن يجعل هذا البلد قاعدة للهجوم على مصر». ونشر البحث تحت عنوان (صحراء التيه) بعد احتلال القدس ١٩١٧.

أحسن بديل للحكم العثماني في هذا الجزء من العالم هو امتداد الحدود المصرية إلى حدودها القديمة في عكا. وكان هذا الرأي ينتشر قبلاً بين اليهود إلا أن الدعاية البريطانية حاولت نشره بين سائر الأوساط، ولعب نائب القنصل البريطاني في غزة لوجوده قرب الحدود المصرية التركية ولعلاقته الوثيقة بالأهالي، دوراً كبيراً بنقل أخبار منطقته ومنطقة بئر سبع ورغبة القبائل البدوية هناك في الالتحاق بمصر.

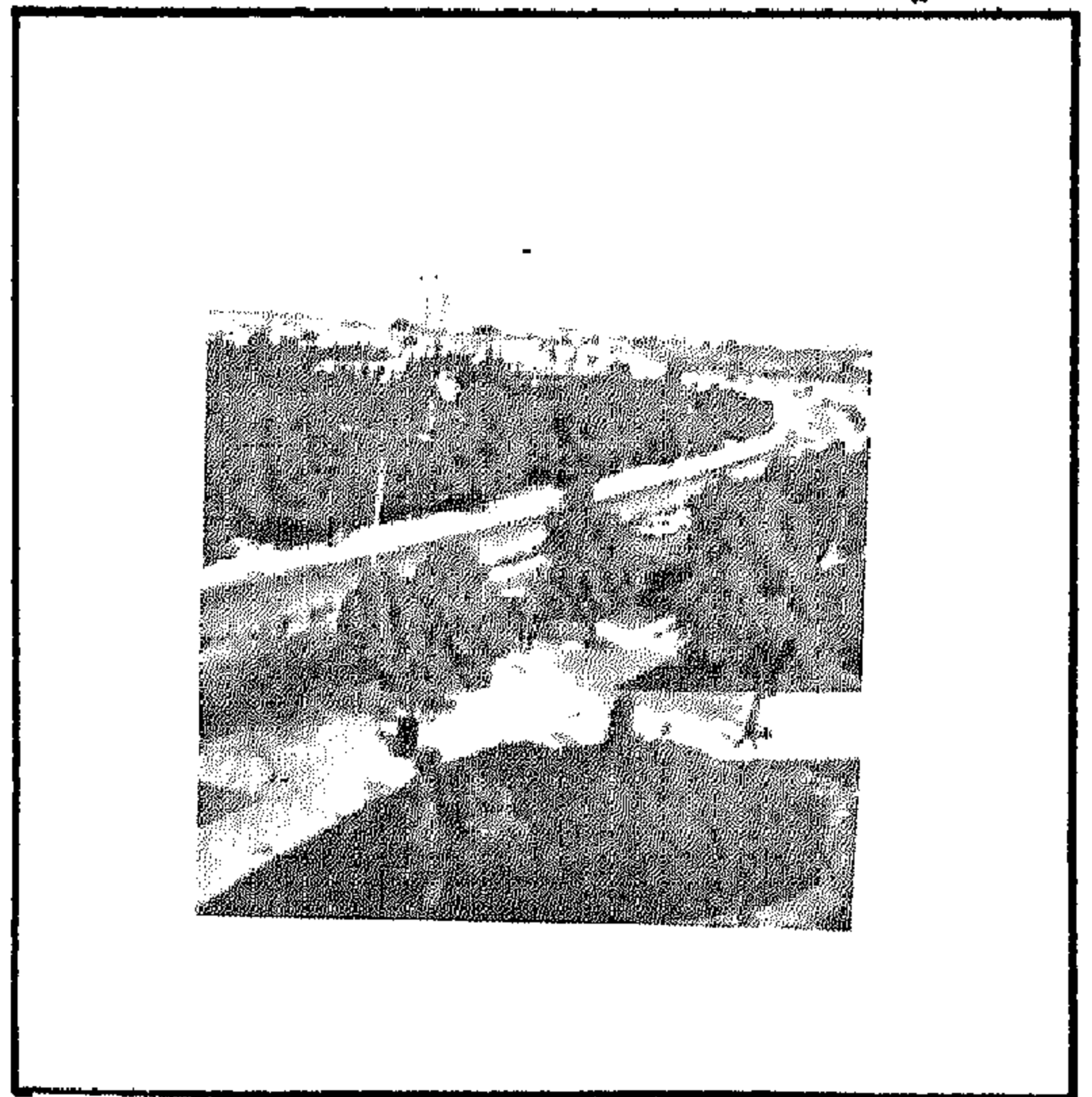
فلسطين بين مصالح فرنسا وإنجلترا.

ونظراً لأن فرنسا كانت قبل الحرب العالمية الأولى تعتبر صاحبة الإدعاء الأول في سورية وأنها البديل الوحيد للحكم العثماني في سوريا، فقد بدأت الصحافة الفرنسية توجه اتهامها بوجود تأمر بريطاني على سوريا لإحتلالها وأن مصر مصدر هذا التأمر وأنكر كتشنر في رسالته إلى غراي في ٨ كانون أول/ ديسمبر ١٩١٢ هذا الإتهام مع تأكيده على وجود شعور موالي لبريطانيا في سوريا. وأعلن بوانكاريه Poincaré رئيس وزارة فرنسا أمام البرلمان الفرنسي في كانون أول/ ديسمبر ١٩١٢ موقف بريطانيا في نفي تهمة التأمر على سورية. ورأت الصحف الفرنسية بأن ذلك إقرار من بريطانيا بالمصالح الفرنسية.

وهكذا فإن دوائر الخارجية البريطانية قد قبلت قبل الحرب العالمية الأولى بالرأي القائل بأن سورية هي منطقة نفوذ سياسي فرنسي، إلا أن السؤال الوحيد الباقي والذي يهم المصالح البريطانية الحيوية هو أين يرسم الحد الجنوبي (للسورية الفرنسية) في المستقبل؟ أو بعبارة أخرى ما هو مصير الجزء الجنوبي من الشاطئ الذي يحمل الاسم التاريخي لفلسطين؟ واكتسب الرأي القائل بأنه في حالة تجزؤ الأمبراطورية العثمانية يجب بذل الجهد لفصل سورية الجنوبية حتى ميناء حيفا وعكا وتشكيل كيان منفصل تحت النفوذ البريطاني، اكتسب هذا الرأي تأييداً في دوائر

ولما تفجرت الحرب وانضمت تركيا إلى دول الوسط لم تكن بريطانيا على استعداد لاحتلال الجزء الجنوبي من فلسطين والدفاع عن مصر من جهة حدودها الشرقية ، فتخلت لفترة عن الجزء الأكبر من سيناء للقوات التركية وقنعت بصد الهجمات عن القناة ، وفي الأيام الأولى من شباط/ فبراير ١٩١٥ تقدم جيش تركي قوامه/٢٠٠٠٠/ مقاتل نحو منطقة القناة وهاجم عدة مواقع وأمكن رده بسهولة ، ولكن مجي الجيش التركي كان درساً موضوعياً للإستراتيجية البريطانية بالنسبة للخطر الذي يهدد مصر والقناة من عدو يحتل فلسطين .

لقد تحققت بريطانيا بعد كل هذه الإعتبارات ونتيجة للمراحل الأولى للحرب أهمية فلسطين الإستراتيجية ، والخطر على مصر والقناة من عدو يحتل مصر ، وإن الضرورة العسكرية تحتم مد حدود سيناء ، ومن أجل تنفيذ خطة سياسية عسكرية لحصول بريطانيا على فلسطين ، بحيث يكون لها الإشراف المنفرد عليها ، أخذت تتحرك ببطء ، فأخرجت فلسطين أولاً من دائرة نفوذ فرنسا وفي اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ وافقت بريطانيا على وضع فلسطين تحت الإشراف الدولي - عدا خليج عكا وحيفا - تمهيداً لنقلها إلى منطقة النفوذ البريطاني .



جانب من مدينة بئر السبع عاصمة النقب الشمالي

ولما قامت القوات التركية بهجوم غير ناجح صيف عام ١٩١٦ على القناة رفضت القوات البريطانية أن يشاركها في احتلال فلسطين قوات أخرى من الحلفاء بما فيهم قوات الثورة العربية ، في وقت سمحت فيه لفيلق يهودي بالإلتحاق بالحملة البريطانية . كما تعاونت مع شبكة نجس صهيوني . ولأن فلسطين الآن وكما كانت دوماً مفتاح مصر . ولذلك فإن مشكلة الدفاع عن مصر ، والتي تدعى (بكعب أخيل) الأمبراطورية البريطانية البحرية ، ذات مكانة فريدة في النظام الإستعماري الأمبريالي البريطاني .

ولقد وصل هذا التقليد الطويل للإهتمام والعطف البريطاني على الصهيونية ذروته بتصريح بلفور ونقلت منشورات المنظمة الصهيونية بعد صدور تصريح بلفور رأى الصحافة البريطانية . فذكرت ايفنغ ستاندرد Evening standard « أن المصالح البريطانية كانت قد أوضحت دوماً أن لا بد من قيام دولة حاضرة بين مصر وبين حكومة تركية معادية ، ويظهر أن الصهيونية قدمت هذا الحل » .

ومع أن الأمبراطورية العثمانية قد زالت من الوجود بعد الحرب ، وهزمت ألمانيا كقوة أوروبية كبرى ، وساهم العرب كشركاء في نصر الحلفاء . وزال التهديد الألماني التركي لمصر من الشرق . ظلت بريطانيا تدعم الوجود الصهيوني في مؤتمر السلام . وكانت فلسطين من حصتها كدولة منتدبة واشترط صك الإنتداب تنفيذ تصريح بلفور . لم يكن ذلك إلا لوجود خطر واحد يهدد المصالح البريطانية التي تحوم حول قناة السويس الطريق البحرية التي تؤدي إلى الهند ، عبر عنه كاتب عربي في عام ١٩١٩ بقوله : « فإن حسب سياسيو إنكلترا أن امكانية اتحاد الأمم الناطقة بالضاد الساكنة لشرقي القناة سيهدد سلامتها فانهم برأي كاتب هذه السطور يؤسسون ولاية يهودية لتفصل بين العالم العربي وتحمي القناة » ■



## نحو تاريخ بدون تزيف...

بعد الرسالة التي أثار فيها أحد قراء «تاريخ العرب والعالم» مسألة البت نهائياً فيما إذا كان الأمير فخر الدين المعني الثاني بطلاً وطنياً كما يقول البعض، أم متعاوناً مع الأجنبي، كما يقول البعض الآخر. وبعد الرد الذي كتبه «لتاريخ العرب والعالم» الاستاذ محي الدين قدورة (العدد ٤) والذي تبنى فيه مدرس التاريخ وجهة النظر الثانية، وبعد ان رد أيضاً المحامي الاستاذ عصام العريضي على الرد مبرئاً ساحة الأمير فخر الدين (العدد ٥)... ها هو العقيد الدكتور ياسين سويد يدلي بدلوه، عارضاً وجهة نظره.

# لا تحكموا على فخر الدين قبل أن تحاكموه

ع. د. ياسين سويد

قرأت رسالة السيد سامي الشامي (النبطية) وما ورد فيها من شكوك حول سيرة الأمير فخر الدين المعني الثاني الكبير، كما قرأت رد الاستاذ محي الدين قدورة على هذه الرسالة. وبصفتي واحداً من الذين سعوا وراء الحقيقة في هذا المضمار سنوات طويلة (أربع سنوات من التحضير لرسالة الدكتوراه في التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في العهد المعني، وخاصة عهد فخر الدين)، رأيت من واجبي أن أسهم في هذا الحوار المفيد لعل ذلك ينير بعض الجوانب المظلمة في تاريخ هذا الأمير العربي.

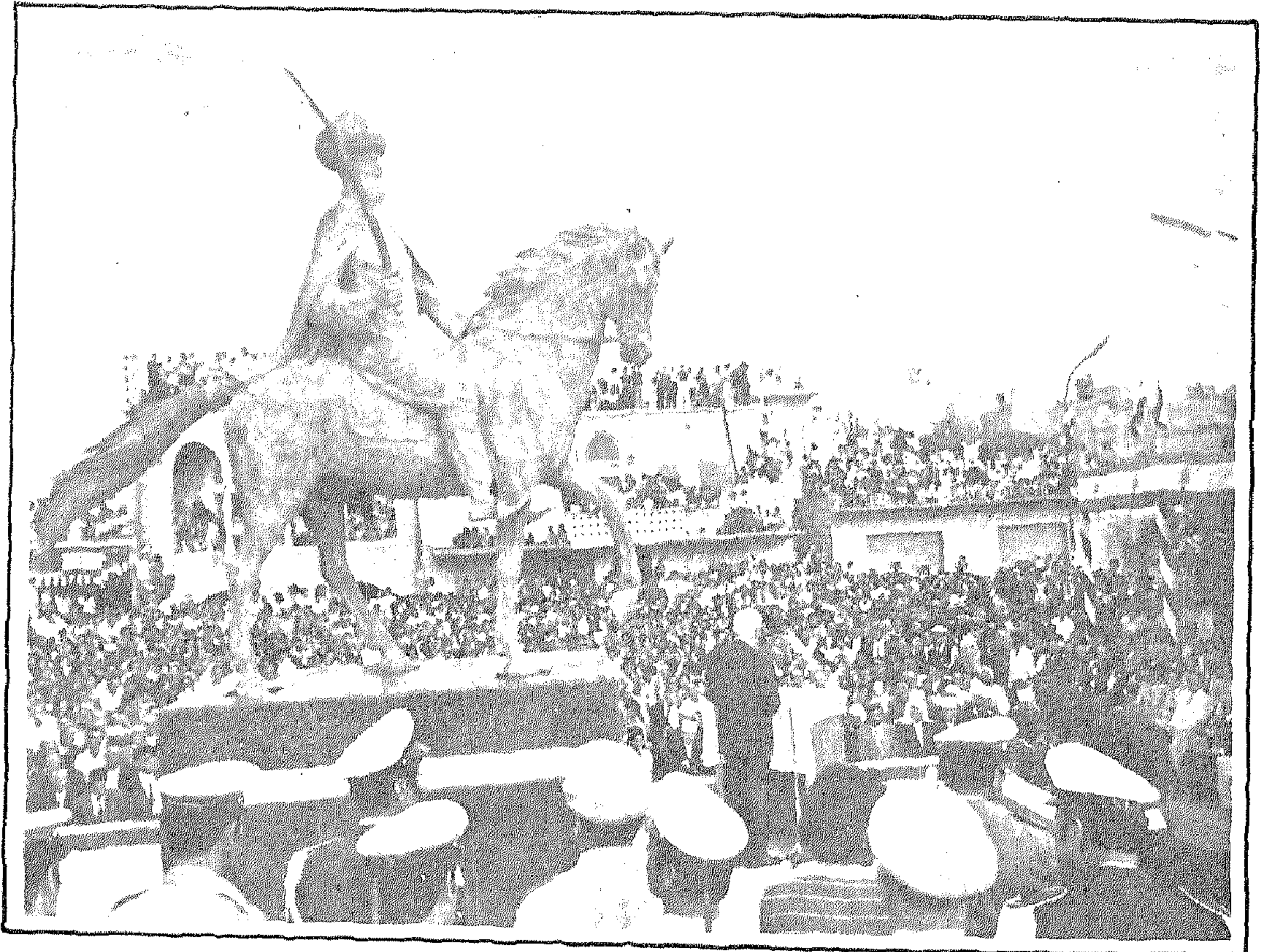
باديء بدء، يجدر بي أن ألفت انتباه المتحاورين إلى أنه لا يجوز أن نحكم على فخر الدين قبل أن نحاكمه. كما يجب ان لا تنطلق محاكمتنا له من الادانة بل من الظن، فالمتهم يظل، في القانون، ظنياً، إلى ان تثبت براءته أو يدان.

وهكذا أراني مضطراً الآن لأن أوضح بعض الحقائق التي تمكنت من التوصل اليها (والاقتناع بها) من خلال بحثي في سيرة هذا الأمير.

أولاً: فيما يختص بتعامل الأمير فخر الدين مع الغرب، وخاصة توسكاته:

■ استقى السيد الشامي المقاطع التي أوردها في رسالته الى تاريخ العرب والعالم (عدد ٤ ص ٣٦) من كتاب للمؤرخ الشيخ علي الزين (للبحث عن تاريخنا في لبنان، ص ٢٣٩ و ٢٤٢)، واذا عدنا إلى كتاب الشيخ علي الزين نراه بدوره يرجع في ذلك إلى كتاب للأب بولس قرأ لي (فخر الدين ودولة توسكاته طبعة ١٩٣٨، ج ٢: ١٤٤) وبعودة إلى كتاب الأب بولس قرأني المذكور نجد ان هذا الأخير يقع في مغالطات لا أول لها ولا آخر، دون أن يسند رواياته إلى أي سند وثائقي، معتمداً في سرده على بساطة القارئ

وسداجته، اذ يذكر الأب قرأني ان فخر الدين «عاد إلى الوطن في أواخر أيلول (سبتمبر) عام ١٦١٨ وتمكن من توحيد لبنان (أي لبنان؟) والتبسط في سوريا شمالاً وفلسطين جنوباً... وفي سنة ١٦٢٤ كتب (أي فخر الدين) رأساً إلى البابا أوربانوس الثامن حاثاً إياه على السعي للاستيلاء على الأراضي المقدسة الخ... فاهتم أوربانوس للأمر وأوفد عام ١٦٢٥ الأب توما بن نافار ليفتح به بلاط توسكاته، غير ان التنافس بين اسرتي بربريني ومديتشي اسرتي البابا وتوسكاته. شل المشروع» (ص ١٤٣ - ١٤٤). ان مثل هذا القول غير المستند إلى الوثائق التاريخية الصحيحة الدامغة والحجج والبراهين التي لا يوقى اليها الشك. ان هو في نظرنا الا



- احتمالات لبنان بذكرى الأمير فخر الدين المعني.



افتتات على الأمير المعني وتجريح لطموحه السياسي، فلما لا شك فيه ان فخر الدين كان يطمح إلى اقامة حكم ذاتي لامارته في نطاق السيادة العثمانية، وكان حاكماً اقطاعياً يرغب في توسيع امارته على حساب المقاطعات المجاورة له، وكان ذلك ممكناً في كل حين بالنظر إلى اتساع رقعة الامبراطورية العثمانية من جهة، وإهمال السلطنة للمقاطعات البعيدة عن مركز القيادة والادارة في الاستانة من جهة أخرى، بحيث انه لم يكن يهتمها من تلك المقاطعات إلا الحصول على الضرائب (والجند عند الضرورة)، ولكن الذي يظل موضع شك وريبة هو تلك الرواية التي أوردها الأب قرألي وتناقلها بعده، وعنه، الكثير من المؤرخين اللبنانيين دون تحقيق أو إثبات، والتي تفيد أن فخر الدين كان يسعى لأن يعيد مملكة أورشليم الصليبية، وقد ثبت بالدليل القاطع عدم صحة هذه الرواية، أثبتته الخالدي الصفدي مؤرخ الأمير ومعاصره، والذي رافقه في هجرته إلى توسكانة منذ عام ١٦١٣ وحتى عودته إلى بلاده عام ١٦١٨، عندما روى، في احداث العام ١٦١٥، ما يلي، وبالحرف: «... كان عند الأمير يسير - أي أسير -

معتوق للشيخ ناصر المذكور وكان رجل متصوف بقا يصلي في الأمير جماعة في رمضان واحمد صبايا في بيروت بقا يؤذن... وكان عند الأمير ذلك اليسير والشيخ ناصر الدين من صفد فجاء اليسير الى الشيخ وقال له: فيه رجل مراده يجتمع فيك في جنينة الدوكا - أي الدوق - فقال له جازر فراح قدومه الأسير وراح معه فلما وصل إلى الجنينة قعد يتفرج إلا والدوكا باشه نابل - نابولي - طالع لعنده واتأخذ منه - أي

فوجيء به - الشيخ ناصر فطيب خاطره وقال له مرادنا نرسل معك كلام إلى الأمير فدخل معه إلى مشلح الحمام وقال له: أنت من أين وكم لك سنة في خدمة الأمير؟ فقال له: أنا من صيدا ولي في خدمة الأمير من صغري، فشال له الدوكا مكتوب وقال له: هذا جاء من سلطان اسبانيا مضمونه انكان الأمير فخر الدين يدخل في ديننا نعطيه حكم على قدر ما كان عاطيه سلطان المسلمين في بلاده وأزيد وانكان ما يرضى بذلك ان أراد يقعد وان اراد يروح إلى بلاده فقال له: نعرض الكلام على الأمير ونجيب لك الجواب فجاء الشيخ ناصر الدين احكا للأمير ذلك فقال له: روح رد الجواب على الدوكا وتشكر من سلطان اسبانيا ومنه وقول له الأمير قال ما جينا إلى هذه البلاد لا كرامة دين ولا كرامة حكم ولا حكومة، بل لما جاء علينا عسكر ثقيل جينا، احتمينا عندكم واحميتوا رأسه وراعتوه ولكم بذلك الفضل والجميل والمنة. ان أردتم هو قاعد عندكم على حاله وان أرسلتموه إلى بلاده فهو المراد لأن له أهل وتوابع وبلاد».

(الخالدي الصفدي، تاريخ فخر الدين، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت عام ١٩٦٩ تحقيق رسم والبستاني. ص ٢٣٥ - ٢٣٦).

أهملوه وخافوا معرفته بأسرارهم

لقد كان جواب الامير اذن على هذه العروض الاسبانية والتوسكانية هو الرفض القاطع وذلك في وقت كان الامير فيه أحوج الناس الى المساندة المادية والمعنوية، اذ ذكر الخالدي انه، في ذلك الحين، كانت توسكانة قد اهملت فخر الدين اهمالا كلياً

العادة عندهم - أي عند التوسكانيين - أن ما يقلع مركب ألا بورقة اجازة وبقا الأمير يطلب الورقة من الدوكا وهو يطاول - أي يماطل - فكأن أحداً قال له ما هو ملبح أن يتوجه ابن معن إلى بلاده لأنه اتطلع - أي أطلع - على بلاد النصارى وأحوالهم، فبقي الدوكا يطاول في ورقة الاجازة ثمانية أيام والأعيال والأولاد والأسباب في المركب».

ويتابع الخالدي فيقول إن الأمير، بعد هذه الماطلة، قرر أن يفجر المركب بمن فيه، بالبارود، ثم قصد إلى الدوق ليأخذ منه قراره النهائي بالسماح له بمغادرة البلاد أم البقاء فيها. وقال - أي الأمير - إلى الدوكا نحن ما نزلنا إلى المركب الأعيال والأسباب، إلا بأجازتك ورضاك، ولهم ثمان أيام في هذا الشوب وعليهم صيام رمضان، مرادنا منك ورقة الاجازة في السفر، فقالت له امرأته - أي الدوقة - : ما دامك أعطيته قول وقرار في التوجه إلى بلاده أعطيه ورقة الاجازة، وخليهم يتوجهوا الآن أعياله وأولاده وصاروا في المركب، فقال جاز حتى يجي إلى عندي عشية حتى أكتب له ورقة الاجازة...».

وفي المساء استدعى الدوق الأمير فخر الدين وأخذ يحقق معه لفترة طويلة كي يتأكد منه أنه لن يذهب - أي الأمير - إلى «اسلامبول» - ولن يفشي بأسرار الغرب إلى الدولة العثمانية، ثم سمح له بعد ذلك بالسفر (الخالدي م. ن ص ٢٣٧ - ٢٣٨). هذا بالإضافة إلى ما أورده الأب قرألي نفسه، نقلاً عن بعض الوقائع المديتشية، من أقوال في الأمير في أثناء إقامته بتوسكانة تثبت عدم انصياعه لمساعي الغرب. فقد ذكر أن الأميرال «انجرامي» قال عن الأمير: «لما كان



- رسم خيالي للحاج كيوان، مدبر الأمير فخر الدين المعني الثاني.

(ربما بعد أن يثبت من تعاطفه مع مشاريعها ومشاريع اسبانيا التوسعية) حتى أنه اضطر، خلال إقامته بتوسكانة إلى أن يبيع حلى زوجته خاصكية - وقد كانت معه - لكي يعيش، قال الخالدي في ذلك: «... وما عادوا داروا بالهم منه مثل عاداتهم، ولا عادوا أعطوا العلوفة - أي المصروف - المعتادة، وبقا الأمير يبيع صيغة وحوائج ويخرج - أي يصرف - على نفسه وعياله الذي معه، وبقي على هذه الحال مدة في نابل - نابولي -» (الخالدي - م. ن. ص ٢٣٥).

ومما يؤكد رفض الأمير لمشاريع الغرب التوسعية على حساب سيادة أرضه وقومه هو أن سلطات توسكانة حاولت منعه من مغادرة البلاد في العام ١٦١٨ خشية أن ينقل إلى السلطنة أسرار دوقيتهم، قال الخالدي في ذلك: «... ومما بقوا - أي الأمير وعياله - متعوقين إلا على ورقة الاجازة لأن



ورغم كل ذلك ، فإن المعاهدة لم تر النور بعد أن رفض الأمير القبول بها ، محتفظاً رغم ذلك ، بقدر من الصداقة بينه وبين توسكانة ، وأكبر دليل على رفضه لها أنه لم يتلق أية مساعدة في حربه مع جيوش والي الشام عام ١٦١٣ ، مما اضطره إلى الفرار من بلاده واللجوء إلى توسكانة طيلة خمس سنوات (١٦١٣-١٦١٨) كما قدمنا ، كما أنه لم يتلق أية مساعدة من حلفائه الغربيين في حربه الأخيرة والمصرية مع العثمانيين عام ١٦٣٣ .



- الأميرة خاصكية .. رافقت الأمير إلى توسكانا .

الأمير متوحشاً فهو لا يقصد من طلباته المختلفة سوى تكبيد الغراندوق النفقات بلا طائل ، وقال عنه الوزير « انومباردي » : « جميع المبالغ التي تنفق في سبيل الأمير مطروحة في البحر » . وقال « جويدي » أمين سر الغراندوق : « الوقت والمال ضائعان في سبيل الأمير » (قرألي م . ن . ج ٢ : ٢٤) .

وهكذا نرى أن ما أورده الأب قرألي من وثائق تدين فخر الدين في هذا المجال ولا تشرفه ، إن هي إلا وثائق تحتاج إلى كثير من التأكيدات والأثبات ، وهذا لا شك ينفي كل قول بأن فخر الدين كان « على استعداد لتقديم الدعم اللازم لأية حملة تقوم بها الدول الأوروبية لاسترجاع بيت المقدس » وأنه كان « يقوم بتحريض أوروبا وعلى رأسها البابا للاسراع في التحرك للوصول إلى الأهداف المشتركة » حسبما ورد في رد الاستاذ قدورة (تاريخ العرب والعالم العدد نفسه ص ٣٧) . وما يجدر ذكره أن المعاهدة المشار إليها في رد الاستاذ قدورة والتي عرضتها توسكانة على فخر الدين عام ١٦٠٨ (بعد سقوط علي باشا جنبلات والي حلب) ، لم تقترن بموافقة الأمير الذي استقبلها بشيء من الفتور ، « كأنها لم ترق له » حسب قول الأب قرألي نفسه ، وكأنما رفض الأمير القبول بها مما اضطر السفير ليونشيني إلى أن يؤكد له « أن رغبة الامراء المسيحيين في استرجاع الأراضي المقدسة غير ناجمة عن طمع في التوسع ، بل جل مواهبهم أن يسهلوا على الحجاج المسيحيين زيارة الأماكن المقدسة » كما أكد له أن رغبة الدوق أن يراه - أي الأمير - يوماً « ملكاً على سورية ، كاسراً شوكة الامبراطورية العثمانية » ، (قرألي م . ن . ج ٢ : ٢٧٣) .

كتاب إيطالي عن فخر الدين والقدس

وأفضل تحليل لهذه المسألة علاقة  
الأمير بالغرب، وتوسكانة خاصة. نجده عند  
المؤرخ الايطالي، جيوفاني ماريتي إذ تمكن هذا  
المؤرخ من البحث والتنقيب بالمحفوظات  
التوسكانية المتعلقة بفخر الدين ودقق في  
وثائقها قبل الأب قرألي «بقرن ونصف القرن»  
فوضع بعد ذلك كتابه المسمى «تاريخ فخر  
الدين أمير الدروز»

Istoria Di Faccradino  
Grand Emir Dei Druz;

وطبعه في ليفورنو  
عام ١٧٨٧ (طبع كتاب الأب قرألي عام  
١٩٣٨)، وهو، وإن كان قد عبأ بعض  
الثغرات «بتخيلات خارجة من دماغه» حسب  
قول الأب قرألي نفسه، فإنه قد أعطى حكماً  
فيه الكثير من المعقول والمنطق. قال ماريتي:  
«كان قوزما الثاني ميالاً إلى العظمة، فاغتم  
فرصة وجود فخر الدين في توسكانة وأخذ  
يناقشه في الطريقة لانجاح مشروع مساندة  
الأمير في سوريا لتوسيع فتوحاته وتأمين  
استقلاله عن الباب العالي، وبما أن قوات  
الغراندوق لم تكن كافية لمثل هذا المشروع،  
فإن البابا وملك اسبانيا قد يكونان العون للأمير  
وباستطاعة الغراندوق الاستفادة منها لتحقيق  
أهدافه... وبوشر الاتصال بالبابا لحمله على  
مساندة فخر الدين، وهو أمير من ديانة غير  
مسيحية... وكان قوزما الثاني يسعى وراء  
مصالحه الخاصة... فلم يخش استعمال الديانة  
كوسيلة لذلك، فوصف فخر الدين بأنه  
مضطهد من الأتراك وأنه حامي المسيحية في  
سوريا وأنه إذا ساندته الأمراء المسيحيون  
بالسفن والسلاح فسوف يجعلهم أسياداً لمرافئه

البحرية ويعطي المسيحيين حراسة قلاعهم مبنياً  
هكذا عزمه على عدم الثقة بالأتراك... وكان  
فخر الدين يؤكد أنه، بمعاونة مسيحيي  
المنطقة وتجنيد رجال يقودهم زعماء أكفاء،  
يمكنه استرجاع القدس. وأنه قد حان  
استرجاعها، وعلى البابا وملك اسبانيا عدم  
تفويت هذه الفرصة. هذا ما قاله «بيكنا»  
إلى «غويتشارديني» سفير قوزما الثاني.  
غراندوق توسكانة في روما، وأعلم «بيكنا»  
«غويتشارديني» أن الغراندوق أرسل سفينة  
حربية مسلحة إلى سوريا لاستطلاع أحوال  
البلاد، والأمل كبير بأن يعتنق فخر الدين  
وشعبه الديانة المسيحية ويقدموا الطاعة  
للكرسي الرسولي، مظهراً أن الله سيستخدم  
هذا الرجل لعظمة الكنيسة واسترجاع القبر  
المقدس». ويتابع ماريتي: «وكان «بيكنا»  
رجلاً فطناً، إذ كان متأكداً من البداية أن  
الدين لن يربح أي شيء، وأن فخر الدين  
سيبقى على دينه. وإن القدس سوف تبقى  
تحت حكم الأتراك... وكانت كل أفكار هذا  
الوزير، بالرغم من أنها مكتسية بالغيرة  
الدينية، تهدف إلى استخدام البابا وملك  
اسبانيا لمصالح عائلة مديتشي. لأنه ليس من  
صالح البابا ولا من صالح ملك اسبانيا أن  
يكون لهما منشآت في تلك المناطق». (ماريتي  
المصدر نفسه. ص ٩٨-١٠٣. نسخة  
إيطالية).

ويتابع ماريتي في مكان آخر «في  
المعاهدات التي وقعت عام ١٦٠٧ مع جنبلات  
رئيس الثوار في سوريا والمعاهدات التالية مع  
فخر الدين عام ١٦٠٨، كان يؤتى دائماً على  
ذكر فتح القدس... وعام ١٦١٣. عندما  
قدم فخر الدين إلى توسكانة، شاعت من



جديد آمال احتلال القدس ، ولم تكن هذه الفكرة سوى اشاعة شعبية تتوغل في ذهن الأمير جيوفاني مديتشي وبعض المهووسين ، ولم يشأ البلاط إظهار استنكاره لأمل لا أساس له « (م.ن، ص ١٢٦ و ١٢٨) ويرى ماريتي أن سياسة قوزما الثاني ووزرائه في إرضاء فخر الدين لم تكن سوى «وسيلة للوصول إلى مصالحهم للتجارة مع سوريا» وان فكرة احتلال بيت المقدس لم تكن سوى «وسيلة لاقناع بلاط روما لتأييد غايات توسكانة السياسية والاقتصادية ، وتهدة شعور الجهال الذين ربما يرون ان المبالغ التي تصرف لارضاء أمير تختلف ديانتته عن ديانتهم ليست إلا تبذيراً» ، ويختم ماريتي رأيه هذا بقوله : «بعد هذا التوضيح ، سنكف عن الكلام عن هذا الموضوع الذي خلقه خيال العامة وتداوله من يجهل أمور مجلس الوزراء والذي لم يكذبه هذا المجلس لغايات سياسية» (م.ن. ص ١٢٨ - ١٢٩)

ربما كان الأمير قد توسل ، لتحقيق طموحه السياسي ، كل الوسائل ، السلمية منها ككسب الصداقات إما بالمال أو بالمصاهرة ، والقتالية ، كإرغام حكام المقاطعات المجاورة على محالفته خوفاً من بطشه ، ودرءاً لخطره ، وقد نجح إلى حد ما في هذا المجال ، الا انه لم يتمكن من التوفيق بين طموحه السياسي وكسب ثقة الباب العالي ، مما دفعه إلى البحث عن تحالفات قوية خارج حدود بلاد الشام ، قد يده إلى دول أوروبا التي دفعته بعيداً في هذه الطريق ، وورطته ، دون أن تسعفه عند الضرورة ، وفي اللحظات المصيرية ، وربما كان مرد ذلك أيضاً عدم الثقة بين الحليفين ، فلم يكن الأمير مطمئناً كل الاطمئنان إلى نوايا

هذه الدول (توسكانة ، واسبانيا ، والكرسي الرسولي) كما لم تكن هذه الدول مطمئنة إلى ان بوسع الأمير ، أو بوده ، أن يخدم مصالحها في بلاد الشرق ، فوقع بينهما الانفصال الكبير عندما وضع تحالفهما ، جدياً ، على المحك .

وربما كان الأمير قد أغدق الوعود المغرية للدول الأوروبية «الصديقة» فوعد بلاط توسكانة بتسهيلات في «المقاطعات والمدن والمرافئ البحرية والتجارة» ووعد الكرسي الرسولي بتسهيلات تفوق الحد للمسيحيين في بلاده ، إلا أن جميع هذه الوعود لم تجد نفعاً ساعة الحسم بينه وبين الدولة العثمانية ، فحاول ان يستحث غراندوق توسكانة وسواه من حلفائه الأوروبيين ، ويستنهض همتهم لنجدته ، فلم يلق من أحد منهم أذنأ صاغية ، حتى ان حلفاءه في الداخل تخلوا عنه ، ولم يبق منهم إلى جانبه سوى أقاربه الشهابيين ، حكام وادي التيم ، الذين لاقوا معه المصير نفسه ، ولكن الأسرة الشهابية جنت ثمار هذا التحالف ، فيما بعد ، بأن ورثت الاسرة المعنية في حكم إمارة الشوف .

والتفسير الوحيد الذي تقودنا اليه قناعاتنا ، بصرف النظر عن التفسيرات الهامشية الأخرى كانشغال توسكانة بالطاعون أو بحرب البيمونت ، أو عدم رغبتها في التصدي للدولة العثمانية دفاعاً عن الأمير ، أو كقرار البابا أوربانوس الثامن بان الظروف «تحول دون جمع جيوش قوية للتدخل وراء البحار» ، هو ان كلا من الحليفين ، الأوروبي والمعني ،



- الأمير فخر الدين يدخن الغليون في توسكانا.

لم يكن مؤمناً بهذا التحالف ومطمئناً إليه ، فلا الأمير كان مستعداً للتخلي عن سيادته على بلاده ، أو تحرير الأرض المقدسة بقصد تسليمها للدول الأوروبية ، كما لم يكن مستعداً للتخلي عن دينه ، كما ظهر لنا من تصرفه في أثناء إقامته بتوسكانة ، ولا الدول الأوروبية كانت مستعدة لأن تتورط في حرب صعبة ، وربما غير متكافئة ضد الدولة العثمانية وفي عقر دارها ، إكراماً للأمير .

وهكذا ، وفي العام ١٦٣٣ ، وأمام الحملة العثمانية على بلاد الأمير ، انهارت كل تحالفاته ، المشرقية منها والأوروبية ، فانفض الحلفاء الأقربون عنه ، وأدار له الحلفاء الأوروبيون ظهرهم ، فسقط الأمير ، وسقطت معه كل آماله وطموحاته ،

\* \* \*

ثانياً : فيما يختص بوقعة عنجر :

لا شك في أن ما ذكره الشيخ علي الزين في كتابه عن وقعة عنجر (ص ٢٤٥) فيه الكثير من المنطق ، فهو إذ يتساءل إذا كان انتصار فخر الدين في عنجر انتصاراً جدياً غير مبني على الخيانة والمكر يورد ، في معرض حديثه عن هذه المعركة ، مبررات لشكه وبعض المظاهر التي تدله على التآمر والخيانة في صفوف جيش والي الشام ، منها غضب الوالي على كورد حمزة بعد اكتشافه لدوره في المعركة كعميل للأمير وقيام فخر الدين بقتل الحاج كيوان بعد المعركة بأيام لسبب تافه جداً وبعد أن افتضح دوره أيضاً ، ولم يعد بإمكانه التستر عليه ، ومنها أن هجوم

الأمير تركز على اللواء الذي كان يقوده الوالي بنفسه والذي انهار بسرعة مما يدل على أن هناك اتفاقاً مستتراً بين قادة هذا اللواء وجماعة الأمير ، الخ ... (م . ن ، ص ٢٤٦ - ٢٥٣) ان مظاهر الشك هذه وان تركت الكثير من التساؤل الرصين حول جدية هذه المعركة ، خاصة اذا تبينا الفارق الكبير في العدد بين الجيشين (٥ آلاف مقابل ١٢ ألفاً) واذا تذكرنا الدور الذي قام به فخر الدين المعني الأول (جد الأمير فخر الدين المعني الثاني) في مرج دابق عام ١٥١٦ (تأمره على السلطان قانصو الغوري وانحيازه للسلطان العثماني) واذا تذكرنا عملية الرشوة التي أجراها الأمير وحليفه علي باشا جن بلاط والي حلب لباشوات الجيش الشامي في معركة عراد عام ١٦٠٦ والتي ذكرها انجي بكل وضوح (انجي ، خلاصة الاثر ج ١ : ١٣٧) نقول : ان مظاهر الشك



هذه ، وان اثرت إلى حد كبير في قناعاتنا ،  
تظل غير ملزمة لنا للأخذ بها ، طالما أن أحداً  
من المؤرخين لم يكتشف من قبل ما يؤكد ما  
اكتشف المؤرخون الأولون سابقاتها وتحدثوا عن  
المؤامرات التي جرت في معركتي مرج دابق  
وعراده .

يبقى علينا ان نختتم هذه المحاولة في التحليل  
بما يلي :

انه لمن المفيد جداً ، بل ومن الممتع  
حقاً ، وفي ظروف كالتى نحن فيها ، ان يحال

فخر الدين إلى محكمة عدل تقرر مصيره بين  
الرجال من تاريخنا ، ففي ذلك احياء لثرائنا  
وتطهير لتاريخنا من الشوائب التي لحقت به  
تبعاً لمختلف النزوات والعواطف ، وما أكثرها ،  
كما فيه خروج من الجو الخانق المتأزم والمتوتر  
الذي نعيشه وانعتاق من مآسي الحرب التي  
عشناها وما نزال ، ولعل هذه المحاكمة تكون  
منطلقاً لمحاكمات « تاريخية » أخرى يعاد النظر  
من خلالها ، في كثير من « الحقائق التاريخية »  
وتكون سبباً لفتح الكثير من الملفات وتعديل  
لكثير من المفاهيم .



عيننا ويلسون !

- كتب أحد الصحفيين الانجليز يصف هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا السابق : « ان الدارس  
لشخصية هذا الرجل ، أشبه ما يكون بباحث في صفات سمك القرش ، ففي رأس ويلسون العينان الباردتان  
الزرقاوان نفسيهما ، اللتان تنطقان بالمكر والدهاء » .

وتوقع المراقبون السياسيون أن يثور رئيس الوزراء على هذا التشبيه الذي سبق أن نشرته إحدى الصحف  
البريطانية الواسعة الانتشار .

وانقضت بضعة أيام قبل أن تنشر صحيفة أخرى خطاباً مفتوحاً من رئيس الوزراء للصحفي .. قال  
ويلسون : « اقترح أن تعود مرة أخرى إلى المدرسة لدراسة خصائص سمك القرش ، فالثابت ان لون عيني هذه  
السمكة الكبيرة ليس أزرق كما تدعي » .





\* كانت من ربات الفصاحة والبلاغة ، وكان لها رأي راجح وشخصية قوية وكانت زوجة للحجاج بن يوسف .

\* لم يمنعها زواجها من حاكم له سطوته من أن تعمل بيدها ، وقد زارها (زياد بن عبد القرشي) فوجدتها تصنع ثوباً لها على مغزل فسألها : «أتغزلين وأنت امرأة أمير؟» فقالت له : إن العمل يطرد الشيطان ويذهب بحديث النفس ، وقد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : «أطولكن طاقة أعظمكن أجراً» .

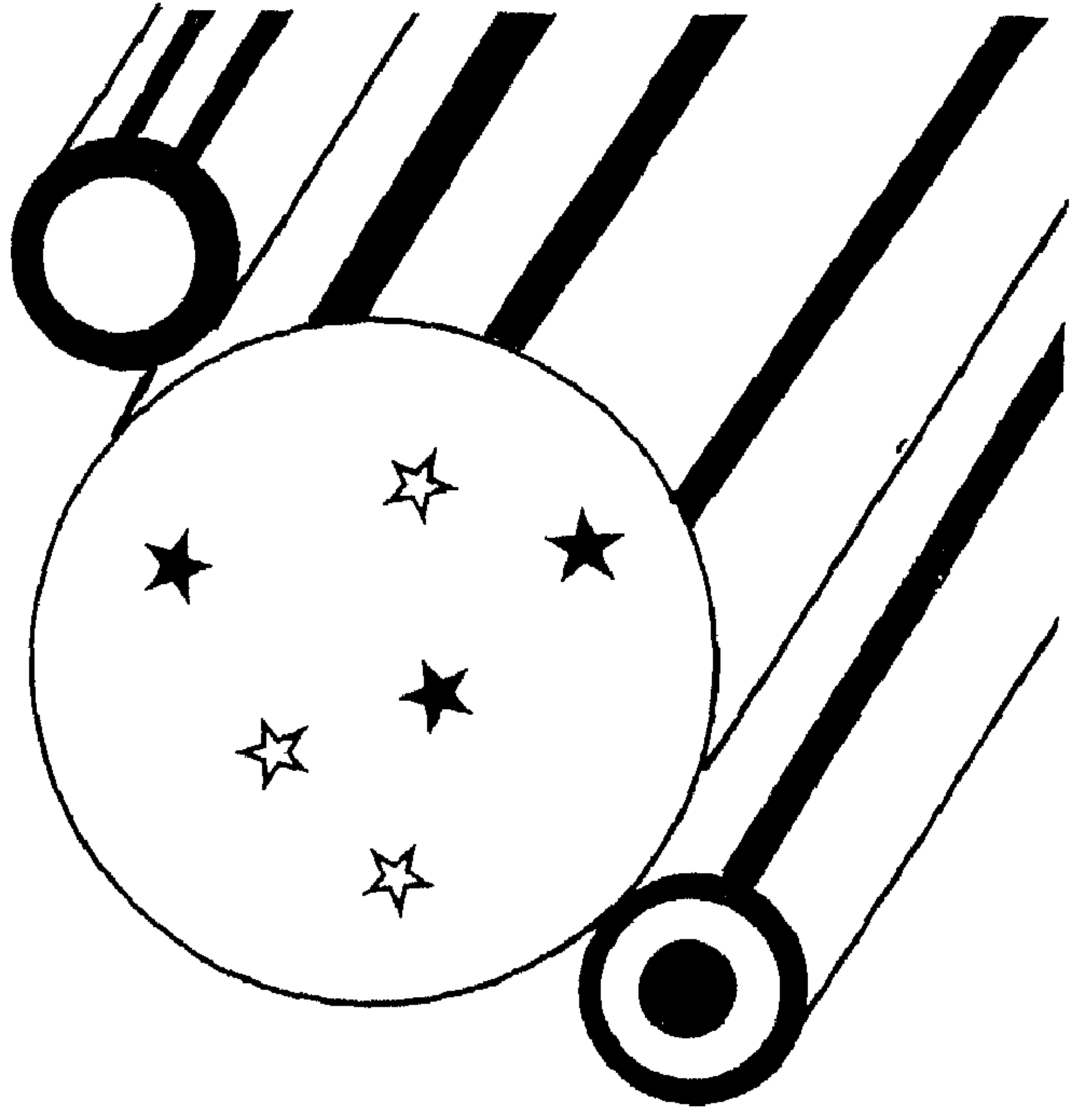
\* كانت على الرغم من قوة شخصيتها تؤمن بوجوب طاعة الزوجة لزوجها ومن أقوالها الماثورة : «المطيع محبوب ، فالطاعة مقرونة بالحب والعاصي ممقوت فالمعصية مقرونة بالبغض» .

\* أمر عمر بن عبد العزيز بحبس أخيها فذهبت إليه هند وقالت له وهو بين حاشيته : «يا أمير المؤمنين علام حبست أخي؟» فقال لها عمر : «تخوفت أن يشق عصا المسلمين» فقالت له : «هل العقوبة بعد الذنب أوقبل الذنب؟» فخجل عمر وأخلى سبيله .

\* قال الأصفهاني في كتاب «الأغاني» إنها كانت تسبح بمسبحة من اللؤلؤ وهي جالسة بين الفقراء فإذا فرغت من تسبيحها قطعت خيط المسبحة وألقت اللؤلؤ على الفقراء ليتقاسموه .



# العرب رواد علم الفلك



د. نقولا حايه

● عندما نلقي نظرة على ما يجري حولنا في هذه الأيام، من تطورات في حياة مجتمعنا، لا نتمكن من التعامي عن النقص الذي يحصل في حياتنا الثقافية، بينما تكثر المنشورات من كتب وصحف ومجلات، بدون أن يكون هناك ما هو جدير بالذكر في حقل تراثنا العلمي. ذلك التراث الذي كان ولا يزال معجزة للعالم فيما مضى. ولا يزال علماء الغرب ينقبون في المخطوطات التي تركها العرب والتي كانت أساساً لما نراه اليوم في حقول العلم المختلفة. أما ان العرب هم رواد عالم الافلاك فهو أمر أثبتته تاريخ العلم. فمن البداوة إلى السيطرة على الشرق والغرب كان شأن العرب من منتصف القرن الثاني للهجرة (القرن الثامن الميلادي). وذلك في احياء العلوم على اختلاف أنواعها ومنها الرياضيّة والفلكيّة، وامتد ذلك إلى القرن السادس عشر الميلادي. وتم بذلك نهوض أقطار أوروبا من غباوتها وعبوديتها للأوهام، وتولد من ذلك ثورة علمية نشهد آثارها في الفتوحات العلمية الحديثة.

(\*) استاذ في العلوم، معلم في الجامعة الأميركية في بيروت مدة ثلاثين عاماً، مدير سابق لمركز الجامعة المذكورة، مثل لبنان في مؤتمر الدقائق الذرية الذي رعته الأونيسكو في الجامعة السورية في دمشق سنة ١٩٥٦. تخرج على يديه طائفة من العلماء البارزين. وهو لا يزال يكتب إلى الآن، علماً بأنه مولود في بلدة بشمزين في الكورة (لبنان) سنة ١٨٩٧.

■ لقد اعترف الغرب بفضل العرب هذا،  
وقدروا الدراسات العربية واركائها، فوضعوا  
على خريطة حديثة للقمر عام ١٩٧١ أسماء  
كبار العلماء الفلكيين والرياضيين العرب: نصير  
الدين الطوسي، وابو الحسين السوقي، وابن  
عزرا، وجابر، وارزاخل، والمأمون، وابوالفدا  
والتياني والفرغاني، والخازن، واولوغ بيك  
(لإعتماده على الفلكيين العرب في ازواجه  
الشهيرة).

ولا بد لنا من الرجوع الى الدافع الكبير  
نحو هذا التفوق والاندفاع في سبيل العلم. الا  
وهو القرآن الكريم. ومن الثابت ان القرآن  
الكريم هو كتاب عقائد وعبادات واخلاق  
ومعاملات، وتفقيه وتشريع، وهو يجوار ذلك  
كتاب علم ومعرفة على أساس انه كتاب يدعو  
الى العلوم فيقول: «وقل ربي زدني علماً».  
«وما اوتيتم من العلم الا قليلاً». «وانما يخشى  
الله من عباده العلماء» والمراد هنا بالعلماء انما  
هم العلماء المؤمنون الناظرون في ملكوت  
السموات والارض، الذين يستنبطون ويتعرفون  
الى اسرار الطبيعة وحقائق الاشياء وسنة الكون  
التي تتحدث عن قدرة الله وابداعه في خلق  
الانسان والحيوان والنبات وكل ما دب على  
الارض. «ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين  
أوتوا العلم درجات» أي ان الله جل جلاله  
يسبغ نعم التكريم على هؤلاء العلماء الخاشعين  
المؤمنين. وهناك آيات كثيرة تشير الى أهمية  
طلب العلم والسعي وراء المزيد منه. ولا بد  
هنا من الإشارة الى ما توصل اليه العلماء في  
علم الذرة، واكدوا أن الشمس تمدنا بالطاقة  
منذ ٥٠٠٠ مليون سنة، وذلك بفضل كونها  
مرجلاً نووياً، يتحول فيه ٤,٧٠٠,٠٠٠ طن  
من المادة الى طاقة كل ثانية.

كذلك تجدر الإشارة الى ان العالم حسن

كامل الصباح من النبطية هو اول من حقق  
تحويل الطاقة الشمسية الى كهربائية عن طريق  
خلايا من مواد معينة. وقد أصبح هذا أمراً  
معمولاً به في المركبات الفضائية.

### الخلفاء يقومون باحياء العلوم

على ضوء ما تقدم نرى انه في القرن  
الثاني للهجرة الموافق الثامن الميلادي، شرع  
عبد الله بن محمد علي بن عبد الله العباسي ابو  
جعفر المنصور الخليفة الثاني العباسي باحياء  
العلوم الرياضية والفلكية، باستخدام علماء  
مترجمين ترجموا كتباً يونانية وسريانية وهندية  
الى العربية واقتدى به خلفاؤه، لاسيما هرون  
الرشيد وابنه المأمون، ومن ثم اخذ علم الهيئة  
اي الفلك يتقدم بين العرب وسائر الطوائف  
الشرقية.

وفي عام ٨٢٣ ميلادي انتصر الخليفة  
المأمون (٨١٣-٨٣٣) على الامبراطور  
البيزنطي ميخائيل الثاني، فوضع في شروط  
معاهدة السلام ما يأتي: على الامبراطور  
البيزنطي ان يجهز المأمون بالمخطوطات اليونانية  
أو ان يسمح له ان يعمل نسخاً عنها. فقام  
عدد من العلماء السوريين بترجمة هذه  
المخطوطات أولاً الى السريانية ومن ثم الى  
العربية. ويقال إن المأمون شارك في بعض  
هذه الترجمات وقد ترجم المجسطي لبطليموس  
الى العربية في عام ٨٢٩ ميلادي، وتوجد  
هذه المخطوطة اليوم في مكتبة جامعة لايدن  
في لندن.

وقد فاق المأمون الجميع بغيرته على  
العلوم واهلها. ومن جملة أعماله أنه أمر بني  
موسى بن شاكر وهم ثلاثة أخوة، أن يقوموا  
بقياس دورة كرة الارض التي كان الاقدمون  
قد اقدموا على قياسها فوجدوا انها ٢٤ ألف  
ميل. فعمل الثلاثة الاخوة على الطريقة التي





- الفلكيون العرب كما تخيلهم أبناء الغرب ، في كتاب ظهر في البندقية (ايطاليا) في القرن السادس عشر. ويبدو في الصورة بعض ما كان يستعمله الفلكيون العرب من أجهزة للرصد.

في ٢١ آذار (مارس) و ٢٣ ايلول (سبتمبر).  
الفلكيون العرب يقتحمون عالم النجوم

ولما كان الناس على دين ملوكهم ، نجد أنه في ذلك العصر عاش التياي الحاسب المنجم المشهور ، وهو صاحب الزيج الصابي وله الأرصاد ، المتقنة . فاثبت الكواكب الثابتة في زيجة لسنة ٢٩٩ هجرية . ومن أعماله البارزة الزيج الذي تقدم ذكره ، وكتاب معرفة

مطالع البروج ، وأصلح قيمة مبادرة الاعتدالين ، وقيمة ميل دائرة البروج على دائرة خط الاستواء . وهو اول من استخدم الجيوب والاوثار في قياس المثلثات والزوايا علاوة على هذا توصل الى معرفة انتقال نقطة الرأس ونقطة الذنب ، وهذه الحقيقة يعبر عنها بان الخط الموصل بين نقطة الرأس والذنب له حركة سنوية من الغرب الى الشرق ويدور

ذكرها الاقدمون للتأكد من ذلك ، وخرجوا الى صحراء سنجار وكانت في غابة الاستواء واجروا التجربة (لا مجال لذكرها) ، فوجدوا ان ذلك كان موافقا لما جاء في الكتب القديمة . وطلب المأمون التحقيق من ذلك في موضع آخر فسيرهم الى أرض الكوفة وفعلوا كما فعلوا في سنجار فتوافق الحسابان . وفي أيامهم قيس ميل دائرة البروج على دائرة خط الاستواء ، فكان ٢٣ و ٣٥ ، وهذا قريب جدا لما هو معروف اليوم . أي ٢٣ و ٢٧ .

أما ميل دائرة البروج فهو المسؤول عن الفصول المختلفة على مدار السنة ، والذي يجعل الاقسام المختلفة من الارض تتعرض لحرارة الشمس بصورة متفاوتة من يوم الى آخر ، ومن هنا كان اختلاف الليل والنهار على طول السنة ، فيكون اقصر نهار في ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) واطول نهار في ٢٢ حزيران (يونيو) كما هو معروف ويتساوى الليل والنهار

دوراناً كاملاً في ١١١,١٤٩ سنة.

أما مبادرة الاعتدالين فإنها ناتجة عن دوران قطب خط الاستواء حول قطب دائرة البروج في نحو ٢٥٨١٧ سنة. لذلك لم يكن نجم القطب في قديم الزمان في المركز نفسه الذي هو فيه اليوم، إذ أنه ينتقل من الشرق نحو الغرب دورة كاملة كل ٢٥٨١٧ سنة. لذلك فإن أسماء البروج اليوم لا توافق الصور المسماة بتلك الأسماء بل انتقلت إلى غربي صورها بمعدل نحو ٥٠ ثانية وعشري الثانية في السنة وهذا يثبت لنا عدم صحة معرفة الحظ بالتنجيم الشيء الذي يؤمن به كثيرون وعلى الأخص من يجمع ثروة من وراء ذلك. «كذب المنجمون ولو صدقوا».

ومن مشاهير علماء الفلك في ذلك العصر أيضاً أبو الوفا البوزجاني، ويقال أنه اكتشف إحدى المعادلات الضرورية لتقويم مواقع القمر، كما أنه صنع زيجاً سماه الزيج الشامل. ولم يظهر فضل هذا الفلكي العظيم إلا في القرن الماضي، حينما عثر المستشرق الفرنسي «سيديو» على مخطوطات أثبتت أن بعض الاكتشافات الفلكية التي نسبها المؤرخون إلى علماء القرن السادس عشر قد سبق واكتشفها البوزجاني قبلهم بستة قرون. وقال غوستاف لبون إن آلات الرصد التي اعتمد عليها البوزجاني، كانت على جانب عظيم من الدقة، فإنه رصد الميول بربع دائرة نصف قطرها ٢١ قدماً، وذلك ما لا يسهل على الفلكيين في يومنا هذا.

ويعتقد العلامة المستشرق «نلينو» أن أعظم المبكرين الضالعين في علم الفلك بين علماء العرب، هو أبو الريحان البيروني، وله كتاب نفيس جامع شامل ودقيق المباحث. وقد ذهب إلى القول أنه يمكن إيضاح وتوليد حركة الأجرام السماوية الظاهرة إذا فرضنا أن

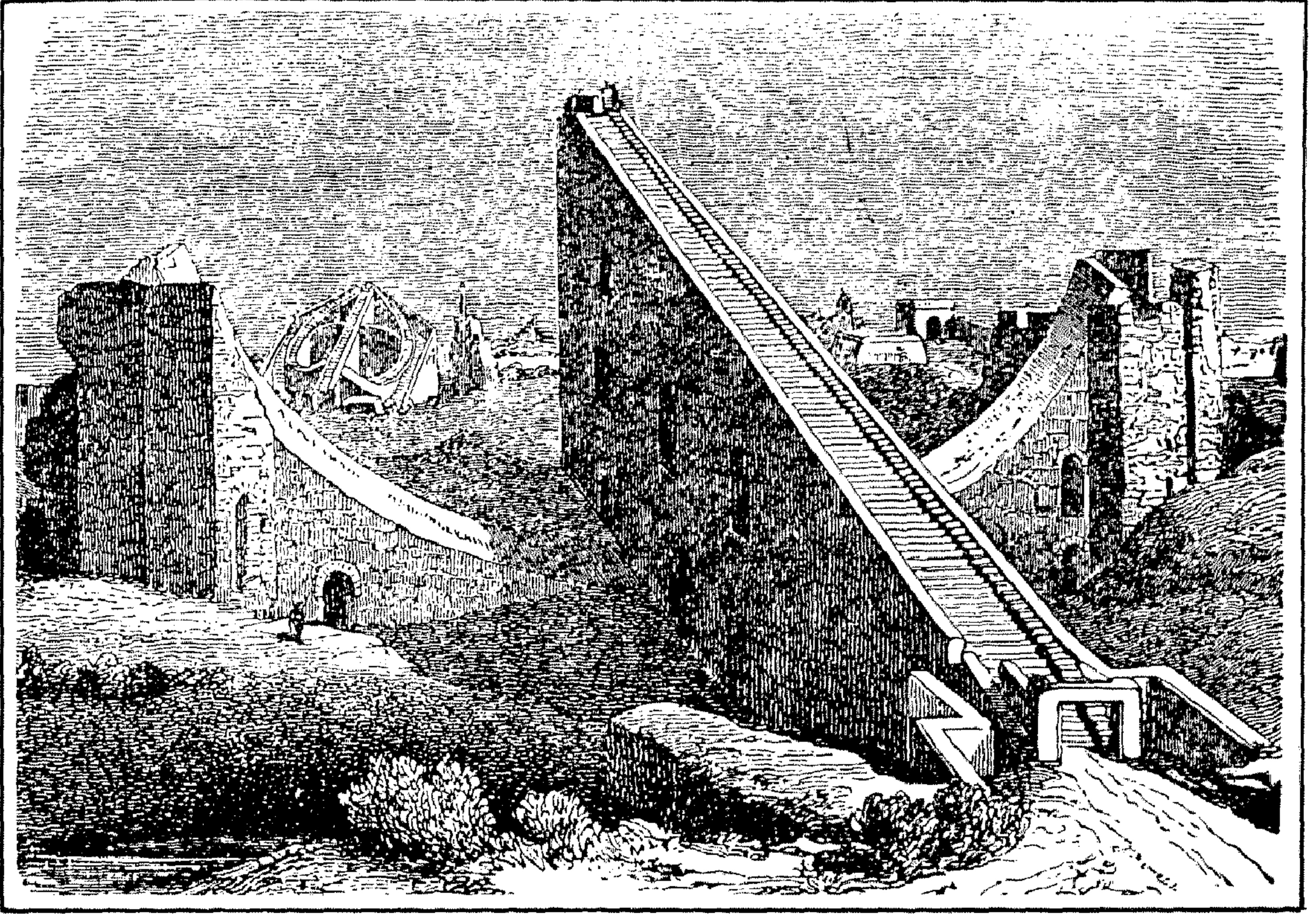
الأرض تدور على محورها دورة كاملة من الغرب إلى الشرق كل نحو ٢٤ ساعة، أي عكس حركة النجوم الظاهرة من الشرق إلى الغرب، وهو من مواليد إحدى ضواحي عاصمة الدولة الخوارزمية وتعرف باسمها الجديد «البيروني» تخليداً لذكراه.

ومن المشاهير أيضاً أبو الحسن علي ابن أبي سعيد بن يونس الذي عاصر «الحاكم» سادس الخلفاء الفاطميين، وهو صاحب الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس. وقد أله في المرصد الذي شيده الخلفاء الفاطميون في جبل المقطم، وهو الذي اخترع الربع ذا الثقب وبندول الساعة الدقاقة ورصد كسوف الشمس وخسوف القمر وأثبت عنهما تزايد حركة القمر، وحسب ميل دائرة البروج، فجاء حسابه أقرب ما عرف إلى أن اكتشفت آلات الرصد الحديثة.

وفي الأندلس بدأت النهضة العلمية الفلكية في منتصف القرن العاشر للميلاد. وانتشرت من دور العلم والجامعات العربية أنوار العلوم على اختلافها. ومن أشهر الذين اشتغلوا بعلم الفلك والطبيعات في الأندلس. أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازن الأندلسي، وقد عاش في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل الثاني عشر، وألف مؤلفات شهيرة في قواعد النور بآلات الرصد.

وقد أثبت المدققون أن الخازن هذا هو مكتشف قانون انكسار أشعة الضوء عند انتقالها من وسط إلى آخر، وهذا الأمر يبدو عندما نضع عصاً في الماء فتظهر ملتوية، وكان قد نسب ذلك إلى عالم أوروبي قبل معرفة الحقيقة. وقد قال الخازن إن الضوء يتألف من حبيبات أي أنه ذري التركيب، وقد أثبت نيوتن ذلك بعد نحو ٥ قرون. وقد ورد في موسوعة أميركية أن الخازن هو مكتشف آلة





- أحد المراصد العربية القديمة.

اشييليه في الاندلس ، برج جميل البناء  
شامخ ، لرصد الاجرام السماوية تحت اشراف  
جابر الرياضي . ولما ترك العرب تلك البلاد ،  
حوّل الباباويون ذلك البرج قبة للاجواس ،  
وهو باق الى يومنا هذا ، يشهد بفضل بانيه  
وبمقدرته الفلكية .

وفي عام ١٢٥٨ ميلادية سقطت بغداد  
في أيدي هولاكوخان ، حفيد الفاتح جنكيز  
خان . كان هولاكو قبل هذا قد قرب اليه  
كمستشار سياسي ، الفلكي محمد بن حسن  
الطوسي الملقب بنصير الدين ، فبنى مرصدا في  
المراغة بالقسم الشمالي الغربي من بلاد فارس ،  
وعهد بادارته الى محمد المذكور . وانشأ في

التصوير ذات الثقب وكان يستعملها لمشاهدة  
كسوف الشمس .

وقد عاش الفيلسوف المشهور ابن رشد  
في القرن الثالث عشر ، وكانت له مكانة عالية  
في الفلسفة والعلوم الرياضية والفلكية ، وهو  
اول من شاهد كلف الشمس وكتب عنها .  
تمكن أيضاً بواسطة الحساب الفلكي ان يعين  
وقت عبور الكوكب عطارد على قرص

الشمس ، فرصده وشاهد بقعة سوداء على  
قرصها في الوقت المعين ، الامر الذي  
لا يتصدى له في وقتنا الحاضر سوى الراسخين  
في الرياضيات الفلكية .

في القرن الثاني عشر بني في مدينة

ذلك المرصد خزانة كبيرة فسيحة الارحاء ،  
ملأها بالكتب التي نهبت من الشام وبغداد  
والجزيرة ، فتجمع فيها أكثر من اربعمائة ألف  
مجلد . كان يعمل في ذلك المرصد عدد كبير  
من فلكيي العرب ، يستعينون بآلات تفوق  
باتقانها وحجمها ما كان معروفا في اوربا في  
ايام كوبرنيكوس . وألف الطوسي كتابا هامة في  
الرياضيات والفلك ، اشهرها كتاب الاصول  
لأقليدس والزيح الخافي . ولم يكن هذا الزيح  
سوى نسخة منقحة لجداول فلكية ، قوامها  
الجداول التي نظمها ابن يونس وقد عرفت  
بالزيح الحاكمي . وللطوسي مؤلف في الكرة  
والاسطرلاب ، وتسطيح الكرة والمطالع ،  
ومؤلفات اخرى .

بعد ذلك بنحو قرنين ، أي في عام  
١٤٢٠ ، بنى السلطان اولغ بيك حفيد  
تيمورلنك ، مرصدا فخما في سمرقند (من أعمال  
تركستان السوفياتية حاليا) دعا اليه اشهر علماء  
الفلك وتأس الرصد بنفسه سنين طويلة .  
وعكف على تنقيح جداول الذين سبقوه ،  
وأصلحها على ضوء نتائج الأرصاد الدقيقة التي  
أجراها بالتعاون مع غيره من الفلكيين . وقد  
طبعت هذه الجداول في مدينة اكسفورد عام  
١٦٦٥ وهي باقية الى يومنا هذا .

كان على فلكيي العرب ان يصنعوا  
آلات جديدة دقيقة ، تساعدتهم في  
أرصادهم ، نذكر منها الساعة الرملية واللثة  
والحلقة والاعتدالية وذات الحلق اللينة وذات  
الشعبتين وذات الجيب وربيع السدائرة  
والاسطرلاب . وقد عرف الاسطرلاب عند  
الاقدمين ، لكن العرب توسعوا في صنعه  
واتقنوه فكان بمثابة جهاز لرصد الشمس  
والقمر والنجوم والكواكب السيارة ، كما هي  
الحال في المرقب اليوم . ولا تزال صناعة  
الاسطرلاب قائمة في ايران ، حيث يوجد

لا اقل من عشرة اشخاص يعملون في حفر  
هذا الجهاز على صفائح من النحاس . وقد  
بيع في اوائل آذار (مارس) ١٩٦٢ بالمزاد  
العربي ، اسطرلاب اشترته ادارة متحف العلوم  
في جامعة اكسفورد في انكلترا ، بقيمة ٣٦٠٠  
جنيه استرليني ، وهو من مخلفات الحضارة  
العربية القديمة ، كما يشير الى مهارة وحذق  
العمال في صنع الادوات العلمية في تلك  
العهود . وتحوى المتاحف العلمية عددا من  
كرات سموية تحمل اسماء عربية للنجوم  
والابراج منها كرة في متحف درسن في المانيا  
حروفها كوفية .

نستخلص من الدراسات التي قام بها  
المستشرقون وغيرهم ، ان للعرب فضلا كبيرا  
في نقل ما كتب في علم الفلك لدى الشعوب  
القديمة ، وتنقيحها وتوحيدها وجعلها علما  
واحدا تاما قائما بنفسه ، وطبعه بطابع الثقافة  
العربية . كما انهم زادوا وابتكروا امورا كثيرة  
هامة . فهم اول من اكتشف حركة الشمس  
في الاوج ، وعينوا مبادرة الاعتدالين بدقة  
فائقة . واكتشفوا النقص المتواصل في انحراف  
سمت الشمس ، والاضطرابات التي تحدث  
للقمر وهو في عرضه الاقصى . علاوة على  
هذا بينوا اضطرابات السيارات في أفلاكها ،  
وساروا شوطا طويلا في حساب الاختلاف  
الثالث في حركة القمر . وشاهدوا الكلف على  
سطح الشمس ، وحسبوا بالضبط عبور عطارد  
على سطحها وأصلحوا قيمة مبادرة الاعتدالين  
ومقدار ميل دائرة البروج على دائرة خط  
الاستواء . وما يحدث فيها من نقص تدريجي  
بطيء . ومن أرصاد دقيقة عينوا طول السنة

الاعتيادية والسنة النجمية ، وقاسوا مباشرة طول  
درجة من خط المهاجرة بطريقة علمية .  
وانشأوا عدة مراصد على غاية الاتقان ،  
وصححوا جداول حركات القمر . وعرفوا





- الاسطرلاب ، أهم أدوات علم الفلك في القديم .

الفلك كما تركه العرب ، الى ان اكتشف غليليو المرقب عام ١٦١٠ . فبدأ عهد جديد .

ولا تزال اسماء النجوم التي ترجع الى أصل عربي ، كذلك بعض العبارات الفلكية ، برهانا ساطعا على الطابع العربي في علم الفلك . مثل النسر الواقع . النسر الطائر ، Al-trir الشعري ، SIRRUR الغول ، Al-gol نظير ، Nader . سميت Zenith وغيرها وتعد بالملئات . ولا بد من الإشارة الى ان علماء الغرب عامة . قد اهتموا بالتفتيش عن تراث العرب في علم الفلك وغيره من العلوم . وارجعوا الى فلكي العرب قسطا كبيرا مما كان قد نسب الى غيرهم . بقي علينا نحن العرب ان نفتش عن ذلك التراث ونحميه من الضياع في زوايا الركود والاهمال . ■

استدارة الارض وقال بعضهم بدوران الارض على محورها ، وامتاازوا على من سبقهم فجعلوا علم الفلك استقراثيا عمليا ، وحسنوا آلات الرصد القديمة وزادوا عليها ، وعرفوا الساعات الدقاقة ذات الرقاص .

وفي اوائل القرن الثالث عشر تأسست عدة جامعات في اوروبا . حيث عكف المترجمون على نقل الكتب العربية الى اللغات الاوروبية . منها جامعة نابولي في أيام فريديريك الثاني (عام ١٢٢٤) ، وجامعة طليطلة وغيرها . ترجموا الازياج العربية في علم الفلك وبنوا عليها ازياجاً جديدة . وفي عام ١٢٥٢ نشر وطبع الزيج الذي اشرف عليه الفونس العاشر وكان ذلك يوم تسلمه الحكم . لم يأتوا بجديد في علم الفلك . بل جربوا ان يعمموا ما حمل اليهم من معلومات . وبقي علم

موجز لمحاضرة القيت في المركز الثقافي الاسلامي في بيروت .

# الميثاق الوطني للبناني

١٩٤٣

## ميثاق مكتوب !

حسان حلاق

- تعتبر قضية الميثاق الوطني الذي انبثق عام ١٩٤٣ قضية هامة وشائكة لا سيما وانها أصبحت تثار عند حدوث أية أزمة لبنانية سواء في عهد الرئيس بشارة الخوري ١٩٤٣-١٩٥٢، أو العهود التي تلتها، (عهد الرؤساء كميل شمعون، فؤاد شهاب، شارل حلو وسليمان فرنجية) ولا تزال قضية الميثاق تثار حتى اليوم في عهد الرئيس الياس سركيس، بل يكاد يكون الميثاق حديثاً يومياً لبعض الزعامات اللبنانية. وحرصاً منا على المساهمة في حل هذه القضية، كان لا بد من إلقاء الضوء على خفايا ومظاهر الميثاق، وقد درسنا هذا الموضوع دراسة وافية بل من وجهة نظر جديدة لم يتطرق إليها أي باحث من قبل.

- حسان حلاق : محاضر في قسم التاريخ، كلية الآداب-جامعة بيروت العربية.  
من مؤلفاته في التاريخ المعاصر:

موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧-١٩٠٩. من مؤلفاته في التاريخ العربي والاسلامي :  
الاتجاهات السياسية-الطائفية في لبنان ١٩١٨-١٩٤٣.  
العلاقات الأوروبية-العثمانية.  
تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي.  
الادارة المحلية الاسلامية.

■ في ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣ وبعد اعلان نتائج انتخاب الشيخ بشارة الخوري رئيساً للجمهورية، كان لابد من تكليف رياض الصلح بتشكيل الوزارة الأولى، لأن وجوده في الحكم يدعم موقف بشارة الخوري السياسي لبنانياً وعربياً. وقد أكد بشارة الخوري في مذكراته هذه الحقيقة بقوله: «وكنيت قد صممت في نفسي على أن أوليها رجلاً له مكانته في لبنان ولدى الدول العربية، ووهبه الله ذكاء نيراً واقداماً نادراً، عنيت به رياض الصلح»<sup>(١)</sup>. وكانت سياسة بشارة الخوري منذ البداية تقوم على ان لبنان مهما كانت له «صبغة نصرانية» فهو بلاد اسلامية أيضاً، وعدد المسلمين فيه يوازي عدد النصارى. وانه يجب أن يكون للمسلمين حساب كبير، وعلى الزعيم السياسي المسيحي ان يذكر هذه الحقيقة لنفسه وللمسلمين أيضاً<sup>(٢)</sup>.

هذا واثراً انتخاب بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية اعتلى المنبر وألقى خطاباً مكتوباً ركز فيه على تعاون لبنان مع البلاد العربية وخروجه من عزله، وهو «الذي يجب أن يظل للبلدان العربية المحيطة به جاراً أميناً وأخاً صادقاً تربطه بها روابط تعاون يسوده الود والاخلاص...» ولم يشر في خطابه إلى توزيع الرئاسة الثلاث طائفيًا. وفيما يختص بما عرف باسم «الميثاق الوطني» يذكر لنا يوسف يزبك - أحد المؤرخين اللبنانيين - ان حواراً تم بين بشارة الخوري ورياض الصلح في اجتماع حصل قبل ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣. وما قاله بشارة الخوري لرياض الصلح:

«أنا أعلم أنك تجاهد في صفوف القوميين العرب منذ حوالي ثلاثين عاماً بغية إقامة دولة عربية كبيرة وأعلم أيضاً أنك تؤمن بلبنان ورسالته العربية. وانك مقتنع بأنه بوسع

لبنان أن يكون أمة عربية مستقلة حيث يجد المسيحيون كل الضمانات التي يصبون إليها. واعلم انه بوسعك وصحبك ان تساعدنا على كتابة صفحة جديدة من تاريخنا تنسينا الماضي الذي بناه الأجنبي وأيده وحده. ما رأيك باتفاق حول الخطوط الكبرى التي تؤلب اللبنانيين جميعاً حولها وتشجع النهضة العربية التي ترغب في نجاحها؟

فأجاب رياض الصلح:

«ان ماضي يبرهن ان ما فعلته في سبيل القضية العربية فعلته أيضاً في مصلحة لبنان. وتعلم أيضاً ان بعضاً من «اخواني السليبين» انتقدوا مواقفي واتهموني بأنني أصبحت لبنانياً. وكنيت اجيبهم ان من يناضل من أجل حرية لبنان يناضل أيضاً من أجل حرية العالم العربي كله، ومن يناضل من أجل القضية العربية يناضل من أجل القضية اللبنانية. وفي خطبة لي صرحت فيما صرحت بأنني أفضل أن أعيش مستقلاً استقلالاً تاماً في قرية كفر ذبيان - إحدى قرى كسروان - على أن أعيش في دولة عربية واسعة مرتبطة بمعاهدات يحكمها مستشارون أجانب. وأنا لم أبدل سياستي، واني مسرور بأن أسمع من فم زعيم مسيحي كبير، انه بوسع لبنان أن يكون أمة عربية وها إني ماد لك يدي ومستعد لأن أصغي إليك...».

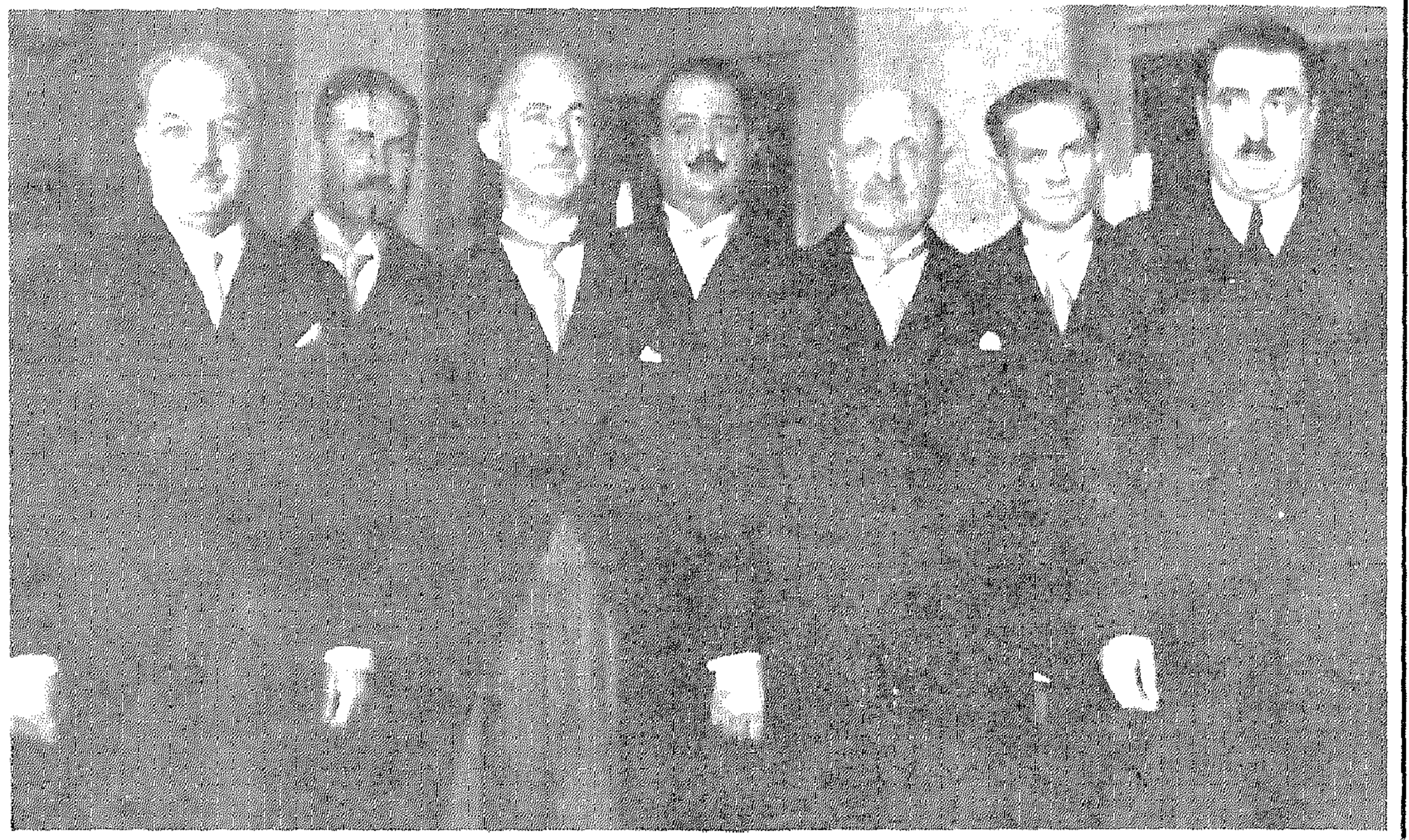
قال بشارة الخوري:

«أعتقد أن جميع اخواننا المسلمين يتبنون اتفاقنا؟ أعتقد انهم سيقبلون بلبنان كوطن نهائي لهم وليس كمرحلة؟ أعتقد ان أملهم الأكبر لن يكون سوريا أو العرب؟

فأجاب رياض الصلح:

«... اني كفيل ليس فقط بالحصول على قبول المسلمين بل أيضاً باقناع الزعماء





- من اليمين : صبري حمادة ، كميل شمعون ، بشارة الخوري ، مجيد أرسلان ، رئيس الوزراء السوري سعد الله الجابري (الذي جاء مهتئاً بعد انتهاء الاعتقال في راشيا) ، عادل عسيران ورياض الصلح : سورية ولبنان بلدان.

السوريين والعرب بالاعتراف باستقلال لبنان وضمان حدوده الحالية...»<sup>(٣)</sup>.

والحقيقة انه لا يوجد اثبات أو دعم وثائقي يؤكد كل ما ذكره يوسف يزبك وذلك للأسباب التالية :

١- ان يوسف يزبك نشر هذا الحوار في آب (أغسطس) عام ١٩٥٨ ، أبان حركة ١٩٥٨ ، وذلك لاعطاء صيغة ١٩٤٣ صفة قانونية بقبول بشارة الخوري ورياض الصلح بها.

٢- ان يوسف يزبك نشر هذا الحوار ، ورياض الصلح كان قد توفي.

٣- ان بشارة الخوري نفسه لم يشر في مذكراته «حقائق لبنانية» التي نشرها عامي ١٩٦٠-١٩٦١ إلى هذا الشكل من الحوار بينه وبين رياض الصلح.

أما فيما يختص بمضمون الميثاق الوطني ، فان بشارة الخوري يؤكد نفسه بقوله : «وما

الميثاق الوطني سوى اتفاق العنصرين اللذين يتألف منهما الوطن اللبناني على انصهار نزعاتهما في عقيدة واحدة : استقلال لبنان التام التاجز دون الالتجاء إلى حماية من الغرب ولا إلى وحدة أو اتحاد مع الشرق»<sup>(٤)</sup> وهذا تأكيد من رئيس الجمهورية واحد ركني الميثاق الوطني ، على أن الميثاق ليس توزع الرئاسة الثلاث طائفيًا ، وإنما اتفاق على امتزاج النزعات السياسية اللبنانية . كما يلاحظ من دراسة خطب بشارة الخوري ، انه لم يشر فيها ضمن احاديثه عن الميثاق ، سوى إلى انه اتفاق على استقلال لبنان ووحدة شعبه وعدم انزاله عن البلدان العربية .

والحقيقة ان بشارة الخوري لم يشر مطلقاً إلى توزع الرئاسة الثلاث على أساس طائفي . كما ان رياض الصلح لم يشر مطلقاً في بيانه الوزاري المكتوب إلى هذا الموضوع . بل على العكس فقد تضمن بيانه الوزاري برنامجاً بالغاء الطائفية والقضاء على مساوئها «فان هذه



— المفتي محمد خالد عندما زاره رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وحبيب أبو شهلا في عيد المولد النبوي الشريف كان حديث الميثاق خامسهم.

جاء في البيان الوزاري . كما تم الاتفاق على أن تكون الرئاسة الأولى مداورة بين المسيحيين والمسلمين ، ولا مانع لدى المسلمين من أن يتبوا الموارنة الرئاسة فترة تسمح لهم بالاطمئنان قد تمتد فترتين أي لمدة ١٢ عاماً ، وهي حقبة كافية للتأكد من ان لبنان سيقى مستقلاً ولن يلتحق بأي اتحاد عربي ، بل انها فترة كافية لالغاء الطائفية . ولذا رأينا ان رياض الصلح لم يمانع مطلقاً في دعم بشارة الخوري لتجديد رئاسته مرة ثانية . والجدير بالذكر ان الرئيس عبد الله اليافي تقدم باقتراح في ٦ تشرين الأول (أكتوبر) - أي قبل يوم واحد من جلسة الثقة - إلى المجلس النيابي طالب فيه بإلغاء الطائفية من لبنان ومن مواد الدستور اللبناني<sup>(٦)</sup> . والواقع ان بشارة الخوري نفسه أكد ان صيغة الميثاق الوطني هي تسوية مؤقتة ريثما «نجد صيغة تعايش وتفاهم ووثام أفضل» .

ويذكر الدكتور باسم الجسر في صدد الحديث عن الميثاق الوطني ، انه طالما لا يوجد نص مكتوب بين أيدينا نعتنقه ، فما علينا إلا

القاعدة تفيد التقدم الوطني من جهة وسمعة لبنان من جهة أخرى ، فضلاً عن انها [الطائفية] تسمم روح العلاقات بين الجماعات الروحية المتعددة التي يتألف منها الشعب اللبناني .. ان الساعة التي يمكن فيها الغاء الطائفية هي ساعة يقظة وطنية شاملة مباركة في تاريخ لبنان ....» .

ويؤكد جمهرة المؤرخين والسياسيين اللبنانيين ان الميثاق الوطني انما هو استقي من خطاب بشارة الخوري في ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣ . ومن البيان الوزاري الذي ألقاه رياض الصلح في ٧ تشرين الأول (أكتوبر) . وطالما ان الخطاب والبيان لم يفصحا عن توزيع الرئاسة الثلاث طائفيًا ، وطالما ان الخطاب والبيان مكتوبان ، فان الميثاق يعتبر مكتوباً . اما فيما يختص بتوزيع الرئاسة الثلاث . فقد تم الاتفاق بين بشارة الخوري ورياض الصلح في جلسة خاصة ان يكون توزيعها طائفيًا بشكل مؤقت ، ثم يتبع ذلك تعديلات بل والعمل على إلغاء الطائفية ، كما





- الرئيس وقريته في زيارة الديمان، وبدا بن بشاره الخوري والبطريك عريضة، مارون كنعان.

والحقيقة ان الرئيس بشاره الخوري أكد عام ١٩٤٤ مجدداً مضمون الميثاق. فقد قال: «هذا الميثاق... هو: استقلال صحيح، وسيادة قومية، ومحافظة على دستور البلاد، لا انتقاص فيها ولا هودة، ومودة خالصة، وتعاون وثيق بين الأقطار العربية ولبنان لمصلحة الجميع وعلى قدم المساواة وبروح العدل والانصاف»<sup>(٨)</sup> ثم يعود ليؤكد عام ١٩٤٦ وللمرة الأولى «التوقيع» على الميثاق الوطني الذي يتضمن الاستقلال اللبناني «الذي يحترمه جيراننا العرب الذين وضعنا يدنا بيدهم مختارين. ومع المحافظة على سيادتنا واستقلالنا».

ويورد الشيخ بشاره الخوري أهداف الميثاق فيذكر أنها:

- ١ - استقلال تام وناجز عن الدول العربية، كل الدول العربية.
- ٢ - استقلال تام وناجز عن الدول الشرقية، كل الدول الشرقية.

أن نلجأ إلى ثلاثة أنواع من المراجع: خطب الشيخ بشاره الخوري وخطب رياض الصلح، وشهادات السياسيين والمسؤولين، وثالثاً، المقالات والدراسات التي وضعها سياسيون ومفكرون...<sup>(٧)</sup>

ومن هنا لا بد لي من أن أؤكد خلافاً لكل ما قيل وكتب، ان الميثاق الوطني هو ميثاق مكتوب، وليس ميثاقاً شفهيّاً، ذلك انه طالما استقيت بنوده من خطاب بشاره الخوري وبيان رياض الصلح، وهما خطابان مكتوبان، فاننا لا نستطيع الا ان نؤكد ان الميثاق مكتوب. لأن القول بأنه غير مكتوب يؤدي إلى نسج الكثير من الأباطيل حوله والادعاءات التي لا أساس لها من الصحة، كأن يقال: هكذا أراد بشاره الخوري يومذاك، أو هكذا قال رياض الصلح،... بينما يؤكد بشاره الخوري انه تم تحديد جوهر الميثاق: في خطاب قسم اليمين الدستورية، وفي بيان حكومة رياض الصلح الأولى، وفي خطب ألقاها في مناسبات عديدة.





- الجنرال سبيرز، وبدأ حوله من اليمين صبري حمادة وبشارة الخوري ورياض الصلح، رؤساء المجلس النيابي والجمهورية والحكومة آنذاك

سياسي نهائي حول تكريس طائفية الرئاسة الثلاث لكان أولى بالرئيس بشارة الخوري أن يذكر ذلك ولو مرة واحدة في خطبه خلال ٩ أعوام (١٩٤٣-١٩٥٢) من حكمه، بل أكثر من ذلك، ما كان تردد لحظة واحدة في ذكرها في مذكراته: «حقائق لبنانية»، وخاصة وأنه نشرها عامي ١٩٦٠-١٩٦١، يوم كان رياض الصلح غائباً عن المسرح السياسي، ويوم كان اللبنانيون مستعدين لأن يصدقوا ما يقوله لهم واحد من أركان الميثاق الوطني. ■

٣- لا وصاية ولا حماية ولا امتياز ولا مركز ممتازاً لمصلحة أي من الدول.  
٤- التعاون إلى أقصى حدود مع الدول العربية الشقيقة.  
٥- الصداقة مع كل الدول الأجنبية التي تعترف باستقلالنا الكامل وتحترمه.  
ويضاف إلى ذلك قول رياض الصلح بأن «لبنان بلد مستقل ذو وجه عربي».  
وأخيراً لا يسعني إلا أن أؤكد، بل من الأهمية أن أذكر، أنه لو كان هناك اتفاق

#### مصادر البحث

- ١- بشارة الخوري: حقائق لبنانية. ج ٢، ص ١٧.
- ٢- تذكارات اسكندر الرياشي: قبل وبعد ١٩١٨-١٩٤١، ص ٢٢٦.
- ٣- يوسف يزبك: من مقال نشره في مجلة Magazine، بيروت، ١٤ آب (أغسطس) ١٩٥٨.
- ٤- بشارة الخوري. المصدر السابق. ج ٢ ص ٢١.
- ٥- انظر: د. نقولا زيادة: مجموعة وثائق دبلوماسية وسياسية، لبنان ١٩٤١، ص ٩١-٩٢.
- ٦- النهار. ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣، العدد ٢٧٧٢.
- ٧- د. باسم الجسر: ميثاق ١٩٤٣. لماذا كان. وهل سقط؟، ص ١٣٢.
- ٨- بشارة الخوري. المصدر السابق. ج ٢. ص ٢٩٠.

# الجغرافيا عند العرب

## في القرن الثالث للهجرة التاسع للميلاد

رصد عضاضة

هذه المعرفة سببها الاهتمام بالتجارة البرية والبحرية التي كان العرب يمارسونها بكثرة: فسفنهم كانت تنتقل بين سواحل الجزيرة العربية والهند، وقوافلهم كانت تربط مكة ويثرب باليمن وبلاد ما بين النهرين وبلاد الشام.

هذه المعرفة كانت ولا شك لا تستند الى أسس علمية، بل كانت معرفة بدائية غير مدونة. وقد ظلت فترة طويلة على حالها الى أن ظهر الدين الاسلامي وحول شبه جزيرة العرب الى منبر للعلم والجهاد، فبدأت رقعة الدولة العربية تتسع لتشمل تخوم الصين ووادي السند شرقاً الى الاندلس وجبال البرانس<sup>(١)</sup> غرباً.

وكان لقيام بغداد سنة ٧٦٢ ميلادية وانتقال مركز الخلافة العباسية من دمشق اليها، الأثر العظيم في قيام عملية الترجمة من اليونانية الى العربية على يد جماعة من اليهود والمسيحيين النساطرة، فترجموا مؤلفات أرسطو وأفلاطون وبطليموس وغيرهم الى العربية واستفاد العرب منها قليلاً. الا ان الفائدة الكبرى تمثلت في علم الفلك ورصد النجوم. ويرجع سبب ذلك الى جهل العرب باللغات الاجنبية في ذلك الوقت وعندما بدأ القرن الثالث للهجرة وتولي المأمون الخلافة، انطلقت المعرفة الجغرافية عند العرب انطلاقاً سريعة ورائعة وبرعاية المأمون نفسه الذي شجع أهل العلم على إعادة ترجمة ما قدّمه الاغريق والرومان من مؤلفات. وهذه الغاية أنشأ المأمون

■ ان التراث الجغرافي الذي تركه العرب في العصور الوسطى يدعو الى الفخر ولن نستطيع بطبيعة الحال أن نكشف عن كل ما كان في المكتبة الجغرافية العربية من مؤلفات ولا حتى عما وصلنا منها وهو قليل إذا ما قورن بالذي ضاع.

لذلك فسيكون الحديث عن المكتبة الجغرافية العربية غير شامل بالضرورة. ونظراً لتعدد الجغرافيين والمؤرخين والفلكيين العرب في تلك الحقبة من الزمن ونظراً الى إمتدادها الطويل من مطلع القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) حتى القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد)، فسوف تكون ابحاثنا في كل عدد مقتصرة على عصر واحد فقط، وذلك تسهيلاً للقارئ العربي كي يأخذ فكرة واضحة وشاملة عما يجمعه كل عصر من مؤلفات عربية قيمة. وقبل الحديث عن الموضوع المشار اليه لا بد في مستهل بحثنا أن نأخذ فكرة تاريخية عن تطور المعرفة الجغرافية في ديار العرب.

تطوّرت المعرفة الجغرافية عند العرب منذ العصر الجاهلي فالعرب عرفوا الكثير عن مناطقهم آنذاك وأعطونا موسوعة تشمل طبيعة بلادهم ونباتاتها وحيواناتها ومسالكها ومواقع الماء فيها الى جانب معتقداتهم الدينية الخاصة في الخلق والخلقية والعالم مستندين في معلوماتهم الى ما جاء في التوراة، وما تسرّب اليهم من آراء الاغريق والرومان والفرس والهنود في الجغرافية والفلك.

مرصدين مؤودين بالاجهزة والكتب اللازمة، أحدهما في بغداد والآخر في دمشق. وقد ذكر المسعودي في مؤلفاته أن رجال المأمون استطاعوا الحصول على خريطة للعالم مُسجَل عليها خطوط الطول ودوائر العرض والموقع الفلكي لكل مكان معروف على سطح الأرض. وقد أمر المأمون برسم مُصوّر ملون يوضح أقاليم العالم المختلفة وبروج السماء. ويقول المسعودي أنه رأى هذه الخريطة في الكتب وقد ظهرت عليها القبة السماوية وما بها من نجوم والماء واليابس والمعمور واللامعمور، والأقاليم وما بها من مدن وما يسكنها من شعوب.

وهكذا استفاد العرب بدافع الدين وبتشجيع من المأمون من المؤلفات التي سبقت عهدهم وقد أضافوا إليها آراءهم واجتهاداتهم الشخصية بما يتفق مع الإسلام. وهكذا إنطلقت المعرفة الجغرافية عند العرب حتى شملت موضوعات وأقاليم لم يعرفها لا الاغريق ولا الرومان الا إسماء.

وربما يتساءل المرء عن الاسباب التي أدت الى ازدهار المعرفة الجغرافية عند العرب بعد إعتناقهم الاسلام. ولعل أبرز هذه العوامل هي:

أولاً: زيارة مهبط الوحي، مما شجع على المعرفة الجغرافية لمعرفة أفضل الطرق للوصول الى مكة بعد أن كان الحجاج في الماضي يُعانون من صعوبات السفر.

ثانياً: الشعور الأخوي الاسلامي بين أنحاء الدولة الاسلامية لدى الرحالة وطالبي العلم والحج والتجارة، فكانوا يشعرون وكأنهم في بلادهم بلا تمييز ولا عنصرية، إذ لا فرق في الاسلام بين عربي وأعجمي الا بالتقوى.

ثالثاً: مساهمة الدين الاسلامي في تطوير علم الفلك بصفة خاصة. فقد نصّ الاسلام على خمس صلوات في اليوم في أوقات خاصة، فكان على الفلكيين العرب ان يُسجّلوا المواقع الفلكية ويُراقبوا القمر ويُعدّوا الساعات الشمسية لتحديد أوقات الصلاة. فكانت ظروف الطقس اليومية تسهل عليهم ذلك العمل.

رابعاً: إتساع حدود الدولة العربية مما شجع على معرفة طبيعة الاقاليم وشعوبها.

خامساً: إهتمام الخلفاء بمعرفة طبيعة وممالك

وممالك البلاد الواقعة بيد المسلمين.

سادساً: إهتمام قادة الجيوش العربية بجمع معلومات عن تضاريس البلاد الأجنبية قبل غزوها لتأثير ذلك في سير المعارك.

سابعاً وأخيراً: تشجيع الرسول (ص) التجار العرب للعمل داخل بلاد الاسلام وخارجها فشملت تجارتهم أنحاء مختلفة من بلاد الصين والبلغار واوروبا وبلاد الزنج. كل ذلك ساهم في حمل الأخبار عن تلك البلاد اما بالمناقلة او بالتدوين.

كل هذه الأسباب شجعت على الاهتمام بالمعرفة الجغرافية في مختلف أنحاء الدولة الاسلامية وخارجها، حتى أصبح هذا الاهتمام جزءاً لا يتجزأ من العمل الإداري لها. وهنا نجد أول إستقلال لما يُصَح ان يُسمّى «الجغرافية الادارية او السياسية» للمنطقة.

واذا ما تتبعنا تاريخ التأليف الجغرافي في اللغة العربية في أدواره الأولى لوجدنا ان مجموعة الجغرافيين الذين كتبوا في القرن الثالث للهجرة كانوا متأثرين الى درجة كبيرة بالمعرفة اليونانية الرومانية. وإذا جاز لنا تسمية هذه المجموعة من الانتاج الجغرافي لسميناها: «الجغرافية اليونانية مترجمة او معربة».

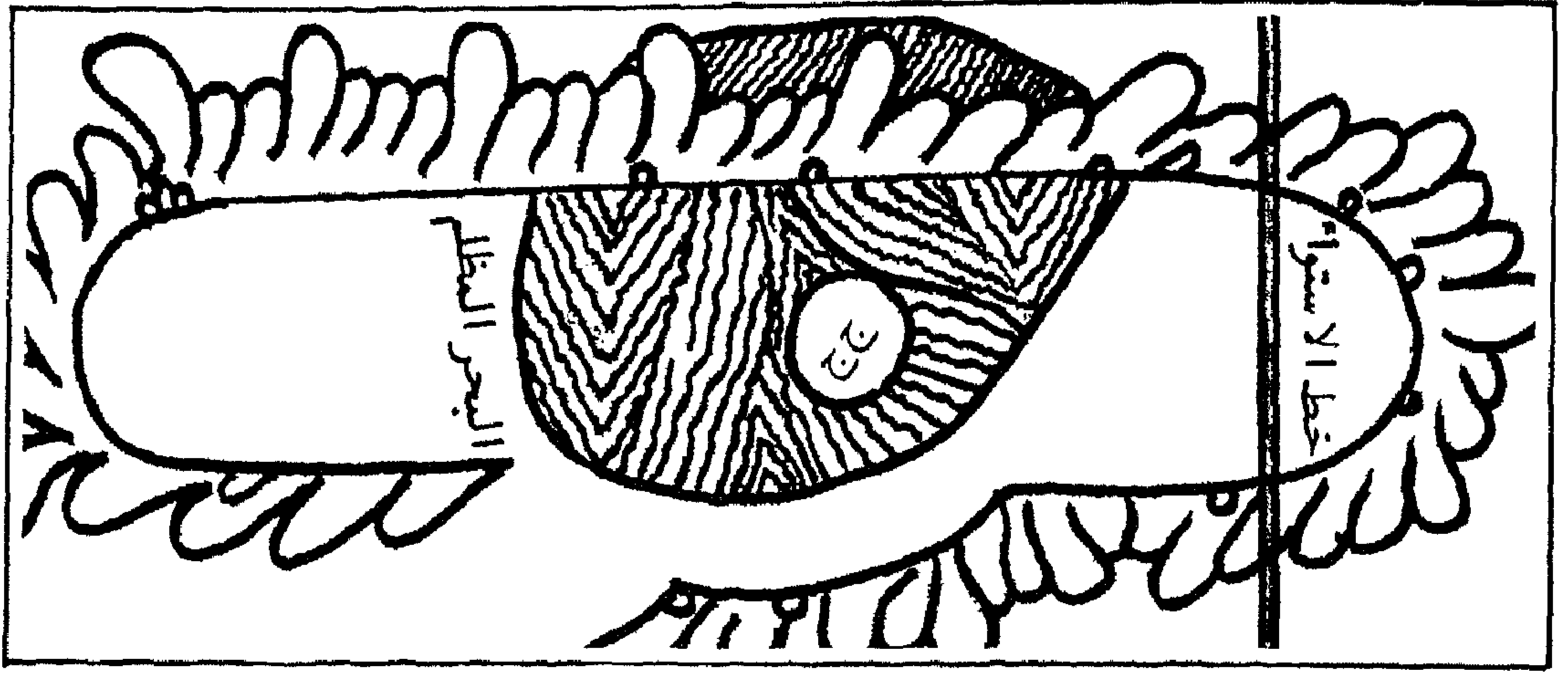
يُمثّل هذه المدرسة ابن خردادبة والخوارزمي واليعقوبي وابن رشد وابن رسته وابن الفقيه. وقد اخترت في هذا البحث مؤلفات الاول والثاني. وسوف نبدأ بموسوعة ابن خردادبة «الممالك والممالك».

يعتبر كتاب المسالك والممالك أول مصنف عربي كامل في الجغرافية الوصفية يقع تحت أيدينا. يتناول الكتاب معلومات تقليدية في الجغرافية الرياضية وصفة الارض وبُنية الخلق وقبلة أهل كل بلد وأعراض البربر وعجائب الدنيا والارض والبنيان والجبال بالاضافة الى المسالك في مختلف أنحاء الأرض التي كانت معروفة في ذلك الزمن. وهذه بعض مقتطفات من المواضيع المذكورة أعلاه.

## ١ - صفة الأرض وبُنية الخلق:

«صفة الأرض انها مُدورة كتدوير الكرة موضوعة في جوف الفلك كالمُحّة في جوف البيضة والنسيم حول الأرض هو جاذب لها





من جميع جوانبها الى الفلك . وبنية الخلق على الارض أن النسيم جاذب لما في ابدانهم من الخفة والارض جاذبة لما في ابدانهم من الثقل ، لأن الارض بمنزلة الحجر الذي يجتذب الحديد . والارض مقسومة بنصفين بينهما خط الاستواء وهو من المشرق الى المغرب . وهذا طول الارض وهو أكبر خط في كرة الأرض . كما ان منطقة البروج أكبر خط في الفلك . وعرض الأرض من القطب الجنوبي الذي يدور حوله سهل حتى موضع خط الاستواء ثلثائة وستون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون اصبعاً والاصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها الى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ . وبين خط الاستواء وكل واحد من القطبين تسعون درجة اسطرلابية واستدارتها عرضاً مثل ذلك . إلا أن المعمورة بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة ثم الباقي قد غمره البحر الكبير . فنحن على الربع الشمالي من الأرض والربع الجنوبي خراب لشدة الحر فيه ، والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه ، وكل ربع من

الشمالي والجنوبي سبعة أقاليم . وقد ذكر بطليموس أن مدن الارض على عهده بلغت أربعة آلاف ومائتي مدينة .

٢ - قبة أهل كل بلد :

«قبة أهل ارمينية وآذربيجان وبغداد والكوفة والبصرة وحلوان وأصبهان وطبرستان وخراسان وبلاد الخزر<sup>(٢)</sup> وكشمير الهند كلها الى حائط الكعبة الذي فيه بابها وهو من القطب الشمالي عن يساره الى وسط المشرق . أما التبت وبلاد الترك والصين فخلف وسط المشرق بثمانية أجزاء لقرب قبلتهم من الحجر الاسود . أما قبة أهل اليمن فصلاتهم الى الركن اليمني ووجوههم الى وجوه أهل ارمينية إذا صلوا . وأما قبة أهل المغرب ومصر والشام والجزيرة فصلاتهم الى الركن الشامي ووجوههم اذا صلوا الى وجوه أهل المنصورة اذا صلوا . فهذه قبل القوم والنحو الذي يصلون اليه .»

٣ - ملوك الارض في أول الزمان وممالكهم والقبايم :

«كان أفريدون قسّم الارض بين بنيه الثلاثة : فملك سلم وهو شرم على المغرب . وملك طوش وهو طوج على المشرق . وملك ايران وهو إيرج على ايرانشهر . أما عن ألقاب

ملوك الارض فنجد ملك العراق هو شاهنشاه .  
وملك الروم باسيل ، وملوك التبت والترك  
والخزر كلهم خاقان .

٤ - أعراض البربر :

« كانت ديار البربر فلسطين وملوكها  
جالوت . فلما قتله داوود جلت البربر الى  
المغرب حتى إنتهوا الى لوبيه ومراقيه<sup>(٣)</sup> ففترقت  
هناك . فنزلت جماعات منها الجبال وأخرى  
المدن . فجماعة هواره مثلاً نزلت مدينة إياس  
وهي أطرابلس<sup>(٤)</sup> وكانت للروم فجلت الروم الى  
صقلية وهي جزيرة في البحر ثم انتشرت الى  
السوس الأدنى خلف طنجة . ولما رجع الروم  
الى مدنها بعد صلحهم مع البربر ، كرهت  
البربر سكنى المدن فنزلت الجبال . أما المدن  
فعادت روميّة واستمرت الى ان فتحها  
المسلمون . »

٥ - عجائب الدنيا والارض :

(أ) « مرآة معلقة بمنارة الاسكندرية كان  
رجل يجلس تحتها فيرى القسطنطينية وبينها  
عرض البحر . »

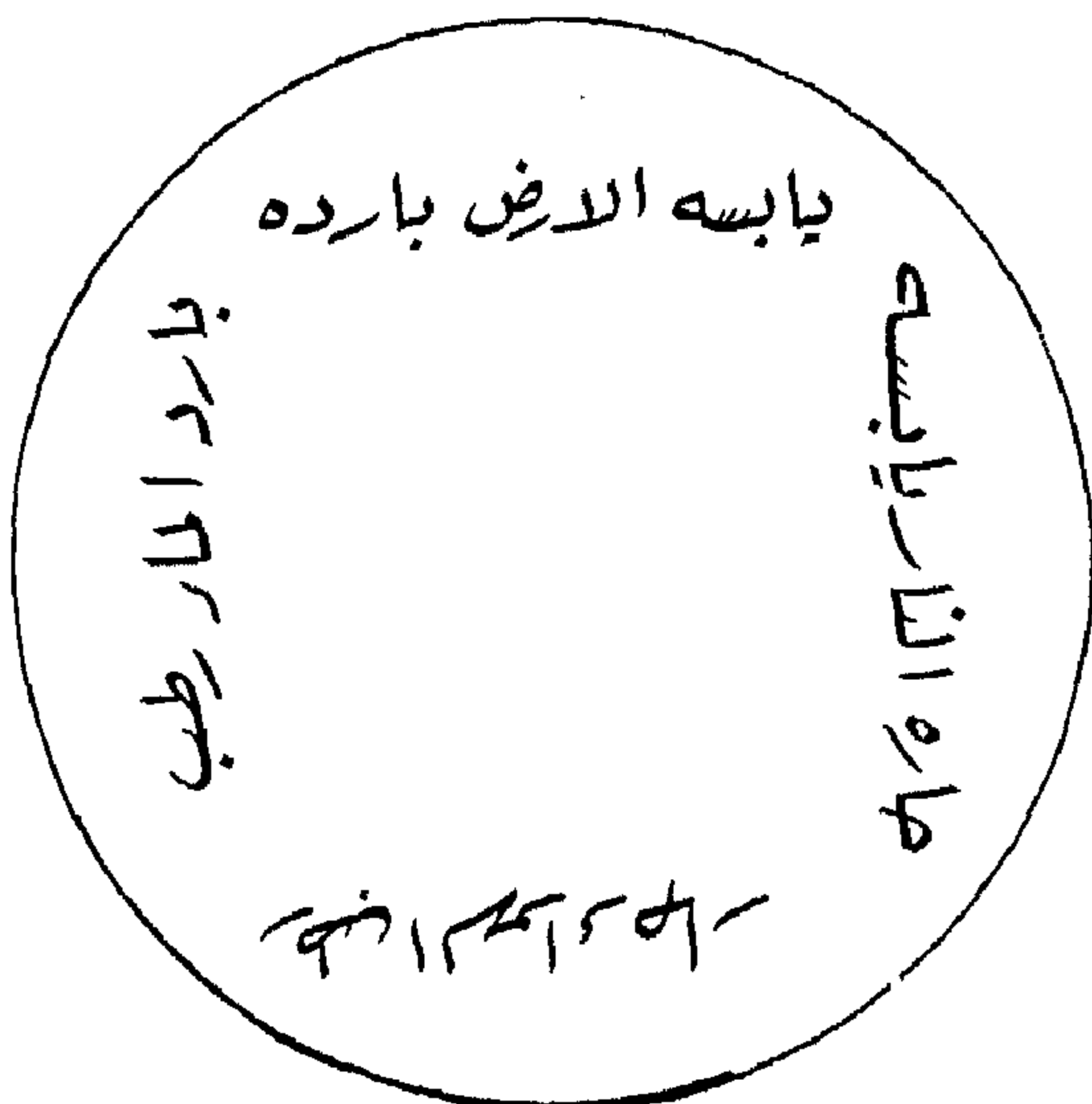
(ب) فرس من نحاس بأرض الاندلس  
قائلاً بكفيه كذا باسطاً يده أي ليس خلقي  
مسلك فلا يبطأ تلك الأرض أحد الا ابتلعه  
النمل .

(ج) منارة من نحاس عليها راكب من  
نحاس بأرض عاد فإذا كانت الاشهر الحرم  
هطل منها الماء فشرب الناس وسقوا وصبوا في  
الحياض فإذا انقضت الاشهر الحرم إنقطع  
ذلك الماء .

(د) نار بصقلية ، بالاندلس وباهند ،  
تشتعل في حجارة إن رغب أحد أن يحمل  
منها شعلة تنقد .

(هـ) بيتان وجدوا بالاندلس ، ففتح

أحدهما وهو بيت الملوك فوجد فيه أربعة  
وعشرون تاجاً وعلى كل تاج اسم صاحبه  
ومبلغ سنه ، ووجد فيه أيضاً مائدة سليمان بن  
داوود عليها السلام . ووجد على البيت الآخر  
أربعة وعشرون قفلاً . كان كلما مرّ ملك زاد  
عليه قفلاً ولا يدرون ما في البيت حتى ملك  
لدريق وهو آخر ملوكهم فقال لا بد لي من  
ان أعرف ما في هذا البيت وتوهم أن فيه  
مالاً وجوهرات ، فاجتمعت الاساقفة  
والشمامسة<sup>(٥)</sup> فأعظموا ذلك عليه وسألوه ان  
يأخذ بما فعلت الملوك قبله فأبى الا أن يفتحه  
فقالوا انظر ما يخطر على بالك من مال تراه  
فيه فنحن نجمعه لك وندفعه اليك ولا تفتحه  
فعصاهم وفتح الباب فإذا في البيت تصاوير  
العرب على خيولهم بعمائمهم ونعالمهم ونباهم  
فدخلت العرب بلادهم في السنة نفسها التي  
فتح فيها ذلك الباب ووجد قتيبة بن مسلم  
بمدينة تدعى بيكنة قدوراً عظيماً يصعد اليها  
بسلام .



هذه الدائرة التي تقع في البحر هي جزيرة الجوهري

وهذه دائرة صوّرتها الحكماء على شكل الدنيا وأظهروا للعيان ان الله تعالى بلطف تدبيره جعل تمازج هذه الطبائع الأربع من أطرافها وحواشيا التي يشابه بعضها بعضا كامتزاج الحر بالحر والبرد بالبرد على ما في هذا الشكل حتى خلق منها هذا العالم مع ما بينها من التعادي والفرقة».

٦ - عجائب البنيان والجبال واستحالة المياه :

(أ) «الهومان بمصر سمك كل واحد منها أربعمئة ذراع كلما ارتفع دق. وهما رخام ومرمر. والطول يساوي العرض وهو لكل منها أربعمئة ذراع.

(ب) بناء رومية والاسكندرية يقال أنها بنيت في ثلثمائة سنة وان اهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها نهائراً الا بخرق سوداء مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها. ومنارتها العجيبة على سرطان من زجاج في البحر.

(ج) منف مدينة فرعون التي كان ينزلها واتخذ لها سبعين باباً وجعل حيطان المدينة بالحديد، وفيها كانت الانهار التي تجري من تحت سريه.

(د) جبل باليمن ينبع من قبلته ماء فيسيل على جانبه وقبل أن يصل الى الارض يجمد. ووادٍ بأذربيجان يجري ماؤه ثم يُستحجر فيصير صفائح صخر». هذه أبرز المقتطفات التي قدمها لنا ابن خرداذبة في كتابه المذكور.

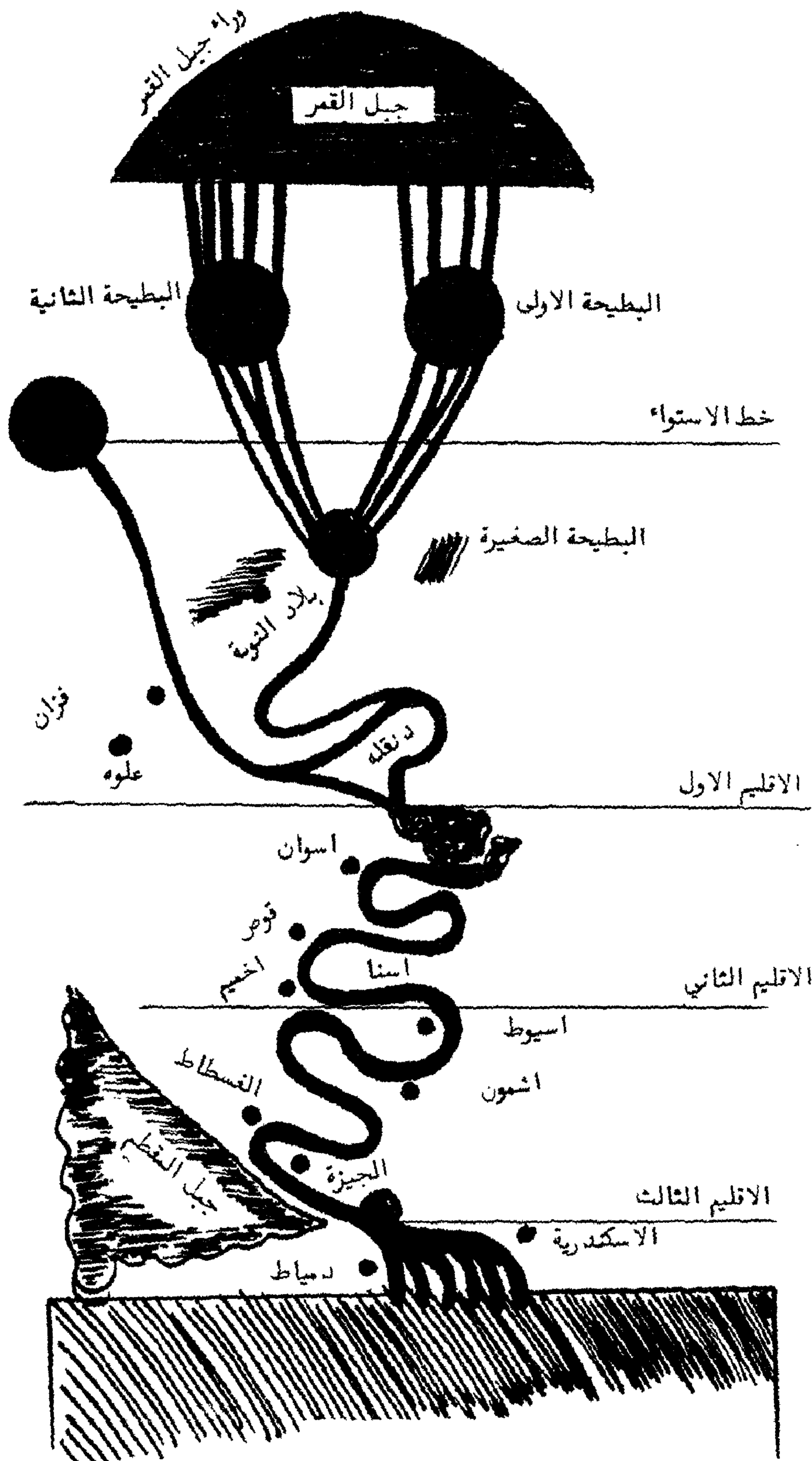
الموسوعة الثانية للخوارزمي وهو كتاب «صورة الارض». يعتبر الخوارزمي أول الجغرافيين العرب بل أول الفلكيين. ظهر في عصر المأمون وأشرف على مكتبة بغداد. لعل أشهر مؤلفاته هو كتاب «صورة الارض» أو رسم الربع المعمور. وصورة الأرض هي

الترجمة العربية المعهودة في ذلك العصر.

وقد لاقى مصنف الخوارزمي هذا المصير نفسه الذي لاقته مصنفاته الاخرى. فهذا الكتاب يوجد في شكل ناقص. كما ان خرائطه التي كان يحويها مفقودة. فهو معروف لنا حتى الآن في نسخة واحدة فقط بمكتبة ستراسبورغ في فرنسا يرجع تاريخها الى حوالي ١٠٣٧ ميلادية اي الى ما بعد قرنين فقط من تاريخ الكتاب. ونظراً لغلبة الفلك والرياضة على الخوارزمي فقد وضع مصنفه هذا على هيئة جداول مع إضافات واسعة من ميدان الجغرافية العربية. اول ما يستدعي الانتباه هو تقسيم الخوارزمي للأقاليم السبعة حسب درجات العرض المختلفة وهو تقسيم يختلف عن كل التقاسيم الاخرى المعروفة لدى العرب. ويعتمد أساساً على حسابات العلماء اليونان فكل صفحة في مصنف الخوارزمي تشمل المدن الرئيسية موزعة على الأقاليم السبعة حسب بعدها عن خط الزوال<sup>(٦)</sup>. كما يتضمن مصنفه جداول بالجبال والبحار والجزر والانهار. ان الخوارزمي قد أبدى الكثير من الجراءة العلمية في تقسيمه الجديد للأقاليم كما أنه قد أظهر ايضاً الكثير من الاصالة والابتكار في خرائطه التي تختلف اختلافاً تاماً عن الخرائط المعروفة لدينا من العهود التالية. فتقوم اهميتها قبل كل شيء على انها تمثل اقدم ما وصل الى ايدينا من آثار الكارتوغرافيا العربية. ففي خريطته التي رسمها لنهر النيل يتضح ان مجراه كان معروفاً جيداً في ذلك الوقت. كما رسمت عليها حدود الاقاليم السبعة بوضوح.

ويقول أحد المستشرقين في تقييمه لكتاب الخوارزمي هذا «انه لا يوجد شعب أوروبي واحد يستطيع ان يفخر بمصنف يمكن مقارنته بهذا الكتاب الذي يعتبر أقدم أثر في الجغرافية العربية».





١٠ النيل كما عرفه العرب في العصور الوسطى

صحيح أن تأثير هذا الكتاب كان محدوداً في أوروبا الوسيطة لكن تأثيره في العالم العربي كان هائلاً. فقد قلده كثير من الجغرافيين اللاحقين خاصة في تقسيمهم للأقاليم السبعة ومنابع النيل.

كنا قد أشرنا في مستهل بحثنا أن المدرسة العربية في القرن الثالث للميلاد قد تأثرت تأثيراً كبيراً بالمدرستين اليونانية والرومانية غير أنها

أصبحت ناضجة خالصة العروبة الى حد كبير ابتداءً من القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) بفضل علماء كبار كالاصطخري والمقدسي والمسعودي وغيرهم وظل الفكر الجغرافي العربي بعد ذلك مزدهراً حوالي ثلاثمائة عام إنتهت بوفاة أبي الفدا عام ١٣٣٢ ميلادية - ٧٣٢ هجرية فبعده إحتفى ما يمكن تسميته بالجغرافية العلمية. ■

#### هوامش :

- (١) تفصل طبيعياً بين اسبانيا وفرنسا
- (٢) قزوين
- (٣) من مدن ليبيا القديمة وتقع في إقليم برقة
- (٤) طرابلس الغرب اليوم
- (٥) رتبة من رتب رجال الدين المسيحي
- (٦) خط الطول الرئيسي او خط منتصف النهار وقد جعل الخط يمر بجزر السعادة اي الجزر الخالدات وتسمى اليوم جزر الكناري في المحيط الاطلسي.

#### مراجع البحث :

- ١ - عبد الفتاح محمد وهيبة - تطور الفكر الجغرافي ١٩٧٢ و ١٩٧٩.
- ٢ - الخوارزمي - صورة الأرض.
- ٣ - ابن خردادبة - المسالك والممالك.



# الذهب

من سبعة من الصنفود

ليرات

انكليزية ذهبت

خمس مئة في انكليز

من سبعة من الصنفود



■ عند البدء بالكتابة عن عالم الذهب والاحجار الكريمة والمجوهرات علينا ان نوضح ان الموضوع يتناول من المعادن الذهب فقط ومن الاحجار تلك الكريمة منها - الكريمة حقا والتمينة، لانه يوجد من الاحجار ما يسمى نصف كريمة Semi Précieux كما انه توجد معادن ثمينة اخرى كالبلاطين والفضة وغيرها وهذه ستفرد لها بحثا خاصا آخر. ان هذه النفائس لها عالمها الخاص في جميع انحاء العالم فند ان اكتشف الانسان هذه الاشياء في باطن الارض وعلى رؤوس الجبال وفي أعماق البحار وعلى شواطئ الانهار والاهتمام بها في تزايد مستمر والتهافت على اكتشافها واقتنائها في اشتداد على صعيد الأفراد والدول. وكل له أسبابه. فالنساء يعشقن للزينة والرجال لزيادة ثرواتهم والدول لتغطية عملياتها وتوسيع نشاطاتها.

كان الإنسان القديم قبل اكتشاف الذهب وقبل اختراع العملات الورقية اذا أراد ان يبيع حصانا أو خروفاً ويشترى بدلا منه جملا أو حمارا فانه ينزل الى السوق ليفتش عن رجل معه جمل أو حمار ويريد ان يشتري به حصانا أو خروفاً. فيقاوضه او يبادلّه. فاذا كانت القيمة متساوية تكون قضية البيع والشراء قد حلت وانتهى الأمر. ولكن المشكلة كانت تظهر دائما عندما يعثر على مبتغاه دون ان يكون قادرا على العثور على من يأخذ ما لديه للمقايضة، أو عندما يكون سعر الجمل أكثر من سعر الخروف أو سعر الحمار أقل من سعر الحصان فكيف العمل؟ الانسان القديم كما هو معلوم كانت ممتلكاته المنقولة هي الحيوانات والدواجن. وغير المنقولة هي بيوت القش والكهوف. ولم تكن عنده أشياء يقاوضها لكي يستقيم البيع والشراء. ابتدأوا

بالاصداف والبلطات والتبغ والأرز والشاي والبلح. فالحمار ثمنه خمسة اصداف والجمل بمائة بلطة والخروف بعشر كومات من التبغ والحدي بخمس كومات من الأرز وهلم جرا ولا زال بعض الهنود في أمريكا يستعملون العقود الصدفية كنوع من انواع العملة كما ان بعض القبائل في يومنا هذا تستعمل الجمل والابقار كمهر لبناتها فهذه مهرها عشرون جملا وتلك خمسون بقرة والاخرى أربعون ناقة. ولكن عندما تم اكتشاف المعادن كالذهب والفضة والنحاس حلت المشكلة واصبحت هذه المعادن هي المعتمدة للبيع والشراء ولم يكونوا يستعملونها قطعا متساوية بل بوزنها على طريقة بدائية. وموضوعنا اليوم هو عن الذهب.

ان هذا المعدن الاصفر اللامع مرغوب

لدى الجميع كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً دولاً وحكومات فقراء واغنياء وهو المقياس الذي يحدد مدى ثراء اي دولة من الدول. وثمة اجماع على اعتباره من اهم غطاءات العملات الورقية وضمانة لثقة الناس بهذه العملة أو تلك ولا ينافس في عصرنا سوى البترول.

ان تاريخ اكتشاف الذهب قديم جداً، يرجع الى ما قبل القرن العشرين قبل الميلاد، وان اكثر الدول المنتجة له هي على التوالي جمهورية افريقيا الجنوبية، الاتحاد السوفياتي، كندا، الولايات المتحدة الاميركية. وقد أخذ حديثا يستعمل في بعض الصناعات كطب الانسان وطلاء القصور والمعابد وفي الادوات الالكترونية والاحجار الصناعية والعربات الفضائية والاعمال الكهربائية، وصناعة الملاعق والسكاكين والشوك وغيرها من الادوات المنزلية (وهي طبعا تصنع لطبقة كبار الأثرياء في





ضارب نقود يعمل داخل محترفه في القرن الخامس عشر في بوهيميا

ليباره أي طبقاً لكمية الذهب الصافي الموجود في الحلية. وبمعنى آخر فن يشتري خاتماً وزنه ١٨ غراماً عيار ٢١ كمن اشترى خاتماً وزنه ٢١ غراماً عيار ١٨. وفي البلاد العربية الذهب المصنوع أكثره عيار ١٨ وبعضه عيار ٢١ وعيار ٢٢ والقليل منه عيار ١٤ أما في أوروبا وخصوصاً في بريطانيا فانهم يستعملون عيار ١٤ وعيار ٩ وقليلاً ما يستعملون عيار ١٨.

ان معظم الدول منذ القدم قد سكّت عملات ذهبية تحمل على أحد وجهيها رسم ملكها أو رئيس دولتها أو اسمه وعلى الوجه الآخر تاريخ الصك مع بعض النقوش وان اندر العملات الذهبية المصكوكة هي الرومانية والبيزنطية والعربية التي هي من عهد الرسول (ص) ومن العهد الأموي والعباسي ولا يزال هواة جمع العملات النادرة يتهافون على شرائها ويدفعون فيها المبالغ الطائلة وهم كهواة

العالم). والذهب عند اكتشافه واستخراجه يكون كحبيبات الرمل الصغيرة المجبولة ببعض ما علق بها من بعض المواد الغريبة. ويجري تدويره على حرارة عالية وتنظيفه من الشوائب لكي يصبح ذهباً صافياً مائة في المائة أي ما يسمونه عيار ٢٤ أو عيار ١٠٠٠ في الاصطلاح الدولي. والذهب لين بالنسبة لغيره من المعادن، لذا تجري إضافة بعض المعادن الأخرى إليه كالنحاس والفضة لكي يصبح قاسياً ويسهل تصنيعه. ومن هنا جاءت تسمية عيار ٢٢ وعيار ٢١ و١٨ وعيار ١٤.. فالعيار ٢٢ يعني أن الذهب في الحلية يشكل نسبة ٢٢ من ٢٤. والعيار ٢١ يعني ٢١ من ٢٤ وهلم جرا.

والبعض يعتقد ان عيار ٢٢ مثلاً أو عيار ٢١ أفضل. وهذا صحيح من حيث كمية الذهب الصافي الموجود في الحلية ولكن المشتري يدفع دائماً ثمن الغرام الواحد طبقاً

جمع طوابع البريد لهم جمعياتهم الخاصة ونشرت سنوية تصدر في أوروبا وأميركا وقد بلغ من ندرة بعض القطع ان تضاعف ثمنها خمسين ضعفاً أو أكثر. وان سعر المصكوكة يحدد حسب قانون العرض والطلب كما انه ظهرت في السنوات العشرين الاخيرة جماعة من مقلدي هذه العملات استطاعوا تقليدها فلا يعرفها الا من كان من الخبراء. فقد استطاع المقلدون ان يصنعوها بالوزن نفسه والشكل والنقوش التي عليها حتى الذهب نفسه ولكن خطأ بسيطاً لا بد وان يحصل في حرف من الحروف أو نقطة من النقط أو في أبعاد بعض الحروف عن بعضها أو أي شيء آخر، يكشفه مجهر الخبير بعد فحص دقيق. والقطع القديمة المطلوبة هي الرومانية والبيزنطية والعربية القديمة الكوفية والروسية القيصريّة وقطعة الخمسة العثمانية الرشادية (أي خمس ليرات في قطعة واحدة) والأصلية من هذه الأخيرة تساوي خمسة أضعاف سعرها الذهبي. ان معظم ما يباع اليوم في الاسواق التجارية من عملات ذهبية متنوعة هي حتماً مصنوعة من الذهب ووزنها كوزن الأصلية تماماً ولكنها ليست أصلية بمعنى ان الجنيه الانكليزي

الذهب ليس بالضرورة مصكوكا في انكلترا والمكسيكي ليس مصكوكا في المكسيك وهلم جرا. انما من المفيد معرفة ان هذه القطع تباع بسعر الذهب الذي تحويه وبإضافة نسبة مئوية لا تتجاوز خمسة في المئة.

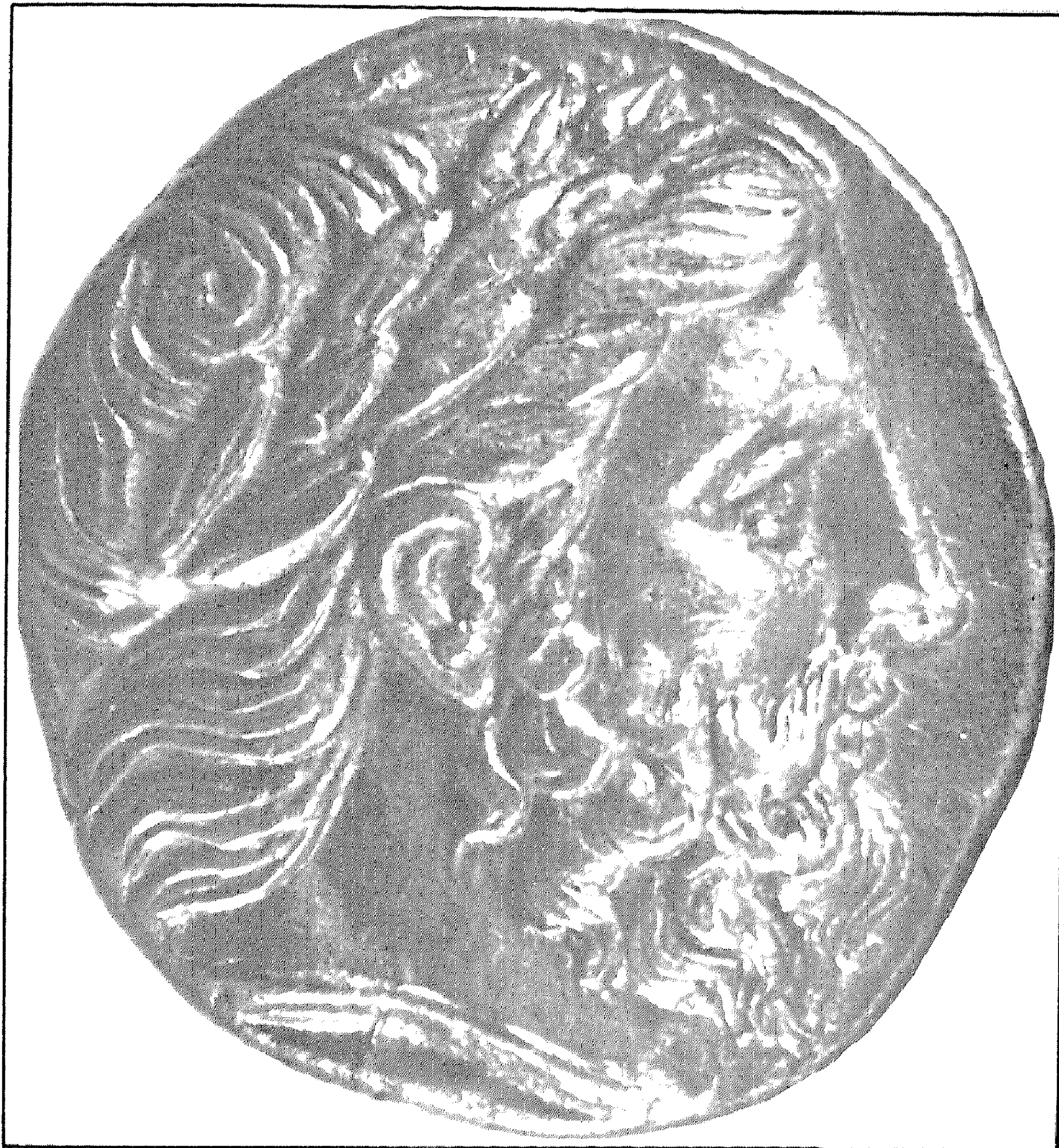
ولكن بعض المقلدين يتلاعبون بوزن القطعة وعيارها. فمنهم من ينقص من وزنها الحقيقي ومنهم من ينقص في عيارها أي بدلا من ان يكون العيار ٢٢ أو ٢١ يصنعونها من عيار ١٨ ولكن الخبير يعرفها بعد فحصها

ووزنها وقد اعتمدت الدول عند صك عملاتها الذهبية عيارات مختلفة. فالجنيه الانكليزي الاصلي عياره ٢٢ والعثماني ٢٢ أيضاً اما الاميركي والافرنسي والمكسيكي فهو ١٠٠٠/٩٠٠ أي عيار ٢١,٦. والنمساوي عيار ٩٩٩ أي عيار ٢٤ تقريبا كذلك فان بعض المصكوكات العثمانية الذهبية الرقيقة هي من عيار ٢٣. ان الذهب الصافي يباع هذه الايام في شكل سبائك. كل سبيكة وزنها ١٠٠٠ غرام وفي سبائك اخرى تزن الواحدة منها خمس غرامات ومنها ١٠ غرامات ومنها أونص واحد والاونص وزنه حوالي ٣١,١٠ غراماً



درهم فضي عربي : لا اله الا الله (القرن الرابع الهجري)



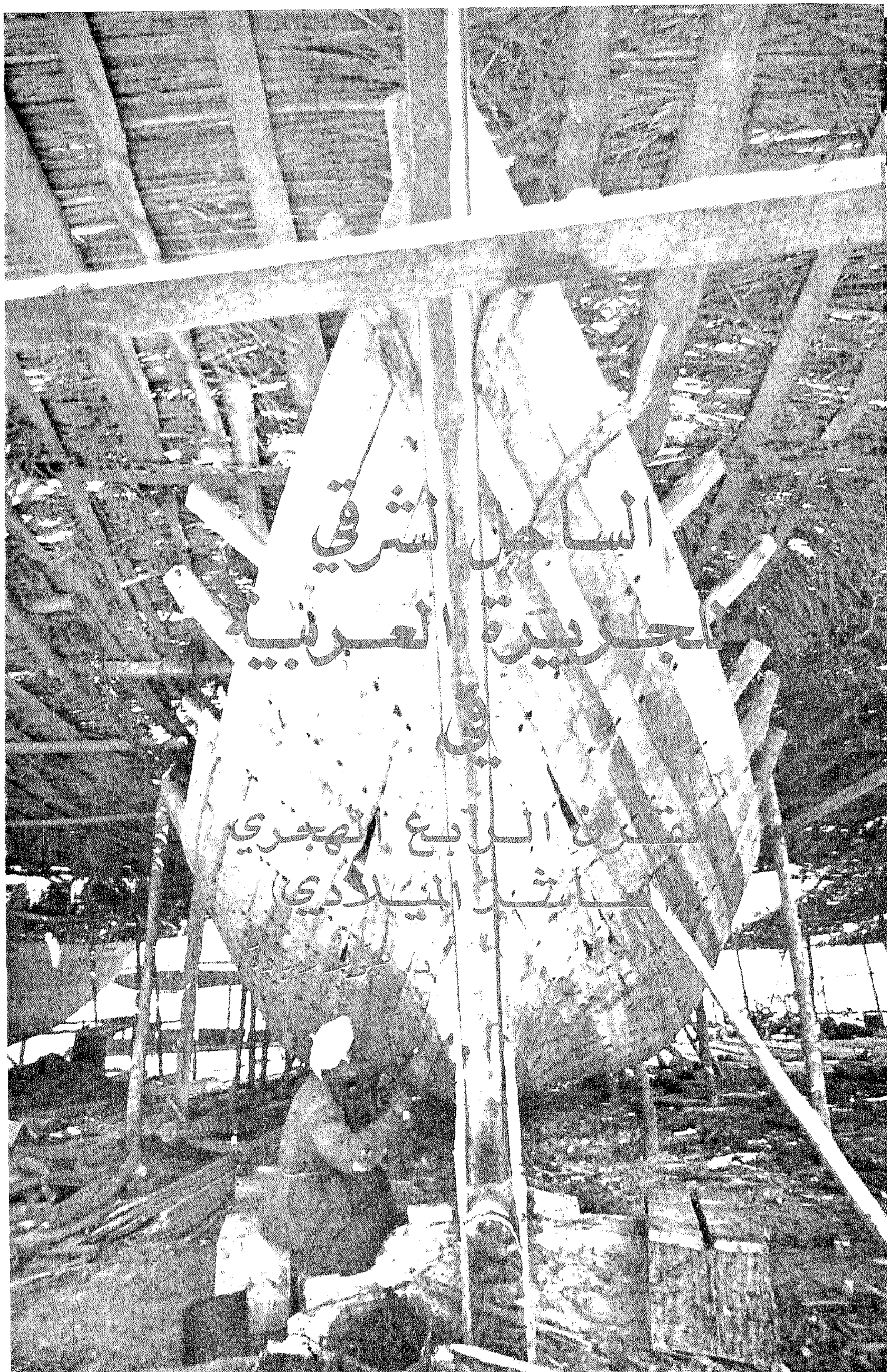


— الملك فيليب المقدوني ، في قطعة ٤ دراخات فضية

الذهب الصافي بين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ ليرة  
فاصبح اليوم ٢٥٠٠٠ ليرة وهذا طبعا يعود الى  
عدة عوامل منها انخفاض القوة الشرائية  
للعملات الورقية أو ما يسمى بالتضخم المالي  
ثم ازدياد الثروات. ■

واسعار الذهب تخضع لقانون العرض والطلب  
العالمي. وله بورصات في أكثر عواصم العالم  
وأهمها بورصة نيويورك ولندن وباريس. وقد  
ارتفع سعر الذهب منذ العام ١٩٦٥ الى اليوم  
ثمانية إلى عشرة أضعاف فقد كان سعر كيلو





■ المقصود من هذا البحث المقتضب

هو جمع المادة التي خلفها لنا الجغرافيون العرب الذين وضعوا مؤلفاتهم في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بحيث تتكون منها صورة لما كان عليه الساحل الشرقي للجزيرة العربية في ذلك القرن. على اننا قد رجعنا إلى بعض الذين كتبوا قبل ذلك لنكون على بينة مما خلفه الأولون ونقله المتأخرون. ومن هنا كانت عودتنا إلى كتاب صورة الأرض الذي استخرجه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي من كتاب جغرافيا الذي ألفه بطليموس (طبعة مزيك، فينا، ١٩٢٦)، وإلى كتاب عجائب الاقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، الذي وضعه سهراب (طبعة مزيك، فينا، ١٩٢٧). والكتابان، من الازياج، أي كتب الجداول الفلكية التي تعين خطوط الطول والعرض للأماكن. وقد عاش الخوارزمي في القرن الثالث (التاسع). أما سهراب فقد كان من أهل النصف الأول من القرن الرابع (العاشر).

وبعد الافادة من هذين الكتابين انتقلنا إلى أربعة من الجغرافيين الكتاب الذين وضعوا كتباً هي أقرب إلى أن يكون واحدها دليلاً شبه رسمي للطرق والمسالك والدروب مع الإشارة إلى ما يرتفع في بعض البلاد من المكوس والأتاوات. وهذه الكتب هي:

- (١) كتاب البلدان لليعقوبي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ (طبعة ليدن، ١٨٩٢).
- (٢) المسالك والممالك لابن خردادبة المتوفى في حدود ٣٠٠ هـ (أوائل القرن العاشر) (والكتاب منشور في ليدن، ١٨٨٩).
- (٣) كتاب الاعلاق النفسية تصنيف ابن رسته (طبعة ليدن، ١٨٩١). (٤) نبذ من

كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر (طبعة ليدن، ١٨٨٩). والمؤلفان الأخيران من أهل القرن الرابع (العاشر).

ويأتي بعد ذلك الجغرافيون البلدانون الذين وصفوا العالم الاسلامي بخاصة (وبعض اجزاء أخرى من العالم بعامة). والذين أفدنا منهم، هم (١) الاصطخري صاحب المسالك والممالك وقد اعتمدنا طبعة محمد جابر عبد العال الحيني (القاهرة، ١٣٨١/١٩٦١). (٢) ابن حوقل الذين وضع كتاب صورة الأرض (طبعة ليدن، ١٩٣٦ - تصوير أوفست بيروت لاتا). (٣) ابن الفقيه الهمداني مؤلف مختصر كتاب البلدان (ليدن، ١٨٨٥). (٤) المسعودي صاحب مروج الذهب (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط ٤، ١٩٦٤). وأخيراً (٥) المقدسي الذي ألف كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن، ١٩٠٦). ولا يتسع المقام للتحديث عن هؤلاء الجغرافيين، لذلك نكتفي بالإشارة إليهم هنا، ونضيف انهم جميعهم من رجال القرن الرابع (العاشر).

وقد رأينا انه من المناسب ان نلحق هذا البحث بما كتبه الشريف الإدريسي. عن الساحل الشرقي للجزيرة اتماماً للفائدة. ونقلنا ذلك عن الطبعة الجديدة التي يقوم بنشرها معهد الدراسات الشرقية بجامعة نابولي (ليدن، ١٩٧١ - ...).

وما تجدر الإشارة إليه هو ان المادة التي تجمعت لنا من هذه المصادر قليلة، ولكن الهدف كان ضم بعضها إلى بعضها الآخر. وثمة أمور حرية بأن يضعها الباحث



نصب عينيه. منها ان المنطقة كانت فيها أجزاء فقيرة ومن ثم فلم يعن بها الرحالون أو الجغرافيون بالنسبة إلى العصر الذي نتحدث عنه. ومنها ان الاشارات إلى الأماكن لم تكن دوماً دقيقة. ومنها ان المناطق بالذات قد اختلفت تسميتها اليوم عما كانت عليه. ففي القرن الرابع (العاشر)، وحتى في أزمنة لاحقة لذلك، كانت البحرين تعني المنطقة الساحلية المقابلة لدولة البحرين اليوم؛ أي المنطقة المعروفة بالاحساء حالياً. وحتى في ذلك نجد أكثر من تحديد واحد للمنطقة أو أكثر من تسمية واحدة. ولندكر على سبيل المثال الاحساء نفسها. فعند سهراب الاحساء هي مدينة البحرين وعند ابن خردادبة فان قرى البحرين تشمل الخط والقطيف والآرة. وابن حوقل يجعل هجر والاحساء والقطيف والعقير وبيشة والخرج وأوال من مدن البحرين.

## ٢ - الساحل الشرقي للجزيرة العربية

الكتب الازياج تتحدث عن العالم المعروف أو المسكون على انه مقسم إلى أقاليم سبعة، موازية لخط الاستواء. ومن ثم فان الخوارزمي وسهراب، مثلاً، يذكران المدن الواقعة على الساحل الشرقي للجزيرة العربية إما على انها في الاقليم الأول (مدينة ظفار والبحرين وعمان) أو في الاقليم الثاني (هجر واغلة - ولعلها أوال) أو في الاقليم الثالث (البحرين على البحر). ومثل هذا ينطبق على ابن خردادبة وابن رسته.

والجغرافيون الكتاب يصفون الساحل نفسه بطريقة عامة. فيذكرون أسماء المدن والقرى الواقعة عليه من عمان إلى البصرة أو من البصرة إلى عمان. إلا ان ابن الفقيه يعدد أماكن أكثر مما يعددها المؤلفان الآخرون.

ولعل خير ما يمكن أن يفعل لتوضيح هذا الأمر، ولو توضيحاً محدوداً، هو ان نورد الأماكن التي يعددها الجغرافيون المختلفون، الكتاب منهم والبلدانيون، ونقارن بينها. ومن حسن الحظ ان بعض هؤلاء المؤلفين يذكرون المسافات، إما مراحل أو فراسخ أو أياماً، بين نقطة وأخرى.

فابن خردادبة يورد الطريق على النحو التالي: من البصرة إلى عبادان ثم إلى الحدودة ثم إلى عرفجا ثم إلى الزابوقة ثم إلى المقر ثم إلى عصي ثم إلى المعرس ثم إلى خليجة ثم إلى حسّان ثم إلى القرى ثم إلى مسيلحة ثم إلى حمّض ثم إلى ساحل هجر ثم إلى العقير ثم إلى قطر ثم إلى السبخة ثم إلى عمان وهي صحار ودبا.

وقدامة يقول ان المنازل من عمان إلى البصرة (فهو يبدأ من الجنوب) السبخة، وهي بين عمان والبحرين، قطر العقير ساحل هجر حمّض مسلحة القرنين حسّان خليجة المعرس عصي المقر الزابوقة عرفجا الحدودة عبادان.

وينقل ابن الفقيه عن أبي عبيدة ان بين هجر، مدينة البحرين، وبين البصرة مسيرة خمسة عشر يوماً على الابل وهي الخط والقطيف والآرة وهجر والبيوتنة والزارة وجواثا والسابور ودارين والغابة وقصبة هجر الصفا والمشقر والشبعان (والمسجد الجامع في المشقر) وبين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له العين ومن قرى البحرين الحوس والكثيب الأكبر والكثيب الأصغر وأرض نوح وذو النار والمالحة والدرائب والبدى والخرصان والسهلة والحوجر والوجير والطربال والمنسلخ والموزي والمطلع والشط والقرحاء والرميلة والهجرة والرجراجة والعرجة.



وقد أورد ثلاثة من مؤلفينا ذكر الطريق البحري من البصرة (أو عبادان) إلى عمان. فابن خردادبة يقول من البصرة إلى عبادان اثنا عشر فرسخاً ثم إلى الخشبات فرسخان. ومن الخشبات في شط العرب إلى مدينة البحرين سبعون فرسخاً ومنها إلى الدردور (مضيق هرمز) مائة وخمسون فرسخاً ثم إلى عمان خمسون فرسخاً ثم إلى الشحر مائتا فرسخ ومن الشحر إلى عدن مائة فرسخ. والاصطخري يقول إنه من عبادان إلى البحرين نحو خمس عشرة مرحلة، ومن البحرين إلى عمان نحو شهر، ومن عمان إلى أرض مهرة نحو من شهر وإلى حضرموت من مهرة نحو شهر. ونلاحظ ان ابن خردادبة استعمل الفراسخ أما الاصطخري فقد جمع بين المراحل والأيام. ولعل الاصطخري لما أشار إلى الطريق البري بين عبادان والبحرين استعمل المرحلة لذلك. على أننا لا نستطيع أن نجزم بذلك.

ولكن اذا تذكرنا ما قاله ابن حوقل عن الاتصال في الساحل الشرقي ملنا إلى ترجيح الاحتمال بأن الاصطخري قصد الطريق البري. فقد جاء عند ابن حوقل «وكذلك ما بين عمان والبحرين فطريق شاق يصعب سلوكه لتمام العرب وتنازعهم فيما بينهم. وأما بين البحرين وعبادان فغير مسلوكة كان إلى هذه الغاية. وقد سلك وهو قفر والطريق منها على البحر. ومن البصرة إلى البحرين على الجادة احدى عشرة مرحلة». واستشهد ابن حوقل بان سليمان بن الحسن أتى على هذا الطريق متزوداً الماء من البحرين إلى البصرة ولا ماء فيه. ويضيف ابن حوقل ان الطريق «على الساحل نحو ثماني عشرة مرحلة وفي قبائل العرب ومياهم وهو طريق عامر إلا انه مخوف». فيما يجعل

الاصطخري الطريق البري (?) خمس عشرة مرحلة.

ونلاحظ، بالاضافة إلى ما ذكرنا، ان الطريق الذي رسمه قدامه، من حيث محطاته ومنازله، هو الطريق نفسه الذي نجده عند ابن خردادبة، والفرق الوحيد بين المؤلفين هو الاتجاه. وقد ذكر ابن الفقيه السابور بين المنازل على طريق هجر والبصرة. والذي نرجحه ان المقصود هو سابور.

### ٣ - الكور والنواحي على الساحل الشرقي

في الفصل الذي عقده الخوارزمي في زيجته عن المواضع التي تكتب فيها حدود البلدان يقول «بلاد العربية العامرة وهي بلاد اليمن واليمامة والبحرين وعمان». فهو يعتبر البحرين وعمان من البلاد العامرة في الجزيرة العربية. والواقع هو ان هذين القطرين كان لهما مشاركة في التجارة البحرية منذ أقدم أزمنة التاريخ.

ويخص الاصطخري بلاد مهرة وعمان بشيء من العناية فيقول عن الأولى: «وأما بلاد مهرة فان قصبتها تسمى الشحر وهي بلاد قفرة... وليس ببلادهم نخيل ولا زرع، وإنما أموالهم الابل. وبها نجب من الابل تفضل في السير على سائر النجب. واللبان الذي يحمل إلى الآفاق من هناك. وديارهم مفترشة، وبلادهم بواد نائية». اما عن عمان فيقول: «وعمان مستقلة بأهلها وهي كثيرة النخيل والفواكه الحرمية من الموز والمان والنبق ونحو ذلك. وقصبتها ضحار وهي على البحر، وبها متاجر البحر وقصد المراكب. وهي أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالاً، ولا تكاد تعرف على شاطئ البحر... مدينة أكثر عماراً ومالاً من ضحار. وبها (أي عمان) مدن كثيرة



● مدينة الخور.. اليوم.

اذهب إلى الشحر ودع عمانا

إلا نجد نجرأ نجد لباناً

وعندما يحاول الدارس للساحل الشرقي للجزيرة العربية ان يتعرف إلى المدن هناك تقابله صعوبة رئيسية وهي الخلاف بين المؤلفين فيما يتعلق بالمناطق بالذات أولاً. ثم فيما يتعلق بمعنى كل من المدينة أو القرية ثانياً، فالتفريق ليس دائماً واضحاً. فابن حوقل يعدد مدن البحرين فيذكر القطيف وهجر والاحساء والعقير وبيشه والخرج وأوال. ويأتي المقدسي فيقول عن هجر ان قصبتها الاحساء ومدنها سابون والزرقاء والعقير. ولا شك في أن في العبارتين تناقضاً من حيث المنطقة والمدن.

ونود هنا أن نشير إلى ان المقدسي، بين معاصريه من الجغرافيين، أكثرهم دقة في التعبير المحدد. فهو يضع بين يدي قارئه تحديداً

وبلغني أن حدود أعمالها نحو من ثلاثمائة فرسخ.... وعمان بلاد حارة جداً، وبلغني ان بمكان منها بعيد عن البحر ربما وقع ثلج رقيق، ولم أر أحداً شاهد ذلك إلا بالابلاغ.

وابن الفقيه يرى ما قاله ابن القرية للحجاج لما سأله عن الأقاليم فقال عن عمان «حرها شديد وصيدها عتيد» وأما عن البحرين فقد قال ان جبالها كثيرة.

وابن خرداذبة يقول إن من يسكن البحرين يعظم طحاله ويستشهد على ذلك بيت من الشعر:

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله  
ويُحسد بما في بطنه وهو جائع  
ويذكر ان الشحر هي بلاد الكندر  
وهو على ما يبدو من الاشجار الصمغية التي  
تدر اللبان. ويروي أيضاً بيتاً من الشعر:

لما يفهمه هو من الأمر. فقد جعل المصر «كل بلد حله السلطان الاعظم وجمعت اليه الدواوين وقلدت منه الأعمال وأضيف اليه مدن الأقاليم مثل دمشق والقيروان وشيراز». ويعود فيحدد تعابيره ثانية فيقول «وربما كان للمصر أو للقصبة نواح لها مدن مثل طخارستان بلخ، والبطائح لواسط، والزاب لافريقية». ويخلص إلى القول بأن أقاليم مملكة الاسلام أربعة عشر؛ ستة عربية وثمانية عجمية. ويضيف «ولا بد لكل إقليم من كور، ثم لكل كورة من قصبة، ثم لكل قصبة من مدن. ثم ينتقل المقدسي إلى تعيين الكور المختلفة فيذكر، بالنسبة إلى الساحل الشرقي من الجزيرة العربية، كورتين هما: عمان وقصبتها صُحار ومدنها نزوة والسر وضنك وحفيت ودبا وسلوت وجلفار وسعد ولسيا وملح. وأما هجر، وتسمى البحرين، فقصبتها الاحساء ومدنها سابون والزرقاء وأوال والفقير. وفي المنطقة ناحيتان هما اليمامة وهي تتبع هجر، والثانية مهرة ومدينتها الشحر.

#### ٤ - ملاحظات اقتصادية

يحدثنا ابن خرداذبة عن التجار الراذانية وهم جماعة من التجار «يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والافرنجية والانديلية والصقلية». وانهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً. يجلبون من المغرب الخدم والحواري والغلمان والسديساج وجلود الخنز والفراء والسمور والسيوف... ثم يمشون (بحراً) إلى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدار صيني وغير ذلك... وان شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربي (البحر المتوسط) فيخرجون بانطاكية

ويسرون على الأرض ثلث مراحل إلى الجابية ثم يركبون في الفرات إلى بغداد ثم يركبون في دجلة إلى الابلية ومن الابلية إلى عمان والسند والهند والصين. كل ذلك متصل بعضه ببعض». والذي يهمنا هنا هو أن عمان كانت على طريق التجار الراذانية.

وما يدل على ثراء منطقتي البحرين وعمان ما كان يرتفع منها من الأموال. فارتفاع البحرين، مع اليمامة، لسنة ٢٣٧ هـ كان من العين خمس مائة ألف وعشرة آلاف دينار، ومقاطعة عمان كان ارتفاعها من العين ثلثمائة ألف دينار. ولا شك ان ذلك يعود إلى التجارة التي كانت تمر بهما، فضلاً عن الثروات الطبيعية.

ويقول ابن حوقل عن مهرة «وبلاد مهرة فقصبتها تسمى الشحر، وهي بلاد قفرة.... وليس بها نخل ولا زرع، وانما أموالهم الابل والمعز، والابل والدواب تعلف السمك الصغار المعروف بالورق. وهم... لا يعرفون الخبز ولا يأكلونه، وأكلهم السموك والألبان والتمور. ولهم نجب من الابل تفضل في السير وحسن الرياضة على جميع النجب. واللبان الذي يستعمل بالآفاق من هناك، وديارهم مفترشة به، وبلادهم بواد نائية... وطول مهرة أربع مائة فرسخ».

ويتحدث ابن حوقل عن البحرين فيقول «أما البحرين ومدنها وهي هجر والاحساء والقطيف وبيشة والخرج وأوال، وهي جزيرة كان لأبي سعيد الحسن بن بهرام ولولده سليمان بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم، وإلى وقتنا هذا هي لمخلفيها ونسلها... وبها أموال وعشور ووجوه مرافق وقوانين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف إلى ما يصل اليهم



من بادية البصرة والكوفة وطريق مكة ، بعد  
اقطاع ما بالبحرين من الضياع بضروب ثمارها  
ومزارعها من الخنطة والشعير والنخل . وهنا  
نرى ثروة منطقة البحرين ( الاحساء اليوم )  
الزراعية وأهمية جزيرة أوال ( البحرين اليوم )  
كمركز تجاري .

وثمة تجارات أو غلات خاصة بالساحل  
الشرقي للجزيرة العربية حرية بالاهتمام .  
فاليقوي يقول عن العنبر «العنبر أنواع  
وأصناف مختلفة ومعادنه متباينة ... فأجود  
أنواعه وأرفعه وأفضله وأحسنه لوناً وأصفاه  
جوهراً وأغلاه قيمة العنبر الشحري ، وهو ما  
قذفه بحر الهند إلى ساحل الشحر ... وبعد  
العنبر الشحري العنبر الزنجي ... وعنبر يؤتى به  
من الهند يسمى الكرك بالوس ... يأتون به إلى  
قرب عمان يشتره منهم أصحاب المراكب » .  
ويعدد ابن الفقيه منتوجات مناطق معينة  
ويخص عمان بالقني .

والمسعودي كان ، بالإضافة إلى أنه مؤرخ  
وجغرافي ، رحالة كثير السفر والتنقل . وقد  
زودنا بمعلومات عن الخليج العربي وخليج  
عمان والبلاد الواقعة حولها والمدن المهمة في  
هذه البلاد . وهما نحن أولاء ننقل عنه  
ما يعيننا . فقد وصف بحر الهند أو الحبشي  
( وهو الذي نسميه اليوم المحيط الهندي ) وذكر  
الخلجان والبحار المتفرعة منه وهي الخليج  
البربري ، وقال إن أهل المراكب من العمانيين  
يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة قبلو من بحر  
الزنج . وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر  
من أهل عمان عرب من الأزد . ويقطع هذا  
البحر السيراقيون . وذكر المسعودي انه قطع  
هذا البحر من صُحار ، قصبة بلاد عمان ، مع  
جماعة من نواخذة السيراقيين إلى جزيرة قبلو

سنة ٣٠٤ هـ .

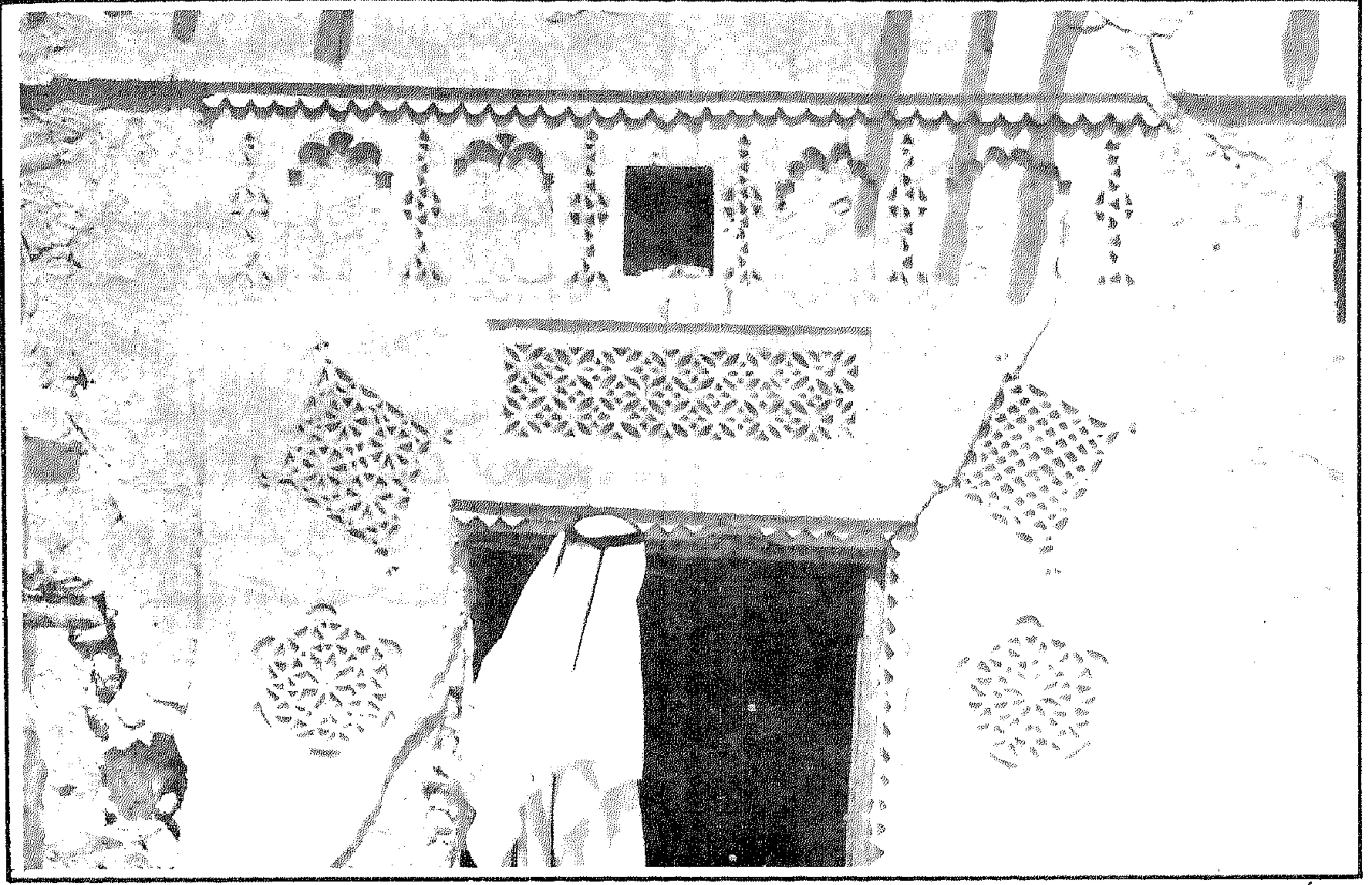
والخليج الآخر الذي يتفرع من بحر  
الهند هو البحر ( الخليج ) الذي تقع بلاد  
فارس شرقيه وساحل الجزيرة غربيه ، والذي  
ينتهي إلى بلاد الأبلّة والخشبات وعبادان .  
ويقابل ساحل فارس ومكران على الساحل  
العربي بلاد البحرين وجزائر قطر وشط بني  
جذيمة وبلاد عمان وأرض مهرة إلى رأس  
الجمجمة إلى أرض الشحر . وفي هذا البحر  
مغاص للؤلؤ في خارك وأوال . وهذه الجزيرة  
فيها بنو معن وبنو مسمار وخلائق كثيرة من  
العرب . وفضلاً عن اللؤلؤ الموجود في هذا  
البحر فهناك النحاس في بلاد عمان .

ويضيف المسعودي ان هذا البحر يُركبُ  
في سائر السنة من عمان إلى سيراف ، وهو مئة  
وستون فرسخاً ، ومن سيراف إلى البصرة ، وهو  
مئة وأربعون فرسخاً .

والمقدسي كان دقيقاً في كتابته إلى درجة  
كبيرة . ولذلك فإن ما عنده من معلومات  
واخبار حرية باهتمامنا .

فهو يقول عن الشحر انها مدينة على  
البحر ، معدن السمك العظيم يحمل إلى عمان  
وعدن ثم إلى البصرة واطراف اليمن ، وثم  
أشجار الكندر وهي اشجار صمغية .

ويتحدث عن صحار فيقول «هي قصبة  
عمان ليس على بحر الصين ( بحر العرب ) اليوم  
بلد اجل منه . عامر أهل حسن طيب نزه ذو  
يسار وثمار وفواكه وخيرات .... أسواق عجيبة  
وبلدة ظريفة ممتدة على البحر . دورهم من  
الآجر والساج شاهقة نفيسة ، والجامع على  
البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق .  
ولهم آبار عذبية وقناة حلوة . وهم في سعة



— أحد المنازل العربية القديمة في قطر

والنارجيل والقندر والاسكندروس والصبر  
والحديد والرصاص والخيزران والخضار  
والصندل والبلور والفلفل وغير ذلك».

#### ٥ - تجارة الخليج العربي في القرن الرابع (العاشر)

في القرنين الثالث والرابع للهجرة  
(التاسع والعاشر للميلاد) كان الخليج العربي  
من مناطق التجارة العالمية الهامة. وكانت  
الموانئ الواقعة على شواطئه تنعم بالكثير من  
الخيرات. والموانئ الرئيسية على الخليج العربي  
وخليج عمان كانت سيراف وعمان والابلة (ميناء  
البصرة)، وكانت سيراف الميناء الذي تمر به  
متاجر فارس. فهي الفرضة العظيمة لفارس،  
وهي مدينة عظيمة ليس بها سوى الأبنية  
شي... وليس بها ماء يحمده ولا زرع  
ولا ضرع. وهي أغنى بلاد فارس... وقد

من كل شيء. دهليز الصين وخزانة الشرق  
والعراق ومغوثة اليمن... المصلى وسط النخيل،  
ومسجد ضحار على نصف فرسخ... قد بُنيَ  
أحسن بناء وهوأوه أطيب هواء من القصبة.  
ومحراب الجامع بلولب (أو مكوكب) يدور تراه  
مرة أصفر وكرة أخضر وحيناً أحمر».

وقد وصف المقدسي الاحساء فقال عنها  
«انها قصبة هجر وتسمى البحرين كبيرة كثيرة  
النخيل عامرة أهلة معدن الحر والقحط على  
مرحلة من البحر» ويقول أيضاً: «اللؤلؤ في هذا  
الاقليم محدود هجر يغاص عليه في البحر بازاء  
أوال وجزيرة خارك».

ويحمل المقدسي أمر التجارات في ديار  
العرب، عن عمان يقول «إلى عمان يخرج  
آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك  
والزعفران والبقم والساج والسهمس والعاج  
واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والابنوس

أعطى ملاحوها من ذلك حظاً جزيلاً حتى أن أحدهم يبلغ ملكه أربعة آلاف ألف دينار وكانت أبنيتها ذات الطبقات العديدة تصنع من خشب الساج الثمين والآجر. وكانت تشتري الدار الواحدة بفوق المئة ألف درهم.

والابلة وعبادان والبصرة كانت نقط الانطلاق لتجارة الخليج في شماله. وبق الماء في بعض الجهات هناك حتى يخاف على السفن الكبار ان سلكته ان تجلس على الأرض إلا في وقت المد. وبهذا الموضع خشبات منصوبة قد بني عليها مرقب يسكنه ناظور يوقد بالليل ليُهتدى به ويُعلم به المدخل إلى دجلة.

وهكذا فقد كانت الرحلة إلى بحار الهند

والصين أو إلى شرق أفريقية تبدأ من الابلة في منطقة البصرة وتجتاز عبادان بارشاد الناظور الساكن في الخشبات. مفيدة من المد وأوقاته. وفي سیراف كانت تجتمع السفن أيضاً. وقد تحمل المتاجر في صغار السفن من البصرة إلى سیراف، حيث توضع في السفن الكبار. فإذا انحدرت السفن في الخليج كان عليها أن تتجنب المتلصصة. ولذلك كثيراً ما كانت السفن تحمل النفاطين والمقاتلين. وكانت أكثر السفن تعرج على ضحار أو مسقط لتحمل بضائع جديدة وتزود بالماء. وبعض السفن كان يتبع الطريق الآخر محاذياً شواطئ فارس ثم شواطئ مكران فشواطئ السند. وكانت السفن تنجيه من عمان إلى شرق أفريقية. ولعل أقصى ما وصلته في تلك الجهات جزيرة مدغشقر ■

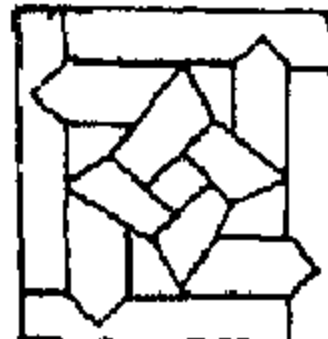
هذه خلاصة لما رسمه الجغرافيون القدامى للساحل الشرقي للجزيرة العربية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)

### الحب.... هل هو حفرة؟

- لافونتين الشاعر الفرنسي الكبير (١٦٢١ - ١٦٩٥) ترجمت أعماله إلى معظم لغات العالم. قال يوماً يصف الحب: «خطأ هذا الذي يقال في وصف الحب بأنه حفرة يقع فيها الحب... ما أكثر ما قرأت هذا التعبير الغريب في وصف المحبين، عندما يشيرون إليهم بقولهم: «لقد وقعوا في الحب... أي انهم كانوا يسرون بثقة وطمأنينة على الطريق الذي استوى أمامهم، ثم إذا بهم فجأة يصادفون بئراً يقعون فيها دون أن يشعروا بوجودها أو بما حدث لهم؟

إن هذا اسخف وصف في الحب.. فهذه العاطفة النبيلة التي تربط بين قلبي الرجل والمرأة لا يمكن أن تكون حفرة أو بئراً، ان الحب بذرة صغيرة يلقي بها في الأرض وهي لكي تنمو وتكبر. وتثمر لا بد لها من وقت، فلم أر بذرة تتحول إلى شجرة بين يوم وليلة.

...أما الحفر والآبار التي يقع فيها المحبون، فنادرًا ما نجدهم يخرجون منها. وإذا خرجوا وجدناهم قد ضلوا طريقهم في الحياة».





# تاريخ لبنان



عام ١٩٢٠

من عام ١٩١٤

محي الدين قدورة

الى

وعينت بدلاً منه علي منيف بك فارتكبت بذلك عدة مخالفات لروح البروتوكول ونصه وذلك لأن البروتوكول نص على ان يكون المتصرف مسيحياً وان يحظى بموافقة الدول الأوروبية الخمس التي اشتركت في وضع البروتوكول وهي : فرنسا ، بريطانيا ، النمسا ، روسيا وبروسيا .

ولم يكتف العثمانيون بذلك بل لقد قاموا بالغاء الاستقلال وجعلوا المتصرفية ولاية عثمانية . وقد أدت هذه الاجراءات الى زيادة نقمة سكان الجبل على الاتراك . ليس هذا فحسب بل ان النقمة عمت بلاد العرب عندما بدأت حكومة الاتحاد والترقي تعمل على تنفيذ سياسة تركية العناصر غير التركية وهي سياسة جابهها العرب بمختلف الوسائل .

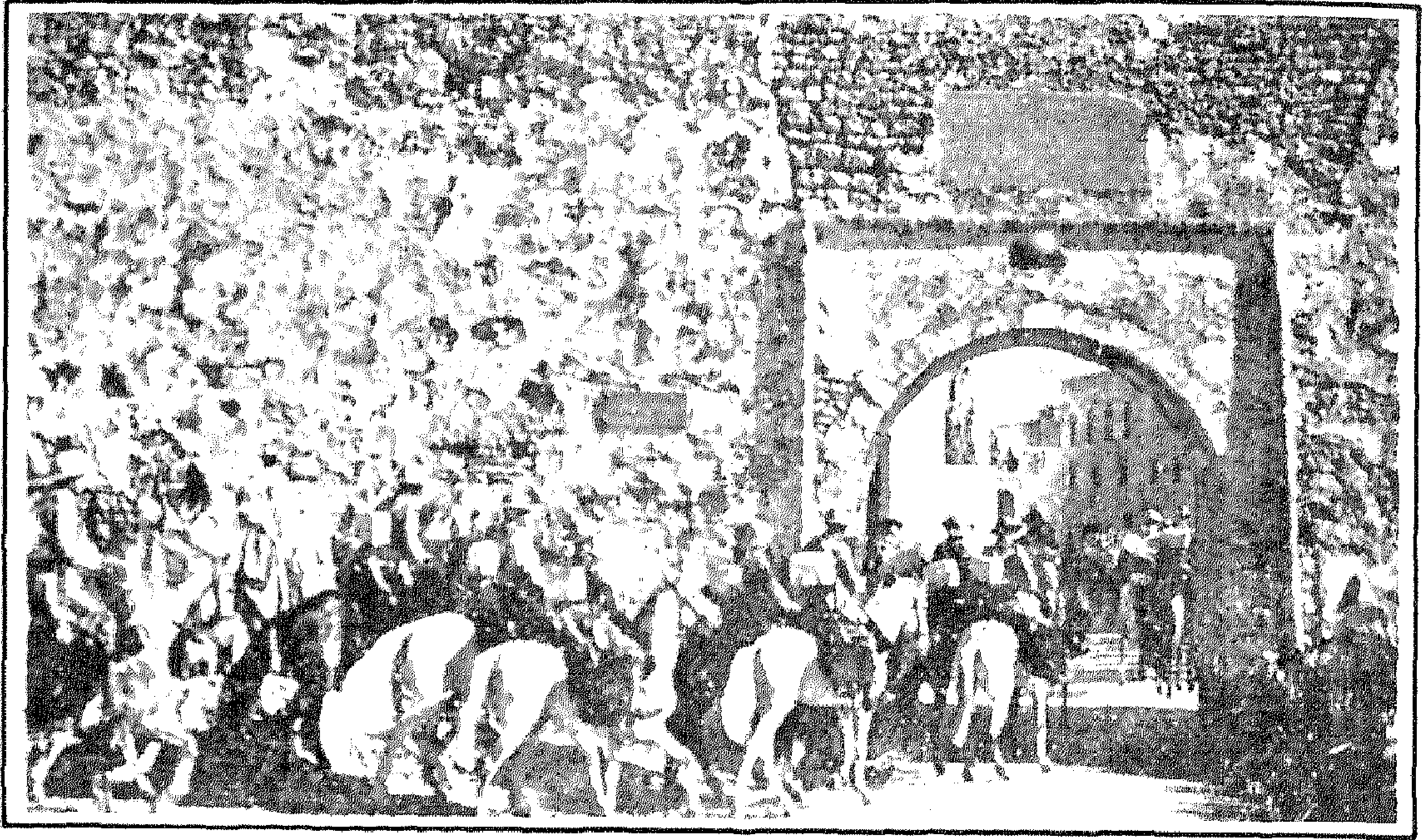
## المقاومة الوطنية والقومية :

لقد قاوم اللبنانيون كسائر العرب سياسة العثمانيين التي كانت تسعى الى تركيهم تمهيداً لقتل الروح القومية فيهم . مما دفع الشباب المثقف العربي واللبناني الى تشكيل جمعيات سرية في مختلف المناطق ، دعت الى الاصلاح الاجتماعي والسياسي . وكانت بعض هذه الجمعيات تتستر أحياناً بأهداف علمية أو دينية . لتنجو بنفسها من ملاحقة العثمانيين

■ كان جبل لبنان يحكم منذ عام ١٨٦١ حسب النظام الاساسي الذي وضع له آنذاك بحيث تحول الى متصرفية مستقلة بشؤونها الداخلية ، وظل على هذا الحال حتى عام ١٩١٤ عندما قام جمال باشا وزير الحرية العثماني بقيادة الفيلق الرابع المتوجه الى سورية وفلسطين ليشن هجوماً عسكرياً على قناة السويس لإخراج الانجليز من مصر فيما بعد .

وقد تذرع جمال باشا بالضرورات الحرية فأرسل في تشرين الثاني عام ١٩١٤ عدة آلاف من الجنود الاتراك الى جبل لبنان معتدياً بذلك على استقلاله الداخلي وناقضاً نصوص نظامه الاساسي الذي يتضمن بنوداً عديدة منها : ان يتولى ادارة جبل لبنان متصرف مسيحي من رعايا الدولة العثمانية يعاونه مجلس ادارة من اثني عشر عضواً يمثلون طوائف الجبل . وما لبث جمال باشا ان جمع السلطة الحقيقية بيديه فأصبح المتصرف وجميع الموظفين في المتصرفية طوع بنانه . كما أنشأ الديوان العرفي في عاليه وعمل كذلك على الغاء امتيازات رجال الدين وجعلهم يخضعون لاحكام الدولة العثمانية المتعارف عليها في المناطق الاخرى .

وفي عام ١٩١٥ قامت الدولة العثمانية باقالة المتصرف اوهانس باشا قبل انتهاء مدته



شرذمة بريطانية كانت أول من دخل دمشق.

اللبنانيين والسوريين - شباب المشرق العربي - من الجندية، وإلى انصراف الوطنيين عن التعاون معه. لذلك اتهم جمال باشا أحرار البلاد بالخيانة واحالهم على الديوان العرفي الذي اصدر احكام الاعدام على عدد كبير منهم.

وقد ذكرت بعض المصادر ان العديد من الذين اعدموا عرفت اسمائهم من خلال لوائح كانت مخبأة في جدران القنصلية الفرنسية. وقد أفضى احد موظفيها بهذا السر للسلطة التركية التي داهمت المكان وحصلت على مضبطة موقعة من أربعين شخصاً يطلبون

فيها حماية فرنسا ومعونتها في سبيل حصول البلاد على استقلالها. بالاضافة الى ذلك فإن رسائل عديدة وصلت من المغتربين الى ذويهم يعلنون فيها عن عدائهم لالمانية وتركية ويخبرونهم عن تطوعهم في صفوف الحلفاء وقد وقعت في أيدي السلطات التركية. فقامت بالقاء القبض على مستلميها.

ومراقبتهم. ومن أشهر تلك الجمعيات: القحطانية والعربية الفتاة ولجنة الاصلاح، وحزب اللامركزية الادارية العثماني، وجمعية العهد. وقد كان اعضاء هذه الجمعيات من حيث اهدافهم ينقسمون الى قسمين:

- قسم يطالب بالاستقلال الذاتي ضمن الرابطة العثمانية وتمثله اكثرية اسلامية.

- وقسم آخر يريد الاستقلال الكامل والانفصال التام عن العثمانيين وتمثله اكثرية مسيحية.

اما السلطة العثمانية فكانت تكره الفريقين على السواء وتعمل على ملاحقتهم. لكن بعد وقوع الحرب الاولى أخذ الاتراك يشنون عيونهم للتحرري عن نشاط الوطنيين والقاء القبض عليهم أو التضييق على تحركاتهم، وخنق الحريات بأنواعها كافة.

ازدياد تدهور العلاقات العربية العثمانية:

بعد فشل حملة السويس الاولى التي قادها جمال باشا. عزا سبب ذلك الى فرار

## الاتصالات العربية البريطانية :

خلال تلك الفترة الحرجة تم الاتصال بين افراد من الاسرة الهاشمية في الحجاز وبعض المسؤولين الإنجليز. ومن هؤلاء اللورد كتنر معتمد بريطانية في مصر، وهنري مكماهون مندوب بريطانية السامي في مصر والسودان. وجرت اتصالات ومراسلات بين الفريقين كان أشهرها تلك المعروفة بمراسلات الحسين - مكماهون التي تبودلت في سنتي ١٩١٥ - ١٩١٦. ولقد اشتملت رسائل شريف الحجاز على مطالب العرب المتمثلة بوحدة شبه الجزيرة العربية بعد تحريرها من الاتراك وتتويج الحسين ملكاً عليها.

اما رسائل مكماهون فقد اغدقت الوعود للشريف حسين معلنة موافقتها مع بعض التحفظات التي ستبحث فيما بعد، أي بعد تحرير المنطقة.

## الثورة العربية الكبرى :

بعد اخفاق الحملة العسكرية الثانية التي قام بها جمال باشا على السويس في مطلع عام ١٩١٦ ازداد حقه على الوطنيين العرب. وحملهم نتائج فشله. ثم أمر بالتشدد في ملاحقة الوطنيين المعارضين للسياسة التركية. ووقع العديد من أبرز رجالات العرب في أيدي السلطات التركية التي احوالتهم على المحكمة العرفية في عاليه. وعندما علم الشريف حسين بذلك أجرى اتصالاته العديدة بالسلطان والصدر الاعظم. كما قام الأمير فيصل بالاتصال بجمال باشا طالباً منه الرأفة بالمتهمين.

لكن القائد التركي لم يأبه لهذه النداءات فنصب في ١٩١٦/٥/٦ المشانق للعديد من الوطنيين في دمشق - ساحة المرجة - وبيروت - ساحة البرج - آملاً في القضاء على روح المقاومة في نفوس المعارضين العرب.

نتيجة لهذه الاعدامات فجرت الاسرة الهاشمية الثورة في بلاد الحجاز ضد الاتراك في اوائل حزيران عام ١٩١٦ فبدأت مواقع القوات التركية تتساقط بأيدي الثوار العرب واحدة بعد أخرى.

وبعد قتال عنيف امتد في أنحاء شبه الجزيرة العربية وشاركت فيه القوات العربية بقيادة الأمير فيصل القوى الخليفة، استطاعت تلك القوى دخول دمشق جنباً الى جنب، ثم تابع الحلفاء تقدمهم فدخلوا مدن سورية الطبيعية<sup>(١)</sup> الساحلية والداخلية بمساعدة القوى العربية.

بعد هزيمة تركية، وقعت معاهدة مودرس مع الحلفاء بتاريخ ١٩١٨/١٠/٣٠ وخرجت من الحرب فاقدة أملاكها ومكانتها، بحيث تحولت الى دولة ثانوية فيما بعد.

ولقد اعترف بعض رجالات الحلفاء بفضل العرب في احراز الحلفاء للنصر على الاتراك. وعبر عن ذلك لويد جورج في مذكراته اذ قال: «ان العرب قد لعبوا دوراً لا غنى عنه في الاطاحة بتركية».

الوضع الاقتصادي في جبل لبنان خلال الحرب :

بعد دخول تركية الحرب في تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩١٤ فرضت اساطيل الحلفاء حصاراً بحرياً على طول سواحل الدولة العثمانية ومنها الساحل السوري اللبناني، مما أدى الى تدهور الوضع الاقتصادي. فتوقفت بذلك أعمال التصدير والاستيراد وانحطت الحركة التجارية وفرغت الاسواق المحلية من السلع الاجنبية. فارتفعت الاسعار كثيراً وصعب على الفقراء ومتوسطي الحال تأمين حاجاتهم الفردية منها، كما انقطع وصول أموال المغتربين الى ذويهم فساءت احوالهم. كما



وهكذا سقط الساحل اللبناني والمناطق الداخلية بأيدي الفرنسيين والانجليز وجعل لبنان تابعاً لجيش الشرق.

وما كاد الفرنسيون يدخلون بيروت حتى اعترضوا على رفع العلم العربي. ويؤكد ألدوينغتون أن اللني - القائد الاعلى في المنطقة - طلب من فيصل انزال العلم العربي عن سراي بيروت لأن بقاءه يعتبر استفزازاً لفرنسا. وكادت تحدث مصادمات بين العرب والحلفاء بسبب هذه الاجراءات لولا تدخل الامير فيصل وتسهيله للامور بحيث تسلم الكولونيل دي بيا باب الحكم واشرف على ادارة المنطقة المحتلة.

#### تقسيم الحلفاء للمنطقة :

في ٢٢/١٠/١٩١٨ اعلن الجنرال اللني ان البلاد المحتلة ستحكم بموجب اتفاقية سايكس - بيكو. وهذا الاتفاق كان قد عقد بين بريطانيا وفرنسا في أيار (مايو) سنة ١٩١٦. وقد اتفق الفريقان على اقتسام البلاد التي سيربها الحلفاء من الدولة العثمانية. فكان نصيب فرنسا لبنان مع سورية الشمالية وبسبب ذلك نجد أنه ما ان انتهى انسحاب الاتراك من بر الشام حتى طالب الفرنسيون بتنفيذ بنود اتفاقية سايكس - بيكو وألحوا على ان يعهد اليهم في إدارة الساحل اللبناني والمناطق الاخرى التي منحوها بموجب الاتفاقية آنفة الذكر.

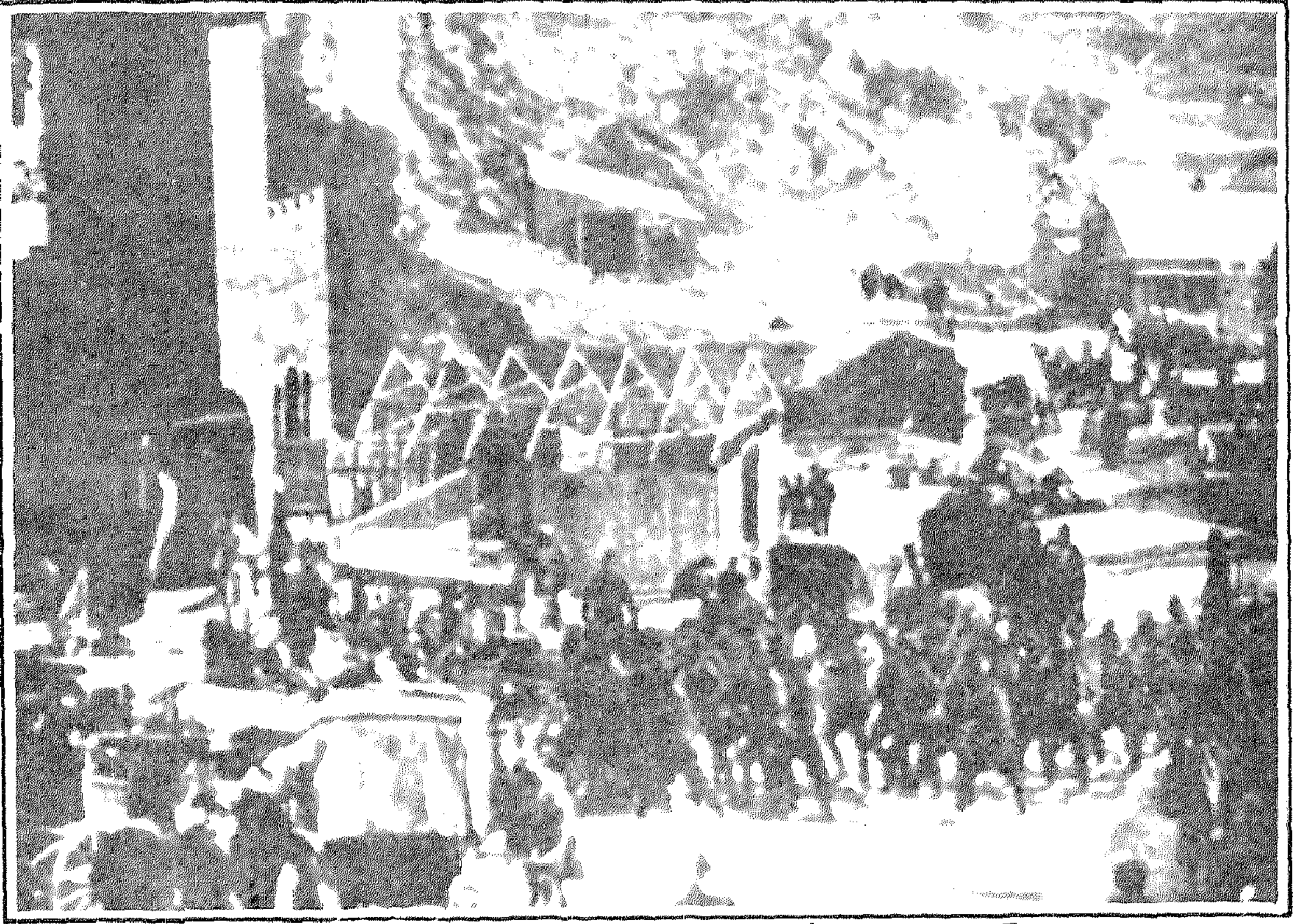
وقد وافق الانجليز على طلب الفرنسيين ووقعوا معهم على اتفاق يقضي بأن تجمع السلطة العليا السياسية والعسكرية في يد المارشال اللني على ان يعين هذا الاخير مندوباً سامياً فرنسياً يطلق عليه اسم مستشار سياسي خاص لادارة شؤون المنطقة الغربية. بالاتفاق مع القائد الاعلى ويحق لهذا المستشار بمقتضى

نتج عن ذلك كله المجاعة التي انتشرت في كل الانحاء. فمات الآلاف من السكان وتفشيت الامراض على انواعها وبخاصة السل والجرب والتيفويد واخيراً الطاعون الذي فتك بالعديد من الأهلين. وفي ربيع عام ١٩١٥ اجتاحت جحافل الجراد أرض سورية ولبنان ثم ما لبثت ان فتكت بالاخضر واليابس فزاد هذا الوضع الطين بلة. فتضاعفت أزمة التموين وانتشر الفقر والجوع والمرض والجريمة وتسببت الازمة في وفاة الآلاف المؤلفة من المواطنين. الوضع في البلاد السورية بعد رحيل الاتراك :

بعد هزيمة الاتراك وانسحابهم دخلت القوات العربية دمشق وتألقت حكومة مؤقتة في عاصمة الامويين برئاسة الامير سعيد الجزائري. وفي الفاتح من تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٨ ارسل الجزائري برقية الى المدن السورية اعلن فيها تأسيس «الحكومة العربية الهاشمية». وبعد ذلك مباشرة اقام الامير فيصل في بيروت حكومة عربية مؤقتة برئاسة عمر الداعوق رئيس بلديتها.

ثم قامت حكومة دمشق بارسال القائد شكري باشا الايوبي من دمشق الى لبنان ليكون حاكماً عاماً على لبنان مقره بيروت، وعين كذلك جميل الاشفي رئيس اركان حرب للأيوبي الذي عين بدوره حبيب باشا السعد حاكماً على جبل لبنان، فأقسم يمين الولاء والطاعة للشريف حسين والحكومة الامير فيصل العربية. كما رفرف العلم الحجازي فوق مقر الحكومة في بعبدا.

بعد تلك الاحداث التي جرت في البلاد السورية سارعت فرنسا الى احتلال مناطق سورية الوسطى - أي لبنان - منفذة بذلك معاهدة سايكس - بيكو.



- الاتراك ينسحبون من القدس بعد أن حكموها أربعة قرون (١٥١٧-١٩١٧).

التالي :

١- فلسطين - أي المنطقة الجنوبية من البلاد السورية - ادارتها بريطانية وعين الجنرال بولز حاكماً عليها.

٢ - السواحل من لبنان حتى الاسكندرونه - أي المنطقة الغربية - ادارتها فرنسية على رأسها بيكو.

٣ - سورية الداخلية - المنطقة الشرقية الممتدة من حلب الى دمشق - ادارتها عربية وعلى رأسها فيصل.

موقف اللبنانيين من بلاغ الجنرال بولز :

بعد تقسيم البلاد السورية الى ثلاثة مناطق من قبل القيادة العليا (الانجلو فرنسية)، دعيت تلك المناطق باسم حكومات الجيش «لأراضي العدو المحتلة»، مما دفع مجلس ادارة جبل لبنان إلى استنكار هذه التسمية

هذا الاتفاق انشاء ادارة خاصة في الشقة الساحلية وتعيين الموظفين اللازمين بعد ان يرفع اسماءهم الى القيادة العليا، ويكونون مسؤولين أمامها.

وقد اسندت وظيفة المستشار الى المسيو «جورج بيكو» المندوب السامي الفرنسي في الشرق وقد عين هذا الاخير المسيو كولوندر معاوناً له.

بعد عقد ذلك الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا قامت القيادة العليا للدولتين الحليفتين بتقسيم المشرق العربي الى عدة اقسام ومناطق، وظهر ان بريطانيا قد بدأت تخل بوعودها للعرب - منذ دخول قواتها لمدينة دمشق بمصاحبة القوات العربية المتحالفة معها - حين اصدر الجنرال بولز بلاغاً «يتعلق بادارة اراضي العدو المحتلة أخيراً» وقد قسم البلاد كما جاء في اتفاقية سايكس - بيكو وذلك على النحو

التي اطلقت على منطقة الجبل ورفع مضبطة الى المراجع العسكرية العليا احتج فيها بشدة على ادخال جبل لبنان ضمن أراضي العدو المحتلة ، وأظهر ان الجبل كان حليفاً وليس عدواً للحلفاء . فتجاوبت القيادة العليا للحلفاء مع ما جاء في المضبطة .

بعد بلاغ بولز اتخذ الحلفاء اجراءات لتثبيت سيطرتهم في البلاد السورية . فقامت احتجاجات عديدة متفاوتة الشدة . وانقسم سكان المنطقة الغربية من البلاد السورية الى قسمين تميز كل منهما بموقفه الخاص المغاير لموقف الآخر .

اما الموقف الاول : فهو موقف سكان الجبل ومعظمهم من المسيحيين الذين اصرروا على الاستقلال عن أية دولة مجاورة أو بعيدة على ان تضم الى الجبل الاقضية التي سلخت عنه عند انشاء المتصرفية عام ١٨٦١ .

أما الثاني فهو لسكان المدن وبخاصة بيروت وطرابلس وصيدا وصور وبعبك . وكانت مطالبهم تتضمن الاستقلال عن أي حكم اجني مع الارتباط بالحكم الفيصلي القائم في مدينة دمشق . وقد عبر كل فريق من اللبنانيين عن موقفه بمختلف الوسائل . ولما كان مصير الاراضي التي تحتلها قوات الحلفاء مطروحا على بساط البحث في مؤتمر الصلح في باريس ، فقد نشط كل فريق لايصال رأيه إلى اعضاء المؤتمر . وهكذا قامت عدة وفود من لبنان تنقل رأي الفريق الأول - سكان الجبل - كما كان الامير فيصل يعبر عن رأي الفريق الثاني الذي يعتبر رأي الاكثرية الساحقة لسكان سورية الطبيعية .

وكانت الاجراءات التي اتخذها اللني عبارة عن خطوات أولية للشروع في تنفيذ معاهدة سايكس - بيكو مما أثار مشاعر الشعب في البلاد السورية فسارعت وزارة الخارجية

البريطانية لإعادة الثقة الى العرب المشككين في سياسة الحلفاء في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨ ، باصدار بلاغ رسمي جاء فيه : « ان السبب الذي من أجله حاربت فرنسا وبريطانيا العظمى في الشرق تلك الحرب التي أثارها مطامع الالمان انما هو لتحرير الشعوب التي رزحت اجيالاً طويلة تحت مظالم الترك تحريراً تاماً نهائياً ، وإقامة حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الوطنيين لها اختياراً حراً » .

لجنة كنف كراين ، احدى نتائج مؤتمر باريس :

بعد هذه التطورات دعي الامير فيصل الى باريس لتمثيل والده الحسين في مؤتمر الصلح الذي عقد هناك في ١٨/٢/١٩١٩ .

وبعد أن قام الامير فيصل بعرض قضية العرب على مؤتمر الصلح في باريس ، اتخذ هذا المؤتمر بتأثير الرئيس الاميركي ولسن - الذي أوى فكرة الدول المتحالفة الرامية الى اقتسام المسالب - قراراً بارسال لجنة تحقيق دولية مهمتها زيارة الشرق الاوسط والتعرف على حالة الرأي العام وعلى الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمنطقة وتكوين رأي حول تقسيم المنطقة وتوزيع الانتدابات فيها . أما بالنسبة لجبل لبنان فإن مجلس ادارته شكل وفداً برئاسة داوود عمون حمل معه المطالب العديدة التي اتفق عليها سابقاً كي تعرض على المؤتمرين في فرساي . ومن هذه المطالب :

١ - الموافقة على استقلال لبنان التام واسترجاع حدوده التاريخية .

٢ - طلب مساعدة فرنسا وضمانها لتحقيق ذلك .

وبسبب فشل الوفد الأول في تحقيق الاهداف المرجوة من وراء زيارته تشكل وفد



ثاني برئاسة البطريرك الماروني الياس الحويك الذي وصل باريس في آب (اغسطس) عام ١٩١٨، حيث باشر اتصالاته مع المسؤولين الفرنسيين وعلى رأسهم كليمنصو. وفي ١٩١٩/١٠/٢٥ تقدم البطريرك الى مؤتمر الصلح بالمطالب السابقة نفسها مضيفاً إليها جعل فرنسا منتدبة على البلاد. ومن ثم عاد الوفد الى بيروت بعد أن حمل رئيسه جواباً مكتوباً من المسيو كليمنصو رئيس الوزراء الفرنسي<sup>(٢)</sup>

خلال تلك الفترة وصلت لجنة كنف - كراين الاميركية الى البلاد السورية فقصت اثنين واربعين يوماً في زيارة اربعين مدينة واستمعت الى وفود الف وخمسمائة وعشرين قرية وتلقت حوالي ألف وثمانمائة عريضة.

وقد وضعت اللجنة توصياتها في ١٩١٩/٨/٢٨ في تقرير طويل<sup>(٣)</sup> رفع الى المندوبين الاميركيين في باريس في ثلاثة اجزاء الاول تضمن شرحاً لعمل اللجنة وتقريراً عن الاوضاع السائدة. والثاني تضمن توصيات عامة حول تسوية المسألة التركية. اما الثالث فقد تضمن تقريراً سرياً بالنسبة لمؤتمر السلم. ولم يستخدمه المندوبون الاميركيون في باريس بل وضع في ملفات وزارة الخارجية الاميركية في واشنطن حتى عام ١٩٢٢ حين نشر بعد ان فقد أي تأثير له في تسوية القضايا التي عاجلها.

اتفاق لويد جورج - كليمنصو في ١٩١٩/٩/١٥

وبسبب اشتداد المخاوف الفرنسية من قيام المجلس الاعلى لمؤتمر الصلح بتنفيذ ما جاء في تقرير لجنة كنف - كراين، سافر المسيو كليمنصو الى لندن ليجتمع الى زميله البريطاني

لويد جورج. فاتفقا على تغيير اتفاق سايكس - بيكو، بحيث اصبحت فلسطين والعراق من نصيب بريطانيا، وسورية وحصّة من بترول الموصل لفرنسا. أما فيما يتعلق بتحديد بعض الحدود، فقد رفض كليمنصو المطالب المتعلقة بتوسيع حدود فلسطين الشمالية لأن ذلك يعطي مصالح لليهود والانجليز، وأصر كذلك على تنفيذ الاتفاق فوراً.

بعد التوصل الى هذا الاتفاق بُدئ تنفيذه، فانسحبت القوات باتجاه المناطق التي اتفق عليها بحيث حقق الفرنسيون والانجليز أهدافهم في السيطرة والتوسع. وضمن الاتفاق المزايا والامور التالية:

- ١ - عدم مطالبة الفرنسيين للانجليز بأدخال ولاية الموصل ضمن الحدود السورية
- ٢ - عدم التنازع بين الدولتين في تقرير مصير فلسطين أي ان تكون تابعة لبريطانيا
- ٣ - عدم التنازع كذلك في وضع العراق تحت الهيمنة البريطانية
- ٤ - الاتفاق بين الدولتين على ابقاء مقاطعة شرق الاردن تحت الاحتلال الانجليزي.

مؤتمر سان ريمو في ١٩٢٠/٤/٢٥:

وعندما اجتمع المجلس الاعلى للحلفاء في سان ريمو بتاريخ ٢٥ نيسان (ابريل) عام ١٩٢٠ قرر وضع المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط والحدود الفارسية تحت حكم الانتداب، وان تقسم سورية الى أجزاء ثلاثة منفصلة هي: فلسطين ولبنان وما تبقى من سورية، وأن توضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي. أما العراق وفلسطين فقد وضعا تحت الانتداب الانجليزي.

وهكذا جاءت مقررات سان ريمو حسب

رغبة الدول التي فتحت هذه البلاد. أما عصبة الأمم فلم تكن سوى الموزع لتلك الانتدابات على الحليفتين بريطانيا وفرنسا.

وقد أقر لويد جورج نفسه بأن نظام الانتداب كان بديلاً للاستعمار القديم. وبعد صدور هذه المقررات حدث انفجار عنيف في المشرق العربي فقامت التظاهرات الشعبية صاحبة المطالبة برفضها والوقوف في وجه مريديها.

خلال هذه الاجواء شكل مجلس الادارة

لجبل لبنان وفداً ثالثاً برئاسة المطران عبد الله الخوري ليذهب إلى باريس لمعرفة مصير المطالب التي رفعها الوفدان الاول والثاني، لكن السلطة المنتدبة الفرنسية اعتقلت اعضاء الوفد ما عدا رئيسه الذي استطاع الوصول الى باريس حيث اتصل بوزير خارجية فرنسا، وحمل منه رسالة جوايية مطمئنة تضمنت عزم فرنسا على جعل لبنان بلداً مستقلاً في ظل الانتداب الفرنسي وهذا ما تحقق بالفعل فيما بعد على ايدي الجنرال غورو المفوض السامي الفرنسي. ■

#### الهوامش

- (١) سورية الطبيعية أي سورية الحالية زائد لبنان وفلسطين والاردن.
- (٢) راجع الملحق رقم (١٠) في كتاب «الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان»، لزين نور الدين، دار النهار للنشر، بيروت - ١٩٧٧.
- (٣) راجع الملحق رقم (٧) في المرجع نفسه.

#### المراجع

- ١ - زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان.
- ٢ - أميل خوري وعادل اسماعيل: السياسة الدولية في الشرق الأوسط.
- ٣ - جورج انطونيوس، بقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد ود. إحسان عباس.
- ٤ - د. زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث.
- ٥ - ريتشارد الدنغتون، لورانس في البلاد العربية، ترجمة محمود عزت موسى.
- ٦ - أمين الريحاني، فيصل الأول.
- ٧ - فيليب نايتلي وكولن سمسون: المخفي من حياة لورانس، ترجمة لاوند والعايد.
- ٨ - أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى ج ٢.
- ٩ - يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام ج ٢.
- ١٠ - محمد جميل بيهم: سورية ولبنان.
- ١١ - وجيه علم الدين: العهود المتعلقة بالوطن العربي.
- ١٢ - خيرية قاسم: الحكومة العربية في دمشق.
- ١٣ - جورج كيرك: مختص تاريخ الشرق الأوسط (مترجم).
- ١٤ - لويد جورج: المذكرات.
- ١٥ - مصطفى الشهابي: القومية العربية.

# جنوب لبنان

## تحت الاحتلال الصليبي

● إن الدراسات العربية حول تاريخ الفرنج في بلاد الشام، وفي لبنان بصورة خاصة هي قليلة، إذا لم نقل أنها معدومة، بالرغم من أن فترة وجود الفرنج (التسمية هي للمؤرخين المسلمين القدامى) في بلادنا التي دامت منذ نهاية القرن الحادي عشر للميلاد حتى أواخر القرن الثالث عشر، قد حفلت بالاحداث التي تركت آثارها المهمة على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي في مجمل بلاد الشام، وفي لبنان على وجه الخصوص.

إن من بين الوقائع المهمة التي لا يزال يحفلها الكثير من المؤرخين العرب هو ما ارتبط منها بالنشاط الاستيطاني والاقتصادي للفرنج في منطقة جبل عامل، وفي إمارة صور بالذات، ومنها تلك المعاهدة التي عقدت في عام ١١٢٤ بين الفرنج وجمهورية البندقية وفيها نالت المدينة الإيطالية الساعية لإقامة مستعمرات تجارية لها في بلاد الشام، امتيازات اقتصادية ومالية واستيطانية في مدينة صور وجوارها من القرى، أي في مجمل إمارة صور.

## في القرنين الثاني والثالث عشر

محمد حسن حجازي

● محمد حسن حجازي : ماجستير تاريخ.



● ولتوضيح الصورة نذكر انه بعد أن احتل الفرنج المنطقة الساحلية من بلاد الشام والمنطقة الداخلية المقابلة لها. قاموا بتأسيس عدة إمارات وبارونيات يهمنها منها في هذا المقال في القسم الجنوبي من لبنان (جبل عامل) ثلاث هي : إمارة طورون (تبين)، وبارونية ساجيت (صيدا) وإمارة صور.

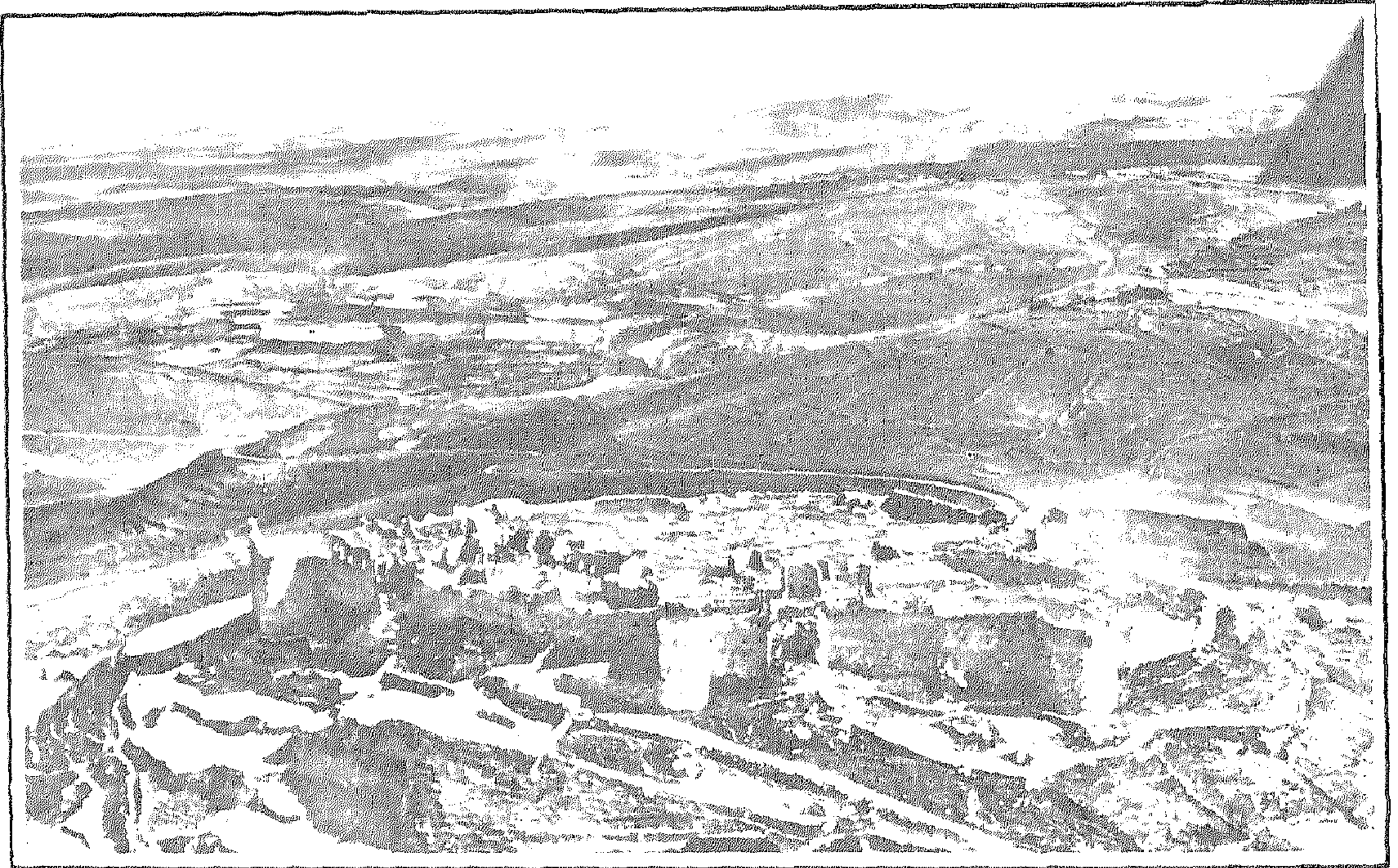
وجعل الفرنج لكل من إمارتي صيدا وتبين سلالة حاكمة مستقلة ذاتياً<sup>(١)</sup> وكانت هذه الامارات جزءاً من مملكة بيت المقدس (المملكة اللاتينية) وتربط بعروشها عن طريق الالتزامات التي يفرضها عليها النظام الفيوذالي (الاقطاعي) الذي كان معمولاً به في بلاد الغرب ونقله معهم الفرنج إلى بلاد الشام. وقد ظلت إمارتا صيدا وتبين تحكمها سلالتان حاكمتان حتى النصف الأخير من القرن الثالث عشر.

إلا أن إمارة صور، لم يكن الحال فيها كحال الامارتين السابقتين. فبعد أن غصبها الفرنج من المسلمين واحتلوها عام ١١٢٤، ألحقت مباشرة بالأراضي الملكية أي التابعة لملك بيت

المقدس نظراً لغناها ولأهمية مرفأها بالنسبة للمملكة. وقد ظلت إمارة صور خاضعة مباشرة للملك حتى بعيد معركة حطين (١١٨٧ م) حين استولى عليها المركز كونراد دو مونفرأ وقام يدافع عنها أمام هجمات المسلمين بقيادة صلاح الدين الايوبي، وبعد أن نجح في صد الهجوم الاسلامي عنها قام بتأسيس سلالة حاكمة فيها. وقد خلفت أسرته في حكم الامارة أسرة ثانية هي دو مونفور. وقد اشتهر منها الأمير فيليب دو مونفور وابنه الأمير جان<sup>(٢)</sup>.

إميازات للبنادقة لقاء مساعدتهم في إحتلال صور ١١٢٤ :

كان الفرنج منذ السنوات الأولى لبدء حملاتهم عام ١٠٩٦ قد استطاعوا تثبيت أقدامهم في منطقة الساحل الشامي ابتداء من الإسكندرونة شمالاً حتى يافا وغزة جنوباً. ولا شك أن الخلافات السلجوقية - الفاطمية قد لعبت دوراً مهماً في تسهيل الغزو الفرنجي



- قلعة طورون (تبين)، بناها هيوج فالكنبرج عام ١١٠٥ بهدف السيطرة على المناطق المشرفة على مدينة صور.

لبلاد الشام. فحتى عام ١١٢٤ لم يكن خارج سيطرة الفرنج المباشرة على الساحل إلا مرقان ضخمان هما: صور وعسقلان.

أما صور المدينة المنيعه والمحصنة، فقد حاول الفرنج مرات عديدة إحتلالها ولكنهم كانوا في كل مرة يتراجعون عنها خائبين بسبب دعم الأسطول الفاطمي البحري لها. وكان على الفرنج أن ينتظروا مساعدة من الأساطيل البحرية الإيطالية القادمة إلى بلاد الشام ليتمكنوا منها.

وفي عام ١١٢٤ سنحت الفرصة الذهبية للفرنج بمجيئ أحد الأساطيل الضخمة التابعة للبندقية بقيادة الأميرال دومينيكو ميشيل إلى قرب السواحل الشامية، فطلب منه الملك بودوان الثاني، ملك بيت المقدس (١١١٨ - ١١٣١ م) المساعدة في إحتلال صور، فوافق البنادقة بعد أن إشتروا على الفرنج شروطاً تجلت في المعاهدة الشهيرة عام ١١٢٤ والتي نال فيها البنادقة إمتيازات ضخمة في إمارة صور.

إشترط البنادقة على الفرنج أن يأخذوا ثلث مدينة صور عند سقوطها وثلث القرى والمزارع المحيطة بالمدينة. وقضت الإتفاقية بأن هذا الثلث «يملكه البنادقة وهم فيه الحرية الكاملة والسيادة (ما عدا سيادة الملك)، وتكون ملكيتهم إلى الأبد ودون قيد وهم فيها حق الإرث».

ونال البنادقة بموجب المعاهدة إمتيازاً يقضي بإعطائهم ٣٠٠ دينار صوري سنوياً يمنح لهم من صندوق المالية الملكي في صور.

وبموجب المعاهدة أيضاً، حصل البنادقة على إمتيازات أخرى في إمارة صور، فكانت لهم حرية جمركية مطلقة، وأعفي التجار البنادقة من أي رسم دخول أو خروج

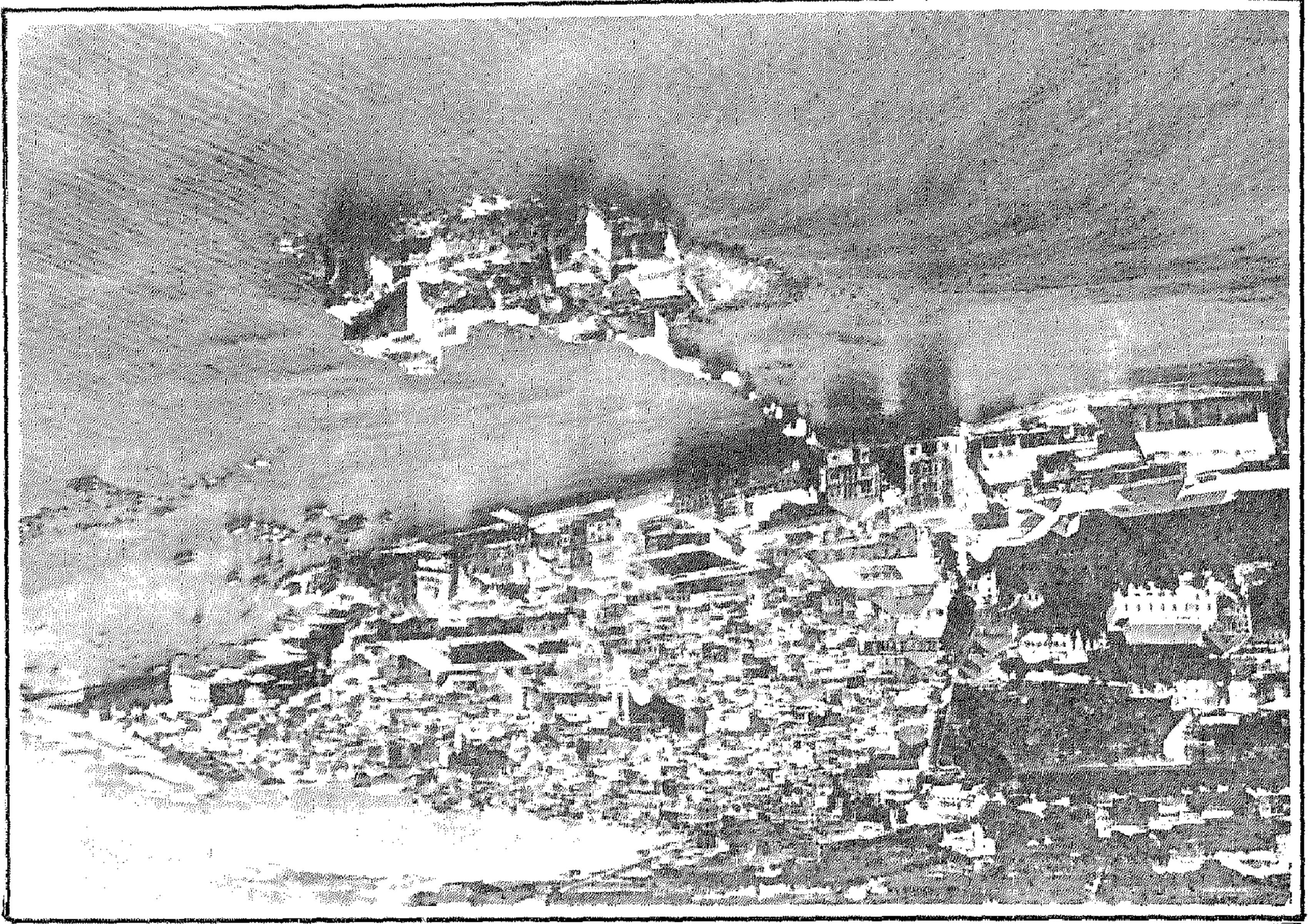
من المملكة. «والمواطنون البنادقة يجب أن يتمتعوا في المملكة بالحرية التجارية كما لو كانوا في البندقية نفسها». وكانت الحالة الوحيدة التي يدفع فيها البنادقة رسوماً للملك هي عند نقلهم الحجاج المسيحيين إلى الأراضي المقدسة بواسطة سفنهم فيقدمون للخزينة الرسم العادي حسب العرف المتبع للحجيج وهي ثلث قيمة النقل. ومن ناحية ثانية ألزم البنادقة الفرنج بعدم رفع الرسوم الجمركية المعمول بها على الشعوب والأمم التي تتعامل تجارياً مع البندقية. دويلة البنادقة في إمارة صور:

بعد هذه المعاهدة، صار للبنادقة «دويلتهم» في صور، فهم يملكون ثلث المدينة، وثلث القرى والمزارع المجاورة لها، وبهذه الطريقة تملك البنادقة أجزاء كاملة أو بعض أجزاء من واحد وخمسين قرية من قرى صور<sup>(٣)</sup>.

أما القسم التابع من المدينة «فوقعه بين المرفأ وحائط السور». وكان للبنادقة في دويلتهم مطلق الحرية في التصرف، وكان على رأسها حاكم بندقى لقبه القنصل وأحياناً الوكيل. وكانت له صلاحيات قضائية إذ يفصل في الخصومات القائمة بين البنادقة أو بين البنادقة والفرنج المقيمين في الثلثين الباقيين من المدينة. ومن مهامه أيضاً أنه كان يجبي الأموال العامة التي كانت تصرف على صيانة الأبنية التي تملكها البندقية، وكان له راتب شهري إضافة إلى تقديرات أخرى كثيرة.

أما تعيين حاكم «الدويلة» أو المستعمرة البندقية فيتم من قبل «المجلس الكبير» المؤلف من كبار أغنياء البنادقة الموجودين في بلاد الشام. وقد ذكرت الوثائق أن وكيل البنادقة في صور عام ١٢٤٤ كان اسمه مارسيل جورج، وقد وضع في نهاية ولايته تقريراً عن





- قلعة صيدا الصليبية ، وهي من المراكز الهامة في الدفاع عن بارونية ساجيت (صيدا)

وأحرفاً عربية. وهي النقود الذهبية التي عرفت باسم الدينار السوري وهوتقليد للدينار الفاطمي. نهاية الإمتيازات البندقية في صور:

ظل البنادقة يتمتعون بامتيازاتهم التجارية والإستيطانية في إمارة صور مدة طويلة من الزمن كان فيها وجودهم عاملاً من عوامل النشاط الإقتصادي وعنصراً مهماً من عناصر الإزدهار في إمارة صور. باعتبار أن البنادقة هم تجار وبحارة بالدرجة الأولى.

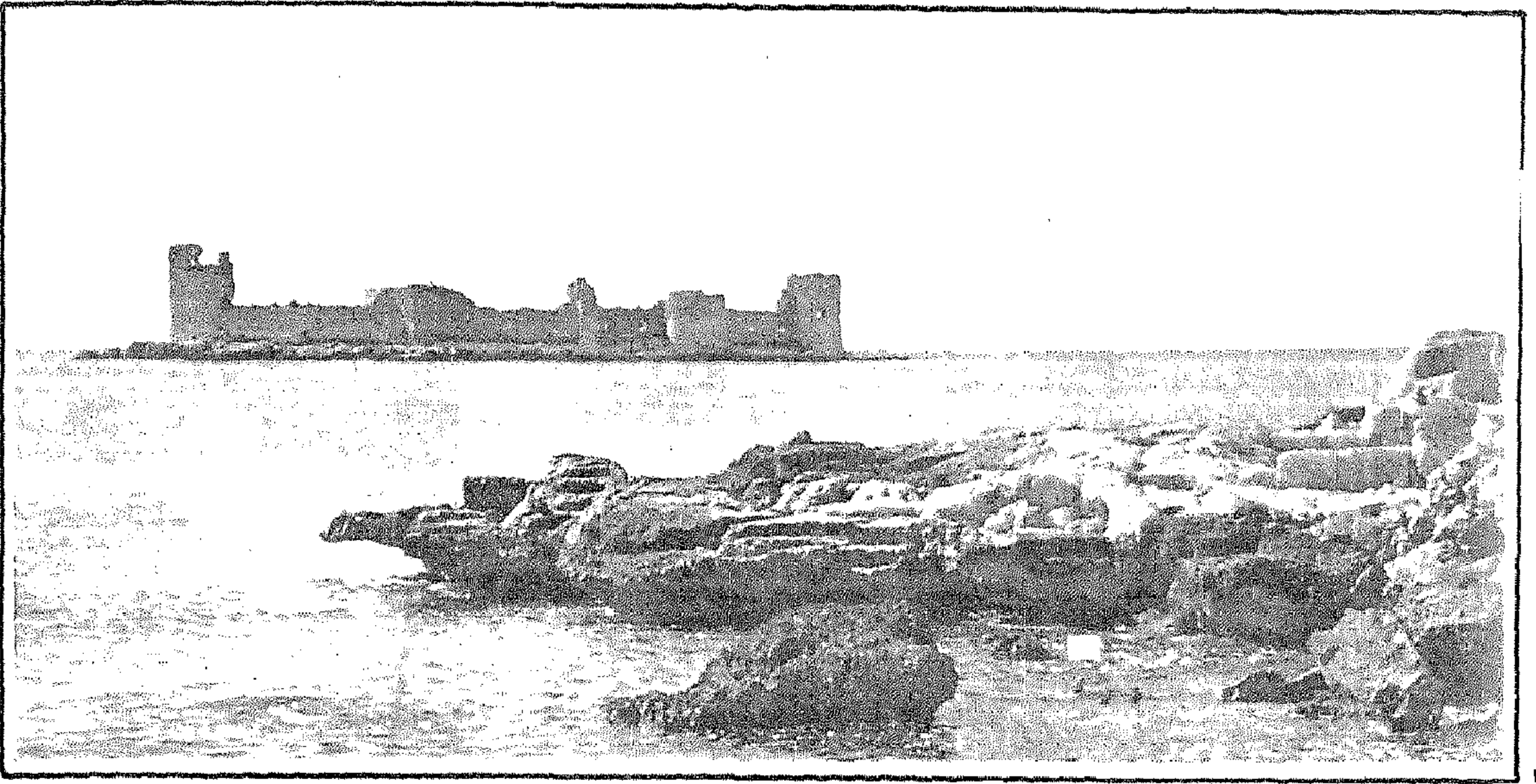
ولكن في عام ١٢٥٦ وضع أمير صور فيليب دومونفور حداً للإمتيازات البندقية في صور. فقد اندلعت حرب أهلية طاحنة بين المستعمرات الإيطالية في بلاد الشام عرفت باسم حرب القديس سابا. وقد بدأت في عكا بين مستعمرة جنوى ومستعمرة البندقية

الحالة التي ترك فيها المستعمرات التي عهد بها إليه ، وكان يقيم أحياناً في صور وأحياناً في عكا.

وهناك وثيقة تعود للعام ١٢٤٤ ، فيها تعداد لعدد كبير من القرى والأراضي الواقعة في جوار صور أو في داخل المدينة نفسها والتي تعود للبنادقة منها مثلاً ، برج كبير ، وثلاث كنائس ، واحدة للقديس مرقص وثانية للقديس يعقوب وثالثة للقديس نقولا ، إضافة إلى مستودعات وحمامات وبيوت ومتاجر. وقد ذكرت هذه في الوثيقة على أساس أنها تعود لكوميونة البندقية في صور.

وأقام البنادقة في مستعمرتهم تلك محاكمهم المدنية وشرطتهم الخاصة. وقد أنشأ البنادقة في صور أول مصنع لضرب النقود الفرنجية والتي كانت تحمل رموزاً مسيحية





السلطان المملوكي باحتلال إمارة صور وكل  
الإمارات الصليبية المتبقية في حوزتهم عام  
١٢٩١، وطرد الفرنج والمستعمرات التجارية  
نهائياً من بلاد الشام.

#### إمـتـيازات البيـزانين في صور ( Les pisans ) .

لم يتوافر لدينا الكثير من المعلومات حول  
وضع أهل بيزا في بلاد الشام وجبل عامل .  
وقد يكون لهم إمتيازات كثيرة كتلك التي  
حصل عليها البنادقة في مدن الفرنج العديدة  
ولاسيما أن البيزانين كانوا يملكون قوة بحرية  
مماثلة لقوة البنادقة ، إلا أن ما توافر من  
معلومات يذكر أن ازدهار إمارة صور  
الاقتصادي في فترة حكم الفرنج قد جذب  
البيزانين إليها ، فسعوا إلى إقامة مستعمرات  
تجارية لهم في المدينة كما سعوا إلى الإستيطان  
فيها . وقد سهل لهم الملك بودوان الثاني هذا  
الأمر ، فمنحهم في صور خمسة بيوت . ثم ما  
بين عامي ١١٥٦ - ١١٨٧ م . أخذت حصتهم

فيها وما لبث أوارها أن امتد إلى كل  
الممتلكات الفرنجية في بلاد الشام وخاصة إمارة  
صور حيث للبنادقة وجود قوي ومهيمن .  
فأضحت المياه الصورية مسرحاً لمعارك بحرية  
كانت طاحنة بين أساطيل المستعمرات الإيطالية  
وفور اندلاع الحرب قام أمير صور فيليب  
دومونفور بمصادرة أملاك البندقية في إمارته  
والغاء الإمتيازات البندقية فيها ذلك أنه وقف  
في الحرب إلى جانب جنوى ضد البندقية .  
وظل البنادقة يناضلون ضد أمير صور من أجل  
إستعادة ممتلكاتهم وإمتيازاتهم حتى هدأت  
حرب القديس سابا بين المستعمرات وعادت  
العلاقات تتحسن من جديد بين البنادقة وأمير  
صور عام ١٢٧٧ عندها أصدر قراراً بإعادة  
العمل بمعااهدة عام ١١٢٤ مع البنادقة فعاد  
هؤلاء يمارسون نشاطهم من جديد .

بعد هذا التاريخ ، لم تدم دويلة البنادقة  
كثيراً في صور ، شأنها في ذلك شأن الوجود  
الصليبي بكامله في بلاد الشام ، إذ لم تمض  
سنوات عديدة حتى قام الأشرف خليل .

في المدينة تكبر إما بواسطة الشراء أو بواسطة  
أعطيات أخرى ، فضمت ممتلكاتهم المزيد من  
البيوت والأراضي الصالحة للسكن ، وسوقاً ،  
وكنيسة في قلب المدينة ، إضافة إلى بساتين  
وطواحين في ضواحيها .

وقد حصل البيزنطيون على إمتياز وضع  
مراقبين لهم في مرافئ وأسواق صور وعكا  
وبافا ، مهمتهم السهر على ألاّ يتعرّض أي من  
مواطنيهم لإستغلال أولسوء .

(المرجع Civilisations: Peuples et mondes

هوامش :

- ١ - للمزيد من المعلومات راجع : جبل عامل في العهد الصليبي ، اعداد محمد حسن حجازي . رسالة  
اعدت لنيل شهادة الكفاءة في التاريخ ، كلية التربية ، حزيران (يونيو) ١٩٧٨ ، بيروت .
- ٢ - راجع الرسالة المذكورة سابقاً : الفصل الثامن من القسم الأول : امارات جبل عامل الثلاث .
- ٣ - الرسالة المذكورة سابقاً ، فصل القرى التابعة للبندقية في اماره صور .



من الذي سيسعى إلى السم؟

- وقف لويس جورج رئيس الوزراء البريطاني في الحرب العالمية الأولى يخطب في جمع حاشد ، وإذا  
بسيده قبيحة تقف وتقاطعه قائلة : «لو كنت زوجي لدست لك السم ، فرد عليها قائلاً : سيدتي لو كنت أنا  
زوجك لشربت ذلك بسرعة» .

أقرب الطرق إلى... المال

- لما نصب معاوية بن أبي سفيان ابنه يزيداً لولاية العهد أقعده في قبة حمراء . فجعل الناس يسلمون على  
معاوية ثم يميلون إلى يزيد ، حتى جاء رجل ففعل ذلك ، ثم رجع إلى معاوية ، فقال :

- «يا أمير المؤمنين ، إنك لو لم تولّ هذا أمور المسلمين لأضعتها» . وكان الأحنف بن قيس المكنى بأبي  
بحر جالساً ، فقال معاوية للرجل :

- جزاك الله عن الطاعة خيراً ، فأمر له بألف درهم ، ولما خرج الأحنف لقيه الرجل فقال : يا أبا بحر .  
اني لأعلم أن شر من خلق الله هذا وابنه ، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والاقفال ، فلننا نطمع  
في استخراجها إلاّ بما سمحت .

# تقاليد شعبية : كذبة اول نيسان .. الاصول والوقائع فكتور سحاب



نيسان هندياً. وهو يقول ان البحث عن أصل العادة أشغل رؤوس العديد من المؤرخين عبثاً. ويضيف ان العقبة الكبرى التي شوشت على الباحثين دراساتهم في هذا الصدد هي عيد «الهولي» الهندي فقد فاتهم أن الرومان احتفلوا في الفترة ذاتها من السنة بعيد زحل، فيما احتفلت شعوب أوروبا طوال القرون الوسطى بعيد المجانين، وكانت شعوب العصور القديمة تحتفل في هذه الفترة من السنة أيضاً بعيد اعتدال الليل والنهار، الذي كان الفرح خلاله يعم بسبب انتصار الشمس، بعد شتاء كان فيه الرجحان لليل.

ويؤكد واغنر ان تقليد أول نيسان لم ينقل عن عيد «الهولي» الهندي، وان الأصل الحقيقي للتقليد يعود الى سنة ١٥٦٤ الميلادية، حين اعتمدت فرنسا أول كانون الثاني (يناير) رأساً للسنة الميلادية، بدلا من ٢٥ آذار (مارس). فالفرنسيون لم يتخلوا عن أي من العادات الرومانية القديمة التي كانت تقضي بتبادل الهدايا والزيارات في السنة الجديدة.

ولكن ما علاقة هذا بالاول من نيسان؟ يقول واغنر إنه في ذلك العصر الذي كانت فيه سطوة الكنيسة قوية في أوروبا لم يكن من

● المصادر التي تتعاطى تاريخ الفولكلور والمعتقدات الشعبية، تختلف في تحديد الاصل الاول للعادة الشعبية المنتشرة على نطاق واسع في العالم «كذبة اول نيسان» (ابريل) على ان التفسير الأقرب الى القبول لدى جمهرة المؤرخين إجمالاً، هو ان «كذبة اول نيسان» هي تقليد هندي الأصل. فالهنود يحتفلون بعيد «الهولي» الذي ينتهي في الواحد والثلاثين من آذار (مارس) فيقومون في هذا اليوم بتبادل الخدع ذاتها المعهودة في أول نيسان ويرسل بعضهم البعض في مهات الى اشخاص وهميين، أو اشخاص غائبين عن بيوتهم، فيضحك الجميع عند اكتشاف الخدعة.

ويقول ر. تشامبرز في كتابه «كتاب الأيام» (١) إنه يكون هذا التقليد منشراً هذا الانتشار الواسع في العالم، ومع هذا التقارب في تاريخ يومي الاحتفال (الواحد يلي الآخر مباشرة) يتأكد ان هذه العادة قديمة جداً عند الجنس البشري.

غير ان ليوبولد واغنر يعارض في كتابه «عادات وتقاليد وشعائر»<sup>(٢)</sup> هذه النظرية. نافياً ان يكون أصل عادة الكذب الأبيض في أول

(٥) مجاز في التاريخ. صحافي.



المعقول ان تجري احتفالات ضاحكة في الخامس والعشرين من آذار (مارس) الذي كان كثيراً ما يصادف أسبوع الآلام، أو حتى في بعض الأحيان الجمعة العظيمة، وهي جميعاً أيام حزن في الطقوس المسيحية. لذلك ارتئي ان يؤجل تبادل الزيارات والهدايا أسبوعاً، أي الى الاول من نيسان.

فلما اعتمدت الروزنامة المعدلة أصبحت العادة ان يتبادل الناس الزيارات والهدايا في رأس السنة الجديدة اي الاول من كانون الثاني (يناير). لكن البعض رأى أن يخدع أولئك الناس الذين كانوا ينسون تغيير الروزنامة. فجعل يهديهم الهدايا الزائفة.

واذا كان المؤرخون يختلفون في أيها أصل التقليد، فانهم لا يختلفون في حصر أكثر الاصول جدية بين الهند وفرنسا، واستبعاد الاصول الممكنة الأخرى. فتشامبرز يقول<sup>(٣)</sup> ان كتابات القرن الماضي في إنجلترا تتضمن اشارات عديدة الى هذا التقليد، في حين ان مثل هذه الاشارات لا وجود لها قبل ذلك، وقد بدا قدامى المؤرخين الانجليز عاجزين عن تحديد أصل العادة وتاريخ بدء اعتمادها في بلادهم.

أما الكنيسة الكاثوليكية فكانت تحتفل في الثاني عشر من نيسان بيوم الحمار، كما كانت العادة تقضي بالقيام بمداعبات مازحة عديدة في فترة الميلاد. لكن كذبة نيسان لا تنطبق على هذين التاريخين. وثمة من يعتقد أن بدء السنة كان يجري الاحتفال به طوال اسبوع يختتم في أول نيسان ومن هنا أصل التقليد. وفي هذا التقاء مع انصار «النظرية الفرنسية».

ويصل بعض المصادر الى رد هذا التقليد الى التوراة. ففي قاموس الفولكلور والميثولوجيا والخرافات<sup>(٤)</sup> ان منهم من يعتبر

المهمة الفاشلة التي قامت بها الحمامة التي أرسلها نوح من فلكه لاستكشاف اليابسة، هي أصل التقليد، ومنهم من يرده الى عيد روماني، او الى اضطراب الطقس في هذه الحقبة من السنة واحتمال المفاجآت في هذا الشأن، لكن هذه جميعها نظريات لا تحظى بتأييد واسع. في حين ان ستيفنسون يرجح<sup>(٥)</sup> ان تكون «النظرية الفرنسية» هي الصحيحة.

### ليست كذبة وحسب

ما الذي يحدث بالضبط في هذا اليوم؟ الواقع ان الكذبات المقبولة يجب ان تتخذ طابعاً معيناً. وثمة من يضع تحديداً للعبة. فتشامبرز<sup>(٦)</sup> مثلاً يقول: في هذا اليوم يصبح شاغل عدد كبير من الناس، بخاصة صغار السن، ممارسة عمليات خداع بريئة في حق جيرانهم غير المرتابين، فتسمى الضحية في فرنسا سمكة نيسان أو تسمى في إنجلترا أبله نيسان ويحدد تشامبرز ملامح اللعبة أكثر في مكان آخر<sup>(٧)</sup> إذ يقول ان الهدف الأهم هو مغافلة شخص أو إيهامه بشيء بسيط قابل للحصول لكنه غير صحيح، بحيث يفرض عليه ان يقف مواقف لا معقولة وسط جمع ضاحك من الناس. ويضيف قوله إنه حتى تنجح اللعبة، يجب التحلي بدرجة عالية من برودة الاعصاب والتظاهر بالجدية، كما لا بد من بعض البراعة في معرفة الوجهة التي يكون الضحية ميالاً الى التحرك فيها أكثر من غيرها، وفقاً لميوله ومعتقداته. ويلاحظ ان معظم هذه الالعب يجري في الصباح. اذ يكون عدد كبير من الناس لم يتنبه الى اليوم بعد، أو لم تنبههم اليه كذبة ما.

ويحذر تشامبرز من ان اختيار هذا اليوم

المطاط في ثياب الضحية. ومنهم من يلجأ الى عملية استغلال حقيقية، كذلك الأخ الذي يرسل أخاه الأصغر الى ساحة المدينة لي شاهد التمثال الذي سينزل عن قاعدته في ساعة معينة، أو أولئك الفتيات اللواتي يكلفن شاباً بالذهاب الى مكتبة بعيدة لشراء كتاب يروي «قصة حياة جدة سيدتنا حواء»، أو الى صيدلية القرية المجاورة ليشتري درهماً من «حليب البمام» أو «طوقاً من الزيت». ومنهم من ينه المارة الى ما هو معلق على ظهر سترتهم، فيستدير الضحية وقد يخلع السترة، وسط الضحكات. أو قد يتلقى شاب ما وريقة من الفتاة التي يحبها (من جانب واحد) تدعوه الى موافاتها في بيتها في وقت معين، فيكتشف أن الوريقة مزورة، ويكون نصيبه تأنيباً وتعنيفاً، في الوقت الذي كان يمني النفس فيه بلقاء طال انتظاره.

كذبات دخلت التاريخ

الا ان كذبات أول نيسان ليست كلها من هذا المعيار. فبعضها دخل التاريخ، ففي فرنسا، البلد الذي قد يكون نشأ فيه هذا التقليد يروى ان فرانسوا دوق لورين وزوجته استطاعا الفرار من السجن في نانت بفضل هذا التقليد. ففي يوم أول نيسان، تنكرا بثوب فلاحين وحمل هو حوضاً على كتفه، فيما حملت هي سلة نقايات. وخرجا تسلاً في الصباح، عبر بوابات المدينة. وصادف ان امرأة تعرفت عليهما، فركضت الى الحرس لاخطارهم. غير ان هؤلاء استقبلوها بالضحك، وأكدوا لها ان تلك ليست سوى كذبة نيسان. فلما وصلت القصة الى حاكم المدينة، تحقق من الأمر، لكنه أيقن أخيراً ان الاوان قد فات وان كذبة نيسان انقذت الدوق وزوجته.

وفي فرنسا ايضاً دخلت كذبة أول نيسان



— «أنظر ما علق بسترتك»... ويلتفت الرجل  
فيضحك الأولاد

لعقد زواج أو اطلاق مشروع ما، انما يدفع الناس الى عدم التصديق. وقد لا يحضر من يفترض حضوره في مثل هذه المناسبات.

لكن الزواج او المشاريع التجارية او غيرها، هي من جوانب الحياة التي قد يمكن التحكم بتاريخ حدوثها فتؤجل، أما الوضع فليس في الامكان تغيير تاريخه، وليس لتحذير تشامبرز فيه أثر. أنا أعرف مثلاً رجلاً من أقاربي، رزق ثلاث بنات في السنوات الاولى من زواجه. وحملت زوجته للمرة الرابعة، ووضعت في أول نيسان صبياً. غير ان أحداً لم يصدقه حين بشرنا بالخبر، بخاصة لاشتهاره بالمزاح، أكان ذلك في أول نيسان أم في الأيام الثلاثمائة والاربعة والستين الباقية من السنة. وقد احتاج الى كفاءة عالية في الاقناع ومجهود كبير قبل ان ينتهي الجمع الى تصديقه.

وتتراوح كذبات أول نيسان المعهودة في قرى العالم، بين وضع الملح في وعاء السكر والتفرج على النتيجة، وبين دس فئران من

## السمة والأبله

وانجلترا على ما يقول المؤرخون لم تتعرف على هذا التقليد الا في القرن الثامن عشر. واذا كانوا هناك يطلقون على الضحية اسم «أبله نيسان» فليس من داع لشرح هذه التسمية. وهي على كل حال مماثلة للتسمية المعتمدة في اسكتلندا. أما في فرنسا فيقال للضحية انه «سمة نيسان» بالنظر الى كونه مثل السمة، سمح للآخرين بأن يصطادوه. واسبانيا تحتفل أيضاً ببلهاء نيسان. وهذا اليوم يتمتع بشعبية واسعة ايضاً في ايطاليا والبرتغال والسويد. ولا تكتفي المانيا والنرويج بيوم اول نيسان، بل تمارس عادات مماثلة في آخر نيسان أيضاً.

أما في المكسيك فان الكذب الابيض مباح في يوم ٢٨ كانون الأول (ديسمبر). لكن الكذب فيه يتركز على استعادة اشياء. والعادة تقضي بأن يفقد صاحب الشيء حقه في استعادته إذا ما غفل عن اليوم، وأعار شيئاً لطالبه. وبدلاً من إعادة المعار، يتلقى صاحبه علبة حلوى وقصيدة تذكره بأنه استغفل في ذلك اليوم.

المحاكم. فقد روي ان امرأة سرقت ساعة ثمينة من بيت صديق في أول نيسان. ولما سبقت الى المحكمة انكرت فعلتها. وأمر القاضي بارسال مجموعة من الجنود لتفتيش منزلها: ثلثا احضروا الساعة معهم، ضحكت المرأة وابلغت القاضي أنها كذبة نيسان، وانها نجحت في استغلال الجنود ليذهبوا الى بيتها. ومن أشهر كذبات أول نيسان، انه في آذار (مارس) ١٨٦٠، تلقى عدد كبير من الناس في لندن بطاقة بريدية على أعلاها خاتم هو عبارة عن رسم مقلوب لقطعة الستة بنسات، مما يضيف طابعاً يبدو رسمياً، على البطاقة، وتحت الخاتم الكتابة التالية: «برج لندن-الرجاء قبول حامل هذه البطاقة مع صديقه في الاحتفال السنوي لمناسبة غسل الأسود البيض، يوم الأحد، اول نيسان، ١٩٦٠. الدخول فقط من البوابة البيضاء. يرجى من المدعوين بالحاح عدم توزيع البقشيش على النظار او مساعدتهم»، ويقال ان اللعبة نجحت نجاحاً كبيراً. فقد شوهه في ذلك اليوم عدد كبير من العربات تدور حول برج لندن للعثور على البوابة البيضاء، التي لا وجود لها.

## الهوامش

- (1) R. Chambers: "the book of days", p.462.
- (2) Leopold Wagner: "Manners, customs and observances", p.255.
- (٣) راجع الحاشية الأولى.
- (4) Funk and Wagnalls company. Newyork,: "The Standard Dictionary of Folklore, Mythology and Legend, Vol.1, p.36-37.
- (5) Mary E Hazeltine,: "Anniversaries and Holidays", p.59.
- (٦) حاشية رقم واحد، المصدر نفسه ص ٤٦٠.
- (٧) حاشية رقم واحد، المصدر نفسه ص ٤٦١.





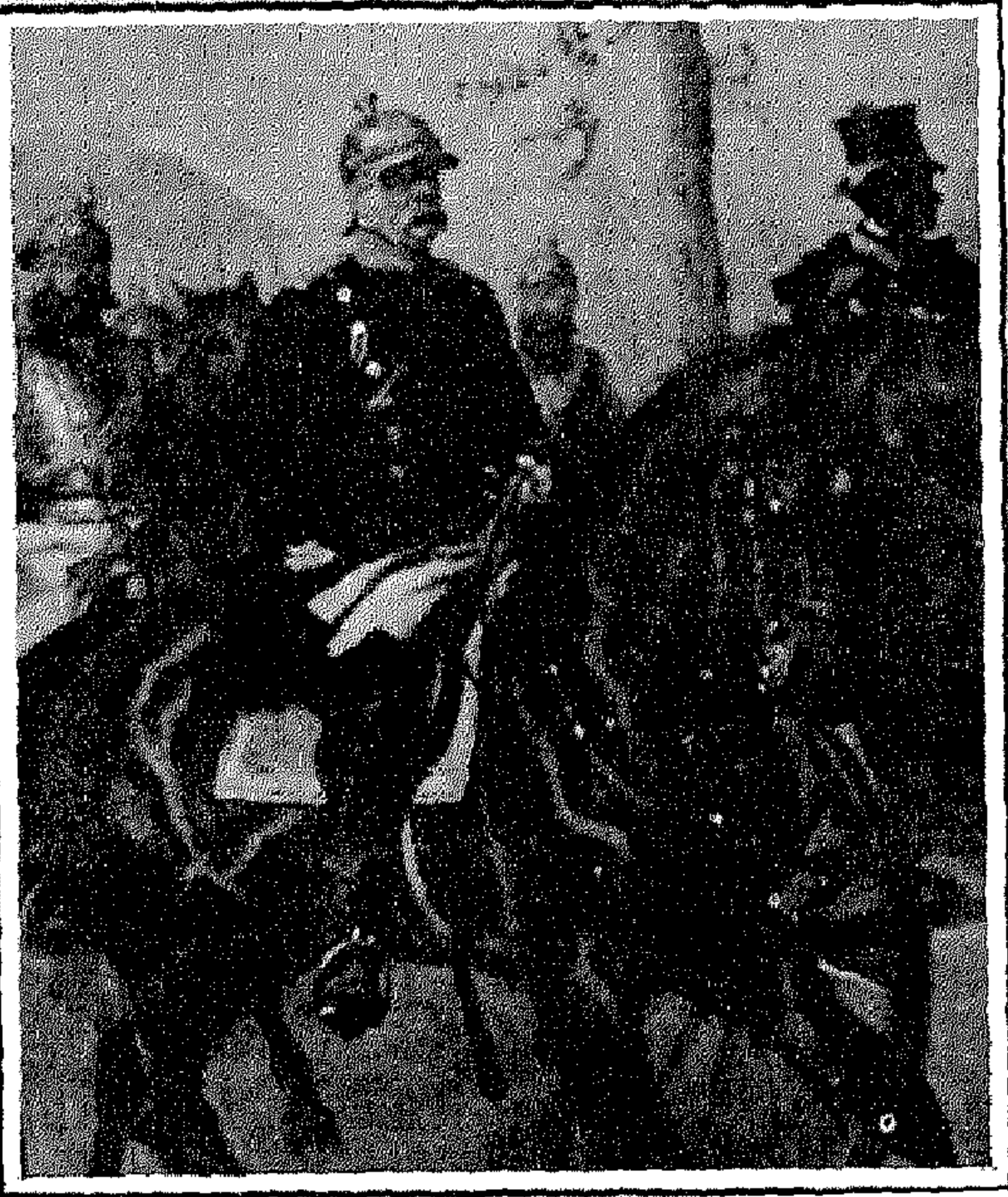
# بسمارك رأس الوحدة الألمانية

عائدة سليمان نعمان

في الثاني من نيسان ابريل ١٨١٥ ظهر في احدى صحف برلين الاعلان التالي: «تشرف بأن اعلم الاصدقاء ان زوجتي قد وضعت ابنا نهار الامس وانني اعذرهم من مشقة تقديم التهاني لنا» غير ان الاعلان لم يذكر ان اسم الصبي هو «اوتو فون بسمارك».

كتاب الان بالر عن بسمارك يقول عنه كاتبه في المقدمة انه ليس دراسة فقط عن الرجل الذي صنع الوحدة الألمانية ووجه السياسة العالمية بشكل او آخر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولكن هو ايضاً دراسة تفصيلية تعنى بأبراز وجه الانسان المظلل بوجه السياسي البارز. ليس هذا بالعمل السهل اذ ان افراداً كبسمارك، ودون إرادة منهم يتحولون الى مؤسسة قائمة بذاتها فتصبح مميزات الإنسانية باهتة الملامح. ولكن المؤلف يستعين بالكثير من التفاصيل وخاصة بالكثير من الوسائل والاحاديث الخاصة التي نقلت عن بسمارك.

لم يكن في طفولة بسمارك ولا في شبابه المستهتر ما يستشف منه عن مستقبل سياسي وعسكري تاريخي: ميل واضح للاسراف، كبرياء متعجرفة وشديدة الالتصاق والمباهاة بالانتماء الى طبقة الملاكين الكبار. وحتى في بداية دوره السياسي يبدو بوضوح انتماء بسمارك الى اليمين المحافظ وتخوفه الدائم من طغيان الافكار الليبرالية فيبرز هذا الميل المتحفظ والمحافظ في خطبته الاولى في مجلس الولايات في ٦ حزيران (يونيو) ١٨٤٧ اذ وصف فيها بأنه «من



الخطباء القلائل الذين قتلوا وجهة نظر الحكومة والملك بشكل خاص» ولكن الملك لم يكن ليعترف ببسمارك وليقر به اليه قبل وقت طويل من هذا التاريخ. حين كلف الملك فريدريك وليم الكونت براندنبورغ بتشكيل حكومة جديدة ساد الشعور بأن بسمارك سيكون عضواً فيها. غير ان الملك بالذات استبعد الامر واصفاً بسمارك بأنه: «رجعي أحمر.. تفوح منه رائحة الدم.. سنحتاج اليه في المستقبل». لم تكن الوحدة الألمانية مثار جدل بالنسبة لبسمارك: «وحدة المانيا هي مطلب كل من يتكلم بالامانية. غير اننا جميعاً نسعى لنمكن النسر البروسي من أن يمد جناحيه على كل المانيا» لذا قيل ان توحيد المانيا ليس سوى خدعة استعملها لتتحكم بروسيا بباقي الولايات الألمانية. وهاجمه الليبراليون سنة ١٨٤٨ واصفين خطبه وأفكاره «بوضوح المشاعر الرجعية فيها» حتى انه خشي ان يفقد مقعده في اللندتاغ لشدة الحملة المعادية له.

لم يساور البروسيين ادنى شك في ان مجيء بسمارك كرئيس للحكومة في ايلول (سبتمبر) ١٨٦٢ هو اقتراب من الحلول العسكرية لمشاكل المانيا. هو نفسه لم يترك للشك مكاناً. ففي خطبته المشهورة في البرلمان والتي طبعت سنوات حكمه. قال «ان بروسيا يجب ان تجمع قواها وتحفظ بها لليوم المناسب الذي طالما تأجل هباء. ان الاسئلة الكبرى لا اجوبة لها في الخطب الرنانة ولا في صناديق الاقتراع... وانما

بالحديد والدم» وما إن ذاعت خطبته تلك حتى تساءل الملك إذا ما كان اخطأ في تعيينه وإذا ما اخطأ في عدم الاصغاء ولو مرةً لزوجته وابنه اللذين لم يخفيا معارضتهما الشديدة وعداءهما لبسمارك. تسلم بسمارك للحكم ولد العديد من المواقف والمشاعر المتضاربة. الليبراليون البروسيون قابلوا تعيينه بالكثير من البرود ولا شيء من الحماسة بسبب تقييمهم السابق له :

«محافظ واقطاعي» المحافظون بدورهم كانوا شديدَي الحذر لأنه «كثير الدهاء». المتدينون علقوا بقولهم : «ليته يدرك ان وصايا الرب تطبق ايضاً في الحياة السياسية والدبلوماسية». هذا في الداخل ، أما في الخارج فقد كان الروس في غبطة ، والفرنسيون ساوورهم الشك في المستقبل ، والانكليز في موقف عدائي واضح.

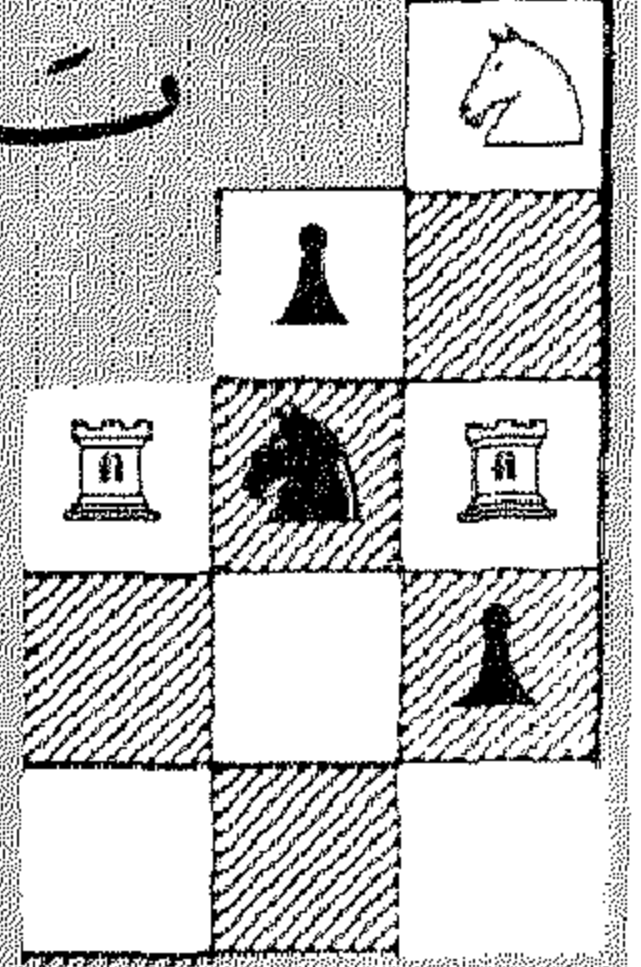
في قراءة تفصيلية لاحقة للدور التاريخي لبسمارك يبدو واضحاً ان الفرقاء المذكورين آنفاً لم يكونوا على خطأ في مشاعرهم. فلتوحيد المانيا - هدفه الاول والاخير - إقتضى بسمارك الكثير من فرص التفكك والضعف لدى جيرانه فاقضم المقاطعات الالمانية واحدة تلو اخرى. حتى ان الدول الأوروبية باتت تتساءل إذا ما كانت شهية هذا البروسي ستوقف عند حدٍ.

لنعد الى شخصية بسمارك الذي يصر الكاتب على لقاء الاضواء المتلاحقة عليها. شخصية شديدة التناقض : كثير العجرفة والقسوة ، لا يرحم أعداءه ، وفي احيان اخرى يتساءل بحزن امام زائريه : «لا شك انني سببت الكثير من الاحزان لعدد وافر من الناس. لولاي لما وقعت حروب ثلاث ولما قتل ثمانون ألفاً من الشبان ولما رأيت كل هذا العدد من الشكالي والارامل» صحته كثيرة التقلب ، وكذلك نفسيته ، تبرحه آلام رجله ومعدته فيقعد أياماً عن الحركة. وأمام اول تحدٍ يهب للعمل كذئب شرس يزهد في السلطة احياناً ويواوغ بدهاء للإحتفاظ بها. يمنح القضايا القومية كل صحته وجهده وأعصابه وبكل انانية يحاول جهده ترتيب وضع سياسي يمكن ابنه المدمن من تولي الحكم أو أية

سلطة بعده.

في حياته الخاصة يستدعي الانتباه علاقته بزوجته جوهاننا. لم يكن زوجاً عطوفاً ومحباً بالمعنى التقليدي ولكن خيطاً صلباً من المودة والصرامة كان يربطهما. ما يثير العجب انه كان يصلها على كل اسرار حياته السياسية وبكل تفاصيلها. كتب لها يوماً : «ان الاكاذيب التي يختلقها الديمقراطيون عني لا تصدق... أمس التقيت فلاحاً من شونهارزن اخبرني ان مجرد ذكر اسمي يبعث الخوف والقشعريرة لدى الفلاحين. وانت تعلمين مدى طيبة قلبي» وحين زار «فرنبرخ» في النمسا كتب الى جوهاننا ايضاً : «أمضيت الاربعة والخميس بصحبة العجوز «فرنبرخ» لقد كان بالغ اللطف معي واحاديثه لا تنتهي عن السياسة والكروم والأدب والغابات. أصغيت اليها جميعاً. وكنت استحبه للمزيد... كما ترين لقد كان حديثاً من طرف واحد». وحتى في سنوات زواجه الاولى حين وقع في حب الحسناء كاترين اورلوف الروسية وحين كان يمضي اجازته بقربها في منتجع اسباني كان يكتب الى زوجته مخبراً اياها بتفاصيل سعادته ومرح الايام التي يمضيها. وهناك امرأة اخرى كان لها التأثير الاكبر عليه وهي شقيقته ميلواني. ولكن يبقى لجوهاننا الدالة الكبرى اذ كتب احد التقارير للملكة فكتوريا عنها يقول : «ان السيدة جوهاننا فون بسمارك ليست ذات جمال... ولكن تأثيرها في أفراد عائلتها لا يقاوم».

تاريخ بسمارك تاريخ دولة بل تاريخ قارة. ولكن الرجل بالذات بدأ أفوله بموت فريدريك الاكبر وحين تبوأ حفيده فيلهلم الثاني العرش قال لاختصاصائه «سوف امنح هذا العجوز ستة اشهر ليلتقط انفاسه... بعدها سوف أحكم بنفسي». وبالفعل أمضى بسمارك السنوات الأخيرة في مزرعته بعد ان اضطر للاستقالة. وحين مات بسمارك عام ١٨٩٠ لم تمت معه البسماركية ، اذ ان الان بالمر وغيره ممن سبقوه في الكتابة عن بسمارك رأوا في طموحات المانيا العسكرية في النصف الاول من القرن العشرين مجرد تطور طبيعي لطموح ذلك السياسي الداهية وتكلمة لها.



# شارلمان

دهم زوجته مع المستشار  
فحكم عليه بالانتصار أو... الموت

محمد مراد بكر

فرنسا:

■ أقدم إشارة الى الشطرنج في تاريخ فرنسا ترجع الى عهد بيبان PÉPIN والد شارلمان Charlemagne ويعود ذلك الى سنة ٧٦٤م أي السنة الثانية عشرة من عهده، اثناء احتفال قدم فيه هدية الى الابرشية وكانت تحوى كمية من الاحجار الثمينة، ومن الذهب ولعبة شطرنج، ولم يكن الشطرنج معروفا وقتذاك في اوفيرني Auvergne

ويقول الدكتور دونكان فوربس ان الفنون لم تكن متقدمة، لذا لم يكن الصناعيون من المهرة بحيث يستطيعون صنع شطرنج من الكريستال وبهذه الدقة، لذلك يضيف الدكتور دونكان ان الشطرنج هذا لا بد وان يكون هدية آتية من الشرق الى الملك بيبان سنة ٧٥٧م، ويظن أنها هدية كونستانتين كوبرونيم Constantin-Copronyme حاكم القسطنطينية (استمبول حاليا) وكانت ضمن الهدايا الثمينة التي ارسلها ومن ضمنها الأرغن وهو الاول الذي عرفته فرنسا.

ويقول مؤرخو الشطرنج، انه تم في عهد

شارلمان (شارل الاول ملك فرنسا ولد سنة ٧٤٢م، امبراطور الغرب سنة ٨٠٠م، توفي سنة ٨١٤م) إدخال الشطرنج الى فرنسا. وقد أولع به الجميع، وكان على كل نبيل ان يعرف الشطرنج ليدخل البلاط. وكان الامبراطور، كما يقول مؤرخو عهده، مولعا به جداً (راجع قصص الطاولة المستديرة).

وجاء في قصص الراهب دي سان دنيس التي كتبها J. Doublet ص ٣٤٢ و ١٢١٣ ان ابرشية سان دنيس تحتفظ في ابرشيتها بعدد من قطع الشطرنج أهداها لها شارلمان. القطع والرقع من العاج عليها بعض الكتابات العربية وهي هدية من الشرق (من هرون الرشيد) ومن المؤسف ان هذه القطع قد ضاع معظمها ولم يبق إلا قطعة واحدة محفوظة في احد المتاحف في بريطانيا. وتذكر هذه الهدية مخطوطة قديمة محفوظة في المكتبة الملكية، وانها اصلا كانت مؤلفة من ١٦ قطعة متنوعة من العاج دعيت قديما شطرنج شارلمان، وهي هدية من الخليفة هرون الرشيد الى هذا الامبراطور، كتب على قطعة منها بالعربية،



صنع يوسف النقالي من قبيلة البهايلي ، وقد ضاعت كل القطع وبقيت هذه القطعة التي وضعت مع خمس عشرة أخرى صنعت فيما بعد وهي حتما ليست لنفس الشطرنج ، ويظهر انها بيزنطية تعود الى القرن الحادي عشر بينا القطعة الاولى صنعت في آسيا في القرن الثاني للهجرة الموافق القرن التاسع الميلادي ، وهي تمثل فيلا يحمل على ظهره قلعة وعلى سطح القلعة ملك هندي جالس على الطريقة العربية (متربعا) يحمل على رأسه تاجا محلى بالجواهر وعقدا واسورة. وعلى جوانب سطح القلعة يقف ثمانية محاربين (حراس الملك) السيف بيدهم والترس في ذراعهم ، وعلى رأس الفيل فارس يقوده ، وفي الهواء رجل قذفه الفيل بينا يحمل خرطوم الفيل حصانا مع فارسه. وعلى القاعدة التي تحمل الفيل أربعة فرسان محاربين يحملون السيوف والبلطات وكلهم متوجون. وعلى القاعدة كتابة عربية بالخط الكوفي أكلها الزمن فصعبت قراءتها.

ويروى عن شارل الثالث ملك فرنسا ، انه منع في سنة ١٤٨٥ المساجين عن لعب الزهر ، وسمح فقط للمساجين من طبقة معينة الموقوفين لأسباب بسيطة مدنية بلعب طاولة الزهر والشطرنج.

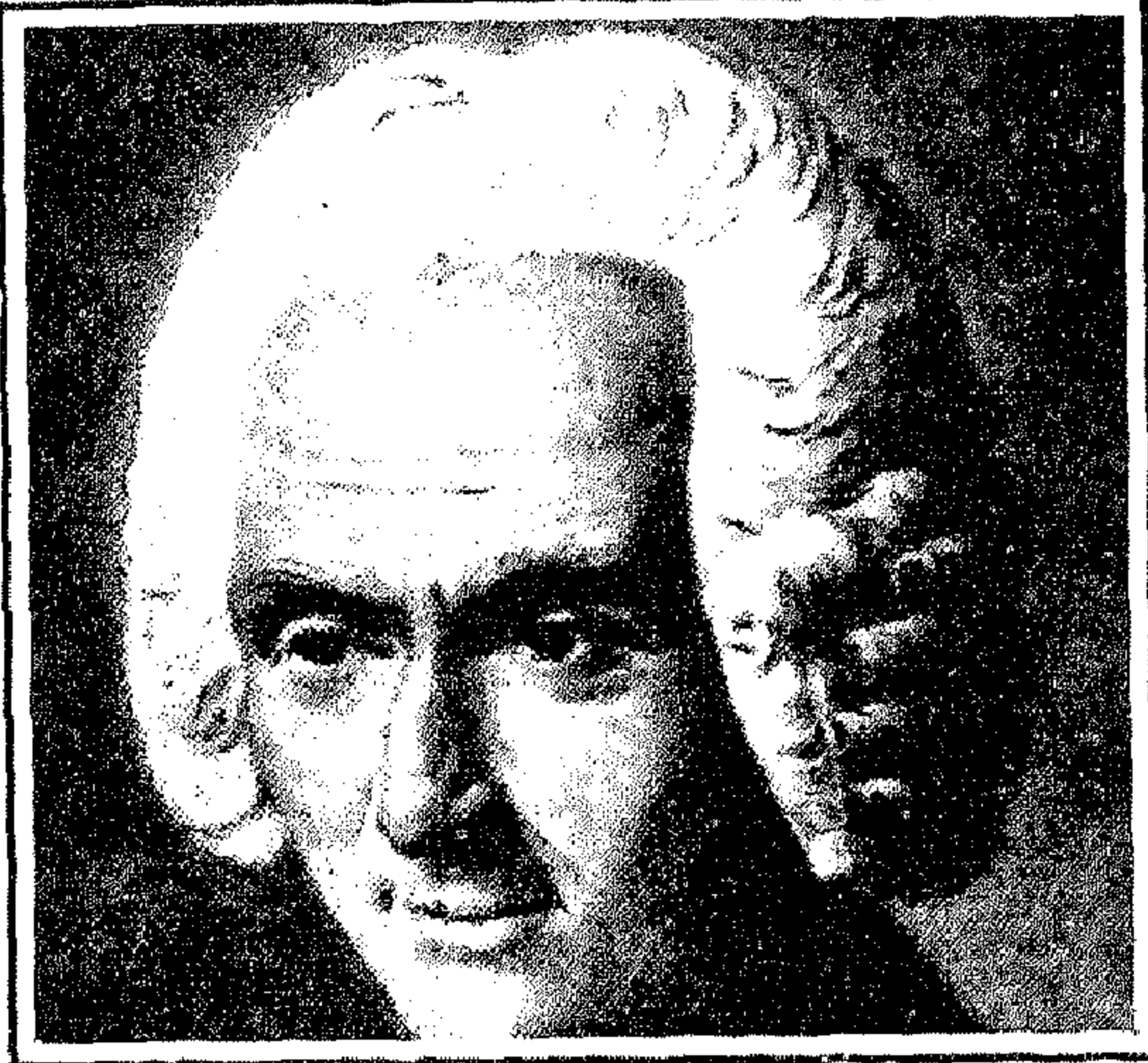
كما يروى فيرار سنة ١٥٠٠ ، ان الامير شارلو ابن شارلمان كسر رأس بودوان Baudoin ابن اوجيه Ogier بقطعة من الشطرنج ، فسبب حربا بين الطرفين دامت سبع سنين. وتفصيل القصة ، أن بودوان كان يبذل جهده لارضاء شارلو ، وكان الامير الصغير يحب الشطرنج ولا يحسنه وكان بودوان الشاب يربح الجولات باستمرار ، وفي أحد الأيام خسر شارلو جولتين متتابتين وظن في الجولة الثالثة أنه بعد أسر قطعة يستطيع أن يميت شاه خصمه ، ولكن القطعة التي أعطاها

بودوان لم تكن الا فخا نصبه للأمير فخسر الجولة ويظهر أنه ظهرت دون انتباه على وجه بودوان ضحكة مسترة أغضبت الأمير ، فاستشاط غيظا وقام الى الرقعة الثقيلة يحملها (وكانت مصنوعة من الذهب) ، وضرب بها على رأس بودوان الذي وقع قتيلاً لتوه في الغرفة بعد أن شج رأسه ، وجزع شارلو أمام جريمته. وخوفا من غضب اوجيه والد بودوان ، ذهب يحمي بقصر أبيه شارلمان. وتتطور الأمور ، وتبدأ حرب بين الطرفين دامت سبع سنين.

### القصائد

الشعر الفرنسي القديم مليء بالقصائد التي تذكر الشطرنج اما مباشرة واما ضمن قصص قديمة ، ولعل أجملها قصة فلور وبلانش فلور وهي قصيدة شهيرة تعود الى القرن الثاني عشر مستوحاة من القصص اليونانية والشرقية ، فيها الكثير من الفروسية والعادات الشرقية ، ويصعب تحديد وقائع هذه القصة التي يرويها الشاعر ، ولكنها على ما يظهر ترجع الى زمن البابليين مع بعض التغيير وتفصيل القصة ما يلي :

طفلان ولدا في يوم واحد ، احدهما صبي يدعى فلور أو فلوار ، وهو ابن ملك . وطفلة تدعى بلانش فلور وهي ابنة اميرة مسيحية اذها الاسر فاستعبدت . وقع فلور صريع حب بلانش فلور ، فخاف ابوه من عواقب هذا الحب ، فقام بابعاد الصبية وذلك ببيعها الى بعض التجار الغرباء . ولكن الحب كان قد استبد بفلور فلم يعد يطيق فراقا حتى هزل جسمه ، مما دعا الوالد للبحث عن الصبية بلانش فلور . وقاده البحث الى بابل حيث علم الولد أن حبيبته مسجونة في السودان في قلعة لا يستطيع أحد أن يصل اليها دون



جان جاك روسو

ان يهزم الامبراطور الذي لم يغفر له فحسب بل قربه أكثر اليه.

هذه القصيدة وضعت نثراً في القرن الخامس عشر وقامت مجلة البلاميذ (تخصصت بالشطرنج) بتحليلها سنة ١٨٣٦.

أما الكتب التي شرحت عن الشطرنج وتعمقت به في القرن السادس والسابع والثامن عشر فأكثر من ان تحصى ولعل أعمقها ما كتبه فيليدور وفيليب ستاما وغيرهما.

#### النوادي

في نصف القرن الثامن عشر، أسس فرانسوا بروكوب وهو صقلي المولد مقهى أصبح بعد تأسيسه مكان التقاء للاعبين الشطرنج، وفي هذا المقهى بالذات ولد اول ناد للشطرنج في فرنسا وكان مؤسسوه، بيرون، جان جاك روسو، ديدرو وفيليدور، وكان فولتير من رواد هذا النادي. وقد التف حول المؤسسين في هذا النادي أغلب محترفي الأدب، ولما كثر عددهم، تركوا هذا المقهى الى مقهى الريحانيس وهو الأشهر في تاريخ الشطرنج الفرنسي زواره كبار مثل ميرابو، دانتون، روبسبير، بارير وغيرهم ثم تفرق اللاعبون...

الجزء الثاني في العدد المقبل

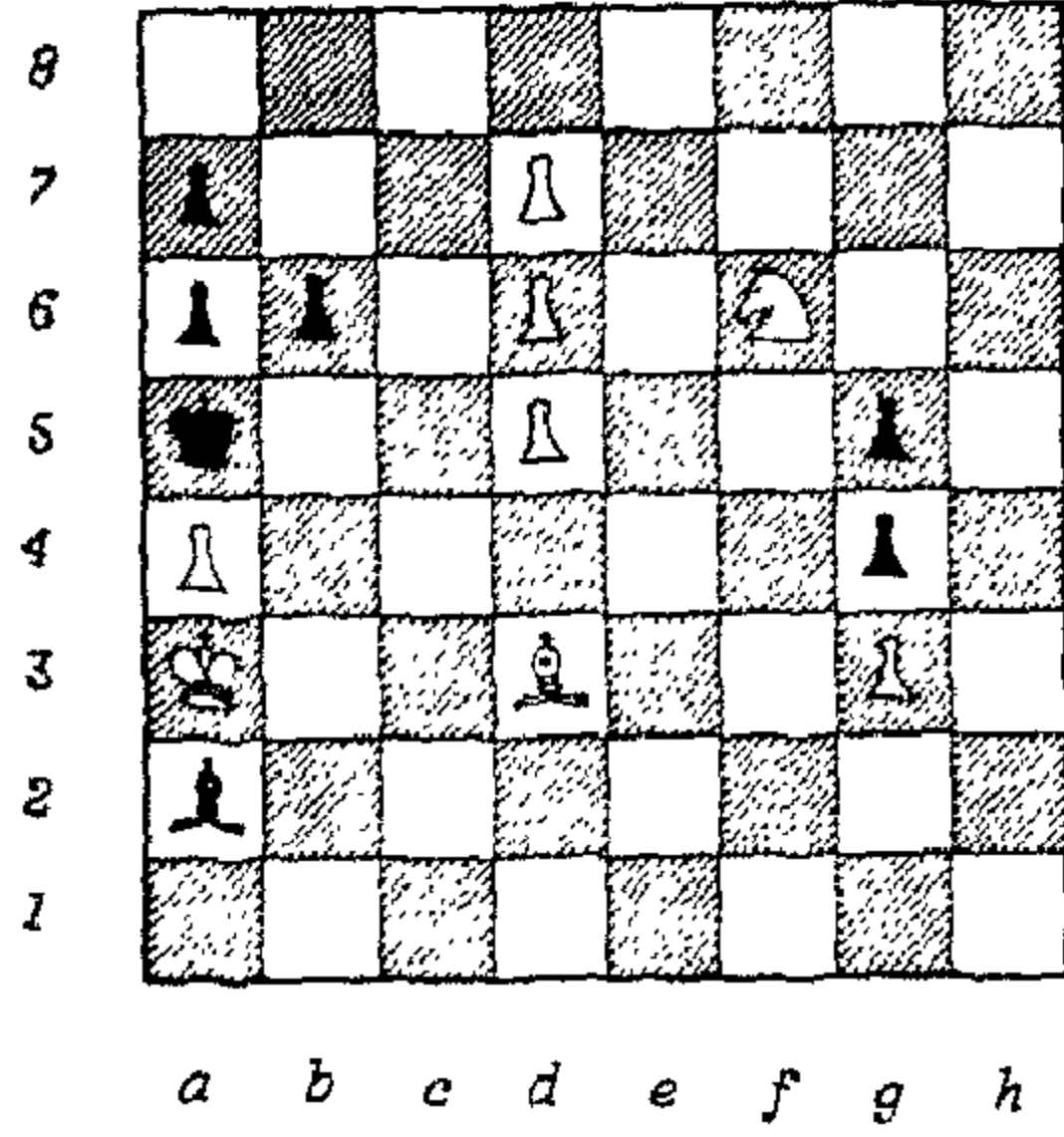
التعرض لخسارة حياته. ولكن فلور استطاع بواسطة الشطرنج ان يصل الى حارس القلعة، وبعد مغامرات متعددة استطاع الحصول على حبيته بلانش فلور.

وهناك رواة كثيرون لهذه القصة، ولكن اقدم هذه النصوص كتب بالفرنسية ويعود الى أوائل القرن الثاني عشر، وقد اعيدت كتابة هذه القصة سنة ١٨٤٤ في برلين. وقد نالت القصة هذه شهرة كبيرة في المانيا واسبانيا في القرنين الثاني والثالث عشر وقد أعاد كتابتها بالفرنسية جاك فانسان سنة ١٥١٢ وظهرت القصيدة مرة اخرى سنة ١٥٥٤ في ليون، ثم سنة ١٥٧٠ و ١٥٧١، ثم في سنة ١٥٩٧ في روان واخيراً سنة ١٨٥٩ في باريس وقد ترجمت الى الايطالية.

قصة اخرى شبيهة بقصة يوسف وامرأة فرعون هي قصة كاران دي مونغلان ابن الدوق ايمري الذي تنازل عن القابه ليلتحق بشارلمان الذي اعجب بلباقته وناقته والحقه بالقصر ثم ما لبث ان اصبح مستشاره وكاتم أسراره. ويظهر أن الامبراطورة هامت به دون علمه، فقد قامت يوماً بدخول منزل كاران لتبته عواطفها، وهنا تتكرر قصة يوسف، فقد دخل في تلك اللحظة شارلمان ليرى امرأته في هذه الحالة التعيسة بأمر عينه، ولم تخف الأمبراطورة حبها للشاب عن الامبراطور بل ركعت على قدميه ليسمح لها بوصاله، وبالطبع لم يستجب الامبراطور لنداء ورجاء زوجته وقرر الانتقام من كاران. وعلم اصدقاء الأخير بما يضمره الامبراطور فحذروه، وهكذا قرر الابتعاد عن القصر، ولكن غيابه لم يطل أكثر من ثلاثة أيام بعد تدخل المصلحين. فالذنب ليس ذنبه وبناء على طلب الامبراطور ذهب للقصر فافهمه الامبراطور أنه لن يصفح عنه الا إذا غلبه بالشطرنج، واستطاع كاران

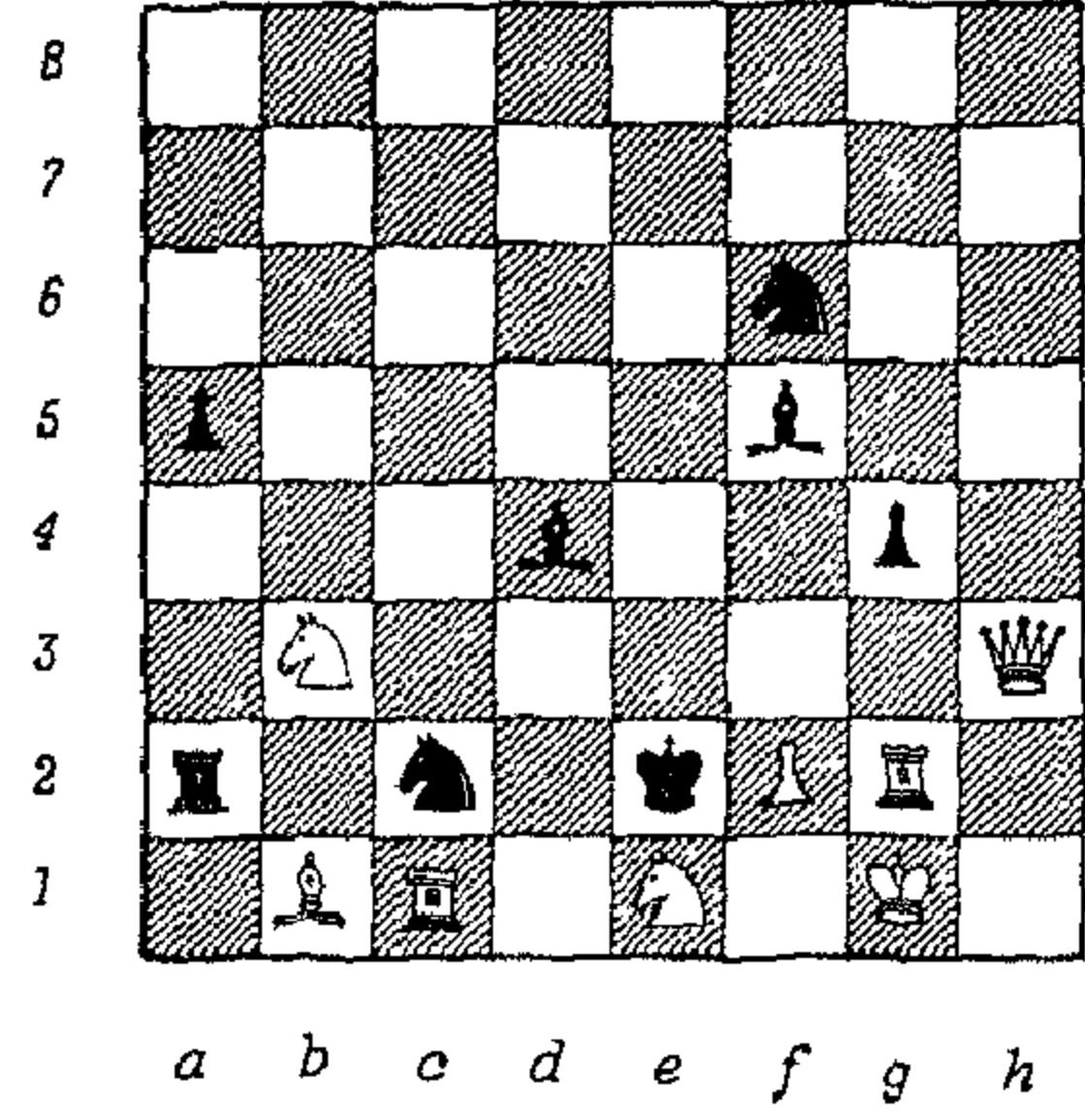
## المسابقة رقم ٦

### المسألة رقم ١٢



مات بثلاث نقلات

### المسألة رقم ١١



مات بنقلتين

## حل المسابقة رقم ٤

المسألة رقم ٧ : المفتاح : 1 — Fx h6

المسألة رقم ٨ : المفتاح : (١) 1 — Th — h6 d6  
2 — Tb4  
xxxxxxx

أو (٢) 1 — .... d5  
2 — Ra2  
xxxxxxx

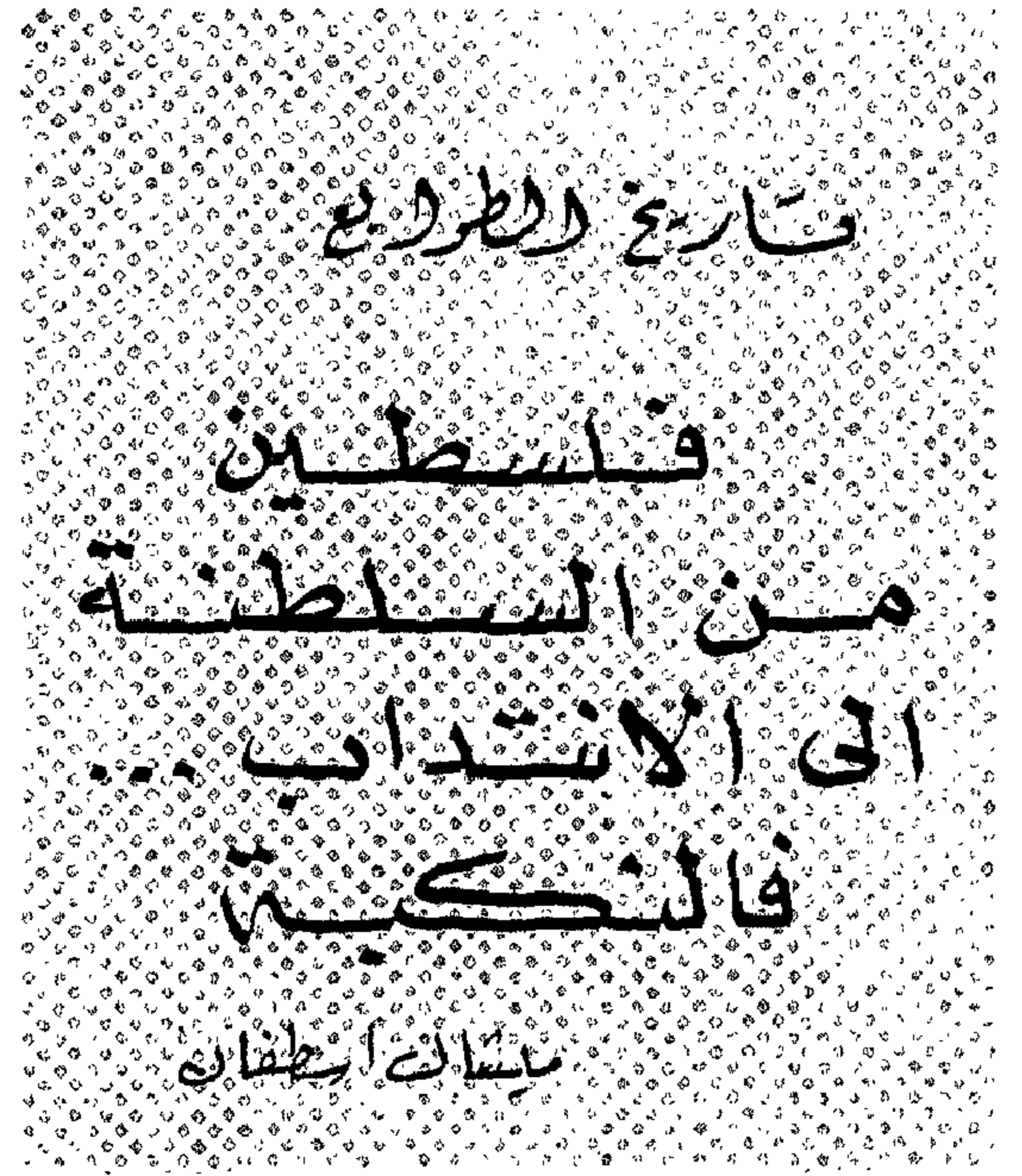
أو (٣) 1 — .... Fg6  
2 — TxF

الحلول التي أتينا عديدة جداً ولكن أغلبها حل للمسألة الثامنة فقط . أما المسألة السابعة فيظهر أنها صعبت على الجميع باستثناء السيد سليم اللادقي - ص ب ٢٥٥١ من بيروت الذي فاز بالجائزة الأولى وحجبت بقية الجوائز لهذا الأسبوع لعدم وصول حل صحيح بأكمله . فتهانينا للسيد سليم اللادقي .

### مسابقة الشطرنج

يرسل الحل الصحيح مع القسيمة إلى إدارة المجلة ص ب (٥٩٠٥) ويكتب على الظرف «مسابقة الشطرنج» . يجب أن يصل الحل قبل نهاية كل شهر وفي حال التأخير يعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للإرسال .





■ قبل أن نذكر تاريخ الطوائف البريدية في فلسطين ، لا بد لنا من أن نذكر ولو باختصار تاريخ هذا البلد العريق بتراته وأمجاده .

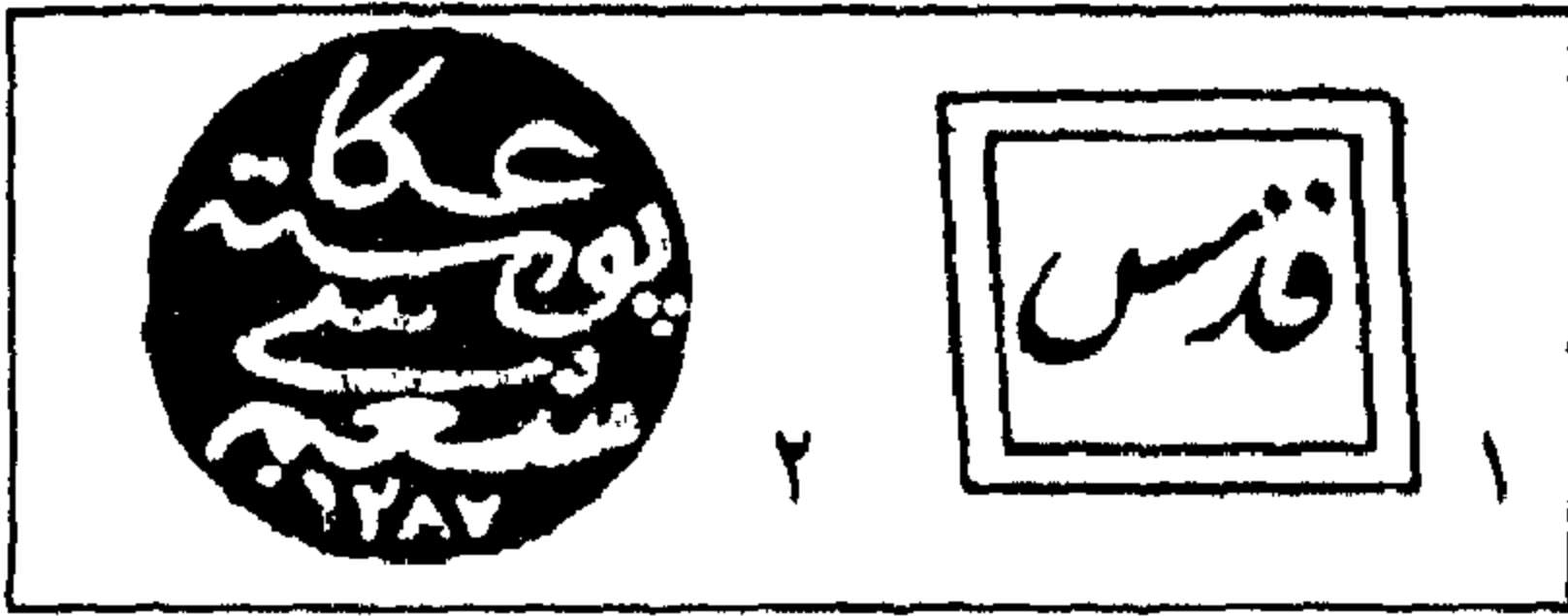
فلسطين على طول ساحلها على شاطئ المتوسط كانت لستة قرون ونيّف ، وحتى سنة ٦٣٤ ميلادية (أو ١٣ هجرية) ، الأراضي المقدسة لليهود والمسيحيين . وكانت مسرحاً لجميع أحداث الكتب المقدسة في العهدين القديم والجديد بدءاً من موسى النبي في القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القديس يوسف في القرن الأول للميلاد . وفي بيت لحم ، أي في فلسطين كان مولد السيد المسيح الحدث الأعظم الذي أصبح منطلقاً للتاريخ تحدّد بالنسبة إليه الأحداث السابقة أو اللاحقة للميلاد .

إحتل الإسكندر الأكبر ملك مقدونيا فلسطين سنة ٣٣٢ قبل الميلاد وبعد وفاته حكم خلفاؤه البلاد وهم بطليموس حاكم مصر وسّلوقس وذلك من سنة ١٦٨ إلى ١٤١ قبل الميلاد يوم ثار اليهود بقيادة يهوذا المكابي وإخوانه ، وحرروا القدس وأعادوا تأسيس

أرض يهوذا ، يرأسها ملوك كهنة .

وسنة ٦٣ قبل الميلاد ألحق الملك بومبايوس فلسطين بروما ، وبنهاية مدة الولاية سنة ٤٠ ق.م. عيّن مجلس النواب الروماني هيرودس ملكاً على يهوذا . وفي سنة ٤٤ م. عادت فلسطين إلى الحكم الروماني المباشر .

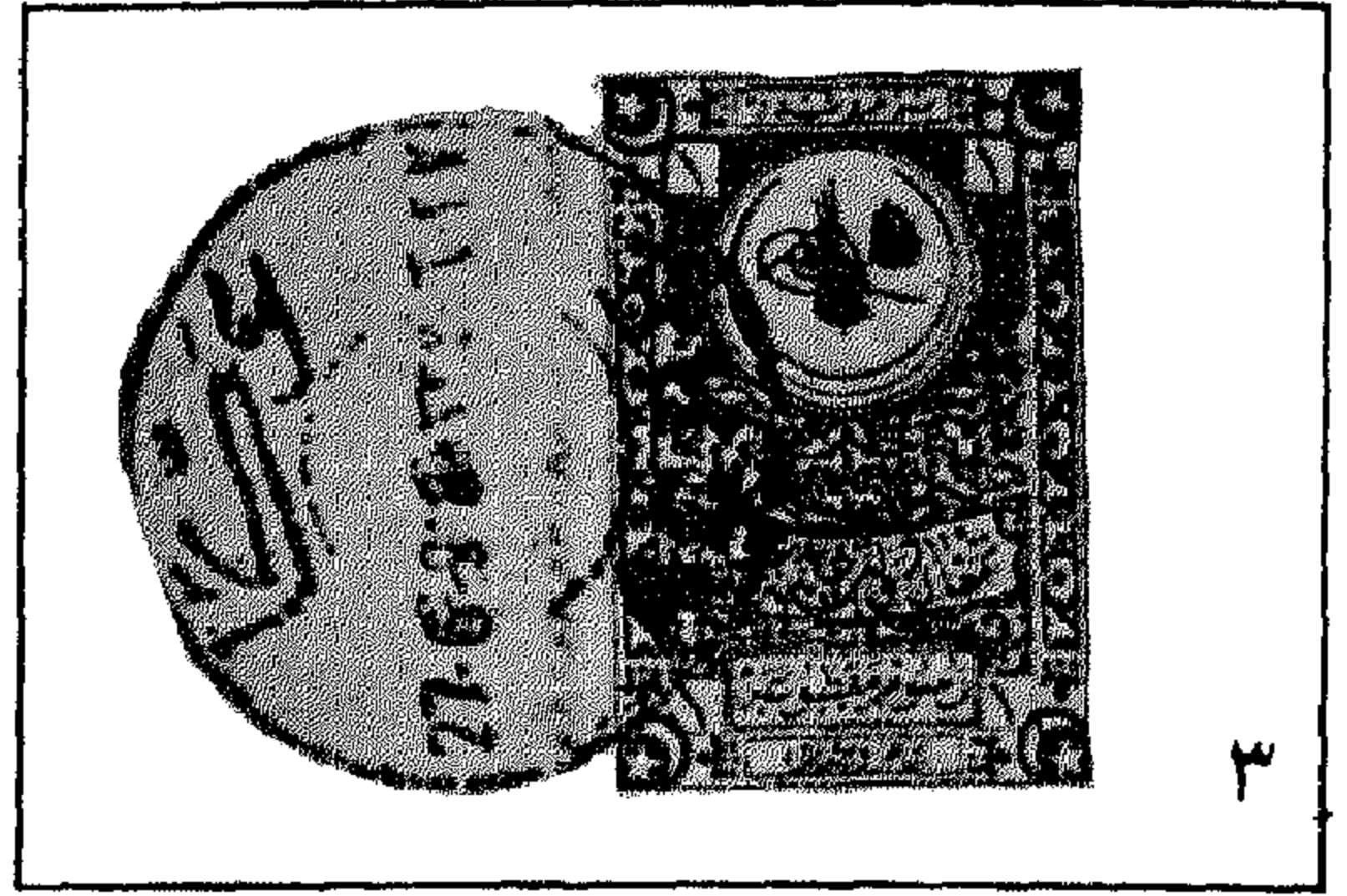
وأثناء ثورة اليهود الكبرى سنة ٦٦ م التي توسعت فانقلبت إلى حرب مريرة إستولى تيطوس على القدس سنة ٧٠ فهدم هيكل سليمان وتشتت اليهود تشتتهم العظيم وانتشروا في أوروبا وشمال أفريقيا والشرق الأدنى ، وسُمي هذا التشتت «دياسبورا» ثم تهادى بعدئذ حيث إنتشر اليهود في جميع أنحاء المعمورة .



عندما انشقت الأمبراطورية الرومانية سنة ٣٩٥ ، أصبحت فلسطين جزءاً من الأمبراطورية الرومانية الشرقية ، أي الأمبراطورية البيزنطية ؛ وفي سنة ٦١١ بعد فترة طويلة من السلام غزا الفرس فلسطين فهدموا كنيسة القيامة في القدس لأول مرة . لكن البيزنطيين ما لبثوا أن إستعادوا فلسطين سنة ٦٢٨ ، فاذا بالجيوش العربية بقيادة عمر ابن الخطاب تخرج فلسطين من سلطة هيراكليوس سنة ٦٣٦ وتمنحها السلام النسبي لفترة من الزمن .

كانت القرون الأربعة التي تلت مشحونة بالخلافات بين زعماء المسلمين وقادة الرأي فيهم ، فضعفت هيبتهم وذهبت ريجهم وطمع فيهم المتريصون للإستيلاء على السلطة ، فغزا السلجوقيون الأتراك البلاد واستولوا على فلسطين .

كما أن الافرنج لم يكونوا أقل طمعاً من غيرهم في الإستيلاء على الشرق وخصوصاً



فلسطين، فنظموا حملاتهم المتكررة التي عرفت بالحروب الصليبية والتي لم يصل منها إلى فلسطين غير الحملتين الأولى والسادسة.

استولى الصليبيون على القدس بقيادة غودفروا دي بِيُون في سنة ١٠٩٩، وأسست مملكة القدس برئاسة ملوك فرنسيين؛ وبعد نحو من قرن على أثر معارك طاحنة مع الصليبيين، حرر صلاح الدين الأيوبي القدس من سنة ١١٨٧ حتى سنة ١٢١٧، إلى أن أبرمت المعاهدة بين الإمبراطور فريدريك الثاني وسليمان مصر، على إقامة دولة القدس المسيحية التي دامت من سنة ١٢٢٩ إلى سنة ١٢٣٩، لكن قتالاً تجدد بعدئذ فكانت سلطة الصليبيين بين مدّ وجزر على طول الساحل الفلسطيني حتى عكا في الشمال، وأخيراً تقلص ظلهم تماماً سنة ١٢٩١.

دخلت فلسطين تحت حكم المماليك سلاطين مصر من سنة ١٢٦٠ إلى ١٥١٦ عندما احتلتها القوات التركية التي بقيت فيها نحواً من ٤٠٠ سنة. ومع أن سليمان القانوني أعاد بناء أسوار القدس سنة ١٥٣٧، فإن فلسطين لم تكن في سعة وازدهار حتى سنة ١٨٤٠، يوم شددت الحكومة العثمانية يدها عليها عقب أزمة اقتصادية مُضنية وحركات تملل ثورية قامت بين أفراد الشعب. عندئذ بدأت أوروبا وأمريكا تظهرون إهتماماً متزايداً بالأراضي المقدسة وقامت هناك مؤسسات دينية كاثوليكية وأرثوذكسية، وتوافر لزيارة القدس وبيت لحم والناصرة وفرة من الزوار والسياح؛

كما أن مستوطنات صهيونية زراعية بدأت تنشأ في بعض المناطق. وفي سنة ١٨٩٦ أصدر تيودور هرتسيل الصحفي النمساوي اليهودي نشرة يقترح فيها تأسيس ولاية يهودية في فلسطين. ثم في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٤ أعلنت تركيا الحرب بتحريض من ألمانيا على بريطانيا التي تمسكت بمصر، ودخلت سيناء متغلبة على الجيش التركي، وفي شهر آذار (مارس) سنة ١٩١٧ أخذت مركزاً لها في غزة، وفي ٣١ تشرين الأول سنة ١٩١٧ إحتدمت المعارك بين الفريقين، وفي ٩ كانون الأول (ديسمبر) استولت بريطانيا على القدس.

وفي ٢ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩١٧ كان السير أ.ج. بلفور البريطاني (أصبح لورداً فيما بعد)، قد صرح بأن الحكومة البريطانية توافق على تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين.

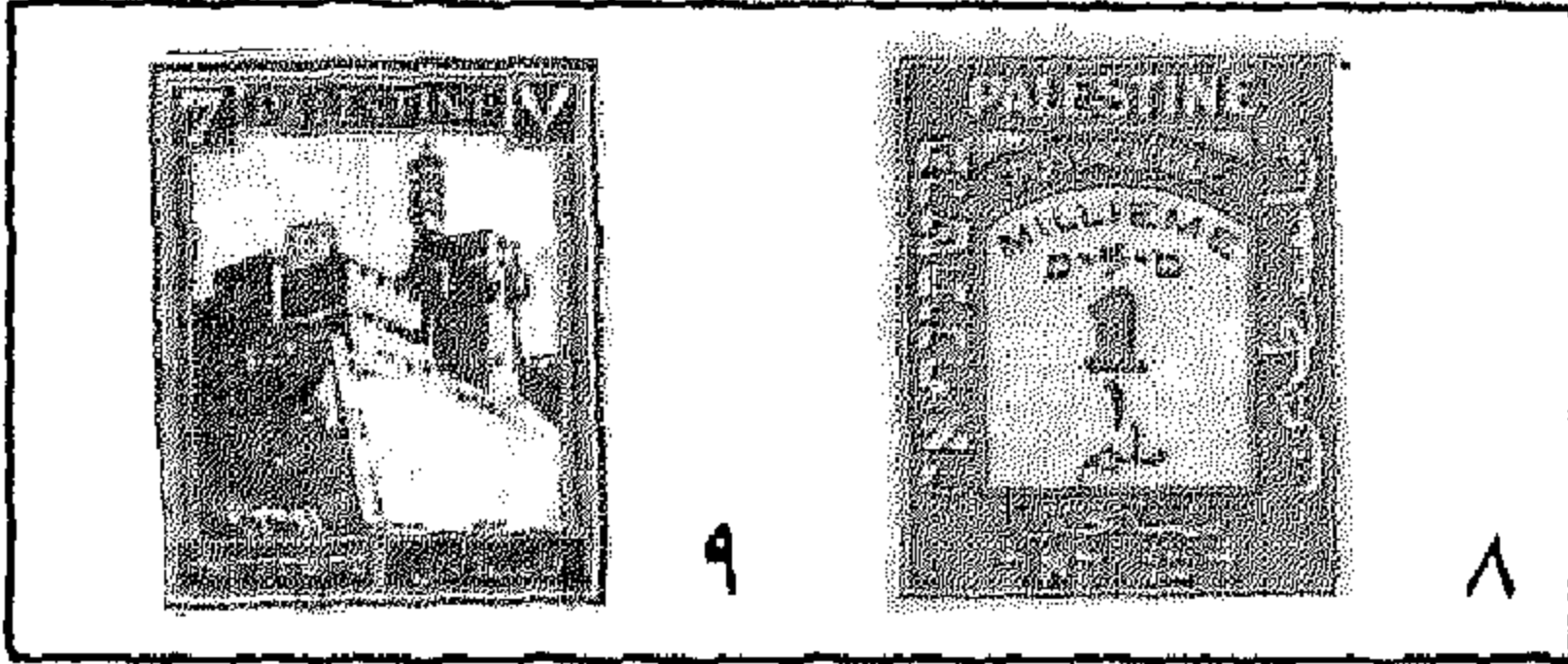
#### تاريخ الطوابع -

حكم العثمانيون فلسطين من سنة ١٥١٦ إلى ١٧٥٠، فظاهر العمر من سنة ١٧٥٠ إلى ١٧٧٥، فالعثمانيون من سنة ١٧٧٥ إلى ١٨٣٢، فمحمد علي الكبير وأسرته من سنة ١٨٣٢ إلى ١٨٤٠، فالعثمانيون من سنة ١٨٤٠ إلى ١٩١٨.

كان البريد في عهد السلطنة العثمانية، وقبل ظهور الطوابع العثمانية سنة ١٨٦٣ يخلص بدون طوابع بل بأختام نحاسية مختلفة تحمل اسم البلد باللغة التركية (صورة رقم ١)؛ ثم بأختام مربعة وبيضاوية (صورة رقم ٢) وبعدها بأختام مستديرة أو مسدسة مختلفة تحمل اسم المصدر والتاريخ (صورة رقم ٣).

انتشرت هذه الطوابع التركية في فلسطين شأنها في جميع الأراضي المشمولة بحماية الدولة العثمانية إلى جانب طوابع المكاتب الأجنبية التي أشرنا إليها في أعداد سابقة من هذه المجلة. وذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة

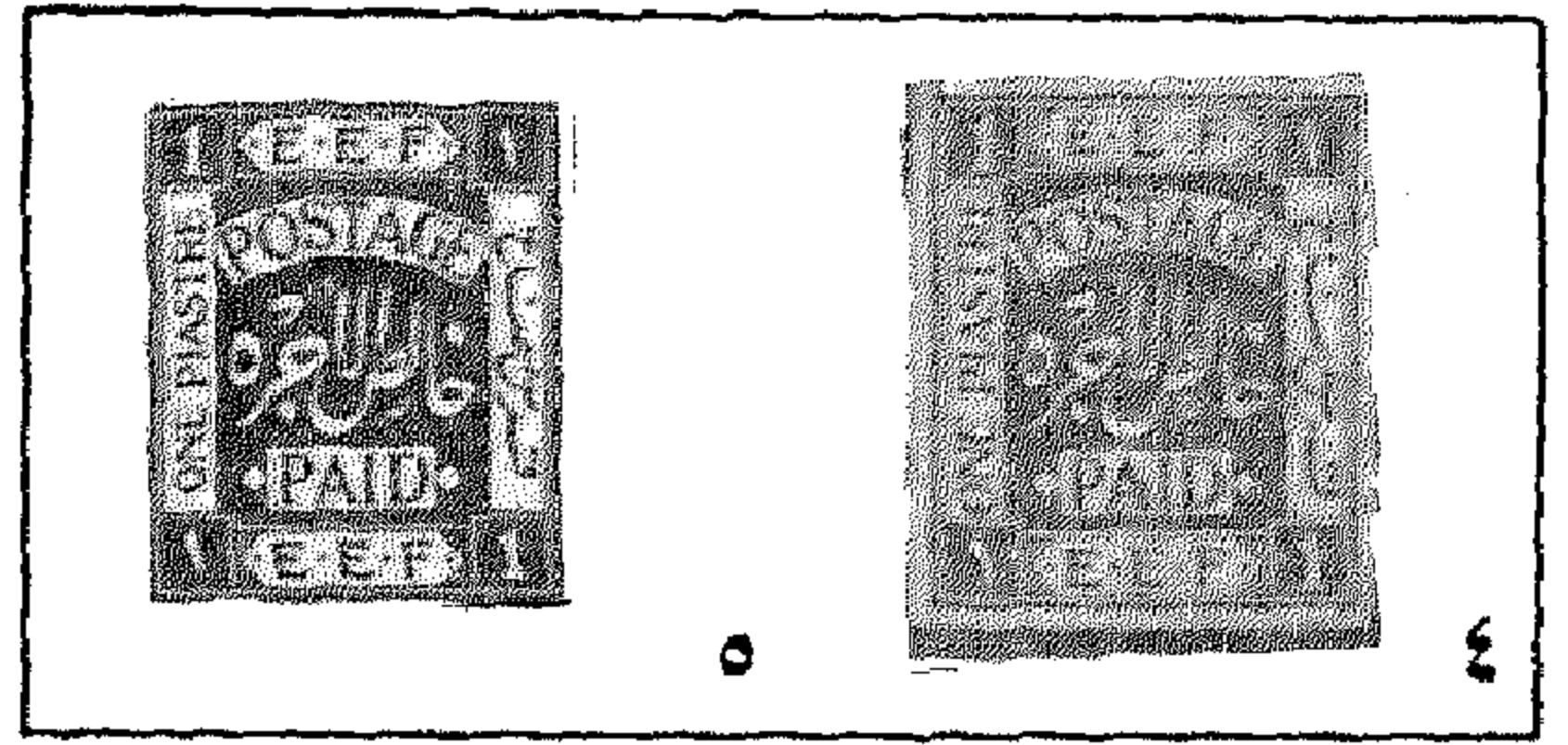
أراضي العدو المحتلة ، بما في ذلك أجزاء كبيرة من بلاد آسيا الصغرى ، مثل سورية وكيلىكية والأردن وشمال مصر. وبقيت هذه الطوابع قيد الإستعمال حتى أول أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٠ ، تاريخ تسليم البلاد للأدارة البريطانية المدنية ، التي أصدرت أول مجموعة من ١١ طابعاً موشحاً بكلمة فلسطين بثلاث لغات ، العربية والإنكليزية والعبرية . (صورة رقم ٦) تلت هذه المجموعة خمس مجموعات بريدية مؤلفة من ٤٨ طابعاً ومجموعة واحدة أجور مستحقة من خمسة طوابع (صورة رقم ٧) . والجدير بالذكر أن جميع هذه المجموعات الخمس كانت كلها متشابهة من حيث المظهر وكلها توشحت باللغات الثلاث ، ولكن في



كل مرة كانت الأحرف تتغير ، وكذلك دور الطباعة بحيث أن التوشيح الذي جرى للمجموعات الأولى والثانية والثالثة كان محلياً ، أما المجموعتان الرابعة والخامسة فقد جرى توشيحها في دارتين مختلفتين للطباعة في لندن .

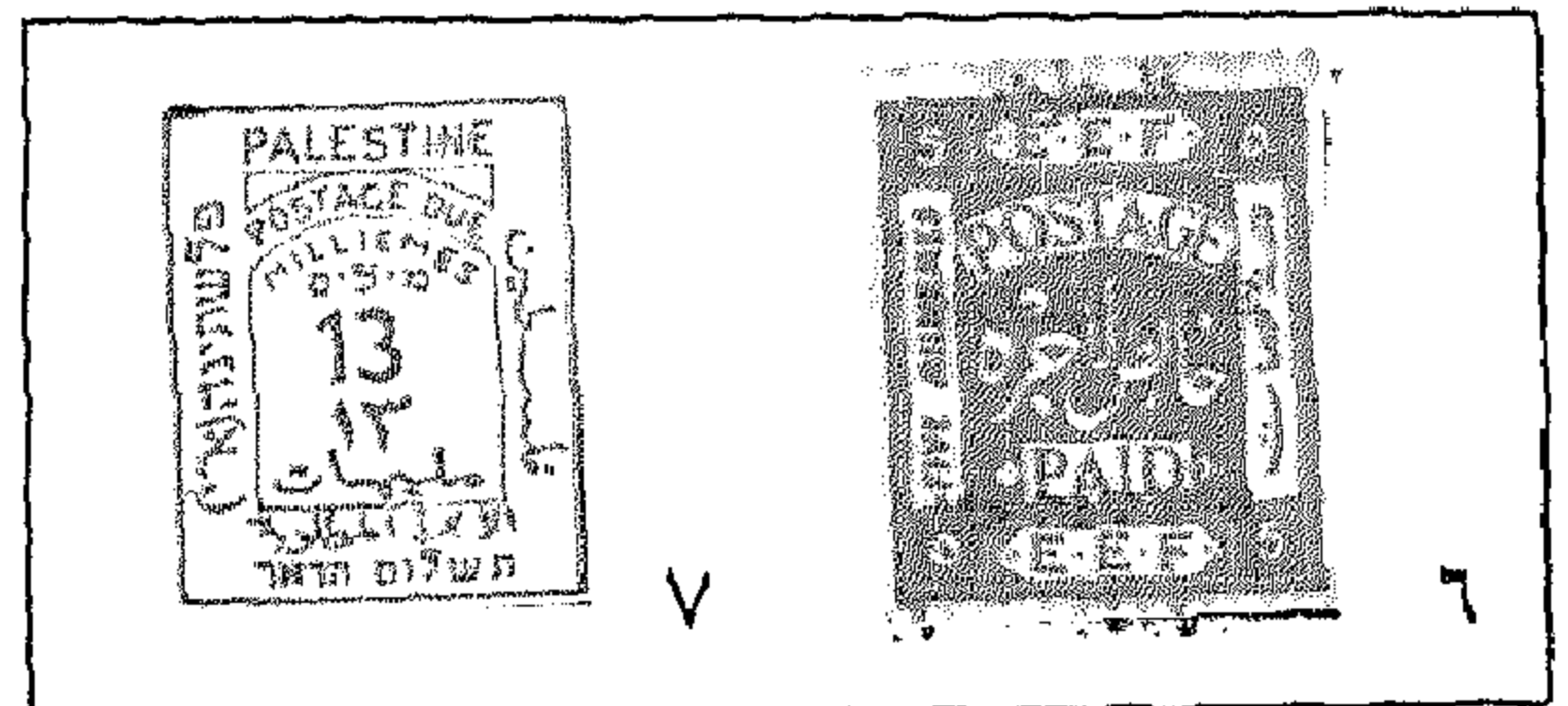
وبموجب معاهدة لوزان لسنة ١٩٢٣ المعروفة ، تخلت تركيا عن فلسطين وأصبح إنتداب بريطانيا العظمى على البلاد المعطى من قبل عصبة الأمم سنة ١٩٢٠ ساري المفعول ابتداءً من ٢٩ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٣ واستمر حتى ١٤ أيار (مايو) سنة ١٩٤٨ .

أما الطوابع التي صدرت في عهد الإنتداب الرسمي فكانت الأولى في أول كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٤ وهي مجموعة أجور مستحقة مؤلفة من ستة طوابع (صورة رقم ٨) ثم في أول حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٧ صدرت المجموعة الأولى التي تظهر مناظر دينية (صورة رقم ٩) مؤلفة من ١٤

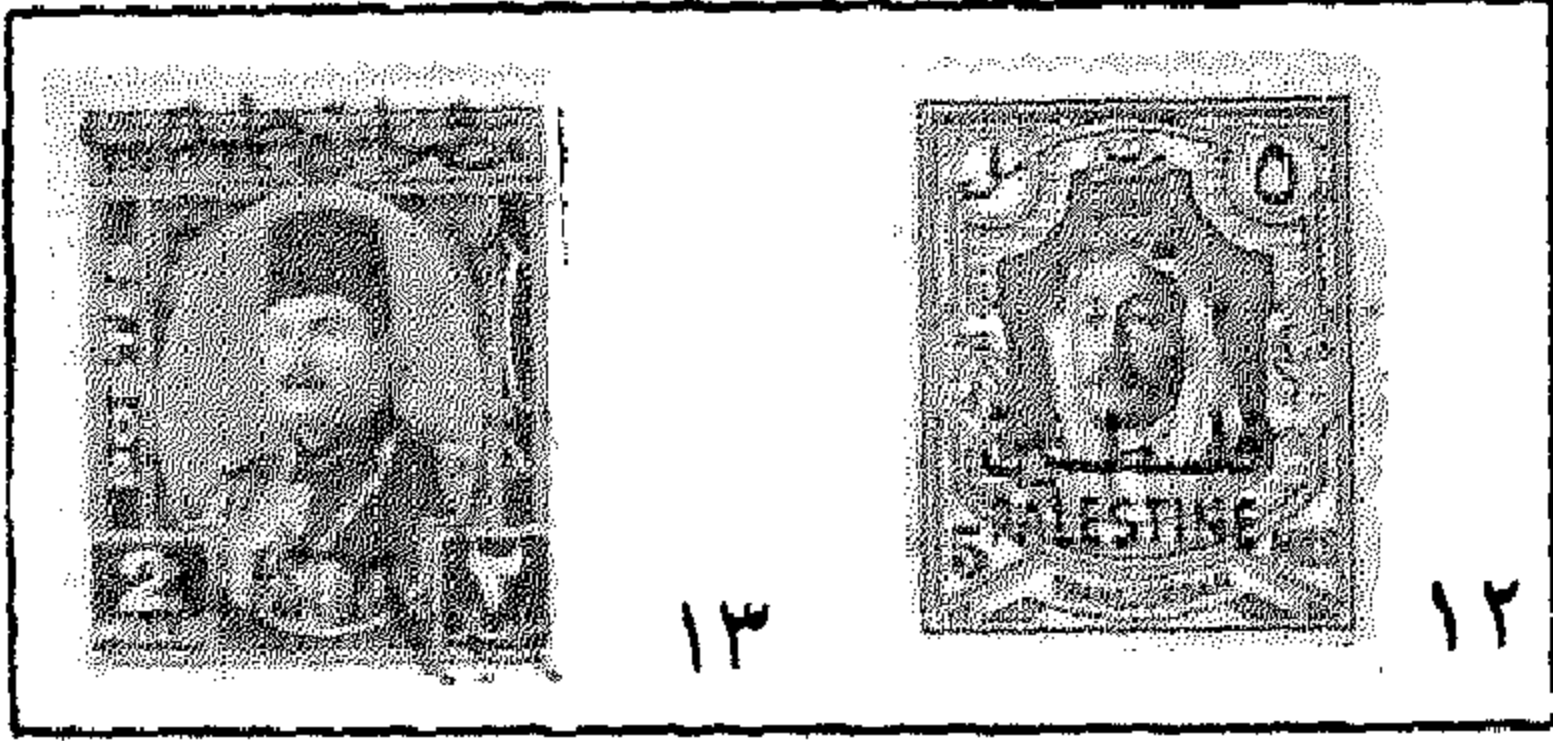


١٩١٨ تاريخ دخول القوات الإستطلاعية المصرية التابعة لجيوش الحلفاء التي إحتلت في شهر آذار (مارس) سنة ١٩١٧ جنوب فلسطين ، ثم القدس بتاريخ ٩ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩١٧ وأنهت إحتلال جميع أراضيها خلال سنة ١٩١٨ ، فتوقف إستعمال الطابع العثماني أولاً ثم طوابع المكاتب الأجنبية التي أقفلت سنة ١٩٢٣ على أثر معاهدة لوزان .

وبتاريخ ١٠ شباط (فبراير) سنة ١٩١٨ أصدرت السلطات العسكرية البريطانية ١٥ طابعاً للتخليص على البريد ، منها طابعان فئة قرش واحد وطابع موشح ٥ مليم على قرش واحد . طبع على ورق غير مصمغ . وطابعان آخران من الفئات نفسها ولكن بألوان مختلفة وعلى ورق مصمغ ، طبعت بمطابع دائرة المساحة المصرية في الحيزة بمصر ، وكتب عليها «الص الأجرة» و «E.E.F. POSTAGE PAID» (قوات إستطلاعية مصرية أجور البريد مدفوعة) (صورة رقم ٤) ، وكانت فئة ٥ مليم للتخليص الداخلي وفئة القرش الواحد للخارجي . ثم أصدرت مجموعة مؤلفة من ١١ طابعاً من فئة مليم واحد إلى ٢٠ قرشاً (صورة رقم ٥) كلها مخرمة طبعت بمطابع بريطانية في لندن وكانت لإستعمال السكان المدنيين في







دخلت الساحل الجنوبي لفلسطين في ١٥ أيار (مايو) سنة ١٩٤٨ ودخلت غزة بعد انسحاب بريطانها ووصلت عن طريق بئر السبع إلى الخليل وبيت لحم أيضاً، ومكثت هناك فترة محدودة.

وفي ١ حزيران (يونيو) سنة ١٩٤٨ وشحت مصر بكلمة «فلسطين» بالعربية والإنكليزية (صورة رقم ١٣). الطوابع التي كان معمولاً بها حينئذٍ في مصر، التي تحمل صورة الملك فاروق، ثم أخذت تصدر الطوابع التذكارية المختلفة على غرار مصر تماماً. مع إضافة كلمة «فلسطين» باللغتين، وذلك حتى ١ أيار (مايو) سنة ١٩٦٧. وكثيراً ما نشاهد اليوم غلافات تحمل الطوابع المصرية الأولى الموشحة «فلسطين». محتومة في بيت لحم بتاريخ ١١ حزيران (يونيو) سنة ١٩٤٨.

وفي ١٠ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ سيطرت إسرائيل على جميع تلك المناطق.

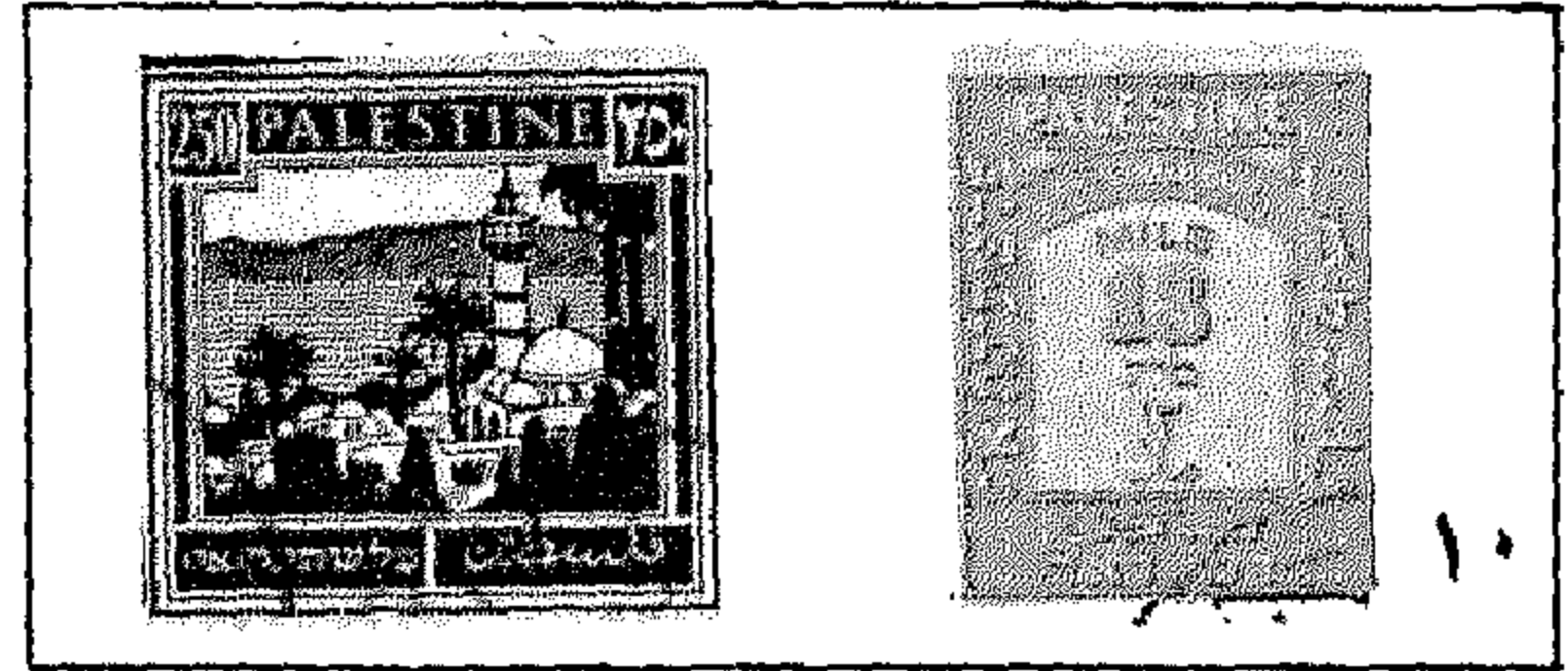
### حركة البيع والشراء

هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع وللراغبين في المبادلة أو البيع أو الشراء. وقد درسنا أحسن الأسس العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا في خدمة القراء.

### أسئلة القراء

نرحب بجميع الأسئلة من القراء وهواة جمع الطوابع البريدية وسنشر في هذا المكان ما هو مهم ومفيد منها. أرسل إقتراحاتك وملاحظاتك إلى مجلة «تاريخ العرب والعالم» قسم الطوابع - ص.ب. (٥٩٠٥) بيروت لبنان ■

طابعاً بريدياً من ٢ مل إلى ٢٠٠ مل. وفي أول شباط (فبراير) سنة ١٩٢٨ صدرت مجموعة أجور مستحقة من ٩ طوابع (صورة رقم ١٠) ثم ثماني فئات أخرى تكمل المجموعة المصورة الآنفة الذكر، صدرت ابتداء من أول حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٢ وإلى ١٩٤٤ وبفئات كبيرة منها ٢٥٠ و ٥٠٠ مل وجنيه واحد (صورة رقم ١١). وفي ١٤ أيار (مايو) سنة ١٩٤٨ إنتهى إنتداب بريطانيا على البلاد وانسحبت تاركة في الإستعمال الطوابع المتبقية في دوائر البريد المختلفة في جميع أنحاء البلاد، إلى أن صدرت الطوابع الأردنية في الشهر الأخير من السنة نفسها كما سنذكره لاحقاً.



إغتحم اليهود انسحاب بريطانيا وأعلنوا حكومة إسرائيل، وفي اليوم التالي اجتازت القوات الأردنية (فرقة الزنار الأحمر) نهر الأردن ودخلت فلسطين، وقبل إعلان الهدنة في ٣ نيسان (أبريل) سنة ١٩٤٩، تمكنت هذه القوات من السيطرة على القدس القديمة وشمالاً على جنين وطولكرم وقلقيلية والطررون، وجنوباً على بيت لحم والخليل والضواحي.

وفي ٢ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٤٨، وشحت الأردن الطوابع التي تحمل صورة الملك عبد الله بكلمة «فلسطين» بالعربية والإنكليزية (صورة رقم ١٢). وفي ٢٤ نيسان (أبريل) سنة ١٩٥٠ توحدت فلسطين مع الأردن وأصبحت الطوابع الأردنية تستعمل في كلا الضفتين. وبعد حرب سنة ١٩٦٧ المشؤومة انسحب الأردن من الأراضي الفلسطينية.

والجدير بالذكر أن الجيوش المصرية

## مسابقة الشهر

أفقياً -

- ١ - بلد عربي مغتصب . إسم موصول
- ٢ - ابن عمري ملك على إسرائيل ٢٢ سنة ومات سنة ٨٩٧ ق.م . ذوب المعادن المصهورة .

- ٣ - بيتنا . قرع . ٤ - جمع ما يقابل النهار . للتفسير . ٥ - فك . ألا بعد وهو الجزء الثاني من إسم إحدى القبلتين (معكوسة) .
- ٦ - ضد نهار . جواب متشابهان .

- ٧ - صحراء محتلة (معكوسة) . سيّدة بالعامية . ٨ - مدينة في فلسطين . علم مؤنث .
- ٩ - ضد بُعد (معكوسة) . مدينة في فلسطين (معكوسة) .

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
									١
									٢
									٣
									٤
									٥
									٦
									٧
									٨
									٩

عمودياً

## حل مسابقة العدد الخامس

أفقياً :

- ١ - الخبر . أخف . ٢ - أسل .
- ٣ - كليوباترا ٤ - حملايا . در .
- ٥ - لي . ٦ - دموع . درك . ٧ - الخميني
- ٨ - لاهوتي . ٩ - الابابة .

عمودياً :

- ١ - الأحمدي . ٢ - مرسل . ارئم .
- ٣ - خاتل . وي . ٤ - المعطاء . ٥ - يتر .
- ٦ - لاوي . أهل . ٧ - يحف .
- ٨ - خالد . قة . ٩ - الكرنك .

## ١ - نوبة موسيقية . مهد السيد المسيح

- (معكوسة) . ٢ - قبر . ملكي . مقياس
- أرضي . ٣ - استفهم . خائط خياطة أولية .
- ٤ - مدينة في فلسطين . ضمير متصل
- (معكوسة) . ٥ - لقب السيد المسيح .
- ٦ - مدينة مقدسة . ٧ - بحر (معكوسة) .
- ٨ - صفة لبيت لحم . ٩ - إسم كنيسة مشهورة .

## الفائزون في مسابقة العدد الرابع

الفائز الأول : نزار كحيلان - عمان -

الأردن مائة ليرة لبنانية

\* الفائز الثاني : محمد عبد الساتر

- بعلبك - لبنان إشتراك سنة في المجلة

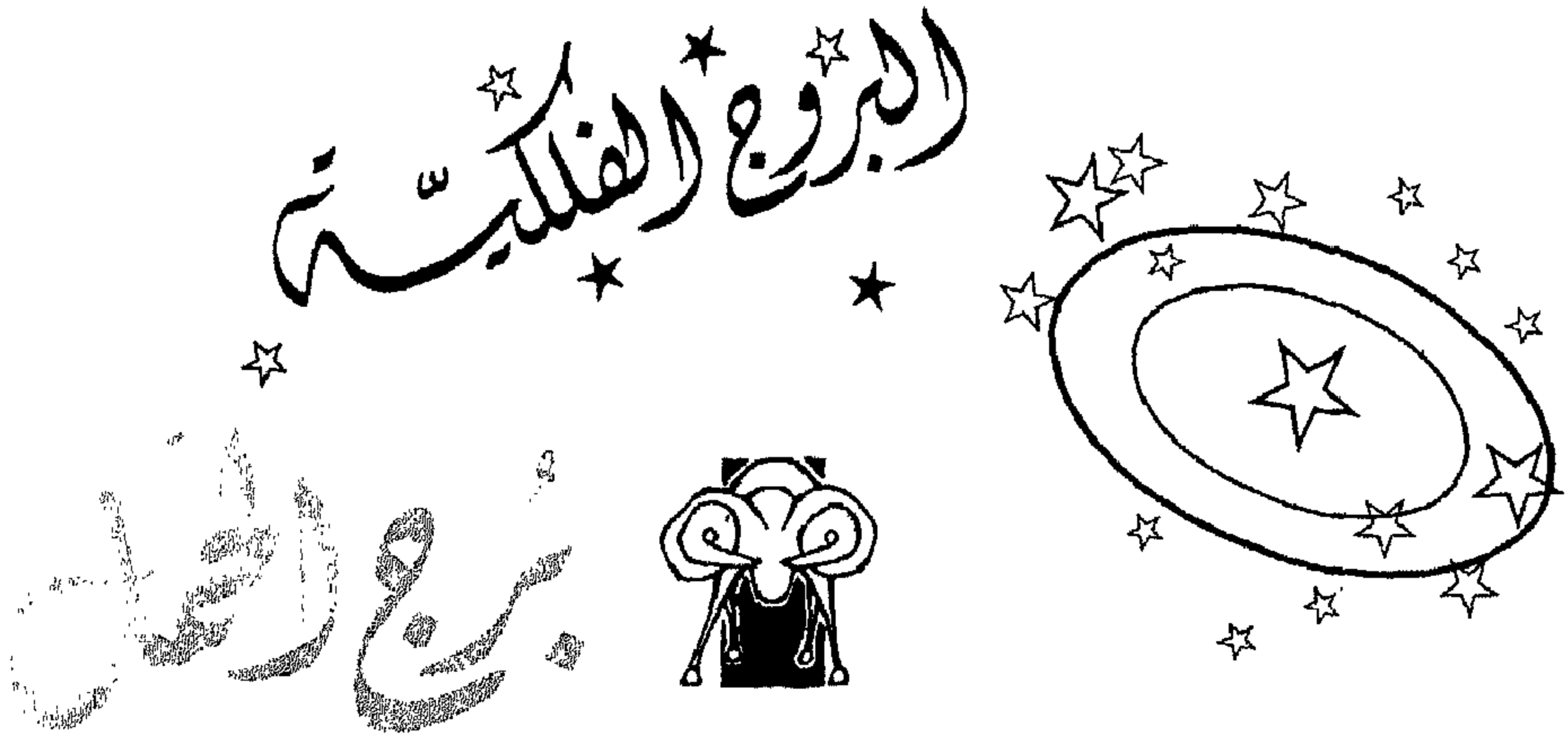
\* الفائز الثالث : المهندس نزار عرنوق

- طرطوس سوريا - ص.ب (٢٠٠) . إشتراك

نصف سنة في المجلة

ملاحظة : وردتنا عشرات الأجوبة

الصحيحة . ومما يلفت النظر أن جميع الفائزين قد إنتبهوا للخطأ الوارد في الصف الأفقي رقم ٩ . وبنتيجة القرعة فاز ثلاثة منهم بالجوائز الثلاثة الأولى . نتمنى للجميع حظاً سعيداً في المرة القادمة .



٢٢ آذار (مارس) الى ٢٠ نيسان (ابريل) منى تنير

بغض النظر عن الطابع العلمي أو الاسطوري الذي تتخذه المعتقدات الفلكية في أذهان الناس، فإن فيها مقدارا من العلم، كانت للعلماء العرب حصة فيه، امثال عبد الرحمن الصوفي الرازي وابي الريحاني البيروني.

ولقد كان «لعلم التنجيم» بداية وتطور، حتى وصل الينا. وكان لكل برج من البروج قصة وتاريخ. وفي ما يلي تاريخ برج الحمل:



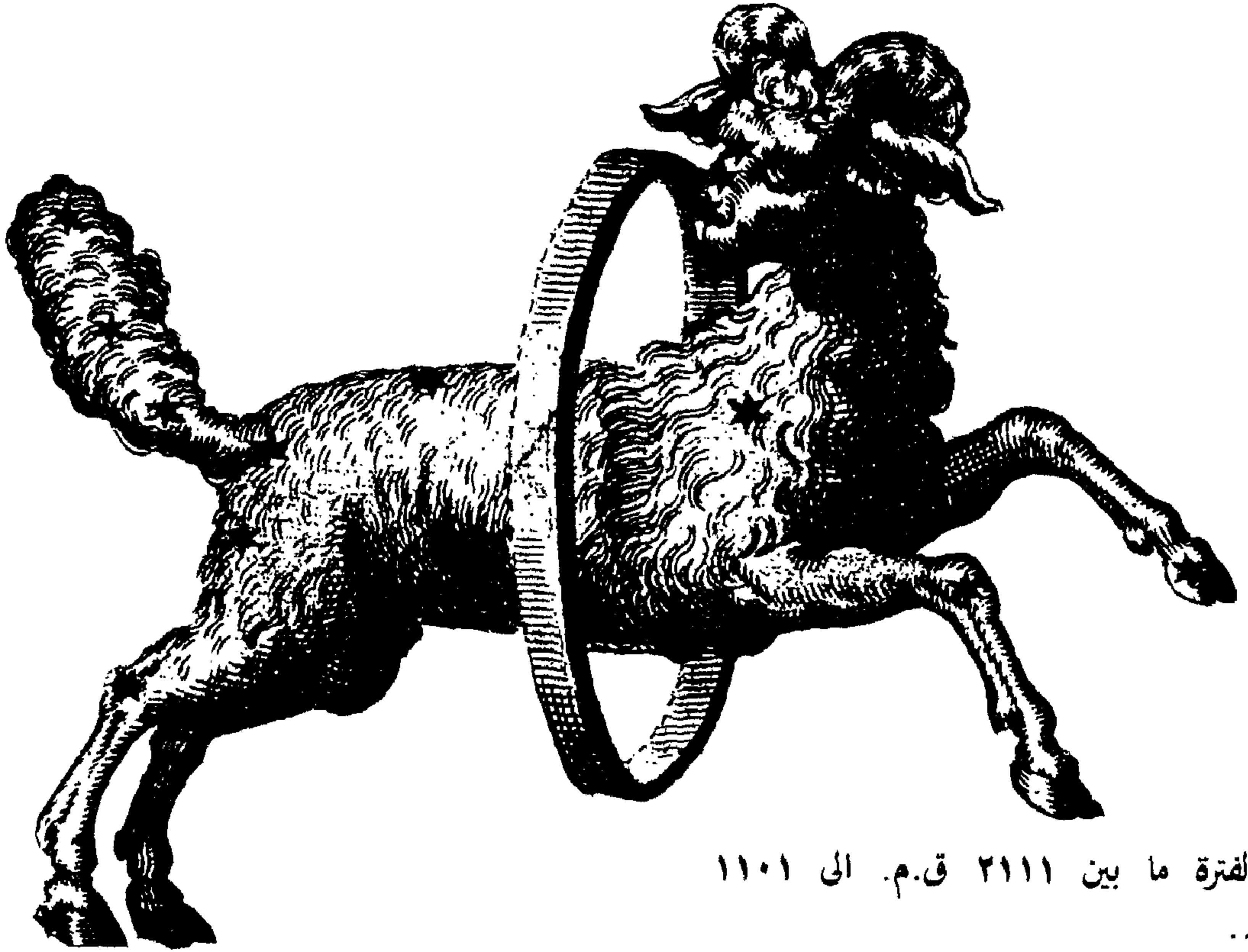
متبعة اليوم ان يرمز الى هذا البرج بصورة كبش يقفز من وسط دائرة الشمس، وهي اشارة الى بداية الربيع. لهذا السبب اتفق علماء التنجيم الفلكي على بدء تعداد البروج الـ ١٢ انطلاقاً من برج الحمل بالذات. ولاعجب ان توافق اطلالة هذا البرج بشائر الربيع الاولى، حينما تبدأ الطبيعة دورتها الجديدة.

ويختلف المؤرخون حول الأسباب التي دفعت قدامى المصريين الى اعتماد رمز برج الحمل كرمز لبلدة «طيبة»، المدينة المقدسة التي تبعد حوالي ٧٠٠ كلم جنوبي القاهرة. ربما كان سبب ذلك ان أوج ازدهار هذه المدينة تمّ في فترة اتسعت فيها حدود الامبراطورية الفراعونية الى اقصى حد لها، اي

■ يرمز عادة الى برج الحمل بصورة «الكبش»، وذلك للدلالة على اهم الصفات الغريزية التي تميز هذا الحيوان عن غيره. من هنا فإن مواليد هذا البرج يمتازون عموماً بالحيوية والنشاط مما يدفعهم للعمل بلا خوف او تردد. إنهم يستندون الى فطنتهم ويتحملون مسؤولية ما يقومون به من أعمال. لذلك فإن لهم كل الصفات التي تؤهلهم للقيادة. ان شجاعتهم تحثهم على اكتشاف اشياء جديدة. وهم بالتالي مضطرون لاتخاذ القرارات بسرعة، من غير أن يعني ذلك ان هذه القرارات، على اهميتها، هي بالضرورة منطقية وتناسب الظروف الخاص بها.

ومن التقاليد التي أصبحت بمثابة قاعدة





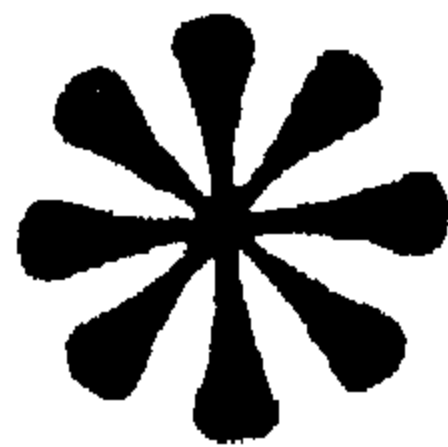
في الفترة ما بين ٢١١١ ق.م. الى ١١٠١ ق.م..

البروسي بيسمارك، موحد ألمانيا - شارلي شابلن - الممثلة جولي كريستي - توماس جيفرسون، رئيس الولايات المتحدة الاميركية بين عامي ١٨٠١ و ١٨٠٩ - الزعيم السوفييتي الراحل نيكيتا خروشوف - الرسام الهولندي فان غوغ - الكاتب الاميركي تينيسي وليامز - الممثل مارلون براندو - الممثلة دوريس داي - كازانوفا - الجنرال الاميركي باتون، أحد قادة الحرب العالمية الثانية - الفيلسوف الالماني فيلهلم رايبخ - عمر الشريف ■

واستناداً الى اجاث العلماء فان برج الحمل له تأثير مباشر في الرأس، وهذا ما يفسر طبيعة الصفات التي يتحلى بها مواليد هذا البرج عموماً.



من الشخصيات العالمية المشهورة في التاريخ القديم والحديث والتي ولدت في برج الحمل نذكر: السياسي والقائد العسكري



فقط ...

للطلاب

اعداد : سحر بعاصير  
الجامعة السورية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي .  
خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم .

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية  
الشهر الذي يصدر فيه العدد .

والمطلوب الاجابة عن الأسئلة جميعها وأرفاقها بالقسيمة المنشورة إلى جانب الزاوية . ولا يشترك في  
القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من أخطأ في أحد الحلول .

إذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فما عليك إلا أن ترسل الأجوبة مع القسيمة إلى عنوان  
المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة أو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه . وتهمل كل رسالة  
لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة للطلاب .. وللطلاب فقط .

## ما هو ؟

صلح أنهى حرب الوراثة الإسبانية . تألف الصلح من عدة معاهدات وقعت سنة ١٧١٣ وأكملته معاهدتا راشتان  
وبادن سنة ١٧١٤ بين فرنسا والنمسا . وكان أهم أحكام هذه المعاهدات الاعتراف بفيليب الخامس ملكاً على اسبانيا ونقل  
ملكية الأراضي المنخفضة النمساوية أو البلجيكية ، وميلانو ونابولي وسردينيا إلى النمسا ، وجبل طارق ومينورقة إلى بريطانيا .  
وصقلية إلى مملكة سافوا . واعترفت فرنسا بحق أسرة هانوفر في إعتلاء العرش الإنجليزي . وتخلّى فيليب الخامس عن حق وراثة  
عرش فرنسا وظفرت إنكلترا بشروط مفيدة لتعزيز تجارتها .

## ما هي ؟

دولة برلمانية مستقلة عضو في الكمنولث البريطاني وتتكون من مجموعة جزر في جنوب المحيط الهادئ تبلغ مساحتها  
٧,٧٠٧ أميال مربعة عدد سكانها يقارب ٥٢٧,٠٠٠ نسمة يتكلمون الإنكليزية والهندية بالإضافة إلى لغة الدولة الأصلية وهم  
يتوزعون بين المسيحية والهندوكية . أصبحت هذه الدولة أحد ممتلكات التاج البريطاني عام ١٨٧٤ وخلال الحرب العالمية الثانية  
كانت تضم قاعدة عسكرية بحرية وجوية هامة . ونالت البلاد إستقلالها في ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٧٠ .

## من هو؟

مهندس وصناعي عربي ولد عام ١٦٨٠ وتوفي عام ١٧٤٨. كان حموي المولد من أصل حلي من أسرة إمتنت الصياغة والحفر والنقش والتصوير. اتقن مهنة أهله بالإضافة إلى سبك الفولاذ وصنع الساعات المائية والميكانيكية. أنشأ مع أخيه مطبعة في حلب ثم أنشأ واحدة أخرى لنفسه في دير يوحنا سنة ١٧٣٣. ابتدأ عمله فيها بطبع كتاب اسمه ميزان الزمان. أهم ما ميز مطبعته أن معظم ما كان فيها من آلات وحروف ومسابك ومصفات ومحابر ومكابس للنقوش والزخارف، سواء من الخشب أو النحاس أو الرصاص، كانت من تصميمه وصناعته هو. ترك عدداً من الكتب المتنوعة الاتجاه منها محاولات في اللاهوت، والأصول المنطقية والمواعظ. توفي في دير مار يوحنا ولا تزال مطبعته محفوظة في دير الصائغ.

## من هو؟

رياضي وفلكي إغريقي ولد عام ٦٤٠ ق.م وتوفي عام ٥٤٦ ق.م. إشتغل في مطلع شبابه بالتجارة. ثم تحول عنها إلى دراسة الرياضيات والفلك. واشتهر بالحكمة حتى صار واحداً من حكماء الإغريق السبعة. ويذهب بعض المشتغلين في تاريخ العلم إلى إعتباره أول عالم ظهر في اليونان. فلقد حدد موعد كسوف الشمس يوم الثامن والعشرين من أيار (مايو) سنة ٥٨٥ ق.م. وقد حدث ذلك كما توقعه، فكان ذلك أول توقع علمي محسوب لحدوث كسوف ثبت تدوينه في التاريخ. ويعود الفضل إلى هذا العالم في إكتشافه للكهربائية الساكنة أو الإستاتيكية وقد تمكن من حساب إرتفاع الهرم بقياس طول ظله ووضع عدداً من النظريات المتعلقة بالمثلث المتساوي الأضلاع، وحول تقاطع الخطوط، والزاوية في شبه الدائرة وغيرها.

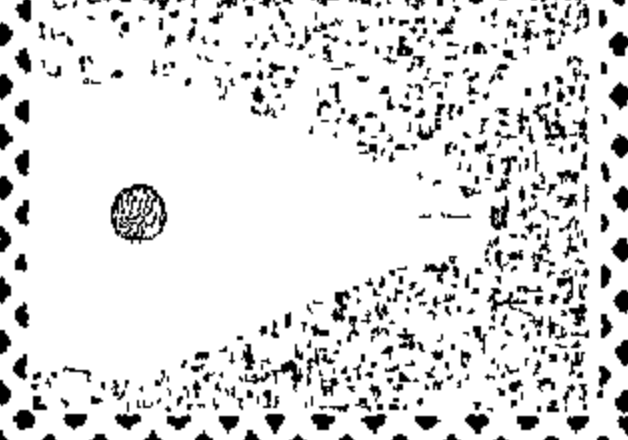
### الفائزون في مسابقة العدد الرابع

- \* الفائز الأول : حسن محمد أبو نعسه - الجامعة اللبنانية - كلية الآداب - قسم اللغة الإنكليزية : مائة ليرة لبنانية.
- \* الفائز الثاني : مازن غانم - دمشق - شارع الفردوس - ثانوية ابن خلدون : إشتراك سنة في المجلة.
- \* الفائز الثالث : محمد أحمد صالح. ثانوية رأس النبع الرسمية : إشتراك نصف سنة في المجلة.

### فائزون ولكن الحذر لم يسلطهم في التوعية :

- طارق محمد حسن جابر - الرياض.
- بسام بعلبكي : الجامعة اللبنانية.
- أسامة جواد رضا : جامعة بيروت العربية.
- سمر سكر : معهد العلوم الإجتماعية.
- محمد عماد دمج : المدرسة البطريركية.
- حسين علي زعرور : الشياح - ثانوية حارة حريك الرسمية.
- محمد عاطف بيلون : ثانوية الغبيري الرسمية الثالثة.
- سلمان عبد الوهاب العريض - مدرسة المنامة الثانوية.
- "صناعية البحرين - الخليج العربي.





إبتداء من العدد الخامس .

ولكم خالص الشكر

\* ومن الخبر، في المملكة العربية السعودية كتب الأخ طاهر حسين أحمد المريسي :

« انني من محبي مجلتكم العربية والتي تعني بأخبار الأمة العربية خاصة والعالم أجمع . وقد نالت إعجاب الكثيرين لما فيها من مواضيع شيقة ومسلية في نفس الوقت . كما أني وباسم أصدقائي الذين يتابعون المجلة نتقدم إلى كل العاملين وإلى كل من ساهم في إخراج هذه المجلة إلى حيز الوجود بجلتها الجديدة والمجيلة بجزيل الشكر والتقدير .»

◀ نشكر لك عواطفك الطيبة .

\* وكتب لنا السيد عبد القادر محمود الحصان، وهو طالب أردني يدرس في أسطنبول، رسالة قال فيها :

أشكر لكم جزيل الشكر مساهمتكم الحقة في المجلة، واني لأشكر لكم جهودكم لإخراج هذه المجلة العزيزة إلى حيز الوجود. إنني أتابع مجلتكم الغالية وأحرص على كل عدد من أعدادها. وعلى أن يصل إلي دوماً، لأنها حقاً مجلة كل عربي مثقف حينما كان على وجه الأرض.

◀ ونحن نرد التحية بمنثلها ونأمل في

مواصلة الفوز برضى القراء.

\* السيد حسن محمد أبو نعه، وهو مجاز في التاريخ. ويتابع الدراسة الآن في

السيد جورج يوسف طعمة ،

لقد سررنا غاية السرور. بتجاوبكم مع «تاريخ العرب والعالم». وثق أننا نعتبر ملاحظاتك سنداً لنا في سبيل تحسين أداء المجلة في خدمة قرائها.

◀ ملاحظاتك جميعها في محلها ولا شك.

الملاحظة الأولى تتعلق «بليوبولد هوهن زولارن». والجملة يجب أن تقول إنه «ترشح لعرش إسبانيا بعد ثورة إسبانيا عام ١٨٦٨، وهو من الأسرة التي حملت التاج الإمبراطوري في ألمانيا بين العام ١٧٠١ والعام ١٩١٨». والواضح أن الجملة المعترضة كان يجب أن يتغير موقعها.

أما عن وضوح الجملة المتعلقة «ببرقية أمز» فهي مسألة تخص الكاتب إلى حد كبير. وفي هذا الشأن، فإن أسرة تحرير المجلة تظل محدودة الصلاحية في التبديل والتعديل.

والملاحظة الثالثة تتعلق بعدد سكان اليهود في القدس القديمة والجديدة. فثمة خطأ مطبعي، ويجدر القول أن عدد سكان القدس «الجديدة» (لا القديمة) من اليهود في ذلك الحين نحو مائة ألف نسمة. فنعتذر عن هذه الأخطاء، ونؤكد مرة أخرى أنه لولا إهتمامك ودقتك لما جاءت هذه الملاحظات المفيدة.

أما عن «المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام»، فإن المؤتمرات عن التاريخ هي من اختصاص المجلة أيضاً. وهذا لا يعني أننا لن نهتم بأبحاث المؤتمر. وسنبداً بنشر بعض الأبحاث المختارة التي قدمت في المؤتمر،

\* والواقع أن هذا الاقتراح أحيل على الأستاذ محمد سكر للدرس. وطموحنا في الواقع أن نصل إلى كل هواة العرب في

لبنان وغيره.

كذلك طلب منا عدد من القراء أن نفرّد مكاناً للكوبونات بحيث لا يؤدي قطعها إلى إفساد المجلة لمن يريد حفظها «لأن كل ما في المجلة جيد وبعضها يلحقه التشويه بسبب تمزيق الكوبونات».

الاقتراح أخذ طريقه إلى التنفيذ فوراً.

إلى القراء الأعزاء

نظراً لكثرة الرسائل، وهذا شيء يغبنا جداً، يرجو المسؤول عن «بريد القراء» أن يكتب القراء الأعزاء الذين يودون مراسلتنا أو الاشتراك في أية مسابقة، أن يكتبوا أسماءهم على الرسالة ذاتها، وليس على المغلف فقط، فذلك يسهل علينا كثيراً ويجنبنا مغبة إختلاط الأسماء إذا ما اختلطت المغلفات.

\* القاري ميشال شعنين، مجلة مار مخايل، بيروت، أشاد بالمجلة وقال «إنها تسد فراغاً كبيراً في الحقل الصحافي والثقافي معاً ليس في لبنان فحسب بل في كافة البلاد العربية».

ولفت الانتباه إلى أن الشخصين اللذين ظهرا في الصورة (ص ٦٢ العدد الرابع) في موضوع ليلة الأمواس الطويلة، هما روم وهيملر، وليس روم وغوبلز كما ورد.

\* «جل من لا يخطئ» يا سيد شعنين، كما قلت، وكل الشكر لهذه الملاحظة، ولاهتمامك.



قسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب، الجامعة اللبنانية، كتب يقترح تخصيص صفحة في المجلة لزاوية بعنوان «في سبيل موسوعة تاريخية»، تحتوي على أهم أحداث العالم أو أهم المعارك أو المعاهدات. كما طالب بموضوع في كل عدد عن واحدة من أهم معارك العالم. وأضاف: إن مدى فرحته وتعلقه بالمجلة لا يصدقان.

نشكر لك عاطفتك، ونتمنى لك ولنا التوفيق. أما فيما يتعلق باقتراحك الأول، فإننا نقترح على القراء موسوعة غير مختصرة في الواقع، مكونة من موضوعات المجلة. فإذا لاحظت، أننا نحصر في المجلة على أن تكون الموضوعات في كل شهر متخصصة: فموضوع للحضارات القديمة، وموضوع أو أكثر عن تاريخ لبنان، وموضوع عن تاريخ النضال الفلسطيني، وموضوع عن التجسس، إلى آخره. وسنبداً في أقرب فرصة ممكنة سلسلة في موضوع معارك عربية تاريخية. ولا بأس أن تضاف إلى هذه فيما بعد معارك عالمية. وأما المعاهدات فلها موضوع في كل عدد. كما لاحظت بلا شك. وإننا نرحب بمقترحاتك ونسعى إلى تنفيذها قدر المستطاع. لكن الأهم فيها هي أنها ترشدنا إلى رغبات القراء الأعزاء فلك الشكر تكراراً.

\* للأخ إبراهيم خليل - الرياض - ص.ب ٢٥٧٩. حولنا رسالتك للعقيد الدكتور ياسين سويد للإجابة عليها. شكراً لإهتمامكم.

«رسائل كثيرة وردتنا في شأن الشطرنج اقترح بعضها تنظيم «مباراة أو دورة بالشطرنج بالمراسلة. فيسمح لكل هواة لبنان الاشتراك بها».

تَوْكِيهُ الرَّايِ عَلَى مَایَرِیْهِ وَالْکُودِ







نقود ذهبية وقضية  
سكها السلطان  
محمد الثاني العثماني













Bibliotheca Alexandrina



0537070